تفسير البصائر

تأليف

العلامة الفقيه والمفسر الكبير آية الله العظمى
أبي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد السادس والثلاثون


شبكة الفكر
alfeker.net

* هوية الكتاب

الكتاب:	تفسير البصآئر
المجلد:	السادس و الثلاثون
المؤلّف:	المفسّر الكبير آية اللّٰه العظمى يعسوب الدّين رستگار الجويبارى
الناشر:	المؤلّف
زينغراف:	حميد
المطبعة:	صدر
الكمّيّة:	۲۲۰۰ نسخة
سنة الطبع:	رمضان المبارک ۱٤۱۸ هجرى قمرى
عدد الصّفحات:	۱۲٦٤ صفحة
السّعر:	۲۰۰۰ توماناً
الطبعة:	الاولى
تنذيف الحروف:	مؤسسة العلوم الكامبيوترية



قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها.

الانعام: ١٠٤

كتاب علمي، فنّي، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، واسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

سورة فصلت

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ
أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ
﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم
بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ
ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾

﴿ فضلها و خواصّها ﴾

روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في «ثواب الأعمال» باسناده عن ذريح المحاربيّ قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «من قرأ حم السّجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً وعاش في هذه الدّنيا محموداً مغبوطاً».

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع، وجوامع الجامع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثقلين، والشّيخ الحرّ العاملي في وسآئل الشّيعة، والمجلسي في بحارالأنوار، والدّيلمي في أعلام الدّين، والكفعمى في المصباح، وفي جامع أحاديث الشّيعة ...

وذلك أنّ من قرأها متدبّراً فيها، مؤمناً موحّداً، مستقيماً إليه ومستغفراً كان له ماجآء في الرّواية إذ قال الله عزّوجل فيها: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إلَيه واستغفروه ـ إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون ـ إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم» ٦ و٨ و٣٠ و٣٢).

وفي المجمع: ابيّ بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ حم السّجدة أُعطى (من الأجر) بعدد كلّ حرف منها عشر حسنات».

أقول: رواه في جوامع الجامع، والرّاوندي في لبّ اللباب، والكفعمي في المصباح، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثقلين، والمحدّث النّوري المازندراني في المستدرك ، وأبوالفتوح الرّازي في تفسيره، والسّيّد البروجردي في جامع أحاديث الشّيعة

وغيرهم ...

وفي البرهان: روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ هذه السّورة أعطاه الله بعدد حروفها عشر حسنات، ومن كتبها في إنآءٍ وغسله وعجن به عجيناً، ثمّ سحقه واسفه كلّ من به وجع الفؤاد زال عنه وبرأ باذن الله تعالى» قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من كتبها في إنآءٍ ومحاها بماءِ المطر وسحق بذلك المآءِ كحلاً ويكحل (تكحل خ) به في عينه بياض أور مدزال عنه ذلك الوجع، ولم يرمد بها أبداً، وإن تعذر الكحل، فليغسل عينيه بذلك المآء يزول عنه الرّمد باذن الله تعالى».

وفي طبّ الأئمّة: بالاسناد عن أبي بصير قال: شكى رجل إلى أبي عبدالله عليه السّلام وجع السّرّة فقال له: «اذهب فضع يدك على الموضع الّذي تشتكي وقل: «وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» ثلاثاً فانك تعافي باذن الله».

أقول: رواه الكفعمي في المصباح، والمجلسي في البحار، والعاملي في الوسائل، والحويزي في نورالثّقلين وغيرهم ...

ومن غير بعيد أن يكون من خواص السّورة والآية المذكورة ماجآء في الرّوايات إذا اجتمعت شرآئط التأثير ...

قال الله عزّوجل: «قل هو للذين آمنوا هدى وشفآء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهوعليهم عمىً» فصّلت: ٤٤).

فتدبّر جيداً ولا تغفل، فانّ التدبّر في كلام الخالق العليم أولى من التدبّر في كلام المخلوق الجهول غير المعصوم.

﴿ الغرض ﴾

غرض السّورة تنويه بالوحي والرّسالة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم وبلغة الوحي وإحكامه: واضح البيان والغايات بلسان عربيّ لقوم يستطيعون أن يفهموه ويدركوا مااحتواه ليكون لهم بشيراً ونذيراً قبل أن يبلغ غيرهم، ويضاف إليها طريقة الدّعوة إلى التّوحيد وخلق الدّاعية، وعرض الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة، والدّعوة إلى الحياة الآخرة، وفي السّورة حكاية لما كان من مواقف الكفّار الحجاجيّة وشدّة إنكارهم وإعراضهم عن الوحي السّماوي، وتحدّيهم للقرآن الكريم، وردود عليهم وإنذارهم، وتحذير من التكذيب بها، وتذكيرهم بمصارع المكذّبين في الأجيال السّابقة من أمثالهم ...

وعرض لمشاهد المكذّبين يوم القيامة من خزي وحسرة، وبيان أنّ المكذّبين من الجنّ والإنس هم وحدهم الّذين لايسلمون بهذه الحقآئق ولايستسلمون لله وحده بينما السّمآء والأرض، والشّمس والقمر والملائكة ... كلّهم يسجدون لله عزّ وجلّ ويخشعون ويسلمون ويستسلمون ... وفيها لفت نظر إلى مشاهد وحدانية الله وربوبيّته، وقدرته وعظمته، وتدبيره وحكمته في نظام الكون ونواميس الوجود، واستحقاقه وحده للعبادة والخضوع، وتنويه بالمؤمنين المستقمين المستغفرين ومصآئرهم، وبشرى لهم بالخير والسّعادة في الدّنيا والآخرة، وحثّ لهم على مكارم الأخلاق والتزامها، وتطمين بنصرالله وتأييده، وإرغام الجاحدين في الدّنيا قبل الآخرة.

وقد أشار تعالى إلى الأوّل وهو الموضوع الرّئيسيّ لهذه السّورة بقوله: «حم تنزيل ...» : ١ ـ ٦) مع بيان إعراض المشركين عن الكتاب المنزل عليهم، وتعلل موقفهم بكونه

موقف المكابر العنيد المتصامم عن قصد وجِدٍّ، ثمّ ذكر في وسطها سعيهم في إطفآءِ نورالوحي بقوله: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»: ٢٦) ثمّ ذكر حقّيّة الوحي، والرّدّ عليهم بقوله: «إنّ الّذين كفروا بالذّكر- اولئك ينادون من مكان بعيد»: ٤١-٤٤).

وأشار إلى الدّعوة إلى التّوحيد بقوله: «أنّما إلهكم إله واحد- ذلك ربّ العالمين» ٦-٩) ثمّ حكى عن عاد وثمود: أنّ رسلهم قالت لهم هذه الحقيقة ذاتها بقوله: «ألاّ تعبدوا إلاّ الله»: ١٤) وذكر في وسطها بقوله: «لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر...»: ٣٧).

وذكر في نهايتها بقوله: «ويوم يناديهم أين شركآئي» : ٤٧).

وأشار إلى طريقة الدّعوة وخلق الدّاعية بقوله: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله -فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم»: ٣٣-٣٦).

وأشار إلى آياته في الآفاق والأنفس بقوله: «قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض -ذلك تقدير العزيز العليم»: ٩-١٢) وذكر في وسطها آيات الليل والنّهار والشّمس والقمر وعبادة الملائكة وخشوع الأرض بالعبادة ونبضها بالحياة: «ومن آياته الليل والنهار- إنّه على كلّ شيْ قدير»: ٣٧-٣٩) وذكر في نهايتها بقوله: «سنريهم آياتنا ...»: ٥٣).

وأشار إلى الدّعوة إلى الحياة الآخرة تهديداً لمنكريها بقوله: «وويل للمشركين ...»: ٦-٧) وختم السّورة بقوله: «ألا إنّهم في مرية ...»: ٥٤).

وقد أشار تعالى في السّورة إلى كشف حقيقة النّفس البشرية من كلّ ستار بقوله: «لا يسأم الإنسان من دعآءِ الخير- وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآءٍ عريض»: ٤٩-٥١).

وأشار إلى مصارع الغابرين: مصرع عاد ومصرع ثمود بقوله: «فأمّا عاد فاستكبروا ...»: ١٥-١٨).

وأشار إلى مشاهد القيامة المؤثرة في قوله: «ويوم يحشر أعدآء الله - فما هم من المعتبين»: ١٩-٢٤).

وأشار إلى مشهد الخنق الواضح من المخدوعين على الخادعين بقوله: «وقال الّذين كفروا ...»: ٢٩).

﴿ النّزول ﴾

سورة «فصّلت» مكّيّة نزلت بعد سورة «المؤمن» وقبل سورة «الشّورى» وهي السّورة الواحدة والسّتّون نزولاً، والواحدة والأربعون مصحفاً، وتشتمل على (٥٤) آية، سبقت عليها (٣١٥٢) آية نزولاً، و«٤٢١٨) آية مصحفاً على التحقيق ومشتملة على (٧٩٤) كلمة، وقيل: (٧٩٦) وقيل: (٧٩٩) كلمة، وعلى (٣٣٥٠) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

وهذه السّورة من السّور النازلة في أوآئل البعثة على مايستفاد من السّياق والرّوايات الواردة فيها فانتظر.

وهذه السّورة هي ثانية سلسلة السّور السّبع المكّيّة المعروفة بالحواميم ... وهذه من العزآئم الأربع على الترتيب التالي نزولاً: ١ـ سورة «العلق» ٢ ـ سورة «النّجم» ٣ ـ سورة «فصّلت» ٤ ـ سورة «السّجدة».

ولها خمسة أسمآءٍ: **أحدها**ـ «فصّلت» باعتبار ابتدآئها بها لتفصيل الآيات أو تفصيل سورة المؤمن فيها. وهو الأشهر. **ثانيها**ـ «حم السّجدة» لضمّ إفتتاحها: «حم» بالآية الّتي وجبت السّجدة على القارئ والمستمع لها. وهو المشهور. **ثالثها**ـ «السّجدة» لوجوب السّجدة على القارئ والمستمع لآية السّجدة. فسمّيت بها إقتباساً ممّا ورد فيها كما هو شأن الإسم الأوّل الموضوع عنواناً. **رابعها**ـ «المصابيح» إقتباساً من قوله تعالي: «وزيّنا السّمآء الدّنيا بمصابيح»: ١٢) **خامسها**ـ «الأقوات» إقتباساً من قوله عزّوجلّ: «وقدّر فيها أقواتها»: ١٠).

في تفسير البرهان: «روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: لمّا نزلت سورة الشّعرآء في آخرها آية الإنذار: «وأنذر عشيرتك الأقربين» أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: يا عليّ اطبخ ولو كراع شاة ولو صاع من طعام وقعب من لبن، واعمد إلى قريش، قال: فدعوتهم واجتمعوا أربعين بطلاً بزيادة، وكان فيهم أبوطالب وحمزة والعبّاس، فحضرت ما أمرني به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معمولاً فوضعته بين أيديهم، فضحكوا إستهزآءً فدخل إصبعه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأربعة جوانب الجفنة، فقال: كلوا وقولوا: «بسم الله الرّحمن الرّحيم».

فقال أبوجهل: يا محمد ما نأكل فهل أحد منّا ما يأكل الشّاة مع أربعة أصواع من الطّعام؟ فقال: كل وأرني أكلك، فأكلوا حتّى تملؤا وأيم الله مايرى أثر أكل أحدهم ولا نقص الزّاد فصاح بهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كلوا فقالوا: ومن يقدر على أكثر من هذا؟ فقال: إرفعه يا عليّ فرفعته، فدنا منهم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: يا قوم! إعلموا أنّ الله ربّي وربكم، فصاح أبولهب وقال: قوموا انّ محمداً سحركم، فقاموا ومضوا فاستعقبهم عليّ بن أبيطالب وأراد أن يبطش بهم فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يا عليّ ادن منّي، فتركهم ودنا منه فقال له: أُمِرنا بالإنذار لا لذات الفقار لأنّ له وقتاً ولكن اعمل لنا من الطّعام مثل ما عملت وادع لي مَن دعيت، فلمّا أتى غد فعلت ما بالأمس.

فلمّا اجتمعوا وأكلوا ما أكلوا فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أعلم شاباً من العرب جآء قومه بأفضل ماجئتكم به من أمرالدّنيا والآخرة قيل: فقال أبوجهل: قد شغلنا أمر محمد فلوقابلتموه برجل مثله يعرف السّحر والكهانة لكنّا استرحنا، فقطع كلامه عتبة بن ربيعة، وقال: والله إنّي لبصير بما ذكرته، فقال: لِمَ لا تباحثه؟ قال: حاشا إن كان به ماذكرت، فقال له: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبدالمطلب؟ أنت خير أم عبدالله؟ أنت خير أم عليّ بن أبيطالب دامغ (دافع خ) الجبابرة قاصم أصلاب أكبرهم؟ فِلمَ «فلا خ» تضلّ آبآئنا وتشتم آلهتنا؟ فان كنت تريد الرّياسة عقدنا لك الويتها وكن رئيساً لنا مابطنت؟ وإن كان بك الباه

زوّجناك عشرة نسوة من أكبرنا؟ وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك أنت وعقبك من بعدك فما تقول؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: بسم الله الرّحمن الرّحيم حم تنزيل من الرّحمن الرّحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ـ إلى آخر الآية ـ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود». فأمسك عتبة على فيه ورجع ناشده بالله اسكت فسكت، وقام ومضى، فقام من كان حاضراً خلفه فلم يلحقوه فدخل ولم يخرج أبداً فغدوه قريش فقال أبوجهل: قوموا بنا إليه فدخلوا وجلسوا فقال أبوجهل: يا عتبة محمّد سحرك فقام قائماً على قدميه، وقال: يالكع الرّجال والله لولم تكن ببيتي لقتلتك شرّ قتلة يا ويلك قلت: محمّد ساحرٌ كاهن سرنا إليه سمعناه تكلّم بكلام من ربّ السّمآء فخلطه (فحلفته خ) وأمسك وقد سمّيتموه الصّادق الأمين هل رأيتم منه كذبة ولكنّي لو تركته يتمم ما قرأ لحلّ بكم العذاب والذّهاب».

أقول: رواه الزمخشري في الكشاف على طريق الإختصار.

في السّيرة النّبويّة لابن هشام «قال ابن إسحق: وحدّثني يزيدبن زياد عن محمدبن كعب القرظي قال: حُدِّثت أنّ عتبة بن ربيعة وكان سيّداً قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمّد فأكلّمه وأعرض عليه اموراً لعلّه يقبل بعضها فنعطيه أيّها شآء ويكفّ عنّا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أباالوليد، قم إليه فكلّمه، فقام إليه عتبة حتّى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال:

يابن أخي إنك منّا حيث قد علمتَ من السّطة (البسطة خ) في العشيرة والمكان في النّسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهتَ به أحلامهم، وعِبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به مَن مضى من آبآئهم، فاسمع منّي أعرض عليكَ اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها (منّا خ) بعضها.

قال: «فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يابن

أخي! إن كنتَ إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتّى لانقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الّذي يأتيك رَئيّاً تراه لا تستطيع ردّه عنك طلبنا لك الطّبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك منه، فانّه ربما غلب التّابع على الرّجل حتّى يُدواى منه أو كما قال له. حتّى إذا فرغ عتبة، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يستمع له، قال: أقد فرغتَ يا أباالوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، قال: أفعل، فقال:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم حم تنزيل من الرّحمن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه».

ثمّ مضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها يقرؤها عليه، فلمّا سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثمّ انتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السّجدة منها، فسجد ثمّ قال: قد سمعت يا أباالوليد ماسمعت، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جآءكم أبوالوليد بغير الوجه الّذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم قالوا: ما ورآءك يا أباالوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعتُ قولاً والله ماسمعت مثله قطّ، والله ماهو بالشّعر ولا بالسّحر ولا بالكهانة، يا مشعر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلّوا بين هذا الرّجل وبين ماهوفيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الّذي سمعتُ منه نبأ عظيم، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّة عزّكم، وكنتم أسعد النّاس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذارأيي فيه، فاصنعوا مابدالكم».

قوله: «السّطة»: الشّرف، و«رَئيّاً» من الرئي ـبفتح الراء وكسرهاـ: مايتراءى للانسان من الجنّ و«التابع»: من يتبع من الجنّ.

وفي مناقب ابن شهرآشوب المازندراني رحمة الله عليه: «مقاتل: إنّه رفع أبوجهل يوماً بينه

وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمد أنت من ذلك الجانب، ونحن من هذا الجانب، فاعمل أنت على دينك ومذهبك وإنّنا عاملون على ديننا ومذهبنا، فنزل: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ...».

وفي تفسير النيشابوري: في قوله تعالى: «و ويل للمشركين الذين لايؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون»: «وقيل: كانت قريش يطعمون الحاج ولا يطعمون المؤمنين» فنزلت قاله الفرّآء».

وفي أسباب النزول للواحدي في قوله تعالى: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم...» الآية: ٢٢) عن عبدالله بن مسعود قال: كان رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش أو رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف في بيت، فقال بعضهم: أترون الله يسمع نجوانا أو حديثنا؟ فقال بعضهم: قد سمع بعضه، ولم يسمع بعضه، فقالوا: لئن كان يسمع بعضه لقد سمع كلّه، فنزلت هذه الآية.

وفي تفسير الطّبري: عن عبدالله بن مسعود قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر: ثقفيان وقرشيّ أو قرشيان وثقفيّ كثير شحوم بطونهما، قليل فقه قلوبهما، فتكلّموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أنّ الله يسمع ما نقول؟ فقال الرّجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع لم يسمع، فأتيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية: «وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ...» إلى آخر الآية. وفي نقل آخر: إلى قوله: «فما هم من المعتبين».

وفي أسباب النّزول للسّيوطي عن ابن مسعود قال: اختصم عندالبيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفيّ أو ثقفيان وقرشيّ، فقال أحدهم: أترون الله يسمع مانقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولايسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله «وما كنتم تستترون ...» الآية.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قال بعد نقل ماجآء في تفسير الطبري ـ: «قال الثعلبي: والثقفي عبد ياليل وخَتَناه: ربيعة وصفوان بن اميّة».

وفي الدّرّ المنثور: عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو بمكّة

إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون النّاس عنه ويقولون: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»: ٢٦) وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أخفى قرائته لم يسمع من يحبّ أن يسمع القرآن فأنزل الله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها».

وفي تفسير النيسابوري: «كانوا يقولون: إذا سمعتم القرآن من محمد فارفعوا أصواتكم باللغو وهو السّاقط من الكلام، فنزلت: «وقال الّذين كفروا...»».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم»: ٣٤) «هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام كان يؤذي النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمره الله تعالى بالصبر عليه والصّفح عنه ذكره الماوردي».

وفي الدّرّ المنثور: في قوله تعالى: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة»: ٤٠) عن بشير بن تميم قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمّار بن ياسر «أفمن يلقى في النّار» أبوجهل «أم من يأتي آمناً يوم القيامة» عمّار.

وفيه: عن عكرمة في قوله: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» نزلت في عمّار بن ياسر وفي أبي جهل. **وفي الجامع لاحكام القرآن:** وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل.

وفي جامع البيان للطّبري: في قوله تعالى: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...» الآية: ٤٤) عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً؟ فأنزل الله: «وقالوا لولا فصّلت آياته أعجميّ وعربيّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفآء» فأنزل الله بعد هذه الآية كلّ لسان فيه حجارة من سجّيل. قال: فارسيّة اعربت سنك وكل.

ومن مختلقات عآئشة البغيضة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مارواه السّيوطي:

في الدّرّ المنثور: وأخرج الحكيم الترمذي في نوادرالاصول عن عبدالرّحمن بن أبي بكر قال: جئت أزور عائشة ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوحىٰ إليه، ثمّ سرى عنه، فقال: يا عائشة ناوليني ردآئي، فناولته ثمّ أتى المسجد فاذا مذكر يذكر، فجلس حتّى إذا

قضى المذكّر تذكره افتتح «حم تنزيل من الرّحمن الرّحيم» فسجد حتّى طالت سجدته ثمّ تسامع به من كان على ميلين، وتلا عليه السّجدة، فأرسلت عآئشة في خاصّتها أن احضروا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلقد رأيت مالم أره منه منذ كنت معه، فرفع رأسه، فقال: سجدت هذه السّجدة شكراً لربّي فيما أبلاني في امّتي، فقال له أبوبكر: وماذا أبلاك في امّتك؟ قال: أعطاني سبعين ألفاً من امّتي يدخلون الجنّة بغير حساب، فقال أبوبكر: يا رسول الله انّ امّتك كثير طيّب فازدد قال: قد فعلت فأعطاني مع كل واحد من السّبعين ألفاً سبعين ألفاً، فقال: يا رسول الله ازدد لامتك، فقال بيده ثمّ قال بها على صدره فقال عمر: وعيت يا رسول الله».

أقول: وقد اتفق الفريقان: أنّ سورة «فصّلت» من السّور النازلة في أوائل البعثة، ولم تتولّد يومئذ عائشة فضلاً عن كونها زوجة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وما تزوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكة غير خديجة سلام الله عليها.

﴿ القراءة ﴾

وقد سبقت قراءة «حم» في سورة «المؤمن» فراجع. وقرأ أبوجعفر «سوآء»: ١٠) بالرّفع، خبراً لمحذوف أي هي سوآء، وقرأ الباقون من القرّآء السّبعة بالنّصب على المصدر فالمعنى: استوت سوآءً واستوآءً. وقرأ ابن كثير وأبوعمر ونافع «نَحْسات»: ١٦) بسكون الحآءِ على أنّه جمع نَحْس الّذي هو مصدر وصف به، وممّا يدلّ على أنّ النّحس مصدر قوله تعالى: «في يوم نحسٍ مستمرّ» القمر: ١٩) ولوكان صفة لم يضف اليوم إليه وبهذا كان أبوعمرو يحتجّ على قرائته، وقرأ الباقون «نَحِسات» بكسر الحاء أي ذوات نحس. وهي القراءة المشهورة.

وقر أنافع «نحشر»: ١٩) بنون التكلّم، بنآءً على أنّه عطف على قوله: «ونجيّنا»: ١٨) و«أعدآء» بالنّصب، مفعولاً به، وقرأ الباقون «يحشر» بيآءِ الغيبة، مبنياً للمفعول، و«أعدآء» بالرّفع، نيابة عن الفاعل المحذوف، ويؤيّده قوله تعالى: «فهم يوزعون»: ١٩) وهذه قراءة مشهورة. قرأ حفص وعاصم «عَلَيْهِمُ القولُ»: ٢٥) بكسر الهاءِ وهي قراءة مشهورة، وقرأ حمزة «عَلَيْهُمُ القولُ» بضمّ الهاء وقفاً و وصلاً، وقرأ الباقون بالضّمّ وصلاً فقط. وقرأ ابن كثير وابن عامر «ربّنا أرنا»: ٢٩) باسكان الرّآءِ هنا خاصّة، وقرأ أبوعمرو باختلاس كسرتها، وقرأ الباقون باشباعها. وقرأ ابن كثير «اللذين» بتشديد النّون، وقرأ الباقون بتخفيفها.

قرأ حمزة «يلحدون»: ٤٠) بفتح اليآءِ والحاءِ ثلا ثياً، وقرأ الباقون بضمّ اليآءِ وكسر الحآءِ من باب الإفعال، وقرأ حمزة وعاصم «ء أعجميّ»: ٤٤) بتحقيق الهمزتين

المخفّفتين على الإستفهام، وقرأ ابن عامر «أعجميّ» بهمزة واحدة من غير مدّ على الخبر، وقرأ الباقون «ء أعجميّ» بالمدّ، وقرأ أبوجعفر ونافع وابن عامر وحفص «ثمرات»: ٤٧) على الجمع، وقرأ الباقون «ثمرة» على التّوحيد والمراد الجمع.

قرأ إبن كثير «شركآئي» بفتح اليآءِ مهموزاً، وقرأ الباقون «شركاي»: ٤٧) بسكون اليآءِ مثل «راي» و«عصاي» باليآء غير مهموز، وقرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو«رَبّيَ»: ٥٠) بفتح اليآء، والباقون باليآء من دون فتح، وقرأ نافع «أرءيتم» بتسهيل الهمزة الثانية، وقرأ الباقون «أرأيتم» بتحقيقها.

«الرّحيم ج» لأنّ قوله: «كتاب» يصلح أن يكون بدلاً من «تنزيل» وأن يكون خبر مبتدإ محذوف أي هو كتاب، ويجوز أن يكون «تنزيل» هو مع وصفه مبتداء و«كتاب» خبره، و«يعلمون لا» لأنّ «بشيراً» صفة اخرى لـ «قرآناً» و«نذيراً ج» لإختلاف الجملتين، و«استغفروه ط» لتمام الكلام، واستئناف التالي، و«للمشركين لا» لوصف التّالي، و«ممنون ع» علامة إنتهآءِ الرّكوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن في عامين. «أنداداً ط» لاستئناف التّالي، و«العاملين ج» للآية مع العطف، و«أيام ط» لمن نصب «سوآء» أو رفع، ومن خفض لم يقف، و«للسّآئلين ي» علامة العشر وتوضع عند انتهآء عشر آيات ١٠).

«كرهاً ط» لتمام الكلام، و«أمرها ط» للعدول، و«بمصابيح ق» علامة الوقف الّذي قال به بعض العلمآء، و«حفظاً ط» لحق المحذوف أي وحفظناها حفظاً، ولعلّ الوصل أولى لما يجئ، و«ثمود ط» بنآءً على أنّ «إذ» يتعلّق بمحذوف وهو اذكر أو بمعنى الفعل في «صاعقة» أي يصعقون إذ ذاك ، ولايجوز أن يتعلّق بـ «أنذرتكم» و«إلّا الله ط» لتمام الكلام، و«منّا قوّة ط» لاستفهام التّالي، و«منهم قوة ط» للفصل بين الإخبار والإستخبار، «والدّنيا ط» لإعتراضيّة الواو التّالية، و«يكسبون ج» للآية وعطف التّالي، و«يتّقون ع» لما سبق آنفاً، و«يوزعون لا» للغاية التّالية، و«يعلمون ي» ٢٠) لما تقدّم آنفاً.

«علينا ط» للفصل بين الإخبار والإستخبار، و«مثوى لهم ج» لتمام الكلام وعطف

التّالي، و«الإنس ج» للابتدآء بـ«إنّ» مع احتمال كونه جواب القسم في «حق» و«خاسرين ع» لما سبق، و«النار ج» لأنّ مابعده يصلح مستأنفاً وحالاً أي كآئناً لهم فيها دار «الخلد ط» بنآءً على أنّ «جزآءً» مفعول مطلق لفعل محذوف، و«توعدون ي» ٣٠) لما سبق.

«وفي الآخرة ج» لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتّحاد المقول، و«تدّعون ط» لحق المحذوف أي أصبتم أو وجدتم، و«رحيم ع» لما ذكر، و«لا السّيّئة ط» لتمام الكلام، و«صبروا ج» لا تفاق الجملتين مع تكرارها للتّوكيد، «بالله ط» لاستئناف التّالي، و«القمر ط» لتمام الكلام، و«ربت ط» لاستئناف التّالي، و«الموتى ط» لتمام الكلام، و«علينا ط» لاستفهام التّالي، و«القيامة ط» لتمام الإستفهام، والأمر التّالي، و«شئتم لا» ليكون مابعده دالاً على أنّه أمر تهديد، و«بصيري»: ٤٠) لما تقدّم.

«جآءهم ج» لأنّ خبر «إنّ» محذوف فيتقدّر ههنا أو بعد قوله: «من خلفه» كما يجئ، و«عزيز لا» لإتّصال الصّفة، و«من خلفه ط» لاستئناف التّالي، و«من قبلك ط» كالسّابق، و«آياته ط» لاستفهام التّالي، و«عربيّ ط» للفصل بين الإستفهام والأمر و«شفآء ط» لاستئناف التّالي، و«عمًى ط» كالسّابق، و«بعيد ع» لما سبق، و«فيه ط» لتمام الكلام، و«بينهم ط» لاستئناف التّالي، و«فعليها ط» كالمتقدّم، و«السّاعة ط» كالسّابق، و«بعلمه ط» كما سبق، و«شركآئي لا» لأنّ «قالوا» عامل «يوم» و«آذنّاك لا» لأنّه في معنى القول، وقع على الجملة بعده و«من شهيد ج» للآية مع العطف، و«الخير ز» لاختلاف الجملتين إلّا أنّ مقصود الكلام يتمّ بهما، و«هذا لي لا» تحرّزاً عماً لايقوله مؤمن و«قائمة لا» كالسّابق، و«للحسنى ج» لإبتدآء الأمر بالتّوكيد مع فآء التعقيب، و«عملوا ز» إمهالاً للتذكّر في الحالتين مع إتّفاق الجملتين، و«غليظ ي»: ٥٠) كما ذكر سابقاً.

«بجانبه ج» فصلاً بين تناقض الحالين مع إتّفاق الجملتين، و«الحق ط» لاستفهام التّالي و«ربّهم ط» لاستئناف التّالي.

اللغة

٤٩ ـ الكنّ ـ ١٣٢٢

كنّ الشّيْ يكنّه كَنّاً وكنوناً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ: ستره في كنّه وغطّاه وأخفاه وصانه من الشّمس فهو كانّ، والشّيْ مكنون.

قال الله تعالى: «كأنّهنّ بيض مكنون» الصّافات: ٤٩) أي مصون محفوظ حيث يباض، والمراد أنّه ناصع البياض لم يتغيّر لونه. وكنّ العلم وغيره في نفسه: أسرّه وكنّ أمره عنه: أخفاه.

كنان الشّيْ: غشاؤه الّذي يستره أو غطاؤه الّذي يُكَنّ أو يحفظ فيه، جمعه: أكنّة قال الله تعالى: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه» فصّلت: ٥) أي في غطآءٍ عن تفهّم ماتورده علينا.

الكِنان ـ بالكسر ـ: وقاء كلّ شيْ وستره. الكِنانة ـ بالكسر ـ: جعبة تجعل فيها السّهام تتّخذ من جلود لاخشب فيها أو من خشب لاجلود فيها، وهي في الأصل مايغطّى به الشّيْ من الكِنّ كالسّتارة من السترجمعه: كنائن وكنانات.

الكِنّ مايصان أو يستر فيه الشّيْ، وجمعه: أكنان، ويسمّى البيت ونحوه كِنّاً لأنّه المأوى يلجأ إليه السّاكن ليستره ويقيه أذى الحرّ والبرد، واعتداء الوحوش واللصوص وإغارة الأعدآء ...

قال الله تعالى: «وجعل لكم من الجبال أكناناً» النحل: ٨١) أي بيوتاً منحوتة في الصّخور كالكهوف تأو ون إليها.

الكنين: المستور. مكنونة: إسم زمزم بمكّة المكرّمة من كننت الشّيْ: إذا صنته الكنّة -بالفتح-: المرّة، والكنّة: إمرأة الإبن أوالأخ. جمعها: كنآئن. ومنه حديث ابن عبّاس: «فجآء يتعاهد كنّته» أي إمرأة إبنه. والكنّة -بالكسر-: النّوع و وقاء كلّ شيْ وستره والبياض، و-بالضّمّ-: جناح يخرج من حآئط أو سقيفة فوق باب الدّار أو ظلّة هنا لك أومخدع أورفّ في البيت، جمعها: كنان وكُنّان.

الكانون: الموقد، والكانون: المصطلى، جمعه: كوانين. الكانون -أيضاً- الرّجل الثقيل الوخم لأنّه يستتر منه. يقال: أثقل من كانون. وقيل: الّذي يجلس حتّى يتحصّي الأخبار والأحاديث لينقلها. يقال: «أتكون كانوناً على المتحدّثين».

الكانونان: كانون الأوّل وكانون الثّاني -بلغة أهل الرّوم- شهران في قلب الشّتآء بين تشرين الثّاني وشباط. قيل: هوعربيّ مأخوذ من معنى الثّقل لشدّدة برده وصعوبة المتسبّب والحركة فيه. وقيل: دخيل.

أكنّ الحبّ ونحوه في نفسه يكنّه إكناناً -من باب الإفعال-: أخفاه ولم يذكره لا تصريحاً ولا تعريضاً. قال الله تعالى: «وإنّ ربّك ليعلم ماتكنّ صدورهم ومايعلنون» النّمل: ٧٤)، وفي الحديث: «أو أكننتم في أنفسكم» أي أخفيتم. ويقال: أكننته في نفسي: أسررته وأخفيته.

إكتنّ الشّيْ إكتناناً -من باب الإفتعال-: بمعنى كنّه، واكتنّ الرّجل: استتر لازمٌ متعدّ واكتنّت المرأة: غطّت وجهها وسترته حيآءً من النّاس.

إستكنّ: استتر ورجع إلى كنّه. المستكنّة: الحقد. كقوله: «وكان طوى كَشْحاً على مستكنّة».

كنانة بن خُزيمة: أبوقبيلة. كُنّة: قبيلة، والنّسبة إليها كُنّيّ وكِنّيّ.

في المفردات: الكِنّ: مايحفظ فيه الشّيْ يقال: «كننت الشّيْ كنّاً: جعلته في كِنٍّ، وخُصّ كننتُ بما يستر ببيت أو ثوب وغير ذلك من الأجسام ... قال تعالى: «كأنّهنّ بيض مكنون» وأكننت بما يستر في النفس قال تعالى: «أو أكننتم في أنفسكم» وسمّيت المرأة المتزوّجة كِنّة لكونها في كِنٍّ من حفظ زوجها كما سمّيت محصنة لكونها في

حصنٍ من حفظ زوجها. والكِنانة: جُعبَة غير مشقوقة.

وفي قاموس القرآن: الكِنّ في القرآن على ثلاثة أوجه: **الأوّل:** السَّتْر والحجاب والغطاء كقوله تعالى: «وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه» الأسراء:٤٦) أي أغطية. **الثّاني:** الغار والكهوف في الجبال، والطّرق تحت الأرض كقوله تعالى: «وجعل لكم من الجبال أكناناً» النحل: ٨١) **الثّالث:** الإخفآء كقوله تعالى: «وإنّ ربّك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما تعلنون» النمل: ٨٤) أي ما تخفي.

وفي النّهاية: في حديث الاستسقآءِ: «فلمّا رأى سرعتهم إلى الكِنّ ضحك» الكِنّ: مايردّ الحرّ والبرد من الأبنية والمساكن. ومنه الحديث: «على ما استكنّ» أي استتر.

وفي القاموس وشرحه: وكنّ: جبل بقصران. وكنن ـمحرّكةـ: جبل بصنعآء اليمن على رأسه قلعة حصينة.

وفي مجمع البحرين وقاموس وشرحه: الكِنانة ـبالكسرـ: الّتي يجعل فيها السّهام من أدم، وبها سمّيت قبيلة من مضر وهو كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر وهو جدّ الرّابع عشر لسيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكنيته أبوالنّضر. قيل: سمّي به لأنّه كان يكنّ قومه. وقيل: لأنّه لمّا ولدته امّه خرج أبوه يطلب شيئاً يسمّيه به، فوجد كنانة السّهام فسمّاه به، وأبوكنانة أوّل عربيّ يلتقي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في نسبه. وهو كنانة أيضاً ابن تغلب بن وآئل.

٧٤ـ القوت ـ ١٢٦٦

قاته يقوته قَوْتاً وقياتة ـمن باب نصر نحو قالـ: عاله وأطعمه قوته، وأعطاه القوت ورزقه. القوت: الطعام يمسك البدن ويحفظ عليه حياته وقوته، وجمعه: أقوات.

قال الله عزّوجل: «وقدّر أقواتها» فصّلت: ١٠) أي أقوات سكّانها من أنواع الحيوان وغيره من الكآئنات الحيّة.

القوت: المسكة من الرّزق، وقيل: مايؤكل ليمسك الرّمق.

وفي الحديث: «اللّهم اجعل رزق آل محمّد قوتاً» أي بقدر مايمسك به الرّمق من المطعم يعني كفاية من غير إسراف. وفي الحديث: «قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه».

وفي حديث الدّعآء: «وجعل لكلّ منهم قيتة مقسومة من رزقه» ويقال: ماله قوت ليلة وقيت ليلة وقيتة ليلة. وأنا أقوته: أعوله برزق قليل.

القآئت: المسكة من الرّزق، والقآئت: الأسد، والقآئت من العيش: الكفاية. يقال: فلان في قآئت من العيش. جداؤه في قائته: يتبيّن جدّه فيما يقوته.

وفي الحديث: «إنّ أكبر الكبآئر أن يضيّع الرّجل من يقوت» ويُروى «يقيت» ومنه الحديث: «كفى بالمرءِ إثماً أن يضيّع من يقوت» أراد من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده.

أقاته إقاتة: جعل له مايقوته وأعطاه قوته وحفظه واطاقه وأقات عليه: اقتدر عليه. أقات النّبات أو الحيوان: أمدّه بقوته. وأقات على الشّيْ: قدر عليه لأنّ من يعطي القوت يكون مقتدراً. وأقات على الشّيْ: حفظه لأنّ إمداد الكائن الحيّ بالقوت يترتّب عليه حفظه وبقآؤه حيّاً.

المقيت: الحافظ للشّيْ، والشّاهد له، والمقتدر كالّذي يعطي كلّ أحد قوته كقوله: «وكنت على إسائته مقيتاً» أي مقتدراً. هومقيت على الشّيْ: شهيد حفيظ.

قال الله تعالى: «وكان الله على كل شيْ مقيتاً» النسآء: ٨٥) أي المقتدر المعطى أقوات الخلائق. وقيل: أي غالباً مقتدراً أو حفيظاً. وقيل: شاهداً، وحقيقته قآئماً عليه يحفظه ويقيته.

تقوّت به واقتات به اقتياتاً: أكله. اقتات الحبوب: اتّخذها قوتاً. إقْتَتْ لنارك قيتة: أطعمها الحطب. كقوله: «واقتته لها قيتة قدراء» أي ترفّق في نفخك واجعله شيئاً مقدّراً. والحرب تقتات الإبل أي تعطي في الدّيات. فلان يقتات الكلام: إذا أقلّه. إستقاته إستقاتة: سئله القوت.

في المفردات: القوت: مايمسك الرّمق.

وفي صحاح اللغة: القوت: هومايقوم به بدن الإنسان من الطّعام.

وفي أساس اللغة: هويقوت عياله ويقوت عليهم.

وفي لسان العرب: يقال: قُتُّ الرّجل أقوته قَوْتاً: إذا حفظت نفسه بما يقوته.

والقوت: إسم الشيءْ الّذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدر الحفظ. فمعنى المقيت: الحفيظ الّذي يعطى الشّيءْ قدر الحاجة من الحفظ.

١٣ـ الجحد ـ ٢٢٩

جحد الحقّ أو الدَّين يجحد جَحْداً وجُحُوداً ـمن باب منعـ: أنكرهما وهو يعلم بثبوتهما.

قال الله عزّوجلّ: «وكانوا بآياتنا يجحدون» فصّلت: ١٥) أي ينكرون ما تستيقنه قلوبهم ...

الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه.

قال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً» النّمل: ١٤).

أي جحدوا بالآيات بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم.

وجَحَدَ بالنّعم أو الآيات: كفر بهما وكذّبهما. ويقال له: المكابرة. وقد يطلق على مطلق الإنكار. والجَحْد والجُحود: نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة.

ولايخفى على الأديب الأريب: الفرق بين الجحد والإنكار، حيث إنّ الجحد أخصّ من الإنكار، وذلك أنّ الجحد هو إنكار الشّيءْ الظّاهر لقوله تعالى: «بآياتنا يجحدون» فصّلت:١٥) إذ جعل الجحد مما تدلّ عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلاّ ظاهراً، وقوله عزّوجل: «يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها» النّحل:٨٣) إذ جعل الإنكار للنّعمة الّتي قد تكون خافية. ويجوز أن يقال: الجحد هو إنكار الشّيءْ مع العلم به لقوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» النّمل: ١٤) إذ جعل الجحد مع اليقين والإنكار يكون مع العلم وغير العلم.

وأمّا الفرق بين قولك: «جحده» و«جحد به» فانّ قولك: «جحده» يفيد أنّه أنكره مع علمه به، و«جحد به» يفيد أنّه جحد مادلّ عليه، وبهذا فُسِّرَ قوله جلّ وعلا: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» أي جحدوا ما دلّت عليه من تصديق الرّسل ... ونظير هذا قولك إذا تحدث الرّجل بحديث: كذبته وسمّيته كاذبا فالمقصود المحدث،

وإذا قلت: كذبت به فمعناه: كذبت بما جآء به فالمقصود ههنا الحديث. وقال المبرد: لايكون الجحود إلّا بما يعلمه الجاحد كما قال الله تعالى: «فانّهم لايكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآياتنا يجحدون» الأنعام: ٣٣).

ولا يخفى عليك الفرق بين الجحد والكذب، حيث إنّ الكذب هوالخبر الّذي لامخبرله على ماهوبه، والجحد هو إنكارك الشّيئ الظّاهر أو إنكارك الشّيئ مع علمك به، فليس الجحد له إلّا الإنكار الواقع على هذا الوجه، والكذب يكون في إنكار وغير إنكار فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

لام الجحود ـ عند النّحاة ـ هي الواقعة زائدة بعد نفي كان الناقصة نحو: «ما كان ربك ليتوب على الظالمين» قال الله تعالى: «إنّ الّذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفرلهم» النّسآء: ١٦٨) والفعل المضارع بعد لام الجحود منصوب بـ «أن» مضمرة.

جَحِدَ يَجْحَدُ جَحَداً فهو جَحِدٌ ـ من باب علم ـ : قلّ ونكد. وجَحِدَ النّبتُ: لم يطل وجَحِدَتِ الأرض: يبست وخلت من الخير، وجَحِدَ الرّجل: قلّ خيره وكان ضيّقاً في المعيشة فهو جَحِدٌ وجَحْدٌ وأجْحَدٌ. رجل جَحْدٌ. شحيح قليل الخير يظهر الفقر.

عام جَحِدٌ: قليل المطر. وأرض جَحْدَة: يابسة أو قليلة النّبت لاخير فيها. يقال: جحداً له ونكداً وأجحد: صارذا جَحْدٍ. دعاء عليه. يقال: جَحِدَ عيشهم جَحَداً: إذا ضاق واشتدّ. والجَحْد: القلّة من كلّ شي ءٍ، وأجحد الرّجل وجحد: إذا أنفض وذهب ماله. وجحد فلاناً: صادفه بخيلاً قليل الخير. وفرس جَحِدٌ: غليظ قصير.

الجحّاد ـ كشدّاد ـ : الرّجل البطئ الإنزال. الجُحادِيّة: القِرْبة المملوّة لبناً، والغِرارة المملوّة تمراً أو حنطة.

وفي القاموس وشرحه: جحده حقّه، وجهده بحقّه ـ كمنعه ـ يتعدّي إلى المفعول الثّاني تارة بنفسه، وتارة بحرف الجرّ. وقال بعضهم: لايتعدّى بالبآء إلّا بتضمين معنى كفر أو بحمله عليه.

١٩ ـ النحس ـ ١٤٩٤

وقد جآء فعل المادّة على ثلا ثة أبواب:

ألف: نَحُسَ يَنْحُسُ نُحُوسةً ونُحاسةً ـ من باب كرم ـ: ضدّ سَعُدَ فهو نَحْسٌ ونَحِسٌ ومنحوس على غير قياس، وهي نَحْسَة ونحْسَة ومنحوسة.

النَّحس: الشّوْم ضدّ اليمن والسّعد. يقال: الدّهر يومان: يوم نحس ويوم سعد. يوم ناحس ونَحس ونَحِس ونحيس من أيّام نواحس ونَحْسات ونَحِسات ونُحوس وأنحُس.

قال الله تعالى: «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نَحِسات» فصّلت:١٦) أي مشومات عليهم أو شديدات البرد. والعرب تسمّي الرّيح الباردة إذا دبرت نحساً والنّحس: شدّة البرد، والنّحس نقيض السّعد والنّحس: الجهد والضُّرّ والأمر المظلم، والرّيح الباردة إذا دبرت، والغبار في أقطار السّمآء. يقال: هاج النّحس: الغبار وقيل: النّحس: الرّيح ذات الغبار. وقيل: أيّاً كانت عام ناحس: مجدب غير خصيب، جمعه: نواحس. والنحيس: ذوالنّحس وهي نحيسة. عام نحيس أي مجدب. والسّنة نحيسة: غير خصيب. المناحس: المشآئم وهو جمع نحس على غير قياس كشؤم ومشآئم أو جمع منحس.

ب: نَحَسَه ينحسه نَحْساً ـ من باب منع ـ: جفاه فهو ناحس. ونَحَسَ الإبلُ فلاناً: عنّته وأشقّته أي أوقعته في المشقّة.

ج: نَحِسَ اليوم وغيره ينحس نَحَساً فهو نَحس ـ من باب علم ـ: كان غير ميمون ذا شرّ.

النّحاس ـ بتثليث النّون ـ: معدن معروف وهو الفلزّ المعروف تصنع منه الآنية والقدور. وفي الحديث: «نهى أن يتختّم بنحاس» قيل: أصل النّحاس فضّة إلّا أنّ الأرض أفسدته. النّحاس: النّار والدّخان لالهب فيه.

قال الله تعالى: «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس» الرّحمن: ٣٥).

النّحاس: اللهيب بلا دخان، وذلك تشبيه في اللّون بالنّحاس، وأصل النحس أن يحمر الافق فيصير كالنّحاس أي لهب بلا دخان، فصار ذلك مثلاً للشوم.

النُّحاس: مايسقط من شرار الصّفر أو الحديد إذ طُرِقَ أي ضُرِبَ بالمطرقة، والنّحاس: الطّبيعة والسّجيّة، ومبلغ أصل الشّيْ. يقال: «هو كريم النّحاس» أي الطبيعة والأصل. نُحاس فلان من سمح أي مبلغ أصله. النِّحاس ـ بالكسر ـ:

الأصل. نِحاس الرّجل ونُحاسه: سجيّته وطبيعته. ويقال: فلان كريم النحاس أي كريم النّجار. والنّحّاس: صانع النحاس وبآئعه.

النَّحسان: زُحَل والمرّيخ، والسَّعدان: المشتري والزّهرة. النُّحَس - كصُرد - : ثلاث ليال بعد الدُّرَع وهي الظّلم أيضاً. وأعمى نحس: ناقص.

أنحست النّار: كثر نحاسها أي دخانها. وقيل: الدّخان الّذي يعلو وتضعف حرارته، ويخلص من اللّهب.

نحّس الأخبار: تجسّسها. وتنحّس الرّجل: جاع. وتنحّس لشرب الدّوآء: تجوّع له. وتنحّس الأخبار وعنها: تخبّر عنها وتتبّعها بالإستخبار. وفي حديث بدر: «فجعل يتنحّس الأخبار» أي يتتبّع يكون ذلك سرّاً وعلانية. وتنحّست النّصارى: تركوا أكل اللحم.

إستنحس الأخبار: تجسّسها، وعنها: طلبها وتتبّعها بالإستخبار. تناحس وانتحس: انتكس.

١٣ - الستر - ٦٧٢

ستر الشّيْ يستره سَتْراً وسَتَراً - من بابي نصر وضرب - : أخفاه وغطّاه وحجبه عمّن ينظر إليه.

المادّي من السّتر: مايستتر به ويتغطّي. قال الله عزّوجل: «حتّى إذا بلغ مطلع الشّمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سِتْراً» الكهف: ٩٠) أي غطآء من اللباس أو البنآء.

والمعنوي منه: استتر: غطّى نفسه واختفى. قال الله تعالى: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم» فصّلت: ٢٢) الإستتار: الإختفاء أي ماكنتم تستترون عن النّاس عند كسب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أعضآؤكم تشهد عليكم فما استترتم عنها.

المستور: العفيف، جمعه: مستورون ومساتير، رجل مستور وقوم مستورون ومساتير.

قال الله تعالى: «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الّذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» الاسراء: ٤٥) أي ذاسِتْر أو حجاباً مستوراً عن الجنّ أو مستوراً بحجاب آخر أي حجاباً على حجاب، والأوّل مستور بالثّاني، يريد بذلك كثافة الحجاب لأنّه جعل على قلوبهم أكنّة. وقيل: هو مفعول جآء في معنى الفاعل كما في قوله تعالى: «كان وعده مأتياً» مريم: ٦١) أي آتياً.

السّتْر واحد السُّتُور والأستار وهو مايُستَر به كآئناً ماكان، والخوف والحيآء والعمل، يقال: «ماله سِتْرٌ ولا حِجرٌ» أي لاحيآء له ولا عقل. «هتك الله سِتْره» أي إطّلع على مساويه. السَّتَر ـمحركةـ: الترس. يقال: لايقي الظالم من نصل دعوة المظلوم سَتَرٌ: لايقيه ترس. السُّتْرة: مايُستَربه، وقد غلبت على ماينصبه المصلّي قدامه وقت صلا ته من سوط أوعكازة أوعصا أوغير ذلك سوآء سَتَرَ جِسْمَه بتمامه أم لا لأنّه يستر المار من المرور أي يحجبه.

«سُتْرة السّطح»: مايبنى حوله. السّتير: العفيف. يقال: رجل ستير وامرأة ستيرة، وشجر ستير: كثير الأغصان. السِّتْر: العقل.

السِّتار: السِّتر جمعه: سُتُر و«مدّ اللّيل ستاره»: انتشر ظلامه. السّتارة ـبالكسرـ: مايُستَربه، والسِّتارة: الجلده الّتي على الظفر جمعها: سَتائر.

السَّتّار: ممن صفات الله ومنه يسمّون عبد السَّتّار.

الإستار من العدد: أربعة. تقول: هو إستار أي رابع أربعة. وفي الوزن: أربعة مثاقيل ونصف. جمعه: أساتِر وأساتير، وقوم القوم إستارهم. الإستارة والمِستَر: مايُستَربه. جارية مستّرة: مخدّرة، المستترمن الضّمآئر: نقيض البارز.

ستّره تستيراً: غطّاه. تستّر الرّجل بالثّوب: تغطّى به. استتروا نستّر: تغطّى. وهو لايستترمن الله تعالى بستر أي لايتّقي الله.

في المفردات: السّتر: تغطية الشّئ، والسّتروالسُتْرة: مايستتربه.

وفي النهاية: فيه «إنّ الله حييٌّ ستير يحبّ الحياء والسّتر» ستيرـفعيل بمعنى فاعلـ: من شأنه وإرادته حبّ السّتر والصّون. وفيه «أيّما رجل أغلق بـابـه على إمرأته وأرخى

دونها إستارة فقدتمّ صداقها» الإستارة من السّتر كالسّتارة وهي كالإعظامة من العظامة. ومن حديث ماعز: «إلّا سترته بثوبك يا هزّال» إنّما قال ذلك حبّاً لإخفآء الفضيحة وكراهية لاشاعتها.

ولايخفى على الأديب الأريب: الفرق بين السّتر والغفران، بين السّتر والكنّ، بين السّتر والغطاء وبين السّتر والحجاب:

أمّا الأوّل: فانّ الغفران أخصّ من السّتر، والغفران يقتضي ايجاب الثّواب، والسّتر سترك الشّئ بستر، ثمّ استعمل في الإضراب عن ذكر الشّئ، فيقال: ستر فلان على فلان إذا لم يذكر ما اطلع عليه من عثراته، وسترالله عليه خلاف فضحه، ولايقال لمن يستر عليه في الدّنيا: إنّه غفر له لأنّ الغفران ينبئ عن استحقاق الثّواب على ما ذكر، ويجوز أن يستر في الدّنيا على الكافر والفاسق.

وأمّا الثّاني: فانّ الفرق بين قولك: «سترته» و«كننته» أنّ معنى «كننته» صنته، والموضع الكنين هو المصون، وذلك أنّه يكون كنيناً وإن لم يكن مستوراً. وقيل: الدّرالمكنون لأنّه في حق يصان فيه، وجارية مكنونة في الحجاب أي مصونة. قال الأعشى: وبيضة في الدّعص مكنونة...

والبيضة ليست بمستورة وإنّما هي مصونة عن الترجرج والإنكسار، واكتننت الشّئ في نفسي: إذا صنته عن الأدآء. ودخلت فيه الألف واللام على معنى جعلت له كذا. وفي القرآن الكريم: «ماتكنّ صدورهم» القصص: ٦٩).

وأمّا الثّالث: فالفرق بين السّتر والغطآء أنّ السّتر مايسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقاً لك مثل الحائط والجبل، والغطآء لايكون إلّا ملاصقاً ألا ترى أنّك تقول: تسترت بالحيطان، ولا تقول: تغطيت بالجدران، وإنّما تغطيت بالثياب لأنّها ملاصقة لك، والغشآء أيضاً لايكون إلّا ملاصقاً.

وأمّا الرّابع: فالفرق بين السّتر والحجاب والغطاء أنك تقول: حجبني فلان عن كذا ولا تقول: سترني عنه ولا غطاني، وتقول: احتجبت بشئ كما تقول: تسترت به، فالحجاب هو المانع والممنوع به، والسّتر هو المستور به، ويجوز أن يقال: حجاب الشّئ ما

قصد ستره ألا ترى أنك لا تقول لمن منع غيره من الدّخول إلى الرّئيس داره من غير قصد المنع له: إنّه حجبه، وإنّما يقال: حجبه إذا قصد منعه، ولا تقول: احتجبت بالبيت إلّا إذا قصدت منع غيرك عن مشاهدتك ألا ترى أنك إذا جلست في البيت ولم تقصد ذلك لم تقل: إنّك قد احتجبت. وفرق آخر: أنّ السّتر لايمنع من الدّخول على المستور، والحجاب يمنع فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٢٨ ـ النزغ ـ ١٥٠٣

نزغه ينزعه نَزْغاً ـ من بابي ضرب ومنع ـ: نخسه وطعن فيه واغتابه وذكره بقبيح، ونزغه بكلمة: نخسه وطعن فيه ورماه بها مثل نسغه وندغه.

نزغ الشّيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يسوّل للإنسان من المعاصي ... يعني يلقي في قلبه مايفسده على أصحابه.

قال الله تعالى: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله» فصّلت: ٣٦) النزع هنا مصدر أُسنِد الفعل إليه مبالغة. كما يقال: جدّ جدّه. أو المراد بالنزغ ماينزغ به الشّيطان ويتوصّل به إلى فعل السّوء والشّرّ.

النّزغ: أن تنزغ بين قوم، فتغرى وتحمل بعضهم على بعض بفساد بينهم. النّزغ: الكلام الّذي يغري بين النّاس. يقال: نزغ الشّيطان بينهم: أفسدو أغرى ونزغ بين الرّجلين: أفسد بما يوقع بينهما من العداوة والبغضآء ...

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السّلام: «من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي» يوسف: ١٠٠).

ونزغه الشيطان إلى المعاصي: وسوس له وزيّن له مايريد فحرّكه إلى فعله وحثّه عليه. ونزغه: حرّكه أدنى حركة. ونزغه نزغاً: طعنه بيد أو رمح. ونزغ الدّابّة: نخسها وحثّها على الجري.

وفي حديث مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام:

«ولم ترم الشكوك بنوازغها عزيمة ايمانهم» أي بمفسداتها ... جمع نازغة من النزغ وهو الطعن والفساد. ويقال: «أدرك الأمر بنزغة» أي بحدثانه.

النّزّاغ ـ كشدّاد ـ: الّذي ينزغ النّاس، والنّزغة: المرّة جمعها: نزغات. والمِنزَغ والمِنزغة ـ بكسرِهما ـ: النّزاغ. والمِنزَغة أيضاً: المنسفة. ولايخفى الفرق بين النّزغ والوسوسة، حيث إنّ النزغ هو الإغواء بالوسوسة، واكثر مايكون عند الغضب، وقيل: أصله للإزعاج بالحركة إلى الشرّ، ويقال: هذه نزغة من الشّيطان للخصلة الدّاعية إلى الشّرّ، واصل الوسوسة: الصّوت الخفيّ، ومنه يقال لصوت الحلي: وسواس، وكلّ صوت لايفهم تفصيله لخفآئه وسوسة ووسواس، وكذلك ماوقع في النّفس خفياً، وسمّى الله تعالى الموسوس وسواساً بالمصدر في قوله تعالى: «من شرّ الوسواس الخنّاس».

في المفردات: النّزغ: دخول في أمر لإفساده.

٢ ـ السّأم ـ ٦٦١

سَئِمَ الشّيءَ وسَئِمَ منه يسأم سَأْماً وسَأَماً وسَأْمة وسآمة فهو سؤوم ـ من باب علم ـ: ملّه وضجر منه وأحسّ نحوه فتوراً. ورجل سأوم: ملول. والسّآمة: الملل والضّجر.

قال الله تعالى: «وهم لايسأمون» فصّلت: ٣٨) أي لايملّون ولايفترون.

وقال: «لايسأم الإنسان من دعآء الخير» فصّلت: ٤٩) أي لايملّ ولايفتر. ومنه الدّعآء: «إذ هب عنّي فيه السّآمة والفترة» وفي الحديث: «إنّ الله لايسأم حتّى تسأموا» هذا مثل قوله: «لايملّ حتّى تملّوا».

أسأمه: حمله على السّأمة.

في المفردات: السّآمة: الملالة ممّا يكثر لبثه فعلاً كان أو إنفعالاً.

٩٥ - الحيص - ٣٨٣

حاص عن الحقّ يحيص حَيصاً وحَيْصَةً وحَيْصوصةً وحَيَصاناً وحُيُوصاً ومَحيصاً ومحاصاً - من باب ضرب نحو باع -: رجع وهرب وعدل عن الحق إلى شدّة ومكروه وحاد. ومنه «حاص عن الشرّ فسلم منه» يقال للأوليآء: «حاصوا عن العدوّ وللأعدآء انهزموا» وحاص حيصة: جال جولة يطلب الفرار. وفي الحديث: «لمّا كان يوم أُحد حاص المسلمون حيصة، قالوا: قُتِلَ محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

المحيص: المهرب والمفرّ والمحيد.

قال الله تعالى: «ماهم من محيص» فصّلت: ٤٨) أي معدل يلجأون إليه. أصله من حَيْصَ بَيْصَ أي شدّة. يقال: «وقعوا في حَيْصَ وبَيْصَ» أي في اختلاط من أمرهم لامخرج لهم منه أي في ضيق وشدّة. ويقال: «وجعلتم الأرض عليه حيص بيص» اي ضيّقتم الأرض عليه حتّى لامضرب له فيها ولا منصرف للكسب. و«حيص بيص» إسمان جعلا واحداً، وبنيا على الفتح بنآء خمسة عشر.

الحيوص: الدّابّة النّفور الّتي تعدل عمّا يريده صاحبها. الحيّاص: مبالغة الحآئص الحَوْص: الدّابّة النّفور الّتي تعدل عمّا يريده صاحبها. الحيّاص: مبالغة الحآئص الحَوْص: خياطة الجلد، ومنه حصت عين الصّقر.

الحياصة: سَيْرٌ في الحزام، والحائص من النسآء: الضّيّقة. ومن الإبل: الّتي لايجوز فيها قضيب الفحل كأن بهارتقاً. الحيصآء والمحياص: الضيّقة الحياة. الوزير الأحيص: الّذي احدي عينيه أصغر من الاخرى.

حايصه محايصة: غالبه وراوغه، وانحاص عنه إنحياصاً: عدل وحاد.

٢ - النأى - ١٤٧٧

نأى فلاناً ونأي عنه ينأى نأياً - من باب منع -: بَعُدَ عنه فهوناءٍ وهي نائية.

يقال: نَأَوْت عن فلان: بعدت عنه. تقول: نأت دار صديقي ونأي عنه: أعرض لأنّ شأن المعرض أن يبعد ولايقترب. ونأى الحقّ: أعرض عنه ومضى في ضلاله ولم يقبله.

قال الله تعالى: «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه» فصّلت: ٥١) أي تباعد بناحيته وقربه أي تباعد عن ذكرالله وأعرض عن عبادته ودعائه.

ويقال: نأى بجانبه عنه: أعرض عنه كأنّه أبعد جانبه وأناه. ونأى بجانبه: تكبّر لأنّ شأن المتكبّر أن يبعد ولا يقارب. يقال للرّجل إذا تكبّر وأعرض بوجهه: نأى بجانبه أي نأى جانبه من ورآء أي نحّاه.

وفي الخبر: «من سمع بالدّجّال فلينأ عنه» وذلك أنّ الشّخص يظنّ أنّه مؤمن فيتبعه لأجل مايثيره من السّحر وإحيآء الموتى، فيصير كافراً وهو لا يدري.

النّأى: المفارقة. ناءاى عنه الشّرّ منا آة: دافع عنه، وناءاى زيداً: باعده. وناءيت عنك الشّرّ: دافعت، وأناه عنه إنآءاً: أبعده والنّأى: قرية بشرقي مصر.

تناء واعنه تنائياً: تباعدوا، وانتأى عنه انتئآءً: ابتعد. المنتأى: الموضع البعيد.

والنّيْ - مهموز مثل حمل -: كلّ شيءٍ شأنه يعالج بطبخ أو شيءٍ. ناى النؤي للخيمة: عمله لها، وتقول إذا أمرت منه: «نه نُؤيك» أي أصلحه، فاذا وقفت عليه قلت: نَهْ كما تقول في الأمر من رأى: «رَ» وصلاً و«رَه» وقفاً ونأيت الدّمع عن خدّي باصبعي: مسحته كقوله: «إذا ما التقينا سال من عبر اتناشآ بيب تنأى سيلها بالأصابع».

وأناء الخيمة: عمل لها نؤياً. النّأي والنّؤْي والنيئ والنُّؤْي: الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السّيل، جمعه: آناء بتقديم الهمزة وقلبها ألفاً كآبار.

في صحاح اللغة: النؤى: حفرة حول الخبأ لئلاّ يدخله مآء المطر.

وفي تهذيب اللغة: النؤي: الحاجز حول الخيمة.

ولا يخفي عليك الفرق بين النأي والبُعد حيث إنّ النّأى يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك يقال له: نأي، والبُعد: تحقيق الرّوح والذّهاب إلى الموضع السّحيق، فيكون النّأي أوّل البُعد، والبُعد هوالّذي يكاد يبلغ الغاية.

٤٣ ـ الافق ـ ٤٣

أفق الرّجل يأفق أفقاً ـ من باب ضرب ـ: إذا ركب رأسه وذهب في الآفاق، وأفق الرّجل في العطآء: فضّل وأعطى بعضاً أكثر من بعض، وأفَقَ الجِلْدَ: دبغه فهو أفيق، جمعه: آفقة، وأفَقٌ مثل أديم وأدَمٌ: الأفيق: الجلد الّذي لم يتمّ دباغه أو دُبغَ بغير القَرَظ. الأفيق: الأديم حين يخرج من الدّباغ مفروغاً منه، وفيه رائحته. وفي حديث غزوان: «فانطلقت إلى السّوق فاشتريت أفيقه» أي سقآء من أدم.

الافق: النّاحية من الأرض أو من السّمآء، جمعه: آفاق ...

قال الله عزّ وجلّ: «وهو بالافق الأعلى» النجم: ٧).

وقال: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» فصّلت: ٥٣) أي في النّواحي ... الافق: ماظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وكذلك آفاق السّمآء ونواحيها ... وافق البيت من بيوت الأعراب: نواحيه مادون سَمْكه.

والأُفُق: مابين الزّرّين المقدّمين في رواق البيت.

الأُفُقيّ ـ في النّسبة بضمّتين على القياس ـ: من كان من آفاق الأرض. ومنه ماورد في شعر عبّاس بن عبدالمطلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يمدح النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم :

وأنت لما وُلدتَ أشرقت الأرض وضآئت بنورك الافق

وضآئت لغة في أضآئت. وأنّث الافق ذهاباً إلى الناحية أو يكون الأُفق واحداً وجمعاً كالفلك .

الأُفُق من النّاس على ما في الحديث: مأة ألف أو يزيدون.

وقيل: الآفاق هي مهابّ الرّياح الأربعة: الجنوب والشّمال والدّبور والصّبا. أفِقَ الرّجل يأفق أفَقاً ـ من باب علم ـ: بلغ النّهاية في الكرم أو في العلم فهو آفِقٌ وأفيق. الآفق: من بلغ النّهاية في الكرم والعلم والخير والفصاحة والفضآئل ... تشبيهاً بالافق الذاهب في الآفاق. يقال: قد أفِقَ فلان: إذا ذهب في الآفاق ...

يقال: قعدت على أفَقِ الطّريق: على وجهه. أفَقُ الطريق ـ محرّكة ـ: سَنَنُـهُ فَرَسُ أُفُقٌ: رائع كريم الطرفين للذكر والانثى.

الأفقة: المَرقة من مرق الاهاب، والأفقة: الخاصرة. الأفيقة: الدّاهية المنكرة تأفَق بنا: جآئنا من أُفُـقٍ، وتأفّقت بنا ألَمَّـتْ بنا وأتتْنا.

الأفّاق ـ كشدّاد ـ: الضّارب في الآفاق مكتسباً. في حديث لقمان بن عاد حين وصف أخاه فقال: «صفّاق أفّاق».

﴿ النحو ﴾

١ - (حم)

وقد سبق إعراب مثلها في أوّل سورة «المؤمن» فراجع.

٢ - (تنزيل من الرّحمن الرّحيم)

في «تنزيل» وجوه: **أحدها**- مبتداء، و وجه الإبتدآء بالنّكرة أنّها موصوفة باالجار: «من الرّحمن» و«كتاب» خبره **ثانيها**- خبر لمبتدآء محذوف أي هذا القرآن تنزيل أو ذلك أوهذا وتنزيل أي منزّل من الله الرّحمن الرّحيم. **ثالثها**- «حمّ» مبتداء و«تنزيل» خبره أي حم هذه تنزيل من الرّحمن الرّحيم. **رابعها**- مبتداء وخبره محذوف أي تنزيل ثابت من الرّحمن الرّحيم.

قيل: «من الرّحمن» متعلق بمحذوف، نعت لـ «تنزيل» و«الرّحيم» نعت لـ «الرّحمن» وجملة «تنزيل...» إبتدائية لامحل لها.

٣ - (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

في «كتاب» وجوه: **أحدها** -خبر لـ «تنزيل» أي نزل كتاب. **ثانيها** - بدل من «تنزيل» بدل كلّ من كلّ. **ثالثها** - خبر بعد خبر. **رابعها** - نعت لـ «تنزيل» **خامسها** - خبر لمحذوف أي هو أو هذا كتاب. و«فصّلت» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول و«آياته»

نابت مناب الفاعل، وجملة «فصلت آياته ...» في موضع رفع، نعت لـ «كتاب».

وفي «قرآناً» وجوه: **أحدها**ـ حال موطئة من «كتاب» بصفته. أي فصّلت آياته في حالكونه قرآناً عربياً. **ثانيها**ـ حال موطئة من «آياته» أي بيّنت آياته في حال جمعه. **ثالثها**ـ نُصِبَ على المدح والإختصاص أي أعني أو اخصّ بالكتاب المفصّل قرآناً بهذه الصّفة. **رابعها**ـ نعت كما قبله ومابعده أي قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب لئلاّ يفرق بين الصّفات والصّلات. **خامسها**ـ منصوب باضمار أي اذكر قرآناً عربياً **سادسها**ـ منصوب على إعادة الفعل أي فصّلنا قرآناً عربياً. **سابعها**ـ لمّا شغل «فصّلت» بالآيات حتّى صارت بمنزلة الفاعل، انتصب «قرآناً» لوقوع البيان عليه، فمنصوب بـ «فصّلت» **ثامنها**ـ منصوب على القطع. **تاسعها**ـ منصوب على المصدر أي إقرأ قرآناً أو قُرِءَ قرآناً.

وفي «لقوم» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ «فصّلت» أي فصّلت آياته لهم. **ثانيهما**ـ متعلّق بـ «تنزيل» أي تنزيل من الرّحمن الرّحيم لأجلهم. واللام إمّا للتعليل أو للإختصاص. وفي مفعول «يعلمون» وجهان: **أحدهما**ـ محذوف، تقديره: لقوم يعلمون معانيه لكونهم عارفين باللّسان الّذي نزّل به وهم العرب، فهناك عناية خاصّة بالعرب في نزول القرآن عربياً. **ثانيهما**ـ متروك والمعني: لقوم لهم علم.

٤ ـ (بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون)

في «بشيراً» وجوه: **أحدها**ـ نعت ثانٍ لـ «قرآناً» **ثانيها**ـ حال من «كتاب» لأنّه قد وصف، والعامل في الحال ما في «هذا» من معني التنبيه أو الإشارة إذا قدرت: هذا كتاب فصّلت آياته ... و«نذيراً» معطوف على «بشيراً» والفآء عاطفة و«أعرض» فعل ماض للمفرد المذكّر الغائب من باب الإفعال، و«أكثر» أفعل تفضيل، فاعل الفعل، أُضيف إلى الضّمير: «هم» راجع إلى «قوم» والجملة معطوفة على الإبتدائيّة لامحلّ لها، والفآء عاطفة، و«هم» مبتداء و«لا» نافية، و«يسمعون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، في موضع رفع، خبر لـ «هم» والجملة معطوفة على جملة «أعرض أكثرهم» لامحل لها.

٥ ـ «وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون)

الواو عاطفة، و«قالوا» فعل ماض، والجملة معطوفة على جملة «أعرض ...» و«قلوبنا» مبتداء، و«في أكنة» جمع كِنان من جموع القلّة، مثل غطاء وأغطية، متعلق بمحذوف، هو خبر المبتداء، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«ما» في «ممّا» موصولة، و«تدعو» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، و«تدعونا» صلة الموصول لامحل لها، و«إليه» متعلق بـ «تدعو» و«مما تدعونا» محمول على المعني لأنّ معني «في أكنّة» محجوبة عن سماع مما تدعونا إليه، ولايجوز أن يكون نعتاً لـ «أكنّة» لأنّ الأكنّة: الأغشية، وليست الأغشية ممّا تدعونا إليه.

الواو عاطفة و«في آذاننا» جمع الأُذن، متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«وقر» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول، الواو عاطفة، و«من بيننا» متعلق بمحذوف، خبر مقدّم، و«بينك» عطف على «بيننا» و«حجاب» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول، و«فاعمل» الفاء للتفريع، أو رابطة لجواب شرط مقدّر، و«اعمل» فعل أمر في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن أردت الإستمرار في الدّعوة فاعمل، و«إنّ» حرف توكيد، و«نا» في موضع نصب، إسمها، و«عاملون» إسم فاعل لجمع المذكّر، خبرها، والجملة تعليلية أو مستأنفة بيانية لامحلّ لها.

٦ ـ (قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)

«قل» فعل أمر، الجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«إنّما» كافّة ومكفوفة، و«أنا» مبتداء و«بشر» خبره والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«مثلكم» نعت لـ «بشر» و«يوحى» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«إليّ» متعلّق بـ «يوحى» والجملة في موضع رفع، نعت ثان لـ «بشر» و«أنّما» كافة ومكفوفة، و«إلهكم» مبتداء و«إله»

خبره، و«واحد» نعت لـ «إله» والمصدر المؤوّل: «أنّما إلهكم إله واحد» في موضع رفع، نائب الفاعل.

في الفآء وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة، و«استقيموا» فعل أمر من باب الإستفعال معطوفة على «قل» لامحل لها. **ثانيها**ـ في الفآء معنى السّببيّة، فتعطف الجملة بعدها على جملة مقول القول، و«إليه» متعلّق بـ «استقيموا» بتضمينه معنى توجّهوا. والواو عاطفة، و«استغفروه» معطوفة على جملة «قل» لامحل لها، والواو إستئنافية، و«ويل» مبتداء، صحّ الإبتداء به لأنّه دالّ على ذمّ و«للمشركين» متعلّق بمحذوف، هو خبره، وجملة «ويل للمشركين» مستأنفة لامحل لها. وقيل: معطوفة على جملة محذوفة. تقديره: فان استقمتم واستغفرتم ربكم غفرلكم ونجاكم من عذاب، والويل للمشركين الّذين لايتحوّلون عن شركهم.

٧ـ (الّذين لايؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون)

في «الّذين» وجهان: **أحدهما**ـ موصولة في موضع جرّ، نعت لـ «للمشركين» **ثانيها**ـ خبر لمبتداء محذوف وجوباً، تقديره: هم. و«لا» نافية و«يؤتون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعال، و«الزّكاة» مفعول به، والجملة صلة الموصول لامحلّ لها، والواو عاطفة، و«هم» مبتداء، و«بالآخرة» متعلّق بـ «كافرون» خبر المبتداء، والجملة معطوفة على جملة الصّلة، «وهم» الثّاني تأكيد لـ «هم» الاولى.

٨ـ (إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون)

«إنّ» حرف توكيد، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«آمنوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب صلة الموصول لامحلّ لها، و«عملوا» معطوف على «آمنوا» و«الصّالحات» مفعول به، و«لهم» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«أجر» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، و«غير» نعت لـ «أجر» اضيف إلى «ممنون» إسم مفعول ثلاثياً.

٩ - (قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)

«قل» فعل أمر، والجملة لا محلّ لها، والهمزة الاولى للإستفهام الإنكاري، و«إنّ» حرف توكيد، و«كم» في موضع نصب، إسمها، واللام المزحلقة للتوكيد، و«تكفرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، و«بالّذي» موصولة، متعلّق بـ «تكفرون» و«خلق» فعل ماضٍ صلة الموصول لامحل لها، والعآئد مستتر في «خلق» و«الأرض» مفعول به، و«في يومين» متعلّق بـ «خلق».

«وتجعلون» الواو حالية من ضمير «خلق» وتقديره: قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين مجعولا له أنداداً؟! فالحال من ضمير الموصول: «الّذي» في «خلق» لامن نفس الموصول إذ لوكان من نفس الموصول لكان قد فصل بين «خلق» الّذي في صلة «الّذي» وبين «جعل فيها رواسي» وهو معطوف على «خلق» والمعطوف على الصّلة صلة، ولايجوز الفصل بينهما بالحال لأنّ الحال من الموصول يؤذن بتمامه.

و«تجعلون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، والجملة، في موضع نصب على الحال، وقيل: الواو عاطفة والفعل في موضع رفع، معطوفة على «تكفرون» و«له» متعلّق بمحذوف، وهو مفعول ثان، و«أنداداً» جمع ندّ، مفعول به أوّل، و«ذلك» مبتداء و«ربّ العالمين» خبره والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها.

١٠ - (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآءً للسّآئلين)

في «وجعل» وجهان: **أحدهما**- الواو مستأنفة، و«جعل» غير معطوف على «خلق» لأنّه لوكان معطوفاً عليه لكان داخلاً في الصّلة، ولايجوز ذلك لأنّه قد فصل بينهما بقوله تعالى: «وتجعلون ...» الآية وليس من الصّلة في شيءٍ ولا يجوز أن يحال بين صلة الموصول ومايعطف عليه بأجنبيٍّ. لايقال: جآئني الّذي يكتب وجلس ويقرأ. فلابدّ من

إضمار فعل مثل الأوّل، فتقديره: ذلك ربّ العالمين خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام ... ثانيها- الواو عاطفة، و«جعل» معطوف على «خلق» لامحلّ لها.

وفي «فيها» الاولى وجهان: أحدهما- متعلّق بـ «جعل» بتضمينه معني خلق. ثانيها- متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، و«رواسي» مفعول به أوّل، نعت لمحذوف أي جبالاً رواسي أي ثابتات، و«من فوقها» متعلّق بمحذوف وهو نعت ثان للمحذوف، و«بارك» فعل ماض من باب المفاعلة، معطوف على «خلق» لامحلّ لها، و«فيها» الثّاني متعلّق بـ «بارك» و«قدّر» فعل ماض من باب التفعيل، معطوف على «خلق» لامحل لها، و«فيها» الثّالث متعلّق بـ «قدّر» و«أقواتها» مفعول به لـ «قدّر».

«في أربعة» أُضيفت إلى «أيّام» متعلّق بـ «قدّر» بحذف مضاف أي في تمام أوتتمّة أربعة أيام ... ولولا هذا التقدير لكانت الأيّام ثمانية: يومان في الأوّل وهوقوله: «خلق الأرض في يومين» ويومان في الآخرة وهو قوله: «فقضا هنّ سبع سموات في يومين» فالمعني: وقدّر الأقوات في تتمة أربعة أيام من حين بدء الخلق لأنّ يومين منها لخلق الأرض، ويومين آخرين هما من تتمة أربعة أيّام قدّر فيها الأقوات ... وقيل: متعلّق بحصول الأقوات مع تقدير المضاف أي قدّر حصول أقواتها في تتمة أربعة أيام ... و قيل: متعلق بحصول جميع المذكورة ... من جعل الرّواسي من فوقها، والمباركة فيها وتقدير أقواتها ... والتقدير: وحصول ذلك كلّه في تتمة أربعة أيام ... وفيه حذف وتقدير كثير ... وقيل: متعلق بخبر مبتداء محذوفين من دون تقدير مضاف أي كلّ ذلك كائن في أربعة أيام، فيكون «في أربعة أيام» بمنزلة الفذلكة، كأنّه قيل: خلق الأرض في يومين، وخلق أقوات أهلها وغير ذلك في يومين، وكلّ ذلك في أربعة أيّام... وفي «سوآء» ثلاث قراإت: الرّفع على أنّه خبر لمحذوف أي هي أو هذه سوآء.

أهلها وغير ذلك في يومين، وكلّ ذلك في أربعة أيّام ... وفي «سوآء» ثلاث قراإت: الرّفع على أنّه خبر لمحذوف أي هي أو هذه سوآء.

والجرّ على أنّه نعت لـ «أربعة» أو لـ «أيّام» والنّصب وفيه وجوه: أحدها- مفعول

مطلق لفعل محذوف أي إستوت الأربعة سوآءً واستوآءً **ثانيها**ـ مصدر في موضع الحال من «أقواتها» أي أنّ هذه الأقوات مقدّرة بقدر معلوم وموزونة بميزان دقيق. **ثالثها**ـ منصوب على التميز. فالمعني: أربعة أيام كاملة مستوية. **رابعها**ـ حال من ضمير «أقواتها» **خامسها**ـ حال من ضمير «فيها» **سادسها**ـ حال من الأرض.

وفي «للسّآئلين» وجوه: **أحدها**ـ متعلّق بفعل محذوف، كأنّه قيل: هذا الحصر والبيان لأجل من سئل في كم خلقت الأرض. **ثانيها**ـ متعلّق بـ «سوآء» أي الأقوات والأرزاق سوآء لمن سئل ولمن لم يسئل. **ثالثها**ـ متعلّق بـ «قدّر» أي قدّر فيها الأقوات لأجل الطّالبين لها، المحتاجين إليها، وهم في الاحتياج سوآء.

١١ ـ (ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)

«ثمّ» حرف عطف، و«استوى» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، و«إلى السّمآء» متعلّق بـ «استوى» بتضمينه معنى قصد، والجملة معطوفة على «قدّر» ولا يخفى أنّ الإستوآء إذ عدّي بـ «على» يفيد معنى الإستيلآء نحو «الرّحمن على العرش استوى» طه: ٥) وإذا عدّي بـ «إلى» يفيد معنى الإنتهآء إليه. والواو حاليّة و«هي» مبتداء و«دخان» خبره والجملة في موضع نصب، حال من السّمآء، والفآء عاطفة، و«قال» عطف على «استوى» و«لها» متعلق بـ «قال» و«للأرض» عطف على ضمير «لها» من عطف إسم الظّاهر على الضّمير، ولايكثر العطف على الضّمير المخفوض إلّا باعادة الخافض حرفاً كان أو إسماً.

«إئتيا» فعل أمر خطاب للأرض والسّمآء، والجملة في موضع نصب، مقول القول و«طوعاً أو كرهاً» مصدران وضعا موضع الحال، والتقدير: إئتيا تطيعان إطاعة أو تكرهان كراهة، و«طائعين» يدلّ على ذلك، و«قالتا» مستأنفة لامحلّ لها، و«أتينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، وفي الكلام حذف أي أتينا أمرك والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«طائعين» منصوب على الحال، وقد جمع لأنّه قد وصفها بالقول

والطاعة وهما من صفات من يعقل كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السّلام: «إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين» يوسف عليه السّلام : ٤) فلمّا وصفها بالسّجود، وهومن صفات من يعقل، جمعها جمع من يعقل.

أو التقدير: أتينا بمن فينا فلذلك جمع، وقيل: جمع حسب تعدّد السّموات والأرض.

١٢ ـ (فقضا هنّ سبع سموات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزيّنا السّمآء الدّنيابمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)

الفآء عاطفة، و«قضى» فعل ماضٍ، معطوف على «قال» لامحل لها برابط السّببيّة أو برابط التفسير، و«هنّ» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«سبع» مفعول به ثان، على تضمين «قضى» معنى صيّر. وفي «سبع» اضيف إلى «سموات» وجوه؛ **أحدها**ـ مفعول ثان لـ «قضى» **ثانيها**ـ حال بعد فراغ من الفعل، من الهاء في «قضا هنّ» بمعنى: صنعهنّ. **ثالثها**ـ بدل من الضمير: «هنّ» كما تقول: أكرمته علياً.تفسير للضمير المبهم في «قضا هنّ» و«في يومين» متعلّق بـ «قضا هنّ» والواوعاطفة، و«أوحى» فعل ماضٍ، معطوف على «قضا هنّ» لا محل لها، و«في كلّ سمآء» متعلق بـ «أوحى» و«أمرها» مفعول به.

الواو عاطفة، و«زيّنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب التفعيل، معطوف على «أوحى» بملاحظة الإلتفات فيها، و«السّمآء» مفعول به، و«الدّنيا» نعت لـ «السّمآء» و«بمصابيح» جمع مصباح من صيغ منتهى الجموع، متعلّق بـ «زيّنا» وفي «حفظاً» وجهان: **أحدهما**ـ مفعول مطلق لفعل محذوف أي وحفظناها حفظاً، معطوف على «زيّنا ...» لامحل لها. **ثانيها**ـ «حفظاً» معطوف على محذوف، هو مفعول لأجله، وتقديره: زينة أي زيّنا السّمآء الدّنيا بمصابيح للزّينة والحفظ أو زينة وحفظاً. و«ذلك» مبتداء إشارة إلى المذكور المتقدّم، و«تقدير» خبره اضيف إلى «العزيز» و«العليم» نعت للعزيز، وجملة ذلك ... مستأنفة لامحل لها.

١٣ ـ (فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

الفآء عاطفة، و«إن» حرف شرط، و«أعرضوا فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، في موضع جزم، فعل الشّرط، وجملة «أعرضوا» معطوفة على جملة «قل» في الآية: ٩) من هذه السّورة وقيل: معطوفة على «فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون» ٤) والفآء رابطة، و«قل» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآء، و«أنذرت» فعل ماضٍ للتكلّم وحده من باب الإفعال، و«كم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، وجملة «أنذرتكم» في موضع نصب، مقول القول، و«صاعقة» مفعول به ثان، و«مثل» نعت لـ «صاعقة» أُضيف إلى «صاعقة» اضيفت إلى «عادٍ» و«ثمود» عطف على «عاد».

١٤ ـ (إذ جآءتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله قالوا لوشاء ربّنا لأنزل ملائكة فانّا بما ارسلتم به كافرون)

في «إذ» وجوه: **أحدها**ـ أنّه ظرف في موضع نصب، متعلّق بـ «صاعقة عاد» لأنّها بمعنى العذاب. والمعنى: نزلت الصّاعقة بهم حين جآئتهم الرّسل. **ثانيها**ـ متعلّق بحال من «صاعقة عاد» **ثالثها**ـ متعلّق بـ «أنذرتكم» كما تقول: لقيتك إذ كان كذا. **رابعها**ـ نعت لـ «صاعقة» **خامسها**ـ حال من «صاعقة» الثّانية. «جآئت» فعل ماضٍ، تأنيثه باعتبار جماعة الفاعل: «الرّسل» وضمير «هم» في موضع نصب، مفعول به، و«من بين» متعلّق بحال من «الرّسل» وكذلك «من خلفهم» وجملة «جآئتهم الرّسل ...» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها. وفي «أن» وجوه: **أحدها**ـ مخفّفة من الثّقيلة، واسمها ضمير الشّأن محذوف، وعلى هذا تكتب منفصلة: «أن لا» وجملة «تعبدوا» في موضع رفع، خبر «أن» والمصدر المؤوّل في موضع جرّ بالبآء المحذوفة، متعلّق بـ «جآئتهم» **ثانيها**ـ حرف تفسير لتقدّم مجيئ الرّسل، وفيه معنى القول، و«لا» ناهية، والجملة لامحلّ لها. **ثالثها**ـ حرف مصدريّ، ونَصْبٍ، و«لا» نافية، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ بالبآء المقدرة أي جآئتهم بعدم العبادة لغيرالله تعالى.

«إلّا» حرف حصر، ولفظ الجلالة: «الله» مفعول به، و«قالوا» مستأنفةبيانية

لامحلّ لها، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«شآء» فعل شرط غير جازم، و«ربنا» فاعل الفعل، والجملة في موضع نصب، مقول القول، على حذف المفعول أي لوشاء ربنا إرسال الرّسل ... واللاّم واقعة في جواب «لو» و«أنزل» فعل ماضٍ من باب الإفعال، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربّنا» و«ملائكة» مفعول به، وجملة «أنزل ...» جواب الشّرط لامحل لها.

الفآء عاطفة لربط المسبّب بالسّبب، و«إنّ» حرف توكيد، و«نا» في موضع نصب، إسمها، و«ما» موصولة، مجرورة بالبآء متعلق بـ «كافرون» و«ارسلتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول لامحل لها، و«به» متعلق بـ «ارسلتم» و«كافرون» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، معطوفة على جملة «لوشآء».

١٥ ـ (فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منّا قوّة أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوّة وكانوا بآياتنا يجحدون)

الفآء عاطفة تفريعية، و«أمّا» حرف شرط وتفصيل، و«عاد» مبتداء، والفاء رابطة لجواب «أمّا» و«استكبروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال في موضع رفع، خبر المبتداء، وجملة «أما عاد ...» معطوفة على جملة «أعرضوا» أو جملة «فأمّا عاد ...» مستأنفة في سياق التفريع، و«في الأرض» متعلّق بـ «استكبروا» و«بغير» اضيف إلى «الحق» حال من فاعل «استكبروا» والواو عاطفة، و«قالوا» في موضع رفع، معطوف على «استكبروا» و«مَن» إسم إستفهام، في موضع رفع، مبتداء، و«أشدّ» أفعل تفضيل، خبره و«منّا» متعلّق بـ «أشدّ» والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«قوّة» منصوب على التميز. «أولم يروا» الهمزة للإستفهام التقريعيّ، و«لم» حرف جحد، و«يروا» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مجزوم بحرف الجحد، على حذف نون الرّفع، والجملة معطوفة على جملة مستأنفة مقدّرة في حيّز القول أي أَغَفَلوا ولم يروا؟ و«أنّ» حرف توكيد، ولفظ الجلالة: «الله» إسمها، و«الّذي» موصولة في موضع

نصب، نعت للفظ الجلالة، و«خلقهم» صلة الموصول لامحلّ لها، و«هو» ضمير فصل أو ضمير منفصل، مبتداء، خبره «أشدّ» والجملة الإسميّة خبر «أنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولي «يروا» و«منهم قوة» مثل «منّا قوة».

«وكانوا» الواو عاطفة، و«كانوا» فعل ماضٍ من أفعال النّاقصة، إسمه واو الجمع، و«بآياتنا» متعلّق بـ «يجحدون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» وجملة «كانوا ...» معطوفة على «فاستكبروا».

١٦ ـ (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون)

الفآء عاطفة، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، والجملة معطوفة على «كانوا ...» و«عليهم» متعلّق بـ «أرسلنا» و«ريحاً» مفعول به، و«صرصراً» نعت لـ «ريحاً» و«في أيّام» متعلّق بـ «أرسلنا» أُضيفت إلى «نحسات» جمع نحس، واللاّم للتعليل، و«نذيق» فعل مضارع للتكلّم مع الغير، منصوب بـ «أن» مقدّرة بعد اللاّم، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«عذاب» مفعول به ثان، اضيف إلى «الخزي» و«في الحياة» متعلّق بـ «نذيق» و«الدّنيا» نعت لـ «الحياة» والمصدر المؤوّل: «أن نذيقهم ...» في موضع جرّ باللام متعلّق بـ «أرسلنا».

الواو إعتراضية، واللاّم لام الإبتدآء للتّوكيد، و«عذاب» مبتداء اضيف إلى «الآخرة» و«أخزى» أفعل تفضيل، خبره، والجملة إعتراضية لامحل لها، و«وهم لاينصرون» في الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة. **ثانيها**ـ حالية، و«هم» مبتداء، و«لا» نافية، و«ينصرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب في موضع رفع، خبر «هم» فالجملة إمّا معطوفة على جملة «عذاب الآخرة» وإمّا في موضع نصب، حال من الضّمير الغآئب في «نذيقهم».

١٧ ـ (وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)

الواو عاطفة، و«أمّا ثمود» مثل «أمّا عاد» والفآء رابطة لجواب «أمّا» و«هدينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، و«هم» مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبر المبتداء: «ثمود» وجملة «أمّا ثمود ...» معطوفة على جملة «أمّا عاد ...» لامحلّ لها، والفاء عاطفة، و«استحبّوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال، و«العمى» مفعول به، و«على الهدى» متعلّق بـ «استحبّوا» بتضمينه معنى اختاروا وجملة «استحبّوا ...» في موضع رفع، معطوفة على جملة «هديناهم».

«فأخذتهم ...» الفاء عاطفة و«أخذت» فعل ماضٍ، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«صاعقة» فاعل الفعل، اضيفت إلى «العذاب» إضافة بيانية و«الهون» نعت لـ «العذاب» مبالغة أو أبدله منه أو على تقدير: ذي الهون وجملة «فأخذتهم ...» في موضع رفع معطوفة على جملة «استحبّوا» و«ما» موصولة، مجرورة بالبآء، و«كانوا» صلة الموصول، و«يكسبون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» فالعآئد محذوف أي يكسبونه.

١٨ ـ (ونجّينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقون)

الواو عاطفة و«نجّينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب التفعيل في موضع رفع، معطوف على «أخذتهم ...» و«الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«آمنوا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«يتّقون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» وفي «كانوا» وجوه: **أحدها**ـ الواو عاطفة و«كانوا» معطوف على «آمنوا» لامحلّ لها. **ثانيها**ـ الواو حالية، و«كانوا ...» في موضع نصب، حال من «الّذين» بتقدير «قد» **ثالثها**ـ حال من فاعل «آمنوا» بتقدير «قد» أيضاً.

١٩ - (ويوم يحشر أعداالله إلى النّارفهم يوزعون)

الواو إستئنافية، وفي «يوم» وجهان: **أحدهما**- مفعول به لفعل محذوف، تقديره: «اذكر» وجملة «اذكر يوم ...» مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيها**- ظرف لما يدلّ عليه «يوزعون» وذلك أنّ «يوماً» بمنزلة «إذا» فلا ينتصب بقوله: «نجّينا ...» لأنّه ماض، وقوله: «يوم يحشر» مستقبل فلا يعمل فيه الماضي، ولا ينتصب بقوله: «يحشر» لأنّه مضاف إليه، فلا يعمل في المضاف. فالمعنى على الوجه الثّاني: يمنعون يوم يحشرون، فيحبس أوائلهم حتّى يلحق بهم أواخرهم.

«يحشر» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«أعدآء الله» ناب مناب الفاعل، وجملة «يحشر أعداء الله» في موضع جرّ لإضافة «يوم» إليها، و«إلى النّار» متعلّق بـ «يحشر» والفآء عاطفة، و«هم» مبتداء، و«يوزعون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر لـ «هم» و واو الجمع ناب مناب الفاعل، وجملة «هم يوزعون» في موضع جرّ، معطوفة على جملة «يحشر أعداء الله» من عطف الجملة الإسميّة على الفعلية.

٢٠ - (حتى إذا ماجآؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

«حتّى» حرف ابتداءٍ للغاية، و«إذا» حرف شرط غير جازم، و«ما» زائدة لتأكيد إتّصال الشّهادة بالحضور، و«جآؤا» فعل ماض، في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليه، و«ها» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «النّار» و«شهد» **فعل ماضٍ، قد** يتعدّي بحرف «على» وقد يتعدّى بحرف البآء كقوله تعالى: «من شهد بالحق» الزّخرف:٨٦) و«عليهم» متعلّق بـ «شهد» و«سمعهم» فاعل «شهد» و«أبصارهم وجلودهم» معطوفان على «سمعهم» وجملة «شهد» جواب شرط غير جازم لامحل لها.

«بما» البآء سببية، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**- حرف مصدريّ، و«كانوا يعملون» صلة الموصول الحرفي لامحلّ لها، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ، متعلّق بـ «شهد» **ثانيها**- إسم موصول، مجرور بالبآء متعلّق بـ «شهد» و«يعملون» في موضع

نصب، خبر لـ «كانوا» وجملة «كانوا ...» صلة الموصول، والعآئد محذوف أي يعملونه أو يعملون به.

٢١ ـ (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)

الواو عاطفة، وجملة «قالوا» معطوفة على استئناف متقدّم وهو جملة «حتّى إذا ...» لامحلّ لها، و«لجلودهم» متعلّق بـ «قالوا» واللاّم جارّة و«م» إسم إستفهام، حذفت منه الألف لتقدّم الجارّ عليه، متعلّق بـ «شهدتم» والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«علينا» متعلّق بـ «شهدتم» و«قالوا» مستأنفة بيانيّة لامحل لها، و«أنطق» فعل ماضٍ، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، و«الله» فاعل الفعل، وجملة «أنطقنا الله» في موضع نصب، مقول القول و«الّذي» موصولة في موضع رفع، نعت للفظ الجلالة: «الله» و«أنطق» صلة الموصول لامحلّ لها، و«كلّ» مفعول به، أُضيف إلى «شي ءٍ».

في «وهو ...» وجوه: **أحدها**ـ الواو عاطفة و«هو» مبتداء و«خلقكم» خبره والجملة في موضع نصب معطوفة على جملة «أنطقنا الله». **ثانيها**ـ إستئنافية، فالجملة مستأنفة لامحل لها، فالكلام إمّا من كلام الله أو من الملائكة. **ثالثها**ـ حاليّة، والجملة في موضع نصب، حال من «الله» و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«أوّل» مفعول مطلق نآئب عن المصدر فهو صفته، أُضيف إلى «مرّة».

«إليه» متعلّق بـ «ترجعون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول وفي «وإليه ترجعون» وجوه: **أحدها**ـ الجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «خلقكم» **ثانيها**ـ معطوفة على الجملة الإسميّة: «هو خلقكم» إذا جعلت استئنافية. **ثالثها**ـ معطوفة على جملة الصّلة ومابينهما إعتراض.

٢٢ ـ (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون)

الواو إستئنافية لأنّ الكلام فيما بعد هو كلام الله تعالى لا كلام الجلود، و«ما» نافية و«تستترون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، في موضع نصب، خبر «كنتم» وجملة «ماكنتم ...» مستأنفة لامحل لها، والمصدر المؤوّل: «أن يشهد ...» في موضع نصب، مفعول لأجله بحذف مضافة أي مخافة أن يشهد ... أو في موضع جرّ، بحرف جرّ محذوف أي عن أن يشهد ... متعلّق بـ «تستترون» و«عليكم» متعلّق بـ «يشهد» و«سمعكم» فاعل «يشهد» و«أبصاركم ـ و ـ جلودكم» معطوفان على «سمعكم»، و«لا» في الموضعين زائدة لتأكيد النفي فيهما و«لكن» للإستدراك لا عمل له.

«ظننتم» فعل ماض لجمع المذكّر المخاطب، معطوف على «كنتم» لامحل لها، والمصدر المؤوّل: «أنّ الله لايعلم» في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعولي «ظننتم» و«كثيراً» مفعول به لـ «يعلم» وفي «ممّا» وجهان: **أحدهما**ـ أنّ «ما» حرف مصدريّ. **ثانيها**ـ إسم موصول، والعآئد محذوف، مجرور بـ «من» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «كثيراً» وجملة «تعملون» صلة الموصول الحرفي أو الإسميّ لامحل لها.

٢٣ ـ (وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

الواو عاطفة، و«ذلكم» مبتدأ، وفي «ظنّكم» وجوه: **أحدها**ـ خبر المبتدا والمعنى: وذلكم الظّن الّذي ذكر ظنّ ظننتموه لايغني من الحق شيئاً، والعلم والشهادة على حالها أهلككم ذلك الظّن. **ثانيها**ـ بدل من «ذلكم» والمعنى: وظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أنّه لايعلم كثيراً ممّا تعملون أهلككم ... **ثالثها**ـ عطف بيان على «ذلكم» وفي الموصول: «الّذي» وجوه: **أحدها**ـ بدل من «ظنّكم» **ثانيها**ـ عطف بيان على «ظنّكم» **ثالثها**ـ نعت لـ «ظنكم» **رابعها**ـ إنّ «ظنّكم» و«الّذي» وجملة «أرداكم» أخبار ثلاثة للمبتداء: «ذلكم» وجملة «ذلكم ظنّكم ...» معطوفة على جملة «لكن ظننتم ...»

لامحلّ لها، وجملة «ظننتم بربّكم» صلة الموصول لامحل لها، و«بربّكم» في موضع المفعول الثّاني أي ظننتموه كآئناً بربّكم.

«أردٰى» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «ظنّكم» من باب الإفعال و«كم» في موضع نصب، مفعول به، وفي جملة «أرداكم» وجهان: **أحدهما** ـ في موضع رفع، خبر المبتداء: «ذلكم» **ثانيها** ـ في موضع نصب، حال من «ظنّكم» على إضمار «قد» والفآء عاطفة، و«من الخاسرين» متعلّق بمحذوف، هو خبر لـ «أصبحتم» وجملة «أصبحتم ...» في موضع رفع، معطوفة على جملة «أرداكم».

٢٤ ـ (فان يصبروا فالنّار مثوىً لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

الفآء عاطفة، و«إن» حرف شرط جازم، و«يصبروا» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مجزوم بحرف الشّرط، وعلامة الجزم فيه حذف نون الرّفع، والفآء الثانية رابطة لجواب الشّرط، و«النّار» مبتداء و«مثوى» خبره وجملة «النّار مثوى» في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء، وجملة «إن يصبروا ...» معطوفة على جملة «ذلكم ظنّكم ...» لامحلّ لها، و«لهم» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «مثوى».

الواو عاطفة و«إن» كالسّابق، و«يستعتبوا» فعل مضارع من باب الاستفعال، مجزوم بحذف النون، والجملة معطوفة على «يصبروا» والفآء رابطة، و«ما» نافية عاملة، و«هم» إسمها، و«من المعتبين» متعلّق بمحذوف، هو خبر «ما» أو تكون «ما» مهملة فـ «هم» مبتداء، و«من المعتبين» متعلّق بمحذوف، هو خبرالمبتداء، وعلى أيّ التقديرين، أنّ جملة «ماهم ...» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآءِ.

٢٥ ـ (وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم وحقّ عليهم القول في امم قدخلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)

الواو عاطفة، و«قيّضنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب التفعيل، معطوف على «يصبروا» وفي «لهم» الاولى وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ «قيّضنا» **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، حال من «قرنآء» جمع قرين، مفعول به، والفآء عاطفة و«زيّنوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب التفعيل، و«لهم» متعلّق بـ «زيّنوا» والجملة معطوفة على «قيّضنا» لامحلّ لها، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «زيّنوا» و«بين» ظرف منصوب، أُضيف إلى «أيدي» أُضيفت إلى «هم» متعلّق بمحذوف، هو صلة الموصول لا محلّ لها.

وفي «وما خلفهم» وجهان: **أحدهما**ـ معطوف على «مابين أيديهم» **ثانيها**ـ فيه إضمار، وتقديره: وأنسوهم ماخلفهم. فأنسوا معطوف على «زينوا» والواو عاطفة، و«حقّ» فعل ماض، معطوف على «زيّنوا» لامحل لها، و«عليهم» متعلّق بـ «حقّ» و«القول» فاعل الفعل، و«في امم» جمع امّة، متعلّق بحال من الضّمير في «عليهم» أي كآئنين أو داخلين في جملة امم ويجوز أن تكون «في» بمعني «مع» و«قد خلت» في موضع جرّ، نعت لـ «امم» و«من قبلهم» متعلّق بـ «خلت» و«من الجنّ» متعلّق بحال من فاعل «خلت» و«الإنس» معطوف على «الجنّ» و«إنّ» حرف توكيد، و«هم» في موضع نصب، إسمها، و«كانوا خاسرين» في موضع رفع، خبرها، والجملة المؤكّدة تعليلية لاستحقاقهم العذاب لامحل لها.

٢٦ ـ (وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

الواو إستئنافية، و«قال» فعل ماضٍ، و«الّذين» موصولة، فاعل الفعل، وجملة «قال الّذين» مستأنفة لامحلّ لها، و«كفروا» صلة الموصول، لامحلّ لها، و«لا» ناهية جازمة، و«تسمعوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحرف «لا» وعلامة الجزم فيه حذف نون الرّفع، وجملة «لا تسمعوا» في موضع نصب، مقول القول، و«لهذا»

متعلّق بـ «تسمعوا» وفي «القرآن» وجهان: **أحدهما**- بدل من «هذا» **ثانيها**- عطف بيان على «هذا».

الواو عاطفة، و«الغوا» فعل أمر، مبنيّ على حذف النّون، معطوف على «لا تسمعوا» من عطف الأمر على النّهي لامحل لها، و«فيه» متعلّق بـ «الغوا» و«لعلّ» حرف ترجٍ يعمل عمل «إنّ» و«كم» في موضع نصب، إسم «لعلّ» و«تغلبون» في موضع رفع، خبرها، والجملة مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها.

٢٧ - (فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون)

الفآء إستئنافية، واللام لام القسم لقسم مقدّر، و«نذيقنّ» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً، مبنيّ على الفتح في موضع رفع، والنّون نون التّوكيد، والفاعل ضمير مستترفيه وجوباً، تقديره: نحن. وجملة «نذيقنّ» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«كفروا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«عذاباً» مفعول به ثان، و«شديداً» نعت لـ «عذاباً».

الواو عاطفة، و«لنجزينّهم» مثل «لنذيقنّ» وجملة «لنجزينّهم ...» جواب القسم المقدّر الثّاني، وجملة القسم المقدّرة معطوفة على جملة القسم المقدّرة الاولى الإستئنافية، و«أسوأ» أفعل تفضيل، مفعول به ثان، على حذف المضاف أي جزآء «أسوا» اضيف إلى «الّذي» موصولة و «يعملون» في موضع نصب، خبر «كانوا» والجملة صلة الموصول لامحل لها، والعآئد محذوف.

٢٨ - (ذلك جزآء أعداء الله النّارهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون)

«ذلك» مبتداء، إشارة إلى العذاب، و«جزآء» خبره أُضيف إلى «أعداء» جمع عدوّ، اضيف إلى لفظ الجلالة: «الله» والجملة تعليلية أو مستأنفة بيانية لامحلّ لها. وفي «النّار» وجوه: **أحدها**- خبر لمبتدإ محذوف، تقديره: هي النّار. والجملة مستأنفة بيانية للجملة الاولى لامحل لها. **ثانيها**- مبتداء، خبره جملة «لهم فيها دارالخلد» والجملة مستأنفة

بيانية أيضاً لامحلّ لها. **ثالثها**ـ بدل من «جزآء» وفيه تأمّل لأنّ البدل يحلّ محلّ المبدل منه، فيكون التقدير: ذلك النّار. **رابعها**ـ عطف بيان من «ذلك» كأنّه قيل: ماهو؟ فقيل: هو النّار.

«لهم» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«فيها» متعلق بحال من الضّمير في «لهم» و«دار» مبتداء مؤخّر، اضيف إلى «الخلد» قيل: تقديره: لهم هي دارالخلد مستقرّاً. وقيل: «فيها» ظرف، والعامل فيه «لهم». وقيل: «لهم» ظرف لغو أي لهم فيها دارالخلد مستقرّاً. وقيل: أي لهم النّار دارالخلد، والنار هي الدّار كما تقول: لك في هذه الدّار دار سرور. وأنت تعني الدّار بعينها فيكون ذلك من باب التجريد كقوله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة» الأحزاب: ٢١) معناه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اسوة حسنة.

وفي «جزآءً» وجوه: **أحدها**ـ منصوب على المصدر. فمفعول مطلق لفعل محذوف أي يجزى أو جُوزوا بالنار جزآءً. **ثانيها**ـ مفعول مطلق، عامله جزآء الأوّل. **ثالثها**ـ مصدر منصوب في موضع الحال. و«ما» حرف مصدريّ، و«بآياتنا» متعلّق بـ «يجحدون» في موضع نصب، خبر «كانوا» وجملة «كانوا...» صلة الموصول الحرفي: «ما» والمصدر المؤوّل: «ماكانوا...» في موضع جرّ بالبآء، متعلّق بجزآء الأوّل، والبآء سببيّة.

٢٩ ـ (وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا الّذين أضلاّنا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)

الواو إستئنافية، و«قال» فعل ماضٍ، و«الّذين» موصولة، فاعل الفعل وجملة «قال الّذين» مستأنفة لامحل لها، و«كفروا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«ربّنا» منادى مضاف، محذوف منه أداة النّدآء، منصوب، و«أر» فعل أمر من أرٰى يُري، و«نا» ضمير التكلّم مع الغير في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«اللّذين» موصولة للإثنين، مبنيّ على اليآء في موضع نصب، مفعول به ثانٍ وجملة النداء وجوابه في موضع نصب، مقول القول، و«أضلاّ» فعل ماضٍ لتثنية المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة

الموصول لامحلّ لها، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، و«من الجنّ» متعلّق بحال من فاعل «أضلاّ» «والإنس» معطوف على «الجنّ»٠«نجعل» فعل مضارع للتكلّم مع الغير، والفاعل نحن مستترفيه وجوباً، والفعل مجزوم جواب الطلب والشّرط المقدّر غيرالمقترنة بالفآء لامحل لها أي إن ترنااللذين ... نجعلهما ... و«هما» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«تحت» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، أُضيف إلى «أقدام» جمع قدم، أُضيف إلى «نا» ضمير التكلّم مع الغير، واللاّم للتعليل، و«يكونا» فعل مضارع، تثنية المذكّر الغائب، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللاّم، وعلامة النصب، حذف نون الرّفع، و«من الأسفلين» متعلّق بمحذوف، خبر «يكونا» وجملة «يكونا ...» صلة الموصول الحرفيّ لامحلّ لها.

٣٠ـ (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

«إنّ» حرف توكيد، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«قالوا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«ربّنا» مبتداء و«الله» خبره والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«ثمّ» عاطفة، و«استقاموا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال، معطوف على «قالوا» و«تتنزّل» فعل مضارع من باب التفعّل، وتأنيث الفعل باعتبار الفاعل: «الملائكة» و«عليهم» متعلّق بـ «تتنزّل» وجملة «تتنزّل ...» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحل لها.

وفي «ألّا تخافوا» وجوه: **أحدها**ـ «أن» مخفّفة من الثّقلية، وإسمها ضمير الشّأن، محذوف، و«لا» ناهية جازمة، و«تخافوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحرف النّهي، في موضع رفع، خبر «أن» المخفّفة.

ثانيهاـ «أن» ناصبة مصدرية، والمصدر المؤوّل: «ألّا تخافوا» مجرور بحرف جرّ محذوف، متعلّق بـ «تتنزل»أى بأن لاتخافوا، فلمّا حذفت الباء وصل الفعل فنصبه. والجملة حال أي تتنزّل بقولهم: لاتخافوا. أو التقدير، قائلين: لاتخافوا. فالحال محذوفة.

و«لا» يحتمل أن تكون ناهية، والفعل بعدها مجزوم، وأن تكون نافية، والفعل منصوب، فالفعل صلة الموصول الحرفيّ: «أن» لامحل لها.

ثالثها- «أن» تفسيرية لأنّ التنزّل بمعنى القول دون حروفه، و«لا» ناهية، فلا محلّ للفعل، وجملتا «ولا تحزنوا وأبشروا» معطوفتان على «ألّا تخافوا» تأخذان محلّها من الإعراب، و«بالجنّة» متعلّق بـ «أبشروا» و«الّتي» موصولة في موضع جرّ، نعت لـ «الجنّة» و«توعدون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول في موضع نصب، خبر لـ «كنتم» وجملة «كنتم» صلة الموصول لامحلّ لها، والعآئد محذوف.

٣١ - (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون)

«نحن» مبتداء و«أوليآؤكم» خبره والجملة تعليلية مقرّرة لما سبق لامحل لها، و«في الحياة» متعلّق بـ «أولياؤكم» و«الدّنيا» نعت لـ «الحياة» و«في الآخرة» متعلّق بـ «أوليآؤكم» والواو عاطفة، و«لكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، أو متعلّق بحال من الضمير في «لكم» والعامل فيها الإستقرار، و«فيها» متعلّق بالخبر المحذوف، و«ما» موصولة، مبتداء مؤخّر، و«تشتهي» فعل مضارع من باب الإفتعال، صلة الموصول لامحلّ لها، و«أنفسكم» فاعل الفعل، وجملة «لكم فيها ماتشتهي ...» معطوفة على جملة الصّلة: «كنتم توعدون» لامحل لها، والعآئد محذوف، وجملة «لكم فيها ماتدّعون» كالسّابقة معطوفة على جملة الصّلة لامحل لها على حذف العائد.

٣٢ - (نزلاً من غفور رحيم)

في «نزلاً» وجوه: **أحدها**- حال منصوبة من العائد المحذوف اي تدّعونه نزلاً. **ثانيها**- حال من فاعل «تدّعون» على أنّه جمع نازل مثل صابر وصُبُر **ثالثها**- منصوب على المصدر أي أنزلكم ربّكم فيما تشتهون من النّعمة نزلاً **رابعها**- حال من إسم الموصول في «ماتدّعون». **خامسها**- حال من إسم الموصول في «ماتشتهي» أي لكم فيها ماتشتهي أنفسكم منزلاً. كما تقول: جآء زيد مشياً تريد ماشياً. **سادسها**- حال من الضّمير في

«لكم» أي لكم فيها ماتدعون نازلين ولايجوز على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: «من غفور» في موضع نصب على الوصف لـ «نزلاً» إذ لافائدة فيه. ولا يجوز أن يكون أيضاً معمول قوله تعالى: «لكم» لأنّه قد عمل في الظّرف وهو «فيها» فلا يعمل في ظرف آخر بل يتعلق «من غفور» بـ «تدّعون» أي تطلبونه من غفور. **سابعها**- منصوب بـ «جعل» مقدّراً أي جعل لكم فيها رزقاً مهيّئاً.

وفي «من غفور» وجوه: **أحدها**- متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «نزلاً» **ثانيها**- متعلّق بـ «تدّعون» **ثالثها**- متعلّق بمحذوف، هو حال من «ما» أي إستقر ذلك من غفور. و«رحيم» نعت لـ «غفور».

٣٣- (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)

الواو إستئنافية، و«مَن» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«أحسن» أفعل تفضيل، خبره و«قولاً» منصوب على التميز والتفسير، و«ممّن» متعلّق بـ «أحسن» وجملة «من أحسن ...» مستأنفة لامحلّ لها، و«مَن» في «ممّن» موصولة، و«دعا» فعل ماضٍ صلة الموصول لامحلّ لها، و«إلى الله» متعلّق بـ «دعا».

«وعمل» في الواو وجهان: **أحدهما**- عاطفة، و«عمل» معطوف على «دعا» لامحل لها. **ثانيها**- حالية، و«عمل» في موضع نصب، حال من فاعل «دعا» بتقدير «قد». وفي «صالحاً» وجهان: **أحدهما**- مفعول به. **ثانيها**- مفعول مطلق، نآئب عن المصدر والمفعول به مقدّر.

«وقال» الواو عاطفة، و«قال» معطوف على «دعا» لامحل لها، و«إنّ» حرف توكيد، والنّون نون الوقاية، واليآء للتكلّم وحده في موضع نصب، إسم «إنّ» و«من المسلمين» جمع المسلم من باب الإفعال، متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول.

٣٤ ـ (ولا تستوي الحسنة ولا السيّئة ادفع بالّتي هي أحسن فاذاالّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم)

الواو إستئنافية، و«لا» نافية، و«تستوي» فعل مضارع من باب الإفتعال، و«الحسنة» فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، والواو عاطفة وفي «لا» الثّانية وجهان: **أحدهما**ـ زآئدة لتأكيد النفي. **ثانيها**ـ أن تكون مؤسّسة لازائدة أي الحسنات بالنسبة إلى بعضها وكذلك السّيّئات. قيل: دخلت «لا» لتحقيق أنّه لايساوي ذا ذاك ، ولا ذاك ذا فهوتبعيد المساواة. «إدفع» فعل أمر، والجملة مستأنفة بيانية لامحل لها، و«بالّتي» موصولة، متعلّقة بـ «ادفع» و«هي» مبتداء، و«أحسن» خبره والجملة صلة الموصول لامحل لها.

«فاذا» الفآء تعليلية، و«إذا» فجائية تختصّ بالجمل الإسميّة، ولاتحتاج إلى جواب، ولاتقع في الإبتداء، ومعناها الحال لا الإستقبال، و«الّذي» مبتداء و«بينك» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«بينه» معطوف على «بينك» و«عداوة» مبتداء مؤخّر، والجملة صلة الموصول لامحلّ لها، و«كأنّ» حرف تشبيه يعمل عمل «إنّ» والضمير: «هـ» في موضع نصب، إسمها، و«وليّ» خبرها، والجملة في موضع رفع، خبرالمبتداء: «الّذي». وفي «كأنّه وليّ» وجهان آخران: **أحدهما**ـ في موضع نصب، حال من «الّذي» بصلته. بناءً على أنّ «الّذي» مبتداء و«إذا» الفجائية خبر المبتداء أي فبالحضرة المعادة مشبهاً للوليّ. والفآئدة تحصل من الحال. **ثانيها**ـ أن تكون جملة «كأنّه وليّ» خبر المبتداء: «الّذي» بنآءً على أنّ «إذا» ظرف لمعنى التشبيه، والظرف يتقدّم على العامل المعنوي.

وعلى أيّ وجه من الوجوه ففي جملة «الّذي بينك ...» وجهان: **أحدهما**ـ تعليلية لامحلّ لها. **ثانيها**ـ معطوفة على تعليل مقدّر أي ذلك أفعل في دفعها فإذا الّذي بينك ...

٣٥ـ (ومايلقّاها إلّا الّذين صبروا ومايلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم)

في «وما يلقّاها ...» وجهان: **أحدهما**ـ الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«يلقّى» فعل

مضارع من باب التفعيل، مبنيّ للمفعول، والضّمير: «ها» في موضع نصب، مفعول به راجع إلى الخصلة العالية، والجملة معطوفة على جملة «لا تستوي الحسنة» لامحل لها.
ثانيهاـ الواو إستئنافية، والجملة مستأنفة لامحل لها، و«إلاّ» أداة حصر، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، ناب مناب الفاعل، و«صبروا» صلة الموصول لامحلّ لها، «ومايلقّاها» الثّانية معطوفة على الاولى، و«ذو» ناب مناب الفاعل، اضيف إلى «حظّ» و«عظيم» نعت لـ «حظّ».

٣٦ـ (وإمّا ينزغنك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم)

الواو عاطفة، و«إمّا» مركبّة من حرف شرط جازم: «إن» و«ما» زآئدة مؤكّدة، فأشبه ذلك القسم، ولذا دخلت نون التّوكيد على «ينزغنّك» لأنّها لا تدخل على فعل الشّرط إلاّ إذا كان مع الشّرط «ما» الزآئدة. كما تقول: والله ليخرجن. فادغم نون «إن» الشرط في «ما» الزآئدة.

«ينزغنك» فعل مضارع، مبنيّ على الفتح في موضع جزم، فعل الشّرط، مؤكّد بنون التّوكيد، والكاف في موضع نصب، مفعول به، و«من الشّيطان» متعلّق بمحذوف، هو حال من الفاعل: «نَزْغٌ» مصدر سماعيّ لفعل «نَزَغَ» وجملة «ينزغنك ...» معطوفة على جملة «لا تستوي الحسنة» لامحلّ لها. الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«استعذ» فعل أمر من باب الإستفعال في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء، و«بالله» متعلّق بـ «إستعذ» وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك. و«إنّ» حرف توكيد، والضمير: «ه» في موضع نصب، إسمها، وفي «هو» وجوه: **أحدها**ـ ضمير استعير لمحلّ النّصب لتوكيد إسم «إنّ» **ثانيها**ـ ضمير منفصل، مبتداء، و«السّميع» خبره، والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» **ثالثها**ـ ضمير فصل، و«السّميع» خبر «إنّ» و«العليم» خبر ثان، والجملة المؤكّدة تعليليّة لامحلّ لها.

٣٧ ـ (ومن آياته الليل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله

الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون)

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ إستئنافية، و«من آياته» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«مِن» تبعيضية، و«الليل» مبتدأ مؤخّر، والجملة مستأنفة لامحل لها. **ثانيهما**ـ عاطفة، والجملة معطوفة على قوله تعالى: «إنّه هو السّميع العليم» أي ومن آيات الله السّميع العليم: اللّيل والنّهار ... و«لا» ناهية جازمة، و«تسجدوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحرف النهي: «لا» وعلامة الجزم حذف نون الرّفع، و«للشّمس» متعلّق بـ «لا تسجدوا» والواو عاطفة، و«لا» زآئدة لتأكيد النّفي، و«للقمر» معطوف على «للشّمس» وفي جملة «لا تسجدوا ...» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة بيانية لامحل لها. **ثانيها**ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر أي قل لهم يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا تسجدوا...

الواو عاطفة، و«اسجدوا» فعل أمر مبنيّ على حذف التآء والنّون، و«لله» متعلّق بـ «اسجدوا» و«الّذي» موصولة في موضع جرّ، نعت لـ «لله» وجملة «اسجدوا» معطوفة على جملة «لا تسجدوا ...» لامحلّ لها، و«خلقهنّ» الفعل فعل ماضٍ، والضّمير: «هنّ» راجع إلى الآيات وهي اللّيل والنّهار والشّمس والقمر. ولا تعود على اللّيل والنّهار والشّمس والقمر لأنّ المذكّر والمؤنّث إذا اجتمعا غُلِّبَ جانب المذكّر. و«هن» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «خلقهنّ» صلة الموصول لامحلّ لها. «إن» حرف شرط جازم، و«كنتم» فعل ماضٍ ناقص مبنيّ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«إيّاه» ضمير منفصل في موضع نصب، مفعول به، عامله «تعبدون» في موضع نصب، خبر «كنتم» وجملة «كنتم إياه تعبدون» إعتراضية لامحل لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ماقبله أي فاسجدوا له وحده.

٣٨ـ (فان استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لايسأمون)

في «فان استكبروا ...» وجهان: **أحدهما**ـ الفآء إستئنافية، و«إن» حرف شرط، و«استكبروا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال في موضع جزم، فعل

الشّرط، والفآء رابطة أو تعليلية، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«عند» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و«يسبّحون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب التفعيل، في موضع رفع، خبر «الّذين» وجملة «الّذين...» في موضع جزم جواب الشّرط. **ثانيها**ـ عاطفة وجملة «إن استكبروا...» معطوفة على جملة القول المقدّرة وجواب الشّرط مقدّر أي إن استكبروا فدعهم أو فلا تهتمّ باستكبارهم، وجملة «الّذين عند ربّك ...» تعليلية للجواب المقدّر لامحلّ لها.

وفي «له» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بحال من فاعل «يسبّحون» **ثانيها**ـ متعلّق بـ «يسبّحون» بتضمينه معني «يصلّون» و«باللّيل» متعلّق بـ «يسبّحون» و«النّهار» معطوف على «باللّيل».

في «وهم لايسأمون» وجهان: **أحدهما**ـ الواو حالية، و«هم» مبتداء و«لا» نافية و«يسأمون» في موضع رفع، خبر «هم» والجملة في موضع نصب، حال من فاعل «يسبّحون» **ثانيها**ـ الواو عاطفة، وجملة «هم لايسأمون» في موضع رفع، معطوفة على جملة «يسبّحون».

٣٩ ـ (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير)

في الواو وجهان: أحدهماـ إستئنافيّة، و«من آياته» متعلّق بخبر مقدّم، و«أنك ترى ...» في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، وجملة «من آياته ...» مستأنفة لامحل لها. **ثانيها**ـ عاطفة، وجملة «من آياته ...» معطوفة على «ومن آياته اللّيل والنّهار والشّمس والقمر...» و«ترى» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب في موضع رفع، خبر «أنّ» و«الأرض» مفعول به، لأنّ «ترى» من رؤية العين، و«خاشعة» حال من «الأرض».

الفآء عاطفة، و«إذا» ظرف للمستقبل، متضمّنة معنى الشّرط، وتختصّ بالدّخول على الجملة الفعليّة عكس «إذا» الفجائية، و«أنزلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من

باب الإفعال، في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، فعل الشّرط و«عليها» متعلّق بـ «أنزلنا» و«المآء» مفعول به، و«اهتزّت» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «الأرض» جواب الشّرط لامحل لها، و«ربت» معطوف على «اهتزّت» و«ربت» أصله: ربوت فتحركت الواو وانفتح ماقبلها، فقلبت ألفاً، وحذفت الألف لسكونها وسكون تاء التأنيث، ففيه إعلال بالحذف بعد الإعلال بالقلب.

«إنّ» حرف توكيد، و«الّذي» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«أحيى» فعل ماضٍ من باب الإفعال، صلة الموصول لامحلّ لها، و«ها» في موضع نصب، مفعو به، راجع إلى «الأرض» واللاّم المزحلقة للتّوكيد و«محى» إسم فاعل، اضيف إلى «الموتى» جمع الميّت، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لامحل لها، و«إنّه على كلّ شيْ قدير» تعليليّة لامحلّ لها.

٤٠ - (إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير)

«إنّ» حرف توكيد و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«يلحدون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال صلة الموصول لامحلّ لها، و«في آياتنا» متعلّق بـ «يلحدون» و«لا» نافية، و«يخفون» فعل مضارع ثلاثياً، و«علينا» متعلّق بـ «يخفون» وجملة «لايخفون علينا» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، والهمزة للإستفهام التقريري، والفاء عاطفة و«مَن» إسم موصول في موضع رفع مبتداء و«يلقى» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، ونآئب الفاعل ضمير مستترفيه، وهو عائد الصّلة، و«يلقى» صلتها، و«في النّار» متعلّق بـ «يلقى» و«خير» خبرالمبتداء: «مَن» وجملة «من يلقى ...» معطوفة على الإستئنافية لامحلّ لها.

«أم» عاطفة معادلة للهمزة، و«من» موصولة، معطوفة على الأوّل، و«يأتي» صلة الموصول لامحلّ لها، و«آمناً» حال منصوبة من فاعل «يأتي» و«يوم» ظرف زمان،

منصوب، أُضيف إلى «القيامة» متعلّق بـ «يأتي» و«اعملوا» فعل أمر فيه معنى التّهديد، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و«شئتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب مثل «بعتم» صلة الموصول لامحل لها، والعآئد محذوف أي شئتم فعله، و«إنّ» حرف توكيد والضمير: «ه» في موضع نصب، إسمها، و«ما» حرف مصدريّ، و«تعملون» صلة الموصول الحرفي، مستأنفة بيانية لامحل لها. والمصدر المؤوّل: «ماتعملون» في موضع جرّ بالبآء متعلّق بـ «بصير» وهو خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحل لها.

٤١ ـ (إنّ الّذين كفروا بالذّكر لمّا جآءهم وإنّه لكتاب عزيز)

«إنّ الّذين كفروا...» بدل من قوله: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا» و«بالذّكر» متعلّق بـ «كفروا» وفي خبر «إنّ» وجوه: **أحدها**ـ محذوف تقديره: معذّبون أو **مهلكون** أو معاندون. **ثانيها**ـ مذكور سيأتي في الآيات التالية وهو قوله تعالى: «اولئك ينادون» ومابينهما إعتراض من تتمة الذّكر. أو قوله: «مايقال لك» والرّابط مقدّر أي مايقال لك في شأنهم. أو مايقولون لك. أو قوله: «لايأتيه الباطل» والرّابط مقدّر أي منهم. أو لمّا جآءهم أي كفروابه. **ثالثها**ـ هو ماتقدّم من قوله: «لايخفون علينا» وقد حذف من الثّاني لدلالة الأوّل عليه. **رابعها**ـ هو محذوف يدل عليه قوله: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا» فانّ الكفر بالقرآن من مصاديق الإلحاد في آيات الله. **خامسها**ـ على تقدير: إن الملحدين هم الّذين جحدوا هذاالقرآن وكذّبوا به **حين جآءهم**. **سادسها**ـ على تقدير: إنّ الّذين كفروا بالذكر لما جآءهم يلقون في النار يوم القيامة. وقد حذف ليذهب فيه وهم السّامع أيّ مذهب ممكن واللام مسوق للوعيد.

«لمّا» ظرف بمعنى «حين» مجرّد من الشّرط، متعلّق بـ «كفروا» وجملة «جآءهم» في موضع جرّ، مضاف إليه. وفي الجملة المؤكّدة وجوه: **أحدها**ـ الواو حاليّة، واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«عزيز» نعت لـ «كتاب» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، حال من «الذّكر». **ثانيها**ـ الواو إستئنافية، والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها. **ثالثها**ـ أنّ

الجملة في موضع الخبر والتقدير: إنّ الكتاب الّذي جآءهم عزيز. وأمّا الضّمير: «ه» راجع إلى القرآن الّذي هو الذّكر. والمعنى: إنّ الذّكر لكتاب عزيز بأنّه لايقدر على أحد من العباد على أن يأتي بمثله. أو التقدير: إنّ الّذين كفروا بالذّكر كفروا به وإنّه لكتاب عزيز.

٤٢ ـ (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

«لا» نافية، و«يأتي» فعل مضارع، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به، و«الباطل» فاعل الفعل، و«من بين» متعلّق بـ «يأتي» أُضيف إلى «يدي» تثنية «يد» أُضيف إلى الضّمير: «ه» بعد حذف نون الرّفع، والواو عاطفة، و«لا» زائدة لتأكيد النّفي، و«من خلفه» معطوف على «يديه» وجملة «لا يأتيه الباطل ...» في موضع رفع، نعت ثان لـ «كتاب».

«تنزيل» خبر لمبتداءٍ محذوف، تقديره: هو... و«من حكيم» متعلق بـ «تنزيل» و«حميد» نعت لـ «حكيم» وفي جملة «هو تنزيل ...» وجهان: **أحدهما**ـ تعليليّة لامحلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع رفع، نعت ثالث لـ «كتاب».

٤٣ ـ (مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)

«ما» نافية، و«يقال» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«لك» متعلق بـ «يقال» و«إلّا» أداة حصر، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ إسم موصول في موضع رفع، نآئب الفاعل، على حذف مضاف أي مثل ماقد قيل. فالقائل حينئذهم كفّار مكّة. وجملة **«مايقال...» مستأنفة لامحلّ لها. ثانيهما- حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل: «ماقد قيل» في موضع رفع، لأنّه مفعول مالم يسمّ فاعله.**

«قد» حرف تحقيق، و«قيل» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول، و«للرّسل» متعلّق بـ «قيل» ونآئب الفاعل ضمير مستتر فيه راجع إلى «ما» وجملة **«قد قيل» صلة الموصول** لامحل لها. هذا بنآءً على الوجه الأوّل من الوجهين المتقدّمين.

«من قبلك» متعلّق بحال من «الرّسل» و«إنّ» حرف توكيد، و«ربّك» إسمها، واللاّم المزحلقة للتوكيد، و«ذو» خبر «إنّ» أُضيف إلى «مغفرة» و«ذوعقاب» معطوف على «ذومغفرة» و«أليم» نعت لـ «عقاب». وفي الجملة المؤكّدة وجوه: **أحدها**ـ مستأنفة لامحل لها. والمعنى: مايقول لك كفّار قريش إلاّ ماقد قال للرّسل كفّار قومهم من المطاعن فيهم وفي كتبهم. **ثانيها**ـ في موضع رفع، بدل من الموصول: «ما» وذلك إذا كان القائل للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الله تعالى لاكفّار قريش. **ثالثها**ـ في موضع نصب، مقول القول والمعنى: مايقول لك الله إلاّ مثل ماقال للرّسل من قبلك من الصبّر على سفاهة أقوامهم وايذائهم.

٤٤ ـ (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته ءأعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهوعليهم عمىً اولئك ينادون من مكان بعيد)

الواو إستئنافية، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«جعلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«قرآناً» مفعول به ثانٍ، و«أعجمياً» نعت لـ «قرآناً» وجملة «جعلناه ...» مستأنفة لامحلّ لها، واللاّم واقعة في جواب «لو» و«قالوا» جواب شرط غير جازم لامحلّ لها، و«لولا» حرف تحضيض، و«فصّلت» فعل ماضٍ من باب التفعيل، مبنيّ للمفعول، و«آياته» نابت مناب الفاعل، والجملة في موضع نصب، مقول القول، والهمزة للإستفهام الإنكاري وفي «أعجميّ» وجهان: **أحدهما**ـ خبر لمبتداءٍ محذوف، تقديره: هو أي القرآن أعجميّ. وجملة «هو أعجميّ» مستأنفة في حيّز القول لامحلّ لها. **ثانيهما**ـ مبتداء و«عربيّ» معطوف عليه، والخبر محذوف تقديره: يستويان أو مستويان. وفي «عربيّ» أيضاً وجهان: **أحدهما**ـ خبر لمحذوف. تقديره: هو أي النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم **ثانيهما**ـ معطوف على «أعجميّ».

«قل» فعل أمر، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«هو» مبتداء، وفي «للّذين»

وجهان: **أحدهما**- متعلّق بحال من «هدى» **ثانيها**- متعلّق بـ «هدى» و«آمنوا» صلة الموصول، و«هدى» خبرالمبتداء: «هو» والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«شفآء» معطوف على «هدى» والواو إستئنافية وفي «الّذين...» وجوه: **أحدها**- الموصول مبتداء، و«في آذاتهم وقر» خبره على أنّ التقدير: هو أي القرآن في آذانهم وقر. بنآء على أنّ «وقر» خبر للضمير المقدّر و«في آذانهم» متعلق بمحذوف، وقع حالاً من «وقر» وهو أوفق لقوله تعالى: «وهوعليهم عمىً».

ثانيها- الموصول مبتداء و«في آذانهم» متعلّق بمحذوف، خبره و«وقر» فاعل الظرف. **ثالثها**- إنّ «وقر» مبتداء مؤخّر، و«في آذانهم» متعلّق بمحذوف هو خبره، والجملة خبر الموصول. **رابعها**- أنّ التقدير: والّذين لايؤمنون في آذانهم منه وقر. ومن جوّز العطف على عاملين، عطف الموصول على الموصول الأوّل. أي أنّ القرآن للأوّلين هدى وشفآء، وللآخرين وقر في آذانهم وجملة «الّذين لايؤمنون ...» مستأنفة لا محلّ لها.

« وهو...» الواو عاطفة و«هو» مبتداء وفي «عليهم» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بحال من «عمى» **ثانيها**- متعلّق بالمصدر: «عمىً» بتضمينه معنى ظلام. و«عمى» خبر المبتداء والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة الخبر بتقدير: هوفي آذانهم وقر وهوعليهم عمىً. و«اولئك» مبتداء و«ينادون» فعل مضارع من باب المفاعلة مبنيّ للمفعول، وأصله: يُنادَيُون. فثقلت الضّمّة على اليآء فحذفت فالتقى السّاكنان: الياء والواو، فحذفت اليآء فصار ينادَوْن، وجملة «ينادون» في موضع رفع، خبر المبتداء: «اولئك» و«من مكان» متعلّق بـ «ينادون» و«بعيد» نعت لـ «مكان» وجملة «اولئك ينادون ...» مستأنفة لامحل لها.

٤٥ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنّهم لفي شكّ منه مريب)

الواو إستئنافية، واللاّم لام القسم المقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«آتينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و«موسى» مفعول به أوّل

و«الكتاب» مفعول به ثانٍ، وجملة «لقد آتينا ...» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها.
وجملة القسم المقدّرة مستأنفة لامحل لها.

«فاختلف» الفآء عاطفة، و«اختلف» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول من باب الإفتعال، و«فيه» نائبُ الفاعل، وجملة «اختلف فيه» معطوفة على جملة جواب القسم لامحلّ لها. والواو عاطفة، و«لولا» حرف شرط غير جازم، و«كلمة» مبتدأ، حُذِف خبره، والتقدير: موجودة. وقد ابتدأ هنا بالنكرة لوصفها بقوله تعالى: «سبقت ...» ومن وجوه الأربعة لـ «لولا» أن تدخل على جملتين: إسميّة ففعلية لربط امتناع الثّانية بوجود الاولى كالمقام. وجملة «لولا كلمة موجودة» معطوفة على جملة جواب القسم لامحلّ لها. و«سبقت» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستترفيه، راجع إلى «كلمة» و«من ربك» متعلّق بـ «سبقت» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «كلمة» واللاّم واقعة في جواب الشرط، و«قضى ...» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول، جواب الشّرط غيرالجازم لامحلّ لها.

وفي «بينهم» وجهان: **أحدهما**ـ ظرف منصوب، متعلّق بـ «قضي» ونآئب الفاعل محذوف، هو مصدر الفعل أي قضي القضآء **ثانيهما**ـ ظرف مبنيّ على الفتح في موضع رفع، نائب الفاعل.

«وإنّهم» الواو استئنافية، و«إنّ» حرف توكيد، و«هم» في موضع نصب، إسمها، واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«في شكّ» متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» و«منه» متعلّق بنعت لـ «شك» و«مريب» نعت لـ «شك» والجملة المؤكّدة: «إنّهم ...» مستأنفة لامحلّ لها.

٤٦ ـ (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد)

«من» إسم شرط جازم مبنيّ في موضع رفع، مبتداء، و«عمل» فعل ماضٍ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«صالحاً» مفعول به، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«لنفسه» متعلّق بمحذوف، هو خبر، والمبتداء أيضاً محذوف، والجملة جزآء الشّرط.

تقديره: فجزاء عمله ثابت لنفسه. وفي خبر «مَن» وجهان: **أحدهما** ـ أن يكون «عمل صالحاً» في موضع رفع، خبر المبتداء. **ثانيها** ـ أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآءِ معاً.

«ومن أسآء» الواو عاطفة، و«من أسآء فعليها» مثل «من عمل صالحاً فلنفسه» والضّمير في «عليها» راجع إلى النّفس. وتقدير المبتداء: إسآءة النّفس أو ضرر إسائتها أو جزآء إسآئتها ثابت عليها. والواو استئنافية و«ما» نافية عاملة عمل ليس، و«ربّك» إسمها، والبآء زائدة، و«ظلاّم» مجرور لفظاً، منصوب محلاً خبر «ما» و«ظلاّم» ليس هنا للمبالغة بل للنّسب لأنّ صفات الذّم إذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف أصلها. والمعنى: وما ربّك بذي ظلم لأنّ الله سبحانه لايظلم النّاس شيئاً. ولايخفى على الأديب الأريب: أنّه قد يستغنى عن يآء النّسب بصوغ المنسوب إليه على «فعّال» وذلك غالب في الحِرَف كبزّاز ونجّار وعطّار...

و«للعبيد» متعلّق بـ «ظلاّم» ويجوز أن تكون اللاّم زائدة للتّقوية، والعبيد مفعول ظلام، وجملة «ما ربك ...» مستأنفة لامحلّ لها.

٤٧ ـ (إليه يردّ علم السّاعة وماتخرج من ثمرات من أكمامها وماتحمل من انثى ولا تضع إلاّ بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذنّاك مامنّا من شهيد)

«إليه» متعلّق بـ «يردّ» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، و«علم» فاعل الفعل، أُضيف إلى «السّاعة» والجملة مستأنفة لامحلّ لها، والواو عاطفة وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ نافية، و«تخرج» **فعل مضارع**، و«ثمرات» جمع ثمرة مجرور لفظاً، مرفوع محلاً. فاعل «تخرج» و«من» زائدة للتأكيد أي وماتخرج ثمرة من ثمرات ... **ثانيها** ـ موصولة بمعنى الّذي، مبتداء و«بعلمه» خبره. وفي «من أكمامها» جمع كمّ ـ بالكسر ـ أو كمّة وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «تخرج» **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، نعت لـ «ثمرات». وجملة «ماتخرج ...» معطوفة على المستأنفة السّابقة لامحلّ لها.

«وما تحمل» معطوف على «ماتخرج» و«من انثى» مثل «من ثمرات» و«من» زائدة للتأكيد، واريد بـ «انثى» الجمع، و«لا» نافية، و«تضع» فعل مضارع فاعله

ضمير مستترفيه، راجع إلى «انثى» و«إلاّ» أداة حصر، وفي «بعلمه» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ «تضع» والجملة معطوفة على «ماتحمل» **ثانيهما**ـ متعلّق بمحذوف، حالاً أي إلاّ كائناً بعلمه.

«ويوم ...» الواو عاطفة وفي «يوم» وجهان: **أحدهما**ـ مفعول به لفعل محذوف. تقديره: اذكر يوم ... والجملة معطوفة على الجملة المستأنفة. **ثانيهما**ـ ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ «قالوا» و«ينادي» فعل مضارع من باب المفاعلة، وفاعله ضمير مستترفيه راجع إلى الله تعالى، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جرّ لإضافة «يوم» إليها، و«أين» إسم إستفهام في موضع نصب، على الظرفية المكانية، متعلّق بخبر مقدّم، و«شركائي» مبتداء مؤخّر، وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر. **ثانيهما**ـ مستأنفة بيانية لامحلّ لها.

جملة «قالوا» مستأنفة لامحلّ لها، و«آذنّا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به أي أعلمناك الآن، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«ما» نافية، و«منّا» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«من شهيد» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، وفي جملة «ما منّا من شهيد» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة بيانية لامحلّ لها. **ثانيهما**ـ سادّة مسدّ المفعولين: الثّاني والثّالث لفعل «آذنّاك» لأنّه بمعني أعلمناك.

٤٨ ـ (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا ماهم من محيص)

الواو عاطفة، و«ضلّ» فعل ماضٍ، و«عنهم» متعلّق بـ «ضلّ» بتضمينه معنى «غاب» وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ إسم موصول في موضع رفع، فاعل «ضلّ» **ثانيهما**ـ نكرة موصوفة، فاعل «ضلّ» وجملة «ضلّ عنهم» معطوفة على «قالوا» لامحلّ لها، و«يدعون» في موضع نصب، خبر «كانوا» وفي جملة «كانوا يدعون» وجهان: **أحدهما**ـ صلة الموصول فلامحلّ لها. **ثانيهما**ـ في موضع رفع، فنعت لـ «ما» بكونها نكرة موصوفة، و«قبل» إسم ظرفيّ، مبنيّ على الضّمّ في موضع جرّ، بـ «من» متعلّق بـ «يدعون».

«وظنّوا» الواو عاطفة، و«ظنّوا» فعل ماضٍ، معطوفة على «ضلّ» لامحلّ لها و«ما»

نافية، و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من محيص» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً مبتداء مؤخّر، و«من» زائدة للتأكيد، والجملة في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعول ظنّ المعلّق بالنّفي: «ما» و«أمّا» مَن وقف على «ظنّوا» فحذف المفعولين، والتقدير: ظنّوا ماكانوا عليه في الدّنيا منجياً لهم، ومن جعله ممّا يتعلّق به القسم جعل قوله: «مالهم من محيص» جواباً للقسم، فيتلقّى بما يتلقّى به القسم إذ لم يذكر للظّنّ مفعولاه فالأحسن أن يُجعل بمنزلة القسم، فكأنّه إذا وقع بعد النّفي جرى مجرى القسم، فيكون حكمه حكم القسم.

٤٩ ـ (لايسأم الإنسان من دعآءِ الخير وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط)

«لا» نافية، و«يسأم» فعل مضارع، و«الانسان» فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«دعآء» مصدر اضيف إلى المفعول الثّاني: «الخير» فحذف الفاعل والمفعول الأوّل، والباء من المفعول الثاني، تقديره: «من دعآئه ربّه بالخير» و«من دعآء الخير» متعلّق بـ«يسأم» والواو عاطفة، و«إن» حرف شرط جازم، و«مسّ» فعل ماضٍ في موضع جزم، فعل الشّرط، والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، و«الشّرّ» فاعل الفعل، وجملة «مسّه الشّرّ» معطوفة على جملة «لا يسأم» لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«يؤوس» خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هويؤوس. و«قنوط» صيغة مبالغة إسم الفاعل من الثّلاثّي خبرثانٍ للتوكيد، وجملة «هو...» في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء.

٥٠ ـ (ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ السّاعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ)

الواو عاطفة، واللاّم موطّئة للقسم، و«إن» حرف شرط جازم، و«أذقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، والضّمير: «ه» مفعول به أوّل، و«رحمة»

مفعول به ثانٍ، وجملة «أذقناه» معطوفة على «مسّه الشّرّ» لامحلّ لها، و«منّا» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «رحمةً» و«من بعد» متعلّق بـ «أذقناه» أُضيف إلى «ضرّآءَ» وهي غير منصرفة لألف التأنيث الّتي قامت مقام السّببين: التأنيث ولزومه، و«مسّته» في موضع جرّ، نعت لـ «ضرّآء».

«ليقولنّ» اللاّم لام القسم، و«يقولنّ» فعل مضارع مبنيٌّ على الفتح في موضع رفع والنّون للتوكيد، والفاعل ضمير مستترفيه راجع إلى «الإنسان» وجملة «يقولنّ» جواب القسم لامحلّ لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، و«هذا» مبتداء و«لي» متعلّق بمحذوف، هو خبر المبتداء، والجملة في موضع نصب، مقول القول، والواو عاطفة، و«ما» نافية، و«أظنّ» فعل مضارع للتكلّم وحده و«السّاعة» مفعول به أوّل، و«قآئمة» مفعول به ثان، وجملة «أظنّ» في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

الواو عاطفة و«لئن» كالسّابق، و«رُجعت» فعل ماضٍ، مبنىّ للمفعول، والتآء المضمومة نآئب الفاعل، و«إلى ربّي» متعلّق بـ «رجعت» وجملة «رجعت» معطوفة على «أذقناه» لامحلّ لها، و«إنّ» حرف توكيد، و«لي» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«عند» ظرف منصوب متعلّق بحال من «الحسنى» واللاّم لام القسم و«الحسنى» إسم «إنّ» وجملة «إنّ لي عنده للحسنى» جواب القسم لامحل لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم.

«فلننبّئن» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، واللاّم لام القسم المقدّر، والفعل فعل مضارع للتكلّم مع الغير من باب التّفعيل، مؤكّد بنون الثّقيلة، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«كفروا» صلة الموصول لامحلّ لها، وجملة «ننبّئنّ ...» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها، وجملة القسم المقدّرة جواب شرط مقدر أي «إن قامت السّاعة فلننبّئنّ الّذين كفروا» وفي «بما» وجهان: **أحدهما**- حرف مصدرىّ، والمصدر المؤوّل: «ماعملوا» في موضع جرّ، متعلّق بـ «ننبّئنّ» **ثانيهما**- إسم موصول في موضع جرّ، والعآئد محذوف أي بما عملوه وجملة «عملوا» لامحلّ لها سوآء أكانت صلة الموصول الحرفيّ أو الإسميّ، و«لنذيقنّهم» مثل «لننبّئنّ» و«من عذاب» متعلّق بـ

((نذيقنّهم)) و((غليظ)) نعت لـ ((عذاب)).

٥١ - (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشرّ فذو دعآءٍ عريض)

الواو عاطفة، و((إذا)) ظرف منصوب، شرط غير جازم، أُضيف إلى جملة ((أنعمنا)) فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير في موضع جرّ، لإضافة ((إذا)) إليها، و((على الإنسان)) متعلّق بـ ((أنعمنا)) فعل الشّرط، و((أعرض)) جواب شرط غير جازم، والواو عاطفة، و((نأى)) فعل ماضٍ، معطوفة على جملة ((أعرض)) و((بجانبه)) متعلّق بـ ((نأى)) والبآء للتعدية، وجملة ((إذا مسّه الشرّ)) معطوفة على ((إذا أنعمنا)) والفآء رابطة لجواب الشّرط، و((ذو)) خبر لمحذوف أي هو و((ذو)) خبره أُضيف إلى ((دعآء)) و((عريض)) صفة مشبهة من الثّلاثيّ: ((عرض)) نعت لـ ((دعاء)) وجملة ((هو ذو دعآء ...)) جواب الشّرط لامحلّ لها.

٥٢ - (قل أرأيتم إن كان من عندالله ثمّ كفرتم به من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد)

((قل)) فعل أمر، مستأنفة لامحلّ لها، والهمزة للإستفهام الإنكاري، و((رأيتم)) فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب، وفي مفعولي ((رأيتم)) وجهان: **أحدهما**- أنّ المفعول الأوّل محذوف، تقديره: أنفسكم وجملة ((من أضلّ ...)) في موضع نصب، مفعول به ثانٍ. **ثانيهما**- أنّ جملة ((من أضلّ ...)) سدّت مسدّ مفعولي ((رأيتم)). وجملة ((أرأيتم ...)) في موضع نصب، مقول القول، و((إن)) حرف شرط جازم، و((كان)) فعل ماضٍ ناقص في موضع جزم، فعل الشّرط، وإسمه ضمير مستترفيه، راجع إلى القرآن المفهوم من السّياق، و((من عندالله)) متعلّق بمحذوف، هو خبر ((كان)) وجملة ((إن كان من عندالله ...)) إعتراضية لامحلّ لها، وجواب الشّرط محذوف، دلّ عليه الجملة الإسميّة بعده أي فأنتم أضلّ أو فلا أحد أضلّ منكم. ((ثمّ)) حرف عطف، و((كفرتم)) معطوفة على جملة ((كان ...)) و((به)) متعلّق بـ ((كفرتم)) و((من)) إسم إستفهام، مبتداء و((أضلّ)) أفعل تفضيل، خبره و((ممّن)) متعلّق بـ ((أضلّ))، وقد سبق إعراب الجملة: ((من أضلّ

...» آنفاً. و«هو» مبتداء، و«في شقاق» متعلّق بمحذوف، هو خبر المبتداء و«بعيد» نعت لـ «شقاق» والجملة صلة الموصول: «من» لا محلّ لها.

٥٣ـ «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق أولم يكف بربّك أنّه على كل شئ شهيد»

السّين: حرف تنفيس وتوسيع، تقلب المضارع من الزّمن الضّيق وهو الحال إلى الزّمن الواسع وهو الإستقبال، فتختصّ بالمضارع وتخلّصه للإستقبال، وتنزل منه منزلة الجزء ولهذا لم تعمل فيه مع اختصاصها به، و«نرى» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«آياتنا» مفعول به ثانٍ، وجملة «سنريهم» مستأنفة لامحلّ لها، و«في الآفاق» جمع الأُفق، متعلّق بحال من «آياتنا» و«في أنفسهم» معطوف على «في الآفاق» و«حتّى» حرف جرّ للغاية، و«يتبيّن» فعل مضارع من باب التفعّل، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «حتّى» و«لهم» متعلّق بـ «يتبيّن» وجملة «يتبيّن» صلة الموصول الحرفي: «أن» المضمر لامحلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن يتبيّن» في موضع جرّ بـ «حتّى» متعلّق بـ «نريهم» والمصدر المؤوّل: «أنّه الحقّ» في موضع رفع، فاعل «يتبيّن». «أولم يكف ...» الهمزة للإستفهام التقريريّ، والواو عاطفة، و«لم» حرف جحد جازم، و«يكف» مجزوم بحرف الجحد، وعلامة الجزم حذف لام الفعل، وفي «بربّك» وجهان: **أحدهما**ـ مجرور لفظاً بالباء، منصوب محلاً، مفعول «يكف» والمصدر المؤوّل: «أنّه على كلّ شئ شهيد» في موضع رفع، فاعل «يكف» والمعنى: أولم يكف ربك شهادته على كل شئ. ويجوز أن يكون قوله: «أنّه على كل شيءٍ شهيد» في موضع نصب. بتقدير حذف اللاّم. والمعنى: أولم يكفهم ربك بما دلّهم عليه من توحيده لأنّه على كلّ شيءٍ شهيد. **ثانيها**ـ الباء زائدة و«ربك» هو الفاعل، فمرفوع محلاً. والمصدر المؤوّل بعده بدل منه أو في موضع جرّ بباءٍ محذوفة أي ألم يكفهم ربك بأنّه على كل شئ شهيد. وجملة «يكف بربّك ...» معطوفة على مقدّر لامحل لها تقديره: ألم يغن ربك ويكفه أنّه ...

وفي «أنّه على كل شيْ شهيد» وجوه: **أحدها**ـ أن يكون في موضع جرّ بدلاً من «بربّك» على اللفظ. **ثانيها**ـ أن يكون في موضع رفع، بدلاً من «ربك» على الموضع. **ثالثها**ـ أن يكون في موضع نصب، على تقدير حذف الجرّ وتقديره: بأنّه أو لأنّه على كلّ شيءٍ شهيد.

٥٤ـ (ألا إنّهم في مرية من لقآءِ ربّهم ألا إنّه بكلّ شيءٍ محيط)

«ألا» حرف تنبيه وتأكيد، و«إنّ» حرف توكيد، و«هم» في موضع نصب إسمها، و«في مرية» متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحل لها، و«من لقآءِ» اضيف إلى «ربّ» أُضيف إلى «هم» متعلّق بـ «مرية» و«ألا» الثّانية كالاولى، و«بكلّ» متعلّق بـ «محيط» خبر «إنّ» وجملة «إنّه بكل شيءٍ محيط» مستأنفة لامحلّ لها. و«محيط» إسم فاعل من باب الإفعال أصله: مُحْيِطٌ نقلت حركة اليآءِ إلى الحآءِ فسكنت.

﴿ البيان ﴾

١ ـ (حمٓ)

وقد سبق بيانه في أوّل بيان سورة «المؤمن» فراجع.

٢ ـ (تنزيل من الرّحمن الرّحيم)

تنويه بكتاب الله جلّ وعلا وتقرير بكونه منزّلاً من الرّحمن الرّحيم، تقرير لما اتّصف به الله تعالى من صفتي الرّحمن الدّالّ على الرّحمة العامة للموحّد والمشرك، للمؤمن والكافر، للمخلص والمنافق، للمحسن والمسيئ، وللمصلح والمفسد ... والرّحيم الدّالّ على الرّحمة الخاصّة بالمؤحّدين ... «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» (الأعراف: ٥٦) «اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون» البقرة: ١٥٧) ولتخصيص الوصفين: «الرّحمن الرّحيم» بالذّكر وجوه: **منها**: إشارة إلى بسطة رحمته العامّة على الخلق كلّهم حسب الذّات، وإلى اختصاصها بطائفة منهم باعتبار الصّفات...

قال الله تعالى: «ورحمتي وسعت كلّ شيءٍ فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف: ١٥٦).

ومنها ـ تنبيه على أنّ هذا القرآن ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم رحمة عامّة من جهة وخاصّة من جهة أخرى.

ومنها ـ أنّ في نسبة التّنزيل إلى الوصفين ايذاناً بأنّه مدار للمصالح الدّينية والدّنيوية، واقع بمقتضى الرّحمة الرّبانيّة حسبما ينبئ عنه قوله عزّوجلّ: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» (الأنبيآء: ١٠٧).

ومنها ـ ايمآء إلى الوعد والوعيد والإنذار والبشارة، وفيه تهديد لأهل الكفر والضّلالة، وتطمين لأهل الايمان والهداية.

ومنها ـ إشارة إلى أنّ الخلق في هذا العالم النّاسوتي كالمرضى المحتاجين إلى الدّوآء وأنّ القرآن الكريم هو الّذي يشتمل لكلّ مايحتاج إليه المرضى من الأدوية ومايحتاج إليه الأصحآء من الأغذية، فكان رحمة لهم ولطفاً بهم.

قال الله تعالى: «ونـزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» النّحل: ٨٩) فهذا التنزيل يصلح للنّاس دنياهم كما يصلح لهم آخرتهم لو آمنوا به وعملوا بما فيه.

٣ـ (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

وقد وصف القرآن الكريم بأنّه «كتاب» وإن كان المرجع فيه إلى كلام مسموع لأنّه مما ينبغي أن يكتب ويدوّن لأنّ الحافظ ربما نسيه أو نسى بعضه فيتذكّر، وغير الحافظ فيتعلّم منه، مع ما فيه دلالة على أنّه كان يكتب ويدوّن في زمن الوحي، وإشارة إلى أنّ هذه الرّحمة المنزلة من عندالله جلّ وعلا كتاب يقرأ ويدرس ويعمل به، وتتلقّى منه الحكمة والمعرفة، فهو من حظّ العقول والقلوب والأرواح، وليس متاعاً كالأنعام ونحوها مما هو ممن حظّ الأبدان والجوارح والبطون...!

ثمّ وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأنّ التفصيل يأتي على وجوه البيان و وضوح الغايات ... أي هذا القرآن كتاب بيّنت آياته بياناً تامّاً، والتّبيين فيه على وجوه منها ـ تبيين الواجب ممّا ليس بواجب، وتبيين الاولى في الحكمة ممّا ليس بأولى، وتبيين الجآئز ممّا ليس بجآئز، وتبيين الحق من الباطل، وتبيين الدّليل على الحقّ ممّا ليس بدليل، وتبيين مايرغب فيه ممّا لايرغب فيه، وتبيين ما يحذر منه مما لايحذر منه، وتبيين جملة عن جملة، أو مفرد عن مفرد، وغيرها من الوجوه...

وفي وصفه بالتفصيل دلالة على أنّه في غاية الكشف والبيان لقوم يستطيعون أن يفهموه و يدركوا ما احتواه، وأنّ مدار أمر البيان على تبيين مايحتاج إليه الإنسان في كلّ

ظرف من امور دينه ودنياه الّتي يحتويها القرآن الكريم، وأنّ هذا الكتاب ليس ذا موضوع واحد، شأن الكتب المعروفة، فهو ليس كتاب فقه وفروع أو كتاب اصول فقه وجدل، أو كتاب منطق وأدب، أو كتاب فلك وحساب، او كتاب فلسفة وسفسطة، أو كتاب دور وتسلسل، أو كتاب طبّ ودوآء أو كتاب قصص وتاريخ ... أو نحو هذا ممّا هو موضوع كلّ كتاب ...

إنّما هذا القرآن هو كتاب الكون ونواميس الوجود كلّه، يحمل بين دفّتيه كلّ علم وكلّ فنّ، حيث هو جامعة العلوم والمعارف، وشاملة للأسرار والحكم كلّها... لمن آتاه الله عزّوجلّ عقلاً مبصراً، وبصيرة مشرقة، وقلباً سليماً وروحاً صافية... وهم أهل بيت الوحي عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته وهم أهل الذّكر لابدّ وأن يسئلهم عنه غيرهم إذ قال الله تعالى فيهم: «ومايعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم» آل عمران: ٧) «فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» النّحل: ٤٣).

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «هم موضع سرّه ولجأ أمره وعيبة علمه ومؤئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وإنّ الكتاب لَمَعِيَ ما فارقته مذصحبته».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السّمآءِ أعلم منّي بطرق الأرض».

فني هذا الكتاب قطوف دانية من كلّ علم، وثمار شهية طيّبة، مختلفة الألوان والطّعوم من كلّ فنّ ... وفيه قال الله جلّ وعلا: «ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين» الأنعام: ٥٩) «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ» النّحل: ٨٩).

وفي نهج البلاغة: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أُخبركم عنه، ألا إنّ فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضى

ودوآء دائكم ونظم مابينكم».

وقال رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته» إنّه مأدبة سماوية، لاينفد عطاؤها، ولاينقص ماعليها، مهما كثرت الأيدي المتناولة منها ... ولايخفى على أهل الأدب والبيان من الفرق بين الشّرح والتفصيل، حيث إنّ الشّرح هو بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلّي والظّهور، ولهذا لايستعمل الشّرح في القرآن الكريم، وإنّ التفصيل هو ذكر ما تضمنه الجملة على سبيل الإفراد، ولهذا قال الله تعالى: «كتاب فصّلت آياته ...» ولم يقل: «شرحت ...» وفرق آخر: أنّ التفصيل هو وصف آحاد الجنس وذكرها معاً وربما احتاج التفصيل إلى الشّرح والبيان، والشّئ لايحتاج إلى نفسه.

وأمّا الفرق بين التفصيل والتقسيم فانّ في التفصيل معنى البيان عن كلّ قسم بما يزيد على ذكره فقط، والتقسيم يحتمل الأمرين، والتقسيم يفتح المعنى، والتفصيل يتمّ بيانه.

وقوله تعالى: «قرآناً عربيّاً» وصف هذا الكتاب المفصّل بأنّه قرآن إذ جمع بعضه إلى بعض: «إنّ علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثمّ إنّ علينا بيانه» القيامة: ١٧-١٩) وبأنّه عربيّ لأنّه يخالف جميع اللغات الّتي ليست بعربية لأنّ لغة العرب أفصح اللغات ممّا يوجب أن تتوفّر عليه الرّغبات، ولا سيّما العرب ومن داناهم، ولأنّها قليلة اللفظ، وكثيرة المعنى ليس مثلها لغة من اللغات المتداولة نحو (٥٠٠٠) لغة في العالم لفظاً ولا معنىً، وكل ذلك يدلّ على حدوث القرآن الكريم إذ نزّل به جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم : «وانّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشّعرآء: ١٩٢-١٩٥) ولا يكون التنزيل إلّا محدثاً.

وقوله عزّوجلّ: «لقوم يعلمون» في تنكير «قوم» و وصفهم بالعلم إشعار إلى أنّ ملاك فضيلة كلّ قوم هو العلم بالكتاب المفصّل سوآء أكانوا عرباً أم عجميّاً، فمن كان حظّ علمه ومعرفته بالقرآن الكريم أكثرو أو في فهو أعلم وأفضل وأكرم عرباً كان أو عجماً، ومن حرم العلم والمعرفة بالتنزيل فلا نصيب له منه ولا علمَ عرباً كان أو

عجماً، وكلّ علم لايستند إلى القرآن المفصّل فلا شأن له فقها كان أو اصول الفقه فضلاً عن غيرهما ... فليست العربيّة من دون علم بالتنزيل فضيلة للعرب ولذلك جآءت الآيات التّالية للآية الثّالثة الّتي احتوت هذه الجملة تعلّل موقفهم بكونه موقف المكابر العنيد المتصامم عن قصد وتصميم. وفي الجملة ترغيب،ترغيب في العلم بالكتاب المفصّل آياته...

٤ ـ (بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون)

بيان لحال اخرى من هذا التنزيل المفصّل، تكشف عن موضوعه، بعد أن كشفت الحال الاولى: «قرآناً عربياً» عن صفته، فهو بشير لأهل العلم والايمان وأهل العمل به والتقوى بالفوز بالخير والكمال في الحياة الدّنيا، وبرضوان الله تعالى والخلود في جنّات النّعيم في الدّار الآخرة، ونذير لأهل الجهل والكفر به والفجور بالشرّ والإنحطاط في الدّنيا، وبسخط الله والخلود في نار الجحيم في الآخرة، ففي كونه بشيراً ونذيراً دلالة على أنّ إحتياج الإنسان إليه في كلّ ظرف من أهمّ المهمّات لأنّه سعى في معرفة مايوصل إلى الخير والثّواب والسّعادة الأبدية، ويخلص من الشرّ والعقاب والشّقاوة السّرمدية.

وقوله تعالى: «فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون» إخبار من الله عزّوجلّ عن القوم الجاهلين الكافرين أنّ أكثرهم عدلوا عن التفكّر فيه وعن سماعه، فهم لا يسمعون لعدولهم عنه أو يسمعون ولكنّهم لايتفكّرون فيه ولايتدبّرون آياته ولايقبلونه ولايعملون به، فكأنّهم لايسمعونه حقيقة، ففيه تشبيه واستعارة وكناية عن اعتيادهم على العناد مع الحقّ والصّمود على التمرّد والطّغيان ... وفي الجملة بيان لما تكشفّت عنه الحال من أمر هؤلآء الّذين أنزل الله تعالى عليهم هذه الرّحمة، ومدّ مائدتها بين أيديهم «فأعرض أكثرهم» عنها، وأبوا أن يمدّوا أيديهم إليها «**فهم لايسمعون**» إذ قد أصمّوا بسوء إختيارهم آذانهم عن دعوة الدّاعى، فلم يلتفتوا إلى مايدعون إليه من خير وكمال، ومايمدّهم من رحمة وإحسان...

٥ - (وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون)

تقرير لسبب إعراضهم عن القرآن الكريم وعدم سماعه، وحكاية لما كان من مواقف مشركي مكّة الحجاجية وشدّة إنكارهم وإعراضهم وتحدّيهم للقرآن المجيد، وتنديد بهم، إذ كانوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ قلوبنا محجوبة فلا يتسرّب إليها شئ مما تدعونا إليه، وإنّ في آذاننا صمماً يجعلنا بحيث لانسمع ماتتلوه علينا، وإنّ بيننا وبينك سدّاً لاينفذ إلينا منه شئ من دعوتك ونذرك ، وإنّنا ثابتون مصرّون على مانحن عليه فافعل ماشئت ونفعل ماشئنا؟

ففيه إعتراف منهم بالإعتياد على العناد مع الحقّ والصّمود على التمّرد والطّغيان ... إذ جعلوا الختم والطبع على قلوبهم من ذات أنفسهم: «قلوبنا في أكنّة ...».

إن تسئل: كيف الجمع بين قوله تعالى: «وقالوا قلوبنا في أكنّة» وقوله عزّوجلّ: «إنّا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً» الكهف: ٥٧)؟

تجيب عنه: إنّ قوله تعالى: «إنّا جعلنا ...» تعبير كنائيّ وإخبار عن واقعيّة سوداء هم اكتسبوها، والدّليل على ذلك هو قوله تعالى حكاية عن أنفسهم: «وقالوا قلوبنا...» فانّه مسبوق بقوله عزّوجل: «فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون» وملحق بقوله جلّ وعلا: «قل إنّما أنا بشر مثلكم... و ويل للمشركين» فلولا أنّه من صنيع أنفسهم بالّذات لما صحّ تكليفهم ولا توجيه الملامة والتّوبيخ إليهم لوكانوا غير قادرين على الايمان واتيان الأعمال الصالحة!

فهم أو جدوا بسوء اختيارهم هذه الأكنّة وعملوا في تغليظها والمزيد من تكاثفها على أثر مبالغتهم في الإعراض عن الحق والهدى وإرتكاب الآثام والخطايا ... وقد نسب الله تعالى الأكنّة إلى نفسه في قوله: «إنّا جعلنا ...» لأنّه هو الّذي منح القوى وجعل لهم الإختيار في الرّفض والايمان، وأقدرهم على العمل إن خيراً وإن شرّاً.

فهم مردوا على الكفر والطغيان فلا يؤمنون أبداً بهذه الأكنّة، وهي أكنّة القسوة والجفاء والتعامى عن معاينة الحق بسوء إختيارهم.

في تلخيص البيان للسّيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه **في قوله تعالى:** «وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر» قال: «وهذه إستعارة، والأكنّة جمع كنان وهو السّتر والغطآء مثل عنان وأعنّة وسنان وأسنّة، وليس هناك على الحقيقة شئ ممّا أشاروا إليه، وإنّما اخرجوا هذا الكلام مخرج الدّلالة على استثقالهم مايسمعونه من قوارع القرآن وبواقع البيان، فكأنّهم من قوّة الزّهادة فيه وشدّة الكراهية له قد وقرت أسماعهم عن فهمه وأكنّت قلوبهم دون علمه، وذلك معروف في عادة النّاس أن يقول القآئل منهم لمن يشنأ كلامه ويستثقل خطابه. ما أسمع قولك، ولا أعي لفظك، وإن كان صحيح حاسّة السّمع إلاّ أنّه حمل الكلام على الإستثقال والمقت، وعلى هذا قول الشّاعر:

وكلام سيئ قد وقرت أذني عنه ومابي من صمم

فاطلق الصمم على واجد السّمع لاشتراك الواجد والفاقد في الأثر من عدم الإنتفاع به أو إهماله فيما يقتضى الإعمال، كما يجوز اطلاق نفي النّطق عن النّاطق بهذا الإعتبار إذ لم يكن نطقه مجدياً ولا وافياً بأعذاره.

وفي الآية الكريمة ثلا ثة أعذار زعموا أنّها تعذرهم عن إعراضهم عن القرآن الكريم، وعن سماعه إمعاناً في العناد واللجاج، وتعلّلاً واحتقاراً لدعوته، وتيئيساً للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لينذرهم كماهم، فيذروه كما هو:

١ ـ «قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه» كناية عن كون قلوبهم بحيث لايصل إليه مايدعوهم إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من التّوحيد كأنّها مغطّاة بأغطية لايتطرّق إليها شئ من ورآئها، وهم صادقون في أكنّة قلوبهم، ولكن الإمتناع بالإختيار إذ كفروا وأصرّوا ...

٢ ـ «وفي آذاننا وقر» يمنعنا من إستماع قولك، فيكون طرق ورود الدّعوة إلى القلوب وهي الآذان مسدودة فلا تلجها دعوة ولاينفذ منها إنذار ولا تبشير.

٣ ـ «ومن بيننا وبينك حجاب» يمنعنا عن إجابتك وعن التوصّل إليك فلا يجمعنا معك جامع وفيه تمام الإياس.

وفي لفظة «من» دلالة على أنّ الحجاب مبتدأ من ناحيتهم حتّى وصل إليه بحيث استوعب المسافة المتوسّطة، ولم يبق فراغ.

وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن إدراك مايدعوهم إليه واعتقادهم ومجّ اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومن ضلال هؤلآء الجاهلين المعرضين عن دعوة الحقّ والهدى الّتي يدعوهم هذا الكتاب المفصّل إليها: أنّهم أحكموا إغلاق الطّرق والنّوافذ بينهم وبين رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم فلم يَدَعوا منفذاً تنفذمنه كلماته إليهم... ولقد أحكموا إغلاق قلوبهم حتّى إذا سمعت آذانهم شيئاً من هذا الوحي السّماويّ ـ عَرَضاً من دون قصد ـ لم تنفذ إلى قلوبهم الّتي هي موطن الوعي والإدراك، ثمّ ـ زيادة في الإحتياط، وحراسة لآذانهم من أن يقع فيها شئ من القرآن عَفْواً ـ جعلوا بينهم وبين النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم حجاباً بالبُعد عنه، واجتناب أيّ مكان يكون فيه، حتّى يأمنوا أن تطرق كلمة من كلماته أسماعهم...! لقد أمن القوم أو هكذا خُيّل إليهم أنّهم قد أمنوا... إذ قد فرّوا من وجه هذا النهار، ودفنوا رؤسهم في الرّمال...! وفيه تحذير من مثل حالهم في كلّ من دُعِيَ إلى أمر أن لايمتنع أن يكون هوالحقّ، فلايجوز أن يدفعه بمثل ذلك الدّفع.

وقوله جلّ وعلا: «فاعمل إنّنا عاملون» تفريع على ماسبق، فيه تحدّى للنّبيّ من جهة وتهديد له صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة اخرى، **وهذاغاية في العنادواللجاج...!**

٦ ـ (قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)

وقد أُمِرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالرّدّ على مشركي مكّة ومن يسلك مسالكهم في كلّ ظرف، والجواب عن مقالتهم: «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه ...» بقوله لهم: «إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنّما إلهكم إله واحد ...» نده هي مهمّتي

ومهمّة جميع الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام في رسالاتهم ... فعليّ البلاغ وعليكم القبول والايمان من دون قسر ولا إجبار، فاذا صحّت بالوحي نبوّتي وجب عليكم إتباعي، هذه هي رسالتي أعلنها على الأجيال فادرسوها بتجرّد وانصاف تجدونها دعوة الحقّ والعقل والصّلاح والكمال، فلا أجبركم على الايمان ولا أحملكم على التّوحيد قسراً فانّي لست إلّا بشراً مثلكم في الجنس والصّورة والهيئة، أُعاشركم كما يعاشر بعضكم بعضاً، وأُكلّمكم كما يكلّم أحدكم صاحبه فلست من جنس يباينكم كالملك والجنّ حتّى لايمكنكم التلقّى منه، ولايرد قولى في قلوبكم أو لاينفذ. كلامي في آذانكم أو يكون بيني و بينكم حجاب مضروب، ولا أدعوكم إلى ماتنبوعنه العقول...

إنّما أدعوكم إلى التّوحيد: كلمة التّوحيد، وتوحيد الكلمة، الّذي دلّت عليه الدّلائل الكونية، وأيّدته الآيات التدوينية المنقولة عن الأنبيآء والمرسلين جميعاً من آدم ومن بعده، وقبلته الفطرة السليمة البشرية، وهو أنّما إلهكم الّذي يليق للعبادة هو إله واحد لا إله إلّا هو لا آلهة متفرّقون، فاله الخلق أجمعين واحد، فاستقيموا واستووا إليه بالتّوحيد وإخلاص العبادة، والإستغفار عما بدامنكم من شرك وضلالة، ومن كفر وجهالة، ومن ذنوب وأخطآء ...

في قوله عزّوجلّ: «إنّما أنا بشرٌ مثلكم» إشارة إلى خطأ مايظنّه المشركون في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّه إنّما يستعلى عليهم بما في يديه من هدى، ومايتلوه عليهم من آيات ربّه ... فالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ كسآئر الرّسل: «قالت لهم رسلهم إن نحن إلّا بشر مثلكم» إبراهيم: ١١) بشر مثلهم قبل كلّ شيءٍ، وأنّ هذا الّذي آتاه الله من فضله «ولكنّ الله يمنّ على من يشآء من عباده» إبراهيم: ١١) لايخرجه عن بشريته، إنّ الإنسان هو إنسان قبل كلّ شيءٍ، ومايؤتاه من الله تعالى من بسطة في الجسم أوسعة في الرّزق أو روعة في الحسن والجمال أو نفاذ في البصيرة والإدراك ... لن يخرجه عن كونه إنساناً.

وفي هذا عزآء للنّاس الّذين لم يكن لهم حظّ موفور من هذا الّذي مع غيرهم من مادّيّات الحياة ومعنويّاتها... فانّهم لوعقلوا لعلموا أنّهم شركآء في هذا الّذي يرون

أنفسهم أنّهم حرموا منه وهو البشرية ... إنّه ملك الإنسانيّة كلّها يضاف إلى رصيدها ممّا هو مرغوب فيه عندها... كما أنّ مافي بعض النّاس من نقص وعيب هوممّا يحسب على الإنسانية كلّها وممّا تخفّ به موازينها... وإذن، فانّ الّذي ينبغي أن يأخذ به الإنسان نفسه ليكون عضواً في هذه الشّركة العامّة، هو أن يدخل فيها برصيد طيّب، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حتّى يأخذ بمقدار مايعطي ... وإلاّ كان معتدياً ظالماً...

وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو بشرٌ مثلهم، وقد أكرمه الله تعالى بهذا الرّزق السّماوى العظيم الّذي بين يديه من كتاب الله جلّ وعلا، وإنّ كلّ ما هوعليه أن يدعو النّاس إليه وإلى السّير في طريقه المستقيم، فعليهم أن يأخذوا مااستطاعوا حمله منه، وإنّ الشّقي من حرم نفسه من هذا الغذآءِ الّذي هو حياة الأرواح، وغذآء العقول والقلوب ... «استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال: ٢٤).

وقوله تعالى: «يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد» صفة اخرى لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إلى جانب صفته البشرية، وهو أنّه رسول يُوحى إليه من ربّه، وأنّ موضوع هذا الوحي هو تقرير وحدانية الله جلّ وعلا، وأنّه لا إله إلاّ هو، وأنّ كل محامل الوحي هو تقرير هذه الحقيقة وتأكيد والعمل في ظلّها...

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥).

وقوله تعالى: «فاستقيموا إليه ...» الفآء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ايحاءِ الوحدانيّة، فانّ ذلك موجب لإستقامتهم إليه تعالى بالتّوحيا. والإخلاص في الأعمال ... وفي تعدية الإستقامة بـ «إلى» لما فيه من معنى الإستوآءِ أي فاستووا إليه بذلك. والإستقامة هي الإستمرار على جهة واحدة. وقيل: الإستقامة هي مساواة الأحوال مع الأفعال والأقوال ... وهو أن لايخالف الظّاهر الباطن، والعكس، فاذا استقمت إستقامت أحوالك ...

فقوله تعالى: «فاستقيموا إليه» تعقيب على هذه الحقيقة الّتي جآئت بها رسالة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ونزلت بها آيات الله، وحياً إليه من ربّه «فاستقيموا إليه»

أي إتّجهوا إلى إلهكم الواحد دون أن تلتفتوا إلى ورآء أو يمين أو شمال ... نحو ماتعبدون من آلهة ... بل اجعلوا وجوهكم إلى الله وحده واسعوا إليه في استقامة وجدّ «واستغفروه» لما كان منكم من شرك وكفر به، وجهل وضلال عنه واختلاف وفرقة فيه ...

وقوله عزّوجلّ: «و ويل للمشركين» وعيد للمشركين الّذين يمسكون بشركهم، ولا يتحوّلون عنه إلى الايمان بالله وحده، وترهيب وتنفير لهم عن الشّرك والجهالة إثر ترغيبهم في العلم والهداية. وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم مالا يخفى.

٧ ـ (الّذين لايؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون)

إشارة إلى صفتين من أخصّ صفات المشركين، وهما عدم ايتآئهم الزّكاة، وكفرهم بالآخرة، وقد جعل تعالى منع الزّكاة بين الشّرك بالله سبحانه والكفر بالآخرة اذ وصفهم بقوله: «الّذين لايؤتون الزّكاة» بعد وصفهم بالشّرك بالله سبحانه لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزّكاة حيث جعل من أوصافهم وقرن بالكفر بالآخرة حيث قال: «و«هم بالآخرة هم كافرون» على سبيل التوكيد بالضمير: «هم» عطفاً على «يؤتون» داخل في حيّز الصّلة، وإختلافهما بالفعليّة والإسميّة لما أنّ عدم ايتآءِ الزّكاة متجدّد والكفر أمر مستمرّ، وقد جعل منع الزّكاة مقروناً بالكفر بالآخرة لأنّ أحبّ الأشيآءِ إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فاذا بذله في سبيل الله تعالى فذاك أقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيّته وصفآء طويته، وفيه حثّ شديد وبعث للمؤمنين على أدآءِ الزّكاة وتخويف من منعها حيث جعله من أوصاف المشركين، ومقروناً بالكفر بالآخرة. وقد خصّ الزّكاة بالذّكر تقريعاً لهم على شحّهم الّذي يأنف منه أهل الفضل، ويتركون مايقتضي أنّهم أن يعملوه عملوه لأجله، وفي ذلك دعآء لهم إلى الايمان وصرف لهم عن الشّرك والطغيان.

إن تسئل: كيف اختار تعالى عدم اتيان المشركين الزّكاة وجعلها من أخص

الصّفات البارزة فيهم؟ كيف تكون الزّكاة المَعْلَمَ الأوّل للتّوحيد والايمان بالله تعالى، حتّى يكون عدم أدآئها المَعْلَم البارز من معالم الشّرك والكفر بالله سبحانه؟ وكيف يكون هذا شأن الزّكاة في هذه المرحلة من الدّعوة الّتي لم تكن الزّكاة قد فُرِضَت فيها على المسلمين إذ أنّ السّورة مكّيّة والآية مكّيّة كذلك، والزّكاة إنّما فُرضت في المدينة؟

نجيب عنها بأجوبة:

منها - أنّ المراد بالزّكاة ليس هو الزّكاة المفروضة، بل المراد بها هو الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي وجوه الخير ابتغاء وجه الله جلّ وعلا، فكلّ ماينفق في سبيل الله وابتغاء وجه الله هو زكاة وطهرة للمنفق.

ومنها - أنّ الزّكاة بهذا المعنى لم تجئ صفة أصليّة، وإنّما جآئت حالاً من أحوال الّذين لايؤمنون بالآخرة ... فهذه الحال - وهي عدم ايمان المشركين بالآخرة - هي الّتي جعلتهم لايؤتون الزّكاة، فلو أنّهم كانوا يؤمنون بالآخرة لأعدّوا لها عدّتها، ولسخت أيديهم بالإنفاق في وجوه الخير، ليكون لهم من ذلك زاداً مايتزوّدون به لهذا اليوم.

ومنها - أنّ الإتيان للزّكاة يشمل الإتيان لكلّ طيّب، ولكلّ مايتطهّر به الإنسان ويزكو، ولاطهر ولازكاة مع الشّرك بالله سبحانه، فيكون من المعاني الّتي يشير إليها قوله تعالى: «الذين لايؤتون الزّكاة» أي الّذين لايؤمنون بالله تعالى، ويكون الإتيان هنا بمعنى التّسليم وإعطآء الولآء لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فالمعنى: إنّهم لايطهّرون أنفسهم من الشّرك بالتّوحيد وهو أوّل الزّكاة بالتطهير. وغيرها من الأجوبة فتأمّل جيّداً.

وقوله عزّوجل: «وهم بالآخرة هم كافرون» حال مشعرة بأنّ إمتناعهم عن الزّكاة لإستغراقهم في طلب الدّنيا وإنكارهم المجازاة في الدّارالآخرة، فهذا وصف آخرلهم وهو من لوازم مذهبهم وهو إنكار المعاد، ولذلك أتى بضمير الفصل: «هم» ليفيد أنّهم معروفون بالكفر بالآخرة.

٨ - (إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون)

بشارة للمؤمنين و وعد للصّالحين بأجرالله الدّآئم، وفي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم والتّوكيد بالجزآء الاخروي، وفي تنكير «أجر» وتوصيفه بكلمة «غير» منكر اضيف إلى «ممنون» منكر من التعظيم والتنويع باعتبارين مالا يخفى على أهل الأدب والبيان، فلهم أجر لايجرى ببيان ولا يدرك كنهه، أجر لايصفه الواصفون، ولايحصيه العادّون ولايقدر قدره المجتهدون، أجر لايمنّ به عليهم، وأجر إزاء ايمانهم وصالح أعمالهم ... إزاء صدقهم وصفآئهم، إزاء صلاحهم وفلاحهم، إزاء امانتهم وعدالتهم، إزآء زهدهم وطاعتهم، وإزآء اجتنابهم عن الشّرك والطغيان، وعن الكفر والعصيان ... فلا يعطون مجّاناً قديحمل المنّة تثقل على المعطى عليه. وفي ذلك ترغيب في الايمان والطاعة، وحثّ على البرّ وصالح الأعمال، وزجر عن الشرك والعدوان، وردع عن الإثم والكفران ...

٩ - (قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)

أمر ثانٍ من الله عزّوجل لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بتوجيه سؤال إستنكاري فيه معنى التقريع عمّا إذا كان يصحّ منهم أن يكفروا بالله سبحانه ويجعلوا له شركآء معادلين في حين أنّه هو وحده ربّ العالمين جميعاً، وأنّه وحده خلق الأرض في يومين وأوجد فيها ماتحتاج إليه هي وأهلها في يومين آخرين، أمر جلّ وعلا نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يستفهم عن شركهم بالخالق الواحد مع ظهور آيات وحدانيته في خلق الكون كلّه وتدبير نواميس الوجود جميعه بعد ما أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلاً بدفع قولهم: «قلوبنا في أكنّة ...».

الإستفهام تعجيبيّ خطاب للكفّار عامّة، إنكار وتشنيع وتوبيخ على الإجترآء في كفرهم بالله العليّ العظيم الّذي خلق الأرض في أسرع وقت، وأقرب زمان، وعلى الإلحاد في ذاته وصفاته واختلاق أنداد له ليست لهم هذه القدرة، بل ولاجزء منها، فانّ

الّذي له هذه القدرة هو ربّ العالمين الّذي خلق الخلائق بقدرته، وملك التصرف فيهم بتدبيره.

ولذا أكّد المستفهم عنه بكلمتي التّوكيد: «إنّ» و«اللاّم» إمّا لتأكيد الإنكار وإما للاشعار بأنّ كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه، فيحتاج إلى التّوكيد المكرّر، كأن المستفهم لايكاد يذعن بكفرهم بالله تعالى وقولهم بالأنداد مع ظهور المحجّة واستقامة الحجّة.

وتقديم الهمزة لإقتضآئها الصّدارة لإنكار التّوكيد.

والمعنى: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن خلق الأرض في مقدار يومين؟ وكيف تجعلون له أمثالاً تعبدونها وليس كمثله شئ؟

وقوله تعالى: «قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين ـ ذلك تقدير العزيز العليم»: ٩ـ ١٢) أربع آيات لانظير لها من بين الآيات القرآنية في تفصيل أيّام خلق السّموات والأرض ومابينهما بعد ما اجملت الآيات السّبع فيها، وهي: ١ـ سورة الأعراف: ٥٤) ٢ـ سورة يونس: ٣) ٣ـ سورة هود: ٧) ٤ـ سورة الفرقان: ٣٩) ٥ـ سورة السّجدة: ٤) ٦ـ سورة ق: ٣٨) ٧ـ سورة الحديد: ٤) ولكنّها تركت اجمالات بعد تفصيلاتها ممّا حيّرت ألباب الباحثين عنها، فأصبحت معترك الآرآء المتضاربة سنشير إليها...

إنّ الآيات الأربع إستمرار في التقريع والإنذار والجدل الّذي ابتدأ في الآيات السّابقة لها، والآيات الأربع قويّة الاسلوب والمضمون بسبيل ذلك، ولقد كان المشركون الّذين توجّه إليهم الآيات يعترفون بأنّ الله تعالى هو خالق السّموات والأرض ومابينهما، ومافيها على ماحكته آيات عديدة عنهم منها قوله عزّوجل: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض وسخّر الشّمس والقمر ليقولنّ الله فأنّى يؤفكون» العنكبوت: ٦١) فجآئت الحجّة فيها مفحمة لهم كما أنّ اسلوب الآيات الأربع هنا أيضاً واضح الدّلالة على أنّ البيان الّذي احتوته إنّما قصد به إسترعاء الأذهان إلى بالغ قدرة الله وعظمته وعلمه وحكمته في مشاهد الكون وأرضه وسمآئه و وسآئله ونواميسه الماثلة لعيون النّاس والمالئة أفكارهم حيرة وروعة ليكون من ذلك وسيلة اقناع وإفحام

باستحقاق الله تعالى وحده للعبادة وسخف اتّخاذ الشّركآء له سبحانه، وضلال من كفر برسالة رسوله وكتابه الّذي نزّله عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم بل تكرّر ورود هذه المواضيع في القرآن الكريم مرّات عديدة بأساليب متنوّعة ممّا يؤيّد ذلك.

وقوله عزّوجلّ: «بالّذي خلق الأرض في يومين» في تعليق كفرهم بالموصول تفخيم لشأنه تعالى واستعظام كفرهم بالله سبحانه.

وقوله جلّ وعلا: «وتجعلون له أنداداً» عطف على «تكفرون» داخل في حكم الإنكار والتوبيخ وهذا تخصيص بعد التّعميم، إذ عمّم الكفر أوّلاً ثمّ خصّص بنوع الشّرك.

وجمع الأنداد باعتبار ماهو الواقع لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدّد أي وتجعلون له سبحانه أنداداً والحال أنّه لايمكن أن يكون له ندّ واحد؟!

وقوله تعالى: «ذلك» إشارة إلى الموصول باعتبار إتّصافه بما في حيّز الصّلة، ومعنى البُعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه ايذان ببُعد منزلته في العظمة، ورفع ساحته عزّوجلّ وتنزيهه عن أمثال هذه الأوهام ... فهو ربّ العالمين لأمر الخلق أجمعين، فلا مسوّغ لأن يتوهّم ربّاً آخر سواه وإلهاً آخر غيره وإفراد الكاف لعدم تعيين المخاطبين.

وقوله عزّوجلّ: «ربّ العالمين» جمع عالم وهوما سوى الله، وقد جمع لإختلاف أنواعه بالياء والنّون تغليباً للعقلآء.

وفي الآية الكريمة دلالة على أنّ الله تعالى يستدلّ على اثبات ذاته وصفاته بأفعاله الّتي تدل على إثبات صفاته إمّا بنفسها كما تدلّ صحّة الفعل على كونه قادراً، وإحكامه يدلّ على كونه عالماً، وإمّا بواسطة كما يدلّ كونه قادراً عالماً لى كونه حيّاً سميعاً بصيراً...

١٠ - (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواءً للسّآئلين)

تقرير لوجوه حكمته تعالى وتدبيره بعد خلق الأرض في يومين إذ جعل في الأرض جبالاً ثابتات من فوقها لكي لا تميد بأهلها وتنقلب بمن فيها، وبارك فيها بما خلق فيها

من أنواع النّبات والجماد والحيوان، ومالها من منافع ... وقدّر فيها أقوات أهلها من الايجاد والتعيين لكلّ نوع مايصلحه ويضمن له العيش والبقآء، وخصّ حدوث كلّ نوع بقطر من أقطارها ليكون سبباً للتلاؤم والتّداني والرّبط بين أهلها ... فيكون ايجاد نفس الأرض في يومين، وايجاد هذه الأشيآء في يومين، فالمجموع أربعة أيّام إستوت إستواءً للسّائلين عن خلق الأرض ومافيها، ثمّ خلق السّمآء في يومين آخرين فتلك ستّة أيام، فتكون هذه الآيات موافقة لسآئر الآيات من خلق السّموات والأرض ومابينهما في ستّة أيام ...

ولا يبعد أن يكون المراد من الزّمن المحدّد لما خلق الله تعالى من مخلوقات: «يومين- أربعة أيام - ستّة أيام» ماهو منظور فيه إلى طبيعة المخلوق لا إلى قدرة الخالق المتعال، وإلى أنّ هذا الزّمن هو الّذي قدّره الخالق جلّ وعلا لينضج فيه المخلوق، ويستوفي فيه تمام خلقه كالجنين في الرّحم، حيث يتمّ تكوينه في تسعة أشهر في عالم الإنسان، وفي زمن أقلّ أو أكثر في العوالم الاخرى من الأحيآء ... فالزّمن جزء من وجود كلّ موجود، وفي تطوّره من حال إلى حال ... سوآء في هذا الحيوان والإنسان والنّبات والجماد ...

فقوله تعالى: «خلق الأرض في يومين - في أربعة أيام» إشارة إلى الزّمن الّذي نضجت فيه الأرض، وتمّ تكوينها، وتهيّأت لاستقبال الحياة فيها لاعلى مازعمه الخرّاصون الحمقآء من انفصال الأرض من المنظومة الشّمسيّة «إن يتّبعون إلّا الظّنّ وإن هم إلّا يخرصون» الأنعام: ١١٦).

والأيّام هنا هي أيّام الله تعالى أي الأيام الّتي يحويها فلك الكون ونواميس الوجود، فكل فلك له زمن معلوم، تمّ فيه دورته، وتلك الدّورة هي يوم كيوم عالمنا الأرضى، في يومين من أيام الله جلّ وعلا ولا يعلم قَدْرَ هذا اليوم إلّا الله تعالى، ثمّ تكوين جرم الأرض، فكانت أشبه بالعلقة في رحم الأمّ ... ثمّ بعد ذلك بدأت تظهر عليها الجبال، وتجرى فيها الأنهار، وتتحدّد عليها كميات الهوآء والحرارة إلى أن أصبحت صالحة لأن تلد الكآئنات الحيّة، وأن تمدّها بالغذآء الّذي يحفظ عليها حياتها... وذلك في مدى يومين آخرين من آيام الله تعالى فكانت حَضانة الأرض في كيان الوجود أربعة أيام من

أيام الله قبل ظهور الكآئنات الحيّة على ظهرها ...

فقوله عزّوجلّ: «وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ...» إشارة إلى ما تهيّأت به الأرض لإستقبال الحياة فيها وتوالد الأحيآء عليها، وتكاثرها بما توالد فيها من عوالم النبّات والحيوان والإنسان ... وهذه بركة من بركات الله على هذه الأرض، وقدّر فيها أقواتها الّتي تضمن الحياة للمواليد المتكاثرة الآتية فيها، وذلك بما أودع فيها من هوآء ومآء وطعام ... كالمسكن الّذي يُبنىٰ لساكن، ثمّ يهيّأ فيه مايكن به أن يعيش فيه السّاكن.

وقوله جلّ وعلا: «سوآء للسّائلين» حال من الأقوات أي أنّ هذه الأقوات مقدّرة بقدر معلوم، وموزونة بميزان دقيق، فالهوآء مثلاً لوزادت نسبة الاوكسيجين فيه عن قدر معلوم لاحترق الأحيآء، ولو نقصت تلك النّسبة عن قدر معلوم كذلك لاختنق النّاس والحيوان والنّبات ... وهكذا كلّ ما في هذه الأرض وما عليها ... وهذا ما يشير إليه قوله عزّوجلّ: «وكل شئ عنده بمقدار» الرّعد: ٨).

والسّائلون هنا هم أصناف الأحيآء الّذين يسئلون أي يطلبون مايمسك عليهم حياتهم ...

فكلّ حيٍّ يسئل ويطلب ماتطلبه حياته، سوآء أكان هذا إنساناً أم حيواناً أو نباتاً ... «يسئله من في السّموات والأرض» الرّحمن: ٢٩).

وفي التعبير بالسّائلين إشارة إلى أنّ هذه المخلوقات ـ ومنها الإنسان ـ إنّما تقف جميعها سآئلة من فضل الله تعالى وإحسانه الّذي بثّه في هذه الأرض ...

إن تسئل: إنّ مايظهر من الآيات الكريمة هنا: أنّ مدّة خلق الأرض وما عليها هي ستّة أيام: «يومين ـ أربعة أيام» ولمّا كانت مدّة خلق السّموات وما فيها يومين فتكون مدّة خلق السّموات والأرض هي ثمانية أيّام ... وقد صرّح القرآن الكريم في سبعة مواضع منه: أنّ خلق السّموات والأرض كان في ستّة أيّام لا ثمانية أيام:

١ ـ سورة الأعراف: ٥٤) ٢ ـ سورة يونس: ٣) ٣ ـ سورة هود: ٧) ٤ ـ سورة الفرقان: ٥٩) ٥ ـ سورة السّجدة: ٤) ٦ ـ سورة ق: ٣٨) ٧ ـ سورة الحديد: ٤).

فكيف وقع هذا الإختلاف في كتاب الله سبحانه «ولو كان من عند غيرالله

لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النسآء: ٨٢)؟ فما هو الحلّ لهذا الإختلاف الصّريح؟

تجيب عنه: أنّ من تدبّر الآيات هنا يعلم أنّ مدّة خلق الأرض وما عليها هي أربعة أيّام ذكرت في آية (١٠) ويدخل فيها اليومان اللذان ذُكِرا في آية (٩) ولهذا عُطِفَ «وجعل فيها رواسي» على «خلق الأرض» أي خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام ... فيومان منها كان فيهما خلق جرم الأرض، ويومان آخران تهيّأت لإستقبال الحياة فيها. أمّا ذكر اليومين فللدّلالة على أنّ الخلق غير الجعل، فخلق الأرض كان له زمن تمّ فيه هذا الخلق، ثمّ كان لتلك الإضافات الّتي دخلت على الأرض بعد خلقها زمن آخر، ومجموع هذا وذاك هو أربعة أيام من أيّام الله وهذا كقوله تعالى: «وحمله وفصاله ثلا ثون شهراً» الأحقاف: ١٥) وقوله في آية اخرى: «وفصاله في عامين» لقمان: ١٤).

وقد ورد عن أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله: «خلق الله تعالى الأرض يومى الأحدوالا ثنين وخلق الجبال يوم الثّلا ثاء وخلق الشّجرَ والمآء يوم الأربعآء فتلك أربعة أيام» وذلك معنى قوله تعالى: «خلق الأرض في يومين ـ وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام» أي في تتمّة أربعة أيّام من حين ابتداء الخلق، فاليومان الأوّلان داخلان في حساب أربعة أيّام ومن جملتها. كما تقول: سرت من قم المقدّسة إلى مشهد الرّضا عليه آلاف التّحيّة والثنآء في يومين، وإلى النجف الأشرف في أربعة أيام أي يومين إلى المشهد ويومين إلى النّجف فتكون الرّحلتان في أربعة أيّام لا ستة أيّام.

وقوله تعالى: «فقضا هنّ سبع سموات في يومين» وهما يوم الخميس ويوم الجمعة، فهذه ستّة أيام على ما صرّح عليها القرآن الكريم في سبعة مواضع منه، وعليه فلا اختلاف بين الآيات أصلاً، فانّه في الآيات السّبع الّتي توهم منها الإختلاف ذكرت ستّة أيام اجمالاً، وقد فصّلت هذه السّورة: «فصّلت» ماجآء في المواضع السّبعة من الإجمال، بأنّ الله تعالى خلق الأرض في يومين، وخلق مافيها في يومين، فتلك أربعة أيّام، وخلق السّموات في يومين، فهذه هي ستّة أيّام...

إن تسئل: ومن البداهة: أنّ السّموات ومافيها أكبر وأعظم من الأرض وما فيها

بأضعاف مضاعفة، فما الحكمة في أنّ الله عزّوجلّ خلق الأرض وما فيها في أربعة أيّام، والسّموات وما فيها في يومين؟

تجيب عنه: بأجوبة منها: أنّ السّموات وما فيها من عالم الغيب ومن عالم الملكوت، ومن عالم الأمر، وأمّا الأرض وما فيها فمن عالم الشّهادة والملك، وخلق الأوّل أسرع من الثّاني. **ومنها**- أنّ الله تعالى فعل ذلك ليعلم أنّ الخلق على سبيل التدريج والتمهيل في الأرض وما فيها لم يكن للعجز عن خلقها دفعة واحدة، بل كان لمصالح لاتحصل إلّا بذلك، ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر في ستّة أيّام، والعالم الأصغر وهو الإنسان في ستّة أشهر بأقل الحمل. وغيرهما فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

إن تسئل: لماذا احتاج الله جلّ وعلا في خلق السّموات والأرض ومابينهما إلى مدّة ستّة أيام مع أنّه تعالى قادر على ذلك كلّه في لحظة واحدة بكلمة واحدة: «كن» إذ قال: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) فلا تحدّ قدرته بأيام و وقت وكيفية وأنّه إذا قضى أمراً فيكون كما قضاه بمجرد اقتران إرادته وقضائه؟

تجيب عنه: إنّما جرى في ذلك مجرى المتعارف في ايجاد الامور بين النّاس ولكنّه كلّما أوجد شيئاً أوجده بالقدرة القاهرة، وإنّما تدرج في الايجاد، ورتب الحوادث ليدلّ على أنّ الموجد عالم بصير مدبّر، يصرفها على اختياره ويجريها على مشيئته، ونظير ذلك من باب التقريب والتمثيل- مَن يخيطُ لك ستّة أثواب في ستّة آيّام، كلّ يوم يخيط لك ثوباً واحداً في ربع ساعة، ثمّ يطوى نهاره بلا عمل إلى اليوم الثّاني، فيخيط فيه الثّوب الثّاني في مثل ماخاط به الثّوب الأوّل من الوقت، وهكذا فيصحّ أن يقال: خاط ستّة أثواب في ستّة أيام ... مع احتمال أن يكون ماورد من البيانات بسبيل التقريب والتمثيل.

إن تسئل: ما معنى قوله عزّوجلّ: «من فوقها» والرّواسي لا تكون إلّا من فوق، وهلاّ اقتصر على قوله تعالى: «وجعل فيها رواسى» كما اقتصر في قوله: «وجعلنا فيها رواسى شامخات» المرسلات: ٢٧) وقوله: «وألقينا فيها رواسى» الحجر: ١٩) وقوله: «وجعل لها رواسي» النمل: ٦١) وغيرها ...؟

تجيب عنه: أنّ قوله تعالى: «من فوقها» فيه زيادة بيان وتأكيد وإشارة إلى أنّ الجبال

لم تكن تحت الأرض كالأساطين لها تستقرّ عليها أو أنّها مركوزة فيها كالمسامير وكالجسر المخفيّ الّذي يصنعه المهندس ضمن السّقف، وفيما ذكرتم من الآية الكريمة لم يذكر ذلك لأنّ الجبال مشاهدة انّها على الأرض ومن فوقها، فوكّل أمر ذلك إلى فهم النّاس.

۱۱ - (ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)

شروع في بيان كيفيّة التكوين إثر بيان كيفيّة التقدير، ولعلّ تخصيص البيان بما يتعلّق بالأرض وأهلها لما أنّ بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادئ معايشهم قبل خلقهم ممّا يحملهم على الايمان، ويزجرهم عن الكفر والطغيان، وفي تخصيص الإستوآء بالسّمآء: «ثمّ استوى» مع أنّ الخطاب المترتب عليه متوجّه إلى السّمآء والأرض معاً حسبماً ينطق به قوله تعالى: «فقال لها وللأرض» إكتفاءً بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنّه قيل: فقال لها وللأرض الّتي قدّر وجودها و وجود مافيها: «ائتيا»: كوّنا واحدثا على وجه معيّن، وفي وقت مقدّر لكل منكما، وهوعبارة عن تعلّق إرادته تعالى بوجودهما تعلّقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من دون أن يكون هناك أمر ومأمور كما في قوله تعالى: «كن فيكون».

في تلخيص البيان: قال: «وهذه إستعارة وليس هناك على الحقيقة قول ولاجواب وإنّما ذلك عبارة عن سرعة تكوين السّموات والأرض كما قال تعالى: «إنّما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» ولولم يكن المراد ماذكرنا لكان في هذا الكلام أمر للمعدوم وخطاب لغير الموجود، وذلك يستحيل من فعل الحكيم سبحانه ومعنى قوله تعالى: «قالتا أتينا طائعين» انهما جرتا على المراد ووقفتا عندالحدود والاقدار من غير معاناة طويلة ولا مشقّة شديدة فكانتا في تلك جاريتين مجرى الطّائع المميّز إذا انقاد إلى ما امر به، و وقف عند ما وقف عنده وقال بعضهم معنى قوله سبحانه: «أتيا طوعاً أو كرهاً» أي كونا على ما اريد منكما من لين وشدّة وسهل وحزونة وصعب وذلول ومبرم وسحيل والكره والشّدّة بمعنى واحد في اللغة العربية يقول القآئل منهم لغيره: أنا اكره

فراقك أي يصعب عليّ أن أُفارقك، وقال سبحانه: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» أي شديد عليكم ومعنى الطّوع ههنا التّسهيل (التشهّد خ) والإنقياد من غير إبطآءٍ ولا اعتياص.

وإنّما قال سبحانه: «قالتا أتينا طائعين» لأنّه جعل السّموات كلّها كالواحدة والأرض جميعاً كذلك فحسن أن يعبر عنهما بعبارة الإ ثنين دون عبارة الجمع، وأمّا قوله سبحانه: «قالتا أتينا طائعين» وكان وجه الكلام أن يكون طائعتين أو طآئعات ردّاً على التّأنيث (على معنى التأنيث خ) فالمراد به والله أعلم عند بعضهم: قالتا: أتينا بمن فينا من الخلق طائعين. فكان طآئعين وصفاً للخلق المميّزين لاوصفاً للسّموات والأرضين.

وقال بعضهم: لمّا تضمّن الكلام ذكر السّموات والأرض في الخطاب لهما والكناية عنهما بما يخاطب به أهل التّميّز ويكنّى به عن السّامعين النّاطقين اجريتا في ردّ الفعل إليهما مجرى العاقل المبيب والسّامع المجيب، وذلك مثل قوله تعالى: «والشّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين» ولو اجرى اللفظ على حقيقته وحمل على محجّته لقيل: ساجدات ولكنّ المراد بذلك لما كان ما أشرنا إليه حسن أن يقال: ساجدين وطائعين» إنتهى كلامه ورفع مقامه.

وقوله تعالى: «إئتيا طوعاً او كرهاً» تمثيل لتحتمّ تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطّوع والكره لهما، وتنزيل غير ذي الشّعور من الأرض والسّمآء منزلة الشّاعر، وتنزيل الصّامت منزلة النّاطق في توجيه الخطاب إليه وتلقي الجواب عنه إذ ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا إطاعة ولا جواب لذلك القول، وهو من المجاز الّذي يسمّى التّمثيل بمعنى أنّهما كانتا كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع، وفي تشريك الأرض مع السّمآء في الخطاب: «ائتيا» أنّه مع ذكر خلقها وتدبير أمرها قبلاً لايخلو من إشعار بأنّ بينهما نوع إرتباط في الوجود واتصال في النّظام الجاري بينهما أو فيهما حيث إنّ الفعل والإنفعال والتّأثير والتّأثّر دآئر بين أجزاء العالم.

وقوله عزّوجل: «قالتا أتينا طآئعين» هذا جواب السّمآء والأرض لخطاب الله تعالى باختيار الطّوع، هذا تمثيل لكمال تأثّرهما بالذّات عن القدرة الرّبّانيّة وحصولهما كما

امرتا به، وتصوير لكون وجودهما كماهما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة، فانّ الطّوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه، ولعلّ التّعبير باللفظ الخاصّ باولى العقل: «طآئعين» لمكان المخاطبة والجواب هما من خواصّ اولى العقل، والتعبير بلفظ الجمع دون أن تقولا: «أتينا طائعتين» لتواضع منهما بعدّ أنفسهما غير متميّزة من سائر مخلوقاته تعالى المطيعة لأمره، فأجابتا عن لسان الجمع مع أنّ لكل شيءٍ شعوراً فيما يناسب له، وهو كاف في الخطاب، ولا يحتاج كلّ إلى العقول كالإنسان فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

إن تسئل: إنّ ظاهر العطف بحرف «ثمّ» يدل على أنّ خلق السّمآء بعد خلق الأرض وخلق الأقوات ... كما أنّ سقف البيت بعد بنآء الجدران، وهذا منقوض بقوله تعالى: «أأنتم أشدّ خلقاً أم السّمآء بناها ـ والأرض بعد ذلك دحاها» النازعات: ٣٠) فكيف الجمع بينهما؟

تجيب عنه: أنّ هذا التّوهّم قد نشأ من تفسير «دحاها» بأنشأها وخلقها، وليس الأمر كذلك بل المراد منها مهّدها وأعدّها للسكنى والاستقرار، ويكون قوله تعالى بعد ذلك: «أخرج منها مآءها ومرعاها» حالاً من الهآء في «دحاها» أي جعلها قابلة للسكنى حال كونها مخرجاً منها ماءها ومرعاها، وذلك يدل على أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة، فلمّا خلق الله السّمآء دحا بعد ذلك الأرض فبسطها ويسّرها للسير والإستقرار، فلا تنافي بعدية دحو الأرض تقدّم خلقها على خلق السّمآء وإستوآئها في قوله تعالى: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السّمآء» البقرة: ٢٩) كما توهم بعض المفسّرين وقال:

إنّ «ثمّ» للتّراخي بحسب رتبة الكلام والخبر لابحسب الوجود والتحقق، فانّ «ثمّ» قد لا تكون للترتيب الزّمني بل قد تكون للإرتقاء المعنوي، وإنّ الأصل في «ثمّ» وضعها للتشريك في الحكم مع ترتّب ما بعدها على ماقبلها مع تراخيه عنه، لكنّها قد تستعمل مجرّدة عن الامور الثّلاثة فتكون زائدة كقول الشّاعر:

أراني إذا أصبحت أصبحت ذا هدى ... فثمّ إذا أمسيت أمسيت غاديا

يريد فاذا أمسيت، وقد تكون عاطفة مشتركة في الحكم من دون ترتيب كقوله:

إن مـــن ســـاد ثـــمّ ســـاد أبـــوه ثم قـــد ســـاد قـــبـــل ذلـــك جـــدّه

وقد تجمعها بدون تراخ كقوله:

كـــهـــزّ الـــرّديني تحـــت الـــعـــجـــاج جـــرى في الأنـــابـــيـــب ثم اضطـــراب

وهذا حمل اللفظ على غير معناه من دون دليل كما أن القول: إنّ الأرض كريّة فليس دحوها وبسطها غير تسويتها كرة وهو خلقها لاوجه له، مع أنّ قوله تعالى: «وجعل فيها رواسي من فوقها ـ أربعة أيام» يدل على خلاف ذلك فتأمّل جيّداً.

١٢ ـ (فقضا هنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سمآء أمرها وزيّنا السّمآء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم).

تفسير وتفصيل لتكوين السّمآء المجمل المعبّر عنه بالأمر وجوابه أي خلقهنّ خلقاً إبداعياً وأتقن أمر هنّ حسبما تقتضيه الحكمة الإلهيّة، والضّمير: «هنّ» راجع إلى السّموات السّبع وفي تقديم الضّمير هنا دلالة على أنّ التدبير والقضآء قد وقع عليهنّ بعد أن خُلِقنَ وكنّ سموات سبعاً، فالضّمير راجع إلى وجود قآئم وإن لم يجر له ذكر، وذلك أدلّ على وجوده وتحقّقه، و«سبع سموات» بدل من الضّمير كما تقول: أكرمته زيداً وأكلته عنباً.

وفي توصيف هذه السّمآء بالدّنيا دلالة على أنّها أقرب السّموات من الأرض، وهي السّمآء الّتي تعلو هذه الأرض، وهي السّماء الاولى، وفوقها بقيّة السّموات بعضها فوق بعض. يستفاد من ظاهر الآيات الأربع أُمور:

منها ـ أنّ الله تعالى خلق الأرض وهيّأها لإستقبال الحياة في أربعة أيّام قبل خلق السّموات السّبع، وخلق السّموات في يومين فهي ستّة أيّام ...

ومنها ـ أنّ السّمآء والأرض تطيعان لله تعالى بحسب مافيها من الشّعور الّذي يناسب لهما كما أنها تسبّحان لله جل وعلا بذلك وإن لانفهم تسبيحها قال الله تعالى: «تسبّح له السّموات السّبع والأرض ـ ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الأسراء: ٤٤).

ومنها ـ أنّ السّمآء الدّنيا من هذه السّبع ليست هي عالم النّجوم والكواكب

والشّمس والقمر فوقنا ـ كما توهّم بعض المعاصرين ـ إذ قال تعالى: «وزيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح» فالسّما الدّنيا غير المصابيح...

ومنها ـ أنّ السّماوات السبع جميعاً من الخلق الجسماني، فكأنّها طبقات سبع متطابقة من عالم الأجسام، أقربها منّا هي السّمآء الّتي تعلو هذه الأرض، وهي السّمآء الاولى وفوقها بقية السّموات السّت...

ومنها ـ أن ليس المراد بالسّموات السّبع الأجرام العلويّة من النجوم والكواكب أو خصوص بعضها كالشّمس والقمر...

ومنها ـ أنّ لكلّ سمآءٍ من السّموات السّبع أمراً يختصّ بها، ولهذه الإجرام العلويّة كائنة ماكانت كينونة عنصريّة جسمانية أحكاماً تجرى فيها وعلى أهلها نحن لا نعلمها.

١٣ ـ (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

تهديد وانذار لمشركي العرب الّذين أعرضوا عن آيات الله تعالى بالعذاب الدّنيوي الّذي ابتليت به عاد وثمود بسبب كفرهم وطغيانهم وإعراضهم عن آيات الله جلّ وعلا. أمرالله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بانذار الكفّار إذا لم يرعووا ولم يعترفوا بحقّ الله تعالى وحده في العبادة ولم تقنعهم دلائل توحيده وعظمته وعلمه وحكمته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود بالعذاب الّذي حلّ بقومي عاد وثمود لأنّ الإصرار على الباطل والكفر بعد وضوح الحقّ ودلائل الايمان عناد ولجاج، ولا علاج للمعاند اللجوج سوى التأديب بما يناسبه. وفي ايثار الماضي: «أنذرتكم» دلالة على تحقق الإنذار المنبئ عن تحقّق المنذر به.

إنّ الآية ومايليها من الآيات الخمس إستمرار في التقريع والإنذار، وبسبيل حكاية مواقف مكابرة مشركي مكّة، ويلحظ فيها تماثل بين ماكان يقوله عاد وثمود لرسلهم وبين ماقاله مشركو العرب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من أقوال وماتحدّوه من تحد، وما أظهروه من كبر واعتداد بالمال والنّفس والقوّة على ماحكته عنهم آيات عديدة في هذه السّورة وفي السّور السّابقة، وهذا التماثل يزيد في قوّة الإنذار والتقريع والتنديد من

جهة وينطوي فيه حكمة القصص القرآنية بالاسلوب الّذي وردت به من جهة اخرى. وفي بعض الآيات القرآنية مايفيد أنّ المشركين كانوا يعرفون بلاد ثمود وعاد حيث كانوا يرحلون إليها أو يمرّون بها في رحلاتهم التجارية الصّيفية والشّتويّة، وانهم رأوا آثار تدمير الله فيها كما ترى في قوله تعالى: «وعاداً وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين» العنكبوت: ٣٨) فاستحكمت فيهم حجّة الآيات وقوّة إنذارها وتقريعها من هذه النّاحية أيضاً.

١٤ - (إذ جآءتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله قالوا لوشآء ربّنا لأنزل ملائكة فانّا بما ارسلتم به كافرون)

تقرير للوقت الّذي وقعت فيه الواقعة بعاد وثمود بأنّ الصّواعق الّتي رُموا بها إنّما كانت بعد أن جآئتهم رسلهم بالبيّنات، فكذّبوهم وأعرضوا عنهم، واعلنوا كفرهم بالرّسل ... ونسبة المجئ إلى الرّسل وهو جمع- مع أنّ الّذي ذكر في قصّتهم رسولان هما هود وصالح -باعتبار أنّ الرّسل دعوتهم واحدة، والمبعوث منهم إلى قوم مبعوث آخرين، وكذا القوم المكذّبون بأحدهم مكذّبون بجميعهم... قال الله عزّوجلّ: «كذّبت عاد المرسلين- كذّبت ثمود المرسلين- كذّبت قوم لوط المرسلين» الشعراء: ١٢٣ و١٤١و١٦٠).

وقوله تعالى: «قالوا لوشآء ربّنا...» بيان لما استقبل به القوم دعوة الرّسل وهو ردّ منهم لرسالتهم لانكارهم نبوّة البشر، وقالوا: ما أنتم إلّا بشر مثلنا تريدون أن تتفضّلوا علينا ولوشآء ربّنا أن يبعث رسلاً إلينا لبعث ملائكة من عنده فهم اولى بهذا الأمر منكم، وهم أهل لأن نقبل منهم، ونصدّق أنّهم رسل من عندالله تعالى، وإذن فنحن بما ارسلتم به كافرون، فلا نقبل منكم ماجئتم به ولا نصدّقه إذ لافضل لكم علينا حتّى نتّبعكم!

١٥ - (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدّ منّا قوة أولم تروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة وكانوا بآياتنا يجحدون)

تفصيل لأخبارهم وأحوالهم، وشروع في حكاية ما يخصّ بكلّ واحدة من الطّائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية مايعمّ الكل من الكفر المطلق و وباله، وكان من أمر عاد أن اغتروا بما هم عليه من قوّة واستكبروا في الأرض وتطاولوا على العباد، فتعظّموا فيها على أهلها من دون إستحقاق، وتسآءلوا مبتجحين عمّن هو أشدّ منهم قوّة دون أن يكفروا بأنّ الله الّذي خلقهم هو بطبيعة الحال أشدّ منهم قوّة، فبذلك الغرور جحدوا بآياته وهم يعرفون أنها حقّ ولايعترفون بها كما يجحدالمودع الوديعة...

وقوله تعالى: «بغير الحقّ» قيد توضيحيّ للإستكبار في الأرض فانّه بغير الحقّ دائماً فهم لم يكونوا أهلاً لما رأوا في أنفسهم من هذا الرأي الفاسد، وهم غارقون في هذا الضّلال: «وقالوا من أشدّ منّا قوّة»؟ وهذا بيان كاشف لما كان عليه القوم من ضلال حتّى عميت عليهم السّبل إلى الله تعالى واستبدّ بهم منطق سفيه ... لقد غرّتهم هذه القوة الجسدية الحيوانية الّتي وجدوها في كيانهم، فطاروا بها فرحاً وزهواً، وقالوا: من أشدّ منّا قوّة؟ إنّها القوّة الجسدية وحدها هي الّتي يملكونها ... فماذا عندهم من تلك القوّة؟ أولم يروا أنّهم مخلوقون من هذا التراب؟ أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة، إن كانوا لايرون في مخلوقات الله مَن هو أشدّ منهم قوّة؟ إنّهم لونظروا لوجدوا أنّ قوّتهم تلك لاوزن لها بين تلك القوى الهائلة الّتي يرونها في مخلوقات الله ... فكيف بقوّة الله جلّ وعلا؟

وقوله تعالى: «أولم يروا أنّ الله ...» توبيخ لهم على اغترارهم بقوّتهم بأنّ الفاعل والعلّة اقوى من القابل والمعلول، والقوّة في الإنسان نتيجة صحّة البنيّة والإعتدال وحقيقتها زيادة القدرة، فلذلك جاز أن يقال: الله أقوى منهم كما صحّ أن يقال: الله أقدرالله أكبروإن كان لانسبة للمتناهي إلى غيرالمتناهي، ولا للمخلوق إلى الخالق.

١٦ ـ (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون)

بيان لمصير عادو وخيم عاقبة تكذيبهم لرسلهم واستكبارهم واغترارهم بقوّتهم

وعتوّهم وكفرهم بآيات الله تعالى، فأرسل عليهم ريحاً صرصراً أي شديدة عاتية ذات صرير وزئير في آيات طلعت عليهم بالشّؤم والبلاء على حين طلعت على غيرهم بالخير والعافية، وذلك ليذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا حين يعصف بهم هذا البلاء وتقهرهم الرّيح الّتي كانت تهب عليهم نسيماً عليلاً، وتصفعهم هذه الصّفعة الّتي تذلّ كبريائهم، وتفضح قوّتهم، وهي خلق ضعيف ليّن من خلق الله؟ ريحاً شديده قاصمة في أيام متوالية كانت عليهم شؤماً ونحساً إذ ذاقوا فيها الخزي والبلاء في الدّنيا جزآء جحودهم واستكبارهم، وسيكون عذابهم في الآخرة أشدّ وأقوى ولن يكون لهم عاصم ولانصير من الله تعالى.

ولايخفى على أهل الأدب والبيان أن الإرسال إذا تعدّى بـ «إلى» أو بـ «في» أو باللاّم كان معناه البعث للتبشير والإنذار كقوله عزّوجلّ: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنّي لكم نذيرٌ مبين» هود: ٢٥) وقوله جل وعلا: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا» البقرة: ١٥١) وقوله تعالى: «وما أرسلناك إلاّ كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً» سبأ: ٢٨) وأمّا قوله سبحانه: «فما أرسلناك عليهم حفيظاً» النّساء: ٨٠) «على» متعلّقة بالوصف المتأخّر.

وأمّا إذا تعدّى بحرف «على» فانّه يخرج عن معناه الحقيقيّ، ويكون بمعنى مطلق التّحريك وإثارة الأسباب المؤاتية للشّيء، إن طبيعية كانت أم إصطناعية ولو مجازاً وبالعناية، وأكثر إستعماله في القرآن الكريم حينئذ يكون في مواضع إرادة الشّرّ والنّقمة المردية كالآية في المقام. وأمّا قوله تعالى: «وأرسلنا السّماء عليهم مدراراً» الأنعام: ٦) فـ «على» متعلّقة بـ «مدراراً».

وقوله عزّوجلّ: «في أيام نحسات» بيان لوقت نزول العذاب عليهم.

وقوله جلّ وعلا: «لنذيقهم ...» إخبار من الله تعالى بأنّه إنّما يفعل بهم ذلك ليذيقهم حال الهوان في الحياة الدّنيا، وفيه بيان للغاية الّتي من أجلها نزل العذاب، وقد أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذّلّ والهوان على أنّه وصف للعذاب كأنّه قال: عذاب خزي كما تقول: فعل السّوء تريد الفعل السّيّء، ثمّ وصف العذاب الاخروي بالخزي

في قوله عزّوجلّ: «ولعذاب الآخرة أخزى» والخزي صفة المعذّب، ولكن وصف العذاب بالخزي على الإسناد المجازي مبالغةً وبياناً لشدّة عذاب الآخرة كما وصفه بالهون مبالغة في قوله تعالى: «صاعقة العذاب الهون».

١٧ ـ (وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)

بيان إجماليّ لأمر ثمود، بيان لحصول الدّعوة وإرائة الطّريق لهم إلى الحقّ والهدى وإخبار بسوء صنيعهم ليعلم أنّ إهلاكهم إنّما كان بعد إقامة الحجّة عليهم، وليس الغرض من هذا البيان بيان أنّ ثمود هدوا فاستحبّوا العمى على الهدى دون غيرهم كما توهّم بعض البيانيين لأنّ من المعلوم أنّ الكفّار كلّهم هدوا فاستحبّوا العمى على الهدى، فلا يكون تقديم المفعول: «ثمود» للتخصيص كما زعمه القزويني في تلخيص المفتاح. ألا ترى أنّه إذا جاءك زيد وعمرو ثمّ سئلك سآئل: ما فعلت بهما؟ فتقول: أمّا زيداً فأكرمته، وأمّا عمراً فأهنته. وليس في هذا حصر وتخصيص لأنّه لم يكن عارفاً بثبوت أصل الإكرام والإهانة.

وفي تلخيص البيان: قال السّيد الرّضي رضوان الله تعالى عليه في الآية الكريمة: «وهذه إستعارة والمراد بالعمى ههنا ظلام البصيرة والمتاه في الغواية فانّ ذلك أخفّ على الإنسان وأشدّ ملائمة للطباع من تحمّل مشاق النّظر والتّلجج في غمار الفكر» إنتهى كلامه.

وقوله تعالى: «فأخذتهم صاعقة العذاب ...» بيان لجزآئهم على ما اختاروه لأنفسهم.

١٨ ـ (ونجّينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقون)

بيان لأحوال المؤمنين المتّقين منهم بأنّ الله تعالى خلّصهم من جملتهم، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف مالايخفى، فالايمان مع التّقوى هو الموجب

للنّجاة من عذاب الإستئصال، وللسّلامة من الخزى والهوان.

١٩ - (ويوم يحشر أعدآء الله إلى النّار فهم يوزعون)

شروع ببيان ماسوف يكون من أمر الكافرين أجمعين في الدّار الآخرة وعقوباتهم إثر بيان عقوبات عاد وثمود العاجلة، ففي يوم القيامة يحشر أعداء الله الكفّار ويوقفون للحساب قبل سوقهم إلى النّار، فيحبس أوّلهم ليلحق بهم آخرهم فيجتمعوا جميعاً. وفي هذا ايمآء إلى كثرة عددهم وشدّة سوقهم ودفعهم.

وفي الآية الكريمة إنتقال من حال إلى حال، فالحال الماضية هي حال عاد وثمود، وهذه حال أعداء الله جميعاً في الدّار الآخرة، واسلوب الآية ومايليها قويّ نافذ من شأنه أن يثير الرّعب والخوف والإرعوآء في النّفوس...

والتّعبير عن الكفّار بأعداء الله لذّمهم والإيذان بعلة مايحيق بهم من ألوان العذاب... ولأنّهم حرب على الله تعالى بحربهم أوليآءه ورسله، والحقّ الّذي جآؤهم به... وفي وصفهم بالأعداء تهديد لهم و وعيد من الله جلّ وعلا الّذي يقف منه هؤلآء موقف الأعدآء المحاربين... فليأذنوا بحرب من الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسيرون ما يطلع عليهم من هذه الحرب من خزي وهو ان، وماينتهي إليه أمرهم من هلاك ودمار ثمّ من عذاب أليم في نار جهنّم خالدين فيها.

وقوله تعالى: «إلى النّار» أي إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقّق الشّهادة الآتية لابعد تمام السّؤال والجواب وسوقهم إلى النّار، والتّعبير عنه بالنّار إمّا للايذان بأنّها عاقبة حشرهم، وأنّهم على شرف دخولها، وإمّا لأنّ حسابهم يكون على شفيرها.

٢٠ - (حتّى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

بيان لغاية مايحشر إليه أعداء الله وهي النّار، فانّهم بعد اجتماعهم يساقون سوقاً عنيفاً إلى النّار حتّى بلغوا مشارفها نصبت لهم موازين الحساب، وعرضت عليهم أعمالهم في كتاب يلقاه كل واحد منهم منشوراً، ثمّ قام من كيان كلّ منهم شهود

يشهدون عليه بما كان منه من منكر وضلال ... وكلّ شئ فيهم ينطق شاهداً عليهم إلّا ألسنتهم الّتي لم تنطق في دنياهم غيرالكفر والشّرك ، فهذه الألسنة تخرس عن أن تقول شيئاً: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمّنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» يس: ٦٥).

فالأيدي والأرجل تتكلّم ولا تقول اليوم إلّا حقاً، والأيدي إنّما تشهد بما أخذ بها أصحابها من حقوق وماسلبوا من أموال، وما أوقعوا بها من أذى في عبادالله تعالى والأرجل تشهد بما كان منهم من سعى إلى كلّ مأثم ومشى إلى كلّ باطل ... وفي قوله عزّوجل: «شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون» بيان لشهود آخرين غير الأيدي والأرجل، شهود يقومون من كيان الإنسان نفسه ليؤدّوا شهادة الحقّ عليه، فهناك السّمع وهو يشهد بما سمع من آيات الله تعالى فلم يجد لها عند صاحبه مجيباً، وما سمع من منكر القول وضلال الحديث، فوجد السّامع المستجيب!

وهناك البصر الّذي رأى مارأى من آيات الله الكونية، فلم يجد عند صاحبه الوعاء السّليم الّذي يحفظ فيه ما رأى، بل إنّه كان يرى مايرى، فيلقى بما رأى في إناء مخروق لايمسك شيئاً، ولا يحتفظ بشئ، على حين كان هذا البصر إذا علق بشيءٍ من الباطل وجد من صاحبه المشاعر الّتي تجسد هذ الباطل، وتقيمه تمثالاً يعبده من دون الله!

ثمّ هناك «الجلد» وهو هذا الثّوب الّذي يكسو الكيان الإنساني كلّه، وهو موضع الإحساس فيه، ويحوي في داخله هذا الهيكل البشرى، وماحوى من مشاعرو أحاسيس و وجدانات ... فيمثل حاسّة اللمس إلى جوانب الحواس الاخرى من السّمع والبصر والذّوق والشّمّ الّتي يحويها كلها الوعاء الجلدى ... فشهادة الجلد شهادة شاملة لكل ماشهدت به هذه الجوارح من الألسنة والأيدي والأرجل تستدرك مافات هذه الجوارح أن تشهد عليه ممّا لم يكن داخلاً في نطاق وظيفتها ... ولهذا فانّ أهل البغي والضّلال، أهل الشرك والفساد، وأهل الكفر والعناد يتّجهون إلى جلودهم وحدها بالإستنكار عليها أن تؤدّي هذه الشّهادة الّتي تدينهم وتدين جلودهم معهم ...

ولعلّ تخصيص الجلود ـ في الرّوايات الآتية ـ بالفروج الّتي هي من الجوارح لتهديد

النّاس بأقبح الأخطار وأشنعها. فكان جمل الجلود عليها منظوراً فيه إلى إقامة أفصح الشّهود وأكثرهم دلالة على جرم المجرمين ... وفيه وعيد شديد في فعل الزّنا.

وقد افرد السّمع دون الأبصار والجلود لأنّ السّمع مصدر، والمصادر لاتجمع.

٢١ ـ (وقالوا لجلودهم لم شهد تم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شئ وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)

حكاية عمّا يقع يوم القيامة بين أعداء الله وجوارحهم ـ بعد أن شهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون في الدّنيا ـ من إعتراض وعتاب وملامة منهم لجلودهم في شهادتها عليهم تلزمهم الحجّة، وفي تخصيص الجلود بالذّكر تقريع لهم وزيادة تشنيع وفضاحة وخاصّة لوكان المراد بالجلود الفروج: «لِمَ شهدتُم علينا» إرجاع ضمير اولى العقل إلى الجوارح وخطاب المذكّر لها: «شهدتم» ولم يقولوا: «شهدتنّ» لمكان نسبة الشّهادة والنّطق إليها، وذلك من شئون اولى العقل والذّكور...

قوله تعالى: «قالوا أنطقنا الله ...» ردّ من الجلود وجواب عن عتاب أصحابها: «لم شهدتم علينا» إرآءة منها للسّبب الّذي أوجب نطقها وكشف عن العلم المدّخر عندها المكنون في ضميرها، فهي ملجأة إلى التكلّم والنّطق، ولايضرّ ذلك نفوذ شهادتها وتمام الحجّة بذلك، فانّها إنّما الجئت إلى الكشف عمّا في ضميرها لاعلى السّترعليه، والإخبار بخلافه كذباً وزوراً حتّى ينافي جواز الشّهادة وتمام الحجّة، وتكون شهادة الجوارح على أصحابها الكافرين يوم القيامة بالنّطق والتكلّم حقيقة عن علم تحمّلته سابقاً، كما أنّ جوابها عن عتاب أصحابها: «أنطقنا الله» يكون بالنّطق والتكلّم.

وقوله تعالى حكاية عن الجلود: «الّذي أنطق كلّ شيء» توصيف لله جلّ وعلاو إشارة إلى أنّ النّطق ليس مختصّاً بالأعضآء حتّى تختصّ هي بالسّئوال بل هوعام شامل لكل شيء، والسّبب الموجب له هو الله عزّوجلّ، وإن كنّا في حجاب من بطون ذواتها لاطريق لنا عادياً إلى الإطّلاع على حقيقة حالها، ونطق الجلود يوم تبلى السّرائر ليس بأبعد من تكلّم الشجرة لموسى عليه السّلام في الحياة الدّنيا، والقادر هو القادر.

وفي الإخبار عنهم بذلك تحذير من مثل أحوالهم فيما ينزل بهم من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم يوم القيامة بما كانوا يعملون من الفواحش والمعاصي والآثام في الحياة الدّنيا.

وقوله تعالى: «وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون» توكيد لقدرة الله تعالى على إنطاق آذانهم وعيونهم وجلودهم فتشهد عليهم بما اقترفوه من الآثام ... وهو احتجاج على علمه تعالى بأعمالهم، وقد أنطق الجوارح بما علم، وهذا يكون من تتمّة كلام السّابق فيكون من مقول الجلود ومن شهادتها على أصحابها الّذين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة بل غفلوا عنها، فلم يؤمنوا بأنّ لهم خالقاً واحداً هو الّذي خلقهم وخلق كلّ شئ إذلو عرفوا هذه الحقيقة لآمنوا بالله وحده ولما عبدوا هذه الآلهة الّتي عبدوها من دونه، ولما صاروا إلى هذا المصير المشئوم الّذي القي بهم في جهنّم، أو هو من قول الله عزّوجلّ لهم تعقيباً على مقول الجلود لهم وتقريراً لهذا القول.

والمعنى: إنّ وجودكم يبتدئ من الله عزّوجلّ وينتهى إليه تعالى، فعند ماتظهرون من كتم العدم ـ وهو خلقكم أوّل مرّة ـ يعطيكم الوجود ويملككم الصّفات والأفعال، فتنسب إليكم ثمّ ترجعون وتنتهون إليه، فيرجع ماعندكم من ظاهر الملك الموهوب إليه فلا يبقى ملك إلّا وهو لله جلّ وعلا، فهو وحده المالك لجميع ماعندكم أوّلاً وآخراً فما عندكم من شيء في أوّل وجودكم هوالّذي أعطاكموه وملكه لكم وهو أعلم بما اعطى وأودع، وما عندكم من شئ حينما ترجعون إليه هو الّذي يقبضه منكم إليه ويملكه فكيف لايعلمه، وانكشافه له تعالى حينما يرجع إليه إنطاقه لكم وشهادتكم على أنفسكم عنده.

٢٢ ـ (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون)

حكاية لما سيقال لأعدآء الله يوم القيامة من ناحية الله جلّ وعلا بطريق التّوبيخ والتقريع تقريراً لجواب الجلود اي ماكنتم تستترون في الدّنيا عند مباشرتكم الفواحش والآثام ... مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من النّاس مخافة

الإفتضاح عندهم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزآء رأساً. ولا يبعد أن يكون فيه ايذان بأنّ شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذٍ لابأنّها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم.

أو تعليل لنفي إستتارهم أي ماكنتم تستترون عن الله بأفعالكم المنكرة حتّى استدعى هؤلآء الشّهود منكم ليشهدوا عليكم «لكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً مما تعملون» فأراكم الله تعالى من هؤلآء الشّهود بعض مظاهر علمه وقدرته، وأنّ له عزّوجلّ جنوداً في كلّ ذرّة فيكم هي السنة تنطق بكل ماتعملون من صغيرة وكبيرة، وفيه ردّ على الكفرة الجهلة والفجرة السّفلة الّذين يستخفون من النّاس، ولا يمكنهم الإستخفآء من الله تعالى، وفيه تنبيه على أنّ المؤمن يجب عليه أن يكون في أوقات خلواته أهيب لربّه وأوفر إحتشاماً ومراقبة. وقال أبونواس:

إذا ماخلوت الدّهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ولا أنّ مايخفى عليه يغيب

و وجه الخطاب ـ بعد حكاية المشهد والتعقيب عليه ـ إلى الكفّار وفيه تأنيب وتقريع وتقرير لحقيقة الأمر في جرأتهم على الكفر والطغيان، وعلى الإثم والعدوان ... فهم لم يكونوا يبالون أن تشهد عليهم جوارحهم، ولم يكونوا يرون ضرورة التّستّر في آثامهم لأنّهم كانوا لايخطر ببالهم في الحقيقة أنّ الله عزّوجلّ يراقبهم، ويُحصي عليهم أعمالهم، وكانوا يظنّون أنّ الله لايعلم كثيراً مما كانوا يعملون.

وقوله تعالى: «ولكن ظننتم ...» وصف لأعدآء الله الكفّار من ظنّ سوء بالله سبحانه إذ ظنّوا أنّ الله جلّ علا يخفى عليه أسرارهم ولا يعلمها، فبيّن الله تعالى بذلك جهلهم وعدم معرفتهم بالله عزّوجلّ إذ نسبوا إليه سبحانه الجهل والغفلة، فلو علموا أنّ الله تعالى قادر غير عاجز، وعالم بما يفعلون سرّاً وعلانية لما ظنّوا أنّه يخفى عليه شيْ، فلمّا ظنّوا ذلك ثبت أنّهم جاهلون، غير عارفين بالله عزّوجل. وفيه إشارة إلى سوء ظنّهم بالله سبحانه: «الظّانّين بالله ظنّ السّوء» الفتح: ٦) وأنّهم كانوا يظنّون أنّ الله تعالى لوكان يعلم مايعملون في جهر فانّه لايعلم مايسرّون من أقوال وعقائد وخطورات وأعمال ...

ولهذا استتروا وهم يأتون المنكرات من أعمالهم وأقوالهم ظنّ منهم بانّ الله تعالى لايرى ولايسمع ماكان منهم في خفآء وستر.

ولهذا أراهم الله تعالى كذب هذا الظّنّ وبطلانه، فأنطق تعالى جلودهم الّتي لايبدو منها أيّ عمل، فكانت ألسنة فصيحة، تنطق بكل ماكان منهم من مشاعرو أحاسيس وخلجات... فانطاق الجلود هنا هو في مواجهة هؤلآء الظّانّين بالله هذا الظّنّ السّيّ الّذي يقوم عندهم بأنّ الله تعالى يعلم جهرهم ولا يعلم سرّهم، وهذا مايشير إليه تعالى في موضع آخر: «وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنّه عليم بذات الصّدور» الملك: ١٣) ولهذا لم يجر ذكر للألسنة هنا وهي من الجوارح الّتي تشهد على أصحابها كقوله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النور: ٢٤) إذ كانوا ـ حسب ظنّهم هذا ـ يظنّون أنّ الله يعلم ماينطقون به ... وهو ظنّ لايبلغ مرتبة اليقين عندهم.

٢٣ ـ (وذلكم ظنكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

إشارة إلى ماذكر من ظنّهم، ومعنى البُعد فيها للايذان بغاية بُعد منزلته في الشّرّ والسّوءِ، وأنّ هذا الظّنّ الفاسد الخاطئ هو الّذي أسقطهم في شرّ أعمالهم، وجعلهم خاسرين في الدّنيا والآخرة.

وفي تلخيص البيان: قال السّيّد الشريف الرّضى رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة لأنّ الظنّ الّذي ظنّوه على الحقيقة لم يُرْدِهم بمعنى لم يهلكهم، وإنّما أهلكهم الله سبحانه جزآءً على ماظنّوه من الظّنون السّيّئة ونسبوه إليه من الأفعال القبيحة، فلمّا كان ذلك الظّنّ سبباً في هلاكهم جاز أن ينسب إليه الهلاك الواقع بهم» انتهي كلامه ورفع مقامه.

٢٤ ـ (فان يصبروا فالنّار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

إخبار من الله تعالى عن أسوإ أحوال أعداءِ الله عزّوجلّ في نار جهنّم بأنّ النّار ستكون مثوى لهم سوآء أتجلدوا وصبروا أم جزعوا وشكوا، ولن يكون لهم عنها مفرّ حتّى لوندموا واعترفوا بخطئهم واعتذروا عنه لأنّ الفرصة قد فاتتهم، وفي الإلتفات من

الخطاب إلى الغيبة ايذان باقتداء حالهم أن يعرض عنهم ويحكي أسوأ أحوالهم لغيرهم، أو إشعار بابعادهم عن حيّزالخطاب وإلقآئهم في غاية دركات النّار. وإنّ الآية الكريمة وتاليها نتيجة لسابقاتها في صدد الإنذار والاستمرار فيه.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجلّ في وصف أعدائه في النّار: «فان يصبروا فالنّار مثوى لهم» مع أنّهم إن لم يصبروا على عذاب النّار وجزعوا فالنّار مثوى لهم أيضاً؟ **تجيب عنه لوجهين: أحدهما**ـ أنّ فيه إضماراً، تقديره: فان يصبروا أو لايصبروا فالنّار مثوى لهم على كلّ حال. قال الله تعالى: «إصلوها فاصبروا أولا تصبروا سوآء عليكم إنّما تجزون ماكنتم تعملون» الطور:١٦) وقال تعالى حكاية عن مقالة المستكبرين للمستضعفين المردة: «سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» إبراهيم: ٢١) فلاينفعهم الصّبر في نار جهنّم. **ثانيها**ـ أن هذا جواب لمقالة المشركين في حثّ بعضهم لبعض على ادامة عبادة الأصنام: «أن امشوا واصبروا على آلهتكم» ص:٦) فقال الله جلّ وعلا: فان يصبروا على عبادة الأصنام في الدّنيا، فالنّار مثوى لهم في العقبى.

٢٥ ـ (وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)

تعليل لما صار إليه أعدآءالله من المصير السّيّئ، وتقرير سبب وقعوا من أجله في الكفر والضّلال، في البغي والفساد، وفي الإثم والعناد ... بأنّهم استمعوا إلى وسوسة شياطين الجنّ والإنس، وقرنآء السّوء الّذين امتحنهم الله تعالى بهم، فزيّنوا لهم فيه فيه، وحسنوا لهم الشرك والعدوان، والكفر والعصيان، فحقّ عليهم هذا المصير كما حق على أمثالهم من قبلهم من الجنّ والإنس، فمن فسدت طويته وخبثت نيته، وانحرف عن الحقّ ويتعامى عن نور الهدى وينصرف عن ذكرالله ولايرغب فيه مختاراً متعمّداً تؤثر فيه وسوسة الشياطين وكانوا في النّهاية خاسرين.

إن تسئل: كيف جاز أن يقيّض تعالى لأعدائه القرنآء من الشّياطين وهوينهاهم عن اتباع خطوات الشّيطان: «ولا تتبعوا خطوات الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين»؟

تجيب عنه: أنّ معنى ذلك أنّه جلّ وعلا خذل أعدآئه وسلبهم التّوفيق ومنعهم ألطافه لعداوتهم وعنادهم ولجاجهم، وتصميمهم على الكفر والعصيان ... فلم يبق لهم قرنآء سوى الشّياطين، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهوله قرين» الزّخرف: ٣٦) فالمعنى: خلينا بينهم وبين الأبالسة، وهذا خذلان مرير استوجبوه لأنفسهم بما اقترفوا من آثام وفواحش ... ووقفوا في وجة الحقّ وكافحوه.

وقوله تعالى: «وحقّ عليهم القول في امم قد خلت ...» في تعدية الفعل بحرف الجرّ: «في» الّذي يفيد الظرفية إشارة إلى أنّهم وأهل النّار جميعاً مظروفون في ظرف واحد يحتويهم كلّهم، فهم داخلون مع الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه، وفيه دلالة على أنّ حكم الموت جارٍ في الجنّ كالإنس. و«انّهم كانوا خاسرين» تعليل لاستحقاقهم العذاب الدّآئم. إنّ الآية الكريمة كسابقتها في صدد الإنذار والإستمرار فيه، وإثار الخوف والرّعب في قلوب أعدآء الله الكافرين والمنافقين، وفي معرض التنديد بهم، وتقرير استحقاقهم للعذاب الدّآئم وخسرانهم نتيجة استماعهم وتأثّرهم لوسوسة اولئك القرنآء السّوء، حتّى يرتدعوا ويرعووا، وقد أراد الله تعالى بامتحانهم إظهار المتّقى من الفاجر، وتمييز الطّيّب من الخبيث، والمصلح من المفسد، والمطيع من العاصي ... منهم ليحقّ على كلّ منهم مايحقّ من عقاب وثواب حسب ذلك .

٢٦ ـ (وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون)

رجوع إلى حديث كفر مشركي العرب أعدآء الله وأعداء البشرية في كل ظرف، كفرهم بالقرآن الكريم المذكور في أوّل السّورة، يحكي صورة اخرى من عنادهم ويذكر بعض أقوالهم ومواقفهم إزآء القرآن المجيد، وكيدهم لإبطال حجّته. فاجتمعوا وتلاقوا على طريق الضّلال. فتشكّل منهم هذا الكيد الّذي أجمعوا أمرهم عليه: «لاتسمعوا لهذا القرآن» ليكيدوا به لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وللقرآن الذى يتلوه عليهم، فكانوا يتواصلون فيما بينهم على التشويش على رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يتلو القرآن أو معارضته باللّغو والتجريج والتّهويش، ويكثروا من اللفظ

واللغط حتّى لاتنفذ كلماته إلى الآذان، ولاتصل إليها إلّا مختلطة مضطربة...

وقد ظنّوا أنّهم بهذا العبث الصّبياني يسدّون منافذ الضّوء من تلك الشّمس السّاطعة إذاهم مدّوا أيديهم إليها وحجبوها عن عيونهم، ذهاباً منهم إلى أنّ هذا ممّا يضمن لهم الغلبة والفوزعلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإحباط دعوته وإزالة أثر القرآن في نفوس سامعيه منهم إذ علموا أنّ إعجاز القرآن أبلغ الأثر في النّفوس لأنّه كلام كامل لفظاً ومعنًى، وكلّ من سمعه ووقف على معانيه وأنصف، حكم بأنّه واجب القبول، فدبّروا هذا التّدبير الفاسد، فتواصى عتادة الشّرك والطغيان، والبغي والعدوان ... أن يلغوا: «والغوا فيه» وأن يهذوا بصوت عالٍ عند تلاوته كي يضلّلوا السّامع عنه، فلا يحصل غرضه من التّفهيم والإرشاد ...

وقوله تعالى حكاية عنهم: «لهذا القرآن» في الإشارة إلى القرآن مع ذكر إسمه دلالة على كمال عنايتهم بالقرآن لإعفاء أثره وإطفاء نوره.

إنّ الآية الكريمة تدلّ على نهاية عجز مشركي العرب عن مخاصمة القرآن المجيد باتيان كلام يعادله ويماثله أو إقامة حجّة تعارضه حتّى أمر بعضهم بعضاً أن يستمعوا له ويأتوا بلغو الكلام عند قراءة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم القرآن ليختلّ به قرآئته، ولا تقرع أسماع النّاس آياته، فيلغو أثره وهو الغلبة، ولايبعد أن يكون ذلك بعد كثرة جدل المشركين في القرآن وطلبهم أحياناً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتي بقرآن آخر أو يبدّله، ويكفّ عن تسفيه أحلامهم، وسبّ آلهتهم فيه على ما حكته آيات عديدة مرّت أمثلة منها في السّورة السّابقة ...

وقد كان القرآن الكريم يردّ عليهم، ثمّ يستمرّ في إنذارهم والتّنديد بهم وبشركائهم ... ولقد كانت بلاغته وروحانيته وهداه تنفذ إلى أعماق بعضهم، وتحمل ذوي القلوب الصّافية وخاصّة من الشّباب على الدّخول في الإسلام على ماحكته الرّوايات الكثيرة ونوهت به الآيات العديدة ...

فالظّاهر أنّ كبار المناوئين من مشركي مكّة يئسوا من تراجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة واشتدّ خوفهم من استمرار نفوذالقرآن إلى النّاس من جهة اخرى،

فكان منهم هذا التّواصي الّذي حكته الآية، والّذي ينطوى فيه صورة من صور السّيرة النّبويّة...

٢٧ ـ (فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون)

تهديد شديد مؤكّد بالقسم، و وعيد لهؤلآء الكافرين الّذين يكيدون لآيات الله جلّ وعلا ويلقونها هازئين ساخرين ... بأشدّ العذاب الّذي لايحاط بوصفه بأسو إجزآءٍ لأقبح أعمالهم وهو الشّرك بالله سبحانه والكفر بكتابه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي إقامة الظّاهر مقام المضمر في قوله تعالى «الّذين كفروا» بدلاً من قوله عزّوجلّ: «فلنذيقنّهم» إشارة إلى سوقهم مع جريمتهم، وهي الشّرك والطغيان إلى جهنّم وفي هذا مضاعفة لآلامهم حيث يرون وجه جريمتهم يصحبهم في كلّ مكان ... إنّهم أشبه بالقاتل الّذي يحمل جثّة قتيله وهومسوق إلى ساحة الإعدام.

وقوله تعالى: «ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون» إشارة إلى أنّ أعمالهم سيّئة كلّها وأنّها درجات متفاوتة في السّوء، وأنّ الكبآئر منها تجمع الصّغآئر في كيانها، وأنّ الكفر وهو رأس الخطايا كلّها هو الّذي يدا نون به، ويلقون أشدّ العذاب عليه فانه ليس بعد الكفر ذنب، ولا وراء عذاب الكافر عذاب، ولهذا سيقوا إلى جهنّم بجريمة الكفر: «فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً» وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى.

وفي الآية الكريمة تعريض بمن لايخشع ولايتدبّر حين سماع القرآن، وتهديد و وعيد لمن يصدر منه حين سماع القرآن مايهوّش على القارئ ويخلّط عليه في القراءة.

إن تسئل: كيف قال الله تعالى في وصف جزاء الكفّار: «ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون» أي بأسوإ أعمالهم مع أنّهم يجزون بسّيئ أعمالهم أيضاً؟

تجيب عنه بأجوبة: منها ـ أنّ الأسوأ بمعنى السّيئ أي لنجزينّهم جزآء السّيئ الّذي كانوا يعملونه، **ومنها**ـ معناه: نجازيهم بأقبح الجزآءِ على أقبح معاصيهم وهو الشرك والكفر، وخصّ الأسوأ بالذّكر مبالغة في الزّجر. **ومنها**ـ معناه: لنجزينّهم بأسوإ أعمالهم من المعاصي والآثام دون غيرها ممّا لايستحقّ به العذاب.

٢٨ ـ (ذلك جزآء أعداء الله النّارهم فيها دارالخلد جزآءً بما كانوا بآياتنا يجحدون)

تعليل لأسو إجزاء الكافرين بأنّهم أعدآء الله جلّ وعلا، بل هم أعدى أعدائه تعالى وأعدى أعدآءِ خلقه، وليس لهم جزآء عندالله إلّا النّار حيث تكون دار خلودهم، لايخرجون منها إذ كانوا يشركون بالله سبحانه ويجحدون بآياته ويكذّبون برسله ...

وقوله تعالى: «لهم فيها دارالخلد» جملة مستقلّة لتقرير ماقبلها، أو النّار مبتداء وهذه الجملة خبرها أي هي بعينها دار إقامتهم على أنّ «في» للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال: في البيضة عشرون منّاً حديد.

وفيه تهويل بأمر جهنّم و وصفها بكونها محلاً للخلود وكونها لايعتريها ضعف ولا اضمحلال ولا انفكاك أهلها عن عذابها. فالمعنى: لأعدآء الله في جهنّم دارالخلد وهي أعني جهنّم نفسها دارالخلد. ولكن بولغ في اتصافها بكونها داراً ذات عذاب مخلد حتّى صارت بحيث تفيض وتصدر عنها دار اخرى هي مثلها في الإ تصاف بكونها داراً ذات عذاب مخلّد. و«في» هنا للظرفية فكأنّه قيل: إنّ ثَمَّ داراً اخرى كانت في هذه الدّار الّتي هي دار أعداءِ الله الملازمة لهم الّتي لاينفك عنهم عذابها ولا يضعف مع طول الخلود،ولا تفني بتصرم الأحقاب ولا تبيدو لا تنال فيها الرّاحة باستمرار الإرتقاب، وكلّ ذلك للمبالغة في اتصافها بالشّدّة وللتّهويل بأمرها في العذاب وعدم انقطاعه بطول المدّة فكأنّه قيل: ما أعظم تلك الدّار في لزومها وكونها لا تضعف بالخلود حتّى انّها تفيض بدار اخرى مثلها في اللزوم وقوّة العذاب بلاضعف مع التخليد وقانا الله برحمته من هولها وعذابها بعصمة محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقيل: إنّ «في» على معناها، والمراد أنّ لهم في النّار المشتملة على الدّركات داراً مخصوصة هم فيها خالدون.

٢٩ ـ (وقال الّذين كفروا ربّنا أرِنا الّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)

هذا عرض مشهد من مشاهد يوم القيامة لأهل الكفر والضّلالة جميعاً من الأ تباع

السّفلة والرؤسآء الفجرة، وحكاية لطلب الأتباع حينما يرون في هذا المشهد تحقيق وعيدالله جلّ وعلافيهم، حيث النّار فقدا حتوتهم كلّهمُ أو صدت عليهم أبوابها، لايرى التّابعون سبيلاً للانتقام المتبوعين إلّا أن يدعوا الله تعالى أن يريهم إياهم ويجمعهم بهم بأن يمكنّهم الله من الّذين أضلّوهم من الجنّ والإنس حتّى يجعلوهم تحت أقدامهم في النّار انتقاماً منهم وإذلالاً لهما وتشديداً لعذابهما لأنّهم كانوا سبب المصير الرّهيب الّذي صاروا إليه، مضافاً إلى ما انطوى في الآية الكريمة من حقيقة العذاب الاخروى الايمانية هي بسبيل وصف شعور النّدم والحسرة الّذي سينتاب الكفّار، وانّها إستهدفت فيما استهدفته إثارة الرّعب فيهم وحملهم على الإرعوآءِ، بل وإثارة نقمة جمهورهم على زعمآئهم الّذين يمنعونهم من الاسلام لأنّ الكلام المحكي في الآية الكريمة هو بلسان الجمهور أكثر منه بلسان الزّعمآءِ ...

وفي طلبهم هذا شفآء لما في صدورهم من موجدة ونقمة عليهم ... وإن كان ذلك لايخفّف عنهم من العذاب شيئاً!

٣٠ ـ (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

شروع ببيان حُسن أحوال المؤمنين الأبرار المستقيمين على طريق الحق والهدى و وعدهم في الدّنيا والآخرة بعد بيان أسو إحالات الكافرين الأشرار الضالّين والمضلّين عن سبيل الحق والصّلاح ... فجآئت الآية الكريمة ومايليها لمقابلة ماجآء عن موقف أعدآءِ الله الكافرين ومصيرهم الاخروي جرياً على الاسلوب القرآني: وقد احتوت بشرى عظيمة للمؤمنين السّابقين الثّابتين إلى الإستجابة للدّعوة وتنوهاً بهم من جهة، وانطوى فيها وصف محبب لما كان لهؤلآءِ من إخلاص وتمسّك واستقامة والتفاف حول رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة اخرى في مجال المقايسة بينهم وبين الجاحدين كالّذين قالوا ربّنا الله وآمنوا بالله جلّ وآمنوا برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما جآء ثمّ استقاموا على طريق هداه ولم ينحرفوا ولم يشكّوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في

سبيل الله اولئك هم الصّادقون المستقيمون الّذين تتنزّل عليهم الملائكة في الحياة الدّنيا قبل مجيئ أجلهم، فيهدّئون من روعهم، وينفون عنهم شعور الخوف والحزن ويبشرونهم بالجنّة الّتي وعدوابها، قآئلين لهم: نحن أوليآؤكم..

وممّا يحسن لفت النّظر إليه مقايسة اخرى تتضمّنها الآية الكريمة ومايليها بالإضافة إلى الآيات السّابقة، فالمؤمنون المستقيمون على الايمان وصالح الأعمال تتنزل عليهم الملائكة في الحياة الدّنيا، وهم أوليآؤهم في حين أنّ أوليآء الكافرين هم قرنآء السّوء من الجنّ والإنس يضلّونهم ويورطونهم.

وإنّ المقايسة بين التّوحيد والشّرك، بين الايمان والكفر، بين الحق والباطل، بين العلم والجهل، بين النّور والظّلمة، بين الإخلاص والنّفاق، بين الحسن والقبح، بين الصّلاح والفساد، بين الكمال والانحطاط، وبين الجنّة والنّار وأهلها مألوفة في النّظم القرآني، تستهدف التنديد والتقريع لأعداءِ الله الكافرين، والتنويه والتّطمين لأوليآء الله المؤمنين.

وما في أذهان مشركي العرب من صورعن الملائكة في عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبيئته يجعلها أقوى تأثيراً كما هو المتبادر، فالملائكة الّذين كان المشركون يشركونهم مع الله ويتخذونهم شفعآءهم لديه إنّماهم أوليآء المؤمنين المستقيمين فحسب.

إنّ الآية الكريمة ومايليها من الآيات الثلاث وإن كان متضمّنة للتنويه بالمؤمنين الأوّلين، ولكن إطلاق الكلام فيها يجعلها مستمداً لإلهام مستمرّ قوى التّلقين في كلّ ظرف ومكان سواء في الإستقامة على دين الحق والإخلاص له أم في التنويه بفضل من يدعو النّاس إلى الله جلّ وعلا ويسلم النّفس إليه ويعمل الصّالحات، ويستشعر بأنّه يكون بذلك قآئماً بأفضل الواجبات، ومتمسّكاً بأفضل الأخلاق والصّفات وخلق الإستقامة على الحق والصّدق والواجب والمعروف، وعدم الرّوغان والحيدان عن ذلك من أعظم الأخلاق وأفضلها، ولذلك تكرر الأمر بها فى القرآن الكريم بتنوّع الأساليب ...

وقوله تعالى: «تتنزّل عليهم الملائكة ...» إخبار عما سيستقبلهم به الملائكة من تقوية قلوبهم وتطييب نفوسهم، والبشرى بالكرامة في الحياة الدّنيا قبل الموت والقيامة. فالملائكة يؤمّنونهم من الخوف والحزن فيها قبلهما، والخوف إنّما يكون من مكروه متوقّع كالعذاب الّذي يخافونه، والحرمان من الجنّة الّذي يخشونه، والحُزن إنّما يكون من مكروه واقع وشرّ لازم كالسّيّئات الّتي يحزنون من اكتسابها والخيرات الّتي يحزنون لفوتها عنهم، فيطيّب الملائكة أنفسهم أنّهم في أمن من أن يخافوا شيئاً أو يحزنوا لشئ من أمر الدّنيا والآخرة، فالذّنوب مغفورة لهم والعذاب مصروف عنهم.

ولعمرى: انّه لايدرك تنزّل الملائكة على المؤمنين المستقيمين إلّا من كان هو المؤمن المستقيم الّذي إذا دارالأمر بين تفدية نفسه وماله وأهله، والمجاملة في دينه يفدى نفسه ... لا العكس، وانّ تعريف تنزّل الملائكة على المؤمنين الصّادقين لغيرهم كتعريف ـ من باب التقريب والتمثيل ـ الرّجل الكامل، لذّة الجماع لصبيّ غير مميّز.

٣١ ـ (نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون)

تقرير لمقالة الملائكة النازلين على المؤمنين الصّادقين: نحن أوليآؤكم ونصرآؤكم أيّها المؤمنون المستقيمون على الحقّ والهدى ... في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، بشارة اخرى عظمى من البشرى السّابقة، بشارة لهم بمودّة الملائكة لهم، وبشارة لهم بنيل مشتهاهم في الجنّة، وتفيد الآية الكريمة وجوب اعتقاد تودّد الملائكة وتردّدهم إلى من كان مستقيماً على طاعاته، وفيها حجّة على شرف الإستقامة بالطّاعة على كلّ ماعداه من أعمال العباد يتولى الملائكة لصاحبه من أجله.

في قوله تعالى حكاية عن الملائكة: «نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا» دلالة على تنزّلهم على المؤمنين المستقيمين في الحياة الدّنيا قبل الموت والآخرة، وللملائكة تأثيرات جلية وخفيّة في قلوب هؤلآء المؤمنين بالهامات ومكاشفات وخواطر شريفة في مختلف الأحوال والأماكن حسب القابليات والدّرجات كما أنّ للشّياطين القرناء

للكافرين إلقاءات الوساوس والهواجس في صدور أوليآئهم حسب الدّركات والظّلمات .. قال الله عزّوجلّ: «هلْ أُنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كل أفّاك أثيم يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون» الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣).

فلكلّ إنسان قرينه إمّا الملائكة وإمّا الشّياطين ...

ثمّ إنّ الملائكة كانوا في الدّنيا جنداً من جنودالله تعالى يقاتلون في سبيل الله مع المقاتلين في سبيله من المؤمنين ... «إذ يوحى ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبتوا الّذين آمنوا سألقى في قلوب الّذين كفروا الرّعب» الأنفال: ١٢).

وقوله عزّوجلّ: «ولكم فيها ماتدّعون» تعميم بعد الخاصّ، وذلك أنّ أصل الشّهوة نزوع النّفس بقوّة من قواها إلى ماتريده تلك القوّة وتلتذّبه كشهوة الطّعام والشّراب والنكاح ... وأصل الإدّعاء ـ وهو إفتعال من الدّعآءِ ـ هو الطلب فقوله تعالى: «لكم فيها ماتدّعون» أوسع نطاقاً من قوله: «لكم فيها ماتشتهى أنفسكم» فانّ الشّهوة طلب خاص، ومطلق الطّلب أعمّ منها. فالآية الكريمة تبشّرهم بأنّ لهم في الدّارالآخرة مايمكن أن تتعلّق به شهواتهم من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك بل هو أوسع من ذلك نطاقاً وأعلى كعباً وهو أنّ لهم مايشآؤن فيها كما قال عزّوجلّ: «لهم مايشاؤن فيها» ق: ٣٥).

٣٢ـ (نزلاً من غفوررحيم)

«نزلاً» حال من «ما» في «ممّا تدّعون» تفيد أنّ كون ما يتمنّونه بالنسبة إلى مايعطون من عظائم الأجور كالنزل للضيف، تكريماً لهم من الله الغفور الرّحيم الّذي يعامل عبادة الصّالحين بالغفران والرّحمة الخاصتين بالمؤمنين المستقيمين على الحقّ والهدى.

وفي هاتين الصّفتين الكريمتين من صفات الله تعالى إشارة إلى أنّ المغفرة والرّحمة الخاصّتين هما اللتان أنزلتا المؤمنين المستقيمين هذا المنزل الكريم، وأمّا الايمان والإستقامة وصالح الأعمال فهي وسآئل يتوسّل بها المؤمنون إلى مرضاة الله جلّ وعلا.

٣٣ـ (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)

إنّما المراد بالإستفهام هنا هو الخبر أي أنّه لا أحد أحسن في النّاس قولاً ممّن دعاهم إلى الله جلّ وعلا، وعمل هو بنفسه عملاً صالحاً، وقال للنّاس الّذين يدعوهم إلى الله: إنّني من المسلمين.

إنّ الآية الكريمة بمثابة تعليق باسلوب التّساؤل الّذي يتضمّن التقرير الايجابي بأنه ليس من أحد أفضل وأحسن ممّن دعا إلى الله وأسلم النّفس إليه، وعمل الأعمال الصّالحة، في الآية بيان ثلاثة امور: **أحدها**ـ دعوة النّاس إلى توحيد الله وطاعته. **ثانيها**ـ العمل الصّالح. **ثالثها**ـ أن يتّخذ الإسلام ديناً ويخلص إلى ربّه وأعلن بذلك وأظهره.

وفي الآية الكريمة دلالة على أنّ دعوة النّاس إلى الدّين من أعظم الطّاعات، وأجلّ الواجبات، وعلى أنّ الدّاعي يجب عليه أن يكون عاملاً بعلمه ليكون النّاس إلى القبول منه أقرب، وإليه أسكن لأنّ الضّالّ على الهدى لايهدى غيره إلى الهدى حيث إنّ فاقد الشّئ ليس بمعطيه، ويجب على الدّاعي أن يظهر دينه لمن يدعوه إليه.

٣٤ ـ (ولا تستوى الحسنة ولا السّيّئة إدفع بالّتي هي أحسن فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه ولى حميم)

مستأنف سيق لبيان محاسن الأحوال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأحوال الجارية بين العبد وبين الرّبّ جل وعلا ترغيبا لرسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الصّبر على أذية المشركين، ومقابلة إسآئتهم بالإحسان أي فلا تستوي الخصلة الحسنة والخصلة السّيّئة في الآثار والاحكام ... ففيه تقرير بأفضليّة الحسنة على السّيّئة وعدم إمكان التسوية بينهما، وأمر للسّامع بمقابلة السّيّئة بالحسنة، وإشارة إلى أنّ مثل هذه المقابلة من شأنها أن تقلب العداوة إلى صداقة و ولآء شديدين.

وفي الآية الكريمة ومايليها من الآيتين تعليم قرآنيّ جليل مستمرّ الإلهام والمدى، فمقابلة السّيّئة بالسّيّئة يورث العداء والأحقاد بعكس مقابلة السّيّئة بالحسنة الّتي تقلب

العدوّ صديقاً، وتدلّ على نبل النّفس وكرم الخلق، وقد يندفع المرء أحياناً إلى مقابلة السّيّئة بالسّيّئة، في هذا الموقف يجب على المسلم أن ينتبه إلى أنّ هذا إنّما يكون من نزعات الشّيطان و وساوسه، وألّا يندفع فيه، وأن يجنح إلى الأفضل الّذي يليق باسلامه وهو الصّبر ودفع السّيّئة بالحسنة.

وتشير الآية إلى التّطبيق العملي للايمان والعمل الصّالح، حيث يحتسب الإنسان نفسه واحداً من جماعة المسلمين، فيعيش معهم، ويلقاهم بايمانه وبعمله الصّالح، فلايجزى السّيّئة بالسّيّئة، بل يلقى السّيّئة بالحسنة... إذ لاتستوي الحسنة ولا السّيّئة... ومن شأن المؤمن أن يأخذ بالأحسن دائماً.

وقوله تعالى: «ادفع بالّتي هي أحسن» مستأنف سيق لبيان حسن عاقبة الحسنة، جواباً عن سؤال مقدّر، وذلك أنّه لمّا قيل: «لا تستوى الحسنة ولا السّيّئة» قطّ فكأنّه سئل سآئل: فكيف نصنع؟ فاجيب: ادفع السّيّئة بالحسنة الّتي هي أحسن من السّيّئة. أي رُدّ السّيّئة بالّتي هي أحسن وهي الإحسان في مقابل الإسآءة، فانّ من حقّ الإنسان إذا أُسِئَ إليه أن يردّ السّيّئة بالسّيّئة لقوله تعالى: «جزآء سيّئة سيّئة بمثلها» الشّورى: ٤٠) ثمّ عقبه بقوله: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» فردّ السّيّئة بمثلها ليس حسناً ولا سيّئاً، والعفو عن السّيّئة حسن، وأحسن من هذا الحسن أن تردّ السّيّئة بالحسنة ... فهذه درجات ثلاث، والمؤمن بالخيار فيها ... وخيرالمؤمنين من أخذ بالدّرجة الثّالثة وهي دفع السّيّئة بالحسنة.

والخطاب: «إدفع» وإن كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه خطاب لكلّ مؤمن بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد كان النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم المَثَل الكامل في امتثال هذا الأمر الإلهي، وتطبيقه على أكمل صورة وأتمّها، وحياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّها مليئة بالشّواهد لهذا ... فعلى كلّ خطوة من خطواته الشّريفة على طريق دعوته يقوم شاهد يحدّث باحسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى من يسيئون إليه، ويؤذونه، وحسبنا أن نذكر هنا موقفه صلّى الله عليه وآله وسلّم في أُحُد، وقد أثخنه المشركون جراحاً، فما زاد صلّى الله عليه وآله وسلّم على أن قال: «اللّهم اهد

قومي فانّهم لايعلمون» ... ثمّ بحسبنا أن نذكّر موقفه يوم الفتح، وقد أصبح المشركون في قبضته، وفيهم كثيرون ممّن آذوه بالقول وبالعمل، بل إنّ فيهم «وحشيّاً» قاتل عمّه صلّى الله عليه وآله وسلّم حمزة ... وقد لقى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين جميعاً بالصّفح الجميل وقال لهم قولته الخالدة: «إذهبوا فأنتم الطلقآء» وفيهم أبوسفيان وابنه معاوية عليهما النّيران والهاوية.

وقوله عزّوجلّ: «فاذا الّذي بينك وبينه ...» بيان للأثر الطّيّب الّذي يجئ من هذا العمل الطّيّب ونتيجته، وهو دفع السّيّئة بالأحسن لأنّ الإحسان إلى المسئ يطفئ نار الفتنة الّتي كان يمكن أن تشتعل من احتكاك السّيّئة بالسّيّئة ... ثمّ إنّ هذا المسئ الّذي كان يتوقّع الإسآءة ممّن أسآء إليه، حين يرى أنّ اليد الّتي مدّها بالإسآءة قد عادت إليه ملأى بالأحسان ممّن أسآء إليه، يستخزي من نفسه وتخفّ موازينه حين ينظر إلى فعله وفعل المحسن إليه، فيذلّ وينفاد إن لم يكن عاجلاً فآجلاً. فالمعنى: فاذا فعلت ذلك صار عدوّك المشاق مثل الوليّ الشّفيق قيل: «الّذي بينك وبينه عداوة» أبلغ من «عدوّك» ولذا اختاره عليه مع إختصاره.

٣٥ـ (وما يلقّيها إلاّ الّذين صبروا ومايلقّيها إلاّ ذوحظّ عظيم)

تنويه بهذه المقابلة وفاعلها، وهي دفع السّيّئة بالحسنة، وهوليس بالأمر الهيّن الّذي تستطيع كل النّفوس إحتماله، ولايكون ذلك إلاّ من الّذين تجملوا بالصبر وضبط النّفس، وكانوا على حظّ عظيم من كرم الخلق، وهم أصحاب النّفوس الكبيرة الّتي لايعكّر صفوها هذه المكروه الّذي يرد عليها.

مـا يضير البـحـر أمسـى زاخـراً ... أن رمـي فـيـه غـلام بحـجـر

ومن حسن خلق المسلم الّذي قال: ربّي الله ثمّ استقام أن يتخلّق بكل خلق كريم.

وقد يتوّهم أنّ الآية الكريمة بصدد بيان صعوبة الأمر وعلى احتماله، غفلة عن أنّها مع ذلك تقصد التنويه بالفعل وفاعله وتعظيم شأنهما، وتشير إلى هذه الدّرجة من العظمة الإنسانية، وإلى أنّ متنزّلها من علٍ، كما يدل عليه تنكير: «ذوحظ عظيم» وعدم تحمّل

هذه الصّعوبة إلّا بالصّبر وأنّ هذا الحظّ العظيم لايوجد إلّا لأهل الصّبر خاصّة، فعظّم الله تعالى دفع السّيئة بالحسنة ومدحه أحسن التّعظيم وأبلغ المدح، فلا يلقي هذه الخصلة والسّجيّة الّتي هي مقابلة الإسآءة بالإحسان إلّا سعيد منعم بكمال النّفس ذو عقل وفير، وإدراك إنساني نبيل.

إن تسئل: قد يرى التّناقض بين هذا التّلقين المنطوي في الآيات الثلاث: (٣٣-٣٥) من هذه السّورة وبين ماجآء في كثير من الآيات المكّيّة والمدنيّة من تسويغ مقابلة العدوان بمثله وانتصار المسلم من بغي ينزل به وبا خوانه ...؟

قال الله تعالى: «وقاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم - فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» البقرة: ١٩٠-١٩٤).

وقال: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به» النّحل: ١٢٦).

وقال: «ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله» الحجّ: ٦٠).

وقال: «والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزآؤا سيّئة سيّئة مثلها - ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم» الشورى: ٣٩-٤٢).

نجيب عنه: أنّ هذا التّلقين هو بصدد السّلوك الشّخصي بين النّاس والمسلمين، ويمكن أن يصرف إلى مايكون فيه بغى وعدوان شديدا النكاية والأذى، كما أنّ التنوّع في التّلقين يمكن أن يصرف إلى ماهوطبيعيّ من تنوّع ظروف البشر أفرادهم وجماعاتهم ليسير النّاس فيما يواجههم من هذه الظروف سيراً منسجماً مع روح القرآن الكريم عامّة وهي العفو عندالمقدرة حينما لايكون العفو سبباً في ازدياد الشّرّ والبغي، ولا موجباً لتجرّى المسيئ على إسآئته، بل يؤدّي إلى الهدؤ والسّكينة والرّضا والمحبّة ... ومقابلة البغي بمثله حينما لايكون بدّ من ذلك.

والنّظام العامّ هوعدم بدء المسلم غيره بالسّوء والبغي، وأن يكون هذا منه مقابلة ودفاعاً كما تحتوي آيات البقرة والنّحل والحجّ والشورى وغيرها ... تلقيناً في صدد هذه المواقف المتنوّعة ...

مع أنّ المؤمنين ليسوا درجة واحدة في مقام الكمال والإحسان ... فمنهم من يردّ الإسآءة بالإسآءة من دون بأس عليه، ومنهم من يردّ الإ سآءة بالعفو ولاجناح عليه، ومنهم من يردّ الإسآءة بالإحسان وهذا أعلى .رجات الايمان ...

٣٦ـ (وامّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم)

إشارة إلى مداخل الشّيطان يدخل بها على مَن يُجمَع أمره على دفع السّيّئة بالحسنة، فيكون له نخسات ينخس بها في صدر المؤمن الّذي يريد أن يدفع الإسآءة بالإحسان، ينخس بها في صدره كي يخرج به عن هذا الموقف الكريم، وهنا لايكون للمؤمن ـ كي يردّ كيد الشّيطان ويخزيه ـ إلاّ أن يستعيذ بالله جل وعلامنه، فالإستعاذة بالله من الشّيطان خزي وذلّ للشّيطان، ودحرٌ له إذ يرى المؤمن وقد دخل في هذا الحمى الّذي لاينال، فيرتدّ مذموماً مدحوراً.

في الآية الكريمة بيان طريق لمنع تهييج الشّرّ والإنتقام، ودفع الغضب إذا بدت بوادره، وتنبيه موجه للسّامع المسلم بأنّ الشّيطان إذا حاول أن يوسوس له بسوءٍ ليحول بينه وبين فعل الخير أو يدفعه إلى الشّرّ ويثير فيه الغضب والنزق ومقابلة السّوء بمثله، فليسارع إلى الإستعاذة منه بالله السّميع العليم إذ لايستعاذ من الكلاب إلاّ بربّ الكلاب.

ولا يخفى على الأريب البياني: أنّ المراد بالسّمع هو سمع الإجابة لامجرّد السّمع العامّ، وقد أكّد الوصفان: «السّميع العليم» بضمير المنفصل: «هو» الدّالّ على تأكيد النّسبة وإختصاصها، وعرّف الوصفين بالألف واللاّم لإقتضآءِ المقام لهذا التأكيد بخلاف مافي سورة الأعراف: «انه سميع عليم» : ٢٠٠) لإستغنآءِ المقام عنه.

وذلك أن الأمر بالإستعاذة في هذه السّورة وقع بعد الأمر بأشقّ الأشيآء على النّفس وهو مقابلة إسآءة المسيئ بالإحسان إليه، وهذا أمر لايقدر عليه إلاّ الصّابرون ولا يلقاه إلاّ ذوحظّ عظيم، والشّيطان لايدع العبد أن يفعل هذا، بل يريه أنّ هذا ذُلٌّ وعجزٌ ويسلّط عليه عدوّه، فيدعوه إلى الإنتقام منه، ويزيّنه له، فان عجز عنه دعاه إلى

الإعراض عنه، وأن لايسيئ إليه ولا يحسن، فلايؤثر الإحسان إلى المسيئ إلّا من خالفه، وآثر الله تعالى وماعنده على حظّه العاجل، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض، فقال فيه: «فاستعذ بالله أنّه هو السّميع العليم».

وأمّا في سورة الأعراف فانّه أمره أن يعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إسآئتهم بالإحسان، بل أمره بالإعراض عنهم، وهذا سهل على النّفوس، وليس حرص الشّيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان.

٣٧ ـ (ومن آياته اللّيل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمروا سجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون)

هذه العوالم الأربعة: اللّيل والنّهار والشّمس والقمر هي بعض آيات كونيّة تشهد بصراح على وحدة التّدبير واتّصاله على وحدة الرّبّ المدّبّر، وبوحدة الرّبّ على وجوب عبادته وحده، ولذلك نهى المشركين عن عبادة الشّمس والقمر، فقال: «لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر» نهى مؤكّد إنحصاراً للمسجود له في الله جلّ وعلا، وانحساراً عمّا سواه سواء أكان المسجود له هو الشّمس والقمر كما هنا، فالخطاب موجّه إلى السّاجدين لهما أم سواهما من أصنام وطواغيت أم أوليآء وملائكة كرام، ولأنّ السّجود لغير الله تعالى تسوية له بالله وهوضلال مبين.

فالكلام في معنى دفع الدّخل كأنّه لمّا قيل: «ومن آياته اللّيل والنّهار...» فأثبت وحدته في الوهيّته وربوبيّته، وفي تدبيره وقدرته .. قيل: فماذا نصنع؟ فقيل: «لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر» لأنّهما مخلوقان مدبّران من خلقه كغيرهما، بل خصّوه بالسّجدة «واسجدوالله» وحده. أمر بانحصار السّجدة لله جل وعلا.

وقوله تعالى: «الّذي خلقهنّ» تعليل للأمر بالسّجدة لله وحده وإشارة إلى سبب المنع وسعة الممنوع بدليل الجمع: «خلقهنّ» الشّمس والقمر وسواهما من خليقته ... وفي تخصيص الليل والنّهار بالذّكر من بين آيات الله الّتي لاتحصى تشهد بجلاله وقدرته، بعلمه وحكمته، وبتدبيره وعظمته لأنّهما تجمعان النّاس جميعاً تحت لوائهما في كلّ آن،

فكلّ إنسان داخل تحت سلطانها طوعاً أو كرهاً، وفي اختصاص الشّمس والقمر بالذّكر لأنّهما أظهر الكواكب وأكثرها أثراً في العالم الأرضي ... فهما بهذا السّلطان قد فتنا كثيراً من النّاس حتّى لقد اتخذهما بعض الشّعوب آلهة يعبدونها من دون الله في صور وأشكال شتّى من المراسم والطقوس ...

إن تسئل: ما فائدة قوله تعالى: «ولا للقمر» بعد قوله عزّوجلّ: «لا تسجدوا للشّمس» وهومستفاد من الأوّل بالطّريق الاولى؟

تجيب عنه: فائدته ثبوت الحكم بأقوى الدّليلين وهو النّصّ.

إنّ الخطاب في الأمر والنّهي ... موجّه إلى المشركين، فاذا كانوا حقاً يعترفون بالله ويعبدونه فلا يصحّ أن يسجدوا للشّمس والقمر كما يفعلون، بل عليهم أن يسجدوا للخالق وحده لا المخلوق ... فالشّمس والقمر ممّا خلق الله جلّ وعلا وعبادتهما وما إليهما من الخلائق ضلال.

وإنّ تأليه الشّمس والقمر وعبادتهما ممّا كان سائداً في الأزمنة القديمة في بلاد اليمن من جزيرة العرب، ثمّ في بلاد العراق والشّام ومصر المجاورة لجزيرة العرب، والّتي جآء معظم سكّانها القدمآء من هذه الجزيرة، وقد كانت العرب في عصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبيئته يتسمون باسم عبدشمس، ومن ذلك جدّبني اميّة، فكانت عبادة الشّمس والقمر ممارسة في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند بعض القبائل العربية كما تفيد ذلك ، الآيات الّتي تنهى عنها.

وقوله تعالى: «إن كنتم إيّاه تعبدون» تعليق على عبادتهنّ، فالعابد لله ليس ليعبد خلق الله ولا سيّما «إن كنتم إيّاه تعبدون» ترمي إلى التّوحيد والسّجود لغيرالله ينافي التّوحيد.

٣٨ـ (فان استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لا يسئمون)

إلتفات من الخطاب إلى الغيبة إسقاطاً لهم عن شأن الخطاب لإستكبارهم عن السّجود لله عزّوجلّ وحده إلى السّجود لغيره، والمعنى: فاذا استكبر هؤلآء المشركون عن

السّجود لله تعالى وحده فلن يضيره إستكبارهم، فانّ أعظم المخلوقات خطورة في أذهانهم وهم الملائكة دآئبون على تقديسه، والحجّة مفحمة لهم لأنّهم يعترفون بالله ويعبدونه أيضاً من دون توقّف ولاملال مهما طال الأمد.

وقوله تعالى: «عند ربك» عندية بالقرب والكرامة، وبالشرف والرّتبة لا المكانيّة.

وقوله عزّوجلّ: «يسبّحون له» ولم يقل: «يسبّحونه» للدّلالة على الحصر والإختصاص اي يسبّحونه خاصّة.

٣٩ ـ (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير)

بيان لمشهد آخر من مشاهد وحدانيّة الله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته وتدبيره وقدرته، وهو ماتراه الأعين من هذه الحياة الّتي تلبس الأرض الميتة الّتي تكون يابسة خامدة، فاذا هي إذا ما أنزل الله عليها المآء اهتزّت وانتعشت وأخذت تتكشّف عن أنواع النّبات وتعجّ بمظاهر الحياة، ثمّ استطردت الآية الكريمة إلى التّنبيه إلى قدرته تعالى على إحياء الموتى إستدلالاً من ذلك، فالّذي أحيى الأرض بعد موتها على هذا الوجه الّذي يشاهده النّاس جميعاً قادر على إحيآء الموتى بعد موتهم للحساب والجزآء، وهو قادر على كلّ شيءٍ في كلّ حال. فاحياء الأرض نموذج ودليل على إحيآء الموتى ...

إن تسئل: كيف تكون الأرض خاشعة؟ وهل هي تعقل حتّى تكون كذلك؟

نجيب عنه: لقد سبق نظير هذه الآية في سورة الحجّ: «وترى الأرض هامدة»: ٥) وصفت بالهمود كما وصفت هنا بالخشوع، واللفظان قريبا المعنى، ومعنى خشوعها مايظهر منها وعليها من آثار الجدب واعلام المحلّ، فتكون كالإنسان الخاشع الّذي سكنت أطرافه وتطأطأ إستشرافه.

وذلك أنّ أصل الخشوع: التذلّل والتقاصر، فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لانبات ولاخضرة ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وهو خلاف وصفها بالإهتزاز والربو وهوالإنتفاخ إذاأخصبت وتزخرفت وتزيّنت بالنّبات كأنّها بمنزلة المختال في ريه وهي قبل

ذلك كالذّليل الكاسف البال في الأطمار الرثة ـ الأطمار جمع الطمر وهي الثياب الخرق ـ ففي قوله تعالى: «ترى الأرض خاشعة» إشارة إلى ضراعة الأرض في جدبها وموتها، وما تكون عليه من شحوب الفقر والمسغبة، إنّها أشبه بالكائن الحيّ حين تنقطع عنه موارد حياته، فيضرع ويخشع ويذلّ...! وقوله عزّوجلّ: «فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت» إشارة إلى تلك التفاعلات العجيبة الّتي يحدثها إلتقآء الماء بالأرض الميتة ... فهذا الإهتزاز هو فرحة الحياة الّتي تسرى في هذا الجسد الهامد، وهذا الرّبا والنّماء هو من فعل تلك الحرارة الّتي تملأ كيان هذا الجسد المنكمش المقرور...

في الآية الكريمة إستعارة تمثيلية شبّهت فيها الأرض في جدبها وخلوّها عن النّبات ثمّ إخضرارها ونموّ نباتها وعلوّ بشخص كان وضيع الحال، رثّ الثياب، متذلّلاً خاشعاً، ثمّ أصاب مالاً يقيم أوده فلبس أفخر الثياب وانتصب ناشطاً، متبختراً يعرف فيه وجهه نضرة النّعيم.

وقوله تعالى: «إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى ...» تعقيب على هذه الحقيقة الّتي يشهدها النّاس من أمر الأرض الميتة ويلبسها من حياة دافقة وشباب ناضر ... وإنّ هذه المقدّرة الّتي أحيت تلك الأرض الميتة لايعجزها شئ أن تعيد الأجسام الميتة الهامدة إلى الحياة مرّة اخرى ... فهذا من ذاك سوآء بسوآء، فالله جلّ وعلا هو الّذي «يخرج الحيّ من الميّت» بقدرته «إنّه على كلّ شئ قدير». فالآية مسوقة للإحتجاج على المعاد.

٤٠ ـ (إن الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقي في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير)

من المحتمل أن تكون الآية الكريمة تعقيبيّة على الآيات السّابقة، فيكون تأويلها أنّ آيات الله تعالى في كونها ماثلة للعيان كافية للإقناع والبرهنة على ربوبيته واستحقاقه وحده للعبادة ولاينكرها إلّا المكابرون الّذين يتعامون عن الحقّ عمداً، وهؤلآء لايخفون على الله جلّ وعلا، ومصير النّاس سيكون حسب مواقفهم وأعمالهم، ولا يمكن أن يكون الّذي مصيره النّار خيراً من الّذي يأتي يوم القيامة آمناً مطمئنّاً فليعمل الكافرون

المكابرون ما يشآؤن فمصيرهم إلى الله تعالى وهو عليم بصير بما يعملون ومجزيهم عليه بما يستحقون.

ومن المحتمل أن تكون الآية مقدّمة للآيات التالية، فيكون الإلحاد الوارد فيها أي المكابرة والانحراف والجحود بالنسبة للقرآن الّذي يذكّر في الآيات التّالية، وما جآء في الآية الكريمة من مقايسة وإنذار يبقى وارداً بالنسبة للإحتمالين، والصّلة بين الآية والسّياق السّابق لا تنقطع في حالة صحّة الإحتمال الثّاني، فالسّياق السّابق ذكر بعض آيات الله ومشاهد عظمته وربوبيته، والقرآن هو الّذي يقصّ ذلك، فالمناسبة تظلّ قائمة.

ومن المحتمل أن تكون الآية كالبرزخ الرّابط بين هذا الفصل، والفصل السّابق من الآيات لما وقعت بين قوله تعالى: «إنّ الّذين كفروا بالذّكر لمّا جآءهم ...» وبين قوله عزّوجل: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ...» وقوله سبحانه: «ومن آياته اللّيل والنّهار...».

فتكون الآية الكريمة وتاليها رجوعاً آخراً إلى حديث القرآن المجيد وإلحاد المشركين في آياته مع غاية ظهورها ورفيع درجاتها ...

في الآية الكريمة أربع تهديدات:

١ ـ قوله تعالى: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا» وعيد وتهديد شديد لملحدي هذه الامّة كما تؤيّده الآية التّالية، كما يقول الملك المهيب لمخالفيه: إنّ الّذين ينازعونني في ملكي أعرفهم ولاشكّ. فهو يريد تهديدهم وإلقآء الرّعب في قلوبهم. تهديد للّذين أشار إليهم بقوله تعالى: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» وقد هُدِّدوا من قبل بعذاب الله تعالى في قوله عزّوجلّ: «فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ...» ثمّ هاهم اولآء يتهدّدهم عذاب الله مرّة اخرى بعد أن تليت عليهم آيات الله، وفيها معارض كثيرة لقدرة الله جلّ وعلا، وماتملك هذه القدرة من اقتدار على البعث الّذي ينكرونه، ولا يعملون له حساباً.

٢ ـ قوله عزّوجلّ: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» إنكار على

الملحدين وتهجين لفعلهم وتهديد شديد لهم ببيان كيفيّة الجزآءِ وتقرير التفاوت بين الموحّد والمشرك ، بين المؤمن والكافر، بين المصلح والمفسد، وبين أهل الجنّة وأصحاب النّار. أفهذا العذاب وهذا البلآء الّذي يلقاه هؤلآء الملحدون خير أم جنّات الخلد الّتي وُعِدَ بها المتّقون المؤمنون المستقيمون؟ لايستو يان أبداً؟

وفي النّظم الّذي جآء عليه القرآن الكريم هنا من الإختلاف بين المتعادلين مايجعل هذا النّظم على إيجازه يتسع للكثير من المعاني، حيث يُرى في المعادل الأوّل أنّ الّذين يلقون في النّار لم يلقوا فيها إلّا بعد أن قطعوا طريقاً طو يلاً مضنياً إليها، تطلع عليهم فيه المخاوف من كلّ جانب ... على حين يُرى في المعادل الآخر أنّ من يأتي آمناً يوم القيامة قد انتهى به هذا الأمن إلى أمن دآئم، وهو الجنّة الّتي طابت لأهلها مستقرّاً ومقاماً: «لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون» الأنبيآء: ١٠٣) «أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ـ خالدين فيها حسنت مستقرّاً ومقاماً» الفرقان: ٢٤ و٧٦).

في الجملة تمثيل للكافر والمؤمن، وايذان بالجزآءِ وهو إلقاء الكافر في نار جهنّم قسراً من دون أيّ مؤمّن متوقّع من شفيع أو ناصر أو عذر مسموع ... فليس له إلّا النّار يلقى فيها. والظّاهر أنّ قوله تعالى: «أم من يأتي آمناً يوم القيامة» لإبانة أنّهما قبيلان لا ثالث لهما، فستقيم على طريق الايمان بالآيات، وملحد فيها، وأنّ أهل الإستقامة في أمن يوم القيامة.

٣ ـ قوله تعالى: «إعملوا ماشئتم» غاية وعيد ونهاية تهديد للملحدين الّذين لايريدون أن يتحوّلوا أبداً عن هذا الموقف الإلحاد في آيات الله ... فليعملوا ماشآؤا ... تهديد وتعنيف شديد لهم على العمل بصورة الأمر لأنّ الله سبحانه لم يخيّرهم ولم يحببهم أن يفعلوا ماشآؤا، بل نهاهم عن القبآئح والآثام كلها ... والمعنى: لن يفوتنا ماعملتم، فقد علمتم مصير الموحّد والمشرك ، والمؤمن والكافر، والمحسن والمسيئ ... أنّهما لايستو يان فلابدّ لكم من الجزاءِ، فمن أراد منكم أحد الجزآئين فليعمل له فانّه ملاقيه. فالمعنى: سترون جزائه أمامكم. فهويتضمّن وعيداً مجملاً، وإنّما كان تهديداً للعلم بأنّه ليس المراد

أمرهم أن يفعلوا ماشاؤا. وقرائن الأحوال تدلّ على أنّ المراد الوعيد لا الإهمال، والتهديد مع الوعيد المبين كأن يقول السّيد لعبده: دم على عصيانك فالعصا أمامك!

٤ ـ قوله جلّ وعلا: «إنّه بما تعملون بصير» تهديد و وعيد لهم بالجزآء، وإنّهم لمحاسبون على مايعملون، ومجزيّون بأسوإ الّذي كانوا يعملون.

٤١ ـ (إنّ الّذين كفروا بالذكر لمّا جآءهم وإنّه لكتاب عزيز)

وصف تهجين لهؤلآء الملحدين في آيات الله جلّ وعلا، وعلى احتمال أن تكون الآية السّابقة مقدّمة لهذه الآيات الخمس (٤١-٤٥) تكون الآيات إستمراراً للسّياق، فالّذين يتعامون عن الحقّ والهدى عمداً، ويلحدون في آيات الله هم الّذين كذّبوا بالقرآن لمّا جآءهم. وعلى احتمال أن تكون الآية السّابقة تعقيباً على ماقبلها، تكون هذه الآية وتاليها فصلاً جديداً في الوقت نفسه بالسّياق السّابق أيضاً، حيث حكى فيه صورة من صور إلحاد الملحدين في آيات الله الّتي منها القرآن المجيد.

وعلى أيّ حال ففي الآيات الخمس صورة من صور الجدل الّذي كان يدور حول القرآن الكريم بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والكفّار المكابرين:

١ ـ إنّ الّذين كابروا في آيات الله الماثلة في الكون هم الّذين كابروا أيضاً في القرآن لمّا جآءهم وحاولوا التشويش عليه وهو الكتاب المنيع العلي الّذي لايرام، والّذي لايأتيه الباطل من أيّ جهة لأنّه تنزيل من عندالله الحكيم الّذي يفعل مايشآء على غاية من الصّواب والإحكام، ويستوجب على كل مايفعل الحمد والثنآء، ومايقوله الكفّار للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد قاله أمثالهم للرّسل من قبله، وإنّ الله لرقيب عليهم، وهو ذوالعقاب الشديد كما هوذوالمغفرة الواسعة لمن يستحقّها.

٢ ـ إنّ الله تعالى لو أنزل هذا القرآن بلسان غير عربيّ لاعترض الملحدون أيضاً وتساءلوا عن عدم تفصيل آياته بلسان يفهمونه، فكيف يكون قرآناً عربياً وعجمياً في آنٍ واحد.

٣ ـ وعلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعلن ـ ردّاً على مايقولونه ـ أنّ القرآن هو

هدى وشفآء للّذين آمنوا وصدقوا وحسنت نيّاتهم وصفت طواياهم، ورغبوا في الحقّ والهدى في حين أنّ الكافرين لن ينتفعوا به لأنّ في آذانهم صمماً، وفي عيونهم ظلمة أو كأنّهم ينادون من مكان بعيد فلا إمكان لإسماعهم النّداء.

٤ ـ ولقد كان هذا شأن النّاس تجاه الكتاب الّذي آتاه موسى عليه السّلام فقد اختلفوا فيه بين مصدّق ومكذّب.

٥ ـ والله قادر على أن يقضى بين النّاس قضاءً عاجلاً فيمحق الكافرين المكذّبين وينجى المصدقين المؤمنين، ولكن حكمته اقتضت تأجيل هذا القضآء إلي يوم القيامة الّذي هو آت لاريب فيه.

وقوله تعالى: «بالذّكر» كناية عن القرآن الكريم سمّى ذكراً لما فيه من ذكرالله تعالى ولأنّه تذكّر به وجوه الدّلآئل المؤدّية إلى الحقّ والمعاني الّتي يعمل عليها فيه، ولأنّه يذكّر بالله تعالى ويكشف طريق الحقّ والهدى إليه، ولأنّ فيه ذكر كلّ مايحتاج إليه البشر في جميع شئونه الدّنيوية والاخروية.

وقوله عزّوجلّ: «وإنه لكتاب عزيز» وصف للذكّر بأنّه كتاب عزيز أن يعارَض أو يطعن فيه الطّاعنون أو يدسّ فيه المحرّفون، منيع عن كل نقص وعيب محمّى بحماية الله جلّ وعلا.

٤٢ ـ (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

تأكيد لوصف القرآن الكريم، هو تمثيل أي لايتطرّق البطلان إليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شئ ولايزاد عليه شئ، تقرير لكون القرآن المجيد في محكماته وأحكامه، في اصوله وفروعه، في أهدافه ومبادئه، وفي أسراره ومعارفه وتلقيناته متساوق كلّ التّساوق، كلّ حقّ ليس فيه أيّ تناقض ولا اختلاف فضلاً عن أنّه مبرّ أمن كلّ باطل أو شبهة باطل، وكلّ من أنعم النّظر في فصوله بأناة وتدبّر ومقارنة ومقابلة، وربط بعض فصوله ببعض، وتفسير بعض فصوله ببعض، وكان خبيراً منصفاً بعيداً عن الهوى والمكابرة وعن العصبيّة الجاهليّة ... يظهر على هذه المعجزة العظمى الّتي تقرّرها هذه

الجملة: «لايأتيه الباطل ...».

وقد يكون في الفصول المتشابهة والوسآئلية من قصص ومشاهد كونية واخروية وغيبيّة شيئ من التنوّع أو مالايدركه عقل الإنسان العادي، وهذا ممّا لايمكن أن ينطبق عليه وصف باطل قطّ. وإنّما جآء الاسلوب الّذي اقتضته حكمة التنزيل لتحقيق غاية التدعيم والتأييد لرسالة الله من إنذار وتبشير واسترعاء بما هو ماثل في الأذهان أو على سبيل التقريب والتّمثيل...

وقوله عزّوجل: «تنزيل من حكيم حميد» بمنزلة التّعليل لكونه كتاباً عزيزاً لايأتيه الباطل ... أي كيف لايكون كذلك وهو منزّل من عند حكيم متقن في فعله لايشوب فعله، وقد أحاط بكلّ شيئ علماً وهو المحمود على الإطلاق حمده خلقه أولا. الحكيم هو الّذي أفعاله كلّها حكمة فيكون من صفات الفعل، ويكون بمعنى العالم بجميع الأشيآء واحكامها فيكون من صفات الذّات.

٤٣ ـ (مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك إنّ ربّك لذومغفرة وذوعقاب أليم)

تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على مايصيبه من أذى الملحدين وتكذيبهم به صلّى الله عليه وآله وسلّم وطعنهم في القرآن الكريم، وحثّه على الصّبر، وألّا يضيق صدره صلّى الله عليه وآله وسلّم بما حكاه عنهم من نحو قولهم: «قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه ـفاعمل إنّنا عاملون»: ٥) وقولهم: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون»: ٢٦) فما قاله هؤلآء الملحدون في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن لايعدو شأن ماقاله أمثالهم من الامم السّابقة في رسلهم، وفي الكتب السّماوية النازلة عليهم.

وقوله تعالى: «إنّ ربك لذو مغفرة ...» تعليل للأمر بالصّبر، وتهديد لمن أصرّ على كفره وعناده، وعلى إلحاده ولجاجه، وفيه وعد لمن تاب وآمن، و وعيد لمن عاندو ألحد، وفيه دعوة الملحدين إلى الايمان بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه، فاذا آمنوا يغفر الله تعالى لهم ماكان منهم من الشّرك والإلحاد، وتهديد بالعذاب الأليم لمن لم يستجب الدّعوة...

٤٤ - (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى وشفاء والّذين لايؤمنون في آذانهم وقروهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد).

جواب عن شبهة الملحدين في آيات الله جل وعلا الّذين قالوا: هلاّ نزّل القرآن بلغة العجم؟! فأجاب جلّ وعلا: ولو جعلنا هذا القرآن بلغة غير العرب لقالوا هلاّ بيّنت آياته بلساننا العربيّ حتّى نفهمه؟ ولوجعلناه بلسان عربيّ غير فصيح لقالوا: أكلام أعجميّ، والمرسل إليهم عربيّ خلّص؟

فبيّن أنّه تعالى أنزله بلسانهم الفصيح غاية الفصاحة، وبلسانهم البليغ نهاية البلاغة ليتقرّر به معنى الإعجاز لأنّهم كانوا أعلم النّاس بأنواع الكلام العربيّ نظماً ونثراً، وإذا عجزواهم عن معارضته كان من أدلّ الدّليل على أنّه من عندالله الحكيم الحميد، ولوكان بغير لسانهم لقالوا: لا علم لنا بهذا اللّسان.

فالأعجم: ضدّ الفصيح وهو الّذي لايبيّن كلامه، ويقال للحيوان غير النّاطق: أعجم ومنه «صلاة النّهار عجمآء» أي لايجهر فيها بالقراءة فكانت النّسبة إلى الأعجم آكد لأنّ الرّجل العجمي الّذي ليس من العرب قد يكون فصيحاً بالعربيّة، والعربيّ قد يكون غير فصيح، فالنسبة إلى الأعجمي آكد في البيان. فالفرق بين الأعجمي والعجمي: أنّ الأعجم لايفصح ولايبيّن وإن كان عربياً، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً.

فالإستفهام إنكاري مقرّر للتحضيض، واليآء للمبالغة في الوصف كأحمريّ. والمعنى: أكلام أعجميّ ورسول أو مرسل إليه عربيّ. على أنّ الافراد مع كون المرسل إليهم امّة جمّة لما أنّ المراد بيان التّنافي والتّنافر بين الكلام وبين المخاطب به، لابيان كون المخاطب واحداً أو جمعاً كما تقول: وقد رأيت لباساً طويلاً على رجل قصير. اللّباس طويل، واللابس قصير. ولو قلت: واللاّبس قصير جئت بما هو أفضل. والمراد أنّهم لعنادهم لاينفكون عن المراءِ والإعتراض والإلحاد في آيات الله سوآء أكان القرآن عربياً أم عجمياً. وفيه إفحام لهم وجواب عن قولهم: «قلوبنا في أكنّة...»: ٥) فانّ القرآن

إذا كان بلغتهم وهم فصحآء وبلغآء فكيف لايفهمونه إلّا إذا كان هناك مانع جعلوه هم بسوء اختيارهم.

وقوله تعالى: «قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء» ردّ على الملحدين المكذّبين على قولهم: «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه» مع مافيه من التقرير لأثر القرآن الكريم وخاصّته لايدور مدار لغته، بل النّاس تجاهه صنفان: المؤمنون به، وهو هدى وشفآء لهم يهديهم إلى الحق ويشفي مافي صدورهم من مرض الشكّ والرّيب، والمكذّبون به، وهو عمًى عليهم وهم الّذين في آذانهم وقريعميهم فلايبصرون الحقّ وسبيل الرّشاد، وفي توصيف المكذّبين به بأنّ في آذانهم وقراً ايمآء إلى اعترافهم بذلك المنقول في أوّل السّورة: «وفي آذاننا وقر...».

وفي تقديم الظّرف: «للّذين» مع صلته: «آمنوا» على متعلّقه: «هدى وشفآء» من إفادته مالا يخفى بأنّ هدايته وشفآئه مختصّة لمن اتّصف بصفة الايمان، فيهديهم إلى الحقّ، ويشفي مافي قلوبهم من مرض الشّك والرّيب كما أنّ قوله: «وهو عليهم عمًى» من القصر مالايخفى بأنّ من اتّصف بصفة الكفر والالحاد، فهوبالنّسبة إليهم عمى وضلالة، وذلك لايلزم الإختلاف في حال القرآن الكريم، بل هو كالشّمس تضيئ، والإختلاف من ناحية القابل لامن ناحية المضيئ، فالوصف الّذي وصف به الّذين لايؤمنون بالقرآن هو بقصد وصف شدّة عنادهم ومكابرتهم ... فالقرآن الكريم هو هدى وشفآء بالقياس إلى طآئفة، وهم الّذين لم يفسد قرايحهم ولم تتغيّر فطرتهم الّتي فطرهم الله تعالى عليها، وهو بعينه ضلال بالقياس إلى آخرين فسدت قريحتهم، وتغيّرت فطرتهم كما أنّ نورالشّمس يقوى للابصار وهوعمى للخفافيش.

وقوله تعالى: «اولئك» إشارة إلى الموصول الثّاني باعتبار اتصافه بما في حيّز صلته وملاحظة ما أثبت له، ومعنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه للايذان ببعد منزلته في الشّرّ مع مافيه مِن كمال المناسبة للنّداءِ من مكان بعيد أي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التّصامم على الإعراض عن الذّكر والحقّ الّذي يسمعونه، وتصامّهم عن سماعه، والتعامي عن الآيات الظّاهرة الّتي يشاهدونها. وفي الإشارة إليهم مناداة عليهم

بما يسوءهم واعلامهم بهذا الحكم على مشهد من النّاس.

وقوله عزّوجلّ: «ينادون عن مكان بعيد» تمثيل للملحدين المعرضين عن الذكر وعدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لايكاد يسمع من مثلها الأصوات ... فهم لايقبلون العظة ولايعقلون الحجّة، فكأنّهم لايسمعون الصّوت ولايرون الشّخص. ففيه تمثيل لحالهم باعتبار عدم فهمهم له بحال من ينادي من مكان بعيد لايسمع من يناديه أو يسمع الصّوت ولايفهم معناه من حيث لم ينتفع به.

وفي تلخيص البيان: قال السّيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة والمراد بها والله أعلم صفتهم بالتّباعد عن طريق الرّشد والإعراض عن دعآءِ الحقّ فكأنّهم من شدّة الذّهاب بأسماعهم والإنصراف بقلوبهم ينادون من مكان بعيد، فالنّدآء غير مسمع لهم ولا واصل إليهم ولو سمعوه لضلّ عنهم فهمه للأمد المنفرج بينهم و بينه.

٤٥ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم وإنّهم لفي شكّ منه مريب)

مستأنف مؤكّد بالقسم سيق لبيان أنّ الإختلاف في شأن الكتب السّماوية الإلهيّة عادة قديمة للامم غير مختصّ بقومك على منهاج قوله عزّوجلّ: «مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك» ولقد كان هذا شأن النّاس تجاه الكتاب الّذي آتاه الله موسى عليه السّلام فقد اختلفوا فيه بين مصدّق ومكذّب، ولعلّ تخصيص كتاب موسى عليه السّلام بالذّكر من بين الكتب السّماوية لكثرة أحكامه وعجيب قصّته ولأنّ قومه كانوا شرّ الامم حتّى اليوم.

وفيه تسلية لرّسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتسرية لهمومه الّتي يعالجها من خلاف قومه عليه وجحودهم وكفرهم وإعراضهم عمّا يتلو عليهم من آيات ربّهم وإلحادهم فيها، فهؤلاء الملحدون ليسوا بدعاً بين الامم في تكذيبهم بالقرآن الكريم، ولا هذه حال هؤلآءِ القوم وحدهم، بل هي حال كثيرين من أهل الكفر والضّلالة، من

أهل البغي والغواية، ومن أهل الباطل والجناية في كلّ امّة وكلّ جيل مع رسل الله تعالى وآياته... وأقرب مثل لهذا مالقى موسى عليه السّلام من قومه هؤلاء الّذين يراهم المشركون بينهم من اليهود العنود...

وقوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربك ...» إخبار عن تأخير عذاب الملحدين إلى حين على ما اجترحوا من تكذيب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحدهم بكتابه، وهذه الكلمة هى ما وعدالله جلّ علابه نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ألّا يعذّب قومه وهو فيهم.

وقوله تعالى: «وانّهم لفي شك منه مريب» تقرير بأنّهم غير متثبّتين فيما يشكون، وهم في ريب منه، مع مافيه من بيان حال قومه ليتسلّى به النّبيّ الكريم صلّى الله عليه آله وسلّم فيمايرى من قومه، وتنبيه إلى مايقتضي به إهلاكهم وإن تأخّر إلى حين، أو إيماء إلى سبب تأخير العقاب إلى يوم بأنّهم لو كانوا قاطعين في إلحادهم لماتأخّر عنهم العذاب، مع ما في التّأخير خروج المؤمنين من أصلابهم أو لعلّهم يتوبون إلى الله عزّوجلّ فيؤمنون.

٤٦ ـ (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها ومار بّك بظّلام للعبيد)

تقرير لمسئولية كلّ امرئٍ عن عمله صالحاً كان أو سيّئاً، وجزآؤه عندالله تعالى عليه حسب ذلك دون ظلم ولا إجحاف لأنّ الله عزّوجلّ لايمكن أن يظلم عبيده. إنّ الآية الكريمة حاسمة في صراحتها وقطعيتها بأنّ المرء إنّما يعمل مايعمل من أعمال صالحة وسيّئة ـ ومن ذلك الايمان والكفر ـ باختياره وإرادته، وأنّه يتحمل من ذلك تبعة عمله، وأنّ الثّواب والعقاب إنّما يكونان وفق هذا الإختيار ونتيجة له.

وقوله تعالى: «وما ربك بظلام للعبيد» اعتراض تذييلي لتقرير ماقبله، مبنىّ على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله أو إثابة الغير بعمله، وتنزيل التعذيب بغير إسآءة أو باسآءة غيره منزلة الظّلم الّذي يستحيل صدوره عنه سبحانه. وليس «ظلام» هنا للمبالغة بل للنّسب لأنّ صفات الذّمّ إذا نفيت على سبيل المبالغة لم ينتف أصلها.

والمعنى: وما ربّك بذى ظلم قطّ لأنّ الله سبحانه لايظلم النّاس مثقال ذرّة.

ولايخفى على الأريب البياني: أنّه قد يستغني عن يآء النّسب بصوغ المنسوب إليه على «فعّال» وذلك غالب في الحِرَف مثل تمّار وبنّاء وبقّال ... فالظّلم منفيّ قطعاً عن الله جلّ وعلا لأنّ الّذي يظلم إنّما يكون في حاجة إلى مزيد ممّا هو في يد غيره، والله تعالى هو الغني على الإطلاق، فإلى من يتجه بالظّلم وهومالك كلّ شئ، فحضرة الخالق منزّهة عن ظلم المخلوق.

وفي المجمع: في قوله تعالى: «وما ربك بظلام للعبيد» قال: «وهذا على وجه المبالغة في نفي الظّلم عن نفسه للعبيد، وإنّما قال ذلك مع أنّه لايظلم مثقال ذرّة لأمرين: **أحدهما-** إنّ من فعل الظّلم وإن قلّ وهو عالم بقبحه، وبأنّه غنيّ عنه لكان ظلاّماً والأخر: أنّه على طريق الجواب لمن زعم أنّه يظلم العباد فيأخذ أحداً بذنب غيره ويثيبه بطاعة غيره» إنتهي كلامه.

فما من أحد يؤخذ ويعاقب بالعدل في الدّنيا والآخرة إلاّ إذا كان هو بالذّات السّبب الموجب للأخذ والعقاب بحيث لوكان هوالحاكم العادل لحكم على غيره بنفس ماحكم الغيرعليه.

وفي الآية الكريمة تسلية بعد تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوة إلهيّة له صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أن يتخفّف من هذا الحزن الّذي يجده في نفسه من إلحاد قومه في آيات الله تعالى وإعراضهم عن القرآن الكريم، ومن تهافتهم على موارد الهلاك وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم يمسك بحجزهم وبشدّهم إليه ليأخذ بهم إلى طريق النّجاة، وهم يتفلتون منه، ويلقون بأنفسهم إلى النّار ويتساقطون فيها تساقط الفراش، فلا بأس على النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا بلّغهم دعوته فلم يستجيبوا لها.

وإنّ الآية وتاليها في معرض إنذار الملحدين، والتنديد بالمشركين، وقد استهدفت فيما استهدفته إثارة النّدم والإرعوآء فيهم إذ يسمعون ماسوف يكون من أمرهم وخذلان شركآئهم لهم يوم القيامة.

٤٧ ـ (إليه يردّ علم السّاعة وماتخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلاّ بعلمه ويوم يناديهم أين شركائ قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد)

جواب عن سئوال مقدّر، فكأنّ الملحدين الّذين لايصدّقون بيوم القيامة، ولايؤمنون بالبعث والحساب والجزآء سئلوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن يوم البعث سئوال المنكر بقولهم: متى هو؟ فكانت هذه الآية جواباً عن سئوال يدور في رؤسهم منكراً لهذا اليوم، وقدجآء الجواب على سبيل القصر، وجَعْلِ علم السّاعة من أمرالله تعالى وحده فحكم حكماً قاطعاً بانّ علم السّاعة وتحديد وقتها هو من أمرالله وحده لايعلمها إلاّ هو. فليس للمحجوبين أن يؤمنوا بشئ من أسرارها وأشراطها إلاّ كايمان الأكمه بالألوان من طريق الإيمان بالغيب كما قال جلّ وعلا: «يؤمنون بالغيب» البقرة: ٣).

وكما أنّ مدركات العقل أسرار على الحواس، فكذلك مدركات القيامة أسرار على العقل النظرى، فلا يتصوّر أن يحيط بها أحد مادام في الحياة الدّنيا، ولم يتخلّص عقله عن اسر الوهم وقيد الخيال، وسئوال المنكرين: «متى هو؟ سئوال عمّا يستحيل الجواب عنه على موجبه، فانّ أمر السّاعة كلمح البصر أو هو أقرب، ومتى سئوال عن زمان معين للحركات والمتحرّكات الزّمانية، فاستحال الجواب عنه وهو كقول القآئل:

الأكمه إذا وصفنا له المبصرات من الألوان وغيرها كيف نشمّ أونذوق هذه الألوان . . . والجواب الحق من ذلك أن يقال لهم: إنّ العلم بذلك عندالله، فمن رجع إلى الله جلّ وعلا وحشر إليه كان يعرف حينئذ علم السّاعة، وإنّه عندالله كما قال: «وإنّه لعلم السّاعة ولا تمترنّ بها» الزّخرف: ٦١).

وقوله تعالى: «وما تخرج من ثمرات من أكمامها...» تعميم بعدالتخصيص، وتوكيد لعلم الله الشّامل الّذي يقع في محيطه كُلُّ شيءٍ في هذا الوجود لاعلم السّاعة وحده . . . فهذه الثّمرات الّتي تخرجها الأرض هي في علم الله جل وعلا ثمرة ثمرة، بل قبل أن تكون ثمرة . . . فهو جلّ وعزّ الّذي أخرج نبتتها من الأرض، وهو تعالى الّذي أطلع من النّبتة هذا الزّهر، وهو عزّوجلّ الّذي أخرج من هذا الزّهر الثّمر وأنضجه . . . هذا في عالم النّبات، وكذلك الشّأن في عالم الحيوان والانسان . . . «وما تحمل من انثى

ولا تضع إلّا بعلمه» استثنآء مفرّغ من أعمّ الأحوال أي ومايحدث شئ من خروج ثمرة ولاحمل حامل، ولا وضع واضع ملابساً بشيءٍ من الأشيآء إلّا ملابساً بعلمه المحيط.

وعلم الله جلّ وعلا بما تحمل كل انثى وماتضع من حمل لايمنع من أن يعلم النّاس من هذا العلم مايقع لحواسّهم من حمل الحوامل من إنسان وحيوان ... وإنّ علم الله عزّوجل واقع قبل أن يقع الحمل وبعده، وهوعلم شامل لكلّ ذات حملٍ و وضع ... على خلاف علم العلماء ... فانّه علم حادث بعد أن يقع الحمل، ثمّ هو علم محدود لايقع إلّا على مايكون تحت حواسهم بأسباب ... وهو قليل قليل إلى مالم يقع لحواسهم ... ممّا في عوالم البحار والطّير والوحش والهوامّ والحشرات ... وغيرها كثير كثير ... فالعلم الشّامل الكامل بحقآئق الأشياء هوعلم الله تعالى وحده.

فيردّ علم السّاعة وموعد يوم القيامة إلى الله الّذي عنده كلّ شئ كان او سيكون حتّى لا تخرج ثمرة من برعمها وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه، يعلم جزئيات حالات كلّ شئ، فهو جلّ وعلا على كونه خالق كلّ شئ محوّلاً لأحوالها عالم بها وبجزئيات حالاتها، مراقب لها، وهذا هو أحسن التّدبير فهو الرّب وحده ففي الآية الكريمة إشارة إلى توحّده في ربوبيته وتفرّده في الوهيته، ولذا ذيّلها بقوله تعالى: «ويوم يناديهم...» فتكون الآية مسوقة لنفى الشّركآءِ ببيان قيام التّدبير به تعالى وإعتراف المشركين بذلك يوم القيامة.

وقوله عزّجلّ: «ويوم يناديهم...» إخبار ببعض ماسيقع يوم القيامة من أسوإ أحوال المشركين، ندآء تهكّم واستهزآء بالملحدين، وسؤال توبيخ وتقريع للمشركين: أين شركآئي الّذين كنتم تزعمون فتعبدونهم من دونى؟!

وقوله سبحانه: «قالوا آذنّاك ...» جواب عمّا نودوا إليه وسُئِلوا عنه بأننا لانشهد اليوم لأحد منهم بالشركة في الالوهية والرّبوبيّة، أوهم يخرسون عن الجواب، فيقوم شركآئهم الّذين عبدوهم من دون الله، فينطقون عنهم قائلين: «آذنّاك ...» اى تبرّأنا إليك يا الله منهم في الحياة الدّنيا قبل الآخرة، وليس الآن منّا من شهيد يشهد معهم موقفهم هذا ويقف إلى جوارهم ... وهذا هو بعض السّرّ في التعبير بالفعل الماضي:

«قالوا» بدلاً من «يقولون» الّذي يعبّر به عمّا يتوقّع ...

٤٨ ـ (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا ماهم من محيص)

تتمة حكاية عمّا سوف يكون من أمر الملحدين المشركين يوم القيامة بعد أن لم يجدوا بدّاً إلّا الإعتراف بحقيقة الأمر، والتّراجع عمّا كانوا يقولون به، وتنزيه الله جلّ وعلا عن الشّركآء ... بأن يغيب عنهم يومئذ شركآؤهم الّذين كانوا يدعونهم في الحياة الدّنيا، تيقّنوا أن لامحيدلهم ولا مخلص من عقاب الله وعذابه ...

٤٩ ـ (لايسئم الإنسان من دعآء الخير وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط)

تنبيه إلى سرعة تبدّل أحوال الإنسان وتحوّله، وإخبار عن تغيّر حالاته وتنقّله من حال إلى حال في الحياة الدّنيا غالباً، وهذه حال الإنسان كلّيّاً أو أكثرياً، فهو في حالة الإقبال لايسأم من طلب الجاه والسّعة، والمال والصّحّة ... وفي حالة الإدبار يصير في غاية اليأس وشديد الإنكسار مقطوع الرّجآء من فضل الله جلّ وعلا.

فجآئت الآية الكريمة ومايليها من الآيتين: (٥٠ ـ ٥١) استطرادية لتصف أخلاق الكفّار الّذين كانت تتألّف منهم أكثرية النّاس في البيئة الّتي تنزل فيها، فالإنسان من هذه الأكثرية لايسأم من طلب الخير والاستمتاع به، فاذا مسّه شرّ وقع في اليأس واستولى عليه القنوط. والآيات الثلاث: (٤٩ـ ٥١) قوية نافذة في تقريرها وتنديدها، وهي وإن كانت بسبيل وصف أخلاق أكثرية النّاس الّذين يسمعون القرآن الجاحدين لله ونعمه فانّها تمثل حالة من المتجمعات بصورة عامّة في كلّ ظرف فيما يبدو من أفرادهم من تقصير في حق الله جلّ وعلا وجحود لفضله ونسيانه في أوقات الرّخآء واستغراقهم في الدّنيا وشهواتها ومطالبها دون تفكير في الواجبات والعواقب ... وهذا يجعلها مستمدّ إلهام وفيض دآئم للمسلم يذكره بواجبه نحو الله عزّوجلّ والنّاس دون مابطر ولا جحود ولا إسراف ولا استغراق ولا قنوط.

الإستكثار والسّعة من متاع الدّنيا المتمكّن منها دون أن يقف بها الأمر عند حدّ القناعة أو الكفاءة أو الشّبع ... بل إنّها كلّما كثر لديها ما تشتهى من المتاع إزادادت جوعاً وطلباً ...

كالحوت لا يكفيه شيء يَلْقَمه يُصبَح ظمآن وفي البحر فَمُه

فلا يملّ الإنسان من طلب الخير لنفسه من مال ومتاع، من ولد وجاه، من سلطان وأمان ومن سعة وصحّة ... وما إليها ممّا يطلبه النّاس ويتنافسون فيه ... وقد سميّت هذه المطالب خيراً لأنّها في أصلها من نعم الله عزّوجلّ، وهي في ذاتها خير، ولكنّها حين تصبح غاية لا وسيلة، تكون فتنة وبلاءً فالدّنيا ومتاعها خير إذا كانت في خدمة الإنسان، وكانت شرّاً إذا كان الإنسان في خدمتها.

والمراد بدعآءِ الخير هو طلبه واستدعآؤه، والسّعى الجادّ لتحصيله لأنّ هذه الأشيآء إنّما يطلبها الإنسان لأنّها غائبة عنه فهو يستدعيها إليه، ويهتف بها من أعماقه أن تجيبه وتدنو منه، ومن سوء حالة الإنسان أنّه إذا ألمّ به الشّرّ ـ مجرّد إلمام مع هذه النّعمة الكثيرة الّتي بين يديه ـ جأر بالشكوى وعلا صياحه بالسّخط والضّيق، وكاد يؤدّى به ذلك إلى اعلان الحرب على ربّه! لأنّه يائس من رحمة الله جلّ وعلا، سيّئ الظّنّ بفضل الله وإحسانه.

وهذا موقف من لا يؤمن بالله عزّوجلّ، ولا يحسن الظّنّ به، ولا يعلّق الأمل والرّجآء فيه، إنّه يقيس الامور ويقدّرها حسب مجرياتها بالنسبة له، وحسب الأسباب الّتي بين يديه منها، غير ناظر إلى قدرة الله عزّوجلّ، وإلى تعلّق مصآئر الأمور بمشيئته ... والمعنى: وإن أصابته محنة وبلآء تطامن واستكان ويئس من الفرج، وهذا دليل على شدّة حرصه على الجمع وشدّة جزعه من الفقد إلى ما فيه من طيش يتولّد عنه إعجابهُ واستكباره حين النّعمة وتطامنه حين زوالها. وذلك ممّا يومئ بشغله بالنّعمة عن المنعم في حالى وجودها وفقدها، أمّا الأوّل فظاهر وأمّا الثّاني فلأنّ التضرّع جزعاً إنّما كان على الفقد الدّالّ على الشّغل عن المنعم بالنّعمة.

وقوله تعالى: «فيؤس قنوط» فيه مبالغة من جهة البنآءِ ومن جهة التكرير، ومن جهة أنّ القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشّخص، فيتصاءل وينكسر أي مبالغ في

قطع الرّجآءِ من فضل الله تعالى ورحمته، وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أنّ اليأس من رحمة الله جلّ وعلا لايتأتى إلّا من الكافر كما قال في الكفّار: «انّه لاييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون» يوسف: ٨٧).

وأمّا المؤمن الّذي يعمر الايمان قلبه، فانّه إذ يسعى سعيه في الحياة الدّنيا يتقبّل في رضىً واستسلام، كلّ مايقع له من خير أو شرّ ... فهو مع الخير قانع، راضٍ، شاكر، ومع الضّرّ صابر، مترقّب مواقع رحمة ربه من قريب، لايبيت في كلّ شدّة إلّا مع أملٍ في رحمة من ربّه تكشف هذا الضّر الّذي نزل به.

٥٠ ـ (ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرآء مسّته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ السّاعة قائمة ولئن رجعت إلى ربّى إنّ لى عنده للحسنى فلننبّئن الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ)

تقرير حالة اخرى للإنسان الكفور، وبيان سبب جحودهم ودفعهم الحقّ الصّريح، على سبيل التّأكيد بالقسم المقدّر، وهو أنّ هذا الإنسان الّذي مسّه الشّر فبات يآئساً قانطاً من رحمة الله جلّ وعلا إذا أذاقه الله تعالى رحمة منه، فأحسّ بخير وقدرة ... وكشف عنه الضّرّ الّذي مسّه وبدّله بنعمة، لم يجعل هذا إلى الله عزّوجلّ ولم يضفه إلى فضله وإحسانه، بل يبطر ويتعظّم وتنتفخ أو داجه، ويصعرّ خدّيه ويمشى الخيلآء، فيزيّن له ضلاله وغروره أنّ هذا الخير الّذي أصابه بعد الضّرّ هو من عمله وحسن تدبيره. ويجحد فضل الله تعالى بتّاً، ويعتبر ما أصابه من ذلك طبيعياً وحقاً فيقول:

«هذا لي» هذا من كسبي أستحقّه، هذا من حسن تدبيرى، فهولي لما لي من الفضل والعمل اولى دآئماً لايزول، وليس لله فيه شئ، فلايكون منه حمدلله ولا ذكر لفضله وإحسانه ... ثمّ يمضى في غروره وضلاله، ولا يلبث أن يستغرق في متاع الدّنيا وشهواتها، ويطمئنّ إلى زخارفها، وينسى الله تعالى وينسى الآخرة ومافيها من خير ونعمة وسعادة للصّالحين، ومن عذاب ونقمة وشقآء للجاحدين، فيدخل على نفسه الشكّ في أمر البعث والحساب والجزآء كي يطلق العنان لشهواته ونزواته غير عامل أيّ

حساب ليوم الحساب: «وما أظن السّاعة قآئمة» فيجحد أن يكون ماينذر به بعد الموت من خير وحسنى حيث إنّ الغنى قد يؤدّي بالمرء إلى إنكار البعث.

ثمّ إذا به بعد أن ألقى بذور الشّكّ في يوم القيامة وغرسها في مشاعره حتّى أنكره يعود فيروى هذه البذور بالآمال الكاذبة، والأمانيّ الباطلة، حتّى يخيل إليه منها أنّها قد استوت على سوقها، ثمّ أزهرت وأثمرت ... فيحدّث نفسه بهذا الحديث الكاذب: «ولئن رجعت إلى ربّى إنّ لي عنده للحسنى» هكذا ينتقل به الضّلال من وهم إلى وهم، ومن خِداع إلى خداع، حتّى يرد موارد الهلاك !

«وما أظنّ السّاعة قآئمة»! إنّه مجرّد ظنّ! يحتمل أن تقوم السّاعة أولا تقوم! وماذا لوقامت السّاعة؟ إنّه لاخوف عليه منها! وماذا يخيفه؟ إنّ له عندالله سبحانه في الآخرة- إن كانت هناك آخرة- مثل ماكان له في الدّنيا أو أكثر!!! ... وفي الجملة ايماء إلى أنّ الغنى قد يؤدّي بالمرء إلى إنكار البعث. وهكذا يزيّن الضّلال لأهله!

وقد أبطل الله عزّوجلّ هذه الأمانيّ الباطلة، وردّها على أهلها حسرةً وندامةً، فقال: «فلننبّئن الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ» تهديد شديد لمن اتصف بهذه الصّفات الرّذيلة، على طريق التوكيد بالقسم المقدّر مرّتين، و وعيد له بعذاب غليظ لايمكن وصفه. هذا جزآء كلّ من تلبّس بالكفر ومات عليه حيث إنّ تعليق الحكم على الوصف مشعر بعلّيّة الوصف للحكم.

قال بعض المعاصرين في قوله تعالى« ولئن أذقناه رحمة منّا ...»: «الأصل بالنّظر إلى مضمون الآية السّابقة أن يقال: وإن ذاق خيراً قال: هذا لي لكن بدّل ذاق من «أذقنا ه» و«خيراً» من قوله: «رحمة منّا» ليدلّ على أنّ الخير الّذي ذاقه هورحمة من الله أذاقه إيّاها، وليس بمصيبه برأسه ولا هو يملكه، ولوكان يملكه لم ينفكّ عنه ولم يمسسه الضّرآء ولذا قيّد قوله: «ولئن أذقناه ...» بقوله: «من بعد ضرآء مسّته» انتهى كلامه.

٥١ - (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأبجانبه وإذا مسّه الشّرّفذودعآء عريض)

بيان ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله تعالى بنعمة أبطرته النّعمة

انصرف عنه وجحده فكأنّه لم يلق بؤساً قطّ، ونسى المنعم وأعرض عن شكره وإذا مسّه شرّ هلع وملأ الدّنيا دعاءً وشكوى، وهكذا يكون ديدنه، وفي الآية الكريمة إخبار عن جهل الإنسان الّذي تقدّم وصفه بمواضع نعم الله تعالى، ومايجب عليه من الإعتراف بشكره بتركه النّظر المؤدّى إلى معرفته، كما أنّها بصدد ذمّ الإنسان المغترّ بنفسه وتوبيخه بأنّه إذا أنعم الله تعالى عليه إمتحاناً أعجب بنفسه وتكبّر، وأنسى المنعم، وإذا سلب النّعمة عنه إختباراً تعلّق بذيل الدّعآء والمسئلة والتوجّه إلى ربّه مستمرّاً مصرّاً.

وقوله تعالى: «ونأبجانبه» كناية عن الإبتعاد بنفسه وهو كناية عن التكبّر والخيلآء. انّ النأى يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك يقال له: نأى. والبُعد هو تحقيق التروح والذّهاب إلى الموضع السّحيق. فالنأى يكون أوّل البعد، والبُعد يكاد يبلغ الغاية.

والجانب مجازعن النّفس كالجنب في قوله تعالى: «في جنب الله» الزّمر: ٥٦).

وقوله عزّوجلّ: «فذو دعآءٍ عريض» أي كثير، إستعير العرض لكثرة الدّعآء ودوامه، وهو من صفة الأجرام، ويستعار له الطّول أيضاً كما استعير الغلظ بشدّة العذاب، فاستعير عمّا له عرض متّسع للإشعار بكثرته وإستمراره، وهو أبلغ من الطويل، فانّ الطّول أطول الإمتدادين، وإنّ العرض يدلّ على الطّول، ولايدلّ الطّول على العرض إذ قد يصحّ طويل ولا عرض له كالخيط، ولايصحّ عريض ولا طول له، لأنّ العرض هو الإنبساط في خلاف جهة الطول، والطّول هو الإمتداد في أيّ جهة كان.

فعرض الدّعآء عبارة عن كثرته مجازاً عن عرض الجسم، فانّه إذا طال امتداده العرضى فالطّولى أكثر، وهذا بنآءً على أنّ الطّول أطول امتدادين.

وفي تلخيص البيان: قال: «وهذه إستعارة والمراد بها والله أعلم صفة الدّعآء والكثرة، وليس المراد العرض الّذي هوضدّ الطّول، وذلك أنّ صفة الشّئ بالعرض يفيد فيه معنى الطّول لأنّه لولم يكن مع العرض طول لكان العرض هو الطّول ألا ترى أنّهم يصفون الرّمح بالطّول ولايصفونه بالعرض إذ كان طوله اضعاف عرضه ويصفون الازار بأنّه عريض إذ كان عرضه مقارباً لطوله».

٥٢ ـ (قل أرأيتم إن كان من عندالله ثمّ كفرتم به من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد)

أمر من الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتوجيه سؤال إنكاريّ وتقريعيّ للكفّار عمّا تكون حالتهم إذا كان مايسمعونه هومن عندالله حقّاً ثمّ كفروابه، وعمّا إذا كان هناك من هو أشدّ ضلالاً وأبعد في السّخف والباطل ممّن يقف موقف المعارضة والمشاققة بدون علم ولا بيّنة، وتنطوى الآية الكريمة ضلالهم وسخفهم وموقفهم الباطل، وردّهم عى أمانيّهم الباطلة الّتي يعيش فيها أهل الكفر والضّلالة وأهل البغى والغواية ... فيقولون إن كانت هناك آخرة ـ ولانظنّ ـ فانّ لنا عندالله هناك ماكان لنا في الدّنيا من مال وسعة وجاه وسلطان ... وإن لم تكن آخرة ـ وهو مانظنّ ـ فقدأخذناعلى هذا، فلايضيرنا أنّه لم يجئ هذا اليوم، فليس لنا شئ فيه ولا متعلّق لنا به.

وفي الآية الكريمة كشف عن موقف المشركين المكذّبين من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن كتاب الله الّذي بين يديه ... فهم في شكّ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفي حيرة من أمرهم فيه بين التّصديق والتكّذيب، أشبه بهذه الظّنون الّتي تدور في رؤس المشركين عن يوم البعث، وقدجآء هم القرآن الكريم، وهم على هذا الشّعور يحاسبهم به، ويسفّه منطقهم فيه، فهم قد وقفوا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم موقف الشك والإرتياب، بين التّصديق والتكّذيب، كما كان ذلك شأنهم مع اليوم الآخر... فليكن هذا!

ولكن لماذا يرجّحون جانب التّكذيب على جانب التّصديق؟ هذا هوالّذي لايقبله منطق! فهل يقبلون مثلاً إذا جآء هم من يخبرهم أنّه رأى جيشاً مغيراً ورآء هذا الجبل، يريد الهجوم عليهم ـ هل يقبلون أن يقيموا أمرهم على الشّك في هذا الخبر ولوكان كاذباً من كاذب؟ وهل يقبلون أن يخلو شعورهم من كلّ حذر وحيطة؟ إنّ منطق الحياة يدعوهم إلى الأخذ بالأحوط، وإلى أن يعدّوا العدّة كاملة للقآء هذا العدوّ... فان كان هناك عدوّ كانوا قد أعدّوا العدّة للقآئه، فلم يبغتهم بخيله ورَجِله... وإن لم يكن هناك عدوّ فلا خسران عليهم فيما فعلوا...

وكأنّ هنا إنساناً يقول لهؤلآء الكافرين: إنّ محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم وإنّه يحمل إليكم كتاباً من ربّكم يدعوكم فيه إلى الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وينذركم عذاب يوم عظيم هويوم القيامة، وهذا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إمّا صادق وإمّا كاذب، فان أقمتم أمركم معه على أنّه صادق وآمنتم بالله تعالى وباليوم الآخر، وأعددتم العدّة للقآء هذا اليوم، فان كان هو صلّى الله عليه وآله وسلّم صادقاً حقاً فقد نجوتم، وخلصتم بأنفسكم من عذاب هذا اليوم، وإن كان كاذباً فما خسرتم شيئاً، وهذا مايشير إليه تعالى في قوله على لسان مؤمن آل فرعون: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جآءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم» المؤمن: ٢٨).

وفي هذا المعنى قال أبوالعلآء المعرّى:

قال المنجّم والطّبيب كلاهما لا تُبعَث الأجساد قُلتُ إليكما

إن صحّ قولكما فلست بخاسر أوصحّ قولي فالخسار عليكما

ومفاد الآية الكريمة ـ خطاباً لهم إتماماً للحجّة عليهم ـ: أنّ هذا القرآن يدعوكم إلى الله تعالى ناطقاً بأنّه منزّل من عندالله جلّ وعلا فلا أقلّ من احتمال صدقه في دعواه وهذا يكفي في وجوب النّظر في أمره دفعاً للضّرر المحتمل، وأيّ ضرر أقوى من العذاب الغليظ الأبدى؟! فلا معنى لإعراضكم عنه قطّ.

وقد جآءت الآيات الثلاث: (٥٢ ـ ٥٤) خاتمة قويّة لموقف الجدل والإنذار وخاتمة قوية للسّورة معاً ممّا جرى عليه الاسلوب القرآني، وقد استهدفت فيما استهدفته تثبيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتطمينه من جهة، وإثارة الندم والخوف والإرعوآء في نفوس الملحدين الفسقة، والمشركين الفجرة، والمعاندين الكفرة ... من جهة اخرى مع مافيها من إلفات أنظارهم إلى التأمّل والتفكّر فيما بين أيديهم من الدّ لآئل الآفاقية والأنفسيّة على وحدانيّة الله جلّ وعلا وعظمته، وعلى علمه وحكمته، وتدبيره وقدرته ... ليرعووا عمّا هم فيه من الشّرك والغواية والإلحاد والضّلالة، والكفر والجناية ... ويقرّوا بها لتظاهر الأدلّة عليها.

وقوله تعالى: «من أضلّ ممّن هو ...» أي من أضلّ منكم؟ فوضع الموصول موضع

الضّمير شرحاً لحالهم، وتعليلاً لمزيد كفرهم وضلالهم، وشركهم وإلحادهم، وبغيهم وإعراضهم عن القرآن الكريم، وبياناً لبُعد شوطهم في الشّقاق والخلاف، وذلك في معنى الصّفة ليدلّ على علّة الحكم وهو الشّقاق البعيد عن الحقّ والهدى ... وقد جئ بهم مع ضمير الغآئب: «هو» بدلاً من ضمير المخاطب، ليروا بأعينهم العبرة في هذا الّذي يُعرض عليهم من أهل الشّقاق والخلاف، وهو صورة منتزعة منهم ... وفي هذا مايدعوهم إلى أن ينظروا في وجه هذا الغريب، وأن يطيلوا النّظر إليه، والحال إنّما ينظرون إلى أنفسهم في شخصه.

ولوجآء النّظم هكذا: قل أرأيتم من أضلّ منكم إن كان هذا الرّسول من عندالله تعالى ثمّ كفرتم به ـ لنفروا نفار الحُمُر الوحشية، ولما استقبلوا هذه الدّعوة الّتي يُدعون إليها إلّا بالصّدّو الإعراض، أو بالسّبّ والشّتم، فيفوت بذلك الغرض المقصود من الإمساك بهم في هذا الموقف لينظروا في تلك المرآة الّتي يرون شخوصهم ماثلة فيها!

٥٣ ـ (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شئ شهيد)

في دخول السّين للتسويف مع أنّ إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك على أنّه تعالى سيطلع الإنسان على تلك الآيات زماناً فزماناً، ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً، حسب مقتضى الزّمان تدليلاً بها على وحدانيته وربوبيّته في مختلف مشاهد الكون ونواميس الوجود، وفي تركيب أجسامهم أنفسهم فيستدلّون بالممكن على الواجب، فيفتقرون إلى النّظر في الآفاق والأنفس ...

برهان لمّيّ و برهان إنّي:

واعلم أنّ البرهان على وجود الواجب على نوعين:

الأوّل: برهان لِمّيّ وهو العلم من العلّة بالمعلول.

والثّاني: برهان إنّي وهو العلم بالعلة من المعلول.

ومن البداهة أنّ الأوّل هو أسبق بالشرف، وباعطآء اليقين أوثق من الثّاني، وذلك

أنّ العلم بالعلّة مستلزم للعلم بالمعلول المعيّن قطعاً، وأمّا العلم بالمعلوم فمستلزم للعلم بالعلة ما، فلا تُعرَفُ العلّة حق معرفتها.

وبعبارة اخرى: أنّ وجود العلّة يقتضى وجود المعلول المعيّن بشخصه، و وجود المعلول لايقتضى إلّا واحداً من العلل لابخصوصه لأنّه غير تام، فليس شئ غيروا جب الوجود برهاناً تاماً على وجوده وهو البرهان على كلّ شئ، فانّ العلم التّامّ اليقيني بذى السّبب وهو جميع الممكنات لايحصل إلّا بالسّبب.

قال الله عزّوجلّ: «قل أي شيءٍ أكبر شهادة قل الله» الأنعام: ١٩).

فلا يمكن تحصيل معرفة الحقّ حقّها من المظاهر... فانّ المعلول ليس إلّا نحواً من تعيّنات العلّة وتطوّراته، فمن عرف العلّة عرف شؤونها وأطوارها... بخلاف من عرف المعلول فانّه ما عرف العلّة إلّا بهذا النّحو الخاصّ، فمن عرف الخالق بخلقه إستدلالاً فما عرفه حق معرفته، ومن قطع النّظر عن الخلق وعرف الحقّ بالحقّ، عرفه حقّ معرفته، وعرف ماليس بحقّ.

فأعظم البراهين وأتقنها، وأشدّ الطّرق وأحكمها، وأنور المسالك وأشرفها هو الإستدلال على ذاته بذاته كما قال تعالى في اثبات وجوده: «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو» آل‌عمران: ١٨) وقال: «إنّني أنا لا إله إلّا أنا» طه: ١٤) فحقيقة الحقّ جلّ وعلا هو البرهان على ذاته والبرهان على كلّ شئ.

وقد أشار تعالى إلى النّوع الثّاني بقوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق ...» فيستدلّون بوجود الأثر على الصّفات، وبالصّفات على الذّات، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في هذه المنهج. وإلى النّوع الاوّل أشار بقوله عزّوجلّ: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شئ شهيد» وهذا طريق الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمصطفين الأخيار صلوات الله عليهم أجمعين وهم أرباب العقول الكاملة الّذين يستدلّون بذاته على ذاته ويستشهدون بوجوده على سآئر الأشيآء لابوجود الأشيآء عليه، ولذلك خاطب رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أولم يكف بربّك ...» ولذلك كان إنساناً كاملاً لاأكمل منه، وكان غاية خلقه: «لولاك لما خلقت الأفلاك» فاذن يجب أن يكون هو صلّى الله عليه وآله وسلّم:

البرهان على سآئر خلقه كما قال تعالى: «وجئنا بك على هؤلآء شهيداً» النسآء: ٤١).

والدّليل على ذلك: أنّ الله عزّوجل أعطى لكلّ نبيٍّ آية وبرهاناً وقد جعل نفس رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: برهاناً إذ قال: «يا أيّها النّاس قد جآءكم برهان من ربّكم» النسآء: ١٧٤) وذلك أنّ برهان الأنبيآء كان في أشيآء غير أنفسهم، مثل برهان صالح في ناقته، وبرهان موسى صلّى الله عليه وآله وسلّم: في عصاه، وبرهان عيسى عليه السّلام في إحيآء الموتى ... وقد كان نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: برهاناً بالكلّيّة، فكان برهان بصره: «مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى» النجم: ١٧ ـ ١٨) وكان برهان لسانه: «وماينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى علّمه شديد القوى» النجم: ٣ـ ٥) وكان برهان يده: «وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى» الأنفال: ١٧) وكان برهان صدره: «ألم نشرح لك صدرك» الإنشراح: ١) وكان برهان قلبه: «ما كذّب الفؤاد مارأى» النجم: ١١) وما إليها من البراهين في مظاهر وجوده المقدّس أكثر من أن يُحصى. وليس في القرآن الكريم آية تجمع فيها النّوعين من البرهان معاً إلّا هذه الآية الكريمة فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وقوله تعالى: «أولم يكف بربك» مضافاً إلى ماذكرناه ـ مستأنف بيانيّ سيق لتوبيخ الملحدين الكافرين على تردّدهم في شأن القرآن الكريم وعنادهم المحوج إلى إرائة الآيات وعدم إكتفآئهم باخباره تعالى، والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام. أي ألم يغن ولم يكف ربك؟ والبآء مزيدة للتأكيد، ولا تزاد إلّا مع كفى. وتوبيخ لمن ليس له رتبة الإستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود. وفي الجملة وتاليها دعوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الصّبر على أذى قومه، وعلى موقفهم المتعنت منه وحسبه في هذا أنّ الله تعالى شهيد بما يعملون من الكفر والطغيان، من الإلحاد والعدوان ومن البغى والعصيان... وسيجزيهم الله عليه.

وقوله عزّوجلّ: «أنّه على كلّ شئ شهيد» بدل من الإستفهام الإنكارى أي ألم يغنهم عن إرائة الآيات الموعودة المبنية لحقيقة القرآن الكريم، ولم يكفهم في ذلك أنّه تعالى شهيد على جميع الأشيآء...

٥٤ ـ (ألا إنّهم في مرية من لقآءِ ربّهم ألا إنّه بكلّ شئ محيط)

بيان تقريعيّ لسبب إلحادهم وإستكبارهم وكفرهم وضلالهم، وأكنّة قلوبهم و وقر آذانهم ... باسلوب التّنبيه والتّأكيد والتعجّب وتسفيههم على شدّة شكّهم في لقآءِ الله جلّ وعلا والوقوف بين يديه، ومحاسبتهم ومجازاتهم يوم القيامة على مايفعلون في الحياة الدّنيا.

وقوله تعالى: «ألا إنّه بكلّ شيءٍ محيط» تذكير تهديديّ باسلوب التّنبيه والتّاكيد أيضاً بأنّ الله عزّوجل يحيط بكلّ شيءٍ ممّا فيه برهان على قدرته عليهم، وأنّهم لن يفلتوا منه ولن يعجزوه، فيحاسبهم على كلّ صغيرة وكبيرة من أعمالهم فلايخفى عليه شئ منها، وفيه دفع لمريتهم وشكّهم في البعث وإعادة ماتفرّق واختلط ممّا يتوهّم منه عدم إمكان تمييزه. فتأمل جيداً ولا تغفل.

❁ الإعجاز ❁

وقد ثبت بالبداهة أنّ القرآن الكريم معجزة خالدة بوجوه كثيرة لايتمكّن باحصآئها إلّا مَن أحاط بجميعها، ولن أظنّه غير أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن الوجوه هو الاسلوب والنّظم الخاصّ الّذي لايوجد في كلام المخلوق، وإن بلغ من الفصاحة والبلاغة وفنون البيان ... مابلغ ... فتدبّر قوله عزّوجلّ: «وقالوا قلوبنا في أكنّه مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب»: ٥) ومن ضلال هؤلآءِ الضّالّين المعرضين عن دعوة الخير الّتي يدعوهم هذا القرآن إليها على لسان رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّهم أحكموا إغلاق الطّرق والنوافذ، بينهم وبين هذا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: فلم يدعوا منفذاً تنفذ منه كلماته إليهم ...

وهم قد أحكموا إغلاق قلوبهم حتّى إذا سمعت آذانهم شيئاً من هذا القرآن المجيد ـ عَرَضاً من دون قصد ـ لم تنفذ إلى قلوبهم الّتي هي موطن الوعى والإدراك ، ثمّ ـ زيادة في الإحتياط وحراسه لآذانهم من أن يقع فيها شئ من القرآن عَفْواً ـ جعلوا بسوءِ إختيارهم بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حجاباً بالبعد عنه واجتناب أيّ مكان يكون فيه، حتّى يأمنوا أن تطرق كلمة من كلماته أسماعهم ...!

وقد يبدو ـ بدواً ـ أنّ النّظم الّذي جآء به القرآن الكريم في ترتيب هذه المغالق ... أنّه قدجآء بها على غير التّرتيب الطبيعيّ الّذي يألفه النّاس في التّدبير لما يحرصون عليه، ويعملون على صيانته وحراسته من الآفات والعوارض الّتي تعرض له ... حيث يتّجه الإن أوّل مايتّجه إلى إقامة سور حول بيته، ثمّ يتخيّر في داخل هذا السّور المكان الّذي

يقيم فيه البيت، ثمّ يتخيّر من هذا البيت المكان الأمين الّذي يحفظ فيه الغالي الثمين مما يحرص عليه من مال ومتاع ...! هكذا يبدو وجه التدبير في مثل هذه الحال ...

ولكنّ القرآن المجيد بدأ ـ كما ترى ـ من حيث انتهى التّدبير البشرى ... فتحدّث عن القوم بأنّهم أحكموا إغلاق مايداخلهم قبل أن يحكموا إغلاق المنافذ الخارجيّة الّتي يمكن الوصول منها إلى هذا الّذي في الدّاخل: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ...» فما سرّ هذا؟

لعلّ السّرّ في هذا: أنّ القوم لم يكونوا مع القرآن الكريم في سعة من أمرهم، وفي فسحة من الوقت للإختيار والتّدبير.. فلقد كان لهم مع القرآن المجيد لقآء من قبل أن يحكموا أمرهم معه، ويلقوه بالتّدبير الّذي يرونه... وكانت الكلمات الّتي سمعوها من القرآن الكريم ذات قوّة نفاذة هزّت قلوبهم من أقطارها، وكانت تستولي عليهم، وقد وقع كثير منهم تحت سلطانها القويّ الآسر، وأحسّ الهزيمة تكاد تنزّل به، وتحطم صخرة كبره وعناده ولجاجه... فكان همّه حينئذٍ أن يمسك قلبه، وأن يدفع عنه هذا الخطر الّذي يتهدّده... إنّ المعركة هنا بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ومادخل على قلوبهم من كلمات الله الّتي سمعوها منه... وإذن فلتغلق هذه القلوب، ولتقم عليها حراسة قويّة منهم «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه...» فهذه قلوبنا الّتي أحكمنا باغلاقها بسوء إختيارنا!

هذا أوّل ماينبغي أن يكون من القوم في دفع هذا الخطر الّذي دهمهم ... وهذا هو أوّل مايكون ممّن يدهمه خطر يتهدّد وجوده، أو يتهدّد الشّئ الّذي يحرصُ عليه ... إن همّه الأوّل هو الدّفاع عن هذا الّذي يتهدده الخطر منه، سوآءً أكانت حياته أم كان متاعه! حتّى إذا إستشعر النّجاة من هذا الخطر كان له بعد ذلك أن ينظر في المنافذ الاخرى الّتي يهبّ عليه الخطر منها، فيبدأ بالقريب منها أوّلاً، ثمّ بالّذي يليه وهكذا ...

ومن هنا كان نظرهم بعد هذا إلى أقرب شئ يجئ منه الخطر إلى قلوبهم، وهي آذانهم فأحكموا إغلاقها، و وضعوا عليها سدّاً يحول بين الكلمات، وبين النّفاذ منها إلى القلوب: «وفي آذاننا وقر» ثمّ كان التّدبير بعد هذا أن يعبدوا بأنفسهم ـ ومامعهم من آذان وقلوب ـ عن مواطن الخطر جملة ... «ومن بيننا وبينك حجاب» فذلك هو الّذي

يقطع كلّ صلة بينهم وبين موطن الخطر...!

وقد جآء النّظم القرآنيّ: «ومن بيننا وبينك حجاب» بزيادة حرف الجرّ: «من» ولم يجئ: «وبيننا وبينك حجاب» وذلك للمبالغة في أنّ مابينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قد سُدّ بحجاب كامل، ملأ المسافة الّتي بينهم وبين النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فكلّ مابينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حجاب غليظ كثيف... ولوجآء النّظم القرآنيّ: «وبيننا وبينك حجاب» لما أدّى هذا المعنى، ولكان مفهوم الحجاب هنا أنّه مجرّد سِتر بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

واقرأ الآية مرّة اخرى وتدبّرها مليّاً ... وإنك لتجدها في هذا التّرتيب معجزة من إعجاز القرآن الكريم، وآية من الآيات الّتي تشهد له، بأنّه من تنزيل الرّحمن الرّحيم. فسبحان مَن هذا كلامه وتلك آياته ...!

ومن البداهة أيضاً: أنّ القرآن الكريم نفس هداية يهدى النّاس في كلّ ظرف إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم، عزّتهم وكمالهم، وخيرهم وسعادتهم في حياتهم الدّينيّة والدّنيويّة ومع ذلك يتحدّث إلى عقول النّاس عن مشكلات الكون وحقآئق الوجود العلميّة بالتّعبيرات الدّقيقة والإشارات الخفيّة إلى علوم مختلفة، وفنون كثيرة لم يدرك بعد، شيئ كثيرمنها... وذلك يدلّ على إعجازلقرآن الكريم وكونه تنزيلاً من عند حكيم حميد.

قال الله عزّوجلّ: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» النّحل: ٨٩).

وقال: «مافرّطنا في الكتاب من شيءٍ - ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» الأنعام: ٣٨ و٥٩).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه: ألا إنّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي ودوآء دآئكم ونظم مابينكم».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فانّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلآء غيره...».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لايخبو توقّده، وبحراً لايُدرك قعره، ومنهاجاً لايُضِلّ نهجه، وشعاعاً لايظلم ضوؤه وفرقاناً لايخمد برهانه وتبياناً لاتهدم أركانه، وشفآء لاتخشى أسقامه، وعزّاً لاتهزم أنصاره، وحقّاً لاتخذل أعوانه، فهو معدن الايمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لاينزفه المستنزفون، وعيون لاينضبها الماتحون، ومناهل لايغيضها الواردون، ومنازل لايضلّ نهجها المسافرون، وأعلام لايعمى عنها السّآئرون، وآكام لايجوز عنها القاصدون، جعله الله ريّاً لعطش العلمآء، وربيعاً لقلوب الفقهآء، ومحاجّ لطرق الصّلحآء، ودوآء ليس بعده دآء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزّاً لمن تولآه وسلماً لمن دخله، وهدى لمن إئتمّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلّم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلْجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيّة لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجنّة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لم قضى».

وما جاء في هذه السّورة من تلك الحقائق الّتي لا يستطيع أحدٌ بإحصائها إلّا اهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين...

قوله تعالى: «قل أإنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين- ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان...» فصّلت: ٩- ١١) وقد صرّح القرآن الكريم: أنّ السّمآء كانت دخاناً وهذا سرّ عجيب من أسرار خلق السّموات والأرض لايعرف العلم إلّا أنّ السّمآء كانت يوماً دخاناً، ولا تزال كتل هائلة ممّا سمّاه الله جلّ وعلا دخاناً يشاهده الفلكيون بمراقبهم القوية حديثاً في السّمآء، وهم لم يعرفوا عشراً من الآلاف من أسرار السّمآء، وهم اليوم مبتدون بالنسبة إليها كغيرهم بالنسبة إلى غيرها جدّاً.

ومن وجوه الإعجاز: ماجآء في هذه السّورة من نهاية عجز فصحآء العرب وبلغآئهم عن مخاصمة القرآن الكريم باتيان كلام يعادله ويماثله أو إقامة حجّة تعارضه، ولذلك أمر بعضهم بعضاً أن لاينصتوا له، ويأتوا بلغو الكلام عند قرآءة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم القرآن ليختلّ به قرائته، ولا تقرع أسماع النّاس آياته، فيلغو أثره وهو الغلبة:

«وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصّلت: ٢٦) وهذا أبين من رائعة النّهار على كون القرآن تنزيل من حكيم حميد نزّله على رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاشئ فيه تناقضاً وباطلاً ولغواً حتّى يخفى ويستر على النّاس، فيسمعون إسمه ولايرون لونه.

فلمّا رأوا من القرآن الكريم الجدّ في دعوته والإصرار عليها، ورأوه يسفّه أحلامهم ويسخر من آلهتهم قابلوه بالإنكار: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد- قل أإنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً- فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود- فان يصبروا فالنّار مثوى لهم- إنّهم كانوا خاسرين» فصلت: ٦ و٩ و١٣ و٢٤ و٢٥).

لقد ذهب القرآن الكريم إلى أبعد ممّا يمكن أن يتصوّره العقل هنا في هذا الموقف من صور الإثارة الصّارخة الّتي تهيّج النّفوس السّاكنة وتوغر الصّدور السّليمة... فكيف بهذه النّفوس المستعرة حقداً وحنقاً، وبهذه الصّدور الممتلئة غيظاً وشنآناً؟ إنّ الموقف بين مشركي مكّة ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قد كان إذ ذاك لايحتاج إلى أكثر من شرارة تحتك بهذه الصّدور المسعورة المتحفزة للشّر حتّى يشب الحريق ويتسعّر اللّهيب، وتقع الواقعة الّتي تأتي على قريش وتأكل صغيرها وكبيرها... في وسط هذا الجوّ والنّار تضطرم، والرّيح تعصف، جآء القرآن المجيد بكل مايمكن أن يكون من قوىً تزيد في إضرام هذه النّار وتمدّها بالوقود كلّما خفّ سعيرها وسكن لهيبها!

التعالي، التشامخ، التّسامي، والتحدّي!!! بكل هذا جآئت هذه السّورة: «فصّلت» ودخلت به في مجال المعركة من حيث لم يحتسب النّاس ولم يقدروا! في تلك الآونة، والصّدور موغرة، والنّفوس ضآئقة، والنّار مؤجّجة جائت السّورة في هذا الوقت ليصكّ أسماع العرب بالحديث عن القرآن حديثاً متعالياً متشامخاً، متسامياً، ومتحدّياً وإذا قريش وهي تدبّر أمرها، وتقلب وجوه رأيها في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقرآنه هذا الّذي يدعوها إلى أن تخرج عن وجودها -إذا بها- وهي في تلك الحال - تصطك آذانها بقوله تعالى: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا - اعملوا ماشئتم

إنّه بما تعملون بصير۔ اولئك ينادون من مكان بعيد» فصّلت: ٤٠-٤٤).

إنّ هذه فرصة قريش للتشنيع على محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتشهير به والتشويش على دعوته!: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون» : ٢٦).

وإنّ هذه لهى فرصة القرآن أيضاً في فضح قريش وفي إذلال كبريائها ونبذها بالعراء! هكذا ... تعوى وتهذى: «قل هو للّذين آمنوا هدى وشفاء والّذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهوعليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد» : ٤٤).

وقد كان لقريش أن تقول: هذه معلّقات شعرائنا، وهذه خطب خطبآئنا وسجع كهاننا... فهل هي دون هذا القرآن منزلة في الفصاحة والبيان؟ وهل في القرآن ما ليس فيها من المعاني والأساليب؟ وهل عَقِمَ الشّعرآء والخطبآء والكهان ... أن يتحدّثوا بمثل هذا الحديث الّذي يطلع عليهم محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم به صباح مسآء؟ وأن تقول: إنّه ليس قرآنه هذا إلّا كلاماً من الكلام، وحديثاً من الحديث ... فان يكن فيه ميزة فهو شعر كشعرهم، فإن كان له في الشّعر شأن فهو كبعض معلّقاتهم أوسجع كهانهم... وهيهات أن يخرج عن شئ من هذا أو يجاوز حدوده ويرتفع عنه. ثمّ لقد كان لقريش أن تدعو إلى سوق عامّة من تلك الأسواق الّتي كانت تقيمها في كثيرمن المواسم، وتقيم حَكَماً أو حكاماً للفصل فيما بينهم وبين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم في قرآنه هذا وفيما عندهم من معلّقات وخطب وسجع كهان كما كانوا يفعلون ذلك فيما بين شعرآئهم وخطبائهم ...

وفي هذه السّوق يتلو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ماشآء من قرآنه، وتلقّى قريش ومن معها ماتشآء وما تتخيّر من معلّقاتها وقصائدها وأراجيزها وخطبها وأحاديث كهانها... وهنا تكون القاضية على دعوة محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى قرآنه إن قال الحَكَمُ أو الحكام عن هذا القرآن إنّه في درجة هذا الكلام الّذي يعرضونه أو دونه! ولكنّ قريشاً لم تفعل شيئاً من هذا ولن تفعله! إذ ضربها القرآن ضربة موجعة، فلم تَقْوَعلى الحركة أو القول ... ومتى كان ذلك العجز الفاضح والخزي المبين؟

لقد كان والنّفوس متطلعة إلى قريش، وإلى ما تلقى به هذا الإ دّعآء الّذي يدّعيه

القرآن لنفسه، والأبصار كلّها متّجهة إلى المكان والزّمان اللّذين تضربها قريش مجالاً وموعداً للقآء محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقرآنه في معركة فاصلة بينها وبينهما... ولكنّ قريشاً لم تفعل ولن تفعل! إذ خرست ألسنتها واضطربت مشاعرها، واختلطت أفكارها، وتبلد إحساسها وطاش صوابها ... فما تدرى ماذا تقول وماذا تفعل! حتّى إذا أفاقت شيئاً من ذهولها جعلت تضرب ضربات طاتشة، وتهذى هذياناً محموماً إذ كان عليها أن تفعل شيئاً ـ أيّ شيءٍ ـ لتدفع هذا القضآء الّذي لايملك أحد دفعه... شأن الغريق وقد احتواه المآء وجرفه التيار... إنّه يضرب بيديه ورجليه ضربات طائشة يائسة ويتشبّث بكل حشيش، وإن كان على يقين أنّه من المغرقين...!

وإذن فلا مفرّ للقوم من لقآء القرآن الكريم وجهاً لوجه، فليكن لقآؤهم إذن مباشراً مع القرآن نفسه..! وليكن مايكون، وهاهم أولآء قدراحوا إلى القرآن يديرون حوله الرّأى، ويحكمون له التّدبير والكيد... وكثرت الآرآء وتشعبت صور الكيد... وخرجوا بها على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى القرآن الّذي يتحدّاهم به، وكانت فضيحة مجلجلة! فلقد ضبطهم القرآن متلبّسين بهذا الكيد الصّبياني... فكشف تدبيرهم هذا على الملأ فجآء به على أعين النّاس، ثمّ طلع عليهم بقوله عزّوجلّ: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»: ٢٦) وفي الآية الكريمة دلالة على نهاية عجزهم عن مخاصمة القرآن الكريم.

ومن وجوه الإعجاز: هو الإخبار بما يأتي كقوله عزّوجلّ: «وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١-٤٢) فأخبر تعالى بأن الباطل لايتطرّق إلى القرآن الكريم من جهة من الجهات ... ولا يجد إليه سبيلاً فضلاً عن التّحريف والتّبديل كما قال: «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩) فحفظه الله جلّ وعلا من الزّيادة والنقصان حتّى الحرف منه. فالتّوهم في التّحريف توهّم باطل لايعتنى به جدّاً فانّه مخالف لصريح كتاب الله العزيز، حتّى لوكانت فيه رواية فعلينا أن نعرضها على كتاب الله المجيد، فنضر بها على الجدار لمخالفتها به على ماثبت في باب التّعارض فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل فانّ المقام مزلّ الأقدام...

ومن وجوه الإعجاز: مايتحدّث عن المستقبل كقوله جلّ وعلا: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣).

قال بعض المعاصرين من الأطبّآء حول الآية الكريمة كلاماً ذكره لايخلو من فآئدة:

«إنّ الآية الكريمة توجّه الإنسان إلى ماينطوى عليه خلقه من الآيات البيّنات الّتي لا تنتهى، كما تبشّر بأنّ الله سيبيّنها للنّاس جليّة واضحة حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق.

فلنحاول طرق أبواب هذا العالم المعقد، وسَبْرَ أعماقه بكلّ تؤدة وخشوع لعلّنا نعيش في ظلّ هذه الآيات القرآنيّة الّتي تجعل الحليم حيران:

ففي المعدة يوجد (٣٥) مليون غدة معقدة التّركيب لأجل الإفراز، أمّا الخلايا الجدارية الّتي تفرز حمض كلور المآء فتقدر بمليار دخلية.

في العفج والصّآئم يوجد (٣٦٠٠) زغابة معوية في كلّ اسم ٢ لإمتصاص الأغذية المهضومة، وفي الدّقاق (٢٥٠٠) زغابة مع العلم أنّ طول الأمعآء ثمانية أمتار. في مخاطية الفم يتوسف (٥٠٠/٠٠٠) خلية تعوض فوراً وذلك كلّ خمسة دقائق. يوجد في اللسان (٩٠٠٠) حليمة ذوقية لتميز الطّعم الحلو والحامض والمر والمالح.

لو وضعت الكريات الحمرآء لجسم واحد بجانب بعضها في صف واحد لأحاطت بالكرة الأرضية الّتي نعيش عليها (٥ـ ٦) مرّات، أمّا مساحتها فتقدر بـ (٣٤٠٠) متر مربّع، وعددها (٥) ملايين كرية حمراء في كلّ ملمتر مكعب من الدّم، وتجرى كلّ كرية حمراء (١٥٠٠) دورة دموية بشكل وسطي كلّ يوم، تقطع خلالها (١١٥٠) كم الف ومأة وخمسين كيلومترا في عروق البدن.

القلب: هو مضخة الحياة الّتي لا تكل عن العمل، وعدد ضرباته (٦٠ ـ ٨٠) ضخة في الدّقيقة الواحدة، وينبض يومياً مايزيد على مأة ألف مرّة، يضخ خلالها (٨٠٠٠) ليتراً من الدّم، وحوالى (٥٦) مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطياً. ترى هل يستطيع محرّك آخر القيام بمثل هذا العمل الشّاقّ لمثل تلك الفترة الطّويلة دون حاجة لإصلاح؟ تحت سطح الجلد يوجد (٥ ـ ١٥) مليون مكيّف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية الّتي تخلص الجسم من حرارته الزآئدة بواسطة عمليّة التبخّر والتعرّف.

يستهلك الجسم من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثّانية الواحدة أي بمعدل (٧/٥٠٠/٠٠٠/٠٠٠) سبعة آلاف وخمس مأة مليون خلية في الدّقيقة الواحدة، وبنفس الوقت يتشكّل ويتركّب نفس العدد من الخلايا تقريباً، ولو تعلم أيّها القارئ بناء وهندسة وفيزيولوجية الخلية الواحدة لسقطت على الأرض ساجداً من إعجاب صنع الله: «وتلك الأمثال نضربها للنّاس ومايعقلها إلّا العالمون» العنكبوت: ٤٣).

الرّغامي عند الإنسان تتفرّع إلى قصبات ثمّ قصيبات، وهكذا حتّى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الأسناخ الرّئوية، ويبلغ عدد الأسناخ الرّئوية حوالى (٧٥٠) مليون سنخ، وكلّ سنخ يتمتّع بغلاف رقيق، ويتّصل بجدار عرق دموى صغير، وهكذا يتمّ تصفية الدّم بسحب غازالفحم، ومنع الاكسجين اللازم للبدن إنّ شبكة الأسناخ تفرش مساحة تصل إلى مايزيد على (٢٠٠) متر مرّبع لتصفية الدّمّ، وفي الحالة الطّبيعيّة لايستخدم أكثرمن عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات ينفتح المزيد من الأسناخ.

في كلّ يوم يتنفّس الإنسان (٢٥) ألف مرّة يسحب فيها (١٨٠) متراً مكعبّ من الهوآء يتسرّب منها (٥ ـ ٦) مترمكعّب من الاكسجين للدّم.

في الدّماغ (١٣) مليار خلية عصبية و(١٠٠) مليار خلية دبقية إستنادية تشكّل سدّاً مارداً لحراسة الخلايا العصبية من التأثر بأيّة مادّة، والأورام تنمو خاصّه على حساب الخلايا الدّبقية وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السّرطان.

يتغذّى الدّماغ على الغلو كوز كمادّة سكرية فقط بخلاف القلب الّذي يتغذّى على سكر الغلو كوز أو حمض اللبن، الغلو كوز هو الحلوى الفاخرة الّتي يفضلها الدّماغ بخلاف بقيّة أجهزة البدن، وإذا وقع البدن في أزمة غلو كوز فانّ آليات الجسم تفضل هذا العضو النّبيل عن باقي أعضآء البدن في العطآء، وذلك لأنّ انقطاع الدّم عنه لمدّة (٣ ـ ٥) دقآئق تؤدّي لتخريب دآئم غير قابل للتّراجع في أنسجته، أمّا كمّيّة الدّم الّتي يحتاجها يومياً فلاتقل عن (١٠٠٠) ليتراً.

لو وضعت الخلايا العصبية في الجسم بصف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض.

العين: في العين الواحدة حوالى (١٤٠) مليون مستقبل حسّاس للضّوء وهي تسمّى بالمخاريط والعصي، وطبقة المخاريط والعصي هذه هي واحدة من الطّبقات العشرة الّتي تشكل شبكية العين، والّتي تبلغ ثخانتها بطبقاتها العشرة (٤/٠) مم. ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصّورة بشكل ملون!!! «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».

أمّا الأذُن: في عضو كورتي الّذي يمثل شبكية الأذُن يوجد (٣٠/٠٠٠) خلية سمعية لنقل كافّة أنواع الأصوات بمختلف إهتزازاتها وشدّتها بحسّاسيّة عظيمة، وفي الأذُن الباطنة يوجد قسم يسمّى التيه (**Labgrinth**) لأنّ الباحث يكاد يتيه من أشكال الدّهاليز والممرات والجدر والحفر والغرف والفوهات والإتصالات وشبكة التنظيم والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم!!

في الدّم الكامل (٢٥) مليون المليون كرية حمرآء لنقل الاكسجين و (٢٥) مليار كرية بيضآء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن، ومليون المليون صفيحة دموية لمنع النزف بعملية التخثر في أي عرق نازف، وتتكوّن هذه الخلايا بصورة أساسيّة في مخ العظام الّذي يصبّ في الدّم مليونين ونصف كرية حمراء في الثّانية الواحدة، وخمسة ملايين صفيحة، ومأة وعشرين ألف كرية بيضآء، وهذه أهمّيّة العظام بتوليد عناصر الدّم وتتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، ولنتـذكّر هنا الآية القرآنية الّتي تعبر عن الكهولة: «قال ربّ إنّي وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً» مريم: ٤) فقد يصبح للآية وقع خاص على النّفوس.

دفقة المنى الواحدة عندالرّجل تحوى ثلاث مأة مليون حيوان منويّ، ولايتخلّق الإنسان إلّا من حيوان منويّ واحد يندمج ببيضة واحدة من الانثى.

الكلية الواحدة تحوى مليون وحدة وظيفية لتصفية الدّم تسمّى النفرونات (**Nephrones**) ويرد إلى الكلية في مدى (٢٤) ساعة (١٨٠٠) ليتر من الدّم، ويتمّ رشح (١٨٠) ليتر منه، ثمّ يعاد امتصاص معظمه في الأنابيب الكلوية، ولايطرح منه سوى (٥/ ١) ليتراً وهو المعروف بالبول، ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠)

كيلومتراً «صنع الله الّذي اتقن كل شئ» النمل: ٨٨).

حكمة تشريحية:

في تعصيب اللسان، توصل علمآء التشريح إلى أنّ الحليمات الذّوقية في الثّلث الأخير من اللّسان تتعصّب بالعصب البلعومي اللساني، أمّا في الثلثين الأماميين فيتعصبان بشعبة عصبية تأتي من العصب الوجهي السّابع، وتسمّى هذه الشّعبة بعصب حبل الطّبل، وإنّ الألياف الذّوقية في العصب البلعومي اللساني والألياف الذّوقية في حبل الطّبل تنشأ جميعها من نواة واحدة في الدّماغ هي النّواة المنفردة، وقد فكر في سرّ ذلك علمآء العصر، فانتهوا إلى القول أنّ عصب حبل الطّبل هوعصب تائه لأنّه قد ضلّ طريقه، فهوعصب ذوقيّ نشأ في النّواة الذّوقية الّتي نشأ منها العصب التّاسع البلعومي اللساني، ولكنّه لم يسر معه بل طاف طويلاً، فخرج مع العصب الوجهي ثمّ دخل عظم الصّخرة والأذن الوسطى، ثمّ اتبع طريق العصب اللساني حتّى وصل إلى اللسان ليحمل إلى مقدّم اللسان حسّ الذّوق.

لقد قال: من رأوا نصف العلم أنّ هذا الطّريق الطّويل الّذي سلكه العصب التائه هو خطأ في التكوين، ولكن الله سبحانه وتعالى الّذي لا تنفد معجزات كتابه العظيم الّذي قال فيه متحدّثاً عن المستقبل: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» جعل العلماء يكتشفون سرّاً جديداً، فقد كان في مرور العصب المذكور داخل الأُذُن الوسطى على الوجه الباطن لغشآء الطبل، ومرافقاً للرّباط الطبلي الكعبيّ الخلفي، فالأمامي حكمة بالغة في خلق الله للإنسان وتحقيقاً لأمر آخر، ولم يكن من باب ضلال الطّريق.

ذلك أنّه إذا نقص الضغط الجويّ داخل الاذن الوسطى، انجذب غشاء الطّبل نحو الدّاخل وضغط على هذا العصب، ويؤدّى هذا الإنضغاط إلى تنبيه الألياف الذّوقية الّتي يحملها فيؤدّي ذلك لإفراز اللّعاب من الغدد اللعابية، وهذا يوجب على الإنسان أن يبتلع لعابه، وبعمليّة البلع هذه تنفتح الفوهة البلعومية للنفير السّمعى (نفير اوستاش) فيدخل الهواء للاذن الوسطى، ويتعادل الضغط داخل وخارج غشاء الطبل، فيعود

لوضعه الطبيعي ويزول انضغاط العصب التائه ويتوقف إفراز اللعاب وهكذا دواليك «ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك» آل‌عمران: ١٩١).

ولو تابعنا بمحاولة التعرّف على دقآئق وعجآئب جسم الإنسان لأصابنا الصّداع نتيجة الهول والدّهشة، ولكن سنقتصر على هذا القدر البسيط، فلنرجع ونتأمّل الآيات القرآنية الّتي تصف خلق الإنسان لعلّنا نقدرها بعض تقديرها.

«وفي خلقكم ومايبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون» الجاثية: ٤).

«هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه» لقمان: ١١).

«وفي أنفسكم أفلا تبصرون» الذّاريات: ٢١).

وغيرها من وجوه إعجاز هذه السّورة: «فصّلت» لانستطيع بذكر عشرها هنا ونحن على جناح الإختصار، فعلى الآتين التدبّر العميق والبحث الدّقيق جدّاً.

﴿التكرار وأسراره﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أربعة عشر أمراً:

أحدها- سورتان يشتمل كلّ واحد منهما على (٥٤) آية: **الاولى:** سورة «سبأ» **الثّانية:** سورة «فصّلت».

ثانيها - سورة «فصّلت» ثانية سورة من السّور السّبع الّتي إفتتحت بكلمة «حم».

لعلّ وجه إشتراكها في افتتاحها وتسميتها بـ «حم» أنّه للمشاكلة الّتي بينها بما يختصّ به بما ليس لغيرها، وأنّه إسم علم أجرى على الصّفة الغالبة بما يصحّ فيه الإشتراك والتشاكل الّذي اختصّت به هو أنّ كلّ واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطّول والقصر، ومع شدّة تشاكل الكلام في النّظم.

ففي سورة «المؤمن» وهي اولاها: «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم».

وفي سورة «فصّلت» وهي ثانيتها: «تنزيل من الرّحمن الرّحيم».

وفي سورة «الشّورى» وهي ثالثتها: «كذلك يوحى إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم».

وفي سورة «الزّخرف» وهي رابعتها: «والكتاب المبين».

وفي سورة «الدّخان» وهي خامستها: «والكتاب المبين».

وفي سورة «الجاثية» وهي سادستها: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم».

وفي سورة «الأحقاف» وهي سابعتها: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم».

فجآء في ثلاث منها بوصفى العزّة والحكمة: «العزيز الحكيم» وفي واحدة منها بوصفى

الرّحمانية والرّحيمية أي الرّحمة العامّة والرّحمة الخاصّة: «الرّحمن الرّحيم» وفي واحدة منها بوصفى العزّة والعلم: «العزيز العليم» ففي خمس منها خمس صفات لِمُنَزِّل الوحي: العلم والحكمة والعزّة والرّحمة على قسميها، وفي ثنتين منها وصف للوحي المُنَزَّل ـ على سبيل التّأكيد بالقسم ـ: «المبين» تنبيهاً إلى أنّ هذا الوحي يحمل علماً وحكمة وعزّة ورحمة على قسميها لمن اتبعه وعمل به.

ثالثهاـ قال الله عزّوجلّ: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه» فصّلت: ٥) وقال: «وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه» الأنعام: ٢٥) و الاسراء: ٤٦) والكهف: ٥٧) وذلك أنّ آية «فصّلت» بصدد بيان سبب إعراضهم عن آيات الله وعدم إستماعهم لها وتقرير إعترافهم بذلك، وتصوير شدّة مكابرتهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر والطغيان ... وفي السّور الثّلاث الأخيرة بصدد تقرير الجزآء بعد إتمام الحجّة عليهم وانقطاع المعذرة عنهم بعد ذكرالسبب كقوله تعالى: «ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ١١٠) وكاسناد الإضلال إلى الله سبحانه مجازاة على إصرارهم على الكفر. فلمّا علم الله تعالى أنّهم لايؤمنون عاقبهم بعقوبات جعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفهموا مايسمعون من كلام الله جلّ وعلا. والمعنى: ففعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم وطغيانهم...

كما يظهر من قوله تعالى: «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الّذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً» الاسراء: ٤٥) من تعليق الحكم على الوصف بأنّ الإنكار والتّكذيب بيوم الحساب والجزآء هو علّة لجعل السّتر والحجاب على قلوبهم بحيث لا تفقه حقيقة القرآن ومعارفه، ولا تذعن بأنّ القرآن من الله عزّوجلّ والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم منه ولذلك كان يتولّون عنه إذا ذكر الله تعالى وحده ولمّا جرت سنّة الله جلّ وعلا على حصول الحجاب المعنويّ على قلوب من أنكر الحقّ وكذبه اسندالفعل: «جعلنا» إلى نفسه سبحانه. فقوله تعالى: «وجعلنا على قلوبهم أكنّة ...» بيان لقوله عزّوجلّ: «حجاباً مستوراً» **رابعها**ـ قال الله تعالى: «ثمّ استوى إلى السّمآء» فصّلت: ١١) كما قال: «ثمّ استوى إلى السّمآء فسوّا هنّ سبع سموات» البقرة: ٢٩) فعدّى الفعل:

«استوى» بحرف «إلى» في الآيتين، وقال: «ثمّ استوى على العرش» الأعراف: ٥٤) ويونس: ٣) و الرّعد: ٢) وطه: ٥) والفرقان: ٥٩) والسّجدة: ٤) والحديد: ٤) فعدّى الفعل بحرف «على» في سبع آيات...

وذلك أنّ قوله عزّوجلّ: «ثمّ استوى إلى السّمآء» في الآيتين بصدد بيان خلق السّمآء وايجادها. والمعنى: قصد تعالى وتوجّه بقدرته إلى خلق السّمآء وايجادها. فعدّى الفعل بـ «إلى» لذلك، ويؤيّده قوله جلّ وعلا: «وأوحى في كلّ سمآء أمرها» فصّلت: ١٢) بعد خلقها.

وأمّا قوله تعالى: «ثمّ استوى على العرش» فبصدد بيان تدبير أمرالسمآء بعد تكوينها والمعنى: إستقر ملكه على العرش واستقام سلطانه. كما يقال: استوى الملك على عرشه إذا انتظمت امور مملكته. فالآيتان الاوليان بصدد التكوين، والآيات السّبع بصدد التّدبير فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

خامسها ـ انّ الله تعالى: «حتّى إذا ماجاؤها» فصّلت: ٢٠) وقال: «حتّى إذا جآئنا» الزّخرف: ٣٨) وقال: «حتّى إذا جآؤها» الزّمر: ٧١ و٧٣) من دون «ما» وذلك أنّ «حتّى» ههنا الّتي تجرى مجرى واو العطف نحو قولك: «أكلت السّمكة حتّى رأسها» أي ورأسها. وتقدير الآية في المقام: «فهم يوزعون وإذا ماجاؤها» و«ما» هي الّتي تزاد مع الشّرط نحو: أينما وحيثما وكيفما... و«حتّى» في غير هذه السّورة من السّور للغاية فتدبّر واغتنم.

سادسها ـ قال الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا...» فصّلت: ٣٠) وقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» الأحقاف: ١٣) من ذكر تنزّل الملائكة على المؤمنين المستقيمين بالبشارة بولاية لهم دآئبة في الدّنيا والآخرة...

وذلك أنّ آيات «فصّلت» بصدد المقابلة بين هؤلآء المؤمنين، وبين الكافرين ... فلمّا بيّن تعالى في قوله آنفاً: «وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم ...»: ٢٥) أن للكافرين قرنآء من الشّياطين وهم أوليآؤهم بعد الشّيطان الأوّل، بيّن هنا أن للمؤمنين

المستقيمين أيضاً أوليآء ولكنّهم هم الملائكة الّذين يتنزّلون عليهم في الحياة الدّنيا، ويبشّرونهم بولائهم لهم في الدّنيا والآخرة، وبمالهم في الآخرة من النّعيم المقيم، وليست آيات «الأحقاف» بصدد المقابلة، بل إخبار بعدم الخوف والحزن لهم، وبالجزاء لهم يوم القيامة. ولا يبعد أن تكون آيات «الأحقاف» إشارة إجماليّة لما فُصِّلَ في «فصّلت» تذكرة لهؤلآءِ المؤمنين، لأنّ سورة «الأحقاف» بعد سورة «فصّلت» نزولاً ومصحفاً.

سابعها ـ قال الله تعالى: «ولا تستوى الحسنة ولا السّيّئة ...» فصّلت: ٣٤) للسّيّئة معان: **الأوّل:** القتل والهزيمة كقوله عزّوجلّ: «وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها» آل عمران: ١٢٠) يعني القتل والهزيمة يوم أُحُد.

الثّاني: الشّرك كقوله جلّ وعلا: «ومن جآء بالسّيّئة» النّمل: ٩٠) يعني بالشّرك.

الثّالث: القحط وقلّة المطر كقوله سبحانه: «وإن تصبهم سيّئة» الأعراف: ١٣١) يعني قحط وقلّة المطر والخير. وقوله تعالى: «ثمّ بدّلنا مكان السّيّئة» الأعراف: ٩٥) يعني مكان القحط وقلّة المطر «الحسنة»: الخصب وكثرة المطر.

الرّابع: العذاب في الدّنيا كقوله عزّوجل: «ويستعجلونك بالسّيّئة» الرّعد: ٦) يعني بالعذاب في الدّنيا قبل الآخرة.

الخامس: القول القبيح كقوله جلّ وعلا: «ويدرؤن بالحسنة السّيّئة» القصص: ٥٤) يعني ويدفعون بقول المعروف قول القبيح.

السّادس: السّيّئة بمعناها كقوله تعالى: «ومن جآء بالسّيّئة فلايجزى إلّا مثلها» الأنعام: ١٦٠).

السّابع: اللواط كقوله سبحانه: «ومن قبل كانوا يعملون السّيّئات» هود: ٧٨) يعنى اللواطة.

ثامنها ـ قال الله عزّوجلّ: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم» فصّلت: ٣٦) وقال: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم» الأعراف: ٢٠٠) فجآء في سورة «فصّلت» بضمير الفصل: «هو» وتعريف الخبر: «السّميع» ليكون مناسباً لما تقدّمه لأنّ الآية في هذه السّورة متصلة

بقوله تعالى: «وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا ومايلقّاها إلاّ ذوحظ عظيم»: ٣٥) فكان مؤكّداً بالتكرار وبالنفي والإثبات، فبالغ في قوله: «انّه هو السّميع العليم» بزيادة ضمير الفصل وتعريف الخبر، ولم يكن في الأعراف هذا النّوع من الإتّصال، فأتى على القياس: معرفة المخبرعنه، ونكرة الخبر.

تاسعها ـ قال الله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم» فصّلت: ٤٥) وقال: «ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمّى لقضى بينهم» الشّورى: ١٤) وقدزاد في «الشّورى» قوله: «إلى أجل مسمّى» وزاد فيها أيضاً: «بغياً بينهم».

وذلك أنّ المعنى: تفرّق قول اليهود في التّوراة مع التحريف، وتفرّق قول الكافرين في القرآن الكريم من دون التّحريف فانه «لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فصّلت: ٤١ ـ ٤٢) ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب إلى يوم الجزاء لقضى بينهم بانزال العذاب عليهم. وخُصّت «الشّورى» بزيادة قوله سبحانه: «إلى أجل مسمّى» لأنّه ذكر البداية في أوّل الآية وهو: «وما تفرّقوا إلاّ من بعد ماجآءهم العلم بغياً بينهم» وهو مبدأ كفرهم وطغيانهم، فحسن ذكر النّهاية الّتي أُمهلوا إليها ليكون محدوداً من الطّرفين.

عاشرها ـ قال الله جلّ وعلا: «وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط» فصّلت: ٤٩) وقال بعده: «وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض» فصّلت: ٥١) لامنافاة بينها لأنّ معناه: قنوط من الصّنم، دعّآء لله جلّ وعلا. أو يئوس بالقلب دعّآء باللسان. ولايبعد أن يكون الأوّل في قوم، والثّاني في آخرين. مع أنّ الدّعآء مذكور في الآيتين وهو: «لايسأم الإنسان من دعآء الخير» في الأوّل، و«ذو دعاءٍ عريض» في الثّاني.

الحاديعشر ـ إنّ الله تعالى قال: «ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّاء مسّته» فصّلت: ٥٠) بزيادة «منّا» و«من» وقال: «ولئن أذقناه نعمآء بعد ضرّاء مسّته» هود: ١١) وذلك أن الله عزّوجلّ بيّن في سورة «فصّلت» جهة الرّحمة، وبالكلام حاجة إلى ذكرها، وقد حذف في سورة «هود» إكتفآء بما قبله وهو قوله سبحانه: «ولئن أذقنا الإنسان منّا رحمة» هود: ٩) وزاد في سورة «فصّلت» كلمة «من» لأنّ الله تعالى لمّا

حدّ الرّحمة والجهة الواقعة منها، حدّ الطّرف الّذي بعدها، فتشاكلا في التحديد والتّحقيق، وفي سورة «هود» لما أهمل الأوّل أهمل الثّاني.

الثّاني عشر: قال الله عزّوجلّ: «وإذا مسّه الشّرّفذو دعآءٍ عريض» فصّلت: ٥١) فجاء الفاعل معرّفاً باللاّم وقال: «وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه» الزّمر: ٨ و٤٩) فجاء الفاعل منكّراً. وذلك أنّ المراد بالإنسان في الأوّل هو المعرض المتكبّر الملحد المريب فاذا مسّه الشّرّ الّذي كان يستحقّه بشرارته فهو حينئذٍ ذو دعآءٍ عريض، والمراد بالإنسان في الثّاني مطلق الإنسان، فاذا مسّه قليل من الضّرّ مستحقاً كان له أم لا فهو عندئذٍ يدعو ربّه.

الثالث عشر: قال الله تعالى: «قل أرأيتم إن كان من عندالله ثمّ كفرتم به» فصّلت: ٥٢) وقال: «قل أرأيتم إن كان من عندالله وكفرتم به» الأحقاف: ١٠) بالواو. وذلك أنّ المعنى في هذه السّورة: كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنّظر والتّدبّر: الكفر، فحسن دخول «ثمّ» وفي «الأحقاف» عطف عليه «وشهد شاهد» فلم يكن عاقبة أمرهم فكان من مواضع الواو.

الرّابع عشر- أن نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصاء في بحث اللغة - الصّيغ الّتي جآءت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنية:

١ - جائت كلمة «الكنّ» على صيغها في القرآن الكريم نحو: اثناعشر مرّة.

٢ - جآئت كلمة «القوت» على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرتين:

١ - سورة فصّلت: ١٠) ٢ - سورة النّسآء: ٨٥).

٣ - جآئت كلمة «الجحد» على صيغها في القرآن الكريم نحو: اثناعشرمرّة.

٤ - جآئت كلمة «النّحس» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:

١ - سورة فصّلت: ١٦) ٢ - سورة القمر: ١٩) ٣ - سورة الرّحمن: ٣٥).

٥ - جآئت كلمة «السّتر» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:

١ - سورة فصّلت: ٢٢) ٢ - سورة الكهف: ٩٠) ٣ - الإسراء: ٤٥).

٦ ـ جاءت كلمة «النزغ» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ستّ مرّات:
١و٢ ـ سورة فصّلت: ٣٦) ٣ـ سورة الإسراء: ٥٣) ٤ و٥ـ سورة الأعراف: ٢٠٠) ٦ ـ سورة يوسف: ١٠٠).

٧ ـ جاءت كلمة «السأم» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:
١ و ٢ ـ سورة فصّلت: ٣٨ و٤٩) ٣ ـ سورة البقرة: ٢٨٢).

٨ ـ جاءت كلمة «الحيص» على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرّات:
١ ـ سورة فصّلت: ٤٨) ٢ ـ سورة إبراهيم: ٢١) ٣ ـ سورة الشّورى: ٣٥) ٤ ـ سورة ق: ٣٦) ٥ ـ سورة النّسآء: ١٢١).

٩ ـ جاءت كلمة «النأى» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:
١ ـ سورة فصّلت: ٥١) ٢ ـ سورا الإسراء: ٨٣) ٣ ـ سورة الأنعام: ٢٦).

١٠ ـ جاءت كلمة«الافق» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:
١ ـ سورة النّجم: ٧) ٢ ـ سورة فصّلت: ٥٣) ٣ ـ سورة التّكوير: ٢٣).

﴿ التناسب وجهاته ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدورعلى جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة وماقبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة وماقبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها:

أمّا الاولى والثّانية: فالتّناسب بينهما ـ حيث إنّ سورة فصّلت نزلت بعد سورة المؤمن، و وقعت بعدها مصحفاً ـ نزولاً ومصحفاً فبامور:

أحدها ـ أنّ كلتا السّورتين بدئت بكلمة «حم» وأعقبها تنويه بكتاب الله العزيز الحميد، وتقرير بكونه منزّلاً من الله العزيز العليم الرّحمن الرّحيم، مفصّل الآيات، واضح البيان والغايات بلسان عربيّ لقوم يستطيعون أن يفهموه ويدركوا ما احتواه ليكون لهم ولمن بلغ بشيراً ونذيراً.

ثانيها ـ أنّهما تشتركان في تهديد قريش وتقريعهم إذ توعّدهم في سورة «المؤمن» بقوله: «كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب ـ فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقّت كلمة ربك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار ـ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم ـ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» المؤمن: ٥ـ ٦ و٢١ و٨٢) وهدّدهم في هذه السّورة بقوله: «فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ـ فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ـ جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون»: ١٣ و٢٧ ـ ٢٨).

ثالثها ـ أنّ الله عزّوجلّ لمّا أشار في السّورة السّابقة إلى قصّة الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون، وإستقامته وصلابته في الدّين، وإلى حفظه من مكر فرعون وشرّ قومه، وإلى نجاته وهلاكهم ... بقوله تعالى: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ـ فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» المؤمن: ٢٨ـ ٤٥) أشار جلّ وعلا في هذه السّورة إلى أنّ هذه الحماية الإلهية والنّجاة والغلبة مستمرة في كلّ ظرف لكلّ من آمن واستقام ... بقوله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون ـ وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم» فصّلت: ٣٠ـ ٣٥) وأنّ الذّلّة والخسران، والعذاب والنيران لكلّ من كفرو عاند بقوله: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا ـ فلننبئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ» فصّلت: ٤٠ـ ٥٠).

رابعها ـ لمّا قال الله عزّوجلّ في سورة المؤمن: «ويريكم آياته فأىّ آيات الله تنكرون»: ٨١) قال في هذه السّورة: «ومن آيات الليل والنّهار والشّمس والقمر ـ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق» ٣٧ و٥٣).

خامسها ـ لمّا جآء في السّورة السّابقة قوله تعالى: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وماكان لرسول أن يأتي بآية إلّا باذن الله»: ٧٨) ثمّ جآءت الآيات بعد هذا لتذكّر بآيات الله الممثلة في نعمه الّتي أنعم الله تعالى بها على عباده من الأنعام ... وتلتها آيات اخرى، تذكّر بآيات الله فيما أخذ به الظّالمين المكذّبين من نقم، وقد كانوا أشدّ قوّة وأكثر جمعاً من هؤلآء المشركين، فما أغنى عنهم ذلك من بأس الله من شيْ، وأنّهم حين رأوا بأس الله فزعوا إلى الايمان، ولكن بعد فوات الأوان ... فلم يكن ينفعهم ايمانهم هذا، جآئت هذه السّورة لتصل هذا الحديث الّذي يذكّر بآيات الله جلّ وعلا وينذر المكذّبين الضّالّين بعذاب شديد.

فبدأت سورة «فصّلت» بذكر القرآن الكريم ومايحمل من آيات بيّنات، فُصِّلت بلسان عربيّ مبين ... فاذا كان المشركون قد عموا عن أن ينظروا في هذه النّعم الّتي بين أيديهم والّتي تتمثّل في الأنعام الّتي منها ركوبهم ومنها يأكلون، ثمّ عموا كذلك عن أن

يروا ديارالقوم الظّالمين، وما نزل بها من بلآءٍ ونقم الله القّهار، وأنّها قد أصبحت تراباً يمشون عليه، وقد اختلط فيه الآدميون بالحيوان والنبات والجماد والأ ثاث ... إذا كان المشركون قد عميت أبصارهم عن أن ترى هذه الآيات، أو تلك فليسمعوا بآذانهم هذه الآيات الّتي هي كلمات الله إليهم، تدعوهم إليه بلسانهم العربيّ ولكن عربيّ مبين وتكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى ودين الحقّ، وإلى الصّلاح والفلاح والكمال ...

سادسها ـ أنّ الله تعالى لمّا ختم سورة «المؤمن» بذكر المنكرين لآيات الله جلّ وعلا، افتتح هذه السّورة بمثل ذلك.

وأمّا الثالثة: فلمّا ذكر «حم تنزيل» فكأنّ سائلاً يسئل: مَن هو مُنَزِّل؟ وماهو مُنَزَّل؟ فقال: مصدره «الرّحمن الرّحيم» مَن له الرّحمانيّة والرّحيميّة كلتاهما: الرّحمة العامّة الّتي وسعت كلّ شئ، والرّحمة الخاصّة بالمؤمنين، والتعرّض للصّفتين الكريمتين ليصير باعثاً على التشمير عن ساق الجدّ عند الإستماع، وزجره عن التّهاون والتواني فيه، وأمّا المُنَزَّل فهو كتاب مدوّن أو ينبغي أن يدوّن فصّلت آياته ... وهوقرآن عربيّ لقوم يستطيعون أن يدركوا ما احتواه ليكون لهم ولمن بلغ بشيراً ونذيراً، بشيراً لمن آمن وعمل به، ونذيراً لمن كفر ولم يعمل به، فبرحمته على نوعيها نزّله على عباده لينالوا بسبب الايمان والعمل به برحمته، فانّه يتضمّن لمصالحهم في كلّ ظرف أمراً ونهياً، بعثاً وزجراً، دنياً وآخرة.

لمّا بيّن تعالى أنّه برحمته نزّل القرآن الكريم بشيراً ونذيراً أشار إلى أنّ المنزّل عليهم وهم المشركون بالنسّبة إلى هذا التّنزيل حين نزوله على فريقين: فريق منهم مؤمنون به، وهم قليلون، وفريق كافرون به وهم أكثرهم فقال: «فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون»: ٤) لمّا ذكر إعراض أكثر مشركي مكّة عن القرآن الكريم صرّح بما اعترفوا من سبب إعراضهم عنه وهو ثلا ثة: ١ـ «قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه» فلا يتسرّب إليها شئ منه. ٢ـ «وفي آذاننا وقر» يجعلنا لانسمع مايتلى علينا منه. ٣ـ «ومن بيننا وبينك حجاب» لاينفذ إلينا منه شئ.

وأمّا التّرتيب بين الثّلا ثة فانّ القلب محل المعرفة وسلطان البدن، والسّمع

والبصرهما الآلتان المعنيتان له لتحصيل المعارف، فاذا حصلت الثلاثة فلايمكن الايمان والاستماع، من دون تنافي الاختيار، لأنّ الإمتناع بالإختيار لاينافي الإختيار، ثمّ حكى عنهم ماقالوا على سبيل التهديد، وبارزوه بالخلاف وشن الغارات الجدلية بمالم يبق بعده مجال للوفاق فقالوا: «فاعمل إنّنا عاملون»: ٥).

فاعمل أنت بما شئت، واقرأ من قرآنك ماتقرأ فلن تجدمنّا لما تقرأ اذناً تسمع أو قلباً يقع فيه شئ ممّا تقرأ، واننا عاملون بمانشآء من إقامة هذه الحواجز بيننا وبينك، فاننا ثابتون مصرّون على مانحن عليه فلايمكن أن نراجع عنه، ولا يستطيع أحد أن يراجعنا عنه.

ثمّ أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقول لهؤلآء المعرضين عن القرآن رداً عليهم بقوله تعالى: «قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم ...» وأن يعلن لهم نبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن يدعوهم إلى التّوحيد وهو مهمّة كلّ الرّسل عليهم السّلام وأن يتمّ عليهم الحجّة ويقطع معذرتهم، وإن كانوا لايؤمنون: «فاستقيموا إليه واستغفروه» فالتبليغ واجب لايترك قط، وما على الرّسل إلاّ البلاغ، سواء أآمن المرسل إليهم ام لم يؤمنوا إذ ليس من شرط التّبليغ قبول المرسل إليهم، ولايجبرهم على الايمان، ولايحملهم عليه قسراً، فانّه بشرٌ مثلهم، ثمّ هدّد المشركين بقوله: «و ويل للمشركين»: ٦).

إنّ الله تعالى وصف المعرضين عن القرآن الكريم بأخصّ صفاتهم وهي ثلاث: ١ـ الشّرك بالله سبحانه. ٢ـ الإمتناع عن ايتاءِ الزّكاة. ٣ـ الكفر بالمعاد «الّذين لايؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون»: ٧).

إنّ الله عزّوجلّ لما ذكر أخصّ صفات المعرضين عن ذكرالله جلّ وعلاو وعيدهم، أردف ذلك بوعد المؤمنين الصّالحين، وهذا هو دأب القرآن الكريم من ذكر التّقابل بين الحقّ والباطل، بين الايمان والكفر، بين الخير والشّرّ، وبين أهلهما، فاذا كان الإنذار بالويل للمشركين، فقد كانت البشارة بالجزاءِ الكريم للمؤمنين فقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون»: ٨).

لمّا أمرالله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعو المشركين إلى التّوحيد

والإستقامة والإستغفار وأن ينذرهم بالويل على شركهم، أخذ بذكر أدلّة قاطعة وبراهين واضحة من تكوين النّظام وحسن تدبير نواميس الوجود على إثبات واجب الوجود ووحدانيته، وعلمه وحكمته وجلاله وعظمته، وعلى إبطال الشّرك والكفر على سبيل سؤال إستنكاريّ فيه معنى التوبيخ والتّقريع عمّا إذا كان يصحّ منهم أن يكفروا بالله سبحانه ويجعلوا له شركآء معادلين في حين أنّه هو وحده ربّ العالمين جميعاً، وأنّه هو الّذي خلق الأرض والسّموات السّبع ودبّر أمرهما ... وكلّ هذا تقدير العزيز العليم القادر على كلّ شئ، والعليم بكلّ شيءٍ: «قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض ـ ذلك تقدير العزيز العليم»: ٩ـ ١٢).

فالآيات استمرار في التقريع والإنذار والجدل الّذي ابتدأ في الآيات السّابقة لها، فجآئت لتلقّاهم بماالله جلّ وعلا من علم وقدرة وتدبير وسلطان حتّى يكون لهم من ذلك مايفتح مغالق عقولهم، ويرفع أكنّة قلوبهم، و وقر آذانهم، ويكسّر سدّاً ويكشف حجاباً وقع بينهم وبينه صلّى الله عليه وآله وسلّم بسوء إختيارهم فينظروا إلى جلال الله جلّ وعلا ثمّ لينظروا إلى آلهتهم على سنا هذا الجلال، ثمّ ليحكموا عليها ماذا تكون هذه الدّمي الجاثمة على التّراب إزآء ربّ الأرباب خالق الأرض والسّموات ...

لمّا أقام جلّ وعلا الأدلّة القاطعة على التوحيد ودعا المشركين إليه، وأبطل الشّرك وتمّ عليهم الحجّة وقطع عنهم المعذرة أنذرهم بحلول النّقم بهم في الدّنيا قبل عذاب الآخرة إن أعرضوا عن الأدلّة وأصرّوا على الشّرك والطغيان كما حلّ بعاد وثمود من قبلهم وهم كانوا أشدّ منهم قوة وآثاراً ... مع ذكر سبب هلاكهم من الكفر والإستكبار والضّلالة، وتفصيل أحوال كلّ فريق منهم فقال: «فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ـ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون»: ١٣ـ ١٧).

إنّ الله تعالى لمّا ذكر الوعيد أردف ذلك بذكر الوعد بقوله عزّوجلّ: «ونجّينا الّذين ...»: ١٨) فحين أخذ العذاب هؤلآء الكافرين المستكبرين نجى الله الّذين آمنوا وكانوا يتقون الله جلّ وعلا ويخشون بأسه، فلم يصبهم من هذا المكروه شئ بل سلموا من كلّ سوءٍ، فالايمان والتّقوى معاً سبب النّجاة من عذاب الإستئصال كما أنّهما معاً سبب

النّجاة من عذاب النّار.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر كيفية عذاب الكافرين وهلاك المستكبرين من الامم السّابقة في الحياة الدّنيا، أردف ذلك بذكر أحوال الكافرين عامّة من جميع الامم يوم الحشر وفضاحتهم فيه ليحصل منه تمام الإعتبار في الزّجر والتحذير بقوله تعالى: «ويوم يُحشر أعداء الله إلى النّار ـ فأصبحتم من الخاسرين»: ۱۹-۲۳).

وقد جآءت الآيات معقبّة على سابقاتها لبيان ماسوف يكون من أمر الكفّار في الدّار الآخرة وقد انذروا وذكروا و وعظوا بما حلّ فيمن قبلهم من أمثالهم فاعرضوا ولم يرعووا ... ففي يوم القيامة يحشر أعداء الله الكفار من الأوّلين والآخرين ويساقون إلى النّار، وحينما يوقفون قبل سوقهم إلى النّار ـ أمام الله للحساب ينطق الله آذانهم وعيونهم وجلودهم فتشهد عليهم بما اقترفوه من آثام... ولسوف يعاتبون جوارحهم على شهادتها فترد عليهم بأنّ الله الّذي أنطق كلّ شيءٍ هو الّذي أنطقها بالحقّ، وقد عقبت الآيات على جوارح بتوكيد قدرة الله تعالى على ذلك وقد خلق النّاس أوّل مرّة وإليه يرجعون. و وجه الخطاب ـ بعد حكاية المشهد والتعقيب عليه ـ إلى الكفّار وفيه تأنيب وتقريع وتقرير لحقيقة الأمر في جرأتهم على الكفر والإثم، فهم لم يكونوا يبالون أن تشهد عليهم جوارحهم، ولم يكونوا يرون ضرورة التستّر في آثامهم لأنّهم كانوا لايخطر ببالهم في الحقيقة أنّ الله عزّوجلّ يراقبهم ويحصى عليهم أعمالهم، وكانوا يظنّون أنّ الله تعالى لايعلم كثيراً مما كانوا يعملون، وهذا الظّنّ الخاطئ هو الّذي أسقطهم في شرّ أعمالهم وجعلهم خاسرين.

لمّا ذكر تعالى أحوال الكافرين يوم الحشر وفضاحتهم فيه قبل دخول النّار، أخبرعن حالهم وهم فيها. هذا بنآءً على أنّ الآية حكاية عن مقالة المستكبرين للمستضعفين. وأمّا بنآءً على أنّ هذا جواب لمقالة المشركين في حثّ بعضهم لبعض على إدامة عبادة الأصنام والبقآء على الشّرك والضّلالة، فالآية الكريمة تهديد لهم على استمرارها. وهذا هو الأنسب بظاهر السّياق. فلمّا ذكر تعالى أحوال الكافرين من الامم الماضية في الحياة الدّنيا، وأحوال الكافرين عامّة يوم الحشر وفضاحتهم فيه، هدّد مشركى العرب بالنّار إن

بقوا على شركهم وطغيانهم فقال: «فان يصبروا فالنّار مثوى لهم ...» : ٢٤).

ثمّ أخبر تعالى بأنّ مشركي العرب لمّا بقوا على الشّرك والضّلالة بسوء إختيارهم، قيّض جلّ وعلاهم قرنآء السّوء وليس لهم في هذه المقارنة إلّا الخسارة فقال: «وقيّضنا لهم قرنآء ـ إنّهم كانوا خاسرين» : ٢٥).

ثمّ أشار إلى آثار هذه المقارنة الشّؤمة وتزيين بعضهم لبعضهم الكفر والضّلالة بقوله تعالى: «وقال الّذين كفروا...» : ٢٦) مع ما في الآية من رجوع إلى حديث كفرهم بالقرآن الكريم المذكور في أوّل السّورة، وذكر كيدهم لإبطال حجّته، وأنّ بعضهم أي القادة الّذين كانوا يحثّون الأتباع السّفلة على ذلك.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا حكى كيد الكافرين وحيلتهم في إطفآء نورالقرآن، وإضلال القادة، السّفلة، أوعد الكفّار من الرّؤسآء والمرؤسين، والأتباع والمتبوعين بالعذاب الشّديد مع بيان سببه على طريق التّأكيد بالقسم فقال: «فلنذيقنّ الّذين كفروا ـ جزآءً بما كانوا بآياتنا يجحدون» : ٢٧ـ ٢٨).

ثمّ حكى مايطلبه الأتباع السّفلة حينما يرون تحقيق وعيدالله جلّ وعلا فيهم بأن يمكنهم الله تعالى من الّذين أضلّوهم من القادة والرّؤسآء من الجنّ والإنس حتّى يجعلونهم تحت أقدامهم في النّار انتقاماً منهم، لأنّهم كانوا سبب المصير الرّهيب الّذي صاروا إليه بقوله: «وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا ...» : ٢٩).

فجآءت الآيات الثلاث: (٢٧ ـ ٢٩) معقبة على الآية السّابقة الّتي حكت موقف الكفّار من القرآن، متوعّدة إيّاهم بأشدّ العذاب والخلود في النّار جزآء لكفرهم وجحودهم ... إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أسوأ أحوال الكافرين أعدآء الله وقرنآئهم من القادة المستكبرين والسّفلة المرؤسين، وإصرارهم على الكفر والضّلالة، وفضاحتهم يوم الحشر ومآل أمرهم إلى النّار والخلود فيها، أخذ بذكر أحسن أحوال المؤمنين المستقيمين على طريق الهدى وأولياءهم من الملائكة في الدّنيا والآخرة، وحسن عاقبتهم ومقامهم في جنات النّعيم ... كما أنّ هذا هو دأب القرآن الكريم من ذكر فريق وفريق، والمقابلة بين عقائد الفريقين والمقايسة بين اعمالهما، وبيان نتآئجها... ليظهر الفرق بين الحقّ

والباطل، بين الايمان والكفر، بين الطيّب والخبيث، وبين مآل أمرهما فقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا ـ نزلاً من غفور رحيم»: ٣٠ـ ٣٢).

إنّ في مناسبة قوله تعالى: «ومن أحسن قولاً ...»: ٣٣) لما قبلها وجوه خمسة:

أحدها ـ أنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن ديدن قرنآءِ السّوءِ بأنّهم يدعون النّاس إلى الشّرك والضّلالة، وإلى الكفر والجناية أشار إلى دأب أضدادهم الّذين يدعون النّاس إلى التّوحيد والطّاعة، وإلى الايمان والأعمال الصّالحة ... مع كونهم مؤمنين صالحين.

ثانيها ـ أنّ الآية الكريمة: (٣٣) بمثابة تعليق باسلوب التساؤل الّذي يتضمّن التقرير الايجابى بأنّه ليس من أحد أفضل وأحسن ممّن دعا النّاس إلى الله جلّ وعلا وأسلم النّفس إليه وعمل عملاً صالحاً.

ثالثها ـ أنّ مشركي العرب وخاصّة قادتهم لمّا أتوا بأنواع السّفاهة والإيذاءِ والمخاصمة ... كقولهم: «قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه ـ لا تسمعوا لهذا القرآن ...»: ٥ و٢٦) حرّض الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على مواظبة التّبليغ والدّعوة واحتمال أعبآءِ الرّسالة والتزام السّيرة الفاضلة، إظهاراً لمزيّته على الجهال، وتحصيلاً للغرض بالرّفق واللطف ما أمكن.

رابعها ـ أنّ الآية متصلة بقوله تعالى: «وقال الّذين لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» وذلك أنّهم كانوا يخاصمون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ينازعون القرآن الكريم، وقد ذكر في أوّل السّورة قولهم: «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه ...»: ٥) فأيد الله عزّوجلّ في هذه الآية: (٣٣) نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ قوله وهو دعوته أحسن القول.

خامسها ـ أنّ الله تعالى لمّا مدح المؤمنين المستقيمين على الحقّ الهدى وذكر جزآؤهم وهم أهل الكمال، أراد أن يبيّن حال المشتغلين بتكميل النّاقصين...

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن محاسن الأعمال الّتي بين العبد وربّه، أخذ بذكر محاسن الأعمال الّتي بين العباد بعضهم مع بعض ترغيباً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الصّبر على أذى المشركين ومقابلة إسائتهم بالإحْسان فقال: «ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة ...» ٣٤) ثمّ ذكر بعض الحسنات و وضحها بذكر بعض ضروبها: «إدفع بالّتي

هي أحسن» مع إحتمال أنّه جلّ وعلاً لمّا ذكر أحسن القول وأنّه الدّعوة إلى الله تعالى والقائم به حقاً هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه صاحب الشّريعة، إلتفت إليه ببيان أحسن الطّريق إلى الدّعوة وأقربها من الغاية المطلوبة منها، وهي التّأثير في النّفوس، فأمره صلّى الله عليه وآله وسلّم به: «إدفع بالّتي هي أحسن ...».

ثمّ بيّن نتائج الدّفع بالحسنى: «فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم» ثمّ نبّه إلى عظيم فضل هذه الطّريق: «وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا...»: ٣٥) ثمّ ذكر طريقاً لمنع من تهييج الشّرّ ودفع الغضب إذا بدت بوادره بقوله تعالى: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ ...»: ٣٦).

ومناسبة هذه لما قبلها أنّ الآية السّابقة دعت الدّعاة إلى دفع السّيّئة بالحسنة، وانه لن يقوم بالوفاء بهذه الدّعوة إلّا من كان على درجة عالية من وثاقة الايمان وقوّة العزيمة ... وللشّيطان هنا مداخل يدخل بها على من يُجْمَع أمره على دفع السّيّئة بالحسنة، فيكون له نخسات ينخس بها في صدر المؤمن كي يخرج به عن هذا الموقف الكريم إلّا أن يستعين بالله تعالى منه، فالإستعاذة بالله عزّوجلّ من الشّيطان خزي للشّيطان ودحْرٌ له إذ يرى المؤمن، وقد دخل في هذا الحمى الّذي لاينال فيرتدّ مذموماً مدحوراً. فالآيات الثّلاث (٣٤-٣٦) منسجمة مع بعضها أوّلاً، ومتصلة بسابقتها إتصال سياق وموضوع ثانياً، فليس من أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله تعالى وعمل صالحاً في مجال المقايسة والمفاضلة كما أنّه لايمكن التّسوية بين الحسنة والسّيّئة، وبين الكافرين الملحدين في آيات الله والمؤمنين المستقيمين على الهدى.

إنّ الله تعالى لمّا ذكر أنّ دعوة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت أحسن القول، و وصّاه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدفع السّيّئات بأحسن الخصال، وأمره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإستعاذة بالله من الشّيطان في هذا الطّريق الخطير عاد إلى أصل الدّعوة وأوّلها وهو التّوحيد، فذكر الأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة على وحدانيته وحكمته، وتدبيره وقدرته، وعلمه وقوّة تصرّفه فقال: «ومن آياته اللّيل والنّهار...» تنبيهاً إلى أنّ الدّعوة إلى الله تعالى هي تقرير الدّلآئل على ذاته وصفاته ...

ثمّ نهى المشركين عن عبادة الشّمس والقمر، وأمرهم أن يسجدوالله تعالى وحده: «واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون»: ٣٧).

فالليل والنّهار والشّمس والقمر هي بعض الآيات الّتي تشهد بوحدانيته وجلاله وقدرته... وأنّ المستعيذ بالله جلّ وعلا إنّما يستعيذ بمالك الملك وربّ الأرباب، فلا يصل إليه أذى ولا يناله مكروه.

مع أنّ الآية الكريمة بمثابة تعقيب واستطراد بعد الآية السّابقة لها، فانّها قد انتهت بوصف الله عزّوجلّ بـ «السّميع العليم» فاستطردت هذه إلى ذكر بعض آياته وتأنيب الّذين لا يحصرون العبادة والسّجود فيه، ويشركون الشّمس والقمر معه فيها.

ثمّ سلّى تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ مشركي العرب إن اصرّوا على إستكبارهم، وبقوا على الشّرك والضّلالة، وأبوا عن قبول قولك في النّهي عن السّجود للشّمس والقمر، فلا تحزن فدعهم وشأنهم، فانّ ربك لايعدم عابداً مخلصاً، فانّ الملائكة المقرّبين يسبّحون له ليلاً ونهاراً من دون فترة ولا ملالة: «فان استكبروا...»: ٣٨).

إنّ الله تعالى لمّا أقام الدّلائل الفلكيّة على وحدانيته وربوبيته، أخذ بذكر البراهين الأرضيّة على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته فقال: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة...»: ٣٩).

مع ما في الآية الكريمة من الحجّة القاطعة على المعاد، فاستطردت الآية إلى التنبيه إلى قدرة الله على إحيآء الموتى إستدلالاً من ذلك، فالّذي أحيى الأرض بعد موتها على هذا الوجه الّذي يشاهده النّاس جميعاً فهو قادر على إحيآء الموتى بعد موتهم أيضاً، وهو قادر على كلّ شيءٍ في كلّ حال.

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أنّ أصل الدّعوة هو التّوحيد وهو أسمى المقاصد، بل خلق الإنسان لأجله، وأنّ التّوحيد- بعد اقتضآء الفطرة- لايحصل إلّا بذكر الدّلآئل على التّوحيد، أعقب ذلك بتهديد من ينازع في تلك الدّلآئل بالقآء الشّبهات: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا»: ٤٠).

ثمّ هدّدهم بضروب من التّهديد: ١- «لايخفون علينا» ٢- «أفمن يلقى في النّار...»

مع مافيه من بيان كيفيّة الجزآء والتّفاوت بين الموحّد والمشرك ، وبين المؤمن والكافر.
٣ـ «اعملوا ماشئتم ...»: ٤٠).

ومن المحتمل أن تكون الآية عودة إلى حديث القرآن وكفرهم به مع ظهور آيته ورفعة درجته ومافرّطوا في جنبه ورميهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحدهم الحقّ وكفرهم بالآيات، وما يتبع ذلك فالآية كالبرزخ الرّابط بين الفصل التّالي والفصل السّابق من الآيات لما وقعت بين قوله تعالى: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ...»: ٢٦) وقوله: «ومن آياته الليل والنّهار...»: ٣٧) وبين قوله عزّوجلّ: «إنّ الّذين كفروا بالذّكر لمّا جاءهم ...»: ٤١). ثمّ وصف الذّكر بثلاث صفات: **أحدها**ـ «وانّه لكتاب عزيز» **ثانيها**ـ «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» **ثالثها**ـ «تنزيل من حكيم حميد»: ٤٢).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا هدّد الملحدين في آياته، و وعد نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بحفظ كتابه من الدّسّ والتّحريف إلى يوم القيامة سلّى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم على مايصيبه من أذى المشركين وطعنهم في كتابه، وحثّه على الصّبر والصّلابة وألّا يضيق صدره بما حكاه عنهم من نحو قولهم: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ـ فاعمل إنّنا عاملون»: ٥) فما قاله اولئك الكفّار في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن لايعدو شأن ماقاله أمثالهم من الامم السّابقة في رسلهم: «مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك ...»: ٤٣).

ثمّ دعاهم ـ تلويحاً ـ إلى التّوحيد والايمان، فوعدهم بالغفران ونهاهم عن الشّرك والطغيان، فأوعدهم بالنّيران: «إنّ ربّك لذو مغفرة وذوعقاب أليم».

لمّا نوّهت الآيات السّابقة بالقرآن الكريم، وأشارت إلى علوّ متنزّله، وأنّه عزيز نزّل من عند عزيز حكيم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتوعّدت الكافرين به، والملحدين في آياته، ناسب ذلك أن يذكّر عن المشركين الّذين كفروابهذا الذّكر بعض إلحادهم فيه، وتعلاّتهم عليه ممّا كان سبباً في صدّهم عنه ومجافاتهم له ... فمن ضلالاتهم أنّهم كانوا ينكرون أن يكون الرّسول الّذي يرسل من عندالله إليهم رجلاً منهم، يتكلّم باللسان الّذي هم يتكلّمون به... إن ذلك ممكن أن يدّعيه كلّ واحد

منهم، فما يحدّثهم به الرّسول على أنّه كلام الله تعالى هو من جنس مايتكلّمون به ... فأجابهم عن شبهتهم - وهي هلاّ نزل القرآن بلغة العجم؟ -: «ولوجعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته ...»: ٤٤) بأنّه لونزل كما يريدون لما آمنوا به بل كانوا ينكرونه، وقالوا: مالنا وهذا؟!.

ثمّ ذكر أنّ القرآن هداية وشفآء للمؤمنين والّذين لايؤمنون به في آذانهم صمم عن سماعه: «قل هو للّذين آمنوا هدى ...».

ثمّ مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم له بحال من ينادى من مكان بعيد لايسمع من يناديه فقال: «اولئك ينادون من مكان بعيد»: ٤٤).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن إلحاد مشركى العرب في آياته وإعراضهم عن كتابه الكريم، بيّن على سبيل التأكيد بالقسم المقدّر تسلية لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ هؤلآء الملحدين ليسوا بدعاً من بين الامم في الإلحاد والتّكذيب بكتاب ربّهم، بل هي حال أكثر أهل الضّلال وخاصّة قادتهم الطّاغية ورؤسآؤهم الباغية في كلّ امّة وفي كلّ جيل مع رسل الله وآياته... وأقرب مثل لهذا مالقى موسى عليه السّلام من قومه اليهود العنود الّذين يراهم المشركون بينهم... فقال: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه»: ٤٥).

ثمّ أخبر تعالى أنّه أخّر عذابهم إلى حين، ولم يعاجلهم بالعقاب على ما اجترحوا من تكذيب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحدهم بكتابه، وإلحادهم في آياته ... «ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم»: ٤٥).

ثمّ بيّن مايوجب تأخير الهلاك والعذاب، وهو الشّكّ في أمر القرآن، الموجب لقلقهم واضطرابهم، فما كان تكذيبهم به عن بصيرة منهم حين قالوا ماقالوا، ولو كانوا قاطعين في ذلك لما تأخّر عنهم العذاب: «وإنّهم لفي شك منه مريب»: ٤٥).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أنّ النّاس بالنّسبة إلى كتاب الله تعالى ورسله ودعوتهم إيّاهم إلى الحقّ والهدى فريقان: فريق الايمان والطّاعة وصالح الأعمال... وفريق الكفر والمعصية وفساد الأعمال... بيّن أنّ مسئوليّة كلّ امرئ عن عمله، صالحاً كان

أو سيّئاً، وجزآؤه عندالله تعالى عليه حسب ذلك من غير ظلم ولا إجحاف إذ لايمكن أن يظلم الخالق خلقه... فقال: «من عمل صالحاً فلنفسه ...»: ٤٦).

إنّ الله جلّ وعلا لمّا هدّد المشركين الملحدين بأنّ جزآء كلّ امرىءٍ سيصل إليه وقت الجزآء كاملاً غير منقوص، صالحاً كان أو سيّئاً، حسناً كان أو قبيحاً ... فكأنّ سآئلاً سئل: ما وقت الجزآء؟ اجيب عنه: هو يوم القيامة الّذي علمه مردود إلى الله عزّوجلّ، كما أنّ العلم بخروج الثمرات من أكمامها، وحمل الانثى و وضعها مردود إلى الله تعالى فقال: «إليه يُردّ علم السّاعة ...»: ٤٧).

ثمّ حكى ماسوف يكون من أمر المشركين وسوء حالهم يوم القيامة حيث يناديهم تهكّماً وتقريعاً لهم ويسئلهم عن شركآئه الّذين أشركوهم معه، فلا يجدون مناصاً من الإعتراف بحقيقة الأمر والتراجع عمّا كانوا يقولون به، وتنزيه الله عن الشركآء... فقال: «ويوم يناديهم أين شركآئي ...»: ٤٧).

ثمّ بيّن أن شركآئهم الّذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويشركونهم معه سبحانه يغيبون عنهم يوم القيامة، فلا ينفعونه ولا يدفعون عنهم شيئاً من الأهوال والعذاب، فلمّا تخلّى عنهم آلهتهم يئسوا عنها وأيقنوا أن ليس لهم يومئذ ملجأ من الأهوال ولا مهرب من العقاب، ولا مخلص من العذاب... فقال: «وضلّ عنهم ماكانوا يدعون ...»: ٤٨).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر أحوال المشركين الملحدين يوم القيامة وتبدّلها يومئذ إذ كانوا يشركون بالله سبحانه ويصرّون على الشّرك والعبادة لآلهتهم في الحياة الدّنيا، وهم يتبرّؤن من شركآئهم في الدّار الآخرة، أخذ بذكر أخلاق الكفّار الّذين كانت تتألّف منهم أكثريّة النّاس في كلّ ظرف، وتبدّل أحوالهم وتغيّر أطوارهم في الدّنيا، فالإنسان من هذه الأكثرية لايسأم من طلب الخير والإستمتاع به فاذا مسّه شرّ كان يستحقه بسوءإختياره وقع في اليأس واستولى عليه القنوط وانقطع رجآئه، في حالة الإقبال لايسأم من طلب الجاه والمال، وفي حالة الإدبار يصير في غاية اليأس والإنكسار ... «لايسأم الإنسان من دعآء الخير ...»: ٤٩). ثمّ ذكر وجهاً آخراً من تنقّل أحوال الإنسان من تلك الأكثرية على سبيل التأكيد بالقسم المقدّر: «ولئن أذقناه رحمة

منّا...»: ٥٠).

ثمّ أبطل جلّ وعلا الأماني الباطلة لهذا الإنسان وردّها على أهلها حسرة وندمة، وهدّد من هذه صفته من الكافرين بأنّه سيظهرلهم يوم القيامة أنّ الأمر بعكس ما كانوا يظنّون و بضدّ ما كانوا يعتقدون في الحياة الدّنيا: «فلننبّئن الّذين كفروا...»: ٥٠).

إنّ الله تعالى لمّا أخبر عن أقوال الإنسان الّذي هو من أكثرية النّاس في كلّ ظرف، أنعم عليه بعد وقوعه في الجهد الجهيد، أخبرعن أفعاله وجهله الّذي سبق وصفه بمواضع نعم الله جلّ وعلا ومايجب عليه من الإعتراف بشكره بتركه النّظر المؤدّى إلى معرفته فقال: «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأبجانبه»: ٥١).

ثمّ أشار إلى أنّه حين الضّرّاء يكون على عكس ذلك فيتضرّع ويبتهل إلى ربّه فقال: «وإذا مسّه الشّرفذو دعاءٍ عريض»: ٥١).

إنّ الله جلّ وعلا لمّا بيّن مرّات في هذه السّورة مبالغة الكفّار الملحدين في العناد والعداوة وفي اللجاج والنّفرة من اتباع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن الكريم، وهدّدهم بشديد الأهوال والعقاب في الدّنيا والآخرة، وأخبر عن تبدّل أحوالهم وتغيّر أطوارهم في الدّارين، أعقب ذلك بلفت أنظارهم إلى التأمّل والتفكّر فيما بين أيديهم من الدّلآئل الواضحة والبراهين القاطعة ... وأرشدهم إلى طريق أحوط ممّا هم فيه ليرعووا عمّا هم فيه من الغيّ والضّلال، ويقرّوا بها لتظاهر الأدلّة عليها، وعلى أنّ هذا القرآن الكريم تنزيل من الرّحمن الرّحيم فقال: «قل أرأيتم إن كان من عندالله...»: ٥٢).

إنّ الأمر بمخاطبة الكفّار الملحدين يجعل الصّلة قآئمة بين هذه الآيات الثّلاث: (٥٢ - ٥٤) والآيات السّابقة أيضاً فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أدلّة قاطعة على وحدانيّته وربوبيته، على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته، وأقام براهين واضحة على صدق نبوّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وحقّيّة كتابه الكريم، وعلى بطلان الشرك وقبح الكفر والإلحاد... وعد رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ببيان آيات آفاقية وأنفسيّة اخرى على طريقي البرهان: اللّمى والأنّيّ لاثبات التّوحيد وصدق الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وحقّيّة القرآن المجيد، ولردّ شبهات

المشركين ودفع تمويهات الملحدين، وإبطال شكوك المعاندين في كلّ ظرف: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم...»: ٥٣).

مع ما في الآية الكريمة من تسلية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما رأى من مشركي العرب من الشرك والإلحاد والكفر والضّلال، والبغي والإيذآء، والتّكذيب والإستهزآء... ومن الإنذار لهم بأنّ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأنّ النّصرة والغلبة ثابتة للحقّ وأهله...

إنّ الله عزّوجلّ لمّا أقام الدّلآئل وأوضح الحجج على التّوحيد والرّسالة وصدق القرآن و وقوع البعث للحساب والجزآء حتّى لم يبق بعدها مقال لمتعنّت، ولا مجال للمحدختم السّورة ـ على سبيل الإخبار ـ بما يكشف عن الدآء الّذي يخامر المشركين ويفسد على الملحدين رأيهم في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيما يدعوهم إليه وفي القرآن الكريم في كلّ ظرف ... وهذا الدّآء هو ريبهم في أمر البعث واستبعادهم إعادة الأجساد بعد أن تصير عظاماً ورفاتاً، وهم لهذه الرّيبة في شكّ من لقآء ربّهم للحساب والجزآء في الدّارالآخرة على ما كانوا يعملون في الحياة الدّنيا، وهذا الشّك هو سبب عنادهم واستكبارهم ... «ألا إنّهم في مرية من لقآء ربّهم»: ٥٤) مع ما في الجملة من التنبيه على أنّهم لاينتفعون بالإحتجاج على وحدانيته جلّ وعلا بكونه شهيداً على كلّ شيء، وهو أقوى براهين التّوحيد وأوضحها لمن تعقّل لأنّهم في مرية من لقآء ربّهم وهو كونه سبحانه غير محجوب بصفاته وأفعاله عن شئ من خلقه.

ثمّ هدّدهم بما يلقاهم من شكّهم في لقآء ربّهم يوم القيامة، وبالنّعي عليهم، وأوعدهم بأنّه جلّ وعلا عالم بكلّ شيء، فيجازى كلاً بحسب مايستحقّه، حيث يرون أعمالهم، وقد أحصاها الله تعالى عليهم وحاسبهم على كلّ صغيرة وكبيرة منها لأنّ الله عزّوجلّ محيط بكلّ شيء علماً: «ألا إنّه بكلّ شيء محيط»: ٥٤).

مع ما في الجملة من التّنبيه على مايمكن أن ترتفع به هذه المرية، ويحسم به عرقها، وهو الايمان باحاطة الله جلّ وعلا بكلّ شيء على مايليق بساحة قدسه وكبريآئه، فلايخلو عنه مكان وليس في مكان، ولا يفقده شئ وليس في شيء، فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قال في قوله تعالى: «إدفع بالّتي هي أحسن» فصّلت:٣٤): نسخت بآية السّيف -وهي قوله عزّوجلّ: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ...» التّوبة:٥) - وبقي المستحب من ذلك، حسن العشرة والإحتمال والإغضآء».

أقول: إنّ الآية الكريمة بصدد بيان المجاملة الحسنة الّتي هي دأب الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام ومَن يحذو حذوهم من الأوصيآء والمصلحين والدّعآءِ المحنكين... ويؤيّد ذلك ذيل الآية: «فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم».

وفي تفسير النيسابوري: «وقد يحتجّ أبومسلم بالآية: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فصّلت: ٤٢) على عدم وقوع النّسخ في القرآن زعماً منه أنّ النّسخ نوع من البطلان. ولايخفى ضعفه، فانّ بيان إنتهاءِ حكم لايقتضى إبطاله، فانّه حقّ في نفسه ومأمور به في نفسه».

أقول: إنّ النّسخ بمعنى إبطال الحكم قبل إنتهآءِ أمده مع بقآءِ الموضوع ليس في القرآن الكريم قطّ، وأمّا بطلان الحكم عند تبدّل الموضوع أو إنتهآء أمده فكثير في الكتاب والسّنّة. وإنّ الحكم تابع لموضوعه كالقصر والتمام بالنسبة إلى الحاضر والمسافر. ولنا في النّسخ بحث دقيق وتحقيق عميق في هذا التفسير فراجع ولا تغفل.

❁ تحقيق في الأقوال ❁

١ ـ (حمٓ)

في «حمٓ» أقوال: ١ـ قيل: الحآء من الحكمة، والميم من المنّة. والمعنى: منّ الله تعالى على عباده بتنزيل الحكمة من الرّحمن في الأزل، والرّحيم في الأبد. ٢ـ قيل: «حمٓ» من المتشابهات الّتي لايعلمها إلّا الله والرّاسخون في العلم. ٣ـ قيل: الله هو أعلم بمراده به. ٤ـ عن ابن عباس: «حمٓ» يقول قضى ماهو كائن أي بين وهو قسم اقسم به. ٥ـ عن سعيدبن جبير أنّه قال: هذه الحروف المذكورة في أوائل السّور منها مايهتدى إلى كيفيّة تركيبها مثل: «الٓر» و«حمٓ» و«ن» فانّ مجموعها: «الرّحمن» ومنها مالا يهتدى إلى كيفيّة تركيبها واسم الله الأعظم فيها. وغيرها من الأقوال حتّى انتهت إلى ثلاثين قولاً، وقد سبق منّا سبعة عشر قولاً، والمختار منها في تفسير سورة «المؤمن» فالمختار هناك هو المختار ههنا فراجع وتدبّر جيّداً.

٢ ـ (تنزيل من الرّحمن الرّحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي هذا الكتاب المدوّن أوسيدوّن تنزيل ـ نجوماً ـ من الرّحمن الرّحيم على محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٢ـ قيل: أي هذا القرآن رحمة نزل به روح الأمين جبرئيل من الرّحمن على قلب محمّد الرّؤف الرّحيم. ٣ـ قيل: أي هذا القرآن تنزيل من عندالرّحمن الرّحيم نزّله على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّحمن صفة تشير إلى رحمته العامّة للمؤمن والكافر، والرّحيم صفة تشير إلى رحمته الخاصّة بالمؤمنين، فهذا

التّنزيل يصلح لنّاس دنياهم كما يصلح لهم آخرتهم. ٤ ـ قيل: أي هذا القرآن منزّل من الله الرّحمن الرّحيم على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد خصّ هذين النعتين بالذّكر لأنّ النّاس في الحياة الدّنيا كالمرضى المحتاجين إلى الدّوآء والغذآء، وإنّ القرآن الكريم متضمّن لكل مايحتاج إليه المرضى من الأغذية، ومايحتاج إليه الأصحّآء من الأغذية، فكان رحمة لهم ولطفاً بهم جميعاً كما أنّ الموحىٰ إليه كان رحمة للعالمين لقوله تعالى: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبياء: ١٠٧).

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً، فانّ كلام الخالق المتعال أولى بالتّدبرّ من كلام المخلوق الخاطئ، وقد قال جلّ وعلا: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٤) وقال: «أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النسآء: ٨٢) وقال: «كتاب أنزلنا إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩) وقد تمّت الحجّة على النّاس كافّة، والعلماء خاصّة فلاعذر لهم في ترك التدبّر في كلام الخالق المتعال باشتغال أقاويل المخلوق الخاطئ غير المعصوم، كما أنّه دأبهم في زماننا هذا!

٣ ـ (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

في قوله جلّ وعلا: «كتاب» أقوال: ١ ـ قيل: سمّى كتاباً تنبيهاً إلى أنّ فيه جميع علوم الأوّلين والآخرين لأنّ التّركيب يدور على الجمع.

٢ ـ قيل: لأنّ الوحي بعد النّزول كان يدوّن. ٣ ـ قيل: سمّي كتاباً باعتبار مايؤول أي سيدوّن. ٤ ـ قيل: إشارة إلى مرتبة العلم التفصيلي فانّ ما عندالله إجمال، مع كونه في علمه مفصلاً، وإنّما وقع الإجمال في حقّنا، فن كوشف بالتفصيل في عين الإجمال علماً أو عيناً أو حقاً، فذلك العالم الّذي أعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك إلّا للأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٥ ـ قيل: إشارة إلى مرتبة العلم الإجمالى لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ أنزل الله تعالى القرآن كلّه على قلبه صلّى الله عليه وآله وسلّم دفعة واحدة ثمّ نزّله نجوماً على الحوادث ... وهذا هو

التّفصيل: «فصّلت آياته ..».

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين ولكنّ الأخير هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

في قوله تعالى: «فصّلت آياته» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدي: أي بيّنت آياته بالأمر والنهى، وفسّرت آياته بالحلال والحرام. ٢ـ قيل: أي فصّلت آياته بالثّواب والعقاب، بالوعد والوعيد، بالتّرغيب والتّرهيب، وبالمواعظ والأمثال. ٣ـ قيل: أي نظمت آياته على أحسن نظام وأوضح بيان. ٤ـ قيل: التفصيل مايقابل الإحكام والإجمال، والمراد بتفصيل آيات القرآن تميز أبعاضه بعضها من بعض بانزاله إلى مرتبة من البيان بحيث يتمكّن السّامع الخبير بأساليب البيان من فهم مبانيه، ودرك معانيه وتعقّل مقاصده... وانّ التفصيل يأتي على وجوه البيان... فالمعنى: إنّ هذا القرآن هو كتاب تبيّنت آياته بياناً تامّاً، والتّبيين فيه على وجوه: **منها**ـ تبيين الواجب ممّا ليس بواجب، وتبيين الاولى في الحكمة ممّا ليس بأولى، وتبيين الجآئز ممّا ليس بجآئز، وتبيين الحقّ من الباطل، وتبيين الدّليل على الحقّ ممّا ليس بدليل، وتبيين مايرغب فيه ممّا لايرغب فيه، وتبيين مايحذر منه ممّا لايحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه...

٥ ـ عن قتادة: أي فصلت آياته ببيان حلاله من حرامه، وطاعته من **معصيته**. ٦ـ قيل: أي فرّقت بين الحقّ والباطل أو فصّل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك: فَصَلَ أي تباعد من البلد. ٧ـ قيل: أي فصّلت آياته في سورة «فصّلت» في معنى الوصفين: «الرّحمن الرّحيم» الرّحمانية الّتي هي الرّحمة الإلهيّة الشّاملة لكلّ شيءٍ من المؤمن والكافر، ومن الغنم والذّئب ... والرّحيمية الّتي هي الرّحمة الالهيّة الخاصّة بالّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا...

ففصّلت دلآئل الوصفين وآثارهما من خلق الكون وتدبير نواميس الوجود، ومن العزّة لأهلها والذّلّة لأهلها في الدّنيا والآخرة، وقد أشار إلى الوصفين في عالم التّشريع قبل بيان التكوين ـ على طريق اللّف **المشوّش**ـ بقوله تعالى: «بشيراً ونذيراً» إذ سبقت رحمته غضبه.

٨ ـ قيل: التفصيل هو مرحلة التنزيل أي نزول القرآن الكريم نجوماً على الأحداث... وهو تفصيل الإحكام الّذي هو مرحلة الإنزال أى نزوله على قلب النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم دفعة واحدة: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» القدر: ١) «نزل به الرّوح الأمين على قلبك» الشعرآء: ١٩٣ـ ١٩٤) وماكان القرآن الكريم في مرحلة الإحكام يُقرأ ولاعربياً يُعرَب: «ولا تحرّك به لسانك لتعجل به إنّ علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثمّ إنّ علينا بيانه» القيامة: ١٦ـ ١٩) وقد أشار إلى المرحلتين: الإحكام والتفصيل أي الإنزال والتّنزيل بقوله جلّ وعلا: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١). قيل: إنّ للقرآن المجيد إحكامين: **الأوّل** إحكامه في علم الله جلّ وعلا قبل إنزاله على قلب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإنّه في أم الكتاب لدينا لعلّي حكيم» الزخرف: ٤) **الثّاني:** إحكامه في قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بانزاله دفعة واحدة على قلبه: «والكتاب المبين إنّا أنزلناه في في ليلة مباركة»: الدّخان: ٢ـ ٣) «نزل به الرّوح الأمين على قلبك» الشعرآء: ١٩٣ـ ١٩٤). وللإحكام أربعة تفاصيل: **الأوّل:** تفصيل عن إحكامه حتّى برزآيات مفصّلات: «قرآناً» **الثّاني:** تفصيل ثان عن إحكامه حتّى صار «عربياً» واضحاً حيث ينطق بعضه ببعض، ويفسّر بعضه بعضاً، في ترتيب التّنزيل لبعد واحد ـ: الآيات المتشابهات ببعض، يفسّر بعضها بعضاً، وفي ترتيب التّأليف لبعد ثان، الآيات الّتي تحتف بها من قبل ومن بعد، فانّها تساعد في تفصيل معانيها وتكميلٍ مغازيها، فاذاً هما تفصيلان بعد الأوّل. **الرّابع:** تفصيلها بالرّوايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين، حيث يفسّرها النّبيّ الكريم وأهل بيته الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

٩ ـ قيل: أي ميزت أمثالاً ومواعظ وأحكاماً وقصصاً إلى غير ذلك، وهذا يدلّ على أنّه في غاية الكشف والبيان ... أي بيّنت أحكامه ومعانيه، أسراره ومعارفه، حكمه ومبانيه، سننه ومفاهيمه، وحلاله وحرامه. ١٠ـ قيل: أي بيّنت آياته وميّزت لفظاً بفواصل ومقاطع ومبادئ للسّور وخواتم لها، وميّزت معنىً بكونها وعداً و وعيداً ومواعظ ونصآئح، وتهذيب أخلاق ورياضة نفس، وقصص الأوّلين وتواريخ الماضين. ١١ـ

قيل: أي ميّزت دلآئله وبراهينه، وحججه وبيّناته ... لأنّه تفصيل جملة عن جملة، ومفرد عن مفرد، وآية عن آية، وسورة عن سورة ... ومدار أمر البيان على التفصيل والتميز فيما يحتاج إليه الفرد والمجتمع في كلّ ظرف من امور الدّين، فانّ العلم علمان: **الاوّل: علم دين أي علم معاد. الثّاني:** علم دنيا أي علم معاش. **وأن علم الدين والمعاد** أجلّهما وأشرفهما لشرف النّفع به، ولأنّ الإنسان خُلِقَ للمعاد لا للمعاش الّذي خُلِقَ لأجله الحيوان، وبه يتميّز الإنسان من الحيوان. ١٢ـ قيل: اريد بتفصيل القرآن الكريم جعل بعضه في الواجبات وبعضه في المحرّمات، وبعضه في المندوبات وبعضه في المكروهات، وبعضه في المباحات، وبعضه في العقوبات، وبعضه في الأخلاق والآداب، وبعضه في المواعظ والنّصائح، وبعضه في أخبار من تقدّم وأنبائهم، وبعضه في أخبار ما سيأتي، وبعضه في أحوال الجنّة ومن يدخلها، وبعضه في أحوال النار ومن يسكنها، إلى غير ذلك مع بيان كلّ ذلك وايضاحه بحيث لايشتبه شئ منها بالآخر، وهذا هو معنى التّفصيل كما قال تعالى: «وكل شيءٍ **فصّلناه** تفصيلاً» الأسراء: ١٢) أي بيّنّاه في القرآن الكريم بياناً بليغاً لا إلتباس معه.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، والمؤيّد بما يأتي عن مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فانتظر وتدبّر.

وفي قوله عزّوجلّ: «قرآناً» أقوال: ١ـ قيل: وُصِفَ الكتاب بأنّه قرآن لأنّه جمع بعضه إلى بعض وألّف بين آياته لقوله تعالى: «إنّ علينا جمعه وقرآنه» القيامة: ١٧) والتقدير: فصّلت آياته في حال جمعه أو اذكر قرآناً ألّفت آياته... وبأنّه عربيّ لأنّه يخالف جميع اللغات الّتي ليست بعربية. ٢ـ قيل: تقديره: فصّلنا قرآناً عربياً. ٣ـ قيل: تقديره: فصّلت آياته في حال كونه قرآناً عربياً على مجرى لغة العرب، لأنّها أفصح اللغات مما يوجب أن تتوفّر عليه الرّغبات ولا سيّما للعرب ومن داناهم. ٤ـ قيل: سمّى «قرآناً» إذ فصّلت آياتها عن إحكامها حتّى برزت مفصّلات، و وصف بأنّه عربيّ إذ صار واضحاً بعد هذا التّفصيل، حيث ينطق بعضه ببعض، ويفسّر بعضه بعضاً.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ.

وفي قوله سبحانه: «لقوم يعلمون» أقوال: ۱ـ عن مجاهد: أي لقوم يعلمون أنّه إله واحد في التّوراة والإنجيل. ۲ـ قيل: أي لقوم يعلمون اللسان العربيّ، ويعجزون عن مثله، فيعرفون إعجازه ولوكان غيرعربيّ لما علموه. ۳ـ عن الضّحّاك: أي لقوم يعلمون أنّ القرآن نزل من عندالله. ٤ـ قيل: أي لقوم عرب يفهمون معانيه لكونهم عارفين باللسان الّذي نزل به، وهم العرب فيفهمونها، بالأصالة، وللباقين بعدهم بالتّبع وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان من العرب، فالدّعوة تحصل أوّلاً لهم ثمّ لغيرهم ممن بلغت، وذلك أنّ دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت مرتّبة على مراحل، فأوّل مادعى، دعى النّاس بالموسم، فقوبل بانكار شديد منهم، ثمّ كان يدعوبعد ذلك سرّاً مدّة، ثمّ أُمِرَ بدعوة عشيرته الأقربين لقوله عزّوجل: «وأنذر عشيرتك الاقربين» الشعرآء: ۲۱٤) ثمّ أُمِرَ بدعوة قومه كما يشير إليه قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» الحجر: ۹٤) ثمّ أُمِرَ بدعوة النّاس كافّة لقوله جلّ وعلا: «قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ۱٥۸) وقوله سبحانه: «و اوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» الأنعام: ۱۹).

ومما لامراء فيه تاريخاً أنّه كان من المؤمنين به سلمان وكان فارسيّاً، وبلال الّذي كان حبشيّاً، وصهيب، وقد كان روميّاً، ودعوته لليهود والنّصارى و وقائعه صلّى الله عليه وآله وسلّم معهم، وكذا كتابه إلى ملك ايران ومصر وحبشة والرّوم في دعوتهم إلى الاسلام، فكل ذلك دليل على عموم دعوته للنّاس أجمعين في كلّ ظرف إلى يوم القيامة.

٥ ـ قيل: إنّه كقوله تعالى: «هدى للمتّقين» البقرة: ۲) وذلك أنّه لاينتفع بالقرآن إلّا أهل العلم به. ٦ـ قيل: أي لقوم عرب يعلمون مانزل عليهم من الآيات المفصّلة المبيّنة بلسانهم العربيّ لايلتبس عليهم شئ منه. ۷ـ قيل: أي قرآناً عربياً كائناً لقوم عرب لئلاّ يفرق بين الصّفات والصّلات. ۸ـ عن ابن عبّاس: أي لقوم يصدقون بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم . ۹ـ قيل: أي لقوم لهم علم.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق كقوله تعالى: «وتلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون» البقرة: ۲۳۰) اي من كان بصدد أن يعلم حدودالله جلّ وعلا.

٤ ـ (بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون)

في الآية الكريمة: أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي هذا القرآن بشير بالجنّة لمن آمن وعمل به، ونذير من النّار لمن كفر ولم يعمل به، فأعرض أكثر كفّار مكّة عن الايمان بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن، فهم لايصدّقون بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا بالقرآن، ولا يطيعون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهم لايسمعون سماع قبول وتأمّل وطاعة. ٢ـ قيل: أي بشارة بمجد قآئم وسلطان دآئم إن استمسكوا بعروة القرآن، وإنذار بالضّعف والخزي والمذلّة والهوان إن أعرضوا عنه، فأعرض أكثر النّاس عنه، فما تدبّروا آياته ولم يأتمروا بما أمرهم به ولم ينتهوا عمّا نهاهم عنه، ولم يسمعوه سماع قبول، فسآئت عاقبة العرب والمسلمين جميعاً إذ أهملوا بل وعملوابتناحرهم على ضعف الإسلام بل أجهزوا على تطبيق أحكامه وتعاليمه...

٣ ـ قيل: بشير لأوليآءِ الله بما فيه من الوعد، ونذير لأعدآئه بما فيه من الوعيد، فأعرض أكثر أهل مكّة، فعدلوا عن الايمان بالله والتّدبّر فيه، فهم لايسمعون سماعاً ينتفعون به، فكأنّهم لايسمعونه حقيقة. ٤ـ قيل: بشير بالجنّة وثوابها لمن يتدبّر آياته، وكان بصدد أن يعلم بما فيه من الاصول والفروع والأحكام والسّنن، ومن العبر والأمثال ... ونذير بالنّار وعذابها لمن لايتدبّر آياته، ويؤثر كلام المخلوق على كلام الخالق، فلا يعلم منه إلّا إسمه، فأعرض أكثرهم عنه وهم لايعلمون، فهم جاهلون أو متجاهلون لايسمعون بآذانهم مخافة الإنتباه فاذا سمعوه بآذانهم لايسمعونه بعقولهم وقلوبهم، فكانّهم لايسمعونه. وعن الجبآئي: أي انّهم يفعلون فعل مالا يسمعه لأنّهم مع سماعه يستثقلونه ويعرضون عن التفكّر فيه.

أقول: ولكلٍّ وجه من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً.

٥ ـ (وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون)

في قوله تعالى: «وقالوا قلوبنا في أكنّة» أقوال: ١ـ عن مجاهد والسّدى: أي

وقال كفّار مكّة: قلوبنا في أغطية. الكنان للقلب كالجُنّة أو الجعبة للنّبل. ٢ـ قيل: أي وقال أبوجهل بن هشام وأذنابه: قلوبنا في غلف. ٣ـ قيل: أي وقال مشركو العرب: قلوبنا في غشاوة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجل حكاية عنهم: «ممّا تدعونا إليه» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي من التّوحيد والقرآن. ٢ـ قيل: أي تدعونا إلى مالا نفهمه ولانعقله من الايمان بالله وحده وترك ما ألفينا عليه آبآئنا. ٣ـ قيل: أي قلوبنا لا تفقه ماتقول وأنت تسمّيه قرآناً فلايصل إليها قولك، فلانفقه ماتقول. إنّما قالوا ذلك ليؤيسوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبولهم دعوته، فكانّهم شبّهوا قلوبهم بما يكون في غطآء فلا يصل إليه شئ ممّا ورآئه.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله جلّ وعلا حكاية عنهم: «وفي آذاننا وقر» أقوال: ١ـ قيل: الوقر هو الثّقل في الاذن. والمعنى: وفي آذاننا ثقل عن استماع القرآن، وصمم، فكلامك لايدخل أسماعنا، فقلوبنا مستورة عن فهمه مع كونها في أكنّتها، فلانسمع ماتدعونا إليه إستثقالاً لما يدعو إليه وكراهة له. ٢ـ قيل: أي وفي آذاننا صمم يمنعها من استماع قولك. ٣ـ قيل: الوقر هو أن يذهب السّمع كلّه.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين وفي معناه الثّاني.

وفي قوله سبحانه حكاية عنهم: «ومن بيننا وبينك حجاب» أقوال: ١ـ عن الزّجّاج: أي ومن بيننا وبينك فرقة في الدّين، وحاجز في النّحلة، فلا نوافقك على ماتقول في مذهب ولادين. ٢ـ عن عليّ بن عيسى: إنّه تمثيل بالحجاب ليؤيسوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من إجابتهم دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٣ـ عن الفرّآء: أي ومن بيننا وبينك خلاف في الدّين لأنّهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ... وهوصلّى الله عليه وآله وسلّم يعبدالله تعالى وحده. فالمعنى: فبيننا وبينك يا محمّد ساتر لانجتمع من أجله نحن وأنت على مجمع، فانك على التّوحيد، ونحن على الشّرك، وهما ضدّ ان لايجتمعان.

فالحجاب: الخلاف الّذي يقتضى أن يكون بمعزل عنك .

٤ ـ قيل: أي ستر مانع، وحجاب حاجز يمنعنا عن الإجابة. ٥ ـ قيل: إنّ أباجهل بن هشام استغشى على رأسه، وقال: يا محمّد بيننا وبينك حجاب. استهزاءً منه. فالحجاب هنا الثّوب.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى حكاية عنهم: «فاعمل اننا عاملون» أقوال: ١ـ عن مقاتل: إنّ أباجهل رفع ثوباً بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد أنت من ذلك الجانب، ونحن من هذا الجانب، فاعمل أنت على دينك ، وبما يقتضيه مذهبك ، انّنا عاملون على ديننا، وبما يقتضيه مذهبنا. فاعمل يا محمد بدينك وماتقول: إنّه الحقّ، انّنا عاملون بديننا وما نقول: إنّه الحقّ، ودع دعآئنا إلى ماتدعونا إليه من دينك ، فانا ندع دعاءك إلى ديننا. ٢ـ عن الفرّآء والكلبي: أي فاعمل في هلاكنا فانّنا عاملون في هلاكك .

٣ ـ قيل: أي إذا كان لاسبيل إلى التّفاهم بيننا فاعمل بما يمكنك من العمل به، وهذا غاية في العناد.

٤ ـ قيل: أي فاعمل في إبطال أمرنا من الشّرك والعصيان، إنّنا عاملون في إبطال أمرك من التّوحيد والطّاعة. ٥ـ عن مقاتل أيضاً: فاعمل لإلهك الّذي أرسلك فانّا نعمل لآلهتنا الّتي نعبدها. ٦ـ قيل: أي فاعمل لآخرتك فانا نعمل لدنيانا.

٧ ـ قيل: أي فاعمل ماتشآء واقرأ من قرآنك ماتقرأ، فلن تجد لما تقرأ اذناً تسمع أو قلباً يقع فيه شئ ممّا تقرأ، ولقد عملنا ماترى من إقامة هذه الحواجز بيننا وبينك فافعل ماشئت. ٨ـ قيل: أي فاسع على نشر دينك ، وجِد على أمر رسالتك ونحن نسعى في إبطاله.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٧- (الّذين لايؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون)

في قوله تعالى: «لايؤتون الزّكاة» أقوال: ١-عن ابن عبّاس وعكرمة: أي لايطهّرون أنفسهم من الشّرك ولايشهدون بقول: «لا إله إلّا الله» فانّها زكاة الأنفس. وهذا كما يقال: اعطى فلان من نفسه الطّاعة أي ألزمها نفسه. وقد وصف تعالى الشّرك بالنّجاسة في قوله: «إنّما المشركون نجس» التّوبة: ٢٨) وذكر الزّكاة بمعنى التّطهير في قوله: «خيراً منه زكاة» الكهف: ٨١).

٢- قيل: أي لايعطون الزّكاة المفروضة لأنّهم مكلّفون بالفروع لتكليفهم بالاصول، وفيه حثّ شديد لأهل الايمان على أدآء الزّكاة وتخويف من منعها حيث جعله مقروناً بالكفر بالآخرة. فقد توعّدهم على ترك الزّكاة الواجبة عليهم لأنّهم متعبّدون بجميع العبادات ويعاقبون على تركها.

وقال الشّيخ الطّوسيى قدس سرّه في التبيان: «انّ الأقوى قول من قال: إنّ الّذين لايؤدّون زكاة أموالهم لأنّ هذا هو حقيقة هذه اللفظة».

٣- عن الحسن والزّجّاج وقتادة: أى لايقرّون بالزّكاة أنّها واجبة ولايرون ايتائها لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق، ولا يتصدّقون بجزء من أموالهم للسّائل والمحروم، ولا يؤمنون بها، فلايزكّون أنفسهم من أدناس الشّحّ وأدران البخل. ٤- عن الكلبي: عابهم الله تعالى بها وقد كانوا يحجّون ويعتمرون.

٥- عن الضّحّاك ومقاتل: أي لاينفقون في الطّاعة ولايتصدّقون، قرّعهم بالشّحّ الّذي يأنف منه الفضلاء. وإنّما خصّ الزّكاة بالذّكر تقريعاً لهم على شحّهم الّذي يأنف منه أهل الفضل، ويتركون مايقتضى انهم أن يعملوه عملوه لأجله. وفي ذلك دعآء لهم إلى الايمان وصرف لهم عن الشّرك . وكان يقول: «الزّكاة قنطرة الإسلام من قطعها برئ ونجى ومن لم يقطعها هلك».

٦- عن الفرّاء: الزّكاة في هذا الموضع أنّ قريشاً كانت تطعم الحاجّ وتسقيهم وينفقون النّفقات، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٧- قيل: أي لايعطون الزّكاة أهلها. ٨- قيل: أي لايعطون زكاة أبدانهم وهي العبادة لله

تعالى والعمل الخالص. ٩- قيل: أي لايؤتون زكاة النّفس والرّوح والقلب وهي الشّهادة بوحدانيّة الله تعالى وزكاة الجسم والبدن وهي العبادة لله تعالى وحده والعمل الخالص، وزكاة المال وهي إعطآء الفقير والمحتاج والمسكين حقوقهم، والأعمال الصّالحة الاخرى الّتي تتعلّق بالأموال ...

١٠ - قيل: أي لايزكّون أعمالهم بالإخلاص. ١١- قيل: الزّكاة هي مطلق البذل في سبيل الخير وانفاق المال للفقراء والمساكين لوجه الله تعالى لأنّ زكاة المال نزلت بالمدينة، وهذه السّورة تمامها مكّيّة، فلابدّ وأن يفسّرها بمعناها المطلق، وذلك أنّ المشركين قدجمعوا فيهم ثلاث رذآئل: رذيلة الشرك بالله، ورذيلة الكفر باليوم الآخر، ورذيلة البخل. ١٢- عن الحسن أيضاً: أي لايؤتون مايكونون به أزكياء أتقيآء من الدّخول في دين الله.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين، وهو المؤيّد بما هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وبظاهر السّياق، وخاصّة قوله تعالى بلافاصل: «وهم بالآخرة هم كافرون».

٨- (إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون)

في قوله تعالى: «غير ممنون» أقوال: ١- عن ابن عبّاس والسّدى ومقاتل: أي غير منقوص. ومنه المنون لأنّها تنقص مُنّة الإنسان أي قوّته. ٢- عن ابن عبّاس أيضاً: أي غير مقطوع ولا منقطع عنهم. مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته. والمنّ: القطع. ومنه قول ذي الإصبع:

إنّي لعمرك مابابي بذى غَلَقٍ على الصّديق ولا خيري بممنون

٣- قيل: أى بلا منّ من الله تعالى عليهم بماياجرهم به، فلايمنون بذلك فخالص من المنّة.

٤ - قيل: أي يكتب ثواب أعمالهم بعد الهرم أو بعد الموت إلى يوم القيامة غير منقوص. وعن السّدى أيضاً: إنّ الآية نزلت في الزّمنى والمرضى والهرميّ إذاضعفواعن الطّاعة كتب لهم من الأجر كأصحّ ماكانوا يعملون فيه. ٥- عن مجاهد: أي غير محسوب

ولا معدود بأنّ الله تعالى ينعمهم من نعمه في الأجر بغير حساب. قال الله عزّوجلّ: «يرزقون بغير حساب» المؤمن: ٤٠).

٦ ـ قيل: أي غير ممنون عليهم به. ٧ـ قيل: أي لا أذى فيه من المنّ الّذي يكدر الصّنيعة. ويمكن أن يوجّه هذا القول بأنّ في تسمية مايؤتونه بالأجر دلالة على ذلك لإشعاره بالإستحقاق، وإن كان هذا الإستحقاق بجعل من الله عزّوجلّ لا لهم من عند أنفسهم. قال الله تعالى: «إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً» الإنسان: ٢٢).

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الآخر فتأمّل جيّداً.

٩ـ (قل أإنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)

في قوله تعالى: «في يومين» أقوال: ١ـ قيل: أى دفعتين. ٢ـ قيل: أي طورين حيث لا أيام قبل خلق الأرض. ٣ـ عن ابن عبّاس: أى في يومين، طول كلّ يوم ألف سنة ممّا تعدّون، وهما يوم الأحد ويوم الإثنين. ٤ـ قيل: أى في مقدار يومين والمعنى: بالعظيم الشّأن الّذي قدر وجود الأرض أي حكم بأنّها ستوجد في مقدار يومين. ٥ـ قيل: أى في وقتين: إبتدآء الخلق وانقضآئه. ٦ـ قيل: أي يوم السّبت ويوم الأحد. ٧ـ قيل: أي في نوبتين على أنّ مايوجد في كلّ نوبة يوجد بأسرع مايكون، وإلاّ فاليوم الحقيقي إنّما يتحقّق بعد وجودها وتسوية السّموات وإبداع نيرانها، وترتيب حركاتها. وقيل: أي نوبتين: نوبة جعلها جامدة بعد أن كانت كرة غازية، ومرّة جعلها ستّاً وعشرين طبقة في ستّة أطوار كما بيّن علمآء طبقات الأرض: «الجلوجيا».

٨ ـ قيل: إنّ المراد باليوم برهة من الزّمان دون مصداق اليوم الّذي نعهده ونحن على بسيط هذه الأرض، وهو مقدار حركة الكرة الأرضية حول نفسها مرّة واحدة. فاليومان هما برهتان من الزّمان تمّ فيهما تكوّن الأرض أرضاً تامّة، وفي عدّهما يومين لايوماً واحداً دليل على أنّ الأرض لاقت زمان تكوّنها الأوّليّ مرحلتين متغايرتين كمرحلة النّئ

والنّضج أو الّذوبان والإنعقاد أو نحو ذلك.

وقيل: يوم لتفجّر الأرض عن المآء، ويوم لتجميدها بعد ذوبانها لقوله تعالى: «هو الّذي جعل لكم الأرض ذلولاً» الملك: ١٥) حيث ذلّت بعد شِماس واعتدلت بعد إرتكاس، فلِشْما سهايوم ولذلّها يوم. وقيل: إنّ يوماً لحالتى شماسها وذلّها والآخر لدحوها: «والأرض بعد ذلك دحاها» النّازعات: ٣٠) وعلى أثر دحوها وحراكها تصلّبت رواسيها شيئاً فشيئاً في أعماقها فـ «أخرج منهامآءها ومرعاها والجبال أرساها» النّازعات: ٣١- ٣٢).

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

١٠ - (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سوآء للسّائلين)

وفي قوله تعالى: «وبارك فيها» أقوال: ١- قيل: أي وبارك في الأرض من المنافع... أي جعل فيها خيراً كثيراً ينتفع به ما على الأرض من نبات وحيوان وإنسان في حياته أنواع الإنتفاعات... ٢- عن السّدى: أي أنبت فيها شجرها من دون غرس، وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها ممّا ينتفع به العباد. ٣- قيل: مباركة الأرض هي تحصّل المياه فيها وتهيّؤها لتبريك الأرض ببركاتها وبذلّها بعد شماسها وقرّها بعد حرّها، واعتدال حركاتها بعد إضطرابها. ٤- قيل: أي جعلها قابلة للخير والبذر والغراس... فوصف الله تعالى جملة الأرض بالبركة.

إن تسئل: وأيّ بركة في المفاوز المهلكة؟

تجيب عنه: إنّها مساكن الوحوش ومرعاها، ومساكن النّاس إذا احتاجوا إليها، ومساكن خلق لايعلمهم إلّا الله جلّ وعلا، فلهذه البركات وما إليها قال تعالى: «وفي الأرض آيات للموقنين» الذّاريات: ٢٠) تشريفاً لهم لأنّهم هم المتنفعون بها كما قال تعالى: «هدى للمتقين» البقرة: ٢) وخلق الأنبيآء من الأرض: «منها خلقناكم» وأودعهم فيها: «وفيها نعيدكم» وأكرم نبيّه المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ جعل

الأرض كلّها له صلّى الله عليه وآله وسلّم مسجداً وطهوراً».

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، ولكنّ الرّابع هو الأنسب بظاهر سياق الإمتنان فتدبّر جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «وقدّر فيها أقواتها» أقوال: ١ـ عن السّدى وابن زيد والحسن: أي قدّر في الأرض أرزاق أهلها ومصالحهم. ٢ـ عن قتادة ومجاهد: أي خلق فيها أنهارها وأشجارها وجبالها وبحارها ودوابّها يوم الثّلا ثآء والأربعآء. ٣ـ عن قتادة أيضاً: أى قدّر فيها مافيه صلاحها. ٤ـ عن عكرمة والضّحاك: أي قدّر فيها أرزاق أهلها ومايصلح لمعايشهم من التّجارات والأشجار والمنافع في كلّ بلدة مالم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض التجارة والأسفار من بلد إلى بلد فقدّر فيها أقواتها اليمانية باليمن والسّابورية بالسّابور وأشباه ذلك، فقدر لأهل كلّ أرض مايناسبها، فلا يصلح قوت بلد لبلد آخر، ففي كلّ أرض معيشة ليست في غيرها ليتعايشوا ويتجروا بها، وفي هذا عمار للأرض وانتظام امور الدّنيا. ٥ـ عن أبي عبيدة: أي قدّر في الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها في قوام أبدان النّاس وسآئر الحيوان.

٦ ـ عن مجاهد أيضاً: أي وقدّر فيها المطر. ٧ـ قيل: أي قدّر الله تعالى أرزاق أهلها قبل أن يخلقهم، فما خلق ولايخلق خلقاً قبل أن يقدّر رزقه وعمره إذ خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنّة من سني الدّنيا، وقدّر فيها أرزاق الأجساد قبل أرواحها بأربعة آلاف سنة من سني الدّنيا. ٨ـ قيل: أي وقسّم في الأرض أقواتها للنّاس والبهآئم...

أقول: والسّابع هو الأنسب بظاهر السّياق الّذي بصدد بيان الخلق والتقدير، من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «في أربعة أيّام» أقوال: ١ـ عن الزّجاج: أي قدّر الأقوات في تتمة أربعة أيّام من حين بدء الخلق ـ فيومان لخلق الأرض ويومان ـ وهما تتمة أربعة أيّام ـ لتقدير الأقوات ... ٢ـ قيل: أي قدّر حصول أقواتها في تتمة أربعة أيّام ـ فيها خلق الأرض وأقواتها جميعاً ـ ٣ـ قيل: أي حصول ذلك كلّه في تتمة أربعة أيّام . ٤ـ قيل:

أي كلّ ذلك كائن في اربعة ايّام، فيكون قوله: «في اربعة ايّام من قبيل الفذلكة كأنّه قيل: خلق الأرض في يومين، وأقواتها وغير ذلك في يومين، فكلّ ذلك في أربعة أيّام ...
٥ـ قال السّيّد طباطبائى في الميزان: «إنّ المراد بأربعة أيام أربعة فصول، وقد خلقت السّموات والأرض أربعة أيّام: يومان لخلق الأرض ويومان لتسوية السّموات سبعاً بعد كونها دخاناً، وأمّا أيّام الأقوات، فقد ذكرت أيّاماً لتقدير خلقها، وما تكرّر في كلامه تعالى هو خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام لامجموع خلقها وتقدير أمرها ... والمراد بيان تقدير أقوات الأرض وأرزاقها في الفصول الأربعة من السّنة» انتهى كلامه. والفصول الأربعة هي الّتي يكوّنها ميل الشّمس الشّمالى والجنوبي.

أقول: والاوّل هوالمرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وعليه جمهور المحقّقين.

وأمّا كون هذه الأيام الأربعة كأيّا منا هذا أم أيّام لايعلم بها إلّا الله تعالى مداها، فليست من أيام هذه الأرض فقولان: **أحدهما**ـ أنّها بمقدار أربعة أيام من أيّا منا هذا، وإن لم يكن هنا لك يوم. **ثانيها**ـ أنّها لم تكن كأيامنا هذه فان أيّام هذه الأرض هي مقياس زمنيّ مستحدث بعد ميلاد الأرض، وكما للأرض أيّام هي مواعيد دورتها حول نفسها أمام الشّمس، فللكوا كب الاخرى أيام وللنّجوم أيام هي غير أيّام الأرض، بعضها أقصر من أيّام الأرض، وبعضها أطول، فالأيّام الّتي خلق الله تعالى فيها الأرض أوّلاً ثمّ كوّن فيها الجبال، ثمّ قدّر فيها الأقوات هي ايام اخرى مقيسة بمقياس أُخر لانعلمه هل هي أطول من أيّامنا هذا أو أقصر.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله سبحانه: «سوآء للسّائلين» أقوال: ١ـ عن الحسن: أي في أربعة أيّام مستوية تامة كاملة من دون زيادة ولا نقصان للسّائلين عن مدّة خلق الأرض والمعنى: سوآء لمن سئل عن مبلغ الأجل الّذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرّواسي من فوقها والبركة، وقدّر فيها الأقوات بأهلها وجده كما أخبر الله أربعة أيام لايزدن على ذلك ولا ينقص منه. ٢ـ عن الفرّآء: في الكلام تقديم وتأخير. والمعنى: وقدّر فيها أقواتها سوآء

للمحتاجين. ٣ـ قيل: أي سوآء للسّائلين ولغير السّائلين أي خلق الأرض وما فيها لمن سئل ولمن لم يسئل، ويعطي من سئل ومن لايسئل. ٤ـ عن السّدى وقتادة: أي للذين يسئلون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فانّ كلاً يطلب القوت ويسئله. ٥ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «للسّائلين» متعلّق بمحذوف، فكأنّه قيل: هذا الحصر لأجل من سئل في كم خلقت الأرض ومافيها أو يقدّر أو قدّر فيها أقواتها لأجل الطّالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين.

٦ ـ عن ابن زيد: أي قدّر ذلك على قدر مسآئلهم، يعلم ذلك أنّه لايكون من مسآئلهم شئ إلّا شئ قد علمه تعالى قبل أن يكون. فالمعنى: سوآء لمن سئل ربّه شيئاً ممّا به الحاجة إليه من الرّزق، فانّ الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض على قدر مسئلة كل سآئل منهم لوسئله لما نفذ من علمه قبل أن يخلقهم. ٧ـ قيل: أي استوت الأربعة إستواءً لا تزيد ولا تنقص للسّائلين عن خلق الأرض فيها. ٨ـ قيل: أي الخلآئق بالكامل سوآء في خيرات الأرض وبركاتها ... ٩ـ قيل: أي إنّ الله جلّ وعلا قد أوجد في الأرض كلّ شئ ليستوفي كلّ سآئل فيها ماهو في حاجة إليه.

١٠ ـ قيل: أى سوآء للمحتاجين لأنّ كلّ محتاج سآئل، وفي العالم من خلق الله تعالى من لايسئل ولايقدر عليه من الحيوان كثير، فهم سآئلون في الحقيقة وإن لم يسئلوا بألسنتهم ولا يتظاهرون السّؤال، فمن سآئل يسئل بلسان الحال، ومن سآئل يسئل بلسان القال، ومن سآئل يسئل قبل كونه سئوال الحاجة الذّاتية للإستكمال: «يسئله من السّموات ومن في الأرض» الرّحمن: ٢٩) «وآتاكم من كلّ ماسئلتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها» إبراهيم: ٣٤) فالأقوات والبركات السّوآء للسّائلين حيث إنّ النّبات يأخذ من الماء والهوآء ومن القرّ والحرّ قدر الحاجة، والحيوان يأخذ منها كما يحتاج إليه، وكذلك الإنسان في جهة تكوينه يأخذ كما يحتاج إليه، ولكنّه في جهة التشريع والإختيار له إفراط وتفريط، غالباً فإمّا يأخذ أكثر ممّا يحتاج إليه أو يتركه تماماً وإمّا يترك مايحتاج إليه.

أقول: والعاشر هو الأنسب بسياق الخلق والتقدير، وفي معناه السّادس.

١١ ـ (ثمّ استوى إلى السّمآءِ وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)

في قوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السّمآءِ» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي عمد إلى خلقها، وقصد لتسويتها. ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ الإستواء من صفة الأفعال عند الأكثر لقوله تعالى: «ثمّ استوى إلى السّمآء فسوّا هنّ سبع سموات» البقرة: ٢٩) وعند الآخرين صفة ذاتيّة زآئدة. والمعنى: استوى في الأزل بصفاته... ٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً والحسن: أي ثم استوى وارتفع وصعد أمره ولطفه إلى السّمآءِ وكانت بخار الأرض. ٣ـ قيل: أي ثمّ قصد إلى خلق السّمآء وكانت السّمآء دخاناً. وأصل الإستوآء الإستقامة، والقصد للتدبير المستقيم تسوية له. فالمعنى: ثمّ استوى تدبيره بتقدير القادر عليه.

٤ ـ قيل: أي أنّه بعد أن تمّ خلق الأرض وتهيّأت لإستقبال الحياة، نظر تعالى إلى السّمآءِ نظرة تمكّن واستعلآء وكانت دخاناً أي بخاراً غير متماسك. ٥ـ قيل: معنى «ثمّ استوى إلى السّمآءِ» من قولك: استوى إلى مكان كذا إذا توجّه إليه توجّهاً لا يلوى على شيءٍ غيره وهو من الإستوآءِ الّذي هو ضدّ الإعوجاج. والمعنى: ثمّ دعاه داعي الحكمة إلى خلق السّمآء بعد خلق الأرض، وتقدير مافيها من الأقوات قبل دحوها، من غير صارف يصرفه تعالى عن ذلك. وإنّ الاستواء إذا عدّي بـ «على» اقتضى معنى الإستيلاء، وإذا عدّى بـ «إلى» اقتضى معنى الإنتهآء إليه إمّا بالتّدبير وإمّا بالذّات، وعلى الأوّل فالمراد من «استوى إلى السّمآءِ» قصد قصدها وتوجّه إليها، والإستواء هنا بمعنى القصد، والقصد من جانب الله تعالى هو توجّه الإرادة. وعلى الثّاني: إنتهى إلى تدبير الأرض.

أقول: والخامس هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي «ثمّ» أقوال: ١ـ عن عبدالله بن مسعود: أنّ «ثمّ» ترجع إلى نقل السّمآءِ من صفة الدّخان إلى حالة الكثافة، وكان ذلك الدّخان من تنفّس المآء حين تنفّس. ٢ـ

قيل: قد لا تكون «ثمّ» للترتيب الزمنيّ، بل قد تكون للإرتقآء المعنوى. ٣ـ قيل: إنّ «ثمّ» لتفاوت مابين الخلقين لا للتراخي في المدّة إذ لامدّة قبل خلق السّمآء.

٤ ـ قيل: إنّ «ثمّ» لإفادة التّراخي بحسب الخبر لابحسب الوجود والتحقّق. قال بعض الأعاظم من المحقّقين: إنّ هذا الحمل من قبيل حمل مالا يرضى صاحبه، كما أنّ القول بأنّ الأرض كريّة فليس دحوها وبسطها غير تسويتها كرة وهو خلقها على أنّه تعالى أشار بعد ذكر دحو الأرض إلى إخراج مآئها ومرعاها وإرسآء جبالها، وهذه بعينها جعل الرّواسي من فوقها والمباركة فيها، وتقدير أقواتها الّتي ذكرها في الآيات الّتي نحن فيها مع خلق الأرض وعطف عليها خلق السّمآء بـ «ثمّ» فلا مناص عن حمل «ثمّ» على غير التّراخي الزّمانيّ فانّ قوله في آياته النّازعات «بعد ذلك» أظهر في التّراخي الزّمانيّ من لفظة «ثمّ» فيه في آية «فصّلت» توهّم فاسد مدفوع بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من تأخّر خلق السّمآء من خلق الأرض، مع أنّ تقدير الأقوات في يومين غير إخراج مآئها ومرعاها فافهم ذلك.

٥ ـ قيل: إنّ الأصل في لفظة «ثمّ» للتشريك في الحكم والترتيب والمهلة، وحملها على غير هذه المعاني فلا بدّ من القرينة، فما لم تكن قرينة على غيرها فتحمل على أصلها وليس هنا قرينة، فكانت للترتيب، فيفيد أنّه خلق السّمآء بعد خلق الأرض وبعد تقدير الأقوات ... وقال: «والأرض بعذ دلك دحاها» النّازعات: ٣٠) تنبيهاً على أنّ الأرض كانت مخلوقة غير مدحوّة، فلمّا خلق الله تعالى السّمآء دحا بعد ذلك الأرض وبسطها، وإنّما جعل الله السّمآء أوّلاً دخاناً، ثمّ سموات اطباقاً، ثمّ زيّنها بالمصابيح ليدلّ ذلك على أنّه جلّ وعلا قادر لنفسه لايعجزه شئ، عالم لذاته لايخفى عليه شئ، غنيّ لايحتاج إلى غيره، وغيره مخلوق له، يفتقر إليه تعالى حدوثاً وبقآءً.

أقول: والخامس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «وهي دخان» أقوال: ١ـ قيل: أي وهي بخار مرتفع من دون أن نعلم ماهيته من المآء أو من غيره. والمعنى: ثم استوى إلى السّمآء بالخلق حالكونها شيئاً مرتفعاً سمّاه الله تعالى دخاناً وهو مادّتها الّتي ألبسها الصّورة. ٢ـ عن ابن عبّاس: أي

بخار المآءِ، وذلك أنّ الدّخان من تنفّس المآءِ حين تنفّس، فالبخار هو بخار المآءِ لقوله تعالى: «وكان عرشه على المآءِ» هود: ٧) وذلك يدلّ على أنّ المآءِ كان موجوداً قبل خلق السّموات والأرض. وقد ذهب إلى هذا المعنى بعض الحكمآءِ المتقدّمين، وهذا لاينافي كلام المتكلّمين: أنّ الأجسام مؤلّفة من الأجزآء الّتي لا تتجزّ ألجواز أن يخلق الله تعالى أوّل الأجسام من تلك الجواهر، ثمّ تتكوّن باقي الأجسام عن الأجسام الأول، وأمّا الحكمآء فلمّا لم تكن تلك الظّواهر موافقة لمقتضى أدلّتهم لتأخّر وجود العناصر عندهم في وجود السّموات لاجرم احتاجوا إلى تأوّلها، توفيقاً بينها وبين آرآئهم في ذلك.

٣ ـ قيل: هي أمر ظلمانيّ عبّر به عن مادّتها. ٤ ـ قيل: هي أجزآء متصغرة متصعدة ركبت هي منها. ٥ـ قيل: الدّخان: مايتصاعد مع لهب النّار من الأجزآءِ اللطيفة البخارية والمراد بقوله: «هي دخان» أنّها مثل الدّخان إشارة إلى أنّه لا تماسك لها. ٦ـ قيل: أي كانت السّمآء قبل الخلق دخاناً حقيقة ومنه خُلِقَتْ. ٧ـ قيل: إنّ الله تعالى خلق جوهراً ثمّ نظر إليه نظر الهيبة، فذابت أجزآؤه فصارت مآءً ثمّ ارتفع منه بخار كالدّخان، فخلق منه السّموات، فظهر على وجه المآء زبد، خلق منه الأرض ثمّ أرساها بالجبال، فالدّخان والزّبد وليدان إثر تفجّر المآء ألّذي أصله الجوهر.

٨ ـ قيل: الدّخان هي مادة غازية أشبه بالدّخان أو بالسّحاب أو بالسّديم، وتسمّى في العلم الحديث: «عالم السّديم» وقد شوهد من تلك العوالم اليوم عوالم كثيرة في عالم السّديم آخذة في البروز كما برزت شمسنا وسيّاراتها وأرضها، وكانت في الأصل دخاناً. ٩ـ قيل: الدّخان جسم لطيف مظلم، فالله تعالى خلق السّموات أوّلاً دخاناً ثمّ نقلها إلى حال السّمآء من الكثافة والإلتئام لما في ذلك من الإعتبار واللطف لخلقه. ١٠ـ قيل: ليس الدّخان منحصراً فيما يتصاعد عن محترق الحطب وأمثاله، بل هو المستصحب للهيب أيّاً كان: من لهيب الأحطاب والفحوم الحجرية إلى لهيب الفلزّات المذابة على درجاتها الحرارية المختلفة، وإلى لهيب الغازات الصاعدة عن التفجّرات الذرية على درجاتها الحرارية، إلى الئيدروجين، وقد شكلت الكرة الشّمسية منها في قسم كبير من جرمها، ففي مركزها (٧٠) ميليون درجة من الطّاقة الحرارية، وإلى (٣٨٠) ميليون درجة

كالّتي في مركز الشعرى وهي تبعد عنّا (٥٠٠٠٠) ضعف الشّمس، وهنالك درجات فوقها لم يصل العلم إليها حتّى الآن، والّتي وصلها ليست إلّا من وليدات الدّخان الأُمّ.

أقول: والسّابع هو المرويّ وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «فقال لها وللأرض أتينا طوعاً أو كرهاً» أقوال: ١ـ قيل: أي جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي. ٢ـ عن ابن عبّاس: قال الله تعالى للسّمآءِ: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري رياحك وسحابك وقال للأرض: شُقّي أنهارك وأخرجي أشجارك وثمارك ونباتك... طائعتين أو كارهتين. ٣ـ قرأ ابن عبّاس ومجاهد وابن جبير وعكرمة «آتيا» بالمدّو الفتح أي أعطيا الطّاعة من أنفسكما، ومافيكما من المآءِ والنّبات... ٤ـ قيل: الطّوع راجع إلى السّمآءِ لأنّ أحوالها على نهج واحد لايختلف، وشبه مكلّف مطيع، والكره عآئد إلى الأرض لأنّها مكان تغيير الأحوال ومحلّ الحوادث والمكاره. ٥ـ قيل: إنّ هذين الوصفين لهما باعتبار سكّانهما.

٦ـ قيل: هذا من قبيل تنزيل غير ذي الشّعور من الأرض والسّمآء منزلة الشّاعر، والصّامت منزلة النّاطق في توجيه الخطاب إليه وتلّقي الجواب منه، مع أنّه لم يكن منه تعالى لهما قول ولا منهما جواب، بل نزّلهما منزلة العاقل المخاطب في موافقة إرادته والإنقياد لها عند ما أراد ذلك إرادة تكوينية، والمراد إظهار كمال قدرته، و وجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما. ٧ـ قيل: إنّ الفآء في قوله تعالى: «فقال لها وللأرض» تفريع على استوآئه إلى السّمآء، والمورد مورد التكوين، فقوله عزّوجلّ: «لها وللأرض: إئتيا طوعاً أو كرهاً» كلمة ايجاد وأمر تكوينيّ كقوله لشئ أراد وجوده: «كن» قال: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) ومجموع قوله تعالى لهما: «ائتيا...» وقولهما له: «أتينا...» تمثيل لصفة الايجاد والتكوين على الفهم السّاذج العرفيّ، وحقيقة تحليليّة بنآءً على مايستفاد من كلامه تعالى من سراية العلم في الموجودات وكون تكليم كلّ شيءٍ بحسب مايناسب حاله.

وفيه تأمّل لأنّ قوله تعالى: «إئتيا» ليس كقوله عزّوجلّ: «كن» كلمة ايجاد وأمر تكوينيّ كما زعم السّيّد الطباطبائى، بل أمر بعد الايجاد والتقدير والبنآء لقوله تعالى:

«خلق الأرض ـ وقدّر فيها أقواتها ـ ثم استوى إلى السّمآء» بخلاف قوله تعالى: «كن» فانّه أمر قبل الوجود، والفآء في قوله تعالى: «فقال» وإن كانت تفريعية، ولكنّها لتفريع الأمر بعد الوجود لا تفريع الوجود بعد الإرادة كما زعمه السّيّد!

٨ ـ قيل: إنّ المراد هنا تصوير قدرته تعالى فيهما، وتأثّرهما بالذّات، وتمثيلهما بأمر المطاع وتلبية الطائع، وذلك أنّ الله تعالى لمّا خلقهم وركّبهم تركيباً يدلّ على معرفته، ويشهد بقدرته، و وجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدّلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم، وكانوا بمشاهدة ذلك، ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الّذي أراده الله عزّوجلّ، وتعذّر امتناعهم منه وإنفكاكهم عن دلالته بمنزلة المقرّ المعترف، وإن لم يكن هناك إشهاد ولا اعتراف على الحقيقة. ٩ـ قيل: أي دعاالله تعالى الأرض والسّمآء أن يأتياه أي يستجيبا له ويخضعا لمشيئته، ويستيقما على ما أراد منهما إمّا طائعتين أو مكروهتين أي أن تأتيا إمّا مستسلمتين بلا إرادة أو مكرهتين، فتكون إرادتهما تبعاً لإرادة الله تعالى. ١٠ ـ قيل: أمر تشريعيّ كلاً بما يناسب حالهما، والمعنى: ائتيا طوعاً بما أردت منكما، وإن لم تأتيا طوعاً فلابدّ من أن تأتيا كرهاً، فاختارتا الطاعة.

أقول: والعاشر هو الأنسب بالأمر بالا تيان بعد الايجاد والتّقدير والبنآء فتدبّر جيّداً.

وفي قوله تعالى لهما: «ائتيا» أقوال: ١ـ قيل: إنّه كان قول تكلّم به لجواز خطابه تعالى لهما وجوابهما، ولعدم المانع منه عقلاً ولا شرعاً حتّى لو اريد به الكلام المركّب من الأصوات والحروف إذ ليس بمستبعد من الله جلّ وعلا ابداع الحياة والفهم في أي جسم فرض، ولهذا قال: «طائعين» على لفظ جمع المذكّر السّالم المختصّ بالعقلاء، ولم يقل: «طائعات» لأنّ جمع المؤنّث السّالم لايختصّ بالعقلاء، و وجه الجمع أنّ أقل الجمع إثنان أو لأنّ كلّ واحد منهما سبع، وفي ظاهر كثير من الآيات والرّوايات مايشعر بهذا المعنى. ٢ـ قيل: إنّها قدرة منه عزّوجلّ ظهرت لهما، فقام مقام الكلام في بلوغ المراد، فقوله: «طوعاً أو كرهاً» مثل للزوم تأثير قدرته فيهما. ٣ـ قيل: هونوع من الكلام باطناً من دون حرف ولا صوت.

أقول: والأوّل هو الصّواب، وإن لانعلم بذلك كما لانعلم بغير ذلك من أسرار الكون ونواميس الوجود، حتّى الواحد من الآلاف من أسرار أنفسنا، فضلاً عن غيرنا، وحقاً أقول: إنّ جهلنا بأسرار الوجود بقدر علم الله جلّ وعلابها، فكما أنّه لانهاية لعلم الله تعالى، كذلك لانهاية لجهلنا، حيث إنّ علمنا بشيء في عين جهلنا به.

وفي قوله سبحانه: «ائتيا طوعاً أو كرها» في ايجاب الا تيان عليهما وتخييرهما بين أن تفعلا ذلك بطوع أو كره اقوال: **أحدها**ـ قيل: إنّ المراد بالطّوع والكره ـ وهما بوجه قبول الفعل ونوع ملائمة وعدمه ـ هو الإستعداد السّابق للكون وعدمه، فيكون قوله: «ائتيا طوعاً أو كرهاً» كناية عن وجوب إتيانهما بلا مناص، وأنّه أمر لايتخلّف ألبتّة أرادتا أو كرهتا، سألتاه أولم تسألا، فأجابتا أنّهما يمتثلان الأمر عن إستعداد سابق وقبول ذاتيّ، وسئوال فطريّ إذ قالتا: «أتينا طائعين». **ثانيها**ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «طوعاً أو كرهاً» تمثيل لتحتمّ تأثير قدرته عزّوجلّ فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطّوع والكره لهما. وهذا مردود بقوله تعالى بعد: «قالتا أتينا طائعين» إذ لوكان التّرديد المذكور تمُثيلاً فقط من دون إثبات كما ذكره لم يكن لا ثبات الطوع في الجواب وجه. **ثالثها**ـ قيل: إنّ لهما إستعداداً ذاتياً يستطيعان به على الطاعة والإمتناع، كما امتنعا عن قبول الأمانة حين عرضها عليهما إذ قال تعالى: «إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن» الأحزاب: ٧٢).

أقول: والثّالث هو المؤيّد بالآيات الكريمة والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فتأمّل جيّداً فانّ المقام مزلّة الأقدام...

وفي قوله تعالى: «قالتا أتينا طائعين» أقوال: ١ـ قيل: إنّ في الكلام حذفاً والتقدير: أتينا أمرك طائعين. وهذا بعد خلق الأرض وتقدير أقواتها وبعد بنآء السّمآء بأن خلق الله جلّ وعلا في الأرض والسّمآء كلاماً فتكلّمتا كما أراد تعالى، فنطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السّمآء مابحيالها، فوضع الله جلّ وعلافيه حَرَمه. وليس بمستبعد من الله عزّوجلّ إنطاق أيّ جسم فرض ـ كالشجرة لموسىٰ ـ بل ايداع الحياة والفهم فيه. فمعنى الإ تيان: الحصول والوقوع كما يقال: أتى عمله مقبولاً مرضياً. ٢ـعن

ابن عبّاس: أي أتت السّمآء والأرض بما فيها. فمعنى هذا الأمر هو التّسخير أي كونا فكانتا كقوله تعالى: «إنّما قولنا لشئ إذاأردناه أن نقول له كن فيكون» النّحل: ٤٠) فعلى هذا، قال تعالى ذلك قبل خلقهما، فظهر منهما الطّاعة حيث انقادا وأجابا، فقام مقام قولهما. ومنه قول الرّاجز:

إمتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

يعني ظهر ذلك فيه.

والمعنى: أتت السّمآء بما فيها من الشّمس والقمر والنّجوم... وأتت الأرض بما فيها من البحار والجبال والأنهار والأشجار والثّمار... وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة، ولا جواب لذلك القول، بل أخبرالله تعالى عن اختراعه السّموات والأرض وإنشآئه لهما من دون تعذّر ولا كلفة ولامشقّة بمنزلة ما يقال للمأمور: إفعل فيفعل من غير تلبّث ولا توقّف، فعبّر عن ذلك بالأمر والطّاعة، فهذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما، ولا قول ثمّة، وعلى هذا لايبعد أن يكون المقصود ايجادهما على وفق إرادته وهما في حيّز العدم، وأن يكون المراد ماتقدّم. فأراد تكوينهما وإنشآئهما، فلم تمتنعا عليه فوجد تا كما أرادهما، فليس هناك أمر تشريعيّ يحتاج إلى الخيار من الرّدّ والقبول، كما أنّ خلق العين ثمّ أمرها بأن ترى المبصرات فرأتها، وخلق الأذن فأمر أن يسمع الكلام والمسموعات...

فمعنى أمر السّمآءِ والأرض بالإتيان وقولهما: «أتينا طآئعين» أنّه أراد تكوينهما وإنشآئهما فليس هناك إلّا أمر تكوين: «كن فيكون» كالمأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع. وفي هذا دلالة على الحركة المستمرّة المعبّر عن سببها بالقوّة الجاذبة، فهي حركة تجري جري طاعة لاجري قسر، فانّا نشاهد أنّا نرمي الحجر إلى أعلى قسراً، فيأبى إلّا أن ينزل إلى الأرض بطريق الجاذبية إلى جسم أكبر منه وهي الأرض، وهكذا الأرض مجذوبة إلى الشّمس الّتي هي أصلها بحركة دورية دآئمة طوعاً لاقسراً لأنّ القسرية كرمي الحجر إلى الأعلى سريعة الزّوال، أمّا حركة الطّاعة فهي دائمة مادام المطيع متخلقاً بخلقه الّذي هوفيه.

٣ ـ قيل: أي قالتا: جئنا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لانعصيك

وهذا القول ينطق به لسان الحال والواقع، ويعلن في كلّ حين أنّ الكون بمافيه ومن فيه منقاد لأمره تعالى ومستسلم لمشيئته. ٤ـ قيل: أي أعطينا طآئعين. ٥ـ عن قطرب: أي أتينا بمن فينا من العقلآء، ومافينا من غير العقلآء، فغلب حكم العقلاء على غيرهم، فلذلك قالتا: «طآئعين» دون «طائعتين» وقيل: إنّه لمّا خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل. وقيل: لم يقل: «طائعتين» على اللفظ ولا «طائعات» على المعنى لأنّهما سموات وأرضون لأنّه أخبر عنهما وعمّن فيهما. وقيل: لمّا وصفهنّ بالقول والإجابة، وذلك من صفات من يعقل أجراهما في الكناية مجرى من يعقل كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السّلام: «رأيتهم لي ساجدين» يوسف: ٤) وقيل: لأنّهما لمّا تكلّمتا أشبهتا الذكور من بني آدم.

٦ ـ قيل: يجوز أن يراد لتأت كلّ منكما صاحبتها الإتيان الّذي تقتضيه الحكمة من كون الأرض قراراً والسّمآء سقفاً لها. وقوله تعالى: «طوعاً أو كرهاً» إظهار لكمال القدرة. والتقدير: أبيتما أو شئتما كما يقول الجبّار لمن تحت يده: لتفعلنّ هذا شئت أو أبيت. وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو كارهين. ٧ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي أعطينا طائعين لله تعالى، كارهين بجفآءِ الخلق لخالقهم. ٨ـ قيل: أي قالتا بلسان المقال على ماينا سبهما: طائعين لأمرك . ٩ـ قيل: أي قالتا بلسان الحال: أتينا منقادين بالذّات دون أن نخرج على النّظام الّذي أقمتنا عليه.

أقول: والأوّل هو المستفاد من الآيات الكريمة والرّويات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٢ـ(فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سمآء أمرها وزيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)

في قوله تعالى: «فقضاهنّ سبع سموات في يومين» أقوال: ١ـ قيل: أي فأكمل تعالى سبع سموات، وفرغ منهنّ. ٢ـ قيل: أي أحكمهنّ وأتقن أمرهنّ.

وقال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داوُد أو صَنَعُ السّوابغ تبّع

٣ـ قيل: أي صنعهنّ وفرغ من خلقهنّ. ٤ـ قيل: أي أوجدهنّ وأتمّهنّ وذلك أنّ القضآء جعل الشيء على إتمام وإحكام، والفراغ منه مع الإتقان، ولذلك قيل: إنقضى أي قدتمّ ومضى، وقضى فلان إذا مات لأنّ عمره تمّ ومضى. فالمعنى: جعلهنّ سبع سماوات على إتمام خلقهنّ. ٥ـ قيل: القضآء: التصيير والمعنى: صيّر تعالى السّمآء الواحدة سبع سموات، فالضّمير: «هنّ» راجع إلى «السّمآء» لأنّها في معنى الجمع الآيلة إليه. والمراد بالسّموات السّبع: الأكوان السّبعة لا الكواكب السّبعة كما توهّم بعض المتفسّرين. ٦ـ قيل: أي فدبّر أمر هنّ وقضى فيهنّ بماشآءت إرادته، فكنّ سبع سموات، والضّمير راجع إلى «سبع سموات» وقد قدّم الضمير تنبيهاً على أنّ التّدبير والقضآء قد وقع عليهنّ بعد أن خُلِقن، وكنّ سموات سبعاً، فالضمير راجع إلى وجود قائم، وإن لم يجر له ذكر، وذلك أدلّ على وجوده وتحقّقه، وسبع سموات بدل من هذا الضّمير كما تقول: أكرمته زيداً وأكلته عنباً.

٧ـ عن ابن عبّاس: أي خلق السّمآء الواحدة سبع سموات بعضها فوق بعض. ٨ـ قيل: إن للقضآء معان: ١ـ فصل الأمر بالحكم. ٢ـ الخلق والايجاد ٣ـ الأمر. ٤ـ الإعلام، ومعنى الجملة: انّ الله تعالى لمّا استوى إلى السّمآء وهي دخان كان أمرها مبهماً غير مشخّص من حيث فعليّة الوجود، ففصل تعالى أمرها بجعلها سبع سموات في يومين آخرين. ٩ـ قيل: أي فخلقهنّ خلقاً إبداعياً في وقتين ابداءً وانقضاءً.

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «وأوحى في كلّ سمآءٍ أمرها» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي خلق لكلّ سمآءٍ أهلاً وأمرها أمرها. ٢ـ قيل: أي وضع ورتّب أمر كلّ سمآءٍ من السّموات السّبع بما يقتضيه، وهذا وحى تقدير وتدبير. ٣ـ عن ابن عباس أيضاً وقتادة والسّدي: أي خلق الله في كلّ سمآء شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سمآء خلقها ما استعدّت له واقتضت الحكمة من الملائكة، والخلق الّذي فيها من البحار وجبال البردو الثّلوج ومالا يعلم غيره تعالى. وقال ابن عبّاس: ولله في كلّ سمآء بيت تحجّ إليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة، والّذي في السّمآء الدّنيا هو بيت المعمور.

٤ ـ عن مقاتل: أي أوحى الله في كلّ سمآءٍ ما أراده وما امر به فيها. والايحاء قد يكون أمراً تكوينياً كقوله تعالى: «بأنّ ربك أوحى لها» الزّلزلة:٥) أي أمرها تكوينياً وقوله عزّوجلّ: «وإذ أوحيت إلى الحواريين» المائدة: ١١١) أي أمرتهم وهذا أمر تكوين. ٥ـ قيل: أي وأنزل في كلّ سمآءٍ ما أمرها به، وما قدره لها من نظام تجري عليه. ٦ـ عن عليّ بن عيسى: أي وأوحى إلى أهل كلّ سمآءٍ من الملائكة ما أمرهم به من العبادة والتكليف الخاصّ بكلّ منهم حسب درجاتهم... فبعضهم وقوف، وبعضهم ركوع، وبعضهم سجود... فالمراد بالأمر: «أمرها» هو التّكليف الإلهي المتوجّه إلى أهل كل سمآءٍ من الملائكة، والوحي بمعناه المعروف. والمعنى: واوحى إلى أهل كلّ سمآءٍ من الملائكة الأمر الإلهي المنسوب إلى تلك السّماء المتعلّق بها ما أمرهم به من الطّاعة والعبادة. ٧ـ قيل: الايحآء ههنا التّكوين والايجاد وأمرها شأنها ومايصلحها، وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً. والمعنى: وخلق في كلّ سمآءٍ مافيها من الملائكة والكواكب وغيرهما... مما علمه عند خالقه.

٨ـ عن مجاهد: أي وألقى في كلّ سمآءٍ من السّموات السّبع ما أراد من الخلق.

أقول: والثّاني هو الأنسب ببيان التّدبير بعد التّكوين فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «وزيّنّا السّماء الدّنيا بمصابيح» أقوال: ١ـ قيل: أي وزيّنا السّمآء الدّنيا وهي أقرب السّموات من الأرض ـ بكواكب تضيئ. ٢ـ قيل: إنّ في كلّ سمآءٍ كواكب تضيئ. ٣ـ قيل: إنّ المصابيح وهي الشّمس والقمر والنّجوم الّتي تظهر ليلاً فتبدو وكأنّها معالم زينة في هذا السّقف المطّل على العالم الأرضي، مختصّة بالسّمآء الدّنيا. فالمعنى: زيّنّا السّمآء الدّنيا أو دونها بالنّيرات المضيئة كالمصابيح والقناديل المعلّقة، ولوكانت متفرّقة في جميع السّموات من غير حجب بعضها بعضاً لكون السّموات شفّافة كما قيل لكانت زينة لجميع، ولم تختصّ الزّينة ببعضها كما يفيده السّياق، فلاوجه لقول القائل: إنّها في الجميع لكن لكونها ترى متلألئة على السّمآءِ الدّنيا عدّت زينة لها. ٤ـ قيل: أي وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً للسّمآء الدّنيا، فبعض النّجوم زينة السّمآءِ لاتتحرّك، وبعضها يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر، وبعضها رجوم

للشياطين.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات القرآنية.

وفي قوله سبحانه: «وحفظاً» أقوال: ١ـ قيل: أي وجعلناها حفظاً من استراق الشّياطين السّمع وسآئر الآفات بالكواكب الّتي جعلت فيها. ٢ـ قيل: أي حفظاً من أن تسقط على الأرض. ٣ـ قيل: أي لحفظ السّموات من الإضطراب في سيرها ومن اصطلام بعضها ببعض، وجعلناها تسير على نهج واحد مادام هذا النّظام باقياً حتّى يأتي اليوم الموعود.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات الكريمة.

١٣ـ (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

في قوله تعالى: «فان أعرضوا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي فان أعرض كفّار مكّة عن الايمان بالله تعالى، وهم عتبة بن ربيعة وأضرابه... ٢ـ قيل: أي وإن أعرض مشركو العرب عنك وعن دعوتك. ٣ـ قيل: أي فان أعرض المشركون عن تلك الحجج الّتي بيّنتها لهم ونبّهتهم عليها فلم يؤمنوا بها. ٤ـ قيل: أي فان أعرض كفار قريش عن التّوحيد بعد هذا البيان الباهر والبرهان القاهر وهم أبوجهل وأذنابه ... ٥ـ قيل: أي فان عدل الكفّار عن التفكّر فيما ذكرناه وعن التدبّر فيما بيّنّاه وأبوا إلّا الشّرك والجحود.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، وعليه أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجلّ: «صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» أقوال: ١ـ عن ابن عباس والسّدى والكلبى: الصّاعقة هي العذاب. كل شيءٍ في القرآن صاعقة فهو عذاب. والمعنى: خوّفتكم عذاباً يهلككم مثل عذاب عاد وثمود أهلكهم. ٢ـ قيل: أي خوّفتكم هلاكاً مثل هلاك عاد وثمود. ٣ـ قيل: الصّاعقة كلّ ما أفسد الشّيئ وغيره هيئته. ٤ـ عن قتادة: الصّاعقة هي وقيعة. والمعنى: خوّفتكم وقيعة مثل وقيعة عاد وثمود. ٥ـ قيل: الصّاعقة هي قطعة نار تنزل من السّمآءِ معها رعد شديد. ٦ـ قيل: أي إنّي أتوعّدكم بعذاب الله وأن يحلّ بكم ماحلّ بعاد وثمود من قبلكم، وقدر ماهم الله بالصّواعق،

فاهلكوا فلم تبق منهم باقية. ٧ـ قيل: إنّ عاداً أهلكت بالرّيح والصّاعقة جميعاً. ٨ـ قيل: الصّاعقة: المرّة المهلكة لأيّ شئ كان وهي في الأصل الصّيحة الّتي يحصل بها الهلاك.

في المجمع: «الصّاعقة: المهلكة من كلّ شيء وهي في العرف إسم للنّار الّتي تنزل من السّمآء فتحرق».

وفي المفردات: قال: بعض أهل اللغة: «الصّاعقة على ثلاثة أوجه: الموت كقوله تعالى: «فصعق من في السّموات» الزّمر: ٦٨) **وقوله: «فأخذتهم الصّاعقة»** النساء: ١٥٣) والعذاب كقوله: «أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فصّلت: ١٣) والنّار كقوله تعالى: «ويرسل الصّواعق فيصيب بها من يشآء» الرّعد: ١٣) وماذكره فهو أشيآء حاصلة من الصّاعقة، فانّ الصّاعقة هي الصّوت الشّديد من الجوّ ثمّ يكون منه نار فقط أو عذاب أو موت، وهي في ذاتها شئ واحد وهذه الأشيآء تأثيرات منها» انتهى.

أقول: وعلى الثّامن، تنطبق الصّاعقة على عذابي عاد وثمود وهما الرّيح والصّيحة.

١٤ ـ (إذ جآئتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله قالوا لوشآء ربّنا لأنزل ملائكة فانّا بما ارسلتم به كافرون)

في قوله تعالى: «من بين أيديهم ومن خلفهم» أقوال: ١ـ قيل: أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم. ٢ـ قيل: أي أتواهم من كل جانب وسبيل وجهة، فأعملوا في إرشادهم وهدايتهم كلّ حيلة، وأقاموا لهم حججاً كونية وتدوينية وآيات آفاقية وأنفسيّة، وكل سبيل ممكن خلوة وجلوة، وفرادى ومجتمعين بالتبشير والإنذار، فجآؤهم من كلّ ناحية والتقوا بهم بكلّ سبيل، فلم يروا منهم إلّا العتو والعناد. ٣ـ قيل: أي أنذروهم من وقايع الله وعذابه فيمن قبلهم من الامم، ومن عذاب الآخرة لأنّهم إذا أحذروهم ذلك، فقد جآؤهم بالوعظ من جهة الزّمان الماضي، وماجرى فيه على أمثالهم، ومن جهة المستقبل وماسيجري عليهم.

٤ـ قيل: «من بين أيديهم» الرّسل الّذين جاؤا آبآء الّذين هلكوا بالصّاعة من عاد

وثمود «ومن خلفهم» أي من خلف الرّسل الّذين بعثوا إلى آبائهم رسلاً إليهم، وذلك أنّ الله بعث إلى عاد هوداً فكذّبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبآئهم أيضاً فكذّبوهم فاهلكوا. ٥ـ عن ابن عبّاس: الرّسل الّذين كانوا قبل هود والرّسل الّذين كانوا بعده، بعث الله تعالى قبله رسلاً، وبعث من بعده رسلاً. ٦ـ قيل: أي جاءهم رسل بعد الرّسل. ٧ـ قيل: «من بين أيديهم» أي حذّروهم الدّنيا «ومن خلفهم» حذروهم الآخرة. ٨ـ قيل: «من بين أيديهم» الّذين عاينوهم «ومن خلفهم» الّذين وصل إليهم خبرهم وكتبهم. وحقيقة «بين يديه» أن يستعمل للشّئ الحاضر ومجازه أن يستعمل للشّئ الماضي بزمان قريب.

٩ـ قيل: «من بين أيديهم» هم الرّسل الّذين جآؤا آبآءهم «ومن خلفهم» هم الرّسل الّذين جآؤهم في أنفسهم لأنّهم كانوا خلف من جآء آبآءهم من الرّسل. ١٠ـ قيل: إنّ من الرّسل من تقدّم زمانهم، ومنهم من تأخّر. ١١ـ عن البلخي: أي أتاهم أخبار الرّسل من ههنا ومن ههنا مع ماجآءهم منهم. ١٢ـ قيل: «من بين أيديهم» يعني من ارسل إليهم، فهم معاصرون لهم: صالح وهود عليهما السّلام في أصل الدّعوة، ومن معهم من الرّسل حيث وصلتهم دعوتهم المناصرة لتلك الدّعوة، و«ومن خلفهم» أي وإلى من قبلهم، فقد جآءتهم دعوتهم في بعد إنذار آبآئهم، فهم إذا منذرون، ثمّ وصول دعوتهم من طرق اخرى.

١٣ـ قيل: «من بين أيديهم» يعني الحاضرين والآتين «ومن خلفهم» يعني الماضين بنآءً على أن الرّسالة واحدة، فالرّسول الواحد هو الرّسل كلّهم، فانّه يحمل الرّسالات كلّها ورسالات كلّهم، فتصديق واحد منهم تصديق لجميعهم كما أنّ تكذيب واحد منهم تكذيب لهم أجمع لقوله تعالى: «كذّبت عاد المرسلين ـ كذّبت ثمود المرسلين ـ كذّبت قوم لوط المرسلين» ١٢٣و١٤١و١٦٠) ١٤ـ عن الفرّآء: أتت الرّسل إيّاهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم أي وجآءتهم أنفسهم رسل من بعد اولئك الرّسل، فيكون الضّمير في «خلفهم» للرّسل، ويكون لهم بجعل ما خلفهم ما معهم.

١٥ـ قيل: أي من قبل قوم هود وصالح ومن بعدهم.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى حكاية عنهم: «فانّا بما ارسلتم به كافرون» أقوال: ١ـ قيل: هذا إعلان منهم بكفرهم بالرّسل. فالمعنى: فانّا بما ارسلتم به على زعمكم من الإنذار والتبشير كافرون. ٢ـ قيل: هذا إستهزآء منهم. ٣ـ قيل: هذا إقرار منهم برسالاتهم ثمّ بعده جحود وعناد.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

١٥ ـ (فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدّ منّا قوة أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة وكانوا بآياتنا يجحدون)

في قوله تعالى حكاية عنهم: «من أشدّ منّا قوّة» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: انّ أطولهم كان مأة ذراع، وأقصرهم كان ستّين ذراعاً. ٢ـ قيل: كان واحد منهم يقلع الصخْرة العظيمة من الجبل، فيجعلها حيث يشآء. ٣ـ قيل: إنّهم كانوا قوماً طوال القامة عظيم الجثّة، وشديد الاسر...

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحققين وهو المستفاد من الآيات القرآنية والرّوايات ...

وفي قوله عزّوجلّ: «وكانوا بآياتنا يجحدون» أقوال: ١ـ قيل: أي كانوا بمعجزاتنا يكفرون. ٢ـ قيل: أي بدلآئلنا وحججنا عليهم فينكروها ولا يعترفون بها.

٣ ـ عن ابن عبّاس: أي بكتابنا ورسولناهم يكفرون. ٤ـ قيل: إنّهم كانوا يعرفون أنّها حقّ، ولكنّهم ينكرونها بغياً وحسداً واستكباراً. ٥ـ قيل: أي إنّهم جحدوا الأدلّة التّكوينيّة الّتي نصبناها لهم وجعلناها حجّة عليهم.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين.

١٦ ـ (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون)

في قوله تعالى: «ريحاً صرصراً» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس وسعيدبن جبير وعكرمة والضّحاك: أي ريحاً فيها برد شديد. ٢ـ عن قتادة والفرّاء وعطاء: أي ريحاً باردة تحرق الأشياء كما تحرقها النّار. ٣ـ عن مجاهد: أي ريحاً شديدة السّموم عليهم ٤ـ قيل: أي باردة مهلكة، فانّها تحرق وتهلك بشدّة بردها من الصّرّ وهو البرد الّذي يصرّ أي يجمع ويقبض. وقيل: من صرير الباب والقلم، والتركيب يدور على الجمع والضّمّ. ٥ـ عن السّدى: أى ريحاً باردة شديدة الصّوت بلامطر من تصرصر أي تصوّت. وصرصر هو صوت الرّيح إذا هبت بشدّة فسمع لها. ويقال للنّهر: صرصر لصوت المآء الجاري فيه. وصرصر إسم نهر بالعراق. والصّرّة: الصّيحة. ٦ـ عن مجاهد أيضاً: أي ريحاً شديدة. ٧ـ عن أبي عبيدة: أي ريحاً شديدة عاصفة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «في أيّام نحسات» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي في أيام مشؤومات عليهم بالعذاب. ٢ـ عن مجاهد أيضاً والسّدى وقتادة: أي في أيّام نكدات ذوات نحوس... والنّحس: سبب الشّرّ، والسّعد سبب الخير، وبذلك سمّيت سعود النّجوم ونحوستها. ٣ـ قيل: أي في أيّام شديدة البرد. ٤ـ عن ابن عبّاس أيضاً وعطية: أي في أيام متتابعات أنزل الله فيهنّ العذاب. ٥ـ عن ابن زيد: أي في أيّام ذات شرّ فأرسل عليهم ريحاً شراً ليس فيها من الخير شئ. ٦ـ عن الضّحّاك: أي أيام شداد. ٧ـ عن الجبائى: أي ذوات برد وغبار وتراب حتّى لايكاد يبصر بعضهم بعضاً. ٨ـ عن أبي مسلم: أي أيام باردات. والعرب تسمّى البرد نحساً. ٩ـ عن أبي عبيدة: أي أيام ذات نحوس أي مشائيم العذاب.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله جلّ وعلا: «عذاب الخزي» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي عذاب الشديد. ٢ـ قيل: أي عذاب الذّلّ والهوان. ٣ـ قيل: أي الهلاك والدّمار.

أقول: ولكلٍّ وجه.

وفي قوله سبحانه: «وهم لاينصرون» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي لايمنعون من

عذاب الله يوم القيامة. ٢ـ قيل: أي لاينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر فينقذهم منه أو ينتصرلهم فلايدفع عنهم العذاب الّذي ينزل بهم. ٣ـ قيل: أي وليس لهم يومئذ شفيع يشفع لهم.

أقول: والتّعمم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

١٧ ـ (وأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)

في قوله تعالى: «وأمّا ثمود فهد يناهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدى وإبن زيد أي بيّـنّا لهم الهدى والضّلال، والكفر والإيمان، ودللنا لـهم الحقّ والباطل. والمراد بالهداية ههنا الدّلالة المجرّدة. ٢ـ عن قتادة: أي بيّـنّا لهم سبيل الخير والشّر. ٣ـ قيل: أي دعوناهم إلى الهدى. ٤ـ قيل: أي عرّفناهم الحقّ والهدى والخير والصّلاح بنصب الحجج وإرسال الرّسل.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «فاستحبّوا العمى على الهدى» أقوال: ١ـ عن ابن زيد والفرّآء: أي اختاروا الكفرعلى الايمان. ٢ـعن أبي العالية: أي اختاروا العمى على البيان. ٣ـ عن السّدى: أي اختاروا المعصية على الطّاعة. ٤ـ عن الحسن: أي فاختاروا العمى في الدّين على قبول الهدى، وبئس الإختيار ذلك . ٥ـعن ابن زيد أيضاً وقتادة: أي فاختاروا عمى البصيرة على الهدى. ٦ـ عن السّدى أيضاً: أي اختاروا الضّلالة والعمى على الهدى.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد فتأمّل جيّداً.

وفي قوله جلّ وعلا: «صاعقة العذاب الهون» أقوال: ١ـ عن السّدى وأبي عبيدة: أي العذاب الهوان. وأُضيفت «صاعقة» إلى «العذاب» لأنّ الصّاعقة إسم للمبيد المهلك ، فكأنّه قال: مهلك العذاب أي العذاب المهلك . ٢ـ قيل: أى عذاب مهين كقوله تعالى: «مالبثوا في العذاب المهين» سبأ: ١٤) ٣ـ قيل: أي صاعقة العذاب ذي

الهون وهو الّذي يهينهم ويخزيهم. وقد قيل: إنّ كلّ عذاب صاعقة لأنّ كلّ من يسمعها يصعق لها. ٤ـ قيل: أي قارعة العذاب و واهية العقاب ٥ـ عن ابن عبّاس: أي الصّيحة بالعذاب الشّديد. ٦ـ قيل: الصّاعقة هي الرّجفة ٧ـ قيل: هي الصيحة والرّجفة.

أقول: والسّابع هو المؤيّد بالآيات الكريمة.

١٩ـ (ويوم يحشر أعداء الله إلى النّار فهم يوزعون)

في قوله تعالى: «ويوم يحشر» أقوال: ١ـ قيل: أي واذكر أيّها الرّسول لكفّار قومك حين يخرجون يوم القيامة عن مقرّهم ويزعجون عنه إلى النّار. وذلك أنّ الحشر هو إخراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها. ٢ـ قيل: أي واذكر للنّاس حين يخرجون إلى المحشر للسّئوال والحساب والجزآء، وجعل النّار غاية لحشرهم لأنّ عاقبة أكثرهم إليها كما يدلّ عليه ماذكره من أمر شهادة الأعضآءِ فانّها في الموقف قبل الأمر بهم إلى النّار. ٣ـ قيل: إنّ المراد حشرهم إلى النّار نفسها، ومن الممكن أن يستشهد عليهم مرّتين: مرّة في الموقف، ومرّة اخرى على شفير جهنّم ٤ـ قيل: أي واذكر يا أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم للكافرين يوم يبعثون ... لعلّهم يرتدعون ويزدجرون.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله تعالى: «أعداء الله» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: هم صفوان بن امية وختناه: ربيعة ابن عمرو وحبيب بن عمرو وسآئر الكفّار. ٢ـ قيل: هم أبوجهل بن هشام وأضرابه. ٣ـ قيل: هم عتبة بن ربيعة وأذنابه ٤ـ قيل: إنّ كلّ من تلبّس بالكفر ومات عليه فهو عدوّالله جل وعلا وعدوّ الإنسانية. ٥ـ قيل: هم المكذّبون برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من مشركى قومه لامطلق الكفّار. ٦ـ قيل: هم اليهود والنّصارى.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «فهم يوزعون» أقوال: ١ـ عن ابن جريج: أي يساقون ويدفعون إلى جهنّم. الوزعة: السّاقة من الملائكة، فيسوقونهم إلى النّار. ٢ـ عن ابن عبّاس ومجاهد

وعكرمة وقتادة والسّدى: أي يحبس أوّلهم على آخرهم حتّى يجتمعوا بأن تستوقف سوابقهم حتّى يدركهم لواحقهم ليتلا حقوا ولا يتفرّقوا لكثرتهم. ٣ـ عن أبي الأحوص: أي فاذا تكاملت العدّة بدأ بالأكابر فالأكابر جرماً. ٤ـ قيل: أي يحبسون في العذاب. ٥ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي يدفعون إلى نار جهنّم دفعاً عنيفاً. ٦ـ عن الحسن: أي يمنعون من التفرّق ويحبسون ويكفّون عن التفرّق. يقال: وزعت الرّجل: إذا منعته. ٧ـ قيل: أي يجيئون من كلّ ناحية.

أقول: والثّاني هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢٠ ـ (حتّى إذا ماجآؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

في قوله تعالى: «شهد عليهم سمعهم ...» في شهادة الأعضآء أقوال: ١ـ قيل: إنّ الله جلّ وعلا ينطق الجوارح كما أنطق الشّجرة بأن يخلق فيها كلاماً. ٢ـ قيل: إنّ الله تعالى يبنيها بنية الحيّ، ويلجؤها إلى الإعتراف والشّهادة بمافعله أصحابها. ٣ـ قيل: إنّ الله سبحانه يفعل فيها الشّهادة، وإنّما أضاف الشّهادة إليها مجازاً.

٤ ـ قيل: إنّ الله عزّوجلّ يظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنّار فسمّى ذلك شهادة مجازاً كما يقال: عيناك تشهد ان بسهرك أي فيهما مايدلّ على سهرك ، فتوجد في السّمع والأبصار والجلود علامات متمايزة على الأخلاق المختلفة، لكلّ خُلق منها علامة خاصّة لانعرف الآن كنهها، وربّما كانت سوائل روحية، كل سآئل يدلّ على خلق من الأخلاق كما يكون في أنواع النّبات والشّجر روائح مختلفة، فالعلم والحلم والصبر والصّلابة في الدّين والنّشاط في الطّاعات وحبّ الصّلحآء ... لها سوائل جميلة، والجهل والطيش والعجلة والكسالة والكراهة وبغض الأتقيآء ... لها سوآئل رديئة، وتلك السّوآئل تلازمهم فتكون مشقية لهم ومضايقة أو مفرحة لهم ومنعمة، وهكذا الأجسام بعدالموت لاتشبه نفس نفساً اخرى في أوصافها، فهذه الشّهادة الّتي تشهد بها سمعهم وأبصارهم وجلودهم... ٥ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يخلق لهم يومئذ العلم والقدرة على النّطق فينطقون ٦ـ قيل: إنّ الله عزّوجلّ يخلق عند الأعضآء

أصواتاً شبيهة بنطق الناطقين وهو المراد بنطقهم. ٧- قيل: إنّ النّطق قد يكون مع من لايفهم الكلام لغرض آخر كما ورد عنهم عليهم السّلام: «أنّه ينبغي أن يمرّ الإنسان بالدار والخربة فيقول: أين بانوك ؟ أين ساكنوك » ٨- قيل: اريد بالنّطق مجرّد إظهار الأعضاء انقياد هاله.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات التالية وغير هامن الآيات القرآنية وبالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فافهم ذلك ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «جلودهم» أقوال: ١- عن ابن عبّاس والسّدى وعبيدالله بن أبي جعفر: الجلود هنا الفروج على طريق الكناية. ٢- قيل: الجلود هنا الجلود بأعيانها المعروفة. ٣- قيل: اريد بالجلود هنا الجوارح كلها، فذكرها بعد السّمع والأبصار من قبيل ذكر العام بعد الخاص. ٤- قيل: إنّ المراد بالجلود بصمات الأصابع، حيث إنّ لكلّ إنسان بصمة أصابعة الّتي لايشاركه فيها إنسان غيره، فبصمة كلّ إنسان تكشف عن شخصيته، وتنادي عليه أنّ هذا هو فلان «المجرم» فخذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلوّه ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنّه كان لايؤمن بالله العظيم.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢١ - (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)

في قوله تعالى: «وهو خلقكم أوّل مرّة...» قولان: **أحدهما**- قيل: إنّ هذا من تتمة كلام الجلود جواباً لأصحابها بأنّ من كان قادراً على خلقكم وإنطاقكم أوّل مرّة في الدّنيا، ثمّ خلقكم وانطاقكم اخرى، وثالثة في القبر وفي القيامة، كيف يستبعد منه إنطاق الجوارح والأعضآء، فيكون ذلك من شهادتها على أصحابها الّذين لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقة بل غفلوا عنها، فلم يؤمنوا بأنّ لهم خالقاً واحداً هوالّذي خلقهم وخلق كل شئ ... إذ لوعرفوا هذه الحقيقة لآمنوا بالله تعالى، ولما عبدوا تلك الآلهة المزعومة، ولما صاروا إلى هذا المصير المشئوم الّذي القى بهم في جهنم.

ثانيها - قيل: هذا إبتداء كلام من الله تعالى للكافرين، تعقيباً على مقول الجلود لهم وتقريراً لهذا القول بأنّ الله تعالى خلقكم ولم تكونوا شيئاً، فمن أنشأكم أوّل مرّة وهو القادر على إعادتكم ورجعكم إلى جزآئه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ.

٢٢ - (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون)

في قوله تعالى: «وما كنتم...» أقوال: قيل: هذا كلام الجوارح لأصحابها، وأنّها لمّا خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من لا يعقل. ٢- قيل: هذا قول الله عزّوجلّ للكفرة الفجرة. ٣- قيل: هذا كلام الملائكة لأصحاب الجوارح...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ.

وفي قوله جلّ وعلا: «وما كنتم تستترون ...» أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أي وما كنتم تقدرون اليوم أن تمنعوا أعضاءكم أن تشهد عليكم بما فعلتموه في الحياة الدّنيا. ٢- عن قتادة: أي وما كنتم تظنّون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتّى بلغ كثيراً ممّا كنتم تعملون. ٣- عن السّدى: أي وما كنتم تستخفون منها، فتتركوا ركوب محارم الله في الدّنيا حذراً أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم. والمعنى: لم يكن يتهيّأ لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون، فجعلها الله شاهدة عليكم يوم القيامة. ٤- قيل: أي وما كنتم تستترون أي تقدرون في الدّنيا أن تستروا إكتساب الأعضآء عن الأعضآء أن يشهد لكي لا يشهد عليكم. ٥- قيل: أي وما كنتم تستيقنون أن يشهد عليكم سمعكم في الآخرة ولا أبصاركم ولا جلودكم...

٦- قيل: أي وما كنتم تستترون بالحجب والسّتار عند إرتكاب الفواحش والآثام مخافة أن يشهد عليكم جوارحكم لأنكم لم تعلموا أنّها تشهد عليكم، ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً من أعمالكم. ٧- عن مجاهد: أي وما كنتم تتّقون في الدّنيا أن يشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا الذّنوب والمعاصي خوفاً من هذه الشّهادة. فالإستتار بمعنى

الإتقآء. ٨ـ قيل: أي وماكنتم تتركون المعاصي حذراً أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنّكم ماكنتم تظنّون ذلك والمعنى: ماكنتم تستخفون من أنفسكم حذراً من شهادة الجوارح عليكم لأنّ الإنسان لايمكنه أن يخفي من نفسه عمله، فيكون الإستخفآء بمعنى ترك المعصية. ٩ـ قيل: أي ماكنتم تستترون عن الله بأفعالكم المنكرة وعقائدكم الباطلة، وأقوالكم السّيئته ونيّاتكم الخبيثة ... حتّى استدعى هؤلاء الشّهود منكم ليشهدوا عليكم.

١٠ ـ قيل: أي وما كنتم لتستتروا لو أنّكم علمتم أنّ معكم شهوداً يشهدون عليكم وهي أقرب شيء إليكم بحيث لايفوتها همسة خاطر أو قشعريرة جلدة أو ذوق لسان أو حركة يد أو رجل، ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون، فلذلك إجترأتم على إقتراف المنكرات والآثام سرّاً، ومادريتم أنّ لله جنوداً قآئمين عليكم يسكنون بين العظم والجلد منكم. ١١ـ عن الفرّاء: أي لم تكونوا تخافون أن تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها، ولم تكونوا تقدروا على الإستتار منها، ويكون على وجه التعبير أي ولم تكونوا تستترون منها. ١٢ـ قيل: أي كنتم تستترون النّاس عند إرتكاب الفواحش مخافة الفضاحة، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عليها. ١٣ـ قيل: أي وما كنتم تستخفّون في الدّنيا عند المعاصي والفواحش من شهادة أعضائكم الّتي تستعملونها في معصية الله تعالى، ولم يكن ذلك لظنّكم أنّها لاإدراك فيها لعملكم بل لظنّكم أنّ الله عزّوجلّ لايعلمون كثيراً ممّا تعملون، فما استهنتم عند إرتكاب المعاصي بشهادة أعضائكم، وإنّما استهنتم بشهادتنا.

أقول: وعلى العاشر أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «ولكن ظننتم...» أقوال: ١ـ قيل: أي ولكن قلتم: إنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تقولون في السّرّ. ٢ـ قيل: أي إعتقدتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون سرّاً ٣ـ عن ابن عبّاس: إنّهم كانوا يقولون: إنّ الله لايعلم ما في نفوسنا، إنّما يعلم مايظهر منّا من الأقوال والأفعال... ٤ـ قيل: أي ولكن حسبتم حين ركبتم في الدّنيا

ماركبتم من الآثام والفواحش... أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ماحرّم الله عليكم. كلّ ذلك لجهلكم بالله تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره، فهان عليكم إرتكاب المعاصي لذلك.

٥ ـ قيل: أي عملتم عمل من ظنّ أنّ عمله يخفى على الله كما يقال: أهلكت نفسي أي عملت عمل من أهلكت نفسه.

وقال عبدالله بن عبدالأعلى الشّامي:

العمر ينقص والذّنوب تزيد	وتقال عثرات الفق فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد	رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسئل عن سنيه فيشتهي	تقليلها وعن الممات يحيد

٦ ـ قيل: إنّ «لكنّ» للاستدراك في معني الإضراب عن محذوف. والمعنى: وما ظننتم أنّ أعضاءكم لاتعلم بأعمالكم، بل كنتم تظنّنون أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحققين.

٢٣ ـ (وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

في الظنّ هنا أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: الظنّ هنا بمعنى القول. أي قولكم بأنّ الله يعلم ماتبدون ولا يعلم بما تكتمون هذا القول الّذي قلتم على ربّكم أوقعكم في النّار. ٢ـ عن قتادة: الظّنّ هنا بمعنى العلم. ٣ـ قيل: الظّنّ هنا بمعناه وهوضرب من أفعال القلوب يحدث عند بعض الأمارات وهو رجحان أحد طرفي التجوّز. وهو على قسمين: **أحدهما**ـ حسن الظّنّ كمن ظنّ أنّ الله يحكم بين عباده بالعدل ويعاقب المجرمين عدلاً، ويعفو عن التّائبين. **ثانيها**ـ سوء الظّن كمن ظنّ أنّ الله سبحانه يظلم على عباده ويعاقب المؤمنين، ويثيب المجرمين.

أقول: وعلى الثّالث جمهور المحقّقين.

٢٤ - (فان يصبروا فالنّار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

في قوله تعالى: «فان يصبروا...» أقوال: ١- قيل: أي فإن يصبر هؤلآء الكافرون في الدّنيا على أعمال أهل النّار، فالنّار مثوى ومأوى لهم كقوله تعالى: «فما أصبرهم على النّار» البقرة: ١٧٥) ٢- قيل: أي فان يصبروا في النّار على آلامها أو يجزعوا فالنّار مستقرّ لهم، فلا محيص لهم عنها. ٣- قيل: أي فان يصبروا وأمسكوا عن الإستغاثة لفرج ينتظرونه فلم يجدوه إذ لاينفعهم الصّبر، فتكون النّار مقاماً لهم.

٤ - عن البلخي: أي فان اختاروا المعاصي والفواحش فالنّار مصير لهم. ٥- قيل: أي فان يصبروا على هذا البلآء الّذي هم فيه من ظنّهم بالله هذا الظنّ السّيئ، فالنّار هي موعدهم وهي مأواهم الّذي يأوون إليه. ٦- قيل: أي فان يصبروا على آلهتهم. وذلك أنّهم كانوا يقولون: «إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها» الفرقان: ٤٢). وقيل: إنّ سبب نزول الآية قول كفّار قريش لمّا دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى ترك عبادة الأصنام قال بعضهم لبعض: «لاتسمعوا لهذا القرآن» واصبروا على آلهتكم.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي وإن يسئلوا الله الرّجعة إلى الدّنيا- وهم في نارجهنم- فما هم من الرّاجعين إلى الدّنيا، فلن يرجعوا إليها، لأنّهم لن ينزعوا عن نار جهنّم أبداً. ٢- قيل: أي وإن يطلبوا الرّضا والعفو من الله تعالى فلن يرضى عنهم، فلا يكونون مرضيين، فلايقبل إعتذارهم ولا يرضى عنهم. والمعتب هوالّذي يقبل عتابه ويجاب إلى ماسئل. لأنّ السّخط من الله تعالى بكفرهم قد لزمهم وزال التّكليف عنهم، فليس لهم طريق إلى الإعتاب، والإستعتاب هو طلب العتبى وهي الرّضا وهو الإسترضآء والإعتاب: الإرضآء وأصل الإعتاب عندالعرب إستصلاح الجلد باعادته في الدّنيا، ثمّ استعير فيا يستعطف به البعض بعضاً لإعادته ماكان من الإلفة.

٣- قيل: إنّ قوله تعالى: «وإن يستعتبوا» في معنى «وإن يجزعوا» لأنّ المستعتب

جزع ممّا استعتب منه. ٤ـ قيل: وإن يسئلوا الرّجعة لهم إلى الّذي يحبّون من تخفيف العذاب فماهم من المعتبين، فليسوا بالقوم الّذين يرجع بهم إلى الجنّة، فيخفّف عنهم ماهم فيه من العذاب. كقوله تعالى حكاية عنهم: «ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالين ربّنا أخرجنا منها فان عدنا فانّا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون» المؤمنون: ١٠٦ـ ١٠٨) وكقولهم لخزنة جهنّم: «ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب ـ فادعوا ومادعآؤ الكافرين إلّا في ضلال» المؤمن: ٤٩ـ ٥٠).

٥ ـ قيل: أي وإن يستغيثوا فماهم من المغاثين. ٦ـ قيل: أي وإن يستعتبوا في الدّنيا وهم مقيمون على كفرهم فماهم من المعتبين. ٧ـ قيل: أي وإن يستقيلوا ربّهم فماهم من المقالين. من الإقالة. والمعنى: إن أقالهم الله وردّهم إلى الدّنيا لم يعملوا بطاعته كقوله تعالى: «ولو ردّ والعاد والمانهوا عنه» الأنعام: ٢٨).

٨ ـ قيل: أي وإن يطلبوا العتبى في طلب الصّفح وإصلاح ما أفسدوا فلن يعتبوا ولن يقبل منهم تصحيح معتقدهم بعد أن فات الوقت، وأفلتت الفرصة من أيديهم، وهم في الدّنيا، فانّ يوم الحساب والجزآء لايقبل عمل ولا تنفع معذرة: «يا أيّها الّذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنّما تجزون ماكنتم تعملون» التّحريم: ٧). فان يبدوا معاذير فلن يقبل منهم ولا تقال لهم عثرات ... ٩ـ قيل: إنّ العتاب كناية عن غاية إنحطاطهم وهوانهم وذلّهم بحيث لايخاطبون حتّى خطاب العتاب: «فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون» الرّوم: ٥٧).

وقد جرت العادة أنّ الّذي يطلب العتاب يطلبه كذريعة لما يرجوه من الصّفح والرّضا تغاضياً عن الأسباب، فاليوم يغلق باب العتاب متاباً وعتاباً، فلا ينفعهم يومئذ طلب الإصلاح ولا طلب العتاب اذفات الأوان وضاعت الفرصة!

أقول: وعلى التّاسع أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فافهم ذلك.

٢٥ ـ (وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)

في قوله تعالى: «وقيّضنا لهم قرنآء» **أقوال:** ١ـ عن مقاتل: أي يسّرنا وهيّأنا لهم قرنآء من الشّياطين. ٢ـ قيل: أي وسلطنا عليهم قرناء من شياطين الجنّ والإنس. ٣ـ قيل: أي سببنا لهم قرنآء من حيث لايحتسبون. يقال: قيّض الله فلاناً لفلان أي جآءه به وأتاحه له. ويقال: قيّض الله لي رزقاً أي أتاحه كما كنت أطلبه. والتّقييض: الإبدال. ومنه المقايضة، قايضت الرّجل مقايضة أي عاوضته بمتاع وهما قيّضان كما تقول: بيّعان. كأنّ القرينين يصلح كلّ منهما أن يقوم مقام الآخر. ٤ـ قيل: التقييض: المماثلة والمقايضة: المقايسة. والمعنى: إنّا نضمّ إلى كلّ كافر قريناً له من الجنّ مثله في الكفر في نار جهنّم.

٥ ـ قيل: أي قيّضنا لهم قرنآء في النّار. والمعنى: قدّرنا عليهم أنّ ذلك سيكون وحكمنا به عليهم بسبب كفرهم وطغيانهم، حيث يحشر كلّ مرء مع من أحبّه. ٦ـ عن الجبائي التقييض: إحواج بعض العباد إلى بعض كحاجة الرّجل إلى المرأة والعكس، وحاجة الفقير إلى الغنيّ لينال به، والغنيّ إلى الفقير ليستعين به، وغير ذلك من احواج بعضهم إلى بعض... فزيّن بعضهم لبعض المعاصي... ٧ـ عن الحسن: أي خلّينا بينهم وبين قرنآء السّوء الّذين أغووهم ودعوهم إلى ماستوجبوا به العقاب والخذلان. ٨ـ عن ابن عبّاس: أي وجعلنا لهم أعواناً وشركآء وأخداناً وأصحاباً من غواة شياطين الجنّ والإنس.

٩ ـ قيل: أي بعثنا لهم نظرآء من الشّياطين، فجعلناهم لهم قرنآء قرنّاهم بهم. ١٠ـ قيل: أي خذلناهم ومنعناهم التّوفيق لتصميمهم على الكفر، فلم يبق لهم قرنآء سوى الشّياطين. ١١ـ قيل: أي بدّلنا لهم قرناء من شياطين الجن والإنس يقارنونهم ويلازمونهم، مجازاة لشركهم وإستكبارهم، وكفرهم وفسوقهم، بأنّهم لو آمنوا واتقوا لأيّدناهم بمن يسدّدهم ويهديهم: «اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه» المجادلة: ٢٢) ١٢ـ قيل: أي بدّلناهم قرنآء سوء من شياطين الجنّ والإنس مكان قرناء الصدق الّذين أُمِروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بسوء إختيارهم، فبدّلوا نعمة الله كفراً، فبدّلناهم عن الهداة التقاة بغاة طغاة و«ذلك بأنّ الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتّى

يغيّروا ما بأنفسهم» الأنفال: ٥٣) فلمّا بدّلوا دعوة الهدى إلى الرّدى بدّلنا لهم قرناء السّوء مكان قرناء الصّدق ليواصلوا في الرّدى.

١٣ ـ قيل: اريد بالقرنآء هنا النّفس الأمّارة بالسّوء. والمعنى: من يعرض عن الله جلّ وعلا يرى الحقّ باطلاً، والخير شرّاً، والقبيح حسناً، والحرام حلالاً والعكس بالعكس، ويرى كلّ مايقول ويفعل ويقصد ويعتقد على خلاف ماهو الواقع عند العقل السّليم وعن الشّرع المبين.

أقول: والحاديعشر هو الأنسب بظاهر السّياق، وخاصة آية (٣٠) من هذه السّورة إذ جآئت هي ومايليها لمقابلة ماجآء عن موقف أعداء الله الكافرين ومصيرهم الاخروى جرياً على الاسلوب القرآنيّ وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «فزيّنوا لهم مابين أيديهم ...» أقوال: ١ـ عن مجاهد والحسن والسّدي وابن جريج: أي فزيّنوا لهم مابين أيديهم من أمرالدّنيا، وأعمالهم السّيّئة الّتي عملوها، فحسّنوها لهم وحبّبوها إليهم حتّى آثروا الدّنيا على الآخرة، «وما خلفهم» أي حسّنوا لهم مابعد مماتهم، فدعوهم إلى التّكذيب بامور الآخرة بأن لابعث ولاحساب ولا جنّة ولا نار ولاعذاب. ٢ـ قيل: «وما خلفهم» غير معطوف على «مابين أيديهم» بل معطوف على محذوف، والتقدير: وأنسوهم ماخلفهم. ٣ـ عن ابن عبّاس: «مابين أيديهم» تكذيبهم بامور الآخرة أن لابعث ولا حساب ولاجنّة ولا نار، «وما خلفهم» تسويف وترغيب في الدّنيا ومتاعها بأن لا تنفقوا ولا تعطوا وأنّ الدّنيا باقية لا تفنى.

٤ ـ عن الزّجّاج: «ما بين أيديهم» أي ماعملوه «وما خلفهم» أي ماعزموا على أن يعملوه. ٥ـ قيل: «مابين أيديهم» أي فزيّنوا لهم مثل ماتقدّم من المعاصي حتّى ارتكبوها «وما خلفهم» مايعمل من بعدهم من سنن سيّئة لغيرهم يعملون بها. ٦ـ قيل: «مابين أيديهم» أي وزيّنوا لهم فعل مفسدى زمانهم ومستكبريهم فرّغبوهم فيه «وما خلفهم» أي والّذين تقدّم عصرهم. ٧ـ قيل: «مابين أيديهم» أي أعمالهم في الماضي والحاضر «وما خلفهم» أي أعمالهم في المستقبل.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «وحق عليهم القول في امم...» أقوال: ١ـ قيل: أي وجب عليهم من العذاب ماوجب على الأُمم الّذين من قبلهم الّذين كفروا لكفرهم، فصاروا في امم أمثالهم كذّبوا لتكذيبهم، قدمضوا قبلهم، فوجب عليهم الوعيد والعذاب. ٢ـ قيل: إنّ «في» بمعني «مع» فالمعنى: هم داخلون مع الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه. ٣ـ قيل: «في امم» أي في جملة امم. والمعنى: حقّ عليهم القول كآئنين في جملة امم. ٤ـ قيل: أي وجب وثبت عليهم كلمة العذاب حالكونهم في امم مماثلين لهم في الأفكار والعقائد والأقوال والأعمال، ماضين قبلهم من الجنّ والإنس.

أقول: والمعاني متقارب.

٢٦ ـ (وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون)

في قوله تعالى: «وقال الّذين كفروا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: هم كفّار مكّة أبوجهل وأضرابه. ٢ـ قيل: هم عتبة بن ربيعة وأذنابه. ٣ـ قيل: أي وقال مشركو مكّة للّذين يطيعونهم من أوليآءهم من مشركي العرب: لا تسمعوا لقاري هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا إليه ولا تتبعوا مافيه فتعملوا به ٤ـ قيل: أي قال رؤوس الكفر وقادة الشّرك لأتباعهم السّفلة. ٥ـ قيل: قال بعض كفّار قريش لبعضهم. ٦ـ قيل: أي قال القرنآء من شياطين الجنّ والإنس الّذين يزيّنون للكافرين كفرهم: لا تسمعوا لهذا القرآن. ٧ـ قيل: أي اجتمع بعض المشركين إلى بعض وتلاقوا على طريق الكفر والضّلال وعلى البغي والعناد تشكّل منهم هذا الكيد الّذي أجمعوا أمرهم عليه ليكيدوا به لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وللقرآن الّذي يتلوه عليهم.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه وبين سآئر الأقوال.

وفي قوله عزّوجلّ: «لا تسمعوا لهذا القرآن» أقوال: ١ـ قيل: أي لا تصغوا إلى هذا القرآن. ٢ـ قيل: أي لا تقربوا منه لكيلا تسمعوه ٣ـ قيل: أي لا تطيعوا. يقال: سمعت لك أي أطعتك. ٤ـ قيل: أي لا تنصتوا لسماع هذا القرآن وعارضوه باللغو والباطل

بانشاد الشّعرو الأراجيزحتّى تهوّشوا على القارئ.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ حسب اختلاف السّامعين.

وفي قوله جلّ وعلا: «والغوا فيه» أقوال: عن ابن عبّاس ومجاهد: كانت مشركو قريش تفعلون بالتّصفير والمكآء والتخليط في المنطق على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا قرأ القرآن حتّى يصير لغواً. واللغومن الأمر مالا أصل له، ومن الكلام مالا معنى له. ٢ـ عن قتادة: أي قال بعضهم لبعض: اجحدوا به وانكروه وعادوه. ٣ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أى الغطوا فيه وهو الشّغب. ٤ـ قيل: كان لإعجاز القرآن الكريم أبلغ الأثر في النّفوس والعقول، وفي الأنكار والقلوب، فتواصى عتاة الشرك وبغاة الكفر، وقادة البغي أتباعهم السّفلة أن يلغوا ويهذوا بصوت عال عند تلاوته كي يضللوا السّامع عنه، فتوعّدهم الله تعالى بأسو إالعذاب لأنّ أعمالهم أسوأ السّيّئات ٥ـ عن ابن عباس أيضاً: قعوا فيه وعيبوه والهوْا عنه.

٦ـ قيل: أي اشتغلوا عند قرائته برفع الأصوات بالخرافات وبا لزّجر والهذيان حتّى تشوّشوا عليه قرائته بلغو الكلام والباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كيا لا تسمعوه ولا تفهموا مافيه لتغلبوه بذلك، ولايتمكّن أصحابه من الإستماع. واللغو: السّاقط من الكلام الّذي لاطائل تحته. ٧ـ قيل: أي تحدّثوا وصيحوا لدى القراءة كيا لا تسمعوه. ٨ـ عن ابن عبّاس: أي إرفعوا أصواتكم في وجهه بالشّعر والرّجز والتّصدية. قال ابن عبّاس: قال أبوجهل: إذا قرأ محمّد فصيحوا في وجهه حتّى لايدري مايقول. ٩ـ عن الضّحّاك: أي أكثروا الكلام ليختلط عليه مايقول. ١٠ـ قيل: أي عارضوه بكلام لايفهم ليختلّ به قرائته، ولا تقرع أسماع النّاس آياته فيلغو أثره وهو الغلبة. ١١ـ قيل: أي عارضوه بالأباطيل والخرافات والمكابرة وصيّروه سخرية ولغواً حتّى لا تنفذ كلماته إلى الآذان، ولا تصل إليها إلّا مختلطة مضطربة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله سبحانه: «لعلّكم تغلبون» أقوال: ١ـ قيل: أي لعلّكم بفعلكم ذلك تصدّون من أراد إستماعه عن استماعه فلايسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه

فتغلبون بذلك من فعلكم محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا يحصل غرضه من التفهيم والإرشاد. ٢ـ قيل: أي لعلكم تغلبون محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم على قرائته فلا يظهر ولا يستميل إليه القلوب ...

٣ ـ قيل: أي لعلكم تغلبون بفعلكم هذا على قارئيه وعلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتغلبون بلغو القول في القرآن الكريم على المسلمين في كلّ ظرف، بأنّ القرآن لمن خوطب به، وأنّه ظنّيّة الدّلالة، وليس لأحد أن يفسّره وغير ذلك من اللغويّات ... كلّ ذلك إلقاء من جانب أعدآءِ الله تعالى على المسلمين حتّى على الدّعاة والمصلحين وعلمآء الدّين حتّى اليوم فتقبّلوا بقبول حسن، ولم يعتنوا بكلام الخالق العليم بقدر كلام المخلوق الجهول غير المعصوم الخاطئ، فاتخذوا هذا القرآن مهجوراً كما قال تعالى: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠) فيشكو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة إلى الله جلّ وعلا عن امّته، وخاصّة عن علمآئهم ودعاتهم فانّهم اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً.

٤ ـ قيل: أي لعلكم تغلبون بفعلكم هذا على قرائته وتميتون ذكره وقد ظنّوا أنّهم بهذا العبث الصّبياني يسدّون منافذ الضّوء من تلك الشّمس السّاطعة إذاهم مدّوا أيديهم إليها وحجبوها عن عيونهم ...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ ولكن الثّالث هوالأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٢٧ ـ (فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون)

في قوله تعالى: «فلنذيقنّ الّذين كفروا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: هم أبوجهل وأضرابه من مشركي مكّة. ٢ـ قيل: هم الرّؤسآء المضلّة، والكبراء الكفرة والقادة المغوية... ٣ـ قيل: هم الأتباع السّفلة والضعفاء البطلة والأذناب المبتورة... ٤ـ قيل: اريد بالّذين كفروا ـ بحسب المورد ـ الّذين كانوا يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن. وإن كانت الآية مطلقة بحسب اللفظ. ٥ـ قيل: أي كلّ من تلبّس بالكفر بالله جلّ

وعلا وجحد آياته... من مشركي العرب وغيرهم في كلّ ظرف.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر الإطلاق لأنّ الوصف بالصلة عام، والمورد ليس بمخصّص، فافهم ذلك.

وفي قوله عزّوجلّ: «عذاباً شديداً» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي في الدّنيا بالاسر والقتل يوم بدر. ٢ـ قيل: أي في الدّار الآخرة بنار جهنّم وعذابها. ومعنى العذاب الشّديد مايتوالى فلا ينقطع. ٣ـ قيل: هو العذاب في جميع أجزائهم ...

٤ ـ قيل: أي عذاباً شديداً في الدّنيا بالخزي والهوان، وبالهلاك والدّمار، وفي الآخرة بالعذاب والنّار. ٥ـ قيل: أي عذاباً شديداً في الدّنيا أوّلاً بالخزي والذّلة، وفي البرزخ وسطاً بحفرة النّيران، وفي الآخرة جزآءً أوفى بالنّار وأليمها.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، وخاصّة بالآية التّالية، وإن كان التّعميم غير بعيد فتأمّل ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون» أقوال: ١ـ قيل: أي نجازيهم بأقبح الجزآء على أقبح معاصيهم وهو الشّرك والكفر بالله جلّ وعلا وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحد آياته، وإنكار البعث والحساب والجزآء. وقد خصّ الأسوء بالذّكر، وسكت عن الباقي مبالغة في الزّجر. ٢ـ قيل: أي لنجزينّهم بأسوإ أعمالهم وهي المعاصي من جملة ماكانوا يعملون دون غيرها ممّا لايستحقّ به العذاب. ٣ـ قيل: أي ولنجزينّهم في الآخرة جزآء قبح أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا وأسوأ الأعمال هو الشّرك . ٤ـ قيل: أي أقبح جزآء عملهم. وقيل: أي جزاء أسوإ الّذي كانوا يعملون. ففيه حذف.

٥ـ قيل: أي ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون من هذا القول الفاسد: «لا تسمعوا لهذا القرآن ...» وغيره من الأقوال الفاسدة والعقآئد الباطلة والأعمال القبيحة بأقبح جزآئها، فتوعّدهم تعالى بأسوإ العذاب لأنّ أعمالهم أسوأ السّيّئات ... فلنذيقنّ أسوأ الجزاء يوم القيامة بأقبح ماكانوا يعملون في الحياة الدّنيا. ٦ـ قيل: أي العمل السّيّء الّذي كانوا يعملون بتجريد أفعل «أسوأ» عن معنى التفضيل. ٧ـ قيل:

هي الكبآئر، فخصّها بالذّكر زجراً وتغليظاً بعينها، واقتصر في الصّغير على الجملة في الوعيد.

٨ ـ قيل: إنّ الجزاء هنا هو الأسوأ نفسه، إذ ليس جزاء بأسوءٍ. ٩ـ قيل: أي ولنجازيهم بأسوءِ أعمالهم لأنّ اعمالهم الحسنة كصلة الرّحم وإكرام الضيف، وإحسان الفقير والتخلّق بالأخلاق الحسنة وما إليها... قد أحبطها الشّرك والطغيان، والكفر والعدوان، والبغي والعصيان... فلم يبق لهم إلّا القبيح، ومن ثمّ لايجازون إلّا على السّيّئات...

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحققين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر، فتدبّر جيّداً.

٢٩ ـ (وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا الّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)

قوله تعالى حكاية عن الأتباع الكفرة: «من الجنّ والإنس» أقوال: ١ـ عن قتادة: الجنّ هو ابليس الأبالسة، وهو أوّل من أبدع الكفر وأضلّ آدم وحوآء، والإنس هو قابيل ابن آدم الّذي قتل أخاه هابيل، وهو أوّل من أبدع المعصية، فهما سنّا الكفر والقتل، وأسّسا الفساد والعداوة. ٢ـ قيل: اريد بهما الجنس، وقد بني على التثنية لإختلاف الجنسين أي كلّ مضلّ من مضلّي الإنس والجنّ، فيشمل لكلّ من أبدع الكفر والضّلالة، والشّرك والغواية، والبغي والجناية ... كقوله تعالى: «والّذان يأتيانها منكم» النسآء:١٦).

فكلّ من دعا النّاس إلى الكفر والضّلالة من الجنّ والإنس فهو مضلّ، فليس الجنّ والإنس شخصين إثنين: إبليس الجنّ وقابيل الإنس، وماكان قابيل مضلاً لكلّ الكافرين مهما كان بادئ الإغواء من الإنس، إذ كان في تاريخ الإنسان من هو أشرّ منه وأطغى، كما لم يكن المضلّ من الجنّ هو شخص إبليس مهما كان يرأس المضلّين، إذاً فهما النموذجان الأوّلان للإضلال والإغوآءِ، ومن ثمّ الآخرون هم مضلّون في كلّ ظرف، فـ «الّذان» تثنية الجمع لا المفرد.

۳ ـ قيل: إنّ الشّياطين على طآئفتين: طآئفة جنّية، وطائفة إنسيّة، وقد ورد في القرآن كثيراً كقوله عزّوجلّ: «وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ» الأنعام: ۱۱۲) ٤ـ قيل: اُريد بهما قوتا الشّهوة والغضب المشار إليهما في قوله تعالى: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّمآء» البقرة: ۳۰) فكأنّهم سئلوا توفيق أن يجعلوا القرينين تحت قدم النّفس الناطقة. ٥ـ قيل: الجنّ هو إبليس الّذي ردّ عليه قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأضلّ النّاس بالمعاصي والفواحش والآثام... وجآء بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أبي بكر ابن أبي قحافة فبايعه، والإنس هوعمربن الخطاب وهو سبب فرقة المسلمين بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وانحرافهم وانحطاطهم حتّى اليوم.٦ـ قيل: إنّ الجنّ هو الشّيطان لأنّه كان من الجنّ، وأمّا الإنس فهو أتباع الشّيطان من الإنس في دعوة النّاس إلى الكفر والجناية.

أقول: والخامس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والرّوايات فيه متواترة لايشكّ فيها إلّا مَن كان خبيث الولادة، ومن أتباع السّقيفة السخيفة الشّؤمة بني ساعدة، فهم وشأنهم!

وفي قوله عزّوجلّ: «نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» أقوال: ۱ـ قيل: أي تمنّوا لشدّة عداوتهم لهذين المضلّين، وغاية بغض هؤلآء الأتباع والمردة هذين الزّعيمين في الظّلم والجناية، في البغي والضّلالة، في الفسق والشّرارة... بما أضلاّهم وأغوياهم... تمنّوا وهم كلّهم في دار خلدهم جهنّم أن يجعلوا هذين الرّئيسين تحت أقدامهم في الدّرك الأسفل من النّار. ۲ـ قيل: اريد به ندوسهما ونطاؤهما بأقدامنا إذلالاً وإهانة لهما، وتشديداً لعذابهما ليكونا من الأسفلين الأذلّين. ۳ـ عن إبن عبّاس وقتادة: أي ليكونا أشدّ عذاباً. وذلك أنّ أبواب جهنّم بعضها أسفل من بعض، وكلّ ماسفل منها فهو أشدّ على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سئل الكافرون المردة والأتباع السّفلة ربّهم أن يريهم اللّذين أضلاّهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشدّ العذاب في الدّرك الأسفل من النّار.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٣٠ ـ (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

في قوله تعالى: «ثمّ استقاموا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد وعكرمة: أي استقاموا على شهادة أن لا إله إلّا الله. قيل: من قال هذه الكلمة حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها. فالمعنى: الّذين قالوا: لا إله إلّا الله واستمرّوا على أنّ الله ربّهم وحده ولم يشركوا بعدها بالله شيئاً حتّى يلحقوه. ٢ـ قيل: الإستقامة أن لاتشركوا بالله شيئاً ولم ترجعوا إلى عبادة الطواغيت والأوثان... ٣ـ عن ابن عبّاس أيضاً وابن زيد والحسن وقتادة: أي استقاموا على طاعة الله وعبادته، وعلى أداءِ فرآئض الله جلّ وعلا، ولم يروغوا روغان الثعلب ولم ينافقوا. ٤ـ قيل: أي لم يلبسوا ايمانهم بظلم ولا بخطيئة ولابذنب من الذّنوب ...

٥ ـ عن ابن عباس: أي ثبتوا على الايمان ولم يكفروا بالله تعالى ولا بكتابه ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا باليوم الآخر، ولم يرجعوا إلى الشّرك . ٦ـ قيل: أي استقاموا على ترك المعاصي ورفض الطواغيت وترك الآلهة الموهومة. ٧ـ قيل: أي استقاموا على ما امروا به، وعلى ترك مانهوا عنه، استقاموا عليها حتّى النّفس الأخير فهم المؤمنون حقاً، وأمّا الّذين قالوا: ربّنا الله ثمّ قاسوا كلّ ما في الوجود بالمنافع والنّقود، فهم شرّ من الشّرّ لهم في الدّنيا خزى، ولهم في الآخرة ماهو أخزى وأشدّ تنكيلاً.

٨ ـ قيل: أي استقاموا على عقيدتهم وعملهم بمقتضى ايمانهم، حيث إنّ الايمان مبدأ الاستقامة في العمل. فالمعنى: ثمّ ثبتوا على الإقرار ومقتضياته ... ٩ـ قيل: أي استقاموا في أفعالهم كما استقاموا على أقوالهم. ١٠ـ قيل: أي اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً وداموا على ذلك. وذلك أنّ الإستقامة تقال في الطّريق الّذي يكون على خطّ مستو، وبه شبّه طريق الحقّ كقوله تعالى: «وأنّ هذا صراطى مستقيماً فاتّبعوه» الأنعام: ١٥٣) فاستقامة الإنسان في الدّين: لزومه المنهج المستقيم و وسط الطّريق من دون ميل وإنحراف عنه، والثبات على القول الّذي قالوه، فلم يرجعوا إلى عبادة الأصنام بعد اقترافهم بالايمان بالله تعالى و برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتابه.

۱۱ ـ قيل: أي أخلصوا العمل بعد إخلاص العقيدة بالايمان. ۱۲ـ عن الفضيل بن عياض: أي زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية. ۱۳ـ قيل: إنّ حقيقة الإستقامة القرار بعد الإقرار، لا الفرار بعد الإقرار. ١٤ ـ قيل: أي استقاموا بعد التوحيد وتصديق النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على ولاية آل محمّد المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّات المرسلين ولم يوالوا أعدآءهم... ويدخل في ذلك كلّ العبادات، وجميع الإعتقادات...

١٥ ـ قيل: أي استقاموا على توحيدالله، ولم يخلطوا التّوحيد بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما أمر ونهى. ١٦ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «ربّنا الله» إشارة إلى العلوم النّظرية الّتي هذه المسئلة رأسها وأصلها، وقوله عزّوجلّ: «ثمّ استقاموا» إشارة إلى الحكمة العملية، وجملتها الإستقامة على الوسط دون الميل إلى أحد شقّي الإفراط والتّفريط. ١٧ـ قيل: إنّهم «قالوا ربّنا الله» يوم الميثاق في عالم الأرواح «ثمّ استقاموا» على ذلك في عالم الأشباح. ٨ـ قيل: أي استقاموا على التّوحيد وغيره ممّا وجب عليهم. ١٩ـ عن ابن مسلم: أي ثمّ استقاموا على ماتوجبه الرّبوبيّة من عبادته.

٢٠ ـ عن سفيان الثّورى: أي عملوا على وفاق ماقالوا: ٢١ـ عن الرّبيع: أي أعرضوا عمّا سوى الله. ٢٢ـ قيل: أي استقاموا إسراراً كما استقاموا إقراراً. ٢٣ـ عن ابن فورك: إنّ السّين في «استقاموا» سين الطّلب، مثل استسقى أي سئلوا من الله أن يثبتهم على الدّين.

أقول: والرّابع عشر هو المرويّ صحيحاً عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تكن من الغافلين.

وقوله عزّوجلّ: «تتنزّل عليهم الملائكة» أقوال: ١ـ عن ابن عباس والجبآئي وأبي مسلم: أي في الآخرة. ٢ـ عن مجاهد والسّدي: أي تتنزّل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى من الله بأنّ لهم عنده لزلفى وحسن مآب. ٣ـ عن زيدبن أسلم: أي يبشّر الملائكة المؤمن بذلك عند موته وفي قبره ويوم البعث. وعن وكيع بن الجرّاح وابن زيد: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عندالموت وفي القبر وعند الحساب، بأنّه لفي الجنّة،

وما رميت فرحة البشارة من قلبه. ٤ـ قيل: إنّ العبد المؤمن يبعثه الله من قبره فاذاً يتلقاه ملكان اللذان كانا معه في الدّنيا فيقولان له: لاتخف ولاتحزن وأبشر بالجنّة الّتي كنت توعد، فيؤمن الله خوفه ويقرّعينه بما عصمه إلّا وهي للمؤمن قرّة عين لما هداه الله تعالى، ولما كان يعمل في الحياة الدّنيا.

٥ ـ عن إبن عبّاس ومجاهد والسّدى أيضاً وابن زيد: أي تتنزّل عليهم الملائكة عند قبض أرواحهم وليلة الدّفن. ٦ـ قيل: أي تتنزّل عليهم الملائكة في الحياة الدّنيا من ناحية الله تعالى وبأمره يمدّونهم فيما يعن لهم من الامور الدّينيّة والدّنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام أو التّلقين. ٧ـ عن الحسن وثابت وقتادة ومقاتل: أي تتنزّل عليهم الملائكة عند قيامهم وخروجهم من قبورهم في الموقف للبعث والحساب بالبشارة من الله. ٨ـ قيل: أي تتنزّل عليهم الملائكة عند الحساب والجزآء فكتب الله تعالى لهم الأمن من كلّ خوف وغمّ، فلن يذوقوهما أبداً.

٩ـ قيل: أي عند الموت في الدّنيا ويوم القيامة. ١٠ـ قيل: أي في الحياة الدّنيا وعند الموت وفي القبر ويوم القيامة ، أمّا الاولى فتتنزّل من عندالله تعالى بالبشرى الّتي يريدونها من جلب نفع أو دفع ضرّ أو رفع حزن أي بكلّ مايعنّ لهم من الشّئون الدّنيوية والاخروية ممّا يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أنّ الكفّار يغويهم قرنآء السّوء من شياطين الجنّ والإنس بتزيين المعاصي والفواحش وارتكاب الآثام والجرائم ... وأمّا الثّلاثة الأخيرة فبالعيان والمشاهدة.

أقول: والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق إذ تقول الملائكة للمستقيمين: «نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا» ولكن العاشر غير بعيد، فما ورد من الرّوايات في المقام فمن قبيل ذكر بعض المصاديق فافهم ذلك.

وفي قوله جلّ وعلا: «ألّا تخافوا» أقوال: ١ـ عن مجاهد والسّدى وعكرمة: أي أن لاتخافوا ممّا تقدمون عليه من بعد الموت وأمر الآخرة. وذلك أنّ الخوف غمّ يلحق الإنسان لتوقّع المكروه كالعذاب الّذي يخافونه والحرمان من الجنّة الّذي يخشونه والمعنى: لاتخافوا ممّا أمامكم من امور الآخرة. ٢ـ عن زيدبن مسلم: أي يؤتى المؤمن عندالموت،

فيقال له: لاتخف ممّا أنت قادم عليه فيذهب خوفه. ٣ـ عن عكرمة أيضاً: أي لاتخافوا من ضيعتكم وأمامكم. ٤ـ عن ابن‌عبّاس: أي لاتخافوا على ما أمامكم من العذاب والأهوال... ٥ـ قيل: أي لاتخافوا فيما تنتظرون بوقوعه في المستقبل. وذلك أنّ الخوف غمّ يلحق النّفس لتوقّع مكروه في المستقبل. ٦ـ قيل: «ألّا تخافوا» إشارة إلى رفع المضارّ في المآل. ٧ـ قيل: إشارة إلى رفع المضارّ في الحال.

٨ـ قيل: للخوف معان: ١ـ الخوف بمعناه كقوله تعالى: «ألّا خوف عليهم ولاهم يحزنون» آل‌عمران: ١٧٠) و الأعراف: ٥٦) والأحقاف: ١٣) ٢ـ الخوف: الهزيمة والقتل كقوله عزّوجلّ: «وإذا جآءهم أمر من الأمن أو الخوف» النّسآء: ٨٣) أي الهزيمة والقتل. والبقرة: ١٥٥) ٣ـ الخوف: القتال كقوله جلّ وعلا: «فاذا جآء الخوف ـ فاذا ذهب الخوف» الأحزاب: ١٩) أي القتال ٤ـ الخوف: العلم كقوله سبحانه: «فمن خاف من موص جنفاً ـ فان خفتم ألّا يقيما حدود الله» البقرة: ١٨٢ و٢٢٩) والنسآء: ٣ و٣٥ و١٢٨) والأنعام: ٥١) ٥ـ الخوف: النّقص كقوله تعالى: «أو يأخذهم على تخوّف» النّحل: ٤٧) يعني على النّقص. ٩ـ عن مجاهد أيضاً: أي لاتخافوا من الموت ومابعده. ١٠ـ قيل: أي لاتخافوا من عقاب الله تعالى. ١١ـ عن عطآء ابن أبي رباح: أي لاتخافوا ولاتحزنوا على ذنوبكم فانّي أغفرها لكم. ١٢ـ قيل: إنّ الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي وكأنّ المعنى: لاتخافوا فيما يستقبل من الأوقات، ولا تحزنوا على مامضى وهذا نهاية المطلوب. ١٣ـ عن عطآء أيضاً: أي لاتخافوا ردّ ثوابكم فانّه مقبول.

أقول: وعلى الخامس أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله سبحانه «ولاتحزنوا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي ولاتحزنوا على ما خلفتم من أمر دنياكم من ولد ومال وأهل ودين ممّا استخلفكم في ذلك كلّه، ونحن نخلفكم فيه. وذلك أنّ الحزن غمّ يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارّ. والمعنى: ولاتحزنوا على ماورآءكم وعلى ماخلفتموه. ٢ـ قيل: إنّ المؤمن يبشر بصلاح ولده من بعده لتقرّ عينه. ٣ـ قيل: أي ولاتحزنوا على ما خلفتم من خلفكم. ٤ـ عن زيد بن أسلم: أي يؤتى الموت عند الموت، فيقال له: ولاتحزن على الدّنيا ولا على أهلها وأبشر بالجنّة

فيموت، وقد قرّ الله عينه.

٥ ـ قيل: إنّ الحزن إنّما يكون من مكروه واقع وشرّ لازم كالمعاصي والفواحش والآثام الّتي يحزنون من اكتسابها، والحسنات والخيرات الّتي يحزنون لفوتها عنهم، فتطيّب الملائكة أنفسهم أنّهم في أمن من أن يخافوا شيئاً أو يحزنوا الشّئ، فالذّنوب مغفورة لهم والعذاب مصروف عنهم. ٦ـ قيل: الحزن: غمّ يلحق النّفس لفوات نفع في الماضي. والمعنى: ولا تحزنوا فيما فات عنكم من الماضي. ٧ـ قيل: أي لاتحزنوا إشارة إلى رفع المضارّ في الحال. ٨ـ قيل: إشارة إلى رفع المضارّ في المآل. ٩ـ قيل: أي ولا تحزنوا لفوات الثّواب. ١٠ـ عن عطآءٍ وعكرمة: أي ولاتحزنوا على ذنوبكم فانّي أغفرها لكم.

أقول: وعلى السّادس أكثر المحققين.

٣١ ـ (نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون)

في قوله تعالى: «نحن أوليآؤكم ...» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي نحن قرناؤكم الّذين كنّا معكم في الدّنيا، فاذا كان يوم القيامة، قالوا: لانفارقكم حتّى ندخلكم الجنّة. ٢ـ عن السّدى: أي نحن الحفظة لأعمالكم إذ كنّا معكم ونكتبها في الدّنيا، ونحن أوليآؤكم في الآخرة. ٣ـ قيل: هذا من قول الله تعالى دون الملائكة لأنّه عزّوجلّ وليّ المؤمنين ومولاهم في الدّنيا والآخرة: «الله وليّ الّذين آمنوا» البقرة:٢٥٧) «ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١١).

٤ ـ عن ابن عبّاس: أي كنّا نتولّى حفظكم في الدّنيا بأنواع المعونة، وفي الآخرة نتولاّكم بأنواع الإكرام والمثوبة. ٥ـ قيل: أي نحن نحرسكم بحراسة خاصّة ونسدّدكم ونعينكم ونؤيّدكم تأييداً خاصاً في الحياة الدّنيا وعند الموت وفي القبر ويوم القيامة وفي الجنّة. وان المراد بالولاية هنا النّصرة والمحبّة والتسديد والتأييد على ضوء ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمين الّتي هي ولاية الله جلّ وعلا و ولاية رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فهؤلآء الملائكة المسدّدون هم المخصوصون بأهل الولاية، ولهؤلآءِ

الملائكة تأثيرات جليّة وخفيّة في أرواح الّذين استقاموا في الدّين وتصلّبوا في الولاية بالإلهامات الحسنة والخواطر الشّريفة العالية في مختلف المقامات والمكانات حسب القابليات والدّرجات كما أنّ للشّياطين القرنآء للكافرين تأثيرات في قلوب الكافرين بالقاءِ الوساوس والهواجس حسب الدّركات والظّلمات...

وإذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدّنيا بحكم المناسبة النّورية، كانت حين الموت وبعده أقوى وأظهر لزوال العلائق الجسمانية، فكون الملائكة المخصوصين أوليآء للمؤمنين الصّادقين لاينافي كون الله عزّوجلّ هو وليّهم، لأنّ هؤلآء الملائكة وسآئط الرّحمة والكرامة الخاصّة بين الخالق والمؤمنين خاصّة ليس لهم من الأمر شئ، مع أنّ ذكر ولايتهم لهم في الآية الكريمة دون ولايته جلّ وعزّ للمقابلة والمقايسة بين أوليآء الله تعالى وأعدائه إذ قال في حقّ أعدآئه: «وقيّضنا لهم قرناء» فصّلت: ٢٥) وقال في حقّ أوليآئه حكاية عن ملائكته: «نحن أولياؤكم».

وأمّا الملائكة الحرّس بحراسة عامّة، وموكّلوا الأرزاق والآجال وغيرهم فمشتركون بين المؤمن والكافر، وبمعنى الأعم بين الإنسان والحيوان ...

٦ - قيل: أي نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا بالإستغفار، وفي الدّار الآخرة بالشّفاعة.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق، وهو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ...» أقوال: ١- عن ابن زيد: أي ماتشتهي أنفسكم البقآء لأنكم كنتم تشتهون البقآء في الدّنيا. والمعنى: لكم في الجنّة ماكنتم تشتهون من البقآءِ ولكم فيها ماكنتم تتمنّونه من النّعيم. ٢- قيل: أي ولكم في الجنّة ماتشتهي أنفسكم من صنوف اللّذات وأنواع النّعم، ولكم فيها ماتتمنّون وتطلبون. فالجملة الاولى باعتبار شهوات أنفسهم، والثّانية باعتبار مايطلبون سوآء أكان مشتهى لهم أم لا إذ لايلزم أن يكون كلّ مطلوب مشتهى كالفضآئل العلميّة ونحوها.

٣ - قيل: أي ولكم في الجنّة ماتشتهونه وتتمنّونه من المنافع والملاذ حاصلة لكم،

ولكم فيها ماتستدعونه.

٤ ـ قيل: معناه: ماتدعى انّه لك فهو لك بحكم الله لك بذلك. ٥ـ قيل: أصل الشّهوة نزوع النّفس بقوّة من قواها إلى ماتريده تلك القوّة، وتلتذّ به كشهوة النّكاح والطّعام والشّراب، فالشّهوة طلب خاص «ولكم فيها ماتدّعون» أصل الإدّعآء: إفتعال من الدّعآء بمعنى مطلق الطّلب، فيكون أوسع نطاقاً من الشّهوة. في الآية بشارة بأنّ لهم في الآخرة مايمكن أن تتعلّق به شهواتهم من نكاح وأكل شرب، وغيرذلك ممّا هوأوسع نطاقاً من ذلك وأعلى كعباً كما قال تعالى: «لهم مايشآؤن فيها» ق: ٣٥).

٦ ـ قيل: أي ولكم في الجنّة ماتشتهي أنفسكم من اللذآئذ الجسمانية، ولكم فيها ما تدّعون أي ماتتمنّون من اللذآئذ الرّوحانيّة من الدّعآءِ. ٧ ـ قيل: أي لكم فيها ماتشتهون ولكم ما تطلبون جمعاً بين ماتسرّون من طلباتكم وماتعلنون.

أقول: وعلى الخامس أكثر المحقّقين.

٣٢ـ (نزلاً من غفوررحيم)

في قوله تعالى: «نزلاً» أقوال: ١ـ قيل: أي جعل الله لكم رزقاً مهيّئاً. والنّزل: رزق النّزيل وهو الضّيف. ٢ـ قيل: أي ضيافة وإكراماً. ٣ـ قيل: أي أنزلناه نزلاً. ٤ـ قيل: أي لكم ماتدعون نازلين. ٥ـ قيل: أي إنّ هذا الموعود به مع جلالته في نفسه، له جلالة بمعطيه إذ هو عطآء لكم، ورزق يجرى عليكم ممّن يغفر الذّنوب، ويستر العيوب حتّى صار بمنزلة مالم يكن رحمة منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم. ٦ـ عن الحسن: أراد الملائكة أنّ جميع ذلك من الله تعالى وليس منّا. وفي الآية بشارة للمؤمنين بمودّة الملائكة لهم، وبشارة بنيل مشتهياتهم في الجنّة.

٧ ـ قيل: أي أعطاكم ذلك كله ربّكم نزلاً أي كرامة لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم. والمعنى: أنزلكم ربّكم بما تشتهون من النّعيم نزلاً.

٨ ـ عن إبن عبّاس: أي ثواباً وطعاماً وشراباً لكم من غفور لمن تاب، رحيم لمن مات

على التّوبة. ٩ـ قيل: أي لكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلاً من غفور رحيم، قد أعدّه الله لكم، وقد غفر لكم ذنوبكم، وأنزلكم منزل رحمته، ومن نزل هذا المنزل فهو في ضيافة ربّ كريم.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٣٣ـ (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)

في قوله تعالى: «ومن أحسن قولاً» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي ومن أحكم قولاً ممّن دعا إلى الله بالتّوحيد. ٢ـ عن عكرمة: أي ومن أحسن قولاً أن يقول: لا إله إلّا الله. ٣ـ عن قتادة: أي ومن أحسن قولاً أن يقول: إنّني من المسلمين. ٤ـ قيل: أي ومن أحسن دعوة ممّن دعا إلى الله. ٥ـ قيل: إنّ الآية الكريمة عامّة في كلّ من جمع بين الأوصاف الثّلاثة: أن يكون موحّداً معتقداً للحقّ، وعاملاً للخير، وداعياً إليه. ٦ـ قيل: هذا توبيخ للّذين تواصوا باللغو في القرآن. والمعنى: أيّ كلام أحسن من القرآن. ٧ـ قيل: أي كل كلام ذكر فيه التّوحيد والايمان فهو حسن. ٨ـ قيل: إنّ الآية الكريمة تنويه بالمؤمنين الّذين قالوا: ربّنا الله ثمّ استقاموا... فقولهم: ربّنا الله هو أحسن قول نطق به لسان ...

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق، وعليه أكثر المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «ممّن دعا إلى الله» أقوال: ١ـ عن عآئشة بنت أبي بكر: الدّاعي هو المؤذّن. وقالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلّا في المؤذنين.

أقول: إنّ هذه السّورة من السّور النّازلة في أوآئل البعثة ـعلى ماسبق منّا في بحث النّزول ـ لعلّ نطفتها لم تنعقد بعد فضلاً عن كونها زوجة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢ ـ قيل: الدّاعي هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام. ٣ـ عن الحسن وابن زيد والسّدى وابن سيرين: الدّاعي هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو النّاس إلى الله تعالى وعبادته وإلى الإسلام. ٤ـ عن مقاتل: هو جميع الأئمّة الدّعاة إلى الحقّ. ٥ـ قيل: من دعا إلى الله هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة الدّعاة إلى الحقّ القآئمون مقامه صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٦ـ قيل: إنّ المراد بالدّعاء إلى

الله: الإتجاه إلى الله بأنّ يدعو الإنسان نفسه إلى ربّه، وأن يخلص بها من مواقف الضّلال ومجتمع الضّلالة، وهذا مايشير إليه تعالى على لسان إبراهيم: «وقال إنّي ذاهب إلى ربّي سيهدين» الصّافّات: ٩٩).

٧ ـ قيل: إنّ الآية الكريمة عامّة لجميع الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وللدّعاة الصّالحين إلى توحيد الله جلّ وعلا وإلى طاعته، ولا ريب أن مصطفاهم ومقتداهم هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ الأئمّة المعصومون عليهم السّلام القائمون مقامه صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ العلماء العاملون والدّعاة الصّالحون.

أقول: والسّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، وهو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله جلّ وعلا: «وعمل صالحاً» أقوال: ١ ـ عن عائشة قالت: أي ركعتان بين الأذان والإقامة.

أقول: ولايخفى على من له طيب الولادة أنّ هذا من مختلقات عائشة ابنة أبي بكر.

٢ ـ عن عكرمة بن أبي جهل: أي صلّى وصام. ٣ـ عن قتادة: قال: «وعمل صالحاً» هذا عبد صدق قوله عمله، ومولجه ومخرجه وسرّه وعلانيته ومشهده ومغيبه، والمنافق على خلاف ذلك. ٤ ـ عن الكلبي: أي أدّى الفرآئض ... ٥ ـ قيل: أي أدّى الفرآئض مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب ٦ ـ قيل: أي وعمل الأعمال الصّالحة فيما بينه وبين ربّه.

٦ ـ قيل: إنّ في عطف «وعمل صالحاً» على «دعا إلى الله» تنبيهاً إلى أنّ الدّعآء إلى الله وهو الايمان به لايؤتى ثمره الطّيّب إلّا بصالح الأعمال ... فاذا اجتمع الايمان بالله والعمل الصّالح فقد أمسك المؤمن بالخير من طرفيه، واستمسك بالعروة الوثقى من صميمها، وفي هذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن جآئه فسئله عن طريق النّجاة: «قل ربّي الله ثمّ استقم» ٧ـ قيل: العمل الصّالح فعل الطّاعات واجتناب المحرمات ...

أقول: إنّ الآية الكريمة مكّيّة بالإجماع، والأذان مدنيّ، مع أنّ فحوى الآية أوسع

وأشمل من ذلك ، بل هي من أوسع وأشمل مايكون في بابها من حيث التنويه بالمؤمن الصّالح في عمله المسلم نفسه لله جلّ وعلا الدّاعي غيره إلى مثل ذلك .

وفي قوله سبحانه: «وقال إنّني من المسلمين» أقوال: ١ـ قيل: أي وجعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده، بأن يتخذ الإسلام ديناً ويخلص إلى ربّه. من قولهم: هذا قول فلان أي مذهبه ومعتقده. ٢ـ قيل: أي أراد به التّلفّظ به تفاخراً وابتهاجاً بالاسلام وبأنّه من المسلمين وتمدّحاً به مع قصد الثّواب. ٣ـ قيل: أي إنّني من جملة المسلمين كما قال إبراهيم عليه السّلام : «وأنا أوّل المسلمين» الأنعام: ١٦٣) ٤ ـ قيل: أي وأسلم النّفس إليه تعالى وخضع لديه. ٥ـ قيل: إنّ الجملة تشير إلى أنّ ثمرة الايمان بالله تعالى والعمل الصّالح إنّما تظهر آثارها في المجتمع الإنساني، وفي العطآء والأخذ بين النّاس، فالايمان وصالح الأعمال إذا أمسك بهما إنسان ثمّ عاش بهما في نفسه، منعزلاً عن النّاس، منقطعاً عن الحياة، فذلك إنسان قد عطل الخير الكثير الّذي معه، وأمسك به عن أن ينمو ويزدهر في مزرعة الحياة، وخير منه ذلك الإنسان الّذي يعيش بايمانه وبعمله الصّالح مع النّاس، فيتبادل معهم الخير الّذي يخصب وينمو بهذا التبادل، وهذا ماتشير إليه الآية التّالية. ٦ـ قيل: أي وقال مع ذلك : إنّني من المسلمين الّذين استسلموا لأمرالله وانقادوا إلى طاعته.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٣٤ ـ (ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة إدفع بالّتي هي أحسن فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم)

في قوله تعالى: «ولا تستوى الحسنة ولا السّيّئة» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: الحسنة: لا إله إلّا الله والسّيّئة: الشّرك بالله. ٢ـ قيل: أي لايستوي ما أنت عليه من التّوحيد، وما عليه المشركون من الشرك ، فكما لايمكن المقايسة بينها لا تمكن المقايسة بين داعيها. ٣ـ قيل: الحسنة: الطّاعة، والسّيّئة: الشّرك . ٤ـ قيل: الحسنة: المداراة والسّيّئة: الغلظة. فأدّب الله تعالى عباده بهذا الأدب. فالمعنى: دارالقوم يا محمّد صلّى الله

عليه وآله وسلّم ولا تغلظ عليهم حتّى كأنّ عدوّك الّذي يعاديك في الدّين بصورة وليّك من حسن عشرتك له وبشرتك له، ويدعوذلك أيضاً عدوّك إلى أن يصير لك كالوليّ الحميم.

٥ ـ قيل: الحسنة: العفو، والسّيّئة: الإنتصار.

٦ ـ عن الضّحّاك : الحسنة: العلم، والسّيّئة: الفحش. ٧ـ قيل: الحسنة العلم والسّيّئة: الجهل. ٨ـ قيل: الحسنة حبّ آل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والسّيّئة بغضهم. ٩ـ قيل: الحسنة الأئمّة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام، والسّيّئة بنو اميّة لعنهم الله. ١٠ـ قيل: الحسنة: الولاية لأهل بيت الوحي عليهم السّلام والسّيّئة عداوتهم. ١١ـ قيل: أي لا تستوى الملّة الحسنة الّتي هي الإسلام، والملّة السّيّئة الّتي هي الكفر. ١٢ـ قيل: الحسنة: كلّما حسن عند الشّرع من الاصول والفروع، وممّا يتعلّق بالعقائد والأقوال والأفعال... والسّيّئة خلاف ذلك مما هو قبيح في الشّريعة الإسلاميّة.

١٣ ـ قيل: الحسنة هي الّتي يرضى الله تعالى بها، ويثيب عليها، والسّيّئة هي الّتي يكرهها الله تعالى ويعاقب عليها، فلا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطّاعات، ولا السّيّئة بنوع من أنواع المعاصي، فانّ اللّفظ أوسع من ذلك. ١٤ـ قيل: أي لا تستوى الأعمال الحسنة ولا الأعمال القبيحة فانّهما متفاوتتان في أنفسهما. ١٥ـ قيل: أي لا تستوى الخصلة الحسنة والسّيّئة،فلا يستوى الصّبر والغضب، والحلم والجهل، والمداراة والغلظة والعفو والإساءة. ١٦ـ قيل: الحسنة: التّقيّة الّتي لم توجب إضاعة الدّين وأحكامه، والسّيئة: الإذاعة الّتي توجب قتل النّفس المحترمة ...

١٧ ـ قيل: أي ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة في جزئياتها لأنّ بعضها فوق بعض.

١٨ـ قيل: أي لا تستوي حسنة الّذين قالوا: ربّنا الله ثمّ استقاموا فأحسنوا في قولهم وإجابتهم ربّهم إلى مادعاهم إليه من طاعته، ودعوا عبادالله إلى مثل الّذي أجابوا ربّهم إليه، وسيّئة الّذين قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون. ١٩ـ قيل: أي لا تستوي منازل المؤمنين وأحوالهم في الجنّة، ومنازل الكافرين وأحوالهم في النّار. ٢٠ـ

قيل: أي لايستوي الايمان بالله والعمل بطاعته، والكفر بالله ومعصيته ولا يستوى الحلم واللطف ولا الغضب والعنف. ٢١- قيل: الحسنة التّوجّه إلى الله تعالى بصدق الطّلب، ولا السّيّئة: الإلتفات إلى غيره.

٢٢- عن ابن عبّاس أيضاً: لا تستوي الدّعوة إلى التّوحيد من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا الدّعوة إلى الشّرك من أبي جهل. وذلك ان التّوحيد والشرك خطّان متعاكسان. ٢٣- قيل: إنّ كلمتي الحسنة والسّيّئة تتناولان الأفعال والأقوال معاً. ٢٤- قيل: أي لا تستوي الخصلة الحسنة والسّيّئة من حيث حسن التّأثير وسوئه في النّفوس، فلا تتماثلان. ٢٥- قيل: أي لا تستوي دعوة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الدّين الحقّ بالطّرق المثلى والصّبر على سفاهة الكفّار وترك الإنتقام منهم، وما أظهروه من الغلظة والفظاظة في قولهم: «قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه- لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» فصّلت: ٥- ٢٦).

ففعلك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم حسنة، وفعلهم سيّئة، فاذا أتيت بهذه الحسنة استحققت التّعظيم في الدّنيا والمثوبة في الآخرة وهم بضدّ ذلك، فلا ينبغي أن يكون إقدامهم على السّيّئة مانعاً من الإشتغال بالحسنة. ٢٦- قيل: أي ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة في الجزآء وحسن العاقبة. ٢٧- قيل: أي لايستوي جنس الحسنة بأفرادها، بأن لا تستوى أفراد الحسنة في الحسن، فانّ للحسنات درجات، فبعضها حسن وبعضها أحسن، كما أنّ للسّيّئات دركات، فبعضها سوء وبعضها أسوأ، فالنّفي راجع إلى نفي الإستوآء بين أفراد الحسنة والسّيّئة لابين جنسهما، وإن كان نفي الإستوآء بينهما بطريق أولى. ٢٨- قيل: أي لايستوي قبيل الحسنة والسّيّئة ولا مصاديقهما، فلا تستوي الحسنة في أفرادها، ولا السّيّئة في أفرادها، فكما لايستوي جنس الحسنة مع جنس السّيّئة، لا تستوي أفرادهما في الحسن والسّوء.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، ولكن التّعميم هو الأوجه بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «إدفع بالّتي هي أحسن» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي إدفع

بحلمك جهل من يجهل عليك . ٢- عن ابن عبّاس أيضاً: أي الرّجل يسبّ الرّجل، فيقول الآخر: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفرالله لك . ٣-عن ابن عبّاس أيضاً ومجاهد وعطاء: أي إدفع بالسّلام إذا لقي من يعاديه، وأحسن من أسآء إليك إسآئته. ٤- قيل: أى إدفع بالمصافحة من أسآء إليك كما ورد: «تصافحوا يذهب الغلّ» ٥- قيل: إدفع الإساءة بالسّكوت عنها.

قال الشّاعر:

وللكفّ عن شتم اللئيم تكرّماً أضرّ له من شتمه حين يشتم

وقال آخر:

وما شيئٌ أحبّ إلى سفيه إذا سبّ الكريم من الجواب

متاركة السّفيه بلا جواب أشدّ على السّفيه من السّباب

وقال محمود الورّاق:

سألزم نفسي الصّفح عن كلّ مذنب وإن كثرت منه لديّ الجرآئم

فما النّاس إلّا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأمّا الّذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحقّ والحقّ لازم

وأمّا الّذي دوني فان قال صُنت عن إجابته عرضي وإن لام لآئم

وأمّا الّذي مثلي فان زلّ أوهفا تفضّلت إنّ الفضل بالحكم حاكم

٦ - قيل: خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أي إدفع بحقّك باطلهم، وبحلمك جهلهم، وبعفوك إسائتهم، وبصبرك مكروه ماتجد منهم، ويلقاك من قبلهم، فادفع إسآئتهم بالحسنة الّتي هي أحسن من إسآئتهم. ٧- عن ابن عبّاس أيضاً: إنّ الله تعالى أمر المؤمنين بالصّبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإسآءة، فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشّيطان، وخضع لهم عدوّهم كأنّه وليّ حميم. ٨- قيل: أي فخذ بالحسنة الّتي هي أحسن من اختها إذا اعترضتك حسنتان،فادفع بها السّيّئة الواردة عليك من بعض أعدآءك ومثال ذلك أنّ الحسنة أن تعفو عنه، والّتي هي أحسن أن تحسن إليه في مقابلة إسآئته، مثل أن يذمّك ، فتمدحه فانّك إذا فعلت ذلك صار الّذي

هوعدوّك المناوي مثل الوليّ الحميم المناسب المصافي.

٩ - عن إبن عبّاس أيضاً: أي إدفع يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الشّرك من أبي جهل أن يفتنك بلا إله إلّا الله. ١٠- قيل: إنّ الخطاب موجّه للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أي إدفع السّيّئة من أبي جهل عن نفسك بالّتي هي أحسن بالكلام الحسن والسّلام واللطف. ١١- قيل: إنّ الخطاب موجّه للسّامع وبخاصّة للسّامع المسلم لأنّ الخطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم شامل لكلّ مسلم. ١٢- قيل: أي إدفع بالخصلة الّتي هي أحسن الخصلة السّيّئة الّتي تقابلها وتضادّها، فادفع بالحقّ الّذي عندك باطلهم لابباطل لاباطل آخر، وبحلمك جهلهم، وبعفوك إسآئتهم وهكذا .. فادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطّريق الّتي هي أحسن الطّرق بأن تقابل إسآئتهم بالإحسان إليهم والذّنب بالعفو، والغضب بالصّبر والإغضآء عن الهفوات واحتمال المكاره، فانك إن صبرت على سوء أخلاقهم مرّة بعد اخرى، ولم تقابلهم سفههم بالغضب، ولا أذاهم بمثله، استحيوا من ذميم أخلاقهم وتركوا قبيح أفعالهم وسوء أقوالهم وإنحطاط أفكارهم ... ١٣- قيل: إنّ المُراد بالأحسن: الزّائد مطلقاً. ١٤- قيل: أي بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات. ١٥- قيل: أي إدفع السّيّئة بالحسنة الّتي هي أحسن من العفو والمكافات... وتلك الحسنة هي الإحسان في مقابل الإسآئة، ومعنى التفضيل حينئذ بحاله لأنّ كلاً من العفو والمكافات أيضاً حسنة إلّا أنّ الإحسان أحسن منها.

١٦ -قيل: لاينحصر دفع السّيّئة بالحسنة، بل قد تدفع السّيّئة بالحسنة، وقد تدفع السّيّئة بسيّئة مثلها لقوله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» البقرة: ١٩٤) كما أنّ «جزآء سيّئة سيّئة مثلها» الشّورى: ٤٠) فانّ المعاند اللجوج والمكذّب العنود الّذي لايرجى هداه ولا تصد هواه لا تدفع سيّئته بحسنة، فالعفو في موضع الإصلاح دفع للسّيّئة بالحسنة ودرء لها: «ويدرؤن بالحسنة السّيّئة» الرّعد: ٢٢) وأمّا العفو فيما لايصلح، بل ويفسد فهوسيّئة بدل كونها حسنة، فـ«لا تستوى الحسنة» في مواردها وكذلك السّيّئة الّتي تدفع بحسنة، والّتي تدرء بأيّة حسنة «لا تستوى السّيّئة» كذلك في مواردها... فـ «جزآء سيّئة سيّئة مثلها» لا تعمّ مواردها لإختلاف السّيّئات

... كما أنّ قوله تعالى: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» الشّورى: ٤٠) لايعمّ لإختلاف الحسنات ... فالسّيئة الّتي تـدفع بحسنة خير من حسنة لا تـدفع سيئة بل وتزيدها ، فلأنّه «لا تستوي الحسنة ولا السّيّئة» فـ «ادفع بالّتي هـي أحسن» ما أمكـن الدّفع ، وإلاّ «فعاقبوا بمثل ماعوقبتم بـه» النّحل: ١٢٦).

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق فافهم ذلك .

وفي قوله جلّ وعلا: «كأنّه وليّ حميم» أقوال: ١ـ قيل: أي قريب صديق في محبّته. عن ابن عبّاس قـال: إنّ الله أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الآية بالصّبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فـاذا فعل النّاس ذلك عصمهم الله من الشّيطان وخضع لهم عدوّهم.

٢ ـ قيل: معناه: إنك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوّك الّذي يعاديك في الدّين بصورة وليّك القريب، فكأنّه وليّك في الدّين وحميمك في النّسب. ٣ـ قيل: أي إفعل هذا الّذي أمرتك به يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من دفع سيّئة المسيئ إليك بإحسانك الّذي أمرتك به إليه، فيصير المسيئ إليك الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه من ملاطفته إيّاك ، وبرّه لك ، وليّ لك من بني أعمامك قريب النّسب بك ، فاذا فعلت ذلك انقلب عدوّك وليّاً مصافياً.

٤ ـ قيل: أي وليّ رقيب. ٥ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي فاذا دفعت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إساءة أبي جهل بالكلام الحسن والسّلام واللطف، صار الّذي بينك وبينه عداوة في الدّين وهو أبوجهل كأنّه وليّ في الدّين، حميم أي قريب في النّسب. ٦ـ قيل: أي كأنّه وليّ شفيق. والمعنى: إذا دفعت السّيّئة بالخصلة الحسنة فاجأك أنّ عدوّك صار كأنّه وليّ شفيق. ٧ـ قيل: أي من أساء إليك فأحسن إليه ليعود عدوّك وليّك ، وكأنّه حميمك . والحميم: القريب الّذي يحم لغضب صاحبه. ٨ـ قيل: أي إنّك إن فعلت ذلك إنقلبوا من العداوة إلى المحبّة ومن البغض إلى المودّة.

٩ ـ قيل: إنّ المراد بالّتي هي أحسن، دفع السّيّئة وإن بقيت العدآء في باطن العدوّ ولذلك قال تعالى: «كأنّه وليّ حميم» ينذفع عن ظاهر عدآئه وايذآئه كوليّ حميم، فليس

«أنّه وليّ حميم» وإن كان يمكن أن يدفعه إلى مرحلة «وليّ حميم» فانّ للإصلاح درجات كما أنّ للإفساد دركات ... فاذا دفعت بالأحسن، بالفعل ينقلب الهياج والغضب إلى وداعة وسكينة، والتّبجّح إلى حيآء ولينة، وأنت لم تدفع إلاّ بكلمة طيّبة ونبرة هادئة وبسمة حانية، أماهيه من الّتي هي أحسن فحسب مايقتضيه علاج الواقعة، فطريقة مثلى وحكمة عليا تدفع واقع السّوء بها، وقليلاً مايظلّ الأعدآء على عدآئهم تجاه هذا الخلق العظيم، إلاّ أن يكون عدآءً عريقاً عميقاً ممّن لايرجى ولايته ولاحمته على أيّة حال.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق.

٣٥ـ (ومايلقّاها إلاّ الّذين صبروا ومايلقّاها إلاّ ذوحظّ عظيم)

في قوله تعالى: «وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا» أقوال: ١ـ قيل: أي وما يلقّى الجنّة إلاّ الّذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه. ٢ـ قيل: أي وما يلقّى هذه الفعلة ولا يؤتى هذه الحالة الّتي هي دفع السّيّئة بالحسنة إلاّ الّذين صبروا في الدّنيا على الأذى. ٣ـ قيل: أي لايعمل بها إلاّ كلّ صبّار على تجرّع المكاره وتحمّل الشدآئد والمصآئب. ٤ـ قيل: أي ومايعطى فضيلة دفع السّيّئة بالحسنة إلاّ الّذين صبروا صبر الأقويآء الأحرار. ٥ـ عن ابن عبّاس: أي وما يلق الجنّة في الدّار الآخرة إلاّ الّذين صبروا على المرازي وأذى الأعدآء في الدّنيا.

٦ ـ عن الحسن: قال: والله لايصيبها صاحبها حتّى يكظم غيظاً ويصفح عن بعض مايكره. ٧ـ قيل: أي وما يوفّق لدفع السّيّئة بالحسنة إلاّ الّذين صبروا على حبس النّفس عن الإنتقام، وعلى تحمّل المكاره وتجرّع الشّدآئد، وعلى كظم الغيظ، فانّ ذلك يشقّ على النّفوس، ويصعب إحتماله في مجرى العادة إلاّ من عصمه الله تعالى. ٨ـ قيل: أي وما يلقى هذه الكلمة وما يقبل هذه الوصيّة إلاّ الصّابرون. ٩ـ قيل: أي وما يلقى البشرى بالجنّة والأمان من العذاب إلاّ الّذين صبروا على طاعة الله تعالى والجهاد في دينه، وقد لقى الله تعالى جميع الخلق مثل مالقى مَن صبر، غير أنّ فيهم من لم يتلقّه كما يتلقّاه من

صبروا وقبلوا ما أمرهم تعالى به. ١٠ـ قيل: أي وما يتّصف بها وما يكون عليها وما ينال بها إلاّ الّذين تجملوا بالصّبر وضبط النّفس.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «ذوحظّ عظيم» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي ذو نصيب وافر من الخير كمال الخير. ٢ـ عن قتادة ومجاهد: الحظّ العظيم: الجنّة. وقال الحسن: والله ما عظم حظّ قطّ دون الجنّة. ٣ـ قيل: أي ذو نصيب وافر من الرّأي والعقل. ٤ـ قيل: أي ذونصيب عظيم من الثّواب الجزيل والخير الكثير. ٥ـ قيل: أي وما يلقّى هذه الخصلة إلاّ من وجبت له الجنّة. ٦ـ قيل: أي وما يلقّاها إلاّ كلّ ذي حظّ عظيم.

٧ـ قيل: أي مَن له قوّة جوهر النّفس النّاطقة بحيث لايتأثّر من الواردات الخارجية.

٨ـ عن السّدى: أي ذونصيب وجدّله سابق في المبرّات عظيم ٩ـ قيل: أي ذوحظّ عظيم من الفضآئل والمكارم. ١٠ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي ذوثواب وافر في الجنّة. ١١ـ قيل: أي ذوحظّ عظيم من كمال النّفس. ١٢ـ قيل: أي وما يتقبّلها إلاّ ذونصيب وافر من السّعادة في الدّنيا والآخرة. ١٣ـ قيل: أي ذوحظّ عظيم من كرم الخلق العظيم.

أقول: إنّ النكرة في سياق النفي تفيد العموم فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٣٦ـ (وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي وإن يصبك من الشّيطان وسوسة بالجفآء عند جفآء أبي جهل، فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم لأنّه تعالى هو السّميع لمقالة أبي جهل، العليم بعقوبته. ٢ـ قيل: أي إذا رأيت منكراً من سفيه أو معصية من فاسق، وغضبت لله فلا يذهبنّ الغضب بحلمك فاصبر واستعذ بالله، وخاطبه بالحسنى، عسى أن يستجيب لك، لأنّه هو السّميع باستعاذتك العليم بوسوسة الشّيطان. ٣ـ قيل: أي وإن صرفك الشّيطان عمّا امرت و وصّيت به من الدّفع بالّتي هي أحسن فاستعذ بالله من شرّه ولا تطعه. ٤ـ عن ابن زيد: أي وإما ينزغنك من الشّيطان نزغ أي غضب.

٥ـ قيل: أي وإمّا يلقينّ الشّيطان يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في نفسك وسوسة

من حديث النّفس إرادة حملك على مجازاة المسيئ بالإسآءة ودعائك إلى مسآئته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته إنّ هو السّميع لإستغاذتك منه، واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك ، العليم بما ألق في نفسك من نزغاته وحدثتك به نفسك ، وممّا يذهب ذلك من قلبك وغير ذلك من امورك وامور خلقه، وما قصدت من صلاح ونويت من احسان، وذلك أنّ من شياطين الإنس من يفعل مثل هذا، فيصرف عن الدّفع بالّتي هي أحسن، فيقول لك: إنّ فلاناً عدوّك الّذي فعل بك كيت وكيت، فانتهز الفرصة، وخذ ثأرك منه لتعظم في عينه وأعين النّاس، ولا يظننّ فيك العجز وقلّة الهمّة وعدم المبالاة ... وما إليها من العبارات المثيرة للغضب الّتي ربّما لاتخطر ببال شياطين الجنّ. ٦ ـ قيل: أي وإن يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف فاستعذ بالله يدفعه عنك انّه هو السّميع للقول، العليم بالفعل.

٧ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي إن يصبك من الشّيطان وسوسة وريب فامتنع بالله من وسوسته انّه هو السّميع باستعاذتك ، العليم بوسوسته. ٨ـ عن ابن عبّاس أيضاً: إن عرُض لك من الشّيطان عارض، أى إن نالك من الشّيطان وسوسة أو نخسة في القلب بما يسوّل للإنسان، فادع الله أن يعصمك من شرّه فانّه تعالى هو السّميع لدعائك العليم بما عرض لك . وانّ النّزغ هو أوّل الوسوسة، والمسّ لايكون إلّا بعد التمكّن.

٩ ـ قيل: أي وإن منعك الشّيطان عن شي ءٍ ممّا أمرتك من هذه الأشيآء سل الله تعالى أن يعيذك منه إنّه هو السّميع للمسموعات، العليم بالخفيّات.

١٠ ـ قيل: أي وإمّا يغضبنّك من الشّيطان غضب يصدّك عن مقابلة الإسآءة بالإحسان، ويحملك على مجازاة المسيئين فاستجر بالله الّذي تستعيذه به من نزغ الشّيطان لأنّه هو السّميع لإسآئه المسيئين ولإستعاذتك به من نزغ الشّيطان ولغير ذلك من كلام خلقه لايخفى عليه منه شئ، العليم بما يذهب عنك نزغ الشّيطان وغير ذلك من امور خلقه. وأصل النّزغ: الدّخول في أمر لإفساده، يقال: نزغ الشّيطان: إذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض، فيدخل الشّيطان في كلّ أمر صالح ليفسده أو يصرف من أراده عن إتيانه فاذاً «فاستعذ بالله» من نزغه لانّه تعالى هو السّميع لاستعاذتك

ودعآئك ونداءك ، العليم حاجتك .

١١ ـ قيل: النّزغ هو الإزعاج بالحركة إلى الشّرّ، وأكثر مايكون ذلك عند الغضب، ونزغ الشّيطان وسوسته في القلب بما يسوّل للإنسان من المعاصي والفواحش ... وعلاجه ودفعه إنّما يكون بالإستعاذة وهي إستخلاص عن حول الإنسان وقوّته إلى حول الرّحمن وقوّته، والإعراض عن مقتضى الطّبع والإقبال على أوامر الشّرع.

١٢ـ عن الزّجاج: النّزغ: أدنى حركة تكون، ومن الشّيطان أدنى وسوسة. ١٣ـ قيل: النّزغ: الإغوآء والإغرآء والإضلال. والمعنى: إذا حاول الشّيطان أن يوسوسك بسوء ليحول بينك وبين فعل الخير أو يدفعك إلى الشّرّ، ويثير فيك الغضب والنزق، فسارع إلى الإستعاذة منه بالله السّميع العليم.

١٤ ـ قيل: النّزغ: المسّ والنخس، ويراد به مايكون من لمّة يدخل بها الشّيطان على الإنسان ليعدبه عن سوآء السّبيل. ١٥ ـ قيل: النّزغ: النّخس وهو غرز جنب الدّابّة أو مؤخّرها بقضيب ونحوه ليهيّج، والنّازع هو الشّيطان أو تسويله و وسوسته، والأوّل هو الأنسب لمقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ لا سبيل إليه للشّيطان بالوسوسة، وإن كان يمكن أن يقلّب له الأمور بالوسوسة على المدعوّين من أهل الكفر والجحود فيبالغوا في جحودهم و مشاقّتهم وإيذائهم له صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا يؤثّر فيهم الدّفع بالأحسن، ويؤل هذا إلى نزغ من الشّيطان بتشديد العداوة في البين كما في قوله تعالى: «من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي» يوسف: ١٠٠) وقال عزّوجلّ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشّيطان في امنيّته فينسخ الله ما يلقي الشّيطان» الحجّ: ٥٢).

ولوكان النّزغ بمعنى التسويل والوسوسة لكان المتعيّن حمله على مطلق الدّستور تتميماً للأمر وهو بوجه من باب «إيّاك أعني واسمعي يا جاره».

١٦ ـ قيل: أي وإن يصيبنّك ويعرض لك عند الغضب وسوسة بما لايحلّ، اطلب النّجاة من ذلك بالله، واستعذ بالله من شرّه وكيده انّه هو السّميع لاستعاذتك ، العليم بأفعالك وأقوالك ... إنّ الخطاب وإن كان للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّ

المعنيّ للنّاس كقوله سبحانه: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين» الزّمر: ٦٥) وقوله جلّ وعلا: «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله» الأنعام: ١١٦) وقوله عزّوجلّ: «ولئن اتبعت أهوآءهم بعد الّذي جآءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير ـ ولئن اتبعت أهوآءهم من بعد ماجآءك من العلم إنّك إذاً لمن الظّالمين» البقرة: ١٢٠ و١٤٥) ونظآئر الآية كثيرة في القرآن الكريم.

إنّ الله تعالى أمر عباده أن يدفعوا الوسوسة والإغواء بالإلتجآء إليه جلّ وعلا والإستعاذة به، ولله المثل الأعلى، فلا يستعاذ من الكلاب إلّا بربّ الكلاب. وقد حكي عن بعض السّلف أنّه قال لتلميذه: ما تصنع بالشّيطان إذا سوّل لك الخطايا؟ قال اجاهده، قال: فان عاد؟ قال: اجاهده قال: فان عاد؟ قال: اجاهده قال: هذا يطول، أرأيت لومررت بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور ماتصنع؟ قال: اكابده وأردّه جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك.

فالمعنى: فالتجئوا عبادي بالله جلّ وعلا من نزغ الشّيطان وتسويلاته و وساوسه فانّه تعالى يعصمكم من كيده وشره ونزغاته... لأنّ الله عزّجلّ هو السّميع لمسئلتكم وأقوالكم، العليم بأحوالكم وأفعالكم وضمآئركم وبما في صدوركم...

أقول: وعلى السّادس عشر جمهور المحقّقين من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فافهم ذلك ولا تغفل.

٣٧ ـ (ومن آياته الليل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون)

قوله تعالى: «لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر» نهي عن عبادة هذين الكوكبين: الشّمس والقمر، وفي تخصيصهما بالذّكر أقوال: ١ ـ قيل: لأن المجوس والصابئين يعبدونهما، ففي التخصيص ردّ عليهم. ٢ ـ قيل: لأنهما أظهر الكواكب السّماوية، وأكثرها أثراً في العالم الأرضي، فهما بهذا السّلطان قد فتنا كثيراً من النّاس حتّى لقد اتّخذهما بعض الشّعوب آلهة يعبدونها من دون الله تعالى في صور وأشكال شتّى من المراسم والطقوس. ٣ ـ قيل: إنّ هذا

يشير إلى عقيدة من عقائد العرب الجاهلية إذ كانت طائفة منهم يعبدون القمر، وطائفة منهم يعبدون الشّمس وكانو يصنعون تمثالاً لها ويضعونها في بيت خاص، ويشير إلى أنّ عبادة الشّمس والقمر كانت ممارسة في زمن النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم عند بعض القبآئل العربية. ٤ ـ قيل: لكثرة مضافعها يمكن أن يعبدها الإنسان فمنعه الله تعالى لذلك.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

وفي قوله عزّوجلّ: «خلقهنّ» أقوال: ١ـ قيل: إنّ ضمير جمع التأنيث راجع إلى اللّيل والنّهار والشّمس والقمر، وهذه الآيات الأربع بعض آيات الله الدّالة على توحّده في الوهيّته، وتفرّده على ربوبيّته. ٢ـ عن الزّجّاج: راجع إلى معنى الآيات ... تقديره: الّذي خلق هذه الآيات، ومن الآيات: الليل والنّهار والشّمس والقمر. وقد انّث الضّمير على جمع التّكثير ولم يجرِ على طريق التغليب للمذكّر على المؤنّث لأنّ ذلك قياس مع العقلآء وهذا فيما لا يعقل، وإنّ ضمير مالا يعقل على لفظ التّأنيث.

٣ ـ قيل: راجع إلى الشّمس والقمر خاصّة لأنّ الإ ثنين جمع، وفي عود الضّمير على الشّمس والقمر جمعاً للمؤنّث العاقل وجوه:

أحدهاـ إشارة ضمنيّة إلى النّهي عن عبادة اللّيل والنّهار لأنّ النّهي عن عبادة الشّمس والقمر يتضمّن ـ من باب أولى ـ النّهي عن عبادة اللّيل والنّهار إذ كان اللّيل والنّهار من مواليد الشّمس، فهذا أشبه بالمخلوقين التّابعين لهما، فاذا وقع النّهي على عبادتهما، شمل ذلك النّهي عن عبادة توابعهما، ولذا جآء الضّمير جمعاً.

ثانيها ـ إشارة إلى أنّ هذه المخلوقات الأربع: اللّيل والنّهار والشّمس والقمر، وإن بدت جماداً صامتاً في نظر الإنسان، فانّها عند الله عزّوجلّ تسمع وتبصر وتعقل، وتتلقّى أمر الله تعالى وتستجيب له في ولآء مطلق كالسّمآء والأرض: «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين» فصّلت: ١١) ولذلك جآء الضّمير للعقلآء.

ثالثها ـ إشارة إلى أنّ هذه العوالم من اللّيل والنّهار والشّمس والقمر وإن بدت ذات سلطان قآئم على النّاس إلّا أنّها إلى جانب قدرة الله جلّ وعلا مستسلمة لا تملك من أمرها شيئاً، ولهذا لبست ثوب الأنوثة الّذي يدلّ غالباً على الضّعف جسماً وروحاً.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله جلّ وعلا: «إن كنتم إيّاه تعبدون» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي إن كنتم تريدون عبادة الله فلا تعبدوا الشّمس والقمر ولكن اعبدوا الله الّذي خلقهما.

٢- قيل: أي إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله فوجّهوا العبادة إليه تعالى دون الشّمس والقمر.

٣- قيل: في الجملة إشارة إلى أنّ إخلاص العبادة لله وحده هو الّذي يعتبر عبادة مقبولة، أمّا أن يُعبَدالله في صورة هذه المخلوقات أو أن تعبد معه هذه المخلوقات تقرّباً بها إليه فهذا ليس من عبادة الله في شيء. ٤- قيل: أي إن كنتم تريدون بعبادة الشّمس والقمر عبادة الله فلا تعبدوهما فانّ عبادة الله في ترك عبادتها، فانّهما مخلوقان من مخلوقاته فلا يصحّ أن يكونا شريكين في الوهيته وربوبيّته.

أقول: والمعاني متقارب فلا تغفل.

٣٨- (فان استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لايسأمون)

في قوله تعالى: «فان استكبروا» أقوال: ١- قيل: أي فان استكبر النّاس كلّهم عن الايمان بالله، وتعظّموا عن العبادة لله وحده وتكبّروا عن السّجود له. ٢- قيل: وإن أصرّ عبدة الكواكب على الشّرك وأبوا إلّا أن يسجدوا لها فانّ الله تعالى غنيّ عنهم وعن عبادتهم فلا يعبأ بهم. ٣- قيل: أي فان استكبر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء الّذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظّموا عن أن يسجدوا لله الّذي خلقهم وخلق اللّيل والنّهار والشّمس والقمر. ٤- قيل: أي فان استكبر مشركو جزيرة العرب من قريش وغيرهم عن قبول قولك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في النّهي عن السّجود للشّمس والقمر. ٥- قيل: أي فان استكبر الكفار والمشركون من الجزيرة العربيّة ومن حولها عن الإمتثال، وتكبّروا عن توجيه العبادة إلى الله تعالى وأبوا إلّا عبادة الأصنام والأوثان والطّواغيت... في كلّ ظرف من الظّروف.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، وسياق الإلتفات من الخطاب إلى

الغيبة فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «فالّذين عند ربّك» أقوال: عن ابن عبّاس: أي وعند ربك عباد من الملائكة الّذين في حضرة قدسه، وهم خير منهم لايستكبرون عن عباده. ٢ـ قيل: هم غير الملائكة من السّابقين المقرّبين. ٣ـ قيل: هم الملائكة وغيرهم من المخلصين من عباد الله من الإنس والجانّ. والمراد بالعنديّة هي قرب المنزلة والكرامة والزلفى والشّرف والرّتبة. ٤ـ قيل: هم الملائكة المقرّبون خاصّة حافّين حول العرش.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣٩ـ (ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير)

في قوله تعالى: «ترى الأرض خاشعة» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدى: أي غبرآء دارسة متهشّمة. ٢ـ قيل: أي ميتة يابسة متطامنة لانبات فيها. قال الأزهرى: إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل: قد خشعت. ٣ـ قيل: أي جدبة لانبات لها. يقال: بلدة خاشعة: أي مغبرة لامنزل بها، ومكان خاشع: لاساكن فيه. أصل الخشوع: التذلّل، فاستعير للأرض الّتي لاخضرة بها ولانفع فيها كما وصفها بالهمود. قال الله تعالى: «وترى الأرض هامدة» الحجّ:٥) والمعنى: كان حالها حال الخاضع المتواضع. ٤ـ عن إبن عبّاس: أي ذليلة منكسرة ميتة. ٥ـ قيل: أي جافّة. ٦ـ قيل: أي جامدة.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المحققين الادبآء، وغيره من لوازم المعنى وآثاره...

وفي قوله عزّوجلّ: «اهتزّت» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي تحرّكت بالنّبات. يقال: إهتزّ الإنسان أي تحرّك قيل: الإهتزاز هو التحرّك الشّديد، والرّبو: النشؤو النماء والعلوّ، وإهتزاز الأرض وربوها: تحرّكها بنباتها وارتفاعها. ٢ـ عن ابن عبّاس: أي استبشرت بالمطر. وذلك أنّ الأرض إذا انشقّت بالنّبات وصفت بالضّحك، فيجوز وصفها بالاستبشار أيضاً. ٣ـ قيل: أي اهتزّت بالنّبات.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

وفي قوله جلّ وعلا: «وربت» أقوال: ١ـ عن الزّجّاج: أي إرتفعت فربوها: إرتفاعها، ويقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية. ٢ـ قيل: أي نمت وزادت. ٣ـ عن ابن عبّاس: أي كثر نباتها. ٤ـ عن مجاهد والسّدى: أي انتفخت وعلت قبل أن تنبت أي تصعّدت عن النّبات بعد موتها. وعلى هذا التّقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزّت. والإهتزاز والرّبو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النّبات إلى وجه الأرض. ٥ـ قيل: إنّ الإهتزاز والرّبو واحد وهي حالة خروج النّبات وإنّ النّبات يتحرّك للبروز ثمّ يزداد في جسمه بالكبر طولاً وعرضاً.

٦ـ عن الكلبي: أي ربت بكثرة ريعها. ٧ـ قيل: أي انتفخت حين يهم النّبت بالخروج منها كانت بمنزلة المختال في زيّه وهي قبل ذلك كالفقير الكاسف البال المتلبّس بثوب أطمار. ٨ـ عن مجاهد أيضاً: أي إرتعشت قبل أن تنبت.

أقول: وعلى السّابع أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأخر.

٤٠ ـ (إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير)

في قوله تعالى: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي يوضعون كلامنا في غير موضعه. هذا بناءً على أنّ الإلحاد هو تبديل الكلام و وضعه في غير موضعه والمعنى: يبدّلون معاني كتاب الله تعالى، فيريدون أن يوضعوا الكلام على غير موضعه. ٢ـ عن قتادة: الإلحاد: التكذيب. والمعنى: يكذّبون بآياتنا. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي يجحدون بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالقرآن. ٤ـ قيل: أي يطعنون في القرآن ويقولون: هذا سحر وكذب وافترآء ومن أقاويل الأوّلين. ٥ـ عن السّدي: أي يشاقون يعاندون. ٦ـ عن ابن زيد: أي يشركون بالله ويكفرون بآياته ... ٧ـ قيل: الإلحاد هو الميل والإنحراف عن الجادّة، وقد يكون ميلاً عن آيات الله وعدولاً عنها بالتّكذيب بها، وقد يكون بالإستهزآء مكآءً وتصدية، وقد يكون مفارقة لها وعناداً، وقد يكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها... وهذا يرجع إلى الّذين قالوا: «لا تسمعوا لهذا القرآن

والغوا فيه» فصّلت: ٢٦) وهم الّذين ألحدوا في آياته ومالوا عن الحقّ، فقالوا: ليس القرآن من عندالله أو هوشعر أو سحر أو كهانة ... فالمراد بالآيات آيات القرآن.

٨ ـ قيل: أي يميلون عن الايمان بآياتنا... ٩ـ قيل: أي إذا سمعوا آيات الله أعرضوا عنها. ١٠ـ قيل: إنّ المراد بالآيات هنا دلالات التّوحيد، والإلحاد فيها: الإنحراف عنها، وترك الإستدلال بها. ١١ـ قيل: أي يميلون عن الحقّ في أدلّتنا وحججنا تكذيباً بها وجحوداً لها. وذلك أنّ الإلحاد: هو الميل والعدول عن الحقّ، ومنه اللحد في القبر لأنّه أميل إلى ناحية منه. يقال: ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل. ١٢ـ عن مجاهد أيضاً: أي يلحدون في تلاوة القرآن بالمكآء والصّفير والتّصديّة واللغو والغنآء. ١٣ـ قيل: اريد بالآيات المعجزات الّتي منها القرآن، فهم ينكرون مطلق المعجزات...

١٤ ـ عن أبي روق: أي الّذين يقعون في القرآن الكريم. ١٥ـ قيل: الإلحاد هنا بمعنى المكابرة والمنازعة والجدال في آيات الله. والمعنى: إنّ الّذين يكابرون في آيات الله وينازعون في تلك الدّلآئل ويجادلون في حجج الله بالقاء الشّبهات فيها، ويتعامون عن الحقّ عمداً. ١٦ـ قيل: أي ينحرفون في تأويل الآيات بحملها على المحامل الباطلة من ألحد الحافر في الأرض: إذا مال عن الإستقامة فحفر في شقّ منها. ١٧ـ قيل: اللّحد: حفرة مائلة عن الوسط، فالإلحاد هو الإمالة عن الوسط الحقّ إلى حفرة إفراط أو تفريط، وإنّ إطلاق قوله تعالى: «يلحدون» وقوله: «آياتنا» يعمّ كلّ إلحاد في كلّ آية من آيات الله تعالى فيشمل الإلحاد في الآيات التّكوينية: الآفاقيّة والأنفسيّة الدّالّة على تفرّده في الوهيته وتوحّده في ربوبيته، وعلى كمال علمه وحكمته، وعلى غاية تدبيره وقدرته، ومن الآيات الآفاقية: الشّمس والقمر والنّجوم... فيعدّونها آيات الله جلّ وعلا ثمّ يعودون، فيعبدونها، ويشمل لآيات الوحي والنّبوّة، فيعدّون القرآن الكريم افترآءً على الله سبحانه، وتقوّلاً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو يلقون فيه لتختلّ تلاوته، فلايسمعه سامع أو يضرّونه من عند أنفسهم أو يؤوّلونه ابتغاء الفتنة، فكلّ ذلك إلحاد في آيات الله تعالى بوضعها في غير موضعها، والميل بها إلى مستقرّها.

أمّا الإلحاد تفريطاً في الآيات التكوينيّة العامّة فهو إمالتها عن كونها دالّة على

التّوحيد، وافراطاً فيها فهو إشراكها بالله سبحانه كالشّمس والقمر والنّجوم وغيرها كأنّها أنداد لله سبحانه، وأمّا الإلحاد في الآيات التّكوينيّة الخاصّة إفراطاً في أسمآء الله جلّ وعلا فهو تحريفها عن معانيها المعنيّة أو إختلاق أسمآءٍ لم يسمّ بها نفسه: «ولله الأسمآء الحسنى فادعوه بها وذروا الّذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون» الأعراف: ١٨٠) والتفريط في«لسان الّذي يلحدون إليه أعجميّ وهذا لسان عربيّ مبين» النّحل: ١٠٣) والإفراط فيه أنّه منه دون الله: «ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه بشر» النّحل: ١٠٣) «وقال الّذين كفروا إن هذا إلاّ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جآؤا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً» الفرقان: ٤ـ ٥).

وأمّا الإلحاد في كيان الأنبيآء عليهم السّلام وآياتهم المعجزات إفراطاً فكما في عيسى بن مريم عليهما السّلام: وقالت النّصارى المسيح ابن الله» التوبة: ٣٠) وتفريطاً فكما في سآئر المرسلين عليهم السّلام: «إن كلّ إلاّ كذّب الرّسل» ص: ١٤).

وقد يكون الإلحاد في الآيات التكوينيّة إفراطاً من حصائل التفريط فيها، وكثيرما هُو، فمن أبصر إلى آيات الله تعالى مستقلات كالشّمس والقمر والنّجوم وما إليها دون إعتبار بها تفريطاً فيها، فقد أفرط فيها إذ يجعلها شركآءً لله سبحانه، ومن أبصر بها بصرته لمعرفة هي أسمى فلا تفريط إذاً ولا إفراط، فانّهما من حصآئل الإبصار إليها دون الإبصار بها كما قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في شأن الدّنيا: «من أبصر بها بصّرته ومن أبصر إليها أعمته».

وأمّا الإلحاد في الآيات التدوينية فمنه لفظيّ كالتحريف بزيادة هي الإفراط، أو نقيصة هي التفريط، وقد فعلوهما في التّوراة والإنجيل، ولم يستثن عن الإلحاد فيها هكذا الاّ القرآن الكريم كما تستثنيه الآية التّالية: «وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فصّلت: ٤١ـ ٤٢) إذ ضمن الله عزّوجلّ بحفظه من هذه الجهة: «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون» الحجر: ٩) ومنه معنويّ يعمّه حيث التّحريفات المعنوية في القرآن الكريم سآئرة في كلّ ظرف إلى ظهور وليّ عصر، إمام الزّمان الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف: «فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً

فبئس مايشترون» آل‌عمران: ١٨٧).

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: «أفمن يلقى في النّار» هو أبوجهل بن هشام و«أم من يأتي آمناً يوم القيامة» هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فهما لا يستويان. ٢- عن ابن عبّاس أيضاً: الّذي يلقى في النّار هو الوليد بن المغيرة، والّذي يأتي آمناً يوم القيامة هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ٣- عن مقاتل: إنّ الّذي يلقى في النّار أبوجهل، والّذي يأتي آمناً يوم القيامة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٤- عن عكرمة: الّذي يلقى في النّار أبوجهل، والّذي يأتي آمناً يوم القيامة عمّار بن ياسر.

٥ - عن ابن بحر: اريد بالّذي يلقى في النّار الكافر، وبالّذي يأتي آمناً يوم القيامة المؤمن. ٦- قيل: إنّ المراد بالّذي يلقى في النّار الملحدون الّذين قادتهم أبوجهل وبالّذي يأتي آمناً يوم القيامة المؤمنون الّذين أميرهم وإمامهم عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ٧- قيل: الأوّل حمزة بن عبدالمطلب، والثّاني أبوجهل. ٨- قيل: الأوّل أبوسلمة بن عبد الأسد المخزومي والثّاني أبوجهل. ٩- قيل: إنّ المراد بالّذي يلقى في النّار أبوبكر بن أبي قحافة لغصبه الخلافة الّذي هو الموجب للفرقة بين المسلمين وإنحطاطهم حتّى اليوم، والمراد بالّذي يأتي آمناً يوم القيامة هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ١٠- قيل: إنّما المراد بالّذي يلقى في النّار هو عمر بن الخطاب لإهانته برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أراد الوصيّة بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ايتوني بداوة وكتاب» فقال عمر بن الخطاب عند الحضّار: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» فلمّا توفّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فعل عمر بن الخطاب مافعل حتّى أحرق باب بيت الوحي وضرب بضعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها فماتت بضربه، ولولا عمر بن الخطاب وجناياته على الإسلام والمسلمين لما كان المسلمون من الإنحطاط حتّى اليوم، والمراد بالّذي يأتي آمناً يوم القيامة هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام. ١١- قيل: اريد بالّذي يلقى في النّار هو عثمان بن عفّان لخيانته على الإسلام

والمسلمين كسابقيه وعلى بيت المال، وبالّذي يأتي آمناً يوم القيامة هوعليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين، والباقي من باب التّطبيق.

وفي قوله عزّوجلّ: «إعملوا ماشئتم» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: هذا لأهل بدر خاصّة. ٢ـ قيل: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الوعيد والتّهديد، والخطاب لمشركي العرب والمعنى: فاذا علمتم أيّها المشركون أنّ الّذي يلقى في النّار، والّذي يأتي آمناً يوم القيامة هما لايستويان، فليختر كل واحد منكم لنفسه ماشآء من الأمرين، فانّ العاقل لايختار الإلقآء في النّار، فاذا لم يختر ذلك، فلابدّ أن يؤمن بالآيات الإلهيّة فلا يلحد فيها. ٣ـ قيل: إن الخطاب وإن كان موجّهاً إلى مشركي مكّة، ولكنّ المراد به عام للمخاطبين في كلّ ظرفٍ؛ والمعنى: أيّها النّاس إذا علمتم طريق الموحّد والمشرك، المؤمن والكافر، وطريق المسلم والملحد، وإذا عرفتم مصير المصلح والمفسد، والمخلص والمنافق، ومآل أمر المحسن والمسيئ، والمطيع والعاصي ... فمن أراد أحد الجزآئين فليعمل له فانّه ملاقيه قطعاً.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، ولكنّ الثّالث هو الأنسب بشمول الخطاب لكلّ من بلغ فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٤١ ـ (إنّ الّذين كفروابالذكر لمّا جآء هم وإنّه لكتاب عزيز)

في قوله تعالى: «عزيز» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي عزيزعلى الله تعالى ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أى عزيز من عندالله. ٣ـ عن ابن عبّاس: أي شريف عندالله وكريم عليه تعالى. ٤ـ قيل: أي أعزّه الله فلايتطرّق إليه باطل من جهة من الجهات. ٥ـ قيل: أي ينبغي أن يعزّ ويُجلّ بالإنتهآء إلى مافيه وترك الإعراض عنه، وألّا يلغى فيه. ٦ـ عن السّدى: أي عزيز من الشّيطان أن يبدّله. ٧ـ عن مقاتل: أي منع من الشّيطان والباطل. ٨ـ عن السّدى أيضاً: أي غير مخلوق فلا مثل له. ٩ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي ممتنع عن النّاس أن يقولوا مثله. ١٠ـ قيل: إنّ القرآن عزيز باعزاز الله تعالى إيّاه لأنّه

كلامه حفظه من التّغيير والتّبديل والباطل.

١١ ـ قيل: إنّ القرآن عزيز إذ جعله الله على أتمّ صفات الاحكام ... ١٢ـ قيل: أي منيع محميّ بحماية الله. ١٣ـ قيل: أي غالب قاهر بقوّة حجّته و بيانه على ماسواه من الكتب السّماوية وغيرها. ١٤ـ قيل: أي عديم النظير لأنّ الأوّلين والآخرين عجزوا عن معارضته، فلا يوجد له نظير يعارضه. ١٥ـ قيل: أي غالب على كلّ إلحاد فيه أيّاً كان. ١٦ـ قيل: أي عزيز أن يعارض أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كلّ عيب، محمّى بحماية الله. ١٧ـ قيل: أي منيع لايرام، ولا يستطيع أحد أن ينفذ إليه، ولا يقدر أحد من العباد على أن يأتي بمثله، ولا يقاومه في حججه على كلّ مخالف فيه. ١٨ـ قيل: أي منيع من الباطل بما فيه من حسن البيان ووضوح البرهان، ولأنّ أحكامه حقّ يقضي بصحّتها العقل.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها، فالتعميم هو الأنسب بلفظ التنكير: «عزيز» في مقام التّعريف فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٤٢ ـ (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

في قوله تعالى: «لا يأتيه الباطل ...» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي لايأتيه الشّيطان ولا يدخل أحد من الكفرة فيه ماليس منه. ٢ـ عن قتادة والسّدى والزّجاج: الباطل هو ابليس، فلا يستطيع أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً. ٣ـ عن ابن عبّاس والكلبي ومقاتل: أي لم يخالفه التّوراة والإنجيل والزّبور وسآئر الكتب السّماوية النّازلة على المرسلين عليهم السّلام من قبله، ولا يكون من بعده كتاب فيخالفه ويبطله أو ينسخه أو يكذبه. ٤ـ قيل: أي لم يأت إبليس إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبل اتيان جبرئيل، فزاد في القرآن، ولا من بعد ذهاب جبرئيل فنقص من القرآن.

٥ ـ قيل: أي لايخالف القرآن بعضه بعضاً، ولكن يوافق بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض. ٦ـ قيل: الباطل هنا: المبطل. والمعنى: لاقوّة في الكون لاحقة أو سابقة تستطيع أن تبطل حقيقة من حقآئق

القرآن أو أيّ شيء مما نطق به، فلا يأتيه من أيّ مبطل يمكن أن يتصوّر، فلا يتطرّق إليه الباطل من جهة من الجهات، فلا ينقص منه شئ ولايزاد عليه شئ. ٧ـ عن ابن جريج: أي ليس في اخباره عمّا مضى، ولا اخباره عمّا يكون في المستقبل باطل قطّ، بل اخباره كلّها موافقة لمخبراتها. ٨ـ عن سعيدبن جبير: أي لايأتيه النّكير والتّكذيب من بين يديه ولا من خلفه. ٩ـ عن السّدى أيضاً: إنّ الباطل لايطيق أن يزيد فيه شيئاً من الحروف، ولا ينقص منه شيئاً منها.

١٠ ـ قيل: أي لايستطيع ذوباطل بكيده تغييره‌بكيده، وتبديل شيء من معانيه عمّا هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ماليس منه فيه، وذلك اتيانه من خلفه. ١١ـ عن الحسن البصري: أي لايأتيه الباطل من أوّل تنزيله ولا من آخره.

١٢ ـ قيل: أي لايأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلا تناقض في ألفاظه وبيانه، ولا كذب في أخباره ولايتطرّق الباطل إلى معارفه وحِكَمِهِ، ولا إلى حقائقه وشرائعه، ولا في أسراره وأحكامه، ولا في اصوله وفروعه، ولا يعارض ولا يتغيّر بادخال ماليس مِنه فيه أو بتحريف آية من وجه إلى وجه آخر. وذلك أنّ إتيان الباطل إليه، وروده فيه وصيرورة بعض أجزآئه أو جميعها باطلاً بأن يصير مافيه من المعارف الحقّة أو بعضها غير حقّة، أو مافيه من الأحكام والشّرآئع ومايلحقها من الأخلاق أو بعضها لغى لاينبغي العمل به، فلا يعارض نفسه على نفسه، ولايزاد فيه من خارج ولا يغيّر، بل هو محفوظ حجّة على المكلّفين إلى يوم القيامة.

وعليه فالمراد بقوله: «من بين يديه ولا من خلفه» زمانا الحال والإستقبال أي زمان النّزول ومابعده إلى يوم القيامة. ١٣ـ قيل: إنّ المراد بما بين يديه ومن خلفه جميع الجهات كالصّباح والمسآء كناية عن الزّمان كلّه، فهو مصون من البطلان من جميع الجهات، وهذا العموم على القول السّابق مستفاد من إطلاق النّفي في قوله: «لايأتيه» فلا يأتيه الباطل مهما هاجمه المبطلون، فهو في صيانة إلهيّة في جميع الأزمان: الماضي والحال والإستقبال عن أيّة دآئرة سوءٍ من الجن والإنس والشّيطان، فلا يستطيع أحد أن يبطله مهما سعى في إبطاله، لكونه معجزة لا تبطل أبداً، ولا أن يفصم عروته لكونه حجّة على

من يناوئه ويعاديه، ولايزيد في ألفاظه وتأليفه وتركيبه أو ينقص شيئاً منها لكونه في حماية الله تعالى وأنه خاتمة الوحي الّذي ضمن الله جلّ وعلا بحفظه وصيانته، فالقرآن في صيانة ذاتية لكونه معجزة، وخارج الذّات لضمان الله تعالى بصيانته من كافّة الجهات، فلا يشوبه شائب «لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً» الكهف: ٢٧).

١٤ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي لايأتيه الباطل من بين يديه أي من الله، ولا من خلفه أي من جبرئيل عليه السّلام ولا من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ١٥ـ قيل: الباطل هو كلّ مَن أراد من الإنس والجنّ والشّيطان أن يزيد عليه حرفاً أو ينقص منه حرفاً أو يبدّله أو يحرّفه أو يغيّره حرفاً بحرف، فالله تعالى يحفظه. ١٦ـ قيل: أي لايقدر أحد أن يغيّر أحكامه وأسراره، ومعارفه وحقآئقه، واصوله وفروعه. ١٧ـ قيل: أي لايستطيع أحد من العباد أن يأتي بمثله ولايقاومه في حججه على كلّ مخالف فيه.

١٨ ـ قيل: أي لا تعلق به الشّبهة من طريق المشاكلة، ولا الحقيقة من جهة المناقضة، وهو الحق الخالص الّذي لايليق به الدّنس، ولا يشوبه شآئب، ولا يلحقه باطل. ١٩ـ قيل: أي ما حكم القرآن بكونه حقاً لايصير باطلاً، وما حكم بكونه باطلاً لايصير حقاً. ٢٠ـ قيل: أي إنّ هذا القرآن كتاب لايشبهه شئ من الكلام المتقدّم له، ولا يشبهه شئ من الكلام الوارد بعده لأنّه لو أشبهه شئ من الكلام المتقدّم أو الكلام المتأخّر لأبطل معجزته، وخصم حجّتـه، فكان الباطل قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين: إمّا من جهة أمامه، وإمّا من جهة ورآئه. ٢١ـ قيل: إنّ الشّيطان والإنسان لايقدران أن ينتقصا منه حقاً ولايزيدا فيه باطلاً. ٢٢ـ قيل: أي لايأتي هوبشئ يوجب بطلانه ممّا وجد قبله، ولامعه، ولا ممّا يوجد بعده، فلا اختلاف فيه قطّ، ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

٢٣ ـ عن الضّحّاك : أي لايأتيه كتاب من بين يديه يبطله، ولا من خلفه أي ولا حديث من بعده يكذبه. ٢٤ـ قيل: أي لايأتيه من قبل الملحدين مايبطله، ولايقدرون على ذلك بعد. ٢٥ـ قيل: أي لايأتيه باطل المبطلين. على أنّ اللام في «الباطل» عوض من الضّمير: «هم». ٢٦ـ قيل: أي لن يكون للباطل فيه سبيل، فكلّ مافيه من العقيدة

والشّريعة والأنبآء والأحكام ... فهو حقّ لاريب فيه.

أقول: والسّابع هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليه عليهم، وفي معناه بعض الأقوال الأخر، من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الاخر، فالتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «تنزيل من حكيم حميد» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي تكليم من حكيم في أمره وقضآئه، محمود في فعاله ... ٢ـ قيل: أي هو منزل من إله حكيم في جميع أفعاله، حميد إلى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه عليهم. ٣ـ قيل: أي تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير شئون عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم، وعلى ما أسدى إليهم من النعم الّتي منها تنزيل هذا الكتاب بل هي أجلّها. ٤ـ قيل: أي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة، حميد مستحقّ للحمد على خلقه بالانعام عليهم، والقرآن الكريم من أعظم نعمه، فاستحق به الحمد والشكر. ٥ـ عن ابن عبّاس: أي حكيم في خلقه، حميد إليهم. ٦ـ قتادة: حكيم في أمره، حميد في خلقه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٤٣ ـ (مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك إنّ ربّك لذومغفرة وذوعقاب أليم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: تعزية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما ناله من قبل كفّار قومه من الأذى والتكذيب والإلحاد. ومن البداهة: أنّه كلّما كانت الرّسالة أقوى وأشمل، ودعايتها أعرض وأبنى، كانت الأقاويل عليها أوسع وأشجى، والمصاعب أكثر وأعبأ، ولمّا كانت الرّسالة المحمّدية صلّى الله عليه وآله وسلّم تجمع الرّسالات كلها وزيادة وكذلك كتابه النازل عليه، كانت الأقاويل عليها تجمع تلك الأقاويل كلّها وزيادة: «ماقد قيل للرّسل من قبلك» كلّ قيل، فيقال لك كل ذلك وزيادة عليها، فلتصبّر نفسك على كلّ قيل يقال لك.

٢ـ قيل: أي مايقال لك من التّوحيد وإخلاص العبادة لله إلّا ماقد اوحى إلى مَن قبلك، ولاخلاف بين الشّرائع فيما يتعلّق بالتّوحيد وهو كقوله تعالى: «إنّا أوحينا إليك

كما أو حينا إلى نوح والنبيّين من بعده» النسآء:١٦٣) فالقول هنا بمعنى الوحى أي مايوحى إليك إلّا ما اوحي إلى الرّسل من قبلك، فلم تدعهم إلّا مادعا إليه جميع الأنبياء أقوامهم، فلا معنى لإنكارهم عليك . ٣ـ قيل: إنّ «ما» إستفهاميّة والمعنى: أيّ شيءٍ يقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك. ٤ـ عن قتادة والسّدى والجبائي وأبي صالح: أي مايقول هؤلآء الكفّار من قومك لك إلّا ماقد قيل للرّسل قبلك من التكذيب والكلمات الموذية والجحد لنبوّتهم.

٥ ـ قيل: أي مايقول الله تعالى لك إلّا مثل ماقد قاله للرّسل من قبلك، وهو الأمر بالدّعآءِ إلى الحقّ في عبادة الله ولزوم طاعته، فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب السّماوية النّازلة على المرسلين. ٦ـ قيل: أي مايقول الله لك إلّا مثل ما قال لغيرك من الرّسل من الصّبر على سفاهة أقوامهم الكافرين وايذآئهم. ٧ـ قيل: معناه ماحكاه تعالى بعده من قوله: «إنّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم» فيكون على جهة الوعد و الوعيد. فالمراد بالقول: «قيل» الوحي، و«ان ربك» بيان لما «قد قيل» وهو ما قيل لكلّ رسول من قبل. فهذا هو الإله الّذي يدعو إلى الايمان به كلّ رسول من رسل الله... إنّه لذو مغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، وانّه ذو عقاب وجيع لمن كذّب بك وصدّ عن سبيل الله وسعى في الأرض فساداً، فلا ينبغي لهم أن يغترّوا بالحياة الدّنيا ومتاعها، فيجب عليهم أن يتحرّزوا بترك المعاصي وفعل الطّاعات...

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحققين من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

٤٤ ـ (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجمّي وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عميّ اولئك ينادون من مكان بعيد).

في قوله تعالى: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير ومجاهد: أي ولو جعلنا هذا الكتاب العزيز قرآناً أعجمياً، ولسانك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولسان قومك عربيّ لقال مشركو العرب: أ أعجميّ وعربيّ يأتينا به

مختلفاً او مختلطاً؟ لولا فصلت آياته ...؟ فكان القرآن مثل اللسان يقول، فلم يفعل لئلاّ يقولوا، فكان القرآن حجة عليهم. ۲ـ عن سعيدبن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً؟ فأنزل الله وقالوا: «لولا فصّلت آياته أ أعجميّ وعربيّ» وأنزل الله تعالى بعده هذه الآية فيه بكل لسان حجارة من سجيّل. قال سعيدبن جبير: والقرآءة على هذا أعجميّ بالإستفهام.

۳ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: لو نزّلنا جبرئيل بالقرآن على غير مجرى لغة العربيّة لقال كفّار مكّة: هلاّ بيّنت وعربت آياته بالعربيّة؟ الكتاب أعجميّ، والرّسول عربيّ؟ كيف هذا؟ ٤ـ قيل: أي أكتاب أعجميّ والمرسل إليه عربيّ أى قوم عرب وقد قال: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤)؟ بنآءً على أنّ مبنى الإنكار على تنافي حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أنّ المكتوب إليه واحد أو جماعة. ولهذا لم يقل: عربيّون. والغرض أنّهم لعنادهم وإلحادهم ولجاجهم لاينفكّون عن المرآء والإعتراض سوآء أكان الكتاب عربياً أم أعجمياً. وقال السّدى: أي ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا: لولا فصّلت آياته: هلاّ بيّنت وميّزت آياته؟ أ أعجمىّ وعربيّ؟ نحن قوم عرب، مالنا وللعجمة؟

٥ ـ قيل: أي هلاّ فصّلت آياته... بعضها عربيّ، وبعضها عجميّ؟! هذا بنآءً على قراءة من قرأ «أعجميّ» بترك الإستفهام فيه، وجعله خبراً من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك. يعني: هلاّ فصّلت آياته؟ منها عجميّ تعرفه العجم، ومنها عربيّ تفقهه العرب؟ ٦ـ قيل: أي ولو جعلنا هذا القرآن بلغة غير العرب وإن كانت فصيحة عند أهلها لقالوا: هلاّ بيّنت بلغتنا فانّنا عرب لانفهم الأعجميّة، فبيّن تعالى أنّه أنزله بلسانهم ليتقرّر به معنى الإعجاز، فانّهم كانوا أعلم النّاس بأنواع الكلام العربي نظماً ونثراً، وإذا عجزوا عن معارضة القرآن، كان هذا أدلّ الدّليل على أنّه من عندالله جلّ وعلا، ولوكان بلسان العجم حتّى على حدّ الإعجاز بلسان العجم، لقالوا: لاعلم لنا بهذا اللسان: كما أنّه لو انزل هذا القرآن العربيّ على رجل أعجميّ يقرأه عليهم لما كانوا به مؤمنين لقوله عزّوجلّ: «ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به

مؤمنين» الشعراء: ١٩٨- ١٩٩).

ولا يخفى على القارئ الخبير: أنّ الآيات الثلاث: فصّلت: ٤٤) و «الشعراء: ١٩٨- ١٩٩) تفصح عن النّخوة العربية والعصبيّة الجاهليّة تجاه وحي القرآن الكريم بأنّه لوكان الوحي أو الرّسول أو كلاهما أعجميين لزادوا في النكران، وهذا ممّا يدلّ على مدى شقوتهم وإنحطاطهم وتصلّبهم في قوميّتهم لحدّ يجعلونها أصلاً، حتّى لصرح الايمان ولذلك قال الله عزّوجلّ: «الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله» التّوبة: ٩٧) فاولئك ينادون من مكان بعيد لتباعدهم عن طريق الرّشد والكمال، وإعراضهم عن دعوة والهدى، كأنّهم من شدّة إلتوآئهم والذّهاب بأسماعهم، والإنصراف بقلوبهم... ينادون من مكان بعيد، فالنّدآء غير مسمع لهم، ولا واصل إليهم: «وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لايتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين - لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٤٦و١٧٩).

ولو سمعوه لضلّ عنهم فهمه للصّدّ المنفرج بينهم وبينه، اذ فصلت قوميّتهم بينهم وبين سماع الحق والخضوع لديه، وحتّى حين نزّل عليهم القرآن عربيّاً، وكان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم عربيّاً فضلاً عن كون كليهما أو أحدهما أعجميّاً إذ قالوا: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون» فصّلت: ٢٦) فماهم بصاغين الله جلّ وعلا لاعربيّاً ولا أعجميّاً.

٧ - قيل: أي لو جعلنا هذا الذكر الّذي قدّم ذكره قرآناً مجموعاً بلغة العجم. يقال: رجل أعجميّ إذا كان لايفصح، وإن كان عربيّ النّسب، وعجمي إذا كان من ولد العجم، وإن كان فصيحاً بالعربيّة، فالأعجمي غير العربيّ البليغ سوآء أكان من غير أهل اللغة العربيّة أم كان منهم وهوغير مفصح للكنة في لسانه. ٨ - قيل: أي ولوجعلنا هذا القرآن أعجمياً غير مبين لمقاصده، غير بليغ في اسلوبه ونظمه عندهم، وإن كان بليغاً في اسلوبه ونظمه ومبيّناً لمقاصده عند غيرهم لقالوا: هلاّ فصّلت آياته؟ وهلاّ بيّنت

أجزآئه؟ وهلا بانت بعضها من بعض بلساننا العربي والبلاغة عندنا؟

وذلك أنّ الأعجمي من العجمة: خلاف الإبانة، والإعجام هو الإبهام، والأعجم مَن في لسانه عجمة عربياً كان أم غيره، ومنه قيل للبهيمة عجمآء، ولصلاة النّهار عجمآء إذ لايجهر فيها بالقراءة، وسميّت الحروف المفردة معجمة لأنّها لا تدلّ على ماتدلّ عليه الحروف الموصولة، فالأعجمي بصورة عامّة هو اللغة الّتي لا تفهمها، من بهيمة فهي أعجميّة، أم غير عربيّة إطلاقاً من أيّة لغة من لغات العالم لا تفهمها، أو عربيّة لا تعرفها، فكل لغة بالنّسبة لمن لايعرفها أعجميّة فانّ اللغات كلّها أعجميّة لغير أصحابها، وعربيّة لأصحابها... كما تعبّر التّوراة عن القرآن العربيّ المبين بين العبرانيين: أنّه بلغة لكنآء أعجميّة كالنّص التّالي عن (كتاب أشعيآء النّبيّ) حسب الأصل العبراني: «إتْ مِي يُورِهْ دِعاه وإتْ مِيْ يابينْ شموعاه غِگمولي مِحالابْ عِتِيمّي مِشّادايم (٩) كِي صَولاصاوْ صَولاصاوْ قَوّلاقاوْ قَوّلا قاوْ زِعِيْر شامْ زِعِيْر شامْ (١٠) كِي بِلَعَجي شافاهْ وَ بِلاشُون أحِرِتْ يدَّبِرْ اِلْ هاعامْ هَذّه (١١)»

يعني: «لمن ترى يعلّم العلم، ولمن يفقّه في الخطاب أللمفطومين عن اللبن المفصولين عن الثّدي (٩) لأنّه أمر على أمر أمرّ على أمر فرض على فرض، ثمّ فرض على فرض هنا قليل وهناك قليل(١٠) لأنّه بهلجة لكناء بشفاه أعجميّة وبلسان غير لسانهم يكلم هذا الشّعب».

وإنّ الأعجمي على قسمين: **الأوّل:** ما فيه عُجمة نسبيّة ككلّ لغة لاتعرفها. **الثّاني:** ما فيه إبهام وإجمال وهو لغتك إمّا بلكنة في لسان ناطقها، وإمّا غرابة في نظمها ونسجها كالقآئل: «مالكم تكأكأتم لتكأكؤكم على ذي جنّة إفرنقعوا عنّي».

فكأنّ مشركي العرب تطلّبوا من رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتيهم قرآناً أعجمياً في أيّ بُعد من العجمة كسآئر تطلّباتهم الجاهلية الهرآء، فجآء الجواب: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياًلقالوا لولا فصّلت آياته...»؟فلهم هنا إعتراضان«لوجعلناه قرآناًأعجمياً»:**أحدهما ـ :** «لولا فصّلت آياته» حيث اجملت فلا نفهمها كما ينبغي، والتفصيل هوالإفصاح عن المعنى كما هو الآن في القرآن الكريم، فخلافه أعجميّ أيّا كان. ولا سيّما إذاكان بغير لغة القرآن، ولكنّه «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم

يعلمون» ثانيهما ـ: «أأعجميّ وعربيّ» والأعجمي هوالكتاب لوجعل أعجمياً، والعربيّ هوالرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أو هم العرب، يستنكرون ويتناكرون أن يجعل كتاب شرعتهم بغير لغتهم لا لشيءٍ اِلّا لأنهم عرب، يتأنفون غيرهم وغير لغتهم، ويتأنفون لأنفسهم ولغتهم، فبالإمكان أن تترجم كلّ لغةٍ بلغتهم لوكان القرآن بغير لغتهم، وكما سآئر المكلّفين المرسل إليهم بشرعة القرآن، يستعجمون لغة القرآن، فانّها غير لغتهم، ولكنّهم لايتأنفون، فهم بين من يتعلّم لغة القرآن، أو يتعلّم من عارفها، فيتفهم بذلك القرآن، وكما ترى الرّعيل الأعلى من الأدبآءِ العرب هم من غير العرب.

إنّ كتاباً كالقرآن الكريم الموجه إلى العالمين كافة: «واوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» الأنعام: ١٩) «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس» سبأ: ٢٨) لابدّ أن ينزل بلغة من اللغات عربيّة كانت أم أعجميّة، ولكنّما العرب اللجوج هم الّذين يتنكرون لوجعل قرآناً أعجمياً، ولذلك ترى الجواب ألّا منعة هنا إلّا اللاّايمان، حيث إنّ الايمان يجد سبيله إلى شرعة القرآن بأيّة لغة كان: «قل هوللّذين آمنوا هدى وشفاء» أيّاً كان لغتهم «والّذين لايؤمنون» وإن كان بلغتهم «في آذانهم وقر وهوعليهم عمى» كما قالوا: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون»!

أقول: والسّادس هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال، مع تداخل بعضها في بعض فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «وهو عليهم عمى» أقوال: ١ـ قيل: أي هذا القرآن على هؤلآء المشركين حجّة. ٢ـ قيل: أي وهذا القرآن بالنسبة عليهم ظلمة وسواد حيث إنّ الشّمس لاتنعكس في المرآة المجرمة المسودة، والقرآن الكريم نور في ذاته، والنّقص من ناحية القابل. ٣ـ عن السّدى: أي فعميت قلوبهم عنه. يعني أنّهم لمّا ضلّوا عن القرآن حاروا عن تدبّره فكأنه عمى لهم ٤ـ عن ابن زيد: العمى: الكفر.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجلّ: «اولئك ينادون من مكان بعيد» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة:

أي بعيد من قلوبهم. ٢ـ عن ابن عبّاس: أي كأنّهم ينادون إلى التّوحيد من السّمآء. ٣ـ قيل أي إنّهم لايقبلون هذا القرآن، ولا يرعونه أسماعهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصوت به من مكان بعيد لايسمع من مثله الصّوت، فلا يسمع النّدآء. ٤ـ قيل: هذا تشبيه من الله تعالى للذين عميت قلوبهم عن فهم ما انزل في القرآن من حججه ومواعظه ونصائحه ... ببعيد فهم سامع صوت من بعيد نودى، فلم يفهم مانودي كقول العرب للرّجل القليل الفهم: إنك لتنادي من بعيد، وكقولهم للفهم: إنك لتأخذ الامور من قريب، فهم كالمنادي من مكان بعيد لايسمع، ولوسمعه لما يفهم ماينادي به ولهذا تواصوا باللغو فيه.

٥ ـ عن ابن زيد: أي ضيّعوا أن يقبلوا الأمر من قريب يتوبون ويؤمنون، فيقبل منهم، فأبوا. ٦ـ عن الضّحّاك: أي إنّهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمآئهم ... ٧ـ قيل: أي إنّهم لايسمعون ولا يفهمون كما أنّ من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وإنّما قال ذلك لبعد أفهامهم وشدّة إعراضهم عنه. ٨ـ قيل: أي من لم يتدبّر القرآن صار كالأعمى والأصم فهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادى عنه وهو لم يسمع. ٩ـ قيل: هذا ندآء إليهم في هذه الدّنيا، إذ فصل بينهم وبين هدى القرآن كفرهم البعيد، فكأنّهم «ينادون من مكان بعيد» وهم قريبون إلى المنادى، وقريبون إلى لغة الندآءِ، ولكن بعّدهم العداء فهم بعاد عن النّدآء، ومن ثمّ «ينادون من مكان بعيد» يوم القيامة، حيث المنادى الملائكي لايقربهم، فيناديهم من بُعد تر ذيلاً لمكانتهم، والمنادى الإلهي يناديهم من بعيد كمنادىٰ رذيل لايعبأ به.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين.

٤٥ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم وانّهم لفي شك منه مريب).

في قوله تعالى: «فاختلف فيه» أقوال: ١ـ قيل: أي فاختلف في موسى عليه السّلام قومه، فمنهم من آمن به، وكذّب به قوم. فالضمير: «فيه» راجع إلى موسى عليه السّلام. ٢ـ قيل: أي فاختلف اليهود بالتّصديق والتّكذيب في الكتاب وهو التّوراة

كاختلاف المسلمين في القرآن الكريم. والجملة تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن جحود قومه له وإنكارهم لنبوّته وكفرهم بكتابه. والمعنى: لايحزنك إختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم. ٣ـ قيل: أي فاختلف اليهود في العمل بما في التّوراة.

اقول: وعلى الثّاني جمهور المحقّقين وهو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «ولولا كلمة سبقت من ربك» أقوال: ١ـ قيل: إنّ الكلمة هي قوله تعالى: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وماكان الله معذّبهم وهم يستغفرون» الأنفال: ٣٣) والمعنى: ولولا هذه الكلمة الّتي سبقت من ربك في إمهال امّتك. أي لو لا أنّ الله أخّر عذاب هذه الأمّة إلى يوم القيامة لأتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الامم الماضية. قيل: إنّ تأخير العذاب لما يخرج من أصلابهم من المؤمنين. ٢ـ قيل: إنّ هذه الكلمة هي قوله تعالى: «ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين» الأعراف: ٢٤) أي بتأخير الحساب والجزآء للخلائق إلى يوم القيامة. ٣ـ قيل: هي قوله عزّوجلّ: «ولو يؤاخذ الله النّاس بظلمهم ماترك عليها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى» النّحل: ٦١) وفاطر: ٤٥) والكهف: ٥٨) فلولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت إنقضآء آجالهم لقضى بينهم قبل انقضآء آجالهم فيظهر المحقّ من المبطل.

وعن ابن عبّاس: أي ولولا كلمة وجبت من ربك بتأخير العذاب عن هذه الأُمّة. ٤ـ قيل: أي ولولا ماسبق من قضآء الله وحكمه فيهم أنّه أخّر عذابهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم لعجّل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين منهم.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الاخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله جلّ وعلا: «لقضي بينهم» أقوال: ١ـ قيل: أي لفرغ من عذابهم واستئصا لهم. ٢ـ قيل: أي لقضي بينهم في الحياة الدّنيا فيما اختلفوا فيه. ٣ـ قيل: أي لقضي بينهم بتعجيل العذاب يوم القيامة. ٤ـ عن ابن عبّاس: أي لفرغ من هلاك اليهود والنصارى والمشركين ومن انسلك مسالكهم في الإختلاف في الكتاب، فعذّبوا

عند التكذيب كما عذّب الذين من قبلهم عند التكذيب.

أقول: ولكلٍّ وجه من دون تناف بينها.

وفي قوله سبحانه: «وإنّهم لفي شكّ منه مريب» **أقوال:** ١ـ عن ابن عبّاس: أي لفي شك من القرآن، يجادلون فيه ويلحدون في آياته، وهم على غير بصيرة من أنفسهم، بل وهم يعلمون أنّهم يخبطون خبط عشوآء ولكنّهم يتظاهرون بالعلم والمعرفة، وما أكثر هذا النّوع. ٢ـ قيل: أي لفي شكّ من كتاب موسى عليه السّلام. ٣ـ قيل: أي لفي شكّ مما ذكرناه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين.

٤٧ ـ (إليه يردّ علم السّاعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه ويوم يناديهم أين شركآءي قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد)

في قوله تعالى: «ويوم يناديهم أين شركآءى» أقوال: قيل: أي واذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين يوم يناديهم الله تعالى أي يوم القيامة بعد البعث قبل الحساب والجزآء. ٢ـ عن ابن عبّاس أي يوم يناديهم وهم في نار جهنم يعذّبون. ٣ـ قيل: أي يوم يناديهم بعد الحساب قبل دخول النّار. ٤ـ قيل: هذا عندالحساب.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «قالوا آذنّاك ...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس والكلبي: أي قال المشركون مجيبين لربّهم يوم الحساب: أعلمناك الآن: ما منّا من شهيد يشهد أنّ لك شريكاً. ٢ـ عن السّدى: أي أطعناك ما منّا من شهيد على أنّ لك شريكاً. ٣ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي أسمعناك وقلنا لك قبل هذا إعلاناً وإعلاماً لاهنا ولا في الدّنيا: ما منّا من شهيد يشهد على نفسه أنّه عبد دونك أحداً فأنت الله الواحدالقهّار وأنك تعلم من نفوسنا ذلك وقولهم: «آذنّاك» إمّا لأنّ هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب وإمّا معناه: إنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن: أنّا لانشهد تلك

الشهادة الباطلة لأنّه إذا علمه من نفوسهم فكأنّهم أعلموه أو لأنّ معناه الإنشاء لا الإخبار بايذان قد كان قبل ذلك ٤ـ قيل: أي إعترفنا لك: ما منّا أحد يشهد أنّ لك شريكاً فلا يشهدأ حد منّا لمكانهم.

٥ ـ قيل: أي قال الشركآء من الأصنام والأوثان والطّواغيت ... فهذا كلام الشركآء الّتي أحياها الله تعالى وأنطقها، فتبرّأ ممّا اضيف إليها من الشّركة. ٦ـ قيل: اريد بهم الجمع من العابد والمعبود.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٤٨ ـ (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا مالهم من محيص)

في قوله تعالى: «وضلّ عنهم...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي اشتغل عن هؤلآء المشركين آلهتهم يوم القيامة. ٢ـ قيل: أي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم. ٣ـ قيل: أي غاب عنهم آلهتهم.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٤٩ ـ (لايسأم الإنسان من دعآءِ الخير وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط)

في قوله تعالى: «لايسأم الإنسان» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس والسّدي والكلبي: اريد بالإنسان ههنا الكافر فمن طبيعة الكافر وجبلّته أنّه لايملّ من دعآءِ الخير وهو طلب النّفع الدّنيوي. ٢ـ قيل: هو الوليدبن المغيرة ٣ـ قيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة واميّة بن خلف. ٤ـ قيل: اريد بالإنسان بما أنّه إنسان، فهولايملّ بطبيعته وجبلّته من دعآء الخير. ٥ـ قيل: أي لايسأم أكثريّة الإنسان من طلب الخير.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وهو الأنسب بظاهر السّياق، وإنّ الوليد وأذنا به المبتورة من المصاديق.

وفي قوله عزّوجلّ: «من دعآء الخير» أقوال: ١ـ قيل: الخير هنا طلب السّعة في المال والصّحّة والسّلطان والعزّ بأن طبيعة الكافر أنّه لايملّ من دعآءِ الخير بأن يدعو

لنفسه أو يدعو له غيره بالخير، سوآء عنده أن يدعو ربّه أم غيره يدعو له في حال الرّخآء فلمّا ييأس عما سواه يدعوه مخلصاً ليحصل مناه، فكل مايراه خيراً يكدح في طلبه كدحاً بكل صنوف الدّعآء. ٢ـ قيل: أي من دعآء المال. ٣ـ قيل: أى من دعآء المال والغنى والصّحّة والولد. ٤ـ قيل: أي من طلب النفع الدّنيوي والاخروي فيدعوا هو لنفسه من دعآء الخير. ٥ـ قيل: أى لايملّ الانسان أن يدعو غيره في حقّه دعآء الخير.

٦ ـ قيل: أي الأعم، والمعنى: لايملّ الإنسان من طلب الخير الّذي يراه نافعاً لحياته ومعيشته فاذا ناله اشتغل به وأعجب بنفسه، وأنساه ذلك عن كلّ حقّ وحقيقة. ٧ـ قيل: أي من طلب الخير والرّغبة فيه والاستمتاع به. ٨ـ عن ابن زيد: أي لايمل الإنسان من طلب المال وصحّة الجسم. ٩ـ قيل: أي من الخير الّذي يصيبه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله جلّ وعلا: «وإن مسّه الشّرّ» أقوال: ١ـ قيل: الشّرّ هنا الفقر والمرض. ٢ـ قيل: أى وإن أصابه الضّرر. ٣ـ قيل: أي وإن حلّت به مصيبة. ٤ـ عن ابن عبّاس: أي وإن أصابه الفقر والشّدّة والبلآء. ٥ـ قيل: أي وإن ناله بذهاب مال أو ضرّ في نفسه من سقم في جسمه أو جهد في معيشته أو احتباس من رزقه. ٦ـ قيل: أي وإن مسّه شرّ يعجزه عن دفعه يئس من الخير، وتعلّق بذيل الدّعآءِ والمسئلة وتوجّه إلى ربّه، فهو كثير اليأس والقنوط لمايرى من سقوط الأسباب الّتي كان يستند إليها، وهذا لاينافي تعلّق رجآئه إذ ذاك بالله جلّ وعلا. ٧ـ قيل: الشّرّ كلّ مايخالف طبع الإنسان الكافر، فاذا مسّه شرّ وقع في اليأس واستولى عليه القنوط.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله سبحانه: «فيؤس قنوط» أقوال: ١ـ قيل: أي فيؤس من روح الله، قنوط من رحمته، يطير صوابه وتنها رأعصابه. ٢ـ قيل: أي يؤس من إجابة الدّعآء، قنوط بسوءِ الظّنّ بربّه. ٣ـ قيل: أى يئس من زوال ما به من المكروه، قنوط أي يظنّ أنّه يدوم ٤ـ قيل: أي شديد اليأس من الخير، مقطوع الرّجآء من فضل الله وروحه وسيّ

الظّن بربّه. اليأس: إنقطاع الرّجآء من حصول الخير والقنوط هو ظهور أثر اليأس على الإنسان المأيوس من المذلّة والإنكسار. ٥- قيل: أي فانّه ذويأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه. ٦- عن ابن عبّاس: أي فيصير آيس شئ وأقنطه من رحمة الله كأن لم يكن هناك خير، ففي لمسة من شرّ ينسى كلّ خير قبله، كأن لم يعطه من قبل، فمجرّد مسّ الشرّ يقنطه عن كلّ خير مأمول وهو رسم دقيق واقع صادق للنفوس غير مطمئنّة لإغترارها الكادح بالسّرّآءِ وجزعها بمسّ الضّرّآء.

أقول: والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٥٠ - (ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي، وما أظنّ السّاعة قآئمة ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ).

في قوله تعالى: «ولئن أذقناه رحمة منّا» أقوال: ١- عن ابن جريج: أي آتيناه عافية منّا. ٢- عن إبن عبّاس: أي ولئن أصبناه نعمة منّا بالولد والمال. والإنسان هنا: عتبة بن أبي ربيعة وأذنابه... ٣- قيل: أي ولئن وهبنا له العافية في نفسه بعد السّقم، ورزقناه مالاً فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضّرّ والفقر، والأمن بعد الخوف، وفرجنا عنه بصحّة بعد مرض وسعة بعد ضيق. ٤- عن مجاهد: هذا من أخلاق الكافر. فالمعنى: ولئن أذقنا الكافر نعمة وأنلناه إيّاها. ٥- قيل: اريد بالإنسان هنا غير المؤمن حقاً، كافراً كان أم منافقاً أو ضعيف الإيمان، والمراد بالرّحمة: الصّحّة والغنى والأمن وما إليها. والمعنى: ولئن أنعمنا على الإنسان غير المؤمن نعمة كائنة منّا بتفضّلنا عليه من دون إستحقاق لذلك.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحققين وهو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «من بعد ضرّآء مسّته» **أقوال:** ١- عن ابن عبّاس: أي من بعد

شدّة أصابته وبلاء ومحنة ونقمة لحقته. ۲ـ قيل: أي من بعد ضرّاء في نفسه وعيشه وماله مسّته من قبل. ۳ـ قيل: الضّرّاء: المرض وضيق العيش والبليّة والمرض والنقمة والخوف وما إليها.

أقول: والتعميم هو الأنسب بتنكير «ضرّآء» في مقام البيان.

وفي قوله جلّ وعلا: «ليقولن هذا لي» أقوال: ۱ـ عن ابن عبّاس: أي هذا من عندي. ۲ـ قيل: أي هذا شيئ أستحقّه على الله لرضاه بعملي، فيرى النّعم حتماً واجباً على الله تعالى. ۳ـ عن مجاهد: أي أنا حقيق بهذا الفعل. ٤ـ قيل: أي هذا حقّي استحقه لما لي من الفضل والعمل. ٥ـ قيل: أي هذا لي دائماً لا يزول.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

وفي قوله سبحانه حكاية عن الإنسان الكفور: «إنّ لي عنده للحسنى» أقوال: ۱ـ قيل: أي إنّ لي عندالله للجنّة قطعاً. ۲ـ قيل: أي إنّ لي عنده غنًى ومالاً. ۳ـ قيل: أي إنّ لي عنده الحالة والكرامة والمنزلة الحسنى. ٤ـ عن مجاهد: أى إنّ لي عنده لغنًى: ٥ـ قيل: أي للمثوبة الحسنى. ٦ـ قيل: أي للعاقبة الحسنى لكرامتي عليه كما أنعم عليّ من النّعمة.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ والتعميم هو الأوجه فتأمّل ولا تغفل.

٥۱ ـ (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأ بجانبه وإذا مسّه الشّرّفذودعآءٍ عريض)

في قوله تعالى: «وإذا أنعمنا على الإنسان» أقوال: ۱ـ عن ابن عباس: اريد بالإنسان الكافر الّذي يسئل ربّه بالتضرّع والدّعآء أن يكشف ما به من الضّرّ والبلآء، ويعرض عن الدّعآء في السّعة والرّخآء. والمعنى: وإذا أنعمنا على الكافر بالمال والولد والصّحّة والجاه... ۲ـ عن ابن عبّاس أيضاً: اريد به عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة واميّة بن خلف أعرضوا عن الإسلام وتباعدوا عنه. ۳ـ قيل: اريد به الجنس، فيشمل لكل إنسان أنّه ليطغى أن رآه استغنى. ٤ـ قيل: اريد به غير المؤمن سوآء أكان كافراً أم منافقاً أو ضعيف الإيمان.

أقول: وعلى الرّابع جمهور المحقّقين.

وفي قوله تعالى: «أعرض» أقوال: ١ـ قيل: أي أعرض عن منعمه وكفر به. ٢ـ قيل: أي أعرض عن شكر منعمه وعن طاعته. ٣ـ قيل: أي أعرض عن الإيمان بالله تعالى. ٤ـ عن ابن عبّاس: أي أعرض عن شكر المال والولد.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «ونأبجانبه» أقوال: ١ـ قيل: أي ترفّع عن الإنقياد إلى الحق، وتكبّر على أنبيآء الله وتباعد عنهم. ٢ـ قيل: أي اذا نهض عن جهته ومكانه. فالمراد بالجانب: الجهة والمكان. ٣ـ قيل: أي بعد بجانبه كبراً وتجبّراً عن الإعتراف بنعم الله ٤ـ قيل: أي وبَعُدَ عن الواجب. والمراد بالجانب الجارحة وهي الجنب. ٥ـ فيل: أي وذهب بنفسه وتكبّر وتعظم، وتحقيقه أن يوضع جانبه موضع نفسه لأنّ مكان الشّئ وجهته ينزل منزلة نفسه. ومنه قول الكتّاب: كتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته. فكأنّه قال: ونأى بنفسه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «فذو دعآءٍ عريض» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي فذو تضرّع واستغاثة. والكافر يعرف ربه في الشّدّة والبلآء، ولا يعرفه في السّعة والرّخآء. ٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي فذو طويل بالمال. ٣ـ عن السّدى: أي فذو كثير عند ذلك. والعرب تستعمل الطّول والعرض في الكثرة. يقال: أطال فلان في الكلام وأعرض في الدّعآء إذا أكثر وداوم. ٤ـ قيل: أي كثيرالولد وهو عتبة. ٥ـ قيل: هذا شأن بعض الكافرين، غير البعض الّذي حكى عنه اليأس والقنوط فقوله تعالى: «فيؤس قنوط» في قوم، و«فذو دعاءٍ عريض» في قوم آخرين. ٦ـ قيل: هذا شأن كلّ إنسان في بعض الأوقات... ٧ـ قيل: أي يئوس قنوط في البرّ، وذو دعآءٍ عريض في البحر. ٨ـ قيل: أي يؤس قنوط بالقلب وذو دعآءٍ عريض باللسان. ٩ـ قيل: أي يئوس قنوط من الصنم، وذو دعآءٍ لله تعالى.

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين، وإن كانت الأقوال الثلاثة الأخيرة

لا تخلو من وجه فتدبّر ولا تغفل.

٥٢ ـ (قل أرأيتم إن كان من عندالله ثمّ كفرتم به من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد)

في قوله تعالى: «إن كان من عندالله» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي إن كان هذا القرآن من عندالله. ٢ـ قيل: أي إن كان هذا الإنعام من عندالله ثمّ جحد تموه. ٣ـ قيل: أي إن كان الكتاب المذكور في قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى الكتاب» فصّلت: ٤٥) من عندالله.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «من عندالله» أقوال: ١ـ قيل: أي من وحي الله وكلامه كقوله تعالى: «ويقولون هو من عندالله وما هو من عندالله» آل عمران: ٧٨) أي ليس من كلام الله و وحيه. ٢ـ قيل: أي من إرادة الله ومشيئته كقوله عزّوجلّ: «يقولوا هذه من عندالله ـ قل كلّ من عندالله» النّسآء: ٧٨) أي من مشيئته وإرادته. ٣ـ قيل: أي من عُطآء الله.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ. ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّه لايراد بكلمة «عندالله» قرب المسافة، ولا بالعندية الجهة والمكان، لأنّ ذلك من صفات الأجسام... تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وأنّ إضافة «عند» إضافة تشريف وتكريم، ومن قوّة القرب فيها تدلّ على قرب المنزلة من الله جلّ وعلا حين تضاف إليه كقوله تعالى: «فالّذين عند ربّك» فصّلت: ٣٨) كما تدلّ عند الإضافة إلى «الله» على أنّ المتحدث فيه من أحكامه الصّادقة.

وفي قوله جلّ وعلا: «من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد» أقوال: ١ـ قيل: هو أبوجهل بن هشام لأنّه كان في معاداة شديدة مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٢ـ قيل: أي من أضلّ منكم أيّها المشركون، وأنتم بلغتم الغاية في المشاقّة والمناصبة؟ فوضع «ممن هو في شقاق بعيد» موضع «منكم» بياناً لصفتهم وبُعد شوطهم في الشّقاق والخلاف، وتعليلاً لمزيد ضلالهم. ٣ـ قيل: أي قل لهم: من أشدّ ذهاباً عن

قصد السّبيل وأسلك لغير طريق الصّواب ممّن هوفي فراق لأمرالله وخلاف له، بعيد عن الحقّ والرّشاد، فليس أحد أضلّ منكم أيّها الملحدون في آيات الله، في خلاف الحقّ، بعيد عنه لفرط شقاقكم وعداوتكم.

الشّقاق والمشاقّة: الميل إلى شقّ العداوة لا لأجل الحقّ كأنّه قال: لا أحد أضلّ ممّن هو في شقاق بكفره وبه يذمّ من كان عليه كما قال مولى الموّحدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «يا أهل العراق، يا أهل الشّقاق والنّفاق ومساوي الأخلاق»

وقيل: الشّقاق هوفراق الحقّ إلى العداوة وأهله. وقيل: الشّقاق: شدّة الخلاف الّذي لا يقارب الوفاق، والشّقاق شدّة المشاقّة والمعارضة.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، من دون تنافٍ بينها، حيث إنّ أبا جهل هو رأس الملحدين الّذين كانوا هم من مشركي العرب، فأبوجهل قآئدهم.

٥٣ ـ (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد)

في قوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» أقوال: ١ـ عن عطاء وابن زيد: أي سنري مشركي مكّة علامات وحدانيتنا ودلائل قدرتنا، وحجج تدبيرنا في آفاق العالم وأقطار السّموات والأرض من الشّمس والقمر والنّجوم وما في السّمآء مما نعلم وما في اللّيل والنّهار والرّياح والأمطار والرّعد والبرق والصّواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وما إليها... وفي أنفسهم من لطآئف الصنعة وبدائع الحكمة حتّى سبيل البول والغآئط فانّ الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد، ويتميّز ذلك من مكانين، وبديع صنع الله وحكمته في عينيه اللتّين هما قطرة مآء ينظر بهما من السّمآء والأرض مسيرة خمسمأة عام، وفي اذنيه اللتّين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك من بدائع حكمة الله فيه.

٢ـ عن مجاهد والسّدى والحسن: أي سنريهم دلآئلنا على صدق محمّد صلّى الله

عليه وآله وسلّم وصحّة نبوّته في الأفاق أي وقائع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنواحي بلد المشركين من أهل مكّة وأطرافها... ممّا يقع من القرى عليه وعلى المسلمين في أقطار الأرض، وفي أنفسهم يعني فتح مكّة. فهذا هوظهور رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وظهور دينه على الآفاق وعلى مكّة حتّى يعرفوا أنّ ما أتى به من القرآن حقّ، ومن عندالله لأنّهم بذلك يعرفون أنّه مؤيّد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحداً لا ناصر له، ففتح القرى فيسّر الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وللمسلمين في آفاق الدّنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً، وفي ناحية المغرب خصوصاً من الفتوح الّتي لم يتيسّر أمثالها لأحد من قبلهم، ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم، وتسليط ضعفآئهم على أقويآئهم، واجرآئه على أيديهم أموراً خارجة عن المعهود، خارقة للعادات...

والمعنى: سنريهم آياتنا في نصرة رسولنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في آفاق الدّنيا وجميع قطاع الأرض من الفتوح ومن الإظهار على الأكاسرة والملوك وتغليب العدد القليل على الكثير والأمور الخارجة عن المعهود وفي أنفسهم يوم بدر وفتح مكّة.

٣ـ عن قتادة والضحّاك: أي سنريهم دلائلنا على قدرتنا في الآفاق أي وقايع الله في الامم الماضيّة وفي أنفسهم أي وقعة يوم بدر. ٤ـ قيل: أي سنريهم حججنا على التّوحيد في أنفسهم بالبلايا والأمراض، وفي أنفسهم أي في خراب منازل الامم الخالية. ٥ـ عن إبن زيد أيضاً: أي سنريهم آياتنا في آيات السّمآء وحوادث الأرض. ٦ـ قيل: أي سنريهم آياتنا على التّوحيد في آفاق الأرض، وفي أنفسهم من كونهم نطفاً إلى غير ذلك من انتقال أحوالهم... ٧ـ قيل: الآيات الآفاقيه هي الحوادث الآتية وآثار النّوازل الماضية، وما يسّر الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفتوح والظهور على أقطار الأرض والإستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق العادة، والآيات الأنفسيّة هي ما ظهرت فيما بين أهل مكّة وما حلّ بهم يوم بدر وفتح مكّة.

٨ـ قيل: أي سيرون ما أخبرهم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفتن وأخبار

الغيوب. ٩- قيل: أي سنريهم آياتنا في الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحوادث فيها، وفي أنفسهم يعني ما كان بمكّة من انشقاق القمر وردّ الشّمس وتكلّم الشجرة وشهادة الضّبّ والحصاة وما إليها من المعجزات... حتّىٰ يعلموا أنّ خبره حقّ من قبل الله تعالى.

١٠ - قيل: أي سنريهم في الآفاق من أقطار السّموات والأرض من الكسوف والخسوف ومايعرض في السّمآء من الشّهب والسّحاب والمطر والرّعد والبرق والصّواعق... وما فيها من الكواكب والنّجوم والشّمس والقمر وطلوعها وغروبها، ومايترتب عليها من الليل والنّهار والأضوآء والظّلال والظّلمات... وما يقع في الأرض من الزلازل والرّجفة وما فيها من أنواع النّبات والأشجار والأنهار والجبال الرّفيعة والبحار الموّاجة والصّحارى الوسيعة والأزهار المتنوّعةالمتلوّنة...

وفي أنفسهم من أسرار وجودهم من العين الرائية، والسّمع السّامع واللسان النّاطق واليد الباطشة والرّجل السّاعي والعقل السليم والفكر السّاذج والإدراك والشّعور، ومن الجوع والعطش والشّبع والرّوى والمرض والصّحّة والغنى والفقر والرّضا والغضب والخوف والأمن... ومن تكوين الأجنّة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضآء العجيبة والتراكيب الغريبة كما قال تعالى: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» الذّاريات: ٢١) وغير ذلك من أسرار نظام الكون ونواميس الوجود، كلّ ذلك دليل على وحدانيّة الله الخالق المتعال، وعلى علمه وحكمته وقدرته وتدبيره.

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

١١ - عن الزّجاج: أي سنريهم آثار من مضى من قبلهم ممّن كذّب الرّسل من الأمم وآثار خلق الله في كلّ البلاد، وفي أنفسهم من أنّهم كانوا نطفاً ثمّ علقاً ثمّ مضغاً ثمّ عظاماً ثمّ كسيت لحماً ثمّ نقلوا إلى التّمييز والعقل، وذلك كلّه دليل على أنّ الّذي فعله واحد ليس كمثله شيء. ١٢- قيل: الآيات الأفاقية هي الخارجة عن حقيقة الإنسان وبدنه وهي شاملة لآيات تكوينيّة، خارجة البدن، ولآيات تدوينيّة تهدي بها النّفوس إذا شآءت ومنها الأخبار الغيبيّة الماضية والآتية... ومن

التّكوينيّة الأفلاك والكواكب والظّلم والأنوار والعناصر والمواليد وما إليها، ولا ريب أنّ العجآئب المودعة في هذه الأشيآء ممّا لا نهاية لها، وإنّما يوقف عليها حيناً بعد حين، وقد أكثر الله جلّ وعلا من تقرير تلك الدّلائل في القرآن الكريم، بعضها في السّور المكيّة، وكثير منها مدنيّة... والآيات الأنفسيّة هي الّتي أودعها في تركيب الإنسان، وفي ربط روحه العلوى ببدنه السّفلى.

١٣ ـ عن مجاهد أيضاً وإبن عبّاس: أي سنريهم آياتنا في الآفاق... وذلك أنّ المشركين كانوا يسافرون في البلاد النائية، فيرون آثار عاد وثمود والّذين من بعدهم، فيقولون: والله لقد صدق محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وما أراهم في أنفسهم من الأمراض... والمعنى: سنرى أهل مكّة علامات عجآئبنا و وحدانيتنا وقدرتنا في أطراف الأرض من خراب مساكن الّذين كانوا من قبلهم مثل عاد وثمود والّذين من بعدهم، ونريهم في أنفسهم من الأمراض والأوجاع والمصآئب...

١٤ ـ قيل: أريد بالآيات ما يستفاد من آيات أُخرى: أنّ الله تعالى سيظهر دينه بتمام معنى الظهور على الدّين كلّه: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون» الصّف: ٩) فلا يعبد على الأرض إلّا الله تعالى وحده وتظلّ السّعادة على النّوع الإنساني وهي الغاية لخلقتهم، وهذا المعنى هو المستفاد من قوله تعالى: «وعدالله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض...» النور: ٥٥) وهذا الزّمان هو زمن صاحب العصر المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، فالكلام عام موجّه للنّاس كافّة.

١٥ ـ قيل: أريد بارآءة الآيات ما يشاهده الإنسان في آخر لحظة من لحظات حياته في هذه الدّنيا حين الموت والإحتضار حيث تطير عنه الأوهام وتضلّ عنه الدّعاوي وتبطل الأسباب، ولا يبقى إلّا الله جلّ وعلا. ١٦ـ قيل: أي سنريهم عند الموت وحين البعث آياتنا...

أقول: وعلى الثّاني عشر أكثر المحقّقين من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال

الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» أقوال: ١ـ قيل: الحقّ هو القرآن المنزل من الله تعالى. ٢ـ قيل: هو الإسلام الّذي جآءهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعاهم إليه، ومايقول لهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الحقّ. ٣ـ قيل: إنّ مايريهم الله ويفعل من ذلك هو الحقّ. ٤ـ قيل: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الرّسول الحقّ. ٥ـ عن إبن زيد وعطآء: أي إنّ الله تعالى هو الحقّ. ٦ـ قيل: أي حتّى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأوحينا إليه من الوعد له بأنّا مظهر وما بعثناه به من الدّين على الأديان كلّها ولو كره المشركون، وأنّ القرآن هو الحقّ، يقوم منهج القرآن للرّدّ على خصومه ومخالفيه على أمرين:

الأوّل: النّظر إلى الشّيء المختلف فيه نظرة موضوعيّة مجرّدة عن التّقليد وكلّ رأى سابق كما جآء في آيات التّقليد للأبآء والأجداد: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ماوجدنا عليه آبآءنا» لقمان: ٢١) والبقرة: ١٧٠) والمآئدة: ١٠٤) والزّخرف: ٢٢-٢٣) والأعراف: ٢٨) ويونس: ٧٨) والأنبيآء: ٥٣) والشّعراء: ٧٤)

الثّاني: الإعتماد على منطق الحسّ والعقل سلباً وإيجاباً، وعلى هذا الأساس قال لعبدة الأصنام: إنّها لاتنفع ولا تضرّ، ولمن ألّه الكواكب: إنّها تأفل وتغيب، وللمشركين: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) ولمن قال: البعث محال: مَن أوجد النشأة الأولى يوجد الثّانيّة، أمّا الّذين أنكروا وجود الله تعالى فقد وعدهم أن يكشف لهم عن الأدلّة النّاطقة بوجوده في أشيآءِ الكون بأرضه وسمآئه، وفي أنفسهم بالذّات، وقد صدق بوعده حيث اهتدى العلمآء قديماً وحديثاً في الكون والإنسان إلى قوانين وسنن، وحقائق لايمكن ولا يصحّ تفسيرها إلّا بوجود الله جلّ وعلا لأنّ الفكرة المضادّة حماقات... و وضع العلماء الكثيرون فيه كتباً خاصّة.

٧ـ قيل: أي حتّى يتبيّن لهم بذلك أنّ القرآن والإسلام والتّوحيد وهذا المنهج وهذا القول الّذي يقوله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم هو الحقّ. ٨ـ قيل: هو المهدى الحجّة بن الحسن عليهما السّلام

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وعلى الخامس أكثر المحقّقين والأخير هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله جلّ وعلا: «أولم يكف بربك أنّه على كلّ شيء شهيد» أقوال: ۱ـ قيل: أي أولم يكف هؤلآء الملحدين في آيات الله ربّك بما دلّهم عليه من توحيده لأنّه على كلّ شيئ شهيد، وإذا شهده جازى عليه. ۲ـ قيل: أي أولم يكف ربّك في معاقبته الكفّار. ۳ـ قيل: أي أولم يكف بربّك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه شاهد على أعمال كفّار مكّة. ٤ـ عن مقاتل: أي أولم يكف بربّك شاهداً على أنّ القرآن من عندالله. ٥ـ قيل: أي أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء ممّا يفعله العبد شهيد أي عليم بالأشيآء، شاهد لجميعها لايغيب عنه علم شيء منه وهو مجازيهم على أعمالهم المحسن بالإحسان، والمسيئ باسآئته، ٦ـ قيل: أي أولم يكف شهادة ربّك على كلّ شيء. ومعنى الكفاية هنا أنّه تعالى بيّن للنّاس مافيه كفاية من الدّلآئل على توحيده وتصحيح نبوّة رسله.

۷ـ قيل: أي أولم تكف هؤلآء الملحدين هذه الايات الآفاقيّة والأنفسية دلالة على أنّ هذا القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كلّ شيئٍ. ۸ـ عن حكماء الإسلام: أراد الله جلّ وعلا بقوله: «أولم يكف...» توبيخ من ليس له رتبة الإستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود، فإنّ هذا هو طريقة الصّدّيقين، وأمّا غيرهم فانّهم يستدلون بالممكن على الواجب، فيفتقرون إلى النّظر في الآفاق... ۹ـ قيل: النّظر في الآفاق لأجل العوام، وفي الأنفس للخواص، وقوله: «أولم يكف...» لخواص الخواص. ۱۰ـ قيل: أي أولم يكف الإنسان من الزّاجر والرّادع عن المعاصي والآثام كون الله تعالى شهيداً عليهم.

۱۱ـ قيل: أراد الله تعالى أنّه لايخلف ماوعده لإطّلاعه على الأشيآء كلّها... والمعنى: إنّ الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبيّنونه عند ذلك أنّ القرآن تنزيل عالم الغيب الّذي هو على كلّ شيء شهيد أي مطّلع مهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنّه حقّ وأنّه من

عنده ١٢ـ عن إبن عبّاس: أي أولم يكفهم ما بيّن لهم ربّك من أخبار الأمم الماضية من غير أن يريهم أنّه على كلّ شيء من أعمالهم شاهد أي حاضرناظر. وقيل: الشّهيد بمعنى المشهود والمعنى: أولم يكف في تبيّن الحقّ كون ربّك مشهوداً على كلّ شيء إذ ما من شيء إلّا وهو فقير من جميع جهاته إليه، متعلّق به وهوتعالى قآئم به، قاهرفوقه، فهوتعالى معلوم لكلّ شيء وإن لم يعرفه بعض الأشيآء.

أقول: وعلى الحاديعشر أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر. فتأمّل جيّداً.

٥٤ ـ (ألا إنّهم في مرية من لقآء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط)

في قوله تعالى: «ألا إنّهم في مرية من لقآءِ ربّهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي أهل مكّة في شك من لقآءِ ثواب ربّهم وعقابه لأنّهم في شكٍ من البعث والنشور. ٢ـ قيل: أي الّذين يرتكبون القبآئح والفواحش والمحرّمات والآثام... ولا يشعرون بالمسئوليّة وسوء العاقبة، هم يشكون في كلّ حقّ، وإن قام عليه ألف دليل وألف، سوآء أكانوا هم مشركي مكّة أم مشركي العرب أو غيرهم من الكفّار والمنافقين وضعفآء الإيمان.

٣ـ قيل: أي هؤلآء الملحدون في آيات الله من مشركي العرب في ريب شديد من البعث والحساب والجزآء من الجنّة والنّار. ٤ـ قيل: أي إنّ الكفّار اطلاقاً في شكّ من لقآء ثواب ربّهم وعقابه أي في ريب من مجازاة ربّهم. ٥ـ قيل: أي ألايا أيّها العقلآء في كلّ ظرف إنّ المشركين في شك من البعث والحساب والجزآء واستبعادهم إحيآء الموتى بعد تفرّق أجزآئهم وتبدّد أعضآئهم، ومن ثمّ لا يلتفتون إلى النّظرفيما ينفعهم عند لقآئه كالشّك في صدق نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّ القرآن حق لا شكّ فيه.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجلّ: «ألا إنّه بكلّ شيء محيط» أقوال: ١ـ قيل: أي ألا يا أيّها المشركون بالله والمنكرون بلقآء يوم القيامة إنّ الله تعالى أحاط بكلّ شيءٍ علماً وأحصى

كلّ شي ء عدداً. ٢ـ قيل: أي ألا يا أيّها العقلاء إنّ الله بكلّ شي ء عليم، حفيظ له وقدير عليه. وذلك أنّ الإحاطة بالشي ء: الإستدارة به من جميع جوانبه. يقال: أحاط القوم بالبلد إذا أحد قوابه وإستداروا بجوانبه. وحقيقته: الإحاطة بكلّ شي ء، واستئصال المحاط به، ومن ذلك حائط الدّار يحوطها أهلها. ثمّ استعمل تارة في شمول الحفظ، وتارة أُخرى في شمول العلم، وثالثة في استيلاء القدرة وشمولها.

٣ـ قيل: أريد به شمول الحفظ. والمعنى: حافظ له من جميع جهاته. ٤ـ قيل: أريد به شمول العلم. والمعنى: عالم بكلّ شي ء ظاهراً وباطناً، جملة وتفصيلاً. ٥ـ قيل: إنّ المراد إحاطته علماً وقدرة معاً وأمّا قوله تعالى: «أحاط بكلّ شي ء علماً» الطلاق: ١٢) فتمييزه بالعلم معيّن له، قالوا: الإحاطة بالشيْ علماً هو أن يعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيّته وغرضه المقصود به، وبإيجاده وما يكون هومنه، وليس ذلك إلّا الله جلّ وعلا.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، ولكنّ الباقي لايخلو من وجه فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

﴿التفسير والتأويل﴾

١ ـ (حمٓ)

رمز من الرّموز ـ كسآئر مفاتيح السّور ـ بين الله جلّ وعلا ومَن عنده علم الكتاب من أهل بيت الوحي المعصومين محمّد وآله الطّاهرين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته بعدد ما أحاط به علم الله عزّوجلّ.

٢ ـ (تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم)

هذا القرآن منزّل على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ نجوماً على الأحداث... ـ من عندالله الّذي وسعت رحمته كلّ شيءٍ، فتشمل المؤمن والكافر، الموحّد والمشرك، المخلص والمنافق المصلح والمفسد، والمطيع والعاصي... والّذي يختص برحمته من يشآء من عباده الّذين يؤمنون بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه وباليوم الآخر ويطيعون الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله عزّوجلّ: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلاً» الإسراء:١٠٦)

وقال: «ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف:١٥٦)

وقال حكاية عن الملآئكة: «ربّنا وسعت كلّ شيء رحمةً وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم» المؤمن:٧)

وقال: «يا أيّها النّاس قدجاءكم برهان من ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النّسآء: ١٧٥)

وقال: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتّقوا لعلّكم ترحمون» الأنعام: ١٥٥)

وقال: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليآء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إنّ الله عزيز حكيم» التّوبة: ٧١)

٣ـ (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

هذا التّنزيل كتاب سيدوّن، فصّلت آياته بعد إحكامها «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١) كتاب يصدّق بعضه بعضاً من دون إختلاف فيه، كتاب ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله تعالى، ولا يخالف بصاحبه عن الله جلّ وعلا، حالكون هذا الكتاب قرآناً يقرأ بلسان عربيّ لأنّ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم عربيّ «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤) «فإنّما يسّرناه بلسانك لتبشّربه المتّقين وتنذر به قوماً لدّاً» مريم: ٩٧) «فإنّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون» الدّخان: ٥٨) فنزل القرآن بلغة العرب ليسهل عليهم قرائته وفهمه، فيفهمونه بلا واسطة، وغيرهم يفهمونه بوساطتهم، فأنذربه عشيرته الأقربين أوّل من انذر ـ بأمر الله تعالى ـ ثمّ أنذر به قومه، ثمّ دعا إليه النّاس كافّة.

قال الله تعالى: «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً» سبأ: ٢٨)

وقال: «قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ١٥٨)

وللتّفصيل معانٍ: **منها** ـ الوجدان والإيضاح والبيان كقوله تعالى: «ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدىً ورحمة لقوم يؤمنون» الأعراف: ٥٢) أي بيّناه. **ومنها** ـ البينونة والتّفريق والتّقطيع كقوله جلّ وعلا: «آيات مفصّلات» الأعراف: ١٣٣) أي مفرّقات بعضها من بعض. وقوله تعالى: «يوم الفصل كان ميقاتاً» النّبأ: ١٧) هو يوم

البينونة.

والمعنى: هذا التّنزيل كتاب بلسان عربيّ مبين بيّنت حرامه وحلاله، فرآئضه وفضآئله، ناسخه ومنسوخه، رُخصه وعزآئمه، خاصّه وعامّه، عبره وأمثاله، مرسله ومحدوده، محكمه ومتشابهه، وفُسِّرت جُمَله، ميّزت آياته وسوره، وبيّنت اصوله وفروعه، وسننه وغوامضه، وكلّ ما يحتاج إليه الإنسان في جميع شئون حياته الدّنيوية والاخرويّة في كلّ ظرف.

كلّ ذلك لقوم يؤمنون بهذا الكتاب وعلى يقين به، وكانوا بصدد أن يعلموا ذلك بالتّذكّر والتّفقّه، وبالتّفكر والتّعقّل في آياته...

قال الله عزّوجلّ: «وتفصيلِ كلّ شي ء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» يوسف: ١١١)

وقال: «قد بيّـنّا الآيات لقوم يوقنون» البقرة: ١١٨)

وقال: «قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون ـ قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون ـ قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون» الأنعام: ٩٧-٩٨-١٢٦)

وقال: «كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون» يونس: ٢٤)

وقال: «كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢٨)

وأمّا الّذين لا يتفكّرون في القرآن الكريم، ولا يتدبّرون آياته، ولا يعتنون كلام الخالق المتعال على حدّ كلام المخلوق الخاطئ غير المعصوم، ولا يكونون بصدد تحصيل العلم بما جآء فيه، فهو عمى عليهم ولا يزيدهم إلّا خساراً وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

قال الله جلّ وعلا: «قد جآءكم بصآئر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها» الأنعام: ١٠٤)

وقال: «قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقرو هو عليهم عمى» فصّلت: ٤٤)

وقال: «ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم

تنسى» طه: ١٢٤-١٢٦)

وقال: «وننزّل من القرآن ماهو شفآء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين إلّا خساراً» الإسرآء: ٨٢)

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٣-١٠٤)

٤ - (بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)

حالكون هذا القرآن بشيراً للّذين يتدبّرون آياته، ويقولون ربّنا الله ويستقيمون ويعلمون به، بشارة لهم بالخير والصّلاح، وبالعزّة والكمال في الحياة الدّنيا، وبالسّعادة والفلاح والفوز بالجنّة والخلود في جنّات النّعيم في الدّار الآخرة، وحالكونه نذيراً للّذين لايتفكّرون في آياته ولا يؤمنون ولا يعملون به، فهو تخويف لهم بالشّرّ والفساد وبالذّلّة والإنحطاط في الدّنيا، وبالشّقآء والخسران وبدخول النّار وخلودها في الدّار الآخرة.

قال الله تعالى: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الّذين يعلمون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً» الإسراء: ٩)

وقال: «الحمد لله الّذين أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الّذين يعلمون الصّالحات أنّ لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً وينذر الّذين قالوا اتّخذ الله ولداً» الكهف: ١-٤)

وقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون - نزلاً من غفور رحيم» فصّلت: ٣٠-٣٢)

وقال: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - إنّ الّذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم» النّحل: ٨٩-١٠٤)

وقوله تعالى: «فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» فأعرض أكثر مشركي العرب، ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، عن التعقّل في القرآن الكريم وعن الإيمان بعد هذا البيان، فكأنّهم لا يسمعونه حقيقة.

قال الله عزّوجلّ: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه فأعرض عنها» الكهف: ٥٧)
وقال: «والّذين كفروا عمّا أنذروا معرضون» الأحقاف: ٣)
وقال: «ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّمّ ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون» يونس: ٤٢-٤٣)
وقال: «يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها» الجاثية: ٨)

٥ - (وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون)

وقال الّذين أعرضوا عن القرآن الكريم كأبي جهل بن هشام وأذنابه، ومن ينسلك مسالكهم في كلّ ظرف، والّذين لا يسمعون كلام الخالق المتعال سماع تأمّل وتفكّر وطاعة، كانوا يقولون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إعلم يا محمّد! أنّ قلوبنا في أغطية متكاثفة ممّا تدعونا إليه من التّوحيد، وتصديقك فيما جئت به، أنّ قلوبنا نابية عن إدراك ماجئت به وتقلّبه واعتقاده كأنّها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها، أنّ قلوبنا محجوبة فلايتسرّب إليها شيء ممّا تدعونا إليه من القرآن، وأنّ قلوبنا مغطاة بأغطية لايتطرّق إليها شيء من خارج، فلذلك لانفقه ماتقول، حتّى لو سمعناه لما وصل إلى قلوبنا لأنّها في أغطية متكاثفة لا ينفذ فيها قولك، مع مافي آذانناصمم يجعلنا لانسمع ماتتلوه علينا، فلا يدخل في أسماعنا شيء منه، فلاتسمع شيئاً من دعوتك!

قال الله تعالى: «لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩)
وقال: «فالّذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» النّحل: ٢٢)
وقال: «وإذا تتلى عليه آياتنا ولىّ مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً» لقمان: ٧)
وقال: «وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزّمر: ٤٥)

وقال: «ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ماكانوا يعملون» الأنعام:٤٣) ولتباعد الدّينين وتضادّ الطريقين، وتعاكس المسلكين: طريق النّور والهدى، وسبيل الظّلمة والضّلالة، طريق التّوحيد والطاعة، وسبيل الشّرك والمعصية، طريق الصّلاح والكمال، وسبيل الفساد والإنحطاط، وطريق الخير والسّعادة وسبيل الشّرّ والشّقاوة... «لكم دينكم ولي دين» قالوا لرسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم: كأن بيننا وبينك يا محمّد حجاب كثيف وحاجز منيع يحجزنا منك، فلا نجتمع معك على شيئ ممّا تريد، إذ بيننا وبينك سدّ لا ينفذ إلينا شيء من أقوالك وندرك، فالمسافة الّتي بيننا وبينك مملؤة من الحجاب الّذي إبتدأ منّا يمنعنا عن التّواصل!

نعم! ولا حجاب إلّا قادة الجهل والعناد، قادة البغي واللجاج، وقادة البغي والحسد... ولا حياة لقوم يقودهم الجهل والغفلة...

فاعمل يا محمّد في إبطال أمرنا جهد طاقتك، ونحن نعمل جاهدين في فضّ النّاس من حولك، وتشتيت شمل من آمن بك حتّى تبطل دعوتك، فنحن ثابتون مصرّون على ما نحن عليه، فافعل ماتشآء، ونفعل مانشآء: «كلّ يعمل على شاكلته» الإسرآء: ٨٤)

٦ ـ (قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين المعاندين، لهؤلآء الغافلين الجاهلين، ولهؤلآء الكفرة الفجرة: إنّي لست بملك ولا جنّيّ لا يمكنكم التّلقّي منّي، ولا أدعوكم إلى ماتنبو عنه العقول والأسماع، ولا من جنس يباينكم حتّى يكون بيني وبينكم حجاب مضروب أولا ينفذ كلامي في آذانكم أو لا يرد قولي في قلوبكم، ولا أحملكم على التّوحيد والإيمان بالله جل وعلا قسراً، ولا أجبركم على ترك الشّرك ورفض الطّواغيت...

إنّما أنا بشر آدميّ كسآئر الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام مثلكم في الجنس والصّورة والهيئة أعاشركم كما يعاشر بعضكم بعضاً، واكلمكم كما يكلّم أحدكم صاحبه.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلّا إنّهم ليأكلون الطّعام ويمشون في الأسواق» الفرقان: ٢٠)

وقال: «وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطّعام وما كانوا خالدين» أنبيآء: ٨)

ولكنّ الله جلّ وعلا اصطفاني، وخصّني بنبوّته من أنفسكم، وميّزني منكم إذ أرسل إليّ جبرئيل بهذا القرآن المفصّل الّذي ابلغكم به وأدعوكم إليه: إنّما إلهكم إله واحد بلا ولد ولاندّ، ولاشريك له في الذّات والوجود، ولا في الإيجاد والتّكوين، ولا في تدبير النّظام ونواميس الوجود، ولا في العبادة، فاتخذوه إلهكم وحده واعبدوه وحده، هذه هي رسالتي على الأجيال فادرسوها بتجرّد وانصاف تجدونها دعوة الحقّ والعقل والصّلاح والإصلاح ولذلك خلق الأنس والجنّ كما أنّها كانت رسالة جميع الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥)

وقال: «إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» الزّخرف: ٦٤)

وقال: «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» الذّاريات: ٥٦)

وقال: «هذا بلاغ للنّاس ولينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذّكّر اولوا الألباب» إبراهيم: ٥٢)

وقال: «ولقد بعثنا في كلّ امّة رسولاً أن اعبدو الله واجتنبوا الطّاغوت» النّحل: ٣٦)

وقال: «إذ جآئتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله» فصّلت: ١٤)

وقال: «قالت لهم رسلهم إن نحن إلّا بشر مثلكم ولكنّ الله يمنّ على من يشآء من عباده» إبراهيم: ١١)

وقال: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحي إليّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ١١٠)

وإذا صحّت بالوحي نبوّتي وجب عليكم إتّباعي، فاقبلوا إلى الله جلّ وعلا بالتّوبة

من الشّرك والطّغيان فآمنوا به، فاذا لم يكن إلاّ إلهاً واحداً لا شريك له فاستووا إليه بالتّوحيد وإخلاص العبادة وارفضوا الآلهة المزعومة من الأصنام والأوثان والطّواغيت... فاستقيموا في إيمانكم وعملكم متوجّهين إليه وحده لا آلهة متفرّقون.

كما يقول الرّجل: إستقم إلى منزلك أي لا تعرج على شيءٍ غير القصد إلى منزلك أي لا تعدل عنه إلى غيره.

واستغفروا الله فيما صدر عنكم من الشّرك والعصيان، واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته فإن إستقمتم واستغفرتم ربّكم غفر لكم ونجاكم من عذابه.

و ويل ـ دعاء بالخزى والهوان، بالهلاك والخسران، وبالعذاب والنّيران ـ للمشركين الّذين يمسكون بشركهم لفرط جهالتهم واستخفافهم بالله جلّ وعلا، ولا يتحوّلون عن الشّرك والطّغيان، إلى التّوحيد والإيمان بالله عزّوجلّ.

قال الله تعالى: «و ويل للكافرين من عذاب شديد» إبراهيم: ٢)

وقال: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين» الزّمر: ٢٢)

٧ـ (الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون)

هؤلآء المشركون ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، هم الّذين لا يؤتون زكاة أنفسهم فلا يطهّرونها من أرجاس الشّرك وأدران الكفر بطيب التّوحيد وطهارة الإيمان، ولا يزكّونها من أوساخ الذّنوب وقذارات الفجور بالإخلاص في العبادة والتّقوى ولا ينمونها نمآء طيّباً بصالح الأعمال...

فيكون الإتيان بمعنى التّسليم وإعطآء الولآء لله جلّ وعلا ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والمراد بالزّكاة هي تزكية النّفس وتطهيرها من أرجاس الشّرك وإنمآئها نمآء طيباً بالتّوحيد والإخلاص وصالح العمل.

قال الله عزّوجلّ: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها» الشّمس: ٧ـ١٠)

وقال: «قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى» الأعلى: ١٤ـ١٥)

وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من أحوال الآخرة، ولذلك لا يرفضون الطّواغيت، ولا يستغفرون الله ولا يؤمنون به.

٨ـ (إنّ الّذين آمنوا وعلموا الصّالحات لهم أجر غير ممنون)

إنّ الّذين اجتنبوا الآلهة الموهومة ورفضوا الطواغيت، وآمنوا بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما جآءهم به وباليوم الآخر، وعملوا الصّالحات من العبادات وصالح الأعمال لهم أجر غير منقوص عمّا وعدهم الله جلّ وعلا أن يأجرهم به، ولا منّ به عليهم، ولا مقطوع، بل هو جزآء حسن متّصل دآئم لا ينقطع أبداً حيث جنّات النّعيم هم فيها خالدون.

قال الله تعالى: «ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً» الكهف: ٢ـ٣)

وقال: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لنبوّئنّهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين» العنكبوت: ٥٨)

٩ ـ (قل أإنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين ـ توبيخاً وتقريعاً ـ: كيف تستجيزون أن تكفروا بالله سبحانه، وأن تجحدوا نعمة من خلق الأرض في مقدار يومين ـ يوم الأحدو يوم الأثنين ـ؟ وكيف تجعلون له أمثالاً وأشباها وأضداداً وشركآء من الملائكة والجنّ والأصنام والأوثان والطّواغيت... تعبدونها؟

ذلك الّذي خلق الأرض في مقدار يومين هو خالق الكون ومدبّر نواميس الوجود، ومالك التّصرّف فيهم.

قال الله تعالى: «ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين» المؤمن: ٦٤)

وقال: «ذلكم الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيءٍ فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢)

١٠ - (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآء للسّائلين)

وجعل الله تعالى في الأرض جبالاً راسيات ثوابت مرتفعات من فوق الأرض أوتاداً لها، وقد يعلل وجود هذه الرّواسي بقوله عزّوجلّ: «ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً» النبأ: ٦-٧) «وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم» لقمان: ١٠) أي أنّها راسية ترسى الأرض وتحفظ موازينها، فلا تميد، ولقد غبر زمان كان النّاس يحسبون أنّ الأرض ثابتة راسخة على قواعد متينة، ثمّ جآء زمان يقال لهم فيه الآن: إنّ الأرض كرة صغيرة سابحة في فضآءٍ مطلق لا تستند إلى شي ء... ولعلّهم يفزعون حين يقال لهم: هذا الكلام أوّل مرّة، أو لعلّ منهم من ينظر بوجل عن يمينه وعن شماله خيفة أن تتأرجح به هذه الأرض أو تسقط في أعماق الفضآءِ فليطمئنّ فإنّ يدالله جلّ وعلا تمسكها عن أن تزول هي والسّمآء «ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده» فاطر: ٤١) وليطمئنّ فإنّ النّواميس الّتي تحكم هذا الكون متينة من صنع القويّ العزيز.

وقد إختار ارساؤها فوق الأرض لتكون منافع الأرض ظاهرة لطالبيها، وليبصر أنّ الأرض والجبال أثقال على أثقال كلّها مفتقرة إلى ممسك وهو الله عزّوجلّ.

وقد بيّن أنّ أُسُسُ الجبال في الأرض وهي الطّبقة الصّوّانيّة، وهذه الطبقة هي الّتي برزت منها الجبال، فالجبال أساسها بعيدة الغَوْر ضاربة في جميع الطّبقات، واصلة إلى أوّل طبقة وهي الطّبقة الصّوّانيّة الّتي لولاها لم تكن الأرض أرضاً ولم تستقرّ عليها، فأرضنا كرة من النّار غطيت بطبقة صَوّانيّة فوقها طبقات ألطف منها تكوّن فيها الحيوان والنّبات على مدى الزّمان، والجبال نتوءات نتأت من تلك الطبقة وارتفعت فوقها عشرات آلاف الكيلومترات، وصارت مخازن للمياه والمعادن وهداية للطّرق وحافظة للهوآء والسّحاب...

قال الله تعالى: «وهو الّذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كلّ

الثّمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي اللّيل النّهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الرّعد: ٣)

وقال: «وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون» النّحل: ١٥)

وقال: «وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم مآء فُراتاً» المرسلات: ٢٧)

وقوله تعالى: «وبارك فيها» فجعل الله عزّوجلّ الأرض دآئمة الخير لأهلها إذ خلق فيها من المنافع لهم، وأكثر خيرها بكثرة المياه والزّروع والضّروع وغير ذلك من العناصر والمعادن...

قال الله جلّ وعلا: «أخرج منها مآءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم» النّازعات: ٣١-٣٣).

وقال: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي أنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب ونزّلنا من السّمآء ماء مُباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد والنّخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد» ق: ٧-١١)

وقال: «وأنزلنا من السّمآء ماء بُقدر فأسكنّاه في الأرض - وعلى الفلك تحملون» المؤمنون: ١٨-٢٢)

وقوله جلّ وعلا: «وقدّر فيها أقواتها» وقدّر الله عزّوجلّ في الأرض أقوات أهلها وأرزاقهم ومنافعهم ومعايشهم... مايقوتهم من الغدآء والهوآء، من المياه والمساكن، ومن الملابس والأماكن الّتي تزرع وتغرس... مايناسبه حال كلّ إقليم... قدّرها قبل أن يخلقها كما قدّر عمر أهلها وعدد أهلها وساكنها... ولم يخلق تعالى في العالم كلّه، وفي الأرض خاصّة من طوآئف الملائكة والجنّ والإنس، ومن أنواع الحيوان والنّبات والجماد... وممّا لانعلم إلّا إنّه جلّ وعلا قدّر رزقه ومدّة عمره...

قال الله تعالى: «الّذي له ملك السّموات والأرض ولم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلّ شيءٍ فقدّره تقديراً» الفرقان: ٢)

وقال: «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩)

وقال: «سبّح اسم ربّك الأعلى الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى» الأعلى: ١-٣)

وقال: «قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً» الأعلى: ٣)

وقال: «وكلّ شيءٍ عنده بمقدار» الرّعد: ٨)

وقال: «وإن من شيء إلاّ عندنا خزآئنه وما ننزّله إلاّ بقدرمعلوم» الحجر: ٢١)

وقوله تعالى: «في أربعة أيّام» قدّر ذلك كلّه في تتمّة أربعة أيّام من حين إبتداء الخلق - فيومان لخلق الأرض، ويومان - وهما تتمّة أربعة أيّام - لتقدير الأقوات... فاليومان الأوليان داخلان في الأيّام الأربعة الّتي جعل فيها كلّ ما هي في حاجة إليه وكلّ ما يكون أهلها في حاجة إليه من وسآئل الحياة.

وقوله سبحانه: «سوآء للسّائلين» إنّ الله عزّوجلّ قد أوجد في الأرض كلّ شيءٍ ليستوفي كلّ سآئل فيها ما هو في حاجة إليه وإن لم يسئل باللّسان، وذلك أنّ كلّ مخلوق بما أنّه مخلوق، فهو محتاج في حدوثه وبقآئه، سائل في الحقيقة، فقير إلى الله جلّ وعلا وإن لم يسئل بلسان القال، ولكنّه سآئل بلسان الحال سئوالاً طبيعياً مغروساً في جبلّته. قال الله تعالى: «إن كلّ من في السّموات والأرض إلاّ آتي الرّحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً» مريم: ٩٣-٩٤)

وقال: «يسئله من في السّموات والأرض» الرّحمٰن: ٢٩)

وقال: «يا أيّها النّاس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد» فاطر: ١٥)

وقال: «وآتاكم من كلّ ما سئلتموه وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها» إبراهيم: ٣٤)

١١ - (ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طآئعين)

ثمّ توجّه جلّ وعلا بداعي الحكمة - بعد خلق الأرض وتقدير أقواتها، قبل دحوها، وإخراج مآءها ومرعاها - إلى السّمآء وقصدها بالخلق دون القصد المكانيّ الّذي لا يتمّ إلاّ بانتقال القاصد من مكان إلى مكان، ومن جهة إلى جهة أُخرى لتنزّهه تعالى عن ذلك، قصدها بالخلق والتّكوين، وقد كانت دخاناً، فقال - بعد ما فرغ من خلقهما -

للسّمآء وللأرض: ائتيا على ماينبغي أن تأتيا من الشّكل والوصف... قال للأرض: ايتي مدحوّة قراراً لسكّانك ...، وقال للسّمآء: ايتي سقفاً مبنيّاً عليهم...

فللسّمآء بناء بين دخانها وطباقها كما بنيت الأرض أرضاً ما، ثمّ انقسمت إلى سبعها، فالتسوية سبعاً تتحمل للسّمآء بنآءً أوّلاً هو لها وحدها بتحويلها عن دخانها إلى حالة أُخرى فيه: «السّمآء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها مآءها ومرماها» النّازعات: ٢٧-٣١) وثانياً هو تسبيعها، فخلق الأرض وتقدير أقواتها هما قبل الإستوآء إلى السّمآء لقوله تعالى: «هو الّذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السّمآء فسوّاهنّ سبع سموات» البقرة: ٢٩) وقوله عزّوجلّ: «خلق الأرض في يومين - وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام» فصّلت: ٩-١٠) وأن دحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها بين بنآء السّمآء وتسبيعها.

إنّ الله تعالى أمر السّمآء والأرض بالا تيان والخضوع له جلّ وعلا طوعاً أو كرهاً فأطاعتاه طوعاً، وإن لا نعلم كيفيّة ذلك، كما لا نفقه تسبيحها ولا سجدة الشّمس والقمر والنّجوم والدّوابّ له عزّوجلّ ولا تكلّم الشّجر لموسى عليه السّلام.

قال الله تعالى: «تسبّح له السّموات السّبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الأسراء: ٤٤)

وقال: «ألم تر أن الله يسجد له من في السّموات ومن في الأرض والشّمس والقمر والنّجوم والجبال والشّجر والدّوابّ» الحجّ: ١٨)

وقال: «وكلّم الله موسى تكليماً» النّسآء: ١٦٤)

١٢ - (فقضاهنّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كلّ سمآءٍ أمرها وزيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)

إنّ الله تعالى خلق من الدّخان سمآءً واحدة، ففتقها: «أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقنا هما» الأنبيآء: ٣٠) فجعلها سبع سموات في يومين آخرين: يوم الخميس ويوم الجمعة، سوى الأيّام الأربعة الّتي خلق فيها الأرض وقدّر أقواتها، فوقع خلق

السّموات والأرض في ستّة أيّام كما قال تعالى: «ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما في ستّة أيام» ق: ٣٨) وقد سمّى يوم الجمعة جمعة لأنّه جمع فيه خلق السّموات والأرض وما بينهما.

وقوله تعالى: «وأوحى في كلّ سمآءٍ أمرها» ودبّر الله جلّ وعلا أمر كلّ سمآء من السّموات السّبع بعد خلقها بما يقتضيه، فأوحاه إليها وأهلها...

قال الله عزّوجلّ: «إن ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يدبّر الأمر» يونس: ٣)

وقال: «الله الّذي رفع السّموات بغير عمد ترونها ثمّ استوى على العرش وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون» الرّعد: ٣)

وقوله عزّوجل: «وزيّـنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح» بكواكب مضيئة متلألئة كتلألؤ المصابيح، وهي وإن تفاوتت إرتفاعاً وانخفاضاً ولكنّها ترى متلألئة.

قال الله تعالى: «أفلم ينظروا إلى السّمآء فوقهم كيف بنيناها وزيّـنّاها وما لها من فروج» ق: ٦)

وقال: «ولقد جعلنا في السّمآء بروجاً وزيّـنّاها للنّاظرين» الحجر: ١٦)

وقال: «إنّا زيّـنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب» الصّافات: ٦)

وقد سمّيت الكواكب مصابيح لأنّه يقع بها الإهتداء في ظلمات البرّ والبحر...

قال الله سبحانه: «وبالنجم هم يهتدون» النحل: ١٦)

وقال: «وهو الّذي جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ والبحر قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون» الأنعام: ٩٧).

السّمآء الدّنيا هي السّمآء الّتي تعلو هذه الأرض، وهي السّمآء الأولى، وهي أقرب السّموات من الأرض، وفوقها بقيّة السّموات السّتّ، طباق بعضها فوق بعض.

قال الله تعالى: «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً» نوح: ١٥)

وقوله عزّوجلّ: «وحفظاً» وحفظنا السّمآء الدّنيا بالكواكب والشّهب حفظاً من

الشّياطين الّذين يسترقون السّمع، فإنّهم يرجمون بها، ونحن نحفظ الكون ونواميس الوجود بسنن محكمة ثابتة.

قال الله تعالى: «إنّا زيّنّا السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كلّ شيطان مارد لا يسّمّعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كلّ جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» الصّافات: ٦-١٠)

وقال: «وحفظناها من كلّ شيطان رجيم إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهاب مبين» الحجر: ١٧-١٨)

وقال: «ولقد زيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشّياطين» الملك: ٥)

فتقوم النّجوم على حراسة السّمآء الدّنيا من الشّياطين إذا أرادوا التّسمع لما في الملإ الأعلى.

وقوله تعالى: «ذلك تقدير العزيز العليم» ذلك الّذي ذكر من خلق الأرض في يومين، وتقدير أقواتها في يومين آخرين، ومن خلق السّموات السّبع، وتدبير أمرها وتزيين السّمآء الدّنيا بزينة الكواكب حفظاً من كلّ شيطان مارد... فهذا النّظام الّذي قام عليه الوجود في أرضه وسمآئه هو من تقدير العزيز في ملكه لا يمتنع عليه شيء، العليم بمصالح عباده لا يخفى عليه شيء، فلكمال عزّته وقدرته قدر على خلق ما خلق، ولشمول علمه، دبّر ما دبّر.

قال الله تعالى: «الّذي له ملك السّموات والأرض ولم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً» الفرقان: ٢)

١٣ - (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

فإن أعرض هؤلآء المشركون الفجرة والمستكبرون الكفرة عمّا تدعوهم إليه من الإستغفار من الشّرك والطّغيان، من الكفر والعصيان، ومن الذّنوب والعدوان... وما تدعوهم إليه من رفض الآلهة الموهومة والطّواغيت... ومن التّوحيد والإيمان بالله تعالى وإخلاص العبادة وصالح الأعمال، ومن الإستقامة والصّلابة في الدّين فإن

أعرضوا عن ذلك بعد هذا البيان، فقل أيّها الرّسول مخوّفاً لهم: إنّي خوّفتكم أن تنزل بكم عذاب شديد الوقع كأنّه صاعقة، وأنذرتكم بحلول نقمته بكم كما حلّت بالأمم الماضية الّتي كذّبت رسلها كعاد وهم قوم هود عليه السّلام وثمود وهم قوم صالح عليه السّلام ومن على شاكلتها ممّن فعل فعلهما.

قال الله تعالى: «كذّبت عاد المرسلين ـ فكذّبوه فأهلكناهم إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ـ كذّبت ثمود المرسلين ـ فأخذهم العذاب إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشعرآء: ١٢٣-١٥٨)

وقال: «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الرّيح العقيم ـ وفي ثمود ـ فأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون» الذّاريات: ٤١-٤٤)

إن تسئل: كيف أنذر الله تعالى المشركين بالصّاعقة الّتي نزلت على الأمم الماضية، وقد أخبر في قوله عزّوجلّ: «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم» الأنفال: ٣٣) بأنّ هذه الامّة آمنون من عذاب الإستئصال؟

نجيب عنه بأجوبة:

منها ـ أنّه كان الإنذار بالصّاعقة بمكّة، وكان وعد الأمن بالمدينة.

ومنها ـ أنّ المشركين لمّا كانوا عارفين بأنّهم مشتركون لعاد وثمود في استحقاقهم مثل تلك الصّاعقة، فخوّفهم بها لإمكان وقوعها بسبب إستحقاقهم لها، وإن رفعت عنهم لكونه صلّى الله عليه وآله وسلّم رحمة للعالمين. فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

١٤ ـ (إذ جآئتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله قالوا لوشآء ربّنا لأنزل ملائكة فإنّا بما أرسلتم به كافرون)

حين جآئت الرّسل عاد وثمود في القرى المجاورة لبلادكم أيّها المشركون، فدعوهم إلى رفض الآلهة المزعومة والطّواغيت، وإلى التّوحيد والإيمان بالله تعالى وقالوا لقومهم: ألّا تعبدوا إلّا الله وحده لاشريك له، وبالغوا في الإرشاد واجتهدوا في التّبليغ، وسلكوا إليه كلّ سبيل، فأعرضوا عن دعوة رسلهم كما أعرضتم عن دعوة رسولكم، فكذّبوهم

كما كذّبتم، واستكبروا كما استكبرتم واعتذروا بشتّى المعاذير.. فما كان جوابهم لرسلهم إلّا أن قالوا كما تقولون: إنّا لانصدّق برسالتكم، فما أرسل الله إلينا بشراً، ولو أرسل إلينا رسلاً نؤمن بهم ونرفض آلهتنا لأنزل إلينا ملائكة من عنده رسلاً بما تدعوننا أنتم إليه، بل رضي عنّا مانعبده من آلهتنا، فلذلك لم يرسل إلينا بالنّهي عن ذلك ملائكة، فإنّا بما أرسلتم به على زعمكم كافرون، وإذاً فلانتبعكم، وما أنتم إلّا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسولا إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥)

وقال: «ولقد بعثنا في كلّ امّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتبوا الطّاغوت» النّحل: ٣٦)

وقال: «ألم يأتكم نبؤا الّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم لا يعلمهم إلّا الله جآئتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنّا كفرنا بما ارسلتم به وإنّا لفي شك ممّا تدعوننا إليه مريب ـ قالوا إن أنتم إلّا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آبآؤنا» إبراهيم: ٩ـ١٠)

وقال: «فقال الملأ الّذين كفروا من قومه ماهذا إلّا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبآئنا الأوّلين ـ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون» المؤمنون: ٢٤ـ٣٤)

وقال: «فقال الملأ الّذين كفروا من قومه مانراك إلّا بشراً مثلنا ومانراك اتبعك إلّا الّذين هم أراذ لنا بادي الرّاي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنّكم كاذبين» هود: ٢٧)

وقال: «ألم يأتكم نبؤا الّذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولّوا» التّغابن: ٦)

وقال: «كذّبت ثمود بالنّذر فقالوا أبشراً واحداً منّا نتّبعه إنّا إذاً لفي ضلال وسعر» القمر: ٢٣ـ٢٤) وقال: «قالوا ما أنتم إلّا بشر مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيء إن أنتم إلّا تكذبون» يس: ١٥)

وقال: «وما منع النّاس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدى إلّا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السّمآء ملكاً رسولاً» الإسرآء: ٩٤-٩٥)

وفي بعض الآيات الكريمة مايفيد أن المشركين كانوا يعرفون بلاد عاد وثمود حيث كانوا يرحلون إليها أو يمرّون بها في رحلاتهم التّجارية الصيفيّة والشّتوية، وأنّهم رأوا آثار تدمير الله جلّ وعلا فيها كقوله تعالى: «وعاداً وثموداً وقد تبيّن لكم من مساكنهم» العنكبوت: ٣٨)

١٥ - (فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدّ منّا قوّة أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة وكانوا بآياتنا يجحدون)

فأمّا عاد - هم قوم هود النّبيّ عليه السّلام - فاستكبروا وعصوا ربّهم وتعظّموا عن الإيمان بالله تعالى، وبغوا في الأرض، وعتوا على أهلها، وتجبّروا على عباد الله: نبيّه هود عليه السّلام ومن آمن معه، استكبروا بغير حقّ جعله الله لهم، بل للكفر المحض والظلم الصّراح، فلم يقبلوا كلام الرّسل الّذين جآؤهم به، فأخذتهم العزّة بالاثم إذ كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم، وقالوا لنبيّهم هود عليه السّلام ومن معه: من هو أشدّ منّا قوّة بالبدن والمنعة حتّى يستطيع قهرنا وإذ لا لنا أو يهلكنا، وذلك أنّهم اغترّوا بأجسامهم وطول قامتهم وقوّتهم وشوكتهم حين هدّدهم هود عليه السّلام بالعذاب، فقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب - كيفما كان - عن أنفسنا بفضل قوّتنا إذ ليس أحد أشدّ منّا قوّة ومنعة.

فقال الله عزّوجلّ ردّاً عليهم وتوبيخاً لهم: أو لم يعلموا أن الله الّذي خلقهم، وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق وشدّة البطش، وخلق فيهم هذه القوّة هو أعظم اقتداراً ومنعة، فهو يقدر على إهلاكهم إذا شآء؟ أفلم يتفكّروا بأنّ الله الّذي خلقهم هو بطبيعة الحال أشدّ منهم قوّة لأنّ الفاعل والعلّة أقوى من القابل والمعلول؟ والقوّة في الإنسان نتيجة صحّة الجسم واعتدال البنيّة، وحقيقتها زيادة القدرة والشّدّة والصّلابة، فلذلك جاز أن يقال: الله أقوى منهم كما صحّ أن يقال: الله أقدر والله أكبر، وإن كان لا

نسبة للمتناهي إلى غير المتناهي، وهل المخلوق بشيء يذكر إذا نسب إلى خالقه؟

وإنّما يقدر العبد المخلوق باقدار الله الخالق، فالله جلّ وعلا أقدر إذاً بل ليس لغيره قدرة، وإنّ الإنسان عاجز في قدرته، كيف لا وهو عاجز تجاه أصغر خلقه كالذّباب والبعوضة والبقّة...

قال الله عزّوجلّ: «وخلق الإنسان ضعيفاً» النّسآء: ٢٨)

وقال: «وإن يسلبهم الذّباب شيئاً لا يستنقذوه منه» الحجّ: ٧٣)

وقال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «كلّ عزيز غير الله ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلّم، وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز».

وقال الإمام عليّ عليه السّلام: «ليس بقادر من قارنه ضدّاً وساواه ندّاً».

وقال عليه السّلام: «الحمدلله المتجلّي بخلقه». ويقال: «القادر بالحقّ على الإطلاق من أوجد الأضداد في الأخلاق».

وقال الصاحب بن عبّاد رضوان الله تعالى عليه:

الصّنع لا بدّ له من صانع لا سيّما مع كثرة البدايع
وإنّما تمرّ بلا منازع فالملك لا يبقى على التّمانع

وقوله تعالى: «وكانوا بآياتنا يجحدون» كانوا يعرفون أنّ آيات الله التّكوينيّة والتدوينيّة والحجج على وحدانيّته وكمال علمه وحكمته، ونهاية تدبيره وقدرته، وغاية جلاله وعظمته حقّ ولكنّهم مع ذلك يجحدونها ولا يعترفون بها كما يجحد المودّع الوديعة وهو يعلم بها.

قال الله تعالى: «واذكر أخاعاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ـ إذا كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» الأحقاف: ٢١-٢٦)

وقال: «وتلك عاد جحدوا بآيات ربّهم وعصوا رسله واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد واتّبعوا في هذه الدّنيا لعنة ويوم القيامة ألا إنّ عاداً كفروا ربّهم ألا بعداً لعاد قوم هود» هود: ٥٩-٦٠)

١٦ ـ (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون)

فأرسلنا على عاد ريحاً عاتية قاصمة، شديدة البرد والصّوت والهبوب والفزيعة في أيّام متتابعة متوالية ذات نحوس ومشائيم... لتهلكهم جزآء لهم على ماعتوا عتوّاً واستكبروا إستكباراً، فتذلّ كبريآئهم وتفضح قوّتهم الّتي كانوا يغترّون بها، فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الخزي والهوان والذّلّ بالرّيح العقيم في الحياة الدّنيا، فيوقنواهم وغيرهم بقوّة معذّبهم وبقدرته عليهم، ويظهر ذلك لمن رأى حالهم ولعذاب الآخرة أفضح وأشدّ إهانة وخزياً وإذلالاً مماذا قوا من العذاب في الدّنيا، وهم لا يستطيعون يومئذ أن يمنعوا من عذاب الله، ولا أحد أن يمنع منهم العذاب، ولا شفيع يشفع لهم، ولا منج لهم أن ينجيهم منه.

قال الله تعالى: «وأمّا عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية» الحاقة: ٦ـ٨)

وقال: «كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ تنزع النّاس كأنّهم أعجاز نخل منقعر» القمر: ١٨ـ٢٠)

وقال: «فلمّا رأوه عارضاً مستقبل أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمّر كلّ شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلّا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين» الأحقاق: ٢٤ـ٢٥)

١٧ ـ (وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)

وأمّا ثمود ـ هم قوم صالح عليه السّلام فبعثنا إليهم صالحاً عليه السّلام فبيّنّا لهم على لسانه سبيلي الحقّ والباطل، سبيلى الهدى والضّلالة، سبيلى الخير والشّرّ، وطريقي الرّشد والإنحطاط طريقي الصّلاح والفساد، طريقى الفلاح والخسران، طريقى النّور والظلمة،

وسبيلى النّجاة والهلاكة، وسبيلى الجنّة والنّار.. بنصب الحجج القاطعة والبراهين السّاطعة والأدلة التّكوينيّة وإنزال الأيات التّدوينيّة، وهم يعرفون ذلك فاختاروا العمى والضّلالة على البصيرة والهدى، وعدلوا عن طريق الحقّ والرّشاد إلى سبيل الباطل والإنحطاط... ومضوا بسوء إختيارهم في ظلمات يتخطبّون... فأخذتهم صاعقة العذاب المهين، فأذلّهم بها وجعلهم عبرة ومثلاً للظالمين جزاء بما كانوا يكسبون من الشّرك بالله سبحانه، وتكذيبهم صالحاً عليه السّلام وعقرهم النّاقة، وجزآء مالجّوا فيه من ضلال وغيّ وآثام...

قال الله تعالى: «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن أعبدوا الله فإذاً هم فريقان يختصمون ـ ومكروا مكراً ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون» النّمل: ٤٥ـ٥٢)

وقال: «وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرـ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آبآؤنا وأخذ الّذين ظلموا الصّيحة فأصحبوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إنّ ثمودا كفروا ربّهم ألا بعداً لثمود» هود: ٦١ـ٦٨)

وقال: «كذّبت ثمود المرسلين ـ فأخذهم العذاب إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» الشّعراء: ١٤١ـ١٥٨)

وقال: «وفي ثمود إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين فعتوا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين» الذّاريات: ٤٣ـ٤٥)

وقال: «كذّبت ثمود بالنذر ـ إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر» القمر: ٢٣ـ٣١)

وقال: «كذّبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها ولا يخاف عقباها» الشّمس: ١١ـ١٥)

١٨ - (ونجّينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقون)

ونجّينا من تلك الصّاعقة والعذاب المهين نبيّنا صالحاً عليه السّلام والّذين آمنوا به وكانوا يتّقون الأعمال الّتي يأتي بها فريق آخرون من ثمود وهم أكثرهم من الشّرك والطّغيان، من العتوّ والعصيان، ومن البغي والعدوان... وكان هؤلآء المؤمنون يخافون الله جلّ وعلا وأن يحلّ بهم من العقوبة على كفرهم وعصيانهم لو كفروا بالله وعصوا رسوله وكذّبوا بآياته... ماحلّ بالّذين هلكوا منهم، فرفضوا الآلهة الموهومة والطّواغيت المختلفة، وآمنوا بالله تعالى وبرسوله عليه السّلام وباليوم الآخر، فلم يحلّ بالمؤمنين الأبرار ماحلّ بالمشركين الفجّار، ولم يمسسهم سوء ولا نزل بهم مكروه بسبب إيمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم... كما وعدالله جلّ وعلا عباده المؤمنين.

قال الله تعالى: «فلمّا جآء أمرنا نجّينا صالحاً والّذين آمنوا معه برحمة منّا ومن خزي يومئذ إنّ ربّك هو القوي العزيز» هود: ٦٦)

وقال: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فأنتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٤٧)

١٩ - (ويوم يحشر أعدآء الله إلى النّار فهم يوزعون)

واذكر أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس حين يحشر أعداء الله - الّذين كفروا بالله جلّ وعلا وكذّبوا بآياته ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر - وُقفوا على شفير نار جهنّم، فيحبس أوآئلهم حتّى يلحق بهم أواخرهم لكثرتهم، كما كان أكثر النّاس كافرين في كلّ ظرف، فيزجرون، فلايشرد منهم شارد إلّا زجر زجراً عنيفاً ليأخذ مكانه بين هذا القطيع المتدافع الّذي يركب بعضه بعضاً. وإنّما أعدآء الله هم أعدآء المؤمنين وأعدآء الإنسانيّة... قال الله تعالى: «ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون» النّمل: ٨٣)

وقال: «إنّ الكافرين كانوا لكم عدوّاً مبيناً» النّسآء: ١٠١)

وقال: «لتجدنّ أشدّ النّاس عداوة للّذين آمنوا اليهود والّذين أشركوا» المائدة: ٨٢)

وقال: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربّك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرّة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً ـ ورأ المجرمون النّار فظنّوا أنّهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف: ٤٧-٥٣)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أوليآء تلقون إليهم بالمودّة وقد كفروا بما جآءكم من الحقّ ـ و ودّوا لو تكفرون» الممتحنة: ١-٢)

وقال في المنافقين: «هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون» المنافقون: ٤)

٢٠ ـ (حتّى إذا ما جآؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

حتّى إذا أتى هؤلآء الكفرة الفجرة شفير جهنّم، وأراد الله تعالى إلقآءهم فيها، فهم حينئذ يقفون للشّهادة الأخيرة في موقف أخير ـ وقد سبقتها شهادات منها وسواها ـ فشهد عليهم سمعهم بما سمعوا بها من التّبليغ والإرشاد والدّعوة إلى الحقّ والهدى بالحجج القاطعة، وقد تمّت عليهم الحجّة، فأعرضوا عنها، ولم يقبلوها، بل سمعوا بها المحرّمات... وشهد عليهم أبصارهم بما أبصروا بها من المبلّغ والمرشد، ومن المبشّر والمنذر، وبما رأوا بها من الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة الدّالّة على وحدانيّة الله تعالى على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته... فلم يؤمنوا، بل أبصروا بها المنهيّات... وشهد عليهم فروجهم حتّى أفخاذهم بما كانوا يعملون بها من الفواحش، ويمارسون من المحرّمات... قال الله تعالى: «حتّى إذا جاؤا قال أكذّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمّا ذا كنتم تعملون و وقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون» النمل: ٨٤-٨٥)

٢١ ـ (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)

وقال أعدآء الله الكفرة الفجرة ـ على سبيل العتاب ـ لجلودهم إذ شهدت عليهم بما عملوا في الحياة الدّنيا من المعاصي والفواحش والآثام...: لم شهدتم علينا اليوم بما كنّا نعمل في الدّنيا، وقد كنّا نجادل عنكم، ونحرص عليكم حرصنا على أنفسنا؟ قالت

الجلود جواباً لأصحابها: أنطقنا الله اليوم بالحقّ، الّذي أنطق كلّ شيءٍ من الدّوابّ اليوم، فلاتلومنّنا على شهادتنا عليكم بما فعلتم بنا بسوء إختياركم من الذّنوب والفواحش... فمن ألقى نفسه بيده إلى الهلاك والنّار فلايلومنّ إلّا نفسه.

وهو جلّ وعلا خلقكم أوّل مرّة إذ ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفاً، فمن كان قادراً على إنشاءكم ابتدآءً وإعادتكم بعد الموت أحيآءً، فهو قادر على إنطاق جلودكم للشّهادة عليكم، إذ أنكرتم ـ بعد أن رأيتم الحشر وأهواله وهذه جهنّم أمامكم ـ مافعلتموه في الدّنيا، فأنتم إلى الله جلّ وعلا ترجعون في الآخرة إلى حيث لا يملك أحد النّهي والأمر سواه، فيجازى كلّ نفس بما كسبت.

٢٢ ـ (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون)

وما كنتم أيّها المشركون الكفرة والمجرمون الفجرة والمستكبرون الفسقة... تستخفون في الحياة الدّنيا عن النّاس خوف الفضيحة والعارحين اقترفتم الجرائم والمعاصي، وحين إرتكاب عظيم الفواحش والآثام من ورآء حجاب وستار... ماخطر ببالكم أنّ أعضآءكم وجسمكم الأثيرى الّذي هوعلى صورة الجسم الظّاهرى قد سطرت فيه جميع نيّاتكم وأقوالكم وأعمالكم وعقائدكم... كأنّه لوح محفوظ لها، سوف يشهد عليكم سمعكم بأن يقول: سمعت الحقّ وما وعيت، وسمعت مالايجوز من الذّنوب فاقترفتموها، وتشهد عليكم أبصاركم، فتقول: رأيت آيات الله وما اعتبرت، ونظرت فيما لايجوز من المعاصي فارتكبتموها، وتشهد عليكم الفروج والأفخاذ بما فعلتموه بها من الفواحش...

فما كنتم تستخفّون المعاصي بعلمكم بشهادة أعضآءكم عليكم يوماً ما، بل كنتم تستخفونها لظنّكم أنّ الله لا يعلم ماتسرّون، بل يعلم ماتعلنون فقط، ولذلك أجترأتم على مافعلتم! ولا يخفى على الله جلّ وعلا خافية فانّ الظّلمة عنده ضوء، والسّرّ عنده علانية، والباطن لديه ظاهر..

قال الله تعالى: «يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيّتون مالا يرضى من القول» النّسآء: ١٠٨)

وقال: «ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور» هود: ٥)

وقال: «إنّ الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّمآء ـ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السّموات وما في الأرض» آل عمران: ٥و٢٩)

وقال: «سوآء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف باللّيل وسارب بالنّهار» الرّعد: ١٠)

وقال: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور» غافر: ١٩)

وقال: «وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم» الممتحنة: ١)

وقال: «ولو ترى إذ وقفوا على النّار ـ بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٧-٢٨)

وقال: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٢٨٤)

٢٣ ـ (وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

وذلكم ظنّكم معاشر الكفّار والمستكبرين والفجّار والمجرمين هذا الظنّ الّذي ظننتموه بربّكم أنّه سبحانه لايعلم كثيراً مما تعملون، بل يعلم ماتبدون، ولا يعلم ماتكتمون من سوء نياتكم وبطلان عقائدكم، وقبائح أعمالكم ومساوي أقوالكم، وهذا الظنّ هوّن عليكم أمر المعاصي، وأدّى بكم إلى الكفر والطّغيان، وأفسد عليكم معتقدكم في ربّكم، فلم تروه جلّ وعلا إلاّ على ماترون به بعض أصحاب الجاه والسّلطان ممّن لهم جنود وعيون يرون القليل ولا يرون الكثير، وهذا الظنّ أوقعكم وأسقطكم، وقادكم إلى جهنّم وأوردكم إلى النّار وبئس المصير، فأصبحتم اليوم من الهالكين ومن جملة من خسرت تجارته، إذ غبنتم ببيعكم منازل من الجنّة بمنازل من النّار.

قال الله تعالى: «قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السّموات والأرض والّذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون» العنكبوت: ٥٢)

وقال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة وأنّ الله لايهدي القوم الكافرين أولئك الّذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون» النّحل: ١٠٧-١٠٩)

٢٤ ـ (فإن يصبروا فالنّار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

فإن يصبر هؤلآء الكافرون الفجرة والمستكبرون الفسقة في جهنّم وعلى عذابها وآلامها أو لا يصبروا فنارها مأواهم مستقرّهم دائماً، فإنّها نصيبهم ومقرّهم الثّابت، فليس لصبرهم في نار جهنّم أو جزعهم فيها نتيجة من الفرج والخلاص منها ولا من تخفيف عذابها فإنّهم باقون خالدون فيها سكتوا أو نطقوا، صبروا أو جزعوا، وإن يطلبوا الرّضى ويعتذروا لينجوا من العذاب أو يخفّف فليسوا ممّن يرضى عنهم، ولا يقبل عتابهم ولا معذرتهم.

قال الله تعالى: «هذه النّار الّتي كنتم بها تكذّبون ـ إصلوها فاصبروا أولا تصبروا سوآء عليكم إنّما تجزون ما كنتم تعملون» الطور: ١٤-١٦)

وقال: «سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» إبراهيم: ٢١)

وقال: «أولئك الّذين اشتروا الحياة الدّنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ـ إنّ الّذين كفروا وماتوا وهم كفّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين خالدين فيها لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون» البقرة: ٨٦و١٦٣)

وقال: «ثمّ لا يؤذن للّذين كفروا ولاهم يستعتبون وإذا رأ الّذين ظلموا العذاب فلا يخفّف عنهم ولا هم ينظرون» النّحل: ٨٤-٨٥)

وقال: «والّذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفور» فاطر: ٣٦)

وقال: «يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدّار» المؤمن: ٥٢)

وقال: «وبدالهم سيّئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتّخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحياة الدّنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون» الجاثية: ٣٣-٣٥)

٢٥ ـ (وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)

ولمّا أعرض هؤلآء المشركون الكفرة والمستكبرون الفجرة والمجرمون الفسقة عن ذكر الله جلّ وعلا، وعن العبادة له وحده وعن الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر، وعن دعوة الهدى والفلاح والصّلاح والكمال... جعلنا لهم قرنآء من شياطين الجنّ والإنس يقارنونهم ويلازمونهم، ليوا صلوا في الرّدى والخسران والفساد والإنحطاط «ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ١١٠) جزاءً وفاقاً، مكان قرناء الصّدق من الملائكة الّذين هم أوليآء الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا... قال الله تعالى: «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين وإنّهم ليصدّونهم عن السّبيل ويحسبون أنّهم مهتدون» الزخرف: ٣٦-٣٧)

وقال: «ومن يكن الشّيطان له قريناً فسآء قريناً» النّسآء: ٣٨)

وقال: «إنّا جعلنا الشّياطين أوليآء للّذين لا يؤمنون ـ إنّهم إتّخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٢٧- ٣٠)

وقال: «ألم تر أنا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً» مريم: ٨٣)

وقال: «هل أنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كلّ أفّاك أثيم» الشّعرآء: ٢٢١-٢٢٢) وقال: «والّذين كفروا أوليآؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات» البقرة: ٢٥٧).

وقوله تعالى: «فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم» فزيّن شياطين الجنّ والإنس لاخوانهم الكافرين والمجرمين ما بين أيديهم من أمر الدّنيا من الكفر والضّلالة، من

البغي والجناية، من اتباع الشّهوات وحبّ الرّئاسة، ومن الجاه وزخارفها... زيّنوالهم قبآئح أعمالهم، ومساوي أقوالهم، وأباطيل عقائدهم، وانحطاطا أفكارهم... وزيّنوا «ماخلفهم» ممّا سيفعلون من الفواحش والآثام... فأوحوها إليهم واستمعوا لها وحسّنوها، فسُهِلَ عليهم فعل كلّ ما يشتهون، وركوب كلّ ما يتلذّون به من الذّنوب و المعآصي...

قال الله تعالى: «ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ماكانوا يعملون ـ وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» الأنعام: ٤٣-١٢١)

وقال: «فزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم» النّحل: ٦٣)

وقال: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فهم لا يهتدون» النّمل: ٢٤) وقال حكاية عن إبليس: «قال ربّ بما أغويتني لازيّننّ لهم في الأرض ولا غوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» الحجر: ٣٩-٤٠)

وقال: «إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشّياطين» الإسرآء: ٢٧)

وقال: «وإخوانهم يمدّونهم في الغّي ثمّ لا يقصرون» الأعراف: ٢٠٢)

وقال: «كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون» يونس: ١٢)

وقال: «بل زُيّن للّذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السّبيل» الرّعد: ٣٣)

وقوله جلّ وعلا: «وحقّ عليهم القول في امم...» وجب على هؤلآءِ المشركين ومن انسلك مسالكهم كلمة العذاب كما حقّت على أمثالهم من قبلهم من كفّار الجنّ والإنس من الأمم الماضية، وكانوا خاسرين في النّهاية، خسرت أعمالهم في الدّنيا إذ حبطت، وخسرت أنفسهم إذ دخلوا النّار، وخسر أهليهم بهم إذ كانوا سبب دخولهم النّار، وخسروا الجنّة ونعيمها، فكانوا مغبونين ببيعهم رضا الله تعالى ورحمته ورضوانه بسخطه وعذابه ونيرانه، فاستووا جميعاً في الخسار والدّمار والنّار، واستحقّوا اللعن والخزي والهوان في الدّنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

قال الله تعالى: «قال فبعزّتك لا غوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين قال

فالحقّ والحقّ أقول لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ٨٢ـ٨٥)

وقال: «أولئك الّذين حقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين» الأحقاف: ١٨)

وقال: «إستحوذ عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشّيطان ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون» المجادلة: ١٩)

وقال: «ومن يتّخذ الشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» النسآء: ١١٩)

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً أولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزآؤهم جهنّم بما كفروا واتّخذوا آياتي ورسلي هزواً» الكهف: ١٠٣-١٠٦)

وقال: «قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزّمر: ١٥)

٢٦ ـ (وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون)

وقال الّذين كفروا بعضهم لبعض: لاتسمعوا لهذا القرآن الّذين يقرأه عليكم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا تصغوا إليه، بل عارضوه باللغو من الكلام والباطل من القول، وبالمكابرة وإلقآءِ الشبهات والجدال في آياته، وصدّ النّاس عن التدبّر فيه... لعلّكم بفعالكم هذه تغلبون محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يتمكّن امّته صلّى الله عليه وآله وسلّم على التّدبّر في آياته وعلى بيان معارفه وحكمه، بيان إصوله وفروعه، بيان حقائقه وأسراره، بيان علومه ومفاهيمه، وبيان مبانيه ومعانيه... فيصير مهجوراً بينهم، واكتفوا بالقراءة على مقابرهم، وجهاز عرآئسهم... «فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمرآن: ١٨٧-١٨٨)

٢٧ ـ (فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذين كانوا يعملون)

فلنذيقنّ الّذين كفروا بالله سبحانه من مشركي العرب الّذين قالوا هذا القول الفاحش: «لا تسمعوا لهذا القرآن...» وكلّ من انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، فلنذيقنّهم عذاباً شديداً لا يحاط كنهه، ولا يقدر أحد على وصفه.

قال الله تعالى: «فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ» فصّلت: ٥٠)

وقال: «ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله له في الدّنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق» الحجّ: ٨ـ٩)

وقوله تعالى: «ولنجزينّهم أسوأ الّذين كانوا يعملون» في الحياة الدّنيا من الشّرك بالله سبحانه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجحد آياته...

قال الله عزّوجلّ: «والّذين كفروا لهم نار جنّهم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفور ـ فذوقوا فما للظّالمين من نصير» فاطر: ٣٦ـ٣٧)

وقال: «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلّا الكفور» سبأ: ١٧)

وقال: «ليجزي الّذين أسآؤا بما عملوا» النّجم: ٣١)

وقال: «فما جزآء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون» البقرة: ٨٥)

٢٨ ـ (ذلك جزآء أعدآء الله النّار لهم فيها دار الخلد جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون)

ذلك العذاب الشّديد، وأسوأ الجزآء الّذين نجزي به الكافرين هذا جزآء أعدآء الله، جزآؤهم في الدّار الآخرة النّار الّتي هي بنفسها دار خلدهم، دار مكث و لبث لا نهاية ولا أمدلها، ودار إقامة ومنزل دآئم لا انتقال ولا خروج لهم منها، ولا انقطاع لعذابها، نجزيهم يؤمئذ هذا الجزآء جزآء وفاقاً إذ كانوا عادونا بالشّرك والعصيان، وعادوا رسولنا بالكفر والطّغيان، وعادوا آياتنا بالتّكذيب والعدوان في الحياة الدّنيا.

قال الله تعالى: «والّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النّار هم

فيها خالدون» الأعراف: ٣٦)

وقال: «فإنّ جهنّم جزآؤكم جزآء ًموفوراً» الإسرآء: ٦٣)

وقال: «إنّ جهنّم كانت مرصاداً للطّاغين مآباً لابثين فيها أحقاباً لا يذقون فيها برداً ولا شراباً إلّا حميماً وغسّاقاً جزآء ًوفاقاً إنّهم كانوا لا يرجون حساباًوكذّبوا بآياتنا كذّاباً» النبأ: ٢١-٢٨)

وقال: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذين يقولون فإنّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون» الأنعام: ٣٣)

وقال: «ومايجحد بآياتنا الّا الكافرون - ومايجحد بآياتنا إلّا الظالمون» العنكبوت: ٤٧ و٤٩)

وقال: «وما يجحد بآياتنا إلّا كلّ ختّار كفور» لقمان: ٣٢)

وقال: «الّذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدّنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقآء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون» الأعراف: ٥١)

وقال: «إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» الأحقاف: ٢٦)

٢٩ - (وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا الّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)

وسيقول الّذين كفروا من الضّعفآء التّابعين، والهمجآء المريدين... هم وزعمآؤهم ألاقويآء المتبوعون، هم ودعاتهم الكبرآء المرادون، وهم وقادتهم الرّؤسآء المستكبرون في دار خلدهم: نار جهنّم مجتمعون، سيقول الأتباع: يا ربّنا أرنا وبصّرنا الشّيطانين من الجنّ والإنس اللّذين أضلانا عن الحقّ والهدى، عن الصّواب والرّشاد، عن الخير والصّلاح، وعن الكمال والفلاح، وأوقعانا في الباطل والضّلالة، في الخطأ والغواية، في الشّرّ والجناية، وفي الإنحطاط والخسارة... ربّنا أرناهما نجعلهما تحت أقدامنا في النّار انتقاماً منهما ليكونا من الأسفلين من حيث المذلّة والهوان، وأشدّ عذاباً منّا لأنّهما كانا سبب المصير الرّهيب الّذي صرنا إليه.

سيسئل الأتباع السّفلة والضعفآء المردة الجهلة ذلك لشدّة عداوتهم وبغضهم لهما يومئذ بما أضلاّهم وأغوياهم حتّى يشتفوا منهما، فتمنّوا أن يجعلهما تحت أقدامهم، فيطؤوهما ليكونا من الأسفلين تحت أقدامهم، ويكونا في الدّرك الأسفل من النّار، يسئلون أن يضعّف الله جلّ وعلا عذابهما.

يتبرّأ المضلّ من الضّالّ عند الحساب والعقاب، ويحاول الضّالّ التشفّي من المضلّ بكلّ سبيل، ولو استطاع لداسه بالأقدام وقطعه بالأسنان...

قال الله تعالى: «الأ خلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين» الزّخرف: ٦٧)

وقال: «كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لأُولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار قال لكلّ ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لا خراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كانوا تكسبون» الأعراف: ٣٨-٣٩)

وقال: «إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار» النسآء: ١٤٥)

٣٠ - (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

إنّ الّذين قالوا ربّنا الله وحده لا شريك له، اعترفوا بوحدانيّة الله جلّ وعلا وربوبيّته وتدبيره في نظام الكون ونواميس الوجود، وصدّقوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآمنوا بكتابه وباليوم الآخر، وتولّوا بأوليآئه المعصومين من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، وبرؤا من الآلهة الموهومة، ورفضوا الطّواغيت، ثمّ استقاموا على الإيمان وتصلّبوا في الدّين، وثبتوا على الولاية فانّها حصين التّوحيد والرّسالة، بل الولاية لأهل بيت النّبوّة هي ولاية الله جلّ وعلا و ولاية رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكما لا يقبل غير الإسلام ديناً كذلك لا يقبل الإسلام من دون الولاية لأنّ كمال الدّين الإسلامي، وتمام النّعمة الإلهيّة، وتبليغ الرّسالة المحمّديّة مرتبطة بالولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إرتباط الرّوح بالجسم.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» آل عمرآن: ۱۹و۸۵)

وقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ـ إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والّذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ۳و۵۵ـ۵٦و٦۷)

فالّذين لهم الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فهم المؤمنون حقاً لا تزلّ أقدامهم . . .

قال الله تعالى: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ـ إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون» الحجرات: ۱٤ـ۱۵)

على هؤلآء المؤمنين الصّادقين تتنزّل الملائكة في الحياة الدّنيا بالإلهام دون الرّؤية والسّماع: ألّا تخافوا فيما تنتظرون بوقوعه في مستقبل الأوقات من الظّلم والهضم والإيذاء، من القتل والاسر والسّجن والحصر والإبتعاد ومن المصائب والشّدآئد. . . ولا تحزنوا فيما فات عنكم من الماضي من الأموال والأولاد والأهل والجاه وما إليها من متاع الدّنيا. . . وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون بها في دار الدّنيا على ألسنة الأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى ألسنة الدّعاة الصّالحين والعلمآء المصلحين، فإنكم واصلون إليها، ومستقرون بها، خالدون في نعيمها.

ولذلك لا يخافون ظلماً ولا هضماً، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الحياة الدّنيا من متاعها قال الله تعالى: «ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ۱۱۲)

وقال: «الّذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمرآن: ۱۷۲ـ۱۷۳)

وقال: «فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» البقرة: ٣٨و١١٢)

وقال: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التّوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الّذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ١١١)

وقال: «ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الّذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» يونس: ٦٢-٦٤)

وقال: «إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا» الأنفال: ١٢)

وقال: «يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» إبراهيم: ٢٧)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٧)

وقال: «هو الّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السّموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً» الفتح: ٤)

ولعمرى: إنّ الملائكة تتنزّل على من له الإستقامة في الدّين، والصّلابة في الولاية بالإلهام في الحياة الدّنيا كما تتنزّل عليه حين الموت، وفي القبر وعند البعث، وموقف الحساب، وفي الجنّة بالرّؤية والسّماع.

قال الله تعالى: «كذلك يجزي الله المتّقين الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم» النّحل: ٣١-٣٢)

وقال: «أولئك لهم عقبى الدّار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّيّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار» الرّعد: ٢٢-٢٤)

فمن ليس له الإستقامة فى دينه، ولا صلابة في ولايته لا تتنزّل عليه الملائكة حتّى

يدرك حقيقة التّنزّل، فبيان تنزّلها له من قبيل بيان إبن خامس وعشرين ـ مع صحّة الجسم وسلامة البنيّة ـ لذّة الجماع لصبيّ غير مميّز.

وكما أنّ الملائكة تتنزّل على أهل الولاية بالإلهام في الحياة الدّنيا، فكذلك تتنزّل الشّياطين على فاقديها فيها بالوسوسة، حيث إنّ الجنس مع الجنس يميل.

قال الله تعالى: «وما تنزّلت به الشّياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنّهم عن السّمع لمعزولون ـ هل أُنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كلّ أفّاك أثيم يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون» الشّعرآء: ٢١٠ـ٢٢٣)

وقال: «وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ إنّ الشياطين ليوحون إلى أوليآء هم ليجادلوكم» الأنعام: ١١٢و١٢١)

وقال: «إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشّياطين أوليآء للّذين لا يؤمنون ـ إنّهم اتّخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٢٧ـ٣٠)

وقال: «فزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم ـ إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه والّذين هم به مشركون» النّحل: ٦٣ـ١٠٠)

٣١ ـ (نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون)

تتنزّل طآئفة خاصّة من طوآئف الملائكة في الحياة الدّنيا بالبشارة على المؤمنين المستقيمين على منهج الحقّ والهدى، المتصلّبين في الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله، ويقولون لهم على طريق الإلهام: نحن الملائكة المخصوصون أحبّآؤكم ورفقآؤكم وأعوانكم في امور دينكم ودنيا كم، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم، ونتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله عزّوجلّ، ونحفظكم في الحياة الدّنيا، ونحرسكم من شياطين الجن والإنس، ومن الزّلاّت والهواجس... ونكون معكم

عندموتكم، وفي قبوركم، فنؤمّنكم من وحشتها، وعند النّفخة في الصّور ويوم البعث والنّشور، ونجاوز بكم الصّراط، فنكون معكم حتّى تدخلوا الجنّة.

ولكم أيّها المؤمنون الصّادقون في الجنّة ماتشتهيه أنفسكم من الملاذ وصنوف الحظوظ الجسمانيّة، فتجدونها حاضرة بين أيديكم تلذّ بها أعينكم مالا رأت أعينكم، ولا سمعت اذنكم، ولا خطرت على بالكم، ولكم في الجنّة ماتطلبون من المواهب الرّوحانيّة، وما تتمنّون من أنواع النّعم، وما تسئلون من المنافع الّتي هي لكم، فانّ الله جلّ وعلا يحكم لكم بذلك.

قال الله عزّوجلّ: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الّذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» الزّخرف: ٦٧-٧٣)

وقال: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» الشّورى: ٢٢-٢٣) وقال: «فلاتعلم نفس ما اخفي لهم من قرّة أعين جزآء بما كانوا يعملون» السّجدة: ١٧)

وقال: «وإنّ للمتّقين لحسن مآب جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ماتوعدون ليوم الحساب إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٤٩-٥٤)

وقال: «هذا ماتوعدون لكلّ أوّاب حفيظ من خشي الرّحمٰن بالغيب وجآء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشآؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣٢-٣٥)

وقال: «وقليل من الآخرين على سرر موضونة متّكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلّدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون وفاكهة ممّا يتخيّرون ولحم طير ممّا يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزآء بما كانوا

يعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلّا قيلاً سلاماً سلاماً» الواقعة: ١٤-٢٦)

وقال: «إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متّكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون سلام قولاً من ربّ رحيم» يس: ٥٥-٥٨)

٣٢- (نزلاً من غفور رحيم)

نزلاً: ما يكون من حقّ الضّيف النزيل على النّاس من ضيافة وقرى وإكرام أي تكريماً لكم من الله عزّوجلّ الغفور الرّحيم الّذي يعامل عباده المؤمنين المستقيمين بالغفران الشّامل، والرّحمة الواسعة.

قال الله تعالى: «لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار» آل عمرآن: ١٩٨)

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلاً» الكهف: ١٠٧)

وقال: «أمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون» السّجدة: ١٩)

٣٣- (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)

وليس أحد من النّاس أحسن قولاً ممن دعا النّاس إلى توحيد الله جلّ وعلا وإلى طاعته، وإلى رفض الآلهة الموهومة والطوّاغيت... وإلى الإيمان برسوله صلّى الله وعليه وآله وسلّم وإلى ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمين، وإلى الإستقامة في دين الله جلّ وعلا والإنتهآء إلى أمره ونهيه، وإلى الصّلابة في الولاية، وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصّالحة الّتي يدعو النّاس إليها، وقال مع ذلك مبتهجاً معلناً ومتظاهراً: إنّني على علم اليقين أنّي من المهتدين المستسلمين لأمر الله جلّ وعلا المنقادين إلى طاعته، فاتخذت الإسلام ديناً ونحلةً لنفسي كما امرت وأنّ ديني هو دين الله القويم الّذي لا يقبل الله عزّوجلّ سواه.

ومن البداهة: أنّ أوّل داع إلى الله جلّ وعلا في الدّين الإسلامي هو صاحب الشّريعة محمّد المصطفى صلّى الله وعليه وآله وسلّم ثمّ أهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، القآئمون مقامه صلّى الله وعليه وآله وسلّم ثمّ العلمآء المؤمنون كمال الإيمان، المتّقون حقّ تقاته، والدّعآة الصّالحون العاملون، فمن سواهم لا شأن لهم فلا يعبؤا بهم.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥-٤٦)

وقال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» يوسف: ١٠٨)

وقال: «وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم» المؤمنون: ٧٣)

وقال: «قل إنّما أُمرت أن أعبدالله ولا اشرك به إليه أدعوا وإليه مآب» الرّعد: ٣٦)

وقال: «فلذلك فادع واستقم كما أُمِرت» الشّورى: ١٥)

وقال: «قل إني أُمرت أن أعبدالله مخلصاً له الدّين وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين» الزّمر: ١١-١٢)

وقال: «يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم» الأحقاق: ٣١)

وقال: «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» السّجدة: ٢٤)

وقال: «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهومحسن» النّسآء: ١٢٥)

وقال: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل ـ يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ـ ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» آل‌عمران: ٨٥و١٠٢-١٠٤)

وقال: «أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون» يونس: ٣٥)

وفي الآية الكريمة نفي المقايسة بين هذا الدّاعي المسلم العامل بعلمه القرآني، وبين غيره من الدّعاة إلى غير الله، وإلى غير طاعة الله، وإلى العمل غير الصّالح، ومن الدّعاة غير المسلم، ومن الدّاعي المسلم غير العامل بالقرآن الكريم كما تصرح بذلك الآية التّاليّة:

٣٤ ـ (ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة ادفع بالّتي هي أحسن فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم)

ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة بذاتها، حيث إنّ الحسنة حسنة بواقعها كالتّوحيد والطّاعة، والقسط والهداية، والعدل والعبادة... وإنّ السّيّئة سيّئة بنفسها كالشّرك والمعصية، والجور والضّلالة، والظّلم والجناية... كما لاتستوي مصاديق الحسنة في الحسن والتأثير والجزآء، ولا مصاديق السّيّئة في السّوء والتّأثير والعقاب، وإلّا كان الموحّد والمشرك، كان المؤمن والكافر، المصلح والمفسد، المحسن والمسيئ، التقيّ والفاجر، السّعيد والشّقيّ، البصير والأعمى، الطيّب والخبيث، وكان العلم والجهل، الحقّ والباطل، النّور والظّلمة، والهدى والضّلالة على مراتبها ودرجاتها بمنزلة سوآء.

قال الله تعالى: «مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسّميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون» هود: ٢٤)

وقال: «أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سوآء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون» الجاثية: ٢١)

وقال: «أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» الزّمر: ٩)

وقال: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» فصّلت: ٤٠)

وقال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» السّجدة: ١٨)

وقال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» السّجدة: ١٨)

وقال: «قل لا يستوى الخبيث والطّيّب» المآئدة: ١٠٠)

وقال: «وما يستوى الأعمي والبصير ولا الظّلمات ولا النّور ولا الظّلّ ولا الحرور

وما يستوي الأحيآء ولا الأموات» فاطر: ١٩-٢٢)

وقال: «لا يستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة أصحاب الجنّة هم الفآئزون» الحشر: ٢٠)

وقوله تعالى: «إدفع بالّتي هي أحسن» إدفع أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله وعليه وآله وسلّم وكلّ من تبعه صلّى الله وعليه وآله وسلّم إدفعوا السّيّئة بالخصلة الّتي هي أحسن كالغضب بالصّبر، والجهل بالحلم، والإهانة بالصّفح، والإسآءة بالإحسان، والإيذآء بالعفو، والغلظة باللين... إذا احتملتم التأثير لدفعها بها في نفس المسيئ، وفيمن حوله...

قال الله عزّوجل: «ولا تزال تطّلع على خآئنة منهم إلّا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح» المآئدة: ١٣)

وقال: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاروهم في الأمر» آل عمران: ١٥٩)

وقال: «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» الزّخرف: ٨٩)

وقال: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» الأعراف: ١٩٩)

وقال: «وجزآؤ سيّئة سيّئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله» الشّورى: ٤٠)

وقال: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين واصبرو ماصبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون» النّحل: ١٢٦-١٢٧)

وقال: «فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بأمره إنّ الله على كلّ شيء قدير» البقرة: ١٠٩)

وقال: «إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوءٍ فانّ الله كان عفوّاً قديراً» النّسآء: ١٤٩)

وقوله جلّ وعلا: «فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم» إدفع أيّها الرّسول صلّى الله وعليه وآله وسلّم مَن أسآء إليك، وتعاطف مع النّاس، واصبر على أذاهم، فإنّ بعضهم إذا تسامحت معه عاد إلى رشده ولام نفسه، وانقلبت عداوته لك إلى حبّ وولآءٍ، وصار نصيراً صديقاً شديد الولآءِ والإشفاق... كما أنّ بعضهم صار مثل الولي الشّفيق.

وقد استفاضت كتب الحديث والسّيرة والتّاريخ: أنّ شمآئل النّبيّ الكريم صلّى الله وعليه وآله وسلّم وأخلاقه هي أخلاق القرآن الكريم نفسه، ولا بدع، فإنّ كلّ عالم دينيّ، وكلّ داع مصلح أن يكون قدوة في دعوته عملاً قبل أن يكون قولاً، وأن يكون اسوة حسنة لغيره فعلاً قبل أن يكون آمراً وناهياً.

قال الله تعالى: «وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الّذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ماألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألف بينهم إنّه عزيز حكيم يا أيّها النّبيّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» الأنفال: ٦٢-٦٤)

وقال: «لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتولّ فإنّ الله هو الغنيّ الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الّذين عاديتم منهم مودّة والله قدير والله غفور رحيم» الممتحنة: ٦-٧)

٣٥- (وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم)

وما يلقّى هذه الخصلة الحميدة والسّجيّة المرضيّة، ولا يعطى هذه الفعلة الكريمة وهذه الفضيلة الشّريفة الّتي هي مقابلة الإسآءة بالإحسان، والإهانة بالصفح، والإيذآء بالعفو ماأمكن وما يجوز إلّا الّذين نالوا بالقمّة العاليّة من كمال إلانسانيّة وخصال الخير كلّها بالصّبر على طاعة الله تعالى، والإستقامة في الدّين، والصّلابة في الولاية، والصّبر على المكاره والشّدآئد والمصآئب، على الأمور الشّاقّة، وكظم الغيظ واحتمال الأذى، وعلى ضبط النّفس والبعد عن النزق والغضب، وعن مقابلة السّوء بمثله... ولا يلقّى هذه الخصلة العظمىٰ بالصّبر إلّا كلّ ذي حظّ عظيم، وتوفيق من الله جلّ وعلا.

ولعمري! إنّ للشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة عامّة، ولعلمآئهم ودعاتهم ومصلحيهم خاصّة اسوة حسنة في رسول الله الأعظم، وأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إذ كانوا أصبر من أنبيآء الله كلّهم، وأعظم حظّاً من جميع المرسلين عليهم السّلام.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا استعينوا بالصّبر والصّلاة إنّ الله مع الصّابرين ـ أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» البقرة: ١٥٣-١٥٧)

وقال: «والّذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيّة وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقرّاً ومقاماً» الفرقان: ٧٤-٧٦)

وقال: «ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ـ وجزآهم بما صبروا جنّة وحريراً ـ إنّ هذا كان لكم جزآءً وكان سعيكم مشكوراً» الإنسان: ٨-١٢-٢٢)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيّبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم» الصّف: ١٠-١٣)

وقال: «وقال الّذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقّاها إلّا الصّابرون» القصص: ٨٠)

وقال: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» الزّمر: ١٠)

٣٦ـ (وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم)

النزغ: النّخس بما يدعوا إلى الفساد، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السّلام: «من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي» يوسف: ١٠٠)

فنزغ الشّيطان: وسوسته وتسويله ودعآئه إلى معصية الله جلّ وعلا بايقاع العداوة بين من يجب موالاته... ويقال: فلان ينزغ فلاناً كأنّه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصّواب والرّشاد، إلى خلاف الحقّ والهدى، وإلى خلاف الصّلاح والفلاح.

والمعنى: وإن مايدعوك إلى المعاصي والآثام نزغ من الشّيطان بالإغوآء والإغرآء والوسوسة والتّسويل، وإن يلقينّ الشّيطان في نفسك أيّها النّبيّ المعصوم صلّى الله وعليه وآله وسلّم وسوسة من حديث النّفس من إرادة حملك على مجازاة المسيئ بالإسآئه،

ودعآئك إلى مسآئته بدل دفع السّيّئة بالحسنة الّتي أمرتك بها، فالتجأ إلى الله عزّوجلّ من شرّه واعتصم بالله تعالى من خطواته واحذر منه، وامتنع من جهته بقوّة الله جلّ وعلا، فإنّه يعصمك من شرّه فإنّه تعالى هو السّميع لإستعاذتك وإستجارتك به من نزغات الشّيطان، هو جلّ وعلا العليم بما ألق الشّيطان في نفسك من خطواته، وبما حدّثتك به نفسك، وهوقادرعلى إجابة دعآئك.

ولا يخفى على القاري الخبير المتدبّر: أنّ الخطاب وإن كان موجّهاً إلى رسول الله الأعظم صلّى الله وعليه وآله وسلّم ولكنّ المراد به امّته كافّة من جهة، والمؤمنون منهم خاصّة من جهة أُخرى. فنحن نستعيذ بالله عزّوجلّ من شرّ كلّ شيطان، ومن شرّ كلّ ذي شرّ من إنس وجانّ.

قال الله تعالى: «وقل لعبادي يقولوا الّتي هي أحسن إنّ الشّيطان ينزغ بينهم إنّ الشّيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً» الإسرآء: ٥٣)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافّة ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان» البقرة: ٢٠٨)

وقال: «ويريد الشّيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تّبعتم الشّيطان إلّا قليلاً» النّسآء: ٦٠و٨٣)

وقال: «إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضآء» المآئدة: ٩١)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشّيطان ومن يتّبع خطوات الشّيطان فإنّه يأمر بالفحشآء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً» النّور: ٢١)

وقال: «أولو كان الشّيطان يدعوهم إلى عذاب السّعير» لقمان: ٢١)

وقال: «إدفع بالّتي هي أحسن السّيّئة نحن أعلم بما يصفون وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشّياطين» المؤمنون: ٩٦-٩٧)

٣٧-(ومن آياته اللّيل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون)

ومن حجج الله تعالى الباهرة الدّالّة على وحدانيّته، وعلى تفرّده في الألوهيّة والرّبوبيّة، ومن براهينه القاطعة على علمه وحكمته وعلى جلاله وعظمته خلق اللّيل والنّهار، وإختلافهما، وتعاقب كلّ واحد منهما صاحبه، وحدوث اللّيل بذهاب الشّمس عن بسيط الأرض، وحدوث النّهار بطلوعها على وجهها، وتقدير هما على وجه مستقرّ وتدبيرهما على نظام مستمرّ، وتسخيرهما للإنسان.

قال الله تعالى: «وهو الّذي خلق اللّيل والنّهار» الأنبيآء: ٣٣)

وقال: «وجعلنا اللّيل والنّهار آيتين فمحونا آية اللّيل وجعلنا آية النّهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السّنين والحساب» الإسراء: ١٢)

وقال: «وآية لهم اللّيل نسلخ منه النّهار فإذاهم مظلمون» يس: ٣٧)

وقال: «والله يقدّر الليّل والنّهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم» المزمّل: ٢٠)

وقال: «تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل - إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات لاولى الألباب» آل عمرآن: ٢٧و١٩٠)

وقال: «يقلّب الله اللّيل والنّهار إنّ في ذلك لعبرة لأولى الأبصار» النّور: ٤٤)

وقال: «هو الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون» يونس: ٦٧)

وقال: «وهو الّذي جعل لكم اللّيل لباساً والنّوم سباتاً وجعل النّهار نشوراً - وهو الّذي جعل اللّيل والنّهار خلفة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً» الفرقان: ٤٧-٦٢)

وقال: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم اللّيل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضيآء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النّهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون» القصص: ٧١-٧٢)

وقوله تعالى: «والشّمس والقمر» ومن علامات الله تعالى الدّالّة على كمال قدرته وغاية تدبيره، وعلى عظيم سلطانه في نظام الكون ونواميس الوجود، ومن دلآئله

الواضحة على صفاته الّتي باين بها جميع خلقه، خلق الشّمس والقمر، وما اختصّابه من النّور والضّيآء، وتقدير منازلهما في فلكيهما، واختلاف سيرهما فيهما، وما ظهر فيهما من التّدبير في المسير والتّصريف في فلك التّدوير بحيث لا الشّمس تدرك القمر، ولا اللّيل سابق النّهار، وكلّ في فلك يسبّحون، ليعرف بذلك مقادير اللّيل والنّهار والأسابيع والشّهور والسّنون، وبذلك تضبط المعاملات وأوقات العبادات... وتسخيرهما للإنسان في كلّ ظرف.

ولا يقدر على شيءٍ من ذلك غير الله تعالى، وذلك أنّ الأجرام الثقيلة لا تقف بغير عمد ولا تتصرّف على غير قرار ولا عماد إلّا أن يصرفهما قادر ليس كالقادرين من الأجسام الّتي تحتاج في نقلها وتمسّكها إلى غيرها، وكلّ جسم ثقيل يصرف من غير عماد فمصرفه هو الله عزّوجلّ، وأنّ الأفعال الدالّة على الذّات واجب الوجود على وجهين:

أحدهما ـ مالا يقدر عليه إلّا الله تعالى كخلق الحياة والقدرة والأجسام وما إليها...

ثانيها ـ أنّه إذا وقع على وجه مخصوص لا يتأتى من القادر بقدرة، وإن كان جنسه مقدوراً للعباد كتسكين الأرض من غير عمد وتصرّف الشّمس والقمر بكونها مرّة صاعدة ومرّة هابطة، ومرّة طالعة، ومرّة غاربة مع ثقل أجرامهما وبعدهما من عمادها أعظم دلالة على أنّ لهما مصرّفاً ومدبّراً لا يشبههما ولا يشبهه شيء.

قال الله تعالى: «وهو الّذي خلق اللّيل والنّهار والشّمس والقمر كلّ في فلك يسبحون» الأنبيآء: ٣٣)

وقال: «هو الّذي جعل الشّمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون» يونس: ٥)

وقال: «والشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون» يس: ٣٨ـ ٤٠)

وقال: «الشّمس والقمر بحسبان» الرّحمٰن: ٥)

وقال: «وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشّمس سراجاً» نوح عليه السّلام: ١٦)

وقال: «وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقآء ربّكم توقنون» الرّعد: ٢)

وقوله عزّوجلّ: «لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر» ولا تسجدوا أيّها النّاس عامّة ومشركوا العرب خاصّة للشّمس ولا للقمر وإن كان فيهما لكم منافع كثيرة لا تعبدوهما لأنّهما مخلوقان كسآئر الخلائق الّتي لا تليق للعبادة، وأنّ الله جلّ وعلا خالقهما إذا شآء أعدمهما أو طمس نورهما، وأنّهما وإن يجريان في الفلك بمنافعكم ومصالحكم، فإنّما يجريان بها لكم باجرآء الله إيّاهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما لا بأنّهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجرآءِ الله إيّاهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرّاً.

وقوله جلّ وعلا: «واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون» واسجدوا أيّها النّاس لله جلّ وعلا وحده الّذي خلق اللّيل والنّهار وأنشأ الشّمس والقمر وصوّر هنّ وسخّرهنّ لمنافعكم ومصالحكم... إن كنتم تعبدون الله وحده كما تزعمون، ولا تشركوا به شيئاً، فإنّ العبادة لا تصلح لغير الله جلّ وعلا ولا تنبغي لشئ سواه، وإنّ السّجود لغير الله ينافي التّوحيد، فعبادته لا تجامع عبادة غيره حيث إنّ وحدة التّدبير واتّصاله في نظام الكون ونواميس الوجود دليل على وحدة الرّبّ المدبّر كما أنّ وحدة الرّبّ تدلّ على وجوب عبادته وحده.

قال الله تعالى: «وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى ذلكم الله ربّكم له الملك والّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣)

٣٨ـ (فإن استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لا يسأمون)

فإن استكبر النّاس كلّهم أو طوآئف المشركين أجمعون عن السّجود لله وحده وتعظّموا عن الإيمان بالله جلّ وعلا وعن توجيه العبادة لله وحده ولم يمتثلوا ما مروا به ونهوا عنه، فدعهم وشأنهم فإنّ ربّك لا يعدم عابداً مخلصاً، ولن يضيّره إستكبارهم، فإنّ أعظم المخلوقات

خطورة في أذهانهم، وهم الملائكة المقرّبون دآئبون على تسبيحه وتقديسه، الحجّة مفحمة لهم لأنّهم لا يستكبرون عن ذلك ولا يتعظّمون عنه، بل يعترفون بالله تعالى ويعبدونه وحده ويسبّحونه خاصّة على الدّوام والإستمرار، وهم لا يفترون عن كثرة العبادة ولا يملّون من كثرة التّسبيح مهما طال الأمد.

قال الله تعالى حكاية عن الملائكة: «وما منّا إلّا له مقام معلوم وإنّا لنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبّحون» الصّافّات: ١٦٤-١٦٦)

وقال: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم» الزّمر: ٧٥)

وقال: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به» غافر: ٧)

وقال: «ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون» الأنبيآء: ١٩-٢٠)

وقال: «إنّ الّذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويسبّحونه وله يسجدون» الأعراف: ٢٠٦)

وقال: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرّبون» النّسآء: ١٧٢)

٣٩ ـ (ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت إنّ الّذي أحياها لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير)

ومن حجج الله القاطعة على وحدانيّته وبسط سلطانه، ومن دلآئله الواضحة على كمال قدرته على البعث ونشر الموتى من بعد بلاها وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنآئها أنّك أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ترى، وترى عين كلّ إنسان في كلّ ظرف من هذه الحياة الّتي تلبس الأرض، تراها يابسة جدبة دارسة غبرآء لا نبات فيها ولا زرع، فبينما تقع العين على عالم فسيح من الأرض الجديب والأصقاع الموات الهامدة، فإذا أنزلنا على هذه الأرض الخاشعة المآء من السّمآء تحرّكت بالنّبات وانتفخت وعلت وخصبت، وأخرجت ألوان الزّرع والثّمار كما يشاهد من ارتفاع الأرض وانتفاخها، ثمّ تصدّعها وتشققها إذا حان ظهور النّبات منها، وتراه يسمو في الجوّ، ويغطي قشرتها ثمّ

تتشعّب عروقه وتغلظ سوقه، فتزيّنت بالنّبات، فاذاً هي جنّات وزروع ونخيل وأعناب...

قال الله تعالى: «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت وأنبتت من كلّ زوج بهيج ـ ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآء فتصبح الأرض مخضرّة» الحجّ: ٥ و٦٣)

وقال: «أنّا صببنا المآء صبّاً ثمّ شققنا الأرض شقّاً فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدآئق غلباً وفاكهة وأبّاً» عبس: ٢٥-٣١)

وقال: «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون» يس: ٣٣)

وقال: «والله أنزل من السّمآء مآء فأحيا به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآية لقوم يسمعون» النّحل: ٦٥)

وقال: «إعلموا أنّ الله يحيى الأرض بعد موتها قد بيّنّا لكم الآيات لعلّكم تعقلون» الحديد: ١٧)

وقوله تعالى: «إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شي قدير» إنّ الّذي أحي هذه الأرض الميتة الدّارسة بما أنزل عليها من المطر، فأخرج منها النّبات، وجعلها تهتزّ بالزّرع من بعد يبسها ودثورها فهو قادر على أن يحيى الموتى من بني آدم في الدّار الآخرة للحساب والجزآء وإنّه عزّوجلّ على كلّ شيئ قدير لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيئ شآءه فهو قادر على الإماتة والإحيآء في كلّ حال إذ لا تتناهى مقدوراته... فإنّ من كان قادراً على ذلك فهو قادر على هذا إذ ليس أحدهما بأعجب ولا أشقّ عليه من الآخر، فهو جلّ وعلا على كلّ شيء من الأشيآء الّتي من جملتها الإحيآء مبالغ في القدرة.

قال الله تعالى: «يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ـ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إنّ ذلك لمحي الموتى وهو على كلّ شي قدير» الرّوم: ١٩-و-٥٠)

وقال: «والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به

الأرض بعد موتها كذلك النّشور» فاطر: ٩)

البلد الميّت: الخالي عن النّبات والثّمار بالكلّيّة، العادم للقوّة النّاميّة، واحيآؤه تهيّج القوى النّاميّة فيه، وإحداث نضارته بأنواع النّباتات وهو مستعار من الإحيآءِ الحقيقيّ الّذي هو إعطآء القوّة الحسّاسة، كما أنّ موته مستعار من الموت الحقيقي الّذي هو عدم الحياة في البدن.

ولا يخفى أنّ الحياة تستعمل على وجوه:

منهاـ للقوّة النّاميه الموجودة في النّبات والحيوان ومنه قيل: نبات حيّ.

منها ـ للقوّة الحسّاسة، وبه سمّي الحيوان حيواناً قال الله تعالى: «إنّ الّذي أحياها لمحي الموتى» فقوله: «إنّ الّذي أحياها» إشارة إلى القوّة النّاميّة وقوله: «لمحي الموتى» إشارة إلى القوّة الحسّاسة.

ومنها ـ للقوّة العاملة العاقلة كقوله عزّوجلّ: «أو من كان ميتاً فأحييناه» الأنعام: ١٢٢) وقوله جلّ وعلا: «يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم ـ ليهلك مَن هلك عن بيّنة ويحيي من حيّ عن بيّنة» الأنفال: ٢٤ و٤٢)

٤٠ ـ (إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير)

إنّ الّذين يميلون عن آياتنا التّكوينيّة الآفاقية والأنفسيّة، وفي حججنا وأدلّتنا التدوينيّة الدّالة على التّوحيد، ويعدلون عنها تكذيباً بها وجحوداً لها ويجادلون فيها، لايخفى علينا شيء من أشخاصهم وعقآئدهم، من أقوالهم وأفعالهم، ومن أحوالهم وممّا في ضمآئرهم... فإنّنا لهم بالمرصاد فسيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا.

قال الله تعالى: «فإذا نفخ في الصّور نفخة واحدة ـ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» الحاقة: ١٣ـ١٨)

وقال: «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ـ يعلم خآئنة الأعين وما تخفى

الصّدور» غافر: ١٦-١٩)

وقال: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» آل عمرآن: ٢٩)

وقال: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٢٨٤)

وقال: «وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها حتّى إذا جآؤك يجادلونك يقول الّذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين - ولو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٥-٢٨)

وقوله تعالى: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» أفمن يلقى على وجهه في نارجهنّم وهو أبوجهل بن هشام قآئد الجهلة، ومن انسلك مسلكه في الكفر والطّغيان، في الظّلم والعدوان، في البغي والعصيان، وفي إلحاده في آيات الله تعالي وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألقيا في جهنّم كلّ كفّارعنيد منّاع للخيرمعتد مريب الّذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشّديد» ق: ٢٤-٢٦) «وللّذين كفروا بربّهم عذاب جهنّم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ كلّما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جآء نانذير فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلال كبير» الملك: ٦-٩)

أهذا العنيد وأضرابه خير أم من يأتي آمناً من فزع يوم القيامة وأهواله وعذابه وهو مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام لكمال إيمانه بالله جلّ وعلا وغاية معرفته، وتمام عمله بالطّاعات... حين يجمع الله تعالى الخلآئق كلّهم للعرض عليه والحكم بينهم بالعدل؟!

لا ريب أنّهما لا يستويان، بل لا يقاس الكافر بالمؤمن، ولا المشرك بالموحّد، ولا المفسد بالمصلح، ولا المحسن بالمسيء... كما لايقاس الظّلمة بالنّور، والجهل المحض، بالعلم المحض ولا الحقّ بالباطل...

قال الله تعالى: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون» الأنبيآء: ١٠٣)

وقال: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم

جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم» الحديد: ١٢)

وقال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» السّجدة: ١٨)

وقال: «قل لا يستوي الخبيث والطّيّب» المآئدة: ١٠٠)

وقال: «لا يستوي أصحاب النّهار وأصحاب الجنّة» الحشر: ٢٠)

وقال: «مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسّميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون» هود: ٢٤)

وقوله تعالى: «إعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير» إعملوا أيّها الملحدون في آيات الله جلّ وعلا ما شئتم إذ لا تريدون أن تتحوّلوا عن هذا الموقف الضّالّ من آيات الله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنذركم في إلحادكم وطغيانكم تعمهون، فقولوا ما تريدون واعملوا ما تشآؤن... إنّ الله تعالى بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيءٌ من أقوالكم وأعمالكم، وما في صدوركم، وإنكم ستحاسبون وتجزون بأسوإ الّذي كنتم تعملون، حيث إنّ مصير النّاس حسب مواقفهم وأعمالهم، حسب عقآئدهم ونيّاتهم، وحسب أقوالهم وأفكارهم... فيجزون بما يستحقّون.

قال الله تعالى: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم» الزّمر: ٣٩ـ٤٠)

وقال: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدّار إنّه لا يفلح الظّالمون» الأنعام: ١٣٥)

وقال: «وقل الّذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون» هود: ١٢١ـ١٢٢)

وقال: «وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل، وأنا بريءٌ ممّا تعملون ـ ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّمآء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين» يونس: ٤١ و٦١) وقال: «ومن جآء بالسّيّئة فكبّت وجوههم في النّار هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون» النّحل: ٩٠)

وقال: «فلنذيقنّ الّذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون ذلك جزآء أعدآء الله النّار لهم فيها دار الخلد جزآءً بما كانوا بآياتنا ـ يجحدون» فصّلت: ٢٧-٢٨)

وقال: «أم حسب الّذين يعملون السّيّئات أن يسبقونا سآء ما يحكمون» العنكوت: ٤) وقال: «فلا يجزى الّذين عملوا السيئات إلّا ما كانوا يعملون» القصص: ٨٤)

وقال: «ويوم يرجعون إليه فينبّئهم بما عملوا وأنّه بكلّ شيء عليم» النّور: ٦٤)

وقال: «أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سوآء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ـ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ـ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النّار وما لكم من ناصرين» الجاثية: ٢١و٢٩و٣٤)

٤١ ـ (إنّ الّذين كفروا بالذّكر لمّا جآءهم وإنّه لكتاب عزيز)

إنّ الّذين كفروا بهذا القرآن الكريم حين جآءهم من مشركي مكّة وغيرهم، ألحدوا في آياته وطعنوا فيها، وجحدوا، لأنّهم بكفرهم به ألحدوا في آياته وجادلوا فيها، فيلقون بكفرهم وإلحادهم في نار جهنّم خالدين فيها.

إنّ هذا القرآن المجيد ذكر من الله جلّ وعلا يذكر فيه الله تعالى، ذكر يذكّر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المؤمن والكافر، الموحّد والمشرك، المطيع والعاصي، المحسن والمسيئ، والمصلح والمفسد بما فيه خيرهم وشرّهم، كما لهم وإنحطاطهم، وسعادتهم وشقاوتهم... ذكر يحمل معه كلّ ذكر في الكتب السّماويّة النّازلة على المرسلين عليهم السّلام قبله، فبحفظه تحفظ، وبضياعه تضاع، ذكر لا مثيل له في سآئر الذّكر، ولا أيّ من حقآئق الدّين الحقّ باصوله وفروعه، بمعارفه وحِكَمِه، بحقآئقه وأسراره وبمفاهيمه وأحكامه... ذكر فيه ذكرهم، وذكر ما يحتاج إليه البشر من الدّلآئل والحجج والبراهين في جميع شئون حياته الدّنيويّة والأُخرويّة في كلّ ظرف.

وإنّه ذكر يذكّر بالله عزّوجلّ ويكشف طريق الحقّ والهدى إليه، وذكر تذكر به وجوه

الأدلّة المؤدّية إلى الحقّ والصّواب، إلى الخير والرّشاد، إلى البرّ والتقوى، وإلى الصّلاح والفلاح والكمال... والمعاني الّتي يعمل عليها فيه، ولا يتذكّر بهذا الذّكر إلاّ من كان سليم القلب والنّفس، وسليم العقل والفكر.

قال الله تعالى: «ذلك نتلوه عليك من الآيات والذّكر الحكيم» آل عمران: ٥٨)

وقال: «إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين» يس: ٦٩-٧٠)

وقال: «ص والقرآن ذي الذّكر- أ أُنزل عليه الذّكر من بيننا بل هم في شكّ من ذكري- كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب - إن هو إلاّ ذكر للعالمين» ص: ١و٨و٢٩و٨٧)

وقال: «قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات» الطّلاق: ١٠-١١)

وقال: «وإنّه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون» الزّخرف: ٤٤)

وقال: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون» الأنبيآء: ١٠)

وقال: «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩)

وقال: «وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم ولعلّهم يتفكّرون» النّحل: ٤٤)

وقال: «فذكّر إنّما أنت مذكّر» الغاشية: ٢١)

وقال: «إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً» المزّمّل: ١٩) وقال: «وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت» الأنعام: ٧٠)

وقال: «ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذّكّروا وما يزيدهم إلاّ نفوراً- وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً» الإسرآء: ٤١-٤٦)

وقال: «وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون» الزّمر: ٤٥)

وقال: «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد» ق: ٤٥)

وقوله جلّ وعلا: «وإنّه لكتاب عزيز» وإنّ هذا الذّكر لكتاب عزيز باعزاز الله تعالى

إيّاه وحفظه من كلّ مَن أراد له تبديلاً أو تحريفاً أو تغييراً من إنسيٍّ أو جنّيّ أو شيطان مارد، ولا يقدر أحد من العباد على أن يأتي بحديث مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً: «فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» الطور: ٣٤) «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الإسرآء: ٨٨)

وإنّه ضمان له باصوله وفروعه، فهو عزيز لا يغلب، أنزله العزيز الّذي لا يقهر على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم العزيز، عزيز في لفظه ومعناه، عزيز في نظمه واسلوبه، عزيز في حجّته وبرهانه، عزيز في قوّة بيانه ومعانيه، عزيز في حكمه ومغزاه، عزيز في أحكامه وأسراره، عزيز في معارفه وحقآئقه، عزيز في مفاهيمه ومبانيه، عزيز في مبتدإه ومنتهاه، عزيز لا يذلّ ولا يغلب، ولن يقهر مهما تربّصوا له الدّوآئر، وعزيز في كلّ زمان حتّى عند الكافرين، ومنيع ممتنع أن يغلب.

قال الله تعالى: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» الزّمر: ١)

وقال: «وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم» التوبة: ٤٠)

٤٢ - (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

لا يأتي هذا الكتاب العزيز باطل من الأباطيل من أيّ جهة من الجهات، ولا تحريف كلمة، ولا تبديل حرف بحرف آخر، ولا زيادة ولا نقص، إذ ضمن الله العزيز المتعال بحفظه وصيانته من كلّ دسّ إنسيّ وجنّيّ وشيطان مارد فيه، في كلّ ظرف: «إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩) «يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون» الصّف: ٨) «ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته» الشّورى: ٢٤)

فكلّ مافي هذا الكتاب العزيز الّذي بأيدينا اليوم حقّ وصدق، وليس فيه مالا يطابق الواقع، وإنّما هو الواقع، وهو معيار الحقّ والصّواب، وهو بنفسه ميزان الهدى والرّشاد، وعلى كتاب الله جلّ وعلا تعرض الأمثال، وهذا الكتاب الّذي بأيدينا اليوم هو الكتاب الّذي نزّله الله تعالى على خاتم رسله محمّد المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم من

دون زيادة حرف، ولا نقص كلمة منه، كتاب يصدّق بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله جلّ وعلا، ولا يخالف بصاحبه عن الله تعالى.

هذا القرآن العزيز بيت لا تهدم أركانه، وعزّ لا تهزم أعوانه، ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجآئبه ولا تنقضى غرآئبه، ولا تكشف الظّلمات إلاّ به، كتاب تبيان لكلّ شيء ولا رطب ولا يابس إلاّ في هذا الكتاب المبين، وهذا الكتاب آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أخذ الله تعالى عليه ميثاق عباده كافّة وعلمآئهم خاصّة: «وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه» آل عمران: ١٨٧) وارتهن عليه أنفسهم.

كتاب أتمّ الله جلّ وعلا نوره وأكمل به دينه لا يهلك عنه هالك، وقد بيّن تعالى فيه حلاله وحرامه، فرآئضه وفضآئله، ناسخه ومنسوخه، رخصه وعزآئمه، خاصّه وعامّه، عِبَرَه وأمثاله، مرسله ومحدوده، محكمه ومتشابهه، مفسّراً جمله، ومبيّناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاقُ علمه، وموسّع على العباد من جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السّنّة نسخه، وواجب في السّنّة أخذه، ومرخّص في الكتاب تركه، وبيّنَ واجب بوقته، وزآئل في مستقبله ومباين بين محارمه: من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصدله غفرانه، وبين مقبول في أدناه، وموسّع في أقصاه.

هذا الكتاب العزيز لن يكون ظنّيّة الدّلالة على مازِعمه بعض الاصوليّين الجهلة الّذين اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً: «ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئني وكان الشّيطان للإنسان خذولاً وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٢٧-٣٠)

هل القوم هم مشركوا مكّة؟ وقد كفروا به أو هم أصحاب الحرف والاشغال...؟ وما أخذ الله تعالى ميثاقهم أن يبيّنوه للنّاس أو هم الّذين قال الله تعالى خطاباً لهم: «ولكن كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» آل عمران: ٧٩)

وعتاباً لهم: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلّا الحقّ ودرسوا مافيه» الأعراف: ١٦٩) «فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧-١٨٨)

وقوله عزّوجلّ: «تنزيل من حكيم حميد» كيف يلم بهذا الكتاب العزيز باطل من أيّة جهة وهو تنزيل من الله العزيز الحكيم: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ» الزّمر: ١-٢) «وإنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النّمل: ٦) الحكيم الّذي يفعل مايفعل على غاية من الصّواب والإحكام والإتقان، حكيم لايدخل على عمل من أعماله دَخَل ولا فساد، ويستوجب على كلّ مايفعل الحمد والثّنآء، الحميد هو المستحقّ لأن يحمد ويمجد، لا يكون حمده ولا تمجيده إلّا هو قآئم على الحكمة والسّداد، فكيف بمن هو المحمود وحده حمداً مطلقاً في السّرّآء والضّرّآء، والله تعالى هو المحمود الّذي يستحقّ الحمد والشّكر على جميع أفعاله الّتي كلّها حكمة ونعمة يجب بها الشّكر.

«الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» الكهف: ١)

«وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون» القصص: ٧٠)

الحكيم هو الّذي أفعاله كلّها حكمة فيكون من صفات الفعل، ويكون بمعنى العالم بنظام الكون ونواميس الوجود، وبجميع الأشيآء وأحكامها... فيكون من صفات الذّات.

٤٣ - (مايقال لك إلّا ماقد قيل للرّسل من قبلك إنّ ربّك لذومغفرة وذوعقاب أليم)

مايقال لك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من قِبَلِ الملحدين من مشركي العرب ومن إنسلك مسالكهم من الكافرين المعاندين في كلّ ظرف، وما يقال لما جئتهم به من عند ربّك ، فدعوتهم إليه فرموك بما رموك ، ورموه بما رموه وما يرمونك ويرمونه إلّا مثل ما قد

قيل للرّسل مِن قبلك ، من قِبَلِ قومهم الكافرين من الأذى والتّكذيب والمطاعن فيهم وفي كتبهم.

إنّه وحي واحد، ورسالة واحدة، وعقيدة واحدة، ومنهج واحد، وكذلك في الإيمان والكفر، في التّصديق والتّكذيب، في القبول والإعراض، وفي الإ تباع والإيذآء... لأنّ الرّسالة كلّها من شجرة واحدة واسرة واحدة، وتجارب واحدة، وهدف الأمر واحد، وطريق واصل ممدود... فقيل كلّ ماقيل للرّسل أجعين قيل لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وحده وزيادة لأنّ رسالته تجمع الرّسالات كلّها وزيادة، وأنّ كتابه يجمع الكتب السّماويّة كلّها وزيادة... وقيل لمحمّد رسول الله الأعظم والنّبيّ الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّه ساحر، كاهن، مجنون، كذّاب، شاعر، مفتر، لاغٍ في كلامه ويريد أن يتفضّل ويتأمّر علينا وما إليها من الأقاويل... وإنّ كتابه سحر، كهانة، كذب، شعر، إفتراء ومن أساطير الأوّلين وما إليها.

فاصبر أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على مايقولون فيك وفي كتابك، وعلى ماينالك من الأذى والإلحاد والتّكذيب والإستهزآء... من قِبَل مشركي العرب وأضرابهم... فاصبر كما صبر أوالوالعزم من الرّسل على ماقيل لهم وما نالهم من الأذى والتكذيب من قومهم... كذّبت رسل من قبلك، فصبروا، وكذّبت أنت فاصبر فإنّ العاقبة لك على من كذّبك وأذاك، وفوّض الأمر إلى الله جلّ وعلا واشتغل بما أمرت به من الدّعوة إلى دينه إذ ماعلى الرّسول إلّا البلاغ، وليس من شرط البلاغ، تصديق النّاس وقبولهم الدّعوة.

قال الله تعالى: «كذلك ما أتى الّذين من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون» الذّاريات: ٥٢)

وقال: «وقال الّذين لا يعلمون لولا يكلّمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الّذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بيّنّا الآيات لقوم يوقنون» البقرة: ١١٨)

وقال: «وقال الّذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الّذين من قبلهم فهل على الرّسل إلّا البلاغ

المبيّن» النّحل: ٣٥)

وقال: «وإن يكذّبوك فقد كذّب الّذين من قبلهم جآءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزّبر وبالكتاب المنير» فاطر: ٢٥)

وقال: «قدنعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فانّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا حتّى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جآءك من نبإي المرسلين» الأنعام: ٣٣-٣٤)

وقال: «وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين» العنكبوت: ١٨)

وقال: «تلك من أنبآءِ الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل فاصبر إنّ العاقبة للمتّقين» هود: ٤٩)

وقوله تعالى: «إنّ ربّك لذو مغفرة وذوعقاب أليم» فاصبر أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على أعبآء الرّسالة لعلّ بعض هؤلآءِ الكافرين تابوا وآمنوا واهتدوا لأنّ ربّك لذو مغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، ولذو عقاب وجيع لمن أصرّ على إبطال أمرك وسعى في الأرض فساداً ومات على كفره.

قال الله تعالى: «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى» طه: ٨٢)

وقال: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّت الأوّلين» الأنفال: ٣٨)

وقال: «ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأنّ للكافرين عذاب النّار» الأنفال: ١٣-١٤)

٤٤ ـ (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدىً وشفآءٌ والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أُولئك ينادون من مكان بعيد)

ولو جعلنا هذا القرآن الّذي أنزلناه إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم تقرؤه على

النّاس لساناً أعجمياً بغير لغة العرب لقال الملحدون في آياتنا من مشركي العرب لعصبيّتهم الجاهلية ونخوتهم العربيّة تجاه وحي القرآن الكريم معترضين، منكرين للوحي والرّسالة: هلاّ بيّنت أدلّته وميّزت آياته، وهلاّبان مافيه من حِكَمٍ ومعارف، من أخبار وأحكام، ومن أسرار وحقآئق . . .؟ وهلاّ نُزِّل بلسان العرب حتّى نفهمه، ونعلم ما هو ومافيه؟ أكتاب أعجميّ نزل على رجل عربيّ؟ وعلى قوم لسانهم عربيّ؟ كيف هذا؟ كيف نتعلّمه وهو أعجميّ ولساننا عربيّ خلّص؟ وقد كنّا نحبّ أن ينزل علينا كتاب على لساننا العربيّ كما أنزل على كلّ أمّة كتاب وارسل رسول إليهم بلسانهم: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤)

نزل هذا القرآن الكريم مفصّلاً: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١) بلغة العرب: «إنّا جعلناه قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون» الزّخرف: ٣) فأنكره الملحدون المعاندون من مشركي العرب: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» فصّلت: ٢٦) ولو نزل هذا القرآن المجيد بتمام حقآئقه وأسراره، وبكلّ معارفه وأحكامه بغير لغتهم لقالوا: أنبيّ عربيّ والمرسل إليهم عربيّ، والكتاب أعجميّ؟ كما لوأنزل هذا القرآن العربيّ على رجل أعجميّ يفهمه لما كانوا به مؤمنين: «ولونزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» الشّعرآء: ١٩٨-١٩٩) ولقالوا: هلاّ أُرسِلَ إلينا رجل عربيّ بهذا الكتاب العربيّ، فالملحدون من العرب، منكرون للوحي والرّسالة معاً طاعنون فيهما على كلّ حال.

وذلك أنّ من ضلالات مشركي العرب ومكابرات معانديهم وإلحاد ملحديهم في الوحي القرآني ورسوله ورسالته: أنّهم كانوا ينكرون أن يكون الرّسول الّذي يُرسَل من عند الله تعالى إليهم رجلاً منهم، يتكلّم باللسان الّذي يتكلّمون به . . . إنّ ذلك ممكن أن يدّعيه كلّ واحد منهم، فما يحدثهم به الرّسول على أنّه كلام الله هو من جنس ما يتكلّمون به . . . فهل كلام الله من جنس كلامهم؟ أهذا ممّا يعقل؟ وما الدّليل على أنّ هذا كلام الله؟ ثمّ ما الدّليل على أنّ هذا الإنسان هو رسول الله؟ وما الجديد الّذي جآء هم به؟ إنّ بضاعته كلّها كلام من جنس كلامهم، كما أنّه هو من جنسهم، فليس

هو بجديد ولا ما جآءهم به جديد!

«وقال الّذين كفروا إن هذا إلّا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ـ وقالوا مال هذا الرّسول يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق ـ لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا» الفرقان: ٤ و٧ و٢١)

فإذا كان ثمّة كلام من الله جلّ وعلا إليهم، فليكن بلسان غير لسانهم حتّى يكون ذلك شاهد صدق على أن ما يحدثهم به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس من كلامه هو، بل من كلام الله عزّوجلّ فهذا أقرب إلى التّصديق!! هكذا كان شعورهم نحو القرآن الكريم أوّل الأمر... ما إن سمعوه كلاماً عربياً ممّا يتكلّمون به، حتّى قامت تلك التّهم عندهم له، وللرّسول الّذي جآء به... ولهذا جآءهم القرآن المجيد بما يكشف عن فساد منطقهم هذا، وذلك في قوله تعالى: «ولو نزلناه على بعض الأعجمين...» أي أنّه لوجآءهم أعجميّ لا يتكلّم العربيّة أبداً، فجعله الله جلّ وعلا رسولاً إليهم، يتلوعليهم هذاالقرآن بلسان عربيّ مبين لكان موقفهم معه كموقفهم مع النّبيّ العربيّ، ولقالوا فيه مقالاً، ولما كان نطقه باللسان العربيّ ـ وهو الأعجميّ ـ شاهداً يشهد له عندهم بأنّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ففي مجال المماحكة والجدل متّسع لأهل الزّيغ والضّلال... ودليل المنكر في كلّ ظرف، حرف «لا»!

ومن جهة أُخرى: أنّ هؤلآء الملحدين المعاندين لو استمعوا إلى آيات الله تعالى، وعقلوها و وزنوا كلامهم على ميزانها لوجدوا أنّ كلامهم بالنّسبة إليها أشبه بلكنة الأعاجم ورطاناتهم... إنّ الشّبهة قآئمة عندهم لا تزول، لوجآءهم القرآن باللسان الأعجميّ كما أنّها قآئمة عندهم كذلك لوكان الرّسول إليهم ملكاً لا بشراً، وفي هذا قال الله جلّ وعلا: «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ـ ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيءٍ قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» الأنعام: ٩ و١١١)

فلوجآءهم القرآن الكريم بلسان أعجميّ لكانت علّتهم عليه: أنّه ليس بلسانهم، وأنّهم لا يفهمون هذه الرّطانة، ولقالوا: هلاّ وضحت آياته، واستبانت مغالق كلماته،

حتّى نعلم منطوقها ومفهومها؟ وإنّ لهم في هذا القول لمنطقاً لو كانوا يطلبون الحقّ أو يبتغون الهدى... ولكنّهم أين من هذا؟ وإنّما كان ذلك كلّه عذراً أسوأ من كلّ ذنب.

وقد ردّ الله تعالى عليهم بقوله: «أ أعجميّ وعربيّ»؟ أي كيف يتّفق أن يكون اللسان الأعجمي مفصحاً مبيّناً عند من لا يحسن إلّا العربيّة؟ فإمّا أن يكون الكلام بغير العربيّة الّتي لا يحسنونها، أو بالعربيّة الّتي هي لسانهم... أمّا أن يكون الكلام غير عربيّ، ثمّ ينطق بما يفهمه العربيّ، فهذا مالا تحتمله طبيعة اللغة، أيّة لغة...! فالإستفهام: «أأعجميّ وعربيّ» إنكاري لهذا المقترح الّذي يقترحونه على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو أن يكون اللسان الّذي يخاطبهم به لساناً أعجمياً عربيّاً معاً! أي بلغة غير لغتهم، ثمّ تكون تلك اللغة مفهومة لهم!

وأمّا حكمة نزول القرآن باللغة العربيّة فإنّها أفضل اللغات وأعربها، كما أنّ القرآن الكريم هو أجمع الكتب السّماوية النّازلة على المرسلين، وأنّ رسول هذا الوحي أكمل الرّسل، ورسالته أتمّ الرّسالات كلّها، وأنّ العرب هم مبتدء الدّعوة، فلتكن بلغتهم، وأنّهم قوم لدّليسوا يتقبلوا قرآناً بغير لغتهم، ولا يقبلوا إليه!

وقوله تعالى: «قل للّذين آمنوا هدى وشفآء» قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الملحدين المعاندين من مشركي العرب: هذا القرآن الكريم للّذين آمنوا بالله جلّ وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه هدى يهتدون به إلى الحقّ والرّشاد، إلى الخير والصّواب، وإلى الصّلاح والفلاح، إنّه هاد لعقل مَن طلب الكمال لوجه الكمال... فإنّهم بإيمانهم به حقّاً يجدون في آياته وكلماته ما يهديهم إلى السّعادة والرّضوان وإلى سبل السّلام.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم» الإسرآء: ٩)

وقال: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتّقين الّذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون والّذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون» البقرة: ٢-٥)

وقال: «قل إنّما أتّبع ما يوحى إليّ من ربّي هذا بصآئر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم

يؤمنون» الأعراف: ٢٠٣)

وقال: «قل اوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرّشد فآمنّا به» الجنّ: ١-٢)

وقال: «قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم» الأحقاف: ٣٠)

وقال: «قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المآئدة: ١٥-١٦)

هذا الكتاب العزيز شفآء لما في قلوب المؤمنين من دآء الجهل والغفلة، شفآء لما في الصّدور من العمى، شفآء لما في الآذان من الأثقال، شفآء لصدر كلّ من يشكو من دآءِ كلّ شكّ وريب وشبهة، وشفآء لمن استشفىٰ وآمن به حقاً من كلّ دآءٍ جسميّ، وسقم قلبيّ، ومرض روحيّ ... فإنّ المؤمنين حقاً هم الّذين يجدون في آياته وكلماته ما يذهب بما في قلوبهم من زيغ وضلال، وما في أنفسهم من ريب وشبهات، وما في أبدانهم من ملال وأوجاع...

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس قد جآءتكم موعظة من ربّكم وشفآء لما في الصّدور وهدى ورحمة للمؤمنين» يونس: ٢٧)

وقال: «وننزّل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين» الإسراء: ٨٢)

وقوله جلّ وعلا: «والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقرو هو عليهم عمى» والّذين لا يؤمنون بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا يصدّقون القرآن الكريم، ولا يفكرون إلّا بمتعهم وجشعهم أولئك في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، فلا يستمعون له سماع تدبّر وهداية، ولا سماع قبول وإيمان، لتصامّهم عن سماعه، بل يعرضون عنه من حيث يثقل عليهم إستماعه، فلا ينتفعون به فكأنّهم صُمّ عليه.

قال الله تعالى: «فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا و بينك حجاب» فصّلت: ٤-٥)

وقال: «ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ أولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩)

وقال: «وإذا تتلى عليه آياتنا ولىّ مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في اذنيه وقراً» لقمان: ٧)

وهذا القرآن الكريم إذاً على قلوب هؤلآء الملحدين من مشركي العرب ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، عمى، حيث ضلّوا عنه وحاروا عن تدبيره، ولا تستضئ أبصارهم بما فيه من هدى، فيستحيل أن يستجيبوا لدعوة الحقّ أيّاً كان مصدرها لتعاميهم من آياته، فلايبصرون حججه عليهم وما فيه من مواعظه، فلاينتفعون به ولا يرغبون فيه، إذ عميت قلوبهم عنه فلايفهمونه «ولا يزيد الظّالمين إلّا خساراً» الإسراء: ٨٢)

قال الله تعالى: «ومثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لايسمع إلّا دعآء ًونداء ً صمّ بكم عمى فهم لايعقلون» البقرة: ١٧١)

وقال: «لاتعمى الأبصار ولكنّ تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحجّ: ٤٦)

وقوله تعالى: «أولئك ينادون من مكان بعيد» أولئك الملحدون بسبب كفرهم وإلحادهم، بسبب شركهم وإصرارهم، وبسبب ضلالهم ولجاجهم لايسمعون ندآء الحقّ ولوسمعوا شيئاً منه لماعقلوه حتّى كأنّ بينهم وبينه بُعد المشرقين، وإن كان أقرب إليهم من حبل الوريد، إذ عميت قلوبهم، فلايفهمونه كما يقال لمن لايفهم شيئاً: كأنّك تنادى من مكان بعيد! فمثلهم كمثل الشّخص الّذي ينادى من بُعد، فلايسمع، وإن سمع فلايفهم، فإذا تتلى عليهم الآيات القرآنيّة لم يقع لآذانهم الّتي أصمّو ها عنها إلّا كما يقع الصّوت الوارد من مكان بعيد، حافتاً ضعيفاً، غير واضح الدّلالة، فلايتبيّن السّامع شيئاً لماسمع.

قال الله تعالى: «ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلّا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسرّوا النجوى الّذين ظلموا هل هذا إلّا بشر مثلكم» الأنبياء: ٢-٣)

وقال: «يسمع آيات الله تتلى عليه ثمّ يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها» الجاثية: ٨)

وقال: «إنّهم عن السّمع لمعزولون» الشعرآء: ٢١٢)

وقال: «ولا تكونوا كالّذين قالوا سمعناوهم لا يسمعون إنّ شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذي لا يعقلون»الأنفال: ٢١-٢٢)

وقال: «وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير» الملك: ١٠)

٤٥ - (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمت سبقت من ربّك لقضي بينهم وإنّهم لفي شكّ منه مريب)

واقسم بالله جلّ وعلا انّنا آتينا موسى عليه السّلام الكتاب وهو التّوراة، فاختلف في كتابه قومه، إذا عترفت به فئة وآمنوا وصدّقوا به، وأنكرته أُخرى وكذّبوه وهكذا حال الملحدين من مشركي قومك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في أوآئل نزول الوحي، وحال المعاندين المنافقين من امّتك في آخره في شأن ما آتيناك من الكتاب العزيز، فمنهم مؤمن عامل به وهم قليلون في كلّ ظرف جدّاً، وأكثرهم الآخرون غير مؤمنين ولا عاملين به، فلم يستقيموا على طريق واحد معه، بل تفرّقت بهم السّبل، فسلك كلّ فريق منهم شعبة من شعب الضّلال والنّفاق، وإذاهم ثلاث وسبعون فرقة كماورد صحيحاً، وفرقة واحدة منهم ناجيّة وهم الّذين تمسّكوا بالثّقلين: كتاب الله وعترة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم والباقون في النّار مخلّدون.

ولا يخفي على مَن له طيب الولادة: أنّ منشأ هذا الإختلاف والفرقة بين الأُمّة المسلمة هوعمربن الخطّاب تبعاً عن أسلافه المشركين الملحدين إذ أهان برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مرض موته صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أمر بعض أصابه الحاضرين عنده بايتاء كتاب ودواة لتأكيد أمر الوصيّة لوصيّه بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال عمربن الخطّاب الهتّاك لحرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» فعندئذ وجد الإختلاف بين الحاضرين، فمنهم من صدّق به صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومنهم من كذّبه فنحّاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنه.

قال الله تعالى: «وما اختلف فيه إلّا الّذين اوتوه من بعد ما جآئتهم البيّنات بغياً

بينهم فهدى الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ باذنه والله يهدى من يشآء إلى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الّذين خلوا من قبلكم» البقرة: ٢١٣-٢١٤)

وقال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ـ ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجآءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم» آل عمرآن: ١٠٣-١٠٥)

وقال: «فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للّذين ظلموا من عذاب يوم أليم» الزخرف: ٦٥)

وقوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربّك ...» يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقّ امّتك المكذّبة وهي العدة بتأخير عذابهم، وفصل مابينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة كما قال جلّ وعلا: «لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً» الكهف: ٥٨) «ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى» فاطر: ٤٥) ولولا ذلك لقضي بينهم بعذاب المكذّبين المعاندين واستئصالهم كما فعل بمكذّبي الأمم السّالفة.

قال الله عزّوجلّ: «ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون» : ١٩)

وقال: «أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه ـ وما تفرّقوا إلّا من بعدما جآءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم» الشّورى: ١٣-١٤)

وقوله جلّ وعلا: «وإنّهم لفي شكّ منه مريب» وإنّ هؤلآء الملحدين من مشركي العرب، وهؤلآء المخالفين المعاندين من امّتك لفي شكّ وارتياب في أمر هذا القرآن الكريم، فلم تقع آياته وكلماته موقع اليقين منهم لأنّهم لم يفتحوا آذانهم له، ولم يوجهوا عقولهم وقلوبهم إليه، فلم يستمعوا إليه إلّا بآذان صمّآء ولم يلقوه إلّا بقلوب مريضة ولا عقول سليمة، فكان حكمهم عليه هذا الحكم الفاسد الّذي ملأ قلوبهم شكّاً وارتياباً، موجباً لقلق السّفلة واضطراب الجهلة من النّاس، وهذا هو أفظع الشكّ إذ كانوا متثبّتين

في شكّهم لشدّة عنادهم ومكابرتهم، ومظهرين شكّهم فيه، فالشّك على ضربين: :شكّ لا يظهره الشّاك ، وشكّ يظهره فيوجب الشّك لغيره وهو مريب.

قال الله تعالى: «بل هم في شكّ من ذكري» ص: ٨)

وقال: «بل هم في شكّ يلعبون» الدّخان: ٩)

وقال: «ارتابت قلوبهم فهم في ريب يتردّدون» التوبة: ٤٥)

وقال: «ويقولون آمنّا بالله وبالرّسول وأطعنا ثمّ يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون» النّور: ٤٧-٤٨)

وقال: «وإنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أُمرت» الشّورى: ١٤-١٥)

وأمّا المؤمنون حقّاً فلن يرتابوا: «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون» الحجرات: ١٥)

٤٦ - (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد)

من عمل صالحاً خالصاً فيما بينه وبين ربّه، فأتمر بأوامره، وانتهى عن نواهيه، فجزآء عمله ونفع صلاحه لنفسه في الحياة الدّنيا من العزّة والكمال، وفي الآخرة من الجنّة والرّضوان، وإنّ الله جلّ وعلا مستغن عن طاعة عباده، فمن أطاعه فالثّواب للمطيع، ومن عصى الله تعالى وخالف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فوبال معصيته، وضرر مخالفته، وعقوبة إسآئته على نفسه دون غيرها في الدّنيا من الذّلّة والهوان، وفي الآخرة من العذاب والنّيران، فجزآء كلّ يختص بشخصه سوآء أكان له أم عليه.

قال الله تعالى: «كلّ نفس بما كسبت رهينة» المدّثر: ٣٨)

وقال: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» البقرة: ٢٨٦)

وقال: «ومن يكسب إثماً فانّما يكسبه على نفسه» النّسآء: ١١١)

وقال: «من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جآء بالسّيّئة فلا يجزى إلاّ مثلها وهم

لا يظلمون ـ ولا تزر وازرة وزر اخرى ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون» الأنعام: ١٦٠و١٦٤)

وقوله تعالى: «وما ربّك بظلاّم للعبيد» ولا يحمل ربّك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، إذ ليس ربّك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأخذ عبداً من دون جرم فلا يعاقب أحداً إلاّ على جرمه الّذي اكتسبه في الدّنيا أو على سبب إستحقّه به منه، فما من أحد يؤخذ ويعاقب بالعدل في الدّنيا والآخرة إلاّ إذا كان هو بنفسه السّبب الموجب للأخذ والعقاب بحيث لوكان هو الحاكم العادل لحكم على نفسه وعلى غيره على شرع سوآء بنفس ما حكم الغير عليه.

قال الله تعالى: «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً» الكهف: ٤٩)

وقال: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الّذين يضلّونهم بغير علم ألاسآء ما يزرون» النّحل: ٢٥)

وقال: «اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم ـ وما الله يريد ظلماً للعباد» غافر: ١٧و٣١)

وقال: «ولكلٍّ درجات ممّا عملوا وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» الأحقاف: ١٩)

وقال: «واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» البقرة: ٢٨١)

وقال: «إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» النّسآء: ٤٠)

٤٧ ـ (إليه يردّ علم السّاعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلاّ بعلمه ويوم يناديهم أين شركآءى قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد)

إلى الله جلّ وعلا يردّ علم السّاعة و وقت قيامها، يقع فيها البعث والحساب والجزآء

للموحّد والمشرك، للمؤمن والكافر، للمصلح والمفسد، وللمحسن والمسيئ ... فلا يعلم وقت وقوعها أحد إلّا الله تعالى.

قال الله عزّوجلّ: «يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السّموات والأرض لاتأتيكم إلّا بغتة يسئلونك كأنّك حفيّ عنها قل إنّما علمها عند الله ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الأعراف: ١٨٧)

وقال: «يسئلونك عن السّاعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربّك منتهاها إنّما أنت منذر من يخشاها كأنّهم يوم يرونها لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها» النّازعات: ٤٢-٤٦)

وقال: «يسئلك النّاس عن السّاعة قل إنّما علمها عند الله ومايدريك لعلّ السّاعة تكون قريباً» الأحزاب: ٦٣)

وقال: «ولله غيب السّموات والأرض وما أمر السّاعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب» النّحل: ٧٧)

وقال: «إنّ السّاعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى فلايصدّنّك عنها من لايؤمن بها واتّبع هواه فتردى» طه: ١٥-١٦)

وقوله عزّوجل: «وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه» وما تخرج ثمرة من الثّمرات من أوعيتها وغلفها، وما تحمل انثى ما الحوامل إنساناً كانت أو حيواناً من حملٍ، ذكراً كان أو انثى، ولا تضع انثى حملها إلّا بعلم الله جلّ وعلا وباذنه، فهو تعالى يعلم قدر الثّمار وكيفيتها وأجزآئها وطعومها وروآئحها وخواصّها، ومافيها من الأسرار والآثار في نظام الكون ونواميس الوجود، ويعلم عزّوجلّ ما في بطون الحبالى وكيفيّة إنتقالها حالاً بعد حال حتّى يصير بشراً سويّاً، فهو تعالى وحده يعلم جزئيّات أحوال كلّ شيء، يعلم مبدأه ومنتهاه، نشؤه ونماؤه، ويعلم حدوثه وبقآئه وفنآئه ... وما يعلم غير الله إلّا قليلاً منها لا يحتسب واحداً من الآلاف ... جداً.

قال الله تعالى: «وهو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنا به المآء فأخرجنا به من كلّ الثّمرات كذلك نخرج

الموتى لعلّكم تذكّرون والبلد الطّيب يخرج نباته باذن ربه والّذي خبث لايخرج إلّا نكداً كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون» الأعراف: ٥٧ـ٥٨)

وقال: «ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآء فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لاولى الألباب» الزّمر: ٢١)

وقال: «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلّا هوويعلم مافي البرّوالبحر وماتسقط من ورقة إلّا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين» الأنعام: ٥٩)

وقال: «يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السّمآء وما يعرج فيها وهومعكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير» الحديد: ٤)

وقال: «الله يعلم ماتحمل كلّ انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكلّ شيء عنده بمقدار» الرّعد: ٩)

وقال: «إنّ الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّمآء هوالّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمرآن: ٥ـ٦)

وقال: «يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة وغيرمخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام مانشآء إلى أجل مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ـ وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور» الحجّ: ٥ـ٧)

وقال: «إنّ الله عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إنّ الله عليم خبير» لقمان: ٣٤)

وقال: «وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً» الإسراء: ٨٥)

وقوله عزّوجلّ: «ويوم يناديهم أين شركاءي قالوا آذنّاك مامنّا من شهيد» واذكر أيّها الرّسول لمشركي العرب ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف: يوم ينادي الله جلّ

وعلا المشركين اللجوج، والمعاندين العنود على رؤوس الأشهاد حين تقطّعت الأسباب وحارت دونه الألباب تهكّماً بهم، وتقريعاً لهم واستهزآءً بأمرهم: أين شركآئي الّذين كنتم تزعمون في الحيوة الدّنيا أنّها آلهة تعبدونها، وتقولون: إنّهم شركآء لله سبحانه؟

قال المشركون مجيبين، منكرين لشركهم بالله: أعلمناك وقلنالك قبل هذا إعلاناً وإعلاماً: أنه ليس أحد منّا أن يشهد لأحد من هؤلآء الآلهة بالشّركة لك في الالوهيّة.

وذلك أنّ المشركين لمّا عاينوا السّاعة وأهوالها، وقد غابت عنهم آلهتهم، فلا يرجون منهم نفعاً ولا يفيدونهم خيراً وأيقنوا حينئذ أن لا مهرب لهم من العذاب، فعندئذ يتبرّؤن من آلهتهم الموهومة أن تكون شركآء لله سبحانه، وتتبرّأ منهم آلهتهم أيضاً.

قال الله تعالى: «ويوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول للّذين أشركوا أين شركآؤكم الّذين كنتم تزعمون ثمّ لم تكن فتنتهم إلّا أن قالوا والله ربنا ما كنّا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ـ بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنّهم لكاذبون» الأنعام: ٢٢ـ٢٨) وقال: «إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النّار يسجرون ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين» غافر: ٧١ـ٧٤)

وقال: «ويوم يقول نادوا شركآءي الّذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ورأى المجرمون النّار فظنّوا أنّهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف: ٥٢ـ٥٣)

وقال: «ويوم يناديهم فيقول أين شركآءى الّذين كنتم تزعمون قال الّذين حقّ عليهم القول ربّنا هؤلآء الّذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرّأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون وقيل ادعوا شركآءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنّهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنبآء يومئذ فهم لا يتسآءلون ـ ويوم يناديهم فيقول أين شركآءي الّذين كنتم تزعمون ونزعنا من كلّ امّة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أنّ الحقّ لله وضلّ عنهم ما كانوا يفترون»

القصص: ٦٢-٦٦-٧٥)

وقال: «ومن النّاس من يتّخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحبّ الله والّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله ولو يرى الّذين ظلموا إذيرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب إذ تبرّأ الّذين اتبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الّذين اتبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار» البقرة: ١٦٥-١٦٧)

٤٨ - (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا ما لهم من محيص)

وغاب عن هؤلآء المشركين يوم القيامة آلهتهم الّتي كانوا يعبدونها من قبل في الحياة الدّنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم ولا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الّذي يحلّ بهم، وعلموا وأيقنوا حينئذ أن ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من سخط الله تعالى، ولا مغيث يغيثون به من غضب الله، ولا محيد ولا مخلص ولا مفرّ من عقاب الله القهّار.

قال الله تعالى: «ومانرى معكم شفعآؤكم الّذين زعمتم أنّهم فيكم شركآؤا لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون» الأنعام: ٩٤)

وقال: «فلولا نصرهم الّذين اتّخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون» الأحقاف: ٢٨)

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر في كلام الله جلّ وعلا أنّ مواقف المشركين مختلفة لأنّهم في موقف ينكرون الشّرك بالله سبحانه، وفي موقف يعترفون به كما أنّهم في الإنكار والإعتراف مختلفون، فمنهم ينكرونه تماماً، ومنهم يعترفون به.

قال الله تعالى: «حتّى إذا جآئتهم رسلنا يتوفّونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين» الأعراف: ٣٧)

وقال: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا مشركين» غافر: ٨٤)

وقال: «إذا الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون في الحميم ثمّ في النّار يسجرون

ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين» غافر: ٧١-٧٤)

٤٩ - (لا يسئم الإنسان من دعآء الخير وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط)

لا يملّ الإنسان غير المؤمن حقّاً من الكافر والمنافق وضعيف الإيمان، لا يملّ من طلب كلّ ما يراه نافعاً لحياته، وسعادة في معيشته، ويرى الدّنيا ومتاعها كمالاً لنفسه، ولا يفتر من الرّغبة في جمع المال، وفي نيله بالجاه والقدرة والسّلطان وما إليها من متاع الدّنيا وشهواتها لحبّه بها وإغراقه في زخارفها وشهواتها... فهو مهما اوتى من الغنى والسّعة والمقام... فهو لا يقنع، فإذا نال بذلك إشتغل به وأعجب بنفسه، وأنساه ذلك عن كلّ حقّ وحقيقة، وإن أصابه بؤس وضيق في المال، أو ابتلى بمرض أنهك قواه واضمحلّ به جسمه، وإن مسّه شرّ يعجز عن دفعه، وإن أصابته محنة وبلآء، وشعر ببؤس، يئس من فضل الله، ويقطع رجآئه من رحمته، وذلّ وخضع، وتطامن واستكان، ويئس من الفرج، وظهر عليه سيما الذّلّ والإنكسار والخنوع والخضوع.

وهذا ينشأ من عدم الإيمان بالله جلّ وعلا حقاً، فانّه لا ييأس من رحمة الله إلّا القوم الكافرون والضّالّون، حيث إنّ اليأس والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد. فمن طبيعة الإنسان غير المؤمن حقّاً سوآء أكان كافراً أم مسلماً منافقاً أو ضعيف الإيمان تبدّل الأحوال وتغيّرها، فإن أحسّ بقدرة وخير وجاه وسلطان ومال و ولد... انتفخت أو داجه، وصعّر خدّيه وبطر وتعظّم ومشى الخيلاء، وإن أصابته محنة وبلآء... ذلّ واستكان، فغير المؤمن حقّاً شديد الحرص على الجمع، وشديد الجزع على الفقد، ففي حالة الإقبال لا يسأم من طلب كلّ ما يراه خيراً لنفسه من متاع وشهواتها... وفي حالة الإدبار ينقلب مأيوساً قانطاً بحيث يظهر آثار اليأس في كلامه و وجهه وأعضآئه... يصير في غاية اليأس والإنكسار.. فطبيعته دائر بين الحرص إلى المنافع... بحيث لا يقف على حدّ كلّ ما وجد، طلب الزّيادة وإذا قطعت قطع رجآئه، ويبدّل باليأس والقنوط غايتها.

قال الله تعالى: «وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور» الشّورى:٤٨) وقال: «ولئن أذقنا الإنسان منّا رحمة ثمّ نزعناها منه إنّه ليؤس كفور» هود:٩)

وقال: «وإذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون» الرّوم:٣٦)

وقال: «إنّه لا ييئس من روح الله إلّا القوم الكافرون» يوسف:٨٧)

وقال: «ومن يقنط من رحمة ربّه إلّا الضّالّون» الحجر:٥٦)

وقال: «والّذين كفروا بآيات الله ولقآئه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم» العنكبوت:٢٣)

وقال: «يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» إبراهيم:٢٧)

٥٠ ـ (ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ السّاعة قآئمة ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ)

واقسم بالله جلّ وعلا إنّا إن كشفنا عن هذا الإنسان غير المؤمن: كافراً كان أم منافقاً أو ضعيف الإيمان، إن كشفنا عنه ما أصابه من بلآءٍ وسقم في نفسه، أو شدّة وجهد في معيشته، أو محنة ونقمة في حياته، إن أذقناه خيراً وعافية وغنى ورخآءً، إن عاودناه النّعمة بعد يأسه وقنوطه، فاذقناه إيّاها من بعد ضرّآء مسّته، كلّها رحمة منّا عليه لا يستحقّها ولا يملكها ليقولنّ غروراً وجهلاً: هذا الخير العائد إليّ حقّ لازم لي، لأنّي كنت مستحقاً لذلك كله، وصل إليّ بفضلي وكمال نفسي وبعلمي ومنزلتي، وبخيرٍ عَلِمَ الله فيّ ومكانتي عنده، ولا فضل لأحد عليّ لأنّي أملك كلّ المؤهلات والكفاءات بهذا الغنى والخير، وليس لأحد أن يمنعني عمّا أفعل فيه، ولا يحاسبني عليه، وهذا لا يزول بعد عنّي، ويبقى عليّ وعلى عقبي.

وقد اغترّ هذا الإنسان الكفور بما ناله من النّعم بعد يأسه وقنوطه، فنسي ماكان عليه من قبل من مرض ومحنة، من بلآء ونقمة، ومن فقر وشدّة... فيشتغل بالنّعم عن المنعم، ولم يعلم أنّه تعالى إبتلاه بالمحنة والنعمة ليتبيّن شكره وصبره وغفل عن أنّ هذه النّعم كانت رحمة ربّه ليبلوه أيشكر أم يكفر، وقد كفر بدل الإيمان إذ قال: «وما أظن السّاعة قآئمة» كما يقول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إنكاراً منه للبعث، فلا رجعة ولا عقاب على شيء من الآثام الّتي يقترفها الإنسان في دنياه، ويجترمها مدى حياته الدّنيويّة. كما أنّ المادّيين الجهلة الّذين يؤمنون بالأسباب الماديّة في نظام الكون، دون الإيمان بمسبّبها في نواميس الوجود وهو الله جلّ وعلا.

قال الله تعالى: «وإذا أذقنا النّاس رحمة من بعد ضرّآء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا» يونس: ٢١)

وقال: «ولئن أذقناه نعمآء بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إنّه لفرح فخور إلّا الّذين صبروا وعملوا الصّالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير» هود: ١٠-١١)

وقال: «ثمّ إذا كشف الضّرّ عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتّعوا فسوف تعلمون» النّحل: ٥٤-٥٥)

وقال: «ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ماكان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله - ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون» الزّمر: ٨و٤٩)

وقوله تعالى: «ولئن رجعت إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنىٰ» وإن صحّ أنّ هناك حشراً ونشراً اقسم بالله إنّي إن رجعت إلى ربّي ورددت إليه حياً بعد مماتي وقيام السّاعة كما يقول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّ لي عند الله في الدّار الآخرة للحسنىٰ، وهي الجنّة ونعيمها الّتي سيعطينيها في الآخرة مثل ما أعطاني في الحياة الدّنيا من النّعم، قآئساً أمر الآخرة على أمر الدّنيا، فكانتي مضمونة عند الله لأنّ العظيم عظيم أينما كان ويكون.

وإذا لم يكن لهذا المغرور الكفور إلّا هذا الغطرسة لكفى بها جرماً وجريمة.

قال الله تعالى حكاية عن مثل هذا المغرور: «وما أظنّ السّاعة قائمة ولئن رددت إلى

ربّي لأجدنّ خيراً منها منقلباً» الكهف: ٣٦)

وقوله جلّ وعلا: «فلننبّئنّ الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ» فلنخبرنّ الّذين كفروا بما عملوا في كفرهم من مساوي الأقوال والأفعال والمقاصد... كلّها محصاة دقيقها وجليّها، وبمثلها وقدرها يكون العقاب، ولنذيقنّهم من عذاب شديد متراكم لوناً بعد لون في النّار، وهم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يحيون، ولا يمكنهم التفصّي عن هذا العذاب.

قال الله تعالى: «ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا إنّ الله عليم بذات الصّدور نمتّعهم قليلاً ثمّ نضطرّهم إلى عذاب غليظ» لقمان: ٢٣-٢٤)

وقال: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بما علموا أحصاه الله ونسوه والله على كلّ شيء شهيد» المجادلة: ٦)

وقال: «فذوقوا بما نسيتم لقآء يومكم هذا إنّا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون» السّجدة: ١٤)

٥١ - (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأ بجانبه وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض)

وإذا أنعمنا على الإنسان غير المؤمن حقاً من الكافر والمنافق وضعيف الإيمان، إذا كشفنا عنه ما به من ضرّ، وأنعمنا عليه بنعمنا الّتي لا تعدّ ولا تحصى: من مال وسعة، من غنى وقدرة، من جاه وعافية، من سلطان وعزّة، ومن أمن وصحّة... أبطرته: «إن الإنسان ليطغى أنّ رأه استغنىٰ» العلق: ٦-٧) واغترّ بما اوتي ونسي منعمه، وأعرض عمّا دعوناه إليه من الإيمان بالله تعالى وطاعته وشكره، وصدّعنه بوجهه، وبَعُدَ من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، واستكبر عن الإنقياد لأمرنا، وانحرف عنه وذهب بنفسه، وتباعد بكلّيته عن التّوجّه إلى منعمه الّذي هو أعطاه تلك النّعم، وعن ذكره ودعائه تماماً، تكبّراً وطغياناً، وتجبّراً وتعظّماً عن الإعتراف بنعم الله جلّ وعلا عليه وعن منعمه، وتولّى بركنه عن طاعة خالقه وتعظّم عليه من جهة، ويتجبّر ويتعظّم ويستحقر من هو دونه من المخلوق من جهة أخرى.

فالإنسان المتنعّم غير المؤمن قديطغى على خالقه المتعال، ويطغى على خلقه، كما لا يشكرعلى النّعم ولا يصبرعند فقدها.

ومن طبع الإنسان غير المؤمن أنّه إذا مسّه ضرّ وفقر ومرض وخوف وشدّة وسلب نعمة... أقبل على دوام الدّعآء وأخذ بالإبتهال، فهو إذاً ذودعآءٍ عريض، وتضرّع طويل، وخنوع كثير، لعلّ الله يكشف عنه تلك الغمّة، ويزيل عنه برحمته هاتيك الملمّة.

قال الله تعالى: «وإذا مسّ الإنسان الضّرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّكأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون ـ هو الّذي يسيّركم في البرّ والبحر حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيّبة وفرحوا بها جآئتها ريح عاصف وجآءهم الموج من كلّ مكان وظنّوا أنّهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدّين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشّاكرين فلمّا أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ» يونس: ١٢و٢٢-٢٣)

وقال: «وما بكم من نعمة فمن الله ثمّ إذا مسّكم الضّرّ فإليه تجأرون ثمّ إذا كشف الضّرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون ـ أفبنعمة الله يجحدون ـ يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها وأكثرهم الكافرون» النّحل: ٥٣ـ٥٤ و٧١و٨٣)

وقال: «إذا مسّه الشّرّ جزوعاً وإذا مسّه الخير منوعاً إلّا المصلّين الّذين هم على صلاتهم دآئمون ـ والّذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون والّذين هم بشهاداتهم قآئمون والّذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنّات مكرمون» المعارج: ٢٠ـ٣٥)

٥٢ ـ (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثمّ كفرتم به من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الملحدين في آيات الله من مشركي العرب ومن انسلك مسالكهم في الكفر والإلحاد، في الشّرك والإفساد، وفي العناد واللجاج: أخبروني ماذا حالكم ومآل أمركم إن كان هذا القرآن حقاً نازلاً من عند الله جلّ وعلا، وإنكم كلّما سمعتموه أعرضتم عنه من دون نظر وتدبّر، ولا تعقّل وتفكّر في

آياته... مع وضوح كونه منه بأدنى تأمّل فيه؟

ثمّ أنتم كفرتم به أنّه ليس من عندالله حتّى قلتم: «قلوبنا في أكنّة ـ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» فصّلت: ٥ و٢٦) «إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّمآءِ أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢)

إنّ الآية الكريمة في معنى قوله تعالى حكاية عن نوح وصالح وشعيب عليهم السّلام لأقوامهم: «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وآتاني رحمة من عنده فعمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ـ قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته ـ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلّا الإصلاح» هود: ٢٨ و٦٣ و٨٨)

وقال: «قل أرأيتم إن كان من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين وقال الّذين كفروا للّذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» الأحقاف: ١٠-١١)

وقال: «ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الّذين كفروا إن هذا إلّا سحر مبين ـ قل إنّما الآيات عندالله وما يشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون» الأنعام: ٧ و١٠٩)

وقال: «أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النّسآء: ٨٢)

وقوله تعالى: «من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد» من أضلّ عن الحقّ والهدى ممّن هو في خلاف بعيد عن الصّواب والرّشاد؟ من هو أشدّ ضلالاً وأبعد في السّخف والباطل ممّن يقف موقف المعارضة والمشاقّة بدون علم وبرهان؟ ألستم أيّها الملحدون حينئذ مخالفين للحقّ مكابرة وعناداً؟ ألستم في فراق للحقّ وبُعد عن الصّواب وبعيد عن الوفاق، ومعاداة بعيدة عن الموادة وعمّا يحكم به العقل؟ مَن أضلّ منكم؟ ويحقّ أقول: لا أجد ضالاً أضلّ منكم لأنكم في ضلال بعيد عن حقّ ليس فوقه حق! فما أضلكم؟

وما أكثرعنادكم؟ وما أشدّ لجاجكم ومشاقكم للحقّ واتباعكم للهوى؟ فماذا يفعل بكم ربّكم؟؟؟

قال الله تعالى: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٣-٤٤)

وقال: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهوآءهم ومن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين» القصص: ٥٠)

وقال: «ومَن أضلّ ممّن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون» الأحقاف: ٥)

٥٣ - (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد)

يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تحزن على ما يقول الملحدون في آياتنا من مشركي العرب ومن ينسلك مسالكهم في كلّ ظرف لأنّا سنريهم آياتنا في نظام الكون ونواميس الوجود كلّه أرضاً وسمآءً، وفي تركيب أجسام أنفسهم إذ جعلنا كلّ شيءٍ لما يصلح له من الشّمس والقمر والنّجوم والشّهب والسّحاب والأجرام السّماوية، ومن البحار والجبال والأشجار والأنهار والثمار والصحاري وما إليها من الأمور الأرضية، ومن الأعضآء والجوارح، من القوى الظّاهرة والباطنة، من آلات الغذاء ومخارج الأنفاس ومجاري الدّم، ومن موضع العقل والفكر وسبب الافهام وآلات الكلام وما إليها من الأسرار والحِكَم الّتي لا يعرفها الإنسان واحداً من الآلاف جدّاً.

قال الله تعالى: «قل إنّما الآيات عند الله وإنّما أنا نذير مبين» العنكبوت: ٥٠)

وقال: «ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون» غافر: ٨١)

وقال: «وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» الذّاريات: ٢٠-٢١)

وقوله تعالى: «حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» نفصّل لهم آياتنا تكويناً وتدويناً ونفسياً حتّى يظهر لهم أنّ الله جلّ وعلا هو الحقّ الّذي نزّل هذا القرآن الحقّ على الرّسول الحقّ

صلّى الله عليه وآله وسلّم لهداية النّاس إلى الحقّ والكمال الإنساني والسّعادة الّتي هي غاية خلقتهم في هذه الحياة الدّنيا، ويظهر عزّوجلّ هذا الحقّ للنّاس تمام الظّهور على جميع الأديان عند ظهور المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

قال الله تعالى: «كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تعقلون» البقرة: ٢٤٢)

وقال: «الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان ـ ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته» الشّورى: ١٧-٢٤)

وقال: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحقّ فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون ـ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية: ٦ و٢٩)

وقال: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وكفى بالله شهيداً» الفتح: ٢٨)

وقال: «وقل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها وماربّك بغافل عمّا تعملون» النّمل: ٩٣)

وقوله جلّ وعلا: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد» أولم يكف هؤلآء الملحدين والنّاس أجمعين شهادة ربّك دليلاً على أنّه جلّ وعلا هو الحقّ، وأنّ هذا القرآن هو الحقّ الّذي نزل من عنده على رسوله الحقّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّ المهديّ صاحب الزّمان هو الحقّ الّذي يظهر الله تعالى به دينه الحقّ على الأديان كلّه

قال الله تعالى: «شهدالله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمران: ١٨)

وقال: «لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً» النسآء: ١٦٩)

وقال: «فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣٢)

وقال: «ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الأنفال: ٧-٨)

٥٤ ـ (ألا إنّهم في مرية من لقآء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط)

ألا يا عقلاء العالَم في كلّ زمان ومكان! إنّ الملحدين في آيات الله جلّ وعلا من مشركي العرب، وكلّ من انسلك مسالكهم في الشّرك والإلحاد، في الكفر والضّلال، في البغي والعناد، في الظّلم والفساد، وفي الجرم والنّفاق... من الكفّار والمنافقين، ومن ضعفآء الإيمان والمجرمين... إنّهم في شكّ عظيم وارتياب شديد من لقاء ربّهم من البعث والحساب والجزآء بعد موتهم، وحضورهم في مواقف يوم القيامة، ولذا يجترؤن على الله جلّ وعلا بالكفر والطّغيان، وعلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمخالفة والعصيان، وعلى آياته بالتّكذيب والعدوان...

قال الله تعالى: «ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد» الشّورى: ١٨)

وقال: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بَعيد» إبراهيم: ٣)

وقال: «الّذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون» التّوبة: ٤٥)

وقال: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» الرّوم: ٧)

وقال: «إنّ الّذين لا يرجون لقآءنا ورضوا بالحياة الدّنيا واطمأنّوا بها والّذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون» يونس: ٧-٨)

وقوله تعالى: «ألا إنّه بكلّ شيء محيط» ألا يا أيّها العقلآء خاصّة، والملحدون في آيات الله جلّ وعلا عامّة! إنّ الله عزّوجلّ محيط بكلّ شيء ممّا سواه، إحاطة المحيط على المحاط به حقيقة، قد أحاط بكلّ شيء من العقائد والأفكار، من المقاصد والأحوال، ومن الأقوال والأعمال... عليم بجميع الأشيآء جملها وتفاصيلها، ظواهرها وبواطنها، مقتدر عليها لا يفوته شيء منها، يعلم ما تفرّق من أجزآء الأجسام، ويقدر على إعادتها إلى مكنتها، ثمّ بعثها وحسابها لتستوفي جزآئها على ما قدّمت من عقيدة ونيّة وعمل وقول...

فلا يعزب عنه شيء من السّمآء والأرض، ومنه كتاب الملحدين والمجرمين الّذي

لايغادر كبيرة ولا صغيرة إلّا أحصاها، فالله عزّوجلّ عالم بكلّ شيْءٍ، حفيظ لكلّ شيْءٍ، مقتدر على كلّ شيْءٍ، فيجازي كلاً على حسب ما يستحقّه، فلايخفى عليه خافية منهم، وهو جلّ وعلا مجازيهم على شركهم وإلحادهم، على كفرهم وضلالهم، على بغيهم وفسادهم، وعلى جرمهم ومريتهم في البعث والحساب لامحالة.

قال الله تعالى: «إنّه يبدئ ويعيد ـ بل الّذين كفروا في تكذيب والله من ورآئهم محيط» البروج: ١٣ـ٢٠)

وقال: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا» فصّلت: ٤٠)

وقال: «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» الحاقة: ١٨)

وقال: «يستخفون من النّاس ولا يستخفون من الله وهومعهم إذ يبيّتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ـ ولله ما في السّموات وما في الأرض وكان الله بكلّ شيْءٍ محيطاً» النّسآء: ١٠٨ـ١٢٦)

وقال: «سوآء منكم من أسرّ القول ومن جهربه ومن هو مستخفٍ باللّيل وسارب بالنّهار» الرّعد: ١٠)

وقال: «ربّنا إنّك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السّمآءِ» إبراهيم: ٣٨)

وقال: «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ـ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور» غافر: ١٦ و١٩)

وقال: «بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٨)

وقال: «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً» الكهف: ٤٩).

وقال: «لله ما في السّموات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٢٨٤)

﴿ جملة المعاني ﴾

٤٢١٩ ـ (حم)

رمز بين الله تعالى وبين من عنده علم الكتاب وهو رسول الله وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٢٢٠ ـ (تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم)

هذا القرآن منزّل على محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من عندالله الرّحمٰن الّذي وسعت رحمته كلّ شيءٍ، الرّحيم الّذي يختص برحمته المؤمنين الصّادقين.

٤٢٢١ ـ (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

هذا القرآن كتاب مدوّن إنزالياً في لوح قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعليه سيدوّن بعد تمام تنزيله مصحفياً بيد وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وهو من أهل بيت الوحي أدرى بما في البيت، ولا شأن لغير أهل بيت الوحي في تدوين القرآن الكريم الّذي لا يمسّه إلّا المطهّرون جدّاً. كتاب فصّلت آياته بعد إحكامها بلسان عربيّ لقوم يعلمون ذلك.

٤٢٢٢ ـ (بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)

حالكون هذا القرآن بشيراً بالسّعادة والكمال للّذين يتدبّرون آياته ويؤمنون ويعملون به، نذيراً بالشّقاء والإنحطاط للّذين أعرضوا عنه، فأعرض أكثر مشركي العرب ومَن إليهم، عن التفكّر في آياته، فكأنّهم لا يسمعونه أصلاً.

٤٢٢٣ ـ (وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون)

وقال الّذين لا يسمعون القرآن الكريم سماع تفكّر: إعلم يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ قلوبنا في أغطية متكاثفة ممّا تدعونا إليه من التّوحيد ورفض الطّواغيت... ولو سمعناه لما وصل إلى قلوبنا لأنّها في أغطية متكاثفة لا ينفذ فيها آياته، مع ما في آذاننا ثقل يجعلنا لا نسمع ماتتلوه علينا، مع ما في بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التّواصل والموالاة... فاعمل يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في إبطال أمرنا، ونحن نسعى في فضّ النّاس من حولك.

٤٢٢٤ ـ (قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين)

قل أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم للمشركين بالله سبحانه المعرضين عن آياته: إنّي بشر مثلكم يوحىٰ إليّ من ربّي: أنّما إلهكم إله واحد لا شريك له، فاستقيموا إليه بالإيمان وصالح الأعمال، واستغفروه فيما صدر عنكم من الشّرك والعصيان، فويل للّذين أصرّوا على شركهم وعصيانهم.

٤٢٢٥ ـ (الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون)

هؤلآء المشركون لا يؤتون زكاة أنفسهم بتطهيرها من أرجاس الشّرك بطيب التّوحيد، وهم بالآخرة وحسابها وجزآءها كافرون.

٤٢٢٦ ـ (إن الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون)

إنّ الّذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم و بكتابه وعملوا به، لهم أجر كثير دآئم غير مقطوع.

٤٢٢٧ ـ (قل أ إنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: كيف تستجيزون أن تكفروا بالله جلّ وعلا الّذي خلق الأرض في مقدار يومين؟ وكيف تجعلون لله سبحانه شركآء، ذلك الخالق هو ربّ العالمين.

٤٢٢٨ ـ (وجعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآء للسّائلين)

وجعل الله تعالى في الأرض جبالاً راسيات من فوق الأرض، وبارك في الأرض لأهلها وقدّر في الأرض أقوات أهلها، في تتمّة أربعة أيّام من حين ابتدآء الخلق إلى تقدير الأقوات لأهلها المحتاجين إليها.

٤٢٢٩ ـ (ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طآئعين)

ثمّ قصد إلى خلق السّمآء، وقد كانت دخاناً، فقال بعد ما فرغ من خلق السّمآء والأرض لهما: ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: نطيع أمرك يا الله طوعاً لا كرهاً.

٤٢٣٠ ـ (فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كلّ سمآء أمرها وزيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)

فجعل الله تعالى السّمآء سبع سموات في يومين آخرين، سوى الأربعة الّتي خلق فيها

الأرض في يومين، وقدّر أقوات أهلها في يومين، فوقع خلق السّموات والأرض وتقدير أقوات أهل الأرض كلّه في ستّة أيّام من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ودبّر تعالى أمر كلّ سمآء من السّموات السّبع بعد خلقها بما يقتضيه، وزيّنّا السّمآء الدّنيا بكواكب مضيئة حفظاً من كلّ شيطان مارد، يوم السّبت، فالمجموع سبعة أيّام، ذلك تقدير العزيز في ملكه لا يمتنع عليه شيء، العليم بمصالح عباده لا يخفى عليه شيء.

٤٢٣١ ـ (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

فإن أعرض المشركون عمّا تدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى، ورفض الطّواغيت... فقل لهم: إنّي خوّفتكم أن ينزل بكم عذاب شديد الوقع كأنّه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

٤٢٣٢ ـ (إذ جآءتهم الرّسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألّا تعبدوا إلّا الله قالوا لوشآء ربّنا لأنزل ملائكة فانّا بما ارسلتم به كافرون)

حين جآئت الرّسل عاد وثمود في القرى المجاورة لبلادكم أيّها المشركون، فدعوهم إلى التّوحيد ورفض الطّواغيت، وقالوا لقومهم: ألّا تعبدوا إلّا الله تعالى وحده لا شريك له، فأعرضوا عن دعوة رسلهم كما أعرضتم عن دعوة رسولكم، فقالوا: لوشآء ربّنا أن يرسل إلينا رسولاً لأنزل إلينا ملائكة من عنده رسلاً يدعوننا بما تدعوننا إليه، فانّا بما أرسلتم به كافرون لا نؤمن بكم.

٤٢٣٣ ـ (فأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحقّ وقالوا من أشدّ منّا قوة أولم يروا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة وكانوا بآياتنا يجحدون)

فأمّا عاد فاستكبروا وتعظّموا عن الإيمان بالله تعالى، وبغوا في الأرض، وسعوا فيها فساداً بغير الحقّ، وقالوا لنبيّهم هود عليه السّلام: من هو أشدّ منّا قوة حتّى يستطيع قهرنا؟ هذا عجيب منهم! أولم يعلموا أنّ الله الّذي خلقهم هو أشدّ منهم قوّة، وهم كانوا يعرفون

آياتنا التّكوينيّة والتّدوينيّة ولكنّهم ينكرونها.

٤٢٣٤ ـ (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون)

فأرسلنا على عاد ريحاً عاتية، شديدة البرد والصّوت في أيّام متوالية ذات نحوس ومشائم... لنذيقهم بها عذاب الخزي في الحياة الدّنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ إذ لا لأ لهم، وليس لهم يومئذ أحد أن يمنع منهم العذاب.

٤٢٣٥ ـ (وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون)

وأمّا ثمود فبعثنا إليهم رسولنا صالحاً عليه السّلام وبيّـنّا لهم طريق الحقّ والهدى، فاستحبّوا العمى على الهدى وآثروا الإنحطاط على الكمال بسوء إختيارهم، فأخذتهم صاعقة العذاب المهين بسبب ما كانوا يكسبون بسوء إختيارهم من الشّرك والطغيان.

٤٢٣٦ ـ (ونجّينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقون)

ونجّينا من تلك الصّاعقة والعذاب المهين نبيّنا صالحاً عليه السّلام والّذين آمنوا بالله تعالى وكانوا يتّقون الله جلّ وعلا من الشّرك والطّغيان.

٤٢٣٧ ـ (ويوم يحشر أعدآء الله إلى النّارفهم يوزعون)

واذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس حين يحشر أعدآء الله الّذين كفروا بالله تعالى وُقِفُوا على شفير نار جهنّم، فيحبس أوآئلهم حتّى يلحق بهم أواخرهم ليأخذ كلّ واحد منهم مكانه بين هذا القطيع المتدافع الّذي يركب بعضه بعضاً.

٤٢٣٨ ـ (حتّى إذا ما جآؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

حتّى إذا أتى هؤلآء الكافرون شفير جهنّم، لإلقآئهم في نارها، فهم حينئذ يقفون للشّهادة الأخيرة في موقف أخير، فشهد عليهم سمعهم بما سمعوا بها، وشهد عليهم أبصارهم بما أبصروا بها، وشهد عليهم جلودهم بما كانوا يعملون بها من الفواحش...

٤٢٣٩ ـ (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)

وقال أعدآء الله الكافرون عتاباً لجلودهم بعد أن شهدت عليهم بما عملوا بها: لم شهدتم علينا اليوم بما كنّا نعمل بكم في الحياة الدّنيا؟! قالت الجلود جواباً لأصحابها: أنطقنا الله اليوم بالحقّ، الّذي أنطق كلّ شيء، اليوم، وهو تعالى خلقكم أوّل مرّة، وإليه ترجعون.

٤٢٤٠ ـ (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون)

وما كنتم أيّها الكافرون تستخفون في الدّنيا عن النّاس خوف الفضيحة حين ترتكبون الفواحش والآثام... ما خطر ببالكم حينئذ أن يشهد عليكم سمعكم بما سمعتموه بها، ولا أبصاركم بما أبصرتموه بها، ولا جلودكم بما عملتموه بها يومئذ، ولكن كنتم تظنّون عند إرتكابكم المعاصي والآثام... أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون.

٤٢٤١ ـ (وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)

وذلكم معاشر الكفّار ظنّكم الّذي كنتم تظنّونه بربّكم، هذا الظّنّ هوّن عليكم أمر الفواحش والأجرام... فأصبحتم اليوم من المنحطين الّذين خسرت تجارتهم.

٤٢٤٢ ـ (فإن يصبروا فالنّار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

فإن يصبر الكافرون على عذاب جهنّم، فنارها مستقرّهم دآئماً، وإن يطلبوا الرّضى، ويعتذروا لينجوا من عذابها أو يخفف عنهم، فليسوا ممّن يرضى عنهم ولا تقبل معذرتهم ولا يخفّف عنهم العذاب وهم فيها خالدون.

٤٢٤٣ ـ (وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)

ولمّا أعرض المشركون عن دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إيّاهم إلى التّوحيد ورفض الطّواغيت... جعلنا لهم قرنآء من شياطين الجنّ والإنس الّذين يلازمونهم ليصدّوهم عن الحقّ والهدى ويردوهم إلى الباطل والضّلال، فزيّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدّنيا وشهواتها... وماخلفهم ممّا سيفعلون من المعاصي والأجرام... وجب عليهم كلمة العذاب كما حقّت على أمثالهم من قبلهم من الجنّ والإنس، إنّهم كانوا خاسرين في النّهاية.

٤٢٤٤ ـ (وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون)

وقال الكافرون بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن الّذي يقرأه عليكم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بل عارضوه باللغو من الكلام لعلّكم بذلك تغلبون محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٤٢٤٥ ـ (فلنذيقنّ الّذي كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون)

فلنذيقنّ الّذين كفروا بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه عذاباً شديداً لا يقدر أحد على وصفه، ولنجزينّهم يوم القيامة أسوأ الّذي كانوا يعملون به في الدّنيا.

٤٢٤٦ ـ (ذلك جزآء أعدآءِ الله النّارلهم فيها دار الخلد جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون)

ذلك العذاب الشّديد وأسوأ الجزآء، جزآء أعدآء الله، جزآؤهم يوم القيامة النّار الّتي

هي بنفسها دار خلد لهم، جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون وينكرونها.

٤٢٤٧ ـ (وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا الّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)

ولمّا دخل قادة الضّلالة وأتباعهم مأواهم نار جهنّم، قال التّابعون: ربّنا أرنا الشّيطانين من الجنّ والإنس اللّذين أضلاّنا عن الحقّ والهدى... أرناهما نجعلهما تحت أقدامنا في النّار انتقاماً منهما ليكونا من الأسفلين من حيث المذلّة وأشدّ عذاباً منّا.

٤٢٤٨ ـ (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

إنّ الّذين قالوا ربّنا الله وحده لا شريك له، ورفضوا الطّواغيت... ثمّ استقاموا على الإيمان وتصلّبوا في الدّين وثبتوا على الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين تتنزّل عليهم الملائكة بالإلهام في الحياة الدّنيا ألاّ تخافوا ممّا تنتظرون بوقوعه في مستقبل الزّمان من الظّلم والهضم، ولا تحزنوا ممّا فات عنكم في الزّمن الماضي من متاع الدّنيا، وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون بها على ألسنة الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٢٤٩ ـ (نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون)

تقول الملائكة على طريق الإلهام للمؤمنين الصّادقين، المستقيمين على منهج الحقّ والهدى، المتصلّبين في الولاية لأهل بيت النّبوّة: نحن قرنآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، ولكم في الجنّة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ، ولكم فيها ما تطلبون من أنواع النّعم...

٤٢٥٠ ـ (نزلاً من غفور رحيم)

كلّ ذلك تكريماً لكم من الله جلّ وعلا الّذي غفرلكم ورحمكم رحمة خاصّة.

٤٢٥١ ـ (ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين)

وليس أحد من النّاس أحسن قولاً ممّن دعا النّاس إلى الله تعالى وحده لا شريك له، وإلى رفض الطّواغيت، وعمل الدّاعي بنفسه عملاً صالحاً قبل أن يدعو النّاس إليه، وأعلن إيمانه وقال: إنّني من المسلمين.

٤٢٥٢ ـ (ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة ادفع بالّتي هي أحسن فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم)

ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة بذاتها: حيث إنّ الحسنة حسنة بواقعها كالتّوحيد والطّاعة، وإنّ السّيّئة سيّئة بنفسها كالشّرك والمعصية، إدفع أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم السّيّئة بالخصلة الّتي هي أحسن، فإذاً الّذي بينك وبينه عداوة، انقلبت عداوته لك إلى حبّ وولاءٍ كأنّه لك صديق شديد الولاء.

٤٢٥٣ ـ (وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم)

وما يلقّى هذه الخصلة الحميدة الّتي هي مقابلة الإسآئة بالإحسان إلّا الّذين صبروا على المكاره، ولا يلقى هذه الفضيلة العظمى بالصّبر إلّا من كان ذاحظّ عظيم وتوفيق من الله تعالى.

٤٢٥٤ ـ (وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم)

وإن تقع فيك وسوسة من الشّيطان، ووجدتها في نفسك فالتجأ إلى الله تعالى واعتصم بالله جلّ وعلا من خطوات الشّيطان، لأنّ الله عزّوجلّ هو السّميع لإستعاذتك به من شرّ الشّيطان، هو العليم بما القى الشّيطان في نفسك من خطواته.

٤٢٥٥ ـ (ومن آياته اللّيل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر واسجدوا لله الّذي خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون)

ومن آيات الله الآفاقيّة الواضحة الدّالّة على وحدانيّته: اللّيل والنّهار والشّمس والقمر، لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر لأنّهما مخلوقان كسآئر الخلائق الّتي لا تليق للعبادة، واسْجُدُوا أيّها النّاس لله تعالى الّذي هو خلق اللّيل والنّهار وأنشأ الشّمس والقمر، إن كنتم تعبدون الله وحده.

٤٢٥٦ ـ (فإن استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لا يسئمون)

فإن استكبر النّاس كلّهم أو طوآئف المشركين أجمعون عن السّجود لله تعالى وحده فدعهم وشأنهم يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ ربّك لا يعدم عابداً مخلصاً، فالّذين عند ربّك من الملائكة يسبّحون له ليلاً ونهاراً مهما طال الأمد وهم لا يملّون من كثرة التّسبيح وطول الزّمان.

٤٢٥٧ ـ (ومن آياته أنّك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها المآء اهتزّت وربت إنّ الّذي أحياها لمحي الموتىٰ إنّه على كلّ شيء قدير)

ومن دلائل الله جلّ وعلا على قدرته على إحيآء الأموات بعد موتها: أنّك ترى الأرض يابسة جدبة لانبات فيها، فإذا أنزلنا المآء على هذا الأرض الميتة إهتزّت وانتفخت وأخرجت أنواع الزّرع والثّمار، إنّ الّذي أحيى الأرض الميتة، هو يحي الموتى لأنّه تعالى على كلّ شيءٍ قدير.

٤٢٥٨ ـ (إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير)

إنّ الّذين يجادلون في آياتنا جحوداً وتكذيباً بها، لا يخفون هم علينا ولا عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم، ولا ما في ضمآئرهم، أفمن يلقى على وجهه في نار جهنّم خير أم من يأتي

آمناً من فزع يوم القيامة وأهواله وعذابه؟! إعملوا أيّها الملحدون ما شئتم إنّ الله جلّ وعلا بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء.

٤٢٥٩ - (إنّ الّذين كفروا بالّذكر لمّا جآءهم وإنّه لكتاب عزيز)

إنّ الّذين كفروا بهذا القرآن المجيد حين جآءهم، وإنّ هذا الذّكر لكتاب عزيز باعزاز الله تعالى إيّاه وحفظه من كلّ دسّ وتحريف.

٤٢٦٠ - (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)

لا يأتي هذا القرآن العزيز باطل من أيّ جهة من الجهات... لأنّه تنزيل من حكيم حميد ضمن بحفظه وصيانته من كلّ دسّ في كلّ ظرف.

٤٢٦١ - (ما يقال لك إلّا ما قد قيل للرّسل من قبلك إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)

ما يقال لك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبل الملحدين إلّا مثل ما قد قيل للرّسل من قبلك، من قِبَل قومهم الكافرين، فاصبر أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما يقولون فيك كما صبر اولوالعزم من الرّسل على ما قيل لهم، إنّ ربّك لذو مغفرة لمن تاب منهم، وذو عقاب أليم لمن مات على كفره.

٤٢٦٢ - (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أ أعجميّ وعربيّ قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد)

ولو جعلنا هذا الكتاب العزيز تقرأه على النّاس لساناً أعجمياً لقال الملحدون في آياتنا: هلاّ بيّنت أدلّته وميّزت آياته؟ وهلاّ نُزِّل بلسان العرب حتّى نعلمه؟ أكتاب أعجميّ نزل على رجل عربيّ، وعلى قوم لسانهم عربيّ؟ قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الملحدين: هذا القرآن الكريم للّذين آمنوا هدى يهتدون به إلى الحقّ

والرّشاد ولهم شفاء صدورهم وأوجاعهم... والّذين لا يؤمنون بهذا القرآن العزيز في آذانهم ثقل عن استماعه، وهذا الكتاب على الّذين لا يؤمنون به عمى قلوبهم، أولئك الملحدون بسبب كفرهم وإلحادهم، مثلهم كمثل الشّخص الّذي ينادى من بَعد فلا يسمع، وإن سمع فلا يفهم.

٤٢٦٣ ـ (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم وإنّهم لفي شك منه مريب)

واقسم بالله تعالى اننا آتينا موسى عليه السّلام التّوراة، فاختلف في كتابه قومه، ولولا كلمة سبقت من ربّك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقّ امّتك المكذّبة، وهي العدة بتأخير عذابهم لقضي بينهم بالعذاب والإستئصال كما فعل بمكذبي الأُمم السّالفة، وإنّ الملحدين لفي شكّ في أمر هذا القرآن المجيد...

٤٢٦٤ ـ (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد)

من عمل عملاً صالحاً خالصاً لوجه الله تعالى فلنفسه، ومن عصى الله وخالف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فوبال معصيته على نفسه، ولا يعاقب الله تعالى أحداً، ولا يثيب أحداً إلّا بعمله، إذ ليس ربّك أن يظلم أحداً من عباده في أمره ونهيه ولا في جزائه.

٤٢٦٥ ـ (إليه يردّ علم السّاعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وماتحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه ويوم يناديهم أين شركآءى قالوا آذنّاك مامنّا من شهيد)

إلى الله تعالى يردّ علم وقت وقوع السّاعة، وما تخرج ثمرة من الثّمرات أو عيتها وغلفها، وما تحمل انثى من الحوامل، ولا تضع حامل، حملها إلّا بعلم الله تعالى وباذنه، واذكر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للمشركين عامّة: يوم ينادي الله عزّوجلّ المشركين كافّة على رؤوس الأشهاد تقريعاً لهم: أين شركآئي الّذين كنتم تزعمون أنّها

آلهة تعبدونها؟قال المشركون مجيبين، منكرين لشركهم بالله: أعلمناك قبل هذا إعلاناً: أنّه ليس أحد منّا أن يشهد لأحد من تلك الآلهة بالشّركة لك في الالوهيّة.

٤٢٦٦ ـ (وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنّوا مالهم من محيص)

وغاب عن هؤلآء المشركين يوم القيامة آلهتهم الّتي كانوا يعبدونها من قبل في الحياة الدّنيا، وأيقنوا حينئذ أن لا ملجأ لهم أن يلجئوا إليه.

٤٢٦٧ ـ (لا يسأم الإنسان من دعآء الخير وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط)

لا يملّ الإنسان غير المؤمن حقّاً، من طلب كلّ مايراه نافعاً لحياته الدّنيويّة، وإن مسّه شرّ يعجز عن دفعه، فإذاً يئس يأساً شديداً من فضل الله، ويقطع رجآئه من رحمته.

٤٢٦٨ ـ (ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لي وما اظنّ السّاعة قائمة ولئن رجعت إلى ربّي إن لي عنده للحسنى فلننبّئن الّذين كفروا بما عملوا ولنذيقنّهم من عذاب غليظ)

واقسم بالله تعالى إنّا لو كشفنا من هذا الإنسان غير المؤمن ما أصابه من بلاء ومحنة، وأذقناه خيراً ونعمة منّا بعد يأسه وقنوطه ليقولنّ غروراً وجهلاً: هذا الخير العائد إليّ حقّ لازم لي، ويقول: ما أظنّ السّاعة قآئمة، ولو سلّمت أنّ هناك حشراً اقسم بالله إنّي إن رجعت إلى ربّي بعد مماتي إنّ لي عندالله في الآخرة لجنّة مع نعيمها. فلنخبرنّ الّذين كفروا بما عملوا في كفرهم، ولنذيقنّهم من عذاب شديد بأنواعه...

٤٢٦٩ ـ (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأبجانبه وإذا مسّه الشّرّ فذودعآءٍ عريض)

وإذا أنعمنا على الإنسان غير المؤمن بنعم كثيرة بعد أن كشفنا مابه من ضرّ، اغترّ بما اوتي ونسي منعمه وأعرض عمّا دعوناه إليه من الإيمان بالله تعالى وطاعته، وبَعُدَ عن إجابتنا، واستكبرعن الإنقياد لأمرنا، وإذا مسّه وسلب نعمة فهو إذاً ذودعآءٍ عريض.

٤٢٧٠ ـ (قل أرأيتم إن كان من عندالله ثمّ كفرتم به من أضلّ ممّن هو في شقاق بعيد)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الملحدين: أخبروني ماذا حالكم ومآل أمركم إن كان هذا القرآن حقّاً نازلاً من عندالله، وإنكم كلّما سمعتموه أعرضتم عنه من دون تفكر في آياته... ثمّ أنتم كفرتم به أنّه ليس من عندالله؟! من أضلّ عن الحقّ والهدى ممّن هو في خلاف بعيد عن الصّواب والرّشاد؟

٤٢٧١ ـ (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد)

يا أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تحزن على ما يقوله الملحدون في آياتنا لأنّا سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يظهر لهم أنّ الله تعالى هو الحقّ الّذي نزّل هذا القرآن الحقّ على رسوله الحقّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أولم يكفهم والنّاس أجمعين شهادة ربّك دليلاً على ذلك ؟

٤٢٧٢ ـ (ألا إنّهم في مرية من لقآء ربّهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط)

ألا يا أيّها العقلآء في كلّ ظرف! إنّ الملحدين في كلّ زمن ومكان في شكّ عظيم، وارتياب شديد في البعث والحساب والجزآء، ألا يا أيّها العقلآء خاصّة، والملحدون عامة! إنّ الله تعالى بكلّ شيء محيط إحاطة المحيط على المحاط به حقيقة.

﴿ بحث روائي ﴾

٣ ـ (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «والله سبحانه يقول: «مافرّطنا في الكتاب من شيء» وقال: «فيه تبيان كلّ شيء» وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظّلمات إلّا به»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء وعمّر فيكم نبيّه أزماناً حتّى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتاب دينه الّذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره، فألقى إليكم المعذرة واتّخذ عليكم الحجّة»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «كتاب ربّكم: مبيّنا حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورُخَصه وعزائمه وخاصّه وعامّه، وعبره وأمثاله ومُرسَله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسّراً جُمَلَه ومبيّناً غوامضه»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وعليكم بكتاب الله فانّه الحبل المتين والنّور

المبين، والشّفاء النّافع والرّيّ النّاقع والعصمة للمتمسّك والنّجاة للمتعلّق، لا يَعْوَجّ فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرّدّ و ولوج السّمع، من قال به صدق ومن عمل به سبق»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّ الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشّرّ فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشّرّ تقصدوا، الفرآئض الفرآئض أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة، إن الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «فالقرآن آمرٌ زاجرٌ، وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، أخذ عليه ميثاقهم، وارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره وأكمل به دينه، وقبض نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به، فعظّموا منه سبحانه ماعظّم من نفسه، فإنّه لم يُخْفِ عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلّا وجعل له علماً بادياً، وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيا بقي واحد، وسَخَطُهُ فيا بقي واحدٌ»

في إعلام الورى: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يكفّ عن عيب آلهة المشركين، ويقرأ عليهم القرآن فيقولون: هذا شعر محمّد، ويقول بعضهم: بل هو كهانة، ويقول بعضهم: بل هو خطب، وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً، وكان من حكّام العرب يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار فما اختاره من الشّعر كان مختاراً، وكان له بنون لا يبرحون من مكّة، وكان له عبيد عشرة عند كلّ عبد ألف دينار يتّجر بها، وملك القنطار في ذلك الزّمان، والقنطار: جلد ثور مملوّ ذهباً، وكان من المستهزئين برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان عمّ أبي جهل بن هشام، فقال له: يا باعبد شمس! ما هذا الّذي يقول محمّد أسحر أم كهانة أو خطب؟

فقال: دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو جالس في الحجر، فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك ، قال: ما هو بشعر، ولكنّه كلام الله الّذي به بعث أنبيآئه ورسله، فقال: اتل عليّ منه، فقر أعليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«بسم الله الرّحمٰن الرّحيم» فلمّا سمع الرّحمٰن إستهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمّى الرّحمٰن؟ قال: لا ولكنّي أدعو إلى الله وهو الرّحمٰن الرّحيم. ثمّ افتتح سورة «حم السّجدة» فلمّا بلغ إلى قوله: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» فلمّا سمعه إقشعرّ جلده، وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته، ثمّ قام ومضى إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش، فقالت قريش: يا باالحكم صبا أبوعبد شمس إلى دين محمّد، أما تراه لم يرجع إلينا، وقد قبل قوله ومضى إلى منزله، فاغتمّت قريش من ذلك غمّاً شديداً، وغدا عليه أبوجهل، فقال: يا عمّ نكست برؤوسنا وفضحتنا! قال: وما ذاك يا ابن أخ؟

قال: صبوت إلى دين محمّد قال: ماصبوت وإنّي على دين قومي وآبآئي ولكنّي سمعت كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود، قال أبوجهل: أشعر هو؟ قال: ماهو بشعر، قال: فخطب هي؟ قال: لا إنّ الخطب كلام متّصل، وهذا كلام منثور، ولا يشبه بعضه بعضاً، له طلاوة، قال، فكهانة هي؟ قال: لا قال: دعني أُفكّر فيه، فلمّا كان من الغد قالوا: يا باعبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فإنّه آخذ بقلوب النّاس فأنزل الله تعالى فيه: «ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ـ إلى قوله ـ عليها تسعة عشر»

قولهم: «صبأ»ـمهموزاًـ من صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، وغير مهموز: مال وحنّ إليه.

وفي الدّرّ المنثور: عن محمّد بن كعب القرظي قال: «حدثت أنّ عتبة بن ربيعة وكان أشدّ قريش حلماً قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فاكلّمه فاعرض عليه أموراً لعلّه أن يقبل منها بعضه ويكفّ عنّا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتّى جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فذكر الحديث فيما قال له عتبة، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك حتّى إذا فرغ عتبة قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، قال: أفعل، فقال رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلّم:

«بسم الله الرّحمٰن الرّحيم حم تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون»

فلّما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتّى انتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى السّجدة فسجد فيها ثمّ قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت قال: أنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جآءكم أبوالوليد بغير الوجه الّذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم، قالوا: ماورآءك يا أباالوليد؟ قال: والله إنّي قدسمعت قولاً ماسمعت بمثله قط، والله ماهو بالشّعر ولا بالسّحر ولا بالكهانة، والله ليكوننّ لقوله الّذي سمعت نبأ».

وفيه: «لمّا قرأ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على عتبة بن ربيعة «حم تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم» أتى أصحابه فقال: يا قوم أطيعوني في هذااليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرّجل كلاماً ماسمعت مثله قطّ وما دريت ما أرد عليه»

وفيه: «إنّ قريشاً اجتمعت برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ورسول الله جالس في المسجد فقال لهم عتبة بن ربيعة دعوني حتّى أقوم إلى محمّد فأُكلّمه، فانّي عسى أن أكون أرفق به منكم فقام عتبة حتّى جلس إليه، فقال: يا إبن أخي إنّك أوسطنا بيتاً، وأفضلنا مكاناً، وقد أدخلت في قومك مالم يدخل رجل على قومه قبلك، فإن كنت تطلب بهذا الحديث مالاً فذلك لك على قولك أن تجمع لك حتّى تكون أكثرنامالاً، وإن كنت تريد شرفاً، فنحن مشرفوك حتّى لا يكون أحد من قومك فوقك، ولا نقطع الأمور دونك، وإن كان هذا عن لمم يصيبك لاتقدرعلى النّزوع عنه بذلنا لك خزائننا في طلب الطّبّ لذلك منه، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك ؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم فقرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

حم السّجدة حتّى مرّ بالسّجدة، فسجد وعتبة ملق يده خلف ظهره حتّى فرغ من قرائتها وقام عتبة لا يدري مايراجعه به حتّى أتى نادى قومه، فلمّا رأه مقبلاً قالوا: لقد رجع إليكم بوجه ماقام به من عندكم، فجلس إليهم، فقال: يا معشر قريش قد كلّمته

بالّذي أمر تموني به، حتّى إذا فرغت كلّمني بكلام لا والله ماسمعت اذناي بمثله قطّ، فما دريت ما أقول له يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني فيما بعده: اتركوا الرّجل واعتزلوه فو الله ما هو بتارك ماهو عليه، وخلوا بينه وبين سآئر العرب، فإن يكن يظهر عليهم شرفه شرفكم وعزّه عزّكم وملكه ملككم، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم، قالوا: أصبأت إليه يا أبا الوليد».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «... ثمّ قالوا: ماوراءك أبا لوليد؟ قال: والله لقد سمعت كلاماً من محمّد ماسمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشّعر ولا بالكهانة، فأطيعوني في هذه وأنزلوهابي، خلّوا محمّداً وشأنه واعتزلوه، فو الله ليكوننّ لما سمعت من كلامه نبأ، فان أصابته العرب كُفيتموه بأيدي غيركم، وإن كان ملكاً أو نبيّاً كنتم أسعد النّاس به، لأنّ ملكه ملككم وشرفه شرفكم، فقالوا: هيهات! سحرك محمّد يا أبا الوليد. وقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم».

وقد روي: «أنّ أباجهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمّد بيننا وبينك حجاب إستهزاء منه».

وفي كنزالفوائد: بإسناده عن الحسن بن عليّ بن أحمد العلويّ قال: بلغني عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال لداود الرّقّيّ: «إنكم لن تناولوا السّمآء (أيّكم ينال السّمآء خ) فوالله إنّ أرواحنا وأرواح النّبيّين لتناول العرش كلّ ليلة جمعة، يا داود قرأ أبي محمّد بن عليّ عليهما السّلام: «حم السّجدة حتّى بلغ «فهم لا يسمعون» ثمّ قال: نزل جبرائيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ الإمام بعده عليّ عليه السّلام (بأنّ الأمر بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم لعليّ عليه السّلام خ) ثمّ قرأ عليه السّلام: «حم تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون ـ حتّى بلغ ـ فأعرض أكثرهم (عن ولاية عليّ عليه السّلام) فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون»

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ العزآئم أربع: إقرأ باسم ربّك الّذي خلق، والنّجم، والٓمٓ تنزيل السّجدة، وحمٓ السّجدة».

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن سفيان بن سعيد الثّوري عن الصّادق عليه السّلام قال - في حديث طويل -: «وأمّا حمٓ فمعناه الحميد المجيد».

وفي تفسير القمّي: قال: فقوله: «تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم» إبتدآء، وقوله: «فصّلت آياته» خبره أنزله الرّحمٰن الرّحيم وقوله: «فصّلت آياته» أي بيّن حلالها وحرامها وأحكامها، وسننها «بشيراً ونذيراً» أي يبشّر المؤمنين وينذر الظّالمين «فأعرض أكثرهم» يعني عن القرآن «فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنّة» أي في غشاوة «ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون» أي تدعونا إلى مالا نفهمه ولا نعقله، فقال الله: قل لهم: «إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ - إلى قوله - فاستقيموا إليه» أي أجيبوه وقوله: «و ويل للمشركين» وهم الّذين أقرّوا بالإسلام وأشركوا بالأعمال وهو قوله: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون» يعني بالأعمال إذا أُمروا بأمر عملوا خلاف ما قال الله فسمّاهم الله مشركين ثمّ قال: «الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون» يعني من لم يدفع الزّكاة فهو كافر».

وفيه: «بإسناده عن أبان بن تغلب قال: قال لي أبوعبدالله عليه السّلام: «يا أبان أترى أنّ الله عزّوجلّ طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به حيث يقول: «و ويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة كافرون»؟ قلت له: كيف ذلك جعلت فداك فسّره لي؟ فقال ويل للمشركين الّذين أشركوا بالإمام الأوّل وهم بالأئمة الآخرين كافرون، يا أبان إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان به فاذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرآئض».

وفي كنزالفوائد: بالإسناد عن إبن تغلب قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام وقد تلا هذه الآية: «و ويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون» يا أبان هل ترى الله سبحانه طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يعبدون معه إلهاً غيره؟ قال: قلت: فمن هم؟ قال: ويل للمشركين الّذين أشركوا بالإمام الأوّل ولم يردّوا إلى الآخر ما قال فيه الأوّل وهم به كافرون»

أقول: إنّ علماء الشّيعة وإن حكموا بطهارة من ليس له الولاية من العامّة، ولكنّ

الطبع السّليم يتنفّرعنهم، ولا يعامل معهم معاملة من له الولاية في الطّهارة.

أقول: فالمراد بالزّكاة ـ على هذا التأويل ـ: أدآء مايوجب طهارة النّفس من الشّرك والنّفاق، وتنمية الأعمال وقبولها من ولاية أهل بيت الوحي وطاعاتهم صلوات الله عليهم أجمعين، فمن أشرك بالإمام فقد أشرك برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن أشرك برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد أشرك بالله جلّ وعلا، وقوله تعالى: «لا يؤتون الزّكاة» أي أعمال الزّكاة وهي ولاية أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله لأنّ بها تزكّى زكاة الأعمال يوم القيامة.

وفي المناقب لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه: «الباقرعليه السّلام: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجرغير ممنون» عليّ بن أبيطاب عليه السّلام».

وفي النّور المشتعل من كتاب ما نزل لأبي نعيم الإصبهاني بإسناده عن إبن عبّاس قال: «ما في القرآن آية: «الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات» إلّا وعليّ أميرها وشريفها، وما من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم رجل إلّا وقد عاتبه الله، وما ذكر عليّاً عليه السّلام إلّا بخير»

وفي تفسير القمي: قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ ذكر الله المؤمنين فقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم أجر غير ممنون» أي بلا منٍّ من الله عليهم بما يأجرهم به، ثمّ خاطب نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: قل لهم يا محمّد: «أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين» ومعنى يومين أي وقتين إبتداء الخلق وانقضآئه «وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها» أي لايزول ويبقى «في أربعة أيّام سوآء للسائلين».

يعني في أربعة أوقات وهي الّتي يخرج الله فيها أقوات العالم من النّاس والبهآئم والطّير وحشرات الأرض، وما في البرّ والبحر من الخلق والثّمار والنّبات والشّجر، وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه وهو الرّبيع والصّيف والخريف والشّتآء، ففي الشّتآء يرسل الله الرّياح والأمطار والأندآء والطّلوع من السّمآء فيلقح الأرض والشّجر وهو وقت بارد ثمّ يجيئ من بعده الرّبيع وهو وقت معتدل حارّ وبارد، فيخرج الشّجر ثماره والأرض

نباتها، فيكون أخضر ضعيفاً، ثمّ يجيئ من بعده وقت الصّيف وهو حارّ فينضح الثّمار ويصلب الحبوب الّتي هي أقوات العالم وجميع الحيوان.

ثمّ يجيئ من بعده وقت الخريف فيطيبه ويبرده، ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النّبات من الأرض لأنّه لوكان الوقت كلّه ربيعاً لم تنضج الثّمار ولم تبلغ الحبوب ولوكان الوقت كلّه صيفاً لاحترق كلّ شيءٍ في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت، ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوّت به العالم، فجعل الله هذه الأقوات في هذه الأربعة الأوقات في الشّتآء والرّبيع والصّيف والخريف، وقام به العالم واستوى وبقي وسمّى الله هذه الأوقات أياماً سوآء للسّآئلين يعني المحتاجين لأنّ كلّ محتاج سآئل، وفي العالم من خلق الله من لا يسئل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سآئلون وإن لم يسئلوا».

قوله: «الأندآء» جمع الندى: مايسقط في اللّيل من بخار المآء يقال له: «شبنم» بالفارسي. وهذا التّاويل للآية من بطونها، ولا ينافي ظاهرها، وقوله: «أي لاتزول وتبقى» أي المراد بالتّقدير هو التّقدير الدّآئمي، ومن المحتمل أن يكون تفسير «بارك فيها» قوله: «وإن لم يسئلوا» أي هم سآئلون بلسان افتقارهم واضطرارهم الرّب جلّ وعلا بسمع فيضه وفضله ورحمانيته، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال.

وفي المجمع: «وروى عكرمة عن إبن عبّاس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: إنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثّلاثآء، وخلق الشّجر والمآء والعمران والخراب يوم الأربعآء فتلك أربعة أيّام، وخلق يوم الخميس السّمآء، وخلق يوم الجمعة الشّمس والقمر والنّجوم والملآئكة وآدم». رواه الشّيخ في التبيان.

وفي الدّرّ المنثور: عن إبن عبّاس: «أنّ اليهود أتت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فسئلته عن خلق السّموات والأرض فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ من منافع يوم الثّلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشّجر والمآء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال تعالى: «قل أإنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض

في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآء للسّائلين» وخلق يوم الخميس السّمآء وخلق يوم الجمعة النّجوم والشّمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أوّل ساعة من هذه الثّلاثة الآجال حين يموت من مات، وفي الثّانية ألقى الآفة على كلّ شيء من منتفع به، وفي الثّالثة خلق آدم وأسكنه الجنّة، وأمر إبليس بالسّجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثمّ ماذا يا محمّد؟ قال: ثمّ استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت، ثمّ قالوا: إستراح؟ فغضب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غضباً شديداً فنزل: «ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما في ستّة أيام وما مسّنا من لغوب فاصبر على ما يقولون».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في خطبته الأولى ـ: ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء وسكآئك الهوآء فأجرى فيها مآء مُتلاطماً تيّاره، متراكماً زخّاره، حمله على متن الرّيح العاصفة، والزّعزع القاصفة فأمرها بردّه وسلّطها على شدّه وقرنها إلى حدّه، الهوآء من تحتها فتيق، والمآء من فوقها دفيق، ثمّ أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها، وأدام مربّها وأعصف مجراها وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق المآء الزّخّار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السّقآء وعصفت به عصفها بالفضآء تردّ أوّله إلى آخره، وساجيه إلى مآئره حتّى عبّ عبابه، ورمى بالزّبد ركامه، فرفعه في هوآءٍ منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعليا هنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثمّ زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثّواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك دآئر، وسقف سآئر ورقيم مآئر».

في شرح الحديد: قال: «إنّ ظاهر الكلام يقتضي أنّ خلق السّموات بعد خلق الأرض، ألا تراه عليه السّلام كيف لم يتعرّض فيه لكيفيّة خلق الأرض أصلاً، وهذا قولٌ قد ذهب إليه جماعة من أهل الملّة، واستدلّوا عليه بقوله تعالى: «قل أئنكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين» ثمّ قال: «ثمّ

استوى إلى السّمآءِ وهي دخان».

وفي تفسير القمي: بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: خرج هشام بن عبدالملك حاجّاً ومعه الأبرش الكلبي فلقيا أباعبدالله عليه السّلام في المسجد الحرام، فقال هشام للأبرش: تعرف هذا؟ قال: لا قال: هذا الّذي تزعم الشّيعة أنّه نبيّ من كثرة علمه فقال الأبرش: لأسئلنّه عن مسئلة لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، فقال هشام: وددت أنك فعلت ذلك، فلقى الأبرش أباعبدالله عليه السّلام فقال: يا أبا عبدالله! أخبرني عن قول الله: «أولم ير الّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما» بما كان رتقهما وبما كان فتقهما؟

فقال أبوعبدالله عليه السّلام: يا أبرش هو كما وصف نفسه: «كان عرشه على المآء» والمآء على الهوآءِ والهوآء لا يحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والمآء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرّياح فضربت المآء حتّى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: «إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً».

ثمّ مكث الرّبّ تبارك وتعالى ماشآء، فلمّا أراد أن يخلق السّمآء أمر الرّياح فضربت البحور حتّى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزّبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السّمآء، وجعل فيها البروج والنّجوم ومنازل الشّمس والقمر وأجراها في الفلك، وكانت السّمآء خضرآء على لون المآءِ الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون المآء العذب، وكانتامر توقتين ليس لها أبواب، ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت، ولم تمطر السّمآء عليها، فتنبت ففتق السّمآء بالمطر، وفتق الأرض بالنّبات، وذلك قوله: «أولم ير الّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما»

فقال الأبرش: والله ما حدّثني بمثل هذا الحديث أحد قطّ، أعده عَلَيَّ، فأعاد عليه السّلام عليه وكان الأبرش ملحداً فقال: أنا أشهد أنك إبن نبيٍّ ثلاث

مرّات».

وفي روضة الكافي: بإسناده عن محمّد بن عطية عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: «وخلق الشّيء الّذي جميع الأشيآء منه وهو المآء الّذي خلق الأشيآء منه، فجعل نسب كلّ شيء إلى المآء، ولم يجعل للمآء نسباً يضاف إليه، وخلق الرّيح من المآء، ثمّ سلّط الرّيح على المآء فشققت الرّيح متن المآء حتّى ثار من المآء زبد على قدر ماشآء أن يثور، فخلق من ذلك الزّبد أرضاً بيضآء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثمّ طواها فوضعها فوق المآء ثمّ خلق الله النّار من المآء فشققت النّار متن المآء حتّى ثار من المآء دخان على قدر ماشآء الله أن يثور ، فخلق من ذلك الدّخان سمآء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله: «والسّمآء بناها» الحديث.

وفي تفسير نور الثّقلين: في قوله تعالى: «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ... يونس: ٣» عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «إنّ الله جلّ ذكره وتقدّست أسمآؤه خلق الأرض قبل السّمآء ثمّ استوى على العرش لتدبير الأمور»

وفي تفسير القمّي: قال: وقوله: «ثمّ استوى إلى السّمآء» أي دبّر وخلق. وقد سُئل أبوالحسن الرّضا عليه السّلام عمّن كلّم الله لا من الجنّ ولا من الإنس، فقال: السّموات والأرض في قوله: «ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن» أي فخلقهنّ.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «فمن شواهد خلقه خلق السّموات موطدات بلا عمد، قآئمات بلاسند، دعاهنّ فأجبن طآئعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطيات، ولولا إقرارهنّ له بالرّبوبيّة وإذ عانهنّ له بالطواعية لمّا جعلهنّ موضعاً لعرشه، ولا مسكناً لملائكته، ولا مصعداً للكلم الطّيّب والعمل الصّالح من خلقه ...»

وفي البحار: باب ١٠ـ الطينة والميثاق ـ قال في قوله تعالى: «ثمّ استوى إلى

السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»:
وهو سبحانه لم يخاطب السّمآء بكلام ولا السّمآء قالت قولاً مسموعاً، وإنّما أراد أنّه عمد إلى السّمآء فخلقها ولم يتعذّر عليه صنعتها، فكأنّه لمّا خلقها قال لها وللأرض: ائتيا طوعاً أو كرهاً فلمّا تعلّقت بقدرته كانتا كالقآئل: أتينا طآئعين.
وكمثل قوله تعالى: «يوم نقول لجهنّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» والله تعالى يجلّ عن خطاب النّار وهي ممّا لا يعقل ولا يتكلّم، وإنّما الخبر عن سعتها وأنّها لا تضيق بمن يحلّها من المعاقبين، وذلك كلّه على مذهب أهل اللّغة وعادتهم في المجاز ألا ترى إلى قول الشّاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة وأسبلنا كالدّر مالم يثقّب

والعينان لم تقولا قولاً مسموعاً، ولكنّه أراد منها البكآء، فكانت كما أراد من غير تعذّر عليه.

وفي الجامع لأحكام القرآن: «وفي حديث: إنّ موسى عليه السّلام قال: يا ربّ لو أنّ السّموات والأرض حين قلت لهما: «ائتيا طوعاً أو كرهاً» عصياك ما كنت صانعاً بهما؟ قال: كنت آمر دابّة من دوابيّ فتبتلعهما، قال: يا ربّ وأين تلك الدّابّة؟ قال: في مرج من مروجي، قال: يا ربّ وأين ذلك المرج؟ قال: علم من علمي.

وفي الإختصاص: عن جابر الجعفي ـ في حديث ـ قال: كنت ليلة من بعض الليالي عند أبي جعفر عليه السّلام قال عليه السّلام: يا جابر لم سمّي يوم الجمعة؟ قال: قلت: تخبرني جعلني الله فداك قال: أفلا أُخبرك بتأويله الأعظم؟ قال: قالت: بلى جعلني الله فداك فقال: يا جابر سمّى الله الجمعة جمعة لأنّ الله عزّ وجلّ جمع في ذلك اليوم الأوّلين والآخرين وجميع ماخلق الله من الجنّ والإنس، وكلّ شيء خلق ربّنا، والسّموات والأرضين والبحار والجنّة والنّار، وكلّ شيٍ خلق الله في الميثاق، فأخذ الميثاق منهم له بالرّبوبيّة ولمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّبوّة ولعليّ بالولاية، وفي ذلك اليوم قال الله للسّموات والأرض: «ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» فسمّى الله ذلك اليوم الجمعة لجمعه فيه الأوّلين والآخرين...» الحديث

وفي البحار- باب ١٢٨ ماورد في أصناف آيات القرآن ـ «وسئلوا عليّاً صلوات الله

عليه عن المتشابه في القضآءِ فقال: هو عشرة أو جه مختلفة المعنى، فمنه قضآء فراغ، وقضاء عهد ومنه قضآء إعلام، ومنه قضآء فعل، ومنه قضاء إيجاب، ومنه قضاء كتاب، ومنه قضآء إتمام ومنه قضآء حكم وفصل، ومنه قضاء خلق ومنه قضآء نزول الموت ـ إلى أن قال ـ: وأمّا قضآء الخلق فقوله سبحانه: «فقضاهنّ سبع سموات في يومين» أي خلقهنّ...» الحديث

وفي فقه الرّضا: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه ـ في حديث ـ: «والقضآء على أربعة أوجه في كتاب الله جلّ وعزّ النّاطق على لسان سفيره الصّادق صلّى الله عليه وآله وسلّم: منها قضآء الخلق وهو قوله تعالى: «فقضآهنّ سبع سموات في يومين» معناه: خلقهنّ...» الحديث.

وفي تفسير القمي: قال في قوله تعالى: «سبع سموات في يومين»: يعني في وقتين إبتداءً وانقضآءً «وأوحى في كلّ سمآءٍ أمرها» فهذا وحي تقدير وتدبير «وزيّنا السّمآء الدّنيا بمصابيح» يعنى بالنّجوم «وحفظاً» يعنى من الشّيطان أن يخرق السّمآء.

وفي كمال الدّين وتمام النّعمة: بإسناده عن فضيل الرّسّان قال: كتب محمّد بن إبراهيم إلى أبي عبدالله عليه السّلام: «أخبرنا مافضلكم أهل البيت؟ فكتب إليه أبوعبدالله عليه السّلام: إنّ الكواكب جعلت أماناً لأهل السّمآء فاذا ذهبت نجوم السّمآء جآء أهل السّمآء ما كانوا يوعدون» وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «جعل أهل بيتي أماناً لأُمّتي فاذا ذهب أهل بيتي جآء امّتي ما كانوا يوعدون».

وفيه: بإسناده عن هارون بن عنترة عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: النّجوم أمان لأهل السّمآء، فاذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّمآء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

وفي البحار: عن أصبغ بن نباتة قال: سُئِلَ أميرالمؤمنين عليه السّلام: «كم بين السّمآء والأرض؟ قال: مدّ البصر ودعوة المظلوم».

وهذا من لطآئف كلام الإمام عليّ عليه السّلام يشير به إلى ظاهر السّمآء وباطنها.

۱۳ ـ (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)

في تفسير القمي: وقوله: «فان أعرضوا» يا محمّد «فقل أنذرتكم صاعقة مثل عاعقة عاد وثمود» وهم قريش وهو معطوف على قوله: «فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون» وقوله: «إذ جآئتهم الرّسل من بين أيديهم» يعنى: نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى والنّبييّن «ومن خلفهم» أنت، فقالوا: «لوشاء ربّنا لأنزل ملائكة» لم يبعث بشراً مثلنا «فإنّا بما ارسلتم به كافرون».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام «فبئست الدّار لمن لم يتّهمها، ولم يكن فيها على وجل منها! فاعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ بأنكم تاركوها وظاعنون عنها، واتّعظوا فيها بالّذين قالوا: «من أشدّ منّا قوة» حُمِلُوا إلى قبورهم فلا يُدْعَوْن ركباناً، وأُنزِلُوا الأجداث فلا يُدْعَون ضيفاناً، وجُعِلَ لهم من الصّفيح أجنان، ومن التّراب أكفان، ومن الرّفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضَيْماً ولا يبالون مَندَبةً، إن جيد والم يفرحوا وإن قُحِطُوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، مُتدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون...» الخطبة.

وفي رواية: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «كلّ عزيز غير الله ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلّم، وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز».

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً» والصرصر: الرّيح الباردة «في أيّام نحسات» أي أيّام مياشيم.

وفي الغيبة النّعمانيّة: بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام قول الله عزّوجلّ: «عذاب الخزي في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» ما هو عذاب خزي الدّنيا؟ فقال: وأيّ خزيٍ أخزى يا أبا بصير من أن يكون الرّجل في بيته وحِجاله وعلى إخوانه وسط عِياله إذ شقّ أهله الجيوب عليه وصرخوا، فيقول النّاس: ما هذا؟ فيقال: مُسِخَ فلان السّاعة، فقلت: قبل قيام القآئم عليه السّلام أو بعده؟ قال: لا بل قبله»

وفي خطبة زينب كبرى بنت فاطمة الزّهرآء عليها أفضل صلوات الله: «... أفعجبتم أن قطرت السّمآء دماً؟ «ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون»

فلا يستخفّنكم المَهْلُ، فإنّه عزّوجلّ لا يحفره البدار ولا يُخافُ عليه فَوْتُ الثّار كلاّ إنّ ربّكم لنا ولهم لبالمرصاد ثمّ أنشأت تقول:

ماذا تقولون إذ قال النّبيّ لكم؟ ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم؟
بأهل بيتي وأولادي ومكرمتي منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدمِ
ما كان ذلك جزآئي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمِ
إنّي لأخشى عليكم أن يحلّ بكم مثل العذاب الّذي أودى على إرَمِ

وفي تفسيرالنّعماني: بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: الضّلالة على وجوه: فنه محمود ومنه مذموم ـ إلى أن قال ـ: «وأمّا الضّلال المنسوب إلى الله تعالى الّذي هو ضدّ الهدى، والهدى هو البيان، وهو معنى قوله سبحانه: «أولم يهدلهم» معناه: أولم أُبيّن لهم، مثل قوله سبحانه: «فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» أي بيّنّا لهم» الحديث

وفي الإحتجاج: ـ ممّا أجاب به أبوالحسن علي بن محمّد العسكري عليه السّلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سئلوه عن الجبر والتّفويض ـ حديث طويل ـ ثمّ قال عليه السّلام: «فان قالوا: ما الحجّة في قول الله تعالى: «يهدى من يشآء ويضلّ من يشآء» وما أشبه ذلك؟ قلنا: فعلى مجاز هذه الآية يقتضي معنيين: **أحدهما:** أنّه إخبار عن كونه تعالى قادراً على هداية من يشآء وضلالة من يشآء ولو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب، ولا عليهم عقاب على ما شرحناه **والمعنى الآخر:** أنّ الهداية منه: التّعريف كقوله تعالى: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» أي عرّفناهم. فلوجبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلّوا» الحديث.

وفي البحار: قال الصّادق عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى»: وهم يعرفون»

وفي محاسن البرقي: بإسناده عن أبان الأحمر قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قوله: «فأما ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» قال: نهاهم عن فعلهم فاستحبّوا العمى على الهدى وهم يعرفون»

وفي التّوحيد: عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «عرّفناهم فاستحبوا العمى على الهدى» وهم يعرفون».

وفي الإعتقادات: عنه عليه السّلام: «وجوب الطّاعات وتحريم المعاصي وهم يعرفون فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون»

وفي تفسير القمي: وقوله: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» ولم يقل استحبّ الله كما زعمت المجبرة أنّ الأفعال أحدثها الله لنا «فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون» يعنى مافعلوه.

وفي كتاب المحجّة فيما نزل في القآئم الحجّة عليه السّلام للمحدّث السّيّد هاشم البحراني رحمة الله تعالى عليه عن الفضل بن العبّاس عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قوله: «كذّبت ثمود بطغواها» قال: ثمود رهط من الشّيعة، فإنّ الله سبحانه يقول: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون» فهو السّيف إذا قام القآئم عليه السّلام.

أقول: رواه المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار عن كنزالفوائد للكراجكي، ثمّ قال: ولا استبعاد في هذه التأويلات لبطن الآيات، فإنّ القصص المذكورة في الآيات إنّما هي للتحذير عن وقوع مثلها من الشّرور أو للحثّ على جلب مثلها من الخيرات لتلك الامّة، والمراد بالرّهط من الشّيعة غير الإماميّة كالزّيديّة» إنتهى كلامه.

أقول: ولعمرى إنّ هذا التأويل في الّذين يسمّون أنفسهم شيعة، وهم أعدآء شيعة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ يمدّون أيديهم بالاخوّة إلى يدمن لطمت خدي الشّهيدة المظلومة الاولى بعد أيّام قليلة من وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأحرقت دارها وهي فاطمة الزّهرآء بضعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فتبّت أيديهم كما تبّت يد الجاني المحرق الغليظ الفذّ الفظّ...

وفي الصّافي: في قوله تعالى: «فهم يوزعون» القمّي أي يجيئون من كلّ ناحية. وعن الباقر عليه السّلام: «يحبس أوّلهم على آخرهم» يعني ليتلاحقوا.

٢٠ ـ (حتّى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون)

في تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «حتّى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون»: فانّها نزلت في قوم يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون: ماعملنا منها شيئاً، فتشهد عليهم الملائكة الّذين كتبوا عليها أعمالهم، فقال الصّادق عليه السّلام فيقولون لله: يا ربّ هؤلآء ملائكتك يشهدون لك ثمّ يحلفون بالله مافعلوه من ذلك شيئاً وهو قوله تعالى: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» وهم الّذين غصبوا أميرالمؤمنين عليه السّلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم، فيشهد السّمع بما سمع ممّا حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرّجلان بما سعتا فيما حرم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم الله ثمّ انطق الله ألسنتهم «وقالوا» هم «لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون» أي من الله «أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» والجلود: الفروج «ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين»

وفي تفسير العيّاشي: بإسناده عن أبي معمّر السّعداني (السّعديّ خ) عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال في جواب من ادّعى التّناقض بين آيات القرآن ـ حديث طويل ـ قال عليه السّلام: «ثمّ يجتمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون: «والله ربّنا ما كنّا مشركين» ولا يقرّون بما عملوا فيختم على أفواهم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود، فتنطق فتشهد بكلّ معصية بدت منهم، ثمّ يرفع الخاتم عن ألسنتهم، فيقولون لجلودهم وأيديهم وأرجلهم: «لِمَ شهدتم علينا» فتقول: «أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيء» الحديث.

وفي الكافي: بإسناده عن عمرو الزبيرى عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في حديث ـ قال: «ثمّ نظم مافرض على القلب واللسان والسّمع والبصر في آية فقال: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعنى الفروج والأفخاذ»

وفي صحيح مسلم: عن أنس بن مالك قال: «كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم فضحك ، فقال: هل تدرون ممّ أضحك ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا ربّ ألم تجرني من الظّلم قال: يقول: بلى قال: فيقول: فانّي لا أُجيز على نفسي إلّا شاهداً منّي قال: يقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيُختَم على فيه، فيقال لأركانه: أنطقي، فتنطق باعماله، قال: ثمّ يُخلّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسُحْقاً فعنكنّ كنت أنا ضل»

وفي رواية: «ثمّ يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكّر في نفسه من ذا الّذي يشهد عليه، فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعذِر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الّذي سخط الله عليه».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى: «أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم»: إنكم تُدعَون يوم القيامة مُفَدّمة أفواهكم بفِدام، فأوّل ما يبيّن عن الإنسان فخذه وكفّه.

وفي الفقيه: عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ في وصيّته لابن الحنفيّة ـ: قال الله تعالى: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود الفروج.

وفي المجمع: قال الصّادق عليه السّلام: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنّه يشرف على النّار ويرجوه رجآء كأنّه من أهل الجنّة إنّ الله تعالى يقول: «وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربكم» الآية ثمّ قال: «إنّ الله عند ظنّ عبده به إنّ خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا كان يوم القيامة عُرِّفَ الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقول: هؤلآء جيرانك يشهدون عليك ،فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك عشيرتك فيقول: كذبوا، فيقول: احلفوا، فيحلفون، ثمّ يصمتهم الله تعالى، وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النّار»

وفي نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها،

والعظام نخرة بعد قوتها، والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بعيب أنبآئها، لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها».

وفي الدرّ المنثور: عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو يحسن الظّنّ بالله فإنّ قوماً قد أرداهم سوء ظنّهم بالله عزّوجلّ قال الله عزّوجلّ: «وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين»

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو يحسن الظّنّ بالله فإنّ قوماً أساۤؤا الظّنّ بربهم فأهلكهم» فذلك قوله تعالى: «وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرادكم»

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن إبن بزيع عن الرّضا عليه السّلام قال: «أحسن بالله الظّنّ فانّ الله عزّوجلّ يقول: «أنا عند حسن ظنّ عبدي المؤمن بي إن خير فخير وإن شرّ فشرّ»

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن عبد الرّحمٰن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: حديث يرويه النّاس فيمن يؤمر به آخر النّاس إلى النّار، فقال: أما أنّه ليس كما يقولون قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ آخر عبد يؤمر به إلى النّار فاذا أمر به إلتفت، فيقول الجبّار ردّوه فيردونه، فيقول له: لِمَ إلتفتَ إليّ؟ فيقول: يا ربّ لم يكن ظنّي بك هذا، فيقول: وما كان ظنّك بي؟ فيقول: يا ربّ كان ظنّي بك أن تغفرلي خطيئتي وتسكنني جنتك قال: فيقول الجبّار: يا ملائكتي لا وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوّي وارتفاع مكاني ماظنّ بي عبدي ساعة من خير قطّ ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روعته بالنّار أجيزوا له كذبه فادخلوه الجنّة»

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليس من عبد يظنّ بالله خيراً إلّا كان عند ظنّه به، وذلك قوله: «وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين»

أقول: وفي الرّواية تأمل أو مؤوّل، فإنّ مجرّد حسن الظّنّ ولو كان في غير محلّه فضلاً عن كونه كذباً، وخاصّة الآخرة لو أوجب دخول الجنّة لما بقي للنّار أهل، حيث إنّ مجال

الكذب واسع لأهلها أجمعين.

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «فإن يصبروا فالنّار مثوى لهم» يعني يخسروا ويخسئوا «وإن يستعتبوا فماهم من المعتبين» أي لا يجابوا إلى ذلك، وقوله: «قيضنا لهم قرناء» يعني الشّياطين من الجنّ والإنس الأردياء «فزينوا لهم ما بين أيديهم» أي ما كانوا يفعلون «وما خلفهم» أي ما يقال لهم: إنّه يكون خلفكم كلّه باطل وكذب «وحقّ عليهم القول» والعذاب. وقوله: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون» أي تصيرونه سخرية ولغواً.

وفي البرهان: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه قال: قال الله عزّوجلّ: «فلنذيقنّ الّذين كفروا» بتركهم ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام «عذاباً شديداً» في الدّنيا وليجزينّهم أسوأ الّذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء أعداء الله النّار لهم فيها دارالخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون» والآيات الأئمّة عليهم السّلام.

وفيه: وقوله: «وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس» قال العالم عليه السّلام: «من الجنّ إبليس الّذي دبّر على قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في دار النّدوة وأضلّ النّاس بالمعاصي، وجاء بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى فلان ـ أبي بكر ـ فبايعه، ومن الإنس فلان ـ عمر بن الخطّاب ـ نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين»

أقول: وقد ثبت عن الفريقين ـ من دون مراء إلاّ من كان خبيث الولادة ـ: أنّ أوّل من بايع أبابكر يوم السّقيفة السخيفة هو الشّيطان، وقد كان باعث هذا البيعة الفلتة الشّؤمة وقادتها هو عمر بن الخطّاب، وقد كانت هذا البيعة منشأً لإنحطاط المسلمين حتّى اليوم.

وفي روضة الكافي: بإسناده عن حسين الجمّال عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى: «ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» قال: هما، ثمّ قال: وكان فلان شيطاناً».

وفيه: بإسناده عن سورة بن كلب عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تبارك

وتعالى: «أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» قال: يا سورة هما والله ثلاثاً والله يا سورة أنا لخزّان علم الله في السّمآء وأنا لخزّان علم الله في الأرض»

وفي كامل الزّيارات لابن قولويه رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن حماد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السّلام ـ في حديث يصف فيه حال أبي بكر وعمر يوم القيامة ـ: «فيؤتيان هووصاحبه، فيضربان بسياط من نارلو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضعت على جبال الدّنيا لذابت حتّى تصير رماداً، فيضربان بها، ثمّ يجثو أميرالمؤمنين عليه السّلام للخصومة بين يدي الله مع الرّابع، ويذهب الثلاثة في جبّ فيطبق عليهم لايراهم أحد ولا يرون أحداً، فيقول الّذين كانوا في ولايتهم: «ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين» قال الله عزّوجلّ: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون»».

وفي البحار: «وسُئِلَ الصّادق عليه السّلام عن قوله تعالى: «وقال الّذين كفروا ربّنا أرنا اللّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس» قال: هماهما»

وفي روضة الكافي: بإسناده عن سليمان الجعفريّ قال: «سمعت أباالحسن عليه السّلام يقول في قول الله تبارك وتعالى: «إذ يبيّتون مالا يرضى من القول» النّسآء: ١٠٨) قال: يعني فلاناً وفلاناً وأباعبيدة بن الجرّاح».

٣٠ ـ (إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون)

في تفسير القمّي: قال: ثمّ ذكر المؤمنين من شيعة أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» قال: على ولاية أميرالمؤمنين عليه السّلام قوله: «تتنزّل عليهم الملائكة» قال: عند الموت «ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا» قال: كنّا نحرسكم من الشّياطين «وفي الآخرة» أي عند الموت «ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون» يعني: في الجنّة.

وفيه: قال: حدّثني أبي عن إبن سنان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: ما يموت موال لنا مبغض لأعدآئنا إلّا ويحضره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهم السّلام فيسروه ويبشروه وإن كان غيرموال لنا يراهم بحيث يسوؤه والدّليل على ذلك قول أميرالمؤمنين عليه السّلام لحارث الهمداني.

يا حار همداني من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلاً

وفي بصآئر الدّرجات: بالإسناد عن اليسع قال: دخل حمران بن أعين على أبي جعفر عليه السّلام فقال له: «جعلت فداك يبلغنا أنّ الملائكة تنزل عليكم؟ قال: أي والله لتنزل علينا فتطأ فرشنا، أما تقرأ كتاب الله تبارك وتعالى: «إنّ الّذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا...» الآية.

وفي الخرائج والجرائح: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا» فقال: أما والله لربّما وسدناهم الوسآئد في منزلنا قيل له: الملائكة تظهر لكم؟ فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم، وضرب بيده إلى مسور في البيت، فقال: والله لطالماً إتكئت عليها الملائكة وربّما إلتقطنا من زغبها»

قوله: «مسور» متكأ من جلد، و«زغب»: صغارريش الطآئر.

وفي تفسير الإمام عليه السّلام: في قوله تعالى: «ويظنّون أنّهم ملاقوا ربهم» البقرة:٤٦) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يزال المؤمن خائفاً من سوءِ العاقبة ولا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أنّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علّته وعظيم ضيق صدره بما يخلّفه من أمواله، وبما هو عليه من اضطراب أحواله من معامليه وعياله، وقد بقيت في نفسه حسراتها واقتطع دون أمانيّه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: مالك تتجرّع غصصك؟ قال: لا ضطراب أحوالي، واقتطاعك لي دون آمالي، فيقول له ملك الموت: وهل يحزن عاقل من فقد درهم زايف واعتياض ألف ألف ضعف الدّنيا؟ فيقول: لا فيقول ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها الّتي يقصر دونها الأمانيّ.

فيقول ملك الموت: تلك منازلك ونعمك وأموالك وأهلك وعيالك، ومن كان من أهلك ههنا وذرّيّتك صالحاً، فهم هنالك معك أفترضى بدلاً ممّا ههنا فيقول: بلى والله ثمّ يقول: انظر فينظر فيرى محمّداً وعليّاً والطّيّبين من آلهما عليهم السّلام في أعلى علّيّين، فيقول: أو تراهم هؤلآء ساداتك وأئمتك هم هناك جُلاّسك وأُنّاسك؟ أفما ترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هنا، فيقول: بلى وربّي، فذلك ماقال الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا» فما أمامكم من الأهوال فقد كفيتموها ولا تحزنوا على ما تخلّفونه من الذّراري والعيال، فهذا الّذي شاهد تموه في الجنان بدلاً منهم «وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون» هؤلآء أوليآؤكم وهؤلآء ساداتكم أنّاسكم وجلاّسكم»

وفي تأويل الآيات الظّاهرة: بالإسناد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» يقول: إستكملوا طاعة الله ورسوله و ولاية آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ استقاموا عليها «تتنزّل عليهم الملائكة» يوم القيامة «أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون» فأولئك هم الّذين إذا فزعوا يوم القيامة حين يبعثون تتلقّا هم الملآئكة، ويقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا نحن الّذين كنّا معكم في الحياة الدّنيا لا نفارقكم حتّى تدخلوا الجنّة «وأبشروا بالجنّة كنتم توعدون»».

وفيه: بالإسناد عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا... قال: إستقاموا على ولاية الأئمّة واحداً بعد واحد»».

وفيه: بالإسناد عن أبي بصير قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» قال: هو والله ما أنتم عليه «وأن لو استقاموا على الطّريقة لأسقيناهم ماء غدقاً» قلت: متى تتنزّل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أوليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، فقال: عند الموت ويوم القيامة»».

وفي جوامع الجامع: وسئل محمّد بن الفضيل عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام عن الإستقامة فقال: هي والله ما أنتم عليه».

وفي المجمع: في قوله تعالى حكاية عن الملائكة: «نحن أولياۤؤكم في الحياة الدّنيا» أي نحرسكم في الدّنيا وعند الموت وفي الآخرة عن أبي جعفر عليه السّلام.

وفي البحار: ورواه أبونعيم الإصبهاني بالإسناد عن أسماۤء بنت عميس عن إبن عبّاس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنّ علياً عليه السّلام باب الهدى بعدي والدّاعي إلى ربّي، وهو صالح المؤمنين: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً» الآية.

وقال: أمير المؤمنين عليه السّلام على المنبر: «أنا أخو المصطفٰى خير البشر من هاشم سنامه الأكبر، ونبأ عظيم جرى به القدر وصالح المؤمنين مضت به الآيات والسّور» وإذا ثبت أنّه صالح المؤمنين فينبغي كونه أصلح من جميعهم بدلالة العرف والإستعمال كقولهم: «فلان عالم قومه وشجاع قبيلته»

وقوله عليه السّلام: «سنامه» يقال: فلان سنام قومه أي كبيرهم.

وفي تفسير العيّاشي: عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله تبارك وتعالى: «إصبروا» يقول: عن المعاصي «وصابروا» على الفرآئض، «واتّقوا الله» يقول: آمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ثمّ قال: وأي منكر أنكر من ظلم الأُمّة لنا وقتلهم إيّانا «ورابطوا» يقول في سبيل الله، ونحن السّبيل فيما بين الله وخلقه، ونحن الرّباط الأدنى، فمن جاهد عنّا فقد جاهد عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جاۤء به من عندالله «لعلّكم تفلحون» يقول: لعلّ الجنّة توجب لكم إن فعلتم ذلك، ونظيرها من قول الله: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين» ولو كانت هذه الآية في المؤذّنين كما فسّرها المفسّرون لفاز القدرية وأهل البدع معهم».

وفي البحار: قال المجلسي رحمة الله تعالى عليه ـ بعد نقل الرّواية ـ: «لعلّ المراد المؤذنين بالمرابطون الّذين يتوقّعون في الثّغور لإعلام المسلمين أحوال المشركين أي لوكان المراد بالرّباط هذا المعنى لزم فوز القدريّة من المخالفين وأهل البدع لأنّه يتأتّى منهم تلك

المرابطة فترتّب الفلاح عليه يقتضي فلاحهم أيضاً»

أقول: إنّ رواية المؤذّن من مختلقات عائشة بنت أبي بكر مدفوعة عليها.

في الدرّ المنثور: «عن عائشة: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله» قالت: المؤذّن وعمل صالحاً قالت: ركعتان فيما بين الأذان والإقامة».

وفيه: «عن عائشة قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلّا في المؤذنين».

ولقد اختلقت عائشة إبنة أبي بكر هذه المقالة إلفاتاً لأنظار النّاس عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين نزلت هذه الآية الكريمة فيهم كما أن هذا دأبها كأبيها بغضاً لأهل بيت النّبوّة عليهم السّلام، مع أنّ سورة «فصّلت» من السّور النّازلة في أوآئل البعثة على ما يستفاد من الرّوايات، ويومئذ لم تتولّد عائشة وما انعقدت نطفتها فضلاً عن كونها زوجة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّ الآية مكّية والأذان مدني، والكاذبة قليلة الحافظة.

ولو كان كلّ مؤذّن من أهل الجنّة لكان أتباع المثلّث الشّؤم الأُجرآء الّذين يسقطون الشّهادة الثّالثة من الأذان والإقامة الّتي كانت ثابتة فيهما في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما حقّقناه في هذا التّفسير، ويبدّلون «حيّ على خير العمل» بـ«الصّلاة خير من النّوم» تبعاً لبدعة الشّؤم الثّانيّ حتّى اليوم لكانوا كلّهم من أهل الجنّة ولكان خلق جهنّم ونيرانها لغواً العياذ بالله جلّ وعلا.

في تفسير العيّاشي: عن جابر قال: قلت لمحمّد بن عليّ عليه السّلام قول الله في كتابه: «الّذين آمنوا ثمّ كفروا...» النّسآء:١٣٧) قال: هما والثّالث والرّابع وعبدالرّحمٰن وطلحة وكانوا سبعة عشر رجلاً قال: لمّا وجّه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وعمّار بن ياسر رحمه الله إلى أهل مكّة، قالوا: بعث هذا الصّبيّ؟! ولو بعث غيره يا حذيفة إلى أهل مكّة، وفي مكّة صناديدها، وكانوا يسمّون عليّاً الصّبيّ لأنّه كان إسمه في كتاب الله الصّبيّ لقول الله: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً» وهو صبيّ «وقال إنّني من المسلمين».

فقالوا: والله الكفر بنا أولى ممّا نحن فيه، فساروا فقالوا لهما وخوّفوهما بأهل مكّة

فعرضوا لهما وغلّظوا عليهما الأمر، فقال عليّ صلوات الله عليه: «حسبنا الله ونعم الوكيل» ومضى، فلمّا دخلا مكّة أخبر الله نبيّه بقولهم لعليّ عليه السّلام وبقول عليّ عليه السّلام لهم، فأنزل الله بأسمآئهم في كتابه وذلك قول الله: «ألم تر إلى الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ـ إلى قوله ـ والله ذوفضل عظيم» آل عمران: ۱۷۳ـ۱۷۴)

وإنّما نزلت ألم تر إلى فلان وفلان لقوا عليّاً وعمّاراً فقالا: إنّ أباسفيان وعبدالله بن عامرو أهل مكّة قدجمعوا لكم فاخشوهم، فقالوا: حسبناالله ونعم الوكيل. وهما اللّذان قال الله: «إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا» إلى آخر الآية فهذا أوّل كفرهم، والكفر الثّاني قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يطلع عليكم من هذا الشّعب رجل فيطلع عليكم بوجهه، فمثله عند الله كمثل عيسى» لم يبق منهم أحد إلّا تمنّى أن يكون بعض أهله، فاذاً بعليّ عليه السّلام قد خرج وطلع بوجهه، وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: هوهذا، فخرجوا غضاباً وقالوا: ما بقي إلّا أن يجعله نبيّاً، والله الرّجوع إلى آلهتنا خير ممّا نسمع منه في إبن عمّه، وليصدّنا عليّ إن دام هذا فأنزل الله: «ولمّا ضرب بن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون» إلى آخر الآية فهذا الكفر الثّاني وزاد الكفر بالكفر حين قال الله: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هم خير البرية» فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ أصبحت وأمسيت خير البريّة.

فقال له النّاس: هو خير من آدم ونوح ومن إبراهيم ومن الأنبيآء، فأنزل الله: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ـ إلى ـ سميع عليم» قالوا: فهو خير منك يا محمّد؟ قال: قال الله: «قل إنّي رسول الله إليكم جميعاً» ولكنّه خير منكم ذرّيّته خير من ذرّيّتكم، ومن اتّبعه خير ممّن اتبعكم، فقاموا غضاباً، وقالوا زيادة: الرّجوع إلى الكفر أهون علينا ممّا يقول في إبن عمّه، وذلك قول الله: «ثمّ ازدادوا كفراً». **وفي تأويل الآيات الظّاهرة:** بإسناده عن محمّد بن فضيل عن العبد الصّالح عليه السّلام قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة» فقال: نحن الحسنة وبنو اميّة السّيّئة». **وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:** «وقال عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه:

الحسنة حبّ آل الرّسول والسّيّئة بغضهم»

وفي اصول الكافي: ـ باب الصّبر حديث ٣ـ بإسناده عن حفص بن غياث قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «يا حفص إنّ من صبر صبر قليلاً وإنّ من جزع جزع قليلاً، ثمّ قال: عليك بالصّبر في جميع أُمورك ، فإنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمره بالصّبر والرّفق، فقال: «واصبر على مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذّبين أولي النّعمة» وقال تبارك وتعالى: «إدفع بالّتي هي أحسن [السّيّئة] فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم» فصبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى نالوه بالعظآئم ورموه بها» الحديث.

قوله عليه السّلام: «صبر قليلاً» أي صبر صبراً قليلاً أو زماناً قليلاً وهو زمان العمر أوزمان المصائب والبلايا، و«في امورك » فإنّ كلّ مايصدر عنه من الفعل والتّرك والعقد، وكلّ مايرد عليه من المصآئب والنّوآئب من قبله تعالى أو من قبل خلقه، يحتاج إلى الصّبر، إذ لا يمكنه تحمّل ذلك بدون جهاده مع النّفس والشّيطان، وحبس النّفس عليه.

وقوله عليه السّلام: «السّيّئة» بعد «أحسن» زادها الإمام عليه السّلام تفسيراً و«حتّى نالوه بالعظآئم ورموه بها» أي نسبوه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الكذب والجنون والسّحر والكهانة وغير ذلك وافتروا عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن عبدالله ابن زهير قال: وفد العلا بن الحضرميّ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله إنّ لي أهل بيت أُحسن إليهم فيسيؤن وأصلهم فيقطعون؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إدفع بالّتي هي أحسن فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقاها إلّا ذوحظّ عظيم»

فقال العلا بن الحضرميّ: إنّي قلت شعراً هو أحسن من هذا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: وما قلت؟ فأنشده:

وحيّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم تحيّتك العظمى فقد يرفع النّغل
فإن أظهروا خيراً فجاز بمثله وإنّ خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإنّ الّذي يؤذيك منك سماعه وإنّ الّذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ من الشّعر لحكماً، وإنّ من البيان لسحراً، وإنّ شعرك لحسن، وإنّ كتاب الله أحسن»

وقوله: «حيّ» من التّحيّة وهي السّلام وإطابة الكلام، **وقوله:** «تسب» من السّبي.

في الخصال: ـ الأربعمأة ـ قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «صافح عدوّك وإن كره فانّه ممّا أمر الله عزّوجلّ به عباده يقول: «إدفع بالّتي هي أحسن فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم» وقال عليه السّلام: ما تكافئ عدوّك بشيءٍ أشدّ عليه أن تطيع الله فيه وحسبك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصي الله عزّوجلّ»

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي: روى «أنّ رجلاً شتم قنبراً مولى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فناداه عليّ عليه السّلام يا قنبردع شاتمك، وألهُ عند تُرضِ الرّحمٰن وتسخط الشّيطان وتعاقب شاتمك، فما عوقب الأحمق بمثل السّكوت عنه»

وفي المجمع: وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام: «وما يلقّاها إلّا كلّ ذي حظّ عظيم»

وفي الدّرّ المنثور: عن سليمان بن صرد قال: استبّ رجلان عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاشتدّ غضب أحدهما فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب: «أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم» فقال الرّجل: أمجنون تراني؟ فتلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإماينزغنك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم».

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله...» أي إن عرض بقلبك نزغ من الشّيطان «فاستعذ بالله» والمخاطبة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمعنى للنّاس.

وفي المجمع: قال: عن أئمّتنا عليهم السّلام: أنّ السّجود في سورة «فصّلت» عند قوله: «إن كنتم إيّاه تعبدون».

وفي الخصال: بإسناده عن داود السّرحان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ العزآئم أربع: إقرأ باسم ربّك الّذي خلق، والنّجم وتنزيل السّجدة وحم السّجدة».

وفي الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «اللّهمّ وحملة عرشك الّذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ...» الرّوضة الثّالثة.

أقول: وقد نفى السّأم والملال عن الملائكة لأنّه عبارة عن إعراض النّفس عن الشّيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعيّة عن أفعالها، وذلك غير متصوّر في حقّ الملائكة السّماويّة.

وفيها: قال الإمام عليه السّلام: «وهب لنا يا إلهي من لدنك فرجاً بالقدرة الّتي بها تحيي أموات العباد وبها تنشر ميت البلاد...»

٤٠ ـ (إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لايخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير)

وفي البحار: في باب من فاز بلقآء الحجّة في الغيبة الكبرى ـ الحكاية الرّابعة والعشرون: «العالم الجليل الشّيخ يوسف البحرينيّ في اللّؤلؤة في ترجمة العالم الشّيخ إبراهيم القطيفي المعاصر للمحقّق الثّاني عن بعض أهل البحرين: أنّ هذا الشّيخ دخل عليه الإمام الحجّة عليه السّلام في صورة رجل يعرفه الشّيخ، فسئله أيّ الآيات من القرآن في المواعظ أعظم؟ فقال الشّيخ: «إنّ الّذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير» فقال: صدقت يا شيخ، ثمّ خرج منه، فسئل أهل البيت: خرج فلان؟ فقالوا: ما رأينا أحداً داخلاً ولا خارجاً»

وفي شواهد التّنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ـ من أعلام العامة في القرن الخامس

الهجريّ ـ بإسناده عن عبدالله بن عبّاس في قول الله عزّوجلّ: «أفمن يلقى في النّار خير» يعني الوليد بن المغيرة «أمّن يأتي آمناً يوم القيامة» من عذاب الله ومن غضب الله؟ وهو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام «اعملوا ما شئتم» وعيدهم».

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: قلت له: «لِمَ خلق الله عزّوجلّ الخلق على أنواع شتّى ولم يخلقه نوعاً واحداً؟ قال: لئلاّ يقع في الأوهام أنّه عاجز، فلاتقع صورة في وَهْم ملحد إلاّ وقد خلق الله عزّوجلّ عليها خلقاً، ولا يقول قآئل: هل يقدر الله تعالى على أن يخلق على صورة كذا وكذا إلاّ وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى فيعلم بالنّظر إلى أنواع خلقه أنّه على كلّ شي ء قدير».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «وإنّما هي نفسي أروضها بالتّقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق».

قوله عليه السّلام: «أروضها بالتّقوى» من الرّياضة. قال إبن أبي الحديد: يقول عليّ عليه السّلام: «تقللي واقتصاري من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسي لأنّ ذلك إنّما أعمله خوفاً من الله أن أنغمس في الدّنيا، فالرّياضة بذلك هي رياضة في الحقيقة بالتّقوى لا بنفس التّقلّل والتّقشّف» والمزلق: موضع الزّلق لا يثبت عليه قدم.

وفي الكافي: بإسناده عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام لبعض جلسآئه: «ألا أُخبرك بشيءٍ يقرب من الله، ويقرب من الجنّة ويباعد من النّار؟ فقال: بلى، فقال: عليك بالسّخآءِ فإنّ الله خلق خلقاً برحمته لرحمته، فجعلهم للمعروف أهلاً وللخير موضعاً، وللنّاس وجهاً إليهم لكي يحيونهم كما يحي المطر الأرض المجدبة أولئك هم المؤمنون الآمنون يوم القيامة».

وفي تفسير القمّي: قال: وقوله: «إنّ الّذين كفروا بالذّكر» يعني بالقرآن، ثمّ قال: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أعجميّ وعربيّ» قال: لوكان هذا القرآن أعجمياً لقالوا: لولا انزل بالعربيّة، فقال الله: «قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء»

أي تبيان «والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقر» أي صمم. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «إنّ الّذين كفروا بالذّكر لمّا جآءهم» يعني القرآن الّذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه» قال: لا يأتيه الباطل من قبل التّوراة، ولا من قبل الإنجيل والزّبور، وأمّا من خلفه لا يأتيه من بعده كتاب يبطله».

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن محمّد بن موسى الرّازي عن أبيه قال: ذكر الرّضا عليه السّلام يوماً القرآن فعظّم الحجّة فيه، والآية المعجزة في نظمه، فقال: هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النّار، لا يخلق من الأزمنة ولا يغثّ على الألسنة لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان، وحجّة على كلّ إنسان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»

أقول: إنّ في الرّواية ردّاً صريحاً على كثير من العلمآء المعاصرين الّذين هم أجنبيّون عن القرآن الكريم حتّى في بُعد الفقه والأحكام الفرعيّة جدّاً إذ توهّموا أنّ القرآن الكريم لمن خوطب به، ولو كان كذلك لماذا يجعلون القرآن الكريم من أوّل الأدلّة الإجتهاديّة؟!

وفي تفسير العيّاشي: عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فقلت: يا أمير المؤمنين إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الّذين نسدّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشيآءً مختلفة مغموسة، لا ندري ما هي؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: أتاني جبرئيل، فقال: يا محمّد سيكون في امتّك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبّار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله وهو حبل الله المتين، وهو الذّكر الحكيم وهو الصّراط المستقيم، لا تزيّفه الأهوآء ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق عن الرّدّ، ولا تنقضي عجآئبه ولا يشبع منه العلمآء هو الّذي لم تكنه الجنّ إذ سمعه أن قالوا: «إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد» من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

وفيه: بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السّلام عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: «خطبنا أميرالمؤمنين عليه السّلام خطبة فقال فيها: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بكتاب فصّله وأحكمه وأعزّه وحفظه بعلمه وأحكمه بنوره وأيّده بسلطانه، وكلأه من لم‌يتنزّه هوى أو يميل به شهوة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولا يخلقه طول الرّدّ، ولا يفنى عجآئبه، من قال به صدق، ومن عمل اجر، ومن خاصم به فلج، ومن قاتل به نصر، ومن قام به هدى إلى صراط مستقيم.

فيه نبأ من كان قبلكم، والحكم فيما بينكم، وخبر معادكم، أنزله بعلمه، وأشهد الملائكة بتصديقه قال الله جلّ وجهه «لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً» فجعله الله نوراً يهدي للّتي هي أقوم وقال: «فاذا قرأناه فاتّبع قرآنه» وقال: «اتّبعوا ما انزل إليكم من ربّكم ولا تتبّعوا من دونه أوليآء قليلاً ما تذكّرون» وقال: «فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنّه بما تعملون بصير»

ففي اتّباع ما جآءكم من الله الفوز العظيم، وفي تركه الخطأ المبين، قال: «إمّا يأتينّكم منّي هدى فمن تبع هدى فلا يضلّ ولا يشقى» فجعل في اتّباعه كلّ خير يُرجى في الدّنيا والآخرة فالقرآن آمر وزاجر، حدّ فيه الحدود، وسنّ فيه السّنن، وضرب فيه الأمثال، وشرع فيه الدّين، إعذاراً أمر نفسه، وحجّة على خلقه، أخذ على ذلك ميثاقهم، وارتهن عليه أنفسهم ليبيّن لهم ما يأتون وما يتّقون ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة وإنّ الله سميع عليم».

وفيه: عن الحَسن بن عليّ عليهما السّلام قال: «قيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ امتك سيفتتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كتاب الله العزيز «الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله، ومن ولي هذا الأمر من جبّار فعمل بغيره قصمه الله وهو الذّكر الحيكم والنّور المبين والصّراط المستقيم، فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم

ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، وهو الّذي سمعته الجنّ فلم تناها أن قالوا: «إنّا سمعنا قرآناً عجبا يهدي إلى الرّشد فآمنّا به» لا يخلق على طول الرّدّ ولا ينقضي عبره ولا تفنى عجآئبه».

وفي التوحيد: بإسناده عن عليّ بن سالم عن أبيه قال: سئلت الصّادق عليه السّلام فقلت له: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقال: «هو كلام الله، وقول الله وكتاب الله و وحي الله، وتنزيله وهو الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» **وفي المجمع:** عنهما عليهما السّلام: «ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في اخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل إخباره كلّها موافقة لمخبراتها «تنزيل من حكيم حميد» أي حكيم حميد يحمده كلّ مخلوق بما ظهر من نعمه. **وفي الدّرّ المنثور:** عن أبي ذر الغفارى رحمة الله تعالى عليه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل ممّا خرج منه» يعني القرآن.

وفي تفسير القمّي: وقوله: «لولا فصّلت آياته أعجمي وعربيّ» قال: لوكان هذا القرآن أعجمياً لقالوا: كيف نتعلّمه ولساننا عربي، وآتينا بقرآن أعجمي، فأحبّ الله أن ينزله بلسانهم وقد قال الله عزّوجلّ: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه».

وفي الكافي: بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه...» قال: «إختلفوا كما أختلف هذه الأمّة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الّذي مع القآئم عليه السّلام لمّا يأتيهم به حتّى ينكره ناس كثير فيقدمهم ويضرب أعناقهم».

وفي تفسير القمي: في قوله عزّوجلّ: «ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم» قال: لولا أنّ الله قد قدّر ذلك أن يكون في التّقدير الأوّل لقضي بينهم إذا اختلفوا وأهلكهم ولم ينظرهم، ولكن أخّرهم إلى أجل مسمّى المقدور» والمقدور تفسير للمسمّى بالمقدّر أو المعنى: إلى أجل مسمّى وذكر مقدّره.

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن عبدالعظيم الحسنيّ عن إبراهيم ابن أبي محمود ـ في حديث ـ قال: سئلت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام عن الله عزّوجلّ هل يجبر عباده على

المعاصي؟ فقال: بل (لا بل) يخيّرهم ويمهلهم حتّى يتوبوا، قلت: فهل يكلّف عباده مالا يطيقون؟ فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: «وما ربّك بظلام للعبيد»؟ ثمّ قال: عليه السّلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عليهم السّلام أنّه قال: «من زعم أنّ الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم مالا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلّوا ورآئه ولا تعطوه من الزّكاة شيئاً».

وفي شرح ابن أبي الحديد: «روى عليّ بن محمّد بن أبي يوسف المدآئنيّ عن فضيل بن الجعد قال: آكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أمر المال، فانّه لم يكن يفضّل شريفاً على مشروف، ولا عربيّاً على عجميّ، ولا يصانع الرّؤسآء وامرآء القبآئل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك النّاس عليّاً واستحقوا بمعاوية، فشكى عليّ عليه السّلام إلى الأشتر تخاذل أصدقآئه وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشتر: يا أميرالمؤمنين إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل الكوفة، وأهل الشّام بأهل البصرة وأهل الكوفة، ورأى النّاس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا، وضعفت النّيّة وقلّ العدد.

وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الوضيع من الشّريف، فليس للشّريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّت طآئفة ممّن معك من الحقّ إذ عموا به، واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغنآء والشّرف، فتاقت أنفس النّاس إلى الدّنيا، وقلّ من ليس للدّنيا بصاحب، وأكثرهم يجتوى (أي يكره) الحقّ ويشترى الباطل ويؤثر الدّنيا، فإن تبذل المال يا أميرالمؤمنين تمل إليك أعناق الرّجال، وتصفو نصيحتهم ويستخلص ودّهم، صنع الله لك يا أميرالمؤمنين وكبّ أعدآءك وفضّ جمعهم وأوهن كيدهم وشتّت أمورهم «إنّه بما يعملون خبير».

فقال عليّ عليه السّلام: أما ماذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فانّ الله عزّوجلّ يقول: «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد».

وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف، وأمّا ماذكرت من أنّ الحقّ ثَقُلَ عليهم ففارقونا بذلك فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولا لجؤوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم

يلتمسوا إلّا دنياً زائلة عنهم كان قد فارقونا، وليسئلنّ يوم القيامة: للدّنيا أرادوا أم لله عملوا، وأمّا ماذكر من بذل الأموال واصطناع الرّجال فانّه لا يسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيئ أكثر من حقه، وقد قال الله سبحانه وقوله الحقّ: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصّابرين» وقدبعث الله محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وحده وكثرة بعد القلّة وأعزّ فئته بعد الذّلّة، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صبعه، ويسهّل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ماكان لله عزّوجلّ رضىً وأنت من آمن النّاس عندى وأنصحهم لي وأوثقهم في نفسي إن شآء الله».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وروى العدول الثّقات والأئمّة الأثبات عن الزّاهد العدل عن أمين الأرض عن أمين السّمآء عن الرّبّ جلّ جلاله: «يا عبادي إنّي حرّمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلاتظالموا» الحديث.

وفي تفسير القمّي قال: في قوله تعالى: «ويوم يناديهم أين شركآئي»: يعني ما كانوا يعبدون من دون الله «قالوا آذنّاك» أي أعلمناك «مامنّا من شهيد ـ إلى قوله ـ وظنّوا مالهم من محيص» أي علموا أنّه لامحيص لهم ولا ملجأ ولا مفرّ وقوله: «لا يسأم الإنسان من دعآءِ الخير» أي لا يمل ولا يعيى أن يدعو لنفسه بالخير «وإن مسّه الشّرّ فيؤس قنوط» أي يائس من روح الله وفرجه، ثمّ قال: «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأبجانبه» أي يتبختر ويتعظّم ويستحقر من هو دونه «وإذا مسّه الشّرّ» أي الفقر والمرض والشّدّة «فذو دعآء عريض» أي يكثر الدّعآء».

وفي رواية: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «إن استغنى بطروفتن، وإن افتقر قنط و وهن».

وقال الإمام عليّ عليه السّلام: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا».

وفي رواية: «لوكان لا بن آدم واديان من ذهب لتمنّى لهما ثالثاً»

وفي دعآءِ أبي حمزة الثمالي ـ قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ الحسين عليهما السّلام: «إلهي لو قرنتَني بالأصفاد، ومنعتَني سَيْبك من بين الأشهاد، ودَلّلتَ على فضآئحي عيون العباد وأمرتَ بي إلى النّار، وحُلتَ بيني وبين الأبرار،

ماقطعتُ رجآئي منك ، وما صرفتُ وجه تأميلي للعفوعنك ، ولا خَرَجَ حبّك عن قلبي ، أنا لا أنسى أيا ديك عندي، وسترك عَلَيَّ في دار الدّنيا...» الدّعآء

٥٣ - (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد)

في كتاب الغيبة النعمانيّة: بإسناده عن أبي بصير قال: «سُئِلَ أبوجعفر الباقر عليه السّلام عن تفسير قول الله عزّوجلّ: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فقال: «يريهم في أنفسهم المسخ، ويريهم في الآفاق انتقاص الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق، وقوله: «حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» يعني بذلك خروج القآئم هو الحقّ من الله عزّوجلّ يراه هذا الحقّ لا بدّ منه» رواه الكليني رحمة الله تعالى عليه في الرّوضة

وفي الرّوضة: بإسناده عن الطّيار عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» قال: خسف ومسخ وقذف. قال: قلت: حتّى يتبيّن لهم؟ قال: دع ذا، ذاك قيام القآئم»

وفي إرشاد الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي الحسن موسى عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم» قال عليه السّلام: «الفتن في آفاق الأرض والمسخ في أعدآءِ الحق» كأنّه عليه السّلام أراد أنّ ذلك إنّما يكون في الرّجعة، وعند ظهور القآئم عليه السّلام حيث يرون من العجآئب والغرآئب في الآفاق وفي الأنفس مايتبيّن لهم به أنّ الإمامة والولاية وظهور الإمام حقّ فهذا للجاحدين.

وفي كامل الزيارة: بإسناده عن عبدالله بن بكر الأرجانيّ قال: صحبت أباعبدالله عليه السّلام في طريق مكّة من المدينة ـ حديث طويل إلى أن قال ـ: «قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟ قال: يا بن بكر فكيف يكون حجّة على ما بين قطريها وهولا يراهم ولا يحكم فيهم؟ وكيف تكون حجّة على قوم غيّب لا يقدرعليهم ولا

يقدرون عليه؟ وكيف يكون مؤدّياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟ وكيف يكون حجّة عليهم وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربّه فيهم؟ والله يقول: «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس» يعني به من على الأرض، والحجّة يقوم مقام النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من بعده وهو الدّليل على ما تشاجرت فيه الأمّة والآخذ بحقوق النّاس، والقيام بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض، فاذا لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم».

فأيّ آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق، وقال: «ما نريهم من آية إلّا هي أكبر من اختها» الزّخرف:٤٨) فأيّ آية أكبر منّا؟ والله إنّ بني هاشم وقريشاً لتعرف ما أعطانا الله ولكنّ الحسد أهلكهم كما أهلك إبليس، وإنّهم ليأتوننا إذا اضطرّوا وخافوا على أنفسهم فيسئلونا فنوضح لهم، فيقولون: نشهد أنكم أهل العلم ثمّ يخرجون، فيقولون: ما رأينا أضلّ ممّن اتّبع هؤلآء ويقبل مقالاتهم...» الحديث

رواه الشّيخ قدّس سرّه في الإختصاص والمجلسي في البحار.

وفي الإحتجاج: روى عن موسى بن جعفر عليه السّلام عن أبيه عن آبائه عن الحسن بن عليّ عليهم السّلام قال: «إنّ يهودياً من يهود الشّام وأحبارهم قال لعليّ عليه السّلام: فانّ هذا موسى بن عمران قد أرسله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى قال له عليّ عليه السّلام لقد كان كذلك ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسله الله إلى فراعنة شتّى مثل أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبي البختري، والنّضر بن الحرث، وابيّ بن خلف، ومنبه، ونبيّه إبني الحجّاج، وإلى الخمسة المستهزئين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعامر بن وآئل السّهمي، والأسود بن عبد يغوث الزّهرى، والأسود بن المطلب، والحارث إبن الطّلاطلة، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ»

وفي تفسير القمّي: قال: وقوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فمعنى في الآفاق الكسوف والزلازل وما يعرض في السّمآء من الآيات، وأمّا في أنفسم فمرّة بالجوع، ومرّة بالعطش، ومرّة يشبع، ومرّة يروى، ومرّة يمرض ومرّة

يصح، ومرّة يستغني ومرّة يفتقر، ومرّة يرضى ومرّة يغضب، ومرّة يخاف ومرّة يأمن، فهذا من عظيم دلالة الله على التّوحيد. قال الشّاعر:

وفي كــــلّ شــــيءٍ لــــه آيــــة تـــــدلّ على أنّــــه واحــــد

ثمّ أرهب عباده بلطيف عظمته، فقال: «أولم يكف بربك ـ يا محمّد ـ أنّه على كلّ شيء شهيد» ثمّ قال: «ألا أنّهم في مرية» أي في شكّ.

وفي الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: «الحمد لله رب العالمين، اللّهمّ لك الحمد بديع السّموات والأرض ذاالجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مالوه وخالق كلّ مخلوق و وارث كلّ شيء، ليس كمثله شيء، ولا يعزب عنه علم شيء وهوبكلّ شيء محيط».

﴿ بحث فقهي ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول تسعة فصول:

الفصل الأوّل: يستدل بقول تعالى: «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ـ وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه لعلكم تغلبون ـ وإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ـ ولو جعلنا قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أ أعجميّ وعربي قل هو للّذين آمنوا هدى وشفآء والّذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد» فصّلت: ٣-٤ و٢٦ و٤١-٤٢ و٤٤) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو النّاسخ وعدم حجّيتها قبله. فتأمّل جيّداً واغتنم ولا تغفل.

الفصل الثّاني: يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون» فصّلت: ٦-٧) على كون المشركين والكفّار عامّة مكلّفين بالفروع من الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ... كما أنّهم مكلّفون بالأصول من الإيمان بالله تعالى وبعدله وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وباليوم الآخر، وذلك أنّ الله جلّ وعلا هدّد المشركين بالويل وذمّهم على عدم ايتاء الزّكاة وهي من الفروع.

في المجمع: قال الطبرسي قدّس سرّه في قوله تعالى: «وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة»: أي لا يعطون الزّكاة المفروضة، وفيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطبون

بالشّرائع وهذا هو الظّاهر» انتهى كلامه. **وفي فقه القرآن:** قال الرّاوندي رحمة الله تعالى عليه في الآية الكريمة: «فقد توعّدهم على ترك الزّكاة الواجبة عليهم لأنّهم متعبّدون بجميع العبادات ومعاقبون على تركها»

وفي نهج الحقّ وكشف الصّدق: قال العلاّمة الحلّي رضوان الله تعالى عليه ـ في المسئلة السّابعة فيما يتعلّق باصول الفقه ـ: «الفصل السّابع: في أنّ الكفّار مخاطبون بالشّرآئع... ذهبت الإماميّة وجماعة من الجمهور إلى أنّ الكفّار مخاطبون بالشّرآئع اصولها وفروعها، وأنّهم مخاطبون بالإيمان. وذهب أبوحنيفة إلى أنّهم مخاطبون بالإيمان لاغير، وأنّهم غير مكلّفين بشيءٍ من الشّرائع: اصولها وفروعها» على ما في (جمع الجوامع: ج ١ ص ٢١٢) وفي (المستصفى ج ١ ص ٥٨)

وقال العلاّمة رحمة الله تعالى عليه: «وقد خالف في ذلك العقل والنّقل. أمّا العقل فلأنّ المقتضي لوجوب التّكليف هو الزجر عن القبائح والبعث على فعل الطّاعات، واشتماله على اللطف ثابت في حقّ الكافر كما هو ثابت في حقّ المسلم، فيجب إشتراكهما في المعلول.

وأمّا النّقل: فقوله تعالى: «و ويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة» وقوله تعالى: «فلا صدّق ولا صلّى ولكن كذّب وتولّى» وقوله تعالى: «ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلّين ولم نك نطعم المسكين وكنّا نخوض مع الخائضين وكنّا نكذّب بيوم الدّين» وقال تعالى: «ومن يفعل ذلك يلق أثاماً» وأشار إلى ما تقدّم من الشّرك وقتل النّفس والزّنا. ولأنّه لو كان حصول الشّرط الشّرعي شرطاً في التّكليف لم يجب الصّلاة على المُحدِث، ولا قبل النّيّة ولا «أكبر» قبل «الله» ولا اللام قبل الهمزة. وذلك معلوم البطلان بالإجماع، ولزم أيضاً أن لا يعصي أحد ولا يفسق لأنّ التّكليف مشروط بالإرادة، والفاسق والعاصي لا يريدان الطّاعة، فلايكونان مكلّفين بها، فينتفي الفسق والعصيان والكفر وهو باطل بالإجماع» إنتهى كلامه.

وفي كنز العرفان: قال الفاضل المقداد قدّس سرّه في قوله تعالى: «و ويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون»: هذه الآية الشّريفة صريحة في وجوب

الزّكاة على الكافر للتوعّد على عدم اتيانها لكنّه لايصحّ منه أدآؤها حال كفره لعدم إخلاصه، ولقوله تعالى: «ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنّهم كفروا بالله ورسوله» التّوبة: ٥٤) فاذا أسلم سقطت عنه لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الإسلام يجبّ ماقبله» ولوتلفت حال كفره لم يضمنها» إنتهى كلامه.

أقول: إنّ الرّواية في (السّراج المنير: ج ٢ ص ١٣١) ومثله في (الدّرّالمنثور: ج ٣ ص١٨٤) ولفظه: «إنّ الإسلام يهدم ما كان قبله» وفي (الخصآئص الكبرى: ج ١ ص ٢٤٩)

وفيه: قال: قال المعاصر: «ويمكن الإستدلال بها على أنّ مانع الزّكاة مستحلاً مشرك وهو حقّ لأنّ من لا يعتقد وجوبها كافر. قلت: في هذا الكلام خطأ لفظاً ومعنًى، أمّا لفظاً فقوله: «مشرك» فانّ المشرك من يجعل مع الله شريكاً، ومعلوم أنّ ذلك غيرلازم من منع الزّكاة، فلوقال: كافر لكان أولى، وأمّا معنًى فلأنّ منطوقها أنّ المشرك لايؤتي الزّكاة ولا يلزم منه أنّ الّذي لا يؤتي الزّكاة يكون مشركاً لأنّ الموجبة الكلّيّة لا تنعكس كنفسها، ولو انعكس جزئياً فلادلالة له على المطلوب بنفسه، بل بدليل خارج وذلك كافٍ في المطلوب، فلايكون الآية هي الدّالّة بل غيرها».

وفي زبدة البيان: قال الأردبيلي رحمة الله تعالى عليه: «فيها ـ الآية ـ دلالة على وجوب الزّكاة على الكفّار لأنّه يفهم منها أنّ للوصف بعدم ايتآء الزّكاة دخلاً في ثبوت الويل لهم، ولكن علم من الإجماع وغيره عدم الصّحة منهم إلّا بعد الإسلام، كذا علم بالإجماع سقوطها عنهم بالإسلام ويدلّ عليه الخبرالمشهور: «الإسلام يجبّ ماقبله» وأمّا دلالتها على كون مستحلّ تركها كافراً ففيها خفآء نعم إشعار به من قوله: «وهم بالآخرة هم كافرون» فانّه يدلّ على كفرالموصوفين بعدم الايتاء وذلك لم يكن إلّا مع الإستحلال بالنّص والإجماع ولكنّهما يكفيان، فتلغو الآية أويقال: لأنّهم ماكانوا يتركونها إلّا استحلالاً فتأمل فيه» انتهى كلامه.

وفي الجواهر: «والكافر تجب عليه الزّكاة بلاخلاف معتدّ به فيه بيننا لانّها من الفروع الّتي قد حكي الإجماع في كتب الفروع والأصول على خطابه بها للعموم وغيره،

وخصوص قوله تعالى: «ويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة» وغيره ممّا هو محرّر في محلّه، وتسقط عنه بالإسلام كما نصّ عليه غير واحد، بل لم نجد فيه خلافاً ولا توقفاً قبل الأردبيلي والخراساني وسيّد المدارك ، بل ليس في كلام الأوّل على ما قيل سوى قوله: كان ذلك للإجماع والنّص مثل: «الإسلام يجبّ ماقبله» وهو خالٍ عن التوقّف فضلاً عن الخلاف، فانحصر ذلك فيهما، نعم في المحكيّ عن نهاية الأحكام: لو أسلم قبل الحول بلحظة وجبت الزّكاة، ولو كان الإسلام بعد الحول ولو بلحظة فلا زكاة سوآء كان المال باقياً أو تالفاً بتفريط أو غير تفريط، ولكن هو في استئناف الحول حين الإسلام الّذي قد صرّح به غير واحد، بل يمكن كونه مجمعاً عليه، ومنه يستفاد ما صرّح به جماعة من سقوطها بالإسلام وإن كان النّصاب موجوداً لأنّ الإسلام يجبّ ما قبله المنجبر سنداً ودلالة بعمل الأصحاب الموافق لقوله تعالى: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف» الأنفال: ٣٨)

بل يمكن القطع به بملاحظة معلوميّة عدم أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأحد ممّن تجدّد إسلامه من أهل البادية وغيرهم بزكاة إبلهم في السّنين الماضية، بل ربّما كان ذلك منفّراً لهم عن الإسلام، كما أنّه لو كان شيء منه لذاع وشاع، كيف والشّايع عند الخواص فضلاً عن العوام خلافه».

إن قلت: «الّذين لا يؤتون الزّكاة» صفة كاشفة على طريقة الالمعي الّذي يظن بك الظّنّ، فيدلّ على أنّ المراد بالمشركين من لا يؤتي الزّكاة وإطلاقه عليه من باب المبالغة كاطلاق الكافر على تارك الحجّ في قوله: «ومن كفر» وكذلك حصر الكافرين بالآخرة فيهم للمبالغة والإشارة إلى غاية اهتمامه تعالى بشأن الزّكاة و وجوب إخراجها.

ويدلّ عليه بعض الرّوايات منها:

في الفقيه: عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام: «من منع قيراطاً من الزّكاة فليس بمؤمن ولا مسلم».

وقوله تعالى: «وهم بالآخرة هم كافرون» جملة حالية تعليلية أي عدم ايتآئهم الزّكاة لأنّهم غير مؤمنين بالآخرة إذ الإيمان بها يقتضي ايتآئها، فعدمه دليل على عدمه،

فدلّت الآية على شرك الموصوفين بعدم الايتآء المعلّل بعدم الإيمان بالآخرة، ولا دلالة فيها على وجوب الزّكاة على الكفّار ليثبت به تكليفهم بالفروع.

قلت: فيها دلالة على أنّ ترك الزّكاة من صفات الكفّار وفي تعليق الويل على الوصف بعدم الايتآءِ إشعار بعلّيّته لثبوتها لهم، فتدلّ على وجوبها عليهم، ويلزم منه كونهم مكلفين بها، ويلزم من وجوبها عليهم كونها مخاطبين بسآئر الفروع لعدم القول بالفصل. وقد دلّ النّصّ والإجماع على عدم الصّحّة منهم في حال الكفر لعدم الإخلاص والقربة وأمّا فائدة ايجابها عليه حال الكفر أنّه لومات كذلك كان معاقباً على تركها بخصوصها كما يعاقب على ترك الإيمان، ولا يجب عليهم قضآئها إذا آمنوا بدلالة النّص والإجماع على ذلك أيضاً.

وتدلّ الآية الكريمة على أنّ حال مانع الزّكاة مستحلاً كحاله في الإتّصاف بالكفر **نعم:** للإمام المعصوم عليه السّلام أو نآئبه أخذها منه قهراً ولو أتلفها فله أخذ عوضها منه لقاعدة الضّمان بالإتلاف، فتوخذ منه قهراً. وإن لم يؤخذ منه حتّى مات كافراً جاز الأخذ من تركته، وإن كان وارثه مسلماً وجب عليه، فمجرّد عدم صحّة الإيتآء من الكافر وعدم مقرّبيته له لا يوجب تعذّر إستيفاء حقوق النّاس منه كما في المسلم الممتنع، فيكون الحاكم الشّرعي وليّاً عليه في التّعيين .كما يكون وليّاً على الممتنع فيه، وحينئذ يسقط وجوب الأداءِ بانتفاء موضوعه لا بامتثال النّآئب لامتناع النّيابة في العبادة عن الكافر.

في تفسير الصّافي: قال الفيض بعد نقله مارواه القمّي عن أبان بن تغلب قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «يا أبان أترى أن الله طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به، حيث يقول: «و ويل للمشركين» الآية؟ قلت له: جعلت فداك فسّره لي؟ فقال: ويل للمشركين الّذين أشركوا بالإمام الأوّل وهم بالأئمة كافرون. يا أبان إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان، فاذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرآئض».

قال الفيض: «هذا الحديث يدلّ على ما هو التّحقيق عندي من أنّ الكفّار غير مكلّفين بالأحكام الشّرعية ماداموا على الكفر» انتهى كلامه.

أقول: أوّلاً إنّ هذه الرّواية بصدد تأويل الآية الكريمة لاتفسيرها على مايظهر من السّياق. وثانياً إنّ الرّواية لمّا كانت بظاهرها مخالفاً للمذهب المشهور المنصور ولظاهر هذه الآية الكريمة وظواهر كثير من الآيات، وجب تأويلها على تقدير إمكانه أو ردّها على تقدير عدمه لما ورد في كثيرمن أخبار الرّوايات على الكتاب منها:

في اصول الكافي: ـ باب الأخذ بالسّنّة وشواهد الكتاب ـ بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»

وفيه: بإسناده عن هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «خطب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بمنى فقال: «أيّها النّاس ماجآءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته وماجآءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»

وفيه: بإسناده عن أيّوب بن راشد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «مالم يوافق من الحديث القرآن فهوزخرف»

وغيرها من الرّوايات الواردة في المقام.

فمدار الإستدلال بالآيات الكريمة والرّوايات على الأحكام الشّرعية من السّلف إلى الخلف على الظّاهر المتبادر، لما تقرّر في الإصول من إمتناع أن يخاطب إله بشيءٍ يريد خلاف ظاهره من دون البيان، وإلّا لزم الإغرآء بالجهل لأنّ إطلاق اللفظ الظّاهر الدّلالة على معنى يوجب إعتقاد سامعه العالم بوضعه إرادة لا فظه منه ذلك المعنى، فاذا لم يكن ذلك المعنى مراداً للافظ كان اعتقاد السّامع إرادته له جهلاً، فاطلاقه مع عدم إرادته معناه الظّاهر إغراء للسّامع بذلك الإعتقاد الجهل ولأنّه بالنسبة إلى غير ظاهره مهمل فتأمّل جيّداً.

وفي مدارك التّنزيل: قال في الآية الكريمة: «إنّما جعل منع الزّكاة مقروناً بالكفر بالآخرة لأنّ أحبّ شيءٍ إلى الإنسان ماله وهوشقيق روحه، فاذا بذله في سبيله الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيّته ونصوح طويته، وماخدع المولّفة قلوبهم إلّا بلُمظة من الدّنيا، فقرت عصبيّتهم ولانت شكيمتهم، وما ارتدت بنوحنيفة إلّا بمنع

الزّكاة، وفيه بعث للمؤمنين على أداءِ الزّكاة وتخويف شديد من منعها»

الفصل الثّالث: يستدل بقوله تعالى: «وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآء للسّائلين» فصّلت: ١٠) على حرمة تحديد النّسل الإنساني وتقليله لأنّ الله عزّوجلّ قدّر أرزاق عباده كلّهم قبل أن يخلقهم، وفي الآية الكريمة ردّ على من زعم أنّ إزدياد النّسل وتكثير الأولاد يوجب القحط في الأطعمة والأشربة والألبسته والأمكنة . . .

الفصل الرّابع: يستدلّ بقوله عزّوجلّ: « ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون وذلكم ظنّكم الّذي ظننتم بربّكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين . . .» فصّلت: ٢٢ـ٢٥) على حرمة العمل بالقياس، وعلى عدم حجّيّة الظّنّ، وعلى النّهي عن العمل به. فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

الفصل الخامس: يستدّل بقوله تعالى: «وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه . . .» فصّلت: ٢٦) على وجوب دعوة النّاس وتبليغ حقآئق الإسلام ومعارفه وبيان أحكامه لهم على كلّ عالم دينيّ من دون شرط إحتمال قبول النّاس، وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا نزل عليه آية من القرآن يقرؤها حتّى على المشركين،ولكلّ عالم ديني في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اسوة حسنة.

الفصل السّادس: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى في (التبيان) في قوله عزّوجلّ: «نحن أو ليآؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» فصّلت: ٣١): «وتفيد الآية وجوب اعتقاد تودّد الملائكة إلى مَن كان مستقيماً على طاعاته، وفيها حجّة على شرف الإستقامة بالطّاعة على كلّ ماعداه من أعمال العباد يتولى الملائكة لصاحبه من أجله» إنتهى كلامه.

أقول: لعلّ ذلك أنّ الولاية هنا بمعنى المحبّة والنّصرة المساندة على ضوءِ ولاية الله جلّ وعلا، فكما يجب إعتقاد محبّة الله تعالى ونصره للمؤمنين المحبّين المستقيمين على طاعاته، وتثبيته عزّوجلّ أقدامهم في دينه، كذلك يجب اعتقاد تودّد الملائكة إلى المؤمنين حقاً ونصرتهم إيّاهم في دين الله تعالى.

قال الله: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله

غفور رحيم قل أطيعوا الله والرّسول فإن تولّوا فانّ الله لا يحبّ الكافرين» آل عمران: ٣١-٣٢)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم والّذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٧-٨)

الفصل السّابع: إنّ في قوله تعالى: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة ادفع بالّتي هي أحسن فاذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليّ حميم وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم» فصّلت: ٣٣-٣٥) مسآئل:

الاولى: يجب أن يكون الدّاعي مسلماً، فلا يجوز لغير المسلم أن يدعوا النّاس إلى الإسلام، فإنّ فاقد الشّئ لا يكون معطيه، وإنّ الضّال في نفسه لا يكون هادياً لغيره، سوآء أكان فاسقاً أم كافراً أو مرتدّاً، فمقالة بعض المذبذ بين المتجدّدين المنحرفين بجواز كون المرجع الدّينيّ فاسقاً أو مرتدّاً وسوسة شيطانيّة مردودة إلى نفسه الخبيثة.

الثّانية: يجب على الدّاعي أن يكون عاملاً بالقرآن الكريم وبما ورد صحيحاً عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين قبل أن يدعوا النّاس، فلا يجوز لغير العامل أن يدعوهم إلى الإسلام.

الثّالثة: يجب على الدّاعي أن يكون عمله ابتغآء لوجه الله تعالى وحده، إذ لا يكون العمل صالحاً، وخاصّة دعوة النّاس إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ... وإلى صالح الأعمال إلّا أن يكون لوجه الله جلّ وعلا.

الرّابعة: يجب على الدّاعي أن يصرّح بالإعتقاد لله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالإسلام الكامل الّذي قال الله عزّوجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» المآئدة: ٣) في دعوته النّاس إلى الحقّ والهدى.

وقد أمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعلن إسلامه قبل أن يدعو النّاس إليه فكان أوّل المسلمين. قال الله عزّوجلّ: «قل إنّي امرت أن أكون أوّل مَن أسلم - قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من

المشركين قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين» الأنعام: ١٤ و١٦٠-١٦٣)

الخامسة: يجب بقآء الدّاعي على الإسلام حقّاً حتّى الموت لقوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون ـ ولتكن منكم أُمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» آل عمرآن: ١٠٢-١٠٤)

فمن خرج عن الإسلام ظاهراً بالإرتداد، أو واقعاً بالفسق والنّفاق لا يجوز له دعوة النّاس إلى الإسلام، كيف! لو خرج المأمور النّظامي أو الإنتظامي عن حدود مسئوليّته لكان خارجاً عن كونه مأموراً، حيث إنّ الخآئن لا يكون مأموراً أميناً؟ فكيف يجوز أن يكون الخائن على الإسلام حافظاً لنواميسه؟

السّادسة: يجب على الدّاعي الرّفق والمداراة بالمدعوّ إلى الحقّ والهدى. وقد كان أهل مكّة كلّما تبغضوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بجفآءٍ وسوء صنع، تحبّب إليهم بحنو وعاطفة وحسن صنع، فاذ اقسوا وأغلظوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم لان وخفض لهم جناح الرّحمة، مستمرّاً معهم على هذه الحال، يقابل إسآئتهم باللقيا عليهم، والإحسان عليهم عملاً بقوله تعالى: «ادفع بالّتي هي أحسن...» فلدعاة الإسلام اسوة حسنة في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

السّابعة: يجب عليه أن يكون صابراً ومتصلّباً في أمر الدّعوة، فمن ترك تلك الشّرآئط فلا يجوز له أن يدعو النّاس إلى الحقّ والهدى، فإنّ العالم غير العامل بعلمه وغير المسلم على حدّ سوآء، بل ضرره أكثر من الكافر جدّاً.

في التّبيان: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه في قوله عزّوجل: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعملَ صالحاً وقال إنّني من المسلمين» فصّلت: ٣٣): «وفي الآية دلالة على من يقول: أنا مسلم إن شآء الله من أصحاب عبدالله بن مسعود لأنّه لا أحد أحسن قولاً منه، فيجب عليه أن يقول: إنّي مسلم ويقطع في الحكم إذا لم يكن فاسقاً» انتهى كلامه.

وفي المجمع: قال الشّيخ الطّبرسي قدّس سرّه: «وفي هذه الآية ردّ على من قال: «أنا مؤمن إن شآء الله» لأنّه مدح من قال: «إنّني من المسلمين» من غير أن يقرنه بالمشيئة، وفي هذه الآية دلالة على أنّ الدّعآء إلى الدّين من أعظم الطّاعات وأجلّ الواجبات وفيها دلالة على أنّ الدّاعي يجب أن يكون عاملاً بعلمه ليكون النّاس إلى القبول منه أقرب، وإليه أسكن» انتهى كلامه.

وفي أحكام القرآن للجصّاص الحنفي قال: في قوله تعالى: «ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً» بيان أنّ ذلك أحسن قول، ودلّ بذلك على لزوم فرض الدّعآءِ إلى الله إذ لا جآئز أن يكون النّفل أحسن من الفرض، فلو لم يكن الدّعآء إلى الله فرضاً وقد جعله من أحسن قول اقتضى ذلك أن يكون النّفل أحسن من الفرض وذلك ممتنع».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: قال: «لمّا قال الله تعالى: «وقال انّني من المسلمين» ولم يقل له: إشترط إن شآء الله كان في ذلك ردّ على من يقول: أنا مسلم إن شآء الله»

الفصل الثّامن: أنّ مواضع السّجود في سور العزآئم الأربع على التّرتيب النّزولي التّالي:

١ - في سورة «العلق» عند قوله عزّوجلّ: «واسجدو اقترب»: ١٩).

٢ - في سورة «النّجم» عند قوله جلّ وعلا: «فاسجدوا لله واعبدوا»: ٦٢).

٣ - في سورة «فصّلت» عند قوله تعالى: «إن كنتم إيّاه تعبدون»: ٣٧).

٤ - في سورة «السّجدة» عند قوله سبحانه: «وهم لا يستكبرون»: ١٥).

وأنّ السّجدة واجبة في العزآئم الأربع على القاريْ، والمستمع المصغي ليسمع بلا خلاف أجده فيه، بل هو مجمع عليه تحصيلاً ونقلاً مستفيضاً بل متواتراً وعلى السّامع على الأحوط، وأمّا كاتب آيها فتجب عليه على الأقوى. وستأتي حول العزآئم الأربع في تفسير سورة «العلق» إن شآء الله تعالى فانتظر.

ولمّا كان في موضع السّجود في سورة «فصّلت» إختلاف، كان ينبغي لنا من

الإشارة إليه إجمالاً: إنّ محلّ السّجود عند أصحابنا الشّيعة النّاجية الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة في سورة «فصلّت» بعد الفراغ من قوله جلّ وعلا: «إن كنتم إيّاه تعبدون» والأمر في قوله تعالى: «فاسجدوا لله الّذي خلقهنّ» وإن كان يقتضي الفور عندنا، ولكنّه يوجب السّجود عقيب الآية الّتي آخرها: «تعبدون» على أنّ تخلّل السّجود في أثنآء الآية الكريمة يؤدّي إلى الوقوف على المشروط دون الشّرط، والإبتدآء لقاريً بقوله: «إن كنتم إيّاه تعبدون» وهو مستهجن عند القرّآء، وهذا القدر من التّخلّل لا يخلّ بالفور، وإلّا لزم وجوب السّجدة في باقي العزآئم عند صيغة الأمر وحذف ما بعده من اللفظ، ولم يقل به أحد، ولما فيه من محافظة على نظم القراءة واتّصال الجمل بعضها ببعض ولغير ذلك.

في التّبيان: قال الشّيخ رحمة الله تعالى عليه: «والسّجود عند أصحابنا عند قوله: «إن كنتم إيّاه تعبدون».

وفي المجمع: «وهو المروي عن أئمتنا عليهم السّلام».

وفي جوامع الجامع: «وموضع السّجدة عند الشّافعي «تعبدون» وهو المروي عن أئمّتنا عليهم السّلام وعند أبي حنيفة «يسأمون».

وفي دعآئم الإسلام: «في حم السّجدة «فصّلت»: «إن كنتم إيّاه تعبدون».

قيل: إنّ هذه الآية تضمّنت صلاة كسوف القمر والشّمس، وذلك أنّ العرب كانت تقول: إنّ الشّمس والقمر لا يكسفان إلّا لموت عظيم، فصلّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في صلاة الكسوف».

الفصل التّاسع: إنّ بعض المتفقّهين استدلّ بقوله تعالى: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً» فصّلت:٤٤) على أنّه لو جعله أعجمياً لكان أعجمياً، فكان يكون قرآناً أعجمياً، وإنّه إنّما كان عربياً لأنّ الله أنزله بلغة العرب، وهذا يدلّ على أنّ نقله إلى لغة العجم لا يخرجه ذلك من أن يكون قرآناً.

أقول: إنّ الله عزّوجلّ صرّح على أنّ القرآن عربيّ وأنّه نزل بلغة العرب فقال: «إنّا جعلناه قرآناً عربياً» الزخرف:٣) وقال: «وهذا لسان عربيّ مبين» النّحل:١٠٣) وأنّه

ليس أعجمياً، فاذا نقل عن لغة العرب إلى غيرها لم يكن قرآناً، فإن ترجمة القرآن ليست منه بأيّ لغة كانت، فلا بأس بمسّها على المحدث لأنّ القرآن الكريم عبارة عن الألفاظ المخصوصة، فلا يعمّ كلّ لفظ حاك عن المعنى وإن وجب حفظ حرمته.

وأمّا إسم الله جلّ وعلا فلافرق فيه بين اللغات لصدق إسمه على كلّ ما كان حاكياً عن الذّات الأحديّة بأيّ لغة كان فتأمل جيّداً.

قال الله تعالى: «أيّاً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى» الأسرآء: ١١٠)

﴿ بحث مذهبي ﴾

في التبيان: قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «تنزيل» فصّلت: ٢): «في ذلك دلالة على حدوثه لأنّ التّنزيل لا يكون إلّا محدثاً».

ويستدلّ شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين **بقوله عزّوجلّ:** «كتاب فصّلت آياته» فصّلت: ٣) على أنّ القرآن الكريم كان يدوّن في زمن الوحي، وكان منضمّاً آياته يطلق عليه إسم الكتاب، إذ لا يطلق على آية واحدة أو عشرة آيات متفرّقة كتاب.

في المجمع: في قوله تعالى: «قرآناً عربياً» قال: «وصفه بأنّه قرآن لأنّه جمع بعضه إلى بعض، وبأنّه عربيّ لأنّه يخالف جميع اللغات الّتي ليست بعربيّة، وكلّ ذلك يدلّ على حدوث القرآن».

في قوله تعالى: «فأعرض أكثرهم فهم لا يؤمنون وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إنّنا عاملون» فصّلت: ٤-٥) ردّ على الأشاعرة المجبّرة من العامّة الّذين ذهبوا إلى أن لافاعل إلّا الله سبحانه فاسندوا جميع العقآئد: حقّها وباطلها، وجميع الأقوال: صدقها وكذبها، وجميع الأفعال: حسنها وقبيحها إلى الله سبحانه، وقالوا ـ إتباعاً عن قآئدهم أبي الحسن الأشعري وهو الشّيطان المجسّم ـ: إنّ ذوات العباد كالآلات لأفعاله سبحانه، وهم كلّهم حزب الشّيطان الّذي اسند غوايته إلى الله سبحانه: «قال ربّ بما أغويتني» الحجر: ٣٩) وذلك أنّ مشركي مكّة لمّا اعتادوا ـ بسوء إختيارهم ـ على العناد مع الحقّ والصّمود على التمرّد والطغيان،

أعرضوا عن القرآن الكريم، وبالإعراض ما كانوا يسمعونه، فهم أوجدوا بإختيارهم اكنّة في قلوبهم و وقراً في آذانهم، وحجاباً بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجعلوا من أنفسهم صخرة صمّآء وحجراً صلداً لا يتأثّر بشيءٍ، وإنّماهم سعوا في تغليظ الحجاب والمزيد من تكاثفه على أثر مبالغتهم في الكفر والعصيان، فلولا أنّه من صنيع أنفسهم بالذّات لما صحّ تكليفهم: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزّكاة وهم بالآخرة هم كافرون» فصّلت: ٦-٧) ولو كانوا غير قادرين على التّوحيد والإيمان، والإستقامة والإستغفار وصالح الأعمال... على مازعمه أبوالحسن الأشعري وأذنابه المبتورة.

وتشبّث الأشعري وأتباعه من المشبّهة والمجسّمة بقوله سبحانه: «ثمّ استوى إلى السّمآءِ وهي دخان» فصّلت: ١١) على أنّ الله سبحانه كآئن في جهة «فوق» وإنّه تعالى ينزل ويصعد ويتحرّك من مكان إلى مكان، فيحويه مكان ويخلو منه مكان.

أقول: وقد سبق آنفاً في تفسير «استوى» أنّه بمعنى قصد وتوجّه وهو لا يستلزم الحركة ولا هو بمعنى الجلوس والإستقرار، وأنّه تعالى كان ولا مكان، لا خلأ ولا ملأ فلم يكن فوق ولا تحت ولا جهة من الجهات إذ لا موجود سواه جلّ وعلا.

واستدل بعض المتكلّمين بقوله عزّوجلّ: «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طآئعين» فصّلت: ١١) على أنّ جميع الموجودات عقلآء كلّ بحسبها، وأنّهم عارفون بربّهم، ومسبّحون له تعالى وسامعون لكلامه بذواتهم... وإليه أشار تعالى بقوله: «وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم» الإسرآء: ٤٤) إذ لا يتصوّر التّسبيح والتّقديس بدون المعرفة، ولا معرفة إلّا بالعقل، وأنّ إمتثال الأمر مترتّب على السّمآع والفهم بالمراد على قدر ذوق السّامع واستطاعة المدارك مايليق بجنابه المقدّس عن الأشباه والأمثال...

ويستدلّ بقوله عزّوجلّ: وزيّنّا السّمآء الدّنيا بمصابيح» فصّلت: ١٢) على أنّ الكواكب والنّجوم كلّها بمنزلة المصابيح في السّمآءِ الدّنيا وهي السّمآء الأولى الّتي هي بمنزلة السّقف المرفوع الّذي فيها تلك المصابيح، وأمّا السّموات السّتّ الأُخرى فما

ورآئها، فليست السّموات السّبع تلك المصابيح كما زعم المتجدّدون الّذين لا يتبعون إلّا الظّنّ والخرص إنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً، وإنّ الخرص لا يسمن صاحبه.

قال الله عزّوجلّ: «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيّام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا» فصّلت: ١٦)

قد اختلف أصحاب الآرآء والمذاهب المختلفة في كون الأيّام نحسات ذاتاً أو عرضاً بأنّها منحوسات مشئومات ذاتاً ليس فيها شيء من الخير أصلاً أم نحستها من الأمور النّسبيّة أو غيرها:

فذهب أصحاب النّجوم إلى أنّ هناك أيّاماً من بين الأيّام هي بنفسها نحسات...

وقال المتكلّمون: إنّ المراد بالنحوسة كونها ذات غبار وتراب وبرد.

وقال الآخرون: ليس زمان ولامكان نحساً ولا سعداً بذاته، وإنّ النّحوسة والسّعادة هما النّاتجتان عمّا يحصل فيها، فهما ترجعان إلى عمل الإنسان ونيّته، وذلك أنّ أجزآء الزّمان متساوية في حدّ ذاتها ولا تمايز بينهاإلّا بحسب تمايز ماوقع فيها من الإيمان والكفر، من الإحسان والإسآئة، ومن الطّاعات والمعاصي... فيوم الجمعة سعد بالنّسبة إلى المؤمن المحسن المطيع، نحس بالنّسبة إلى الكافر المسيئ العاصي، وإن كان سعداً في حدّ نفسه.

قال رجل عند الأصمعيّ: فسد الزّمان، فقال الأصمعيّ:

**إنّ الجديدين في طول إختلافهما		لا يفسدان ولكنّ يفسد النّاس**

وقال الآخر:

**ندم زماننا والعيب فينا		ولونطق الزّمان إذا هجانا**

فلم يخلق الله تعالى يوماً من أيّام الدّهر نحساً، وإنّما تصير نحساً لمن عصى الله جلّ وعلا ويعذّب فيها.

وقال فريق: إنّ الله عزّوجلّ خلق أجزآء الزّمان والمكان على تفاوت كسآئر الموجودات كقوله تعالى: «وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمآءٍ واحد ونفضّل بعضها على بعض في الاكل إنّ في

ذلك لآيات لقوم يعقلون» الرّعد: ٤)

وقوله عزّوجلّ: والله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق» النّحل: ٧١)

وقوله جلّ وعلا: «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ـ وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً» الإسرآء: ٢١ و٧٠)

وقوله سبحانه: «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض» البقرة: ٢٥٣)

ولا يلزم على هذا التّفاوت نحوسة يوم وسعد يوم آخر.

في الخصال: بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «ينبغي للرّجل أن يتوقّى النّورة يوم الأربعآء فانّه يوم نحس مستمرّ»

أقول: والرّوايات في هذا المعنى كثيرة جدّاً لا يسع مقام الإختصار بذكرها.

وفي أعماله اليلة الاولى من شهر رمضان المبارك ـ عن الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام ـ: «وأن يجعلك هلال بركة لا تمحقها الأيّام، وطهارة لا تدنّسها الآثام، هلال أمن من الآفات، وسلامة من السّيّئات هلال سعد لا نحس فيه...» الدّعآء.

في قوله تعالى: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» فصّلت:١٧) دلالة على بطلان مذهب المجبّرة إلى أنّ الله يضلّ الكفّار بأن يخلق الضّلال والكفر فيهم فيصدّهم عن الهداية والإيمان، وحال بينهم وبينه، وقد صرّح تعالى في الآية الكريمة بأنه هدى ثمود إلى الدّين الحقّ، وإنّهم أختاروا العمى على الهدى، وذلك واضح لا إشكال فيه، إذ لم يقل: استحبّ الله سبحانه كما زعمت المجبّرة من العامّة: أنّ الأفعال أحدثها الله لنا وقدّر لنا المعاصي وقضاها فلا نتمكّن من دفعها.

ولو كان الأمر كما توهّموه لكان الله جلّ وعلا قد أرسل الرّسل إلى نفسه، وأنزل الكتب على نفسه، فكل وعدو وعيد جآء به يكون متوجّهاً إلى نفسه لأنّه إذا لم يكن فاعل سوى الله تعالى فإلى من أرسل الرّسل؟ وعلى من أنزل الكتب؟ ولمن تهدّد و وعدو توعّد؟ ولمن أمر ونهى ؟؟؟!!! وليس هذا إلّا كفر محض.

في نهج الحقّ وكشف الصّدق: «وقال الخوارزمي: حكى قاضي القضاة عن أبي على الجبائي: أنّ المجبّر كافر، ومن شكّ في كفره فهو كافر، ومن شكّ في كفر من شكّ في كفره فهو كافر»

في تفسير الفخرالرّازى: مالفظه: «إحتجّ أصحابنا (الأشاعرة) بهذا الآية: «وقيّضنا لهم قرنآء فزيّنوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم...» على أنّه تعالى يريد الكفر من الكافر، فقالوا: إنّه تعالى ذكر أنّه قيّض لهم أولئك القرنآء، وكان عالماً بأنّه متى قيّض لهم أولئك القرنآء فان زيّنوا الباطل لهم، وكلّ من فعل فعلاً وعلم أنّ ذلك الفعل يفضي إلى أثر لا محالة، فانّ فاعل ذلك الفعل لا بدّ وأن يكون مريداً لذلك الأثر، فثبت أنّه تعالى لمّا قيّض لهم قرنآء فقد أراد منهم ذلك الكفر.

ثمّ قال الفخر ـ مؤيّداً لقرنآئه ـ: «فههنا الله تعالى قيّض أولئك القرنآء لهم، وعلم أنّه متى قيّض أولئك القرنآء لهم فانّهم يقعون في ذلك الكفر والضّلال»

أقول: وقد سبق آنفاً تفسير الآية الكريمة أنّ معناها: وخلّينا بين المشركين الملحدين وبين قرنآء هم الشّياطين الّذين يضلّونهم ويمنونهم ويهدونهم إلى سوآء الجحيم جزآء وفاقاً مع لجاجهم وإلحادهم في آيات الله جلّ وعلا وإصرارهم على منابذة الحقّ والسّعي في إطفآء نور الله عن وجه الأرض، فهذا حرمانهم عن ألطافه تعالى، وخذلان مرير استوجبوه لأنفسهم بسوء إختيارهم بما اقترفوا من آثام و وقفوا في وجه الحقّ، وكافحوه، فقد أخزاهم الله وخذلهم مغبة صمودهم على نكران الحقّ، فلا تدلّ الآية الكريمة على أنّ الله سبحانه يريد الكفر من الكافر، ولا على الإلجاء بحيث خرج الإهتداء إلى سبيل الحقّ في استطاعتهم إذ لا سلطان للشّيطان إلّا على الغاوين.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين» الحجر: ٤٢) وليس سوى وساوس ودعوة إلى الفساد.

وقد صرّحت آيات كثيرة على أنّ المجبّرة تنكشف لهم حقآئق الأمور يوم القيامة، وهم لا يقولون يومئذ ما كانوا يقولون في الحياة الدّنيا: «سيقول الّذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من شيء» الأنعام: ١٤٨) «وقال الّذين أشركوا لوشاء الله

ماعبدنا من دونه من شي ء نحن ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من دونه من شي ء» النّحل: ٣٥) بل هم يوم القيامة يعترفون بأنّ المعاصي منهم، يعترفون يومئذ بخلاف معتقدهم في الدّنيا: أنّ الله هو المضلّ لهم وهم يقولون يومئذ: «ربّنا أرنا الّذين أضلاّنا من الجنّ والإنس...» فصّلت: ٢٩)

قال الله تعالى حكاية عنهم: «ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل» فاطر: ٣٧) ولم يقولوا: تعمل أنت غير الّذي كنت تعمل.

وإنّ الشّيطان يومئذ يعترف بأنّه أضلّهم: «وما كان لي عليكم من سلطان إلّا دعوتكم فاستجبتم لي» إبراهيم: ٢٢) كما أعلن من قبل بأنّه أراد باضلال من اتبعه: «قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢-٨٣)

تشبّث بعض الطّاعنين في عصمة الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين بقوله تعالى: «وإمّا ينزغنك من الشّيطان نزغ فاستعذ بالله» فصّلت: ٣٦) بأنّه لو لم يجز على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الإقبال على وسوسة الشّيطان لما أُمِرَ بالإستعاذة.

أقول: ومن المعلوم أنّ «إمّا» كلمتان: إن الشّرطيّة، وما الزّآئدة، والقضيّة هنا شرطيّة تصحّ، وإن كان فعل الشّرط محالاً تماماً، حيث إنّ التّعليق على محال ليس بمحال كقوله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الزّمر: ٦٥) يخاطب به من لا يشرك حتّى ولو شنُق لأنّ الله تعالى جعله اسوة التّوحيد ومبطلاً لأركان الشّرك كلّها فكيف يمكنّ الشّرك منه صلّى الله عليه وآله وسلّم كقوله تعالى: «قل إن كان للرّحمٰن ولدفأ نا أوّل العابدين» الزّخرف: ٨١) فكلمة الشّرط: «إن» لا تفيد وقوعه.

وقد جآء الخطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تعريضاً لغيره وذلك أنّ الفعل إذا رتب عليه وعيْد في حال نسبته فرضاً وتقديراً لذي شرف يستحقّ به توقيراً وهو لم يحصل منه، فَهِمَ منه المخاطبون أنّ الوعيد واقع بهم من باب أحرى إن صدر منهم ذلك الفعل كما إذا شتمك إنسان فتقول: والله إن شتمني الأمير لأضربنّه.

في قوله تعالى: «إن كنتم إيّاه تعبدون» فصّلت: ٣٧) تزييف لطريقة الصّابئين وسآئر عبدة الكواكب والنّجوم... جهلاً منهم إذ توهّموا أنّهم بعبادتهم إيّاها تعبدون الله،

وأنّها الواسطة بين الخالق والمخلوق، فنهوا عن هذا التّوسيط لأنّ ذلك مظنّة العبادة المستقلّة لرفعة شأنها وارتفاع مكانها، وهذا بخلاف التّوجّه في الصّلاة إلى القبلة، فانّ الحجر قلّما يظنّ به أنّه معبود بالحقّ، والجزم حاصل بأنّه لتومتوجهات المصلّين عند صلاتهم مع أنّ للبيت شرفاً ظاهراً في نفسه، وكذلك الضّرآئح المقدّسة وقبور أهل بيت الوحي المعصومين عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّات الخلق أجمعين إلى يوم الدّين، وقبور الصّلحآء والمخلصين، فتقبيلها ومسّها لكرامة المقبور عند الله جلّ وعلا كنفس تقبيل الحجر الأسود ومسّه من دون أن يعبدها أحد من محبّيها.

ويستدلّ بقوله عزّوجلّ: «إعملوا ما شئتم» فصّلت: ٤٠) على تخيير العباد في أفعالهم وتعلّقها بمشيئتهم ردّاً على الأشاعرة المجبرة من العامّة قرنآء الشّياطين...

ويستدل بقوله جلّ وعلا: «وإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١-٤٢) على مصونة القرآن الكريم من التّحريف والتّبديل والتّغيير زيادة أو نقصاناً ردّاً على من تقوّل عليه بعض الأقاويل...

تشبّث الأشعري وأذنابه المبتورة من المشبّهة والمجسّمة بقوله تعالى: «تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم ـ تنزيل من حكيم حميد ـ قل أرأيتم إن كان من عند الله ثمّ كفرتم به» فصّلت: ٢ و٤٢ و٥٢) على أنّ الله سبحانه كآئن في جهة «فوق» مستوياً على عرشه فوق أطباق الثرى، ومن عنده هكذا نزّل القرآن الكريم.

أقول: إنّا إذا ما اعتبرنا أنّ تدابير هذا العالم المادّي في جميع أرجآئه تنحدر من عالم ماورآءِ المادّة من عندالله العزيز الحكيم صحّ إطلاق الفوق عليه جلّ وعلا، وهكذا التّعبير بالنزول والتّنزيل من عنده والصّعود إليه ونحوهما من دون إرادة التحديد والجهة الماديين، بل الإعتباريين بالنّظر إلى ما بين العالمين من تباين وفرق، ذاك إلى ذروة العلى والشّرف والغنى، وهذا إلى حضيض الخسّة والذّلّ والإفتقار.

وإنّما المراد بتنزيل القرآن الكريم من عند الله العزيز الرّحيم نزوله من مكان عليّ علوّاً بالشّرف والكرامة لا علوّاً بالحسّ والجهة إذ كان لعالم ماورآء المادّة رفعة شأنية على عالم المادّة، وباعتبار إحاطة ذلك العالم بهذا العالم المحسوس إحاطة تدبير وتربية، توجّه

أهل الأرض إلى خارج محيطها لتصوّر هذا المعنى في مرتكزهم، فصوّروه في صورة المحسوس، ومن ثمّ توقعوا نزول البركات من جهة العلوّ، تشبيهاً لغير المحسوس بالمحسوس. وقياساً للغآئب بالمشهود.

وعلى ضوءِ هذا البيان يبدو أن لا غموض على وجه الآيات الكريمة الّتي تشبّث بها الأشعرى وأذنابه...

ويستدلّ بقوله عزّوجلّ: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أ أعجميّ وعربيّ» فصّلت: ٤٤) على أنّ من شرآئط النّبوّة أن يكون كتاب الرّسول بلسان قومه الّذين نشأ هو منهم كما قال: «وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم» إبراهيم: ٤) وقال: «هو الّذي بعث في الامّيّن رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته» الجمعة: ٢) وإن كانت رسالته للنّاس كافّة، فمن ادّعى الرّسالة وجآء بكتاب على غير لسان قومه فهو رسول من جانب الشّيطان.

ويستدلّ بقوله تعالى: «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها» فصّلت: ٤٦) على أنّ المرء إنّما يعمل مايعمل من أعمال صالحة وسيّئة ـ ومن ذلك الإيمان والكفر ـ باختياره وإرادته، وأنّه يتحمل من أجل ذلك تبعة عمله، وأنّ الثّواب والعقاب إنّما يكونان وفق هذا الإختيار ونتيجة له، ردّاً على الأشاعرة المجبرة تسلب الإختيار والإرادة عن الإنسان، وتنسب الأفعال: خيرها وشرّها، والعقائد: حقّها وباطلها، والأقوال: صدقها وكذبها إلى الله سبحانه.

ويستدلّ شيعة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله بقوله جلّ وعلا: «وما ربّك بظلاّم للعبيد» فصّلت: ٤٦) على عدل الله تعالى في نظام التّكوين والتّشريع والجزآء وأنّه تعالى لا يفعل القبيح ولا يخلّ بالواجب، بل جميع أفعاله جلّ وعلا حكمة وصواب، ليس فيها ظلم ولا جور، ولا عدوان ولا كذب ولا فاحشة، ولا يعذّب العبيد على فعل يفعله فيهم ولا يلومهم عليه، ولا يكلّفهم ما لا قدرة لهم عليه ولا طاقة لهم به، وأنّ العبد يستحقّ الثّواب على الطّاعة والعقاب على المعصية.

خلافاً للعامّة عامّة فانّهم لا يعتقدون بعدل الله تعالى، وللأشاعرة المجبرة كافّة إذ

جوّزوا لله سبحانه فعل القبائح بأسرها من أنواع الظّلم والشّرك والجور والعدوان، ورضي بها وأحبّها وأنّ الله تعالى لا يعذّب العبد على فعل العبد، بل يفعل فيه الكفر ثمّ يعاقبه عليه، وأنّ الله يكلّفه مالا طاقة له به، ولا يتمكّن من فعله، وأنّ العبد لا يستحقّ الثّواب على الطّاعة ولا العقاب على المعصية، فيجوز له أن يدخل المشرك العاصي، والملحد الطّاغي الجنّة، والموحّد المطيع، والمخلص المتّقي النّار.

وفساد مذهبهم ظاهر لكلّ ذي مسكة له طيب ولادة.

في تفسير البرهان: عن إبراهيم بن أبي محمود عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال: سئلته عن الله تعالى: وهل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال: بل يخيّرهم ويمليهم حتّى يتوبوا قلت: فهل يكلّف عباده مالا يطيقون؟ فقال: وكيف يفعل ذلك وهو يقول: «وما ربّك بظلاّم للعبيد»

وفي متشابهات القرآن لا بن شهرآشوب السّروي المازندراني رضوان الله تعالى عليه: «ذكره بلفظ المبالغة في نفي الظّلم عن نفسه، وإن كان لا يفعل القليل منه لأنّه خرج جواباً للمجبرة ورداً عليهم لأنّهم ينسبون كلّ ظلم في العالم إليه تعالى، فبيّن أنّه لوكان كما قالوا لكان ظلاماً، وأنّه ليس بظالم، وسئل متكلّم: لِمَ ورد على وزن فعّال الّذي صيغ للكثير وهو متنزّه عن الظّلم اليسير؟ فقال: لأنّه لوفعل أقلّ الظّلم لكان عظيماً منه لأنّه غير محتاج إليه مع علمه بقبحه، وبأنّه غنيّ عنه، والقبيح لا يتأتى إلاّ من جاهل أو محتاج، فلو فعله من غير حاجة إليه فهو أعظم من كلّ ظلم فعله فاعل لحاجة إليه» إنتهى كلامه.

ويستدلّ بقوله عزّوجلّ: «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأبجانبه وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض» فصّلت: ٥١) على بطلان مذهب أهل الجبر القآئلين بأنّه ليس لله على الكافر نعمة، فانّه سبحانه أخبر بأنّه ينعم على الكافر، وأنّه يعرض عن موجبها من الشّكر، والمراد بالآية أنّ الكافر يسئل ربّه بالتّضرّع والدّعآء أن يكشف مابه من الضّرّ والبلآء ويعرض عن الدّعآء عند الرّخآء.

نعم ما قال الشّاعر:

كيف ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

﴿ معنى الإستقامة وأنواعها ﴾

قال الله عزّوجلّ: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ـ إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليكم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون» فصّلت: ٦و٣٠)

الإستقامة: من إستقام الشّيْ: خلا من العوج قال الله تعالى: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣).

الإستقامة يقال: في الطّريق الّذي يكون على خطّ مستوٍ، وبه شبّه طريق المحقّ والمصيب، واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم لا اعوجاج فيه، وفي الحديث: «قل آمنت بالله ثمّ استقم» أي أشهد بوحدانيّة الله تعالى وصدقه بجميع ما اخبرعنه وأمر به ونهى عنه، ثمّ ألزم القيام بحقيقة قولك، واستقامة الإنسان: ملازمته للمنهج الصّواب الصّحيح.

قال الله عزّوجلّ: «واستقم كما أُمرت ولا تتّبع أهوآء هم» الشّورى: ١٥)

إستقام الشّخص: سلك الطّريق القويم: طريق الحقّ والهدى، طريق الخيروالصّواب وطريق الرّشاد والفلاح... قال الله تعالى: «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» التّوبة: ٧) أي اسلكوا معهم طريق السّعادة والكمال ماداموا يتبعون ذلك معكم.

المستقيم: المستوي القويم الّذي لا إعوجاج فيه ولا إلتواء. يقال طريق مستقيم.

قال الله تعالى: «فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنّك على صراط مستقيم ـ إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» الزّخرف: ٤٣ و٦٤)

وقال: «قل انّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين» الأنعام: ١٦١)

وقال: «قال هذا صراط عليّ مستقيم» الحجر: ٤١)

وقال: «وإنّ الله لهاد الّذين آمنوا إلى صراط مستقيم ـ وادع إلى ربّك إنّك لعلى هدى مستقيم» الحجّ: ٥٤ و٦٧)

وقال: «وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم» المؤمنون: ٧٣)

وقال: «قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقاً لمابين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم» الأحقاف: ٣٠) أي الطّريق المستوي الّذي لا إعوجاج فيه، والمراد: طريق الحقّ والصّواب، والخير والرّشاد.

والمستقيم: العادل الّذي لا ميل فيه عن الحقّ، ولا انحراف عن الهدى. يقال: ميزان مستقيم قال الله تعالى: «وزنوا بالقسطاس المستقيم» الإسراء: ٣٥) أي بالميزان العادل الّذين لا يميل عن الحقّ والصّواب والصّحيح. ولا يخفي من الفرق بين المستقيم والصّحيح والصّواب، حيث إنّ كلّ مستقيم صحيح وصواب، وليس كلّ صواب وصحيح مستقيماً، لأنّ المستقيم من الصّواب والصّحيح ماكان مؤلّفاً ومنظوماً على سنن لا يحتاج معه إلى غيره، وأمّا الصّحيح والصّواب فيجوز أن يكونا مؤلّفين وغير مؤلّفين، ولهذا قال المتكلّمون: هذا جواب مستقيم إذا كان مؤلّفاً على سنن يغني عن غيره وكان مقتضياً لسئوال السّآئل، ولا يقولون للجواب إذا كان كلمة نحو «نعم» أو «لا»: مستقيم، وتقول العرب: هذه كلمة صحيحة وصواب ولا يقولون: كلمة مستقيمة ولكن كلام مستقيم لأنّ الكلمة لا تكون مؤلّفة، والكلام مؤلّف.

وإنّ الفرق بين المستقيم والصّواب: أنّ الصّواب إطلاق الإستقامة على الحسن والصّدق، والمستقيم هو الجاري على سنن، فتقول للكلام إذا كان جارياً على سنن لا تفاوت فيه: إنّه مستقيم وإن كان قبيحاً، ولا يقال له: صواب إلّا إذا كان حسناً، يقال: مستقيم حسن ومستقيم قبيح، ومستقيم صدق ومستقيم كذب، ولا يقال: صواب قبيح . . .

المستقيم: ضدّ المعوج، ولكنّ ليس المراد بالمستقيم مقابل المعوج، بل المراد كلّ مافيه إنحراف عن الغاية الّتي يجب أن ينتهي سالكه إليها، والمستقيم في عرف الهندسة أقرب موصل بين الطّرفين، وهذا المعنى لازم لمعنى اللغوي، وإنّما قلنا: إنّ المراد مقابل المستقيم كلّ مافيه إنحراف لأنّ كلّ من يميل وينحرف عن الجادّة يكون أضلّ عن الغاية ممّن يسير عليها في خطّ ذي تعاريج، والمراد بالصّراط المستقيم مايوصلنا الحقّ والهدى، إلى الخير والكمال، وإلى سعادة الدّنيا والآخرة من عقآئد وآداب وأخلاق وأحكام وتعاليم...

في الصّحيفة السّجّادية: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: «اللّهمّ صلّ على محمّد وآله ومتّعني بهدى صالح لا أستبدلُ به، وطريقة حق لا أزيغُ عنها، ونيّة رشد لا أشكّ فيها».

أقول: ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ مدار هذه الفقرات الثّلاث الأخيرة من الدّعآءِ على طلب الإستقامة على طريق الحق والهدى مع تصلّب فيه، من الإعتقادات والأقوال والأعمال والأخلاق... وذلك منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصليّة والفرعيّة والكمال النّظريّة والعلميّة، والخروج عن عهدته في غاية مايكون من الصّعوبة، ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «شيّبتني سورة هود» يعني قوله عزّوجلّ: «فاستقم كما أُمرت» هود: ١١٢) وهي جامعة لجميع أنواع التّكاليف...

قال بعض العلمآء: إنّ الطّاعة لا تعدّ طاعة ولا فضيلة مالم تستجمع معاني أربعة: ١ـ أن يكون صاحبها عالماً بشرآئطها. ٢ـ أن يكون فاعلاً لها على سبيل الطّوع والإختيار ٣ـ أن لا يختارها إلّا لإعتقاد حسنها في نفسها إعتقاداً راسخاً. ٤ـ أن يدم إختياره لذلك، فلايزول، فلن تخلص الطّاعة ولن يستقيم السّعي إلّا بمجموع هذه الخصال الشّاقّة حتّى قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إستقيموا ولن تحصوا»

وحتّى أخبر صلّى الله عليه وآله وسلّم عن نفسه فقال: «شيّبتني سورة هود».

وحتّى قيل: الإستقامة لا يطيقها إلّا الأنبيآء وأكابر الأوليآءِ لأنّها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرّسوم والعادات، والقيام بين يدي الله على حقيقة الصّدق، بحيث

لا يشوب معاملته مع الله فترة، ولا تصحب مسيره إليه وقفة يعتبر بما يرى في الدّنيا من غير شهوة، ويتفكّر في المعاد من غير غفلة يستقلّ الكثير من طاعته إزرآءً على نفسه، ويستعظم اليسير من إحسان ربّه إجلالاً لوجهه، وينصف من نفسه ولا ينتصف لها، ويعمل بجوارحه ولا يعمل بهواها، فإذا وجدت فيه هذه الأمارات صار صاحب الإستقامة وأهل الكرامة».

في رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أتدرون من التّآئب؟ قالوا: لا قال: إذا تاب العبد ولم يرض الخصمآء فليس بتآئب، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتآئب، ومن تاب ولم يغيّر لباسه فليس بتآئب، ومن تاب ولم يغيّر خلقه ونيّته فليس بتآئب، ومن تاب ولم يحفظ لسانه ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفّه فليس بتآئب، ومن تاب ولم يقصر أمله فليس بتآئب، ومن تاب ولم يقدم فضل قوته من بين يديه فليس بتآئب، وإذا استقام على هذه الخصال فذاك التائب» ولا يخفى على القاريء المتأمل الخبير: أنّ من تاب ولا يثق من نفسه الإستقامة على التّوبة فلا ينبغي أن يمنعه ذلك عن التّوبة، علماً منه أنّه لا فائدة فيه، فإن ذلك من غرور الشّيطان، ومن أين له هذا العلم، فلعلّه يموت تآئباً قبل أن يعود إلى الذّنب؟! وأمّا الخوف من العود فليتداركه بتجريد القصد وصدق العزم.

في الخصال: ـ الذكر مقسوم علي سبعة أعضآء ـ: «اللسان والرّوح والنّفس والعقل والمعرفة والسّرّ والقلب، وكلّ واحد منها يحتاج إلى الإستقامة، فأمّا إستقامة اللسان فصدق الإقرار، واستقامة الرّوح صدق الإستغفار، واستقامة القلب صدق الإعتذار، واستقامة العقل صدق الإعتبار، واستقامة المعرفة صدق الإفتخار، واستقامة السّرّ السّرور بعالم الأسرار، واستقامة القلب صدق اليقين ومعرفة الجبّار، فذكر اللسان الحمد والثّنآء، وذكر النّفس الجهد والعنآء، وذكر الرّوح الخوف والرّجآء، وذكر القلب الصّدق والصّفآء، وذكر العقل التّعظيم والحيآء، وذكر المعرفة التّسليم والرّضآء، وذكر السّرّ على رؤية اللقآء. حدّثنا بذلك أبو محمّد عبدالله بن حامد رفعه إلى بعض الصّالحين عليهم السّلام»

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: عن سفيان بن عبدالله الثّقفيّ قال: قلت: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قل لي في الإسلام قولا لا أسئل عنه أحداً بعدك - وفي رواية - غيرك ؟ قال: «قل آمنت بالله ثمّ استقم» زاد الترمذي: قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ ؟ فأخذ بلسان نفسه وقال: هذا».

وفي الدّرّالمنثور: عن سفيان الثّقفي: أنّ رجلاً قال: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرني بأمر في الإسلام لا أسئل عنه أحداً بعدك ؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قل آمنت بالله ثمّ استقم» قلت: فما أتقى؟ فأومأ إلى لسانه».

وفي المجمع: وروي عن أنس قال: «قرأ علينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية ثمّ قال: قدقالها ناس ثمّ كفر أكثرهم، فمن قالها حتّى يموت فهو ممّن استقام عليها».

وفي الدّرّ المنثور: قال: قرأ علينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» قال: قد قالها ناس من النّاس ثمّ كفر أكثرهم، فمن قالها حتّى يموت فهوممّن استقام عليها».

واعلم أنّ الإستقامة بإعتبار ما يتعلّق بها على أنواع ... ولا يستطيع أن ينال الإنسان بما ينبغي له من الإمور الدّنيويّة والأخرويّة، والمادّيّة والمعنويّة ... إلّا بالإستقامة عليها والصّلابة في طريقها، فلا ينال بالحقّ والهداية، بالإيمان والطّاعة، بالصّواب والسّعادة، بالعلم والحكمة، بالخير والسّيادة والرّشاد والقيادة، بالمال والثّروة، بالمقام والرّئاسة، بالجاه والقدرة، بالنّصر والغلبة، بالصّحّة والسّلامة، وبالأخلاق الفاضلة ورفض الصّفات الرّذيلة إلّا بالإستقامة.

﴿ القرآن الكريم والإستقامة ﴾

واعلم أنّ الله عزّوجلّ يدعو المؤمنين في كثير من آياته القرآنية على طريقي المفهوم والمنطوق، والإيمآء والصّراح إلى الإستقامة في جميع شئون حياتهم الصّالحة إيماناً وعلماً وعملاً، والإستقامة في العمق بكلّ متطلباتها، والإستقامة عليها شعوراً في الضّمير وسلوكاً في الحياة وصبراً على تكاليفها، والأشلآء والدّماء في سبيلها، وإلى الصّلابة في إقامة الوجه للدّين حنيفاً، والحرمانات وترك الشّهوات والنّفسيات في طريقها بصورة قاطعة جادّة.

ولذلك كلّه جعل الله تعالى الهداية والفلاح، والنّصرة والنّجاة والخير والسّعادة الدّنيويّة والأخروية وتنزّل الملائكة على الإستقامة، فإذا استقام المؤمنون على معتقداتهم وتكاليفهم تتنزّل عليهم الملآئكة في هذه الحياة الدّنيا بالإلهام ليطمئنّوهم على استقامتهم فيزدادوا قوامة على قوامة، وإيماناً على إيمان حسب درجاتهم... فهم لا يخافون ظلماً ولا هضماً، لا يخافون حبساً ولا حصراً، لا يخافون نفياً ولا شهادة في سبيل الله تعالى ولا يخافون لامة لآئم، وهم يعملون بالحقّ لكونه حقّاً لا لثوابه، ويرفضون الباطل لكونه باطلاً لا لعقابه، وهم يريدون أنفسهم لدينهم، ولا يريدون دينهم لأنفسهم، فلا يؤثرون الحياة الدّنيا الزائلة على الحياة الأخرويّة الدّآئمة، فلا يخافون عمّا تورطوا في مخاوف لوجه الله جلّ وعلا إذ لا يخافون إلّا **الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شيء.**

فنفوسهم مطمئنّة إلى الله عزّوجلّ، وليست إلى الحياة الدّنيا المتزعزعة المزعزعة بأهلها الرّاكين إليها، فلاتضطرب بهم في الهوّاة إضطراب الأرشية في الطوي البعيدة

كأهل الدّنيا المضطربين فيها، المتأرجحين بها، وإنّ أهل الله جلّ وعلا لا يحسبون في حياتهم حساباً لأحد سوى الله، فهو هو الميزان الوحيد لهم في كافّة الموازين والحسابات...

قال الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون» الأحقاف: ١٣)

وقال: «فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك» هود: ١١٢)

وقال: «قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتّبعانّ سبيل الّذين لا يعلمون» يونس: ٨٩)

وقال: «فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون ـ ولمّا برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» البقرة: ٣٨ و٢٥٠)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصّابرين» الأنفال: ٤٥-٤٦)

وقال: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ـ الّذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم واتّقوا أجرعظيم الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ـ يا أيّها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون» آل عمران: ١٣٩ و١٧٢ - ١٧٣ و٢٠٠)

وقال: «فلاتهنوا وتدعوا إلى السّلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣٥)

وقال: «ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها» التّوبة: ٢٥)

وقال: «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون» الحجرات: ١٥)

وقال: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادته إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون الّذين يقيمون الصّلاة وممّا رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربّهم ومغفرة ورزق كريم» الأنفال: ٢-٤)

وقال: «فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون - الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» الأنعام: ٤٨و٨٢).

وقال: «ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً» طه: ١١٢)

وقال: «فمن يؤمن بربّه فلا يخاف بَخْساً ولا رَهقاً» الجنّ: ١٣)

وقال: «فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم» المائدة: ٥٤)

ولا يخفى على القارئ الخبير: أنّ الإستقامة ليست في الله تعالى بعد قولهم: «ربّنا الله» دونما فصل أو شرط، بل هنا الإيمان الرّاسخ في الوسط، تثبت فيه هذه المقالة المؤمنة وترسخ، ومن ثمّ الإستقامة في نفس الإيمان، ثمّ تتحوّل إلى الإستقامة في الله جلّ وعلا بكافّة زوايا الحياة كما وتوحي لهذه الوسائط «ثمّ» فانّها للتّراخي، فمعنى قوله عزّوجلّ: «ثم استقاموا»: تطلّبوا القوم على «ربّنا الله» حتّى وكأنّهم أصبحوا بذواتهم وصفاتهم وأفعالهم وأقوالهم وأخلاقهم وأحوالهم «ربّنا الله».

فكلمة «ثمّ» بعد قوله الحقّ: «ربّنا الله» تضرب في أعماق الحياة كلّها غوراً بعيداً وسفراً غريباً يحمل معه فيه «ربّنا الله» يجعله زاده في وعثآء السّفر، فليست الإستقامة أمراً واحداً تتفرّع على قولتها كدلالة اللفظ على معناه، وإنّما درجاتها المتتابعة الّتي تحصل تلوبعض، وينتج بعضها البعض إعداد البعض للبعض، فاستعداد الآخر لما يتلوه، إعدادات وإستعدادات في محاولات دآئبة قلباً وقالباً، ظاهراً و باطناً، فرداً ومجتمعاً، وفي كافّة معارك الحياة المتنازعة، فلا يتغيّر لونه عن «ربّنا الله» ولا كونه عن «ربّنا الله» وإنما يغيرّ غيره إلى «ربّنا الله» فليست هي إذاً لفظة تلفظها الشّفاه ولا عقيدة سلبيّة بعيدة عن واقعيّات الحياة وبيّناتها...

وهذا هو المؤمن حقّاً لا يخاف بخساً ولا رهقاً ولا ظلماً ولا هضماً، وقد قال فيه

الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «إنّ المؤمن أشدّ من زبر الحديد، إنّ زبر الحديد إذا دخل النّار تغيّر، وإنّ المؤمن لو قتل ثمّ نشر ثمّ قتل لم يتغيّر قلبه»

ثمّ الزّاد في الإستقامة على الطّريقة المثلى ليستقوا مآء غدقاً: «وأن لو استقاموا على الطّريقة لأسقيناهم مآء غدقاً» الجن:١٦) هو ذكر الله جلّ وعلا وأهله، وهو القرآن الكريم وطريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «إن هو إلّا ذكر للعالمين لمن شآء منكم أن يستقيم» التّكوير:٢٨) «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون» المآئدة: ٣٥) إستقامة إلى الله جلّ وعلا: «إنّما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه» فصّلت:٦) لإستقامة الحياة مع الله: «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩) وفي الدّعوة إلى الله تعالى: «فلذلك فادع واستقم كما أُمرت» الشّورى: ١٥)

فالقآئلون ربّنا الله جلّ وعلا، المؤمنون بالله تعالى حقاً، المستقيمون لله وإلى الله، هم الصّفوة المختارة بين عباد الله تعالى كالجبال الرّاسخة: لا تحرّكهم العاصفة، ولا تزيلهم القاصفة، وهم الّذين تتنزّل عليهم الملآئكة في هذه الحياة الدّنيا، وحين الموت وفي القبر مهما كانوا في ذلك درجات... كما المتزعزعون دركات، الّذين لو شهدوا بـ «ربّنا الله» فلاتتعدّى شفاههم إلى عقولهم، أو منها إلى قلوبهم، أو منها إلى أقوالهم وأعمالهم... فلاترى آثار هذه القولة الكريمة في شيءٍ من حياتهم... فشفاههم ـ إذاً ـ جوفآء، وقلوبهم مقلوبة خاوية هباء، فقولتهم منافقة خواء، والله جلّ وعلا منهم برآء.

فالقآئل «ربّنا الله» دون اعتقاد، منافق في الله تعالى: «يا أيّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» المآئدة: ٤١)، ثمّ قائلها دون إستقامة رغم الإعتقاد أخفّ نفاقاً، فقد بلغ أدنى درجات الإيمان، ثمّ قائلها مع استقامة في أيّة مرحلة ومدرجة أكمل إيماناً حسب الدّرجات، حتّى يستوفي درجات الإستقامة كلّها... ويتعالى عن دركات الفشل والإنحطاط، واللاّ إستقامة كلّ الدّركات، فهناك العصمة غير الكاملة حتّى يعصم الله تعالى، وهنالك العصمة الكاملة لو عصم الله عزّوجلّ، وهي أيضاً درجات... فعلى أهل العصمة النّاقصة،

والعصمة الكاملة تتنزّل الملائكة حسب درجاتهم... فيختلف تنزّلاتهم بالإختلاف درجات الإيمان والإستقامة، فقد يرونهم ويسمعونهم كالرّعيل الأعلى وهم الأئمّة الهداة أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين أو يسمعونهم ولا يرونهم كمن حذى حذوهم من المخلصين، أو يلهمون دون سماع ولا رؤية كالمؤمنين المتوسّطين...

فالقآئون «ربّنا الله» المستقيمون في الله جلّ وعلا «اولئك أصحاب الجنّة خالدين فيها جزآء بما كانوا يعملون» لا بما يقولون، فانّ القآئلين «ربّنا الله» كثيرون، والعاملين قليلون، فانّما القآئلون العاملون أعمالاً في قلوبهم ثمّ إعمالاً لها في قوالبهم، أعمالاً قلبيّة وقالبيّة بمراتبها: «ولكلّ درجات ممّا عملوا وما ربّك بغافل عمّا يعملون» الأنعام: ۱۳۲) «ولكلّ درجات ممّا عملوا وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» الأحقاف: ۱۹) «فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القآئدين درجة وكلاً وعدالله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً» النسآء: ۹۵)

﴿ الإيمان والإستقامة ﴾

واعلم أنّ من أهمّ علآئم الإيمان صدقا، ومن آثاره حقاً هو استقامة المؤمن في طريق كماله الإنساني، وصلابته في دينه.

في الخصال: باب خمسين خصلة من صفات المؤمن - عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «صفة المؤمن قوّة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحِرصٌ في فقه، ونشاط في هدى، وبرّ في استقامة، و إغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخآء في حق، وقصدٌ في غنًى، وتجمّل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، و ورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدّة، وفي الهزاهِز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرّخآء شكور، لا يغتاب ولا يتكبر ولا يبغي، وإن بُغِيَ عليه صبر، ولا يقطع الرّحم، وليس بواهن ولا فظّ ولا غليظ، ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسد النّاس، ولا يفتر ولا يبذر ولا يسرف، بل يقصد، ينصر المظلوم، و يرحم المساكين، نفسه منه في عنآءٍ والنّاس منه في راحة، لا يرغب في عزّ الدّنيا، ولا يجزع من ألمها، للنّاس همّ قد أقبلوا عليه، وله همّ قد شغله، لا يرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده، ويكيع عن الباطل والخنى والجهل، فهذه صفة المؤمن».

قوله عليه السّلام: «ولا في دينه ضياع» أي دينه متين لا يضيع بالشّكوك والشّبهات ولا بارتكاب المعاصي ...

وقوله عليه السّلام: «يكيع» من كاع منه: جبن عنه وهابه.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «العمل العمل، ثمّ النّهاية النّهاية، والإستقامة الإستقامة، ثمّ الصّبر الصّبر، والورع الورع، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإنّ لكم علماً فاهتدوا بعلمكم، وإنّ للإسلام غاية فانتهوا إلى غايته، واخرجوا إلى الله ممّا افترض عليكم من حقّه، وبيّن لكم من وظآئفه، أنا شاهد لكم، وحجيج يوم القيامة عنكم.

ألا وإنّ القَدَرَ السّابق قدوقع، والقضآء الماضي قد تورّد، وإنّي متكلّم بعدة الله وحجّته، قال الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون»

وقد قلتم: ربّنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فانّ أهل المروق منقطع بهم عندالله يوم القيامة، ثمّ إيّاكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها، واجعلوا اللّسان واحداً، وليخزن الرّجل لسانه، فإنّ هذا اللّسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتّقي تقوى تنفعه حتّى يخزن لسانه، وإنّ لسان المؤمن من ورآء قلبه، وإنّ قلب المنافق من ورآء لسانه لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبّره في نفسه، فإن كان خيراً أبداه، وإن كان شرّاً واراه، وإنّ المنافق يتكلّم بما أتى على لسانه، لا يدري ماذا له وماذا عليه!

ولقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه».

فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه وهو نقيّ الرّاحة من دمآء المسلمين وأموالهم، سليم اللّسان من أعراضهم فليَفْعَلْ»

قوله عليه السّلام: «العمل العمل»: ألزموا **العمل الصّالح** بعد الإيمان، ثمّ أمرهم بمراعاة العاقبة والخاتمة، وقدعبّر عنها بـ «النّهاية» وهي آخر أحوال المكلّف الّتي يفارق الدّنيا عليها، مؤمناً كان أو كافراً أو فاسقاً، والمعنى: راعوا واحسنوا وأصلحوا ونحو ذلك، ثمّ أمرهم بالإستقامة في أدآء تكاليفهم ورشد إستعدادهم ونيلهم بكمالهم الإنساني، ثمّ أمرهم بالصّبر عليها وملازمته، وبملازمة الورع، ثمّ أخذ ـ بعد الإجمال ـ بذكر تفصيله،

فقال: «إنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وهذا من كلام النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال: «أيّها النّاس! إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإنّ لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم» والمراد بالنّهاية والغاية أن يموت الإنسان على توبة من الكفر والعصيان، من البغي والعدوان، ومن الظّلم والطّغيان...

ثمّ أمرهم الإمام عليّ عليه السّلام بالإهتداء بالعَلَم المنصوب من الله جلّ وعلا لهم، وإنّما يعني نفسه عليه السّلام كما أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإهتداء بالمعالم المنصوبين من الله تعالى لهم وهم اثنى عشر إماماً أوّلهم عليّ وآخرهم المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته. ثمّ ذكر أنّ للإسلام غاية، وأمرهم بالإنتهآء إليها، وهي أدآء الواجبات وترك المحرّمات... ثمّ أوضح ذلك بقوله: «واخرجوا إلى الله ممّا افترض عليكم من حقّه، وبيّن لكم من وظآئفه» فكشف بهذا الكلام معنى الغاية الّتي أجملها أوّلاً، ثمّ ذكر أنّه شاهد لهم ومحاجّ يوم القيامة عنهم، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: «يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم» الإسرآء: ٧١).

وقوله عليه السّلام: «حجيج» فعيل بمعنى فاعل، وإنّما سمّى نفسه حجيجاً عنهم، وإن لم يكن ذلك الموقف موقف محاجّة لأنّه إذا شهد لهم، فكأنّه أثبت لهم الحجّة، فصار محاجّاً عنهم.

وقوله عليه السّلام: «ألا وإنّ القَدَر السّابق قد وقع» يشير به إلى خلافته. وهذه الخطبة من أوائل الخطب الّتي خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان، وفي هذا إشارة إلى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أخبره أنّ الأمر سيفضى إليه منتهى عمره وعند انقضآء أجله، ثمّ أخبرهم أنّه سيتكلّم بوعد الله عزّوجلّ ومحجّته على عباده في قوله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ إستقاموا...» وقد فسّر الإمام علي عليه السّلام الإستقامة المشترطة في الآية فقال: قد أقررتم بأنّ الله ربّكم فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره وعلى الطّريقة الصّالحة من عبادته.

وقوله عليه السّلام: «ولا تبتدعوا فيها» أي لا تحدّثوا مالم يأت به الكتاب والسّنّة.

و«لا تخالفوا عنها» من خالفت عن الطّريق أي عدلت عنها.

وقوله عليه السّلام: «وتهزيع الأخلاق» أي تغييرها و«اجعلوا اللسان واحداً» نهي عن النّفاق وإستعمال الوجهين، و«ليخزن الرّجل لسانه»: ليحبسه، ثمّ ذكر أنّه لا يرى التّقوى نافعة إلّا مع حبس اللسان.

وفي الكافي: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «المؤمن أصلب من الجبل، والجبل يُستقلّ منه، والمؤمن لا يستقلّ من دينه شيء» «يستقل» من القلة أي لا ينقص.

وفي تحف العقول: ـ في وصيّة الإمام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليهما السّلام لجابر بن يزيد الجعفي ـ: «واعلم بأنّك لا تكون لنا وليّاً حتّى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنّك رجل صالح لم يسرّك ذلك، ولكن أعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه، خآئفاً من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنّه لا يضرّك ماقيل فيك وإن كنت مبآئناً للقرآن فماذا الّذي يغرّك من نفسك ...» الحديث

﴿ الشيعة والإستقامة ﴾

وقدوردت روايات كثيرة بأسانيد صحيحة: أنّ المراد بالإستقامة بعد الإقرار بوحدانيّة الله عزّوجلّ، والإعتراف بربوبيّته، والإيمان برسالة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الإستقامة على الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وذلك أنّ التّوحيد حصن لمن دخل فيه والرّسالة طريق إليه، والولاية حفيظه، وأنّ الحصن من دون الحفيظ في معرض تهاجم الأعداء عليه، فلايكون الملتجأون إليه مصونين منه، ولذلك كان كمال الدّين الإسلامي، وتمام النّعمة على المسلمين وتبليغ الرّسالة متوقّفة على الولاية إذ قال الله جلّ وعلا: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و٦٧).

فمن اعترف بالتّوحيد، فلابدّ وأن يستقيم على الولاية، وإلّا فما كان توحيده توحيداً جدّاً وإن قال: «ربّنا الله» كما كان يقول أبوسفيان ومعاوية ويزيد وابن ملجم وشمربن ذي الجوشن وعمربن سعد وأسلافهم وأخلافهم عليهم الهاوية والنّيران...

في اصول الكافي: باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» فقال أبوعبدالله عليه السّلام: استقاموا على الأئمّة واحد (واحداً خ) بعد واحد «تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون»

وفيه: عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «وأن لو استقاموا على الطّريقة

لأسقيناهم مآء غدقاً» قال: يعني لو استقاموا على ولاية عليّ بن أبيطالب أميرالمؤمنين والأوصيآء من ولده عليهم السّلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم مآء غدقاً يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطّريقة هي الإيمان بولاية عليّ والأوصيآء عليهم السّلام.

وفي بصآئر الدّرجات: بإسناده عن أبي بصير قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي توعدون» قال: هم الأئمّة من آل محمّد».

وفي البحار: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» يقول: إستكملوا طاعة الله ورسوله و ولاية آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ استقاموا عليها»

وفي كنزالفوائد: بالإسناد عن أبي بصيرقال: سئلت أباجعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» قال: هو والله ما أنتم عليه، وهو قوله تعالى: «وأن لو استقاموا على الطّريقة لأسقيناهم ماء غدقاً»

وفي المجمع: وروى محمّد بن الفضيل قال: سئلت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام عن الإستقامة قال: هي والله ما أنتم عليه.

وفي الكنز: بالإسناد عن سماعة قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول في قول الله عزّوجلّ: «وأن لواستقاموا على الطّريقة لأسقيناهم مآء غدقاً» يعني استقاموا على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله الميثاق على ذرّيّة آدم «لأسقيناهم مآء غدقاً» يعني لأسقيناهم من المآءِ الفرات العذب»

وفيه: بالإسناد عن بريد العجلي قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «وأن لو استقاموا على الطّريقة» قال: يعنى على الولاية «لأسقيناهم مآء غدقاً» قال: لأذقناهم علماً كثيراً يتعلّمونه من الأئمّة عليهم السّلام قلت: قوله: «لنفتنهم فيه»؟ قال: إنّما هؤلآء يفتنهم فيه يعني المنافقين»

وفيه: بالإسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله عزّوجلّ: «وأن لو استقاموا على الطّريقة لأسقيناهم مآء غدقاً لنفتنهم فيه» قال: قال الله: لجعلنا أظلّتهم

في المآء العذب لنفتنهم فيه، وفتنتهم في عليّ عليه السّلام وما فتنوا فيه وكفروا إلّا بما نزّل في ولايته»

وفي تفسير الفرات الكوفي: بإسناده عن أبي مريم قال: سمعت أبان بن تغلب يسئل جعفراً عليه السّلام عن قول الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ إستقاموا» قال: استقاموا على ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام

وفي بصآئر الدّرجات: بالإسناد عن أبي اليسع قال: دخل حمران بن أعين على أبي جعفر عليه السّلام وقال له: جعلت فداك يبلغنا أنّ الملائكة تنزّل عليكم؟ فقال: إنّ الملائكة والله لتنزّل علينا وتطأفرشنا، أما تقرأ كتاب الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون»

وفي البحار: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه ـ بعد نقل هذا الخبر ـ: هذا الخبر وغيره يدلّ على أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيهم عليهم السّلام، وأنّ المراد بالإستقامة إطاعته تعالى في كلّ ما امرو نهى، وعدم الميل عن سبيل حبّه ورضاه إلى التوجّة إلى من سواه، وأنّ نزول الملائكة عليهم في الدّنيا أو فيها وفي الآخرة معاً، وقد مرّ في باب ـ ٢٥ ج٢٤ ص٢٥ ـ ٣٠ ـ أنّ الإستقامة إنّما هي على الولاية أخبار جمّة في أنّها نزلت في شيعتهم وأنّ المراد بالإستقامة عدم الخروج عن الولاية، وأنّ نزول الملائكة وبشارتهم إنّما هي عند الموت وفي القبر وعند البعث، ولا تنافي بينهما لتعدّد البطون بل كلّ منهما مراد منها» إنتهى كلامه

وفي بصآئر الدّرجات: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام عن قول الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا» قال: هم الأئمة، ويجري فيمن استقام من شيعتنا وسلّم لأمرنا، وكتم حديثنا عند عدوّنا، فتستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنّة، وقد والله مضى أقوام كانوا على مثل ما أنتم عليه من الدّين، فاستقاموا وسلّموا لأمرنا وكتموا حديثنا، ولم يذيعوه عند عدوّنا، ولم يشكّوا كما شككتم، فاستقبلهم الملائكة بالبشرى من الله بالجنّة»

وفي الخصال: بإسناده عن جابر بن سمرة قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تزال هذه الأمّة مستقيماً أمرها، ظاهرة على عدوّها حتّى يمضي اثناعشر خليفة كلّهم من قريش، فأتيته في منزله قلت: ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ الهرج»

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كَذِباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى، إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لايقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد ولايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصآئص حقّ الولاية، وفيهم الوصيّة والوراثة»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، ويفجرّون عيونه، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بالمحبّة، ويتساقون بكأس رويّة، ويصدرون بريّة لا تشوبهم الرّيبة، ولا تسرع فيهم الغيبة، على ذلك عَقَدَ خَلْقَهم وأخلاقهم، فعليه يتحابّون، وبه يتواصلون»

في تفسير مفاتيح الغيب قال الفخر الرّازى ـ في مسئلة الجهر ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم ـ ما لفظه: «ومن اتّخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثق في دينه ونفسه».

﴿أبوذر الغفاري اسوة الصّلابة في الدين، والإستقامة في الولاية﴾

قال الله عزّوجلّ: «الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتّبعوا رضوان الله والله ذوفضل عظيم إنّما ذلكم الشّيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٧٣-١٧٥)

وقال: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السّلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم إنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسئلكم أموالكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣٥ - ٣٦)

ومن المعلوم والبداهة عند كلّ مَن له طيب الولادة: أنّ أباذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه كان هو من أظهر مصاديق الآيات الكريمة، ومن أقوى هؤلآء المؤمنين المتصلّبين في دين الله جلّ وعلا والمستقيمين على ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والرّافضين الطّواغيت... وهو أسوة الصّلابة والإستقامة ورفض الطّواغيت للمؤمنين كافّة، وللعلمآء ودعاة الدّين خاصّة في كلّ ظرف إلّا من كان يريد الحياة الدّنيا وشهواتها و يؤثرها على الآخرة.

في البحار: بالإسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال: «دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أباذر وسلمان والمقداد فقال لهم: تعرفون شرائع الإسلام وشروطه؟ قالوا: نعرف ماعرّفنا الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: هي والله أكثر من أن تحصى، أشهدوني (أشهدوا خ) على أنفسكم، وكفى بالله شهيداً وملائكته عليكم

شهوداً، بشهادة أن لا إله إلّا الله مخلصاً لا شريك له في سلطانه، ولا نظير له في ملكه، وأنّي رسول الله بعثني بالحقّ، وأنّ القرآن إمام من الله وحكم عدل، وأنّ القبلة (وأنّ قبلتي خ) شطر المسجد الحرام لكم قبلة، وأنّ عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميرالمؤمنين ومولاهم، وأنّ حقّه من الله مفروض واجب، وطاعته طاعة الله ورسوله والأئمّة من ولده، وأنّ مودّة أهل بيتي (أهل بيته خ) مفروضة واجبة على كلّ مؤمن ومؤمنة، مع إقامة الصّلاة لوقتها، وإخراج الزّكاة من حلّها و وضعها في أهلها، وإخراج الخمس من كلّ ما يملكه أحد من النّاس حتّى يرفعه (يدفعه خ) إلى وليّ المؤمنين وأميرهم، وبعده إلى ولده (ومن بعده من الأئمّة من ولده خ)

فمن عجز ولم يقدر إلّا على اليسير من المال فليدفع ذلك إلى الضّعفآء من أهل بيتي من ولد الأئمّة، فان لم يقدر فلشيعتهم ممّن لا يأكل بهم النّاس، ولا يريد بهم إلّا الله، وما وجب عليهم من حقّي، والعدل في الرّعيّة، والقسم بالسّويّة، والقول بالحقّ، وأن يحكم بالكتاب على ما عمل عليه أميرالمؤمنين عليه السّلام وبالفرآئض (والفرآئض خ) على كتاب الله وأحكامه، وإطعام الطّعام على حبّه، وحجّ البيت والجهاد في سبيل الله وصوم شهر رمضان، وغسل الجنابة والوضوء الكامل على اليدين والوجه والذّراعين إلى المرافق، والمسح على الرّأس والقدمين إلى الكعبين، لا على خفّ ولا على خمار ولا على عمامة.

والحبّ لأهل بيتي في الله، وحب شيعتهم لهم، والبغض لأعدآئهم وبغض من والاهم، والعداوة في الله وله، والإيمان بالقَدَر: خيره وشرّه وحلوه ومرّه وعلى أن يحلّلوا حلال القرآن ويحرّموا حرامه، ويعملوا بالأحكام ويردّوا المتشابه إلى أهله، فمن عمي عليه من علمه شيء لم يكن علمه منّي ولا سمعه، فعليه بعليّ بن أبيطالب عليه السّلام فإنّه قد علم كما (كلّ خ) ماقد علمته ظاهره وباطنه، ومحكمه ومتشابهه، وهويقاتل على تأويله كما قاتلت (قاتل خ) على تنزيله وموالاة أوليآء الله: محمّد وذرّيّته الأئمّة (والأئمّة خ) خاصّة ويتوالي من والاهم وشايعهم، والبرآءة والعداوة لمن عاداهم وشاقّهم كعداوة الشّيطان الرّجيم والبراءة ممّن شايعهم وتابعهم.

والإستقامة على طريقة الإمام عليه السّلام واعلموا أنّي لا أُقدّم على عليّ عليه السّلام أحداً فمن تقدّمه فهو ظالم، والبيعة بعدي لغيره ضلالة وفلتة وذلّة: الأوّل ثمّ الثّاني ثمّ الثّالث و ويل للرّابع، ثمّ الويل له، و ويل له ولأبيه مع ويل لمن كان قبله، و ويل لهما ولأصحابهما (لصاحبهما خ) لاغفر الله لهما.

فهذه شروط الإسلام وما بقي أكثر، قالوا: سمعنا وأطعنا وقبلنا وصدّقنا، ونقول مثل ذلك، ونشهد لك على أنفسنا بالرّضا به أبداً حتّى نقدم عليك آمنّا بسرّهم وعلا نيتهم ورضينا بهم أئمّة وهداة وموالى، قال: وأنا معكم شهيد ثمّ قال: نعم وتشهدون أنّ الجنّة حقّ وهي محرّمة على الخلآئق حتّى أدخلها، قالوا: نعم، قال: وتشهدون أنّ النّار حقّ، وهي محرّمة على الكافرين حتّى يدخلها أعدآء أهل بيتي والنّاصبون لهم حرباً وعداوة، ولا عنهم ومبغضهم وقاتلهم (وأنّ لا عنيهم ومبغضيهم وقاتليهم خ) كمن لعنني أو أبغضني أو قاتلني وهم في النّار قالوا: شهدنا وعلى ذلك أقررنا، قال: وتشهدون أنّ عليّاً صاحب حوضي، والذآئد عنه وهو قسيم النّار يقول: ذلك لك فاقبضه (فاقبضيه خ) ذميماً، وهذا لي فلا تقربنّه (فلا تقربيه خ) فينجو سليماً، قالوا: شهدنا على ذلك ونؤمن به قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: وأنا على ذلك شهيد»

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يقول: ذلك لك» أي يقول عليّ عليه السّلام للنّار: ذلك لك

وفي الإحتجاج: بالإسناد عن أبي محمّد العسكريّ عليه السّلام قال: «قدم جماعة فاستأذنوا على الرّضا عليه السّلام وقالوا: نحن من شيعة عليّ عليه السّلام فمنعهم أيّاماً، ثمّ لمّا دخلوا قال لهم: ويحكم إنّما شيعة أميرالمؤمنين الحسن والحسين وسلمان وأبوذر والمقداد وعمّار ومحمّد بن أبي بكر الّذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره»

وفي رجال الكشّي: بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له، ومعهما مأتا دينار، فقال لهما: إنطلقا إلى أبي ذرّ فقولا له: إنّ عثمان يقرئك السّلام، ويقول لك: هذه مأتا دينار فاستعن بها على ما نابك، فقال أبوذرّ: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا، قال: إنّما أنا رجل

من المسلمين يسعني مايسع المسلمين، قالا له: إنّه يقول: هذا من صلب مالي، وبالله الّذي لا إله إلّا هو ماخالطها حرام، ولا بعث (بعثت خ) بها إليك إلّا من حلال، فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغني النّاس فقالا له: عافاك الله وأصلحك مانرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً ممّا تستمتع به فقال:

بلى تحت هذا الأكاف الّذي ترون رغيفاً شعير قد أتى عليهما أيّام، فما أصنع بهذه الدّنانير؟ لا والله حتّى يعلم الله أنّي لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنيّاً بولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وعترته الهادين المهديّين الرّاضين المرضييّن، الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وكذلك سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «فإنّه لقبيح بالشّيخ أن يكون كذّاباً» فردّاها عليه وأعلماه أنّي لا حاجة لي فيها، ولا فيما عنده حتّى ألقى الله ربّي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه»

وفي مجالس المفيد: باسناده عن أبي جهضم الأزديّ عن أبيه قال: لمّا أخرج عثمان أباذر الغفارى رحمه الله من المدينة إلى الشّام كان يقوم في كلّ يوم فيعظ النّاس ويأمرهم بالتمسّك بطاعة الله، ويحذّرهم من إرتكاب معاصيه، ويروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ماسمعه منه في فضآئل أهل بيته عليه وعليهم السّلام ويحضّهم على التمسّك بعترته، فكتب معاوية إلى عثمان:

«أمّا بعد فإنّ أباذر يصبح إذا أصبح ويمسي إذا أمسى وجماعة من النّاس كثيرة عنده فيقول: كيت وكيت، فإن كان لك حاجة في الناس قبلي فأقدم أباذرّ إليك فإنّي أخاف أن يفسد النّاس عليك والسّلام».

فكتب إليه عثمان: «أمّا بعد فاشخص إليّ أباذرّ حين تنظر في كتابي هذا والسّلام». فبعث معاوية إلى أبي ذرّ فدعاه وأقرأه كتاب عثمان، وقال له: النّجا السّاعة فخرج أبوذرّ إلى راحلته فشدّها بكورها وأنساعها، فاجتمع إليه النّاس، فقالوا له: يا باذرّ رحمك الله أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضباً عليّ، وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثاً بي، ولا يزال هذا الأمر فيما أرى شأنهم فيما بيني وبينهم حتّى يستريح برّاً ويستراح من فاجر، ومضى وسمع النّاس بمخرجه فاتّبعوه حتّى خرج من دمشق،

فساروا معه حتّى انتهى إلى دير المرّان، فنزل ونزل معه النّاس فاستقدم فصلّى بهم، ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّي موصيكم بما ينفعكم، وتارك الخطب والتّشقيق، احمدوا الله عزّوجلّ قالوا: الحمدلله، قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فأجابوه بمثل ماقال، فقال: أشهد أن البعث حقّ، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ النّار حقّ، وأقرّ بما جآء من عند الله، واشهدوا عليّ بذلك، قالوا: نحن على ذلك من الشّاهدين، قال: ليبشّر من مات منكم على هذه الخصال برحمة الله وكرامته مالم يكن للمجرمين ظهيراً، ولا لأعمال الظّلمة مصلحاً ولا لهم معيناً.

أيّها النّاس أجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله عزّوجلّ إذا عصى في الأرض، ولا ترضوا أئمّتكم بسخط الله وإن (إذا خ) أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم، وازرؤا عليهم، وإن عذّبتم وحرّمتم وسيّرتم حتّى يرضى الله عزّوجلّ: فإنّ الله أعلى وأجلّ لا ينبغي أن يسخط برضا المخلوقين، غفرالله لي ولكم، أستود عكم الله وأقرأ عليكم السّلام ورحمة الله، فناداه النّاس أن: سلّم الله عليك ورحمك يا باذرّ يا صاحب رسول الله، ألا نردّك إن كان هؤلآء القوم أخرجوك؟ ألا نمنعك؟ (إنّا لا نردّك إن كان هؤلآء القوم أخرجوك ولا نمنعك خ) فقال لهم: إرجعوا رحمكم الله فإنّي أصبر منكم على البلوى، وإيّاكم والفرقة والإختلاف.

فمضى حتّى قدم على عثمان، فلمّا دخل عليه قال له: لا قرّب الله بعمر وعيناً، فقال أبوذرّ: والله ماسمّاني أبواي عمرواً ولكن لا قرّب الله من عصاه وخالف أمره وارتكب هواه، فقام إليه كعب الأحبار، فقال له: ألا تتّقي الله يا شيخ تجبه (وتجيب خ) أميرالمؤمنين بهذا الكلام؟ فرفع أبوذرّعصا كانت في يده فضرب بها راس كعب، ثمّ قال له: يا ابن اليهوديّين ما كلامك مع المسلمين؟ فوالله ماخرجت اليهوديّة من قلبك بعد.

فقال عثمان: والله لا جمعتني وإيّاك دار، قد خرفت وذهب عقلك، أخرجوه من بين يديّ حتّى تركبوه قتب ناقته بغير وطاء ثمّ انجوا به النّاقة وتعتعوه حتّى توصلوه الرّبذة، فنزّلوه بها من غير أنيس، حتّى يقضي الله فيه ماهو قاض، فأخرجوه متعتّعاً

ملهوزاً (موهوناً خ) بالعصيّ، وتقدّم ألّا يشيّعه أحد من النّاس، فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فبكى حتّى بلّ لحيته بدموعه، ثمّ قال: أهكذي يصنع بصاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثمّ نهض ومعه الحسن والحسين عليهم السّلام وعبدالله بن العبّاس والفضل وقثم وعبيد الله حتّى لحقوا أباذرّ فشيّعوه فلمّا بصر بهم أبوذرّ رحمه الله حنّ إليهم وبكى عليهم، وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشملتني البركة برؤيتها، ثمّ رفع يديه إلى السّماء وقال: اللّهمّ إنّي أُحبّهم، ولوقطعت إرباً إرباً في محبّتهم مازلت عنها ابتغآء وجهك، والدّار الآخرة فارجعوا رحمكم الله والله أسئل الله أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة، فودّعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه»

قوله: «بكورها»: برحلها، و«أنساعها» جمع النّسع ـ بالكسر ـ وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنّة البغال، تشدّ به الرّحال، و«التّشفيق» من شقّق الكلام: أخرجه أحسن مخرج، و«ازرؤا عليهم» من زرئ عليه: عابه، و«انجوا»: اسرعوا، و«تعتعوه» من تعتعه: أقلقه وأزعجه، و«ملهوزاً» اللهز: الضّرب بجميع اليد في الصّدر.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام لأبي ذرّ رحمه الله لمّا أُخرج إلى الرّبذة: «يا أباذرّ إنّك غضبت لله فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ماخافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى مامنعتهم، وما أغناك عمّا منعوك! وستعلم مَنِ الرّابح غداً والأكثر حُسَّداً، ولو أنّ السّموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسنّك إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل، فلوقبلتَ دنياهم لأحبّوك، ولوقرضتَ منها لأمِنُوك»

في شرح إبن أبي الحديد: قال: «لمّا أُخرج أبوذرّ إلى الرّبذة أمر عثمان، فنودي في النّاس ألّا يكلّم أحد أباذرّ ولا يشيّعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحاماه النّاس إلّا عليّ إبن أبيطالب عليه السّلام وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السّلام وعمّاراً فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السّلام يكلّم أباذر فقال له

مروان: ايهاً يا حسن! ألا تعلم أنّ أميرالمؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرّجل! فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل عليّ عليه السّلام على مروان فضرب بالسّوط بين أُذُنَي راحلته، وقال: تنحّ لحاك الله إلى النّار! فرجع مروان مغضباً إلى عثمان، فأخبره الخبر، فتلظّى على عليّ عليه السّلام و وقف أبوذر فودّعه القوم ومعه ذكوان مولى امّ هانئ بنت أبيطالب»

وفي روضة الكافي: بإسناده عن أبي جعفر الخثعميّ قال: قال: «لمّا سيّر عثمان أباذرّ إلى الرّبذة شيّعهُ أميرالمؤمنين عليه السّلام وعقيل والحسن والحسين عليهما السّلام وعمّار بن ياسر رضي الله عنه، فلمّا كان عند الوداع قال امير المؤمنين عليه السّلام: «يا أباذرّ إنّك إنّما غضبت لله عزّوجلّ فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فارحلوك عن الفنآء وامتحنوك بالبلآء و والله لوكانت السّموات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتّقى الله عزّوجلّ جعل له منها مخرجاً فلا يؤنسك إلّا الحقّ ولا يوحشك إلّا الباطل».

ثمّ تكلّم عقيل فقال: يا أباذرّ أنت تعلم أنّا نحبّك، ونحن نعلم أنّك تحبّنا، وأنت قد حفظت فينا ماضيّع النّاس إلّا القليل، فثوابك على الله عزّوجلّ ولذلك أخرجك المخرجون، وسيّرك المسيّرون، فثوابك على الله عزّوجلّ فاتق الله واعلم أنّ إستعفاءك البلآء من الجزع، واستبطآءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السّلام فقال: يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى، وإنّ الله عزّوجلّ بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدّنيا بذكر فراقها وشدّة ما يرد عليك لرخآء ما بعدها واصبر حتّى تلقى نبيّك صلّى الله عليه وآله وسلّم وهوعنك راضٍ إن شآء الله.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السّلام فقال: يا عمّاه إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغيّر ما ترى وهو كلّ يوم في شأن إنّ القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عمّا منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصّبر فإنّ الخير في الصّبر، والصّبر من الكرم، ودع الجزع، فإنّ الجزع لا يغنيك.

ثمّ تكلّم عمّار رضي الله عنه فقال: يا أباذر أوحش الله من أوحشك، وأخاف من أخافك، إنّه والله مامنع النّاس أن يقولوا الحقّ إلّا الرّكون إلى الدّنيا والحبّ لها، ألا إنّما الطّاعة مع الجماعة والملك لمن غلب عليه، وإنّ هؤلآء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلّم أبوذرّ رضي الله عنه، فقال: عليكم السّلام ورحمة الله وبركاته بابّي وأمّي هذه الوجوه فإنّي إذا رأيتكم ذكرت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بكم ومالي بالمدينة شجن لأسكن غيركم (ومالي بالمدينة سَكَنٌ ولا شَجَنٌ غيركم خ) وإنّه ثقل على عثمان جواري بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشّام، فآلى أن يسيّرني إلى بلدة، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة، فزعم أنّه يخاف أن افسد على أخيه النّاس بالكوفة، وآلى بالله ليسيّرني إلى بلدة لا أرى فيها أنيساً ولا أسمع بها حسيساً، وإنّي والله ما أريد إلّا الله عزّوجلّ صاحباً، ومالي مع الله وحشة، حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين»

أقول: إنّ أباجعفر الخثعميّ هو محمّد بن حكيم من أصحاب أبي عبدالله وأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام، والخبر مضمر أو موقوف.

وروى مثله إبن أبي الحديد في الشرح عن ذكوان مولى أمّ هانئ بنت أبيطالب.

وأمّا الرّبذة فهي مدفن أبي ذرّ رضوان الله تعالى عليه قرب المدينة.

وقوله عليه السّلام: «فارحلوك عن الفنآء» فنآء الدّار: ما امتدّ من جوانبها، والمراد إمّا فناء دارهم أو دارك أو دار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله عليه السّلام: «بالمنظر الأعلى» أي إنّه تعالى يعلم بما يصدر عنهم وإنّه لا يعزب عن علمه شي ء من امورهم.

وقوله عليه السّلام: «وهو كلّ يوم في شأن» أي في خلق وتقدير وتغيير وقضآء حاجة، ودفع كربة، ورفع قوم و وضع آخرين، ورزق وتربية وسآئر مايتعلّق بقدرته وحكمته تعالى، والغرض تسلية أبي ذرّ بأنّه يمكن أن يتغيّر الحال.

وقوله رضي الله عنه: «إنّما الطّاعة مع الجماعة...» أي أن أكثر النّاس يزعمون أنّ

الطّاعة مع الجماعة وإن كانوا على الباطل، ويزعمون أنّ الملك لمن غلب عليه وكلاهما باطلان، حيث إنّ أكثر النّاس لا يعلمون ولا يؤمنون ولا يعقلون... ولو كان الحكم والملك لمن غلب عليه لكان فرعون وأضرا به حكّاماً على الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام.

وقول أبي ذرّ رحمة الله تعالى عليه: «شجن»: حاجة و«فآلى» أي حلف و«أن افسد على أخيه» يعني الوليد بن عقبه أخا عثمان بن عفان لامّه وكان عثمان ولاّه الكوفة، وقد ذكر الزمخشرى وغيره من حملة أسفار العامّة أن الوليد صلّى بالنّاس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً، وقال: هل أزيدكم.

أقول: أتكون هكذا الجماعة عند العامّة طاعة؟ ويد الله معها؟!

وفي الرّوضة: عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان رجل بالمدينة يدخل مسجد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: اللّهمّ آنس وحشتي وصل وحدتي، وارزقني جليساً صالحاً، فإذا هو برجل في أقصى المسجد فسلّم عليه، وقال له: مَن أنت يا عبدالله؟ فقال: أنا أبوذرّ فقال الرّجل: الله أكبر الله أكبر، فقال أبوذرّ: ولم تكبّر يا عبدالله؟ فقال: إنّي دخلت المسجد فدعوت الله عزّوجلّ أن يؤنس وحشتي وأن يصل وحدتي وأن يرزقني جليساً صالحاً، فقال له أبوذرّ: أنا أحقّ بالتّكبير منك إذا كنت ذلك الجليس، فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: أنا وأنتم على ترعة يوم القيامة حتّى يفرغ النّاس من الحساب، قم يا عبدالله فقد نهى السّلطان عن مجالستي»

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ترعة» أي باب، يقال فتح ترعة الدّار والرّوضة ومسيل المآء إلى الرّوضة ونهر عميق بين نهرين أو بحرين أو قطع أُخرى من المآء.

وقوله رضي الله عنه: «نهى السّطان» أي عثمان بن عفّان الغاصب الثّالث للخلافة.

لا يدرك الحقّ إلّا بالصّبر والإستقامة

ومن غير مرآءٍ: أنّه لا بدّ لكلّ طالب حقّ من الصّبر والإستقامة في سبيله، وإلّا فلا يدركه وإن كان معه عِدّة وعُدّة، وهذه سنّة جارية في كلّ ظرف، فعلينا البيان وإحقاق الحقّ بالصّبر والإستقامة إذ أخذ الله جلّ وعلا ميثاقنا على ذلك.

قال الله تعالى: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصّابرين ولمّا برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشآء» البقرة: ٢٤٩-٢٥١).

وقال: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لمّا أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبّ الصّابرين وما كان قولهم إلّا أن قالوا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين - سنلقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب» آل عمرآن: ١٣٩-١٥١)

وقال: «إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سالقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب - ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأنّ الله مع المؤمنين» الأنفال: ١٢-١٩)

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٧)

وقال: «وإذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه» آل عمران: ١٨٧)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة وهو دين الله الّذي أظهره وجنده الّذي أعدّه وأمدّه حتّى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع، ونحن على موعود من الله والله منجزٌ وعده وناصر جنده»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّها النّاس! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ النّاس قد اجتمعوا على مآئدة شبعها قصير، وجوعها طويل!! أيّها النّاس! إنّما يجمع النّاس الرّضا والسُّخْطُ، وإنّما عقرناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّاعمّوه بالرّضا، فقال سبحانه: «فعقروها فأصبحوا نادمين» فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السّكّة المحماة في الأرض الخوّارة.

أيّها النّاس! مَن سلك الطّريق الواضح ورد المآء، ومن خالف وقع في التّيه»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فآئزكم، وباضاعته يخسر مبطلكم، وبادروا آجالكم بأعمالكم، فانكم مرتهنون بما أسلفتم ومدينون بما قدّمتم» وقد ذمّ الإمام عليّ عليه السّلام مَن خالفه، وما استقام على دينه الحقّ على ما استقام أهل الباطل في باطلهم اتّباعاً لهواه فوقع في التّيه ما وقع وانحطّ ما انحطّ، وصار سبباً لا نحطاط المسلمين حتّى اليوم.

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «فيا عجباً عجباً!! والله يميت القلب ويجلب الهمّ إجتماع هؤلآء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقّكم، فقبحاً لكم وتَرَحاً حين صِرتم غَرَضاً يُرمى: يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزوْن ولا تَغزوْن، ويُعصَى الله وترضون، فاذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيّام الحرّ قلتم هذه حمارّةَ القيظ أمهلنا يُسَبَّخْ عنّا الحَرُّ، وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشّتآء قلتم هذه صبارّةَ القُرِّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد، كلّ هذا فرار من الحرّ والقُرّ، فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون فأنتم والله من السّيف أفرّيا أشباه الرّجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال...»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهوآؤهم، كلامكم يوهي الصّـمّ الصّلاب، وفعلكم يُطمِع فيكم الأعدآء، تقولون في المجالس: كيت وكيت، فاذا جآء القتال قلتم: حيدى حَياد، ماعَزَّتْ دعوةُ من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، دفاع ذي الدّين المطول، لا يمنع الضّيم الذّليل، ولا يدرك الحقّ إلاّ بالجدّ، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟»

وفيه: قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام: «أيّها الشّاهدة أبدانهم، الغآئبة عنهم عقولهم، المختلفة أهوآؤهم، المبتلى بهم أمرآؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشّام يعصي الله وهم يطيعونه! لوددتُ والله أنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «طبيبٌ دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه: من قلوب عُمْيٍ، وآذان صُمٍّ، وألسنةٍ بُكمٍ، متتبّعٌ بدوآئه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضوآءِ الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثّاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السّآئمة، والصّخور القاسية، قدانجابت السّرآئر لأهل البصائر، و وضحت محجّة الحقّ لخابطها، وأسفرت السّاعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسّمها، مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلاصلاح، وتجّاراً بلاأرباح، وأيقاظاً نُوَّماً، وشهوداً غُيّباً، وناظرة عميآء، وسامعة صمّآء، وناطقة بكمآء؟؟»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّتها النّفوس المختلفة، والقلوب المتشتّـة، الشّاهدة أبدانهم والغآئبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المِعْزىٰ من وَعْوَعَة الأسد! هيهات أن اطلع بكم سرار العدل أو أُقيم إعوجاج الحقّ.

اللّهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن الّذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحُطام، ولكنّ لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك ...»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّه لاغَنآءفي كثرة عددكم مع قلّة إجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطّريق الواضح الّتي لا يهلك عليها إلاّ هالك، من استقام فإلي الجنّة ومن زلّ فإلي النّار».

وفي رواية: «إنّ النّاس ينقسمون في جواز الصّراط سبعة أقسام: فيجوز أوّل قسم الرّجال والنّسآء كطرفة عين، والقسم الثّاني كالبرق الخاطف، والقسم الثّالث كالرّيح القاصف والقسم الرّابع كالطّير المجد، والقسم الخامس كالجواد في جريها، والقسم السّادس كالماشي، والقسم السّابع كالمهزول، فأمّا القسم الأوّل فهم أصحاب الصّدقات وقوام اللّيل والعلمآء يقدمونهم، والقسم الثّاني هم الّذين استقاموا على أدآءِ الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدّوها في أوقاتها ...» الرّواية.

أقول: إنّما المراد بقوله: «العلمآء يقدمونهم» هم العاملون منهم، فإنّ غير العاملين في نار جهنّم خالدون لقوله جلّ وعلا: «أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» البقرة: ٤٤) «كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون» الصّفّ: ٣)

﴿غرر حكم و درر كلم حول الإستقامة﴾

واعلم أنّ في المقام كلمات قصار عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى نبذة منها لأنّا على جناح الإختصار:

١ ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «أفضل السّعادة إستقامة الدّين».

٢ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «ألا وإنّ مَن لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجرّ به الضّلال إلى الرّدىٰ».

٣ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لا سبيل أشرف من الإستقامة».

٤ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لا مسلك أسلم من الإستقامة».

٥ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «السّلامة مع الإستقامة».

٦ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «الإستقامة سلامة».

٧ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «من طلب السّلامة لَزِمَ الإستقامة».

٨ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «من لَزِمَ الإستقامة لم يعدم السّلامة».

٩ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «من رغب في السّلامة ألزم نفسه الإستقامة».

١٠ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لا يصدر عن القلب السّليم إلّا المعنى المستقيم».

١١ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «من لم تستقم له نفسه فلا يلومنّ مَن لم يستقم له».

١٢ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا أصبح إبن آدم فانّ الأعضآء كلّها

تكفر اللسان فتقول: إتّق الله فينا، فانّما نحن بك، فان استقمت استقمنا، وإن اعوججت إعوججنا».

١٣ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إستقم وليحسن خلقك للنّاس».

١٤ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إستقيموا ونعمّا إن استقمتم».

١٥ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «استقيموا ولن تحصوا».

١٦ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته وحسنت علا نيّته واستقامت خليقته».

١٧ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه».

١٨ـ قال الإمام الباقر عليه السّلام: لمّا وعظ لقمان إبنه ـ قال: «يا بنيّ إيّاك والضّجر وسوء الخلق وقلّة الصّبر، فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب والزم نفسك التؤدة في امورك».

١٩ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام ـ في وصيّته لابنه محمّد بن الحنفية ـ: «إيّاك والعجب وسوء الخلق وقلّة الصّبر، فإنّه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثّلاث صاحب ولا يزال لك عليها من النّاس مجانب، وألزم نفسك التودّد واصبر على مؤنات النّاس نفسك...».

٢٠ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «بالعلم يستقيم المُعَوَّج».

٢١ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «ثمرة العقل الإستقامة».

٢٢ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «خالِفْ نفسك تستقم وخالط العلمآء تعلم».

٢٣ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «قد يستقيم المعوّج»

٢٤ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «كيف يستقيم قلب مَن لم يستقم دينه».

٢٥ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّ الله سبحانه يحبّ العقل القويم والعمل المستقيم».

٢٦ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّ من رزقه الله عقلاً قويماً وعملاً مستقيماً فقد

ظاهر لديه النّعمة وأعظم عليه المنّة».

٢٧ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إذا أراد الله بعبد خيراً منحه عقلاً قويماً وعملاً مستقيماً».

٢٨ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّما المستحفظون لدين الله الّذين أقاموا الدّين ونصروه وحاطوه من كلّ جوانبه وحفظوه على عباد الله ورعوه».

٢٩ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «الأعمال تستقيم بالعمّال».

٣٠ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لا يستقيم قضآء الحوآئج إلّا بثلاث: بتصغيرها لتعظم، وسترها لتظهر، وتعجيلها لِتهنّأ».

٣١ ـ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذهب عمر من لم يصرفه في صالح العلم، وذهب علم من لم يصرفه في صالح العمل، وذهب عمل من لم يضبطه بالإخلاص، وذهب إخلاص من لم يحطه بالإستقامة، وذهبت إستقامة من لم يحطها بالخاتمة، وذلك لأنّ ملاك الأعمال خواتيمه».

٣٢ ـ قال بعض الحكمآء: «أربعة أشيآء تدلّ على البخت الحسن: الأوّل أصل طاهر، الثّاني قلب طاهر، الثّالث يد طاهرة، الرّابع رأي مستقيم».

٣٣ ـ قال بعض الظّرفآء: «من اختار الظّالمين فلا يطمع في إستقامة الدّين».

وفي دعآءِ يوم المباهلة: «أللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد واقسم لي من كلّ سرور ومن كلّ بهجة، ومن كلّ إستقامة، ومن كلّ فرج، ومن كلّ عافية، ومن كلّ سلامة، ومن كلّ كرامة، ومن كلّ رزق واسع حلال طيّب، ومن كلّ نعمة، ومن كلّ سعة نزلت أو تنزل من السّمآءِ إلى الأرض في هذه السّاعة، وفي هذه اللّيلة، وفي هذا اليوم، وفي هذا الشّهر وفي هذه السّنة».

وفي دعآءِ مناجات السّفر: «اللّهمّ إنّي أريد سفراً فخِرلي فيه، وأوصلِ لي فيه سبيل الرّأي وفهّمنيه، وافتح لي عزمي بالإستقامة، واشملني في سفري بالسّلامة، وأفْدِني جزيل الحظّ والكرامة واكْلأني بحسن الحفظ والحراسة وجنّبني».

كلام في الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة

قال الله عزّوجلّ: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيءٍ شهيد» فصّلت: ٥٣)

وقدجآئت كلمة «الحقّ» مع مشتقّاتها في القرآن الكريم نحو: «٢٨٧» مرّة، والمراد بالحقّ في الآية الكريمة هوواجب الوجود بذاته جلّ وعلا.

واعلم أنّ أصل المعارف وأهمّها، ورأسها وأُسّها عند الحكمآء والمفسّرين، والعلمآء والمحقّقين، والفقهآء والمحدّثين، والادبآء والمتكلّمين... من القدمآء والمتأخّرين هو معرفة الحقّ وهو الذّات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الجلال والكمال، وأنّ لتحصيل هذه المعرفة طرقاً ثلاثة:

الاولى: معرفة الذّات بذاته. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عرفتُ ربّي بربّي».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: أميرالمؤمنين عليه السّلام: «أعرفوا الله بالله».

وفي دعآء أبي حمزة الثّمالي: «بك عرفتك وأنت دللتّني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت».

وفي دعآء عرفة: قال سيّد الشّهدآءِ الحسين بن عليّ عليهما صلوات الله: «وأنت الّذي لا إله غيرك تعرّفتَ لكلّ شيءٍ فما جهلك شيءٌ».

الثّانية: معرفة الآفاق المسمّى بالعالَم والإنسان الكبير، وذلك أنّ هذا العالَم

المحسوس للإنسان من السّمآء الدّنيا وفيها من الشّمس والقمر، من النّجوم والكواكب، ومن الشّهاب والسّحاب... ومن الأرض وما فيها من البحار والجبال والأنهار والأشجار والصّحارى والبرارى... كلّها إنسان كبير يدل على وحدة الصّانع العليم، على وحدة الخالق الحكيم، وعلى وحدة المدبّر الخبير.

الثّالثة: معرفة الانفس المسمّى بالإنسان الّذي هو مع جميع أعضآئه وقواه الظّاهرة والباطنة عالَم صغير خلق الله عزّوجلّ ذلك العالَم الكبير لهذا العالَم الصّغير لمّا في الصّغير من الإستعداد للكمال إختيارياً ماليس في الكبير، ولهذا سخّر الكبير للصّغير: «وسخّر لكم مافي السّموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الجاثية: ١٣) وقد أشار تعالى في قوله: «سنريهم آياتنا...» إلى الطّرق الثّلاثة كلّها، أدقّها الأولى، وأدناهاالثّانية، وأوسطها الثّالثة، حيث إنّ الأولى تحصل بنور القدس المسمّى بنور الله جلّ وعلا، والثّانية بنور الحسّ، والثّالثة بنور العقل، ومَثَلُ أهل المعرفة في معرفة الحقّ تعالى بنور الحسّ كمثل شخص يطلب بقوّة نور الكوكب في ظلمة اللّيل مشاهدة جرم الشّمس وأشعّتها المشرقة على العالم كلّه، فلا يجده، ومَثَل أهلها في معرفة الحقّ بقوّة نور العقل كمثل شخص يطلب بنور القمر في ظلمة اللّيل مشاهدة جرم الشّمس وأنوارها المشرقة فلايجده، ومثل أهلها في معرفته بقوّة نور القدس كمثل شخص يشاهد الشّمس بنور الشّمس. وقد نصبت دلآئل ذاته وعلآئم صفاته في الآية الكريمة بمرتبة تمّت الحجّة وكملت الكلمة في مقام الإستشعار بالمعارف الرّبّانيّة، وليس في القرآن المجيد آية جامعة لها مثلها.

في الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «والحمدلله على ماعَرّفنا من نفسه وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص في توحيده»

قوله عليه السّلام: «من نفسه» أي من ذاته المقدّسة، حيث إنّ النّفس يطلق على الدّمّ، وعلى نفس الحيوان وعلى الذّات وعلى الغيب، والأوّلان يستحيلان في حقّه سبحانه، والآخران يصحّ أن يرادا، ومنه: «ولا أعلم ما في نفسك» المآئدة: ١١٦) أي في

ذاتك أو في غيبك.

إنّ إثبات الذّات واجب الوجود لا يحتاج إلى بيان ولا برهان، فإنّه جلّ وعلا برهان كلّ شيء، وبه ظهر كلّ شيء، وهو موجد كلّ شيء ومفيضه، وهو لكمال ظهوره خفيّ، ومع كمال خفآئه ظاهر، وانّ وجود كلّ شيء دليل عليه، فإنّ الوجودات الفاقرة بذواتها والصّفات النّاقصة في كمالاتها لابدّ وأن تنتهي إلى وجود غنيّ بالذّات من جميع الجهات كامل في الصّفات من كلّ الإعتبارات أي إلى وجود بحت صرف مطلق بلا ممازجة بوجه مامع فقد الفعليّة والعدم ويكون على كلّ وجه فعلية و وجوداً من حيث الذّات والصّفات والكمالات...

بمعنى أنّه جلّ وعلا بذاته بلامد خليّة تأثير الغير أصلاً موجود الذّات أزلاً وأبداً على الإطلاق، وكذا موجود العلم والقدرة والإرادة وسآئر الصّفات بالنّسبة إلى جميع المعلومات والمقدورات والمرادات، وسآئر متعلّقات الصّفات في مرتبة ذاته بذاته على الإطلاق من دون مدخليّة لتأثير الغير أصلاً، فذاته تعالى في مرتبة انيّته موجود لا يمازج وجوده عدم، وحيّ لا يخالط حياته فنآء، واحد لا يشوب أحديّته تركيب، وصمد لا يعرض صمديّته فاقة، وعالم لا يشوب علمه جهل، وقادر لا يعتري قدرته عجز، ومريد لا يمازج إرادته تردّد، وفرد لا يشوب فردانيّته مشابهة ولا مشاركة إلى غير ذلك من الصّفات الكماليّة...

بخلاف ذوات الممكنات و وجوداتهم وصفاتهم، فانّها ممازجات مع الاعدام والبطلان، ومتشابكات مع النقصان والفقدان، وانّها محتاجة، والمحتاج لابّد وأن يكون له محتاج إليه بارتباطه له، يكون له فعليّة وقيام و بقآء وقوام، وأمّا الذّات الواجب فوجوده عين ذاته وكذا صفاته فلا تركيب فيه أصلاً.

وإنّ الطّريق الظّاهر: معرفة الأشيآء فالأضداد، فما لاضدّ له ولا تغيّر فيه، تشابهت الأحوال في الشّهادة له، فلا يبعد أن يخفى، ويكون خفآؤه لشدّة ظهوره، والغفلة عنه لإشراق ضيائه، فسبحان من خفي عن الخلق لشدّة ظهوره وغاية لطفه، واحتجب عنهم لإشراق نوره، ولفرط قربه بالأبصار لاتدركه الأبصار: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك

الأبصار وهو اللطيف الخبير» الأنعام: ١٠٣).

وبالجملة: إنّ من عرف الحقّ جلّت عظمته بالخلق إستدلالاً وبرهاناً فما عرف الحقّ حقّ معرفته فإنه نازل فيها، وهذا طريق،طريق المتفكّرين الذّين قال الله تعالى فيهم: «إنّ في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات لأولى الألباب الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار» آل عمرآن: ١٩٠-١٩١).

ومن قطع النّظر عن الخلق وعرف الحقّ بالحقّ فهو صاعد في معرفته، وهذا طريقَ الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والصّدّيقين، والأوليآء والمقرّبين الّذين يستشهدون به لاعليه كما اشير إليه في قوله جلّ وعلا: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شي شُهيد» فصلّت: ٥٣)

«شهدالله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمرآن: ١٨) وهؤلآء هم مجذوبون محبوبون للحقّ، اشير إليهم في حديث «قرب النوافل».

والسّرّ أنّ في معرفة الحقّ حقّ معرفته لايمكن أن يحصل من المظاهر بخلاف العكس، ليس على ماهو مذكور في العلوم النّظريّة من أنّ وجود العلّة يقتضي وجود المعلول المعيّن بشخصه، و وجود المعلول المعلول لا يقتضي إلّا واحداً من العلل لا بخصوصه لأنّه غير تام، كما يظهر عند المراجعة إلى تلك المباحث، بل السّرّ فيه: أنّ المعلول ليس إلّا نحواً من تعيّنات العلّة وتطوّراته، فمن عرف العلّة عرف شؤونها وأطوارها بخلاف من عرف المعلول فإنّه ماعرف العلّة إلّا بهذا النّحو الخاصّ.

وقال بعض المحقّقين: إنّ ذاالعقل هو الّذي يرى الخلق ظاهراً، والحقّ باطناً، فيكون الحقّ عنده مرآة للخلق لاحتجاب المرآة بالصّورة الظّاهرة فيه إحتجاب المطلق بالمقيّد، وإنّ ذاالعين هو الّذي يرى الحقّ ظاهراً والخلق باطناً، فيكون الخلق عنده مرآة الحقّ لظهور الحقّ عنده واختفآء الخلق فيه بالصّورة، وأمّا «ذوالعقل والعين» فهو الّذي يرى الحقّ في الخلق تارة، والخلق في الحقّ تارة أخرى، ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر.

وقال بعض الآخرين من المحقّقين: إنّ لمعرفة الله عزّوجلّ طريقين:

الأوّل: معرفة الحقّ بالحقّ، ومعرفة ذاته الحقّة بذاته أو بجميع صفاته الكمالية الّتي هي نفس ذاته الأحديّة لابواسطة أمر خارج منه، وحيثيّات مغايرة له، وهذه المعرفة ليست لِمّيّة لتعاليه من العلّة، ولا إنّيّة لعدم حصولها بواسطة المعلول، وأيضاً المعرفة اللمّيّة والإنّيّة إنّما تحصلان بالنّظر والإستدلال، وهذه المعرفة إنّما تحصل بالكشف والظّهور للكمّل من الأوليآء والصّدّيقين كما قال سيّد الأنبيآء والمرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم «لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل» وهذا مقام السّير مع الله، ومرتبة الفنآء في الله جلّ وعلا بحيث لا يشاهد فيها غيره فهو معروف بالذّات لا بغيره، وبإعتبار هذه الحيثيّة يكون مرتبة تسمّى بقرب النّوافل... كماورد صحيحاً: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى احببته، فإذا أحببته كنت سمعه الّذي به يسمع وبصره الّذي به يبصر...» الحديث. وكماورد في الخبر: «قال الله تعالى على لسان عبده. سمع الله لمن حمده».

وكما قال سيّد الأوصيآء والمتّقين عليه السّلام: «مارأيت شيئا إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه» ولا شبهة في أنّ هذه الرّؤية ليست رؤية ظاهرية، بل هي رؤية قلبية، ولا في أنّها ليست مستندة إلى واسطة لإستلزامة بطلان الحصر، ومثله قول بعض الأوليآء: «رأيت ربّي بربّي ولولا ربّي مارأيت ربّي» والظّاهر أنّ قوله تعالى: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد» إشارة إلى هذه المرتبة.

الثّاني: معرفته بالنّظر والإستدلال بما دلّ به على نفسه من الآثار العجيبة والأفعال الغريبة كما هو طريق المتكلّمين الّذين يستدلّون بوجود الممكنات وطبائعها وصفاتها وإمكانها وحدوثها وتكوّنها وقبولها التّغيير والتّركيب على المبدإ الأوّل، وإلى هذا الطّريق أشار أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بقوله: «الحمد لله الّذي دلّ على وجوده بخلقه».

وقد أشار إليه جلّ وعلا في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فكيفيّة معرفته تعالى من هذين الطّريقين، وبأيّ طريق اتّفقت فهي معرفته تعالى به لأنّ الكلّ منه كما

تقدّم.

وفي الدّعآء بعد صلاة أمير المؤمنين عليه السّلام: «سبحان مَن لا تبيد معالمه . . .» .

﴿ اعرفوا الله بالله ﴾

في أصول الكافي: ـ باب أنّه لا يعرف إلّا به ـ بإسناده عن الفضل بن السّكن عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «اعرفوا الله بالله والرّسول بالرّسالة واولى الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان».

وهذا الخبر من غوامض الأخبار ومعضلات الآثار، فيحتمل معان:

الأوّل: قال الكليني رضوان الله تعالى عليه بعد ذكر الحديث: «ومعنى قوله عليه السّلام: «اعرفوا الله بالله» يعني أنّ الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر والأعيان، فالأعيان: الأبدان، والجواهر: الأرواح، وهو جلّ وعزّ لا يشبه جسماً ولا روحاً، وليس لأحد في خلق الرّوح الحسّاس الدرّاك أمر ولا سبب، هو المتفرّد بخلق الأرواح والأجسام، فإذا نفى عنه الشّبهين: شبه الأبدان وشبه الأرواح، فقد عرف الله بالله، وإذا شبّهه بالرّوح أو البدن أو النّور فلم يعرف الله بالله» إنتهى كلامه.

ويؤيّد هذا المعنى مارواه الكليني قدّس سرّه في هذا الباب بإسناده عن عليّ بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: سُئلَ أميرالمؤمنين عليه السّلام: «بِمَ عرفت ربّك ؟ قال: بماعرّفني نفسه، قيل: وكيف عرّفك نفسه؟ قال: لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالنّاس، قريب في بُعده، بعيد في قربه، فوق كلّ شيء ولا يقال: شيء فوقه، أمام كلّ شيءٍ، ولايقال: له أمام، داخل في الأشيآء لا كشيءٍ داخل في شيءٍ، وخارج من الأشيآء لا كشيءٍ خارج من شيء، سبحان من هو هكذا، ولا هكذا غيره ولكلّ شيءٍ مبتدء».

فالمعنى: أيها النّاس! اعرفوا الله تعالى بأنّه هو الله مسلوباً عنه جميع مايعرف به الخلق من الجواهر والأعراض، ومشابهة شيئ منها، واعرفوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه تعالى أرسله بهذه الشّريعة الإسلاميّة، واعرفوا أولى الأمر بأنّه الآمر بالمعروف العالم العامل به، وبالعدل في كلّ شيئ، وبالإحسان على خلق الله تعالى وبالشّفقة والتّفضّل عليهم، ودفع الظّلم عنهم.

الثّاني: أي اعرفوا الله بالله لأنّكم إن عرفتموه بعقولكم فهو تعالى واهبها، وإن عرفتموه بأنبيآء ورسله، وحججه فهو جلّ وعلا باعثهم ومرسلهم ومتّخذهم حججاً، وإن عرفتموه بأنفسكم فهو عزّوجلّ محدثها، فبه عرفتموه. وقد قال الإمام السّادس جعفربن محمّد الصّادق عليه السّلام: «لولا الله ماعرفناه ولولا نحن ماعرف الله».

والمعنى: لولا حجج الله لماعرف الله تعالى حقّ معرفته، ولولا الله لمّاعرف حجج الله جلّ وعلا. فجميع مايعرف به ينتهي إلى الله عزّوجلّ.

وفي الدّعآء: «اللّهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللّهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني...» الدّعآء

إن قلت: يمكن أن يرد على هذا المعنى **أوّلاً:** أنّه يعطى إنحصار طريق معرفة الله تعالى في معرفته به، وظاهر الخبر يعطى أن لها طريقاً آخر غير هذا إلّا أنّ هذا هو الأولى. وثانياً: أنّه على هذا تكون معرفة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأولى الأمر أيضاً بالله، فما الفرق بينهما، وبين معرفة الله في ذلك. **وثالثاً: أنّ هذا لا يلآئم قوله** عليه السّلام: «اعرفوا الله بالله».

قيل: «لا يبعد أن يكون الفرق بإعتبار أصناف المعرفة، فتكون المعرفة بالرّسالة صنفاً من المعرفة بالله تعالى، وتكون المعرفة بالمعروف صنفا آخر منهما، ومعرفة الله فيها أصناف لا إختصاص لها بصنف، وأن يكون المراد بقوله عليه السّلام: «اعرفوا الله بالله» أن يحصلوا معرفة الله الّتي تحصل بالله. فتأمل جيّداً ولا تغفل.

الثّالث: أن يكون المعنى: أعرفوا الله بما يناسب الوهيته من التّنزيه والتّقديس،

والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال، واولى الأمر بما يناسب درجتهم العالية الّتي هي الرّياسة العامّة للدّين والدّنيا، وبما يحكم العقل به من اتّصاف صاحب تلك الدّرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزيّة على من سواه.

الرّابع: أن يكون المراد من هذا الحديث ترك الخوض في معرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحججه بالعقول النّاقصة، فينتهي إلى نسبة مالا يليق به تعالى إليه وإلى الغلوّ في أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى هذا فيحتمل الحديث معنيين: **أحدهما** ـ أن يكون المراد اعرفوا الله بعقولكم بمحض أنّه خالقٌ، إلهٌ، عليمٌ، حكيمٌ، مدبّر، والرّسول بأنّه رسول أرسله الله لهداية الخلق، واولى الأمر بأنّهم المحتاج إليهم لإقامة المعروف والعدل والإحسان، ثمّ عوّلوا في صفاته جلّ وعلا وصفات حججه عليهم السّلام على ما بيّنوا و وصفوا لكم ولا تخوضوا فيها بعقولكم. **ثانيهما** ـ أن يكون المعنى اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيّه، والرّسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم، والإمام بما بيّن لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتّصف بتلك الأوصاف والأخلاق الحسنة، ويحتمل الأخيران ومعنىً ثالثاً وهو أن يكون المراد لا تعرفوا الرّسول بما يخرج به عن مقام الرّسالة إلى درجة الالوهيّة وكذا الإمام.

الخامس: أن يكون المراد بما يعرف بإستعانته من قوى النّفس العاقلة والمدركة ومايكون بمنزلتها ويقوم مقامها، فمعنى اعرفوا الله بالله: اعرفوه بنوره المشرق على القلوب بالتّوسّل إليه، والتّقرّب به، فإنّ العقول القاصرة والأفهام الحاسرة لا تهتدي إليه إلّا بأنوار فيضه تعالى.

وفي الدّعآء: «يا من عرّف نفسه خلقه بلطفه».

واعرفوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بتكميله إيّاكم برسالته وبمتابعته فيما يؤدّي إليكم من طاعة ربّكم فانّها توجب الرّوابط المعنوية بينكم وبينه، وعلى قدر ذلك يتيسّر لكم من معرفته، وكذا معرفة أولى الأمر إنّما تحصل بمتابعتهم بالمعروف والعدل

والإحسان، وباستكمال العقل بها. ويؤيّده ما رواه الصّدوق رحمة الله تعالى عليه.

في التّوحيد: بإسناده عن هشام بن سالم قال: حضرت محمّد بن النّعمان الأحول، وقام إليه رجل، فقال له: بِمَ عرفت ربّك؟ قال: بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته. قال: فخرجت من عنده فلقيت هشام بن الحكم، فقلت له ما أقول لمن يسئلني فيقول لي: بِمَ عرفتَ ربّك؟ قال: قل: عرفت الله عزّوجلّ بنفسي...» الحديث.

السّادس: أن يكون المعنى: اعرفوا الله بما تتأتّى معرفته لكم بالتّفكّر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته لا بما أرسل به الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من الآيات والمعجزات، فإنّ معرفتها إنّما تحصل بعد معرفته جلّ وعلا، واعرفوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بالرّسالة أي بما ارسل به من المعجزات والدّلآئل أو بالشّريعة المستقيمة الّتي بعث بها، فإنّها لإنطباقها على قانون العدل والحكمة يحكم أهل العدل بحقّية من ارسل بها، واعرفوا اولى الأمر بعملهم بالمعروف وإقامة العدل والإحسان وايتآئهم بها على وجهها.

ويؤيّد هذا المعنى ما رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه:

في الكافي: بإسناده عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: «إنّي ناظرت قوماً فقلت لهم: إنّ الله جلّ جلاله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل العباد يعرفون بالله، فقال: رحمك الله». وما رواه الصّدوق رحمة الله تعالى عليه:

في التّوحيد: أنّ الجاثليق سئل أميرالمؤمنين عليه السّلام: «هل عرفت الله بمحمّد أم عرفت محمّداً بالله؟ فقال عليه السّلام: ماعرفت الله بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بل عرفت محمّداً بالله عزّوجلّ حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنّه مدبّر مصنوع بإستدلال وإلهام منه وإرادة كما ألهم الملآئكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف...» الحديث.

السّابع: أن يكون المعنى: انظروا في الأشيآء إلى وجوهها الّتي إلى الله جلّ وعلا بعد ما أثبتم أنّ لها ربّاً صانعاً، فاطلبوا معرفته بآثاره فيها من حيث تدبيره وقيموميّته إيّاها وتسخيره لها وإحاطته بها، وقهره لها حتّى تعرفوا الله بهذه الصّفات القآئمة به، ولا تنظروا

إلى وجوهها الّتي إلى أنفسها أعني من حيث إنّها أشيآء لها ماهيات لا يمكن أن توجد بذواتها بل مفتقرة إلى موجد يوجدها، فانكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قد عرفتم الله بالأشيآء فلن تعرفوه إذاً حقّ معرفته، فإنّ معرفة مجرّد كون الشّيء مفتقراً إليه في وجود شيء ليست بمعرفة في الحقيقة على أنّ ذلك غير محتاج إليه لما عرفت أنّها فطريّة بخلاف النّظر الأوّل فانكم تنظرون في الأشيآء أوّلاً إلى الله عزّوجلّ وإلى آثاره من حيث هي آثاره ثمّ إلى الأشيآء وافتقارها في أنفسها.

وذلك اننا إذا عزمنا على أمر مثلاً وسعينا في إمضآئه غاية السّعي فلم يكن علمنا أنّ في الوجود شيئاً غير مرئيّ الذّات يمنعنا عن ذلك، ويحول بيننا وبينه، وعلمنا أنّه غالب على أمره، وأنّه مسخّر للأشيآء على حسب مشيّته، ومدبّر لها بحسب إرادته، وأنّه منزّه عن صفات أمثالنا، وهذه صفات يعرف بها صاحبها حقّ المعرفة، فإذا عرفنا الله جلّ وعلا بهذا النّظر فقد عرفنا الله بالله، وإلى مثل هذه المعرفة اشير في غير موضع من القرآن الكريم إذ قال: «إنّ في خلق السّموات والأرض وإختلاف اللّيل والنّهار لآيات لاولي الألباب» آل عمران: ١٩٠) وأمثال ذلك من نظآئره.

وعلى هذا القياس معرفة الرّسول بالرّسالة، فإنّا بعد ما أثبتنا وجوب رسول من الله تعالى إلى عباده وحاولنا أن نعرفه ونعيّنه من بين سآئر النّاس فسبيله أن ننظر إلى من يدّعى ذلك هل يبلّغ الرّسالة كما ينبغي أن تبلّغ، وينهج الدّلالة كما ينبغي أن تنهج، فاذا نظرنا إليه من هذه الجهة فقد عرفناه بالرّسالة، وكذا القول في الإمام فإنّ الكلّ على وتيرة واحدة. ويؤيّد ذلك ما رواه الصّدوق رحمة الله تعالى عليه في هذا الباب من كتاب:

التّوحيد: بإسناده عن أبي جعفر عليه السّلام عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام أنّه قال: «إنّ رجلاً قام إلى أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال: يا أميرالمؤمنين بماذا عرفت ربّك؟ فقال: بفسخ العزآئم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضآء والقدر عزمي علمت أنّ المدبّر غيري».

﴿ البرهان اللمّي والبرهان الإنّي لإثبات التوحيد ﴾

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد» فصّلت: ٥٣)

إنّ الأدلّة الّتي وردت في القرآن الكريم أكثرها أو كلّها إلّا آيات قليلة تثبت التّوحيد بالطّريق الإنّ الّذي يسمّى بالبرهان الإنّيّ وهو كشف العلّة من المعلول بأن يتدبّر الإنسان ويتتبّع في المعلولات والمسبّبات والآثار فيكشف له أنّ لها علّة وسبباً ومؤثّراً وقد يثبت التّوحيد بالطّريق اللّمّ الّذي يسمّى بالبرهان اللّـمّـيّ، وهو كشف المعلول من العلّة بأن يتدبّر الإنسان في العلّة والسّبب والمؤثّر، فيكشف له أنّ لها معلولات ومسبّبات وآثاراً، وقد جمع الله عزّوجلّ بين الطّريقين في آية واحدة وهي قوله تعالى: «سنريهم آياتنا...» فأثبت التّوحيد بالطّريق الأوّل في صدرها للعوام، وبالطّريق الثّاني في ذيلها: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد» للخواصّ...

وقال بعض الظّرفآء: إنّ النّظر في الآفاق لأجل العوام، وفي الأنفس للخواص، وإنّ الأشيآء كلّها تشهد بوحدة خالقها وبارئها بلسان الحال، ويشهد كلّها على أنّ الله تعالى هو مظهرها من كتم العدم، والمظهر لا يفارق المظهر عند أرباب البصآئر، فالله جلّ وعلا عند كلّ شيء ومعه وقبله وبعده كما قال الإمام المعصوم عليه السّلام: «إنّي مارأيت شيئاً إلّا ورأيت خالقه معه وقبله وبعده».

وقال بعض المفسّرين: إنّ بعض النّاس يرى الأشيآء بالله تعالى وإليه أشار بقوله: «أولم يكف بربّك...» يعبّر عنه بالبرهان اللّـمّـيّ، وبعضهم يرى الله جلّ وعلا

بالأشيآء، وإليه أشار بقوله: «سنريهم آياتنا...» يعبّر عنه بالبرهان الإنّيّ.

في شرح المنظومة: قال: «برهاننا باللّمّ والإنّ قُسِمَ، فما هو علم من العلّة بالمعلول لِمٌّ، ويقال له: البرهان اللّـمّـيّ، وعكسه وهو العلم بالعلّة من المعلول إنٌّ، ويقال له: البرهان الإنّيّ، ولِمّ أسبق بالشّرف من الإنّ، والبرهان اللّـمّـيّ باعطآء اليقين أوثق لأنّ العلم بالعلّة مستلزم للعلم بالمعلول المعيّن، والعلم بالمعلول مستلزم للعلم بعلّة ما» إنتهى كلامه.

وقال بعضهم: «لك أن تلحظ عالَم الخلق، فترى فيه أمارات الصنعة، ولك أن تعرض عنه وتلحظ عالم الوجود المحض، وتعلم أنّه لا بدّ من وجود بالذّات، وتعلم كيف ينبغي أن يكون علّـيّة الوجود بالذّات، فإن اعتبرتَ عالَمَ الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرتَ عالَمَ الوجود المحض، فأنت نازل، تعرف بالنّزول أن ليس هذا ذاك ، وتعرف بالصّعود أنّ هذا هوذا «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم...»

إذا عرفت ـ أوّلاً ـ الحقّ عرفت الحقّ، وعرفتَ ماليس بحقّ، وإن عرفت الباطل ـ أوّلاً ـ عرفت الباطل ولم تعرف الحقّ على ما هو حقّه، فانظر إلى الحقّ فإنّك لا تحب الآفلين، بل توجّه بوجهك إلى وجه من لا يبقى إلّا وجهه»

وفي دعآءِ الصّباح: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته وجلّ عن ملآئمة كيفيّاته» هذه كلمات عليّة صدرت من معدن الولاية ومنبع الأخلاق الفاضلة، ومظهر الإنسانيّة الكاملة، نعم أمثال هذه الكلمات من مثل «كلمة الله هي العليا» و«الآية الكبرى» عليّ العالي الأعلى، فليست بعزيزة لا بدّ من بيانها بوجوه ونحن على جناح الإختصار:

الأوّل: أنّ الطّرق إلى الله جلّ وعلا وإن كانت كثيرة لا تحصى، فإنّها بعدد أنفاس الخلآئق كلّها لأنّ الخالق المتعال ذوفضائل جمّة لا تعدّ، وذوجهات نورانيّة لا تحصى، لكن أشرف الطّرق وأوثقها وأخصرها طريقة الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والصّدّيقين عليهم صلوات الله أجمعين وتبعهم الحكمآء الإلهيّون الّذين يستشهدون به عليه تارة وهي

طريقة الوجود والموجود من حيث هو موجود وهذه الطّريقة للخواصّ، ويستشهدون بغيره عليه جلّ وعلا، ناظرين إلى مفهوم الوجود، وإنّ له فرداً هو واجب الوجود، وهذه الطّريقة للعوام جمعاً بين الخواص والعوام فإنّهم يكلّمون النّاس على قدرعقولهم...

وإلى الطّريقة الأولى أشار سيّد الشّهدآء الحسين بن عليّ عليهما صلوات الله في دعآء عرفة: «ألغيرك من الظّهور ماليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟ متى غبتَ حتّى تحتاج إلى دليل يدلّك عليك؟! أو متى بَعُدتَ حتّى تكون الآثار هي الّتي توصل إليك؟! عَمِيَتْ عينٌ لا تراك ولا تزال عليها رقيباً! وخَسِرَتْ صَفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً!...» الدّعآء.

الثّاني: أنّ العقل بأيّ دليل يستدل على الذّات واجب الوجود مالم يستودع من حول الله جلّ وعلا ولم يستَعِرْ من قوّته، ولم يكتحل بنوره عزّوجلّ لم يعرف شيئاً من ذاته ولا من صفاته ولا من فعاله... ومعلوم أنّه «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

وقد سُئِلَ من عرف ربّه: «بِمَ عرفتَ ربّك؟ قال: بواردات ترد على قلبي من عنده» فبقوّة العقل من حيث هو عقل لا يمكن أن يتخطى إلى ما هو فوق عالم العقل والجسم، بل بقدرة مستعارة من فنآئه وبعين ناظرة مستدانة من جنابه، لأنّ المُدرَك لا بدّ وأن يكون من سنخ المدرِك. وفي دعآءِ أبي حمزة الثّمالي عن سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما صلوات الله الملك الكريم: «لولا أنت لم أدر ما أنت».

الثّالث: أنّ لله جلّ وعلا في نوع البشر مظاهر ومرائي هم المثلى الأعلى له تعالى وبقيّة الله و وليّ الله وتذكرة الله وحجّة الله، وعين الله و وجه الله وأسمآء الله الحسنى الّذين لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفتهم. فنصبهم الله عزّوجلّ مناراً في بلاده وأعلاماً هداة لعباده، وحججاً على بريّته، وخلفآء على خليقته ليحقّ الحقّ بكلماته، ويريهم نفسه في أعاظم أسمآئه وأكابر آياته، وهم ألانبيآء والمرسلون والأوصيآء المعصومون وسيّد الأنبيآء وأشرف الرّسل هو محمّد المصطفىٰ وسيّد الأوصيآء وأفضل الأوليآء عليّ المرتضىٰ صلوات الله عليهم أجمعين.

في نهج البلاغة: قال مولى المؤحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه

السّلام في وصف الأنبيآء والمرسلين كافّة، وفي وصف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصّة: «فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقرّ، تناسختهم كرآئم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام كلّما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خَلَفٌ، حتّى أفضَتْ كرامة الله سبحانه إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً، وأعزّ الأرومات مغرساً، من الشّجرة الّتي صدع منها أنبيآءه وانتخب منها آمنآءه ـ مستقرّه خير مستقرّ، ومنبته أشرف منبت، في معادن الكرامة، ومماهد السّلامة، قد صُرِفَتْ نحوه أفئدة الأبرار، وثُنِيَتْ إليه أزمّة الأبصار، دفن الله به الضغآئن وأطفأ به النّوآئر، ألّف به إخواناً وفرّق به أقراناً، أعزّ به الذّلّة، وأذلّ به العزّة، كلامه بيان وصمته لسان»

وقال عليه السّلام في وصف عترة رسول الله أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «عترته خير العتر، واسرته خير الأُسر، وشجرته خير الشّجر، نبتت في حرم، وبسقت في كَرَم، لها فروع طِوال، وثمرة لا تنال ـ هم موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حِكَمِه وكهوف كتبه وجبال دينه، بهم أقام انحنآء ظهره، وأذهب ارتعاد فرآئصه ـ لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الأمّة أحد، ولا يسوّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين، وعماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي، وبهم يلحق التّالي، ولهم خصآئص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة ـ فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قآئمة! والآيات واضحة! والمنار منصوبة! فأين يُتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدّين، وألسنة الصّدق فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش ـ ألا إنّ مثل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كمثل نجوم السّمآء إذا خوى نجم طلع نجم ـ نحن شجرة النّبوّة ومحطّ الرّسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ـ وعندنا أهل البيت أبواب الحِكَم وضيآء الأمر ـ نحن الشّعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولاتؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمِّيَ سارقاً ـ فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرّحمٰن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رآئد أهله، وليحضر عقله»

وبالحقيقة هم العقول الكلّيّة في السّلسلة الصّعودية بازآءِ العقول الكلّيّة في السّلسلة النّزوليّة، فهم صلوات الله عليهم أجمعين في العائدات كالعقول في الباديات، بل هم أعلى منها كما قال الإمام الحسن العسكري عليه السّلام: «وروح القدس في جنان الصّاقورة، ذاق من حدائقنا الباكورة، وشيعتنا الفئة النّاجية والفرقة الزّاكية، صاروا لناردءاً وصوناً، وعلى الظّلمة إلباً وعوناً...» الحديث

قوله عليه السّلام: «الصّاقورة» وفي نسخة «الصّاغورة»: السّمآء الثّالثة. و«الباكورة»: أوّل مايدرك من الفاكهة، وأوّل كلّ شيء، و«إلباً»: قوماً تجمعهم عداوة واحدة على أعدآءِ أهل بيت الوحي عليهم السّلام.

وقال جبرئيل عليه السّلام ليلة المعراج: «لو دنوت أنملة لا حترقت»

فمن عرف أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فقد عرف الله تعالى، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن أحبّهم فقد أحبّ الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن خالفهم فقد خالف الله جلّ وعلا.

إن تسئل: إنّ العقول مطلقاً لم تكن ذات الله سبحانه، فكيف يكون فيما ذكرتم دلالة الذّات على الذّات؟

تجيب: أنّها وإن لم تكن ذات الله جلّ وعلا لكنّها باقية ببقآءِ الله، موجودة بوجود الله تعالى لا بوجودات على حيال أنفسها، ولا نفسيّة، فهي مقام ظهور الأسمآءِ الحسنىٰ للكنز المخفيّ المسمّى، والإسم عين المسمّى من وجه، وغيره من وجه، فالعقول وإن كانت بإعتبار نقصها الإمكانيّ سوى الله لكن سوائيّتها مستهلكة ونقصها كقطرة مداد في بحرمآءِ عذب فرات لا نهاية له، وهو ظلّ الله، والظّل ظهورذي الظّلّ، ولهذا قال الله عزّوجلّ: «ألم تر إلى ربّك كيف مدّ الظّلّ» الفرقان: ٤٥) ولم يقل: «إلى ظلّ ربّك» فهي فانية عن أنفسها، باقية بالله، فبا لحقيقة دلّت ذات الله على ذات الله.

مع أنّ دلالتها على ذات الله تعالى بإعتبار حملها أعبآء صفات الله جلّ وعلا لا بإعتبار نفس الحامل والمظهر المستهلك تحت أنوار الصّفات... فبالحقيقة صفاته دلّت على ذاته ولا حكم ولا دلالة لنفس الحامل، لأنّه لكمال رقّته ولطافته لا لون له في نفسه،

فانصبغ بصبغة صفات الله كالماهيّة والهيولى المبهمتين الفانيتين في الوجود والصّورة، وكالمرآة في عالم الشّهادة حيث كانت فانية في الصّور المرئيّة فيها فلايرى نفسها إذ لا يمكن بروز الصّور فيها من بروزها، والصّفات وإن كانت بحسب المفهوم غير الذّات المتعالية، لكنّها بحسب الوجود عين الذّات، فدلّ ذاته على ذاته، ثمّ على صفاته، ثمّ صفاته على أفعاله... وذلك أنّ حقيقة الوجود الدّالّة على الوجوب تدلّ على العلم والحكمة، على الحياة والإرادة، وعلى التّدبير والقدرة... فإن مرجع حقائقها إلى الوجود الحقيقي، ويدلّ صفاته على أفعاله كوحدته وبساطته، ومبدعيّته تدلّ على عالم الإبداع، وتماميّة وجوده العميم على دوام الفيض والتّكوين...

وقد أشار تعالى إلى مرآتيّة الأشيآء له تعالى بقوله: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» وإلى مرآتيّته تعالى للأشيآء بقوله: «أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد». فصدر الآية الكريمة بصدد أنّ ماهيّات الأنفس والآفاق مرايا نور الوجود وذيلها بصدد بيان أنّ نور الوجود مرآت يظهر بها تلك الماهيّات...

وإنّ هناك طرقاً أُخرى نشير إلى بعضها إجمالاً حذراً من الملال:

منها: طريقة الإمكان والماهيّة للفلاسفة: وهي أنّ الماهيّة الإمكانيّة الموجودة، الوجود والعدم بالنّسبة إلى ذاتها على السّوآء، والمتساويان مالم يترجّح أحدهما بمرجّح منفصل لم يقع وذلك المرجّح إن كان ممكنا كان الكلام فيه كالكلام في الأوّل، حتّى ينتهي إلى مرجّح واجب بالذّات دفعاً للدّور والتّسلسل.

ومنها: طريقة الحركة للحكمآء الطبيعيّين: وهي أنّ المتحرّك لا بدّ له من محرّك غيره فإنّ المتحرّك لا يتحرّك عن نفسه، فذلك المحرّك إن كان متحرّكاً فالكلام فيه هو الكلام في الأوّل حتّى ينتهي إلى محرّك غير متحرّك دفعاً للدّور والتّسلسل وهو الواجب بالذّات، وقديستدلّون عن متحرّك خاصّ كالفلك والنّفس النّاطقة ونحوها.

ومنها: طريقة الحدوث للمتكلّمين: وهي أنّ العالَم حادث للدّلآئل الدّالّة عليه، وكلّ حادث لا بدّ له من مُحدِث غير حادث، دفعاً للدّور والتّسلسل وهو الواجب تعالى، فعند المتكلّم العالم أي الماهيّات الإمكانية كأنّها أظهر وكذا صفته الّتي هي

الحدوث، فرأى الماهيّات الّتي شأنها الإختفآء، وجعلها مفروغاً عنها، وأخذها شيئاً موضوعاً مسلّماً، وأخذ الحدوث الّذي من صفات الخلق ولم يعرف الوجود الحقيقيّ الّذي هو ظاهر بالذّات، ومظهر لتلك الماهيّات وأحكامها، ولا نظر إلى مفهوم الوجود ليس غريباً عن الحقّ تعالى.

وغيرها من الطّرق الموهومة الدّوريّة والتّسلسليّة، وحالكونه جلّ وعلا لا يكتنه ولا يحاط بالأدلّة العقليّة ولا النّقلية كماورد عن الإمام الخامس باقر العلوم محمّد بن عليّ عليهما السّلام: «وكلّ ما ميّز تموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم».

❁ الطرق إلى الله جلّ وعلا بعدد الأنفاس ❁

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الطّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».

إنّ المعنى: أنّ جميع الخلائق بل الموجودات كلّها على الصّراط المستقيم والطّريق الحقّ، وأنّ نسبة الكلّ إلى الله جلّ وعلا نسبة واحدة، وليس لأحد مزيد على الآخر في الدّلالة، فكلّ الطرق صراط مستقيم بإعتبار أنّها موصلة إليه تعالى استقامة مطلقة لا بالنّسبة إلى الغير.

وفي دعآءِ الجوشن الكبير: «يامن آياته برهان للنّاظرين».

وذلك أنّ الإنسان متى فتح عينه وجد آيات الله تعالى في كلّ شيء، سوآء أنظر إلى السّمآء أم إلى الأرض أو بينهما أو إلى نفسه أو إلى أيّ جزء من أجزآء الكون ونواميس الوجود، فلا تقصر الآيات على شيءٍ دون شيءٍ، ولا حال دون حال.

كلّ شيءٍ له آية ... تدلّ على أنّه واحد

عباراتنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير

هذه السّموات بأجرامها الضخمة وأفلاكها الهآئلة على ضخامتها مبعثرة كالنّثار الصّغير في الفضآءِ الهائل الرّهيب، ودورة هذه الأجرام في أفلاكها في دقّة واطراد وتناسق جميل لا تشبع العين من النّظر إليه، ولا يشبع القلب من تمليه: «ماترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور» الملك: ٣)

وهذه الأرض الواسعة العريضة بالقياس إلينا مع كونها ذرّة بالقياس إلى النّجوم والكواكب... وما أودعه الله تعالى في طبيعة هذه الأرض في موقعها الكونيّ الخاصّ

من صلاحيّة النّشوء والحياة فوقها، ومن خصآئص دقيقة مقصودة متراكبة متجمعة متناسقة لو اختلّت خصيصة واحدة منها، أوتخلّفت ما أمكن قيام الحياة فيها، فكلّ شيءٍ في هذه الأرض آية، وفي كلّ حيٍّ يعيش عليها آية، وفي كلّ جزء مِن كلّ شيءٍ آية، وفي كلّ صغير دقيق كالضّخم الكبير آية، في هذه الورقة الصّغيرة من تلك الشّجرة الضّخمة آية.

آية في شكلها وحجمها، آية في لونها وملمسها، آية في وظيفتها وتركيبها، آية...

وفي هذه الشّعرة من جسم الإنسان أو الحيوان آية، آية في خصآئصها ولونها وحجمها، وفي هذه الرّيشة من جناح الطّآئر آية، آية في مادّتها وتنسيقها و وظيفتها، آية لمن تعلن هذه الآيات عن نفسها، فيراها ويستشعرها: «إنّ في السّموات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون» الجاثية: ٣-٤)

وذلك أنّ الإيمان بالله تعالى ومعرفته هو الّذي يفتح القلوب لتلقّى الاصدآء والأضوآء والأندآء والإحساس بما فيها من آيات الله المبثوثة في الأرض والسّمآء، وأنّ الإيمان هو الّذي تخالط القلوب بشاشة، فتحيي وترق وتلطف وتلتقط ما يذخر به الكون من إيحاءات خفية وظاهرة تشير كلّها إلى اليد الصّانعة الحكيمة المدبّرة، وطابعها المميز في كلّ ما تصوغه وتبدعه من أشيآءٍ ومن أحيآءٍ، وكلّ ما خرج من هذه اليد القادرة فهو خارق معجز لا يقدر على إبداعه أحد غير الله تعالى.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن الأدلّة الآفاقيّة والكون لا ثبات وحدانيّته وربوبيّه وعظمته وجلاله وعلمه وحكمته، وتدبيره وقدرته أخذ ببيان الأدلّة الأنفسيّة لذلك لأنّها أقرب إليهم، وهم بها أكثر حسّاسيّة، فقال: «وفي خلقكم ومايبثّ من دابّة آيات لقوم يوقنون» الجاثية: ٤)

إنّ الله تعالى خلق هذا الإنسان بهذا التّكوين العجيب، وبهذه الخصآئص الفريدة، وبهذه الوظائف اللطيفة الدّقيقة المتنوّعة الكثيرة الخارقة الّتي نسيناها لطول تكرارها ولقربها منّا، وإنّ التّركيب العضوي لجارحة واحدة من جوارح هذا الإنسان مسئلة تدير الرّأس عجباً ودهشة واستهوالاً لهذا التّركيب العجيب، وإنّ الحياة في أبسط صورها

معجزة في الإميبا ذات الخلية الواحدة، وفيما هو أصغر من الإميبا، فكيف بها في هذا الإنسان الشّديد التّركيب والتعقيد، وهو في تركيبه النّفسي أشدّ تركّباً وتعقداً من تركيبه العضوي.

وحول هذا الإنسان تلك الخلائق الّتي تدبّ على الأرض أنواعاً وأجناساً وأشكالاً وأحجاماً... بحرياً وبرّياً وجوّياً لا يحصيها إلّا الله تعالى، وإنّ أصغرها كأكبرها معجز في خلقه، معجز في تصريفه، معجز في تناسب حيواته على هذه الأرض بحيث لا يزيد جنس عن حدود معينة تحفظ وجوده وامتداده، وتمنع طغيانه على الأجناس الأُخرى طغيان إبادة وإفنآء، وإنّ اليد الممسكة بزمام الأنواع والأجناس تزيد فيها وتنقص منها بحكمة وتقدير وتركّب في كلّ منها من الخصآئص والقوى والوظائف ما يحفظ التّوازن بينها جميعاً.

أولم تروا إلى النّحل ومسدّ ساته؟ وإلى العنكبوت ومثلّثاته، وإلى الطّبع وتشكيلا ته...؟؟؟ كلّ ذلك بإيحآء الله وإلهاماته، بل الكلّ من الدّرّة إلى الذّرّة مجالي قدرته ومراتب علمه...

فانظروا في النّسور جارحة ضارية مديدة عمرها، ولكنّها في مقابل هذا نزرة قليلة البيض والفراخ بالقياس إلى العصافير والزّوازير... ولنا أن نتصوّر كيف كان الأمر لوكان للنّسور نسل العصافير؟ وكيف كانت تقضي على جميع الطّيور؟ وانظروا في الذّئاب لو كانت تنسل كالشياة أنّها لم تبق شاة ولا صاحبها، ولن يوجد لحمها... ولكنّ اليد الّتي تمسك بالزّمام تجعل نسلها محدوداً بالقدر المطلوب، وتكثر ذوات اللحوم المحلّلة لسبب معلوم، وإنّ الذّبابة الواحدة تبيض في الدّرة الواحدة مئاة الالوف، وفي مقابل هذا لا تعيش إلّا حوالى اسبوع إلى اسبوعين، فكيف لو أفلت الزّمام فعاشت الذّبابة الواحدة أشهراً أو سنين لكان الذّباب يغطي الأجسام ويأكل العيون...

ولكنّ اليد المدبّرة تضبط الأمور وفق تقدير دقيق محسوب فيه حساب كلّ الحاجات والأحوال والظّروف...

قال الله تعالى: «الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى» الأعلى: ٢-٣)

وقال: «إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيءٍ قدراً» الطّلاق: ٣)

وقال: «وخلق كلّ شيءٍ فقدّره تقديراً» الفرقان: ٢)

وقال: «وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام سوآء لّلسّآئلين» فصّلت: ١٠)

وانظروا في الخلق، وفي خصآئصه، وفي تدبيره وتقديره في نظام الكون ونواميس الوجود، ومافيه كلّها آيات ناطقة لمن يراها ويتدبّرها ويدركها كما قال: «لقوم يوقنون» الجاثية: ٤) «قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون ـ قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون ـ إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ـ قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون» الأنعام: ٩٧-٩٩ و١٢٦) «لآيات لقوم يتّقون ـ لقوم يتفكّرون ـ لقوم يسمعون» يونس: ٦ و٢٤ و٦٧)

وفي كلّ شيءٍ له آية تدلّ على أنّه واحد

ولا سيّما الآيات الكبريات والحجج البيّنات الّتي من عرفها فقد عرف الله جلّ وعلا وقال الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «الصّورة الإنسانيّة أكبر حجّة الله على خلقه» قال الله تعالى: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمرآن: ٦) «وصوّركم فأحسن صوركم» غافر: ٦٤) فوجود الإنسان يدلّ على الذّات واجب الوجود المستجمع لجميع الكمالات، وهو حجّة على منكر خالقه بشرط أن يعرف هذا الهيكل للتّوحيد والكمال الإنساني.

فكلّ واحد ممّا سوى الله من الموجودات الآفاقيّة والأنفسيّة له بالذّات آية الجليل جلّ جلاله وعلامته وآيته وسمته، وحكاية من صفة من صفاته، وله بالذّات دلالة على مدلولات إلهيّة هي أسمآؤه وصفاته الذّاتية، حاكية جماله وجلاله.

وفي دعآءِ عرفة: قال سيّد الشّهدآءِ الإمام الثّالث المظلوم الحسين بن عليّ عليهما أفضل صلوات الله وأتمّ تحيّاته: «وأنت الّذي لا إله غيرك تعرّفت لكلّ شيءٍ فما جهلك شيء وأنت الّذي تعرّفت إليّ في كلّ شيءٍ فرأيتك ظاهراً في كل شيءٍ وأنت الظّاهر لكلّ شيء ـ كيف تخفى وأنت الظّاهر؟ أم كيف تغيب وأنت الرّقيب الحاضر» الدّعاء.

وفي رواية: قال الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة والثّنآء: «قد علم اولوا الألباب أنّ ما هنالك لا يُعلَم إلّا بما هاهنا»

في القبسات: قال السّيّد المحقّق المير الداماد الاسترابادي المازندراني رحمة الله تعالى عليه: «مامن معجزة فعليّة مأتيّ بها إلّا وفي أفاعيل الله تعالى قِبلَنا من جنسها أكبر وأبهر منها، وآنق وأعجب وأحكم وأتقن: فَخَلْقُ النّار مثلاً أعظم من جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم، وخَلْقُ الشّمس والقمر والجليديّة والحسّ المشترك أعظم من شقّ القمر في الحسّ المشترك، ولوتدبّر متدبّر في خلق معدّل النّهار ومنطقة البروج متقاطعين على الحدّة والإنفراج، لا على زوايا قوآئم، وجَعْل مركز الشّمس ملازماً لسطح منطقة البروج في حركتها الخاصّة، وما في ذلك من استلزام بدائع الصُّنع وغرآئب التّدبير، واستتباع فيوض الخيرات، ورواشح البركات في آفاق نظام العالم العنصري لَدَهَشَتْهُ الحيرةُ، وطفق يخرّ مبهوراً في عقله، مَغشيّاً عليه في حسّه، وذلك إن هو إلّا فِعلٌ من أفاعيله سبحانه، وصُنعٌ من صنائعه عزّ سلطانه» إنتهى كلامه.

فعدم إدراك النّاس آيات الله جلّ وعلا وبيّناته فانّهم ينظرون إلى الأشيآءِ نظر الحسّ، ولا ينظرون نظر العقل، ولا يتفكّرون في خلق السّموات والأرض، ولا يرجعون المركبّات إلى اصولهم البسيطة وموادّهم العرية عن الحُليّ والحُلَل بذواتها، ولا يأخذون الأجناس والأنواع بشرط لا بالنّسبة إلى الفصول والمصنّفات والمشخّصات، حتّى يروا الكلّ في القوابل طوارى، ومن حضرة الفاعل عواري.

وينبغي أن ينظر الإنسان إلى صنائع الله تعالى وآياته نظر مستغرب نشأ، ولم ينظر إليها حتّى بلغ أشدّه، وعند هذا رآى آيات ربّه الصّغرى كبرى، فكيف الكبرى؟ ولا آية من آيات الله تعالى أكبر من الإنسان ولا إسم له سبحانه أعظم منه، سيّما الإنسان الكامل، وكلّ فعل منه غريب، وكلّ صفة منه عجيبة وذاته اعجوبة أعجب العجآئب، ولا يدرك غرابته واعجو بيّته لأنّ المدرِكين والمدرَكين أمثال ... «والشّيء يعزّ حيث يندر» فلوفرض أنّ نوعه منحصر في فرد ولا سيّما أنّ ذلك الفرد كان إنساناً كاملاً لقضى منه آخر العجب بالنّسبة إلى الأنواع الأُخر، وكان كلّ فعل منه غريباً غاية الغرابة، حتّى زراعته وحياكته، وكم من أمر غيبيّ لا تعدّ، يخبر به الدّهقان الزّارع مثل أنّ بذر الزّرع متى ينبت؟ وما هذا الزّرع؟ وكيف هو؟ وكم هو ؟ ومتى يبض؟ وإن كان في الشّمس

كيف نشوه؟ وفي جهة خلافه كيف يكون؟؟؟

وإنّ أهل الحسّ يتعجّبون عن جذب المغناطيس مثقالاً من الحديد ولم يتعجّبوا من جذب النّفس هذا الهيكل الثّقيل وتحريكه ميمنة وميسرة وقدّاماً وخلفاً وتصعّداً وتسفّلاً وعدواً وهُوَينا وهو كالكرة تحت صولجان قدرتنا بحول الله جلّ وعلا.

قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «التّوحيد أن لا تتوهّم».

﴿ تستحيل معرفة كنه ذات الله تعالى وحقيقة صفاته ﴾

في المناجات الثّانية عشر: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما صلوات الله: «إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النّظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك ...».

وفي أعمال ليلة الجمعة: «يا مَن فتق العقول بمعرفته» الدّعآء.

وفي الدّعآءِ بعد زيارة أميرالمؤمنين عليه السّلام: «يا من عرّفني نفسه» الدّعآء.

وفي أدعية السّاعات اليوميّة: «يا من عرّف نفسه خلقه بلطفه» الدّعآء.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر بعدم التّنافي بين الفقرة الأولى، وبين الفقرات الثّلاث الأخيرة، لأنّ معنى تعريف الله جلّ وعلا نفسه: إنّه عزّوجلّ عرّف عباده وجوده وعلمه وحكمته، وتدبيره وقدرته ... أوّلاً: بما يدلّ على ذلك بالضّروة، فإنّ من تأمّل في خلق السّموات والأرض وما بينهما سيّما في بدء خلقه في ظلمات الأرحام، ومتضاعفات الأستار واستقراره في قرار مكين إلى قدر معلوم وأجل معين، وتقلّبه في بطن امّه من حال إلى حال وهو لا يعيي دعآء ولا يسمع ندآء وخروجه من ذلك المضيق إلى منزل لم يشهده ومقام لم يعرفه، واجترار غذآئه من الثّدي عند الحاجة يعلم أنّ له إلهاً صانعاً قادراً عليماً حكيماً وهذا العلم ضروريّ، وإن احتاج إلى تنبيه كما ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ثمّ عرّفهم ماوراء ذلك من صفات الكمال، وعينيّتها ونعوت الجلال الّتي لا تطلع

عليها العقول بالإستقلال بالإشراقات القلبيّة وإرسال الرّسل، وإنزال الكتب، ونصب الأئمّة الهداة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليحيى من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة ولئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة، فوجب عليهم أن يعرفوه كما عرّفهم، وأن يصفوه بما وصف به نفسه، ومن وصفه بغير ذلك فقد أشرك بالله سبحانه، وألحد في أمره وتعدّى في حقّه. وليس المراد بمعرفة الله تعالى إلاّ معرفة كونه موجوداً قيّوماً متّصفاً بالصّفات الحسنى مقدّساً عمّا لا يليق بجنابه الأسنى، وأمّا معرفة كنه ذاته وحقيقة صفاته فأمر مستحيل، وليس للعقول إليه سبيل.

وقال بعض المحقّقين: إنّ طريق معرفة الشّيء أحد امور ثلاثة:

الأوّل: بمشاهدته وحضوره عند العارف كمعرفة هذا الرّجل وهذا الفرس وهذا الكتاب...

الثّاني: بمعرفة علله وأسبابه، وهذا الطّريق يقال له: برهان لمّيّ.

الثّالث: بمعرفة آثاره ومعلولاته، ويقال له: برهان إنّيّ.

ولا طريق إلى معرفة شيء، غير هذه الثّلاثة من الطّرق لأنّ ما لا يكون نفس الشّيء ولا علّته ولا معلوله لا تعلّق له بذلك الشيء، فلا مدخل له في كونه وسيلة إلى معرفته.

ثمّ الطّريق الأوّل لا يمكن إلاّ بفناء هويّة الممكن وإندكاك جبل انيّته، ولم يتيسّر لأحد من خلقه في الحياة الدّنيا.

والطّريق الثّاني لا أثر له في ساحة قدسه جلّ شأنه لأنّه بسيط صرف لا تركيب فيه أصلاً لا ذهناً ولا خارجاً، واجب لذاته، مبدأ لجميع ما سواه، وإليه تنتهي الآثار كلّها، فلا فاعل له خارجاً عن ذاته، ولا سبب له داخلاً في ذاته، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

فبقي الطّريق الثّالث والعلم الحاصل منه علم ناقص لا يعلم به خصوصيّة ذات المعلوم لأنّ الأثر والمعلول لا يستدعيان إلاّ سبباً ما وعلّة ما على وجه كلّيّ لا مؤثّراً معيّناً ولا علّة معلومة، بل غاية ما يستفاد منه أنّا إذا نظرنا إلى أجزاء العالم و وجود حوادث والحركات على أتقن وجه وأحكمه علمنا أنّ في الوجود خالقاً قيّوماً أزليّاً واحداً لا شريك

له ولا شبيه عالماً قادراً موصوفاً بالصّفات الحسنىٰ والأمثال العليا والكبرياۤء والآلآء، ويشترك في سلوك هذه الطّريقة جميع أرباب العقول من العالمين حتّى الأنبيآءِ والمرسلين كما قال جلّ وعلا: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السّموات والأرضِ وليكون من الموقنين» الأنعام: ٧٥)

وإن كان سلوكهم و وصولهم على تفاوت مراتب عقولهم، ألا ترى إنّك تستدلّ بملكوت السّموات وحركات الكواكب، وبزوغها وافولها على صانعها ومدبّرها كما استدلّ بها إبراهيم خليل الرّحمٰن عليه السّلام ولكن لا يحصل لك من ذلك إلّا علم ضعيف لا يكاد يمازجه إيمان ولا ايقان حتّى لو وقعت في أدنى بليّة جعلت تلوذ بكلّ من تتوهّم إنّه ينجيك منها.

وأمّا الّذي حصل لإبراهيم عليه السّلام فهو علم ثابت ويقين جازم، حتّى قال له الرّوح الأمين حين رمي بالمنجنيق، فكان في الهوآءِ مآئلاً إلى النّار: ألك حاجة؟ قال عليه السّلام: أمّا إليك فلا.

فاعراضه عليه السّلام عنه في تلك الحالة وإلتجآؤه إلى ربّه ليس إلّا لأنّه رآى أنّ كلّ ما سواه مفتقر إليه، خاشع لديه، خاضع بين يديه، مقهور لعزّته، مغلوب لقدرته، بل لم يرموجوداً سواه ولا ملجأ إلّا إيّاه، فتبيّن أنّ معرفة حقيقة ذاته وماله من كمال صفاته، أمر غير ممكن الحصول ولا للعقول إليه وصول، سوآء في ذلك الملائكة المقرّبون والأنبيآء والمرسلون.

كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو أعرف الخلق به: «سبحانك ماعرفناك حقّ معرفتك».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله إحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»

فلا تلتفت إلى من يزعم إنّه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدّسة، بل أحث التّراب في فيه، فقد ضلّ وغوى وكذّب وافترى، فإنّ الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، وكلّ ما تصوّره العالم الرّاسخ فهو عن حرم الكبرياۤءِ بفراسخ، وأقصى ما وصل

إليه الفكر العميق، فهو غاية مبلغه من التّدقيق، وإلى ذلك أشار بعضهم حيث قال:

والله لاموسى ولاعيسى المسيح ولامحمّد علموا ولاجبريل وهو إلى محلّ القدس يصعد
كلا ولاالنّفس البسيطة لاولاللعقل المجرّد من كنه ذاتك غير أنك واحديّ الذّات سرمد

فسبحان من احتجب بغير حجاب، وتقدّس عن إدراك العقول والألباب...

في الزّيارة الجامعة: «بل أنشأته ليكون دليلاً عليك بأنّك باين من الصّنع، فلا يطيق المنصف لعقله إنكارك، والموسوم بصحّة المعرفة جحودك».

وفي أصول الكافي: - باب حدوث العالم واثبات المحدث - بإسناده عن أحمد بن محسن الميثميّ قال: كنت عند أبي منصور المتطبّب فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجآء وعبدالله بن المقفّع في المسجد الحرام، فقال إبن المقفّع: ترون هذا الخلق - وأو مأبيده إلى موضع الطّواف -؟ مامنهم أحد أوجب له إسم الإنسانيّة إلّا ذلك الشّيخ الجالس - يعني أباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السّلام - فأمّا الباقون فرعاع وبهآئم فقال له إبن أبي العوجآء: وكيف أوجبتَ هذا الإسم لهذا الشّيخ دون هؤلآء؟ قال: لأنّي رأيت عنده مالم أره عندهم، فقال له ابن أبي العوجآء: لابدّ من اختبار ماقلت فيه منه قال:

فقال له إبن المقفّع: لا تفعل فانّي أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال: ليس ذارأيك ولكنّ تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت، فقال إبن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزّلل ولا تثني عنانك إلى استرسال، فيسلّمك إلى عقال، وسمه مالك أو عليك؟ قال: فقام إبن أبي العوجآء وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين، فلمّا رجع إلينا إبن أبي العوجآء قال: ويلك يا ابن المقفّع ماهذا ببشر وإن كان في الدّنيا روحانيّ يتجسّد إذا شآء ظاهراً ويتروّح إذا شآء باطناً فهو هذا فقال له: وكيف ذلك؟ قال: جلستُ إليه فلمّا لم يبق عنده غيرى ابتد أني فقال: إن يكن الأمر على مايقول هؤلآء - وهو على مايقولون - يعني أهل الطّواف - فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ماتقولون - وليس كما تقولون - فقد استويتم وهم، فقلت له: يرحمك الله وأيّ شيء نقول؟ وأيّ شيء يقولون؟ ماقولي

وقولهم إلّا واحداً، فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً؟ وهم يقولون: إنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأنّ في السّمآء إلهاً، وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السّمآء خراب ليس فيها أحد، قال فاغتنمتها منه، فقلت له: مامنعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتّى لا يختلف منهم إثنان، ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرّسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟ فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك:

نشؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّك، وصحّك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجآءك بعديأسك، ويأسك بعد رجآئك، وخاطرك بمالم يكن في وهمك، وعزوب ماأنت معتقده عن ذهنك، ومازال يعدّد عليّ قدرته الّتي هي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر فيما بيني وبينه».

قوله: «فرعاع» - بفتح الرّآء -: أحداث طغام رذال. و«ما في يدك» من العقائد... و«لاتثني عنانك ...»: لا ترخ عنانك بأن تميل إلى الرّفق، فتقبل منه بعض مايلقى إليك.

وقوله: «فيسلّمك إلى عقال»: يعقلك بتلك المقدّمات الّتي تسلّمت منه بحيث لايبقى لك مفرّ كالبعير المعقول. «وسمه مالك أوعليك»: إجعل على ماتريد أن تتكلّم علامة لتعلم أيّ شيء لك أوعليك. «فاغتنمتها منه» أي أعددت أقواله غنيمة إذ من مدّعياته إنفتح لي بابِ المناظرة معه عليه السّلام.

وقوله عليه السّلام: «أناتك» إسم من التأني بمعنى الفتور والتأخّر والإبطآء. و«خاطرك» من الخطور وهو حصول الشّيء مشعوراً به في الذّهن.

إنّ حاصل إستدلال الإمام عليه السّلام: إنك لمّا وجدت في نفسك آثار القدرة الّتي

ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أنّ لها بارئاً قادراً، وكيف يكون غآئباً عن الشّخص من لا يخلو النّاس ساعة عن آثار كثيرة تصل منه إليه، فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

﴿ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة ﴾

في تفسير الصّافي: «وفي مصباح الشّريعة قال الصّادق عليه السّلام: «العبوديّة جوهرة كنهها الرّبوبيّة، فما فقد من العبوديّة وجد في الرّبوبيّة، وماخفي عن الرّبوبيّة اصيب في العبوديّة قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق ـ إلى قوله ـ شهيد» أي موجود في غيبتك وحضرتك»».

رواه الحويزى رضوان الله تعالى عليه في تفسير نور الثّقلين.

أقول: إنّ في كتاب مصباح الشّريعة ومفتاح الحقيقة كلاماً لبعض الأعلام تركناه لأنّا على جناح الإختصار، وكيف كان فالكلام في الخبر على فرض صحّته وثبوته، والله تعالى هو أعلم: أنّ قوله عليه السّلام: «العبوديّة» إمّا أن تكون مصدراً من صفة الذّات بمعنى كون الشّخص عبداً أو صيرورته عبداً وإمّا مصدر لصفة الفعل مثل: عابد، فيكون المراد منها أيضاً كون الشّخص عابداً أو صيروته عابداً متعبّداً، فهي بمعنى الإطاعة والإنقياد والخضوع، أي كونه مطيعاً أو صيرورته مطيعاً.

وقوله عليه السّلام: «الرّبوبيّة» كونه ربّاً بمعنى مالكاً أو مستحقّاً أو صيرورته كذلك، وصيرورته كذلك إمّا بحصوله من باب الإتفاق والأسباب الخارجيّة كانتقال المال إليه بالميراث، فيصير المنتقل إليه ربّ المال، وإمّا بفعله فعلاً يوجب التّربية، وهذا هو المناسب في مقابلة العبوديّة بمعنى الإطاعة، فالعبوديّة بمعنى صيرورة الشّخص مطيعاً باتيان ما هو بمعنى الإطاعة، والرّبوبيّة بمعنى صيرورة الشّخص مطاعاً بتأسيس ما يوجب الإطاعة.

فمعنى قوله عليه السّلام: «العبوديّة جوهرة كنهها الرّبوبيّة»: أنّ ماهيّة العبوديّة وحقيقتها إطاعة العبد وخضوعه وانقياده لمولاه، و«جوهرة» أي خصلة عزيزة نفيسة تشبيهاً لها بالجوهرة الغالية الثّمينة كنهها يعني ذاتها وجوهرها، ومابه قوامها الرّبوبيّة يعني التّشبّه بالرّبّ والتّخلّق بأخلاقه في جميع صفاته وأفعاله حتّى في الخلق والإيجاد لا بمعنى خلق الأجسام، بل بمعنى إحيآئها بالتّعليم والإرشاد: «ومن أحياها فكأنّما أحيى النّاس جميعاً» المآئدة: ٣٢).

والمراد صيرورته ربّاً لقواه البهيميّة وشهواته النّفسانيّة، ومسلّطاً عليها بالرّياضات المشروعة والمجاهدات المجوّزة، فلا تحصل إذاً حقيقة العبوديّة إلّا بحصول حقيقة الرّبوبيّة بهذا المعنى. كما حكي: أنّ الإسكندر الرّومي وقف بين يدي ديوجانس الزّاهد الحكيم وكان في الشّمس فقال له: ماحاجتك؟ فقال: حاجتي أن تتنحى عنّي حتّى تقع الشّمس عَلَيَّ، فقال له الإسكندر: ماهذا التّهاون بي أما تعرفني؟

فقال له ديوجانس: أعرفك إنّك عبد عبدي.

فقال الإسكندر: وكيف ذلك؟

فقال ديوجانس: لأنّي ملك الطّبيعة والشّهوة واستعبدتها، وهما ملكاك واستعبداك، فأنت عبد لمن استعبدته.

وبعبارة أخرى: أنّ العبوديّة جوهرة كنهها ومآلها التخلّق بأخلاق الرّبوبيّة. كماورد في الأخبار: «تخلّقوا بأخلاق الله» وفي بعضها: «يا بن آدم أطعني أجعلك مثلي تقل للشيّ كن فيكون». وفي الحديث القدسي: «عبدي أطعني حتّى أجعلك مثلي».

وقوله عليه السّلام: «فمافقد من العبوديّة وُجِدَ في الرّبوبيّة» إنّه عليه السّلام لمّا ذكر: أنّ كنه العبوديّة من صفات الكمال للنّقصان الذّاتي أو لعدم القابليّة فلابدّ وأن يكون موجوداً في مرحلة الرّبوبيّة لكماله الذّاتي، وماخفي عن الرّبوبيّة أي من صفاتها وكمالاتها الفعليّة فمظهره العبوديّة والمخلوقيّة لأنّها المظاهر لأسمآء الله وصفاته كما اشير إليه في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي اعرف».

ومن المحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السّلام: «ماخفي عن الرّبوبيّة» من الإتّصاف بصفات الكمال، فبملاحظة مرحلة نقص العبوديّة وحقارتها وانقيادها وإحتياجها يستدلّ على مزيّة الرّبوبيّة وجامعيّتها للكمال. وأن يكون المعنى: أنّ المتدبّر المتفكّر في حقيقة العبوديّة والطّالب لحقيقتها المتفحّص عن أركانها وأجزآئها، إن فقد شيئاً في بيدآءِ فكرته، والتّدبير في حقيقتها وجده في الرّبوبيّة، يعني لمّا كان معرفة حقيقة العبوديّة محالة على معرفة حقيقة الرّبوبيّة بأحد المعنيين المتقدّمين، فما فقده العبد وغاب عنه في مقام معرفة حقيقة العبوديّة، وطريق العبادة والإطاعة، ولم تبلغ إليه فطنته فلابدّ وأن يلاحظ حقيقة الرّبوبيّة بأحد المعنيين، فيعثر حينئذ على مافقده من العبوديّة، ويطلع عليه ويصير خبيراً بمجامع شرائط العبوديّة وأطوارها وما خفي عن الرّبوبيّة اصيب في العبوديّة يعني إن أشكل عليك الإحاطة بمقام الرّبوبيّة بأحد المعنيين المتقدّمين، والمعرفة بأطوارها، وخفي عن مقامك هذا شيء، لم تعرفه اصيب في العبوديّة يعني يحصل لك العلم بذلك المخفيّ في مرحلة العبوديّة والعبادة والإطاعة بقدر ماعلمته منها وأحطت به، كما يدلّ عليه قوله عليه السّلام: «من عَمِلَ بما عَلِمَ ظهر له علم مالم يعلم».

فمعرفة طريقة الرّبوبيّة يصير سبباً لمعرفة طريقة العبوديّة، والعمل بمقتضى العبوديّة بقدر ماعلمه يصير سبباً لظهور مالم يعلم من مرتبة الرّبوبيّة، فبذلك تتمّ العبوديّة وتكمل.

فحاصل الكلام أنّ كنه العبوديّة هو الممشى على طريقة الرّبوبيّة، ولو كان على وجه المشابهة فما وصل إليه عقلك في استدراك طريقة الرّبوبيّة، فالعمل عليه هو نفس العبادة والممشى عليه هو الممشى على طريقة العبوديّة، ومالم يصل إليه عقلك من طريقة الرّبوبيّة فعليك بالعمل فيما عرفته من العبوديّة، فإنّه يوصلك إلى مالم تعرفه من الرّبوبيّة الّتي هي كنه العبوديّة واصله، فيصير بعد ذلك كاملاً في العبوديّة واصلاً إلى كنهها وسنخها هو الممشى على طريقة الرّبوبيّة بأحد المعنيين المتقدّمين.

وقوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد» أي موجود في غيبتك وحضرتك.

يعنى أنّ حقيقة العبوديّة وكنهه هو التّشبيه بالرّبّ والتّخلّق بأخلاقه والتّنزّه عن

القوّتين الشهويّة والغضبيّة حتّى يحصل بذلك التّجرّد، وقطع العلآئق وقطع النّظر عمّا سوى الله وعدم الإلتفات إلى غيره ممّا اقتضاه الهوى، فيحصل للعبد الإنقطاع إليه تعالى بكلّيّته والتّوجّه إليه بأجمعه، و وجه كون العبوديّة ذلك ولزوم بلوغ العبد في العبادة إلى هذه المرتبة أنّه تعالى على كلّ شيءٍ شهيد وموجود ورقيب في حال حضورك مع الله وحال غيبتك وغفلتك عنه.

يعنى إذا كان الله تعالى من العبد بهذه المثابة من القرب والحضور فلا بدّ وأن يسلك في عبادته المسلك المذكور يعني التّشبيه بالرّبّ في الأخلاق والصّفات والتّسلّط على القوى البهيميّة وقهرها بالمرّة، فلا بدّ وأن تعبده كأنك تراه.

فتفسير العبوديّة بذل الكلّيّة، وسبب ذلك منع النّفس عمّا تهوى، وحملها على ماتكره ومفتاح ذلك ترك الرّاحة، وحبّ العزلة، وطريقة الإفتقار إلى الله تعالى.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اعبد الله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فإنّه يراك » وحروف العبد ثلاثة: العين والبآء والدّال، فالعين علمه بالله تعالى، والبآء بونه عمّا سواه، والدّالّ دنوّه من الله بلا كيف ولا حجاب».

وإنّ الإمام عليه السّلام لمّا أشار إلى كنه العبوديّة على سبيل الإجمال أراد تفسيرها وتوضيحها، فقال: إنّها بذل الكلّيّة يعني التّجافي عن الطّبيعة بكلّيّتها، وسبب ذلك البذل، والتدبّر الّذي يحصل به ذلك منع النّفس عما تهوى، وهو مخالفة القوّة الشّهويّة وحملها على ماتكره وهو مخالفة القوّة الغضبيّة، ومفتاح ذلك المنع والحمل الّذي يسهّل صعبها ويحلّ مقفلها، ترك الرّاحة وحبّ العزلة وسبيله الإفتقار إلى الله تعالى يعني الإنقطاع برمته إليه بحيث لا يزعم لنفسه مناصاً ولا عن التّوجّه إليه خلاصاً.

وقوله عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اعبدالله...» الحديث إستشهاد لهذا التّفسير يعني أنّ عبادته تعالى بحيث تخال بأنّك تراه فما أمر به لا يكون إلّا بذلك، فانّه مالم يزل الإعتماد عن القلب ولم تنقطع العلائق عن مقتضى الشّهوة والغضب لا تحصل هذه الحالة فيتمّ الإستشهاد حينئذ بقوله تعالى: «أولم يكف بربك أنه على كلّ شيءٍ شهيد».

ثمّ أشار أيضاً إلى وجه تسمية العبد عبداً من باب الرّمز والإشارة بحيث يدلّ إسمه على مسمّاه فالعبوديّة فعل من أفعال العبد، ويزيد العبد على العبودية بالإشتمال على مقدّمة المعرفة، وهو ما اشير إليه بحرف العين، وخاصّيتها الدّنوّ والقرب الّذي هو غاية العبوديّة وهو ما اشير إليه بحرف الدّال، وأمّا البآء فهو نفس العبوديّة الّتي عبّر عنها ببذل الكلّيّة في التّفسير بالرّبوبيّة في كلام الإمام عليه السّلام فإنّ البون عمّا سواه تعالى هو الإنقطاع عن مقتضى الطّبيعة والغلبة على القوى البهيميّة فإنّه هو الّذي يجرى العبد إلى الدّنوّ بلا كيف ولا حجاب.

أمّا كونه بلا كيف فلتنزّهه جلّ وعلا عن أن يصل إليه أفكار الخلائق، وعقول البشر، ولمّا كان القرب والدّنوّ من باب التّضايف ولا يعلم حقيقته إلّا بمعرفة حقيقة المتضايفين، فاستلزم ذلك عدم معرفة حقيقة القرب وكيفيّته.

وأمّا كونه بلا حجاب فإنّ المراد به القرب الحاصل، فالغرض جلب النّفع لا دفع الضّرر، فإنّ المراد أنّ القرب لا بدّ أن يحصل حال كون العبد خالياً من حجاب من سآئر العلآئق فلم يبق له مطلوب إلّا هو ولا محبوب سواه فبقي هو وحده في نظره ويفنى ماسواه والله تعالى هو أعلم.

في دعآءِ أبي حمزة الثّمالي: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما أفضل صلوات الله وأتمّ تحياته: «فوعزّتك لو انتهرتَني ما بَرِحْتُ من بابك ولا كففتُ عن تملّقك لما أُلهِمَ قلبي يا سيّدي من المعرفة بكرمك وسعة رحمتك، إلى مَن يذهب العبد إلّا إلى مولاه؟ وإلى من يلتجئ المخلوق إلّا إلى خالقه؟ . . .» الدّعآء.

﴿كلمات قصار حول المعرفة﴾

غرر حِكمَ ودُرَرُ كلم في المقام عن أهل بيت الوحي عليهم السّلام نشير إلى نبذة منها:

١ ـ قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «المعرفة نور القلب» أي المعرفة بالله جلّ وعلا توجب نور القلب الإنسانيّ.

٢ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «المعرفة الفوز بالقدس» أي المعرفة بالله تعالى توجب أن ينال الإنسان بالطّهارة النّفسانيّة من دناسة الشّرك والطّغيان، ومن رجس الكفر والعصيان.

٣ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «المعرفة برهان الفضل».

٤ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «العلم لقاح المعرفة».

٥ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «الكيّس من عرف نفسه وأخلص أعماله».

٦ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «المعرفة بالنّفس أنفع المعرفتين».

٧ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أخوفكم أعرفكم».

٨ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه».

٩ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أفضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه».

١٠ ـ قال الإمام عليّ عليه السّلام: «لقاح المعرفة دراسة العلم».

تمّت سورة فصّلت والحمدلله ربّ العالمين

وأفضل صلوات الله وأكمل تحياته على محمّد وآله المعصومين

سُورَةُ الشُّورَىٰ

ترتيبها ٤٢ — سُورَةُ الشُّورَىٰ — آياتها ٥٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ
وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ
لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ
عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ
وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرۡفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ
لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ
فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ
بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ
وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ
رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾

وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ
وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ
وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿فضلها و خواصّها﴾

روى الصّدوق: رحمة الله تعالى عليه في «ثواب الأعمال» بإسناده عن سيف بن عميرة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من أدمن قراءة «حَم عَسَق» بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثّلج أو كالشّمس حتّى يقف بين يدي الله عزّوجلّ، فيقول: عبدي أدمتَ قراءة «حم عسق» ولم تدر ما ثوابها؟ أما لو دَرَيْتَ ما هي؟ وما ثوابها؟ لما مَلَلْتَ من قراءتها ولكن سأخبرك جزاك، أدخلوه الجنّة وله فيها قصر من ياقوتة حمرآء أبوابها وشُرُفها ودرجها منها، يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وله فيها جوار أتراب من الحور العين وألف جارية، وألف غلام من الولدان المخلّدين الّذين وصفهم الله عزّوجلّ».

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع، وفي جوامع الجامع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثّقلين، والشّيخ الحرّالعاملي في وسآئل الشّيعة، والمجلسي في البحار، والدّيلمي في أعلام الدّين، والكفعمي في المصباح، وفي جامع أحاديث الشّيعة... إلّا إنّ في المجمع «من قرأ» بدل «من أدمن قراءة» و«كالقمر ليلة البدر» بدل «كالثّلج أو كالشّمس» و«أدمنت» بدل «أدمت» و«سأجزيک جزاءك» بدل «سأخبرك جزاك» و«حَوْراوان» بدل «جوار أتراب».

فمن قرأ هذه السّورة وأدمن، مؤمناً بها، مستجيباً لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم مهتدياً بهداها، متوكّلاً على الله جلّ وعلا، منيباً إليه، مستقيماً على العمل بالوحي السّماوي، متصلّباً في ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم

أجمعين، فهو يدخل روضة الجنّة له مايشآء عند ربّه ذلك هو الفضل الكبير.

قال الله تعالى: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ـ والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير ـ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ـ إستجيبوا لربّكم» الشّورى: ٢٠و٢٢-٢٣ و٤٧).

وفي المجمع: ابيّ بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من قرأ سورة «حمعسق» كان ممّن يصلّي عليه الملائكة، ويستغفرون له ويسترحمون».

أقول: رواه في جوامع الجامع، وقطب الدّين الرّاوندي في لبّ اللباب، والكفعمي في المصباح وأبوالفتوح الرّازي في تفسيره، والحويزي في نور الثّقلين، والمحدّث النّوري المازندراني في المستدرك ، والسّيّد البروجردي في جامع أحاديث الشّيعة وغيرهم.

وفي المصباح: زاد «عليه» بعد «يسترحمون».

قال الله تعالى: «والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض ـ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ويزيدهم من فضله ـ للّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون» الشّورى: ٥و٢٦و٣٦)

وفي البرهان: روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «مَن قرأ هذه السّورة صلّت عليه الملائكة وترحموا عليه بعد موته، ومن كتبها بمآء المطر وسحق بذلك المآء كحلاً، واكتحل به مَن بعينه بياض قلعه، وزال عنه كلّما كان عارضاً في عينه من الآلام بإذن الله تعالى».

وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من كتبها بعجين مكّيّ ومآء المطر وسحق به كحلاً ويكتحل منه، فإن كان في عينه بياض زال عنه، وكلّ ألم في العين يزول».

وفيه: وقال الصّادق عليه السّلام: «من كتبها وعلّقها عليه أمن من النّاس ومن شرها في سفر أمن».

وعن خواصّ القرآن: «من تلاها في منامه أوتليت عليه أو شيء منها يعطيه الله تعالى علماً ومعرفة ويرزقه رفعة في دنياه مع حسن أحواله، ويبلغ آماله في ولده وذرّيته، ويعلوعلى أعدآئه، ولا يضرّه شيء بإذن الله تعالى».

وعنه: «من كتبها وعلّقها عليه أمن من شرّ النّاس، ومن شرب من مآئها لم يحتج إلى مآء بعدها، وكرهته نفسه، ولم تطلبه نفسه أبداً، وإذا رشّ من هذا المآء على المصروع أحرق شيطانه ولم يعد إليه بعدها، وإن عجن بمآئها طين الفواخير وعمل منها كوزاً وقدحاً ممّا يشرب منه ثمّ يشوى، ودفع لمن به الشّلّ واحتراق الجسم، فيشرب الدّوآء والمآء فإنّه نهاية في هذا الفنّ مع حصول بقيّة العمر والله أعلم».

أقول: رواه الكفعمي في المصباح، والشّهيد في مجموعته، والمحدّث النّوري في المستدرك .

وفي مجموعة الشّهيد: «من سقاها للزّوجة المخالفة أطاعت».

وفي أصول الكافي: بإسناده عن جابرعن أبي جعفرعليه السّلام قال: سمعته يقول: «وقع مصحف في البحر فوجدوه وقد ذهب مافيه إلاّ هذه الآية «ألا إلى الله تصير الأمور» الشّورى: ٥٣).

أقول: وقد سبقت فضائل آيها في فضائل سورتي النّسآء ومريم، ولا يبعد أن يكون من خواص السّورة وآياتها لأهلها ما ورد في الأخبار، والله تعالى هو المؤثّر وهو أعلم.

وقال بعض القدمآء: «واعلم أنّ هذه السّورة حوت منافع وفوآئد لا تحصىٰ فمنها أنّ من قرأ هذه الخمس الآيات وهو داخل على جبّار أو سلطان أو غير ذلك كفى شرّه. وصفة القراءة أن يعقد إبهامه من يده اليمنىٰ ثمّ يقول:

«كمآء أنزلناه من السّمآء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح» الكهف: ٤٥) ح ٥)

«هو الله الّذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشّهادة هو الرّحمٰن الرّحيم» الحشر: ٢٢) م ى) «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» غافر: ١٨) ع ع).

«علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنّس» التكوير: ١٤-١٦)
س ص ص) «ص والقرآن ذي الذّكر بل الّذين كفروا في عزّة وشقاق» ص: ٢١)
فا ص ف) «كهيعص» ليده اليمنىٰ.

و«حمعسق» ليده اليسرى.

ثمّ يدخل عليه فإنّه لايضرّه وجرّب ذلك مراراً».

وفي عدّة الدّاعي: عن الصّادق عليه السّلام: «من دخل على سلطان يخافه فقرأ عند مايقابله: «كهيعص» ويضمّ يده اليمنى كلّما قرأ حرفاً ضمّ إصبعاً، ثمّ يقرأ «حم عسق» ويضمّ أصابع يده اليسرى كذلك ثمّ يقرأ: «وعنت الوجوه للحيّ القيوم وقد خاب من حمل ظلماً» ويفتحهما في وجهه كفى شرّه».

وفي الدّرالمنثور: وأخرج إبن النّجّار في تاريخه عن رزين بن حصين قال: قرأت القرآن من أوّله إلى آخره على عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه فلمّا بلغت الحواميم قال لي: «قد بلغت عرآئس القرآن» فلمّا بلغت إثنتين وعشرين آية من حم عسق بكى ثمّ قال: «ألّلهمّ إنّي أسئلك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقآئق الإيمان، والغنيمة من كلّ برّ، والسّلامة من كلّ إثم، ورجوت رحمتك والفوز بالجنّة والنّجاة من النّار» ثمّ قال: يا رزين إذا ختمت، فادع بهذه فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أمرني أن أدعو بهنّ عند ختم القرآن».

أقول: قال بعض أصدقآئي من أهل التهجّد والدّعآء والإخلاص - سنة ١٤١٤ هـ ق-: «من صلّى ركعتين يوم الإثنين، فقرأ بعد الحمد: «الله لطيف بعباده يرزق من يشآء وهو القويّ العزيز» الشّورى: ١٩) ثلاث مرّات، ثمّ قام، وقال قائماً: «يالطيف» ١٢٩ مرّة يزيد عليه رزقه، وتقضى مهمّاته إن شآء الله تعالى. وإنّي جرّبته فوجدته صادقاً.

﴿الغرض﴾

واعلم أنّ الوحي السّماوي والشّريعة الإلهيّة المطلقة، والولاية لأهل بيت الوحي والشّريعة الخاصّة هي المحور الرّئيسيّ الّذي ترتبط به السّورة كلّها، وتأتي سآئر الموضوعات فيها تبعاً لتلك الحقيقة الرّئيسيّة فيها، فجآء في افتتاحها قوله عزّوجلّ: «كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك» :٣) ثمّ قال: «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر أمّ القرى ومن حولها ـ شرع لكم من الدّين ما وصىّ به نوحاً ـ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ـ الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان ـ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»: ٧و١٣و١٥و١٧و٢٣) وجآء في اختتامها قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً ـ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا»: ٥١ـ٥٢).

ثمّ بحث فيها عن حقيقة الوحدانيّة وتعرضها من جوانب متعدّدة مع حملة شديدة على المشركين، وإفحام لهم في سياق مواقف حجاجيّة ومشاهد جدليّة، ولفت نظر إلى بعض مشاهد وحدانيّته وقدرته، وتدبيره وعظمته، وشمول علمه وحكمته ومشيئته، وبيان لطرق إتّصال الله جلّ وعلا بأنبيائه عليهم السّلام، وتقرير لوحدة المنبع والمبادئ بين الدّعوة المحمّديّة ودعوة جميع الأنبيآء والمرسلين الماضين، وتعليل إختلاف أهل الكتاب وعزوه إلى البغي والهوى ونفي كونه من أصل طبيعة الدّعوة الرّبّانيّة، وتثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في دعوته وموفقه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وتنويه بأخلاق المؤمنين الّتي يمتازون بها من غيرهم وتوجيههم إلى خير سبل الحقّ

والهداية، والعدل والكرامة، والقوّة والإستقامة في الدّين والصّلابة في الولاية، وتنويه بمصيرهم، ومصير الكفّار والمنافقين، والفجّار والمجرمين، والفسّاق والمستكبرين... ومايستقبل كلاً من الفريقين في معادهم ورجوعهم إلى الله تعالى، فتتحدّث فيها عن حقيقة القيامة والإيمان بها، ويأتي ذكر الآخرة ومشاهدها في مواضع متعدّدة منها.

ثمّ تذكر في السّورة قضيّة الرّزق وبسطه وقبضه، وصفة الإنسان في حالتي السّرّآء والضّرّآء كلّها لبيان حقيقة الوحي والرّسالة والولاية، ولتقرير وحدانيّة الموحي و وحدة الوحي، و وحدة العقيدة، و وحدة المنهج والطّريق، وأخيراً وحدة القيادة البشرية في ظلّ العقيدة الحقّة كما افتتحت لتقرير وحدة مصدر الوحي في الأوّلين والآخرين من قوله جلّ وعلا: «كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم».

﴿النّزول﴾

سوره «الشّورى» مكيّة نزلت بعد سورة «فصّلت» وقبل سورة «الزّخرف».

في تنوير المقباس في تفسير إبن عبّاس: «وهي: «سورة الشّورى» كلّها مكّيّة إلّا سبع آيات: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...»: ٢٣) و«والّذين يحاجّون في الله...»: ١٦) و«والّذين يجتنبون كبآئر الإثم والفواحش ـ إلى قوله تعالى ـ إنّ ذلك لمن عزم الإمور»: ٣٧ـ٤١) فإنّهنّ مدنيّات.

وفي المجمع: وهي مكّيّة عن الحسن إلّا قوله: «والّذين استجابوا ـ والّذين إذا أصابهم ـ إلى قوله ـ لا يحبّ الظّالمين» ٣٨ـ٤٠) وعن إبن عبّاس وقتادة إلّا أربع آيات منها نزلت بالمدينة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قال إبن عبّاس: ولمّا نزلت هذه الآية قال رجل: والله ما أنزل الله هذه الآية، فأنزل الله: «أم يقولون افترى على الله كذباً»: ٢٤) ثمّ إنّ الرّجل تاب وندم، فنزل: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ـ إلى قوله ـ لهم عذاب شديد» ٢٥ـ٢٦).

وفي تفسير الجلالين: «مكّيّة إلّا الآيات (٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) فمدنيّة».

وفي تفسير النيسابوري: «وهي مكّيّة إلّا أربع آيات: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلى آخرهنّ».

وفي الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: «مكّيّة في قول الحسن وعكرمة وعطآء وجابر، وقال إبن عبّاس وقتادة: إلّا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» إلى آخرها».

وفي تفسير المراغي: «هي مكّية إلاّ آيات (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧) فمدنيّة».

وفي التّفسير الحديث: «وقد ذكر المصحف الّذي اعتمدناه أنّ الآيات (٢٣-٢٥) مدنيات».

وفي الميزان: «والسّورة مكّية وقد استثنى قوله: «والّذين استجابوا لربّهم» إلى تمام ثلاث آيات (٣٨-٤٠) وقوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» إلى تمام أربع آيات (٢٣-٢٦).

وقيل: غير ذلك. وسيأتي البحث في مدنيّة آية المودّة ومكّيتها إن شآء الله تعالى فانتظر. وعلى أيّ تقدير وهي السّورة الثّانية والسّتّون نزولاً، والثّانية والأربعون مصحفاً، وتشتمل على (٥٣) آية، سبقت عليها (٣٢٠٦) آية نزولاً، و(٤٢٧٢) آية مصحفاً على التّحقيق، ومشتملة على (٨٦٠) كلمة وقيل: (٨٦٦) كلمة، وعلى (٣٠٨٨) حرفاً، وقيل: (٣٥٨٨) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

وهي السّورة من السّور النّازلة في أوآئل البعثة على ما يستفاد من السّياق والرّوايات الواردة فيها، وهي ثالثة سلسلة السّبع المكّية المعروفة بالحواميم...

ولهذه السّورة إسمان: **أحدهما**- «حمعسق» وهو المشهور لإفتتاحها بهذا. **ثانيها**- «الشّورى» وهي الأشهر لآية الشّورى فيها: «وأمرهم شورى بينهم»: ٣٨) فسمّيت بها.

في تفسير الجامع لأحكام القرآن: «أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا نزلت هذه الآية: «حمعسق» عُرِفَتْ الكآبة في وجهه، فقيل له: يا رسول الله ما أحزنك؟ قال: «أُخبِرتُ ببلايا تنزل بأمّتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وآيات متتابعات متّصلات بنزول عيسى وخروج الدّجّال».

وفيه: قال إبن عبّاس: «وكان عليّ رضي الله عنه يعرف الفتن بها» أي بـ «حمعسق».

في تفسير البرهان: إبن شهر آشوب من كتاب العلويّ البصريّ: «إنّ جماعة من اليمن أتوا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: نحن بقايا الملك المقدّم من آل نوح،

وكان لنبيّنا وصيّ إسمه سام، وأخبر به في كتابه أنّ لِكلّ نبيّ معجزة، وله وصيّ يقوم مقامه، فمن وصيّك ؟.

فأشار صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده نحو عليّ عليه السّلام فقالوا: يا محمّد! إن سئلناه أن يرينا سام بن نوح فيفعل؟ قال: نعم بإذن الله، وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا عليّ قم معهم إلى داخل المسجد فصلّ ركعتين واضرب برجلك الأرض عند المحراب، فذهب عليّ عليه السّلام وبأيديهم صحف إلى أن بلغ محراب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم داخل المسجد فصلّى ركعتين، ثمّ قام فضرب برجله على الأرض، فانشقّت الأرض، وظهر لَحَدٌ وتابوت، فقام من التّابوت شيخ يتلألؤ وجهه مثل القمر ليلة البدر، وينفض التّراب من رأسه وله لحية إلى سرته، وصلّى على عليّ عليه السّلام وقال:

أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله سيّد المرسلين وأنّك وصيّ محمّد سيّد الوصيّين، أنا سام بن نوح، فنشروا أولئك صحفهم، فوجدوه كما وصفوه في الصّحف، ثمّ قالوا: نُريد أن يقرأ من صحفه سورة، فأخذ في قرآئته حتّى تمّم السّورة ثمّ سلّم على عليّ عليه السّلام ونام كما كان فانضمّت الأرض، وقالوا بأسرهم: إنّ الدّين عند الله الإسلام وآمنوا فأنزل الله: «أم اتّخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ وهو يحيى الموتى ـ إلى قوله ـ وإليه انيب» الشّورى: ٩ـ١٠)

وفي الجامع لإحكام القرآن للقرطبي: في قوله تعالى: فلذلك فادع واستقم كما أُمرت...» الآية: وقيل: إنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة، وقد سئلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يرجع عن دعوته ودينه إلى دين قريش، على أن يعطيه الوليد نصف ماله، ويزوّجه شيبة بابنته»

في أسباب النّزول للسّيوطي: «أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: لمّا نزلت «إذا جآء نصر الله والفتح» قال المشركون بمكّة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل النّاس في دين الله أفواجاً فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: «والّذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له...» الآية. وأخرج

عبدالرّزّاق عن قتادة في قوله: «والّذين يحاجّون...» الآية قال: هم اليهود والنّصارى قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم، ونحن خير منكم».

أقول: رواه السّيوطي في الدّر المنثور. وفيه عن قتادة في قوله: «والّذين يحاجون في الله» الآية قال: هم اليهود والنّصارى حاجّوا المسلمين في ربّهم، فقالوا: أنزل كتابنا قبل كتابكم ونبيّنا قبل نبيّكم، فنحن أولى بالله منكم فأنزل الله: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب».

وفيه: عن الحسن قال: «قال أهل الكتاب لأصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: نحن أولى بالله منكم، فأنزل الله: «والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم» يعني أهل الكتاب».

وفيه: عن أنس «ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» قال: نزلت في اليهود».

وفي أسباب النّزول للواحدي النّيسابوري: قال إبن عبّاس: لـمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المدنية كانت تنوبه نوآئب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار: إنّ هذا الرّجل قد هداكم الله تعالى به وهو إبن اختكم وتنوبه نوآئب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم مالا يضرّكم، فأتوه به ليعينه على ماينوبه ففعلوا، ثمّ أتوابه فقالوا: يا رسول الله إنّك إبن اختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوآئب وحقوق، وليست لك عندنا سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا، فنأتيك به، فتستعين على ماينوبك وهو هذا فنزلت هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».

وفيه: وقال قتادة: «إجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أترون محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم يسئل على مايتعاطاه أجراً؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية».

وفي الدّرّ المنثور: عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا

أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» أن تحفظوني في أهل بيتي وتودّوهم بي»ـ.

وفيه: عن إبن عبّاس قال: لمّانزلت هذه الآية: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلآء الّذين وجبت مودتهم؟ قال: عليّ وفاطمة و ولداهما»ـ.

وفيه: وأخرج إبن جرير عن أبي الدّيلم قال: لمّا جيئ بعليّ بن الحسين رضي الله عنه أسيراً فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشّام، فقال: الحمد لله الّذي قتلكم واستأصلكم، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنه: «أقرأت القرآن؟» قال: نعم قال: أقرأت آل حم؟ قال: لا قال: أما قرأت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»؟ قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

وفي شواهد التّنزيل للحاكم الحسكاني الحنفيّ ـ من أعلام العامّة في القرن الخامس الهجري ـ بإسناده عن إبن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً...» قالوا: يا رسول الله من قرابتك التّي افترض الله علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة و ولدها»ـ.

وفيه: بإسناده عن إبن عبّاس قال: لمّانزلت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله ومن هؤلآء الّذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: فاطمة وعليّ وولدهما» وقال أحمد بن عمّار في حديثه: مَن قرابتك الّذي افترض الله علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة و ولدهما. ثلاث مرّات يقولها»ـ.

وفيه: بإسناده عن إبن عبّاس: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قدم المدينة وليس بيده شيء، وكانت تنوبه نوآئب وحقوق، فكان يتكلّفها وليس بيده سعة، فقالت الأنصار فيما بينها: هذا رجل قد هداكم الله على يديه، وهو إبن اختكم تنوبه نوآئب وحقوق وليس في يده سعة، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ثمّ ائتوه بها يستعين بها على ماينوبه، ففعلوا ثمّ أتوه بها فنزل: «قل لا أسئلكم عليه أجراً» يعنى على الإيمان والقرآن ثمناً، يقول: رزقاً ولا جعلاً إلّا أن توادّ واقرابتي من بعدى، فوقع في قلوب القوم شيء منها، فقالوا: استغنى عمّا في أيدينا أراد أن يحثّنا على ذوي قرابته

من بعده، ثمّ خرجوا فنزل جبرئيل فأخبره أنّ القوم قد اتّهموك فيما قلت لهم.

فأرسل إليهم فأتوه فقال لهم: انشدكم بالله وما هداكم لدينه أتتّهمونني فيما حدثتكم به على ذوي قرابتي؟ قالوا: لا يا رسول الله إنّك عندنا صادق بارّ، ونزل: «أم يقولون افترى على الله كذباً» الآية: ٢٤) فقام القوم كلّهم فقالوا: يا رسول الله فانّا نعهد إنّك صادق، ولكن وقع ذلك في قلوبنا، وتكلّمنا به، وإنّا نستغفرالله ونتوب إليه، فنزل: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده» الآية: ٢٥ الشّورى)

وفيه: بإسناده عن إبن عبّاس: انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّاقدم المدينة كانت تنوبه نوآئب وحقوق، وقدوم الغربآء عليه، وليس في يده سعة لذلك، فقالت الأنصار: إنّ هذا الرّجل قد هداكم الله على يديه وهو إبن اختكم، تنوبه نوآئب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم مالا يضرّكم، فتأتونه به فتستعين به على ماينوبه من الحقوق، فجمعوا له ثمان مأة دينار، ثمّ أتوه فقالوا له: يا رسول الله إنّك ابن اختنا، وقد هدانا الله على يديك، تنوبك نوآئب وحقوق، ليست بيدك لها سعة، فرأينا أن نجمع من أموالنا طائفة، فنأتيك به، فتستعين به على ماينوبك وهوذا؟ فنزل: «قل لا أسئلكم عليه أجراً» يعني لا أطلب منكم على الإيمان والقرآن جعلاً ولا رزقاً «إلّا المودّة في القربى» يعني إلّا أن تحبّوني وتحبّوا أهل بيتي وأقربآئي.

قال إبن عبّاس: فوقع في قلوب المنافقين من أهل المدينة شيء، فقالوا: مايريد منّا إلّا أن نحبّ أهل بيته ونكون تبعاً لهم من بعده، ثمّ خرجوا فنزل جبرئيل على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخبره بما قالوا، فأنزل الله تعالى: «أم يقولون افترى على الله كذباً» يعني إختلاقاً. الآية. فقال القوم: يا رسول الله فإنّا نشهد أنّك صادق بما قلته لنا فنزل: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده».

وفيه: بإسناده عن السّدي في قوله تعالى: «ومن يقترف حسنة» قال: المودّة لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم». رواه عن إبن عبّاس أيضاً.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في المسئلة الثّانية ـ مالفظة: «واختلفوا في

سبب نزولها (الآية) فقال إبن عبّاس: لمّا قدم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة كانت تنوبه نوآئب وحقوق لايسعها ما في يديه، فقالت الأنصار: إنّ هذا الرّجل هداكم الله به وهو إبن أخيكم، وتنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له، ففعلوا، ثمّ أتوه به، فنزلت.

وقال الحسن: نزلت حين تفاخرت الأنصار والمهاجرون، فقالت الأنصار: نحن فعلنا، وفخرت المهاجرون بقرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

روى مِقْسم عن إبن عبّاس قال: سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً، فخطب فقال للأنصار: «ألم تكونوا أذلآء فأعزّكم الله بي؟ ألم تكونوا ضُلاّلاً فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا خائفين فأمّنكم الله بي؟ ألا تردّون عليّ؟» فقالوا: بِمَ نجيبك؟ قال: تقولون: ألم يطردك قومك فآويناك؟ ألم يكذّبك قومك فصدّقناك ...؟» فعدّد عليهم. قال فجثوا على ركبهم، فقالوا: أنفسنا وأموالنا لك، فنزلت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».

وقال قتادة: قال المشركون: لعلّ محمّداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية ليحثّهم على مودّته ومودّة أقربآئه. قال الثّعلبي: وهذا أشبه بالآية لأنّ السّورة مكّيّة».

وفيه: في قوله تعالى: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده» قال إبن عبّاس: لمّا نزل قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قال قوم في نفوسهم: ما يريد إلّا أن يحثّنا على أقاربه من بعده فأخبر جبرئيل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّهم قد اتّهموه فأنزل «أم يقولون افترى على الله كذباً» الآية فقال القوم: يا رسول الله: فإنّا نشهد أنّك صادق ونتوب، فنزلت: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده».

وفي تفسير القمّي رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه‌السّلام يقول في قول الله: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» يعني في أهل بيته قال: جآئت الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا:

إنّا قد آوينا ونصرنا، فخذ طائفة من أموالنا، فاستعن بها على ما نابك ، فأنزل الله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً» يعني على النبوّة «إلّا المودّة في القربى» يعني في أهل بيته، ثمّ قال: ألا ترى أنّ الرّجل يكون له صديق وفي نفس ذلك الرّجل شيء على أهل بيته، فلا يسلم صدره، فأراد الله أن لا يكون في نفس رسول الله شيء عن أهل بيته (أمّته خ) ففرض عليهم المودّة في القربى، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً.

قال: فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول: عرضنا (أعرضنا خ) عليه أموالنا فقال: قاتلوا (قاتلوا خ) عن أهل بيتي من بعدي، وقالت طآئفة: ماقال هذا رسول الله وجحدوه وقالوا كما حكى الله: «أم يقولون افترى على الله كذباً» فقال الله: «فإن يشاء الله يختم على قلبك» قال: لو افتريت «ويمح الله الباطل» يعني يبطله «ويحق الحقّ بكلماته» يعني بالنّبيّ وبالأئمة والقآئم من آل محمّد عليهم السّلام «إنّه عليم بذات الصّدور».

ثمّ قال: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفو عن السّيّئات ـ إلى قوله ـ ويزيدهم من فضله» يعني الّذين قالوا القول: ماقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال: «والكافرون لهم عذاب شديد» وقال أيضاً: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قال: أجر النّبوّة أن لا تؤذوهم ولا تقطعوهم ولا تغصبوهم وتصلوهم ولا تنقضوا العهد فيهم لقوله تعالى: «والّذين يصلون ما امر الله به أن يوصل».

قال: جآء (جآئت خ) الأنصار إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: إنّا قد نصرنا وفعلنا، فخذ من أموالنا ماشئت، فأنزل الله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» يعنى في أهل بيته صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد ذلك: «من حبس أجيراً أجره فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً وهو محبّة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

ثمّ قال: «ومن يقترف حسنة» وهي إقرار الإمامة لهم والإحسان إليهم وبرّهم

وصلتهم «نزدله فيها حسناً» أي نكافئ على ذلك بالإحسان.

وفي قرب الأسناد: قال: وقال أبوعبدالله عليه السّلام للأحول أتيت البصرة؟ قال: نعم قال: كيف رأيت مسارعة النّاس في هذا الأمر ودخولهم فيه؟ فقال: والله إنّهم لقليل، وقد فعلوا وإنّ ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث فإنّهم أسرع إلى كلّ خير، قال: مايقول أهل البصرة في هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»؟ قال: جعلت فداك يقولون: إنّها لقرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولأهل بيته، قال عليه السّلام: «إنّما نزلت فينا أهل البيت: الحسن والحسين وعليّ و فاطمة أصحاب الكسآء».

وفيه: عن إبن صدقة عن جعفر عن آبآئه عليهم السّلام أنّه لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «أيّها النّاس إن الله تبارك وتعالى قد فرض لي عليكم فرضاً، فهل أنتم مؤدّوه؟ قال: فلم يجبه أحد منهم، فانصرف فلمّا كان من الغدقام فيهم، فقال مثل ذلك، ثمّ قام فيهم، فقال مثل ذلك في اليوم الثّالث، فلم يتكلّم أحد، فقال: يا أيّها النّاس إنّه ليس من ذهب ولا فضّة ولا مطعم ولا مشرب، قالوا: فألقه إذن، قال: إنّ الله تبارك و تعالى أنزل عَلَيَّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» فقالوا: أمّا هذه فنعم، فقال أبوعبدالله عليه السّلام: فوالله ماوفى بها إلّا سبعة نفر: سلمان وأبوذرّ وعمّار والمقداد بن الأسود الكنديّ وجابربن عبدالله الأنصاريّ ومولى لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقال له: الثبيت وزيد بن أرقم».

أقول: رواه الشّيخ في الإختصاص، والمجلسي في البحار وفي الإختصاص «شبيب» بدل «الثبيت».

وفي الكشّاف: روي أنّها لـمّا نزلت قيل: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قرابتك هؤلآء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما».

ثمّ قال الزّمخشري: «ويدلّ عليه ماروى عن عليّ عليه السّلام: شكوت إلى رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حسد النّاس لي فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما ترضى أن تكون رابع رابعة أوّل من يدخل الجنّة: أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمآئلنا وذرّيّتنا خلف أزواجنا».

وفي تفسير الكبير (مفاتيح الغيب)قال الفخر الرّازى ـ بعد نقل ماذكره الزّمخشرى في تفسيره ـ مالفظه: «وأنا أقول: آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هم الّذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولاشك أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التّعلّق بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل».

ثمّ قال الفخر: «فثبت أنّ هؤلآء الأربعة أقارب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيّة التّعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى» و وجه الإستدلال به ماسبق.

الثّاني: لا شك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحبّ فاطمة عليها السّلام قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها»وثبت بالنّقل المتواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الامّة مثله لقوله تعالى: «واتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ١٥٨) ولقوله: «فليحذر الّذين يخالفون عن أمره» النور: ٦٣) ولقوله: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله» آل عمران: ٣١) ولقوله سبحانه: «لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة» الأحزاب: ٢١)

الثّالث: انّ الدّعآء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدّعآء خاتمة التشهّد في الصّلاة وهو قوله: «ألّلهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّد وآل محمّد» وهذا التّعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم واجب ثمّ ذكر الفخر الرّازى شعر الشّافعى أنّه قال:

يا راكباً قف بالمحصب من منىً ... واهتف بساكن خيفها والنّاهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منىً ... فيضاً كما نظم الفرات الفآئض

إن كــان رفضــاً حــبّ آل محــمّــد فليشـهـد الثقـلان أنّـي رافضـي

وفي الدّر المنثور: أخرج مسلم والتّرمذي والنّسآئي عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أذكركم الله في أهل بيتي».

وفيه: أخرج التّرمذي وحسّنه وإبن الأنباري في المصاحف عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّمآء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتّى يردا عَلَيَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

رواه إبن كثير في تفسيره إلّا أنّ فيه «إنّي تارك فيكم الثّقلين...» ثمّ قال إبن كثير: «قد ثبت في الصحيح أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال في خطبته بغدير خم الرّواية».

وفي الدّر المنثور: أخرج التّرمذى وحسّنه والطّبراني والحاكم والبيهقى في الشّعب عن إبن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «احبّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، واحبّوني لحبّ الله وأحبّوا أهل بيتي لحبّي».

وفيه: عن أبي سعيد قال: قال رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من أبغضنا أهل البيت فهو منافق».

وفيه: عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: والّذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل إلّا أدخله الله النّار».

وفي تفسير إبن كثير الدّمشقي: قال إبن كثير ـ بعد أن نقل تلك الرّوايات ـ: إنّ نزول الآية: «ذي القربى» في المدينة بعيد فانّها مكّيّة، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أو لاد بالكلّيّة، فانّها لم تتزوّج بعليّ إلّا بعد بدر من السّنة الثّانيّة من الهجرة».

وقال بعض المحقّقين: «وأمّا قول بعض العامّة المبغضين خبيث الولادة بأنّ سورة الشّورى مكّيّة، وأنّ عليّاً عليه السّلام إنّما تزوّج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر من السّنة الثّانية من الهجرة النّبوّية، وأنّ الحسن وُلِدَ في السّنة الثّالثة من الهجرة، والحسين في السّنة الرّابعة، فتكون نزول هذه‌الآية: «ذي القربى» قبل وجود الحسنين بسنين،

فكيف يفسّر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الآية بوجوب مودّة قرابة لا تعرف ولا تخلق؟!» فالجواب أوضح أن يبيّن حيث إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يعرف الحسنين فقط قبل ولادتها، بل أمر بحبّ آله صلّى الله عليه وآله وسلّم من فاطمة الزّهرآء إلى المهدى الحجّة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين، وإن لم يولد من الحسين عليه السّلام ولد فضلاً عن خاتم أوصيآئه عجّل الله تعالى فرجه الشّريف مع أنّ كون السّورة مكّيّة لا ينافي مدنيّة آية أو آيات منها، فإنّ كثيراً من السّور المكّيّة فيها آيات مدنيّة وبالعكس فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

نعم ما قال الشّاعر في مودّة القربى:

محبّة أولاد الرّسول وسيلة ... إلى نيل رضوان وملك مؤبّد

فواها لمن أبدى مودّة عترة ... بصدق وإخلاص وعزم مؤكّد

وقال الآخر:

لو أنّ عبداً أتى بالصّالحات غداً ... وودّ كلّ نبيّ مرسل ووليّ

وصام ماصام صوّام بلا ملل ... وقام ماقام قوّام بلا كسل

ماكان ذلك يوم الحشر ينفعه ... إلّا بحبّ أميرالمؤمنين عليّ

وفي تفسير النّيشابورى: قال النّظام مالفظه: «ثبت بالنّقل المتواتر أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا كان ذلك وجب علينا محبّتهم لقوله: «فاتّبعوه» وكفى شرفاً لآل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفخراً ختم التّشهّد بذكرهم والصّلاة عليهم في كلّ صلاة».

وفي تفسير روح المعانى: روى زازان عن عليّ عليه السّلام قال: «فينا في آل حم آية لا يحفظ مودّتنا إلّا مؤمن، ثمّ قرأ هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منّا تقيّ ومعرب

ثمّ قال الآلوسي: ولله تعالى درّ السّيّد عمر الهيتي أحد الأقارب المعاصرين حيث يقول:

بــأيّـــة آيـــة يـــأتي يـــزيـــد غـــداة صـحآئـف الأعـمـال تـتلى

وقـام رسـول ربّ الـعـرش يـتـلـو وقـد صـمت جـمـيـع الخـلـق قـل لا

ثمّ قـال الآلـوسي مفسّر تـفسير روح المعـاني مـفتي البغـداد مـن أعلام الـعـامّة: «والخطاب على هذا القول لجـمـيـع الامّة لا للأنصار فقط، وإن ورد مـا يـوهـم ذلك فإنّهم كـلّهم مـكلّفون بمودّة أهل البـيت» إلى أن قال: «وكلّما كـانت جهـة القرابة أقوى كان طلب المـودّة أشدّ، فودّة العلـويّين الفاطميين ألزم من محبّة العبّاسيّين على القـول بعمـوم القـربى وهي على القـول بالخصوص قد تـتـفاوت أيضاً بإعتـبار تفاوت الجهات والإعتبـارات وآثار تلك المودّة التّعظيم والإحترام والقيامة بأدآء الحقوق أتمّ قيام» ثمّ قال الآلـوسي: «وأرىٰ حبّهم فرضاً عَلَيَّ مبيّناً، فقد أو جبه أيضا الشّارع، وقامت على ذلك البراهين السّواطع».

أقول: سـيأتي البحث حـول آية ذى الـقربى تفصيلاً في الـفصل الـثّاني من تفسير هذه السّورة إن شآء الله تعالى فانتظر.

في أسباب النّزول للواحـدي: في قوله تعالى: «ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض» الآيـة: ٢٧) نزلت في قـوم مـن أهل الصّـفّـة تـمنّوا سعة الدّنـيـا والغنى. قال خباب بـن الأرت: فينا نـزلت هذه الآية، وذلك أنّا بطرنـا إلى أموال قريظة والنّضير فتمنّيناها، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

وفيـه: بإسناده عن أبي هـانئ الخـو لاني أنّه سمع عمـرو بن حريث يقول: «إنّما نزلت هذه الآية في أصحـاب الصّـفّـة: «ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشآء» وذلك أنّهم قالوا: لو أنّ لنا الدّنيا، فتمنّوا الدّنيا»

أقول: رواه السّيوطى في أسباب النّزول وفي الدّر المنثور.

وفي تفسير الـنّيسـابوري: «وقيـل: إنّ الآية: «ولـو بسط الله الرّزق...» نزلت في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وأغار بعضهم على بعض، ولبعضهم شعر:

قـوم إذا نـبـت الـرّبـيـع بـأرضـهـم نـبـتـت عـداوتهـم مـع الـبـقـل

وفي تـفسير الطّبرى: «إنّ هذه الآيـة نـزلـت مـن أجل قـوم من أهل الـفـاقـة من

المسلمين تمنّوا سعة الدّنيا والغنى فقال جلّ ثناؤه: «ولو بسط الله الرّزق لعباده» فوسعه وكثره عندهم لبغوا...»

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته»: ٢٨) وقال مقاتل: نزلت في حبس المطر عن أهل مكّة سبع سنين حتّى قنطوا ثمّ أنزل الله المطر» وقيل: نزلت في الأعرابي سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن المطر يوم الجمعة في خبر الإستسقآء ذكره القشيرى».

وفي تفسير القمّي: قال الصّادق عليه السّلام: «لمّا أدخل عليّ بن الحسين عليهما السّلام على يزيد نظر إليه، ثمّ قال: يا عليّ بن الحسين «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: كلاّ؟ مافينا هذه نزلت، وإنّما نزلت فينا: «ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» الحديد: ٢٢-٢٣) فنحن الّذين لا تأسوا على مافاتنا من أمر الدّنيا، ولا نفرح بما أوتينا».

وفي الجامع لأحكام القرآن: وحكى النقّاش أنّ هذه الآية: «لله ملك السّموات والأرض يخلق مايشآء يهب لمن يشآء إناثاً ويهب لمن يشآء الذّكور أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشآء عقيماً إنّه عليم قدير»: ٤٩ و٥٠) نزلت في الأنبيآء خصوصاً وإن عمّ حكمها، وهب للوط الإناث ليس معهنّ ذكر، و وهب لإبراهيم الذّكور ليس معهم أنثى، و وهب لإسمعيل وإسحق الذّكور والإناث، وجعل عيسى ويحيى عقيمين، ونحوه عن إبن عبّاس وإسحق بن بشر. قال إسحق: نزلت في الأنبيآء ثمّ عمّت.

وفي أسباب النّزول للواحدي: في قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً» الآية وذلك أنّ اليهود قالوا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ألّا تكلّم الله وتنظر إليه إن كنت نبيّاً كما كلّم الله موسى ونظر إليه؟ فانّا لن نؤمن بك حتّى تفعل ذلك، فقال: لم ينظر موسى إلى الله، وأنزلت الآية».

﴿ القراءة ﴾

قرأ «حَم». «عَسقَ» مفصولة في جميع المصاحف، ولم توصل مثل «كهيعص» لأنّها من سور أوّلها «حم» فجرت مجرى نظآئرها قبلها وبعدها، ولذلك قال بعض النّحاة: «حم» مبتداء و«عسق» خبره ولأنّهما عدّا آيتين، وعدّت نظآئرها مثل «كهيعص» و«المص» و«المرآ» آية واحدة، فلا يجوز الوقف على «حم» فمن وقف عليه من ضرورة أعاده، والوقف على «عسق» تام وقيل: كاف. وقيل: كتبت «حَم عسَق» منفصلاً و«كهيعص» متّصلاً لأنّ معنى «حم»: حمّ ما هو كآئن، ففصّلوا بين ما يقدّر فيه فعل، وبين مالا يقدّر ثمّ لو فُصِّلَ هذا ووُصِلَ ذالكان جآئزاً.
وقرأ ابن مسعود وإبن عبّاس: «حَم سَق» بلاعين.

قرأ إبن كثير «يُوحىٰ» مبنيّاً للمفعول، فيكون إسم «الله» مرفوعاً بمحذوف يدلّ عليه المذكور فالتّقدير: يُوحىٰ إليك هذه السّورة كما كان الله تعالى يُوحي إلى الّذين من قبلك من الأنبيآء ويجوز أن يكون «إليك» قائماً مقام الفاعل، أو يكون قوله تعالى: «الله العزيز الحكيم» تبييناً للفاعل كقوله تعالى: «يسبّح له فيها» النّور: ٣٦) ثمّ قال: «رجال» كأنّه قيل: من يسبّح له؟ فقال: «رجال...» النّور: ٣٧)

وقرأ الباقون «يُوحي» مبنيّاً للفاعل من باب الإفعال، فالله فاعل الفعل. وقرأ شاذّاً «نُوحي» متكلّماً مع الغير تعظيماً، فرفع إسم «الله» لوجوه: **أحدها** ـ أن يكون مرفوعاً بالإبتدآء. **ثانيها** ـ بفعل مقدّر يدلّ عليه «يوحى» الأوّل. **ثالثها** ـ أن يكون بدلاً من الضمير. **رابعها** ـ أن يكون خبراً لمبتدآءٍ محذوف، تقديره: هو الله العزيز

الحكيم.

قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة «يكاد» بيآء الغيبة لتقدّم الفعل على الفاعل: «السّموات» وتأنيثها غير حقيقيّ، وقرأ الباقون «تكاد» بالتّآء مؤنّثاً لتأنيث الفاعل.

وقرأ نافع وإبن كثير وحفص وإبن عامر وحمزة «يتفطّرن» بالياء والتّآء وتشديد الطّاء من التّفطّر، وهذه القراءة مشهورة، وأنّها أنسب بالمقام لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل. وقرأ الباقون «ينفطرن» من الإنفطار كقوله تعالى: «إذا السّمآء انفطرت» الإنفطار: ١)

وقرأ حمزة وخلف «عَلَيْهُمْ» : ٦) بضمّ الهآء وهي قراءة شاذّة، وقرأ الباقون «عَلَيْهِمْ» بكسرها وهي قراءة مشهورة.

وقرأ إبن كثير وأبو عمرو وحمزة «إبراهام» : ١٣) والباقون «إبراهيم».

وقرأ حمزة وخلف «نؤتهْ»: ٢٠) بسكون الهآء والباقون «نؤتِهِ» بكسرها.

وقرأ حمزة وإبن كثير وأبو عمرو و«يَبْشُرُ الله» : ٢٣) مخفّفاً من البشارة، والباقون مشدّداً من التبشير.

وقرأ حمزة وحفص «ماتفعلون» : ٢٥) بالتّآء على وجه الخطاب توبيخاً للمشركين، وقرأ الباقون بيآء الغيبة على وجه الإخبار عن الغآئب لأنّه بين الخبرين: الأوّل: قوله تعالى: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده...» والثّاني قوله تعالى: «ويستجيب الّذين آمنوا...» فالله تعالى يعلم مايفعله الكفّار فيجازيهم عليه.

وقرأ نافع وأبو جعفر وعاصم وابن عامر «ينزّل» : ٢٨) بالتّشديد من باب التّفعيل، والباقون بالتّخفيف من باب الإفعال.

وقرأ إبن عامر وأبو جعفر ونافع «بما كسبت» : ٣٠) بغير فاء الجزآء وهذه القراءة شاذّة، والباقون «فبما كسبت» بالفآء وهي مشهورة صحيحة.

وقرأ نافع وأبوعمرو وحمزة وأبوجعفر «الجوار» : ٣٢) بالياء وصلاً على الأصل، والباقون بدونها مطلقاً لكثرة الإستعمال، فصار كالقياس المستمرّ، وإنّ الكسرة تدلّ على اليآء المحذوفة.

وقرأ أبوجعفر ونافع «الرّياح» :٣٣) على الجمع، والباقون «الرّيح» مفرداً.

وقرأ إبن عامر وأبوجعفر ونافع «ويعلم» :٣٥) رفعاً على الإستئناف لأنّ الشّرط والجزآء قد تمّ، فجاز الإبتدآء بما بعده، والباقون بالنّصب على الصّرف من حال الجزم إلي النّصب استخفافاً كراهية لتوالي الجزم كقوله تعالى: «ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين» آل عمران: ١٤٢).

وقرأ حمزة «كبير الإثم» :٣٧) على الإفراد، بارادة الجمع منه، فإنّ الواحد قد يراد به الجمع عند الإضافة كقوله تعالى: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» النّحل:١٨) فإنّ المراد بـ«نعمة» الجمع، وإنّ إسم الجنس يقع على القليل والكثير، وقرأ الباقون «كبآئر الإثم» على جمع التّكسير لقوله تعالى: «إن تجتنبوا كبآئر ماتنهون عنه» النّسآء: ٣١)

وقرأ نافع وإبن عامر «أو يرسل» :٥١) بالرّفع على الإستئناف أي هو يرسل، والباقون بالنّصب عطفاً على «أن يكلّمه الله».

وقرأ نافع «فيوحي» بالإسكان، والباقون بالنّصب عطفاً على ماقبله.

﴿الوقف والوصل﴾

«حمٓ لا» و«عسٓقٓ قف» علامة الوقف المستحب ولا بأس في الوصل، و«من قبلك لا» لأنّ «الله» فاعل لـ «يوحي» و«ما في الأرض ط» لتمام الكلام، و«من فوقهنّ ج» لتمام الكلام وعطف التّالي و«لمن في الأرض ط» لحرف التّنبيه التّالي: «ألا» و«عليهم ز» والوصل أوجه لأنّ نفي ما بعده تقرير لإثبات ما قبله، و«لا ريب فيه ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«في رحمته ط» لتمام الكلام، وعطف التّالي، و«أوليآء ج» للفصل بين الإستخبار والإخبار مع دخول الفآء، و«الموتى ز» فصلاً بين المقدور المخصوص، وبين القدرة على العموم مع اتّفاق الجملتين، و«قدير ع» علامة انتهاء الرّكوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن في عامين، و«إلى الله ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«توكّلت ق» علامة الوقف الّذي قال به بعض العلمآء، و«انيب ى» علامة العشر وتوضع عند إنتهآء عشر آيات.

«الأرض ط» لتمام الكلام، و«أزواجاً ج» التّاني لأنّ ضمير «فيه» يحتمل أن يعود إلى الأزواج الّذي في مدلول الأزواج أو إلى التّدبير، وإن لم يسبق ذكره، و«فيه ط» لتمام الكلام، و«شيء ج» لعطف الجملتين المختلفتين، و«الأرض ج» لاحتمال ما بعده الإستئناف والحال، والعامل معنى الفعل في «له» أو «في الملك» و«يقدر ط» لتمام الكلام، واستئناف التّالي، و«فيه ط» كالسّابق، و«إليه ط» الأوّل كالمتقدّم، و«بينهم ط» كلاهما و«فادع ج» و«امرت ج» و«أهوآءهم ج» و«من كتاب ج» كلّ ذلك للتّرتيل في القراءة وإن اتفقت الجملتان، و«بينكم

ط» لتمام الكلام، واستئناف التّالي، و«ربّكم ط» كالسّابق و«أعمالكم ط» كالمتقدّم، و«بينكم ط» كذلك و«بيننا ج» لا حتمال ما بعده الإستئناف والحال، و«الميزان ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«بها ج» لعطف الجملتين المختلفتين و«منها لا» للعطف أو الحال التّالي، و«الحق ط» لحرف التّنبيه، و«من يشآء ج» لإحتمال عطف وهو على جملة قوله: «الله لطيف» وهما متفقتان، و«العزيز ع» و«في حرثه ج» لعطف جملتي الشّرط، و«من نصيب ى» ٢٠)

«به الله ط» لتمام الكلام و«بينهم ط» كالسّابق، و«بهم ط» كالمتقدّم، و«الجنّات ج» لإحتمال ما بعده الإستئناف والحال و«ربّهم ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«الصّالحات ط» كالسّابق، و«في القربى ط» و«حسناً ط» كالمتقدّم، و«كذباً ج» للشّرط مع فآء التّعقيب، و«على قلبك ط» لأنّ ما بعده مستأنف، و«بكلماته ط» كالسّابق، و«تفعلون لا» لعطف التّالي، و«من فضله ط» لتمام الكلام، و«مايشآء ط» كالسّابق، و«رحمته ط» كالمتقدّم، و«من دآبّة طُ» كالسّابق، و«قدير ع» و«عن كثيرى ط» ٣٠)

«في الأرض ج» لإحتمال ما بعده العطف والحال، و«كالأعلام ط» للشرط التّالي، و«على ظهره ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«شكور لا» لعطف التّالي، و«عن كثيرلاز» والأولى لمن رفع: «ويعلم» والثّانية لمن نصبه فوقفه جآئز ولكن الوصل أولى، و«في آياتنا ط» و«الدّنيا ج» لعطف جملتي الشّرط، ويحتمل أن يكون الوقف مطلقاً بنآء على أنّ الثّانية إخبار مستأنف، و«يتوكّلون ج» لتمام الكلام وعطف التّالي، و«يغفرون ج» كالسّابق، و«الصّلاة ص» لإنقطاع النّظم، واتّصال المعنى، واتّحاد المقول، و«بينهم ص» لذلك ، و«ينفقون ج» لتمام الكلام، وعطف التّالي، و«مثلها ج» لتمام الكلام وفاء العطف، و«على الله ط» لتمام الكلام، و«الظّالمين ى» ٤٠).

«من سبيل ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«بغير الحقّ ط» كالسّابق، «الامور ع» و«من بعده ط» لإستئناف التّالي، و«من سبيل ج» للآية مع العطف،

و«خفيّ ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«يوم القيامة ط» لحرف التّنبيه التّالي، و«من دون الله ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«من سبيل ط» كالسّابق، و«من الله ط» كالمتقدّم، و«حفيظاً ط» كالسّابق، و«البلاغ ط» كما تقدّم، و«فرح بها ج» لإحتمال العطف واستئناف التّالي، و«الأرض ط» لإستئناف التّالي، و«يشآء ط» كالسّابق، و«الذّكور لا» لعطف التّالي، و«اناثاً ج» لإحتمال مابعده العطف والإستئناف أي وهو يجعل، و«عقيماً ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«قديرى» ٥٠)

«مايشآء ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«من أمرنا ط»، و«من عبادنا ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«مستقيم لا» لمكان البدل التّالي، و«في الأرض» لحرف التّنبيه التّالي.

اللغة

٧ ـ الذَرْأ ـ ٥١٢

ذرأ الله تعالى الخلق يذرؤهم ذَرْأً ـ مهموز اللام من باب منع ـ: خلقهم على وجه الإختراع، وبثّهم وكثّرهم. ومنه قوله عزّوجلّ: «جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه» الشّورى: ١١) أي يكثّركم بالتّزويج والتّناسل في هذا التّدبير بأن جعل لكم من الذّكور والإناث من النّاس والأنعام للتّوالد والتّناسل كأنّه قال: يذرؤكم به أو يكثّركم في الخلق.

ذرأ الشّيء: كثّره. والذَّرْأ: إظهار الله تعالى ما أبداه. يقال: ذرأ الله الخلق: أوجد أشخاصهم. وفي الدّعآء: «من الذاريْ البارئ سواه؟! واللهمّ لك الذّرْأ والبَرْء ومنك السُقم والبُرْء» وفي حديث الدّعآء: «أعوذ بكلمات الله التّامّات من شرّ كلّ ما خلق وذرأ وبرأ».

يقال: «هم ذَرْء النّار» أي خُلِقُوا لها. والمعنى: انّهم فعلوا بسوء إختيارهم ما استحقّوا به النّار فكأنّهم خُلِقُوا لها. قال الله تعالى: «ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والإنس ـ سيجزون ما كانوا يعملون» الأعراف: ١٧٩ـ١٨٠).

ذَرأ الأرض: بذرها، والذّريْ: المبذور. و وذرأفوه: وسقط ما فيه من الأسنان.

ذرأ شَعْرُهُ ذَرْءاً وذَرِيَ يَذْرَء ذَرْءاً: علته ذُرْأَةٌ فهو أذْرَأ وهي ذَرْآى.

الذُّرْأة: بياض الشَّيب أوّل ما يبدو في الفَوْدَيْن. يقال: «قد علته ذُرْأَةٌ» كَبْشٌ

أذْرَأَ: في رأسه بياض. وقيل: أرقش الاذنين وسائره أسود. يقال: جَدْيٌ أذر أو عَناقٌ ذَرْآء: إذا كان في رأسها بياض. والذُّرْأة ـ بالضمّ: الشمط والشّيب أو أوّل بياض في مقدم الرّأس.

الذَّرْأ ـ بالفتح ـ: الشّيء اليسير من القول كقوله: «أتاني عن مغيرة ذَرْء قُول» وقوله: «يكفيني ذَرْءٌ من خبر» أي طرف منه لم يتكامل. ذِرْء ذِرْء: دعآء العنز للحلب. الذَرْآني ـ بالفتح ويحرّك ـ: الملح الشّديد البياض. يقال: مِلْحٌ ذَرْء انيّ.

أذرأه إذرآءً: أغضبه، وذعره. وأذرأ الدّمْعَ: أساله، وأذرأ بالشّيء: أولعه وأذرأ بالشّيء وإليه: ألجأه إليه، وأذرأت النّاقة: أنزلت اللبن من الضرّع، فهي مُذرئ. أذرئه فلان: أغضبه وذعره وأولعه بالشّيْ، وأذرأه: أساله.

وأذْرَأتُ الرّجل بصاحبه: إذا حرشته عليه وأولعته به فدبّر به، وذرأت الوضين: بسطته. زرع ذرئ ـ فعيل م: مبذور ـ والزّرع: أوّل ماتزرعه يسمّى الذّرئ وذرأنا الأرض: بذرناها.

قال بعض المحقّقين من الأُدبآء: الذّرّيّة ـ مثلّثة الذّالّ ـ: النّسل، وأصلها: ذُرّيئة، فقلّبوا الهمزة يآءً وأدغموها كما في كوكب دريّ، جمعها: ذرّيّات وذَرارى.

ذرّيّة الرّجل: أولاده تكون واحداً وجمعاً. وفي القرآن الكريم: «ربّ هب لي ذرّيّة طيّبة»آل عمران: ٣٨) «لو تركوا من خلفهم ذرّيّة ضعافاً» النّسآء: ٩)

ومنهم من قال: الذَّرْ أو الذّرّيّة على خمسة أوجه.

الأوّل: الولد كقوله تعالى: «وجعلنا ذرّيّته هم الباقين» الصّافات: ٧٧) أي أولاده. الذّرّيّة أصلها: الصّغار من الأولاد، وإن كان قد تقع على الصّغار والكبار معاً في التّعارف، وتستعمل للواحد والجمع.

الثّاني: الأب والجدّ كقوله تعالى: «وآية لهم أنّا حملنا ذرّيّتهم في الفلك المشحون» يس: ٤) أي آبآءهم وأجدادهم.

الثّالث: الخلق كقوله تعالى: «وماذرأ لكم في الأرض» النّحل: ١٣) والمؤمنون: ٧٩).

الرّابع: البثّ والإثارة كقوله عزّوجلّ: «والذّاريات ذرواً» الذّاريات: ١) وقوله: «فأصبح هشيماً تذروه الرّياح» الكهف: ٤٥) أي تطيره وتفرّقه من قولهم: «ذرت الرّيح التّراب تذروه» أي فرّقته.

الخامس: الشّيء والنّمل الصّغير كقوله جلّ وعلا: «فمن يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يره» الزّلزال: ٧)

في المفردات: وفي الذّرّيّة ثلاثة أقوال: قيل هو من ذرأ الله الخلق، فتُرِك همزه نحو رويّة وبريّة. وقيل: أصله ذُرْوِية. وقيل: هو فُعْلِيّة من الذّرّ نحو قُمْرِية.

وفي النّهاية: وكأنّ الذّرء مختصّ بخلق الذّرّيّة.

وفي مجمع البحرين: الذّرّيّة ـ مثلّثة ـ إسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وانثى كالأولاد وأولاد الأولاد وهلمّ جرّاً. وفي حديث عليّ عليه السّلام: «يذرى الرّواية ذرو الرّيح الهشيم» أي يرد الرّواية كما ينسف الرّيح هشيم النّبت. والذّروة ـ بالكسر والضّمّ من كلّ شيء ـ: أعلاه. وسنام كلّ شيءٍ: أعلاه أيضاً. ومنه الحديث: «ذروة الإسلام وسنامه الجهاد» ومنه قوله عليه السّلام: «على ذروة كلّ بعير شيطان» ومنه: «ذُرَى الآكام»: أعاليها. والذُّرْوَة ـ: بالضّمّ ـ: الشّيب أو أوّل بياضه في مقدّم الرّأس. والذَرى ـ بالفتح ـ: كلّما استترت به، والذرة ـ بضمّ معجمة وخفة مهملة وها عوض عن لام محذوفة ـ: حبّ معروف. وأذرأت العين دمعها: صبّته. والمذرى: خشبة ذات أطراف يذرى بها الطّعام.

٥٦ ـ القلد ـ ١٢٤٨

قلد المآء في الحوض، واللبن في السّقآء، والشّراب في البطن، والسّمن في النِّحْى يقلده قَلْداً ـ من باب ضرب ـ: جمعه فيه، وهذا يتضمّن معنى الخزن، ومنه أُخذ المقلاد بأحد معانيه وهو الخزانة. وقلّدَ الزّرْعَ: سقاه. القَلود ـ كصبور ـ: البئر الكثير

المآء. القلّيد ـ كسكيّت ـ: الخزانة. يقال: قلدتُ الماء قَلْداً: جمعتُ مآءً إلى مآء.

المِقلاد: هو ما يحيط بالشّيء أخذاً من القلادة الّتي تتضمّن معنى الإحاطة، المِقلاد: المفتاح والخزانة، جمعه: مقاليد. ضاقت مقاليده: ضاقت عليه اموره، ألقى إليه مقاليد الامور: مفاتيحها يعني فوّضها إليه. وفي حديث الخلافة: «فقلدها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّاً عليه السّلام» أي ألزمه بها أي جعلها في رقبته و ولاه أمرها.

قال بعض اللغويّين: المِقلاد بمعنى المفتاح ربّما يكون هذا من قبيل المجاز المرسل الّذي علاقته اللزوميّة لأنّ الخزانة والمفتاح متلازمان غالباً، وجمع المِقلاد: مقاليد.

قال الله تعالى: «له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر» الشّورى: ١٢) أي خزآئن السّموات والأرض أو كلّ ما يحيط بها أو مفاتيح خزآئنها، وكلّ واحد من ذلك يشير إلى قدرة الله جلّ وعلا عليها وحفظه لها وعلمه بها.

المِقْلَد ـ كمِنبر ـ: المفتاح، جمعه: مقالد، ضاقت مقالده كضاقت مقاليده. المِقْلَد: الوعآء والمخلاة والمكيال، وعصاً في رأسها إعوجاج، ومفتاح كالمنجل ربّما يقلد به الكلأ كما يقلد القتّ إذا جُعِلَ حبالاً أي يُفتَل. قيل: مقاليد جمع لا واحد له. و«السّيف مقاليد الجنّة والنّار» أي يتوصّل به إليهما. أقلد البحر على القوم: أغرقهم كأنّه أغلق وضمّ عليهم وجعلهم في جوفه.

قلد الشّيء يقلده قَلْداً: لواه، وقلد الجبل: فتله، ومن هذا أُخذت القلادة وهي ما يفتل ويجعل حول الرّقبة، وقلد الحديدة: رقّقها ولواها، وقلد الرّجل السّيفَ: ألقى حمالته في عنقه، فتقلده. وقد استعملت بمعنى عام وهو كلّ ما يجعل حول العنق من خيط أو فضّة أو ذهب ونحوهما من أنواع الحليّ، والجمع: قلآئد.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تحلّوا شعآئر الله ولا الشّهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ـ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس والشّهر الحرام والهدي والقلائد» المائدة: ٣و٩٧) ومعنى الآية الاولى: البدن ذوات القلآئد الّتي تطوق أعناقها بقلائد من جلد أو نعل خَلَقٍ ونحوهما ليعلم أنّها هَدْيٌ فيكفّ النّاس عنها.

وفي الحديث: «يقلدها بنعل قد صلّى فيه» فالعطف في الآية الاولى من قبيل عطف الخاص على العامّ تشريفاً لذوات القلائد وتنوهاً بشأنها. تقليد البدنة: أن يجعل في عنقها عروة مزادة أو خَلَقُ نعل مستعمل، صلّى فيه صلاة، فيعلم أنّها هدي. وقيل: المراد هو القلآئد نفسها فإنّ النّهي عن إحلالها يستلزم النّهي عن إحلال البدن من باب أولى. وقيل: إنّ النّهي عن التّصرّف في القلائد ذاتها ببيع أو نحوه، فيجب ألّا تمس وألّا يتصدّق بها إن كانت ذات قيمة.

القَلْد ـ بالفتح ـ: مصدر، والسّوار المفتول، يقال: سوار قَلْد. والقَلْد: إدارتك قُلباً على قُلْبٍ من الحليّ، وكذلك ليّ الحديدة الدّقيقة على مثلها. والقَلْد: لَيُّ الشّيء على الشّيء، وكلّ قوّة انطوت من الحبل على قوّة فهو قَلْدٌ وجمعه: أقلاد.

يقال: كيف قَلْدُ نخل بني فلان؟ فيقال: تشرب في كلّ عشرة مرّة.

القِلْد ـ بالكسر ـ: الحظّ من المآء، يقال: «استوفى قِلْدَهُ من المآء» أي شربه. القِلْد: سقي السّمآء كلّ اسبوع. يقال: «سقتنا السّمآء قِلْداً في كلّ اسبوع» أي مطرتنا لوقت، ويوم السّقي وشبه القعب. أعطيته قِلْد أمري: فوّضته إليه. القِلْد: الرُّفقة من القوم وهي الجماعة منهم، وصَرَّحَتْ بِقلندان أي بجدّ. والقِلْد: قضيب الدّابة.

وقَلَدَ الحُمّى فلاناً: أخذته كلّ يوم. القِلْد: يوم ورد الحُمّى. وقيل: حُمّى الرِّبع ومنه سمّيت قوافل جدّة إلى مكّة قِلْداً.

الإقليد: القِلاد وبُرَة النّاقة يلوى طرفاها، والإقليد: المفتاح بلغة يمانيّة. وقيل: معرّب وأصله بالرّوميّة: إقليدس. وقيل: كليذ جمعه أقاليد. الإقليد: العنق جمعه أقلاد.

القِلاد: شيء يطول مثل الخيط من الصّفر يُقلّد على البُرَة وعلى خرق القرط. ناقة قلداء: طويلة العنق.

القَليد ـ بالفتح ـ: الشّريط. حبل قَليد: مفتول. الإقليد: شريط يشدّ به رأس الجلّة وعآء من خوص. حبل مقلود: مفتول. سوار مقلود: ملويّ.

القِلادة ـ بالكسر ـ: ما جُعلَ في العنق من الحُليّ جمعها: قلائد، وستّة كواكب يُعرَفن بالقوس. يقال: «نسآء بني فلان قلآئد الحبل» أي هنّ كرام لأنّه لا يقلّد من الخيل إلّا سابق كريم. قلآئد الشِّعْر: البواقي على الدّهر أي الّتي لا تزال محفوظة لا تنسى لنفاستها. يقال: «لي في أعناقهم قلآئد» أي نِعَمٌ راهنة. «نعمتك قِلادة في عنقي لا يفكّها الملوان» أي باقية.

القِلْدة ـ بالكسر ـ: القِشْدَة والتّمر والسّويق يخلّص به السّمن.

وقلّد المرأة قلادة: جعلها في عنقها، وقلّد البعير: جعل في عنقه حبلاً يقاد به.

«قلّدوا الخيلَ ولا تقلّدوا الأوتار» أي قلّدوها طلب أعدآء الدّين والدّفاع عن نواميس الإسلام والمسلمين أي إجعلوا ذلك لازماً في أعناقها لزوم القلائد للأعناق، ولا تقلّدوها طلب أو تار الجاهليّة وذُحولها الّتي كانت بينكم» والأوتار جمع وتر وهو طلب الدّم والثّار.

قلّده الوالي العَمَلَ: فوّضه إليه كأنّه جعل قلادة في عنقه، وقلّد فلاناً القضآء في بلد كذا: أقامه قاضي ذلك البلد. وقلّد فلاناً الدّين: سلّمه إيّاه.

قُلِّدَ حَبْلَه: خُلِّيَ سبيله، وأصله في البعير إذا ارسل في المرعى جعل زمامه في عنقه ليتصرّف كيف شآء، ثمّ نقل إلى مَن وُعِظَ كثيراً حتّى اهمل أمره تبرّماً به. يقال للشّيخ إذا أفند: قُلِّدَ حبله أي فلا يلتفت إلى رأيه. وقُلِّدَ فلان قلادة سوء: هُجِيَ بما بقي عليه وسمه.

قَلَّدَه في كذا: تبعه من غير نظر ولا تأمّل.

التّقليد:

واعلم أنّ التّقليد عرفاً باقٍ على معناه اللغوي، وهو جعل الغير ذا قلادة، ومنه التّقليد في حجّ القران، فإنّ المحرم يجعل البعير ذا قلادة بنعل قد صلّى فيه، فالتّقليد عبارة عن الإلتزام والأخذ بالعمل على طبق قول المؤمن الحيّ الفقيه الجامع لشرائط الفتيا في الأحكام الفرعيّة من دون مطالبة الدّليل على العمل بفتواه، حيث إنّ التّقليد في الأحكام كالتّقليد في الموضوعات، فكما أنّ الأعمى المقلّد للبصير في القبلة

والوقت ونحو هما إنّما يصير مقلّداً له إذا التزم وأخذ بالعمل على قوله، فيكون المحقّق لعنوان التّقليد هو العمل الخارجي بحيث لو التزام بالعمل ولم يعمل على طبق قوله لما كان مقلّداً له، فكذلك في الأحكام.

فكأنّ العامي يجعل عمله قلادة للمجتهد كناية عن كونه هو المسئول عنه، وهو المؤاخذ بعمله لو قصر في فتواه كما يفصّح عن ذلك قول أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في كثير من الرّوايات: «من أفتى بغير علم فعليه وزر من عمل به» وهذا المعنى هو المستفاد من كثير من الآيات الكريمة لا يسع المقام بذكرها.

ولمّا كان وزر عمل العامي على المفتي صح إطلاق التّقليد على العمل بفتواه بإعتبار أنّه قلادة له، فالصّحيح في تعريفه أن يقال: هو العمل إستناداً إلى فتوى الفقيه الجامع لشرائط الفتيا.

في وسائل الشّيعة: عن الإمام الحادى عشر أبي محمّد العسكري عليه السّلام ـ في رواية صحيحة ـ: «فأمّا من كان من الفقهآء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهآء الشّيعة لا كلّهم ...» الحديث ولنا بحث دقيق، وتحقيق عميق في الإجتهاد والتّقليد من هذا التّفسير فراجع وتأمّل جيّداً ولا تغفل فوسوسة غير البعض من المتفقّهين في صحّة الرّواية الّتي تؤيّدها آيات كثيرة قرآنيّة مردودة إليهم، فإنّ من لم يكن صآئناً لنفسه، ولا حافظاً لدينه، وكان مطيعاً لهواه ومخالفاً على أمر مولاه ككثير من المتفقّهين في زماننا هذا فله الوسوسة فيها.

وقد سمّى ذلك تقليداً لأنّ المقلّد يجعل مايعمل به من الأحكام الفرعيّة تبعاً لقول مفتيه، قلادة في عنق مَن قلّده. ويستعمل ـ في العرف العام ـ في قبول قول الغير وعمله وسيرته من حقّ أو باطل، ومن حسن أو قبيح ... يقال: قلّد فلان فلاناً تقليداً.

المُقَلَّد ـ إسم مفعول ـ: السّيّد قُلِّدَ أمور قومه. وموضع القلادة، والسّابق من الخيل، يقلّد شيئاً ليعرف أنّه قد سبق، وموضع نجاد السّيف على المنكبين. **مُقَلَّد**

الذّهب من سادات العرب، بنو مُقَلَّد: بطن. مُقَلَّدات الشِعر: البواقي على الدّهر.

تقلّدت المرأة القلادة: لبستها، وتقلّد فلانالأمْرَ: تولاّه وألزم نفسه. وتقلّد السّيف: إحتمله، ووضع نجاده على منكبيه. ولا يقال: تقلّد الرّمح. وأمّا قوله: «متقلّداً سيفاً ورمحاً» فهو على تأويل: وحاملاً رمحاً.

تقالدوا المآء: تناوبوه وتفارصوه.

إقتلد المآء: غرفه.

إقلوّده النّعاس: غشيه وغلبه كقوله: «القوم صرعى من كرىً مُقلَوّد».

وفي المفردات: القَلْد: الفَتْل، يقال: قلدت الحبل فهو قليد ومقلود. والقِلادة: المفتولة الّتي تجعل في العنق من خيط وفضّة وغيرهما، وبها شُبِّهَ كلّ مايتطوّق وكلّ مايحيط بشيء، يقال: تقلّد سيفه تشبيهاً بالقِلادة كقوله: توشّح به تشبيهاً بالوشاح وقلّدته سَيْفاً يقال تارة إذا وشّحته به، وتارة إذا ضربت عنقه».

١٨ ـ الشّرع ـ ٧٨٦

شرع الشّيء يشرعه شرعاً وشروعاً ـ من باب منع ـ: بيّنه وأوضحه، مشتقّ من شاطئ البحر، ومنه شرع السّنة: بيّنها وأوضحها.

وشرع لكم شرعاً: سنّ. شرع الله لنا كذا: أظهر وأوضحه. الشّارع هو الله جلّ وعلا. قال الله تعالى: «شرع لكم من الدّين ماوصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك» الشّورى: ١٣) أي فتح لكم من الدّين وعرفكم طريقه. ويطلق على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعتبار أنّه يبيّن ماأنزل عليه ويوضحه للنّاس، ولذلك يسمّى صاحب الشّريعة، والمتشرّعة: ماسواه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الشّرْعُ: ماشرع الله تعالى لعباده وبيّنه لهم بلسان رسله إليهم من الاصول الإعتقاديّة والأحكام الفرعيّة... الشَّرْعي: ماوافق الشّرع ونُسِبَ إليه. المشروع: المُسَدَّد، وماسوّغه الشَّرْع. شَرَع لهم شرعاً: سنّ فهو شارع وماسنّه: مشروع.

الشّرْعَة والشّريعة: مابيّنه الله تعالى وأوضحه لعباده من الصّلاة والصّوم والزّكاة والحجّ والنكاح ومإليها... إمّا من شرع الشّيء: بيّنه وأوضحه أو هو من الشِرْعة والشّريعة بمعنى الموضع الّذي يوصل منه إلى مآءٍ معين لا إنقطاع له، ولا يحتاج وارده إلى آلة، ومنه: شرع يشرع: تناول المآء بالفم. والعرب لا تسمّيها شريعة حتّى يكون المآء عدّاً لا إنقطاع له، ويكون ظاهراً معَيناً لا يُسقى بالرّشآء، وإذا كان من السّمآء والأمطار فهو الكَرَعُ.

قال الله عزّوجلّ: «لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنها جاً» المآئدة: ٤٨) الشِّرْعة ـ بالكسر ـ: الدّين مأخوذة من الشّريعة وهي مورد النّاس للإستسقآء، سميّت بذلك لوضوحها وظهورها. والمنهاج: الطّريق الواضح المستقيم. والمعنى: ديناً وطريقاً واضحاً.

وقال تعالى: «ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها» الجاثية: ١٨) أي سنّة وطريقة. وقيل: على دين وملّة ومنهاج واضح لا خفآء فيه.

الشّريعة: ما شرع تعالى لعباده وافترضه عليهم من الاصول والسّنن والأحكام ومعناها الطّريقة لشروع النّاس فيها، وعلى ذلك تكون الشّريعة والشّرع مترادفين. الشّريعة: الظّاهر المستقيم من المذاهب. الشّريعة: العَتَبَة على التّشبيه بشريعة المآء، ومورد الشّاربة كشريعة الفرات جمعها: شرآئع. يقال: الشّرائع نعم الشّرائع من وردها روي وإلّا دوى. نهر الشّريعة: الأردن قريب بيت المقدّس.

شرع يشرع شرعاً وشروعاً: دنا وأشرف وأظهر فهو شارع وهم شُرّع. وشرع لهم طريقاً: نهجه، وشرع فلان: أظهر الحقّ وقمع الباطل، وشرع المنزل: صار على طريق نافذ، وشرع الباب إلى الطّريق: أنفذه إليه، فشرع لازم متعدٍّ.

قال الله تعالى: «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً» الأعراف: ١٦٣) أي ظاهرة. إبل شرّع وشروع: داخلة في المآء. حيتان شُرَّع: رافعة رؤوسها، وظاهرة على وجه المآء.

الشّارع: العالم الرّبّاني العامل المعلّم. الشّارع: كلّ قريب. الشّارع: الطّريق

الأعظم. بيت شارع: قآئم على الطّريق النّافذ الّذي يسلكه جميع النّاس. ويقال للطّريق أيضاً: شارع. جمعه: شوارع. صيغة فاعل بمعنى مفعول كطريق قاصد أي مقصود. دار شارعة: قريبة من الطّريق النّافذ. رماح شارعة وشوارع: مُسَدَّدة. والشّوارع من النّجوم: الدّانية من المغيب.

شرع فلانٌ الحَبْلَ: نشطه وأدخل قطريه في العروة، وشرع الإهاب: سلخه. وشرع الشّيءُ: رفعه جدّاً. وشرع الأمر شروعاً: بَدَأَهُ. وشَرَعَتِ الدّوابّ في المآء شرعاً وشروعاً: دخلت فيه، وشرع فلان في المآء: شرب بكفّيه أو دخل فيه، وشرع الوارد: تناول المآء بفيه. وشرع فلانٌ الماشيةَ: أوردها الشّريعة. وشرع فلانٌ في الأمر: خاض فيه، وشرعت في هذا الأمر: خضعت فيه. وشرع القَوْم الرِّماحَ فشرعت هي: سدّدوها. وشرع الطّريق: تبيّن وشرع بفلان: أورده المآء، وشرع فلان علينا: دنا وأشرف، وشرع فلان يفعلُ كذا: أخذ يفعل وهو من أفعال المقاربة.

شرع: حسب. يقال: مررت برجل شرعك من رجل: حسبك. يستوي فيه الواحد والجمع. وجمعه: الشّروع. شَرْعُك ما بلّغك المحلّ أي حسبك من الزّاد ما بلّغك مقصدك. مَثَلٌ يُضرَبُ في الإكتفآء باليسير. النّاس في هذا شرع سوآء: باجٌ واحدوهم في هذا شرع: سوآء. وفي الحديث: «الغلام والجارية شرع سوآء» هو مصدر يستوي فيه الواحد والإثنان والجمع والمذكّر والمؤنّث أي متساويان في الحكم لا فضل لأحدهما على الآخر. قوله: «شرع سوآء» كأنّه من عطف البيان لأنّ الشّرع هو السّوآء. ومثله: «وأنتم بشر سوآء» أي واحد.

الشِّرْعة: المِثْلُ. يقال: هذه شِرْعة هذه أي مثلها، جمعها: شِرْع وشَرْع وشِرَع وشِراع. الشِّرعة: العادة. الشِّرعة ـ بالكسر والفتح ـ: الوتر الرّقيق. وقيل: مادام مشدوداً على القوس أو على العود. ضَرَبوا الشَّرَعَ: الأوتار. والشِّرْعة ـ بالكسر ـ: الشّريعة وحبالة تصطاد بها القطا. والشَّرَعة ـ محرّكة ـ: السّفينة، جمعها أشراع.

الشِّراع ـ بالكسر ـ: كلّ مايُشرَع أي يُنصَبُ ويُرفَعُ. والشِّراع: الوتر ما دام مشدوداً على القوس. والشِّراع: مثل الملاءة الواسعة فوق خشبة تصفّقه الرّيح

فيمضي بالسّفينة يقال: ركبوا فيها، فمدّوا الشّرُع. فالشِّراع للسّفينة: ما يُرفَعُ من فوقها من ثوب فيجُريها. والشِّراع: عنق البعير. يقال: مدّ البعير شِراعهُ. رجل شِراع الأنف: ممتده طويله. الشِّراعي من الإبل: الطّويل العنق. جمعه: أشرعة وشروع.

الشِّرْع - بالكسر -: شِراك النّعل وأو تار البَرْبَط. الشِّرْع: المِثْل. يقال: هذا شِرْع هذا وهما شِرْعان: سيّان. والنّاس شِرع واحد أي بابٌ واحد.

أشرع الطّريق - من باب الإفعال -: بيّنه وأوصله إلى الشّارع الأعظم. وأشرعت باباً: فتحته. وشرعت الباب إلى الطّريق: أنفذته إليه. وفي الحديث: «كانت الأبواب شارعة إلى المسجد»: مفتوحة إليه. وأشرع يده إلى المطهرة: أدخلها فيها. وفي حديث الوضوء: «حتّى أشرع في العَضُد» أي أدخله في الغسل وأوصل المآء إليه. أشرعني الرّجل: أحسبني، وأشرعني الشّيء: كفاني. الأشرع - وصف -: الأنف الّذي امتدّت ارنبته وارتفعت وطالت. المُشْرَع: المُسَدَّد. والمَشْرَع والمَشْرَعة: طريق المآء للواردة. والمَشرُعة: مورد الشّاربة جمعها: مشارع. الأشرع: السّقآئف واحدتها: شَرَعة. وأشرع الإبل: شبعت من النّبت إذا اعتمّ.

وشرّع الطّريق - من باب التّفعيل -: بيّنه، وشرّع فلاناً في المآء: خوّضه. بيت مشَرّع - كمعظّم -: مرتفع. والتّشريع: عند البديعيّين أن يبني الشّاعر بيته على قافيتين يصحّ الوقوف على كلّ واحدة منهما.

إشترع الشّريعة - من باب الإفتعال -: سنّها ومنه تثنية الإشتراع وهو السّفر الخامس من التّوراة.

الشُراع - بالضّمّ -: النّبت المعتمّ. يقال: هذا نبت شُراع. شُراع: رجل كان يعمل الأسنّة والرّماح. الشّرُاعي من الرّماح: الطّويل وهو منسوب إلى شُراع. الشِّراعيّة - بالضّمّ والكسر -: النّاقة الطّويل العنق.

الشَّراعة - بالفتح -: الشّجاعة والجرأة. الشَّرّاع: بائع الشّريع أي الكتّان الجيّد. الشّريع: الشّجاع. الشّريع: ما اشتدّ شوكه وصلح لغلظه أن يُخرَز به.

في المفردات: الشَّرْع: نهج الطّريق الواضح، يقال: شرعت له طريقاً، والشَّرْع

مصدر ثمّ جُعِلَ إسماً لـلطّريق النّهج، فقـيل له: شِرْعٌ وشَرْعٌ وشريعـة، واستعير ذلك للطّريقة الإلهيّة قال: «شِرعةً ومنهاجاً» فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما ـ ماسخّر الله تعالى عليـه كلّ إنسان مـن طريـق يتحرّاه ممّـا يعود إلى مصالح العـباد وعمـارة البلاد وذلك المشـار إليه بـقوله: «ورفعنا بعضـهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً».

الثّاني: ماقيّض لـه من الدّين، وأمره بـه ليتحرّاه إختياراً ممّا تختلف فيه الشّرائع ويـعترضه النّسخ ودلّ عـليه قوله: «ثمّ جعـلناك على شريعة من الأمـر فاتبعها» قال إبن عبّـاس: الشّرعة ماورد بـه القرآن، والمنهاج ماورد به السّـنّة، وقـوله: «شرع لكم من الـدّيـن» فإشارة إلى الاصـول الّتي تـتساوى فيهـا الـمِلَل فـلايصـحّ عليهـا الـنّسخ كمعرفـة الله تعالى ونحـو ذلك من نحو مـادلّ عليـه قوله: «ومن يـكفر بـالله وملآئكته وكتبه ورسلـه واليوم الآخر». قال بـعضهم: سمّـيت الشّريعة شَريـعةً تشبيهاً بشريـعة المآء من حيث إنّ مَـن شـرع فيهـا على الحـقيقة المصدوقـة روى وتطـهّر، قال: وأعني بالرّيّ ماقال بعض الحكمآء: كنـت أشرب فلا أروىٰ، فلمّا عرفـت الله تعالى رَوَيت بلاشرب، وبالتّطهّر مـاقال تعالى: «لمسجد أُسِّسَ على التّـقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطّـهّرين».

وفي النّهاية: الشّريعـة: مـورد الإبل على المآء الجارى. أشـرع ناقتـه: أدخـلها في شـريعـة المآء، وشرع في الأمـر والحديـث: خـاض فيها. شِراع السّـفيـنة ـ بـالكسر ـ: مـايُـرفَع فوقها مـن ثـوب لـتدخل فيه الـرّيـح فتُجرِيها. وفي حديـث علـيّ عليه السّلام: «شرعك مابلّغك المحلاّ» أي حسبك وكافيك وهو مَثَلٌ يُضرَبُ في التّبليغ باليسير.

وفي اللسان: شرع الدّار يشرع شرعـاً وشروعاً: تناول المآء بفيـه، وشَرَعَتِ الدّوابُّ في المآء: دخـلـت، ودوابّ شروع وشُـرَّع: شرعـت نحـو المآء. شراع السّفيـنـة: جلولها وقلاعها، والجمع أشرعة وشُرُع. قال الطّـرّماح: كأشرعة السّفين. وشريعة: مآء بعينه قريب من ضـريّة. والشّريـع من اللّيـف: ماشتـدّ شوكه وصلـح لغلظـه أن يُخرَزَ به. الشّارع: العالم الرّبّاني العامل المعلّم. والشّارع: كلّ قريب.

وفي القاموس وشرحه: وكلّ قريب من شيء مشرف عليه شارع، ومنه الدّار الشّارعة الدّانية من الطّريق القريبة من النّاس، وشارع الأنبار وشارع الميدان محلّتان ببغداد، الثّانية بالجانب الشّرقيّ منها، والاولى من جهة الأنبار ولذا اضيفت إليه. وشارع دار الدّقيق محلّة غربى بغداد متّصلة بالحريم الظّاهرى.

١٩ ـ الحرث ـ ٣٠٧

حرث الأرض يحرثها حرثاً ـ من بابي علم ونصر ـ: أثارها وهيّأها للزّرع والغرس والحرث: إلقآء البذر في الأرض وتهيّؤها للزّرع. وحرث الرّجل حرثاً: زرع. الحرث: مصدر ومايستنبت بالبذر والنّوى والغرس. وحَرَثَ فلانٌ الأرض: قذف فيها الحبّ للازدراع.

قال الله تعالى: «أفرأيتم ماتحرثون» الواقعة: ٦٣) أي تبذرون حبّه وتعملون في أرضه، وتُصُوِّرَ معنى التهيّج من حرث الأرض، فقيل: حَرَثْتُ النّار، ولمّا تُهُيّجَ به النّار: مِحْرَثٌ.

ويطلق الحرث على نفس الزّرع قآئماً كان أو حصيداً.

قال الله عزّوجلّ: «قال إنّه يقول إنّها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولاتسقي الحرث» البقرة: ٧١) وقال: «أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين» القلم: ٢٢) الحرث:هو نفس الزّرع، فسمّى المحروث حرثاً.

وقد يستعمل الحرث مراداً به نوع من التّشبيه والمجاز. فمن ذلك إستعماله في الزّوجة لأنّها موضع الإنتاج كما أن الحرث وسيلة الإستنبات.

قال الله تعالى: «نسآؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» البقرة: ٢٢٣) أي ائتوا مواضع حرثكم منهنّ كيف شئتم مقبلة ومدبرة، فليس دبرهنّ موضع حرثكم، فلا يجوز وطئ دبرهنّ إلّا برضاهنّ.

اطلق الحرث على الزّوجة لأنّها مكان غرس الأولاد، فبالنسآء زرع مافيه بقآء

نوع الإنسان كما أنّ بالأرض زرع ما به بقآء أشخاصهم...

وقوله تعالى: «ويهلك الحرث والنّسل» البقرة:٢٠٥) يعمّ الحرثين. فالنّسآء بمنزلة الأرض الّتي يزرع فيها، شبّهت النّطفة الّتي تلقى في أرحامهنّ للإيلاد بالبذر الّذي يلقى في المحارث للإستنبات.

ومن ذلك استعمال الحرث في نعم الدّنيا ومتاعها أو ثواب الآخرة.

قال الله عزّوجلّ: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه» الشّورى: ٢٠) أريد به ثواب الآخرة.

وقال: «ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب» الشّورى: ٢٠) أريد به نعم الدّنيا وذلك أنّ الدّنيا مَحْرَثٌ للنّاس، وهم حُرّاث فيها، فمن أراد الدّنيا ومتاعها لنفسه، ويراها ظرفاً لكماله الإنساني، ويرى نفسه للآخرة فهي ممدوحة لما ورد: «أُحْرُثْ في دنياك لآخرتك» و«الدّنيا مزرعة الآخرة» ومن أراد نفسه للدّنيا، ورآها كمالاً لنفسه، وغفل عن الآخرة فهي مذمومة. فالمعنى: من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجازه على عمله، ونضاعف ثوابه، فنعطيه على الواحدة عشرة، ونزدله على ذلك مانشآء، ومن كان يريد بعمله نفع الدّنيا نعطه نصيبه من الدّنيا لا جميع مايريد على حسب ماتقتضيه الحكمة.

وقال الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «المال والبنون حرث الدّنيا والعمل الصّالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام» وفي الحديث: «احرث لدنياك كأنّك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً» والمعنى: اعمل لدنياك . فخالف بين اللفظين، وظاهره الحثّ على عمارة لبقآء النّاس فيها حتّى يسكن فيها وينتفع من يجئ من بعده كما انتفع هو بعمل من كان قبله وسكن، فإنّه إذا علم أنّه يطول عمره أحكم مايعمل وحرث على مايكسبه، واعمل لآخرتك على إخلاص العمل، وحضور النّيّة والقلب في العبادات والطّاعات والإكثار منها، فإنّه من علم أنّه يموت غداً يسارع إلى ذلك كحديث: «صلّ صلاة مودع».

ومن المحتمل أن يكون الحديث مصروفاً عن ظاهره فإنّ رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم إنّما كان يندب النّاس إلى الزّهد في الدّنيا والتّقليل منها، وينهى عن الإنهماك في متاعها والإستمتاع بلذّاتها وهو الغالب على أوامره ونواهيه فيما يتعلّق بها، فكيف يحثّ على عمارتها؟! فالمراد أنّ الإنسان إذا علم أنّه يعيش أبداً قلّ حرصه والمبادرة إليه، ويقول: إن فاتني اليوم أدركته غداً أي إعْمَل عَمَلَ مَن يظنّ أنّه مخلّد فلا يحرص في العمل فهو حثّ على التّرك بطريقة أنيقة.

حَرَثَ الرّجل المالَ: كسبه وجمعه. يقال: «فلان يحرث لعياله» أي يكتسب. وفي الحديث : «احرث المال كأنّك تعيش أبداً».

الحريثة: واحدة الحرآئث وهي المكاسب. وفي الحديث: «اخرجوا إلى معائشكم وحرآئثكم» أي مكاسبكم... وإنّ الإنسان لا يخلو من الكسب طبعاً وإختياراً. والحريثة: الإبل المنضاة أي الهزيلة. وحَرَثَ الدّابّة: سار على ظهرها حتّى أهزلها. وقال معاوية بن أبي سفيان عليهما اللعنة والنّيران للأنصار: «ما فَعَلَتْ نواضحكم؟» قالوا: «حرثناها يوم بدر» أي أهزلناها. أراد معاوية عليه الهاوية بذكر النّواضح تقريعاً لهم وتعريضاً لأنّهم كانوا أهل زرع وسقي، فأجابوه بما أسكته تعريضاً بقتل أشياخه المشركين يوم بدر.

حَرَث فلانٌ ناقته: إذا استعملها.

المِحْرَث والمِحْراث: آلة الحرث وما يحرّك به نار التّنّور، جمعها: محارث ومحاريث وحَرَثَ النّار: حرّكها. وحَرَثَ الخُبْزَ: فتّته. وحَرَثَ الأرض: شقّقها بالسّكة وأثارها للزّراعة، وحَرَثَ الشّيْءَ: تفقّه فيه، وحَرَثَ الأمر: تذكّره واهتاج له. يقال: أحْرِثِ القرآن: أكْثِرْ تلاوته وأدْرسه وعلّمه النّاس. وحَرَثَهُ القرآن: مستثيروا دفآئنه وكنوز علمه. وحَرَثْتُ القرآن أحْرِثُهُ: إذا أطَلْتَ دراسته وتدبّرته. والحرث: التّفتيش. وحَرْثُ القرآن: تفتيشه وتدبّره.

الحارث: إسم فاعل جمعه: حُرّاث. الحارث: قُلّة من قُلَلِ جبل الجَوْلان ومنه قوله: «بكى حارث الجولان من فقد ربّه» والمراد بالرّبّ هو النّعمان بن المنذر.

الحارث وأبو الحارث: كنية الأسد.

في دعآء السّمات: «جبل حوريث» بالثّآء المثلّثة ـ على ما في النّسخ المعتبرة ـ: هو جبل بأرض الشّام، خوطب به موسى عليه السّلام أوّل خطابه.

الحارث بن همام من أصحاب أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام صاحب لوآء الأشتر يوم صفّين.

والحارث: من جنود يزيد بن معاويه بن أبي سفيان عليهم اللعنة والنّيران هو قاتل طفلي مسلم بن عقيل عليهم السّلام في قضيّة كربلآء.

الحارثية: فرقة الإباضيّة وهم أصحاب أبي الحارث الإباضيّ.

الحَراث ـ كسحاب ـ والحُرثة ـ كبُلغة ـ: فرضة في طرف القوس يقع فيها الوتر.

الحِراث ـ ككتاب ـ: سهم لم يتمّ بريه. والحراث: سنخ النّصل، جمعه: أحرثة.

الحِراثة: الحَرْث وحرفة الحَرّاث: الزرّاع.

حَرَّث ـ من باب التّفعيل ـ: الأرض، واحترثها: حرثها. واحترث المال والدّابة: حَرَثَها.

وفي تهذيب اللغة: الحَرْث: قذفك الحبّ في الأرض للإزدراع. أرض محروثه ومُحرَثة: وطئها النّاس حتّى أحرثوها وحرثوها، وطئت حتّى أثاروها.

وفي اللسان: الحَرْث والحِراثة: العمل في الأرض زرعاً كان أو غرساً، وقد يكون الحرث نفس الزّرع. وحَرَثَ الرّجل: إذا جمع بين أربع نسوة. وحَرَثَ أيضاً: إذا تفقّه وفتّش. والحَرْث: الجماع الكثير. وحَرْثُ الرّجل: إمرأته. والحرث: إشعال النّار. ومحراث النّار: مسحاتها الّتي تحرّك بها النّار. ومحراث الحَرْب: مايهيّجها. والحَرّاث: الكثير الأكل. الحُرثة: مابين منتهى الكَمَرَة ومجرى الخِتان والحُرثة أيضاً: المَنْبِت. والحرث: أصل جُردان الحمار. والجردان: قضيب كلّ ذي حافر. والحِراث: السّهم قبل أن يراش. والجمع: أحرثة.

وفي القاموس وشرحه: الحَرْث: النّكاح بالمبالغة، وقد حرثها: إذا جامعها جاهداً مبالغاً. الحَرْث: المحجّة المكدودة بالحوافر لكثرة السّير عليها.

٨٢ ـ الروض ـ ٦١٠

راض المُهْر ـ أي ولد الفرس ـ يروضه رَوْضاً ورياضاً ورياضة ـ معتلّ العين واويّ نحو قال من باب نصر ـ: ذلّله وجعله مسخّراً ومطيعاً وعلّمه السّير، فهو رآئض جمعه: راضة وروّاض ورائضون. والمُهْرُ مروض. يقال: رُضْ نفسك بالتّقوى أي ذلّلها بها. ومنه: «راض الشّاعر القوافي الصّعبه» أي ذلّلها. وراض الدُّرَرَ رياضة: ثقبه. وراض نفسه: حلم فهو ريّض. والرّيّض في العلم: المذلّل نفسه لذلك.

الرّوضة: الأرض ذات الخضرة وأنواع النّبات والأزهار وذات المآء والنّهر والطّير. الرّوضة: البستان الحسن، والمكان الّذي يجتمع فيه المآء ويكثر نبته، ويعجب زهره. الروضة من البقل والعشب مستنقع المآء والخضرة. قيل لها ذلك لإستراضة المآء فيها ولا تكون روضة إلّا معها مآء أو إلى جنبها. في الحوض روضة من المآء: إذا اجتمع فيه من المآء ماوارى أرضه. والرّوضة: بقيّة المآء في الحوض. ومن أمثالهم: هو أحسن من بيضة في روضة. وذلك أنّهم يستحسنون نقآء البيضة وبياضها في نضارة خضرة الرّوض.

جمع الرّوضة: رَوْض كشجر وشجرة، ولذا يوصف بالمذكّر، فيقال: «روض أريض» ورياض وريضان وروضات. روضات الجنّات: أطيب بقاعها وأنزهها. قال الله عزّوجلّ: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات» الشّورى: ٢٢) إشارة إلى ما أعدّلهم في الآخرة من حيث محاسنها وملاذّها... يقال: «أنا عندك في روضة وغدير، ومجلسك روضة من رياض الجنّة» وفي الرّواية: «القبر إما حفرة من حفر النّار وإمّا روضة من رياض الجنّة» وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة» أي كروضة يحبئ في ترع ماينفع هنا فمن أقام مؤمناً مخلصاً بهذا الموضع فكأنّه أقام في روضة من رياض الجنّة. ومنه: «بادروا إلى رياض الجنّة» يعنى بطول الذّكر والطّاعة لله تعالى وحده. قيل: أصغر الرّياض مأة ذراع. الرّوضة: أرض ذات مياه وأشجار وأزهار طيّبة.

الرّوضة: مجلس تذكر فيه فضآئل أهل بيت الوحي المعصومين ومصآئبهم في سبيل الله صلوات الله عليهم أجمعين.

المَراض ـ بالفتح ـ: صلابة في أسفل سهل تمسك المآء جمعه: مرايض ومراضات. أرض مُستَروضة: تنبت نباتاً جيّداً. نبات مستروض: قد تناهى في عِظَمه وطوله.

أراض الرّجل ـ من باب الإفعال ـ إراضة: صبّ اللبن على اللبن ورَوِيَ فنقع بالرّيّ. وأراض الرّجل: شرب عَلَلاً بعد نَهَلٍ. وأراض القَوْمَ: أرواهم. وأراض الوادي: استنقع فيه المآء، وأراض الوادي واستراض: كثرمآؤه. وأراض المكان: كثرت فيه الرّياض، وأراض الأرض: ألْبَسَتْ النّبات كأروَضَتْ.

أراض الله الأرض: جعلها رياضاً. وأراض الحَوْضُ: غطى أسفله المآء. أروَضَتِ الأرض أيضاً: كثر رياضها.

رَوَّضَ المُهرـ من باب التّفعيل ـ: مثل راضه شُدِّدَ للمبالغة. روّض الرّجل: لزم الرّياض. وروّض القراح: جعله روضة. ورَوَّضَ المَطَرُ الأرضَ: جعلها كالرّوض. يقال: «رَوِّضُوا بذكر الله تعالى وبالصّلوات على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبذكر فضآئل أهل بيته عليهم السّلام الأندية» أي طيّبوا به المجالس...

قصيدة ريِّضة: لم تُحكَم. الرّيّضة لغة في الرّوضة، قلبت واوها يآء لكسر ماقبلها. الرّيّض ـ كسيّد ـ: الدّابّة أوّل ماتراض وهي صعبة بعد، يستوي فيها المذكّر والمؤنّث. يقال: مُهْر رَيّض ومُهْرَة رَيّض. أمر رَيّض: لم يُحكم تدبيره. وفي الحديث: «حتّى نتراوض على أمر» أي نستقرّ على أمر.

راوضه على الأمر مراوضة: داراه وخاتله حتّى يدخل فيه. وفي حديث إبن المسيّب: «أنّه كره المراوضة» وهو أن تواصف الرّجل بالسّلعة ليست عندك ويسمّى بيع المواصفة. وفي حديث طلحة: «فتراوضنا حتّى اصطرف منّي» أي تجاذبنا في البيع والشرآء وهو مايجرى بين المتبايعين من الزّيادة والنقصان كأنّ كلّ واحد منهما يروض صاحبه من رياض الدّابّة. وقيل: هي المواصفة بالسّلعة.

تـراوضا ـ من باب التّفـاعل ـ السّلعة وفي السّلعـة: تداريا فيها. وتراوض القوم في الأمر: تناظروا فيه

إرتاض الـمُهر ـ من باب الإفـتعـال ـ إرتياضاً: صار مـروضاً، وارتاضت القوافي الصّعبة للشّاعر: انقادت له.

إستراض ـ من باب الإسـتـفـعال ـ الوادي إستراضـة: بمعنى أراض. واسـتراض المكان: فسح واتسع. ومنه قولهم: «افعل ذلك مادامت النّفس مستريضة» أي قابلة للرّياضـة أومعنـاه: متّسعة طيّبة. وإسـتراضت النّفس: طابت وانـقادت وخضعت. واستراض الحوض: صبّ فيه روضـة من المآء أي مايواري أرضَه وتبطّح فيه المآء على وجهه.

الرّيـاضة: هـي ـ عند الأُدبآء ـ: إسـتبـدال حال المذمومة بـالحال المحمود. وعند الحكمآء: هي الإعـراض عن الأغراض الشّهوانـيّة، وكثرة إستعمـال النّفس لَيسْلَسَ ويَمْهُرَ من رضت الدّابّة.

في نهج البلاغة: قال مولى المـوحّـدين إمام المتّقين أميرالمؤمـنين عـليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «لأروضـن نفسي رياضة تهش مـعها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً».

قـال بـعض الشّارحين: أراد الإمام عليّ عـليه السّلام بالرّياضـة هـنا منع النّفس الحيوانـيّة عن مطـاوعـة الشّهوة والـغضب ومايتـعلّق بهما، ومـنع النّفس الـنّاطقـة عن متـابعة القوى الحـيوانيّة من رذآئل الأخلاق والأعـمال... كالحرص على جمع المال، واقتنآء الجـاه وتوابعهما مـن الحيلـة والمكرو الخديـعة والغلـبة والحقـد والحسد والفـجور والإنهماك في الشّرور والمفـاسد والآثام... وجعل طـاعة النّفس للـعقل العملي ملكة لها على وجه يوصلـها إلى كما لها الممكـن لها إزالة الموانع المادّية الدّنيويّة عن خاطره، والمعين على ذلك اضعاف الـقوّة الشّهوانيّة والغضبيّة باضعاف حواسه بتقليل الأغذية والتّنوق فيها، فإنّ لذلك أثراً عظيماً في حصول الكمال والتّشاغل بحضرة ذي الجلال.

وقـال بعض الآخرين منهم: أراد الإمام عـلـيّ عليه السّلام بالـرّياضة: منع النّفس

عن المطلوب من الحركات المضطربة، وجعلها بحيث تصير طاعتها لمولاها ملكة لها.

وفي نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إنّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر».

قال بعض الشّارحين: قوله عليه السّلام: «إنّما هي نفسي» أي إنّما همّتي وحاجتي «أروضها» ورياضة النّفس مأخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الإقدام على حركات غير صالحة لصاحبها، فالقوّة الحيوانيّة هي مبدأ الإدراكات والأفعال إذا لم تكن مطيعة للقوّة العاقلة كانت بمنزلة البهيمة لم ترض، فهي تتبع الشّهوة تارة والغضب أُخرى، وتستخدم القوّة العاقلة في تحصيل مراداتها، فتكون هي أمّارة والعاقلة مؤتمرة: «إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء» يوسف: ٥٣)

وأمّا إذا راضتها القوّة العاقلة حتّى صارت مؤتمرة لها، متمرنة على ما يقتضيه العقل العملي تأمر بأمره وتنهى بنهيه كانت العاقلة مطمئنّة لا تفعل أفعالاً مختلفة المبادئ، وكانت باقي القوى سالمة لها: «يا أيّتها النّفس المطمئنّة إرجعي إلى ربّك راضية مرضيّة فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي» الفجر: ٢٧-٣٠) ولمّا كان الغرض الأقصى من رياضة النّفس نيل الكمال الحقيقيّ فلا بدّ له من الإستعداد وكان ذلك الإستعداد موقوفاً على زوال الموانع الخارجيّة والدّاخليّة كانت للرّياضة أغراض ثلاثة:

الأوّل: حذف كلّ مرغوب ومحبوب النّفس، وهو حذف الموانع الخارجيّة.

الثّاني: تطويع النّفس الأمّارة للنّفس المطمئنّة، فينجذب التّخيّل والتوهّم عن الجانب السّفلي إلى العلوي وتتبعها سائر القوى، فتزول الدّواعي الحيوانيّة وهو حذف الموانع الدّاخليّة.

الثّالث: توجيه السّر إلى الجنبة العاليّة لتلق السّوانح الإلهية واقتناصها.

ويعين على الأوّل الزّهد الحقيقي وهو الإعراض عن متاع الدّنيا وطيّباتها ولذّاتها وشهواتها بالقلب، وعلى الثّاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السّموات والأرض، وعظمة الله تعالى والأعمال الصّالحة المنويّة لوجهه خالصاً، وعبّر الإمام

عليه السّلام عن هذه الامور المعنويّة بالتّقوى الّتي يروض بها نفسه.

قيل: الرّياضة هي ملازمة الصّلاة والصّوم ومحافظة آنآء اللّيل والنّهار عن موجبات الإثم واللوم، وسدّ باب النّوم والبُعد عن صحبة القوم.

وقيل: هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النّفسيّة.

الرّياضة: عند الرّهبان: هي خلوة أيّام للعبادة والتفكّر فيما توجبه على المؤمن حقائق الإيمان.

الرّياضة ـ عند السّحرة ـ: هي خلوة أيّام يتقشفون بها ويستدعون الأبالسة بالقراءة والبخور يزعمون أنّهم يستخدمونهم بذلك فينتصبون لقضآء الحوآئج الّتي يطلبونها منهم.

الرّياضة ـ عند المتجدّدين ـ: هي إعمال عضلات الجسم لتقويتها.

وللرّياضة عند المرتاضين والصّوفيّة الضّالّة معانٍ أُخر مردودة في الإسلام كما أنّ بعض ماذكرناه ههنا مردود أيضاً.

العلوم الرّياضيّة: هي الّتي لا تدرك إلّا بالعمل كالحساب الجبر والمقابلة والمساحة وماإليها، وغرضها إدراك المقادير...

٦٨ ـ إلقنط والقنوط ـ ١٢٦٠

قَنَطَ يَقْنُطُ قَنْطاً وقُنُوطاً ـ من باب منع ـ: إنقطع أمله في الخير ويئس منه يأساً شديداً فهو قانط وهي قانطة وهم قانطون. القنوط: أشدّ اليأس من الشّيء. قال الله تعالى: «وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقَنَطُوا» الشّورى: ٢٨) أي من بعد أن يئسوا من نزوله.

وقال: «لا تَقْنَطُوا من رحمة الله» الزّمر: ٥٣)

وقال: «فلاتكن من القانطين قال ومن يقنَط من رحمة ربّه إلّا الضّالّين» الحجر: ٥٥-٥٦) وقال: «وإن مسّه الشّرّ فيؤس قَنوط» فصّلت: ٤٩) أي شديد اليأس.

القَنوط ـ كصَبُور ـ: الآيس كالقانط.

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السّلام لرجل سئله أن يعظه ـ: «لا تكن ممّن يرجوا لآخرة بغير عمل ـ إلى أن قال ـ وإن افتقر قَنَطَ و وَهَنَ...».

وفي وصف الشّيطان: «إن منـاني قَنَطَني»: لا يفيْ لي بما مناني به فيأسني.

القَنْط: المنع. يقال: قنط ماءً عنّا: منعه. وقد ذكر الأُدبآء لهذا الفعل خمسة أبواب أُخَر:

١ ـ قَنِطَ يَقنَطُ قَنِطاً ـ من باب علم ـ فهو قَنِطٌ وهي قَنِطَةٌ: قَنَطَ.

٢ ـ قَنَطَ يَقنِطُ قُنُوطاً ـ من باب ضرب ـ: يَئِسَ.

٣ ـ قَنَطه يقنطه قُنُوطاً ـ من باب نصر ـ: منعه.

٤ ـ قَنِطَ يَقنِطُ قَنَطاً ـ من باب حَسِبَ ـ: قطع أمله.

٥ ـ قَنُطَ يَقْنُطُ قناطة ـ مِن باب كرم ـ: يئس.

أقنطه وقنّطه: أيأسه. يقال: شرّ النّاس: الّذين يقنّطون النّاس من رحمة الله تعالى أي يؤيسونهم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «الفقيه كلّ الفقيه مَن لم يُقَنِّطِ النّاسَ من رحمة الله».

٦١ ـ الركد ـ ٥٨٩

ركد الماء يركد ركوداً ـ من باب نصر ـ: سكن. وركدت الرّيح: وقفت، وركدت السّفينة: ثبتت وهدأت. فهو راكد وهي راكدة، جمعها: رواكد.

قال الله عزّوجلّ: إن يشأ يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره» الشّورى: ٣٣) أي سواكن. الرّواكد: الأثافيّ مشتق من ذلك لثباتها.

وفي الحديث: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه: «نهى أن يبال في المآء الرّاكد» أي السّاكن الّذي لا جريان له. الرّاكد: كلّ ثابت في مكان. وكلّ

ماثبت في شيء فهو رَكَد. ومنه حديث الصّلاة: «في ركوعها وسجودها وركودها» هو السّكون الّذي يفصل بين حركاتها كالقيام والطمأنينة بعد الرّكوع، والجلسة بين السّجدتين، وفي التشهّد.

يقال: ركدت الشّمس: إذا قام قآئم الظّهيرة. كأنّها وقفت لاتجري. وللشّمس ركود: أن تدوم حيال رأسك كأنّها لاتريد أن تبرح. وركد القوم: هدؤا وسكنوا. وركدت ريحهم: زالت دولتهم، وأخذ أمرهم يتراجع. تراكدت ريح القوم: مثل ركدت. ومنه طفقت ريحهم تتراكد.

ركد العصير من العنب: سكن غليانه، وركدت البَكَرَة: ثبتت ودارت ضدّ.

وركد الميزان: استوى. وركدالعَكَرُ والثّفْلُ في أسفل الإنآء: إنحدر إليه فاستقرّ فيه.

الرّكود: النّاقة يدوم لبنها ولا ينقطع. والرّكود: الجفنة الملأى.

المراكد: المواضع الّتي يركد فيها الإنسان وغيره. والمراكد: مغامض الأرض. ومنه هذه مراكدهم ومراكزهم.

٤ ـ الوبق ـ ١٦٣٧

وَبَقَ يَبِقُ وَبْقاً ـ معتلّ الفآء الواويّ من باب ضرب نحو وعد ـ و وَبِقَ يَبِقُ وَبْقاً ـ من باب حَسِب ـ و وَبِقَ يَوْبَقُ وَبقاً و وُبُوباً ومَوْبِقاً ـ من باب علم ـ: هلك فهو وَبِقٌ: هالك . ومنه حديث الإمام عليّ عليه السّلام: «فمنهم الغَرِقُ الوَبِق» الهالك .

المَوْبِق يأتي من هذا مصدراً بمعنى الهلاك ، وإسم مكان بمعنى مكان الهلاك . المَوْبِق: المَحْبِس والمَوْعِد وادٍ في جهنّم. المَوْبق: كلّ شيءٍ حاجز أي حال بين شيئين فهو مَوْبق. وقيل: مسافة تهلك فيها الأسواط لبُعْدِها.

قال الله تعالى: «وجعلنا بينهم مَوْبقاً» الكهف: ٥٢) أي مكان الهلاك . وإن كان البين بمعنى الوصل، فالموبق مصدر بمعنى الهلاك . أي جعلنا تواصلهم في الدّنيا سبب

هلاكهم في الآخرة.

وَبِقَتِ الإبِلُ في الطّين: إذا وحلت فنشبت فيه. وَبِق فلان في دَيْنه: نشب فيه بحيث لا يستطيع على أدآئه.

أوبقه ايباقاً ـ من باب الإفعال ـ: أهلكه وذلّله وحبسه. أو بقت فلاناً ذنوبه: أهلكته وحبسته.

قال الله تعالى: «أو يوبقهنّ بما كسبوا ويعف عن كثير» الشّورى:٣٤) أي يحبس السّفن وركبانها فلا تجري بهم عقوبة لهم.

أوبقه غيره فهو مُوبَقٌ. يقال: فلان يركب المُوبِقات: المهالك. ويفعل المُوبقات: المعاصي. وفي الحديث: «أعوذ بك من موبقات الذّنوب» أي مهلكاتها من إضافة الصّفة إلى الموصوف. أي الذّنوب المهلكة. وفي حديث الصّراط: «ومنهم المُوبَقُ بذنوبه» أي المُهْلَك. ومنه الحديث: «ولو فعل المُوبِقات» أي الذّنوب المُهلكات. إستوبق: هلك.

في المفردات: وبق إذا تثبّط فهلك.

٥٤ ـ الشور والمشورة ـ ٨٢٢

شار العَسَلَ يشوره شَوْراً وشِياراً وشِيارَةً ومَشاراً ومَشارَةً ـ معتلّ العين الواويّ من باب نصر نحو قال ـ إستخرجه من الوقبة واجتناه من خلاياه ومواضعه. يقال: شُرْتُ العَسَلَ وإشْتَرتُهُ: إجتنيتُه وأخذته من موضعه. فالعسل مَشُورٌ. أشار العَسَلَ: شاره. وأشار فلاناً عسلاً: أعانه على جنيه وأخذه يقال: أشِرْني على العَسَلَ: أعنّي على أخذه واجتنائه. عَسَلٌ مُشارٌ: قد أُعين على جنيه. يقال: شُرْتُ العَسَلَ وأشَرتُهُ: أخرجته.

المِشوار والمِشْوَر: ما يشار به العسل وهو عود يكون مع مشتار العَسَلَ، جمعه: مَشاوِر. الشُورة: الموضع الّذي تُعَسّل فيه النّحل إذا دجنها.

الشَّور: المَشورة. يقال: أشار عليه بأن يفعل كذا: أعطاه مشورة.

الشّوُرىٰ ـ بالضّمّ ـ: إسم بمعنى التّشاور أو الإسم من أشار عليه. وإسم سورة من السّور القرآنيّة. الشّورىٰ: الأمر الّذي يتشاور فيه.

قال الله عزّوجلّ: «وأمرهم شورى بينهم» الشّورىٰ:٣٨) أي شأنهم التّشاور في بعض الأمور.. يقال: صار هذا الشّيْ شورى بين القوم: إذا تشاوروا فيه وهو فُعْلىٰ من المشاورة وهو المفاوضة، وفي الكلام ليظهر الحقّ أي لا ينفردون بأمر ماورد فيه نصّ من الكتاب وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين حتّى يشاوروا غيرهم فيه.

المَشْورَة والمَشُورة: إسمان من أشار عليه بأن يفعل كذا كالشّورى جمعهما: مَشورات. الإسم من أشار عليه: النّصيحة.

الشّوْرىٰ ـ بالفتح ـ: نبات بحريّ.

الشّوُرىٰ ـ بالضّمّ ـ: هو المجلس المؤلّف لإستماع الدّعاوى عرفياً أو للتداول في شئون البلاد. المُشير ـ في اصطلاح أرباب السّياسة ـ: فوق الوزير.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «فيا لله ولِلشّوُرىٰ! متى إعترض الرّيب فيَّ مع الأوّل منهم؟ حتّى صِرتُ أُقْرَنُ إلى هذه النّظآئر...» وقد جآئت قصّة الشّورى الآسفة كاختها السّقيفة السّخيفة بني السّاعدة الشؤمة في شرح النّهج لإبن أبي الحديد المعتزلي تفصيلاً فراجع.

وقول العامّة: «ترك عمر بن الخطّاب الخلافة شورى» أي متشاوراً فيها خلافاً حتّى لصاحبه أبي بكر، فانّه جعله خليفة له من بعده بكتابة عثمان له، وقد تخلّفوا هؤلآء الثّلاثة عن أمر الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ الخلافة كانت بالنّص الصّريح من الله عزّوجلّ وتبليغ رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا بالإنتصاب ولا بالكتابة المكيدة ولا بالشّورى ففعلوا مافعلوا، فعليهم مافعلوا من إنحطاط المسلمين وتفرّقهم حتّى اليوم.

شار فلان دابّته يشورها شَوْراً وشِواراً: راضها، وركبها ليختبرها فينظر ماعندها من السّير فيعلم حين يجرّبها، وركبها عند العرض على مشتريها، وحين عرضها للبيع

وكذا الأمَة. يقال: شُرتُ الدّابّة: إذا أجريتها لتعرف قوّتها وسيرها. و«كان يشور نفسه بين يديه» أي يعرضها على القتل أو يظهر بذلك قوّته.

شارَتِ الإبِلُ شَوْراً وشِواراً: سمنت وحسنت.

في الحديث: «أنّه أقبل رجل وعليه شُورة حسنة» الشُّورة ـ بالضّمّ ـ: الجمال والحسن وهو عرض الشّيْ وإظهاره ويقال لها أيضاً: الشّارة وهي الهيئة. رجل شار: صار حسن الصّورة. الشَّوْرَة والشَّوار ـ بالفتح ـ: الحسن والجمال والهيئة الحسنة واللباس والسّمن والزّينة.

في النّهاية: ومنه حديث عاشورآء: «كانوا يتّخذونه عيداً ويُلبِسون نسآئهم فيه حليّهم وشارَتَهم» أي لباسهم الحسن الجميل.

أقول: إنّ بني اميّة وأتباعهم عليهم اللعنة والهاوية كانوا بعد قضيّة كربلاء يفعلون ذلك.

ريحٌ شَوار: رخآء.

الشّوار ـ مثلّثة ـ: متاع البيت المستحسن، وَبالكسر والفتح ـ: متاع الرّجل، و ـ بالضّمّ ـ: مايبدو من المتاع، ويكنّى به عن الفَرْج والعَورة ذكراً وانثى كما يكنّى به عن المتاع وفي الدّعآء: «أبدى الله شواره»: عورته. الشّوار: فَرْجُ الرّجل والمرأة. شَوار الرّجل: ذَكَره وخصياه واسته. يقال: شوّرتُ به: فعلت به ما خجّلتُه كأنّك أظهرت شَوْرَه أي فرجه. الشُّوار: طرف المكان المشرف على هبوط كطرف السّطح ونحوه يبنون منه فعلاً، فيقولون: شوّر الحمار أي أتى السّوار. سريانيّة.

الشّيار ـ بقلب الواو ياء ـ: مصدر، والحسن والجمال والهيئة واللّباس والزّينة والسِّمَن كأنّه من الشّوْر أي عرض الشّيء وإظهاره. خَيْلٌ شِيار: سمان حسان. وكانت العرب تسمّي يوم السّبت شِياراً. الشَّوْر أيضاً: الشِّيار مفرداً. والعَسَلَ المَشْور تسمية بالمصدر. الشّور: العَسَل المجتنىٰ.

الشَّوْران ـ بالفتح ـ: العصفر. ومنه ثوب مُشَوَّر ـ كمعظّم ـ: مصبوغ بالعصفر. الشّوران: جبل مطل على السّدّ كبير مرتفع على قرب عقيق المدينة على ثمانية أميال

منها، وإذا قصدت مكّة المكرّمة فهو عن يسارك وهو في ديار بني سليم.

الشَّوْرة: المرّة. والخَجْلة. والشّوُرة: الخبر والمنظر يقال: «إنّه حسن الصّورة والشّوُرة» الشّوُرة: موضع العَسَل، وخليّة النّحل والنّاقة السّمينة.الشَّوْرة: حسن الخبر عند التجربة. وإنّما ذلك على التّشبيه بالمنظر: أنّه في مخبره مثله في منظره الشُّورة: الصفّ من الشّجر، قطعة طويلة ضيّقة من الأرض. المَشارة: البقعة الّتي تزرع.

الشّيّرـ كسيّد ـ: الجميل والـمُشاوِر والوزير. يقال: هذا وزيرك وشيّرك أي مشاورك جمعه: شوراء. فرس شيّر: سمين حسن. إنّه صَيِّرٌ شَيِّرٌ: حسن الصّورة فلان صَيِّرٌ شَيِّرٌ: يصلح للمشاورة. قصيدة شيّرة: حسناء.

المِشْوار أيضاً: الخبر والمنظر. يقال: فلان حسن المِشوار. وليس لفلان مِشوار: منظر.المشوار: ما أبقت الدّابّة من علفها. معرّب نشخوار بالفارسيّة. يقال: فلان حسن المشوار. المِشوار: المكان تُعرَض فيه الدّوابّ إقبالاً وإدبارً ويشوّ لينظر كيف مِشوارها أي كيف سيرتها ومنه: «إيّاك والخُطَب فإنّها مِشوار كثير العثار» والمِشوار: وتر المِنْدَف: جمعه: مشاوير. أخَذَتِ الإبلُ مِشوارَها: سمنت وحسنت. المِشْوارة: موضع العَسَل. وشرتُ الدّابّة: إستخرجتُ عَدْوَه تشبيهاً بذلك. المِشْوارَ: الطلق الواحد من المشي والرّكوب.

المَشارـ بالفتح ـ: خليّة العَسَل. المَشارة: الدّبرة الّتي في المزرعة أي البقعة الّتي تُزرَع وقدرها جريب جمعها: مشاور ومشآئر. وأخذت الخيل مشارتها: سمنت وحسنت.

الشَّوْربة: طعام مائع من الرزّ أو العدس أو الخضر يطبخ بلحم أو بسمن فارسيّة.

أشارـ من باب الإفعال ـ العَسَل يشيره إشارة: شاره. والفاعل: مشير، والمفعول: مُشار. وأشار فلاناً عسلاً: أعانه على جنيه. وأشار عَلَيَّ بكذا: أراني ماعنده فيه من المصلحة. وأشار النّار وبالنّار: رفعها. وأشار به: عرّفه، وأشار إليه وبيده وبعينه وبحاجبه: أومأو أشار عليه بكذا: أمره ونصحه ودلّه على وجه الصّواب، وارتاه له، وبيّن له وجه المصلحة، ودلّه على الصّواب.

قال الله تعالى: «فأشارت إليه» مريم: ٢٩)

الإشارة: الإيمآء باليد أو الرّأس. وهي ترادف النّطق في فهم المعنى كمالواستأذنه في شيء فأشار بيده أو رأسه أن يفعل أو لا يفعل.

المشيرة: الإصبع السّبّابة. المشيريّة: رتبة المشير. شاراتُ الرّتك: هي أشعرة الشّرف كانوا يرسمونها إمّا على تروس صغيرة وإمّا على جدران قصور الأشراف.

شوّر الدّابة ـ من باب التّفعيل ـ: شارها. وشوّر بفلان: فعل به فعلاً يستحيا منه وأخجله، وشوّر إليه بيده أو بعينه أو بحاجبه: أو مأ. وشوّر النّار بالنّار: رفعها. شوّرته: زيّنته. ثوب مُشَوَّر: مصبوغ بالشُّوْران: المصفر.

شاوره في الأمر ـ من باب المفاعلة ـ: مشاورة: طلب منه المشورة، واستخرج ماعنده من رأي.

قال الله عزّوجلّ: «وشاورهم في الأمر» آل عمران: ١٥٩) أي في أمر الحرب تطييباً لقلوبهم أي استخرج آراءهم واستعلم ماعندهم.

شاورته في الأمر واستشرته بمعنى راجعته لأرىٰ فيه رأيه.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ومن شاور الرّجال شاركها في عقولها».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «ولا مظاهرة أوثق من المشاورة».

وفيه: قال عليه السّلام لعبد الله العبّاس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه: «لك أن تشير عَلَيَّ وأرىٰ فإذا عصيتك فأطِعْني».

تَشَوَّر ـ من باب التّفعيل ـ مطاوع شوّر. يقال: «شوّرته فتشوّر» أي أخجلته فخجل.

تشاوروا: إستشار أحدهما الآخر. التّشاور: مصدر. وإسم بمعنى المشورة. التّشاور والمشاورة والمشورة: إستخراج الرّأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شُرتُ العَسَلَ: إذا اتخذته من موضعه، واستخرجته منه. تشاوروا تشاوراً: شاور بعضهم بعضاً.

قال الله تعالى: «فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاورٍ» البقرة: ٢٣٣)

إشتورالقوم: تشاوروا.

إشتار العَسَلَ إشتياراً واستشاره إستشارة: جناه واستخرجه من الوقبة مثل شارة.
إشتارتِ الإبل: سمنت بعض السِّمَن.

إستشارت الإبل: سمنت وحسنت. استشار فلان: لبس لباساً حسناً واستشار أمره: تبيّن واستنار. واستشار فلاناً: طلب منه المشورة. واستشار الفَحْلُ النّاقَةَ: كرفها، فنظر ألاقحٌ هي أم لا. المستشير: الفحل الّذي يعرف الحائل من غيرها.

المستشير- إسم فاعل -: إسم دعآء معروف مجرّب عجيب جدّاً.

٩ - الحجب والحجاب - ٢٩٧

حجبه يحجبه حَجْباً وحِجَاباً - من باب نصر -: ستره ومنعه من الدّخول والوصول. الحَجْب: المنع، ومنه: الحَجب في الارث «الإخوة يحجبون الامّ إلى السّدس» الحِجاب مصدر -: السّتر حِسّيّاً كان أو معنويّاً.

قال الله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من ورآء حجاب» الشّورىٰ: ٥١) أي من حيث مالايراه مكلّمه ومبلّغه.

وقال: «فسئلوهنّ من ورآء حجاب» الأحزاب: ٥٣)

وقال حكاية عن مشركي العرب: «ومن بيننا وبينك حجاب» فصّلت: ٥) أي ومن بيننا وبينك حاجز يمنعنا عن قبول دينك.

الحجاب: كلّ ما احتُجِبَ به جمعه: حُجُب. حِجاب الجَوْف: مايحجب عن الفؤاد. والحِجاب: الحاجز بين شيئين: الحجاب: السّتر الحائل بين الرّائي والمرئيّ. الحجاب: ما أشرف من الجبل. الحجاب: منقطع الحرّة. الحجاب: ما اطّرد من الرّمل وطال. والحجاب من الشّمس: ضَوئها. في حديث الصّلاة: «حين توارت بالحجاب» الحجاب ههنا: الافق، يريد حين غابت الشّمس في الافق واستترت به.

حجاب: لحمة رقيقة مستنبطة بين الجنبين تحول بين السَّحر والقَصَب. حَجَب صدره: ضاق.

وفي الحديث: «مالدعوة المظلوم حجاب» وله دعوات تخرق الحُجُب.

وفي حديث أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله يغفر للعبد مالم يقع الحجاب، قيل: يا رسول الله وما الحجاب؟ قال: أن تموت النّفس وهي مشركة» كأنّها حُجِبَت بالموت عن الإيمان. ومنه حديث عبدالله بن مسعود: «من اطّلع الحجاب واقع ماورآئه» أي إذا مات الإنسان واقع ماوراء الحجابيّن: حجاب الجنّة وحجاب النّار لأنّهما قد خفيا.

وفي الحديث: «محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حجاب الله» أي ترجمانه. وفي الدّعآء: «احتجب الله دون حاجته» احتجاب الله تعالى أن يمنع حوآئجه، ويخيّب آماله في الدّنيا. وفي وصفه تعالى: «حجابه النّور» يشير بذلك إلى أنّ حجابه خلاف الحجب المعهودة، فهو جلّ وعلا محتجب عن الخلق بأنوار عزّه وجلاله وسعة عظمته وكبريآئه، وذلك هو الحجاب الّذي تدهش دونه العقول، وتذهب الأبصار وتنحسر البصآئر، ولو كشف ذلك الحجاب، فتجلّى بما ورآئه من حقآئق الصّفات وعظمة الذّات لم يبق مخلوق إلّا احترق، ولا معظور إلّا اضمحلّ، وأصل الحجاب السّتر الحائل بين الرّائى والمرئيّ، وهو هناك راجع إلى منع الأبصار من الإبصار: بالرّؤية له بماذكر، فقام ذلك المنع مقام السّتر الحائل، فعبّر به عنه.

وفي الحديث: «حجبت الجنّة بالمكاره والنّار بالشّهوات» يعني لا يوصل إلى الجنّة إلّا بترك المكروهات، ولا النّار إلّا بالشّهوات.

الحِجابة ـ بالكسر ـ: ولاية الحاجب أي البوّاب. وفي الحديث: قالت بنو قُصَيّ: فينا الحِجابة يعنون حجابة الكعبة وهي سدانتها وتولّي حفظها وهم الّذين بأيديهم مفاتيحها. إستحجبه: ولاّه الحِجابة.

الحاجب: إسم فاعل ـ: البوّاب. وقيل: خاصّ ببوّاب الملك. الحاجب: المانع عن السّلطان. جمعه: حَجَبَة وحُجّاب. حاجب الأمير معروف. حاجب العين: هو

العظم الّذي فوق العين بلحمه وشعره سمّي بذلك لأنّه يحجب عن العين شعاع الشّمس. وفي وصف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أزج الحواجب» ولم يقل: الحاجبين فهو على معنى من يوقع على التثنية والجمع. الحاجبان في الرأس لكونهما كالحاجبين للعين في الذبّ عنها.

وقيل: الحاجب: الشَّعر النابت على العظم المذكور. جمعه: حواجب وحواجيب بزيادة اليآء. حواجب الشّمس: أشعّتها. الحاجب من كلّ شيء حرفه. حاجب الشّمس: ناحية منها. وأوّل مايبدو منها عند طلوعها مستعار من حاجب العين. وحاجب الشّمس سمّى لتقدّمه عليها تقدّم الحاجب للسّلطان. حاجبة: جهاز يحمى العيون من أشعّة الشّمس.

الحَجَبَة: جمع حاجب: البيت وهو المانع عن رؤية المحجوب عنه. الحَجَبَة - بالتّحريك - رأس الوَرِك. والحَجَبَتان: حرفا الوَرِك اللّذان يُشرفان على الخاصرتين الحَجَبَتان: العظمان فوق العانة المشرفان على مراقّ البطن من يمين وشمال. الحَجَبتان من الفَرس: ما أشرف على صفاق البطن من وركيه واحدتها: حَجَبَة.

الحَجيب: موضع.

الحَجَب - بالتّحريك - مجرى النّفَس - الحَجِب - ككتِف -: الأكمه.

الحَجّاب - فَعّال - من الحَجْب: المنّاع.

المحجوب - إسم مفعول -: الممنوع المستور. جمعه محجوبون قال الله تعالى: «كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون» المطففين: ١٥) تمثيل لهم في إهانتهم. بمن يُحجَبُ عن الدّخول على العظمآء. وقيل: معناه: مستورون فلا يرونه وممنوعون عن رحمة الله تعالى.

يقال: فلان محجوب عن الخير.

وفي الحديث: «كلّما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم».

وفي الدّعا: «عبادك المحتجبون بغيبك» يريد بهم الملائكة.

المحجوب: الضرير.

الحُجُب: «حِرْزٌ يُكتَبُ فيه شيء ويُلبَس وقاية لصاحبه في زعمهم من تأثير السّلاح أو العين وغير ذلك» الحُجُب: الحِلية الصّغيرة المغطّى بها طرف مرآة العود و وجهه. حجب القلب: جلدة تحجب بين القلب والبطن. إمرأة محجوبة: مستورة بسِتْر وامرأة مُحَجَّبة للمبالغة في سترها وعفّتها.

حجّبه: مثل حَجَبه: ستره. إحتجب الملك عن النّاس: لا يظهر مرئى النّاس، ومَلِكٌ محجّبٌ. يقال: إحتجبت الحامل من يوم تاسعها، وبيوم من تاسعها. يقال ذلك للمرأة الحامل إذا مضى يوم من تاسعها. يقولون: أَصْبَحَتْ محتجبة بيوم من تاسعها. تحجّب عنه واحتجب: تستّر واكتنّ من ورآء حجاب.

وفي أساس اللغة: ومن المجاز: هتك الخوف حجاب قلبه وهو جلدة تحجب بين الفؤاد والبطن، وخوف يهتك حجب القلوب.

﴿النّحو﴾

١ ـ (حم)

وقد سبق الكلام في إعراب «حم» في سورة «فصّلت» فراجع.

٢ ـ (عسق)

قيل: «عسق» مع «حم» إسم لهذه السّورة فلا إعراب له. وقيل: «حم» مبتداء و«عسق» خبره. وقد فصّل «حم» من «عسق» حتّى عُدّا آيتين خلاف «كهيعص» لتقدّم «حم» قبله، وإستقلالها بنفسها، ولأنّ جميعها ذكر الكتاب بعدها صريحاً إلّا هذه، فانّها دلّت عليه دلالة التّضمّن بذكر الوحي الّذي يرجع إلى الكتاب. وقيل: «حم» أي حمّ ما هو كائن، ففصّل بين ما يقدّر فيه فعل وبين مالا يقدّر.وقيل: تقديره: حُمَّ حَم.

٣ ـ (كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم)

في «كذلك» وجوه: **أحدها** ـ الكاف في موضع نصب بـ«يوحي» نعت لمصدر محذوف تقديره: وَحْياً مثل ذلك يوحي الله إليك. والتّقدير فيه التأخير بعد «يوحي» **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يوحي» أي ايحاء مُثل ذلك. **ثالثها** ـ مبتداء، و«يوحىٰ» خبره هذا بنآء عَلى قراءة «يوحىٰ» مبنياً للمفعول.

و«يُوحي» فعل مضارع من باب الإفعال، مبنيّ للفاعل، و«إليك» متعلّق

بـ «يوحي» والواو عاطفة، معناها الجمع، و«إلى الّذين» عطف على «إليك» وإن كان متقدّماً في الحكم، و«من قبلك» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول: «الّذين» ولفظ الجلالة: «الله» فاعل «يوحي» و«العزيز الحكيم» نعتان لـ «الله» وجملة «يوحي... الله» إبتدائيّة لا محلّ لها.

وأمّا من قرأ «يوحىٰ» مبنيّاً للمفعول، ففي نآئب الفاعل وجوه: **أحدها** ـ أن يكون «كذلك» مبتداء و«يوحىٰ» خبره فالضّمير المستتر فيه قام مقام الفاعل. **ثانيها** ـ أن يكون التّقدير: يوحىٰ إليك السّورة. **ثالثها** ـ أن يكون «كذلك» قائماً مقام الفاعل. **رابعها** ـ أن يكون إسم مالم يسمّ فاعله مضمراً أي يوحىٰ إليك القرآن الّذي تضمنته هذه السّورة.

وعلى هذه القراءة في لفظ الجلالة: «الله» وجوه: **أحدها** ـ خبر لمحذوف أي هو الله.

ثانيها ـ مبتداء، خبره محذوف. كأنّه قيل: من يوحي؟ فقال: الله يوحيه. **ثالثها** ـ فاعل لفعل محذوف أي يوحىٰ إليك يوحيه الله. كقوله تعالى: «يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال» النور:٣٦) رفع «رجال» بفعل مقدّر دلّ عليه المذكور تقديره: يسبّحه رجال. **رابعها** ـ مبتداء، خبره «العزيز الحكيم» **خامسها** ـ أن يكون «العزيز الحكيم» نعتين لـ «الله» وجملة «له مافي السّموات» خبره. **سادسها** ـ بدل من الضّمير المستتر في «يوحي» **سابعها** ـ بيان للفاعل المستتر فيه. **تاسعها** ـ على إضمار المبتداء أي الموحي الله. ويجوز أن يكون «العزيز» مبتداء، و«الحكيم» نعت له أو خبر و«له مافي السّموات» خبر أو خبرثان.

٤ ـ (له مافي السّموات وما في الأرض وهو العليّ العظيم)

«له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«ما» موصولة في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و«في السّموات» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، والواو عاطفة، و«مافي الأرض» عطف على «مافي السّموات» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، وفي الواو الثّانية وجهان:

أحدهما ـ عاطفة. **ثانيها** ـ إستئنافية: و«هو» مبتداء و«العليّ» خبره، و«العظيم» خبرثان والجملة على الوجه الأوّل معطوفة على المستأنفة السّابقة، وعلى الوجه الثّاني مستأنفة، وعلى كلا الوجهين لا محلّ لها.

٥ ـ (تكادالسّموات يتفطّرن من فوقهنّ والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم)

«تكاد» فعل مضارع من أفعال المقاربة، وتانيثه لأنّ «السّموات» فاعله، و«يتفطّرن» فعل مضارع لجمع المؤنّث من باب التّفعّل، في موضع نصب، خبر «تكاد» وجملة «تكاد السّموات...» مستأنفة لا محلّ لها، و«من فوقهنّ» متعلّق بـ«يتفطّرن» وضمير جمع المؤنّث راجع إلى «السّموات» والواو عاطفة و«الملائكة» مبتداء و«يسبّحون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب التّفعيل، في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة معطوفة على «تكاد...» لا محلّ لها، و«بحمد ربّهم» متعلّق بحال من فاعل «يسبّحون» أي ملابسين لحمد ربّهم.

الواو الثّانية عاطفة، و«يستغفرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإستفعال في موضع رفع، معطوف على «يسبّحون» و«مَن» موصولة، مجرورة باللام متعلّق بـ«يستغفرون» و«في الأرض» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و«ألا» حرف تنبيه، و«إنّ» حرف توكيد، مشبّه بالفعل، و«الله» إسمها، وفي «هو» وجهان: **أحدهما** ـ ضمير فصل و«الغفور» خبر «إنّ» **ثانيها** ـ ضمير منفصل، مبتداء، و«الغفور» خبره والجملة الإسميّة في موضع رفع، خبر «إنّ» و«الرّحيم» خبرثان، والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

٦ ـ (والّذين اتّخذوا من دونه أوليآءالله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

الواو إستئنافية، و«الّذين» موصولة، و«اتّخذوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفتعال، صلة الموصول لا محلّ لها، وجملة «الّذين اتّخذوا...» مستأنفة لا

محلّ لها. ومن المحتمل أن تكون معطوفة على جملة محذوفة مفهومة من قوله تعالى: «ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم» أي إنّه تعالى يغفر للّذين تابوا وآمنوا وأمّا الّذين أشركوا بالله واتّخذوا من دونه أولياء...

«من دونه» متعلّق بمحذوف، مفعول به أوّل، و«أوليآء» جمع ولي، مفعول ثانٍ لـ «اتّخذوا» و«الله» مبتداء و«حفيظ» خبره والجملة في موضع رفع، خبر لـ «الّذين» و«عليهم» متعلّق بـ «حفيظ» والواو عاطفة، و«ما» نافيه عاملة عمل ليس، و«عليهم» متعلّق بـ «وكيل» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، خبر «ما» وجملة «ما أنت عليهم بوكيل» في موضع رفع، معطوفة على جملة «الله حفيظ».

٧ ـ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السّعير

الواو عاطفة وفي «كذلك» وجوه: **أحدها** ـ الكاف مفعول به لـ «أوحينا» وذلك إشارة إلى المذكور قبله من أنّ الله هو عليهم الرّقيب، وما أنت عليهم برقيب و«قرآناً» حال. والمعنى: مثل ذلك المذكور أوحينا إليك وهو قرآن عربيّ بيّن لا لُبَس فيه ليفهم معناه ولا يتجاوز حدّ الإنذار. **ثانيها** ـ إنّ «ذلك» إشارة إلى الإيحآء أي كما أوحينا إلى الرّسل قبلك أوحينا إليك، فيجوز أن تكون المماثلة بالحروف المفردة، وأن تكون باصول الدّين.

ثالثها ـ «كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «أوحينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، و«إليك» متعلّق بـ «أوحينا» و«قرآناً» مفعول به، و«عربيّاً» نعت لـ «قرآناً» وجملة «أوحينا...» مستأنفة لا محلّ لها واللام للتّعليل، و«تنذر» فعل مضارع، مفرد مذكّر من باب الإفعال، منصوب بـ « أن» مضمرة بعد اللاّم، والمصدر المؤوّل: «أن تنذر» في موضع جرّ باللاّم، متعلّق بـ «أوحينا» و«أم القرى» جمع القرية، مفعول به أوّل على حذف المضاف أي أهل مكّة، والمفعول الثّاني محذوف وهو القرآن.

الـواو عـاطـفـة و«مـن» إسـم مـوصـول في مـوضـع نصـب، مـعطوف على «امّ» و«حـولها» ظرف منصوب، متـعـلّق بمحذوف، صلة الموصول: «من» والواو عاطفة، و«تنذر» معطوف على «لتنـذر» من عطف العام على الخاص لأنّ المُـنذَر في الأوّل أهل مكّة، وفي الثّاني النّاس كلّهم، و«يوم» مفعول به ثان، منصوب بحذف مضاف أي عذاب يوم الجمع، والمفعول الأوّل محذوف أي النّاس. و«لا» نافية للجنس و«ريب» إسمها، و«فيه» متعلّق بمحذوف، خبرها، وفي جملة «لا ريب فيه» وجوه: **أحدها** ـ في موضع نصب، حال من «يوم الجمع» **ثانيها** ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثالثها** ـ في موضع نصب، نعت لـ«يوم الجمع» بناًء على أنّ التّعريف الجنسي قريب من النكرة.

في «فريق في الجنّة» وجوه: **أحدها** ـ «فريق» مبتداء، والإبتداء بالنّكرة للتّنويع و«في الجنّة» متعلّق بمحذوف، خبره. **ثانيها** ـ «فريق» مبتداء مؤخّر، والخبر محذوف مقدّم أي منهم فريق في الجنّة و«في الجنّة» متعلّق بالخبر المحذوف. **ثالثها** ـ «فريق» خبر لمبتداء محذوف، تقديره: بعضهم فريق... و«في الجنّة» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ«فريق» وجملة «فريق في الجنّة» على أيّ وجه مستأنفة لا محلّ لها. والكلام في «فريق في السّعير» هو الكلام في «فريق في الجنّة».

٨ ـ (ولو شآء الله لجعلهم أُمّة واحدة ولكن يدخل من يشآء في رحمته والظّالمون ما لهم من وليّ ولا نصير)

الواو عاطفة، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«شآء» فعل شرط و«الله» فاعل الفعل وجملة «شآء الله» معطوفة على «أوحينا» إلتفاتاً من عطف الغيبة على المتكلّم، لا محلّ لها، واللاّم واقعة في جواب «لو» و«جعل» جواب الشّرط لا محلّ لها، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«أُمّة» مفعول ثان، و«واحدة» صفة مؤكّدة لـ«أُمّة» والواو عاطفة، و«لكن» حرف إستدراك لا عمل لها، و«يدخل» فعل مضارع من باب الإفعال، عطف على «يشآء» لا محلّ لها، و«مَن» موصولة،

و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، و«في رحمته» متعلّق بـ «يدخل».

في الواو وجهان: أحدهما - عاطفة. ثانيهما - أن تكون للحال. و«الظّالمون» مبتداء و«ما» نافية، و«لهم» متعلّق بمحذوف وهو خبر مقدّم، و«وليّ» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، و«من» زآئد، وجملة «مالهم من وليّ» في موضع رفع، خبر «الظّالمون» وفي الجملة: «الظّالمون...» وجهان: أحدهما - معطوفة على جملة «شآء الله» من عطف الجملة الإسميّة على الفعليّة لا محلّ لها. ثانيها - في موضع نصب، حال من ضمير الجمع: «هم» على تقدير: وحالكون الظّالمين منهم... و«لا» زآئدة لتأكيد النّفي، و«نصير» عطف على «وليّ».

٩ـ (أم اتّخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير)

في «أم» وجهان: أحدهما - منقطعة بمعنى «بل» الّتي للإنتقال من كلام إلى كلام والهمزة الّتي للإنكار. أي ليس المتّخذون أوليآء. ثانيها - بمعنى «بل» فقط. وقد مرّ إعراب «اتّخذوا من دونه أوليآء»: ٦) والجملة على أيّ وجه مستأنفة لا محلّ لها. وفي الفآء وجوه: أحدها - تعليلية، ومابعدها تعليلية لا محلّ لها. ثانيها - عاطفة صرفة أي لمجرّد العطف. ثالثها - جزآء للشّرط المقدّر أي إن أرادوا أوليآء بحقّ فالله هو الوليّ. و«الله» مبتداء، وفي «هو» وجهان: أحدهما - ضمير فصل. ثانيها - ضمير منفصل مبتداء، و«الوليّ» خبره والجملة خبر لفظ الجلالة: «الله».

الواو عاطفة، و«هو» مبتداء، و«يحيي» في موضع رفع، خبره و«الموتى» جمع الميّت، في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على جملة «الله هو الوليّ» والواو عاطفة، و«هو» مبتداء، و«على كلّ شيءٍ» متعلّق بـ «قدير» خبره والجملة معطوفة على جملة «هو يحيي الموتى» لا محلّ لها.

١٠ - (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه انيب)

في الواو وجهان: أحدهما - إستئنافية. ثانيها - عاطفة. و«ما» إسم شرط جازم في

موضع رفع، مبتداء، و«اختلفتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال في موضع جزم، فعل الشّرط، والجملة في موضع رفع، خبر «ما» ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآء معاً. وفي الجملة: «ما اختلفتم...» وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة. **ثانيها** ـ معطوفة على الجملة: «وهو على كلّ شيء قدير» وعلى أيّ وجهين لا محلّ لها. و«فيه» متعلّق بـ «إختلفتم» وفي «من شيء» وجوه احدها ـ تمييز للضّمير في «فيه» **ثانيها** ـ حال منه. **ثالثها** ـ «من» بيان لـ «ما» أي كلّ شيء تختلفون فيه.

الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«حكمه» مبتداء، و«إلى الله» متعلّق بمحذوف، خبره، والجملة جزآء الشّرط. و«ذلكم» مبتداء والإشارة إلى الحاكم العظيم، وفي لفظ الجلالة: «الله» وجوه: **أحدها** ـ خبر لـ «ذلكم» **ثانيها** ـ عطف بيان لـ «ذلكم» **ثالثها** ـ بدل من «ذلكم» وفي «ربّي» أيضاً وجوه: **أحدها** ـ خبرثانٍ لـ «ذلكم» **ثانيها** ـ بدل من لفظ الجلالة: «الله» **ثالثها** ـ نعت لـ «الله». وجملة «ذلكم الله...» في موضع نصب، مقول القول لقول مستأنف مقدّر أي قل لهم ـ والخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ذلك الله ربّي. و«عليه» متعلّق بـ «توكّلت» فعل ماضٍ للتكلّم وحده من باب التفعّل، والجملة في موضع رفع، خبر ثالث لـ «ذلكم» و«إليه» متعلّق بـ «انيب» فعل مضارع للتكلّم وحده من باب الإفعال، في موضع رفع، معطوفة على جملة «عليه توكّلت».

١١ ـ (فاطر السّموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير)

في «فاطر» إسم فاعل وجوه: **أحدها** ـ الرّفع، نعتاً لـ «الله» **ثانيها** ـ الرّفع، خبراً لمحذوف أي هو فاطر. فالجملة نعت لـ «الله» **ثالثها** ـ الرّفع، خبراً رابعاً لـ «ذلكم» **رابعها** ـ النّصب على النّدآء. أي يا فاطر السّموات... **خامسها** ـ النصب على المدح. **سادسها** ـ الخفض على البدل من الهآء في «عليه» وعلى أيّ وجه من الوجوه أضيف إلى «السّموات» من إضافة الفاعل إلى مفعوله، و«الأرض» معطوف على السّموات»

و«جعل» في موضع رفع، خبر خامس لـ «ذلكم» و«لكم» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، عـامـلـه: «جعل» و«من أنـفسكـم» مـتعلّق بحـال مـن «أزواجـاً» مفعول به أوّل، وكذلك «من الأنعام» حال من «أزواجاً» الثّاني.

«يذرؤ» فعل مضارع، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع نصب، حال من فاعل «جعل» أو من ضمير «لكم» و«فيه» متعلّق بـ «يذرؤ» وفي «فيه» وجهان: **أحدهما** ـ تعليلية أي يكثركم بسبب هذا الجعل. **ثانيها** ـ ظرفيّة مجازيّة، فالضّمير راجع إلى الجعل المفهوم من قوله: «جعل لكم» بأنّ جَعْلَ هذا التّدبير كالمنبع أو المعدن للبثّ والتكثير كقوله تعالى: «ولكم في القصاص حياة» البقرة: ١٧٩) فلهذا جاء بـ «في» دون البآء.

«ليس» من أفعال النّاقصة، والكاف حرف جرّ، و«مثله» خبر «ليس» و«شي ء» إسمه وفي الكاف وجهان: **أحدها** ـ زآئدة لتوكيد النّفي أي ليس شي ء مثله. إذلو لم تقدّر زائدة صار المعنى: ليس شي ء مثل مثله، فيلزم المحال وهو إثبات المثل. إذ كان المعنى: أنّ له مثلاً وليس لمثله مثل. وهذا تناقض إذ لو كان له مثل لكان لمثله مثل وهو هو مع أنّ إثبات المثل لله سبحانه محال. **ثانيها** ـ أن تكون زآئدة ولكنّ المراد بالمثل هو الذات فإنّه يقال: مثلي لا يفعل هذا. أي أنا لا أفعل هذا قطّ.

وذلك أنّ الأدبآء إذا بالغوا في نفي الفعل عن أحد قالوا: «مثلك لا يفعل كذا» ومرادهم إنّما هو النّفي عن ذاته، ولكنّهم إذا نفوه عمّن هو على أخصّ أوصاف فقد نفوه عنه. وقد يعنى «المثل» الصّفة، فليست الكاف زآئدة. فإنّ المعنى: ليس كصفته شي ء أي ليس مثل صفته شي ء.

وجملة «ليس كمثله شي ء» في موضع رفع، خبر سادس. والواو عاطفة، و«هو» مبتداء و«السّميع» خبره، و«البصير» خبرثان. والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «ليس كمثله شي ء».

١٢ ـ له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم)

«له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مقاليد» جمع مِقلاد، مبتدأ مؤخّر، أضيف إلى «السّموات» والجملة في موضع رفع، خبر سابع لـ«ذلكم» و«يبسط» في موضع رفع، خبر ثامن، و«الرّزق» مفعول به، و«لمن» متعلّق بـ«يبسط» و«يشآء» صلة الموصول: «من» لا محلّ لها، و«يقدر» معطوف على «يبسط» لا محلّ لها، و«إنّ» حرف تأكيد، والضّمير في موضع نصب، إسمها، و«بكلّ شيءٍ» متعلّق بـ«عليم» خبرها والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

١٣ـ شرع لكم من الدّين ما وصىّ به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشآء ويهدي إليه من ينيب).

«شرع» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» والجملة في موضع رفع، خبر تاسع لـ«ذلكم» و«لكم» متعلّق بـ«شرع» وفي «من الدّين» وجهان **أحدهما** ـ متعلّق بحال من «ما» **ثانيها** ـ متعلّق بـ«شرع» و«من» لإبتدآء الغاية، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ«شرع» و«وصىّ» فعل ماضٍ لمفرد مذكّر غآئب من باب التّفعيل، صلة الموصول لا محلّ لها، و«به» متعلّق بـ«وصىّ» و«نوحاً» مفعول به لـ«وصىّ» والواو عاطفة، و«الّذي» موصولة، معطوفة على «ما» و«أوحينا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير من باب الإفعال، صلة الموصول: «الّذي» لا محلّ لها. و«إليك» متعلّق بـ«أوحينا» و«ما وصّينا به إبراهيم...» مثل «ما وصىّ به نوحاً» فهو معطوف عليه، صلة الموصول: «ما» الثّانيّة لا محلّ لها.

في «أن» وجهان: **أحدهما** ـ حرف مصدريّ. **ثانيها** ـ تفسيرية. والجملة بعدها مفسّرة و«أقيموا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال. وفي المصدر المؤوّل: «أن أقيموا» وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع، خبر لمبتدآءٍ محذوف أي هو أن أقيموا... **ثانيها**ـ في موضع نصب، بدل من الموصول: «ما وصىّ» وما عطف عليه.

أي شرع لكم إقامة الدّين. **ثالثها** ـ في موضع جرّ، بدل من «الدّين» **رابعها** ـ الجرّ بدلاً من الهآء في «به» كأنّه قال: أقيموا به. **خامسها** ـ لا يكون له محلّ من الإعراب إذا كانت «أن» مفسّرة.

«الدّين» مفعول به، اللام في «الدّين» للعهد أي هذا الدّين المشروع لكم، والواو عاطفة و«لا» ناهية جازمة، و«تتفرّقوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب التّفعّل مجزوم بحرف النّهي: «لا» وعلامة الجزم حذف نون الرّفع، وجملة «لا تتفرّقوا» معطوفة على جملة «أقيموا» لا محلّ لها، و«فيه» متعلّق بـ «تتفرّقوا» و«كبر» فعل ماضٍ، و«على المشركين» متعلّق بـ «كبر» و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل «كبر» و«تدعو» فعل مضارع لمفرد مذكّر مخاطب، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «تدعوهم» صلة الموصول: «ما» لا محلّ لها، و«إليه» الأوّل متعلّق بـ «تدعو» وجملة «كبر على المشركين» مستأنفة لا محلّ لها.

«الله» مبتداء و«يجتبي» فعل مضارع من باب الإفتعال، و«إليه» الثّاني متعلّق بـ «يجتبي» في موضع رفع، خبر لـ «الله» والجملة: «الله يجتبي» مستأنفة لا محلّ لها، و«مَن» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «يجتبي» و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، و«يهدي إليه» في موضع رفع، معطوفة على جملة «يجتبي» و«من ينيب» مثل «من يشآء».

١٤ ـ (وما تفرّقوا إلّا من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى إجل مسمّىً لقضي بينهم وإنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب)

الواو إستئنافية، و«ما» نافيه، و«تفرّقوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب التفعّل، والجملة إستئنافية لا محلّ لها، و«إلّا» أداة حصر، و«من بعد» متعلّق بـ «تفرّقوا» و«ما» حرف مصدريّ و«جآء» فعل ماضٍ، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«العلم» فاعل «جآء» وجملة «جآءهم العلم» صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «ما جآءهم...» في موضع جرّ لإضافة «بعد» إليه

و«بغياً» مفعول لأجله، عامله: «تفرّقوا» و«بينهم» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «بغياً».

الواو عاطفة و«لولا» حرف شرط غير جازم، و«كلمة» مبتداء والخبر محذوف، تقديره: موجودة، والجملة: «لولا ...» معطوفة على الإستئنافيّة لا محلّ لها، و«سبقت» فعل ماضٍ، في موضع رفع، نعت لـ «كلمة» وفي «من ربّك» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «سبقت» **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «كلمة» و«إلى أجل» متعلّق بمحذوف، تقديره بتأخير الجزآء و«مسمّى» إسم مفعول من باب التفعيل، نعت لـ «أجل» واللام في جواب «لولا» و«قضي» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول، ونآئب الفاعل محذوف، هو المصدر لفعل «قضي» أي القضآء، و«بينهم» ظرف منصوب، متعلّق بـ «قضي» وجملة «قضي بينهم» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

الواو عاطفة، و«إنّ» حرف توكيد، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«اورثوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول، لا محلّ لها و«الكتاب» مفعول به، و«من بعدهم» متعلّق بـ «اورثوا» والجملة المؤكّدة: «إنّ الّذين اورثوا...» معطوفة على الإستئنافيّة لا محلّ لها، واللاّم المزحلقة للتّوكيد و«في شكّ» متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» و«منه» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «شكّ» و«مريب» إسم فاعل من باب الإفعال، نعت لـ «شك».

١٥ ـ (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتّبع أهوآءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)

في الفآء وجوه: **أحدها** ـ إستئنافية. **ثانيها** ـ زآئدة. **ثالثها** ـ تفريعيّة على ما ذكر من شرع دين واحد لجميع الأنبيآء وأممهم، ثمّ انقسام أممهم إلى أسلاف إختلفوا في الدّين عن علم بغياً... **رابعها** ـ سببيّة أي فلأجل هذا... وفي اللاّم «لذلك» وجوه:

أحدها ـ تعليليّة. **ثانيها** ـ بمعنى «إلى». **ثالثها** ـ على بابها. والمعنى: فمن أجل ذلك الّذي تقدّم ذكره فادع واستقم. وفي تعلّق «لذلك» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بفعل محذوف، مفهوم من سياق الكلام السّابق أي: إن دعيت أنت وجميع المرسلين لذلك الّذي أوحيناه إليك فادع النّاس واستقم. وجملة الشّرط المقدّرة مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيهما** ـ متعلّق بـ «ادع» فالجملة مستأنفة لا محلّ لها.

الفآء في «فادع» رابطة لجواب الشّرط المقدّر، و«ادع» فعل أمر، خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجملة «ادع» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآء وجملة «استقم» في موضع جزم معطوفة على جملة «ادع» و«ما» حرف مصدريّ، و«أُمرت» فعل ماضٍ للمفرد المذكّر المخاطب مبنيّ للمفعول، والتّاء المفتوحة فيه نآئب الفاعل، والمصدر المؤوّل: «ما امرت» في موضع جرّ بالكاف، متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله: «ادع واستقم» الواو عاطفة و«لا» ناهية جازمة، و«تتّبع» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، مجزوم بحرف النّهي، و«أهوآءهم» مفعول به، وجملة «لا تتّبع...» في موضع جزم، معطوفة على جملة «ادع».

الواو عاطفة، و«قل» فعل أمر، مجزوم لفظاً بجذف عين الفعل لبنآء الأمر، ومحلاً، عطفاً على جملة «ادع» و«آمنت» فعل ماض للتكلّم وحده من باب الإفعال، في موضع نصب، مقول القول، و«بما» متعلّق بـ «آمنت» و«أنزل الله» صلة الموصول: «ما» لا محلّ لها، على حذف العآئد. وفي «من كتاب» وجهان: **أحدهما** ـ تميز للعائد. **ثانيها** ـ حال منه. والواو عاطفة و «أُمرت» الثّاني كالأوّل، وجملة «امرت» في موضع نصب، معطوفة على جملة «آمنت» وفي اللاّم: «لأعدل» وجوه: **أحدها** ـ تعليليّة. **ثانيها** ـ زائدة للتّأكيد. **ثالثها** ـ بمعنى «إلى» **رابعها** ـ بمعنى الباء **خامسها** ـ بمعنى كي. و«أعدل» فعل مضارع للتكلّم وحده، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللاّم، وجملة «أعدل» صلةالموصول الحرفي: «أن» المضمرة لا محلّ لها. والمصدر المؤوّل: «أن أعدل» في موضع جرّ بالـلاّم متعلّق بـ «امرت» و«بينكم»

ظرف منصوب، متعلّق بـ «أعدل».

«الله» مبتداء و«ربّنا» خبره والجملة مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها، و«ربّكم» عطف على «ربّنا» و«لنا» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«أعمالنا» مبتداء مؤخّر، والجملة مستأنفة أُخرى في حيّز القول لا محلّ لها، وجملة «لكم أعمالكم» معطوفة على جملة «لنا أعمالنا» لا محلّ لها. و«لا» نافية للجنس، و«حجّة» إسمها، و«بيننا» ظرف منصوب متعلّق بمحذوف، خبر «لا» وجملة «لا حجّة بيننا» مستأنفة ثالثة في حيّز القول لا محلّ لها، و«بينكم» عطف على «بيننا» و«الله» مبتداء و«يجمع» في موضع رفع، خبر «الله» و«بيننا» متعلّق بـ «يجمع» وجملة «الله يجمع...» مستأنفة رابعة في حيّز القول لا محلّ لها، والواو عاطفة و«إليه» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«المصير» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة «يجمع».

١٦ - (والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)

الواو إستئنافيّة، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«يحاجّون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب المفاعلة، صلة الموصول لا محلّ لها، و«في الله» متعلّق بـ «يحاجّون» على حذف المضاف أي في دين الله. و«من بعد» متعلّق بـ «يحاجّون» و«ما» حرف مصدريّ، و«استجيب» فعل ماضٍ من باب الإستفعال، مبنيّ للمفعول، و«له» ناب مناب الفاعل، والمصدر المؤوّل: «ما استجيب له» في موضع جرّ لإضافة «بعد» إليه، وفي «حجّتهم» وجهان: **أحدهما** - بدل من «الّذين» بدل إشتمال و«داحضة» خبر «الّذين» **ثانيها** - «حجّتهم» مبتداء و«داحضة» خبره والجملة في موضع رفع، خبر «الّذين» وجملة «الّذين يحاجّون...» مستأنفة لا محلّ لها، و«عند» ظرف منصوب أضيف إلى «ربّهم» متعلّق بـ «داحضة».

الواو عاطفة، و«عليهم» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«غضب» مبتداء مؤخّر، وجملة «عليهم غضب» في موضع رفع، معطوفة على جملة «حجّتهم...» و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«شديد» نعت لـ «عذاب» وجملة «لهم عذاب» في موضع رفع، معطوفة على «حجّتهم».

١٧ ـ (الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان ومايدريك لعلّ السّاعة قريب)

«الله» مبتداء و«الّذي» موصولة، و«أنزل» صلة الموصول لا محلّ لها، و«الكتاب» مفعول به، وفي «بالحقّ» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «أنزل» **ثانيها** ـ متعلّق بحال من «الكتاب» و«الميزان» عطف على «الكتاب» وجملة «الّذي أنزل...» في موضع رفع، خبر «الله» وجملة «الله الّذي...» مستأنفة لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء، و«يدري» فعل مضارع من باب الإفعال، في موضع رفع، خبر «ما» والكاف في موضع نصب، مفعول به أوّل، وجملة «مايدريك...» معطوفة على «الله الّذي...» لا محلّ لها.

«لعلّ» حرف ترجّ تشبه بالفعل، و«السّاعة» إسمها وفي خبرها وجوه: أحدها ـ على حذف المضاف أي ذات قرب. **ثانيها** ـ على تقدير: لعلّ وقت السّاعة قريب. **ثالثها** ـ بحمل «السّاعة» على معث البعث. **رابعها** ـ ذكر «قريب» فرقاً بينه وبين قرابة النّسب. **خامسها** ـ على تقدير إتيان السّاعة أو مجيئها. والجملة في موضع رفع، خبر «لعلّ» معلّق للفعل عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولين، ومن المحتمل أن تكون جملة «لعلّ السّاعة...» في موضع نصب، مفعول ثانٍ لـ «يدريك» المعلّق بالترجّي.

١٨ ـ (يستعجل بها الّذين لا يؤمنون بها والّذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنّها الحقّ ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد)

«يستعجل» فعل مضارع من باب الإستفعال، و«بها» متعلّق بـ «يستعجل» و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، وجملة «يستعجل...» مستأنفة لا

محلّ لها، و«لا» نافية و«يؤمنون» صلة الموصول لا محلّ لها، «بها» الثّاني متعلّق بـ «يؤمنون» والواو عاطفة، و«الّذين» في موضع رفع، مبتداء، و«آمنوا» فعل ماضٍ من باب الإفعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و«مشفقون» خبر «الّذين» وجملة «الّذين آمنوا...» معطوفة على جملة «يستعجل» و«منها» متعلّق بـ «مشفقون».

الواو عاطفة، وفي «يعلمون» وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع، معطوفة على «مشفقون» **ثانيها** ـ في موضع نصب، حال من الضّمير في «مشفقون» **ثالثها** ـ مستأنفة فيها معنى التّعليل لا محلّ لها. و«أنّ» حرف مصدريّ مشبّهة بالفعل، فتحت همزتها لوقوعها بعد العلم، والضّمير: «ها» في موضع نصب، إسمها، و«الحقّ» خبرها، والمصدر المؤوّل: «أنّها الحقّ» في موضع نصب، وسدّ مسدّ مفعولي «يعلمون» و«ألا» حرف تنبيه و«إنّ» حرف توكيد، و«الّذين» في موضع نصب، إسمها، و«يمارون» فعل مضارع من باب المفاعلة، صلة الموصول لا محلّ لها، في «يمارون» إعلال بالحذف، أصله: يماريون، فاستثقلت الضّمّة على اليآء، فسكّنت ونقلت حركتها إلى الرّآء قبلها ـ إعلال بالتّسكين ـ ثمّ حذفت اليآء لام الكلمة لإلتقآء السّاكنين، فأصبح يمارون. و«في السّاعة» متعلّق بـ «يمارون» واللام المزحلقة للتّوكيد، و«في ضلال» متعلّق بمحذوف، خبر «إنّ» و«بعيد» نعت لـ «ضلال» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

١٩ ـ (الله لطيف بعباده يرزق من يشآء وهو القويّ العزيز)

«الله» مبتداء، و«لطيف» خبره، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«بعباده» متعلّق بـ «لطيف» و«يرزق» في موضع رفع، خبرثان، و«مَن» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «يرزق» و«يشآء» صلة الموصول، على حذف العآئد، وفي الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة. **ثانيها** ـ حاليّة. و«هو» مبتداء و«القويّ» خبره و«العزيز» خبرثانٍ، وفي الجملة وجهان: **أحدهما** ـ معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع نصب، حال من فاعل «يرزق».

٢٠ ـ (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب)

«من» إسم شرط جازم في موضع رفع، مبتداء، و«كان» فعل ماض ناقص في موضع جزم، فعل الشّرط، والضّمير المستتر فيه إسمه، و«يريد» فعل مضارع من باب الإفعال في موضع نصب، خبر «كان» وجملة «من كان...» مستأنفة لا محلّ لها، وجملة «كان يريد...» في موضع رفع، خبر المبتداء: «مَن» ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآء معاً على قولٍ. و«حرث» مفعول به لـ «يريد» أضيف إلى «الآخرة» و«نزد» فعل مضارع للتكلّم مع الغير تعظيماً، مجزوم لفظاً بحذف عين الفعل لإلتقاء السّاكنين بينها وبين لام الفعل المجزوم. «نزد» جواب الشّرط. و«له» متعلّق بـ «نزد» و«في حرثه» متعلّق بـ «نزد» والواو عاطفة، و«من كان... نؤته» مثل «من كان... نزد» فالجملة معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها، و«منها» متعلّق بـ «نؤته».

الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«في الآخرة» متعلّق بمحذوف، هو حال من «نصيب» وهو مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، لزيادة «من» مبتداء مؤخّر، وجملة «ماله في الآخرة...» معطوفة على جملة «نؤته منها» لا محلّ لها.

٢١ ـ (أم لهم شركآؤا شرعوا لهم من الدّين مالم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لقضي بينهم وإنّ الظّالمين لهم عذاب أليم)

في «أم» وجهان: **أحدهما** ـ منقطعة بمعنى «بل» للإنتقال، أو معها الهمزة الّتي للتّقريع. **ثانيها** ـ معادلة لألف الإستفهام. تقديره: أفيقبلون ماشرع الله لهم من الدّين أم لهم آلهة شرعوا... «لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«شركآء» جمع شريك مبتداء مؤخّر، وجملة «لهم شركآء» مستأنفة لا محلّ لها، و«شرعوا» في موضع رفع، نعت لـ «شركآء» و«لهم» متعلّق بـ «شرعوا» وفي «من الدّين» وجهان: **أحدهما** ـ

متعلّق بـ «شرعوا» ثانيها ـ متعلّق بمحذوف، هو حال من «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «شرعوا» و«لم» حرف جحد، و«يأذن» فعل مضارع، مجزوم بحرف الجحد، و«به» متعلّق بـ «يأذن» و«الله» فاعل «يأذن» و«لم يأذن» صلة الموصول.

الواو عاطفة، و«لولا كلمة الفصل...» مرّ إعراب مثلها في الآية:١٤) من هذه السّورة وجملة «لولا كلمة...» معطوفة على «لهم شركآؤا» لا محلّ لها، وجملة«قضي بينهم...» جواب الشّرط غير الجازم لا محلّ لها. الواو عاطفة، و«الظّالمين» إسم لحرف التّوكيد: «إنّ» و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«أليم» نعت لـ «عذاب» والجملة: «لهم عذاب...» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها.

٢٢ ـ (ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير)

«ترى» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، و«الظّالمين» مفعول به، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«مشفقين» حال منصوبة من ضمير «الظّالمين» لأنّ «ترى» من رؤية العين لا من رؤية القلب، و«ما» موصولة إسميّة مجرورة بـ «من» متعلّق بـ «مشفقين» و«كسبوا» صلة الموصول، والعآئد محذوف والواو حاليّة، و«هو» مبتداء أي جزآؤه أي جزآء كسبهم، فحذف المضاف فاتّصل ضمير المنفصل، و«واقع» خبر «هو» و«بهم» متعلّق بـ «واقع» والجملة: «هو واقع...» في موضع نصب، حال من مفعول «كسبوا» المحذوف الّذي هو عآئد الصّلة.

الواو إستئنافيّة، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«عملوا الصّالحات» عطف على «آمنوا» لا محلّ لها، وجملة «الّذين آمنوا...» مستأنفة لا محلّ لها، و«في روضات» جمع روضة أضيفت إلى «الجنّات» جمع الجنّة، متعلّق بمحذوف، هو خبر «الّذين» و«لهم متعلّق بمحذوف،

خبر مقدّم، و«ما» موصولة في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و«يشآؤون» صلة الموصول، على حذف العآئد، وجملة «لهم مايشآؤون» في موضع رفع، خبر ثان لـ«الّذين». وفي «عند» وجهان: **أحدهما** ـ ظرف منصوب، متعلّق بـ«يشآؤون» **ثانيها** ـ متعلّق بحال من العآئد المقدّر. و«ذلك» مبتداء، والإشارة إلى المهيّأ للّذين آمنوا. وفي «هو» وجهان: **أحدهما** ـ ضمير فصل، و«الفضل» خبر «ذلك» **ثانيها** ـ «هو» مبتداءثان، خبره: «الفضل» والجملة الإسميّة خبر «ذلك» وجملة «ذلك ...» مستأنفة لا محلّ لها، و«الكبير» نعت لـ«الفضل».

٢٣ ـ (ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً إنّ الله غفور شكور)

«ذلك» مبتداء، وفي «الّذي» وجهان: **أحدهما** ـ موصولة في موضع رفع، خبر «ذلك» والجملة مستأنفة لا محلّ لها. ويجوز أن تكون بدلاً من جملة «ذلك هو الفضل الكبير». **ثانيها** ـ مصدريّة على أنّ «الّذي» و«أنِ» المصدريّة يتقارضان فتقع الّذي مصدريّة. أي ذلك تبشير الله. و«يبشّر» فعل مضارع من باب التّفعيل، و«الله» فاعله، والجملة صلة الموصول على حذف العائد لا محلّ للجملة أي يبشّر الله به. فحذف الجار توسعاً، فانتصب الضّمير ثمّ حذف، و«عباده» مفعول به، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، نعت لـ«عباده» و«آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«عملوا الصّالحات» عطف على «آمنوا».

«قل» فعل أمر، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«لا» نافية، و«أسئل» فعل مضارع للتّكلّم وحده، وكاف الجمع: «كم» في موضع نصب، مفعول به اوّل، و«عليه» متعلّق بحال من «أجراً» مفعول ثانٍ، وجملة «أسئلكم...» في موضع نصب، مقول القول. وفي «إلّا» أداة حصر وجوه: **أحدها** ـ إستثناء منقطع، وذلك أنّ المودّة في القربى ليست من الأجر. فالمعنى: لكن أسئلكم المودة في القربى واذكّركم المودّة في أهل بيتي.

ثانيها ـ إستثناء حقيقة بأنّ أجري منكم في رسالتي هو المودّة في القربى كأنّه أجر وإن لم يكن أجراً حقيقة. **ثالثها** ـ إستثناء ليس من الأوّل أي إلّا أن تودّوني لقرابتي فتحفظوني. **رابعها** ـ استثناء متّصل. والمعنى: لا أسئلكم عليه أجراً إلّا هذا فقد رضيت به أجراً، ونفعه أيضاً عائد عليكم، فكأنّي لم أسئلكم أجراً.

وفي «المودّة» وجهان: **أحدهما** ـ إسم منصوب على الإستثناء من غير الجنس اى المنقطع **ثانيها** ـ بدل من «أجراً» فنصوب مثله. و«في القربى» متعلّق بحال من «المودّة» أي إلّا المودّة ثابتة في القربي ومتمكّنة فيها. والواو استئنافية، و«من» إسم شرط جازم في موضع رفع، مبتداء و«يقترف» فعل مضارع للمفرد المذكّر الغائب من باب الإفتعال مجزوم، فعل الشّرط، وجملة «من يقترف» مستأنفة لا محلّ لها و«يقترف» في موضع رفع، خبر «من» ويجوز أن يكون الخبرجملتي الشّرط والجزاء معاً، و«حسنة» مفعول به لـ «يقترف» و«نزد» مجزوم، جزاء الشّرط، و«له» متعلّق بـ «نزد» و«فيها» متعلّق بـ «نزد» و«حسناً» مفعول به لـ «نزد» والجملة المؤكّدة: «إنّ الله غفور شكور» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٢٤ ـ (أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته إنّه عليم بذات الصّدور)

«أم» منقطعة لإنتقال كلام إلى كلام بمعنى «بل» ومعنى الهمزة فيه التّوبيخ، و«يقولون» فعل مضارع، لجمع المذكّر الغائب مستأنفة لا محلّ لها، و«افترى» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، في موضع نصب، مقول القول، و«على الله» متعلّق بـ «افترى» وفي «كذباً» وجهان: **أحدهما** ـ مفعول به. **ثانيها** ـ مفعول مطلق لـ ««افترى» نائب عن المصدر لأنّ الكذب والإفتراء بمعنى واحد بإعتبار. والفاء استئنافيّة، و«إنّ» حرف شرط جازم، و«يشاء» مجزوم، فعل الشّرط، و«الله» فاعل الفعل، و«يختم» مجزوم جزاء الشّرط، و«على قلبك» متعلّق بـ «يختم».

الواو إستئنافيّة، و«يمح» فعل مضارع، مرفوع، وعلامة الرّفع هي الضّمّة المقدّرة

على الواو المحذوفة مراعاة لحفظها لفظاً، فحذفت الواو من الخطّ لا للجزم كما في قوله تعالى: «ويدع الإنسان» الإسراء: ١١) و«الله» فاعل «يمح» و«الباطل» مفعول به، وجملة «يمح الله» مستأنفة لا محلّ لها، و«يحقّ» فعل مضارع من باب الإفعال، والجملة معطوفة على جملة «يمحوا الله» و«الحقّ» مفعول به، و«بكلماته» متعلّق بـ«يحقّ» و«بذات» أضيف إلى «الصدور» جمع الصّدر، متعلّق بـ«عليم» والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

٢٥ - (وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفوا عن السّيّئات ويعلم ما تفعلون)

الواو إستئنافيّة، و«هو» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«يقبل» صلة الموصول لا محلّ لها، و«التّوبة» مفعول به، و«عن عباده» متعلّق بـ«يقبل». قيل: «عن» هنا بمعنى «من» والواو عاطفة و«يعفوا» عطف على «يقبل» لا محلّ لها، و«عن السّيّئات» جمع السّيّئة، متعلّق بـ«يعفوا» والواو عاطفة، و«يعلم» عطف على «يقبل» و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، والعآئد محذوف، و«يفعلون» صلة الموصول لا محلّ لها.

٢٦ - (ويستجيب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد)

الواو عاطفة، و«يستجيب» فعل مضارع من باب الإستفعال، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «الله» والجملة معطوفة على «هو الّذي...» أو على «يقبل...» لا محلّ لها، وفي «الّذين» وجوه: **أحدها** - في موضع نصب، مفعول به، لأنّ المعنى: ويجيب الّذين آمنوا. **ثانيها** - منصوب بنزع الخافض أي يستجيب الله للّذين آمنوا... فحذفت اللاّم فاتّصل الفعل به. **ثالثها** - في موضع رفع. والمعنى: ويستجيب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لربّهم. أي ينقادون له. كقوله تعالى: «والّذين استجابوا لربّهم» الشّورىٰ: ٣٨).

«آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، وجملة «عملوا الصّالحات» معطوفة على «آمنوا» لا محلّ لها، وجملة «يزيدهم» معطوفة على جملة «يستجيب» لا محلّ لها، و«من فضله» متعلّق بـ «يزيدهم» وفي الواو و«الكافرون» وجوه: **أحدها** ـ إستئنافيّة فالجملة الّتي بعدها مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ عاطفة فما بعدها معطوفة على جملة «يستجيب» **ثالثها** ـ حالية، و«الكافرون» مبتداء و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«شديد» نعت لـ «عذاب» والجملة خبر لـ «الكافرون».

٢٧ ـ (ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشآء إنّه بعباده خبير بصير)

الواو إستئنافيّة، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«بسط» فعل الشّرط، و«الله» فاعل الفعل، و«الرّزق» مفعول به، و«لعباده» متعلّق بـ «بسط» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، واللاّم رابطة لجواب «لو» و«بغوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ على الضّمّ المقدّر على الألف المحذوفه لإلتقآء السّاكنين، والواو فاعل الفعل، ففيه إعلال بالحذف، أصله: بغاوا، إلتقى السّاكنان، فحذفت الألف ـ لام الفعل ـ وزنه فعوا والجملة جواب الشّرط لا محلّ لها،و«في الأرض» متعلّق بـ «بغوا» والواو عاطفة، و«لكن» حرف إستدراك لا عمل لها، و«ينزّل» فعل مضارع من باب التّفعيل، معطوفة على «بسط» لا محلّ لها،و«بقدر» متعلّق بحال من «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها،و«بعباده» متعلّق بـ «خبير» و«خبير» خبر لحرف التّوكيد: «إنّ» و«بصير» خبرثان، والجملة المؤكّدة تعليليّة أو مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٢٨ ـ (وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد)

الواو إستئنافيّة، و«هو» مبتداء، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبر «هو»

والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«ينزّل» صلة الموصول لا محلّ لها، و«الغيث» مفعول به، و«من بعد» متعلّق بـ «ينزّل» و«ما» حرف مصدريّ، و«قنطوا» فعل ماضٍ، صلة الموصول الحرفيّ: «ما» والمصدر المؤوّل: «ماقنطوا» في موضع جرّ، لإضافة «بعد» إليه، والواو عاطفة، و«ينشر» فعل مضارع، معطوفة على «ينزّل» لامحلّ لها، و«رحمته» مفعول به، والواو عاطفة، و«هو» مبتداء، و«الوليّ» خبره و«الحميد» خبرثان، والجملة معطوفة على جملة «هو الّذي...» لا محلّ لها.

٢٩ ـ (ومن آياته خلق السّموات والأرض ومابثّ فيهما من دابّة وهو على جمعهم إذا يشآء قدير)

الواو عاطفة، و«من آياته» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«خلق» مبتداء مؤخّر، أضيف إلى «السّموات» و«الأرض» عطف على «السّموات» والجملة معطوفة على جملة «هو الوليّ» و«ما» موصولة، و«بثّ» فعل ماضٍ، صلة الموصول لا محلّ لها، و«فيهما» متعلّق بـ «بثّ» قيل: أي في أحدهما على حذف المضاف كقوله تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الرّحمن: ٢٢).

في «من دابّة» وجهان: **أحدهما** ـ تمييز «ما» **ثانيها** ـ حال من العآئد المحذوف أي مابثّه فيهما من دابّة. وفي جملة «مابثّ...» وجهان: **أحدهما** ـ في موضع جرّ، عطفاً على «السّموات» **ثانيها** ـ في موضع رفع، عطفاً على «خلق السّموات» والواو عاطفة، و«هو» مبتداء، و«على جمعهم» متعلّق بـ «قدير» و«إذا» ظرف في موضع نصب، مجرّد من الشّرط، متعلّق بـ ««جمعهم» لا بـ «قدير» لأنّ ذلك يؤدي إلى أن يصير المعنى: وهو على جمعهم قدير إذا يشآء. فتعلّق القدرة بالمشيّئة وهو محال. وجملة «يشآء» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، و«قدير» خبر «هو» وجملة «هو... قدير» معطوفة على جملة «من آياته خلق...» لا محلّ لها.

٣٠ ـ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)

الواو إستئنافيّة، وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ موصولة، في موضع رفع، مبتداء و«أصاب» فعل ماضٍ من باب الإفعال صلتها، و«كم» في موضع نصب، مفعول به وفي «من مصيبة» وجهان: **أحدهما** ـ تمييز «ما» **ثانيها** ـ حال من فاعل «أصابكم» المستتر فيه. والفآء بمنزلة لام التوطئة، فانّ الفاء كما تربط الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشّرط، فزادت الفآء في خبر «ما» لمشابهة الموصول للشّرط. **ثانيها** ـ إسم شرط جازم في موضع رفع، و«أصاب» في موضع جزم، فعل الشّرط، وفي موضع رفع، خبر «ما» ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآء معاً، وجملة «ما أصابكم...» مستأنفة لا محلّ لها. والفاء على الوجه الثّاني رابطة لجواب الشّرط، و«بما» البآء سببيّة، و«ما» موصولة مجرورة بالباء، متعلّق بخبر محذوف، لمبتداء مقدّر أي إصابتكم بالذي كسبته أيديكم. وجملة «إصابتكم...» في موضع جزم، جواب الشّرط. والواو إعتراضيّة، و«عن كثير» متعلّق بـ«يعفوا» وجملة «يعفوا...» إعتراضيّة لا محلّ لها.

٣١ ـ (وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير)

الواو عاطفة، و«ما» نافية عاملة عمل «ليس» و«معجزين» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، خبر «ما» وجملة «ما أنتم بمعجزين...» معطوفة على جملة «ما أصابكم...» لا محلّ لها، و«في الأرض» متعلّق بـ«معجزين» والواو عاطفة، و«ما» نافية مهملة، و«لكم» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«من دون الله» متعلّق بحال من «وليّ» و«وليّ» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، و«لا» زآئدة لتأكيد النّفي، و«نصير» معطوف على «وليّ» تبعه في الجرّ لفظاً، وبالرّفع محلاً، وجملة «مالكم...» معطوفة على جملة «ما أنتم بمعجزين...» لا محلّ لها.

٣٢ ـ (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام)

الواو عاطفة، و«من آياته» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«الجوار» مبتداء مؤخّر، أصلها الجوارى جمع الجارية، وهي السّفينة، فحذفت اليآء تخفيفاً، وعلامة الرّفع في «الجوار» الضّمّة المقدّرة على اليآء المحذوفة لمناسبة قراءة الوصل، وفي «في البحر» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «الجوار» **ثانيها** ـ متعلّق بحال من «الجوار» بكونه جامداً، وليس صفة مشتقّة، وجملة «من آياته الجوار...» معطوفة على جملة «ما أصابكم...» لا محلّ لها، و«كالأعلام» الكاف بمعنى «مثل» و«الأعلام» جمع العَلَم وهو العلامة، ويسمّى به الجبل، وقد شبّهت السّفآئن بالجبال لعظمها وارتفاعها و«كالأعلام» متعلّق بحال من «الجوار» وقيل: حال من الضّمير في «الجوار» بناءً على اشتقاقها.

٣٣ ـ (إن يشآء يسكن الرّيح فيظلن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور)

«إنّ» حرف شرط جازم، و«يشآء» مجزوم، فعل الشّرط، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«يسكن» فعل مضارع من باب الإفعال، مجزوم، جواب الشّرط، غير مقترنة بالفآء لا محلّ لها، وحرّك بالكسر لإلتقآء السّاكنين، و«الرّيح» مفعول به، والفآء عاطفة، و«يظللن» مضارع مبنيّ على السّكون، في موضع جزم، معطوف على «يسكن» لا محلّ لها، ونون «يظللن» ضمير إسمه يعود على «الجوار» و«رواكد» جمع راكدة، مؤنّث راكد، خبر «يظللن» لأنّ «ظلّ» بمعنى صار. و«على ظهره» متعلّق بـ «رواكد» والضّمير راجع إلى «البحر» و«إنّ» حرف توكيد، و«في ذلك» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم لـ «إنّ» واللام للتّوكيد، و«آيات» إسم «إنّ» مؤخّر، منصوب، وعلامة النّصب، الكسرة و«لكلّ» متعلّق بنعت لـ «آيات» و«صبّار» مبالغة، و«شكور» مبالغة، الجملة المؤكّدة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٣٤ ـ (أويوبقهنّ بما كسبوا ويعف عن كثير)

«أو» حرف عطف، و«يوبقهنّ» الفعل فعل مضارع من باب الإفعال، مجزوم، معطوف على «يظللن» في المحلّ لا محلّ لها، و«هنّ» في موضع نصب، مفعول به، والفاعل هو الله تعالى. وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ حرف مصدريّ و«كسبوا» فعل ماضٍ، صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها، و واو الجمع راجع إلى أصحاب السّفآئن المفهوم من السّياق، والمصدر المؤوّل: «ما كسبوا» في موضع جرّ بالبآء، متعلّق بـ «يوبقهنّ». **ثانيها** ـ إسم موصول في موضع جرّ بالبآء و«كسبوا» صلة الموصول، والعآئد محذوف، والواو عاطفة، و«يعف» فعل مضارع، مجزوم بحذف اللام، معطوف على جواب الشّرط لا محلّ لها. أي إن يشأ يهلك وإن يشأ ينج بالعفو. و«عن كثير» متعلّق بـ «يعف».

٣٥ ـ (ويعلم الّذين يجادلون في آياتنا ماهم من محيص)

الواو عاطفة، وفي نصب «يعلم» وجوه: **أحدها** ـ مطعوف على محذوف منصوب للتّعليل أي: يغرقهم لينتقم منهم ويعلم. **ثانيها** ـ منصوب باللاّم المحذوفة أي وليعلم عطفاً على مصدر الفعل الّذي قبله لأنّه مصروف عن العطف على ماقبله، لأنّ ماقبله شرط وجزاء وهو غير واجب، وعلمه تعالى واجب، فجعلها في تقدير المصدر ليعطف بالواو مصدراً على مصدر أصنع. **ثالثها** ـ معطوف على محذوف مفهوم من قوله تعالى: «ويعف عن كثير» أي ويعف عن كثير من ذنوب هؤلآء المذنبين في الدّنيا، فلايعجل لهم العذاب وذلك ليعذبهم في الآخرة وليعلم الّذين... **رابعها** ـ هو غاية معطوفة على أخرى محذوفة، والتّقدير نحو قولنا: ليظهر به قدرته وليعلم الّذين... **خامسها** ـ معطوف على جزآء الشّرط بتقدير «أن» نحو: إن جئتنى أكرمك وأعطيك كذا وكذا... بنصب أعطيك. **سادسها** ـ الواو بمعنى لام التّعليل، فليست بعاطفة كقوله تعالى: «ولمّا يعلم الله الّذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين» آل عمران: ١٤٢) صرف من حال الجزم إلى النّصب إستخفافاً كراهيّة لتوالي الجزم.

سابعها ـ النّصب بإضمار «أن» على أن يجعل الأوّل في تقدير المصدر أي ويكون منه عفو وأن يعلم. فلمّا حمله على الإسم أضمر «أن».

«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «يعلم» و«يجادلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب المفاعلة، و«في آياتنا» متعلّق بـ «يجادلون» و«ما» نافية مهملة و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من محيص» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً مبتداء بزيادة «من» لتوكيد النّفي، وجملة «مالهم...» في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعولي العلم المعلّق بالنّفي: «ما».

٣٦ ـ (فما أُوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا وما عند الله خير وأبقى للّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون)

الفاء استئنافيّة، و«ما» إسم شرط جازم في موضع نصب، مفعول به مقدّم لـ «اوتيتم» لأنّه بمعنى «أعطيتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، في موضع جزم، فعل الشّرط، والجملة مستأنفة لا محلّ لها. وفي «من شيء» وجهان: **أحدهما** ـ تمييز «ما» **ثانيها** ـ متعلّق بحال من «ما» والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«متاع» خبر لمبتداء محذوف، تقديره: فهو متاع... و«متاع» اضيف إلى «الحياة» و«الدّنيا» نعت لـ «الحياة» وجملة: «هو متاع...» في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء. والواو عاطفة، و«ما» إسم موصول، في موضع رفع، مبتداء، و«عند» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة «ما» و«خير» خبر «ما» وجملة «ما عند الله...» معطوفة على جملة «ما اوتيتم ...» لا محلّ لها، والواو عاطفة و«أبقى» أفعل تفضيل، معطوف على «خير» و«للّذين» متعلّق بـ «أبقى» و«آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«على ربّهم» متعلّق بـ «يتوكّلون» والجملة معطوفة على جملة «آمنوا» لا محلّ لها.

٣٧ ـ (والّذين يجتنبون كبآئر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون)

في الواو وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة. **ثانيها** ـ حاليّة. وفي «الّذين» وجوه: **أحدها** ـ موصولة، في موضع جرّ، معطوفة على «الّذين ..» و«يجتنبون» فعل مضارع من باب الإفتعال، صلة الموصول لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع رفع، مبتداء، خبره محذوف أي يتجاوزون. **ثالثها** ـ في موضع نصب بإضمار أعني. **رابعها** ـ في موضع رفع، خبر لمحذوف أي هم الّذين... والواو في الثّلاثة الأخيرة تحتمل الحال. و«كبآئر» جمع كبيرة مفعول به، أضيفت إلى «الإثم» و«الفواحش» جمع الفاحشة، معطوفة على «كبآئر» من عطف البعض على الكل، على قول، وفي «إذا» وجوه: **أحدها** ـ ظرف للزّمن المستقبل، مجرّد من الشّرط، متعلّق بـ«يغفرون» فخرج «إذا» عن الشّرطيّة إذلو كانت شرطيّة، والجملة الإسميّة «هم يغفرون» جواباً لا قترنت بالفآء. و«ما» زائدة و«هم» ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء، وجملة «غضبوا» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، و«يغفرون» في موضع رفع، خبر «هم» وجملة «هم يغفرون» معطوفة على «يجتنبون» لا محلّ لها.

ثانيها ـ ظرف متضمّن معنى الشّرط، فجوابه جملة «يغفرون» الفعليّة، و«هم» ضمير توكيد لفاعل «غضبوا» أو «هم» فاعل لفعل محذوف يفسّره ما بعده أي غفروا... فحذف الفعل لدلالة «يغفرون» عليه. فلمّا حذف الفعل إنفصل الفاعل.
ثالثها ـ أن يكون التّقدير: «فهم يغفرون» فحذفت الفآء في جواب الشّرط، وحذف الفآء كثير.

رابعها ـ قد جوّز نجم الأئمّة رحمه الله حذف الفآء، فإنّه لم يشترط الإقتران بالفآء في جواب «إذا» إذا كانت إسميّة لعدم عراقة «إذا» في الشّرطيّة.

٣٨ ـ (والّذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصّلاة وأمرهم شورى بينهم وممّا رزقناهم ينفقون)

الواو عاطفة، و«الّذين» عطف على «الّذين يجتنبون» فالكلام فيه هو الكلام

فيه، و«استجابوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب، صلة الموصول لا محلّ لها، و«لربّهم» متعلّق بـ«استجابوا» و«أقاموا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، عطف على «استجابوا» لا محلّ لها، و«الصّلاة» مفعول به، و«أمرهم» مبتداء و«شورى» خبره والجملة الإسميّة معطوفة على جملة «استجابوا» الفعْليّة، وتحتمل الحاليّة. و«بينهم» ظرف منصوب، متعلّق بـ«شورى» إسم مصدر كبشرى و«ممّا» متعلّق بـ«ينفقون» و«ما» موصولة، و«رزقنا» صلة الموصول، و«هم» مفعول به، على حذف العآئد، وجملة «ممّا رزقناهم ينفقون» معطوفة على جملة «استجابوا»

٣٩ ـ (والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)

الواو عاطفة، و«الّذين» كالّذين السّابق، و«إذا» مثل «إذا» السّابقة، و«أصاب» فعل ماض من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«البغي» فاعل «أصاب» والجملة في موضع جرّ، لإضافة «إذا» إليها، و«هم ينتصرون» نحو «هم يغفرون» وفي «هم» وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع بمضمر دلّ عليه «ينتصرون» **ثانيها** ـ في موضع رفع، مبتداء، على حذف الفآء أي فهم ينتصرون **ثالثها** ـ في موضع نصب، نعت للضمير المنصوب في «أصابهم» وليس هذا بالقويّ في المعنى.

ألا ترى أنّ البغي إذا أصابهم هم أو أصاب أصحابهم وجب عليهم الإنتصار لهم كما يجب إنتصارهم لأنفسهم. **رابعها** ـ في الآية الكريمة تقديم وتأخير. والأصل: والّذين هم ينتصرون إذا أصابهم البغي فـ«هم» في موضع رفع، مبتداء، و«ينتصرون» في موضع رفع، خبره، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

٤٠ ـ (وجزآؤا سيّئة سيّئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنّه لا يحبّ الظّالمين)

الواو إستئنافية، و«جزآؤا سيّئة» مبتداء و«سيّئة» خبره، والجملة مستأنفة لا

محلّ لها، و«مثلها» مرفوع، نعت لـ «سيّئة» والفآء عاطفة، و«مَن» إسم شرط جازم، في موضع رفع، مبتداء و«عفا» فعل ماضٍ في موضع جزم، فعل الشّرط، وفي موضع رفع، خبر لـ «من» وجملة «من عفا» معطوفة على جملة «جزآؤا سيّئة...» لا محلّ لها، والواو عاطفة و«أصلح» عطف على «عفا» والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«أجره» مبتداء و«على الله» متعلّق بمحذوف، هو خبر المبتداء، والجملة: «أجره على الله» في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآء، و«إنّ» حرف توكيد والضّمير في موضع نصب، إسمها، و«لا» نافية، و«يحبّ» فعل مضارع من باب الإفعال، في موضع رفع، خبر «إنّ» و«الظّالمين» جمع الظّالم مفعول به لـ «لا يحبّ» والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

٤١ ـ (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)

الواو عاطفة، واللام المفتوحه للإبتدآء، و«مَن» إسم شرط جازم، مبتداء، و«انتصر» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، في موضع جزم، فعل الشّرط، وفي موضع رفع، خبر «مَن» وجملة «من انتصر...» معطوفة على جملة «من عفا» و«بعد» ظرف منصوب، متعلّق بـ «انتصر» اضيف إلى «ظلمه» وإضافة «ظلم» إلى الضّمير من إضافة المصدر إلى مفعوله، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«اولئك» مبتداء و«ما» نافية مهملة، و«عليهم» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«سبيل» مجرور لفظاً، ومرفوع محلاً بزيادة «من» مبتداء مؤخّر، وجملة «ما عليهم...» في موضع رفع، خبر لـ «اولئك» وجملة «اولئك ...» في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء. وإرجاع ضمير الإفراد: «ظلمه» إلى الموصول: «من» أوّلاً بإعتبار لفظه، وضمير الجمع: «عليهم» ثانياً بإعتبار معناه.

٤٢ ـ (إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم).

«إنّما» كافّة ومكفوفة، و«السّبيل» مبتداء و«على الّذين» متعلّق بمحذوف، هو خبر «السّبيل» وجملة «السّبيل على الّذين...» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«يظلمون» صلة الموصول لا محلّ لها، و«النّاس» مفعول به، والواو عاطفة، و«يبغون» عطف على «يظلمون» لا محلّ لها، و«في الأرض» متعلّق بـ «يبغون» و«بغير» أضيف إلى «الحقّ» متعلّق بمحذوف، هو حال من فاعل «يبغون» و«اولئك» مبتداء و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«عذاب» مبتداء مؤخّر، و«أليم» نعت لـ «عذاب» وجملة «لهم عذاب...» في موضع رفع، خبر لـ «اولئك» وجملة «اولئك لهم...» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٤٣ - (ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الامور)

في الواو وجهان: **أحدهما** - عاطفة، و«من» شرطيّة، و«صبر» في موضع جزم، وجملة «لمن صبر» مثل «لمن انتصر» معطوفة على جملة «لمن انتصر» و«غفر» عطف على «صبر» و«إنّ» حرف توكيد، و«ذلك» في موضع نصب، إسم «إنّ» واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«من عزم» متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» واضيف «عزم» إلى «الأمور» جمع الأمر. والجملة المؤكّدة تعليل لجواب الشّرط المقدّر لا محلّ لها. والتّقدير: من صبر كان ذاعزم لأنّ ذلك لمن عزم الأمور. ومن المحتمل أن تكون الجملة المؤكّدة جواب الشّرط بحذف الفآء.

ثانيها - الواو للقسم، واللاّم في «لمن صبر» واقعة في جواب القسم، و«من» إسم موصول، في موضع رفع بالإبتداء و«صبر» صلة الموصول لا محلّ لها الجملة المؤكّدة: «إنّ ذلك ...» جواب القسم. وقيل: إنّ الجملة الإسميّة لم تقترن بالفآء لأنّ أداة القسم تقدّمت فالجواب لها. وقيل: إنّ الجملة المؤكّدة في حكم المبتداء الثّاني والعآئد من الجملة إلى المبتداء الأوّل محذوف. تقديره: إنّ ذلك الصبر والغفران منه... فحذف العائد للعلم به. ولا بدّ من هذا التّقدير سوآء أقدرنا اللاّم للإبتدآء و«من» موصولة أو شرطيّة، أم قدرنا اللاّم موطئة، و«من» شرطيّة أمّا على الأوّل فلأنّ الجملة

خبر وأمّا على الثّاني فلأنّه لا بدّ في جواب إسم الشّرط المرتفع بالإبتدآء من أن يشتمل على ضميره سوآء أقلنا: إنّه الخبر أم إنّ الخبر فعل الشّرط وهو الصّحيح، وأمّا على الثّالث فلأنّها جواب القسم في اللفظ، وجواب الشّرط في المعنى.

٤٤ ـ (ومن يضلل الله فما له من وليّ من بعده وترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل)

الواو إستئنافيّة، و«من» إسم شرط جازم، في موضع نصب، مفعول به مقدّم، و«يضلل» فعل مضارع من باب الإفعال، مجزوم بالشّرط، وحرّك بالكسر لإلتقآء السّاكنين، و«الله» فاعل الفعل، وجملة «من يضلل الله» مستأنفة لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«ما» نافية مهملة، و«له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من وليّ» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً بزيادة «من» مبتداء مؤخّر، و«من بعده» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «وليّ» وجملة «ماله من وليّ...» في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء.

الواو إستئنافيّة، و«ترى» فعل مضارع، للمفرد المذكّر المخاطب، من رؤية العين تتعدّى إلى مفعول واحد، و«الظّالمين» مفعول به، وجملة «ترى...» مستأنفة لا محلّ لها، و«لمّا» ظرف بمعنى «حين» مجرّد من الشّرط، متعلّق بـ «ترى» و«رأوا» فعل ماض مبنيّ على الضّمّ المقدّر على الألف المحذوفة لإلتقآء السّاكنين، و«العذاب» مفعول به، وجملة «رأوا...» في موضع جرّ لإضافة «لمّا» إليها، و«يقولون» في موضع نصب، حال من «الظّالمين» و«هل» حرف إستفهام، و«إلى مردّ» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من سبيل» مجرور لفظاً بـ «من» زآئدة، ومرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، وجملة «هل إلى مردّ...» في موضع نصب، مقول القول.

٤٥ ـ (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ وقال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب

مقيم)

الواو عاطفة، و«ترى» كالسّابق، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «تراهم...» معطوفة على جملة «ترى الظّالمين» لا محلّ لها، و«يعرضون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، في موضع نصب، حال من ضمير الجمع: «تراهم» و«عليها» متعلّق بـ«يعرضون» وضمير «عليها» راجع إلى النّار لدلالة مقام عليها، و«خاشعين» حال من نائب الفاعل في «يعرضون» و«من الذّلّ» متعلّق بـ«خاشعين» وقيل: متعلّق بـ«ينظرون» فعل مضارع، في موضع نصب، حال من الضّمير في «خاشعين» و«من طرف» متعلّق بـ«ينظرون» وفي «من» وجهان: **أحدهما** ـ بمعنى الباء. **ثانيها** ـ للإبتدآء. و«خفيّ» نعت لـ«طرف».

الواو إستئنافيّة، و«قال» فعل ماضٍ، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل «قال» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«آمنوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«إنّ» حرف توكيد، و«الخاسرين» إسمها، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملةِ المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول، و«خسروا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«أنفسهم» مفعول به، و«أهليهم» معطوف على «أنفسهم» و«يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«خسروا» أو بـ«قال» أضيف إلى «القيامة» و«ألا» حرف تنبيه، و«إنّ» حرف توكيد، و«الظّالمين» إسمها، و«في عذاب» متعلّق بمحذوف، هو خبر «إنّ» و«مقيم» إسم فاعل، نعت لـ«عذاب» وفي الجملة المؤكّدة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ في موضع نصب، مقول القول لقول مقدّر هو قول الله تعالى أو قول المؤمنين أو الملائكة.

٤٦ ـ (وماكان لهم من أوليآء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل)

الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«كان» فعل ناقص، و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر «كان» و«أوليآء» مجرور لفظاً بـ«من» الزآئدة، مرفوع محلاً إسم «كان» ومنع من التّنوين لأنّه ملحق بالمؤنّث المنتهى بألف التأنيث الممدودة على وزن أفعلاء

وجملة «ما كان...» معطوفة على جملة «إنّ الظّالمين...» لا محلّ لها، وجملة «ينصرونهم» في موضع جرّ ـ أو رفع على المحلّ ـ نعت لـ «أوليآء» و«من دون الله» متعلّق بحال من فاعل «ينصرون» والواو إستئنافيّة، و«من يضلل الله فما له من سبيل» نحو «من يضلل الله فما له من وليّ» الآية:٤٤) سبقت آنفاً.

٤٧ ـ (إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامرّدله من الله مالكم من ملجاء يومئذ ومالكم من نكير)

«استجيبوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإستفعال، و«لربّكم» متعلّق بـ «استجيبوا» والجملة في موضع نصب، مقول القول لقول مقدّر، هو مستأنف، و«من قبل» متعلّق بـ «استجيبوا» و«أن» حرف مصدريّ ينصب المضارع، و«يأتي» منصوب بـ «أن» و«يوم» فاعل «يأتي» والجملة: «يأتي...» صلة الموصول الحرفي: «أن» لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن يأتي» في موضع جرّ، لإضافة «قبل» إليه، و«لا» نافية للجنس، و«مردّ» مصدر ميميّ، إسم «لا» و«له» متعلّق بمحذوف، هو خبر «لا» وفي «من الله» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بـ «مردّ» وجملة «لا مردّله...» في موضع جرّ، نعت لـ «يوم» **ثانيها** ـ متعلّق بمحذوف، وهو حال من «مردّ» والمعنى: يوم لا ردّ له من قبل الله.

وقيل: «إنّ في «لا مردّ له من الله» وجوهاً: **أحدها** ـ إنّ أحد الجارين والمجرورين: «له من الله» نعت لـ «مردّ» والآخر خبر «لا» **ثانيها** ـ أن أحدهما معمول للآخر. **ثالثها** ـ أن تكونا صفتين لـ «مردّ» والخبر مقدّر. **رابعها** ـ أن تكونا كلاهما خبرين لـ «لا» ولا يجوز أن تجعل أحدهما متعلّقاً بالمصدر إذ لوكان كذلك لكان النّفي منوّناً وليس بمنوّن.

«مالكم من ملجا» مثل «ماله من وليّ»: ٤٤) وفي الجملة وجهان: **أحدهما** ـ مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها. **ثانيها** ـ نعت ثان لـ «يوم» بتقدير الرّابط أي مالكم من ملجاء فيه. و«يومئذ» ظرف زمان، مضاف إلى الظّرف: «إذ» متعلّق بـ «ملجاء»

لأنّه المصدر والواو عاطفة، وفي «مالكم من نكير» مثل «ماله من وليّ» وفي جملة «مالكم من نكير» المعطوفة على «مالكم من ملجاء» وجهان أيضاً.

٤٨ ـ (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلّا البلاغ وانّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها وان تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور)

الفآء عاطفة، و«إن» حرف شرط جازم، و«أعرضوا» فعل ماضٍ في موضع جزم، فعل الشّرط، والجملة معطوفة على جملة القول المستأنفة المقدرة لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«ما» نافية، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، والكاف في موضع نصب، مفعول به، و«عليهم» متعلّق بـ«حفيظاً» هو حال من ضمير الخطاب: «ك» وفي جملة «ماأرسلناك ...» وجهان: **أحدهما** ـ تعليل للجواب المقدّر أي: إن أعرضوا فلا تحزن فما أرسلناك ... **ثانيها** ـ جواب الشّرط مقترنة بالفآء و«إن» حرف نفي، و«عليك» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«إلّا» أداة حصر، و«البلاغ» مبتداء مؤخّر، والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، والواو إستئنافيّة، و«إنّ» حرف توكيد، و«نا» في موضع نصب، إسمها، و«إذا» ظرف، في موضع نصب، و«أذقنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، وجملة «أذقنا» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، فعل الشّرط، و«الإنسان» مفعول به.

في «منّا» وجهان: **أحدهما** ـ متعلّق بحال من «رحمة» **ثانيها** ـ متعلّق بـ«أذقنا» و«من» لإبتداء الغاية، و«رحمة» مفعول به ثان، و«فرح» جواب الشّرط لا محلّ لها، و«بها» متعلّق بـ«فرح» وجملة «الشّرط وفعله وجوابه...» في موضع رفع، خبر «إنّ» والواو عاطفة، و«إن» حرف شرط، و«تصب» فعل مضارع، مجزوم بحرف الشّرط، وضمير الجمع: «هم» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى الإنسان بإعتبار الجنس، و«سيّئة» فاعل الفعل، والجملة معطوفة على «إنّا إذا أذقنا...» لا محلّ لها.

في «ما» وجهان: **أحدهما** ـ حرف مصدري والمصدر المؤوّل: «ماقدّمت...» في موضع جرّ بالباء السّببيّة، متعلّق بـ «تصبهم» **ثانيها** ـ إسم موصول، في موضع جرّ، والعائد محذوف، و«أيدي» جمع يد، أضيفت إلى «هم» والفآء رابطة، والجملة المؤكّدة تعليل للجواب المقدّر أي: وإن تصبهم سيّئة كفروا بالنّعمة وذكروا البليّة لأنّ الإنسان كفور بنعم ربّه.

٤٩ ـ (لله ملك السّموات والأرض يخلق مايشآء يهب لمن يشآء إناثاً ويهب لمن يشآء الذّكور)

«لله» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«ملك» مبتداء مؤخّر، اضيف إلى «السّموات» و«الأرض» عطف على «السّموات» والجملة: «لله ملك ...» مستأنفة لا محلّ لها، و«يخلق» فعل مضارع، مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، وجملة «يهب» بدل من جملة «يخلق» لا محلّ لها، و«لمن» في الموضعين متعلّق بـ «يهب» و«يشآء» الثّانية والثّالثة صلتا «منان» لا محلّ لهما، وجملة «يهب» الثّانية معطوفة على جملة «يهب» الاولى، و«اناثـاً» جمع انثى مفعول به لـ «يشآء» الثّانية، و«الذّكور» جمع الذّكر مفعول به لـ «يشآء» الثّالثة.

٥٠ ـ (أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشآء عقيماً إنّه عليم قدير)

«أو» حرف عطف، و«يزوّج» فعل مضارع للمفرد المذكّر الغآئب من باب التّفعيل، والجملة معطوفة على جملة «يهب» لا محلّ لها، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«ذكراناً» جمع الذّكر مفعول به ثانٍ بتضمين الفعل معنى «يجعلهم» ويجوز أن يكون «ذكراناً واناثاً» حالاً على التّصنيف من ضمير الغآئب في «يزوّجهم» والمعنى: يقرن بين الصنفين. والواو عاطفة، وجملة «يجعل» معطوفة على جملة «يزوّجهم» لا محلّ لها، و«من» موصولة، في موضع نصب، مفعول به أوّل،

و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، و«عقيماً» مفعول به ثان. والجملة المؤكّدة: «إنّه عليم قدير» تعليليّة أو مستانفة بيانيّة لا محلّ لها.

٥١ ـ (وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من ورآء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشآء إنّه عليّ حكيم)

الواو إستئنافيّة، و«ما» نافية، و«كان» فعل ناقص، و«لبشر» متعلّق بمحذوف، هو خبر «كان» وجملة «ماكان ...» مستأنفة لا محلّ لها، و«أن» حرف مصدريّ ناصبة، و«يكلّم» فعل مضارع من باب التّفعيل، منصوب بـ«أن» والضّمير في موضع نصب، مفعول به، و«الله» فاعل الفعل، وجملة «يكلّمه الله» صلة الموصول الحرفي: «أن» لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن يكلّمه...» في موضع رفع، إسم «كان» وفي «إلّا» وجهان: **أحدهما** ـ للحصر فالإستثناء متّصل لأنّ الوحي وما من ورآء حجاب، وما يرسل برسول كلّها من مصاديق تكليم الله تعالى. ثانيها ـ للإستثنآء المنقطع لأنّ الوحي ليس بتكليم. وفي «وحياً» وجهان: **أحدهما** ـ مفعول مطلق نوعيّ لفعل محذوف، نآئب عن المصدر لأنّه إسم مصدر أي إلّا أن يوحي إليه وحياً. والمصدر المؤوّل: «أن يوحي...» في موضع نصب، على الإستثنآء المنقطع ـ إن كان الوحي غير التكليم ـ أو المتّصل إن كان الوحي نوعاً من التّكليم أو التّكليم نوعاً من الوحي. **ثانيها** ـ مصدر حال من لفظ الجلالة: «الله» أو من ضمير الغآئب في «يكلّمه».

وفي «أو» وجهان: **أحدهما** ـ عاطفة، فيكون إرسال الرّسل أحد أقسام الكلام كأنّه قيل: «إلّا وحياً» أو «إرسالاً» **ثانيها** ـ بمعنى «إلّا أن» كقولك: «لألزمنّك أو تعطيني حقّي» فلا يكون الإرسال على هذا كلاماً، ولا يجوز عطف «يرسل» على «أن يكلّمه الله» لفساد المعنى لأنّ المعنى على هذا: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله أو أن يرسل رسولاً» فالمراد من «أو يرسل رسولاً» إمّا «أو يرسله رسولاً» وإمّا «أو يرسل إليه رسولاً» والتقديران فاسدان لأنّا نعلم أنّ كثيراً من البشر قد ارسل رسولاً،

وكثيراً منهم أرسل إليه رسولاً، فالصّحيح أن يكون المعنى: «ماكان لبشر أن يكلّمه الله إلّا أن يوحي إليه وحياً أو يرسل إليه رسولاً فيوحي...». (من ورآء) متعلّق بمحذوف،معطوف على العامل في «وحياً» أي أو إلّا ان يكلّمه من ورآء حجاب... أو إسماعاً من وراء حجاب... و«يرسل» فعل مضارع من باب الإفعال، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد «أو» والإضمار هنا جآئز لأنّه مسبوق بمصدر صريح: «وحياً» وجملة «يرسل» صلةالموصول الحرفي: «أن» المضمرة لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «أن يرسل...» في موضع نصب، معطوف على المصدر الصّريح: «وحياً» لأنّه بمعنى: إلّا أن يوحي. ولا يجوز العطف على «أن يكلّمه» لأنّه يلزم منه نفي الرّسل أو نفي المرسل إليهم، وذلك لا يجوز لأنّه أرسل إليهم رسولاً.

الفاء عاطفة، و«يوحي» فعل مضارع من باب الإفعال، معطوف على «يرسل» و«باذنه» متعلّق بحال من فاعل «يوحي» وهو الرّسول الملك إلى المرسل إليه البشر، والضّمير الغآئب في «بإذنه» راجع إلى «الله» وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، على حذف العائد. **ثانيها** ـ نكرة موصوفة في موضع نصب و«يشآء» في موضع نصب نعت لـ «ما». والجملة المؤكّدة تعليليّة لا محلّ لها.

٥٢ ـ (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا وإنّك لتهدي إلي صراط مستقيم)

الواو عاطفة، و« كذلك » متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «أوحينا» أي مثل ايحائنا إلى غيرك من الرّسل أوحينا إليك. و«إليك» متعلّق بـ «أوحينا» وجملة «أوحينا...» معطوفة على جملة «ماكان لبشر...» لا محلّ لها، و«روحاً» مفعول به، و«من أمرنا» متعلّق بمحذوف، هو نعت لـ «روحاً» و«ما» نافية، و«كنت» فعل ناقص، والتآء المفتوحة إسمه، و«تدرى» في موضع نصب، حال من الضّمير في «إليك » و«ما» إسم إستفهام، مبتداء و«الكتاب» خبره، وجملة «ما الكتاب...»

في موضع نصب، سدّت مسدّ مفعولي «تدري» المعلّق عن العمل بالإستفهام: «ما».

الواو عاطفة، و«لا» زآئدة لتأكيد النّفي، و«الإيمان» معطوف على «الكتاب» والواو عاطفة و«لكن» حرف إستدراك لا عمل له، و«جعلنا» الفعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً، والضّمير الغائب: «ه» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«نوراً» مفعول به ثانٍ، وجملة «جعلناه...» في موضع نصب، معطوفة على جملة «ما كنت تدري...» و«نهدى» فعل مضارع للتكلّم مع الغير، والجملة في موضع نصب، نعت لـ «نوراً» و«به» متعلّق بـ «نهدي».

«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«نشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، و«من عبادنا» متعلّق بحال من العآئد المقدّر أي نشآء هدايته من عبادنا. والواو إستئنافيّة، و«إنّ» حرف توكيد، والكاف في موضع نصب، إسم «إنّ» واللاّم المزحلقة للتوكيد، و«تهدي» في موضع رفع، خبر «إنّ» وجملة «إنّك لتهدي» مستأنفة لا محلّ لها، و«إلى صراط» متعلّق بـ «تهدي» وجملة «لتهدي» في موضع رفع، خبر «إنّ» و«مستقيم» نعت لـ «صراط».

٥٣ ـ (صراط الله الّذي له مافي السّموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الإمور)

في «صراط الله» وجهان: **أحدهما** ـ بدل من «صراط مستقيم» بدل معرفة من نكرة.

ثانيها ـ بيان لـ «صراط مستقيم» و«الّذي» موصولة في موضع جرّ، نعت للفظ الجلالة: «الله» و«له» متعلّق بمحذوف، هو خبر مقدّم، و«ما» موصولة في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، و«في السّموات» متعلّق بمحذوف، هو صلة «ما» وجملة «له مافي السّموات» صلة الموصول: «الّذي» لا محلّ لها، و«ما في الأرض» معطوف على «ما في السّموات» و«ألا» حرف تنبيه، و«إلى الله» متعلّق بـ «تصير» فعل مضارع للمفرد المؤنّث الغائب، و«الأمور» جمع الأمر فاعل الفعل، وتأنيثه بإعتبار جماعة

فاعله، وجملة «تصير الأمور» مستأنفة لا محلّ لها.

﴿البيان﴾

١ - (حم)

رمز وسِرّ وإشارة بين الله جلّ وعلا ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يعرفها إلّا الرّسول وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

إن تسئل: إن كانت كلمة «حم» كسآئر مفاتيح السّور القرآنيّة رمزاً بين الله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فما داعية تكرارها إذا كان السّرّ الّذي تحمله هو هوَ في أي منها؟

نجيب عنه: إنّ هذا التّكرار في صورة الكلمات المقطّعة لا يعني أن تكون محامل الأسرار فيها متماثلة من كلّ وجه، وكون تلك الكلمات - حواميم - المرَآت - الرَآت - الميمآت - وطسميمآت... - رموزاً لا يستلزم أن تتّحد في المفاهيم والمضامين... فإنّ الكلمة الواحدة مثلاً تختلف دلالتها على المعاني المختلفة بإختلاف الحال المتلبّسة بها، والحركة باليد أو العين مثلاً - قد تقع على صورة واحدة - ولكن مفهومها يختلف بالقرآئن المحفوفة حسب تأويل المتلقّى بها، كما أنّ الأحلام - مثلاً - تتفق في صورتها، ويختلف تأويلها حسب الأشخاص والأحوال للشّخص الواحد.

فالإتّفاق في صور الكلمات المكرّرة لا يعني الإتّفاق في دلالتها، بل إنّ لكلّ صورة منها دلالة خاصّة، مع العلم بأنّ الله تعالى قد وصف هذه الكلمات بأنّها وحي كسآئر كلماته في كتابه المجيد، وأنّها ممّا كلّم الله به رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد ثبت بالضّرورة أن الكلام لا يكون كلاماً إلّا إذا كان ذا دلالة مفهومة بين

المتكلّم والمتلقي لهذا الكلام فكيف بكلام الله عزّوجلّ، ومايبلغه من موقع الفهم عند من يكرمه الله تعالى ويكلّمه بكلماته...؟

إن تسئل: إذا كان لكلّ صورة من صور هذه الكلمات المكرّرة رمزاً خاصّاً وسرّاً خاصّاً وتأويلاً خاصاً ودلالة خاصة... أمّا كان من الاولى - وفي اللغة متّسع لهذا - أن يكون لكلّ دلالة صورة من اللفظ خاصّة بها؟

تجيب عنه: إنّ هذا الإشتراك في اللفظ والإختلاف في المعنى هو من مظاهر اللغة العربيّة الّتي نزل القرآن الكريم بلسانها بمعنى أنّ الكملة الواحدة قد تحمل دلالتين أو أكثر مثل كلمة العين الّتي تدلّ على العين المبصرة وعين المآء، وعلى الشّمس وسيّد القوم... وليس هذا الإشتراك عن قصور في مادّة اللغة، وإنّما هو من بلاغة هذه اللغة وذكآء أهلها... حيث يفرّقون في اللفظ المشترك بين المعنى الّذي تقتضيه داعية الحال، وبين المعنى الّذي لا مقتضي له في تلك الحال كما أنّهم إذ يأخذون بالمعنى المراد للفظ المشترك في الحال الدّاعية له، لا يقطعونه عن المعنى أو المعاني الأُخرى الّتي يحملها في كيانه...

فإذا جآء القرآن الكريم مستعملاً اللفظ المشترك في تلك الحروف المقطّعة، كان جارياً في هذا على أسلوب اللغة الّتي نزل بها، وأنّه كما جآء باللفظ المشترك في الوحي الموحىٰ به بوساطة الملك السّماوي، جآء كذلك في الوحي المُوحىٰ به من عند الله جلّ وعلا بغير واسطة.

۲ - (عٓسٓقٓ)

إنّ الحروف المتقطّعة الخمسة: «حم - عسق» رسمت في آيتين خلافاً لمثيلاتها، مثل «كهيعص» و«المرآ» و«المص» لتقدّم «حم» قبل «عسق» وإستقلالها بنفسها، في الدّلالة على رمز من الرّموز، وفي الإشار إلى سرّ من الأسرار بين الله جلّ وعلا وبين رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ولأنّ جميعها ذكر الكتاب بعدها صريحاً إلّا هذه فإنّها دلّت عليه دلالة التّضمّن بذكر

الوحي الّذي يرجع إلى الكتاب، فـ «حم ـ عسق» كغيرهما يهدفان إلى التّنبيه والإسترعاء مع كون كلّها رموزاً وأسراراً بين الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم صلوات الله.

٣ ـ (كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم)

تقرير لوحدة المنبع والمنهج والمبادئ بين الدّعوة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوة الأنبيآء السّابقين، وإن لم يكن ما أوحى إلى السّابقين مثل ما اوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث إنّ القرآن الكريم يفوق سآئر الوحي، فالمماثلة في أصل الوحي دون شاكلته ومراتبه ومادّته ومدارجه... فالآية الكريمة مستأنفة سيقت لتحقيق أنّ مضمون هذه السّورة وهذا القرآن الكريم موافق لما في تضاعيف سآئر الكتب السّماويّة المنزلة على الرّسل الماضين في الدّعوة إلى التّوحيد، والإرشاد إلى الحقّ والهدى، وإلى الخير والفلاح... أو أنّ ايحآئها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر إسمَعْها، والتّنبيه على فخامة شأنها.

ومعنى البُعد في الإشارة «كذلك» للإيذان بعلوّ رتبة المشار إليه، وبُعد منزلته في الفضل والكرامة... أي مثل ما في هذه السّورة أو في القرآن المجيد من المعاني اوحى إليك في سآئر السّور، وإلى مَن قبلك من الرّسل في كتبهم، على أنّ مناط المماثلة ما اشير إليه من الدّعوة إلى التّوحيد ورفض الشّرك ، وإلى الإرشاد إلى الحقّ والهدى، ومافيه صلاح العباد في المعاش والمعاد... أو مثل ايحائها أوحى إليك عند ايحآء سآئر السّور وإلى سآئر الرّسل عند ايحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغايراً له كما قال جلّ وعلا: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده» النسآء: ١٦٣) على أنّ مدار المثليّة كونه بواسطة الملك.

وإيثار صيغة المضارع: «يوحي إليك ...» على حكاية الحال الماضية للإيذان بإستمرار الوحي وأنّ إيحاء مثله عادته.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجلّ: «كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك»

بلفظ المضارع، وقد مضى الوحي إلى مَن كان قبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من المرسلين؟

تجيب عنه بأجوبة: أحدها ـ قصد بلفظ المضارع كون ذلك سنّة الله تعالى وعادته وهذا المعنى لا يوجد في لفظ الماضي، ففي إيثار الماضي دلالة على أنّ الوحي سنّة إلهيّة جارية غير مبتدعة. والمعنى: أنّ الوحي الّذي نوحيه إليكم معاشر الأنبيآء ـ نبيّاً بعد نبيّ سنّة جارية ـ هو كهذا الّذي تجده أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وتشاهده في تلقّي هذه السّورة.

ثانيها ـ أن يكون هذا باعتبار وضع المضارع موضع الماضي كما في قوله تعالى: «قل الله يحييكم» الجاثية: ٢٦)

ثالثها ـ أن يكون هنا إضمار أي وأوحى إلى الّذين من قبلك. رابعها ـ هذا من باب عطف الشّيء على لاحقه، فقدّم لمزيد الإنتفاع بما اوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولشدّة إفتقار البشريّة في جميع شئونه إليه، فهو من قبيل ذكر الشّيء إهتماماً بشأنه. وفي جعل مضمون السّورة أو إيحآئها مشبهاً به من تفخيمها مالا يخفى على أصحاب البلاغة والبيان فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وقوله تعالى: «الله العزيز الحكيم» توكيد لوجه الخطاب فيما قبله إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ الله العزيز الحكيم هو الّذي يوحي إليه كما كان يوحي إلى المرسلين من قبله، وإنّ وصفه تعالى بوصفي العزّة والحكمة وتأخير الفاعل: «الله» لمراعاة الفواصل، مع مافيه من التّشويق، ودلالة على أنّه تعالى بقدرته وحكمته بعث الأنبيآء عليهم السّلام بالحقّ إلى الخلق، وجعلهم حجّة له على عباده لئلاّ تكون لهم الحجّة عليه بترك الإعذار إليهم. فالوحي من مظاهر العزّة الإلهيّة حيث يهدي به الله تعالى من اتّبع رضوانه سبل السّلام، والعزّة الملكيّة بارزة في عزّة وحيه إلى أعزّة من خلقه، ليعزز حكمه عليهم كما أنّ الوحي من مظاهر الحكمة الإلهيّة، فبحكمته لم يوح إلى عامّة النّاس، حيث إنّ القلوب أوعية، وخيرها أوعاها، فلاوحي إلاّ إلى أوعاها ثمّ بحكمته أولى إلى كلّ قلب أوحى قدر وعيه. قال الله تعالى: «الله أعلم

حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤).

٤ ـ (له مافي السّموات وما في الأرض وهو العليّ العظيم)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير عزّته وحكمته، وصف من الله جلّ وعزّ نفسه ايذاناً بأنّ كونه مالكاً لكلّ شيء يوجب كونه عزيزاً حكيماً، وإشارة إلى ما لقدرة الله تعالى من سلطان قاهر يخضع له كلّ موجود في نظام الكون ونواميس الوجود، فالله تعالى هو الخالق المالك المدبّر لكلّ ما في السّموات وما في الأرض، وهو «العلىّ» الّذي يعلو بسلطانه على كلّ سلطان، «العظيم» الّذي تذلّ لعظمته كلّ عظيم.

قوله تعالى: «وهو العليّ العظيم» بيان لعظمة مالك كلّ شيء، خضوع كلّ شيء لديه. وذلك أنّ الأشيآء كلّها تستند في وجودها إلى الله جلّ وعلا، وتستند أيضاً في النّظام الجاري فيها عامّة، وفي النّظامات الجزئيّة الجارية في كلّ نوع من أنواعها، وكلّ فرد من أفرادها إليه عزّوجلّ، مع أنّ الكمالات الوجوديّة الّتي هي صفات الوجود كالعزّة والحكمة والملك وما إليها... صفات قائمة بالله تعالى على حسب ما يليق به بساحة علوّه وعظمته وكبريآئه لأنّها صفات وجوديّة، والوجود كلّه قآئم بالله عزّوجلّ، فهي إمّا عين ذاته كالعزّة والحكمة... وإمّا صفات خارجة عن ذاته منتزعة عن فعله كالخلق والرّزق والرّحمة... وأنّ قبول الشّريك في ذاته أو في صفاته أو في تدبيره وكلّ مايحمل معنى الفقد والنقص والعجز مسلوب عنه تعالى، وهذه هي الصّفات السّلبيّة كنفي الشّريك ونفي التعدّد ونفي الجسم والمكان والزّمان والجهل والعجز وما إليها...

فقوله عزّوجلّ: «وهو العليّ العظيم» يفيد ثبوت الصّفات له بكلتي مرحليتها بنآء على أنّ إسم «العليّ» يفيد معنى تنزيه عن مالا يليق بساحته، فهو مجمع الصّفات السّلبيّة وإسم «العظيم» يفيد سعته لكلّ كمال وجوديّ فهو مجمع الصّفات الثّبوتيّة والسّلبيّة جميعاً.

فصدر الآية الكريمة برهان على ذيلها، وذيلها برهان على استجماعه تعالى

الصّفات الثبوتيّة والسّلبيّة جميعاً، فهو الذّات المستجمع لجميع صفات الكمال، فهو الله عزّ إسمه، وأنّ «العليّ» من الصّفات السّلبيّة بإعتبار، و«العظيم» من الصّفات الثبوتيّة بإعتبار، قريب المعنى من قولنا: «المستجمع لصفات الكمال».

وبعبارة أخرى: انّ الصّفات الخمس، «العزيز الحكيم ـ وهو العليّ العظيم» وقوله تعالى: «له ما السّموات...» في معنى المالك، واقعة موقع التّعليل لوحدة الوحي في أصله، ووحدة مصدر الوحي، فالموحي هو العزيز الحكيم الملك العليّ العظيم، ووحدة الموحى إليهم على مدار الزّمن: «كذلك يوحي إليكوإلى الّذين من قبلك الله...» الوحي المثلث الوحدوي، قصّة بعيدة المدى، قريبة الهدى، ضاربة في أعماق الزّمن وأطوآئه، متشابكة الحلقات، غير متشاكسة، في مناهج ثابتة الاصول، مهما اختلفت الفروع، حسب إختلاف الأزمان...

فالّذي يعطيه الوحي شرع إلهيّ فيه هداية النّاس إلى سعادة حياتهم في الدّنيا والآخرة، وليس لمانع أن يمنعه تعالى عن ذلك لأنّه عزيز غير مغلوب فيما يريد، فبعزّته يوحي فلاصادّ يصدّه «والله غالب على أمره» يوسف: ٢١) ولا هو جلّ وعلا يهمل أمر هداية عباده لأنّه حكيم متقن في أفعاله، ومن إتقان الفعل أن يساق إلى غايته، وبحكمته يوحي إلى من يشآء من عباده، ولأنّ «له ما في السّموات وما في الأرض» إختصاص للمَلِكيّة والمالكيّة الحقّة الحقيقيّة الشّاملة للكون كلّه، فهو الموحي لتدبيره كلّه تشريعاً كما هنا وتكويناً كما: «وأوحى في كلّ سمآء أمرها» فصّلت: ١٢) وكلّ سمآء تشمل فيما تشمل كلّ أرض من السّبع، والأمر الموحى في الكلّ يعمّ التّدبير تكويناً وتشريعاً، فمن حقّه عزّوجلّ أن يتصرّف في عباده وفي امورهم تكويناً وتشريعاً كيف يشآء لأنّه مالكهم، وله أن يعبّدهم ويستعبدهم بالأمر والنّهي، لأنّه عليّ في عزّته وحكمته ومِلكيّته ومالكيّته، فلاينال مَن دونه إلّا مامنحهم، فهم لا يملكون وحياً إلّا ما اوحى إليهم «كذلك يوحي إليك...».

ولأنّه تعالى عظيم في عزته وحكمته، وفي مِلكيّته ومالكيّته وفي علوّه، فليَعْلُ وليعظم وحيه، وليعز وليحكم وحيه، وليملك ويسيطر وحيه على الموحى إليهم

والموحى لهم، فلكلّ من الصّفات الخمس حظّه من التّعليل، وينتج مجموعها أنّه وليّهم من كلّ جهة لاوليّ غيره.

فالله عزّوجلّ واحد، والرّسالة واحدة والأمة واحدة: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥) «يا أيّها الرّسل كلوا من الطّيّبات واعملوا صالحاً إنّي بما تعملون عليم وإنّ هذه امّتكم امّة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهم فرحون» المؤمنون: ٥١-٥٣)

٥ ـ (تكاد السّموات يتفطّرن من فوقهنّ والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم)

مستأنف سيق لبيان عظمة أمر الوحي السّماوي وعلوّه ورفعة شأنه فإنّه كلام العزيز الحكيم مالك الملك العليّ العظيم، فلكونه كلام ذي العزّة والحكمة، كلام ذي الملك والملكوت، وكلام من له العلوّ المطلق والعظمة المطلقة تكاد السّموات يتفطّرن بنزوله ولا يتأثّر به هؤلآء المشركون، أصحاب القلوب القاسية... ولكونه كلاماً نازلاً من عند مَن له هذه الأسمآء الحُسنٰى والصّفات العليا تكاد السّموات يتفطّرن من فوقهنّ لو تفطّرن بسبب الوحي النّازل من عند الله العزيز الحكيم المالك العليّ العظيم المارّ بهنّ سمآءً سمآءً حتّى ينزل على الأرض، فإنّ مبدء الوحي هو الله جلّ وعلا، والسّموات طرآئق إلى الأرض قال الله تعالى: «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وماكنّا عن الخلق غافلين» المؤمنون: ١٧)

فالوجه في تقييد «يتفطّرن» بقوله: «من فوقهنّ» ظاهر فإنّ الوحي ينزل عليهنّ من فوقهنّ من عند مَن له هذه الصّفات العليا، فلوتفطّرن لكان ذلك من فوقهنّ، فالإنفطار يبتدئ من أعلى السّموات أو مافوقها من العرش والكرسي إلى أن ينتهي إلي السّفلى، ولعلّ في تخصيص الإنفطار بالإبتداء من جهة الفوق دلالة على إنفطار أسفلهنّ بالأولويّة وزيادة تفظيع وتهويل.

ولا يبعد أن تكون الآية الكريمة في إعظام أمر كلام الله جلّ وعلا من حيث

نـزوله ومروره على السّماوات نظيرة قوله: «حتّى إذا فزّع عـن قـلوبهم قـالوا مـاذا قـال ربّكم قالـوا الحقّ وهو الـعليّ الكـبير» سبأ: ٢٣) في إعظـامه من حيـث تلقّـى ملائكة السّموات إيّاه، وكقوله تعالى: «ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خـاشعاً مـتصدعاً من خشية الله» الحشر : ٢١) في إعظامه على فرض نزوله على جبل، ومثل قوله عزّ وجلّ: «إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» المزمّل : ٥) في استثقاله واستصعاب حمله.

وقـولـه تعـالى: «والمـلائكـة يسبّحون بحـمـد ربّهـم...» تشـويـق لأهل الأرض وتحـريصهم وحثّهم على الإيمـان بـالوحي السّماوي النّازل بهم، الضّامن لهم سعادة الدّارين.

وقـولـه عزّوجـلّ: «ألا إنّ الله هـو الغـفـور الرّحيم» فيـه إيمآء إلى قـبول إسـتغفار الملائـكة لأهـل الأرض من المؤمـنين بالـوحي، وأنّ الله تعالى يزيـد على ماطـلبوه من المغفرة الرّحمة بهم.

٦ ـ (والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

إخبار من الله العـليّ العظيم عن إمهـاله المشركين بالله تعـالى، الكافرين بالوحي السّماوي، المتّـخـذين أوليآء من دونـه، الّـذين هم أصحـاب الـقلوب القـاسـية الّتي لم تتأثّر بالوحي الّذي تكاد السّموات يتفطّرن به من فوقهنّ، إخبار منه جلّ وعلا عنه بعد تقديم الإنذار، وفيه تهديدلهم بأنّ الله تعالى سيحاسبهم ويجازيهم بما عملوا، وتسلية لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحديد لمسئوليّته في رسالته، وتثبيت له صلّى الله عليه وآله وسلّم في دعوتـه وموقفـه: فما عليك إلّا البلاغ، وأمّـا قبولهم، فلست بمسئول عنه. وقد قال تعالى: «من دونـه» لأنّ من اتّخذ وليـاً بأمر الله تعالى لم يـتّخذه من دونه فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهـل بـيت الوحـي المـعصومون صلوات الله عـليهم أجـمعين أوليآء لـلمؤمـنين بـاذن الله تعـالى إذ قـال: «إنّما ولـيّكـم الله ورسـوله والّـذيـن آمنوا...» المائدة: ٥٥)

٧ ـ (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السّعير)

مستأنف بيانيّ سيق لتعريف الوحي من حيث الغاية المترتّبة عليه وهي إنذار النّاس، بعد الإشارة إلى وحدة الوحي، و وحدة مبدإ الوحي، و وحدة الموحى إليهم، وتنبيه لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ الله تعالى إنّما أوحى إليه بهذا القرآن بلسان عربيّ لينذر أهل مكّة وما حولها، ويدعوهم إليه وينذرهم بيوم القيامة تجمع فيه الخلائق كلّهم، الّذي لاريب في مجيئه، والّذي سوف يكون النّاس فيه فريقين: فريقاً في الجنّة يتنعّمون بنعيمها، وفريقاً في النّار يعذّبون بها، وهذه هي مهمّته، وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم غير وكيل على أحد، ولا مسئول عن أحد كما ذكرت الآية الّتي قبل هذه الآية، فالآيتان (٦ـ٧) بصدد بيان مهمّة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم الإنذاريّة والتّبشيريّة من جهة، وتسليته صلّى الله عليه وآله وسلّم عن موقف الجحود الّذي يقفه الكفّارالمشركون، والفجّار المستكبرون من جهة أُخرى.

وفي الآية الكريمة عود على بدء في صدد عروبة القرآن المجيد الّتي حكت في سورة فصّلت: ٣و٤٤) ما كان من مشركي مكّة من جدل فيها، فالله جلّ وعلا قد جعل القرآن عربياً حتّى يفهمه أهل مكّة ومن حولهم، فإعتراضهم على هذا لا محلّ له، فالله كما أوحى إلي الأنبيآء من قبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بلسان أقوامهم أوحى الله إليه بلسان قومه.

وقد توهم الآية الكريمة ـ لأوّل وهلة ـ إقتصار الدّعوة على أهل مكّة وما حولها، وعلى العرب الّذين أنزل القرآن بلسانهم، ولمّا كان شمول الدّعوة قد تقرّر في آيات كثيرة تقريراً حاسماً ممّا مرّت أمثلة عديدة منّا سابقاً، فالعبارة هنا تحمل على ما كان من ظرف خاص بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من جهة، وبين أهل مكّة وما حولها من العرب من جهة أُخرى، مع أنّهم خصّوا بالذّكر لأنّهم كانوا أوّل من انذروا بهذا القرآن العربى، ولأنّهم أقرب النّاس إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا دليل فيها على أنّه أُرسِلَ إليهم خاصّة، كيف وقد قال جلّ وعلا: «وما أرسلناك

إلاّ كافة للنّاس» سبأ: ٢٨)

وقوله عزّوجلّ: «لتنذر امّ القرى ومن حولها» إشارة إلى غاية الوحي وهي الإنذار الشّامل لجميع شئون الدّنيا والآخرة، و«أمّ القرى» كناية عن مكّة المكرّمة، وفي وصفها بأمّ القرى إشارة إلى أنّها ستكون قبلة المسلمين في صلاتهم، ومجتمعهم في حجّهم، ومركز قيام المهديّ الحجّة بن الحسن العسكري الإمام الثّاني عشر من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقوله جلّ وعلا: «وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه» في تخصيص الآخرة بعد التّعميم تنبيه على عظيم أحوالها وشديد نكالها، وأهميّتها في الإنذار، إذ لولا الإنذار بيوم الجمع الّذي فيه عرض وحساب وجزآء لم تنجح دعوة دينيّة، ولا ينفع تبليغ ولا إرشاد. و«لا ريب فيه» إعتراض مقرّر لما قبله.

وقوله تعالى: «فريق في الجنّة وفريق في السّعير» تقرير لمآل أحوال المنذَرين بعد الحشر والإجتماع والعرض والحساب، بتقسيم أهل الجمع على فريقين: فريق منهم في الجنّة بطاعتهم، وفريق منهم في النّار بمعصيتهم. فالجملة في مقام التّعليل ودفع الدّخل كأنّه قيل: لماذا ينذرهم يوم الجمع؟ فقيل: فريق في الجنّة وفريق في السّعير أي إنّهم تجاه الوحي يتفرّقون فريقين: المؤمنون السّعداء المتنعّمون بنعيم الجنّة، والكافرون الأشقياء المعذّبون بعذاب النّار، فلينذروا حتّى يتحرّزوا سبيل الإنحطاط والشّقآء والهبوط في مهبط الهلكة.

٨ - (ولو شآء الله لجعلهم أمّة واحدة ولكن يدخل من يشآء في رحمته والظّالمون مالهم من وليّ ولا نصير)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير إختيار الإنسان في الكفر والإيمان، وفي السّلوك في طريق الخير والشّرّ، والحقّ والباطل، وفي سبيل السّعادة والشّقاوة والهداية والضّلالة... وإخبار من الله عزّوجلّ عن قدرته بأنّه لو شآء أن يلجئهم إلى الإيمان وصالح الأعمال لكان قادراً على ذلك وفعله، ولكن كان ذلك يبطل الغرض

بالتّكليف وهو أن يفعلوا العبادة على وجه يستحقّون بها الثّواب، ومع الإلجآء لايمكن ذلك فلذلك لم يشأ ذلك، فالآية الكريمة تفيد قدرته على الإلجاء وتأتّي ذلك، ولكن الحكمة الإلهيّة اقتضت أن يكون الإنسان مختاراً وذا إرادة في الهداية والضّلالة، فمن اهتدى بهداه يدخله في رحمته، ومن ضلّ عن سبيله بسوء إختياره فقد ظلم نفسه فلايكون له وليّ ولا نصير.

وفي الآية الكريمة تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ماكان يناله من الحزن باعراض المشركين عن الوحي السّماوي النّازل لصلاح الإنسان وسعادته، وعدم إستجابتهم دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الحقّ والهدى... بأنّ الله تعالى خلقهم ذا إرادة وإختيار في الكفر والإيمان غير ملجئين.

وقوله تعالى: «ولكن يدخل من يشآء في رحمته...» إستدراك يبيّن فيه أنّ سنّته جلّ وعلا جرت في خلق الإنسان على الجمع والتّفريق إذ خلقهم مستعدّين عليهما، ولم يشاء جعلهم أمّة واحدة يدلّ على ذلك قوله: «يدخل من يشآء» الدّالّ على الإستمرار، ولم يقل: ولكن أدخل ونحوه.

وقوله عزّوجلّ: «والظّالمون مالهم من وليّ ولا نصير» فيه ايذان بأنّ الإدخال في العذاب لسوء إختيارهم لا من جهة الله تعالى من دون استحقاقهم كما أنّ إدخالهم في رحمته فمن رحمته بحسن إختيارهم.

۹ـ (أم اتّخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ وهو يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير)

مستانف سيق لتقرير ماقبلها من انتفاء وليّ ولا نصير للظّالمين، و«أم» للإنقطاع ومعناها «بل» للإنتقال من بيان ماقبلها إلى بيان مابعدها، والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لإنكار الواقع واستقباحه، فإنّ المراد بيان أنّ مافعلوا ليس من اتّخاذ الأوليآء في شيء لأنّ ذلك فرع كون الأصنام أوليآء وهو أظهر الممتنعات، أي بل اتّخذوا متجاوزين الله أوليآء من الأصنام وغيرها. و«أوليآء» نكرة في سياق النّفي تفيد العموم، وحينئذ فيكون قوله: «أم

اتّخذوا من دونه أوليآء» إنكاراً لكلّ وليّ غير الله تعالى، فليس المتّخذون أوليآء إذ لا يقدرون على شيء، ففيه ردّ تقريريّ بأنّ الله تعالى هو وحده الجدير بالولآء لأنّه هو الّذي يحيي الموتى، وأنّه هو القدير على كلّ شيء.

فمن أراد وليّاً بلا فساد ولا خلل وصفاً وذاتاً وحالاً ومآلاً فليتّخذ الله تعالى وحده وليّاً لأنّه هو الوليّ المتفرّد بالقدرة العامّة والمشيئة التّامّة والعزّة الباهرة، وذلك أنّ وجوب ولايته ثابت مطلقاً سوآء أرادوا إتّخاذه وليّاً أمّ لم يريدوه، فارادة الوليّ لا تكون سبباً في كون الله تعالى هو الولي، فلامعنى لتعليقه على ذلك الشّرط.

ثمّ إنّ تعريف المسند: «الوليّ» وضمير الفصل: «هو» لقصر الإفراد، وليس لقصر القلب على ماتوهّم بعض. فالله جلّ وعلا هو الّذي يجب أن يتولّى وحده ويعتقد أنّه الحقيق بالولاية دون غيره لأنّ الآية الكريمة نزلت في حقّ المشركين القائلين بشركة الغير مع الله في كونه وليّاً معبوداً بالحق.

قوله عزّوجلّ: «فالله هو الوليّ» الفآء جواب شرط مقدّر كأنّه قال بعد إنكار كلّ وليّ سوى الله تعالى، وإبطال ولاية ما اتّخذوه أوليآء: إن أرادوا وليّاً بحقّ، فالله هو الوليّ الحقّ لاوليّ سواه، ومن شأن هذا الوليّ أنّه يحيي الموتى، وأنّه على كلّ شيءٍ قدير، فهو الحريّ بأن يتّخذ وليّاً دون من لا يقدر على شيءٍ.

وقال بعض المعاصرين: «فالله هو الوليّ» تعليل للإنكار السّابق لإ تّخاذهم من دونه أوليآء، فيكون حجّة لوجوب إتّخاذه وليّاً، والجملة ـ فالله هو الوليّ ـ تفيد حصر الولاية في الله، وقد تبيّنت الحجّة على أصل ولايته وانحصارها فيه من قوله في الآيات السّابقة: «العزيز الحكيم له مافي السّموات وما في الأرض وهو العليّ العظيم».

والمعنى: أنّه تعالى وليّ ينحصر فيه الولاية فمن الواجب على من يتّخذ وليّاً أن يتّخذه وليّاً ولا يتعدّاه إلى غيره إذ لا وليّ غيره.

وقوله: «وهو يحيي الموتى» حجّة ثانية على وجوب إتّخاذه تعالى وحده وليّاً، ومحصّله أنّ عمدة الغرض في اتّخاذ الولي والتديّن له بعبوديّته التّخلّص من عذاب السّعير والفوز بالجنّة يوم القيامة، والمثيب والمعاقب يوم القيامة هو الله الّذي يحيي

الموتى، فيجمعهم فيجازيهم بأعمالهم، فهو الّذي يجب أن يتّخذ وليّاً دون أوليآئهم الّذين هم أموات غير أحياء ولا يشعرون أيّان يبعثون.

وقوله: «وهو على كلّ شي ء قدير» حجّة ثالثة على وجوب اتّخاذه تعالى وليّاً دون غيره، ومحصّله أنّ من الواجب في باب الولاية أن يكون للوليّ قدرة على ما يتولاّه من شئون من يتولاّه وأموره، والله سبحانه على كلّ شي ء قدير، ولا قدرة لغيره إلاّ مقدار ما أقدره الله عليه وهو المالك لما ملكه، والقادر على ما عليه أقدره فهو الوليّ لا وليّ غيره تعالى وتقدّس.

١٠ ـ (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه أنيب)

حكاية لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبيان صادر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم موجّه إلى النّاس في كلّ ظرف، فيكون التّوجيه مطلقاً، فإلى الله تعالى مرجع كلّ شيْءٍ، وهو الحكم العدل بين عباده فيما اختلفوا فيه، أو موجّه إلى مشركي مكّة، فيكون التّوجيه خاصّاً لفريق في موقف من المواقف بقصد إشهاد الله جلّ وعلا وتحكيمه فيما بينه وبينهم من خلاف، وينطوي في البيان معنى الوثوق واليقين بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو على حقّ في الخلاف القآئم بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين هؤلآء المشركين، أو إلى المؤمنين أي وما خالفكم الكفّار فيه من أمور الدّين، فاختلفتم أنتم وهم فحكمه راجع إلى الله جلّ وعلا، وهو إثابة المحقّين وعقاب المبطلين.

قوله تعالى: «فحكمه إلى الله» على تقدير القول وذلك أنّه لمّا كان البيان موجهاً مباشراً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المخاطبين وفي مثل هذه الحالة يفرض محذوف بعد كلمة «من شي ء» وهو «قل» فيتّسق حينئذ الفصل القرآني، وهذا ممّا جرى عليه الأسلوب القرآنيّ.

وقوله عزّوجلّ: «ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه أنيب» فيه تعريض

للمشركين بأنّ ما هم عليه من إتّخاذ غير الله وليّاً لايجديهم نفعاً، ولا يدفع عنهم ضرّاً، فيجب عليهم أن يقلعوا عنه، إذ من شأن العاقل أن لايفعل إلّا مايفيده في دينه ودنياه، فالمعنى: ذلكم الحاكم العظيم الشّأن ـ أيّها المشركون ـ هو الله جلّ وعلا ربّي، مالكي وبيده تربيتي تكويناً وتشريعاً، عليه توكّلت في مجامع اموري خاصّة لا على غيره، وإليه أرجع في كلّ مايغن لي من معضلات الامور لا إلى أحد سواه، وحيث كان التّوكّل أمراً واحداً مستمرّاً، والإنابة متعدّدة متجدّدة حسب تجدّد موادها أوثر في الأوّل صيغة الماضي، وفي الثّاني صيغة المضارع.

وقال بعض المعاصرين: وقوله: «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله» حجّة رابعة على كونه تعالى وليّاً لا وليّ غيره.

وقوله تعالى: «ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه أُنيب» كلام محكيّ للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والإشارة بـ«ذلكم» إلى من اُقيمَت الحجج في الآيتين على وجوب إتّخاذه وليّاً وهو الله سبحانه ولازم ولايته ربوبيّته. لمّا اُقيمت الحجج على أنّه تعالى هو الوليّ لا وليّ غيره اُمِرَ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلام أنّه الله، وأنّه اتّخذه وليّاً بالإعتراف له بالرّبوبيّة الّتي هي ملك التّدبير ثمّ عقّب ذلك بالتّصريح بما للإتّخاذ المذكور من الآثار وهو قوله: «عليه توكّلت وإليه اُنيب».

وذلك أنّ ولاية الرّبوبيّة تتعلّق بنظام التّكوين بتدبير الامور وتنظيم الأسباب والمسبّبات بحيث يتعيّن بها للمخلوق المدبّر كالإنسان مثلاً ماقدّر له من الوجود والبقآء، وتتعلّق بنظام التّشريع وهو تدبير أعمال الإنسان بجعل قوانين وأحكام يراعيها الإنسان بتطبيق أعماله عليها في مسير حياته لتنتهي به إلى كمال سعادته، ولازم اتّخاذه تعالى ربّاً وليّاً من جهة التّكوين إرجاع أمر التّدبير إليه بالإنقطاع عن الأسباب الظّاهرية، والرّكون إليه من حيث إنّه سبب غير مغلوب ينتهي إليه كلّ سبب، وهذا هو التّوكّل، ومن جهة التّشريع الرّجوع إلى حكمه في كلّ واقعة يستقبله الإنسان في مسير حياته، وهذا هو الإنابة، فقوله: «عليه توكّلت وإليه اُنيب» أي أرجع في جميع اموري، تصريح بإرجاع الأمر إليه تكويناً و تشريعاً.

١١ ـ (فاطر السّموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير)

متسأنف بيانيّ سيق لوصف ذاته تعالى بأوصاف الكمال ونعوت الجلال، تأكيداً لصحّة أحكامه واستحقاقه الولآء والإعتماد والإنابة والرّبوبيّة الشّاملة جرياً على الاسلوب القرآنيّ.

قوله تعالى : «يذرؤكم فيه» ضمير الجمع المخاطب: «كم» راجع إلى المخاطبين العقلاء من الذّكور والإناث، وإلى الأنعام... وبنآءً على هذا ففيه ثلاث تغليبات: ١ ـ تغليب الذّكور على الإناث. ٢ ـ تغليب المخاطبين على الغآئبين الّذين سيوجدون يوماً فيوماً إلى يوم القيامة لإستمرار الخطاب. ٣ ـ تغليب العقلاء على غيرهم... أمّا علّة الأوّل فظاهرة، وعلّة الثّاني فهي الخطاب، وعلّة الثّالث فهي العقل.

ويمكن أن يقال: إنّ جعل الخطاب شاملاً للأنعام تكلّف لاحاجة إليه، وذلك أنّ الغرض هو إظهار القدرة الإلهيّة وبيان الألطاف الرّبوبيّة في حقّ النّاس بالخطاب الّذي يختصّ بهم. والمعنى: يكثّركم أيّها النّاس في هذا التّدبير حيث مكّنكم من التّوالد والتّناسل، وهيّأ لكم من مصالحكم ماتحتاجون إليه في ترتيب المعاش وتدبير التّوالد، وجعل لكم من الأنعام أزواجاً تبقى ببقائكم، وتدوم بدوامكم وهذا أنسب بنظم الكلام.

وإنّما قال: «يذرؤكم فيه» ولم يقل: «به» لأنّ الله تعالى جعل التّدبير كالمنبع والمعدن للبثّ والتّكثير كقوله تعالى: «ولكم في القصاص حياة» البقرة: ١٧٩) أو لأنّ حروف الجرّ يقوم بعضها مقام بعض.

وقوله عزّوجلّ: «ليس كمثله شيء» جواب عمّا يمكن أن يسئل: كيف هو؟ فأجاب بأنّ كيفيّته نفي الكيفيّة. والمقصود أنّه تعالى لم يماثله أحد في ذاته وصفاته الذّاتيّة والفعليّة وهو تنزيه مطلق له عن المشابهة بالخلق بنحو من الأنحآءِ، وأنّه جلّ وعلا خارج عن الحدّين: حدّ التّشبيه وحدّ التّعطيل.

ولا يبعد أن يكون نفي المثليّة عن الله تعالى بطريق الإلتزام، وذلك أن الله عزّوجلّ لو كان له مثل، والله تعالى هو شيء، لكان مثل مثله شيء، وهو خلاف نصّ المخبر الصّادق، ومحال عقلاً وهذا المحال إنّما لزم من فرض وجود المثل له، فوجود

المثل محال وهو المطلوب.

وقال بعض البيانيّين: قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» هو كقولنا: «مثلك لا يبخل» والمراد نفي البخل عن ذاته، وهو من باب الكناية لأنّهم إذا نفوا الشّيء عمّن يسدّ مسدّه فقد نفوه عنه. فالمعنى نفي المماثلة عن ذاته سبحانه، فلا فرق بين أن يقال: ليس كالله شيء وأن يقال: ليس كمثله شيء إلاّ فائدة الكناية. وقال بعضهم: كرّرت كلمة التّشبيه للتّأكيد وذلك أنّ التّشبيه يقع بـ«مثل» وبـ«كاف» فأراد الله عزّ وجلّ أن يبيّن أنّه منزّه عن التّشبيه أنّه كشيء أو مثل شيء.

وقال السّيّد المرتضىٰ رضوان الله تعالى عليه: «ليس الكاف زائدة، فيكون المعنى: أنّ الله تعالى نفى أن يكون لمثله مثله، وإذا ثبت أنّه لا مثل لمثله، علم أنّه لا مثل له أيضاً، لأنّه لو كان له مثل لكان له أمثال، وكان لمثله مثل لأنّ الموجودات على ضربين: **أحدهما ـ** ما لا مثل له كالقدرة فلا أمثال لها أيضاً. **ثانيهما ـ** ما له مثل كالسّواد والبياض، وأكثر الأجناس فله أمثال أيضاً، وليس في الموجودات ما له مثل واحد فحسب، فعلم بذلك أنّه لا مثل له أصلاً من حيث لا مثل لمثله» إنتهى كلامه.

إنّ الله عزّوجلّ نزّه نفسه عن المماثلة، وشبّهه بصفات خلقه، وجمع بينهما في ذيل هذه الآية الواحدة إذ قال: «ليس كمثله شيء» فنزّهه «وهو السّميع البصير» فشبّهه، فقد جمع بينهما، بل قد جمع في قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» بين التّنزيه والتّشبيه على قول من يقول: «إنّ الكاف غير زائدة» فإنّ فيه نفي مماثلة الأشيآءِ لمثله، فمثله المنزّه وهو إثبات للمثل المنزّه، وهو عين التّشبيه في نفس التّنزيه، أو هو بيان التّنزيه في عين التّشبيه، وبيان التّشبيه في عين التّنزيه، بمعنى أنّ المثل إذا نُزِّهَ فبالاولى أن يكون الحقّ منزّهاً عن كلّ ما ينزّه عنه مثله لأنّ تنزيه المثل المثبت في الجملة، موجب لتنزيهه بالأحرى والأحقّ.

وأيضاً لمّا تقرّر وجوده سبحانه، فإنتفآء مثل مثله لا يمكن إلاّ بانتفآء مثله لأنّه لو كان له مثل لكان هو سبحانه مثلاً لمثله، فلا يصحّ حينئذ إنتفآء مثله.

وكذلك في الجملة الأخيرة: «وهو السّميع البصير» فإنّه صريح في التّشبيه، ولكنّه في

التّحقيق وتدقيق النّظر الدّقيق عين التنزيه الحقيقيّ في صورة التّشبيه، لأنّ قوله تعالى: «وهو السّميع البصير» يفيد تخصيصه بإثبات السّميعيّة والبصيريّة بمعنى أنّه لاسميع ولا بصير في الحقيقة إلّا هو، فهو السّميع بعين سمع كلّ سميع، وهو البصير بعين بصر كلّ بصير، فهو تنزيهه تعالى عن أن يشاركه غيره في السّمع والبصر وهو حقيقة التنزيه، فإذا تجلّى بصفة التنزيه مثل قوله: «ليس كمثله شيء» فهو أعلى منه إذا تجلّى بصفة التّشبيه.

وبالجملة: انّ قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» ـ وإن جآء لنفي أيّ احتمال للتّماثل بين الله تعالى في قدرته وتدبيره، في علمه وحكمته، وفي عظمته وشمول تصرّفه وكمال صفاته، وبين أيّ كان ممّن يتّخذهم المشركون شركآء له في الدّعآءِ والعبادة، وفي معرض التّنديد بالمشركين ـ ولكنّ الجملة من حيث هي حماسة في صدد الذات الالهيّة وسرّها، ويصحّ **أن تكون ضابطاً** عاماً تجب ملاحظته في كلّ ما ذكر في القرآن الكريم من صفات الله الذّاتيّة والفعليّة، ومن كلّ ما نسب إليه سبحانه من أعضآء وحركات وحواس كاليد والعين والوجه والمجيئ والنّزول والعروج والإستواء والرؤية والسّمع والبصر والكلام والرّوح والغضب والفرح والكيد والمكر وما إليها... وإعتبار كلّ مماثلة يمكن أن يتصوّرها الإنسان بين الله عزّوجلّ في أيّ شيء وبين أيّ شيء آخر ممتنعة ومنتفية.

وبعبارة أخرى: إنّ قوله عزّوجلّ: «ليس كمثله شيء» إشارة إلى الوجود المطلق، وتجرّده ووحدته، والّذي هو مقام الجمع والتّوحيد الصّرف، وقوله جلّ وعلا: «وهو السّميع البصير» إشارة إلى الموجودات المقيّدة، وتنزّل الوجود المطلق في مراتبه الّذي هو مقام الفرق والكثرة الأسمائيّة.

ففي ذيل هذه الآية الكريمة إشارة إلى طريق الخواصّ من الموحّدين من الجمع بين التّنزيه والتّشبيه كالجمع بين الظهور والخفآء: «يا مَن خَفيَ من فرط ظهوره واستتر بشعاع نوره» والجمع بين العلوّ والدّنوّ: «يا مَن علا في دنوّه، يا من دَنىٰ في علوّه» والجمع بين البُعد والقرب: «يا من بَعُدَ فلايُرى وقرُب فشهِد النّجوىٰ» والجمع بين الدّخول في الأشيآء والخروج عنها، داخل في الأشيآء لابالممازجة، وخارج عن

الأشيآء لابالمزآئلة، داخل في الأشيآء لاكدخول شيءٍ في شيءٍ، وخارج عنها لاكخروج شيءٍ عن شيءٍ، وعليك بالجمع لابنحو التّركيب والمزج.

وفي التّبيان: قال الشّيخ الطّوسى قدّس سره في قوله تعالى: «وهو السّميع البصير»: معناه أنّه على صفة يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت، ويبصر المبصرات إذا وجدت وذلك يرجع إلى كونه حيّاً لاآفة به، وفائدة ذكره ـ ههنا ـ هو أنّه لمّا نفى أن يكون له شبه على وجه الحقيقة والمجاز، وعلى وجه من الوجوه بيّن أنّه مع ذٰلک سميع بصير لئلّا يتوهّم نفي هذه الصّفة له على الحقيقة فقط، فانّه لامدحة في كونه ممّا لامثل له على الإنفراد لأنّ القدرة لامثل لها، وإنّما المدحة في أنّه لا مثل له مع كونه سميعاً بصيراً وذلك يدلّ على التّفرّد الحقيقيّ» إنتهى كلامه.

١٢ـ (له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير حجّة أُخرى على نفي المماثلة عن الله جلّ وعلا في صفات الفعل بعد نفيها عنه في الذّات وصفات الذّات، بأنّ امور الكون ونواميس الوجود كلّها تكويناً وتشريعاً في قبضته، فهو تعالى وحده مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية لأنّ حافظ الخزآئن ومدبّر أمرها هو الّذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: ألقيت إليه مقاليد الملك وهي المفاتيح، وفي إثبات المقاليد للسّموات والأرض دلالة على أنّها خزآئن لما يظهر في الكون من الحوادث والآثار الوجوديّة...

قوله تعالى: «إنّه بكلّ شيء عليم» تعليل لبسط الرّزق وقدره، وفيه إشارة إلى أنّ الرّزق وإختلافه في موارده بالبسط والقدر ليس على سبيل المجازفة جهلاً، بل عن علم من الله عزّوجلّ بكلّ شيء، فيرزق كلّ مرزوق على علم منه تعالى بما يستدعيه المرزوق بما يشآء، وانّ الجملة المؤكّدة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصىّ...» وفيه إيذان بأنّ ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة، ولا يمكن ذلك إلّا من الله العزيز الحكيم له ملك السّموات والأرض وهو العليّ العظيم ـ له مقاليد السّموات والأرض... فإنّ مَن لم يكن كاملاً في جميع

الجهات لن يقدر أن يشرع الحكم الكامل في جميع الامور... وليس الكامل المطلق في الذّات والصّفات إلّا الله الّذي ليس كمثله شيء وهو الّذي

١٣ ـ (شرع لكم من الدّين ما وصىّ به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصيّنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء ويهدي إليه من ينيب)

مستأنف بيانّي سيق لتفضيل ما أُجمل من تعظيم أمر الوحي، ووحدة المصدر والصّادر، ووحدة المنهج والنّاهج والإتجاه في الدّين كلّه الّذي على النّاس في كلّ ظرف أن يتّخذوه في الحياة وطريقة مسلوكة إلى خيرهم وصلاحهم،وإلى كما لهم وسعادتهم...

واعلم أنّ الآية الكريمة في حدّ ذاتها تحتوي اموراً هامّة:

١ ـ تحتوي تفصيلاً لما أجمل من أمر الوحي في موضعين بصورتي العام والخاص: (٣ و ٥) من هذه السّورة المباركة.

٢ ـ تحتوي تنويهاً بوحدةالمنبع والمبادي في الأديان الّتي جآء بها المرسلون كافّة، وإشارة إلى وحدة منهج اولى العزم من الرّسل الخمسة خاصّة: أن لا خلاف بينهم في شيءٍ من الاصول الإعتقاديّة، ولا في اصول العبادات والطّاعات... ولا في منهجهم فيها، وإنّما الخلاف بين شرآئعهم في المسآئل الفرعيّة العمليّة الّتي قد تختلف بإختلاف الأزمنة والأمكنة كمّاً وكيفاً، فساروا كلّهم على نهج واحد مستقيم في وحدة متماسكة لااختلاف بينهم ولا تجاذب في مطاليب الحياة، أنّهم عثروا على ناموس السّعادة وسرّ النّجاة. وهذه صراط جميع الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام لأنّ الله تعالى واحد، ودينه واحد، ورسالة واحدة وينبغي أن يكون المكلّفون امّة واحدة لهذه الرّسالة الواحدة مهما اختلفت القشور والصّور...

٣ ـ تحتوى أنّ الشّريعةالمحمديّة إمتداد لشريعةنوح وإبراهيموموسىوعيسى من أُولي العزم من الرّسل عليهم السّلام كما أنّ كلّ من حملة الشّرآئع الخمس إمتداد رساليّ لما سلفه.

وقد خصّ تعالى هؤلآء الرّسل الخمسة ـ وهم اولواالعزم من الرّسل ـ بالذّكر

لإنافتهم وعلوّ شأنهم، وأنّهم كانوا أكثر شهرة وتلاوة وعموميّة عند سامعي القرآن، ولأنّ لكلّ واحد منهم شريعة تتّفق مع شريعة الآخرين بعقيدتها كالتّوحيد والعدل الإلهي، والنّبوّة والوصاية والبعث ليوم القيامة، وبمبادئها وأحكامها كوجوب الواجبات وتحسين الحسنات وتقبيح السّيّئات، وتدعيم القيم الأخلاقيّة، ومحاربة الإنحراف والضّلالة والإنحطاط والرّذالة، والشّرّ والغواية، وإن كانت تفترق عن الاخرى في بعض الفروع الإجتماعيّة والإقتصاديّة الّتي تصلح لزمان دون زمان، وفي كيفيّة بعض العبادات كالصّلاة والصّوم والزّكاة، وما إليها، وفي كمّيتها مع حفظ اصولها... ولاستمالة قلوب المشركين إلى أتباعهم ولإتّفاق كلمة أكثرهم على رسالتهم وإختصاص اليهود بموسى عليه السّلام والنّصارى بعيسى عليه السّلام.

٤ ـ تحتوي إيماءً إلى أنّ ماشرعه الله تعالى لامّة محمّدصلّى‌الله عليه وآله وسلّم صادر عن كامل العلم والحكمة، وأنّه دين قديم أجمع عليه اولوالعزم من الرّسل، وذلك أنّ نسبة الدّين إلى الأنبيآء المذكورين ههنا تنبيهاً على كون الإسلام ديناً قديماً أجمع عليه الرّسل، وكانوا كلّهم مسلمين، وكانوا على ماجآء به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فالإسلام تكميل لما عليه الأنبيآء والرّسل عليهم السّلام كما أنّ الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كانت إكمالاً لما جاء به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال جلّ وعلا: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة:٣ و ٦٧).

٥ ـ تفيد أنّ أمر الوصاية كأمر النّبوّة من شئون الخالق العليم الخبير الّذي هو أعلم حيث يجعل رسالته، وليس للمخلوق حتّى أُولي العزم من الرّسل فيهما إختيار إلّا التّبليغ فضلاً عن غيرهم.

٦ ـ أنّ السّياق بما أنّه يفيد الإمتنان، وخاصّة بالنّظر إلى ذيل الآية الكريمة، والآية التّالية تفيد أنّ الشّريعة المحمّديّة جامعة للشّرآئع الماضية، ولا ينافيه قوله عزّوجلّ: «لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» المآئدة:٤٨) لأنّ كون الشّريعة شريعة خاصّة لاينافي جامعيّتها.

٧ ـ أنّ الشّرآئع الإلهيّة المنتسبة إلى الوحي إنّما هي شريعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين إذ لو كان هناك غيرها لذكر قضآءً لحقّ الجامعيّة المذكورة، ولازم ذلك أوّلاً أن لاشريعة قبل نوح عليه السّلام بمعنى القوانين الحاكمة في المجتمع الإنسانيّ الرافعة للإختلافات الإجتماعيّة، وثانياً أنّ الأنبيآء المبعوثين بعد نوح عليهم السّلام كانوا على شريعته إلى بعثة إبراهيم وبعدها على شريعة إبراهيم إلى بعثة موسى وهكذا...

٨ ـ تحتوي توكيداً بوجوب الثّبات على ذلك وعدم التحزّب والتّفرّق فيه.

٩ ـ تحتوي تقريراً بأنّ الرّسالة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم تنبع من نفس المنبع، وتقوم على نفس المبادئ، وتتقيّد بالواجب الّذي أمر الله تعالى بالثّبات عليه وعدم التحزّب والتّفرّق فيه.

١٠ ـ وتستهدف بالإضافة إلى ذلك إقناع مشركي العرب بأنّ الرّسالة المحمّديّة ليست بدعة جديدة، وإنّما هي نفس الدّعوة الّتي دعا إليها اولوالعزم من الرّسل فضلاً عن غيرهم من الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام و هذا يلهم أنّ مشركي العرب كانوا يعرفون ويعترفون بأنّ الله تعالى أرسل قبل النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنبيآء، وهذا ممّا يجعل حجّة الآية دامغة لهم.

وغيرها من الامور الّتي لايسعها المقام ونحن على جناح الإختصار، وعلى القارئ الخبير التأمّل جدّاً فلايغفل.

قوله تعالى: «شرع» في بنآء الكلام على الغيبة: المفرد الغآئب: «الله» والخطاب للعالمين: «لكم» دلالة على أنّ وحي الشّرع غآئب عن العالمين الّذين يجب عليهم الحضور في ميدان الإيمان والعمل تطبيقاً لما أوحى إليهم فالوحي غائب الصّدور وحاضر الورود، ولأنّ في الخطاب للامّة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم دون الآخرين تشريفاً لهم على غيرهم من الامم بما أنّ شرعتهم برسولهم أشرف من سواها وسواه، فقُدِّموا على غيرهم لأنّ شريعتهم هي مجمع شرآئع أربعة اولي العزم من الرّسل، وكتابهم الّذي أُنزلَ على رسولهم صلّى الله عليه وآله وسلّم هو المهيمن على الكتب

السّماويّة كلّها، إذ قد جمعت الشّريعة المحمّديّة ماتفرّق في الشّرآئع الأربع السّابقة، فكان الإسلام هو الدّين كلّه، دين الله الّذي كان لكلّ نبيٍّ نصيب منه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل‌عمران:١٩ و ٨٥) وقوله عزّوجلّ: «هوالّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه» الصّف: ٩)

فمن آمن بالشرائع السّابقة وأقامها على وجهها، فلابد أن يسلمه ذلك إلى الإيمان بالإسلام، لأنّها من الإسلام مادّة وروحاً، وهذا ما يشير إليه قوله جلّ وعلا: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» المآئدة:٤٨).

وقوله عزّوجلّ: «ما وصى به نوحاً» ومن المعلوم أنّ «ما» موصولة، و«من» في «من الدّين» بيانيّة لـ«ما» الموصولة، وفي تقديم البيان: «من الدّين» على المُبَيَّن: «ما» مالايخفى على القارئ الخبير.

والمعنى: إنّ الله تعالى قد وصىّ نوحاً عليه‌السّلام بالدّين الّذي شرعه لامّة محمّد صلّى‌الله عليه وآله‌وسلّم قبل نوح عليه‌السّلام وهو الدّين الّذي أكمله بالولاية لأهل بيت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ و ٦٧).

وقد قدّم تعالى نوحاً عليه السّلام في الوصيّة بهذا الدّين الإسلامي الولائي وهو الشّريعة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه أوّل الأنبيآء أصحاب الرّسالات، وقد كانت له دعوة إلى الله عزّوجلّ، وكان له قوم يدعوهم إلى هذا الدّين، وقد لبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً كما ذكر القرآن الكريم: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً» العنكبوت: ١٤)

وبهذا تعتبر رسالته مفتتح الرّسالات إلى دين الله وهو الإسلام الولآئي، فكان تقديمه لازماً لهذا الإعتبار، وإلّا كان قبله نبيّ بل أنبيآء من دون رسالة.

ولا يبعد أن يكون تقديم نوح عليه السّلام لمجرّد الإشارة إلى أنّ دعوة الإسلام الولآئي دعوة قديمة قِدَم الإنسانيّة، يوم بلغت مبلغ الخطاب والتّكليف، بحسب مقتضا

فطرته الّتي فطر النّاس عليها، ولم يكن لنوح حين جآء الإسلام قوم أوكتاب، حتّى يكون لتقديم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على دعوة نوح حجّة على قومه وهيمنة على كتابه، على خلاف مَن هم مِن شيعة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام، فقدكانوا هم بمشهد من عصر النّبوّة وبمسمع من دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم لهذا مطالبون باتباع هذا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والإيمان به، وبكتابه المهيمن على ما في صحف إبراهيم، وعلى التّوراة والإنجيل... فقدكان اليهود أتباع موسى عليه السّلام وكتابه التّوراة، وكان النّصارى أتباع عيسى عليه السّلام وكتابه الإنجيل، وقد وردت روايات كثيرة أوردنا في مواضع من هذا التّفسير عن الفريقين: أنّ الأنبيآء والمرسلين كلّهم عليهم السّلام كانوا مأمورين ـ من آدم ـ إلى ـ خاتمهم ـ بالولاية لأهل بيت محمّد المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقوله عزّوجلّ: «والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى» في الإلتفات من الغيبة: «شرع ـ وصّى» إلى التّكلّم مع نون العظمة: «أوحينا ـ وصّينا» لإظهاركمال الإعتنآء بايحآئه وتوصيته، وفي توجيه الخطاب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إليك» بطريق التّلوين، تفخيم شأن رسوله وتشريف له صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنبيه على أنّه تعالى شرعه لهم على لسانه، فليس من جانب إنسان، ولا من ناحية نبيّ أو رسول حتّى محمّد رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو أشرف الموجودات وسيّد الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين مع الإشعار بأنّ شريعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم شريعة كاملة، ولذا عبّر عنها بلفظ «الّذي» الّذي هو أصل الموصولات، وذلك هو السّرّ في تقديم الّذي أوحى إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما بعده مع تقدّمه عليه زماناً، وأمّا تقديم توصية نوح عليه السّلام للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً، ولقدم شريعته وطول عهدها. كما في قوله تعالى: «وإذ أخذنا من النّبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم» الأحزاب: ٧)

وقوله تعالى: «أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه» بيان لما شرعه الله جلّ وعلا لهذه الأُمّة المسلمة وأوحاه إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ووصىّ به أُولى العزم من

رسله وهو أن يقيموا الدّين ويعلموا به أوّلاً ثمّ أن يبلّغوه أقوامهم ثانياً فيكونوا جميعاً: الرّسل والأمم على هذا الدّين إعتقادياً وعملاً، دين الله الّذي ارتضاه لهم جميعاً ثالثاً وألّا يتفرّقوا ولا يتحزّبوا فيه، فيكون لكلّ نبيّ، ولكلّ قوم دين، وكلّ حزب بما لديهم فرحون، وأنّ دين الله واحد وهو الإسلام الّذي روحه الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحيث لولاها لكان الإسلام كالبدأ ميّتاً لا روح فيه كما صرّح تعالى بذلك في مواضع من كتابه المجيد منها آية الإكمال والتّبليغ، ولايتردّد في ذلك إلّا من كان خبيث الولادة والسّريرة، وإن ادّعى التّشيّع وبلغ من العلم ما بلغ لأنّ الشّيطان كان أعلم منه بلامرآءٍ، أعاذنا الله تعالى من شرّه بعصمة محمّد وآله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

في تلخيص البيان للسّيّد الرّضي رضوان الله تعالى عليه قال في قوله عزّوجلّ: «أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه»: «وهذه إستعارة والمراد بإقامة الدّين إعلان شعاره وإعلاء مناره والدّوام على اعتقاده والثّبات على العمل بواجباته» إنتهى كلامه.

وقوله جلّ وعلا: «كبر على المشركين ماتدعوهم إليه» شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم من الدّين القويم أي عظم وشقّ عليهم، وحكاية عن حسد المشركين، وإنّ الشّرك هو الموجب للتّفرّق والتحزّب. وإشارة إلى استعظام المشركين لما يدعوهم إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من التّوحيد، مع أنّ ذلك هو ما دعا إليه أُولواالعزم من الرّسل قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيه من تعليق الوصف مالايخفى على القارئ الأريب البياني. وأنّ منشأ الشّرك هوالحسد.

وقوله سبحانه: «الله يجتبى إليه من يشآء...» مستأنف بيانيّ سيق لتحقيق الحقّ، وتقرير بأنّ الله عزّوجلّ إنّما يختار ويقرب إليه من يشآء ويهدي إليه بهم من ينيب إليه ويرغب في هداه، وجواب عن شبهة المشركين وأذنابهم في كلّ ظرف بأنّ الإجتبآء والإصطفآء يتعلّق بمشيئة الله تعالى لابتمنّي كلّ أحد ولابكثرة المال والجاه ولا بالعِدّة والعُدّة، وفيه دلالة على أنّ الله جلّ وعلا وحده يجتبي من يشآء من عباده لإقامة أمر دينه بعد رسله، ويستمرّ هذا الإجتبآء كما أنّ الهداية والإنابة تستمران

وليس لأحد من الخلق خيرة الإجتباء الّذي هو كالنبوّة والرّسالة ليس لأحد فيهما خيرة. فتأمّل جيّداً ولا تغفل فانّ المقام مزلّة الأقدام...

١٤ ـ (وما تفرّقوا إلّا من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم ولو لا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضى بينهم وإنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب)

مستأنف بيانّي سيق لتقرير أسباب واقع الأمر من الفرقة والخلاف بين الأمّة المسلمة بعد نزول.

القرآن الكريم كنفس الأسباب بين الامم السّابقة بعد نزول الكتب السّماوية عليهم.

تحتوي الآية الكريمة أموراً هامة: ١ ـ تقرير كون الخلاف والفرق، والتحزّب والإنقسام والنّزاع بين الأديان السّماويّة ليس ناشئاً من طبيعة دين الله الّذي شرعه للنّاس على لسان رسله عليهم السّلام، والّذي أمر الله بالثّبات عليه لأن الدّين الّذي شرعه الله تعالى هو وحدة الله عزّوجلّ، وربوبيّته الشاملة، والنّهى عن أنحاءِ الشرك بالله سبحانه، والعبادة لله تعالى وحده: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء:٢٥) وإلتزام الفضآئل والمكارم الأخلاقيّة الشّخصيّة والإجتماعيّة، ونبذ الآثام والفواحش والمنكرات لايتحمّل إنقساماً ولا خلافاً ولا نزاعاً في أيّ ظرف ومكان، وفي هذا مافيه من خطورة وتلقين جليل مستمرّ المدى.

٢ ـ تقرير منشأ الخلاف والتحزّب والنّزاع بين أهل الأديان كافّة وبين الأُمّة المسلمة خصوصاً هوالحسد منهم، والشّذوذ عن الحقّ، وعن أمر الله الّذي أكّد بالنّهي عن التفرّق في الدّين، وعن نقض أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلاسبب موجب للخلاف والنّزاع إلّا خبث السّرآئر...

٣ ـ إشارة تنديدية إلى تحزّب الّذين جآءهم أنبيآء الله بالدّين الّذي شرعه الله تعالى لعباده.

٤ ـ تقريراً بأنّ الله جلّ وعلا كان جديراً بالقضآءِ بينهم في الحياة الدّنيا، فيؤيّد الحقّ وأهله، ويزهق الباطل وأصحابه لو لا أنّ حكمته إقتضت تأجيل ذلك إلى أجل معيّن عنده.

٥ ـ تقريراً بأنّ الّذين أورثوا هذا القرآن الكريم قد وقعوا منه في شكوك شديدة أدّت إلى ما هم فيه من خلاف وفرقة وبلبلة كالّذين اورثوا كتب الله الّتي أنزلها على أنبيآئه السّابقين، قد وقعوا منها في شكوك شديدة أدّت إلى تحزّبهم وتفرّقهم أيادي سباتحت تأثيرات الأهوآء والشّهوات، وطلباً للجاه والرّئاسة، وللحميّة الجاهليّة الّتي جعلت كلّ طآئفة تذهب مذهباً، وتدعو إليه وتقبح وتنكر ماسواه، طلباً للأحدوثة بين النّاس والسّيطرة عليهم.

٦ ـ تقريراً بأنّ تفرّقهم لم يكن لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والحسد وحبّ الدّنيا وتقييد «بغياً» بقوله: «بينهم» للدّلالة على تداوله.

١٥ ـ (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتّبع أهوآءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم الله ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)

تفريع على ما ذكر من شرع دين واحد لجميع الأنبيآءِ والمرسلين عليهم السّلام واممهم، ثمّ تحزّب الامم وتفرّقهم وإنقسامهم إلى أسلاف اختلفوا في هذا الدّين الواحد عن علم بغياً بينهم، وإلى أخلاف شاكّين مرتابين فيما اورثوه من الكتاب السّماويّ النّازل عليهم. فالمعنى: فلأجل أنّه شرع لكم جميع ماشرع لمن قبلكم فادع...

وفي الآية الكريمة تثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين، وتوكيد عليهم بالإستقامة على ماهم عليه من حقّ وهدى، وعدم متابعة الأهواء والنّزعات الّتي أدّت إلى الإنحطاط، وانحراف الامم السّابقة عن كتب الله ودينه الّذي شرعه، وإعلان للعقيدة الإسلامية في صدد ربوبيّة الله الشّاملة للجميع، وفي صدد الكتب السّماوية وأصحابها، حيث تقرّر وحدة الله تعالى وربوبيته الشّاملة للجميع، وتؤمن بما انزل الله من كتابه، وتأمر بالعدل والإنصاف مع الّذين لايدينون بالإسلام وبتركهم وشأنهم إذا ما التزموا نفس الموقف إزآء المسلمين، وتفوّض أمر الجميع إلى الله عزّوجلّ ليؤيّد من كان على الحقّ وثبت فيه، ويخزي ويعاقب من انحرف عنه. وفي هذا ما فيه من اتّساق مع المبادئ القرآنية المحكمة والتلقين الجليل المستمرّ المدى.

وفي أمر الله تعالى لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالقول إنّه أمر باعلان إيمانه بكلّ ما أنزل من كتاب وبأنّ ربّه وربّهم واحد بعد أن قررت الآيات السّابقة لهذه الآية وحدة المنبع، ووحدة المنهج بينهم هدف عظيم المدى وهو فتح باب اللّقآء والتّفاهم على مصراعيه بين أهل القرآن وأهل الكتب السّابقة ليتكون منهم جبهة واحدة متّحدة في توحيدالله والدّعوة إليه، والى المبادئ السّامية الأخلاقيّة والإجتماعيّة الّتي احتوتها كتب الله تعالى وإلتزامها تحت راية الإسلام الّتي هي راية أهل الكتاب وأنبيآئهم معاً تبعاً لوصفهم بالإسلام والمسلمين في آيات كثيرة مكّيّة ومدنيّة **منها:** قوله تعالى في إسلام نوح عليه السّلام وموسى عليه السّلام «وأُمرت أن أكون من المسلمين ـ إن كنتم مسلمين» يونس:٧٢ و ٨٤) وفي إسلام سحرة فرعون: «ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين» الأعراف:١٢٦) وفي إسلام إبراهيم عليه السّلام: «وما جعل عليكم في الدّين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل» الحجّ:٧٨): «وما كان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً» آل عمران:٦٧) وفي دعوة سليمان عليه السّلام بلقيس إلى الإسلام: «ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ـ قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين» النّمل: ٣١ و ٤٤)

وفي دعآءِ إبراهيم ووصيّته لبنيه وذرّيّته بالاسلام: «ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيّتنا أُمّة مسلمة ـ إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بُنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلاتموتنّ إلّا وأنتم مسلمون ـ ونحن له مسلمون» البقرة:١٢٨ ـ ١٣٣) وفي إسلام طائفة من أهل الكتاب: «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين» القصص:٥٣).

ولقد ظلت أوامر القرآن الكريم بعد هذه الآية تترى على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلان ما امر بإعلانه في هذه الآية. **ومنها:** آيات واسعة شاملة كقوله تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أوتى النّبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» البقرة: ١٣٦) تحصيلاً لذلك الهدف العظيم.

ولقد تحقق هذا الهدف بمقياس واسع بما كان من إيمان معظم النّصارى وفريق من أهل العلم من اليهود في الحجاز في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّبيّ والقرآن وانضووا إلى الرّاية الإسلاميّة على ماقررّته آيات عديدة مكيّة ومدنيّة، كما آمن بها معظم أهل الكتابين في بلاد الشّام والعراق ومصر وشمال إفريقيّة وجنوب أسبانيّة نتيجة لما ظهر لهم من أعلام نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصدق القرآن وحملة رايته، وإذا كان بقى منهم من لم يؤمن بهما فمرد ذلك إلى أسباب أُخرى تقرّرت بمواضع من القرآن الكريم أوردناها في محلّها المناسب.

وما يزال هذا الهدف قائماً إلى الآن، وإلى ماشآء الله تعالى حتّى يتحقّق وعدالله الحقّ: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وكفى بالله شهيداً» الفتح: ٢٨).

إنّ الآية الكريمة تحتوي عشرة أوامر ونواه كلّ منها مستقلّ بذاته، ودالّ على حكم برأسه ولا نظير لها في ذلك سوى آية الكرسيّ فانّها عشرة فصول أيضاً، وإنّ هذه الأوامر والنّواهي وإن وجهت ظاهراً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّها له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولامّته لأنّ أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر لأُمّته إلّا إذا ورد دليل على التّخصيص، فالآية الكريمة تأمر صاحب هذه الشّريعة السّاميّة وتنهاه عشرة أوامر ونواه هامّة تتبناها الرّسالة الإسلاميّة كأُصول الدّعوة:

١ ـ الدّعوة إلى وحدة الشّرعة، وحدة المنبع، وحدة المنهج، والى وحدة كلمة التّوحيد، وتوحيد الكلمة، دعوة تجمع دعوات الرّسالات كلّها، ودعوة إلى توحيد الامم أن يتضامّوا تحت راية واحدة.

٢ ـ الإستقامة على هذه الدّعوة تجمع الإستقامات كلّها كما أنّ نبوّة خاتم الأنبيآء صلّى الله عليه وآله وسلّم تجمع النّبوّات كلّها، وشرعتك هي الدّين كلّه وهي الشّرآئع كلّها.

٣ ـ النّهي عن إتباع الأهواء الموجب للتحزّب والنّزاع والفرقة...

٤ ـ إعلان الإيمان بالكتب السّماويّة كلّها، حيث إنّ تنكير الكتاب وجرّه بـ «من» الدّالة على الإستغراق: «من كتاب» للإشارة إلى أنّ رسول الله مؤمن بكلّ كتاب نزل

من عندالله تعالى لاغيره، تسوية بين الكتب السّماوية من حيث تصديقها، والإيمان بها، وهي الكتب المنزلة من عندالله المشتملة على الشّرائع...

٥ ـ الأمر بالعدل في هذه الدّعوة الموحّدة.

٦ ـ إعلان عام بربوبيّة واحدة، فعبوديّة واحدة: «الله ربّنا وربّكم» أي قل لهم: ...

٧ ـ «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم» أي قل لهم: إنّ لكلّ امرءٍ ما عمل.

٨ ـ «لا حجّة بيننا وبينكم»...

٩ ـ «الله يجمع بيننا»...

١٠ ـ «إليه المصير».

وقد تشبه هذه الآية آية أُخرى في أصل الإستقامة إضافة إلى مَن تاب معه، وتركاً للبعض من هذه العشرة، قضيّة الشّركة كما أُضيفت أُمور أُخرى لنفس القضيّة: «فاستقم كما أُمِرت ومن تاب معك ولاتطغوا إنّه بما تعملون بصير ـ واصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين» هود: ١١٢ـ ١١٥)

إن تسئل: إنّ الله تعالى قال: «أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول ـ من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ٥٩ و ٨٠) والمعنى: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم معصوم عن الخطأ والسّهو والزّلل إطلاقاً. فكيف قال هنا للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه: «ولا تتّبع أهوآءهم» أي أهوآء المشركين... وقد تكرّر هذا النّهي بمواضع من القرآن الكريم **منها :** قوله تعالى: «ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعها ولا تتّبع أهوآء الّذين لا يعلمون» الجاثية: ١٨) **ومنها :** قوله عزّوجلّ: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتّبع أهوآءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» المائدة: ٤٩) **ومنها :** قوله جلّ وعلا: «يا أيّها النّبيّ اتّق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين» الأجزاب: ١) فكيف ساغ النّهي عن المعصية مع وجود العصمة؟

تجيب عنه : إنّ الله تعالى جعل طاعة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كطاعته لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لاينطق إلّا بأمرالله و وحيه: «ومايـنطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى» النّجم: ٣ـ ٤) وكلّ من نطق به تجب طاعته، ونهى تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله

وسلّم عن المعصية تقريراً وتوكيداً لشعور الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه عبد من عباد الله جلّ وعلا وتنبيهاً لنا نحن بأنّه عبدالله كيلا نتّخذه شريكاً لله سبحانه من أنحآءِ الشّرك كما فعل ذلك غيرنا من الطّوآئف... ويؤكّد هذا قوله عزّ وجلّ لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمرت لأعدل بينكم...» أعلن يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إيمانك بالكتب المنزلة من السّمآء وعدلك بالحكم بين النّاس باذن الله ربّ العالمين.

وقوله تعالى: «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب» فيه تحقيق للحقّ، وبيان لإتّفاق الكتب السّماويّة في الأُصول الإعتقاديّة، وفي الأُصول الفرعيّة، وإن اختلفت في كيفيتها وكميّتها، وتأليف لقلوب أهل الكتابين، وتعريض بهم إذ صدقوا ببعض **وكفروا ببعض وتعريض بالمتخلّفين من هذه الامّة المسلمة** الّذين آمنوا ببعض القرآن الكريم وكفروا ببعض من أمر الولاية.

وانّ هذه الجملة وهي تقرّر العقيدة الإسلاميّة بالإيمان بما أنزل الله من كتاب إنّما عنت كتب الله الّتي لاتحريف فيها، هذا في حين أنّ ممّا هو متداول اليوم من أسفار العهدين: القديم والجديد مالا يمكن أن يتّصف بصفة كتاب الله سبحانه وما هو حاسم الدّلالة على أنّه من تأليف كتاب متعدّدين في ظروف مختلفة حسب الميول والآراء واتباع الأهواء... وفيما هو منسوب إلى الله عزّ وجلّ من كتب وأقوال مايتنافي مع المبادئ القرآنيّة المحكمة الإيمانيّة والأخلاقيّة والإجتماعيّة والسّلوكيّة مثل ربوبيّة الله الشّاملة ووحدته المطلقة المنزّهة عن كلّ شبآئبة، ومبادئ الحقّ والعدل والرّحمة والإنسانيّة والمساواة وحظر الرّبا والظلم والبغي والعدوان والفواحش والآثام...

ولقد صرّح القرآن الكريم بمواضع عديدة من وقوع التّحريف في كتب الله المنزلة السّابقة بأيدي العلمآء الأُجرآء الّذين يشترون الضّلالة بالهدى، والحقّ بالباطل، والمغفرة بالنّار...

منها ـ قوله تعالى: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ـ فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ

يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً ـ وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وما هو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» البقرة: ٧٥و٧٨و٧٩).

ومنها ـ قوله عزّوجلّ: «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ـ يا أيّها الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب» المآئدة: ١٣-١٦).

ومن البداهة أنّ العقيدة الإسلاميّة تظلّ مقيّدة بالنّص القرآنيّ المطلق: «آمنت بما أنزل من كتاب» وعدم الإعتراف بنسبة أيّ شيء إلى الله سبحانه إذا كان يتنافي مع المبادئ والمثل العليا المحكمة الإيمانيّة والأخلاقيّة... ولقد جآء في سورة المائدة هذه الآية: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهوآءهم عمّا جآءك من الحقّ...»: ٤٨) بحيث يسوّغ القول: إنّ الله جلّ وعلا قد جعل هذا القرآن الكريم: «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤٢) للمسلم مقياساً يقيس عليه ما ينسب إلى الله تعالى ممّا في المتداول من الكتب الدّينيّة، فما اتّسق فيه من المبادي والمثل المحكمة مع مثلها في القرآن المجيد جاز أن يكون من عند الله تعالى فحسب، وإلّا فضلالة مردودة.

وقوله جلّ وعلا: «الله ربّنا وربّكم» في هذا تعريض باليهود الّذين يجعلون الله سبحانه ربّاً لأنفسهم وحدهم، يؤثرهم بما عنده من خير وإحسان، فيسمّونه ربّ إسرائيل، ويسمّونه ربّ الجنود، ويجعلونه قائداً لجيشهم في الحرب كما تصرح بذلك التّوراة الّتي بأيديهم... فالجملة في مقام التّعليل لما ذكر من التّسوية بين الكتب والشّرآئع في الإيمان بها. وبين النّاس في دعوتهم وشمول الأحكام لهم، ولذاجيئ في الكلام بالفصل من دون عطف، فتأمّل جيّداً.

وقوله تعالى: «الله يجمع بيننا» إشارة إلى المهاجرة الّتي اقتضاها إصرارهم على الباطل وتفويض للأمر إلى المجازي المنتقم.

وقوله عزّوجلّ: «وإليه المصير» غاية تهديد للمشركين والكافرين.

١٦ ـ (والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أنّ حجّة الّذين يجادلون في وحدة الله جلّ وعلا وصفاته، واستحقاقه للعبادة والولآء وحده ومافي دعوة رسوله من حقّ وصدق قد سقطت وبطلت بعد أن ظهر الحقّ، وفي الآية الكريمة ردّ على المشركين الّذين كانوا يتحجّجون بما عليه من انقسام وخلاف ونزاع وتحزّب...

وقوله تعالى: «ما استجيب له» في إسناد الفعل إلى غير فاعله إيماء إلى أن إستجابتهم لم تكن إستجابة خالصة من الشّك والارتياب، ولهذا لم يسند فعل الإستجابة إليهم هكذا: «من بعد ما استجابوا له».

وقوله عزّوجلّ: «حجّتهم داحضة» وقد سمّى أباطيلهم الّتي لا ينبغي التّعويل عليها حجّة، مجاراة لهم على زعمهم حتّى يعاودوا النّظر فيها، لعلّهم يرعوون عن غيّهم ويثوبون إلى رشدهم.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «حجّتهم داحضة عند ربّهم» قال: «وهذه إستعارة، والدّحض: الزّلق، فكأنّه تعالى قال: حجّتهم ضعيفة غير ثابتة وزائلة غير متماسكة كالواطئ الّذي تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطء. وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة، وإذا نسب الفعل إليها في الدّحوض كان أبلغ في ضعف سنادها و وهاء عمادها فكأنّها هي المبطلة لنفسها من غير مبطل أبطلها لظهور أعلام الكذب فيها، وقيام شواهد التّهافت عليها وأطلق سبحانه إسم الحجّة عليها وهي مشبهة لإعتقاد المدلي بها أنّها حجّة، وتسميته لها بذلك في حال النّزاع والمناقلة، وأيضاً فانّ المتكلّم بها لما أوردها مورد الحجّة وأسلكها طريقها، وأقامها مقامها جاز أن يطلق عليها إسمها» إنتهى كلامه.

وقوله جلّ وعلا: «وعليهم غضب ولهم عذاب شديد» إيمآء إلى قوّة الإستعلآء

عليهم والإفهام لهم، والمعنى: وعلى الّذين يحاجّون في الله تعالى ويكابرون بعد ذلك، غضب الله وعذابه الشّديد الّذي يستولى عليهم ويحيط بهم.

١٧ ـ (الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان ومايدريك لعلّ السّاعة قريب)

مستأنف بيانيّ سيق لتوصيف الله تعالى بإنزال الكتاب والميزان، ولازمه تعريف الوحي بنزول الكتاب والميزان به، وللتّوكيد بأنّ الله الّذي اوحى بالكتاب لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو حقّ لا يتحمّل مراءً، وفيه حثّ النّاس عامّة والمؤمنين خاصّة على إتّباع نهج الشّرع وترك مخالفته، وتحريصهم على الإيمان بالحقّ حذراً من عقاب يوم القيامة، وبأنّ الله جلّ وعلا وهب النّاس قوّة الموازنة بين الحقّ والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الخير الشّرّ، وبين الكمال والإنحطاط، وبين السّعادة والشّقآء ليستطيعوا تمييز الحقّ وأتباعه، وتمييز الخير وأهله...

وقوله تعالى: «وما يدريك لعلّ السّاعة قريب» إستفهام يراد به التّقرير والإنذار بقرب السّاعة، والخطاب وإن كان للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه عامّ يشمل لكلّ من يسمعه، فيعمّ الإنذار والتّخويف، وفيه ترغيب في الآخرة، وتزهيد في الدّنيا ومتاعها، وإنّ المؤمنين بها على رجآء اللّقآء بيومها. والمراد بالسّاعة: إتيانها، ولذا جيئ بالخبر مذكّراً والمعنى: ما الّذي يعلمك لعلّ إتيان السّاعة قريب. وقد سمّيت السّاعة ساعة لأنّها تسعى إليها النّفوس لا بقطع المسافات المكانيّة، بل بقطع الأنفاس الزّمانيّة بحركة جوهريّة ذاتيّة وتوجّه غريزى إلى الله جلّ وعلا.

١٨ ـ (يستعجل بها الّذين لا يؤمنون بها والّذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنّها الحقّ ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد)

إستعجال جحود وإنكار، إستعجال سخريّة وإستهزآء، إستعجال تهكّم وإستخفاف، واستعجال تكذيب وتحدٍّ حيث كانوا يقولون: متى هي؟ ليتها قامت حتّى يظهر لنا الحقّ! أهو الّذي نحن عليه فنفوز بالنّجاة؟ أم الّذي عليه محمّد صلّى

الله عليه وآله وسلّم فنكون من الخاسرين؟!

وفي تعدية الفعل: «يستعجل» بحرف الجرّ: «الباء» وهو فعل متعدٍّ بنفسه لقوله تعالى: «أتى أمر الله فلاتستعجلوه» النّحل: ١) إشارة إلى تضمين الفعل معنى المطالبة بها للتّعجيز.. أي يطالب بالآخرة ويستعجلون يومها أولئك الّذين لايؤمنون بها.

وقوله تعالى: «والّذين آمنوا...» بيان لموقف المؤمنين من يوم القيامة، وهو موقف الخآئف المشفق لأنّه يوم الحساب والجزآء ويوم الأهوال والشّدآئد فهم بين الخوف والرّجآء على حدّ سوآءٍ.

وقوله عزّوجلّ: «مشفقون منها» الإشفاق نوع من الخوف، فإنّ الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأنّ المشفق يحبّ المشفق عليه، ويخاف مايلحقه تقصيراً منه لا من المشفق عليه: «وهم من السّاعة مشفقون» الأنبيآء: ٤٩) إذاً فهم لا يستعجلونها، بل يستأجلونها ليتهيّؤا لها حيث «يعلمون أنّها الحقّ».

واعلم أنّ الإشفاق على أنحآءٍ أربعة تشارك فيها العناية والخوف:

أحدها ـ أنّ العناية قدتربو الخوف كأنّه لاخوف: «إنّا كنّا في أهلنا مشفقين» الطور: ٢٦).

ثانيها ـ أنّ الخوف يربو العناية كأن لا عناية: «ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم» الشّورىٰ: ٢٢).

ثالثها ـ أنّ الخوف يربو العناية ولكنّها موجودة: «فأبين أن يحملنها وأشفقن منها» الأحزاب: ٧٢).

رابعها ـ أنّ الخوف والرّجآء هما سيّان متساويان كما هنا: «والّذين آمنوا مشفقون منها».

وقال بعض البيانيّين: إنّ الإشفاق إذا عدّي بـ«من» فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدّي بـ«في» فمعنى العناية والرّجآء فيه أظهر.

ولايخفى على الأريب البيانيّ: أنّ في النّظم القرآني هنا مايبدو في ظاهره أنّه جآء على غير التّرتيب الّذي يقع في نفس المؤمن من مشاهد القيامة وأهوالها... فالظّاهر

أن يؤمن المؤمن أوّلاً بـأنّ السّاعة حقّ، ثمّ تـكون خشيته، ويكون إشفاقه من لقآئها، ولكنّ النّظم القرآني هنا قدّم الخشية للقيـامة والإشفاق منها، على العلم بها وبأنّـها حقّ، هذا مايبدو في ظاهر الأمر، وأمّا الّذي ينظر في النّظم القرآني يرى أنّ الإشفاق قد تقدّمه الإيمان، فالّذين يشفقون من السّاعة هم الّذين آمنوا بالله وباليوم الآخر كما قال جلّ وعلا: «والّذين آمنـوا مشفـقون منها» إذ لا يكون المؤمن مؤمناً بالله إلّا إذا كان مؤمناً باليـوم الآخر، أمّا العلم فهو مادّة من المعرفة الّتي يؤيّدها الدّليل، ويدعمها البرهان، حيث يجيئ إلى الإيمان الغيبي، فيؤكّده، ويثبت دعآئمه في القلب.

وقوله جلّ وعلا: «ألا إنّ الّذين يمارون...» تنبيه على إلحاح الكافرين على إنكار السّاعة بـالجدال النّاشئ عن خطائهم طريق الحياة الّتي إصابتها أهمّ مايتصوّر للإنسان، فـتوهّموهـا حياة مقطوعة فانـية، إنكبّوا فيها على شهـوات الدّنيا، وإنّما هي حياة خـالدة باقـيـة يجب عليهـم أن يتزوّدوا من دنـياهم لأُخـراهم لكنّـهم ضلّوا عن سبيل الرّشد، فوقعـوا في سبيل الغيّ، وفي الجملة حكم عليهم بـالضّلال البعيد عن الحقّ لايرجى زواله، حيث إنّ الممارات هي الجدال في الحقّ كأنّه باطل فيه مرية، ولـكي يستأصل فلاتـبقى لـه باقية. فالضّلال على نـوعين: **أحدهما** ـ الضّلال القريب وهو ضـلال القاصر حيـث يرجى بـوصول البيّنـة زواله. **ثانيها** ـ الضّلال البـعيد وهو ضلال المقصر بعد تمام الحجّة عليه، فلايرجى إذاً زواله.

وفي الجملة تقريع لـلكفّار بتقرير كونهم في مماراتهم وشكّهم في الآخرة موغلين في الضّلال والباطل، وتقبيح لطريقة منكري السّاعة.

١٩ ـ (الله لطيف بعباده يرزق من يشآء وهو القويّ العزيز)

مستـأنـف بيانـيّ سـيق لـلتنبـيـه إلى لطف الله تعـالى بعبـاده بصـنوف من الـبرّ والإحسان.

وقوله تعالى: «يرزق من يشآء» تخصـيص بعد الـتعميم، حيـث إنّ اللطيـف عامّ يشمل برّهم وفاجرهم من أنواع البرّ والإحسان، فيخصّ كلاً من عباده بنوع من البرّ

على ما اقتضته حكمته.

وقوله عزّوجلّ: «وهو القويّ العزيز» تنويه بصفتي القوّة والعزّة اللّتين يتّصف بهما، إشارة إلى أنّ لطفه تعالى مقرون بقهره وهو صاحب السّلطان المتصرّف في ملكه كما يشآء من دون مانع ولا حائل، ولا ينازعه أحد فيما يسوق من لطفه ورحمته إلى من يشآء من عباده... والظّاهر أنّ الكفّار كانوا يتبحّجون بما أوتوا من سعة عيش ورزق وقوّة وكثرة أموال وأولاد... ويرون في هذا دليلاً على حظوتهم عند الله تعالى، فأريد بالآية الكريمة وتاليها الرّدّ عليهم وتقرير حقيقة الأمر في أحوال النّاس الدّنيويّة، وكونها مظهراً من مظاهر ناموس الله في ملكوته.

٢٠ ـ (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان الفرق بين عمل العاملين بأنّ من عمل للآخرة وُفّقَ في عمله، وضُوعِفَتْ حسناته، ومن كان عمله للدّنيا اعطي شيئاً منها لا مايريده ويطمح إليه، ولم يكن له نصيب في الآخرة، وتفصيل لما أُجمل في الآية السّابقة لأنّها عامّة تشمل الفريقين: مريد الآخرة، ومريد الدّنيا، والمراد بالعباد مايعمّ أهل الدّنيا وأهل الآخرة، وكذا الرّزق، فهذه الآية بصدد تفصيل ما اجمل فيما قبلها.

وفيها تشبيه وتمثيل حيث شبّه الطّالب بعمله الآخرة بالزّارع في طلب النّفع لحرثه، وكذلك الطّالب بعمله نفع الدّنيا تنبيهاً إلى أنّ الّذين يبتغون الآخرة بإيمانهم وصالح أعمالهم يزيد الله حظّهم فيها، وأنّ الّذين يكتفون بحظّ الدّنيا ولا يحسبُون حساب الآخرة قدينالون منها مايشآء الله تعالى، ثمّ لايكون لهم في الآخرة حظّ ولا نصيب وما تيسّر لهم في الدّنيا حظّ لايغني عنهم شيئاً إذلم يبتغوا وجه الله، ولم يحسبوا حساب الآخرة بالإيمان وصالح الآخرة.

إنّ المراد بالحرث نتيجة الأعمال الّتي يؤتاها الإنسان في الآخرة على سبيل الإستعارة كأنّ الأعمال الصّالحة بذور وما تنتجه في الآخرة حرث، وفي التّعبير بارادة

الحرث إشارة إلى إشتراط العمل لمايريده من الدّنيا والآخرة، وقد أُبهمَ مايعطيه من الدّنيا إذ قال: «نوته منها» إشارة إلى أنّ الأمر إلى المشيّة الإلهيّة، فربّما بسطت الرّزق وربّما قدرت.

وقوله تعالى: «نزدله ـ ونوته منها» في الإلتفات من الغيبة إلى التكلّم مع الغير دلالة على العظمة الّتي يشعر بها قوله: «وهو القويّ العزيز».

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «من كان يريد حرث الآخرة...» الآية قال: «وهذه إستعارة والمراد بحرث الآخرة والدّنيا كدح الكادح لثواب الآجلة أو حطام العاجلة فهذا من التّشبيه العجيب والتّمثيل المصيب لأنّ الحارث المزدرع إنّما يتوقّع عاقبة حرثه، فيجنى ثمرة غراسه ويفوز بعوآئد إزدراعه وقيل: معنى: «نزدله في حرثه» أي نعطيه بالحسنة عشراً إلى ماشئنا من الزّيادة على ذلك، ومن عمل للدّنيا دون الآخرة أعطيناه نصيباً من الدّنيا دون الآخرة».

إن تسئل: كان الوجه أن يقال: «ومن يرد حرث الدّنيا نوته منه» لا منها؟

تجيب عنه: إنّما يصحّ تأنيث الضّمير لأنّ لفظة «حرث» في معرض الحذف، ويصحّ حلول مابعدها محلّها، فيكون الضّمير عائداً على الجزء الثّاني وهو «الدّنيا» فكأنّه قال: «من كان يريد الدّنيا نوته منها» كما في قوله تعالى: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» الأعراف: ٥٦) أي إنّ الله قريب...

٢١ ـ (أم لهم شركآؤا شرعوا لهم من الدّين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإنّ الظّالمين لهم عذاب أليم)

تساؤل إستنكاريّ عمّا إذا كان للمشركين شركآء شرعوا لهم ديناً لم يشرعه الله تعالى ولم يأذن به، ولقد كان المشركون يزعمون أنّ ما لهم عليه متّصل بما شرعه الله، وأنّ الله راضٍ عنهم، بل اتّبعوا ماشرع لهم شياطينهم من الجنّ والإنس، فحرموا عليهم ماحرموا من البحيرة والسّآئبة والوصيلة... وحلّلوا لهم أكل الميتة والدّم والقمار والشّراب والغنآء... وما إليها من الضّلالات والجهالات الّتي كانوا قد

اخترعوها في الجاهليّة، فالاستفهام تقريعيّ وتوبيخيّ وتقريريّ لبيان أحوال الضّلال أي بل ألهم شركآء من شياطين الجنّ والإنس، فهو إضراب عن موقف المشركين من قوله عزّوجلّ: «شرع لكم من الدّين...».

ودعوة لهم إلى الإيمان بهذا الدّين الّذي شرعه الله لهم، وإذهم أبوا أن يستجيبوا لهذه الدّعوة فقد أضرب الله تعالى عن دعوتهم إلى هذا الدّين شرعه لهم، ثمّ كشف تعالى عن العلة الّتي تمسك بهم عن الإستجابة لهذه الدّعوة، وهي أنّهم على شريعة شرعها لهم رؤسآؤهم وسادتهم وهي شريعة باطلة من مبتدعات أهوآءهم، ونضيح ضلالاتهم، لم يأذن بها الله سبحانه، ولم يرسل بها رسولاً من عنده، وفي إطلاق الشّركآء على قادة الشّرك ، ودعاة الضّلال وزعمآء الباطل إشارة إلى أنّهم يدينون بهذه الشّريعة الباطلة، ويسبحون في ضلالهم مع أتباعهم... فهم جميعاً ـ أتباعاً ومتبوعين ـ على حدّ سوآء في هذا الضّلال.

قوله تعالى: «ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم» تعليل لتأخّر هذا العذاب بالحكمة الرّبّانيّة الّتي اقتضت تأجيل الفصل بين النّاس إلى يوم القيامة، فأخّر عنهم العذاب إمّا برحمته لعلّهم يرجعون، وإمّا بإستدراجهم فيذرهم في طغيانهم يعمهون، مع مافيه من إكبار لجرمهم وطغيانهم، وكفرهم وعصيانهم...

وقوله عزّوجلّ: «وإنّ الظّالمين لهم عذاب أليم» إنذار للظّالمين المنحرفين عن حدود الله تعالى المتمرّدين على عبادته وحده بالعذاب الأليم على مابداهم من الجرأة والزّعم، وفيه إشارة إلى أنّهم لايفوتونه جلّ وعلا فإن لم يقض بينهم عاجلاً ولم يعذّبهم في الحياة الدّنيا، فلهم في الآخرة عذاب أليم، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم مالايخفى على القارئ الخبير، ففيه وعيدلهم على ظلمهم.

٢٢ ـ (ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير)

مستأنف سيق لبيان أحوال أهل الدّنيا وعبيد شهواتها، وتصوير صورة لما سوف يكون من أمرهم يوم القيامة حيث يستولى عليهم الخوف والفزع من نتآئج تمرّدهم وسوء أعمالهم الّتي هي واقعة عليهم حتماً، وتقرير لأحوال أهل الآخرة ومشتريها في حين يكون الّذين آمنوا بالله وحده وقدموا صالح الأعمال منعمين في روضات الجنّات يتمتّعون بما يشآؤن، وقد قدّم الطّائفة الاولى على الثّانية لتقدّم الخوف على الرّجآء والإنذار على الإرشاد والتّخلية على التّحلية، مع أنّ الآية الكريمة تحتوي تنديداً ورداً وإنذاراً وإستطراداً إلى ذكر المؤمنين الصّالحين ومصيرهم بالمقابلة جرياً على الاسلوب القرآني. وإن الخطاب وإن كان موجهاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعنوان أنّه سامع، ولكنّه عام يشمل لكلّ سامع في كلّ ظرف، ومن غير بعيد أن يكون الخطاب خاصّاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعنوان أنّه شاهد يوم القيامة على ذلك.

قوله تعالى: «وهو واقع بهم» الضّمير: «هو» راجع إلى العذاب الّذي سبق ذكره في الآية السّابقة: «لهم عذاب أليم» وفي عدم ذكره وإشارة إليه بضميره إيمآء إلى أنّه شيء مهول، وأنّ مارأوه منه ليس إلّا إشارة دالّة عليه، أمّا ماغاب عن أعينهم منه فهو الّذي سيعرفونه حين يلقونه ويعيشون فيه، وهو ممّا لا يحدّه وصف من هول وبلآء.

وقوله عزّوجلّ: «والّذين آمنوا...» بيان لما يلقى الّذين آمنوا وعلموا الصّالحات في هذا اليوم من نعيم في روضات الجنّات الّتي عرضها السّموات والأرض.
وقوله سبحانه: «لهم مايشآؤن...» تنويه بهذا المصير السّعيد الّذي هو فضل عظيم للمؤمنين عند الله عزّوجلّ.

وقوله تعالى: «ذلك هو الفضل الكبير» إشارة إلى ماذكر من حال المؤمنين، وماينالون من عطآء ربّهم، ومايتلقّون من فضله وإحسانه، فذلك هو الفضل الكبير حقّاً الّذي يعدل القليل منه كلّ مافي الدّنيا من مال ومتاع وجاه... والله ذوالفضل العظيم. ومعنى البُعد فيها للإيذان ببعد منزلة المشار إليه.

فالآية الكريمة بصدد انتقال هؤلآء المشركين المستكبرين، والمجرمين الظّالمين عبيد الدّنيا وشهواتها من موقفهم من هذه الدّنيا إلى يوم القيامة حيث يرون العذاب، فيقع في نفوسهم أنّهم صآئرون إليه، وأنّ ما انذروا به في الدّنيا قدوقع، فقد كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب والجزآء، وهاهوذا يوم البعث ومن ورائه العذاب المرصود لهم.

٢٣ ـ (ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً إنّ الله غفور شكور)

تبشير للمؤمنين الصّالحين، وتنبيه على أنّ ماذكر في الآية السّابقة من المصير السّعيد هو الّذي يبشّر الله به عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، وأمر لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يقول لكلّ سامع من المكلّفين في كلّ ظرف: إنّي لا أسئلكم أجراً في رسالتي إلّا المودّة في القربى الّتي هي ذريعة إلى إرجاع النّاس إليهم فيما كان لهم من المرجعيّة العلميّة الدّينيّة، فالمودة المفروضة على كونها أجراً للرّسالة لم تكن أمراً وراء الدّعوة الدّينيّة من حيث بقآئها ودوامها، فالآية الكريمة في مؤدّاها لا تغاير مؤدّى سآئر الآيات النّافية لسؤال الأجر: «قل لا أسئلكم عليه أجراً» الأنعام: ٩٠)...

إنّ كلمة «ذلك» تبدو بمثابة الرّابطة بين هذه الآية الكريمة وما قبلها، وفي الآية أمر مؤكّد للأوامر السّابقة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلان قومه بأنّه لا يطلب منهم على مهمّته نفعاً ولا أجراً إلّا المودّة في القربى، وفيها حثّ على الإستجابة إلى الله وترغيب في عمل الصّالحات وتبشير بصفات الله الغفور الشّكور. وفي إضافة العباد: «عباده» تشريفيّة.

قوله تعالى: «إلّا المودّة في القربى» فيه مجاز مرسل علاقة المحلّيّة مبالغة كأنّه قال: إلّا المودّة الثّابتة المستقرّة في القربى. ولذلك لم يقل: إلّا مودّة القربى أو إلّا المودّة للقربى. فقد جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها كقولك: لي في آل فلان مودّة. ولي

فيهم هوى شديد. تريد: احبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه. والمعنى: إنّي لا أسئلكم أجراً في رسالتي أيّها المسلمون ولكن أسئلكم المودّة لأهل بيتي أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم فإنّهم وسيلة لتقرّبكم إلى الله جلّ وعلا إذ قال: «وابتغوا إليه الوسيلة» المآئدة: ٣٥).

في الكشّاف: قال الزمخشري: «فان قلت: هلاّ قيل: إلاّ مودّة القربى أو إلاّ المودّة للقربى؟ وما معنى قوله: إلاّ المودّة في القربي؟

قلت: جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحبّ شديد تريد أُحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه. قال: وليست «في» بصلة للمودّة كاللام إذا قلت: إلاّ المودّة للقربى. إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظّرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره إلاّ المودّة ثابتة في القربى ومتمكّنة فيها» إنتهى.

في قوله عزّوجلّ: «ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» تقرير بأنّ الّذي يفعل الحسنة يزادله فيها، ويضاعف أجره لأنّ الله غفور شكور يعامل عباده الصّالحين بالمغفرة والتّقدير. وفيه تقرير لقابليّة النّاس على الإختيار وجزآؤهم على إختيارهم أيضاً.

ودعوة المخالفين المعاندين الّذين يقفون الموقف العدآئي من أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأخذوا جانب المودّة الّتي يدعوهم إليها، وأن يتقبلوا منه هذه المودّة الّتي يؤثرهم بها، فمن إستجاب من المخالفين المعاندين لهذه الدّعوة وآثر الإحسان على الإسآءة، والمودّة على العداوة، والإخلاص على النّفاق... فإنّه سيلقى جزآء إحسانه إحساناً مضاعفاً من الله جلّ وعلا.

وفي إستعمال هذا الفعل: «يقترف» في مقام الإحسان على أنّه يستعمل غالباً في مجال الشّرّ والمسآءة: «إنّ الّذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون» الأنعام: ١١٣) في هذا إشارة إلى أنّ اليد الّتي تعمل السّوء تستطيع أن تفعل الإحسان، وأنّ الإنسان الّذي يسلك طريق العداوة والإيذآء هو نفسه يمكن أن يسلك طريق المودّة والإكرام، وإذن فانّه لاحجاز بين المعاندين المخالفين وبين المودّة، وأنّهم إذا

كانوا يلبسون ردآء العداوة والبغض الآن، فإنّهم يستطيعون أن ينزعوا هذا الثوب العنيد وأن يتزيّوا بزيّ المودّة، وهذا مايشير إليه التّعقيب على هذا بقوله جلّ وعلا: «إنّ الله غفور شكور».

فهذه المغفرة الواسعة الإلهيّة مبسوطة لمن يجيئون إليها، تائبين من عنادهم ولجاجهم، متبرّئين من ضلالهم وبغضهم وحميتهم الجاهليّة، حيث تشملهم الرّحمة والمغفرة، وحيث يشكر الله لهم ما صنعوا بأنفسهم من إحسان... «إنّ الله غفور شكور» إلتفات من التكلّم إلى الغيبة إشارة إلى علّة الإتصاف بالمغفرة والشّكر، وإنّه ليس أخسر صفقة ولا أضلّ سبيلاً ممّن يرى ـ وهو المذنب الغارق في كبآئر الذنوب ـ يد المغفرة مبسوطة له، ويد الإحسان ممدودة إليه، ثمّ يجمد حيث هو، متلطخاً بآثامه، غارقاً في عناده وعداوته، وفي ضلالته ولجاجته...

٢٤ ـ (أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشآء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته إنّه عليم بذات الصّدور)

استفهام توبيخيّ متوجّه إلى المخالفين المعاندين ومرضى القلوب على مقالتهم في مودة القربى، وتساؤل إستنكاريّ عما كان هؤلآء الأعدآء يقولون: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يفتري على الله الكذب في مودّة القربى، وردّ مفحم على ذلك بأنّ الله تعالى قادر لو كان قولهم صحيحاً على أن يختم على قلب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ويطمس على بصيرته، ويمحو الباطل المفترى عليه ويحقّ الحقّ، فإنّه العليم بما في الصّدور المحيط بكلّ شيء القادر على كلّ شيء.

وإضراب عن موقف المخالفين المعاندين الّذين دُعوا إلى أن يخرجوا من موقفهم العدآئي لأهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المحاسنة والموادّة الّتي لولاها لمّا تمّت الرّسالة والدّعوة المحمّديّة: «وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» المآئدة: ٦٧) لأنّ مودة القربى ذريعة للنّاس إلى معرفة الله والعمل بشريعته بعد رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن هؤلآء الأعداء أبوا أن يستجيبوا لهذه الدّعوة، فهاهم اولآء ماضون في

كيدهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعدوانهم عليه وعلى أهل بيته المعصومين عليهم السّلام، وإتّهامهم له بالكذب في هذه الدّعوة: «أم يقولون افترى على الله كذباً».

فهذا هو كلّ ما استقبلوا به الدّعوة الكريمة إلى المودّة في القربى، إنّه إتّهام صريح للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه كاذب افترى هذا القرآن الّذي يدعوهم إليه بدعوة الله إيّاهم إلى المودة في القربى الّتي بها إكمال الدّين وإتمام النّعمة وتبليغ الرّسالة.

وقوله تعالى: «فإن يشآء الله يختم على قلبك» تهديد لهؤلآء المخالفين المعاندين بقبض هذه اليد الممدودة لهم بالهدى ورفع هذه المائدة المبسوطة لهم بالخير، وسلب هذه النّعمة الشّاملة لهم بالمودّة في القربى، وإذا هذه القرآن الكريم الّذي نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد ختم عليه في قلبه صلّى الله عليه وآله وسلّم فاحتواه كلّه وغربت شمسه فيه، فلم يخرج منه شيء لهؤلآء المخالفين المبغضين، بل يتركون، وما هم فيه من ضلال وعناد، ومن ظلام ولجاج... وهذا مايشير إليه في قوله تعالى: «لئن شئنا لنذهبنّ بالّذي أوحينا إليك ثمّ لاتجد لك به علينا وكيلاً إلّا رحمة من ربّك إنّ فضله كان عليك كبيراً» الاسراء:٨٦-٨٧).

والله تعالى قادر على أن يمحو هذا الباطل المجسد في هؤلآء المخالفين المنافقين، ويقطع دابرهم فلاترى منهم أحداً فبكلمة من كلمات الله يمحو جلّ وعلا هذا الباطل، ويقضي على أهله، ويحقّ الحقّ ويثبّت دعآئمه... فالمشيّة هنا: «فإن يشأيختم على قلبك» مشيئة لاتقع، لأنّها معلّقة بشرط لايقع، فانّ الله سبحانه لم يشأ أن يختم هذا الختم على قلب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهذا مثل قوله عزّوجلّ: «ولئن شئنا لنذهبنّ بالّذي أوحينا إليك».

وقوله عزّوجلّ: «فإن يشاء الله...» كناية عن إرجاع الأمر إلى مشيّة الله سبحانه، وتنزيه لساحة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتي بشيئٍ من عنده، فالدّعوة إلى المودّة في القربى كنفس الدّعوة إلى اصول الشّريعة وفروعها منزلة من عندالله جلّ وعلا. والمعنى: أنّك لست مفترياً على الله كذباً، فإنّه ليس لك من

الأمر شيء حتّى تشآء الفرية، فتأتي بها، وإنّما هو وحي من الله عزّوجلّ من غير أن يكون لك فيه صنع، والأمر إلى مشيّته تعالى، فإن يشآء يختم على قلبك، وسدّ باب الوحي إليك، لكنّه شآء أن يوحي إليك، ويبيّن الحقّ، وقد جرت سنّته أن يمحو الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته...

فيه زيادة استبعاد الإفترآء من مثله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنكار له على أتمّ وجه، وتعريض بأنّهم هم المفترون، وأنّهم في نسبة الإفترآء إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم مفترون. وشبيه بالآية الكريمة قول أمين نسب إلى الخيانة: لعلّ الله خذلني، لعلّ الله أعمى بصيرتي. لا يريد بمقاله إثبات الخذلان، وعمى القلب، بل يريد استبعاد الخيانة من مثله.

وقوله عزّوجلّ: «ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ...» مستأنف غير داخل في جزآء الشّرط لأنّه تعالى يمحو الباطل مطلقاً وقد سقطت الواو لفظاً لإلتقآء السّاكنين. والمعنى: أنّ من عادته عزّوجلّ ذلك فلو كان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مبطلاً لفضحه وكشف عن باطله. ومن المحتمل أن يكون هذا وعداً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه يمحو الباطل الّذي هم عليه من البهت والتّكذيب على سئوالك إيّاهم المودّة في القربى، فيظهر الحقّ الّذي أنت وأهل بيتك المعصومون عليهم السّلام عليه. كقوله تعالى: «والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدى القوم الكافرين» المآئدة: ٦٧).

وفي إيثار المضارع: «يمحو ـ يحقّ» دلالة على الإستمرار، فمحو الباطل وإحقاق الحقّ بالكلمات سنّة جارية له جلّ وعلا. وفيه إشعار بوعد النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّصر والغلبة.

وقوله جلّ وعلا: «إنّه عليم بذات الصّدور» تعليل لقوله: «ويمح الله الباطل...» أي إنّه تعالى يمحو الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته لأنّه عليم بالقلوب، وما انطوت عليه الضّمآئر، فيعلم ما تستدعيه من هدى أوضلال، أو من شرح أوختم بانزال الوحي وتوجيه الدّعوة.

وفي إعلان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما اوحي إليه به في الآية الكريمة يتجلّى فيه بصورة رآئعة إخلاص النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعمق شعوره بصدق صلته بالوحي الرّبّانيّ، واستشعاره هيبة الله جلّ وعلا وإنتفآء أيّ إحتمال لنسبة شيءٍ ما إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن قد اوحي إليه به ومن شأن ذلك أن يفحم كلّ مكابر متعنّت.

٢٥ ـ (وهو يقبل التّوبة عن عباده ويعفوا عن السّيّئات ويعلم ما تفعلون)

إنّ كلمة «هو» الّتي تبدو بها الآية الكريمة تدلّ على اتّصالها بما قبلها، والآية في مقام دعوة المخالفين المنافقين الّذين اتّهموا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإفترآء في الدّعوة إلى المودّة في القربى أن يعودوا إلى أنفسهم ويقيموها على طريق الحقّ والهدى، ويستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وعودة إلى هؤلآء المعاندين بعرض نور الولاية لأهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم أجمعين فإذا تابوا عمّا اتّهموا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتوجّهوا بتوبتهم إلى الله جلّ وعلا، واستمسكوا بالعروة الوثقى، فالله تعالى يعفو عمّا اتهموا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ففيه إمتنان عليهم بقبول توبتهم والعفو عن سيّئاتهم إذا تابوا ورجعوا إلى الله جلّ وعلا وآمنوا بما دعاهم إليه من المودة في القربى.

إنّ الله تعالى يقبل التّوبة إذا استوفت شروطها الثّلاثة إذا كانت المعصية بين العبد وربّه وهي: ١ـ الإقلاع عن المعصية حالاً. ٢ـ النّدامة على فعلها ماضياً من قول أو فعل أو إعتقاد. ٣ـ العزم على عدم العودة إليها أبداً. فإن كانت المعصية تتعلّق بحقّ آدميّ أضيف إليها شرط رابع وهو: ٤ـ أن يبرأ من حقّ صاحبها.

أفهؤلآء المنافقون الأعدآء تابوا حقّاً وآمنوا بما دعاهم الله جلّ وعلا من المودّة في القربي؟! فعلى مَن له طيب الولادة التدبّر جيّداً.

وقوله تعالى: «ويعفوا عن السّيّئات» مرتبطة بالجملة الّتي قبلها، ونتيجة لها، ومتضمّنة تقرير عفو الله عن سيّئات الّذين يتوبون إليه حقاً، ويرجعون عن عداوتهم

وعنادهم، عن ضلالهم ولجاجهم، وعن تصرّفاتهم وأعمالهم الآثمة ... وتشجيع ربّانيّ على التّوبة.

ولا يخفى أنّ العفو أبلغ من المغفرة لأنّ الغفران يشعر بالسّتر، والعفو يشعر بالمحو والإزالة. يقال: عفت الدّيار: إذا درست وذهبت آثارها، فالمحو أبلغ من السّتر.

وقوله تعالى: «ويعلم ماتفعلون» تخضيض لهؤلآء المعاندين المنافقين على التّوبة عمّا اتّهموا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإفتراء على الله سبحانه في الدّعوة إلى المودة في القربى، وتهديد لهم، وتحذير عن بقآئهم على ظلمات العناد واللجاج والعداوة لأهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم أجمعين، وترك المودّة في القربى، وحثت لهم على لزوم الحذر منه تعالى والإخلاص له وإمحاض التّوبة.

٢٦ - (ويستجيب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد)

إعلان بكون باب الله تعالى مفتوحاً للّذين يدعوهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى المودّة في القربى إذا استجابوا له وتابوا عمّا اتّهموه بالإفتراء وآمنوا وعملوا الصّالحات... فإنّ الله جلّ وعلا يقبل توبة من أخلصها ومحّضها، ويعفو عن السّيّئات، فيستجيب لهم إذا دعوه وأعطاهم ماسئلوه وزادهم على ماطلبوه لأنّهم اتّخذوا المودّة في القربى ذريعة في تقرّبهم إلى الله جلّ وعلا إذ أمرهم بذلك في قوله: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون» المآئدة: ٣٥).

فإذا استجابوا لله تعالى فيما دعاهم إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يستجيب الله لهم فيما يدعونه، فإستجابة الدّعآء هنا تختصّ بالمؤمنين الّذي استجابوا لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله تعالى: «والكافرون لهم عذاب شديد» إخبار عمّا يستحقّه الكافرون على كفرهم من العقاب المؤلم الشّديد، فإنّهم لم يستجيبوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

فيما دعاهم إليه، فلا يستجيبهم الله فيما يدعونه: «وما دعآء الكافرين إلاّ في ضلال» الرّعد: ١٤) ولهم عذاب شديد.

٢٧ - (ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشآء إنّه بعباده خبير بصير)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان أنّ بسط الرّزق إطلاقاً مفسدة للخلق، تنبيهاً على طبيعة من طبائع النّاس بصورة عامّة، وهي ميلهم إلى البغي والطّغيان، إلى الظّلم والعدوان، وإلى البطر والعصيان إذا ما بسط الله لهم الرّزق و وسع عليهم أسبابه...

إن تسئل: إنّ البغي حاصل بالفعل، فكيف يصحّ إنتفآؤه بمقتضي «لو» الإمتناعيّة؟

تجيب عنه: انّ المراد بالنّفي جميع النّاس كما جعل الملزوم المنتفي أيضاً البسط للجميع بدليل الواو الّتي تقتضي مطلق الجمع.

إن تسئل: نحن قدنرى النّاس يبغي بعضهم على بعض، ومنهم مبسوط لهم، ومنهم مُقبوض عنهم، فإن كان المبسوط لهم يبغون فِلمَ بسط لهم، وإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه؟

تجيب عنه: لاريب في أنّ البغي مع الفقر أقلّ، ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه، فلوعمّ البسط لغلب البغي حتّى ينقلب الأمر إلى عكس ماعليه الآن.

إن تسئل: نحن نرى كثيراً ممّن يوسّع عليه الرّزق يبغى في الأرض كما قال تعالى: «كلاّ إنّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق:٦-٧)؟

تجيب عنه: أنّا إذا علمنا على الجملة أنّه تعالى يدبّر امور عباده بحسب مايعلم من مصالحهم، فلعلّ هؤلآء كان يستوي حالهم في البغي وسّع عليهم أولم يوسّع أو لعلّهم لولم يوسّع عليهم لكانوا أسوأ حالاً في البغي فلذلك وسّع عليهم والله أعلم بتفاصيل أحوالهم...

وقوله تعالى: «ولكن ينزّل بقدر مايشآء» تقرير بأنّ حكمته اقتضت من أجل

ذلك أن تكون أرزاقهم بأقدار معيّنة وفقاً لما يعرفه عن أحوالهم وأخلاقهم... وفي الجملة بيان للسّنّة الإلهيّة في إيتآء الرّزق بالنّظر إلى صلاح حال النّاس أي إنّ لصلاح حالهم أثراً في تقدير أرزاقهم، ولا ينا في ذلك مانشاهد من طغيان بعض المثرين ونمآء رزقهم على ذلك، فإنّ هناك سنّة أُخرى حاكمة على هذه السّنّة وهي سنّة الإبتلآء والإمتحان: «إنّا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً» الكهف: ٧) وسنّة أُخرى وهي سنّة المكر والإستدراج: «والّذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم إنّ كيدى متين» الأعراف: ١٨٢-١٨٣) فسنّة الإصلاح بتقدير الرّزق سنّة إبتدائيّة يصلح بها حال الإنسان إلّا أن يمتحنه الله تعالى كما قال: «وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحّص ما في قلوبكم» آل عمران: ١٥٤) أو يغيّر النّعمة ويكفر بها، فيغيّر الله في حقّه سنّته، فيعطيه مايطغيه قال تعالى: «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم» الرّعد: ١١).

وقوله عزّوجلّ: «إنّه بعباده خبير بصير» تعليل لعدم بسط الرّزق لجميع العباد وللبسط والقدر أسرار خفيّة لا يعلمها إلّا الله جلّ وعلا، وفي وضع الظّاهر: «عباد» موضع الضّمير: «هم» إشارة إلى بيان كونه تعالى خبيراً بصيراً بهم، وذلك أنّهم عباده المخلوقون له، القآئمون به، فلا يكونون محجوبين عنه، ولا مجهولين له، وكذا قوله السّابق: «لعباده» لا يخلو من إشارة إلى بيان ايتآء الرّزق، وذلك أنّهم عباده ورزق العبد على مولاه.

٢٨ - (وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد)

إنتقال من حديث الرّزق إلى آيات التّوحيد الّتي لها تعلّق ما بالأرزاق، ويتلوها في هذا المعنى آيات... وتذييل الآية الكريمة بالإسمين: «الوليّ الحميد» هما من أسمآئه تعالى الحسنى للثّناء عليه في فعله الجميل، وتنبيه على أنّ الله جلّ وعلا هو الّذي ينزل المطر بعد ما يكون النّاس قديئسوا وانقطعت آمالهم، فتنتشر مشاهد رحمته في الأرض، فهو وليّهم الّذي يبرّهم ويرعاهم، ويتولى شؤونهم، وهو وحده المستحقّ

للحمد على ما أنعم عليهم وما أفاضهم من خير.

من البلاغة: صحّة التّفسير في قوله عزّوجلّ: «وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا...» الآية فنّ صحّة التّفسير وهو أن يأتي المتكلّم في أوّل كلامه بمعنى لايستقل الفهم بمعرفة فحواه إمّا أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل، وإمّا موجهاً يفتقر إلى توجيه، أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلّا بتفسيره وتبيينه، و وقوع التّفسير يأتي في الكلام على أنحآءٍ: تارة يأتي بعد الشّرط أو بعد مافيه معنى الشّرط، وطوراً بعد الجار والمجرور كما في هذه الآية الكريمة، وقد جآئت صحّة التّفسير فيها مؤذنة بمجيئ الرّجآء بعد اليأس، والفرج بعد الشّدّة، والمسرّة بعد الحزن ليكون ذلك أحلى موقعاً في القلوب.

وفي تلخيص البيان: في قوله تعالى: «وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد» قال السّيّدالرّضي رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة، وليس المراد أنّه هناك كانت رحمة مطويّة فنشرت وخفيّة فأظهرت، وإنّما معنى الرّحمة ههنا الغيث المنزل لإحيآء الأرض وإخراج النّبت ونشره عبارة عن إظهار النّفع به، وتعريف الخلق عواقب المصالح بوقعه» انتهى.

٢٩ ـ (ومن آياته خلق السّموات والأرض وما بثّ فيها من دابّة وهو على جمعهم إذا يشآء قدير)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير بعض آثار وحدانيّة الله وعظمته، ومشاهد قدرته وتدبيره وعلمه وحكمته... في غير إنزال الغيث بأنّ الله جلّ وعلا خلق السّموات والأرض، وخلق مابثّ ونشر فيهما من أنواع الدّوابّ والحيوان ... وهو تعالى بطبيعة الحال قادر على جمع هذه المخلوقات المنتشرة في عوالم الوجود في السّموات وفي الأرض إذا شآء جمعهم جميعاً من أقطار السّموات والأرض لأنّه تعالى هو الّذي خلقهم في البدء من دون تعذّر، فلايتعذّر عليه الجمع والتّفريق...

في الآية الكريمة دلالة على أنّ في العوالم الأُخرى ـ غير عالم الأرض ـ مخلوقات حيّة

عقلاء على صور وأشكـال... «ويخلق مالا تعـلمون» النّحل: ٨) «سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّـا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لاتعلمون» يس: ٣٦) وأنّها تموت وتحيى وتبعث... وهي في سلطان الله جلّ وعلا... يبسطها ويقبضها، ويميتها ويحييها... وليس ما على هذه الأرض من صور الحياة إلّا صورة من صور لاحصر لها من صور الحياة في هذا الوجود العظيم، وهذا يشمل الملآئكة والإنس الجن وسآئر الحيوان على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأنواعهم... في السّموات والأرض من العقلآء وغيرهم... ويؤيّد ذلك قوله عزّوجلّ: «ما من دابّة في الأرض» الأنعام: ٣٨) وذلك أنّ تقييده بالأرض يدلّ على وجود الدّابّة في غير الأرض من حيث المفهوم.

قال بعض البيانيين: إن تسئل: لِمَ قال الله عزّوجلّ: «فيهما من دابّة...» والدّابّة لاتكون إلّا في الأرض؟

تجيب عنه بأجوبة: **أحدها** ـ لا يبعد أنّ الله تعالى خلق في السّموات من يدبّ كما يدبّ أحدنا على الأرض، ويعيش فيها كما نعيش نحن فيها، وسيكشف لنا العلم كثيراً ممّا خفي علينا، سبحان الّذي خلق مانعلم ومالا نعلم من أصناف الخلق.

ثانيها ـ أنّ الشّيء قد ينسب إلى جميع المذكور وإن كان متلبّساً ببعضه كما يقال: بنو فلان فعلوا كذا ولم يفعله إلّا واحد منهم فقط، فنسب الشّيء إلى الكلّ، وقد اريد به البعض. فمعنى «فيهما» «فيها» باعتبار إطلاق لفظ التّثنية على المفرد كما في قوله تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الرّحمن: ٢٢) وإنّما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب . ولم يقل: «كلّ واحدة منهما» ـ بالتّأنيث ـ مع أن كلاً منهما مؤنّث سماعيّ لأنّه أراد النّوع أو الفرد، فما يختصّ بأحد الشّيئين المتجاورين يصحّ نسبته إليهما. فالمراد بثّ ما في الأرض دون السّمآء. والتّقدير: وما بثّ في أحدهما فحذف المضاف.

ثالثها ـ أن يكون للملآئكة مشي مع طيرانها، فهم مبثوثون في السّموات، فيوصفون بالدّبيب كما يوصف به الإنسان. قيل: يدفعه أنّ إطلاق الدّابة على الملائكة غير معهود وفيه تأمّل ونظر.

رابعها ـ أن تكون إشارة إلى أنّ جميع مافي العالم الجسماني سيعود في حركاتها الذّاتيّة الطبيعيّة والإستحالات الجوهريّة والعرضيّة إلى عالم الأمر العقلى، والمقام الواحد الجمعي وإطلاق الدّابّة على مافي السّمآء من الكواكب وغيرها، وعلى مافي الأرض من المعادن والنّباتات وغيرها لأجل أنّها حيوانات سماويّة أو أرضيّة دائمة الدؤب والسعي إلى الله إذ ما من جوهر جسمانيّ ذي طبيعة فلكية أو عنصرية إلاّ وله حركة رجوعيّة ذاتيّة إلى الله تعالى كما قال: «يوم تمور السّماء موراً وتسير الجبال سيراً» الطور: ٩ـ١٠) فالسّمآء والسّمآوي كالأرض والأرضي في هذه الحركة الذّاتيّة.

وقوله تعالى: «وهو على جمعهم...» للحشر في الضّمير تغليب العاقل على غيره، وقد عبّر بالجمع لمقابلته البثّ الّذي هو التّفريق.

٣٠ ـ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)

خطاب خاص بالّذين تصدر عنهم المعاصي والفواحش والآثام صغيرها أو كبيرها، سواء كانوا مسلمين أم كافرين، فلايشمل الأنبيآء والمرسلين والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ولا غير المكلّفين من المجانين والصّبيان... من رأس فعدم شمول الآية الكريمة لهم من باب التّخصّص دون التّخصيص إذ لامعصية من المعصومين ولا مصيبة من حيث هي بالنّسبة إليهم حيث إنّ البلآء للولاء، والحكم في الآية الكريمة معلّق على عنوان المصيبة، والمصيبة من «أصاب» سمّيت بها لأنّها تصيب قلب صاحبها، والمعصومون لاتصيب البلايا قلوبهم، ولا تؤثّر في مقام أفئدتهم، وإهتمامهم واغتمامهم في الموارد من باب الآداب الصّوريّة ورعاية الظّواهر، والتّعليم لغيرهم، والمعصومون يحمدون الله تعالى على بلاياه ومصآئبه كما يشكرونه على نعمآئه، وفي الأدعية المأثورة عن أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «نحمدك على بلاءك كما نشكرك على نعمآءك».

وأمّا غير المكلّفين فلزيادة الأجر لهم إذ لامعصية لهم.

والمراد بما كسبته الأيدي: المعاصي والسّيّئات دون مطلق الأعمال...

والمراد بالمصآئب الّتي تصيبهم هي عـامّة شاملة كالمرض والمـوت فجأة والتّصادم والقحط والغلآء والوبآء والصّواعق والـزلازل وما إليها من النّوآئب والوقائع المولمة... الّتي هي مـن آثـار الأعمال في الحـيـاة الدّنيـا لما بين الأعمـال وبـينها من الإرتـبـاط والتّداعي دون جزآء الأعمال...

وفي الآية الكـريمة تـقرير لعامّـة النّاس أنّ لهم إرادة عاملة، ولهم كسباً هـو ثمرة هذه الإرادة وهم بهـذه الإرادة والإختيار يحسنون ويسيـئون، ويستقـيمون على طريق الحق والهدى، ويركبون طرق الضّلال والشّقآء.. فما كان منهم من إحسان، قابلهم معه إحسان من الله تعالى إليهم، وما كان منهم من إسآءة ردّت إليهم.

قال الإمام عليه السّلام: «إنّما هي اعمالـكم تردّ إليكـم» وهذا مايشير إليه قـوله عزّوجـلّ: «مـا أصابـك مـن حسـنة فمـن الله ومـا أصابـك مـن سـيّـئة فـمـن نـفسك» النّسآء: ٧٩) وأمّا قوله تعالى: «وإن تصبهـم حسنة يقولوا هذه مـن عند الله وإن تصبهم سيّـئة يقولـوا هذه من عندك قل كلّ من عندالله» النّسآء: ٧٨) فهذا ردّ على الكافرين وأذنابهم الّذين كـانوا يتطيّرون بـرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولهذا جآء قوله جلّ وعـلا بعد ذلك: «ما أصابـك من حسنة فمن الله ومااصابـك من سيّـئة فمن نفسك» ليروا في هذا أنّ ما أصابهم مـن سوء لم يكن من رسول الله صلّـى الله عليه وآله وسلّم وأنّ ما أصابهم أو يصيبهـم من سوء هو من عـند أنفسهم بمـا كسبت أيديهم، ومن عند الله تعالى لترتيب الأثر عليها كالموت المترتب على السّاقط من الشّاهق.

وفي الآية الكريمة دستور لغير المعصومين في أعـمالهم إذا تأمّلوا أقلعوا عما يرتكبون من المعاصـي والآثام، والـفـواحش والأجرام... وفـيه عـبرة لمن اذّكـر، وفيها تـنبيه بأسلـوب إلتفـاتـيّ إلى المخاطـبين السّـامعين في كلّ ظرف على أنّ مـايصيبهـم من مصآئب إنّما هو نـتيجة لمـاتكسبـه أيديهم، ومع ذلـك فانّهم لا يصابون إلّا بقـليل ممّا يستحقّون لأنّ الله تعالى يعاملهم بالعفو والتّجاوز عن الكثير.

وقوله عـزّوجلّ: «ويعـفـو عن كثير» إشـارة إلى أنّ الله تعالى يـعـفـو عن كـثير من السّـيّـئات، ويتـجاوز عن كـثير مـن الذّنوب، إذلـو أخذ جلّ وعـلا النّـاس بآثامـهم

لأهلكهم جميعاً كما يقول تعالى: «ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابّة ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى» فاطر: ٤٥).

وفي الآية الكريمة دلالة على أنّ الذّنوب والمعاصي المقتضية للعقاب والإنتقام لاتغلب العفو وإن كثرت بل هو غالبها، فكان عفوه تعالى أعلى من عقابه.

في الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما أفضل صلوات الله: «وأنت الّذي عفوه أعلى من عقابه...».

وفيه: قال الإمام عليه السّلام أيضاً: «ويا من عفوه أكثر من نقمته ويا من رضاه أوفر من سخطه».

وذلك أنّ تعلّق إرادة الله جلّ وعلا بايصال الرّحمة إلى عباده أكثر من تعلّقها بابصال العقوبة إليهم، فانّ الأوّل من مقتضيات صفته تعالى، والغضب بإعتبار المعصية، فالرّحمة ذاتيّة والغضب عرضيّ، فلولا المعصية والكفر لم يكن غضب، ولم يخلق جحيماً كما دلّ عليه قوله تعالى: «ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي» طه: ٨١).

وفي الآية دلالة بوضوح على أنّ الظّلم والعصيان، البؤس والطّغيان، والإثم والعدوان... وأنّ الضّعف والفشل والإنحطاط من الأنظمة الجائرة والحكّام الجابره والأوضاع الفاسدة ليست من صنع الله تعالى العادل من دون سبب من عباده ولا من شريعته الحنفية السمحة الّتي لا حرج ولا ضرر فيها.

فالآية الكريمة سيقت لبيان إرتباط المصائب بالمعاصي، وكون الذّنوب ذوات آثار دنيويّة سيّئة منها مايصيب الإنسان ولا يخطي، ومنها مايعفى عنه فلايصيب لأسباب صارفة وحِكَم مانعة كصلة الرّحم والصّدقة ودعآء المؤمن والتّوبة وما إليها ممّا وردت في الأخبار الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وأمّا جزآء الأعمال فالآية غير ناظرة إليه فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٣١ ـ (وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير)

تنبيه بأسلوب الإنذار للمخاطبين السّامعين في كلّ ظرف أيضاً على أنّهم ليسوا معجزي الله سبحانه وليسوا ناجين من عقابه، فلاينبغي لهم أن يغترّوا إذ يعفو عن كثير من الذّنوب، ولم يعجّل بجزاء أهلها عليها، فليس ذلك لمايكون للمجرمين من جاه ولا للمذنبين من سلطان، فسلطان الله جلّ وعلا فوق كلّ سلطان، وقوّته فوق كلّ قوّة، فهو تعالى محيط بهم، قادر عليهم، وليس لأحد منهم عاصم يعصمه من بأس الله تعالى، ولا نصير يحميهم، ويمنع عنهم غضبه، وبطشه أو يدفع عنهم عذابه في الدّنيا والآخرة.

وفي الآية الكريمة دعوة لكافّة النّاس إلى التّوحيد والعبادة لله وحده وترغيب فيما أُمِرُوا به، وترهيب عمّا نُهُوا عنه، و وجه الحجّة بذلك عليهم أنّه إذا كانوا لا يعجزون الله سبحانه، ولا يجدون دافعاً عن عقابه خفّ عليهم عمل كلّ شيء في جنب ما توعدوا به.

٣٢ـ (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام)

تقرير لمشهد آخر من مشاهد عظمة الله جلّ وعلا وقدرته وبسطة سلطانه، وعلى فضله وإحسانه على عباده، وذلك أنّ الله تعالى خلق البحر، وعدل فيها الرّيح بمايمكن أن تجري فيه السّفن كالجبال الشّاهقة والمدن العالية، على حسب المراد، فهي المعالم الوحيدة القائمة فوق المآء كما تقوم الجبال على اليابسة، فهذه السّفن تجري بقدرة الله تعالى بهذه الرّياح المسخّرة الّتي تجريها، وتدفعها فوق الماء.

«الجوار» جمع جارية كناية عن سفن البحر، سمّيت جارية لأنّها تجري في المآء، والجارية هي المرأة الشّابة، سميّت بذلك لأنّها يجرى فيها مآء الشّباب.

«الأعلام» جمع عَلَم كناية عن إرتفاع السّفن فوق سطح المآء كالجبال.

وفي الآية الكريمة تنبيه على ما في سير السّفن في البحار من آيات قدرة الله تعالى ونواميسه، فالسّفن البارزة على ظهر المآء كالجبال تجرى وفقاً لنواميس الكون الّتي قدرها الله جلّ وعلا.

٣٣ ـ ﴿إن يشأ يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور﴾

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أنّ تحرّك الرّيح فتجرى السّفن أو سكونها فتقف راكدة بمشيئة الله جلّ وعلا، فلوشآء لأمسك هذه الرّيح فسكنت، وسكن مع سكونها جريان السّفن، فتظل رواكد على سطح المآء لا تتحرّك ، وفي كلّ هذا آيات ربّانيّة جديرة بالتّمعّن لإثبات قدرة الله تعالى وإحاطته لا يقدرها قدرها إلّا الصّبّار الشّكور الثّابت على إيمانه، الصّابر على مايصيبه الشّاكر لله على فضله.

وقوله عزّوجلّ: «إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور» تقرير ربّانيّ بأنّ في هذه السّفن الجارية على المآء لآيات لا آية واحدة، لعبراً لا عبرة واحدة لا يدرك مغزاها ولا ينتفع بها إلّا كلّ صبّار ثابث على التّوحيد والإخلاص لله جلّ وعلا، كثير الصّبر، يجد من صبره مايُعينه على الوقوف الطويل، الدّارس، المتوسّم في آيات الله، فيرى في كلّ معلم من معالم هذا الوجود آيات من قدرة الله تعالى، وشواهد من إبداعه وحكمته وتدبيره... وهذا هو بعض السّرّ في جمع آيات... إذ لا يمكن أن يرى في هذه السّفن وجريها على المآء تلك الآيات منها إلّا الدّارس المتأمّل الّذي يعينه صبره على الوقوف الطّويل، والنّظر المتفحّص...

أمّا من ينظر نظراً عابراً في معالم هذا الوجود ونواميس الكون فإنّه لايرى إلّا صوراً وأشباحاً... إنّه نظر جامد، أشبه بالمرآة تظهر عليها صور الأشيآء، ثمّ لا تمسك منها بشيء، والله عزّوجلّ يقول في أصحاب هذا النّظر البارد الفاتر السّاهم: «وكأيّن من آية في السّموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون» يوسف:١٠٥).

وقوله تعالى: «صبّار» مبالغة في الصّبر أي يصبر في كلّ ماينبغي عليه الصّبر من الطّاعة والمعصية والإبتلاء والنّعمة.

وقوله عزّوجلّ: «شكور» مبالغة في الشّكر وهو المتوفر على أدآء الشّكر، الباذل وسعه فيه بالقلب واللّسان والجوارح في أكثر الأوقات والأحوال... وفيه إشارة أُخرى إلى أنّ هذه الآيات الّتي يراها المتأمّلون الدّارسون لا تكون آيات وشواهد إلّا إذا

صادفت قلباً مؤمناً، يردّ هذه الآيات الّتي تكشفت له، إلى قدرة الله وتدبيره وحكمته، فيفيض قلبه تسبيحاً بحمد الله وشكراً له... أمّا من يرى هذه الآيات بعين لا تكتحل بنور الإيمان فإنّ هذه الآيات لا تحيا في وجدانه، ولا تعيش في مشاهره، فلا ينفعل بها ولا يهتزلروعتها وجلالها الّذي يرى فيه المؤمنون جلال الله تعالى وروعة حكمته!

وفي ذلك تلويح إلى وجوب شكر المنعم على نعمه لأنّ شكر المنعم واجب على من أنعم عليه، و«صبّار شكور» كناية عن المؤمن على طريق المبالغة فإنّه بما هو مؤمن كثير الصّبر عند الضّرآء وكثير الشّكر لدى السّرّآء... وفي تخصيص هؤلآء بذلك لأنّهم المنتفعون بالآيات القرآنيّة ويعتبرونها.

وفي الآية الكريمة حثّ على الإيمان بالله جلّ وعلا والإتكال عليه، تنويه بالمؤمنين الصّابرين الشّاكرين، وما فيها هو كذلك مستمدّ من مشاهد النّاس ومما رساتهم...

٣٤ ـ (أو يوبقهنّ بما كسبوا ويعف عن كثير)

وعيد وتهديد لهم بالغرق والهلاك في البحر بسبب ماأوجدوه عن إختيار، والمعنى: أنّ هذه السّفن الّتي تجرى على سطح المآء في البحار لا ممسك لها إلّا الله تعالى، وأنّه لوشآء لأفلت زمامها من يد أصحابها بأن يرسل عليها ريحاً عاصفة، يضطرب لها البحر ويفور، فتغرق أو لا يستطيع أحد أن يمسك زمامها، ولا يدرى أحد أين وجهتها، وفي هذا هلاك لراكبيها بسبب ماكسبوا من السّيّئات...

وقوله تعالى: «بما كسبوا» إشارة إلى أنّ ما يحدث لهذه السّفن من غرق أوتيه إنّما هو بما كسب أصحابها من سيّئات كما قال عزّوجلّ: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم...»: ٣٠)

وقوله جلّ وعلا: «ويعفو عن كثير» وعدو إخبار من الله تعالى أنّه عزّوجلّ يعفو عن معاصيهم لا يعاجلهم بعقوبتها ليرعوا عمّا هم عليه من الشّرك والكفران، من

الإثم والعدوان، من الظّلم والطّغيان، ومن البغي والعصيان!

٣٥ـ (ويعلم الّذين يجادلون في آياتنا ماهم من محيص)

معطوف على علّة مقدرة مثل لينتقم منهم، ومن شأن الآية الكريمة أن تجعل المكابرين في آيات الله جلّ وعلا يتيقّنون أنّ قدرة الله محيطة بهم على كلّ حال، وأنّه ليس لهم ملجأ يلجئون إليه، ولا مفرّ ولا مفلت إذا وقفت السّفن أو إذا عصفت الرّيح أو أصابهم عذاب... فيصير ذلك سبباً لإعترافهم بأنّ النّافع الضّارّ ليس إلّا الله تعالى. وإيثار الفعل المضارع: «يعلم» بإعتبار تجدّد متعلّق العلم.

٣٦ـ (فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا وما عند الله خير وأبقى للّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلّون)

تفصيل لمّا سبق ذكره من الرّزق، وتقسيم له إلى ما عند النّاس من رزق الدّنيا الشّامل للموحّد والمشرك ، للمؤمن والكافر، للمخلص والمنافق، للمصلح والمفسد وللمطيع والمسيئ... وما عندالله جلّ وعلا من رزق الآخرة المختصّ بالمؤمنين، وفي ذلك تهوين من شأن الدّنيا، وتحقير لزينتها وما فيها من النّعيم الزّآئل، واستخفاف بمتاعها إلى جانب ما في الحياة الآخرة من جزآء كريم، ونعيم مقيم لا يفنى، ففي ذلك تزهيد في الدّنيا ومتاعها، وحثّ على عمل الآخرة ونعيمها، فالتّنبيه موجّه للسّامعين في كلّ ظرف بصيغة الجمع المخاطب على أنّ ما أوتوه في الدّنيا من وسآئل الرّزق وأسباب الحياة ليس إلّا متاعاً قصير الأمدلن يلبث أن يزول.

ومن المحتمل أن يكون ضمير الجمع المخاطب عائداً إلى الكفّار والمشركين، وأن تكون الآية بصدد الرّدّ على ما كانوا يتبجّحون به من تمتّعهم بأسباب الحياة وسعة الرّزق أكثر من المسلمين حيث ندّدت بإغترارهم وتبجّحهم وأنذرتهم بأنّ ماهم فيه ليس إلّا متاعاً قصير الأمد وطمأنت المؤمنين بأنّ ماهم عند الله تعالى هو خير وأبقى، وينطوي في هذا صور من صور ما كان بين المسلمين والكفّار.

وفي إضافة «متاع» إلى «الحياة» إشارة إلى انقطاعه وعدم ثباته ودوامه. والمعنى: فكلّ شيءٍ اعطيتموه ممّا عندكم متاع تتمتّعون به في أيّام قلآئل...

فقوله تعالى: «فما أو تيتم من شيءٍ فمتاع الحياة الدّنيا» هو حكم على هذه الحياة الدّنيّة الزآئلة بأنّ كلّ ماينال الإنسان منها من مال أوجاه أو سلطان... هو متاع أي زادلا يلبث أن ينفد أو ثوب لابدّ أن يبلى، فكلّ مافي الحياة الدّنيا إلى نفاد وزوال وإن كثر وعظم.

وقوله عزّوجلّ: «وماعندالله خير وأبقى» ترغيب في ثواب الآخرة وما عندالله من النّعيم المقيم. والمعنى: والّذي يبقى ولا ينفد هو ماتقبّله الله من أعمال صالحة حيث يكون ثوابها عند الله نعيماً لا يفنى ورزقاً لاينفد.

وقوله جلّ وعلا: «للّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون» بيان بأنّ نعيم الآخرة لا ينالها إلّا المؤمنون بالله تعالى، والمتوكّلون على الله، والمتّصفون بثمان صفات آتية... فاللام: «للّذين» للملك والإختصاص، فجملة وما يليها من قبيل تعليق الحكم على الوصف... وهو كأنّه جواب عن سئوال تقديره: لمن هذا الّذي عندالله من جزآء حسن؟ فقيل: للّذين آمنوا بالله تعالى وعلى ربّهم يتوكّلون...

ولا يخفى على القارئ الخبير أنّ الآية الكريمة وثلاث آيات: (٣٧-٣٩) بعدها تقرّر عشر صفات للصّالحين ينالون ماعندالله تعالى من جزآءٍ حسن، ويتنعّمون بنعيم الجنّة: **أوّلها** ـ الإيمان بالله جلّ وعلا. **ثانيها** ـ التّوكّل على الرّبّ بعد الإيمان، هو للإبقآء على الإيمان والإستزادة فيه، والتّوكّل واجب كالإيمان، والتّرغيب فيه كالتّرغيب في جملة الإيمان وهما ـ الإيمان والتّوكّل ـ يحافظان الإنسان في معترك الحياة الدّنيا ومتاعها.

ثالثها ـ الإجتناب من كبآئر الإثم، وهي المعاصي الكبيرة الّتي لها آثار سوء عظيمة في النّفوس والعقول والأُسر والجامعة... كشرب الخمر والميسر والغنآء وما إليها...

رابعها ـ الإجتناب من الفواحش: جمع الفاحشة وهي مافحش وعظم قبحه كالزّنا

واللواط والقتل وما إليها... **خامسها** - الغفران عند الغضب. **سادسها** - الإستجابة لربّهم، بها حياتهم الإنسانيّة الطّيّبة. **سابعها** - إقامة الصّلاة. **ثامنها** - المشاورة بينهم فيما ينبغي. **تاسعها** - الإنفاق. **عاشرها** - الإنتصار عند إصابة البغي والظّلم.

٣٧ - (والّذين يجتنبون كبآئر الإثم والفواحش إذا ما غضبوا هم يغفرون)

الآية وتاليها معطوفة على الآية السّابقة مباشرة لها في صدد وصف المؤمنين الّذين أعدّالله تعالى لهم عنده ماهو خير وأبقى، فالمؤمنون المتوكّلون هم الّذين يبتعدون عن كبآئر الإثم والفواحش، وإذا ما أثار غضبهم أمر ما لم يندفعوا بالغضب، بل يعمدون إلى الغفران والتّسامح. وفي الآية تقرير ثلاث صفات أُخرى للمؤمنين المتوكّلين... وفي إيثار الفعل المضارع: «يجتنبون - يغفرون» نكتة لطيفة هي ملاحظة ماالجانب الفعل المضارع من دلالته على الدأب والإعتياد، والتّجدّد والإستمرار الحاصل بالغلبة والأكثريّة، فإنّ المؤمن المعتقد هو الّذي يلتزم على نفسه بأن يجتنب كبآئر الإثم والفواحش ولا يقتربها وتستمرّ عادته على عدم الإقتراب.

ففي إيثار المضارع مع الموصول دلالة على تجدّد الإجتناب واستمراره لامرّة واحدة، وتنويه بالمؤمنين المتوكّلين، وتلقين جليل في صدد تربية النّفس وجعل صاحبها يعرف حدوده وتنديد بعقآئد العرب الجاهليّة. وفي الآية - وهي من سورة مكّيّة - إشارة إلى إجمال ماسيفصّل من تشريع تحريم كبآئر المعاصي والفواحش ... ولعلّ الحكمة في عدم بيان الكبآئر أن يجتنب العبد جميع الذّنوب والمعاصي... وفي قصر التجنّب على كبآئر الإثم وكبآئر الفواحش إشارة إلى أنّ الصّغآئر - من دون إصرار - معفوّعنها فضلاً من الله تعالى وإحساناً كما قال تعالى: «الّذين يجتنبون كبآئر الإثم والفواحش إلّا اللمم إنّ ربّك واسع المغفرة» النجم: ٣٢) «والفواحش» عطف على «كبآئر الإثم» من عطف الخاص على العام أو من عطف البعض على الكلّ ايذاناً بغاية شناعته.

وقوله تعالى: «هم يغفرون» أي هم الأخصّآء بالغفران في حال الغضب لا يغول

الغضب أحلامهم كما يغول أحلام غيرهم من النّاس، فهذه فائدة ضمير الفصل: «هم» وإيقاعه مبتداء على قول، ومثله: «هم ينتصرون» وفي الجملة تأكيدات عديدة لا يخفى على البيانيّ.

وفي قَرْن المغفرة بالغضب إشارة إلى أنّ المغفرة الّتي تكون، والإنسان في حال الإستثارة والغضب، هي المحمودة في باب المغفرة لأنّها تجيئ عن مجاهدة ومغالبة للنّفس، إذ يقهر فيها الإنسان شهوة الإنتقام، ويلوى فيها زمام هواه إلى حيث الصّفح والمغفرة: «وما يلقّاها إلّا الّذين صبروا وما يلقّاها إلّا ذوحظّ عظيم» فصّلت: ٣٥).

وقرن المغفرة بالغضب أبلغ من قرنها بالإسآءة، فقد يُسٰآء إلى الإنسان ولا يغضب، ولا تتحرّك ، في نفسه داعية الإنتقام، فتكون مغفرته حينئذ مغفرةً لم يتكلّف لها الإنسان مجاهدة، ولم يحمل في سبيلها مؤنة... وفي ذكر المغفرة هنا إغرآء بها إذ كانت في معرض مغفرة الله جلّ وعلا لما يقع من الإنسان من اللمم، ومن صغآئر الذّنوب...

٣٨ ـ (والّذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصّلاة وأمرهم شورى بينهم وممّا رزقناهم ينفقون)

سيقت الآية الكريمة لبيان أربع صفات أُخرى للمؤمنين المتوكّلين بأنّهم الّذين إستجابوا لربّهم في كلّ مادعاهم إليه من الاصول الإعتقاديّة والفروع العمليّة، فيمتثلون جميع أوامره ونواهيه، مخلصين له الدّين، ومن إمتثالهم لأمره أنّهم يقيمون الصّلاة حقها وهي الرّكن الأوّل من أركان فروع الدّين، ومن إمتثالهم بعد إقامتهم الصّلاة أن يكونوا على كلمة سواء فيما بينهم من شئون، فأمرهم بينهم شورى فيما ينبغي أن يشاوروا للوصول إلى أحسن الوجوه والحلول، وهم الّذين ينفقون أموالهم في شتّىٰ وجوه البرّ لمرضات الله تعالى ويأبون أن يساموا خسفاً وضيماً.

وفي تخصيص الصّلاة بالذّكر من بين أركان الدّين وتقديمها تنبيه إلى مالها من الخطر في صفآء النّفس، وتزكية القلوب وترك الفواحش ماظهر منها ومابطن وأنّها

إذا قُبِلَتْ قبل ماسواها، وإ ، ردّت رُدّ ماسواها.

وقوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» فيه إشارة إلى أنّ المؤمنين الصّادقين بمكّة كانوا أهل الرّشد وإصابة الواقع يمعنون في إستخراج صواب الرّأي بمراجعة العقول... المشاورة هي تبادل الرّأي والتّفاوض فيه لإظهار الحق.

٣٩ ـ (والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)

نعت عاشر للمؤمنين المتوكّلين، هو إستكمال لصفاتهم بأنّهم لا يقبلون الظّلم، ولا ينزلون على حكم الظّالمين، بل إنّهم حرب على الظّلم وأهله، يبذلون في سبيل ذلك كلّ جهدهم، وما ملكت أيديهم حتّى إنّهم ليقدّمون أنفسهم، ويبيعونها بيع السّماح من أجل إقرار الحقّ وإعلآء كلمته، والضّرب على يد الباطل، وتنكيس رايته... وليس الجهاد في سبيل الله والإستشهاد في ميدان الجهاد إلّا صورة من صور دفع الظّلم في أبشع صوره، وردّ البغي في أقبح وجوهه... لأنّ حرب الشّرك والكفر هي حرب على الظّالمين والباغين الّذين يسعون في الأرض فساداً، ويبغون في الأرض بغير الحقّ.

وسوآء أكان البغي الّذي يصيب المؤمن بغياً واقعاً عليه هو في ذات نفسه، أو واقعاً على الجماعة الإسلاميّة، فإنّ المؤمن مطالب ـ ديانةً إن لم يكن حمية وأنفة ـ أن يدفع هذا البغي ويرد ذلك العدوان... فالبغي منكر غليظ، والمؤمن حرب على المنكر، أيّاً كان، وبأيّ سلاح يقدر عليه، وفي الحديث الشّريف: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه... وذلك أضعف الإيمان» فأدنى منازل الحرب للظّلم هو إنكاره بالقلب، وازدراؤه وازدرآء أهله... وهذه منزلة لا يصير إليها المؤمن إلّا إذا أعجزته القدرة عن الجهر باللسان، والتشنيع على الظّلم والظّالمين، كما أنّه لا يقف المؤمن عند حدّ الحرب باللسان إلّا إذا لم يملك القوّة المادّيّة الّتي يضرب بها في وجه البغي والباغين...

قوله تعالى: «هم ينتصرون» في إيثار ضمير الفصل: «هم» إشارة إلى أنّ من

وقع عليهم البغي يجب أن يكونوا هم أوّل المتصدين له، العاملين على دفعه، لا ينتظرون حتّى يتولى عنهم غيرهم الأخذ بحقّهم، والإنتصاف لهم ممّن ظلمهم، وإن كان هذا لايمنع المؤمنين جميعاً أن يساندوهم ويشدّوا ظهرهم... وفي إسناد دفع الظّلم، وردّ البغي إلى مَن وقع عليه ظلم وبغي ـ هو إعلان لإنكار هذا المنكر ممّن وقع عليه، وإلاّ كان سكوتة عليه، هو رضاً به، وتقبلاً له، الأمر الّذي لا يقيم حجّة لغيره أن ينتصر له، ويقف في المعركة معه، وفي التّعبير عن التّصدّى للعدوان، ودفع البغي بقوله جلّ وعلا: «ينتصرون» بدلاً من التّعبير بلفظ مثل: «يدفعون ـ يردّون...» تحريض لمن وقع عليه البغي أن يتحرّك لردّ هذا العدوان ـ لأنّه إن فعل ـ فسيكون على موعد مع النّصر الّذي وعده الله جلّ وعلا إيّاه في قوله تعالى: «ثمّ بغى عليه لينصرنه الله إنّ الله لعفوّ غفور» الحجّ: ٦٠)

في الآية الكريمة ترغيب في إنكار المنكر، ودفع البغي، فالمؤمنون في كلّ ظرف يقفون في وجه العدوان وقفة شديدة ولا يقرون الضيم والخسف فيهم، فإذا بغى عليهم باغ سارعوا متضامنين إلى التّناصر ودفع البغي والعدوان عنهم، وليسواهم أكلة لكلّ راغب، ولا مطية لكلّ راكب، بل يستميتون من أجل حرّيتهم وكرامتهم والذّود عن حياضهم وبلادهم.

ولقد زعم بعض الأجانب أنّ فكرة الدّفاع والجهاد في الإسلام إنّما وجدت في العهد المدنيّ، وأنّ مبادئ العفو والتّسامح مع غير المسلمين إنّما نزلت في العهد المكّي ثمّ أهملت في العهد المدنيّ.

وهذا تجن وخطأمعاً، فمن تدبّر هذه الآيات يرى فيها نواة فكرة الدّفاع والجهاد على نفس الأسس الّتي قام عليها تشريع الجهاد في القرآن المدنيّ، وهي قتال المعتدي ودفع البغي وتأمين حرّيّة الدّعوة الإسلاميّة، وعدم الإسراف في المقابلة بالمثل، كما أنّ من ينعم النّظر في كثير من الآيات المدنيّة يجد أنّ الباب ظلّ كما هو الحال في القرآن المكّي مفتوحاً دائماً للتّائبين والمنيبين والمنتهين عن مواقفهم الجحوديّة العنيدة المؤذية، وأنّ القرآن المدنيّ حثّ في كثير من آياته على العفو والتّسامح والغفران

والوفآء بالوعود والعهود والعدل والبرّ مع غير المسلمين الموادّين والمسالمين.

فالآيات المكّيّة هي تتبنّى الإنتصار في البغي، والمؤمنون في مكّة ما كانوا يستطيعونه، فهي تدلّ على صفة أساسيّة للمؤمنين وهي: عدم التّصبّر على الظّلم والتّخاذل أمام الظّالم حسب المستطاع، وإن كانت هناك في مكّة فترة مقتضية للتصبّر، ولكنّها بعد ردح قصير ثمّ المؤمنون لا يتصبّرون، فالإنتصار الّذي يتبنّاه الإسلام كأصل من أصول الحياة الإيمانيّة، سوآء أكان البغي على الفرد أم على الجماعة المسلمة لأنّ أنفس المسلمين نفس واحدة بعضها من بعض، ولذالم يقل: «والّذي إذا أصابه البغي هو ينتصر» وقد قال: «أصابهم - ينتصرون» لتشمل الجمع، فينتصر المؤمن لمظلوم غيره كما ينتصر لنفسه، وأن ينتصر الفرد للجماعة كما تنتصر الجماعة للفرد، فالإنتصار عند البغي صفة الإيمان جماعات وفرادى، فالإنتصار لإزالة البغي أو مكافأته ضابطة عامّة لكلّ من بُغِيَ عليه، ولكن حسب مايقتضيه العدل، والعفو خير إن كان في محلّه، وليس العفو المصلح أو الصّالح غير المفسد إلّا في البغي على الأشخاص أمّا البغي على الدّين ونواميس الإسلام أو جماعة المسلمين فلا عفو فيه.

إن تسئل: يظهر بين قوله تعالى: «وإذا ماغضبوا هم يغفرون» وبين قوله: «والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون» منافاة فكيف الجمع؟

تجيب عنه بأجوبة: أحدها - أنّه لا منافاة بينهما فإنّ قوله تعالى: «هم ينتصرون» أخصّ من «هم يغفرون» وذلك أنّ البغي هو الّذي يؤدّي إلى الفساد، ولا يصير عفوه سبباً لتسكين ثآئرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته.

ثانيها - أن يكون المدح في الإنتصار متوجّهاً إلى كون المظلوم بحيث يراعي حدّ الشّرع ولا يتجاوزه حتّى لو زاد عليه لم يكن منتصراً ولا يستحقّ المدح.

ثالثها - أن يكون الأوّل واقعاً ممّن يعترف بالزّلّة ويسئل المغفرة، فالعفو ههنا أفضل، ويكون الثّاني واقعاً ممّن يعلن الباغي بالفجور وَقِحاً في الجمهور مفسداً في الحرث والنّسل فيكون الإنتقام منه أفضل.

رابعها ـ أن يكون الإنتصار ههنا أخذ الحقّ من المشرك وهو أحسن من العفو، ويكون العفو في الحقوق بين المسلمين بعضهم لبعض.

خامسها ـ أن يكون المراد مقاومة المؤمنين لرفع الظّلم، فلاتنافي المغفرة عند الغضب المذكورة في جملة صفاتهم، فإنّ المقاومة دون الظّلم وسدّ بابه عن المجتمع لمن استطاعه، والإنتصار والتّناصر لأجله من الواجبات الفطريّة قال الله تعالى: «وإن استنصروكم في الدّين فعليكم النّصر» الأنفال: ٧٢) وقال: «فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيئ إلى أمر الله» الحجرات: ٩).

سادسها ـ أنّ الغضب قد يكون بالباطل، فالغفران عنده من صفات الإيمان، وقد يكون بحقّ حيث بغي عليه، وأنّ البغي على قسمين: **أحدهما** ـ بغي يعفى أثره إذا غفرت وهو الغفران المصلح الممدوح. **ثانيها** ـ بغي يفسد إذا غفرت فالإنتصار إذاً من صفات الإيمان: فالعفو على ضربين: ضرب يوجب تسكين الفتنة وتهدئة النّفوس وندامة المجرم وهذا ممدوح. وضرب يوجب جرأة الباغي وتماديه في غيّه وهذا مذموم. فالعفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود، والإنتصار من المخاصم المصرّ على جرمه والمتمادي في غيّه محمود وإلى هذا أشار المتنبّي بقوله:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع الندى في موضع السّيف بالعلا ... مضرّ كوضع السّيف في موضع الندى

٤٠ ـ (وجزآؤا سيّئة سيّئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنّه لايحبّ الظّالمين)

بيان بأنّ الإنتصار لابدّ أن يكون مقيّداً بالمثل لامطلقاً لأنّ النّقصان حيف، والزّيادة ظلم، والتّساوي هو العدل الحاكم على نظام التّكوين والتّشريع، وتحريك لمشاعر المظلومين الّذين بغى عليهم أهل البغي أن يأخذوا بحقّهم، وأنّه إذا كان العفو سنّة كريمة وعملاً مبروراً فانّه لايكون كذلك حتّى يجيئ عن قدرة على من بغى، فيكون العفو هنا عن فضل وإحسان ممّن بُغِيَ عليه، الأمر الّذي يرى منه الباغي أنّ هناك يداً قادرة على أن تقطع هذه اليد الّتي بَغت، فلايتمادي بعد هذا في بغيه، بل

ينزجرو ينـدحر، ولا يطل برأسه من حجره بعد هذا أبداً، في وصف البغي بالسّيّئة إشارة إلى أنّه من المنكر الّذي ينبغي على المؤمن محاربته.

وفي وصف ردّ العدوان ودفع البغي بالسّيّئة إشارة إلى أنّ من أسآء لاينبغي أن يتحرّج المؤمن من الإسآءة إليه وإلحاق الضّرر به كما أسآء هو إلى غيره وساق إليه الضّرّ والأذى... فالسّيّئة هنا إنّما هي سيّئة بالإضافة إلى من بدأبالإساءة... فما هي إلّا عمله قدرُدّ إليه، وفي قوله تعالى: «سيّئة مثلها» إشارة إلى أنّ الجزآءهو من جنس العمل، وقد سمّى الجزآء سيّئة مع أنّه عقوبة مشروعة من الله تعالى، مأذون بها لأنّها تسوء من تنزل به لقوله تعالى: «وإن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك» النّسآء: ٧٨) يريد مايسوءهم من المصآئب والبلايا...

ففيه رعاية لحقيقة معنى اللفظ، وإشارة إلى أنّ مجازاة السّيّئة بمثلها إنّما تحمد بشرط المماثلة من دون زيادة، فتسمية العقاب جزآءً من إطلاق لفظ الضّدّ على ضدّه، فعبّر بالجزآء وأراد العقوبة فقال: «جزاء سيّئة سيّئة مثلها» فإنّ السّيّئة الثّانية ليست بسيّئة لأنّها مجازاة، ولكنّه لمّا قال: «وجزآء سيّئة» قال: «سيّئة» فحمل اللفظ على اللفظ، وهذا من باب المشاكلة يعبّر عنها بالمزاوجة، بأنّه سمّى جزآء السّيّئة سيّئة ليكون في نظم الكلام مزاوجة، وإلّا تكون جزآء السّيّئة سيّئة. وقد سمّى مجازاة السّيّئة بمثل إسمها لأنّ صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته أي جازيته بظلمه.

ولا يخفى أنّ المشاكلة هي أن يذكر الشّيْ بلفظ غيره لوقوعه في صحبته مراداً به معناه الأصلي كالجزآء المذكور بلفظ السّيّئة لوقوعه في صحبته من قوله تعالى: «وجزآء سيّئة سيّئة مثلها» فالمراد بالسّيّئة الثّانية: الجزآء لا السّيّئة حقيقة لكونه حقّاً ولا يكون سيّئة، لكن لوقوعه في صحبته الاولى عبّر عنه بالسّيّئة.

وفي الآية الكريمة فنّ التّهذيب أيضاً فانّها سلمت من المحذور الّذي يقتضي تهذيبها، وتفصيل ذلك أنّه عند مايسند الفعل إلى الله تعالى ينبغي العدول عن إسناد

الإسآءة إليه كما في قوله عزّوجلّ: «يجزي الّذين أسآؤا بما عملوا ويجزي الّذي أحسنوا بالحسنى» النّجم: ٣١) فإنّ صحّة المقابلة في هذا النّظم أن يقال: «ليجزى الّذين أسآؤا بالإسآءة» حتّى تصحّ مقابلته بقوله: «ويجزى الّذين أحسنوا بالحسنى» لكن منع من ذلك إلتزام الأدب مع الله سبحانه في إسناد فعل الإسآءة إليه أو الآية الّتي نحن بصددها فقد أمِنَ فيها ذلك المحذور، فأتى النّظم على مقتضى البلاغة من مجئ تجنيس الإزدواج فيه على وجهه من غير تغير إذ لا ضرورة تدعو إلى تغييره.

في الآية الكريمة: حثّ على العفو لأنّ الإنتصار إنّما يُحَمد إذا حصلت المماثلة في الجزآء، وتقديره عسر شاق، وربّما صار المظلوم حين استيفآء القصاص ظالماً، خصوصاً في حال الفوران والغليان وإلتهاب الحميّة وفيها ترسيم ضابطة عادلة عامّة في كافّة الموازين، فالمماثلة بين السّيّئة وجزآئها قاعدة لا تستثنى، فلا يجوز أن تربوا جزآء سيّئة عليها، فانّ هذه الربوة ظلم من أيّ كان، وأيّان كان، وأيّان... فالمماثلة بين السّيّئة والجزاء والسّيّئة المجازى بها لا تقتضي إلّا إعتداءً بالمثل، وليست هي إعتداءً فلا تعني مماثلة سيّئة، سيّئة أنك حرّ أن تجازى أيّة سيّئة بمثلها، وإنّما هي كضابطة، فقد يجوز لك أن تجازى بمثلها، وقد لا يجوز، فالله هو الوليّ الّذي يجازي بما سنّ من حدّ أم ماذا؟ ومن ثمّ فهي محدّدة بما يجوز عنها العفو.

وقوله تعالى: «فمن عفا فأجره على الله» في إبهام الأجر، وجعله حقّاً على الله جلّ وعلا زيادة في التّرغيب في العفو والحثّ عليه، و وعد جميل على العفو والإصلاح لأنّ إبهام العِدَة يدلّ على عظم الموعود، فابهام الأجر يشعر بغاية عظمته بحيث لا يمكن وصفه وتحديده، وفي الجملة إشارة إلى الأخذ بما هو أولى من جزآء السّيّئة بسيّئة مثلها، وهو العفو عن المسئ، وذلك بعد القدرة عليه، و وقوعه ليد مَن بغى عليه، فإنّ العفو مع القدرة هو عقوبة للباغي، و وقعها على النّفوس الحية أقسى وأمر من كلّ عقوبة.

وقوله عزّوجلّ: «وأصلح» فيه إشارة إلى أن لمن أراد أن يأخذ بالعفو أن يسلك الطّريق الّذي يراه في المقام، فله أن يعفو عفواً عاماً، وأن يعفو عن بعض، ويأخذ ببعض، حسب ما يرى من المعفوّ عنه، ومن الظّروف والأحوال المحيطة به...

وقوله جلّ وعلا: «إنّه لايحبّ الظّالمين» تصريح بما تضمّنه سالف الكلام من جنس رعاية طريق المماثلة، وأنّها قلّما تخلوا من الإعتدآء والتّجاوز عن الواجب، ولا سيّما حال الحرد والتهاب الحميّة، وحينئذ يدخل المنتقمون في زمر من لا يحبّهم الله تعالى، فعلى المنتصر بعد ظلمه ألّا يتجاوز حدود الأخذ بحقّه ممّن ظلمه، وإلّا كان ظالماً، وانتقل بذلك من مبغيّ عليه إلى باغٍ، ومن كونه مظلوماً إلى ظالم، وقد كان الله تعالى نصيراً له، فأصبح مخذولاً من الله تعالى مذموماً: «إنّه لا يحبّ الظّالمين» وفيه بيان أنّه تعالى لم يرغب المظلوم في العفو عن الظّالم لميله إلى الظّالم أو لحبّه إيّاه بل ليعرض المظلوم بذلك لجزيل الثّواب ولحبّه تعالى الإحسان والفضل.

٤١ - (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل)

دفع لمايمكن أن يتوهّم المظلوم من الآية السّابقة: أنّ في ذلك إلغآء لحقّ إنتصاره، فدفعه على سبيل الإخبار المؤكد بالقسم بقوله تعالى أوّلاً: «ولمن انتصر...» أن لا سبيل على المظلومين بالمعاتبة والمعاقبة والمؤاخذة إذا دفعوا عنهم الظّلم، حيث إنّ الإنتقام أو الدّفاع وإحقاق الحقّ وجاه الباغي حقّ مشروع لهم على أيّة حال، ولا مجوّز لإبطال حقّهم ولا منعهم لإحقاق حقّهم في الشّريعة الإلهيّة.

وفي الآية الكريمة تحريك أيضاً لمشاعر الثّورة على البغي، ودفع لما يجد أهل السّلامة والصّلاح في صدورهم من حرج في أن ينالوا أحداً بسوء، حتّى ولو كان مسيئاً، وهذا خروج على سنن القسط والعدل، ومجافاة لطبيعة الحياة، وإطلاق لأيدي السّفهآء أن يعيثوا في الأرض فساداً، وأن يبتلى بهم الأتقيآء والأبرار ابتلاء عظيماً، ولهذا جآء الإسلام يقرّر هذه الحقيقة، ويعطي أهله حقّ الدّفاع عن أنفسهم وإحقاق حقهم من دون بغي ولا عدوان حتّى يكون لهم من ذلك وقاية من آفات ذوي الشّرّ والعدوان...

ولقد كانت دعوة المسيح عليه السّلام إلى اليهود العنود أنّ «من ضربك على خدّك الأيمن فأدِرْ له خدّك الأيسر، ومن نازعك ردآءك فاخلع له ثوبك أيضاً»

كانت تلك الدّعوة بلآء من الله تعالى لليهود، ونقمة منه جلّ وعلا بعد أن بغوا وأفسدوا في الأرض، وكانت تلك الجرعات المرّة القاسية الّتي قدمها المسيح عليه السّلام لهم هي من بقايا الكئوس المرّة القاسيّة الّتي تجرعها النّاس من سموم كيدهم ومكرهم وعنادهم ولجاجهم...

وإرجاع ضمير الإفراد إلى الموصول: «من» أوّلاً باعتبار لفظه، وجمع الإشارة: «اولئك» وضمير الجمع: «عليهم» ثانياً باعتبار معناه.

٤٢ ـ (إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون في الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم)

بيان ثان على طريق الحصر ـ دفعاً لما يمكن أن يتوهّم المظلوم... ـ أنّ سبيل العتاب والعقاب والمؤاخذة كلّ السّبيل على الباغين في الإنتقام منهم للمظلومين لتقطع عنهم سبل البغي والظّلم، إنّما السّبيل والعتاب والتّوبيخ والعقاب على من بدأ بالظّلم وبغى على النّاس... أو على من انتصر بعد ظلمه، فجاوز الحدّ، وإنتهى به ذلك إلى أن يكون من الباغين وأكّد ذلك ذيلاً بقوله: «اولئك لهم عذاب أليم» بسبب ظلمهم وبغيهم، وهذا قصاص من العدل الإلهيّ ينتصف فيه تعالى للمظلوم من ظالمه.

فهولآء جديرون بكلّ لوم، ومستحقّون للعذاب الأليم. وإنّ هذا التّهديد والوعيد نوع من الكفاح القرآني لعتاة البغي والجور، وقادة الظّلم والفساد... ودرس لنا نحن النّاهين عن المنكر أن نجابه بكلمة الله وللحقّ كلّ جآئر ومفسد، ولا نخاف لومة لآئم.

٤٣ ـ (ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور)

بيان ثالث على سبيل التّوكيد ـ دفعاً لما يمكن أن يتوهّم المظلوم... ـ أنّ الدّعوة إلى الصّبر والعفو ليست إبطالاً لحقّ الإنتصار، وإنّما هي إرشاد إلى فضيلة هي من

أعظم الفضآئل وقد أكّد الكلام بلام القسم أوّلاً، وباللام في خبر «إنّ» ثانياً، مع مافيه من تأكيدات أُخرلإفادة العناية بمضمونه، وفي دخول لام التأكيد في خبر «إنّ» دلالة على أنّ الصّبر على المكروه الّذي هو ظلم أشدّ من الصّبر على الّذي ليس بظلم. وتكرير الحثّ على الصّبر لمزيد التأكيد أيضاً.

في الآية الكريمة ترغيب في الصّبر والعفو فيما إذا لم يكن ترك الإنتصار ظلماً على نفسه ولاموجباً للظّلم على غيره ولا تجرّى الظّالم، فيكون الصّبر موجباً لتوبة الباغي، والعفو سبباً لخجلة الظّالم، فيكفّ عن ظلمه، فإذاً التحلّي بالصّبر والمغفرة والإغضآء خُلُق عظيم، ومزيّة كبرى للصّابرو الغافر، يدلّ على ذلك بُعد الإشارة: «ذلك».

قوله تعالى: «عزم الأُمور» هو موجبها ولازمها الّذي هو ملاكها الّذي تقوم عليه بحيث لايتمّ لها وضع صحيح إلّا به، فلكلّ أمر عزيمة هي السّبب أو الأسباب الموصلة إليه. وفي الحديث: «إنّ الله يحبّ أن تؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزآئمه...» وهي فرآئضه وما أوجبه الله تعالى على عباده.

وفي إسناد عزم الامور إلى الفاعل أي فاعل الصّبر والغفران بدلاً من إسناده إلى ذات الصّبروالمغفرة إشارة إلى أنّ المعوّل عليه في إعطآء القيامة للصّبر والمغفرة هو الفاعل لها، وأنّه بقدر صبره وغفرانه يتحقّق للصّبر والغفران، الصّفة المناسبة الّتي تكون له منها، ومن حِكَم العرب: «خير من الخير معطيه وشرّ من الشّرّ فاعله».

٤٤ ـ (ومن يضلل الله فما له من وليّ من بعده وترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير المصدر الأوّل للبغي والظّلم، وهو الكفر بالله تعالى والضّلال عن سبيله، وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما دعاهم إليه من الإيمان والمودّة في القربى، فالكفر هو الموجب لإطلاق العنان لقوى الشّرّ الكامنة في الإنسان، فيعتدى على حرمات الله سبحانه وعلى عباده من دون تحرّج ولاتأثّم...

هذا كناية عن أنّه لاسبيل للإنسان إلى الخير والسّعادة، وإلى الكمال والنجاة إلّا

سبيل الله الّذي شرعه لعباده من طريق الوحي والرّسالة.

وفي الآية الكريمة إنذار قويّ، و وعيد شديد للمنحرفين عن طريق الحقّ والهدى، وعن سبيل القسط والعدل، فهم يستحقّون غضب الله تعالى وخذلانه بسبب ظلمهم وبغيهم، فلايكون لهم نصير ولا وليّ بعده، ولسوف يندمون على مابدا منهم حينما يرون عذاب الله جلّ وعلا يتساءلون تساؤل المضطرب المتحسّر الفزع عمّا إذا لم يكن من سبيل للعودة إلى الدّنيا لتلافي ماكان منهم.

فمن يخذله الله تعالى على أثر معاندته مع الحقّ فيتركه يعمه في ظلمات غيّه، جزآءً متناسباً مع عناده ولجاجه وإصراره على جهله وطغيانه كمن يسير على مزالق هاوية سحيقة لايعرف درب النّجاة وغمته ظلمات السّمآء والأرض، فيناديه الدّليل العارف: ناولني من يدك لأهديك سبيل الرّشاد، لكنّه لسوء إختياره يترفع بنفسه ـ علوّاً واستكباراً ـ أن ينحرط مع سآئر المهتدين أو يسير مع ركب المؤمنين: «وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنؤمن كما آمن السّفهآء ألا إنّهم هم السّفهآء ولكن لايعلمون» البقرة:١٣) هكذا أطاحوا بحظّهم وألقوا بأيديهم إلى التّهلكة، هذا هو إضلاله تعالى بمعنى خذلانه الطغاة الظّلمة والبغاة الفجرة والعتاة الفسقة وتركهم في ظلمات الغيّ يعمهون.

وقوله تعالى: «وترى الظّالمين لـمّا رأوا العذاب...» عرض للمتلبّسين بالظّلم في موقف الحساب والجزآء، وانّهم في هذا الموقف في غمّ وعنآء لايوصف، يتنادون بالويل والثّبور، وينظر بعضهم إلى بعض في يأس قاتل متسآئلين: «هل إلى مردّ من سبيل» هل هناك من سبيل إلى الخروج ممّا نحن فيه والعودة إلى الحياة الدّنيا لنصلح ما أفسدنا، ونعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل؟ هيهات هيهات!!!

وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى على القارئ الخبير، وفيه إثار الخوف والرّعب والفزع في قلوب الظّالمين المعتدين... وايثار صيغة الماضي: «رأوا» للدّلالة على التّحقّق.

وقوله عزّوجلّ: «يقولون هل إلى مردّ من سبيل» إشارة إلى تمنّيهم الرّجوع إلى

الدّنيا بعد اليأس عن السّعادة ومشاهدة العذاب.

والخطاب: «ترى» وإن كان موجّهاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما أنّه رآء، ولكنّه عام لكلّ من هو رآء، وفيه إشارة إلى أنّهم يتمنّون ذلك على رؤس الأشهاد...

٤٥ ـ (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ وقال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم)

بيان لأحوال الظّالمين يوم القيامة حين يعرضون على النّار، وقد انهدت قواهم تزلزلت أعصابهم من الفزع، يرسلون نظرات الرّعب والذّلّ من تحت أحداقهم كما يفعل الذّليل الجبان حينما يواجه الشّدآئد والأخطار... فيراهم المؤمنون وهم يقفون بين يدي النّار خاشعين في مهانة وذلّة وضراعة.لا يستطيعون أن يفتحوا أبصارهم على هذا الهول الّذي يفغر لهم فاه، بل إنّ أبصارهم ليصعقها هذا الهول، فترتدّ عنه ويدعوها الخوف منه، ومحاذرة الوقوع ليده أن تنظر لترى أين موقعها منه، فلاتكاد تلمحه حتّى ترتدّ عنه، وهكذا تظلّ أبصارهم مشدودةإلى هذا الهول تتحسسه في مخالسة كما يتحسس الأعمى حيّة إلتفت بعنقه!.

وقوله تعالى: «وقال الّذين آمنوا...» بيان لمقالة المؤمنين يوم القيامة في الظّالمين المعتدين حينما يتيقّن المؤمنون إذيرون هذا الموقف الّذي يعرض الظّالمين على النّار، وينظرون إلى أنفسهم، فيحمدون الله جلّ وعلا أن عافاهم من هذا البلاء ليس مثله بلاء فيقولون: إنّ الخاسرين الحقيقيين هم الّذين يخسرون يوم القيامة أنفسهم وأهليهم، فليس الخسران مايفوت الإنسان من حظوظ الحياة الدّنيا في نفسه وأهله وماله، وإنّما الخسران حقّاً هو هذا الخسران الّذي يلقاه الظّالمون في هذا اليوم، حيث قد صَفِرَتْ أيديهم من كلّ شيْءٍ، وتقطعت بينهم وبين أهليهم الأسباب كلّها، فلايلقاهم أحد من أولادهم وأهليهم إلاّ مُعْرِضاً عنهم، مشغولاً بنفسه وبما يعاينه ـ إن

كان من أهل النّار - أو مشتغلاً عنهم بنعيم الجنّة ومنازعة أهلها، طيّب الأحاديث، وكئوس النّعيم - إن كان من أهل الجنّة.

وفي التّعبير بالماضي عن حديث المؤمنين في هذا اليوم إشارة إلى أنّ هذا الحديث واقع من نفوس المؤمنين موقع اليقين وهم في هذه الحياة الدّنيا، فهم يؤمنون بأنّ هذا هو الّذي لابدّ أن يكون يوم القيامة... فالتّعبير بلفظ الماضي لتحقّق الوقوع وفيه إثارة الطّمأنينة في قلوب المؤمنين.

وقوله عزّوجلّ: «ألا إنّ الظّالمين...» تصديق من ربّهم لمقالة المؤمنين في الظّالمين، وتسجيل عليهم بالعذاب، وأنّه دآئم غير منقطع وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى، فمن تلبّس بالظّلم في الحياة الدّنيا ومات عليه فهو في عذاب دآئم لا نهاية له ولا مخلص منه.

في تلخيص البيان: في قوله تعالى: «وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ» قال السّيّد الرّضي رضوان الله تعالى عليه: «وهذه إستعارة، والمراد بذلك أنّ نظرهم نظر الخآئف الذّليل والمرتاب الظّنين، فهو لا ينظر إلّا مسترقاً ولا يغض إلّا مشفقاً، وهذا معنى قولهم: فلان لا يملأ عينيه من فلان إذا وصفوه بعظم الهيبة له أو شدّة المخافة منه، وكأنّهم لا ينظرون بمتسعات عيونهم، وإنّما ينظرون بشفافاتها من ذلّهم ومخافتهم. وقد يجوز أن يكون الطّرف ههنا بمعنى العين نفسها، فكأنّه تعالى وصفهم بالنّظر من عين ضعيفة على المعنى الّذي أشرنا إليه، أو يكون الطّرف مصدراً لقولك: طرفت أطرف طرفاً إذا لحظت، فيكون المعنى: أنّ لحظهم خفيّ لأنّ نظرهم إستراق كما قلنا أوّلاً من عظيم الخيفة وتوقّع العقوبة» إنتهى كلامه رفع مقامه.

٤٦ - (وما كان لهم من أوليآء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل)

إخبار من الله تعالى بعدم الأوليآء مطلقاً للظّالمين، وتسجيل عليهم بالضّلالة، وإيئاس من فكاكهم منها بأيّ سبيل، حيث إنّ النكرة: «أوليآء - سبيل» في سياق

النّفي تفيد العموم، وزيادة «من» فيهما توّكد ذلك، وهذا هو مصير من يستحقّ غضب الله جلّ وعلا وخذلانه حيث لا يكون له منفذ ينفذ منه، أو طريق يصل منه إلى الأمن والسّلامة. وهذا التّعبير: «وما كان لهم...» دون أن يقال: وما لهم من وليّ كما قيل أوّلاً للدّلالة على ظهور بطلان دعواهم ولاية أوليآئهم في الدّنيا، وأنّ ذلك كان باطلاً من أوّل الأمر.

وقوله تعالى: «ومن يضلل الله فما له من سبيل» صالح لتعليل صدر الآية وهو كالنّتيجة لجميع ما تقدّم من الكلام في حال الظّالمين المعتدين في عقباهم، ونوع انعطاف إلى ماسبق من حديث تشريع الشّريعة، والسّبيل بالوحي... فهو كناية عن أنّه لاسبيل إلى الحقّ والهدى، والسّعادة والنّجاة إلّا سبيل الّذي شرعه لعباده من طريق الوحي والرّسالة والمودّة في القربى، فمن أضلّه الله تعالى عن سبيله لكفره ـ وتكذيبه بسبيله، فلاسبيل له يهتدى به إلى الكمال وسعادة العقبى، والتّخلّص من الإنحطاط وعذاب الآخرة.

٤٧ ـ (إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجاء يومئذ ومالكم من نكير)

مستأنف بيانيّ سيق لدعوة الظّالمين المعتدين المنحرفين عن الحقّ والعدل، وعن الكمال والهدى إلى الشّريعة السّماوية والوحي والرّسالة وإلى المودّة في القربى لأنّها أجر الرّسالة في كلّ ظرف إتماماً للحجّة عليهم، ولإنذارهم بيوم القيامة المذكور في الآيات السّابقة... خطاب للسّامعين في كلّ ظرف بصيغة الجمع المخاطب، يهتف بهم حاثاً على الإستجابة إلى دعوة الله تعالى والإرعوآء عمّا هم فيه من عناد ولجاج وضلال وإنحراف عن طريق الحقّ والهدى قبل أن يأتيهم اليوم الّذي لا رادّ له ولا ملفت من الله تعالى فيه، والّذي لن يكون لأحد فيه ملجأ ولا نصير من دون الله عزّوجلّ.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر وله طيب الولادة وحسن السّريرة: أنّ الآية

الكـريمة وإن كانـت موجّـهة للسّامعين إطـلاقاً، ولكـن روح الآية التّاليـة وفحوا هما وسـياق الآيات السّابقة في تشـريـع الشّريعة والوحي والـرّسالة والمودّة في القربى كلّ ذلك يلهمنا أنّ الخطاب فيها موجّه للمتخلّفين عن المودّة في القربى، وأنّ الآية الكريمة بسبيل حثّهم على الإنتهآء مـن موقف الجحود والمكابرة، من موقف العناد واللجاجة، ومـن موقف الإنحراف والعداوة قـبل فوات الوقـت والنّدم على ذلـك ، فـقد انتهت رسالة الرّسل فعليهم أن يُقبلوا على مادعاهم الله تعالى إليه على لسان خاتم رسله محمّد المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم من المودّة في القربى وهي أجر رسالته صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ لايمكن الإيمان والمعرفة بالله جلّ وعلا والعبادة لله وحده وصالح الأعمال إلّا من طريق أهل بيـت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فانّهم وحدهم طريق إلى معرفة الله عزّوجلّ حقاً.

كذلك الأمر بالـنسبة للتّقريع الّذي تحتويه الآية التّالية، والمقصود به في الدّرجة الاولى هم الجاحدون المتخلّفون الظّالمون على أهل بيت الـوحي المعصومين عليهم أفضلُ صلوات الله وأكمل تحياته إلى يوم الدّين.

٤٨ ـ (فـان أعـرضـوا فما أرسلنـاك عـليهـم حفيظاً إن عليـك إلّا البـلاغ وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فانّ الإنسان كفور)

في الآية الكريمة تلوين للكلام، وصرف له عن خطاب الظالمين المعتدين المتخلّفين عن دعوة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد أمرهم بالإستجابة، وتوجيه له إلى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمعنى: فان لم يستجيبوا هؤلآء المعتدون دعوتك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعرضوا عمّا تدعوهم إليه ممّا أُنزل إليك من ربّك ، فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم وما عليك إلّا تبليغ ما انزل.

وجه الخطاب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على طريقة الإنتقال والإلتفات من المدعوّين المتخلّفين إلى الدّاعي النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تخلّف هؤلآء المعتدين المنحرفين عن طريق

الشّريعة والوحي والرّسالة والمودّة في القربى، وتنبيه له صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أنّ الله جلّ وعلا لم يجعله رقيباً عليهم، ولا مسئولاً عنهم، ولا ضامناً لإستجابتهم إذا هم ظلّوا على إنحرافهم وإعراضهم عن الدّعوة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم وإعلان أنّ ماحمّله من الأمر إنّما هو الإنذار والإبلاغ لا أزيد من ذلك، فليس مسئولاً عن إيمانهم حتّى يمنعهم عن الإعراض ويتعب نفسه لإقبالهم عليه.

وقوله تعالى: «وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها» تقرير لسبب إصرارهم على التّخلّف والمكابرة، على العناد واللجاجة، على الضلال والعداوة، والإعراض عن الدّعوة والإستجابة... على طريق الإخبار عن حال الإنسان بصورة عامّة، وسرعة تنقّله من حال إلى حال، وتقريع له، والسّبب الوحيد هو ايثاره الحياة الدّنيا ومتاعها على الآخرة ونعيمها، فيطغى وينسى الله جلّ وعلا ويعتدي وينحرف... والدّليل على أنّ ايثار الحياة الدّنيا على الآخرة يوجب الطّغيان والإعتداء، والعصيان والانحراف والعدوان والإنحطاط... أنّه إذا منحه الله تعالى نعمة بطر وفرح واغترّ ونسي الله تعالى وإذا أصابته سيّئة بسبب آثامه وأخطآئه يئس وكفر. الفرح بالرّحمة كناية عن الإشتغال بالنّعمة ونسيان المنعم.

وقوله عزّوجلّ: «وإن تصبهم سيّئة» قد جمع الضّمير الرّاجع إلى «الإنسان» لأنّ المراد هؤلآء الظّالمون المعتدون المتخلّفون من اهل البغى والجهالة، اهل العناد واللجاجة، واهل الظلم والجناية... وهم جمع من الأتباع والمتبوعين... وإلاّ ليس كلّ إنسان في حيّز هذا الشّرط وجوابه فيكفر بالله جلّ وعلا أو يسيئ الظّنّ بالله سبحانه في حال الضّرّ كما توهّم بعضهم، بل إنّ الواقعين في حيّز هذا الشّرط وجوابه هم الّذين لايؤمنون بالله تعالى مطلقاً أو لايؤمنون به ايماناً وثيقاً صادقاً، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم وإن أسلموا ظاهراً كما قال الله عزّوجلّ: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ـ إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ثمّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون» الحجزات: ١٤ـ١٥)

نعم! إنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف يقفون هذا الموقف من ربّهم، إن أصابهم خير رضوا به واطمأنّوا إليه، وإن أصابهم شرّ بما قدّمت أيديهم أنكروا من الله تعالى ما كانوا يعرفون، وأقلّ قليل من النّاس: «وقليل من عبادي الشّكور» سبأ: ١٣) وهم المؤمنون حقاً لا تختلف أحوالهم مع الله عزّوجلّ أبداً فهم على الإيمان به، وحمد له في السّرّآء والضّرّآء على السّوآء قال الله تعالى: «والصّابرين في البأسآء والضّرّآء وحين البأس اولئك الّذين صدقوا وأولئك هم المتّقون» البقرة: ١٧٧).

وقوله جلّ وعلا: «بما قدّمت أيديهم» فيه إشارة إلى كون الإنسان مختاراً في العقآئد والأفعال والأقوال... وأنّ مايصيبه من مصيبة هي من صنع يده، وأنّ تبدّل أحوال النّاس من نعمة وعافية إلى سوء وبلآء هو بما كسبت أيديهم... وفي تصدير الجملة الشّرطيّة الاولى بـ«إذا» مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة تنبيه على أنّ ايصال النّعمة محقّق الوجود، كثير الوقوع، وإنّه مقتضى الذّات، كما أنّ تصدير الشّرطيّة الثّانية بـ«إن» وإسناد الإصابة إلى السّيّئة وتعليلها بأعمالهم... للإيذان بندرة وقوعها، وإنّها بمعزل عن الإنتظام في سلك الإرادة بالذّات وإنّما أقام علّة الجزآء مقامه في الثّانية، و وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على أنّ هؤلآء المعتدين من هذا الجنس موسومون بكفران النّعمة. وإنّ السيئة كناية عن مصيبة تصيب الإنسان.

وقوله سبحانه: «فإنّ الإنسان كفور» في وضع الظّاهر: «الإنسان» موضع الضّمير تسجيل على أنّ المتخلّفين المعتدين من هذا الجنس يبالغون في الكفران، وهم يشتغلون بالنّعم وينسون المنعم عند النّعمة، وينسونها رأساً، ويذكرون البليّة ويعظّمونها ولا يتأمّلون سببها عند المصيبة. في إسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواصّ المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد...

وقيل: إنّ النكتة فيه تسجيل الذّمّ واللّوم عليه بذكره إسمه. وفي الآية إستشعار بإعراضهم وتوبيخهم بعنوان الإنسان المشتغل بالدّنيا، فإنّه بطبعه حليف الغفلة إن ذكّر بنعمة يؤتاها صرفه الفرح بها عن ذكر الله، وإن ذكّر بسيّئة تصيبه بما قدّمت يداه شغله الكفران عن ذكر ربّه فهو في غفلة عن ذكر ربّه في نعمة كانت، أو في نقمة،

فكاد أن لا تنجح فيه دعوة، ولا تنفع فيه موعظة.

٤٩ ـ (لله ملك السّموات والأرض يخلق مايشآء يهب لمن يشآء إناثاً ويهب لمن يشآء الذكور)

تنويه بشمول ملك الله جلّ وعلا وقدرته ومشيّته: فكلّ ما في السّموات والأرض ملك له، وبيده خلق كلّ شيء، وعلى الوجه الّذي تتعلّق به إرادته ومشيئته، ويدخل في ذلك حمل الامّهات ونوعه، فهو الّذي يهبُ لمن يشآء اناثاً فقط، ولمن يشآء ذكوراً فقط، وهو الّذي يهب لمن يشآء اصنافاً متنوّعة من ذكور واناث معاً وهو الّذي يجعل من يشآء عقيماً وكلّ ذلك وفقاً لمقتضيات علمه وحكمته، فهو العليم بكلّ شيء، القادر على كلّ شيء، فكلّ شيء يجري وفق النّواميس الّتي أودعها الله في خلقه وفي نطاق تقديره ومشيئته، فعلى النّاس أن يرضوا بتقدير الله ومشيئته اللّذين هما خارجان عن نطاق قدرتهم ومشيّتهم، إذ في قوله عزّوجلّ: «لله ملك السّموات والأرض» قصر الملك والسّلطنة فيه تعالى على جميع العالم، وأنّ الخلق منوط بمشيّتة من دون أن يكون هناك أمر يوجب عليه المشيّة أو يضطرّه على الخلق.

قوله تعالى: «يخلق مايشآء...» والآية التّالية من باب إستيفآء أقسام الشّيء بحيث لايتصوّر للمقسم قسم آخر غير ماذكر، وذلك أنّ تقسيم الإنسان بإعتبار شأن الولادة أربعة أقسام: ١ـ الّذي يولد له جنس الاناث فقط: «يهب لمن يشآء اناثاً» ٢ـ الّذي يولد له جنس الذّكور فقط: «ويهب لمن يشآء الذّكور» ٣ـ الّذي يولد له الذّكور والاناث معاً: «أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً» ٤ـ الّذي لايولد له أصلاً: «ويجعل من يشآء عقيماً».

فكأنّه قيل: إنّ الإنسان إمّا أن يكون له ولد أو لايكون، وإذا كان فإمّا أن يكون ذكراً أو انثىٰ، أو ذكراً وانثى معاً. وهذا تقسيم مستوف لأقسام الإنسان بإعتبار الولادة وعدمها، ومن هذا القسم قولهم: الكلمة إمّا إسم أو فعل أو حرف.

أمّا الخنثى فقد ترك ذكره لأنّه نادر، وإنّ الآية سيقت في معرض الإمتنان

فاقتصر فيها على الغالب مع أنّ قوله عزّوجلّ: «لله ملك السّموات والأرض يخلق مايشآء» عموم مدح لايجوز تخصيصه لأنّ القدرة تقتضيه، والنّادر داخل تحت هذا العموم فتدبّر جيّداً ولا تغفل. واحتجّ بعضهم بهذه الآية على انتفآء الخنثى المشكل. والحقّ وجوده وقد اختلفت الكلمات فيه: أهو قسم ثالث غير الذّكر والانثى أولا؟ والصّيح أنّه لايخرج عنهما.

إن تسئل: لماذا قدّم الله تعالى الاناث على الذّكور في قوله: «يهب لمن يشآء اناثاً ويهب لمن يشآء الذّكور» مع تقدّم الذّكور على الاناث بحسب الذّات والوجود؟ ولماذا رجع عن هذا التّقدم بعد ذلك فقدّمهم عليهنّ؟ ولماذا نكّر الاناث وعرّف الذّكور؟ ولماذا جآء بـ «أو» في قوله: «أو يزوّجهم» وقد جآء قبله وبعده بالواو؟

تجيب عنه بأجوبة: أمّا تقديم الاناث على الذّكور أوّلاً فلأنّ السّياق بصدد بيان عظمة ملكه تعالى ونفاذ مشيئته، وأنّه تعالى يفعل مايشآء لامايشآئه الإنسان، فليس للإنسان مايشآء من الولادة، وإنّما يكون منها مايشآء الله عزّوجلّ، ففيه تنبيه على أنّ ماتُعلّق بهنّ فهو بمشيئة الله لابمشيّة الإنسان، فكان ذكر الاناث اللاتي هنّ من جملة مالا يشآئه الإنسان أهمّ، والأهمّ واجب التّقديم أو بإعتبار أكثريتهنّ وتكثير النّسل منهنّ لأنهنّ مشأ كثرة النّسل، أو تطييباً لقلوب آبائهنّ، أو لأنهنّ مكروهات عند العرب، فناسب أن يقرن اللفظ الدّالّ عليهنّ باللفظ الدّالّ على البلآء أو أنّ هذا التّرتيب هو الّذي تستدعيه البلاغة وهو الإنتقال في نظم الكلام ورصفه من الأدنى إلى الأعلى، فقدّم هبة الاناث، وانتقل إلى هبة الذّكور ثمّ إلى هبة المجموع.

فلمّا قدّم الاناث على الذكور لذلك المعنى تدارك تأخيرهم وهم أحقآء بالتّقديم بتعريفهم لأنّ التّعريف تنويه وتشهير، وإشارة إلى مرتبتهم والإمتنان بهم، لأنّهم أشرف وأفضل، فميّزهم بسمة التّعريف، فكأنّه قال: ويهب لمن يشآء الجنس المعروف لكم، المعهود كما له لديكم، فاعطى للفظ الاناث مناسبة التّقديم، واعطى للفظ الذّكور مناسبة التّنويه والتّعريف، ثمّ أتى بهما على أصل استحقاق التّقديم والتأخير بعد بيان المناسبة الأوّليّة في قوله تعالى: «أويزوّجهم ذكراناً واناثاً» فقدّم

الذكور على الإناث تنبيهاً على أنّ تقديم الاناث لم يكن لتقدّ مهنّ بل لمقتضٍ آخر كما قال: «إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى» الحجرات: ١٣) وقال: «وأنّه خلق الزّوجين الذّكر والانثى» النّجم: ٤٥).

ثمّ أتى بالقسم المقابل لهذه الثّلاثة في قوله: «ويجعل من يشآء عقيماً» لا يولد له أصلاً أنّه عليم بالحكمة في ذلك، قدير على ما يريد لا يتعاصى عليه شيء.

ولا يخفى على القارئ الخبير البياني أنّه جآء في كلّ قسم من أقسام العطيّة الثّلاثة بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير لأنّ إنعامه على عباده أهمّ عنده، وتقديم الأهمّ واجب في كلّ كلام بليغ، والآية الكريمة إنّما سيقت للإعتداد بالنّعم، وإنّما أتى بذكر الحرمان ليتكمّل التمدح بالقدرة على المنع كما يمدح بالعطآء، فيعلم أنّه لا مانع لما اعطى، ولا معطى لما منع، وعدل عن لفظ الحرمان والمنع إلى لفظ هو ردفه وتابعه وهو لفظ الجعل.

وممّا ينبغي هنا أن يتأمّل فيه هو السّرّ في الإتيان بـ«أو» في قوله تعالى: «أو يزوّجهم» ولم يقل: «ويزوّجهم» بالواو كما ذكر فيما قبل هذا القسم وبعده لعلّ النكتة في الإتيان بأو المقتضية للمباينة دون الواو المقتضية للجمع أنّه لمّا عبّر بالضّمير في «يزوّجهم» الرّاجع إلى الطّائفتين المذكورتين أو إحداهما ولم يقل: «ويهب لمن يشآء» أتى بأو للإشارة للمباينة، وأنّ هذا غير ما ذكر أوّلاً، فانّ المذكور أوّلاً هو الذّكور فقط، والاناث فقط بخلاف ما لو عبّر بالواو، فإنّه يفيد أنّ الّذي اختص بالذّكور أو اختصّ بالاناث. يجمع له بين الذّكور والاناث وليس بصحيح لأنّ المراد كما مرّ ذكر كلّ قسم على حدته، وأمّا الأقسام الاخرى فلمّا قال فيها: «يهب لمن يشآء ـ ويجعل من يشآء» فعبّر بالظّاهر عن الموهوب له، والمجعول له، فهم أنّها أقسام مستقلة مختلفة في نفس الأمر لأنّ اللفظ الظّاهر إذا كرّر أفاد المغايرة بخلاف الضّمير، ولمّا كانت مختلفة عطفت بالواو تنبيهاً على توافقها في الوقوع وإشتراكها في الثّبوت.

ولكن يرد أن يقال: لِمَ لم يقل: أو يزوّج من يشآء ذكراناً واناثاً. أي يجعل لمن يشآء الذّكور والاناث معاً فيفيد المباينة، ويجري الكلام على نسق واحد؟

اجيب عنه: أنّ فائدة العدول عن التصريح بمن يشآء في الجملة الثّالثة إلى الضّمير وتغيير أُسلوب الكلام، هي الإشارة إلى عدم لزوم المشيئة ورعاية الأصلح. فتلك الأقسام لو علقت جميعها بلفظ المشيئة، ولم يعبّر بالضّمير العآئد على ما ذكر لاستشعر أنّ كلّ قسم يستحقّ ذلك بالمشيئة التّابعة لرعاية الأصلح.

٥٠ ـ (أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشآء عقيماً إنّه عليم قدير)

بيان لقسمين آخرين من الأقسام الأربعة، مع الإشارة إلى التّعليل لما سبق.

إن تسئل: قد جآء في القسمين الأوّلين، وفي القسم الرّابع بلفظ المشيئة: «يشآء» دون القسم الثّالث لماذا؟

تجيب عنه: أنّه لما كان القسم الرّابع كالقسمين الأوّلين قسماً برأسه قيّده بالمشيئة، وأمّا القسم الثّالث فلمّا كان في الحقيقة جمعاً بين القسمين الأوّلين اكتفى بما ذكر من المشيّة فيهما.

٥١ ـ (وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من ورائ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشآء إنّه عليّ حكيم)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير مشاهد ثلاثة لإتّصال البشر بكلام الخالق المتعال الّذي ماكان ليكلّم أيّ إنسان موجّهة، والنّاس الّذين يصطفيهم للإتصال بكلامه، يتّصل بهم بطرق ثلاثة: ١ـ بطريق الوحي إمّا بالقذف في القلب كما اوحى إلى امّ موسى عليه السّلام أو بالرؤيا في المنام كما حدث لإبراهيم في ذبح ولده إسمعيل علهيما السّلام وكما أوحى إلى صدر داود عليه السّلام فزبر الزّبور فلاواسطة بينه وبين ربّه من رسول أو أيّ حجاب مفروض. ٢ـ من ورآء حجاب بأن يسمع صوتاً من دون مشاهدة كما يسمع من ورآء حجاب كما خاطب الله جلّ وعلا موسى عليه السّلام.

٣ـ بواسطة رسول من قبل الله تعالى فيوحى إلى المصطفين الأخيار مايشآء بأمره وإذنه بأن يأتي به الملك إلى النّبيّ من البشر فيسمع منه.

ولقـد اجتمـعت الأقسام الثّلاثـة من الوحي لنـبيّنا محمّـد صلّى الله عليـه وآله وسلّم لأنّـه كان يرى الرّؤيا الصّادقـة كفلق الصّبح، وقد سـمع الكلام من ورآء الحجاب ليلة المعراج، وكان يـأتيه أمين الوحي جبرئيل عليه السّلام إلى آخر عمره صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ولا يخفى أنّ ظاهر الترديـد في الآيـة الـكريمة بـ«أو» هو التـقسيم على مغـايرة بين الأقسـام، وقـد قُيّدَ القسمـان الأخيـران بقيد كالحـجاب والـرّسول الّذي يوحي إلى النّبيّ ولم يُقَـيَّد القسم الأوّل بشيءٍ، فظاهر المقابلة يفيد أنّ المراد به التّكليم الخفيّ من دون أن يـتوسّط واسطة بـينه جـلّ وعـلا وبين النّبـيّ أصلاً، وأمّا الـقسمان الآخران ففيهما قيد زآئد وهو الحجـاب أو الرّسول الموحي، وكلّ منهما واسطة غير أنّ الـفارق أنّ الواسطة الّذي هو الرّسول يوحي إلى النّبيّ بنفسه، والحجاب واسطة ليس بموح، وإنّما الوحي من ورآئه. والموحي في ذلـك كلّه هو الله جلّ وعلا: «والّذي أوحـينا إليك» الشّورى: ١٣)

وقوله تـعالى: «إنّـه عليّ حـكيم» تعـليل لمضمون الآيـة، فالله جلّ وعلا لعـلوّه عن الخلق، والـنّظام الحاكم فيهـم أجلّ أن يكـلّمهم كما يكلّم بعضهم بـعضاً، ولعـلوّه وحكمتـه يكلّمهـم بما اخـتار من الوحي أو ورآء حـجاب أو ارسال الرّسول، والله هو العلـيّ المتسامي في شـأنه وكنهه، الحـكيم الّذي يفعـل ما يفـعل، ويختار مـايختار وفقاً لمقتضى حكمتـه، أمّا فهم حقـيقة هذا الإتّصال وحـقيقة الشّعور به وإدراكهما فهما في الحقيقة خصيصان بالّذين يصطفيهم الله تعالى لوحـيه وصلته وكـلامه، وهما بالنّسبة لغيـرهم حقـيقة ايمانـيّة يجب الإيمان بهـا لأنّها مـمّا اخبربه هؤلآء المصطفـون، وهم صادقون فيما أخبروا بـه، وقد عبّروا عنه بأمر الله و وحيه بما يمكن أن تتسع له الألفاظ الّتي يتـفاهم الـبشر بهـا، وأمّا كنـه الأمر فهو سرّ مـتّصل بسرّ واجب الوجـود وأنبيآئه الّـذي يعجـز العقـل الإنساني عن إدراكه مـع مايقـوم عليه مـن الدّلائل المـتنوعة الّتي لاينكرها إلّا المكابرون المعاندون...

٥٢ ـ (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشآء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم)

مستأنف بيانيّ سيق لإتّصال كلام الله جلّ وعلا برسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم على سبيل الخطاب تشريفاً له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولتصديق رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما يدعو النّاس بهذا الكلام في كلّ ظرف من التّوحيد والرّسالة والمودّة في القربى، وأنّ كتابه هذا وحي سماويّ لا من تلقآء نفسه، ولتصديقه في دعواه أنّه مؤمن بما يدعوهم إليه.

والإشارة: «كذلك» هنا إلى قوله تعالى: «أو يرسل رسولاً...» أي وكما أرسلنا رسولاً علويّاً يوحي باذننا ما نشآء إلى أنبيآئنا، كذلك أرسلت هذا الرّسول العلويّ إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يحمل إليك من آياتنا وكلماتنا... وهذا إشارة إلى الصّورة الثّالثة من صور الوحي، والّتي كانت هي الصّورة الغالبة على تلقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما يتلّقى من وحي ربّه، ولقد جعل الله تعالى ذلك نوراً يهدي به من يشآء من عباده، ولقد كان من شأن محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن صار يهدي به غيره إلى طريق مستقيم.

قوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» بيان لحال النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل أن يتلقّى رسالة السّمآء، وما تحمل إليه من كلمات ربّه، وأنّه لم يكن قبل هذا التلقّي يدري تفصيلاً عن القرآن الّذي تلقّاه من ربّه، وأنّ ما عنده صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذي يدعو النّاس إليه إنّما هو من عند الله جلّ وعلا لا من قِبَل نفسه، وإنّما اوتي ما اوتي من ذلك بالوحي بعد الرّسالة، فالمراد بعدم درايته بالكتاب عدم علمه بما فيه من تفاصيل المعارف الإعتقاديّة والشّرائع العلميّة فإن ذلك هو الّذي اوتي العلم به بعد النّبوّة والوحي، وبعدم درايته بالإيمان عدم تلبّسه بالإلتزام التّفصيليّ بالعقآئد الحقّة والأعمال الصّالحة، وقد سمّى العمل إيماناً في قوله تعالى: «وما كان ليضيع إيمانكم» البقرة: ١٤٣).

فالمعنى: ما كان عندك قبل وحي الرّوح الكتاب بما فيه من المعارف والشّرائع،

ولا كتب متلبّساً بما أنت متلبّس به بعد الوحي من الإلتزام الإعتقاديّ والعمليّ بمضامينه، وهذا لا ينافي كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم مؤمناً بالله تعالى موحّداً قبل البعثة صالحاً في عمله، فانّ الّذي تنفيه الآية الكريمة هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والإلتزام بها اعتقاداً وعملاً ونفي العلم والإلتزام التّفصيليّين لا يلازم نفي العلم والإلتزام الإجماليين بالإيمان بالله جلّ وعلا والخضوع للحقّ، إذ لا شكّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان على دين الفطرة وهو دين إبراهيم خليل الرّحمٰن عليه السّلام: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» الأنعام: ١٦١).

فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مؤمناً باله واحد، قآئم على هذا الوجود، متفرّد بالخلق والأمر، أمّا ما لم يكن يعرفه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من الإيمان فهو يتّصل بالشّريعة الّتي تتّصل بهذا الإيمان، والّتي جآء القرآن الكريم مبيّناً لها... فانّ الإيمان: عقيدة وشريعة وقول وعمل، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يعرف الجانب العقيديّ ويتعبّد عليه قبل البعثة، وأمّا الجانب التشريعيّ تفصيلاً فما كان يعرفه قبل أن يتلقّي وحياً من ربّه، فنفي علم النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإيمان والكتاب قبل الوحي ليس على إطلاقه كما توهّم بعضهم.

وبذلك يندفع ما استدلّ بعضهم بالآية الكريمة على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان غير متلبّس بالإيمان قبل البعثة، ويندفع أيضاً ما عن بعض الآخرين أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يزل عالماً بالإيمان والكتاب تفصيلاً قبل البعثة كعلمه بهما بعدها، فانّه ينافي ظاهر الآية: أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ما كان يدرى ما الإيمان ولا الكتاب، و وجه الإندفاع أنّ من الضّروريّ وجود فرق في حاله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل البعثة وبعدها، والآية الكريمة تشير إلى هذا الفرق، وأنّ ما حصل له بعد البعثة لا صنع له فيه، وإنّما هو من الله عزّوجلّ من طريق الوحي.

وقوله عزّوجلّ: «ولكن جعلناه نوراً» فيه إشارة إلى ما يحمل هذا القرآن الكريم من هدى ونور يكشف به معالم الطريق إلى الله جلّ وعلا.

وقوله جلّ وعلا: «نهدي به من نشآء من عبادنا» فيه إشارة أُخرى إلى أنّ هذا النّور لا يهتدي به إلّا من جعل طوق العبوديّة لله تعالى على عنقه.

وقوله تعالى: «وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» تقرير لهداية الله تعالى وبيان كيفيّتها، وأنّ الّذي يهديه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من النّاس هو الّذي يهديه الله عزّوجلّ، فهدايته صلّى الله عليه وآله وسلّم هي هداية الله تعالى في كلّ ظرف، وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو نور من هذا النّور، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مَعْلَم من معالم الحقّ، يهدي إلى الحقّ، وإلى طريق مستقيم، وذلك في سنّته القوليّة والعمليّة وهذا يعني أنّ السّنّة المطهرة ـ قوليّة وعمليّة ـ هي من هذا النّور السّماويّ.

وفي إيثار الفعل والضمير للتكلّم مع الغير: «جعلنا ـ نهدى ـ نشاء ـ عبادنا» للتعظيم والتفخيم، مع ما في الفعلين المضارعين من الإستمرار والتجدّد، كما في «لتهدي» دلالة على الإستمرار والتجدّد وقد حذف مفعول «لتهدي» ثقة بغاية الظهور أي وإنّك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لتهدي النّاس حيّاً وميّتاً بذلك النّور إلى صراط مستقيم. وفي تنكير «صراط مستقيم» مالا يخفي على البيانيّ، فما احتوته الآية الكريمة من تقرير كون النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يكن يدري ماالكتاب ولا الإيمان تفصيلاً قبل الإتّصال الرّبّاني به صراحة، هذا لا ينفي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يفكّر في آلآء الله وملكوته، وتضطرب نفسه في سبيل تحرّي حقيقة الله جلّ وعلا وملّة إبراهيم الحنيفيّة وطريق الدّين القويم الّذي لا بدّ وأن يسلكه، وتنقبض نفسه ممّا كان يراه من سخف عقائد العرب وتقليدهم وشركهم كما لا ينفي أن يكون قد إنتهى إلى الإيمان بالله وحده ربّاً للعالمين يجب الإتّجاه إليه وحده وعبادته وحده والإستعانة به وحده ونبذ ماعداه ولقد كان هذا حقّاً وهو ماكان يحمله على اعتكا فاته الرّوحية في غار حرآء، فتصفو روحه حتّى تأهّل للإتّصال العلوي وتلقي وحي الله جلّ وعلا وشعت في نفسه حقيقة الإيمان اليقيني نوراً إلهيّاً إهتدى به، وحمل رسالته والدّعوة إليه ليهدي به النّاس إلى صراط الله المستقيم.

٥٣ ـ (صراط الله الّذي له مافي السّموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الامور)

بدل من «صراط مستقيم» أي إنّ هذا الصّراط المستقيم الّذي يهدى إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مَن شآء الله تعالى لهم الهداية من عباده هذا الصّراط هو صراط الله ودينه القويم الّذي رضيه لعباده كما قال جلّ وعلا: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل» الأنعام: ١٥٣)

وإضافة «صراط» إلى الإسم الجليل: «الله» ثمّ وصفه بقوله تعالى: «الّذي له مافي السّموات...» لتفخيم شأنه، وللدّلالة على الحجّة على استقامة صراطه، وتأكيد وجوب سلوكه فانّ كون جميع ما فيهما من الموجودات له جلّ وعلا خلقاً وملكاً وتصرّفاً ممّا يوجب ذلك أتمّ ايجاب، وذلك أنّ الله عزّوجلّ لمّا ملك كلّ شيءٍ ملك الغاية الّتي تسير إليها الأشيآء والسّعادة الّتي تتوجّه إليها، فكانت الغاية والسّعادة هي الّتي عيّنها وكان الطّريق إليها والسّبيل الّذي عليهم أن يسلكوه لنيل سعادتهم هو الّذي شرعه وبيّنه، وليس يملك أحد شيئاً حتّى ينصب له غاية ونهاية أو يشرع له إليها سبيلاً، فالسّعادة الّتي يدعو تعالى إليها حقّ السّعادة والطّريق الّذي يدعو إليه حقّ الطّريق ومستقيم الصّراط.

وقوله عزّوجلّ: «له ما في السّموات وما في الأرض» فيه قصر الملك والسّلطنة فيه تعالى على جميع العالم. وفي تكرير: «ما في» مالا يخفى على القارئ الخبير البيانيّ، فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل. وفي تقديم السّمآء على الأرض في الذّكر مع تقدّم خلق الأرض على خلق السّمآء إيمآء إلى شرفها وأفضليّتها وأنّها متعبّد الملائكة، وأنّ السّماويّات مؤثّرة والسّفليّات متأثّرة، والموثّر أشرف من المتأثّر.

وقوله عزّوجل: «ألا إلى الله تصير الامور» تعقيب على تقرّر في قوله تعالى: «الّذي له ما في السّموات...» وهو أنّ الله جلّ وعلا بما له من سلطان مطلق في هذا الوجود كلّه في أرضه وسمآئه يردّ إليه كلّ أمر، ويرجع إليه كلّ شيء، فلا يقع أمر فيها إلّا باذنه وعلمه وتقديره: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤) فامور مافيها قاطبة ترجع إلى الله وحده وفيه وعد للمهتدين و وعيد

للضّالين، فالمضارع: «تصير» للإستقبال، والمراد مصيرها جميعاً إليه تعالى يوم القيامة، وقد سيقت الجملة للوعد والوعيد.

وقال بعض المعاصرين: قوله: «ألا إلى الله تصير الامور» تنبيه على لازم ملكه لما في السّموات وما في الأرض، فانّ لازمه رجوع أمورهم إليه، ولازمه كون السّبيل الّذي يسلكونه ـ وهو من جملة امورهم ـ راجعاً إليه، فالصّراط المستقيم هو صراطه فالمضارع أعني قوله: «تصير» للإستمرار.

وفيه إشعار بلمّ الوحي والتكليم الإلهيّ إذ لمّا كان مصير الأشيآء إليه تعالى كان لكلّ نوع إليه تعالى سبيل يسلكه، وكان عليه تعالى أن يهديه إليه ويسوقه إلى غايته كما قال: «وعلى الله قصد السّبيل» النّحل: ٩) وهو تكليم كلّ نوع بما يناسب ذاته وهو في الإنسان التكليم المسمّى بالوحي والإرسال» انتهى كلامه.

﴿الإعجاز﴾

واعلم أنّ المقام ـ ونحن على جناح الإختصار ـ لا يسعنا لبيان بعض وجوه إعجاز بعض آيات هذه السّورة المباركة: «الشورىٰ» فضلاً عن جميعها، فنكتفي بذكر شيء منها على سبيل الإجمال، وينبغي لنا ذكر كلام قبل الخوض في الإجمال وهو: أنّ من الأسف أنّ المسلمين حتّى أكثر علمآئهم ولعوا بأنّ القرآن الكريم معجز لبلاغته اللفظيّة وتجاوزه حدود الإمكان من جهة النّظم والاسلوب، حتّى وقف ذلك الإعجاز منهم ببلاغته دون وجوه إعجازه الاخرى، ولم نقف له على أثر من ذات كتاب الله جلّ وعلا، ولا نعلم من أين جآء لهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتحدّي النّاس ببلاغة القرآن المجيد فحسب، وقد وصف الله تعالى كتابه في آيات كثيرة بأوصاف عديدة، وليس من بينها واحد يشير إلى قصر إعجاز القرآن في بلاغته اللفظيّة.

ذلك لأنّ البلاغة صفة ثانية للكلام الإلهي لامشاحة فيها ولا ريب، ولا يصحّ أن يرحل إلى الإستدلال بها على كونه كتاباً سماويّاً، و وحياً إلهيّاً، ونوراً ربّانيّاً... مع ترك ما في القرآن أنواع المعجزات الاخرى المحسوسة الّتي لايمكن فيها المكابرة والجدل، وترى لإقتصار المسلمين، بل وأكثر علمآئهم في الإستدلال على كون كتابهم سماويّاً بمحض بلاغته اللفظيّة وقع كثير منهم في الغلوّ في التّنقيب عن تناسب عباراته وتناسق كلماته، والإغراق في تفتيش تراكيبه، وبحث مبانيه من جهة الصّناعة والصّياغة، حتّى خرجت البلاغة عن معناها الحقيقيّ، وعمّا كان يفهمه

أصحاب البلاغة من العرب في مدّة البعثة النّبويّة وقبلها، وتمادى الحال حتّى ظنّوا أن البلاغة هي محض تناسب الكلمات وتوافق السّجعات و تناسق التّراكيب، وذهلوا عن روح البلاغة الحقيقيّة وجوهرها الذّاتيّ.

لو كانت البلاغة هي كما يفهمونه اليوم في تناسب التركيب وتناسق الألفاظ، وترادف العبارات... بصرف النّظر عن معناها الحقيقي لاستحال أمر البلاغة إلى صناعة من الصّناعات لا روح من الأرواح، ولأمكن أغبى الأغبيآء أن ينتقد على أبلغ البلغآء، ويدّعي أنّه غير بليغ لخروج بعض عباراته عن الأقيسة والقواعد الّتي حفظها في مخيلته، وظنّ أنّ كلّ خارج عنها ساقط عن مرتبة البلاغة، وما الّذي يمنعه من ذلك؟ أليست البلاغة في نظره صناعة من الصّناعات؟ وبما أنّ لكلّ صناعة حدود وقوانين محفوظة، فكلّ كلام شذّ عنها فهو خارج عن حدود البلاغة: «أبى يأبي» شاذّ فهو خارج عنه على ما زعمه القشريّون، فانظر إلى أي مدى وقف الجمود ببعض القرآئح... انظر كيف غفلت عن أنّ تلك الحدود مقتبسة من تلك البلاغة وناشئة منها، وقابلة للزّيادة على قدر مايفتح للنّاس من أساليبها، فقامت تحكم على الأصل بفرعه، وتقضي على النّص بشرحه، كيف وقد بلغ القرآن الكريم في منتهى درجات البلاغة، وفي أعلا قمّة الفصاحة، وهو ميزان يوزن به جميع أنواع البلاغات، ومعيار يقاس به كلّ أنحآء الفصاحات...؟

ولعمري أنّ لهذا القرآن الكريم أنواع معجزات من جهات عديدة أكثر من أن تعدّ، وأبعاد مختلفة لا نستطيع باحصآئها: «قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» الإسراء: ٨٨) فعلى العلمآء المحقّقين والخبرآء المدقّقين التّدبّر والبيان جدّاً ليخرج هذا الوحي السّماوي عن مهجوريّته.

وأمّا البحث الإجمالي القاصر في زاوية من أعماق إعجاز هذه السّورة المباركة: «الشّورىٰ» في قوله عزّوجلّ في أوّلها وآخرها خطاباً لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كذلك يوحي إليك ـ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن

حولها ـ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» :٣و٧و٥٢) أنّ هذا الوحي الّذي سمّي قرآناً هو روح من أمر الله جلّ وعلا إستعدّ لقبولها الفؤاد المحمّديّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأشرقت فيه شيئاً فشيئاً بواسطة الرّوح الأمين حتّى تمّ إشراقها، فجآئت هذا القرآن المجيد: «الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» «جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم».

هذا التحديد وحده كافٍ في إرشادنا إلى جهة إعجاز القرآن الكريم، وهدايتنا إلى وجه قصور الإنس والجنّ عن الا تيان بمثله، وبقآئه لليوم معجزة خالدة تتلألأ في نورها الإلهي، وتتألق في جمالها القدسي، وذلك أنّ القرآن المجيد لمّا كان روحاً من أمر الله جلّ وعلا فلا جرم كانت له روحانيّة خاصّة هي عندنا جهة إعجازه، والسّبب الوحيد في انقطاع الإنس والجنّ عن محاكاة أقصر سورة من سوره، وارتعاد فرائص الصّناديد والجبابرة سماعه، وناهيك بروحانيّة الكلام الإلهي.

نعم! إنّ جهة إعجاز هذا الكتاب الإلهيّ الأقدس هي تلك الرّوحانيّة العالية الّتي قلبت شكل العالم، وأكسبت تلك الطّائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والأكاسرة، و وطأت لهم عروش التّبابعة والقياصرة، حتّى صاروا ملوك الملوك وإخوان الملائكة في مدّة لايصعب عدّ سنيها على الأصابع... «رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق» غافر: ١٥).

لا مشاحة في أنّ القرآن المجيد فصيح قد أخرص بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادات القوافي وملوك البيان، وهو حكيم، بهر سماسرة الحكمة والفلسفة، وأدهش أساطين القانون والشّريعة، وحير أراكين النّظام والدّستور وهو حقّ، ألزم كلّ غال الحجّة، ودلّ كلّ باحث على المحجة، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وهو هدى ورحمة ونور وشفآء لما في الصّدور... كلّ هذه صفات جليلة تؤثر

على العقل والإحساس والعواطف والأميال، فتتحكم فيها تحكّم المالك في ملكه، ولكنّه فوق ذلك كلّه: «روح من أمر الله» تصل من روح الإنسان إلى حيث لاتصل إليه أشعّة البلاغة والبيان، ولا سيالات الحكمة والعرفان، وتسري من صميم معناه إلى حيث لا يحوم حوله فكر ولا خاطر، ولا يتخيّله خيال شاعر.

هذه الرّوحانيّة تنفذ إلى سرّ سريرة الإنسان وسويدآء ضميره، وتستولي منها على أصل حياته، ومهب عواطفه وإحساساته وتخلّقه خلقاً جديداً، وتصوّره صورة لا يتخيلها ولو قيلت له لما أدركها، ألا ترى كيف فعلت باولئك العرب الّذين لبثوا الوفاً من السّنين على حالة واحدة لا يتحوّلون عنها، ولا يسأمون منها، فنفحتهم بروح عالية قاموا بواسطتها يحملون الملوك سلطتهم، ويطوقون القياصرة بطوق نفوذهم وسطوتهم ولم يتمّوا جولتهم هذه حتّى دانت لهم المعمورة من أقصاها إلى أقصاها.

أي برهان على تبدّل أرواحهم أكبر من هذا؟ قوم كانوا بالأمس ممزقين مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسيّة ولا قوميّة بل ولا دينيّة، في أخشن مواقع الأرض وأجد بها وأبعدها عن النّظام والحكمة والآمال العظيمة والفتوحات، يقومون بعد سنين قليلة من بعثة نبيّهم ينشرون الفضل والفضيلة والخير والكمال في أرجآء هذا العالم المضطرب، و وسط هذه الفتن المزعجة، أيّ حجة أكبر من هذه على أنّ كلّ آية وكلّ سورة من آيات هذا القرآن الكريمة وسوره كالمجموع روح إلهيّ وأمر سماويّ؟ وأيّ وجه من وجوه إعجازه بعد مشاهدة هذا الأثر الفخم أوقع في النّفس، وأنى للشّك وأولى بالقبول من وجه روحانيته؟

إنّ القرآن فوق الفصاحة والبلاغة، فوق العذوبة والحكمة، وفوق الدّستور روحانيّة يدركها من لاحظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك الدّستور.. ألا ترى أنّ الطّفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتّى أنّهما ليكادان يفرقان بين ماهو قرآن، وما ليس بقرآن فيما لو أراد التّالي أن يغشّهما؟

هذه الرّوحانيّة تظهر ظهوراً جلياً عند ما تكون آية من آياته جآءت على سبيل الإستشهاد أو الإقتباس في صحيفة كبيرة، فانك ترى تلك الآية تتجلّى لك من بين

السّطور، وخلال التّراكيب كأنّها الشّمس في رابعة النّهار، مهما كانت درجة تلك الصّحيفة من البيان، ومنزلتها من جمال الاسلوب وجزالة الألفاظ... هذه الرّوحانيّة تظهر للعارف باللغة والجاهل بها، أمّا ظهورها للعارف فبيّن لا يحتاج إلى بيان، وأمّا ظهورها للجاهل بها من الامم الأعجميّة فبأثرها ونتآئجها...

أيّ إنسان يرى أنّ العربي الّذي كان بالأمس جزاراً أو تاجراً أو راعياً وهو من الجاهليّة وعدم إحترام الدّستور على ماكان يعلم النّاس منه، جآء اليوم يقود جيشاً يرغم به معاطس أكبر قواد العالم من غطاريف الحرب، ثمّ يدخل إلى أحشآء تلك الامّة المغلوبة فيؤمنها على دينها وشريعتها وأموالها وأعراضها، ويكون عليها أشفق من رؤسآئها وأحنى عليها من نفس حكومتها، فينشر بينهم العدل والاحسان، ويغمرهم بالأفضال والأنعام، قلنا من ينظر إلى هذا الأمر المدهش ولا يقرّ بأنّ هذا العربي قد اكتسب روحاً جديدة لم تكن فيه من قبل، وليست من جنس الأرواح الموجودة في أعليآء النّفوس وأصحاب الفضيلة من الأفراد؟ كيف لا يستدلّ هذا الإنسان بالحسّ على تلك الرّوحانيّة وقد أصبح يرجو من كان يخافه، ويتعلّم ممّن كان لايرى أجهل منه، ويتخلّق بأخلاق من كان لا يعده إلّا وحشاً كاسراً؟

أفلا يدلّ هذا التّبدّل العجيب أعظم دلالة وأوضح برهان على سموّدين هذا الفاتح وروحانيّة كتابه الّذي أنزله الله جلّ وعلا إليه؟ نعم يستدل على ذلك استدلالاً يوجب الإيمان، ويستدعي غاية الإطمئنان، ويدل على ذلك أنّه لم تكدتنتشر تلك الطّائفة الظّاهرة في العالم، ولم تجل فيه هذه الجولة السّريعة، حتّى دخل إلى الدّين الإسلامي في عشرات من السّنين، عشرات من الملايين طوعاً بلا دعوة، وعفواً بلا إرهاق بحجّة، غير مارأوه بأعينهم من هذا النّور السّماوي وما أحسّوه بضمآئرهم من هذه الرّوح الغريبة والحياة الطّيّبة...

وذلك أنّ الله عزّوجلّ جعل هذا القرآن نوراً يضيئ القلوب ضيآء الشّمس في الآفاق، وقد جعله روحاً يحي النّفوس، فله فضل الأرواح على الأجساد...

وقد اشتملت هذه الرّوحانيّة على العلوم الإلهيّة وأُصول العقآئد الدّينيّة، وقوانين

الفضآئل والآداب، وقواعد التّشريع السّياسيّ والمدنيّ والإجتماعي والأخلاقي وما إليها من الاصول الّتي أتى بها القرآن الكريم، وقد سبق بها كلّ الأوضاع البشريّة الّتي من نوعها، والّتي يؤلف مجموعها الصّرح الأدبي الضخم لهذه المدنيّة الحديثة، فكلّ ما أوجده العلمآء والمحققون ـ في العلوم المختلفة والفنون المتنوّعة ـ في القرون المتمادية إلى هذا القرن من الأصول العقليّة والقواعد النّظريّة، ممّا صححوا به النّظر في الوجود والموجودات، وتوصلوا به إلى بواهر الإكتشافات، وما أوجدته العلوم الطّبيعيّة من القوانين الحافظة للعقل من تعدّي حدود قواه في تناول المعارف كلّ هذا مشمول بالنّص لا بالتأويل في الاصول الّتي جآء بها القرآن الكريم في القرن السّابع الميلادى أي في الزّمن الّذي كانت فيه الإنسانيّة ترسف في قيود الجهالة وتهيم في وديان الأضاليل...

ولا ريب أنّ هذا الوجه من أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم، فانّ علوم العقائد الإلهيّة والآداب والتّشريع الدّيني والمدنيّ هي أعلى العلوم، وقلّما ينبغ فيها من الّذين ينقطعون لدراستها السّنين الطّوال إلّا الأفراد القليلون... فكيف يستطيع رجل امّي لم يقرأ ولم يكتب، ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن المجيد منها تحقيقاً وكمالاً، ويؤيّده بالحجج القاطعة والبراهين السّاطعة، بعد أن قضي ثلثي عمره لا يعرف شيئاً منها، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من اصولها... لأنّه لم يوحَ إليه بالقرآن إلّا بعد أن بلغ الأربعين من عمره، ولهذه الحكمة وجّه تعالى خطابه إليه فقال: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» وأمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخاطب العرب المتشكّكين بقوله: «قل لو شآء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس: ١٦).

ولقد اجتمعت في القرآن الكريم وجوه ثلاثة لايبد وأيّ وجه منها إلّا من خلال «روح» تسري فيه وتترقرق على محيّاه وهي: ١ـ الصّدق المطلق. ٢ـ علوّ الجهة. ٣ـ حسن الأدآء. وذلك أنّ القرآن المجيد قد جآء بالصّدق المطلق ظاهراً وباطناً «لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» وقد كان علوّ الجهة الّتي نزل منها القرآن علوّاً شامخاً، بعيداً لا ينال، ثابتاً لا يتغيّر، راسخاً لا يهتزّ، قويّاً لا يضعف، إنّه من عند الكبير المتعال لا يسامىٰ ولا يُدانىٰ... وكان النّظم الّذي جآء به القرآن لآلئ فريدة نظمتها يد الحكمة الباهرة، وكان بنآء شامخاً راسخاً أقامته يد القدرة القاهرة، وكان لحناً علويّاً خالداً ألّفت بين أنغامه وألحانه يد اللطيف الخبير.. ولكلّ واحد من الوجوه الثّلاثة لو جآء القرآن على صفته وحدها لكان معجزاً مفحماً تخرس الألسنة لبلاغته وتعنو الجباه لجلاله وعظمته، فكيف بالوجوه الثّلاثة إذا اجتمعن كلّها في كلام وصرن وجوهاً من وجوه محاسنه، وآية من آيات إعجازه؟

إنّه إعجاز يجتمع إلى إعجاز، يلتقي بإعجاز، هذا فيما تكشف لعيوننا... وأما ورآء ذلك فكثير من الوجوه... وكلّها رائع معجب، بل ما خفي منها أروع وأعجب!

فالقرآن المجيد كلّه روح، وليست هذه الألفاظ وهذا النظم، وهذا الأسلوب... إلّا تجلّيات لتلك الرّوح، وإلّا مطالع تطلع منها، ومنازل تنزل فيها...

تعرف الفنون «التّشكيليّة» شيئاً عن هذه «الرّوح» الّتي نتحدّث عنها هنا، وتعرف آثارها في العمل الفنّي وقيمتها في إعطآء الصّور الفنّية حياة وروعة وجمالاً... فالعبقرى من الفنون هو الّذي يحمل في كيانه نفخة أو نفحة من روح صاحبه، وعلى قدر ما في «الفنان» من قدرة روحيّة، وعلى قدر ما يعطي عمله الفنّي من روحه بقدر ما يكون في هذا العمل من جمال وجلال وخلود...!

فهناك «تماثيل» منحوتة من حجر أو مدر... ومع ذلك فقد نفخ الفنان فيها من روحه فبعث فيها حياة، وأطلع من كيانها مشاعر وعواطف وأحاسيس... وهكذا في سآئر الفنون... من نحت ورسم وأدب... كلّ عمل منها يأخذ من روح صاحبه نصيباً... قليلاً كان أو كثيراً، وهو بهذا القدر الّذي أخذ، يأخذ مكانه بين الأعمال الفنّية من إسفاف أو علوّ..

إنّ هذا القرآن الكريم هو كلام الله المجيد: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله» (التوبة:٦) نفخ فيه جلّ وعلا من روحه، فكان أمراً من

أمر الله تعالى وروحاً من روح الله عزّوجلّ، ولهذا سمّاه «روحاً» إذ قال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا...» وقال: «ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره» النّحل: ٢) فالرّوح هنا هو القرآن الكريم، وأمر الله تعالى ما اشتمل عليه وحيه وكلامه من أصول وفروع، من أوامر ونواه، من وعد و وعيد، من علوم وفنون، ومن نصآئح ومواعظ... وما إليها ممّا حمل القرآن المجيد من معان كريمة، ومعارف عالية، ومبان رفيعة... في جميع شئون الدّنيا والآخرة... وقد تظاهرت آيات كثيرة في القرآن الكريم على هذا المعنى لتزيده توكيداً وتقريراً منها قوله عزّوجلّ: «يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده» غافر: ١٥) فالقرآن الكريم روح من روح الله يحمل عن الله عزّوجلّ أمره الّذي أراد تعالى أن يبلغه الرّسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس وأن يدعوهم إليه ويقيمهم عليه، وهذا الرّوح الإلهي ليس هو مجرّد الكلمات المنطوق بها، وإنّما هذا الكلمات هي تجلّيات لهذا الرّوح وطاقات ينظر إليه من خلالها...

فمن وقف عند هذه الألفاظ لايتجاوزها، ولم ير إلّا كلاماً من الكلام وإن كان كلاماً عذباً، سمحاً، رآئعاً، معجباً، معجزاً... ومن تجاوز بنظره حدود هذا الكلام رأى عجباً، رأى النّور والهدى والرّحمة والحقّ والخير والصّلاح والفلاح والكمال والسّعادة... كلّها رأى آيات الله جلّ وعلا وسمع كلام الله عزّوجلّ.

فما يشعّ من كلمات القرآن المجيد من جلال ونور ينبعثان من هذا الرّوح الّذي هو روح الحقّ جلّ وعلا، والّذي هو القرآن الكريم: «وإنّه لكتاب عزيز ـ تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١ـ٤٢) وهذا ماينبغي أن يستقيم عليه كلّ مسلم في موقفه مع القرآن قارئاً أو مستمعاً، معلّماً أو متعلّماً، فعلى المسلم في جميع احواله مع القرآن أن يستشعر أنّه بين يدي روح من روح الله، وما هذا الكلام الّذي يقرؤه أو يسمعه إلّا تجلّيات لهذا الرّوح، وأنّ على المسلم أن يمدّ بصره إلى ما ورآء هذا الكلمات والألفاظ، وأن يفتح قلبه وفكره وتمام وجوده إلى هذا الرّوح السّاري فيها... وعندئذ يجد أنّه لايسمع كلاماً ـ مجرّد كلام ـ وإنّما يسمع كلام الله جلّ وعلا، ويشهد جلال الله وعظمة الله تعالى ربّ العالمين وإذاً يهتدي بهدى الله ويستجيب لدعوة رسوله صلّى

الله عليه وآله وسلّم...

ونحن لا نطمع في أكثر من هذا، ولا أن نمدّ أبصارنا إلى أبعد من تلك الغاية، إذ كنّا نعرف مقدماً أنّ إعجاز القرآن الكريم سرّ لا ينكشف إلّا بيد وليّ الله الأعظم الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف باذن الله تعالى وأنّ الّذي يبدو لنا من القرآن الكريم قبل ظهور صاحب الزّمان عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته هو أمارات وإشارات... أشبه بما يحمل النّسيم من روض أريض، من أريج الزّهر وطيبه لا تكاد تدرى من أيّ زهر مسّ هذا الأرج وذلك الطّيب، وإن كنت في رَوْح ونشوة من عَبَقه وأرَجه!

ما كنّا نطمع في البحث من إعجاز القرآن الكريم في أكثر من أن نؤذّن بهجرة إلى كتاب الله تعالى لكيلا يكون مهجوراً من قِبَلنا، وأن نتمّ الحجّة على مَن سمع دعوتنا إليه، فيصحبنا فيها من خلصت نيّته، وطابت ولادته، وصحّت سريرته، وانشرح صدره لهذه الهجرة، فنلتقي بكتاب الله تعالى هذا اللقآء الكريم، متدبّرين متذكّرين، إمتثالاً لدعوة الله جلّ وعلا لنبيّه ولأتباع نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩).

فغرضنا من هذا البحث دعوة إلى كلام الله المجيد، وحضور قلبيّ وروحيّ معه ليفتح الله جلّ وعلا لنا طريقاً إليه، فنسلكه مع السّالكين إلى الحقّ والمستقيمين على الهدى... فإنّ هذا القرآن المجيد الّذي بين أيدينا هو نعمة سابغة، وفضل واسع، وخير متّصل لا ينقطع ولا ينفد أبداً لمن تدبّر آياته، وأحسن صحبته، وفَقِهَ عنه ونظر به، فكان كلام الله هو الدّستور الّذي يلزم طريقه، ويتّبع نهجه، ويستقيم على أمره ونهيه...

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات وأتمّ تحيّاته: «وعليكم بكتاب الله فإنّه الحبل المتين، والنّور المبين، والشّفآء النّافع، والرّيّ النّاقع، والعصمة للمتمسّك، والنّجاة للمتعلّق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرّدّ و وُلُوج السّمع، من قال به

صدق، ومن عمل به سبق»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فانّه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب وينابيع العلم، ومالقلب جلآء غيره»

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غِنًى، فاستشفعوه من أدوآئكم، واستعينوا به على لأوآئكم، فانّ فيه شفآءً من أكبر الدّآء وهو الكفر والنّفاق والغيّ والضّلال، فاسئلوا الله به، وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسئلوا به خلقه، إنّه ماتوجّه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنّه شافع مشفّع، وقآئل ومُصَدَّق، وأنّه مَن شفع له القرآن يوم القيامة شُفِّعَ فيه، ومَن محَلَ به القرآنُ يوم القيامة صُدِّقَ عليه، فانّه ينادي منادٍ يوم القيامة: «ألا إنّ كلّ حارث مبتلىٰ في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن» فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهِمُوا عليه آرآءكم، واستغِشّوا فيه أهواءَكم».

أهذا القرآن لا يكون قابلاً للفهم؟ أكان هذا الكتاب لمن خوطب به فحسب؟ أهذا الوحي لا ينبغي لأحد أن يفسّره؟؟؟!!! على ما ألقاه الأجانب على المسلمين وعلمآئهم، فتقبّله الجهلة الأغبيآء بصورة العلمآء وهم أجرآء الأعدآء الّذين نبذوا كلام الله تعالى ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون!

إنّ هذا القرآن المجيد لكتابنا الّذي أكرمنا الله تعالى به، ورزقْنا الّذي فَضَّلَ به علينا، ونعمتُه الّتي جعلها زادنا في الحياة الدّنيا، وعُدّتَنا وذخرنا لما ورآء هذا الحياة.

فهل أدّينا حقّ هذا الكتاب؟ أتدبّرنا آياته؟ هل أحسنّا صحبته فينا؟ أعملنا بما فيه؟ هل انتفعنا بالخير الّذي حمله إلينا؟ أجعلناه كتاباً علميّاً على حدّ الكتب العلمية بين أيدينا؟ هل إعتنينا بكلام الخالق العليم بقدر إعتنائنا بكلام المخلوق الجهول؟ أدَرَسْنا كلام الله جلّ وعلا كما ندرس كلام الإنسان؟ وهل أخذنا منه بعض ما فيه ممّا هو شفآء للنّفوس، وسلامة للقلوب، وصحّة للعقول؟؟؟!!!

ولا جواب لهذه الأسئلة هنا فإنّ لسان الحال أبلغ من كلّ مايقال: فما تبدلت بالمسلمين الأحوال... ولا أعطتهم الدّنيا ظهرها إلاّ حين نبذواهم القرآن ظهورهم، وشُغِلُوا بغيره عنه، وأصبح مقامه فيهم مقام الغريب الّذي لاحساب له مع المقيمين!

إنّ العزلة بين المسلمين وبين القرآن الكريم هي الّتي عزلتهم عن كلّ خير، وأخْلَتْ أيديهم من الطّيّبات، وجعلت مكانهم في الحياة قلقاً موحشاً... يلقون فيه الهوان ويُسامون الخسف والضّرّ، ولن يصحح المسلمون وضعهم في الحياة، ولن يعود إليهم سالف مجدهم وعزّهم إلاّ إذا صححواهم وضعهم من القرآن المجيد، وعادوا إليه بقلوبهم، وأفكارهم، وبشعورهم وعقولهم... يَحْيَون فيه، وينظرون إلى الحياة بنوره ويتّجهون بإشارته، ويتحرّكون بقوّته!

وعلى كلّ مسلم وخاصّة العلمآء أن يستقيموا على كلام الله جلّ وعلا ويسوسوا أنفسهم مع كتاب الله، وفي صحبتهم للقرآن المجيد إذ لا هدى بعد هدى هذا الكتاب، ولا علم بعد علمه، ولا نور بعد نوره «جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» النّور: ٤٠)

إنّ صحبة المسلمين وخاصّة العلمآء للقرآن المجيد يجب أن تكون على هذا المنهج، بأنّ يعرضوا أنفسهم كلّ يوم على كتاب الله جلّ وعلا، وعلى مايتلوا من آياته... فإن وجدوا أنّهم مع آيات الكتاب الكريم على وفاق وهدى حمدوا الله عزّوجلّ، وسئلوه الزّيادة ممّا هم فيه، وإن وجدوا أنّهم في واد أو في أودية، وكلام الله تعالى في واد عرفوا أنّهم قد ضلّوا الطّريق المستقيم، وأنّهم في أودية الإنحطاط والخذلان، والخزي والهوان والذّلة والخسران... وفي معرض التّهلكة وعلى شفا حفرة من النّار، فليرجعوا وليعودوا من قريب!

والمسلمون اليوم لاينقصهم الإستماع لآيات القرآن المجيد، فانّهم يستمعون له غادين ورائحين مصبحين وممسين... منطلقاً على موجات الأثير... حيث تتردّد أصوات المقرئين فتملأ أطباق الأرض... ولكن الّذي يُعوزِ المسلمين هو القلب

الّذي يفرغ لما يستمع من كلام الله جلّ وعلا والعقل الّذي يتدبّر آياته ويهتدي بها... فما كان هذا القرآن أصواتاً تردّد للطّرب، ولا كلمات يُتَمْتَمُ بها للتعاويذ والرُّقى، ولا ألفاظاً يستودع في السّفر، ولا آيات تُقرء في مجالس العزآء وعلى القبور، ولا صوراً لجهيزة الأعراس... وإنّما هو وحي وروح ونور يهتدي به المهتدون، وإنّما هو- كما وصفه الحقّ تعالى -: «ذكر للعالمين» وهو كتاب مبارك سماويّ لا بدّ وأن يتدبّر آياته: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر اولوا الألباب» ص: ٢٩).

فمن قرأ هذا الكتاب المجيد أو استمع إليه، ولم تخلص إلى نفسه منه موعظة أولم يُحدِث له منه ذكر فليس بقارئ قرآن، ولا مستمع لقرآن جدّاً! ومن قرأ قرآناً أو استمع له ولم يحلّ حلاله ولا يحرم حرامه فليس بقاريه ولا مستمع له...

إنّ كتاب الله جلّ وعلا هو شريعة الدّين والدّنيا، وهو منهاج العمل لهما، قد أحكم الله تعالى كلّ شيء فيه، وقدّره بقدر ليحفظ على المجتمع الإنساني وجوده مُعافًى من أدوآء الكفر والطّغيان، والبغي والعصيان، والإثم والعدوان... ومن ضلالات التّسلّط والقهر، ولتقوم بين النّاس روابط الاخوّة والإعانة والرّحمة والمودّة...

وإذا قرأ المسلمون القرآن الكريم، واستمعوا له، ولم يتدبّروا آياته، ولم يتذكّروا عظاته ولم يعملوا بأوامره ولم ينتهوا عن نواهيه... فليسوا من القرآن المجيد على شيء حتّى يقيموا وجوههم له، ويفتحوا عقولهم وأفكارهم وشعورهم وقلوبهم عليه، بل ربّ تال القرآن والقرآن يلعنه، وقاريْ القرآن أو المستمع له لا يخلص إليه شيء من هذا الخير الكثير المخبوء فيه إلّا إذا أعطاه سمعه وقلبه وفكره وعقله، وإلّا إذا استشعر جلال الله تعالى وعظمته، وعلمه وحكمته، وتدبيره وقدرته فيما يقرأ من آياته ويسمع من كلماته...

وإنّ مدارسة القرآن الكريم وإدامة النّظر فيه، وتأمّل آياته، وشَغْل القلب والعقل به هو الّذي يُدني المسلم من مواطن الخير فيه، ويدير له مفاتح الهدى والنّور منه.

قال الله تعالى: «ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى

للمسلمين» النّحل: ٨٩)

وقال: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً ـ وننزّل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين ولا يزيدِ الظّالمين إلّا خساراً» الإسرآء: ٩و٨٢).

وقال: «يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المآئدة:١٦)

وقال: «هذا بصآئر من ربّكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» الأعراف: ٢٠٣)

ومن وجوه إعجاز السّورة: ما تخبر بملاحم غيبيّة لم تستطع البشريّة حتّى الآن أن تتطلعها، فتطّلع عليها، رغم سبرها الأغوار العميقة الواسعة في أرجاء الكون بالأسفار الجوّيّة وسواها من وسائل حديثة، فلم تستطع إلّا على أشراف ممّا يحمله قوله جلّ وعلا: ومن آياته خلق السّموات والأرض وما بثّ فيهما من دابّة وهو على جمعهم إذا يشآء قدير» الشّورىٰ: ٢٩) من غرر: ١ـ إنّ في السّموات داوابّاً كما في الأرض: هذه أم سائر أرض من السّبع كما في السّموات السّبع. ٢ـ ومنها عقلاء كإنسان هذه الأرض لإرجاع ضمير ذوي العقول: «جمعهم» إلى الجمع. ٣ـ إنّ الله تعالى سيجمع بين عقلاء السّموات والأرض إمّا في هذه الدّنيا وإمّا في الآخرة وإمّا هما معاً.

أسرار مستسرة لم ينفذ إلى طبيعتها أحد، فصلاً عن التطلّع إلى إنشآئها وكيفياتها وكميّاتها... فكلّ المحاولات العلميّة الّتي بذلت للبحث عن حياة في السّمآء حتّى النّباتيّة والجماديّة، فضلاً عن أحياء فيها حيوانيّة أم إنسانيّة... إنّها اغلقت دونها الأبواب، وانحسرت عندها الأسباب، حيث انقلب البصر إلى أهلها خاسئاً وهو حسير. «لا يسّمّعون إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كلّ جانب» الصّافّات: ٨) إنسان الأرض لم يحط علماً لحد الآن بدوابّ الأرض وهو ساكنها وماكنها، فكيف له التطلّع إلى السّمآء ليرى ساكنها وماكنها إلّا يكون من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمين وهم أدرى بما في البيت إذ يطلعهم الله الّذي إله الوحي وإله السّموات والأرض كما في هذه الآية الكريمة ونحوها... وفي لسان أهل بيت الوحي

المعصومين عليهم صلوات الله.

في الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام في دعآئه يخاطب لله جلّ وعلا: «... أصبحنا وأصبحتِ الأشيآء كلّها بجملتها لك سمآؤها وأرضها، ومابثثت في كلّ واحد منها ساكنه ومتحرّكه...» وقد صرّح الإمام عليه السّلام بوجود الدّابة في السّمآء.

وغيرها من وجوه الإعجاز لا يسعها المقام ونحن على جناح الإختصار.

﴿التّكرار﴾

وأعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ثمانية امور:

أحدها ـ ليس في القرآن الكريم تشتمل على «٥٣» آية إلّا هذه السّورة: «الشّورى».

ثانيها ـ أنّ هذه السّورة ثانية سورة من السّور السّبع الّتي افتتحت بكلمة «حمٓ» وقد سبق منّا وجه إشتراك السّور في افتتاحها بها في سورة «فصّلت» فراجع.

ثالثها ـ أنّ الله عزّوجلّ قال في هذه السّورة: «وما يدريك لعلّ السّاعة قريب»: ١٧) وفي سورة الأحزاب: «وما يدريك لعلّ السّاعة تكون قريباً»: ٦٣) مراعاة للفواصل فتأمّل جيّداً.

رابعها ـ أن الله تعالى قال: «إنّ ذلك لمن عزم الأمور» الشّورى: ٤٣) فأدخل لام التأكيد في الخبر، وقال في سورة «لقمان»: «إنّ ذلك من عزم الأمور»: ١٧) من دون اللام، وذلك أنّ الصّبر على وجهين: **أحدهما**ـ صبر على مكروه ينال الإنسان ظلماً كمن قتل بعض أعزّته بغير حقّ. **ثانيها** ـ صبر على مكروه ينال الإنسان ليس بظلم كمن مات بعض أعزّته أو قُتِلَ قصاصاً. فالصّبر على المكروه الّذي هو ظلم أشدّ من الصّبر على الّذي ليس بظلم، والعزم على الأوّل أوكد من الثّاني، وكان ما في هذه السّورة من الجنس الأوّل لقوله عزّوجلّ: «ولمن صبر وغفر» وتكرير الحثّ على الصّبر لمزيد التأكيد أيضاً، ولذلك أكّد الخبر باللام في هذه السّورة، وما في سورة «لقمان» فمن الجنس الثّاني فلذا لم يؤكّده.

خامسها ـ قال الله عزّوجلّ: «ومن يضلل الله فماله من وليّ» الشّورى: ٤٤) وقال بعده: «ومن يضلل الله فماله من سبيل»: ٤٦) وهذا ليس بتكرار لأنّ المعنى: ليس له من هادٍ ولا ملجاء.

سادسُها ـ أنّ في تكرار المشيّئة: «يهب لمن يشآء إناثاً ويهب لمن يشآء الذّكور»: ٤٩) دلالةً على أنّ متعلّق كلّ المشيّئة مستقلّة، فاريد بقوله تعالى: «يهب لمن يشآء اناثاً» هبة النّسآء فقط وبقوله جلّ وعلا: «ويهب لمن يشآء الذّكور» هبة الذّكور فقط، وبقوله عزّوجلّ: «أو يزوّجهم ذكراناً واناثاً» الجمع بينهم حالكونهم ذكراناً واناثاً معاً، وبقوله سبحانه: «ويجعل من يشآء عقيماً» من لايلد ولا يولد له، ولمّا كان هذا أيضاً قسماً برأسه قيّده المشيّة كالقسمين الأوّلين، ولم يقيّد الثّالث لأنّه جمع بين القسمين الأوّلين حقيقة فاكتفى بذكر المشيّة فيهما.

سابعها ـ أنّ الله قال في هذه الشّورى: «إنّه عليّ حكيم»: ٥١) وفي سورة الزّخرف: «لعليّ حكيم» بلام التّأكيد، وذلك أنّ آية الشّورى بصدد بيان وجوه التّكليم وتقسيمه، وهذا لايحتاج إلى زيادة توكيد، وأمّا آية الزّخرف ففي مقام جعل القرآن عربياً، وقد كان مشركوا لعرب يعرضون عنه، فكانت تحتاج إلى زيادة توكيد.

ثامنها ـ أن نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصآء في بحث اللغة ـ الصّيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة:

١ ـ جآئت كلمة «الذرأ» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ست مرّات:

١ ـ سورة «الشّورى»: ١١) ٢ـ سورة الأنعام: ١٣٦) ٣ـ سورة الأعراف: ١٧٩) ٤ـ سورة النّحل: ١٣) ٥ـ سورة المؤمنون: ٧٩) ٦ـ سورة الملك: ٢٤).

٢ ـ جآئت كلمة «القلد» على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع مرّات:

١ ـ سورة الشّورى: ١٢) ٢ـ سورة الزّمر: ٦٣) ٣و٤ـ سورة المآئدة: ٢و٩٧).

٣ ـ جآئت كلمة «الشّرع» على صيغها في القرآن الكريم نحو: خمس مرّات:

١ و ٢ـ سورة الشّورى: ١٣ و ٢١) ٣ـ سورة الجاثية: ١٨) ٤ـ سورة المآئدة: ٤٨)

٥ـ سورة الأعراف: ١٦٣).

٤ ـ جآئت كلمة «الحرث» على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع عشرة مرّة:

٥ ـ جآئت كلمة «الرّوض» على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرّتين:

أحدهما ـ سورة الشّورى: ٢٢) **ثانيها** ـ سورة الرّوم: ١٥).

٦ ـ جآئت كلمة «القنط» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ستّ مرّات:

١ ـ سورة الشّورى: ١٨) ٢ـ الزّمر: ٥٣) ٣ و ٤ ـ الحجر: ٥٥ـ٥٦) ٥ـ الرّوم: ٣٦) ٦ـ فصّلت: ٤٩).

٧ ـ جآئت كلمة «الرّكد» على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرّة واحدة وهي في سورة الشّورى: ٣٣).

٨ ـ جآئت كلمة «الوبق» على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرتين:

أحدهما ـ سورة الشّورى: ٣٤) **ثانيها** ـ سورة الكهف: ٥٢)

٩ ـ جآئت كلمة «الشّور والمشورة» على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع مرّات:

١ ـ سورة الشّورى: ٣٨) ٢ـ آل عمران: ١٥٩) ٣ـ البقرة: ٢٣٣) ٤ـ مريم: ٢٩)

١٠ ـ جآئت كلمة «الحجب» على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثمان مرّات:

١ ـ سورة الشّورى: ٥١) ٢ و ٣ـ الأحزاب: ٤٦ و ٥٣) ٤ـ ص: ٣٢) ٥ـ فصّلت: ٥) ٦ـ الإسراء: ٤٥) ٧ـ مريم: ١٧) ٨ـ المطففين: ١٥)

﴿ التّناسب وجهاته ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها:

أمّا الاولى والثّانية: فالتّناسب بينهما ـ حيث إنّ سورة الشّورى نزلت بعد سورة فصّلت، و وقعت بعدها مصحفاً ـ نزولاً ومصحفاً فبأُمور:

أحدها ـ أنّه لمّا افتتحت سورة «فصّلت» بتنويه الوحي الخاص والرّسالة الخاصّة ولغة الوحي الخاص وإحكامه، إفتتحت سورة «الشّورى» بتنويه الوحي العام والرّسالة العامة والشّريعة المطلقة.

ثانيها ـ لمّا جآء في السّورة السّابقة كلام في أمر الخلق والتّكوين: «قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين ـ ذلك تقدير العزيز العليم» فصّلت: ٩-١٢) جآء الكلام في هذه السّورة في أمر التّشريع والتّدوين، وذكر من يحفظ بهم أمرهما: «شرع لكم من الدّين ما وصىّ به نوحاً ـ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى»: ١٣-٢٣) إذ بهم تحفظ الشّريعة وأنّهم حصينها.

ثالثها ـ أنّه لمّا ذكر في السّورة السّابقة أنّه جلّ وعلا جعل القرآن عربياً: «كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً ـ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...» فصّلت: ٥و٤٤) ذكر في هذه السّورة حكمة نزول القرآن الكريم، وأنّه ليس مقصوراً في إنذار العرب وإن كان

بلغتهم، وإنّما هو لإنذار كافّة النّاس وهدايتهم.

رابعها ـ لمّا اختتمت السّورة السّابقة بذكر التّوحيد والمعاد، إبتدئت هذه السّورة بذكر النّبوة والعدل الإلهي في نظام التّكوين والتّشريع، والولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

خامسها ـ لمّا خلت في السّورة السّابقة من القصص والتّشريع والإنذار... سيقت كلّها في مواجهة المشركين بشركهم وطغيانهم، والمستكبرين ببغيهم وعصيانهم، والمجرمين بضلالهم وعدوانهم، والكافرين بتكذيبهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشكّهم في البعث، وفي لقآء ربّهم، ولقتهم السّورة السّابقة بكلّ طريق ودخلت على مشاعرهم وتصوّراتهم من كلّ باب، فلم تدع خاطرة تدور في رؤسهم من خواطر الشّكّ والإرتياب إلّا كشفت لهم عنها، وأرتهم باطلها وضلالها، ثمّ نصبت لهم معالم الهدى ودعتهم إلى أخذ الطّريق القاصد إليها وإلّا فالنّار موعدهم، جآئت هذه السّورة متّصلة بسابقتها إتّصالاً وثيقاً، فأعادت على أسماع المشركين عرض تلك القضايا الّتي عرضتها السّورة السّابقة من شركهم بالله سبحانه وتكذيبهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإرتيابهم في البعث والحساب والجزآء... وفي هذا العرض المتجدّد، يرى المشركون تلك القضايا، وقد طلعت عليهم بمعاول جديدة، تهدم تلك الجُذُر المتداعية من بنآء معتقداتهم الفاسدة، حتّى لتكاد تسقط عليهم، وتدفنهم تحت أنقاضها...

سادسها ـ أنّ الله عزّوجلّ لمّا صرّح في السّورة السّابقة بأنّ «علم السّاعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلّا بعلمه»: ٤٧) يردّ إلى الله تعالى صرّح في هذه السّورة بأنّ له الملك يعطي من يشآء ويهب لمن يشآء... «له ما في السّموات وما في الأرض ـ له مقاليد السّموات والأرض ـ ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ـ لله ملك السّموات والأرض يخلق مايشآء ـ ألا إلى الله تصير الأُمور»

سابعها ـ انتظام السّورتين أنّهما في ذكر المشركين وشركهم، وإقامة الحجج القاطعة على جهلهم وإبطال أقاويلهم، ومايتّصل بوعيدهم ووعيدغيرهم، واشتمال كلّ منهما

على ذكر القرآن الكريم ودفع مطاعن الكفار فيه، وتسليه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على ذلك.

وغير ذلك من وجوه التّناسب بين السّورتين لا يسعها المقام، ونحن على جناح الإختصار فعلى القارئ الخبير التأمّل جيّداً فلا يغفل.

وأمّا الثّالثة: فإجمالها أنّ السّورة لـمّا افتتحت لتقرير وحدة مصدر الوحي في الأوّلين والآخرين من قوله تعالى: «كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم»: ٣) أخذت بتقرير وحدانيّة المالك لما في السّموات والأرض واستعلائه وعظمته على وجه الإنفراد: «له ما في السّموات...»: ٤) ثمّ توصف حال الكون تجاه قضيّة الإيمان بالمالك الواحد وتجاه الشّرك الّذي يشذّ به بعض النّاس بقوله: «تكاد السّموات يتفطّرن...» ٥-٦) ثمّ تعود إلى الحقيقة الاولى بقوله: «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً...» مع تقرير أنّ الإنسان في تلك الحقيقة مختار، وبحسن إختياره يدخل الجنّة، وبسوء إختياره يدخل النّار: «فريق في الجنّة وفريق في السّعير»: ٧).

مع بيان أنّ الله سبحانه لم يشأ أن يكره الإنسان على أحدهما: «ولو شآء الله لجعلهم امّة واحدة...»: ٨) وتوبيخ من اتّخذ طريق السّعير، وترك سبيل الجنّة: «أم اتّخذوا من دونه أوليآء...»: ٩) ثمّ ذكرت أنّ الحاكم بين الفريقين هو الله جلّ وعلا: «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله...»: ١٠) ثمّ استطردت مع الرّبوبيّة إلى وحدانيّة الخالق وتفرّد ذاته، و وحدانيّة المتصرّف في مقادير السّموات والأرض، وفي بسط الرّزق وقبضه وفي علمه بكلّ شيء: «فاطر السّموات والأرض...»: ١١-١٢) ثمّ تعود إلى الحقيقة الاولى: «شرع لكم من الدّين ما وصىّ...» ١٣-١٤) ثمّ أمر رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالدّعوة والإستقامة على الشّريعة، وبالدّعوة إلى مستحفظي الشّريعة: «فلذلك فادع واستقم كما امرت - قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى...»: ١٥-٢٣).

وعلى مثل النّسق تمضي السّورة في عرض هذه الحقيقة محوطة بمثل هذا الجوّ،

وهذه الإستطرادات المتعلّقة بقضايا العقيدة الأخرى المثبتة في الموقف ذاته للحقيقة الاولى الّتي تبدؤ كأنّها موضوع السّورة الرّئيسي، وهذا النّسق واضح وضوحاً كاملاً في هذا الدّرس الأوّل من السّورة، فالقارئ يلتقي بعد كلّ بضع آيات بحقيقة الوحي والرّسالة في جانب من جوانبها... وهذا طريق واضح لتعيين الموضوع والغرض الأصيل لكلّ سورة من سور القرآن الكريم.

ثمّ تعود إلى الحقيقة الاولى ـ بعد دعوة النّاس إليها: «إستجيبوا لرّبكم ...» بقوله جلّ وعلا: «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً...» :٤٨) ثمّ تختم السّورة بهذه الحقيقة: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً...» ٥١-٥٣).

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وقال وهب بن منبّه: هو ـ قوله تعالى: «وستغفرون لمن في الأرض» الشّورى: ٥) ـ منسوخ بقوله: «ويستغفرون للّذين آمنوا» غافر: ٧).

أقول: إنّ آية الشّورى خبر وهو خاص بالمؤمنين، والخبر غير منسوخ، فآية «غافر» تقييد لآية «الشّورى» بارادة إستغفارهم لمن في الأرض من المؤمنين، والتقييد غير النّسخ، مضافاً إلى أنّ وهب بن منبّه مردود عندنا. **وقيل:** إنّ حملة العرش مخصوصون بالإستغفار للمؤمنين خاصّة ولله ملائكة أخر يستغفرون لمن في الأرض. **أقول:** كيف لله سبحانه ملائكة يستغفرون لمن في الأرض الّذين هم غير المؤمنين والله تعالى يقول: «فلعنة الله على الكافرين» البقرة: ٨٩) «ألا لَعْنَة الله على الظّالمين» هود: ١٨) «إنّ الّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة» الأحزاب: ٥٧)؟

وفي المجمع: «وروي عن أبي عبدالله عليه السّلام: «والملائكة ومن حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم لا يفترون «ويستغفرون لمن في الأرض» من المؤمنين».

وفي الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «وما أنت عليهم بوكيل»: ٦) قال: «وهذه منسوخة بآية السّيف».

أقول: إنّ الآية الكريمة في مقام التّسلية للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والتّحديد لمسئوليّته في أدآء رسالته.

وفي الجامع لأحكام القرآن: قال إبن عبّاس ومجاهد في قوله تعالى: «الله ربّنا

وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجّة بيننا وبينكم»: «الخطاب لليهود أي لنا ديننا ولكم دينكم» قال: ثمّ نُسِخَتْ بقوله: «قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر» التوبة: ۲۹).

أقول: ليس المراد منه تحريم المحاجّة، فانّه لولا الأدلّة لما توجه التّكليف، بل المراد أنّهم بعد أن وقفوا على الحجج الباهرة والدّلآئل الظّاهرة على حقّيّة دين الإسلام لم يبق معهم حجّة لسانيّة، حيث إنّ البراهين قد ظهرت، والحجج قد قامت، فلم يبق إلّا العناد، وبعد العناد لاحجّة ولا جدال، وإنّما بقي السّيف، فتعني الآية الكريمة أن لاموقع للإحتجاج بعد وضوح الحقّ، وتؤيّد ذلك الآية التّاليَة: «والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم»: ۱٦).

قيل: إنّ قوله تعالى: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب»: ۲۰) منسوخة بقوله عزّوجلّ: «من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها مانشآء لمن نريد...» الإسرآء: ۱۸).

أقول: إنّ هذا ليس بنسخ لأنّ هذا إخبار بأنّ الأشيآء بارادة الله تعالى، ومن المعلوم أنّ الأخبار لاتنسخ، وإنّما هذا من باب المطلق والمقيّد، فانّ الآية الثّانية تخصّص الاولى وتقيّد فحواها بما يتوافق والمصلحة الّتي يراها الله تعالى، فليس كلّ من يريد الدّنيا حصل لها، وقد ثبت أنّ التّخصيص غير النّسخ.

وفي الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» الآية: ۲۳) منسوخة، وإنّما نزلت بمكّة، وكان المشركون يؤذون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنزلت هذه الآية، وأمرهم الله بمودّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وصلة رحمه، فلمّا هاجر آوته الأنصار ونصروه وأراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبيآء حيث قالوا: «وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلّا على ربّ العالمين» الشّعرآء: ۱۰۹و۱۲۷و۱٤٥و۱٦٤و۱۸۰) فأنزل الله تعالى: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله» فنسخت بهذه الآية...

ثمّ قال القرطبي: قال الثعلبي: وليس ـ هذا القول ـ بالقويّ، وكفى قبحاً بقول

من يقـول: إنّ التقرّب إلى الله بطـاعته ومـودّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته منسوخ، وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله زوّار قبره الملائكة والرّحمة، ومن مات على بغض آل محمّد جآء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه أيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمّد لم يرح رآئحة الجنّة، ومن مات على بغض آل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي».

وفي تفسير النّيسابوري: وأمّا الآخرون ـ أي الّذين لا يقولون بنسخ الآية الكريمة ـ فنهم من قال: الإستثناء متّصل، ولكنّه من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذّمّ كقوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتآئب

والمعنى: لا أطلب منكم أجراً إلّا هذا وهو في الحقيقة ليس أجراً لأنّ حصول المودّة بين المسلمين أمر واجب ولا سيّما في حقّ الأقارب كما قال عزّمن قآئل: «والّذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل» ومنهم مَن قال: الإستثنآء منقطع أي لا أسئلكم عليه أجراً ألبتّة ولكن أذكركم المودّة في القربى».

وفي متشابه القرآن ومختلفه لإبن شهر آشوب السّرويّ المازندراني رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» قال: قالوا: إنّها نسخت بقوله: «قل ما أسئلكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله» وقوله: «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين» وقوله: «وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلّا ذكر للعالمين» فهذه الآيات لا تخلو إمّا أن يكون نزلت قبلها أو بعدها، فان كانت نزلت قبلها فلا تكون ناسخة لها، وإن كانت نزلت بعدها فهي تؤكّده، فإنّه ليس في ظاهر الآية ما يوجب سقوط الأجر، والله تعالى أخبرهم بأنّ ذلك الأجر لهم يثابون فيه بمودّتهم أهل بيته إذا فعلوا ذلك.

وقال الحسين بن الفضل وأبو القاسم القشيرى وجماعة من المفسّرين: إنّ النّاسخة قوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» وكفى قبحاً ممّن زعم أنّ التقرّب إلى الله تعالى بطاعته ونبوّة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم منسوخ، ومن ادّعى

النّسخ توهّم أن الإستثنآء مُنفَصِلٌ ورأى إبطال الأجر في الآيات المذكورات... وقال الكسآئي: هذا الإستثناء منقطع لأنّ المودّة في القربى ليست من الأجر، ويكون التقدير: أذكركم المودّة في قرابتي. وقال الزّجّاج: الإستثنآء حقيقة ويكون معناه: أجري المودّة في القربى وإن لم يكن أجر.

وفيه: ماروى علمآؤهم مثل مالك بن أنس وإبن يعلى الموصلى عن حميد وعطية عن الخدري والسّدي ومجاهد: أنّه لـمّا نزلت قوله: «وآت ذا القربى حقّه» دعا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فاطمة عليها صلوات الله وأعطاها فدك وهو المرويّ عن الجعفرين عليها السّلام».

أقول: لا يخفى على القارئ المتأمّل الخبير أنّه لاموجب للقول بالنّسخ هنا، لأنّ الآية الثّانية لا ترفع شيئاً ممّا جآئت به الآية الاولى، وإنّما تدفع تهمة وجّهها المنافقون إلى ساحة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم البريئة، اتّهموه بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مندفع بدافع الرّحم، حيث جعل أجر رسالته مودّة قرباه، فجائت الآية الثّانية توضح جانب هذه المسئلة، وأنّه شيء يعود عليهم هم، فإنّ مودّة قربى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والإتّصال بأهل بيته الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين إمتداد للوسيلة الّتي تقرّبهم إلى الله جلّ وعلا وتؤمن عليهم السّعادة مع الخلود وتوجب لهم الفلاح فأمر الله تعالى المؤمنين بابتغآئهم الوسيلة إليه فقال: «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون» المآئدة: ٣٥).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غوى وهوى».

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي تارك فيكم الثّقلين ما إنّ تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وفي روضة الكافي: بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام في تفسير الآية الكريمة... «ويقول تعالى: أجر المودّة الّذي لم أسئلكم غيره فهو لكم تهتدون به، وتنجون من عذاب يوم القيامة...» الخبر.

وفي الجامع لأحكام القرآن: في قوله تعالى: «والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ـ ولَمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور» : ٣٩-٤٣) قال القرطبي: «وقيل: هذه الآيات في المشركين، وكان هذا في إبتدآء الإسلام قبل الأمر بالقتال ثمّ نسختها آية القتال وهو قول ابن زيد».

وفيه: «وقال أبومالك: هو مايرجوه كفّار قريش أن يكون بمكّة غير الإسلام ديناً. وعلى هذا الحدّ قال إبن زيد: إنّ هذا كلّه منسوخ بالجهاد، وإنّ هذا للمشركين خاصّة».

أقول: إنّ ظاهر الكلام يدل على أنّه عام، فلادليل على نسخه فتأمّل جيّداً ولاتغفل

وقيل: إنّ قوله تعالى: «والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون» : ٣٩) وقوله عزّوجلّ «ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل» : ٤١) منسوختان بقوله سبحانه: «ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور» : ٤٣).

أقول: إنّ الآية الأخيرة ندب إلى الصّبر والشكيمة لافرض، فللمظلوم حقّ الإنتصار وإن كان مقام العفو أسمى وأبرّ، لاسيّما والمؤمنون يومئذ بمكّة المكرّمة، فكانت التؤدة والصّبر أوفق بموقفهم ذاك .

وفي التبيان: في قوله تعالى: «أولئك لهم عذاب أليم» قال الطّوسى رضوان الله تعالى عليه: إخبار منه تعالى أنّ من قدّم وصفه لهم عذاب موجع مؤلم، ثمّ مدح تعالى من صبر على الظّلم ولم ينتصر لنفسه، ولاطالب به ويغفر لمن أسآء إليه بأن قال: «ولمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور» أي من ثابت الأمور الّتي أمر الله بها فلم ينسخ».

وفي البحار: ـ باب ١٢٨ ـ ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في أصناف آيات القرآن وأنواعها... قال عليه السّلام: «وأمّا الرّخصة الّتي صاحبها فيها بالخيار فانّ الله تعالى رخّص أن يعاقب العبد على ظلمه، فقال الله تعالى: «جزآء سيّئة سيّئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله» وهذا هو فيه بالخيار إن شآء عفى وإن

شآء عاقب»

قيل: إنّ قوله تعالى: «فما أرسلناك عليهم حفيظاً»: ٤٨) منسوخ بآية القتال.

أقول: وقد سبقَ آنفاً أنّ الآية الكريمة تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتحديد لمسئوليّته.

﴿ تحقيق عميق في الأقوال ﴾

٢ ـ ١ ـ (حٓم عسٓق)

فيها أقوال: ١ ـ في تفسيرالطبري عن أرطاة بن المنذر قال: جآء رجل إلى ابن عبّاس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان: أخبرني عن تفسير قول الله: «حم عسق» قال: فأطرق، ثمّ أعرض عنه، ثمّ كرّر مقالته، فأعرض فلم يجبه بشي ء وكره مقالته، ثمّ كرّرها الثّالثة، فلم يجبه شيئاً، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها قد عرفت بِمَ كرهها؟ نزلت في رجل من أهل بيته يقال له: عبد الإله أو عبدالله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النّهر بينهما شقّاً، فإذا أذن الله في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدّتهم بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً فتصبح سودآء مظلمة قد احترقت كأنّها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجّبة كيف أفلتت، فما هو إلّا بياض يومها ذلك حتّى يجتمع فيها كلّ جبّار عنيد منهم، ثمّ يخسف الله بها وبهم جميعاً فذلك قوله: «حم عسق».

يعني عزيمة من الله وفتنة وقضآء حُمّ عين يعني عدلاً منه سين يعني سيكون، وقاف يعني واقع بهاتين المدينتين.

وذكر عن ابن عبّاس أنّه كان يقرؤه: «حم سق» بغير عين، ويقول: إنّ السّين عمر كلّ فرقة كآئنة، وإنّ القاف كلّ جماعة كآئنة. ويقول: إنّ عليّاً عليه السّلام: إنّما كان يعلم العين بها».

٢ ـ قيل: إنّ «حم عسق» كلاهما معاً إسم لهذه السّورة. ٣ـ قيل: إنها رموز إلى

فتن كان عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: يعرفها. ٤- قيل: الحآء: حكم الله تعالى، والميم: ملكه والعين: :علمه، والسّين: سنآؤه، والقاف: قدرته. ٥- قيل: إنّ الحآء تشير إلى حرب عليّ عليه السّلام: ومعاوية، والميم تشير إلى ولاية المروانيّة، والعين تشير إلى ولاية العبّاسيّة، والسّين تشير إلى ولاية السّفيانيّة، والقاف تشير إلى قدرة المهديّ المنتظر الحجّة بن الحسن العسكري عليهما السّلام. ٦- قيل: الحآء: حبّ الله تعالى، والميم: محبوبيّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والعين: عشقه، والقاف: قربه إلى سيّده. ٧- عن مجاهد: «حم عسق»: فواتح السّور. ٨- عن عبدالله بن بريدة: إنّ «حم عسق» إسم الجبل المحيط بالدّنيا.

٩ - عن إبن عبّاس أيضاً: «حم عسق» هي ثنآء أثنى تعالى بها على نفسه، الحآء: حلمه، والميم: مجده وملكه، والعين: علمه، والسّين: سنآؤه، والقاف: قدرته على خلقه أقسم الله عزّوجلّ بها. ١٠- عن محمّد بن كعب: أي أقسم الله بحلمه ومجده وعلوّه وسناه وقدرته ألّا يعذّب من عاد بلا إله إلّا الله مخلصاً من قلبه. ١١- عن سعيد بن جبير: الحآء من الرّحمن، والميم من المجد، والعين من العليم، والسّين من القدّوس والقاف من القاهر. ١٢- قيل: هذا في شأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فالحاء: حوضه المورود، والميم: ملكه الممدود، والعين: عزّه الموجود، والسّين: سناه المشهود، والقاف: قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة من المَلِك المحمود.

١٣ - عن إبن عبّاس أيضاً: قال: ليس من نبيّ صاحب كتاب إلّا وقد اوحي إليه: «حم عسق» فلذلك قال: «يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك» فمعنى «حم عسق» أوحيت إلى الأنبيآء الماضين... و«حم عسق» يرمز إلى الوحي كلّه مانزل من قبل، وفي هذا. فالمعنى:أوحيت إلى كلّ نبيّ كما أوحيت إلى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم. ١٤- قيل: إنّ «حم عسق» كسآئر مفاتيح السّور القرآنيّة من المتشابهات والمبهمات الّتي استأثر الله تعالى بعلمها، فلايعلم تأويلها إلّا الله والرّاسخون في العلم وهم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك من مختصّات القرآن الكريم لاتوجد هذه الحروف المقطعة في غيره من الكتب السّماويّة النّازلة على

الأنبيآء عليهم السّلام.

١٥ ـ قيل: إنّ «حم عسق» خمسة أحرف بدئت بها هذه السّورة الكريمة، وذلك العدد هو غاية ما بُدِيً به من حروف مقطّعة، على حين قدبد أبعض السّور بحرف واحد مثل: «ن» و«ق» و«ص» كمابد أبعض السّور بحرفين مثل: «طه» و«طس» و«يس» و«حم» وبعضها بثلاثة أحرف مثل: «الم» و«الر» وطسم» وبعضها بأربعة أحرف مثل: «المص» و«المر»...

ممّا يلفت النّظر في هذا أنّ الكلمة العربيّة قد تبنى على حرف واحد مثل: «قِ» فعل أمر من «وقى» أو حرفين مثل: «قل» فعل أمر من «قال» أو ثلاثة أحرف مثل: «عبد» أو أربعة أحرف مثل: «زلزل» أوخمسة احرف مثل: «تلعثم».

وعلى هذا يمكن أن ينظر إلى هذه الحروف المقطّعة على أنّها أفعال أو أسمآء ذات دلالات خاصّة لايعرفها إلّا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام فهم يرون في أصوآتها مالايراه غيرهم، وفي هذه الرّؤية ينكشف كثير من الأسرار والمعارف الّتي تحويها هذه الاحرف في كيانها، فهي أشبه بصناديق مغلقة على كنوز من الأسرار والمعارف والحِكَم... يأخذون هم منها ماشآؤا على حين لاتأذن بشيءٍ منها لغيرهم ثمّ تظلّ مغلقة على أسرارها دون من ليسوا بأهلها...

وعلى هذا الفهم يمكن أن تردّ الإشارة في قوله عزّوجلّ: «كذلك يوحي إليك ...» إلى هذه الأحرف، وأنّ الله تعالى قد أوحى إلى نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذه الأحرف الّتي تحمل في كيانها دلالات يعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السّلام تأويلها بما آتاهم الله تعالى من علم، شأنهم في هذا شأن الأنبيآء من قبلهم الّذين أوحى الله عزّوجلّ إليهم بمثل ماأوحى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم به من هذه الأحرف الّتي هي رموز إلى أمور يعرفون هم تأويلها ويشاركهم بنسب مختلفة في المعرفة أهل بيته المعصومون عليهم السّلام من الرّاسخين في العلم. فالمراد ـ والله أعلم ـ بما يوحى به الله عزّوجلّ إلى رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم هنا هو بعض مايوحى إليه لا كلّه، وهو تلك الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السّور لا كلّ ما اوحي به إليه.

وفي قوله عزّوجلّ: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من ورآء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشآء» إشارة إلى أنّ هذا الوحي الّذي تلقّى به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الأحرف لم يكن عن طريق الملك الّذي اعتاد أن يلقاه، فيتلقّىٰ منه ما أذن الله بوحيه إليه من آياته وكلماته... وإنّما كان كلاماً من ربّه على تلك الصّفة الّتي أشار إليها تعالى في قوله: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً» أي إلهاماً منه عزّوجلّ حيث يجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلمات ربّه قآئمة في صدره، مستولية على كيانه كلّه، وهذا مايشير إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: «إنّ روح القدس نفخ في روعي» ومن هنا كان لهذه الحروف هذا المقام الكريم في كتاب الله المجيد، فكانت تلك الحروف على رأس السّور الّتي نزلت معها.

١٦ ـ عن عطآء: «حم عسق» هي حروف مقطعة من حوادث آتية... فالحآء كلّ حرب يكون والميم تحويل كلّ ملك يكون، والعين كلّ عدوّ مقهور يكون، والسّين من الإستئصال بسنين كسني يوسف عليه السّلام والقاف كلّ قذف يكون. وقيل: القاف من القدرة في ملوك الأرض. ١٧ـ قيل: هي قسم أقسم بها أن لايعذّب في النّار أبداً مَن قال: لا إله إلاّ الله مخلصاً بها لرّبه ولقى بها ربّه. ١٨ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «حم» إسم من أسمآء الله تعالى و«عين» عاين المذكور عذاب يوم بدر و«سين» أي سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون و«قاف» قارعة من السّمآء تصيب النّاس. ١٩ـ عن قتادة: «حم عسق» إسم من أسمآء القرآن.

٢٠ ـ قيل: «إنّ «حم عسق» كسآئر الحروف المقطعة الّتي جآئت في أوآئل عدّة من السّور القرآنيّة، هي حروف تنبيه واسترعآء نحو: «ألا» و«يا» ونحوهما يؤتى بها لايقاظ السّامع وتنبيهه إلى ماسيلقى إليه من الأمور العظام المشتملة عليها هذه السّورة وينطق بأسمآئها هكذا: «حاميم ـ عين ـ سين ـ قاف» ٢١ـ قيل: إنّ الأفهام

العادية لاتدرك من تلك الحروف المقطّعة إلاّ الإستشعار بأنّ بينها وبين المضامين المودعة في السّور ارتباطاً خاصّاً، وإلى هذا الإستشعار يشير ماروته العامّة عن الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: أنّ لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التّهجّي.

٢٢ - قيل: «حم عسق» الحآء: الحكيم، والميم: المثيب، والعين: العالم، والسّين: السّميع، والقاف: القادر القويّ. ٢٣- عن إبن عبّاس أيضاً: «حم» إسم من أسمآء الله تعالى، و«عسق» علم على تفسير كلّ جماعة، ونفاق كلّ فرقة. ٢٤- عن إبن عبّاس أيضاً: السّين كلّ فرقة تكون، والقاف كلّ جماعة كانت.

أقول: وقد وردت في الرّابع عشر روايات كثيرة فتأمّل جيّداً ولا تكن من الغافلين.

٣ - (كذلك يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم)

في قوله تعالى: «كذلك يوحي إليك ...» إشارة إلى مابعدها من آيات هذه السّورة كقوله عزّوجلّ: «تلك آيات القرآن الحكيم» يونس: ١) أي بمثل ذلك الإيحاء البديع البيّن المفهم في هذه السّورة: «الشّورى» من الدّعوة إلى التّوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والإيمان باليوم الآخر، وإلى تجميل النّفس بالأخلاق الفاضلة، وإبعادها عن رذآئل الأخلاق، وإلى العمل على سعادة الفرد والمجتمع يوحي إليك الله تعالى كما أوحى إلى الأنبيآء بمثله من قبلك، فإنّ المقصود من إنزال الوحي ليس إلاّ تلك الأمور الّتي لاتتمّ السّعادة إلاّ بها، ولا الفوز بالنّعيم في الدّارين إلاّ بسلوكها.

٢- قيل: إشارة إلى القرآن كلّه كقوله تعالى: «ذلك الكتاب لاريب فيه» البقرة: ٢).

٣- قيل: إشارة إلى مامضى من الآيات القرآنيّة النّازلة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل هذه السّورة: «الشّورى» أي مثل ذلك الايحاء الّذي تقدّم يوحي إليك، وأوحى إلى الأنبيآء الّذين كانوا من قبلك. فالتّشبيه في نفس الوحي لافي المُوحىٰ ودرجاته ومادّته حيث إنّ القرآن يفوق سآئر الوحي في المراتب والدّرجات والمادّة.

٤ـ قيل: إشارة إلى ما تضمّنته هذه السّورة من المعاني أوحى الله تعالى إليك مثله في غيرها من السّور وأوحاه إلى من قبلك على معنى أنّ الله عزّوجلّ كرّر هذه المعاني في القرآن، وفي جميع الكتب السّماويّة لما فيها من المنافع الدّينيّة والدّنيويّة لعباده.

٥ ـ قيل: إشارة إلى الوحي لا من حيث نفسه، بل من حيث ما يشتمل عليه من المفاد، فيكون في الحقيقة إشارة إلى المعارف والحِكَم الّتي تشتمل عليها السّورة، وتتضمّنها، فمضمونها ممّا أوحاه الله عزّوجلّ إلى جميع الأنبيآء فهو من الوحي المشترك فيه بأنّ هذه السّورة انفردت بأنّ معانيها أوحيت إلى سآئر الأنبيآء، فلذلك خصّت بهذه التّسمية.

وقال إبن عبّاس: وما من نبيّ انزل الله عليه الكتاب إلّا انزل عليه معاني هذه السّورة بلغاتهم... ٦ـ عن إبن عبّاس: أي مثل الوحي الّذي تقدّم يوحي إليك اخبار الغيب وما يكون قبل أن يكون، وإلى الّذين من قبلك من الأنبيآء عليهم السّلام.

٧ ـ قيل: أي مثل هذا الوحي الّذي يأتي في هذه السّورة يأتي إليك لأنّ مالم يكن حاضراً تراه صلح فيه «هذا» لقرب وقته، و«ذلك» لبعده في نفسه، ومعنى التّشبيه في «كذلك» أنّ بعضه كبعض في أنّه حكمة وصواب بما تضمّنه من المعارف والحِكم، والحجج والمواعظ والفوآئد الّتي يعمل عليها في الدّين، فمثل ذلك اوحى إلى الّذين من قبلك من الأنبيآء وتعبدهم بشريعة كما تعبدك بمثل ذلك. ٨ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي كما أوحينا إليك «حم عسق» كذلك أوحينا إلى الّذين من قبلك من الرّسل. ٩ـ قيل: إشارة إلى «حم عسق» في وحيها الخاصّ برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ النبأ الّذي تحمّله أوحي إلى الأنبيآء الماضين من قبله كما أوحي إليه. ١٠ـ قيل: إشارة إلى هذه الحروف المقطّعة الّتي هي رموز تخصّ أصحاب الوحي لاخصوص «حم عسق» إذ لا توجد هذه الحروف في غير القرآن الكريم من الكتب النّازلة على الأنبيآء المتقدّمين عليهم السّلام.

١١ ـ قيل: إشارة إلى الموحىٰ إليهم من الأنبيآء عليهم السّلام دون كتبهم النّازلة

عليهم. ١٢- قيل: إشارة إلى أصل الوحي في بُعديعمّ سآئر الوحي لسآئر المرسل إليهم دون خصوص المرسلين لا الوحي الثنآئي الّذي هو وحي في وحي «حم عسق» على أنّ مقتضى كون غرض السّورة بيان الوحي بتعريف حقيقته والإشارة إلى غايته وآثاره أن تكون الإشارة بقوله: «كذلك» إلى شخص الوحي بإلقآء هذه السّورة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيكون تعريفاً لمطلق الوحي بتشبيهه بفرد مشار إليه، مشهود للمخاطب، فيكون كقولنا في تعريف الإنسان مثلاً: هو كزيد. وعليه يكون قوله عزّوجلّ: «إليك وإلى الّذين من قبلك» في معنى إليكم جميعاً، وإنّما عبّر بما عبّر للدّلالة على أنّ الوحي سنّة إلهيّة جارية غير مبتدعة. والمعنى أن الوحي الّذي نوحيه إليكم معشر الأنبيآء ـ نبيّاً بعد نبيّ سنّة جارية ـ هو كهذا الّذي تجده وتشاهده في تلقّي هذه السّورة.

١٣ ـ قيل: أي مثل الكتاب المسمّى بـ«حم عسق» يوحي الله إليك وإلى الأنبيآء قبلك والمراد المماثلة في أصول الدّين كالتّوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والمعاد، وتقبيح أحوال الدّنيا، والتّرغيب في الدّار الآخرة كقوله عزّوجلّ: «إنّ هذا لفي الصّحف الاولى صحف إبراهيم وموسى» الأعلى:١٨-١٩) وذلك أنّ علم كلّ شيء في «حم عسق» فقوله تعالى: «كذلك يوحي» إجمال عن الوحي كلّه فـ«حم عسق» يرمز إلى الوحي كلّه ما نزل من قبل وفي هذا وما يأتي. ١٤- قيل: «كذلك» إشارة إلى ما بعد سورة الشّورى.

١٥ ـ قيل: إشارة إلى ما يعمّ الجميع، فكذلك الّذي يوحي إليك ربّك في هذه السّورة: «الشّورى» وفي غيرها من السّور القرآنيّة يوحي إلى الّذين من قبلك، وحي كسآئر الوحي في السّنّة الرّساليّة كأصل مهما إختلفت مراتبه كيفيّة ومادّة كقوله تعالى: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده» النّسآء:١٦٣).

فوحي الدّين واحد في الكيان، مهما اختلفت الشّرآئع إليه شكليّاً وفي علوّ الكيان لحدّ قد يعتبر سآئر الوحي الأصيل إلى سآئر اولي العزم من الرّسل وجاه الوحي القمة المحمّديّ وصيّة: «شرع لكم من الدّين ماوصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا

به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه...» الشّورىٰ: ١٣) وإنّ كثيراً من الآيات القرآنيّة تبرز مشاركة غير مشاكسة بين مدارج الوحي ومادّته... إلّا بميّزة الكمال القمّة في خاتمة الوحي و«كذلك» مثل «حم عسق» من الوحي الخاصّ المنحصر في أصحاب الوحي: المنحسر عن سواهم «يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك» مهما لم تثبت هذه الرّموز في كتاباتهم وقد ثبتت في خاتمة الوحي: القرآن الكريم.

فالوحي منه ذوبُعد واحد كالمجرّد عن الألفاظ مثل ما اوحي من محكم القرآن على قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة القدر: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» الدّخان: ٣) «إنّا أنزلناه في ليلة القدر» القدر: ١) «نزل به الرّوح الأمين على قبلك لتكون من المنذرين» الشّعرآء: ١٩٣-١٩٤) أو ذوبعُدين، ثانيهما بُعد الألفاظ المفصّلة كالقرآن المفصّل: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت» هود: ١) أو ذوأبعاد ثلاثة، ثالثها الحروف التلغرافيّة المقطّعة، فإنّها مثلث الوحي: اصل المعنى، أصل اللفظ، ورمز اللفظ و«كذلك» ككلّ او كبعض «يوحي إليك وإلى الّذين من قبلك ...».

أقول: والثّاني عشر هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر، فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٥ - (تكاد السّموات يتفطّرن من فوقهنّ والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم)

في قوله تعالى: «تكاد السّموات يتفطرن من فوقهنّ» أقوال: ١- عن إبن عبّاس وقتادة: أي ينفطرن ممّن فوقهنّ من ثقل الرّحمن أي من ثقل هيبته وجلا له فيتشققن بعضها فوق بعض من عظمته وعلوّ شأنه أو من ثقل ملائكة الرّحمن. ٢- قيل: أي يتفطّرن من فوقهنّ من مقالة اليهود: «وقالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم» المآئدة: ٦٤) ٣- قيل: أي من دعآئهم له ولداً: «وقالت اليهود عزير إبن الله» التّوبة: ٣٠) أي يكاد يبتدأ الإنفطار من جهتهنّ الفوقانيّة الّتي هي أعظم آيات الجلال

والعظمة وهي العرش والكرسي بسبب ذلك. ٤ـ قيل: أي يتفطّرن من فوق الأرضين من عظمة الرّحمن وجلاله وخشيته لو كنّ ممّا يعقل.

٥ ـ عن ابن عبّاس أيضاً والحسن البصري: أي تكاد كلّ واحدة من السّموات تنشقّ من فوق الّتي تليها من قول المشركين: «إتّخذ الرّحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السّموات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً» مريم: ٨٨ـ٩٠) إستعظاماً للشّرك بالله سبحانه، والعصيان له مع حقوقه الواجبة على خلقه وذلك على وجه التّمثيل إذ لا تفعل السّموات شيئاً أو تنكره، وإنّما المراد أنّ السّموات لو انشقّت لمعصيته إستعظاماً لها أو لشيءٍ من الأشيآء لتفطرت إستعظاماً لشرك من أشرك بالله سبحانه وعبد معه غيره. ٦ـ عن إبن عبّاس والضّحّاك وقتادة والسّدي والزّجّاج: أي تكاد السّموات يتشقّقن فَرَقاً ويتصدّ عن من عظمة الله تعالى وجلاله من فوقهنّ. تقديره: ممّن فوقهنّ أي من عظمة الله وجلاله من فوقهنّ، فيحدث انشقاق السّموات من أعلاهنّ بأنّ الإنفطار يبتدئ من أعلى السّموات أو مافوقها من العرش والكرسي أو من الحجب والسّرادقات إلى أن ينتهي إلى السّفلى، وفي الإبتدآء من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل كأنّه قيل: يتفطّرن من الجهة الّتي فوقهنّ دع الجهة الّتي تحتهنّ.

٧ ـ قيل: أي تتفطر السّموات من الجهة الّتي حصلت هذه السّموات فيها. ٨ـ قيل: أي تكاد السّموات يتشققن من هيبة مَن هو فوقهنّ بالالوهيّة والقهر والعظمة والقدرة. ٩ـ قيل: أي تنشقّ السّموات من فوقهنّ إنشقاقاً بسبب نزول الوحي العظيم من عند الله العليّ العظيم المارّ بهنّ سمآء سمآء حتّى ينزل على رسوله العظيم صلّى الله عليه وآله وسلّم في الأرض، فانّ مبدأ الوحي هو الله جلّ وعلا والسّموات طرآئق إلى الأرض: «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين» المؤمنون: ١٧) ومنتهى إليه الوحي هو قلب النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وإنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين» الشّعرآء: ١٩٢ـ١٩٤).

١٠ ـ قيل: إنّ للسّموات أربع تفطّرات: ١ـ حين خلقها حيث فطرت من المادّة الامّ: «فاطر السّموات والأرض» فاطر: ١) والفطر هو الشّقّ، شقّاً إلى الخلق، فشقّت السّموات

والأرض من المادّة الامّ بإرادة الله تعالى، وهو فطر الإيجاد والتّعمير: «ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان ـ فقضاهنّ سبع سموات في يومين» فصّلت: ١١ـ١٢).

٢ ـ حين القيامة الكبرى بما يفطرها الله جلّ وعلا: «فارتقب يوم تأتي السّمآء بدخان مبين» الدّخان: ١٠) «إذا السّمآء انفطرت» الإنفطار وهو الشّقّ إلى الخراب «إذا السّمآء انشقّت» الإنشقاق: ١) وهو شقّ التّدمير وفطر الإعدام، وقد عبّر عنهما بالإنفطار والإنشقاق لتقبّلها الفَطر والشّقّ والإعدام والتّدمير.

٣ ـ تفطّران بين الفطرين: **أحدهما** ـ لعظمة الخالق تعالى من جهة، وإتّخاذ المخلوق أوليآء من دونه من جهة اخرى، وهما تقتضيان أن يتفطرن قبل قيامتها لولا أنّ «الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض» «ولو يؤاخذ الله النّاس بظلمهم ما ترك عليها من دابّة» النّحل: ٦١) والشّرك ظلم عظيم: «إنّ الشّرك لظلم عظيم» لقمان: ١٣).

٤ ـ **ثانيها** ـ لعظمة خاتمة الوحي الإلهيّ إلى محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتم الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، فلو نزل هذا الوحي على السّموات لتفطّرن كما لو نزل على الجبال لتصدعنّ: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله» الحشر: ٢١) ولذلك لم يقبلن هذه الأمانة الإلهيّة: «إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان» الأحزاب: ٧٢) فخانها واتّخذها مهجورةً: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠) وأنّ التشقّق الّذي يكاد يفتت السّموات لا يقع ـ وحسب ـ من الجهة المواجهة للأرض، لما نزل عليها من كلام الله، بل يبلغ أقطارها العليا، وينفذ إلى أعلى سمآء فيها. فياللقلوب البشريّة من قساوة لا تتصدّع من خشية الله جلّ وعلا ولا تتخشّع لدى عظمة الوحي وثقله.

أقول: والعاشر هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه بعض الأقوال الأخر فتأمل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي

والملائكة في السّمآء يصلّون بأمر ربّهم. ٢- قيل: أي ينزّهونه جلّ وعلا عمّالا يجوز عليه في صفاته ويعظّمونه عمّا لايليق به في ذاته وأفعاله، ولا يليق بساحة قدسه، أن يهمل أمر عباده فلايهديهم بدين يشرعه لهم بالوحي وهو منه فعل جميل، فيثنون عليه بجميل فعله، وعن الشّريك والولد وعن صفات النّقص، ويسمونه بسمات الجمال والكمال، شاكرين له تعالى على ماأنعم به عليهم من طاعته، وسخّرهم لعبادته: «لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون» التّحريم:٦) «يسبّحون الليل والنّهار لايفترون» الأنبيآء: ٢٠).

٣ - قيل: أي يتعجّبون من جرأة المشركين، فيذكر التّسبيح في موضع التّعجّب بأنّ تسبيحهم تعجّب ممّا يرون من تعرّضهم لسخط الله. ٤- عن إبن عبّاس أيضاً والسّدي: تسبيحهم خضوع لما يرون من عظمة الله جلّ وعلا وبحمد ربّهم أي بأمر ربّهم. ٥- قيل أي ويصلون بطاعة ربّهم وشكرهم له من هيبة حلاله وعظمته.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويستغفرون لمن في الأرض» أقوال: ١- عن قتادة والسّدي والضّحّاك : أي يستغفرون للّذين آمنوا بالوحي. وإنّ الملائكة هناهم حملة العرش، وهم يلهمون المؤمنين سبل الخير الموصلة إلى الخير والسّعادة، فمثلهم مثل الضّوء يعطي الحياة بحرارته، ويعطي الهدى بنوره، وفي ذلك صرف الإهلاك لهم ولغيرهم من أهل الأرض يصرفه عنهم. ٢- عن الكلبي: أي ويستغفرون لمن في الأرض من أهل التّوحيد، ويطلبون الهداية لمن جحد أو أشرك بالله سبحانه. والملائكة هناهم جميع ملائكة السّمآء. فمن عبادة الملائكة وتسبيحهم لله تعالى إستغفارهم لمن في الأرض، إذ كان أهل الأرض متلبّسين بالخطايا والذّنوب... فهم النقطة السّودآء في هذا الوجود النوراني المشعّ ولآءً وخضوعاً لله ربّ العالمين.

٣ - عن مقاتل: إنّ حملة العرش مخصوصون بالإستغفار للمؤمنين خاصّة، ولله ملائكة أُخر، هم يستغفرون لمن في الأرض من الذّنوب والخطايا... ٤- عن الكلبي

أيضاً: أي يطلبون الرّزق لأهل الأرض والسّعة عليهم. ٥ـ قيل: أي يقصدون بالإستغفار طلب الحلم والغفران، والمراد بالحلم عنهم ألّا يعاجلهم بالإنتقام منهم، فيطلبون أن لايعاجل الله أهل الأرض بالعذاب طمعاً في توبة الكفّار، وإنابة الفسّاق منهم.

أقول: والأوّل هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم وأجمعين.

٦ ـ (والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل)

في قوله تعالى: «الله حفيظ عليهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي شهيد عليهم وعلى أعمالهم. ٢ـ قيل: أي محيط بهم، مُحصٍ لأعمالهم ليجازيهم عليها. ٣ـ قيل: أي يحفظ عليهم اعمالهم، لايعزب عنه شيء منها، فيجازيهم على ذلك كلّه. ٤ـ قيل: أي ممسك بهم، قآئم عليهم، متولّ حسابهم وجزآءهم. ٥ـ قيل: أي رقيب على أحوالهم، ومراقب لأعمالهم، مُحصٍ لأفعالهم وأقوالهم، مجازٍ لهم يوم القيامة على ما كانوا يفعلون.

٦ ـ قيل: أي إنّ الحفاظة الإلهيّة على الّذين اتّخذوا من دون الله أوليآء حفاظة ذاتيّة لأنّهم في حفظ الله تعالى وإن يشآء يذرهم دون حفظ فيتهدرون وحفاظة على أعمالهم السّيّئة وعقآئدهم الباطلة وأقوالهم الكاسدة، إذ تشهد عليهم يوم يقوم الأشهاد، وهذا إنذار لأولاهم واخراهم، ثمّ هو تعالى حفيظ على المتّخذين من دونه أوليآء، لولا حفظه لهم لم يظلّوا في كونهم وكيانهم، فكيف يتّخذون أوليآء ذاتياً من دون الله أنداداً، أم جعليّاً في سآئر الولايات إلّا التكوينيّة والتشريعيّة، فالحفيظ عليهم كما يحفظ كونهم كذلك يحفظ كيانهم، فولاياتهم غير الإلهيّة ليست إلّا باذن الله، فكيف يتّخذون من دون الله أوليآء، وإذا كانوا طواغيت جمع عليهم الإنذار والإحتجاج.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، والمعاني متقارب فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «وما أنت عليهم بوكيل» أقوال: ١ـ قيل: أي ولست يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على هؤلآء المشركين المعاندين، على هؤلآء الكافرين المستكبرين، وعلى هؤلآء المجرمين والمعاندين... بمسلّط عليهم لتدخلهم في الإيمان وصالح الأعمال قهراً. ٣ـ قيل: أي إنّك لم توكّل بحفظ أعمالهم وأفكارهم، بحفظ عقائدهم وآرائهم، وأقوالهم فلا يظنّ ظانّ هذا فانّه ظنّ فاسد لايعبئ به، وإنّما بُعِثتَ نذيراً لهم، داعياً إلى الله تعالى، مبيّناً لهم سبيل الرّشاد، فلايضيقنّ صدرك بتكذيبهم إيّاك . ٤ـ عن إبن عبّاس أي لست أنت عليهم بكفيل تؤخذبهم. ٥ـ قيل: أي ولست عليهم بوكيل تحصل المطلوب منهم.

٦ ـ قيل: أي لم يفوّض الله تعالى إليك أعمالهم حتّى تصلحها لهم بهدايتهم إلى الحقّ والهدى لأنّ ولاية التشريع والتّكوين المستفادة من الآيات الخمس السّابقة، وأمثالها في سآئر الآيات القرآنيّة هي خاصّة بالله تعالى كسآئر الولاية الإلهيّة، فلاتعدوه إلى سواه فإنّه ولاية ذاتيّة هي لزام الوهيّته وربوبيته،وامّا الأنبيآء والمرسلون والأوصيآء وعلمآء الدّين فلهم ولاية التّبيلغ لا ولاية التّشريع، وهي ولاية جعليّة لا ذاتيّة، فمن يتّخذ من دون الله أوليآء: ولاية ذاتيّة أو جعليّة من دون إذن الله، الله حفيظ على هؤلآء المتخذين فكرتهم الخاطئة، وفعلتهم الفاسدة، وسوف يحاسبهم عليها، وعلى الأوليآء الزّور والطّاغيت حيث إدّعوها أو قبلوها، وعلى الأوليآء الأوثان وهؤلآء، فالله حفيظ عليهم بولاية التّكوين والتّقدير.

وما أنت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على هؤلآء ولا على هؤلآء بوكيل أن تمنع الطالب والمطلوب من فعلته وحالته وكالةً تكوينيّة، وإنّما لك رسالة بلاغيّة عذراً أو نذراً. ٧ـ قيل: أي ولست أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم برقيب على عبدة الأوثان والأصنام، تستطيع أن تردّهم إلى الحقّ والهدى وإلى سوآء السّبيل، فلاتبخع نفسك عليهم حسرات، إنّ الله عليم بما كانوا يصنعون. ٨ـ قيل: أي إنّك لم توكل عليهم بأن تمنعهم من الشّرك بالله سبحانه ومن الكفر وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه قد يكفر من لا يتهيّأ له منعه من كفره بقتله.

أقول: والمعاني متقارب، والمآل واحد فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٧ ـ (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنّة وفريق في السّعير)

في قوله تعالى: «وكذلك أوحينا...» أقوال: ١ـ قيل: «كذلك» إعادة الكلام الأوّل، فاعترض بينهما ما اعترض فـ «ذلك» إشارة إلى المذكور قبله من أنّ الله تعالى هو وحده رقيب عليهم وما أنت عليهم برقيب. والمعنى: مثل ذلك المذكور أوحينا إليك وهو قرآن عربيّ بيّن لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يتجاوز حدّ الإنذار. ٢ـ قيل: «ذلك» إشارة إلى الايحآء المفهوم من السّياق السّابق والمعنى: كما أوحينا إلى الرّسل قبلك أوحينا إليك، فيكون المماثلة بالحروف المفردة أو باصول الدّين كما مرّ. والمعنى: وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً بيّنّاه بلغة العرب. ٣ـ قيل: إنّ المماثلة في اصل الايحآء وإن كان درجاته متفاوتة كمّاً وكيفاً حيث إنّ الوحي القرآني يفوق سآئر الوحي.

٤ـ قيل: إنّ المماثلة بين الغاية المترتّبة عليه، وهو إنذار النّاس، وخاصّة الإنذار المتعلّق بيوم الجمع الّذي يتفرّق فيه النّاس فريقين: فريق في الجنّة وفريق في السّعير إذ لولا الإنذار بيوم الجمع الّذي فيه العرض والحساب والجزآء لم تنجح دعوة دينيّة، ولم ينفع تبليغ. ٥ـ قيل: أي أنزلنا عليك قرآناً عربياً بلسان قومك كما أرسلنا كلّ رسول بلسان قومه. والمعنى: ومثل ما أوحينا إلى من تقدّمك من الأنبيآء بالكتب الّتي أنزلناها عليهم بلغة قومهم أوحينا إليك قرآناً بلغة العرب ليفقهوا ما فيه.

٦ ـ قيل: أي وكما أوحينا إليك أنّك لست بالحفيظ عليهم ولا بالوكيل أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أهل مكة وما حولها. ٧ـ قيل: إشارة إلى أنّ هناك وحياً من نوع آخر، غير الوحي الأوّل الّذي جآء في مطلع السّورة لأنّ الوحي الّذي أُشير إليه في مطلعها هو وحي من الله بدون وساطة ملك، وأنّه المشار إليه في قوله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحياً أو من ورآء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي

باذنه مايشآء» الشّورى: ٥١)

فهذا الوحي وحي من الله تعالى بدون وساطة، وحي واقع على الحروف المقطّعة الّتي بدأ بها بعض السّور القرآنيّة، أمّا الوحي في قوله عزّوجلّ: « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً...» : ٧) بوساطة الملك، وهذا يشمل القرآن الكريم كلّه، عدا تلك الحروف المقطّعة ولهذا وصف بأنّه قرآن عربيّ أي يقرأ ويفهم عند من يحسن العربيّة ويفهم لغتها، ولهذا أيضاً اتبع بالعلّة الّتي من أجلها كان وحي القرآن وهي التبليغ والإنذار. ٨ـ قيل: أي وكذلك البيّن المبيّن من آيات كما هنا وفي سآئر القرآن أوحينا إليك قرآناً عربياً يعرب بفصيح آياته وبليغها لأعلى القمم عن أعلى القيم الّتي تقوّم وتقيم المكلّفين على صراط مستقيم، واضحاً لاتعقيد فيه ولا ريب يعتريه. ٩ـ قيل: إنّ الإشارة: «كذلك» تعمّ جميع ماتقدّم.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «لتنذر أمّ القرى ومن حولها» أقوال: ١ـ قيل: أي لتنذر بهذا الوحي أهل أم القرى وهي مكّة المكرّمة، قيل لها: أم القرى لأنّ الأرض دُحيت من تحتها، أو لأنّها أشرف البقاع ومَن حولها هي القرى العربيّة من شبه الجزيرة حيث إنّ الحول هو القرب الدّآئر مدار الأصل ومن الجزيرة العربيّة تنطلق الدّعوة وتنتشر في أرجآء العالم كما حدث بالفعل. ٢ـ قيل: أريد بـ«مَن حولها» عموم أطراف الأرض لأنّ مكّة في وسطها، فالحول يشمل سآئر القرى العربيّة من الجزيرة وغيرها المتّصلة بها، المجاورة لها، فعربيّة القرآن بمعنى اللغة تشمل العرب عامّة مَن حول امّ القرى، ويدخل باقي الامم بالتّبعيّة أو بنصّ آخر كقوله تعالى: «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس» سبأ: ٢٨).

٣ ـ قيل: إنّ المراد مِن «مَن حولها» من يطيف بها سائر أهل جزيرة العرب ممّن هو خارج مكّة، فيشمل كلّ القرى القريبة من امّ القرى، والقرى البعيدة المنفصلة عنها في هذه المعمورة من الأرض، وذلك أنّ عربيّة القرآن لاتعني خصوص اللغة حتّى تختصّ بأصحابها، وإنّما تعني وضوحها بين اللغات، وعلى حدّ تعبير الإمام

الخامس باقرالعلوم محمّد بن عليّ عليهما السّلام في تفسير قوله تعالى: «عربيّ مبين» يبين الألسن ولاتبينه الألسن ـ حيث يعرب دون تعقيد وقصور عن أعمق المعاني وأعضلها: «علم الله النّازل إلى المكلّفين أجمعين» بأوضح بيان وأجمله كما أشار إلى ذلك بقوله عزّوجلّ: «قرآناً عربياً غير ذي عوج» الزّمر: ٢٨).

مع أنّ الدّعوة النّبويّة كانت ذات مراتب في توسّعها، إذ ابتدأت الدّعوة العلنيّة بدعوة العشيرة الأقربين كما قال جلّ وعلا: «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشّعرآء: ٢١٤) ثمّ توسّعت فتعلّقت بالعرب عامّة كما قال: «قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون» فصّلت: ٣) ثمّ بجميع النّاس كما قال: «قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ١٥٨) ويدلّ على التّوسّع تدريجاً قوله تعالى: «قل ما أسئلكم عليه من أجر ـ إن هو إلّا ذكر للعالمين» ص: ٨٦ـ ٨٧) فانّ الخطاب على مايعطيه سياق السّورة لكفّار قريش، يقول تعالى: «إن هو إلّا ذكر للعالمين» لا يختصّ ببعض دون بعض، فاذا كان للجميع، فلامعنى لأن يسئل بعضهم ـ كالنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بعضاً عليه أجراً، على أنّ تعلّق الدّعوة بأهل الكتاب، وخاصّة باليهود والنّصارى من ضروريّات القرآن المجيد، وكذا إيمان رجال من غير العرب كسلمان الفارسيّ وبلال الحبشيّ وصهيب الرّوميّ من ضروريّات التأريخ.

٤ـ قيل: اريد بـ«من حولها» الطآئف. ٥ـ عن إبن عبّاس: أي ما حولها من القرى إلى المشرق والمغرب. ٦ـ قيل: إنّ القرى تشمل لكافّة المجتمعات من سآئر المكلّفين من الجنّة والنّاس أجمعين في كافّة المدن الأرضيّة والسّماويّة من دون إستثنآء، وامّها هي مكّة المكرّمة لأنّها أوّل بقعة خلقها الله تعالى من الأرض لقوله عزّوجلّ: «إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين» آل عمران: ٩٦) وذلك أنّ الله تعالى لما خلق الأرض دحاها من تحت الكعبة ثمّ بسطها على المآء، فبكّ الأرض ومكّها من مكّة إذ حرّكها من حيث هي كنقطة اولى لحراكها: «والأرض بعد ذلك دحاها» النّازعات: ٣٠) «والأرض وماطحاها» الشّمس: ٦) ثمّ الأرض هي أيضاً أمّ لسآئر الكرات لسبقها في خلقها عليها بمرحلتين:

«ثمّ استوى إلى السّمآء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا ـ ذلك تقدير العزيز العليم» فصّلت: ١١-١٢)

فكّة المكرّمة هي امّ القرى تكويناً كما أنّها امّها تشريعاً لأنّ الشّريعة المحمّديّة هي امّ الشّرائع، وتلك أطفالها المتطفلة عنها وإن كانت قبلها، فكّة المكرّمة هي المركز الرّئيسي للرّسالات الالهيّة كلّها أوّلاً وآخراً وهي الرّكيزة القويمة المتينة الدّآئبة للرّسالات الإسلاميّة طول الزّمان وعرض المكان، ومن امّيّة رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه من امّ القرى وأنّ رسالته امّ الرّسالات كلها ولكلّ القرى: «تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١).

ولأنّ «القرى» جمع محلّى بلام الإستغراق، فهي تستغرق القرى المكلّفة بهذه الشّريعة العالميّة في كافّة أنحآء العالَم بأرضه وسمآئه... فـ«مَن حولها» لاتعني الحول القريب، وإنّما الحول من حيث التّبعيّة الشّرعيّة، وهذا يتبع في حدّه ماتقرره الشّريعة من حدود، فـ«القرى» بجمعيتها الإستغراقيّة من جهة، والحول بكونه حول الامّ من جهة اخرى تدلاّن على هذه السّعة العالميّة في «مَن حولها». ومن المعروف والطّبيعي أنّ مَن حول العاصمة في كلّ منطقة هم أتباع العاصمة وإن بعد واعنها، والأ ولادهم حول الأُمّ أيّاً كانوا، فلاتعني الحول هنا ولا هناك المكان القريب من الأمّ والعاصمة، وإنّما التّبعيّة للأصل مهما كان المكان قريباً أو بعيداً، والرّسالات الإلهيّة في القرى ليست إلاّ من امّها: «وما كان ربّك مهلك القرى حتّى يبعث في امّها رسولاً يتلوعليهم آياتنا» القصص: ٥٩)

فامّ القرى هي العاصمة الوحيدة للرّسالة الإسلاميّة العالميّة: رسالة إلى النّاس كافّة: «وماأرسلناك إلاّ كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً» سبأ:٢٨) وليس النّاس فحسب، بل والجنّة أيضاً، حيث تذكر مع الإنس أم وحدها في نطاق الرّسالات الإلهيّة في كثير من الآيات القرآنيّة، بل ولا الجنّة والنّاس فحسب، بل والعالمين أجمعين: «إن هو إلاّ ذكر للعالمين» التكوير:٢٨) فوحى القرآن الكريم ضارب إلى الأعماق في طول العالم وعرضه، من حضر ومن بلغته دعوته أيّاً كان وأيّان: «واوحى إليّ هذا القرآن

لانذركم به ومن بلغ» الأنعام: ١٩).

وأمّ القرى هي المركز الرّئيسي، والعاصمة الوحيدة الوطيدة الخالدة لهذه الرّسالة والدّعوة الأخيرة، فالجنّة والنّاس، بل والعالمون أجمعون أيّاً كانوا وأيّان تشملهم هذه الدّعوة العالميّة دونما إستثنآءٍ، وهم كلّهم مِن «مَن حولها».

إذاً فآية أُمّ القرى ـ وهي الآية الأمّ في التعريف بسعة هذه الرّسالة ـ **إنّها تعتبر** مكّة المكرّمة المركز الرّئيسي للرّسالة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث صدرت وانتشرت عنها هذه الدّعوة المباركة، وعلى طول الزّمن، والقرى هي المجتمعات العالميّة والمكلّفة في شتّى أرجآء الكون، في هذه المعمورة أم سآئر المعمورات في الأنجم، وهي كلّها «من حولها» حيث الحول تعني هنا ما يناسب عموميّة القرى المستفادة من مستغرق الجمع فيها، ولو أنّ «من حولها» يخصّ القريب منها دون الجمع، لكانت القرى هي هذا البعض فقط لا الجمع، فالمعنى: لتنذر أُمّ بعض القرى!

إذاً فدعوة الأمّ ورسالتها تشمل القرى كلّها وإلّا لم تكن من قراها، والقرى هم العالمون أجمعون حيث الله جلّ وعلا ربّهم كلّهم: «الحمد لله ربّ العالمين» الفاتحة: ٢) إذاً فالخارجون عن هذه الدّعوة إدّعآءً وتعنّتاًهم خارجون عن النّاس إلى النّسناس، وهم خارجون عن العالمين الأحيآء المتخلّفون عن ربوبيّة الله تعالى، وكما أنّ مكّة هي أمّ القرى تكويناً وتشريعاً، كذلك الرّسول الأقدس وأحرى، حيث القلوب قرى وامّها ومركزها الأصيل عبر الرّسالات، وإلى يوم القيامة هو القلب المحمّدي صلّى الله عليه وآله وسلّم وهنا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يبدأ بإنذار نفسه واصطناعه بالقرآن الكريم، ثمّ سآئر القلوب من سآئر المكلّفين، خوضاً في أغوار البحار المتلاطمة من كافّة المكلّفين لينجي الغرقي.

أقول: وعلى الرّابع جمهور المحقّقين، والسّادس لا يخلو من وجه.

وفي قوله عزّوجلّ: «وتنذر» أقوال: ١ـ قيل: إنّ الإنذار الثّاني هو الإنذار الأوّل، وقد تكرر للتّوكيد والتّرهيب. ٢ـ قيل: تخصيص بعد تعميم، تنبيهاً على عظيم أهوال يوم القيامة وشديد نكالها وأهميّتها في الإنذار. ٣ـ قيل: إنّ عطف الإنذار الثّاني على الأوّل

يدلّ على أنّ الثّاني غير الأوّل، فالأوّل إنذار بيوم الفراق في الحياة الدّنيا، والثّاني بيوم الجمع في الدّار الآخرة. ٤ـ قيل: إنّ الإنذار الأوّل هو إنذار بالمبدإ قبل المعاد، والثّاني إنذار بالمعاد. ٥ـ قيل: الإنذار الأوّل يعمّ المبدأ والمعاد، والثّاني يختصّ بالمعاد لأنّ النّكبات الدّنيويّة تتحمّل بطيّات شهواتها الحاضرة، وأمّا الآخرة فهي صارمة لا تحمل بطياتها شهوات فالإنذار لها هي الأصل، وللاولى الفرع.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه وبين الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «يوم الجمع لا ريب فيه» أقوال: ١ـ قيل: أي وتنذرهم يوم القيامة كما قيل: يخوّف أولياءه أي يخوّفكم أولياءه. والمعنى: وتنذر النّاس يوماً تجمع فيه الخلائق المكلّفون من الإنس. ٢ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين الأرواح والأجساد.

٣ ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين كلّ عامل وعمله. ٤ ـ قيل: أي وتنذر النّاس عذاب الله يوم القيامة، يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين، وأهل السموات والأرضين. ٥ ـ قيل أى تجتمع فيه الأرواح والأشباح. ٦ ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين أجزاءِ كلّ إنسان وعظامه: «أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه» القيامة: ٣).

٧ ـ قيل أي يوماً تجتمع فيه العقائد والنّيات المختلفة، والأفعال والأقوال المتضادّة.

٨ ـ قيل: أي يوماً يجتمع فيه الجن والانس والملائكة والشّياطين. ٩ ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين الأنبياء والمرسلين الشّهود، والامم والمرسل إليهم المشهود عليهم: «يوم يجمع الله الرّسل فيقول ماذا أجبتم» المآيدة: ١٠٩) «ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين» القصص: ٦٥) ليحكم بينهم: «قل يجمع بيننا ربّنا ثمّ يفتح بيننا بالحقّ وهو الفتّاح العليم سبأ: ٢٦).

٩ ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين الكفّار والمنافقين، بين الفجّار والمجرمين، وبين الفسّاق والمفسدين في نار جهنّم: «إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً» النسآء: ١٤٠) كما يجمع بين أصحاب الجنّة فيها: «جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب» الرّعد: ٢٣) وسيق الّذين اتقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام

عليكم طبتم فادخلوها خالدين» الزّمر: ٧٣).

١٠ ـ قيل: أي يوماً يجمع فيه بين كتبهم وشهودهم حتّى يحقق الجمع بين كلّ عمل وجزآءه.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٨ ـ (ولو شآء الله لجعلهم امّة واحدة ولكن يدخل من يشآء في رحمته والظّالمون مالهم من وليّ ولا نصير)

في قوله تعالى: «ولو شآء الله لجعلهم امّة واحدة» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي ولو شآء الله لجمع اليهود والنّصارى والمشركين على ملّة واحدة وهي ملّة الإسلام ولكن يكرم من يشآء في رحمته بدينه الإسلام. فالمراد بكونهم امّة واحدة أن يكونوا مسلمين كلّهم. ٢ـ عن الجبآئي: أي ولو شآء الله أن يحمل النّاس كلّهم على دين واحد وهو الإسلام بأن يلجئهم إليه لفعله، ولكنّه لم يفعله لأنّه يؤدّي إلى إبطال التّكليف، والتّكليف إنّما يثبت مع الإختيار. فالمراد بوحدة الامّة المستحيلة الّتي تدل عليها كلمة «لو» هي وحدة تشريعيّة في شرعة وهي الشّرعة الكاملة الأخيرة أن يكلّف النّاس كافّة بهذه الشّرعة منذ آدم إلى الخاتم فـ «لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شآء الله لجعلكم امّة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات...» المآئدة: ٤٨).

٣ ـ قيل: أي ولو شآء الله لسوّى بين النّاس في المنزلة بأن يخلقهم في الجنّة، ولكنّه اختار لهم أعلى الدّرجتين وهو استحقاق الثّواب. ٤ـ عن الضّحّاك: أي ولو شآء الله لجعل النّاس أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى.

٥ ـ قيل: أي ولو شآء الله لجعل النّاس أن يكونوا كلّهم أهل ضلالة وكفر، أهل غواية وظلم، وأهل جناية وفحش... كما كانوا هم قبل البعثة قياساً على قوله تعالى: «ولو لا أن يكون النّاس امّة واحدة...» الزّخرف: ٣٣) وقوله عزّوجلّ: «كان النّاس امّة واحدة فبعث الله النّبيّين مبشّرين ومنذرين...» البقرة: ٢١٣) فكانوا متّحدين على الكفر والضّلالة... قبل البعثة...

فالمعنى: ولو شآء الله لجعل النّاس امّة واحدة، متّفقة على الكفر والضّلالة، وعلى

الظّلم والجناية بأن لايرسل إليهم رسولاً ينذرهم، فيبقوا على ماهم عليه من الكفر والعصيان... ولكن يدخل من يشآء في رحمته أي شأنه ذلك فيرسل إلى النّاس أجمعين من ينذرهم، فيتأثّر به من تأثّر، يهدي من اهتدى بهداه، فيوفّقهم الله تعالى للإيمان والطّاعات في الحياة الدّنيا، ويدخلهم في رحمته في الدّار الآخرة، ولا يتأثّر به الآخرون وهم الظّالمون، فيعيشون في الدّنيا كافرين، ويصيرون في الآخرة إلى السّعير من دون وليّ يواليهم، ولا نصير يمنعهم من عذاب الله

وقد تأمّل بعض المعاصرين فقال: «وفيه أوّلاً أنّ المراد من كون النّاس امّة واحدة في الآية المقيس عليها ليس هو اتّفاقهم على الكفر بل عدم إختلافهم في الأُمور الرّاجعة إلى المعاش كما تقدّم في تفسير الآية، ولو سلّم ذلك أدّى إلى التّنافي البيّن بين المقيسة والمقيس عليها لدلالة المقيسة على التفرّق وعدم الإتّحاد، ودلالة المقيس عليها على ثبوت الإتّحاد وعدم التفرّق.

ولو أُجيب عنه بأنّ المقيس عليها تدلّ على كون النّاس امّة واحدة بحسب الطّبع دون الفعليّة، فلاتنافي بين الآيتين. ردّ بمنافاته لمادلّ من الآيات على كون الإنسان مؤمناً بحسب الفطرة الأصليّة كقوله تعالى: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشّمس: ٧-٨).

وثانياً أنّ فيه إخراجاً لقوله: «ولكن يدخل من يشآء في رحمته» عن المقابلة مع قوله: «والظّالمون» الخ من غير دليل، ثمّ تكلّف تقدير مايفيد معناه ليحفظ به مايفيده الكلام من المقابلة» إنتهى كلامه.

أقول: وفيه تأمّل لايخفي على القارئ الخبير وسيظهر في بحث التّفسير والتأويل إن شآء الله تعالى فانتظر.

٦ـ قيل: أي ولو شآء الله أن يجعل النّاس كلّهم معصومين مثل الملائكة بلاطباع لقدر عليه، ولكن يدخل من يشآء من عباده الّذين اهتدوا بهداه بحسن إختيارهم يدخلونهم في رحمته، والّذين أشركوا بالله سبحانه بسوء إختيارهم وكفروا بالوحى وخالفوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما أمرهم به، ليس هم يوم القيامة من وليّ

يواليهم، ولا نصير يمنعهم من عذاب الله إذا أراد فعله بهم جزآءً على كفرهم وطغيانهم، وعلى ظلمهم وعدوانهم...

فالمراد بوحدة الامّة المستحيلة في هداهم وحدة تكوينيّة: «ولو شآء الله لجمعهم على الهدى فلاتكونن من الجاهلين» الإنعام:٣٥) جمعاً لهم على الهدى والعصمة من دون إختيار لهم فيها. وهذا هو انتقاص لأنّ الإختيار في الإهتدآء إكتمال، وليس الإلجآء والإضطرار كذلك. ٧ـ قيل: أي ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ويجعلهم على ملّة واحدة لفعل، ولجعلهم امّة واحدة، أهل ملّة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد، ولكن يدخل من يشآء من عباده في رحمته بتوفيقه إيّاه للدّخول في دينه الّذي ابتعث به نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم والمشركون بالله ليس لهم من وليّ يتولاّهم يوم القيامةولا نصير ينصرهم من أهواله وعقابه، حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه ويقتصّ لهم ممّن عاقبهم.

٨ـ قيل: أي لو شآء الله أن يجمع من لا يهتدى بسوءِ إختياره إلى من يهتدى بحسن إختياره أن يجبر الأوّلين على الهدى ليسوّى بين المؤمنين والكفّار، بين المتّقين والفجّار وبين المطيعين والفسّاق... لجمعهم ولكنّه لم يفعل ذلك إذقال: «أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار» ص:٢٨) «أفنجعل المسلمين كالمجرمين» القلم:٣٥) «قل لا يستوي الخبيث والطّيّب» المآئدة:١٠٠) «لا يستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة» الحشر:٢٠) «أم حسب الّذين إجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سوآء محياهم ومماتهم سآء ما يحكمون» الجاثية:٢١) وحدة في الثّواب أو العقاب في الاخرى على إختلاف في الهدى والضّلال في اولاهم، أو يجبر كلّهم على الضّلال حتّى من يختار الهدى لولا الإجبار، فهذا إدخال من النّور إلى الظّلمات لمن يهتدى لولا الإجبار، ثمّ تسوية ظالمة بين المهتدى والضّالّ، وكذلك أيّة تسوية بين النّاس تكويناً أو تشريعاً في ضلال أو في هدى في الاولى أو الاخرى، كلّ ذلك بين انتقاص وظلم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وقد تعنى آيتنا هذه إحالة كافّة هذه الوحدات...

٩- قيل: إنّ الله عزّوجلّ إنّما قدّر النّبوّة والإنذار المتفرّع على الوحي لمكان ماسيعتريهم يوم القيامة من التّفرّق فريقين ليتحرّزوا من الدّخول في فريق السّعير، ولو أراد الله لجعلهم امّة واحدة فاستوت حالهم ولم يتفرّقوا يوم القيامة فريقين، فلم يكن عند ذلك مايقتضي النّبوّة والإنذار، فلم يكن وحي ولكنّه تعالى لم يرد ذلك، بل جرت سنّته على أن يتولّي أمر قوم منهم، وهم غير الظّالمين، فيدخلهم الجنّة، وفي رحمته، ولا يتولّى أمر آخرين وهم الظّالمون، فيكونوا لا وليّ لهم ولا نصير ويصيروا إلى السّعير لامخلص لهم من النّار. فالمراد بجعلهم امّة واحدة هو التّسويّة بينهم بادخال الجميع في الجنّة أو إدحال الجميع في السّعير أي أنّه تعالى ليس بملزم بإدخال السّعدآء في الجنّة والأشقيآء في النّار، فلولم يشألم يفعل، لكنّه شآء أن يفرّق بين الفريقين، وجرت سنّته على ذلك، ووعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، ومع ذلك فقدرته المطلقة باقية على حالها لم تنسلب ولم تتغيّر.

١٠ ـ قيل: أي ولو شآء الله لجعل النّاس كلّهم مؤمنين داخلين في الجنّة، وهم المعنيّون بمن يشآء لوضعهم في مقابلة الظّالمين كما قال تعالى: «ولو شئنا لآتينا كلّ نفس هداها» السّجدة: ١٣) وقال: «ولو شآء الله ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً» يونس: ٩٩) فلا يلجأ عباده إلى الإيمان لقوله تعالى: «أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين» يونس: ٩٩) «وما أكثر النّاس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف: ١٠٣)

قيل: إنّ تلك الآيات من هذه السّورة ـ كما عرفت ـ سيقت لتعريف الوحي من حيث غايته، وأنّ تفرّق النّاس يوم الجمع فريقين سبب يستدعي وجود النّبوّة والإنذار من طريق الوحى، وقوله عزّوجلّ: «ولو شآء الله لجعلهم امّة واحدة» مسوق لبيان أنّه تعالى ليس بمجبر على ذلك ولا ملزم به، بل له أن لا يفعل، وهذا المعنى يتمّ بمجرّد أن لايجعلهم متفرّقين فريقين، بل امّة واحدة كيفما كانوا، وأمّا كونهم فرقة واحدة مؤمنة بالخصوص فلامقتضي له هناك ، وأمّا الإستدلال بالآيات الثّلاث فسياقها غير سياق الآية المبحوث عنها، والمراد بالإيمان في الآيات الثّلاث غير الإيمان القسريّ الّذي ذكر.

١١ ـ قيل: إنّ الضّمير في «لجعلهم» راجع إلى عموم المكلّفين من الجنّ والإنس.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «والظّالمون» أقوال: ۱ـ عن إبن عبّاس: هم اليهود والنّصاري والمشركون. ۲ـ قيل: هم المعاندون المنكرون للمعاد. ۳ـ قيل: كلّ من تلبّس بالظّلم سوآء أكان مشركاً أم يهوديّاً أو نصرانياً أو غيرهم من طوائف الكفّار أو مسلماً خالف عن أوامر الله تعالى وعصى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآذى أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر الإطلاق، والمؤيّد بالرّوايات عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام.

۹ ـ (أم اتّخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ وهو يحي الموتي وهو على كلّ شيء قدير)

في الآية الكريمة وإتّصالها بما قبلها وما بعدها أقوال: ۱ـ قيل: إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر أنّ المشركين إتّخذوا من دون الله أوليآء من الأصنام والأوثان والطّواغيت... وأنّ الله تعالى هو وحده وكيل عليهم، ولست أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عليهم بحفيظ، طلب إليه هنا أن يدع الإهتمام بأمرهم، ويقطع الطمع في إيمانهم مبيّناً أنّهم اتّخذوا من دون الله أوليآء وهو جلّ وعلا وحده هو الوليّ حقّاً لا غير لأنّه وحده هو القادر على كلّ شيء، فقد عدلوا عنه إلى مالا نسبة بينه وبينهم بحال.

۲ ـ قيل: لمّا أفاد في الآية السّابقة أن الله عزّوجلّ يتولّى أمر المؤمنين خاصّة، فيدخلهم في رحمته الخاصّة بهم، وأنّ الظّالمين وهم الكافرون الفجرة، والمعاندون الفسقة والمخالفون الكذبة... لا وليّ لهم تعرّض في هذه الآية لإتّخاذهم أوليآء يدينون لهم، ويعبدونهم من دونه، وكان يجب أن يتّخذوا الله تعالى وليّاً يدينون له ويعبدونه، فأنكر عليهم ذلك، واحتجّ على وجوب اتّخاذه وليّاً بالحجّة بعد الحجّة، وذلك قوله سبحانه: «فالله هو الوليّ...» تعليلاً للإنكار السّابق لإتّخاذهم من دونه أوليآء فيكون حجّة لوجوب اتّخاذه وليّاً.

۳ ـ قيل: إنّ الولاية هنا كما يدلّ عليها قوله تعالى: «هو الوليّ» هي الولاية

الخاصّة الإلهيّة تكويناً وتدبيراً وتشريعاً، فهذه الآية أخصّ من الاولى: «الّذين اتّخذوا من دونه أوليآء» : ٩) فيكون التّكرار هنا توطئة لبيان مصاديق هذه الولايات الخاصّة من أنّ الله جلّ وعلا هو المرجع في كافّة الإختلافات، وأنّه فاطر السّموات والأرض، وليس كمثله شي ء في الأفعال والّذات والصّفات، وأنّ له مقاليد السّموات والأرض يبسط ويقدر، وأنّه وحده شرع لكم من الدّين ما شرع.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها، فتأمّل جيّداً.

١٠ ـ (وما اختلفتم فيه من شي ء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت وإليه أنيب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي وما اختلفتم أيّها المسلمون في الدّين من شيءٍ فحكمه إلى الله تعالى، فاطلبوا حكمه من كتاب الله لأنّه يشتمل على الحكم بين عباده فيما فيه هم يختلفون، ذلكم أيّها المسلمون الله ربّي أمركم بذلك عليه إتكلت، وإليه أقبل في جميع شئوني. ٢ـ قيل: أي وما اختلفتم فيه من امور الدّين فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض إلى الله يثيب المحقّ، ويعاقب المبطل، ذلكم الحالكم الله هو ربّي عليه توكّلت في ردّ كيد الأعدآء وإليه أرجع في جميع اموري وأحوالي لأنّه الّذي يجب على كلّ إنسان أن يرجع إلى أمره في الدّنيا، وفصل القضآء في الآخرة.

٣ ـ قيل: أي وما تختلفون فيه أيّها النّاس من امور دينكم ودنياكم، وتتنازعون فيه، فحكمه إلى الله تعالى، فانّه الفاصل بين المحقّ والمبطل فيه، فيحكم يوم القيامة للمحق بالثّواب والمدح، وعلى المبطل بالعقاب والذّمّ. ٤ ـ قيل: أي وما تختلفون فيه أيّها الظّالمون فبيان الصّواب إلى الله بنصب الأدلّة لأنّه العالم بحقيقة ذلك. ٥ ـ قيل: أي وما اختلفتم أيّها النّاس فيه من شي ء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله تعالى يوم القيامة، يقضي فيه بينكم ويفصل فيه الحكم بين المختصمين، وحينئذ يظهر المحقّ من المبطل، ويتميّز أهل الجنّة من أهل النّار، فيجازي كلّ أحد بما يستحقّه، وذلكم الله الّذي يحكم بين أهل الخلاف، هو ربّي عليه توكّلت في مهمّاتي، وإليه أرجع في جميع اموري.

٦ ـ قيل: هذه حكاية لكلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بدليل قوله تعالى من

دون فصل: «ذلكم الله ربّي ...» فالمعنى: قل يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس عامّة في كلّ ظرف: كلّ شئٍ تختلفون فرجعه إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول» النّسآء:٥٩) ٧ـ قيل: خطاب للمؤمنين خاصّة لقوله تعالى: «يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرّسول واولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» النّسآء: ٥٩).

وذلك أنّ الإختلاف ـ أيّاً كان ومن أيّ وأيّان ـ لامرجع فيه إلّا الله تعالى، فالشّيء المختلف فيه يعمّ كلّ شيٍ لأنّ «من شيء» يدلّ على الإستغراق والعموم، و«فحكمه إلى الله» يحصر الحكم الفصل فيه في الله تعالى وتحسره عمّن سوى الله: «إن الحكم إلّا لله» يوسف: ٤٠) وأمّا الأمر بطاعة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وبطاعة أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فطاعتهم هي طاعة الله جلّ وعلا، لأنّ طاعة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فصلت عن طاعة الله إنفصال الفرع عن الأصل، و وحّد هذا الفرع مع فرعه: «اولى الأمر منكم» كما وُحّد ثانية في الرّدّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ جمعت الثّلاث في طاعة الله: «إن كنتم تؤمنون بالله...»

فهنا تعنى من طاعة الله طاعته في كتابه، ومن طاعة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم طاعته في سنّته، ومن طاعة أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين طاعتهم في حمل الكتاب والسّنّة كما حُمّلوا.

وقد توحّد طاعة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مع الله تعالى حين تعني مطلق الطّاعة في كثير من الآيات منها قوله تعالى: «قل أطيعوا الله والرّسول» آل عمران: ٣٢) فـ«من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ٨٠) كما قد يوحّد الحكمان: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» النور:٤٨) إذا فلاحكم في أيّ خلاف إلّا لله تعالى يستفاد متناً من كتاب الله، وهامشاً وشرحاً من سنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحملاً من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فكلّ حكم لا ينطبق على ذلك فمردود على صاحبه لاشأن له، ولا يعتنى به، فلاحكم لسواه تعالى فانّ الرّجوع فيا

اختلف فيه إلى غير الله لا يزيل الخلاف، بل يزيد الخلافات على خلاف، لأنّ الحيطة العلميّة والحكمة العالميّة والرّحمة الواسعة خاصّة بالله جلّ وعلا، وهى الّتي تزيل الخلافات...

فالرّجوع إلى القياسات والإستحسانات وما إليها ممّا نهى الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين عنه رجوع إلى آجن ماجن، كما أنّ الرّجوع إلى من لا يتبنّى من الفقهآء في حكمه كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السّلام رجوع إلى الطّاغوت... «ألم تر إلى الّذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت وقد امروا أن يكفروا به» النسآء: ٦٠)

إنّ كتاب الله هو المرجع الرّئيسي في أيّ حكم، وفي أيّة خلافات، يتبنّي في كلّ شارد و وارد، يعرف به الغثّ عن السّمين والخآئن عن الأمين، ومن يبيّن كلام الله جلّ وعلا ومن ينبذه ورآء ظهر: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون - وإذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ٧٩و١٨٧-١٨٨) فما وافق كتاب الله تعالى فهو وارد وما خالفه فهو مارد.

٨ - قيل: هذه حكاية قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للمؤمنين. والمعنى: قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن اتبعك من المؤمنين: وما خالفكم فيه الكفّار من أهل الكتاب والمشركين في أمر الدّين فقولوا لهم: حكمه إلى الله تعالى لا إليكم، وقد حكم أنّ الدّين هو الإسلام لا غيره، وامور الشّرائع إنّما تتلقّى من بيان الله تعالى، قل لهم يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ذلكم الله الّذي يحي الموتى ويحكم بين المختلفين، هو ربّي عليه اعتمدت وإليه أرجع. ٩- قيل: أي وما اختلفتم فيه أيّها المسلمون، وتنازعتم في شيئ من الخصومات، فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله عزّوجلّ: «فان تنازعتم في شيء

فردّوه إلى الله والرّسول» النّسآء: ٥٩).

١٠ ـ قيل: أي وما اختلفتم فيه من تأويل آية من الآيات المتشابهات، أو اشتبه عليكم حكم من الأحكام، فارجعوا في بيانه إلى المحكمات من كتاب الله أو إلى الظّاهر من سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو إلى ماحمّله أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام من الكتاب والسّنّة. ١١ـ قيل: أي وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم الّتي لاتتصل بالتكاليف، ولا طريق لكم إلى علمه، فقولوا: الله أعلم كمعرفة الرّوح و وقوع السّاعة وما إليها فلامساغ لحمل هذه على الإجتهاد، قال تعالى: «ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي» الإسراء: ٨٥) وقال: «يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربيّ لايجلّيها لوقتها إلّا هو» الأعراف: ١٨٧) وقال: «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلّا هو» الأنعام: ٥٩).

قال الزمخشري في الكشّاف: «ولايندرج فيه إختلاف المجتهدين لأنّ الإجتهاد لايجوز بحضرة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم».

وقال النّظام النيسابوري في غرآئب القرآن ـ بعد نقل كلام الزّمخشرى ـ: «قلت: إن لم يجز بحضرته فانّه جآئز بعده، وقوله: «وما اختلفتم» شامل لجميع الأُمّة إلى يوم القيامة، مثل: «يا أيّها النّاس» ومثل: «أقيموا الصّلاة» والأظهر أنّ إختلافهم يدخل فيه، وأنّ المراد بحكمه تعريفه من بيان الله سوآء كان ذلك البيان بالنّصّ أو بالقياس أو بالإجتهاد» ثمّ قال: «فان قيل: المقصود من التّحاكم قطع الإختلاف، ولا قطع من القياس ولا مع الإجتهاد. قلنا: إذا كان القياس مأموراً به، وكذا الإجتهاد بل يكون كلّ مجتهد مصيباً كانت المخالفة في حكم الموافقة» إنتهى كلامه.

أقول: وفضاحة كلام النّيشابوري ـ وهو من أتباع القياس الّذي إبتدعه الشّيطان ـ لاتخفي على من له طيب الولاية، فالتّابع كالمتبوع، والشّاك كالمشكوك، ولنا بحث عميق وكلام دقيق، حول القياس وكون المجتهد مصيباً أو خاطئاً. فراجع.

١٢ ـ قيل: أي قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين بالله: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله الّذي هذه الصّفات صفاته، هو ربّي لاآلهتكم

الّتي تدعون من دونه الّتي لاتقدر على شيء، عليه توكّلت في دفع كيد الأعدآء، وفي جميع اموري، وإليه فوّضت أسبابي وبه وثقت، وإليه انيب وأتوب في كلّ حال. ١٣ـ قيل: أي وما أختلفتم فيه أيّها النّاس من شيء من المذاهب، واخترتم لانفسكم من الأديان، فحكم ذلك إلى الله يوم القيامة، والحكم هنايعمّ التّكوينيّ والتّشريعيّ معاً في الدّنيا والآخرة، فكما أنّ الله تعالى هو الحاكم في الحياة الدّنيا كذلك هو الحاكم يوم القيامة.

أقول: وعلى السّابع أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولاتغفل.

١١ ـ (فاطر السّموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير)

في قوله تعالى: «يذرؤكم فيه» أقوال: ١ـ عن السّدى والزّجّاج: أي ويخلقكم ويكثّركم حلآئل لأنّهنّ سبب النّسل من الذّرء أي البثّ في هذا الجعل. ٢ـ عن مجاهد: أي ويخلقكم ويظهر في الزّوج نسلاً بعد نسل من النّاس والأنعام. الذّرء: إظهار عوالم المخلوقات الّتي كانت مكنونة في علم الله تعالى، ومنه الذّرأة وهي بياض الشّيب لأنّه ظهر بعد خفآء. قيل: ومن الذّرأ كانت ذرّيّة الرّجل، هم خلق الله ومن نسله، ومن أنشأه الله وأظهره من صلبه. والمعنى: أنّ الله عزّوجلّ بهذا التّزاوج بين الرّجل والمرأة كثرّ نسل الإنسان، وأظهر به ماقدّر من مخلوقات بشرية من أصلاب الآباء وأرحام الامّهات... فالضّمير: «فيه» راجع إلى مصدر مفهوم من قوله تعالى: «أزواجاً» أي تزاوجاً بين الذّكر والأنثى في عالم الأحيآء، من إنسان وحيوان... فكأنّ هذا التزاوج هو الظّرف أو الوعآء الّذي تتشكّل فيه عوالم الأحيآء أي يكثّركم في هذا التّزاوج.

٣ـ عن إبن عبّاس وقتادة: أي يعيشكم فيه بأن يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها. والمعنى: أن الله يحييكم بعيشكم به كما يحي من لم يخلق بتكوينه إيّاه ونفخه الرّوح

فيه حتّى يعيش حيّاً. ٤ـ قيل: أي يكثركم في هذا التّدبير نسلاً بعد نسل، وجيلاً بعد جيل، بأن جعل للنّاس والأنعام أزواجاً حتّى حصل بين الذّكور والإناث التّوالد والتّناسل، وجعل التّدبير منبعاً ومعدناً للتكثير. ٥ـ قيل: أي جعل لكم من أزواجكم إناثاً. وقال: «من أنفسكم» لأنّه خلق حوّآء من ضلع آدم.

٦ ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي ينشئكم في الرّحم.

٧ ـ قيل: أي ينشئكم في بطون الإناث... ٨ـ عن الفرّآءِ وإبن كيسان: أي يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام نسلاً بعد النّسل من النّاس والأنعام... و«فيه» بمعنى «به» أي بالتّزويج أي بسببه بالتّوالد. ٩ـ قيل: أي يخلقكم في هذا الوجه المذكور من جعل الأزواج بأن جعل لكم من جنسكم ومن طبيعتكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وتألفوا الحياة معها، كما أنّه تعالى قد جعل لكم من الأنعام أزواجاً ذكراً وانثى، لتتوالد وتتكاثر، وتنتشر بينكم وتتّسع لحاجتكم منها ركوباً وحملاً وطعاماً. فالضّمير راجع إلى التّزاوج لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الأزواج. ١٠ـ قيل: أي ينبئكم بهذا التّدبير الّذي به التّوالد والتّناسل. ١١ـ قيل: أي وينميكم.

أقول: والثّاني هو الأنسب بمعناه اللغوي، وعليه أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «ليس كمثله شيء» أقوال: ١ـ قيل: أي ليس هو كشيء. وأدخل المثل في الكلام توكيداً للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحد. ٢ـ قيل: أي ليس مثله شيئاً. وتكون الكاف هى المدخلة في الكلام إذ لو لم تقدّر زائدة لصار المعنى: ليس شيء مثل مثله، فيلزم المحال وهو إثبات المثل، وإنّما زيدت لتوكيد نفي المثل لأنّ زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً، ولأنّ العرب إذا بالغوا في نفي الفعل عن أحد قالوا: «مثلك لايفعل كذا» ومرادهم إنّما هو النّفي عن ذاته، ولكنّهم إذا نفوه عمّن هو على أخصّ أوصافه فقد نفوه عنه، ولو لم تكن زائدة لأفضى ذلك إلى المحال إذ كان يكون المعنى: أنّ له مثلاً وليس لمثله مثل، وفي ذلك

تناقض لأنّه إذا كان له مثل، فلمثله مثل وهو هو مع أنّ إثبات المثل لله سبحانه محال.

وبعبارة اخرى: إنّ المقصود هو نفي أن يكون شيء مثله تعالى لانفي أن يكون شيء مثل مثله. قيل: إنّ القول بزيادة الكاف باطل لأنّ الزّيادة لاتليق بكلام الله تعالى. وعلى القول بعدم الزّيادة انّ مثل مثله هو هو، فلمّا ذكر أن ليس كمثله شيء لزم أن لايكون هو مسمّى باسم الشّيء.

٣ـ قيل: معناه: إنّه لو قدّر لله سبحانه مثل لما كان لذلك المثل مثل، إذ تقرّر في العقول أنّ الله تعالى متفرّد بصفات لايشاركه فيها غيره، فلو كان له مثل لتفرّد بصفات لايشاركه فيها غيره، فكان هو الله، وقد دلت الدّليل على أنّه ليس مع الله إله آخر.

٤ـ قيل: إنّ «مثل» بمعنى الصّفة. تقديره: ليس كصاحب صفة شيء، وصاحب صفته هو. أي ليس كهو شيء. فالمعنى: ليس مثل صفته سبحانه شيء من الصّفات الّتي لغيره.

فليس كمثله شيء في الصّفات حقيقة، وإن كان العباد متّصفين بصفته من العلم والقدرة والسّمع والبصر مجازاً. ٥ـ قيل: إنّ «مثل» بمعنى الذّات والصّفة معاً والمعنى: ليس كمثله شيء في الذّات والصّفات في حدّ الكمال، وإلّا فالعبد ذات وصفة ولكنّهما ناقصتان. ٦ـ قيل: إنّ «مثل» بمعنى الذّات فقوله تعالى: «كمثله» أي كذاته. كما تقول لصاحبك: «مثلك لايبخل» والمراد بالمماثلة المساواة في حقيقة الذّات. فليس مثل ذاته ذاتاً. والمعنى: إنّ شيئاً من الذّوات لايماثل ذات الله تعالى لأنّه سبحانه منزّه عن الجسميّة، فذاته غير ذات مخلوقه، فلايتصوّر له طول وعرض، ولا عمق و وزن ولون. على أنّ المثل في لغة العرب كناية عن الذّات. فتقيم المثل مقام النّفس ومنه قولهم: مثلي لايقال له كذا أي أنالايقال لي هذا. ومثلك لايليق به كذا. فالمعنى: ليس كهو شيء.

٧ـ قيل: إنّ «مثل» زائد فيصير المعنى ليس كهو شيء. والفرق بينه وبين ماقبله

أنّ المثل في السّابق كناية عن الذّات، وهنا زائد مطرح كأنّه لم يذكر أصلاً. كقوله تعالى: «فان آمنوا بمثل ما آمنتم به» البقرة:١٣٧) فزيدت كلمة «مثل» هنا لتفصل الكاف من الضّمير. ٨ـ قيل: إنّ الكاف إسم مؤكّد بمثل كما عكس ذلك من قال:

ولعبت طير بهم أبابيل   فصيّروا مثل كعصف مأكول

٩ـ قيل: إنّ هذا من باب الكناية لأنّ العرب إذا نفوا الشّيء عمّن يسدّ مسدّه فقد نفوه عنه. فالمعنى: نفي المماثلة عن ذاته تعالى من دون فرق بين أن يقال: ليس كالله شيء وأن يقال: ليس كمثله شيء إلّا فائدة التّكرار. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبدالمطّلب: «ألا وفيهم الطّيّب الطّاهرة لذاته» والقصد إلى طهارته وطيبه، فإذا علم أنّه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله: ليس كمثله شيء إلّا ماتعطيه الكناية من فائدتها، وكأنّها عبارتان متعقّبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحو قوله تعالى: «بل يداه مبسوطتان» المائدة: ٦٤)

فإنّ معناه: بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها لأنّها وقعت عبارة عن الجود لايقصدون شيئاً آخر حتّى أنّهم استعملوها فيمن لابدّ له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له. قيل: إنّ الّذي يليق هنا تأكيد نفي المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنّما تؤكّد المماثلة. ولا يخفىٰ الفرق بين تأكيد المماثلة المنفيّة، وبين تأكيد نفي المماثلة، فانّ نفي المماثلة المهملة عن التّاكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتّأكيد، إذ يلزم من نفي المماثلة غير المؤكّدة نفي كلّ مماثلة، ولا يلزم من نفي مماثلة محقّقة متأكّدة بالغة نفي مماثلة دونها في التّحقيق والتّأكيد، وحيث وردت الكاف مؤكّدة للمماثلة وردت في الإثبات فأكّدته. وقيل: قد تكرّر كلمة التّشبيه للتأكيد فقط.

١٠ـ قيل: إنّ الكاف غير زائدة بل هي على بابها. والمعنى: إنّ الله تعالى نفى مثل المثل، ويلزم من ذلك نفي المثل ضرورة وجوده تعالى. إن قلت: لِمَ توصل إلى نفي المثل بنفي مثل المثل، وهلاّ نفى المثل من أوّل وهلة؟ قلت: إنّ نفي المثل بنفي مثل المثل أبلغ

وأفخم من قولنا: أنت لاتفعل هذا لأنّه نفي الشّيء بذكر دليله، فهو أبلغ من نفي الشّيء بغير ذكر دليله. وقيل: إنّها غير زآئدة من دون حاجة إلى ذكر هذا الدّليل بل إنّ «مَثَلاً» متحرّكاً و«مِثْلاً» ساكناً سوآء في اللغة كشِبْه وشَبَه. فمثل ههنا بمعنى مَثَل. قال الله تعالى: «ولله المثل الأعلى» النّحل: ٦٠) فالمعنى: ليس مثل مثله شيء.

١١ـ قيل: إنّ المثل أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ النّدّ يقال لمايشارك في الجوهر فقط، والشّبه يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط، والمثل في جميع ذلك، ولهذا لمّا أراد الله تعالى نفي الشّبه من كلّ وجه، خصّه بالذّكر فقال: ليس كمثله شيء. ١٢ـ قيل: إنّ الكاف غير زآئدة ويكون من باب الكناية، فانّه نفي للشّيء بنفي لازمه لأنّ نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم كما يقال: «ليس لأخ زيدٍ أخٌ» فأخو زيد ملزوم، والأخ لازمه، لأنّه لابدّ لأخ زيد من أخ هو زيد، فنفى هذا اللازم والمراد نفي الملزوم أي ليس لزيد أخ إذ لو كان له أخٌ لكان لذلك الأخ أخٌ هو زيد، فكذا نفي أن يكون لمثل الله تعالى مثل، والمراد نفي مثله سبحانه إذ لو كان له مثل لكان هو مثل مثله، فإنّ التّقدير أنّه موجود. وفي دعآءِ الجوشن الكبير: «يانوراً ليس كمثله نور».

١٣ـ قيل: إنّه تعالى نفى أن يكون لمثله مثل، وإذا ثبت أنّه لامثل لمثله، فلامثل له أيضاً لأنّه لو كان له مثل لكان له أمثال لأنّ الموجودات على قسمين: **أحدهما** ـ لامثل له كالقدرة والحكمة والعلم... فلاأمثال لها أيضاً. **ثانيها** ـ له مثل كالسّواد والبياض، وأنّ أكثر الأجناس لها أمثال، وليس في الموجودات ماله مثل واحد فقط، فعلم بذلك أنّ المراد أنّه لا مثل له أصلاً من حيث لا مثل لمثله. ١٤ـ قيل: أي ليس كمثله شيء في ماهيّات الذّات. ١٥ـ عن إبن عبّاس: أي ليس كمثله شيء في الصّفة والعلم والقدرة والتّدبير. قيل: إنّه مبالغة في نفي الشّبيه إذا نفى مثله لأنّه يوجب نفي الشّبهة على التحقيق والتّقدير. وذلك أنّه لوقدر له مثل لما كان له مثل صفاته، ولبطل أن يكون له مثل، ولتفرّده بتلك الصّفات، وبطل أن يكون مثلاً له، فيجب أن يكون له مثل هذه الصّفات. على الحقيقة لا مثل له أصلاً إذ لو كان له مثل لما كان هو بصفاته، ولكان

ذلك الشّيء الآخر هو الّذي له تلك الصّفات لأنّها لاتصحّ إلّا لواحد في الحقيقة، وهذا لايجوز أن يشبه بشبه حقيقة، ولا بلاغة فوجب التبعيد من الشّبه لبطلان شبه الحقيقة.

١٦- عن المحقق ميرداماد الأسترابادي المازندراني: ليس هذا من باب الكناية، بل من باب المذهب الكلامي المعدود من المحسّنات المعنويّة كقوله تعالى: «فلمّا أفل قال لا أُحبّ الآفلين» الأنعام: ٧٦) أي الكوكب أفل، وربّي ليس بآفل، فالكوكب ليس بربّي. والفرق ظاهر لأنّ العبارة في الكناية مستعملة في المعنى المقصود أعني نفي المثل عنه تعالى بلاقرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي.

وذلك أنّ الكناية إستعمال اللفظ في غير الموضوع له مع جواز إرادة الموضوع له إذ لا قرينة صارفة عنه كما في المجاز فإنّه إستعمال اللفظ في غير الموضوع له مع عدم جواز إرادته، في قولهم: «فلان طويل النّجاد» وهو كناية عن طول قامته، يجوز إرادة طول النّجاد بنفسه، وطول القامة هو المعنى المقصود، وطول النّجاد هو المغنى الأصلي، وأمّا في المذهب الكلامي مستعملة في معناها الأصلي، وجعل ذلك حجّة على المعنى المقصود من غير أن يقصد إستعماله فيه أصلاً.

١٧- قيل: اريد نفي شبه المثل القاصر من المثل في المماثلة على مايقتضيه قانون التّشبيه فضلاً عن المثل ١٨- قيل إنّما جمع بين الكاف والمثل لتأكيد النّفي تنبيهاً على أنّه لايصحّ إستعمال الكاف ولا المثل، فنفي بليس الأمرين جميعاً. والمعنى: ليس كخالق الأزواج شيء يزاوجه لأنّه الفرد الصّمد. ١٩- قيل: أي ليس مثله شيء في شئونه الّتي يدبّرها بمقتضى قدرته الشّاملة وعلمه الواسع وحكمته الكاملة.

٢٠- قيل: إنّ جملة «ليس كمثله شيء» عديمة النّظير من محكم القرآن الكريم ترجع إليها ماتشابه منه في كيان الالوهيّة، تستأصل كلّ مماثلة بين الله جلّ وعلا وماسواه في ذات أو صفات أو أفعال، تُبيّن خلقه عنه مباينة كينونة في ذات وصفة، وأنّه باين عن خلقه، وخلقه باين عنه، لا هو في خلقه، ولا خلقه فيه. وإنّ المِثْل هو الشّبيه أيّاً كان وإن كان بعيداً شبهاً واحداً في مليارداتأو اللانهايات، فعالم الخلق

أشباه في أشباح مهما اختلفت الصّور والماهيّات، حيث إنّ المادّة لزامها الذّاتي التركّب والتغيّر والحركة والزّمان أيّاً كان وأيّان، والله تعالى هو وحده مجرّد عن المادّة والمادّيّات، فلايشبهها في ذوات ولا في صفات إلّا في مقام تجير اللغات دون الحقيقة والذات فـ «سبحان من لايُحدّ ولا يوُصف ليس كمثله شيء»

وإن كان له مَثَل، وكلّ شيء مَثَل له من أدنى وأعلى: «وله المثل الأعلى في السّموات والأرض» الرّوم:٢٧) فِمثله مستحيل ذاتياً وجعلياً، ومَثَله كافّة الكائنات جعليّاً على درجاتها، وكما يعنيه الحديث القدسي: «عبدي أطعني حتّى أجعلك مَثَلي» وهذا من المَثَل الاعلى الّذي يحصل بالعبوديّة، فمن المَثَل لله جلّ وعلا ما هو حاصل بأصل الخلق، فانّه الآية، وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه صانع واحد، ومنه مايحصل في تكامل الخلق بما يسعى كالعبوديّة، فانّها جوهرة كنهها الرّبوبيّة، وأنّ العبد يصل في مراتب العبوديّة والمعرفة إلى درجة يرى بفقره غني الله، وبجهله علم الله، وبعجزه قدرة الله، فالكنه المعرفي للعبوديّة عرفان الرّبوبيّة.

وإنّ هذه الآية الكريمة عديمة النّظير تنفي أيّة مماثلة بين الخالق وخلقه إستغراقاً لهذا النّفي دون إبقآءٍ، وقد يعني ماتغنيه: «خارج عن الحدّين حدّ التّعطيل وحدّ التّشبيه»: موجود لا كوجوداتنا، قادر لا كقدراتنا، عالم لا كعلومنا، حيّ لا كحياتنا، فالخلق بذاته وأفعاله وصفاته كلّه صفات سلبية عن ذاته وأفعاله وصفاته تعالى، فلاتوجد ذاته ولاصفاته الثّبوتيّة في خلقه أيّاً كان فـ «إذا كان الشّيء من مشيّته فكان لايشبه مكوّنه» وعلى الخلق أن يعرفوا خالقهم: «ليس كمثله شيء» لأنّه الخالق وهم مخلوقون، وأنّه المالك وهم مملوكون، وأنّه الرّبّ وهم عباده، وأنّه الرّازق، وهم مرزوقون، وأنّه المعطي، وهم سائلون، وأنّه الجواد وهم بخلآء، وأنّه القويّ وهم ضعفآء، وأنّه العزيز وهم أذلّاء، وأنّه الغنيّ وهم فقراء...

إنّ الآية الكريمة تنفي عنه تعالى مماثلة كلّ شيء لأنّه خالق كلّ شيء: «قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار» الرّعد:١٦) انّ الله تعالى شيء خارج عن الحدّين: حدّ التّشبيه وحدّ التّعطيل، فهو شيء لا كالأشيآء، يعني أنّه شيء مجرّد

سرمديّ لا كالأشيآء المادّية الحادثة فـ«لا له مِثل فيعرف بمِثله» حيث إنّ «حدّ الأشيآء كلّها عند خلقه إيّاها إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها» فـ«لا يخظر ببال أولى الرّويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنّه خلاف خلقه» إنّه «غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصوّر في الأوهام إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولا محدود»

وذلك أنّ لسان النّعت والتّعبير إنّما يخبر عمّا في الضّمير، وكلّ ما هو في الضّمير مخلوق مثله كما دلّ عليه قول الإمام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام: «كلّ ما ميّز تموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مصنوع مثلكم، مردود إليكم»

أقول: والأخير هو المؤيّد بالروايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر، فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل فانّ المقام مزلّ الأقدام...

١٢ ـ (له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم)

في قوله تعالى: «له مقاليد السّموات والأرض...» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي مفاتيح أرزاق السّموات والأرض وأسبابها، فتمطر السّمآء بأمره وتنبت الأرض بإذنه. ٢ـ عن السّدي: أي خزآئن السّموات والأرض. قيل: إنّ في إثبات المقاليد للسّموات والأرض دلالة على أنّها خزآئن لما يظهر في الكون من الحوادث والآثار الوجوديّة.

٣ـ عن الحسن وقتادة: أي مفاتيح السّموات والأرض. ٤ـ عن إبن عبّاس: خزآئن السّموات: المطر، وخزآئن الأرض: النّبات. ٥ـ قيل: أي مفاتيح السّموات والأرض من المطر والنّبات وغيرهما. ٦ـ قيل: أي مفاتيح الرّزق ينزل المطر من السّمآء ويستقيم الهوآء فيها، ومفاتيح الأرض فينبت الثّمار والأقوات فيها. ٧ـ قيل: مقاليد السّموات والأرض هو قول «لا إله إلّا الله» وذلك أنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أنّه: «لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) وكان الشّرك سبباً لخراب العالم لقوله تعالى: «تكاد

السّموات يتفطّرن» الشّورى: ٥) وإذا كان ذلك كذلك كان التّوحيد سبباً لعمارة العالم. مع أنّ أبواب السّمآء لاتفتح عند الدّعآء إلّا بكلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» وأبواب الجنّة لاتفتح إلّا بها، وأبواب القلوب لاتنفتح إلّا بها، وأنواع الوسواس لاتندفع إلّا بها، فكانت هذه الكلمة أشرف مقاليد السّموات والأرض.

٨ـ قيل: أي لله تعالى السّلطان القآئم على السّموات والأرض، وبيده تصريفهما لا يملك أحد معه من الأمر شيئاً، وذلك أنّ المقاليد جمع مِقْلَد وهو ما يحيط بالشّي ء، ومنه القلادة لأنّها تحيط بالعنق. والقلد هو الفتل، والمقلاد آلة الفتل وسببه فالمقاليد هي وسآئل وآلات الفتل والتّطويق من علم وقدرة وحكمة محيطة بالسّموات والأرض كأنّها قلادة لعنق الكون لا تدعه يتلفت شماساً دون حراس واكتراس. مقاليد السّموات والأرض غيباً وشهادة كمفاتيحها: «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هو» الأنعام: ٥٩) ومن فروع هذه الحيطة الرّبّانيّة: «يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر». فليس بسط الرّزق وقدره بمحاولة زآئدة أوناقصة من جانب الإنسان فحسب ولا جزافاً من دون حكمة من الله تعالى إذ ربّ محاول كثيراً لا يبسط في رزقه، وربّ محاول قليلاً أو معاطل يرزق كثيراً، وإن كان يُرزق كلّ قدر سعته، ولكنّ الرّزق المبسوط هو فوق قدره، ومن قدر عليه رزقه يوتاه قدر سعيه أو وأقلّ من حين تقتضي الحكمة، فلاتسوية في الرّزق مهما كان السّعى سوآء أو لا سوآء، فمحاولة التّسويّة التّامّة وإزالة الطّبقيّة الماليّة إضافة إلى أنّها خلاف العدل، حيث الإستعدادت، فالمساعي، فالإستحقاقات ليست على سوآء إنّها خلاف الإرادة والحكمة الإلهيّة فلاتكون.

وقيل: إنّ بسط الرّزق: توسعته يشمل كلّ مايمدّ به البقـآء ويرتفع به حاجة من حوآئج الوجود في إستمراره من المال والأولاد والمقام والجاه والعلم... كما أنّ قدر الرّزق: تضييقه يشمل ذلك كلّه.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين، من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

١٣ ـ (شرع لكم من الدّين ماوصىّ به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه يجتبي إليه من يشآء ويهدى إليه من ينيب)

في قوله تعالى: «شرع لم من الدّين ماوصىّ به...» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد والكلبي والسّدي: أي شرع لكم من دين نوح ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ومَن بينهما من الأنبيآء عليهم السّلام وما وصّاك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنبيآءه كلّهم ديناً واحداً. بأنّ الله لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا وصّاه باقامة الصّلاة وإيتآء الزّكاة والإقرار لله بالطّاعة، فذلك دينه الّذي شرع لهم. ٢ـ عن قتادة: أي الحلال والحرام إذ بعث الله نوحاً بالشّريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام. ٣ـ عن زيد بن رفيع بقيّة أهل الجزيرة قال: بعث الله نوحاً عليه السّلام وشرع له الدّين، فكان النّاس في شريعة نوح عليه السّلام ماكانوا فما أطفأها إلّا الزّندقة، ثمّ بعث الله موسى عليه السّلام وشرع له الدّين، فكان النّاس في شريعة من بعد موسى عليه السّلام ما كانوا فما أطفأها إلّا الزّندقة، ثمّ بعث الله عيسى عليه السّلام وشرع له الدّين، فكان النّاس في شريعة عيسى عليه السّلام ماكانوا فما أطفأها إلّا الزّندقة، ولا يخاف على هلاك هذا الدّين إلّا الزّندقة.

٤ـ عن الحكم: أي جآء نوح عليه السّلام بالشّريعة بتحريم الأُمّهات والأخوات والبنات... ٥ـ قيل: أي أوجب وأظهر وبيّن لأجلكم، وقيل: نهج وأوضح، وقيل: فرض أو سنّ أو خطّ لكم من الدّين ـ من شرع الطّريق شرعاً: سوّاه طريقاً واضحاً بيّناً ـ وهوسنّة الحياة من التّوحيد والبراءة من الشّرك ماوصىّ به نوحاً، والّذي أوحينا إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو ماوصيّنا به إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام قبلك. والخطاب: «لكم» لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وامّته. فالّذي جآء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو إمتداد لما جآء به نوح وإبراهيم و موسى وعيسى عليهم السّلام فـ«كم» هم أهل امّ القرى ولمن حولها دون إختصاص بالحاضرين، وإنّما الخطاب صادر من مصدر ربّ العالمين فوارد ـ كقضيّة حقيقيّة ـ مورد العالمين أجمعين، ضارباً إلى أعماق كلّ ظرف وزمان أيّاً كان منذ بزوغه إلى يوم الدّين. وقد توهّم بعض المتفسّرين أنّ الخطاب للحاضرين زمن الوحي. وقيل: خطاب للمؤمنين خاصّة.

وقيل: خطاب لكافّة النّاس.

وقـد خـصّ تعالى هؤلآء الخمسة من الرّسل بالذّكر لأنّهم أكابر رسله، واولوالعزم منهم، وأصحاب الشّرايع، ولهم أتباع كثيرة، ولكلّ واحد منهم شريعة تتّفق مع شريعة الآخرين بعقيدتها كالتّوحيد والعدل والرّسالة والولاية والمعاد وبمبادئها وأحكامها كوجوب الواجبات وتحريم المحرّمات، وتدعيم القيم الأخلاقية ومحاربة الإنحراف والرّذيلة ولذلك سمّوا باولى العزم، وإن تفترق عن الاخرى في بعض الفروع الإجتماعيّة والإقتصاديّة الّتي تصلح لزمان دون زمان.

٦ـ قيل: أي قرّر لكم دين نوح ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ومَن بينهما من أرباب الشّرائع عليهم السّلام وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسّر بقوله تعالى: «أن أقيموا الدّين» وهو الإيمان بما يجب تصديقه، والطاعة في أحكام الله تعالى، ولا تختلفوا في هذا الأصل، وأمّا فروع الشّرائع فمختلفة كما قال: «لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنها جاً» المآئدة: ٤٨)

٧ـ قيل: الدّين هو التّوحيد وهو الأصل الموصّى به جميع الأنبيآءِ والأوليآءِ عليهم السّلام، ولذالك ماوقع الخلاف بينهم في هذا الأصل قطّ.

أقول: والخامس هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدى: أي إعملوا بما شرع لكم وفرض عليكم، ولا تتفرّقوا فيه لأنّ الفرقة هلكة وأنّ الجماعة ثقة. خطاب لجميع النّاس في كلّ ظرف وإقامة الدّين: حفظه بالإتباع والعمل بماورد فيه نفياً وإثباتاً. والمعنى: أقيموا هذا الدّين المشروع لكم وعدم التفرّق فيه، هو حفظ وحدته بالإتفاق عليه وعدم الإختلاف فيه، ولمّا كان شرع الدّين لهم في معنى أمرهم جميعاً باتّباعه والعمل به من دون إختلاف فيه، فسّره بالأمر بإقامة الدّين وعدم التفرّق فيه، فكان محصّله أنّ عليهم جميعاً إقامة الدّين جميعاً، وعدم التفرّق والتشتّت فيه بإقامة بعض وترك بعض، أو ايمان بعض وكفر بعض، وإقامته: هي

الإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى والعمل بما يجب عليه العمل به.

ومن الضّرورة أن جميع الشّرآئع الّتي أنزلها الله تعالى على أنبيآئه دين واحد يجب إقامته، وعدم التّفرّق فيه، وأمّا الأحكام السّماويّة المشترك فيها الباقية ببقآءِ التّكليف فمعنى الإقامة فيها ظاهر، وأمّا الأحكام المشرّعة في بعض هذه الشّرائع المنسوخة في الشّريعة اللاحقة، فحقيقة الحكم المنسوخ أنّه حكم ذوأمد خاصّ بطآئفة من النّاس في زمن خاصّ، ومعنى نسخه تبيّن إنتهآء أمده لا ظهور بطلانه قال الله عزّوجلّ: «والله يقول الحقّ وهو يهدى السّبيل» الأحزاب: ٤) فالحكم المنسوخ حقّ دائماً غير أنّه خاصّ بطائفة خاصّة في زمن خاصّ يجب عليهم أن يؤمنوا به ويعملوا به ويجب على غيرهم أن يؤمنوا به فحسب من غير عمل، وهذا معنى إقامة الدّين وعدم التّفرّق فيه، وهذا مطلق شامل لجميع النّاس فيه كلّ ظرف.

وبذلك يظهر فساد قول جمع: إنّ الأمر بالإقامة وعدم التّفرّق إنّما يشمل الأحكام المشتركة بين الشّرائع دون المختصّة فانّها أحكام متفاوتة مختلفة بإختلاف الامم من حيث أحوالها ومصالحها... وذلك أنّه لا موجب لتقييد إطلاق قوله تعالى: «أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه» ولو كان كما يقولون كان الأمر بالإقامة مختصّاً بأركان الدّين واصوله الخمسة: التّوحيد والعدل والنّبوّة والولاية والمعاد، وأمّا غيرها من الأحكام الفرعيّة، فلايكاد يوجد هناك حكم واحد مشترك فيه في جميع خصوصيّاته بين جميع الشّرائع، وهذا ممّا يأباه قطعاً سياق قوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصىّ به...» وكقوله: «وإنّ هذه امّتكم امّة واحدة وأنا ربّكم فاتّقون فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً» المؤمنون: ٥٣) وقوله: «إنّ الدّين عند الله ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ١٩ـ٨٥).

وقد ثبت أنّه ما وقع الخلاف بين الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في أُصول الدّين الخمسة وكلّيّات الأمور، وإن وقع الخلاف في الاحكام الجزئيّة والأفعال الصّورية، ومن البداهة أنّ الإختلاف في كيفيّة الشّيْ وكمّيّته لا يدلّ على الإختلاف في ماهيّته وحقيقته، وأنّ حقيقة الشّرع في كلّ ظرف كانت

واحدة، ومنزّهة عن الإختلاف والتّغاير، وإن كانت مختلفة الأوضاع والأحكام بحسب المراتب والأشخاص.

٢- عن إبن عبّاس أيضاً: أي أمر الله تعالى جملة الأنبيآء أن أقيموا الدّين: أن اتّفقوا في الدّين، ولا تختلفوا في الدّين الّذي اُمِرتم بالقيام عليه كما إختلف الأحزاب من قبلكم، فقوله: «أن أقيموا الدّين...» تفسير للمشروع الّذي اشترك فيه الأنبيآء والمرسلون كلّهم. والمراد بإقامة الدّين: دين الإسلام الّذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وحججه وكتبه، وباليوم الآخر، والدّوام عليه والدّعآء إليه، وبسآئر مايكون الرّجل بإقامته مسلماً، ولا تختلفوا فيه وائتلفوا فيه واتّفقوا وكونوا عباد الله إخواناً إن كنتم حقاً من أهل الإسلام والقرآن. فالخطاب للمسلمين خاصّة.

٣- قيل: إنّ التّقدير: والّذي وصىّ به نوحاً أن أقيموا الدّين... ٤- قيل: إنّ المعنى: شرع لكم إقامة الدّين. والمعنى: اجعلوه قآئماً يريد دائماً مستمرّاً محفوظاً مستقرّاً من غير خلاف فيه ولا اضطراب، فمن الخلق من وفى بذلك، ومنهم من نكث، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، فالّذي أوصى به جميع هؤلآء الخمسة من اولى العزم من الرّسل وصيّة واحدة وهي إقامة الدّين الحقّ وعدم التّفرقة فيه.

٥- قيل: أي تعلّموا الدّين من اصوله الخمسة: التّوحيد والعدل والنّبوّة والإقرار بولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والمعاد، ومن فروعه العشرة: إقامة الصّلاة، وصوم شهر رمضان، وإيتآء الخمس وإيتآء الزّكاة، وحجّ البيت، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والمودّة في القربى، والتبرّآء عن أعدآئهم وغاصبي حقوقهم... ٦- قيل: أي حافظوا على الدّين الإسلامي، ولا تخلّوا بشيء من مقوّماته ولا تختلفوا فيه، فتأتوا ببعض وتتركوا بعضاً أو تؤمنوا ببعض، وتكفروا ببعض، ولا تخالفوا الحقّ وأهله بعد التّبليغ إليكم وإقامة الحجّة عليكم.

٧- قيل: إنّ المراد من إقامة الدّين تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ. ٨- قيل: أي المواظبة عليه والتشمّر له. ٩- قيل: أي العمل به والإستقامة في ترويجه وإقامة

شعآئره وعدم الإختلاف فيه.

أقول: والخامس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فتدبّراً جيّداً.

وفي قوله جلّ وعلا: «كبر على المشركين ماتدعوهم إليه» أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أي عظم وشقّ على المشركين كأبي جهل وأضرابه ماتدعوهم إليه من التّوحيد والقرآن.

٢- عن قتادة: أي استكبر المشركون أن قيل: لهم: «لا إله إلّا الله» وضاق بها وصادمها إبليس وجنوده ليردّوها، فأبى الله إلّا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على ماناواها، وهي كلمة من خاصم بها فلج ومن انتصر بها نصر. ٣- قيل: أي استعظم وثقل على المشركين ماتدعوهم إليه من توحيد الله تعالى والإخلاص له، ورفض الأوثان والطواغيت، وترك دين آبآئهم لأنّهم قالوا: أجعل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الآلهة إلهاً واحداً. ٤- قيل: أي ثقل على المشركين ماتدعوهم إليه من وحدة الدّين ودينك الموحّد بين صفوف المكلّفين، سوآء أكانوا مشركين وثنيين أم كتابيين متحزّبين ٥- قيل: أي عظم على مشركي مكّة أن ينزل عليك القرآن ولا ينزل على رجل من القريتين عظيم! كبر عليهم أن ينتهي سلطان الشّرك المفرّق إلى سلطان الإسلام الموحّد. ٦- قيل: كبر على مشركي العرب القول: إنّ آبآئهم ماتوا على الشّرك والضّلالة الجاهليّة فأخذتهم العزّة بالإثم. ٧- قيل: ثقل على المشركين الآخرين على المتعصّبين المتعنّتين من أهل الكتاب أن ينزل هذا الدّين على رجل إسماعيليّ لا إسرائيليّ، فتضمحل السّلطات الإسرائيليّة العنصريّة والسّلطات المسيحيّة القوميّة.

٨ - قيل: أي عظم على العتاة إختيارنا لك بما تدعوهم إليه وتخصيصك بالوحي والنّبوّة دونهم أوّلاً أن تكون رسولاً يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنت بشر مثلهم، ومن قبيلتهم إنّك نبيّ وليس لهم ذلك، وثانياً أن تدعوهم إلى الحقّ وما هم من أهله ولا في معدنه، وثالثاً أنّك لاتملك مالاً ولا سلطاناً، والله أعلم بشمائلك وفضآئلك حيث يجعل رسالته، ولذا إختارك سيّداً لرسله، وخاتماً لأنبيآئه، ورابعاً أن تدعوهم

بولاية أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

أقول: والأخيرهو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله سبحانه: «الله يجتبي إليه من يشآء» **أقوال:** ١ـ عن مجاهد: أي يخلص لنفسه و ولايته من يشآء من عباده ممّن أحبّه. ٢ـ عن ابن عبّاس: أي الله يصطفى لدينه من يشآء من عباده وهو مَن وُلِدَ في الإسلام ويموت على ذلك. فالضّميرراجع إلى الدّين والمعنى: يجتلب إليه بالتّوفيق من يشآء من يجدى عليهم لطفه. ٣ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يختار لرسالته من يشآء على حسب مايعلم من قيامه باعبآء الرّسالة وتحمّله لها فاختارك الله لها كما إختار من قبلك من الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام فليس إلى الإنسان إختيار في أمر الرّسالة والولاية. ٤ـ قيل: أي يختار للتّوحيد من يشآء من عباده.

٥ـ قيل: أي يجتلب إلى ماتدعوهم إليه من يشآء أن يجتبيه إليه وهو صرف إختياره إلى مادعي إليه. ٦ـ قيل: أي الله يختار إليه من يشآء من عباده وهو أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب وأولاده المعصومين الّذين اختارهم واجتباهم لقوله تعالى: «وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات» الأنبيآء: ٧٣) وقوله: «وربّك يخلق مايشآء ويختار ما كان لهم الخيرة» القصص: ٦٨).

أقول: والسّادس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

وفي قوله تعالى: «ويهدى إليه من ينيب» **أقوال:** ١ـ عن ابن عبّاس: أي يرشد إلى دينه من يقبل إليه من أهل الكفر كقوله تعالى: «والّذين اهتدوا زادهم هدى» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٧) ٢ـ عن السّدى: أي يرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعة الله.
٣ـ قيل: أي يهدى إلى جنّته وثوابه من يرجع إليه بالنّيّة والإخلاص بأن يلطف له في ذلك إذا علم أنّ له لطفاً. ٤ـ قيل: أي ويهدي إلى نفسه من يلجأ إليه بصدق وإخلاص كقوله تعالى: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» التّغابن: ١١).

٥ـ قيل: أي ويستخلص لدينه من رجع إليه. ٦ـ قيل: أي ويوفّق للعمل بطاعته وإتباع

مابعث به نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحقّ مَن أقبل إلى طاعته وراجع التّوبة من معاصيه. حيث يمدّه بالتّوفيق والألطاف، من يقدم إليه ويرجع إليه ويقرب منه، فإنّ من يقرب إلى الله شبراً فانّه يقرب إليه عشرة أشبار.

٧ـ قيل: أي يهدى إلى طريق الثّواب من آمن بالله وأناب إليه وأطاعه.

٨ـ قيل: أي ويهدى إليه من يقبل إلى ولاية أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب وأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم لأنّهم طريق الرّشاد والهدى إلى الله تعالى.

أقول: والثّامن هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٤ ـ (وما تفرّقوا إلّا من بعد ماجآءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضى بينهم وإنّ الّذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب)

في قوله تعالى: «وما تفرّقوا إلّا من بعد ماجآءهم العلم بغياً بينهم» **أقوال:** ١ـ قيل: هم أهل الكتاب بعد أنبيآئهم إلّا من بعد أن علموا أنّ الفرقة ضلال وفساد، فتفرّقوا في الدّين طلباً للرئاسة وحرصاً على الدّنيا ومتاعها. ٢ـ قيل: إنّ اليهود والنّصارى كانوا على حال واحدة من الكفر والضّلال، من الظّلم والفساد، ومن البغي والعناد قبل مبعث الرّسل إليهم، فلمّا بعث الله فيهم الرّسولين الكريمين ـ موسى وعيسى ـ وجآءهم العلم على يديهما، وبيّنا لهم الهدى من الضّلال، تفرّقوا أيادي سبا فكانوا يهود ونصارى، وماكان اليهود مؤمنين وكافرين ومنافقين، وكان النّصارى مؤمنين وكافرين ومشركين، وهكذا تنازع القوم أمرهم، وفرّقوا دينهم كما قال الله تعالى فيهم: «إنّ الّذين فرّقوا دينهم...» الأنعام: ١٥٩).

٣ـ قيل: أي وما تفرّقت كلمة أهل الكتاب إلّا ببعث محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحّة نبوّته كقوله تعالى: «وما اختلف الّذين اوتوا الكتاب إلّا من بعد ماجآءهم العلم بغياً بينهم» آل عمران: ١٩) ٤ـ قيل: أي وما تفرّق الامم الّذين تقدّم ذكرهم إلّا بعد العلم بصحّة ماامروا به من إقامة الدّين وعدم التّفرّق فيه. ٥ـ قيل: أي وما تفرّق المشركون بالله في أديانهم، فصاروا أحزاباً إلّا من بعد ماجآءهم العلم بأنّ الّذي

أمرهم الله به، وبعث به نوحاً وهو إقامة الدّين الحقّ، وأن لا تتفرّقوا، واختلفوا في الدّين الحقّ، وقد كانوا هم أعلم النّاس به، وإذن لا سبب موجب للخلاق والفرقة إلّا خبث السّرآئر...

٦ـ قيل: أي وإنّ هولآء الكفّار لم يختلفوا عليك إلّا من بعد أن أتاهم طريق العلم بصحّة نبوّتك، فعدلوا عن النّظر فيه. والمعنى: وما تفرّقوا عن محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا بعد أن علموا أنّه حقّ، ولكنّهم تفرّقوا عنه حسداً له وخوفاً أن تذهب رياستهم. ٧ـ عن إبن عبّاس: أي وما اختلف اليهود والنّصارى في محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن والإسلام إلّا من بعد ما جآءهم العلم في كتابهم من صفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ونعته حسداً منهم، فكفروا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبما جآءهم به. ٨ـ قيل: أي ولم يتفرّق هؤلآء المتخلّفون من هذه الامّة المسلمة من أبي بكر وعمر وعثمان وأذنابهم... بجهل ولكنّهم تفرّقوا لمّا جآءهم العلم بالإسلام الولآئي، وعرفوه فحسدوا وبغوا لمّا رأوا من تفضيل أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بأمر الله تعالى، فتفرّقوا في المذاهب واخذوا بالآرآء والأهوآء وتخلّفوا عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونقضوا عهد الله جلّ وعلا حتّى في زمن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ تخلّفوا عن أمره في إمارة اسامة بن زيد وفي أمر الوصيّة حين الإحتضار وغيرهما ثمّ السقيفة السّخيفة الشّؤمة فأوجدوا الفرقة بين المسلمين، وكانوا هم سبب إنحطاط المسلمين حتّى اليوم. وهذا لاينافي مكّيّة الآيات والسّورة على أنّ هذا إخبار بما سيقع ككثيرمن الآيات الآخر...

٩ـ قيل: أي وما تفرّق أهل الأديان في الدّين الحقّ بأن وحّد بعض وكفر بعض إلّا من بعد ما جآءهم العلم بالتّوحيد بغياً من الكافرين طلباً للرياسة، فذهب كلّ طائفة إلى مذهب، ودعا النّاس إليه، وقبّح ماسواه طلباً للذّكر والإشتهار، فصار ذلك سبباً لوقوع الإختلاف بينهم. ١٠ـ قيل: أي وما تفرّق الامم والمذاهب كلّها إلّا من بعد ما جآءهم العلم، وعلموا أنّ الفرقة ضلالة وشرك، وقد فعلوا ذلك بغياً وطلباً للرّياسة وللحميّة الجاهليّة الّتي جعلت كلّ طائفة تذهب مذهباً، وتدعو إليه، وتقبّح

ماسواه، وكلّ حزب بما لديهم فرحون، وطلباً للاحدوثة بين النّاس والسّيطرة عليهم، فالامم قديماً وحديثاً أمروا باتّفاق الكلمة وإقامة الدّين، وبلّغهم أنبيآؤهم ذلك.

١١ـ قيل: أي وما تفرقّت النّاس الّذين شرعت لهم الشّريعة بإختلافهم وتركهم الإتّفاق إلّا حال كون تفرّقهم آخذاً أو ناشئاً من بعد ماجآءهم العلم بما هو الحقّ ظلماً أو حسداً تداو لوه بينهم، وهذا هو الإختلاف في الدّين المؤدّي إلى الإنشعابات والتحزّبات الّذي ينسبه الله تعالى في مواضع من كلامه إلى البغي، وأمّا الإختلاف المؤدّي إلى نزول الشّريعة، وهو الإختلاف في شئون الحياة والتفرّق في اُمور المعاش فهو أمر عائد إلى إختلاف طبائع النّاس في مقاصدهم، وهو الذّريعة إلى نزول الوحي وتشريع الشّرع لرفعه كما يشير إليه قوله عزّوجلّ: «كان النّاس امّة واحدة فبعث الله النّبيّين...» البقرة: ٢١٣).

أقول: والثّامن هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «ولو لا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضى بينهم» أقوال: ١ـ قيل: أي ولو لا وعدالله تعالى بتأخير عذاب المشركين إلى يوم القيامة وهو الأجل المسمّى لقضى بينهم باهلاكهم كالامم السّابقة حين اقترفوا لعظم ما اقترفوا.

٢ـ قيل: أي ولولا وجبت من ربّك بتأخيرعذاب هذه الامّة إلى وقت معلوم لفرغ من إهلاك المبطل، وإثابة المحقّ. فهي عدة التأخير إلى يوم القيامة لقوله تعالى: «بل السّاعة موعدهم». ٣ـ قيل: أي ولو لا كلمة سبقت من ربّك بتأخير الجزآء إلى يوم القيامة لقضى بين اليهود والنّصارى بتعذيبهم في الحياة الدّنيا ولفرغ من هلاكهم. ٤ـ قيل: اريد بالكلمة مثل قوله تعالى حين إهباط آدم عليه السّلام إلى الأرض: «ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين» البقرة: ٣٦) والمعنى: ولولا أنّ الله قضي فيهم الإستقرار والتّمتّع في الأرض إلى أجل سمّاه وعيّنه لقضى بينهم إثر تفرّقهم في دينه وانحرافهم عن سبيله، فأهلكهم بإستدعآءٍ من هذا الذّنب العظيم.

٥ـ قيل: أي ولولا وعد الله تعالى وإخباره بتبقية الامّة المسلمة إلى وقت معلوم وتأخّر العذاب عنهم في الحال لفصّل بينكم الحكم، وأنزل عليهم العذاب الّذي

استحقّوه عاجلاً لفرقتهم بين المسلمين. ٦ـ قيل: أي إنّ الله قد قضى وأهلك كما يقصّه في قصص نوح وهود وصالح ولوط عليهم السّلام، وقد قال تعالى: «ولكلّ امّة رسول فإذا جآء رسولهم قضى بينهم بالقسط» يونس:٤٧) قيل: هذا مدفوع بأنّ ماقصّه تعالى من القضآء والإهلاك إنّما هو في امم الأنبيآء في زمانهم من المكذّبين الرّادّين عليهم وما نحن فيه من قوله: «ولولا كلمة سبقت من ربّك...» في اممهم بعدهم.

٧ـ قيل: أي ولولا ماسبق من قضآء الله في أن يؤخّر حساب هؤلآء المختلفين من أهل الكتاب إلى أجل مسمّى، موقوت لهم وهو يوم القيامة ـ لولا هذا الّذي سبق من قضآء الله تعالى بانظار حسابهم وتأخيره إلى يوم المعاد لفصل بينهم، وأخذ كلّ منهم بما يستحقّ من جزآءٍ في الحياة الدّنيا سريعاً بما دسّوا به أنفسهم من كبآئر الإثم وقبائح الفواحش... فنجّي الّذين آمنوا ووقع بأس الله بالقوم الظّالمين. ٨ـ قيل: أي ولولا أنّ الله تعالى قد قدّر بامهال هؤلآء المتخلّفين لقضى بينهم وأهلكهم ولم ينظرهم ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى قضى فيه بعذابهم.

أقول: والخامس هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «وإنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم» أقوال: ١ـ قيل: هم العرب الّذين ورثوا الكتاب وهو القرآن من بعدها ما اورث أهل الكتابين كتابهم.

٢ـ عن السّدي: هم أهل الكتاب من اليهود والنّصارى المعاصرون لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هم لفي شكّ من كتابهم لا يؤمنون به حقّ الإيمان. والمعنى: والّذين اورثوا الكتاب من بعدهم، هم أهل الكتاب من اليهود والنّصارى الّذين عاصروا الدّعوة الإسلاميّة، فهؤلآء الّذين يدينون باليهوديّة والنّصرانيّة هم الّذين اوتوا الكتاب من بعد آبآئهم الّذين أورثوهم ـ مع هذا الكتاب الّذي في أيديهم ـ فرقة فيه، وإختلافاً عليه، وهم لما ورثوا من فرقة وخلاف في دينهم ـ في شكّ وإرتياب في هذا الدّين الإسلاميّ الّذي يدعون إليه، إذ كان دينهم الّذي هو من هذا الدّين قد تغيّرت معالمه، وطّمِست وجوهه، وفلمّا التقى بدين الله الّذي يردّ أصل دينهم إليه ـ لم يجدوه

ملتئماً معه، ولا آخذاً سبيله، فكان ذلك الشّكّ المريب منهم في دين الله.

وقيل: جآءهم أسباب العلم، فلم ينظروا فيها لأنّه حكم عليهم في آخر الآية بأنّهم في شكٍّ من كتابهم، وهو مع العلم غير مجتمعين. والمعنى: إنّ الّذين آتاهم الله من بعد هؤلآء المختلفين في الحقّ كتابه التّوراة والإنجيل لفي شكّ من الدّين الّذي وصىّ به نوحاً، وأوحاه إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمر كما باقامته مريب. ٣ـ قيل: هم المشركون واليهود والنّصارى قال المشركون: لِمَ خُصّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّبوّة، واليهود حسدوه لمّا بُعِثَ وكذا النّصارى.

٤ـ قيل: هم قريش وهم ارثوا الكتاب من بعد أسلافهم... ٥ـ قيل: أي وإنّ اليهود والنّصارى هم الّذين اورثوا الكتاب من بعد قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام ٦ـ قيل: أي وإنّ الّذين اورثوا القرآن وهم العرب من بعد اليهود والنّصارى لفي شكّ منه بليغ، ولو إستقصوا في النّظر لأدّى بهم إلى الرّشد واليقين.

٧ـ عن إبن عبّاس: أي من بعد الرّسل والأنبيآء. ٨ـ أي وإنّ الّذين اورثوا الكتاب السّماوي وهم الامم الآخرين من بعد الامم الأوّلين. ٩ـ قيل: أي وإنّ الّذين اورثوا الكتاب: اعطوا التّوراة من بعد الرّسل. وقيل: من بعد أحبارهم.

١٠ ـ قيل: أي وإنّ الّذين اورثوا القرآن ـ هم يعبّرون عنهم بالعامّة ـ من بعد أربابهم المتخلّفين في الدّين الحقّ والإسلام الولآئي، الّذين نقضوا ماعاهدوا الله عليه وخالفوا أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أمر الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وغصبوا حقّهم وظلموهم وبغوا عليهم. فضمير «من بعدهم» راجع إلى هؤلآء الأسلاف المتخلّفين الّذين تفرّقوا في الدّين الإسلامي من بعد علم بغياً بينهم. فالّذين أبدوا بالإختلاف في الإسلام، واسّسوا التّفرقة بين المسلمين الأوّلين هم كانوا على علم من الدّين الحقّ الّذي هو الإسلام الولآئى، وإنّما أبدعوا ما أبدعوا بغياً بينهم. وليس تفرّقهم لقصور في البيان والحجج، ولكن للبغي والظّلم والعدوان والإشتغال بالدّنيا وشهواتها...

أقول: والعاشر هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «لفي شكّ منه مريب» **أقوال:** ١- قيل: أي لفي شكّ من القرآن موقع من الرّيب فيه. ٢- عن السّدي: أي لفي شكّ من محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مؤدّ إلى الرّيبة وذلك أنّ أحبارهم أنكروا الحقّ عن معرفته، وأنّ عوامهم كانوا شاكّين فيه لقوله تعالى: «الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنآءهم» الأنعام: ٢٠).
٣- عن إبن عبّاس: أي لفي شكّ من التّوراة.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين.

١٥ - (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهوآءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير)

في قوله تعالى: «فلذلك فادع واستقم كما أُمرت» **أقوال:** ١- قيل: أي فلذلك التّوحيد فادع يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس إليه واستقم عليه. ٢- عن ابن عبّاس: أي إلى توحيد ربّك وكتاب ربّك فادع المشركين، واستقم على التّوحيد كما أُمرت في القرآن. ٣- قيل: أي فادع إلى الإتّفاق والإتّحاد والإئتلاف على الملّة الحنيفيّة واستقم عليها وعلى الدّعوة إليها كما أُمرت. والمعنى فلأجل تشعّب الملل وتحزّب الأحزاب وتذهّب المذاهب، وتفرّق الكلم، وتشتّت الآراء والشّكّ المريب فادع النّاس كلّهم إلى الشّرعة الواحدة و وحدة الدّين، وشرعتك هي الدّين كلّه، واستقم عليها كما أُمرت.

٤- عن الفرّآءِ والزّجاج: أي ادع إلى ما وصّى تعالى به الأنبيآء من التّوحيد. وقيل: أي فإلى الدّين الّذى شرعه الله تعالى و وصّى به أنبيآئه فادع الخلق يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فـ«ذلك» إشارة إلى قوله تعالى: «شرع لكم من الدّين - أن أقيموا الدّين».

والمعنى: ولمّاتبيّنت لهم شكّهم فادعهم إلى ذلك الدّين الّذي شرعه الله لأنبيآئه

و وصّاهم به، فاللاّم بمعنى «إلى» كقوله تعالى: «بأنّ ربّك أوحىٰ لها» الزّلزال: ٥) أي إليها. ٥ـ قيل: إنّ اللام للتّعليل والمعنى: فلأجل الشّكّ الّذي كان المشركون فيه فادعهم إلى الحقّ حتّى تزيل شكّهم، فاثبت على أمر الله تعالى والدّعآء إليه وتمسّك به واعمل بموجبه كما اُمرت بما اوحي إليك.

٦ـ عن الضّحّاك : أي فلهداية النّاس ادعهم إلى الله واستقم على تبليغ الرّسالة.

٧ـ قيل : أي فلهذا القرآن فادع. ٨ـ قيل: إنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً. والمعنى: كبر على المشركين ماتدعوهم إليه، فلذلك فادع. ٩ـ قيل: إنّ اللام على بابها والمعنى: فمن أجل ذلك الّذي تقدّم ذكره فادع واستقم. ١٠ـ عن ابن عبّاس وقتادة: أي إلى القرآن فادع الخلق واستقم على أمر الله بدين الحقّ وإقامته. وعن سفيان الثّوري: أي استقم على القرآن. ١١ـ قيل : أي فلاجل أنّه شرع لهم الدّين القويم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون فادع النّاس كافّة إلى إقامة ذلك الدّين والعمل بموجبه، فانّ كلاً من تفرّقهم وكونهم في شكّ مريب، ومن شرع ذلك الدّين لهم على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سبب للدّعوة إليه والأمر بها.

١٢ـ قيل : أي فلدين الحقّ وهو الإسلام الولآئي ادع النّاس كلّهم، واستقم عليه أنت ومن اتبعك من المؤمنين.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «ولا تتّبع أهوآءهم» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي ولا تتّبع أهوآء اليهود وقبلتهم ودينهم. ٢ـ قيل: أي ولا تتّبع أهوآء المشركين أهوآءهم المختلفة الباطلة في ترك الدّعوة. ٣ـ قيل: أي ولا تتّبع أهوآء هؤلآء المتخلّفين المعاندين، المنافقين المذبذبين الّذين يختلفون في أمر الولاية لأهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من أصحاب السّقيفة السّخيفة الشّومة من هذه الامّة، فلاتتّبع أهوآئهم في ترك تبليغ الولاية وفي ترك الإستقامة عليها. ٤ـ قيل: أي ولا تنظر إلى خلاف من خالفك ٥ـ قيل: أي ولا تتّبع أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أهوآء الّذين شكّوا في

الدّين الحقّ الّذي شرعه الله لكم من الّذين اورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشكّ فيه كالّذين شكّوا فيه.

أقول: والثّالث هو المستفاد من الرّوايات الصحيحة الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «وامرت لأعدل بينكم» أقوال: ١ـ قيل: أي وامرت بأن أعدل بينكم في الحكم. فهذا العدل هو العدل في الحكم. والمعنى: إذا تحاكمتم أيّها النّاس إليّ لا افرّق بين نفسي ونفس غيري، مؤمناً كان أم كافراً... ٢ـ عن إبن عبّاس: أي وأُمرت في القرآن لأعدل بينكم بالتّوحيد. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً وأبي العالية: أي وأُمرت لكي اسوّى بينكم في الدّين والدّعآء إلى الحقّ، ولا احابي أحداً، فاومن بكلّ كتاب وبكلّ رسول. ٤ـ قيل: أي وامرت لأعدل بينكم في جميع الأشياء وفي الأحوال كلّها... ٥ـ قيل: أي لأعدل بينكم في التّبليغ في تبليغ الرّسالة وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام، ولا آمركم بما لا أعمل به، ولا اخالفكم عمّا أنهاكم عنه. ٦ـ قيل: إنّ اللام زائدة كقوله تعالى: «وامرنا لنسلم لرّب العالمين» الأنعام: ٧١).

والمعنى: اسوّى بينكم، فلا اقدّم قويّاً على ضعيف، ولا غنيّاً على فقير، ولا كبيراً على صغير، ولا عالماً على جاهل، ولا افضّل أبيض على أسود، ولا عربيّاً على عجميّ، ولا هاشميّاً أو قريشيّاً على غيره، فالدّعوة الإلهيّة متوجّهة إلى الجميع، والنّاس كلّهم قبال الشّرع الإلهي سوآء. قيل: إنّ الخطاب لليهود وقيل: للمشركين، وقيل: لأهل الكتاب من اليهود والنّصارى وقيل: للنّاس كلّهم.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «لا حجّة بيننا وبينكم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وإبن زيد: أي لا خصومة ولا جدال ولا مناظرة بيننا وبينكم في الدّين لأنّ الحقّ قد ظهر، والحجّة قد لزمتكم فلا حاجة إلى المحاجّة، ولا يحتاج إلى ايراد الحجّة، فسقط الجدال والخصومة. وكنّي بالحجّة عن الخصومة لإحتجاج أحد الخصمين على الآخر. ٢ـ قيل: إنّ نفي الحجّة كناية عن نفي لازمها وهو الخصومة أي لا خصومة بيننا بتفاوت

الدّرجات لأنّ ربّنا واحد، ونحن في أنّنا جميعاً عباده واحد ولكلّ نفس ماعملت فلاحجّة في البين أي لا خصومة حتّى تتّخذ لها حجّة. ٣-قيل: أي لا حجّة تدلّ على تقدّم بعض على بعض، تكون فيما بيننا يقيمها بعض على بعض يثبت بها تقدّمه عليه.

٣- قيل: أي لاحجّة بيننا وبينكم لظهور أمركم في البغي علينا والعداوة لنا، والمعاندة لا على طريق الشّبهة، وليس ذلك تحريماً لإقامة الحجّة لأنّه لا يلزم قبول الدّعوة إلاّ بالحجّة الّتي يظهر بها الحقّ من المبطل، فاذا صار الإنسان إلى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين أهل الحقّ، لأنّ الحقّ قد ظهر فلم يبق للمحاجّة مورد ولا للخصومة محمل سوى المكابرة. ٤- قيل: أي إنّ الحجّة لنا عليكم لظهورها، وليست بيننا بالإشتباه والإلتباس، فنكتفي ببيان الحقّ وتبليغ الوحي، والقول لهم بعد ذلك أنتم وشأنكم، وليس بيننا وبينكم مجال للخصومة والتّنازع، فلاجدل بيننا وبينكم حتّى تحاجّونا ونحاجّكم.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المحقّقين.

وفي قوله تعالى: «الله يجمع بيننا» أقوال: ١-قيل: أي الله يجمع بيننا يوم القيامة للحساب والجزآء، فيفصل بيننا بالحكم. ٢-قيل: أي الله تعالى يجمع بيننا يوم معلوم وهو يوم ظهور المهديّ الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، فينتقم به منكم. ٣-قيل: أي الله يجمع بيننا في الرّبوبيّة، فانّه ربّ الجميع، والجميع عباده، فيكون قوله: «الله يجمع بيننا» تأكيداً لقوله السّابق: «الله ربّنا وربّكم» وتوطئة وتمهيداً لقوله: «وإليه المصير» ويكون مفاد الجملتين أنّ الله هو مبدؤنا لأنّه ربّنا جميعاً، وإليه منتهانا لأنّه إليه المصير، فلاموجد لما بيننا إلاّ الله تعالى.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً واغتنم جيّداً.

١٦ - (والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)

في قوله تعالى: «والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له...» أقوال: ١-عن

إبن عبّاس ومجاهد وإبن زيد وقتادة وعكرمة والحسن: إنّ أهل الكتاب من اليهود والنّصارى كانوا يجادلون المسلمين ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حجّتهم في جدالهم باطلة زائلة لاثبات لها كالشّيء الّذي يزلّ عن موضعه. وذلك أنّ اليهود والنّصارى كانوا يحاجّون أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقولون لهم: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم، فنحن خير منكم وأولى بالحقّ، فأنتم أولى باتّباعنا، وأيضاً أنتم تقولون: الأخذ بالمتّفق عليه أولى من الأخذ بالمختلف فيه، ونبوّة موسى وحقيقة التّوراة متّفق عليها، ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مختلف فيها. وإنّما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أجيب عنه بأجوبة:

منها ـ أنّ نبوّة موسى عليه السّلام إنّما صحّت بالمعجزة، فان كانت المعجزة في حقّه مصحّحة للنّبوّة، ففي حقّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كذلك، وإلاّ فأنتم قادحون في نبوّة نبيّكم أيضاً، فنهاهم الله تعالى عن الخصومة لا أساس لها.

ومنها ـ أنّ خصومتهم باطلة إذ زعموا أنّ دينهم أفضل من الإسلام، ولأنّ ماذكروه لا يمنع من صحّة نبوّة نبيّنا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيّهم.

ومنها ـ أنّ حجّتهم باطلة في ميزان الحقّ لا يعتنى بها، إذ لو كانت ماهيّة الإتّفاق بين المسلمين وأهل الكتاب في كتابهم أنّنا وأنهم نؤمن بإله واحد، فاستجابتهم لكتاب سابق من الله تعالى بآيات صدقه، وبيّنات رسوله تحملنا على تصديقه، فعليهم كذلك تصديق القرآن لإستجابتنا له بآيات كلّها أو هي أهدى سبيلاً إذاً فحجّتهم داحضة.

ومنها ـ أنّ القرآن المستجاب لنا بيّنات صدقه القاطعة يحملنا على تصديق الكتابين من دون حجّة اخرى، حيث إنّ الحجّة المصدّقة لهما ليست فيهما، فانّها منفصلة عنهما، وهي معجزات موسى وعيسى عليهما السّلام حيث تحمل مَن شاهدها بتصديق كتابيهما إذاً فاستجابة حجّة القرآن هي الّتي تحملنا على تصديق الكتابين، فكيف تنقلب حجّة علينا تتطلب حجّة أُخرى بعد المتّفق عليها ولا حجّة لنا إلاّ هي إذاً فحجّتهم داحضة.

ومنها ـ أنّ القرآن الكريم لايحملنا إلاّ على تصديق الكتابين المبشّرين به وبنبيّه: «الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأميّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل ـ واتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف:١٥٧-١٥٨) «الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنآءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون» البقرة:١٤٦) «الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنآءهم الّذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون» الأنعام: ٢٠).

إذاً فلانشاركهم في تصديق الكتابين من دون شروط، إنّما نصدّق الّذي بشّر بنبيّنا وبكتابه إذاً فحجّتهم داحضة.

ومنها ـ أنّ الّذي يستندون إليه في استجابتهم لتوراة أو إنجيل ليس إلاّ معجزات من الرّسولين شهدها من حضرها دونهم، وإنّما استجابوهم دون حجّة حاضرة، وإنّما لتقليدهم من أسلافهم أو لحسن الظّن بهم، والكتابان محرّفان لا حجّة فيهما، وحتّى قبل التّحريف، إذ لا معجزة فيهما، فهذه إذاً استجابة فاشلة، وأمّا المسلمون فيستجيبون دعوة القرآن الكريم لأنّه بنفسه معجزة خالدة، وهو وحده أوضح برهان لرسالة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد استجابوا وعلى مرّ الزّمن لوحي القرآن المجيد بحجّة حاضرة في كلّ ظرف، غير محرّفة، إذاً فحجّة اليهود والنّصارى داحضة زآئلة عند ربّهم في اثبات وحي الكتابين أو في ردّ وحي القرآن المجيد، فلمّا استجيبت دعوة القرآن بحجّته الحاضرة لم يكن نكرانهم لما استجيب له إلاّ كفراً بالله جلّ وعلا وبآياته إذاً فـ «حجّتهم داحضة عند ربّهم...».

٢ـ قيل: أي إنّ الّذين ناصبوا العدآء لله تعالى وللإسلام من المشركين وأهل الكتاب ومن المنافقين... لمّا رأوا النّاس يدخلون في دين الله أفواجاً ويستجيبون له أخذوا يجادلونهم فيه بالتّهويش والباطل الّذي لا يسعفهم بشيء. قيل: أي من بعد ما استجاب لله النّاس وقبلوا دينه ووحّدوه وشهدوا له بالوحدانيّة. فالضّمير: «له» راجع إلى الله تعالى.

٣ـ عن الجبآئي: أي والّذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب

للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم دعآؤه في كفّار بدر حتّى قتلهم بأيدي المؤمنين، واستجيب دعآؤه على أهل مكّة، وعلى مضرّ حتّى قحطوا، ودعآؤه للمستضعفين حتّى خلّصهم الله من أيدى قريش وغير ذلك ممّا يطول تعداده.

٤ ـ قيل: أي من بعد ما استجيب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دعآؤه في إظهار المعجزات وإقامتها.

٥ ـ قيل: أي يجادلون في دين الله وفي كتابه الّذي أنزله على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بعد أن استجاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس وآمنوا بالله، واطمأنّوا إلى دينه الإسلامي، فهذا الجدل وإن كان قد يقبل من غير المؤمنين بالله، ولكنّه غير مقبول من المؤمنين به، المستجيبين له من أهل الكتاب إذ لا يتّفق الإيمان بالله والجدل فيه، والمراد بهم اليهود الّذين وقع عليهم غضب الله في الدّنيا، والعذاب الشّديد في الآخرة، وهم مؤمنون بالله ولكن إيمانهم هذا مشوب بالباطل والضّلال بما بدّلوا وحرّفوا في دين الله، ولقد كانوا يعرفون صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعرفون صدق الدّين الّذي جآء به. والمعنى: من بعد ما استجيب له بأن أقرّوا به قبل مبعثه فلمّا بُعِثَ جحدوه حسداً وبغياً، فأوردوا أنفسهم موارد الهلاك، وماتوا ظمأً دون أن يردوا المآء الحاضر بين أيديهم، كما قال تعالى فيهم: «ولمّا جآءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جآءهم ما عرفوا كفروا به ـ فبآؤ بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين» البقرة: ٨٩ـ٩٠).

فالحجّة الّتي توردها اليهود للإحتجاج على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم باطلة توقع المتشبّث بها في مزالق الكفر والضّلال. وإنّما سمّى تعالى شبهتهم حجّة على حسب إعتقادهم، ولشبهها بالحجّة اجرى عليها إسمها من دون إطلاق الصّفة بها. ٦ـ قيل: أي الّذين يخاصمون في دين الله من بعد ما استجابوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى مادعاهم إليه، ودخلوا في الإسلام أفواجاً لظهور حجّته بالمعجزات والآيات الّتي أظهرها الله تعالى فيه، فإذاً حجّتهم باطلة لا ينبغي النّظر إليها وانّهم بعد هذه الحال في حكم المعاندين بالبغي والحسد.

٧-عن إبن عبّاس أيضاً: أي والّذين يخاصمون في دين الله يعني اليهود والنّصاري من بعد ما استجيب له في الكتاب. ٨-قيل: هم المشركون من بعد ما استجيب له يوم الميثاق خصومتهم باطلة. ٩-قيل: أي يحتجّون على الله بعد ما شآء الله أن يبعث عليهم الرّسل، فبعث الله إليهم الرّسل والكتب، فغيّروا وبدّلوا، ثمّ يحتجّون يوم القيامة، فحجّتهم على الله يومئذ باطلة عند ربّهم. ١٠-قيل: أي من بعد ما استجاب الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ونصره والمؤمنين يوم بدر. ١١-عن إبن عبّاس ومجاهد أيضاً: هم أهل الضّلالة، وكان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربّصون بأن تأتيهم الجاهليّة، فطمع رجال بأن تعود الجاهليّة بعد أن دخل النّاس في الإسلام. ١٢-قيل: هذا كلام راجع إلى المشركين لأنّهم كانوا يقولون: «أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً» مريم: ٧٣) فقال الله تعالى: «والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له...» أي من بعد ما دخل النّاس في الإسلام وأجابوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى ما دعاهم إليه وصلّوا لله تعالى وحده.

١٣- قيل: أي والّذين يحتجّون على نفي ربوبيّته أو على إبطال دينه من بعد ما استجاب النّاس له ودخلوا في دينه لظهور الحجّة و وضوح المحجّة، حجّتهم باطلة زائلة، فالمراد بالإستجابة له ما هو حقّ الإستجابة وهو التّلقّى بالقبول عن علم لا يداخله شكّ تضطرّ إليه الفطرة الإنسانيّة السّليمة، فانّ الدّين بما فيه من المعارف فطريّ تصدّقه وتستجيب له الفطرة الحيّة قال الله تعالى: «إنّما يستجيب الّذين يسمعون والموتى يبعثهم الله» الأنعام: ٣٦) وقال: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشّمس: ٨) وقال: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها» الرّوم: ٣٠).

١٤-قيل: إنّ الآية الكريمة ردّ على المشركين الّذين كانوا يتحجّجون على المسلمين بما عليه أهل الكتاب من إنقسام وخلاف، وتحزّب وفرقة بينهم بأنّ دين الإسلام كسآئر الأديان باطل كما في أهلها إختلاف وافتراق. والمراد بما استجيب له تعالى أو استجاب إلى دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هم طبقات وطوآئف وقبآئل مختلفة من النّاس

من أهل الكتاب ومشركي العرب وغيرهم، حيث إنّ الّذين استجابوا إلى الدّعوة في العهد المكّيّ كانوا يمثلون البشريّة جميعاً تقريباً تمثيلاً تاماً على إختلاف الطبقات والطوائف والقبآئل والألوان والأقطار والأجناس والأديان والنّحل حيث كان فيهم الغنيّ والفقير، والشّريف والمسكين، والزّعيم **والصّعلوك**،والشّباب والشّيوخ، والنّسآء والرّجال، والصّبيان والفتيات، والأحرار والأرقآء، والتّاجر والصّانع. والزّارع والرّاعي، والحضريّ والبدويّ، والقرشي وغير القرشي، والشّاميّ والمصريّ، والعراقي واليمني، والفارسي والرّوميّ، والحبشّي والسّودانيّ، والمشرك والصّابئي والحنيفيّ والوثنيّ والكوكبيّ، والمجوسيّ واليهوديّ والنّصرانيّ.

فكان في الجماعة الإسلاميّة الاولى الّتي تكوّنت تحت زعامة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نموذج رائع للمجتمع الإنسانيّ الّذي استهدفت الرّسالة المحمّديّة إقامته من جميع الأجناس والألوان والطّبقات يدينون لربّ واحد شامل الرّبوبيّة، متّصف بجميع صفات الكمال، منزّه عن الشّوآئب في نطاق الأُخوّة والمساواة والحرّيّة والعدل والإحسان، والبرّ والتّعاون والتّضامن والتّوادّ والمحبّة والسّلاح والتّسامح، لا يطغى فيه ولا يتعالى قوي على ضعيف، ولا غنيّ على فقير، ولا زعيم على صعلوك ، يؤيّد أعلاهم أدناهم، ويجيز أدناهم على أعلاهم، ويُؤخذ من غنيّهم لفقيرهم، ويرحم قويّهم ضعيفهم، ويعين قادرهم عاجزهم، وتحفظ حقوق النّسآء والرّجال كلاً على حسبه.

يتفانون في الله ورضوانه، ويجاهدون في سبيله، ويحملون راية دعوته، ويدعون إليها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن إلاّ من ظلم وبغي، لا يستبدّ أحد منهم في رأي، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يجتنبون الفواحش ماظهر منها وما بطن، ويتّقون الله في السّرّ والعلن، ويقومون بواجبهم نحو الله والنّاس، لا يبغون ولا يعتدون على أحد، ولا يرضخون لظلم ولا بغي، لا يضيقون بمن يريد أن يحتفظ بدينه إذا هو وادّهم وسالمهم، بل يبرونه ويعطونه حقّه، ويحكمون له إذا تقاضا عندهم بالحق، وتكون له حرّيّته الدّينيّة والمدنيّة والقضآئيّة، يطيعون ولاة امورهم الّذين يجب أن يكون منهم فيما لا معصية فيه، ويأخذون حظّهم من الدّنيا كسباً وسعياً ومتاعاً،

ويستمتعون بزينة الله الّتي أخرجها لعباده والطّيبات من الرّزق من دون إسراف، وينتفعون بكلّ ما في الكون من نواميس ومنافع ممّا احتواه القرآن الكريم في مختلف فصوله المكّيّة والمدنيّة، وما احتوته السّنّة النّبويّة الثّابتة القوليّة والفعليّة.

١٥- قيل: أي إنّ الّذين يخاصمون في أمر الله تعالى بالولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بعد ما استجابوا له بدعوة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إليها يوم الغدير، وذلك أنّ عتاة المنافقين اللجوج، وقادة المعاندين العنود قالوا لأمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام يوم الغدير: بخٍّ بخٍّ... ثمّ نقضوا ماعاهدوا الله عليه، وكانوا يخاصمون في أمر الله جلّ وعلا: «يا أيّها الرّسول بلغ ما انزل إليك من ربّك وإن لمتفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧).

وهذا إخبار من الله عزّوجلّ بما سيقع في الأمّة المسلمة من جانب هؤلآء العتاة الفجرة والقادة الفسقة...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

١٧ - (الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان وما يدريك لعلّ السّاعة قريب)

في قوله تعالى: «أنزل الكتاب» أقوال: ١- قيل: الكتاب هو القرآن الكريم. ٢- قيل: أي القرآن وسآئر الكتب المنزّلة على الأنبيآء عليهم السّلام، فالمراد بالكتاب جنسه متلبّساً بالغرض الصّحيح. والمعنى: الله الّذي أنزل كتبه على أنبيآئه عليهم السّلام حاوية للحقّ الّذي لا شبهة فيه، بعيدة من الباطل الّذي لاخير فيه. ٣- قيل: إنّ المراد بالكتاب هو الوحي المشتمل على الشّريعة، والدّين الحاكم في المجتمع البشري. وإنّ هذا المعنى هو المراد بالكتاب في الكتاب.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، والمؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «بالحقّ» أقوال: ١- قيل: أي بالصّدق فيما أخبر به من ماض ومستقبل. ٢- قيل: أي بالأمر والنّهي والفرآئض والأحكام، وكلّه حقّ من الله تعالى

وكلّ ما فيه حقّ. ٣ـ قيل: أي متلبّساً بالغرض الصحيح. ٤ـ قيل: أي نزوله مصاحباً للحقّ لا يخالطه إختلاط شيطانيّ ولا نفسانيّ.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، والتّعميم هو الأوجه.

وفي قوله جلّ وعلا: «والميزان» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة ومقاتل: أي وأنزل العدل والتّسوية في كتبه المنزلة والميزان عبارة عن العدل كنّى به، وإنّما سمّى العدل ميزاناً لأنّ الميزان آلة الإنصاف والتّسوية بين الخلق وذلك في زمن نوح عليه السّلام. ٢ـ قيل: أي وأنزل الميزان نفسه الّذي يوزن به أنزله من السّمآء بالحقّ متلبّساً بالحقّ، مقترناً به أو بالغرض الصّحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التّحريم والتّحليل وغير ذلك، أنزله من السّمآء وعلم العباد الوزن به لئلاّ يكون بينهم تظالم وتباخس. ٣ـ عن الجبائي: أراد به الميزان المعهود المعروف، وأنزله من السّمآء. أي ألهمه للخلق أي ألهم إتّخاذ الميزان وعرّفهم كيف يعملون به بالحقّ وكيف يزنون به.

٤ـ عن علقمة: الميزان هو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يقضي بينهم بالكتاب، ويكون على التّوسّع والتّشبيه ٥ـ قيل: الميزان هو أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام لأنّه ميزان الأعمال والإيمان، يفصل بين النّاس بالعدل والإنصاف، ويحكم فيهم بحكم الله الّذي أمر به في كتابه وذلك أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام كان ميزاناً لإكمال الدّين وإتمام النّعمة على المؤمنين، وميزاناً لتبليغ رسالة سيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. ٦ـ قيل: الميزان ما بيّن في الكتب ممّا يجب على الإنسان أن يعمل به. ٧ـ عن قتادة أيضاً: الميزان العدل فيما امر به ونهى عنه. ٨ـ قيل: الميزان هو الجزآء على الطّاعة بالثّواب، وعلى المعصية بالعقاب. ٩ـ قيل: الميزان هو العقل الّذي يزن المرء به الحقّ والباطل. ١٠ـ قيل: الميزان هو القدرة على الموازنة بين الحقّ والباطل، بين الهدى والضّلالة، بين الخير والشّرّ، وبين الحسن والقبح... فيستطيع بها الإنسان التّمييز بين أهلهما. ١١ـ قيل: الميزان هو ما يوزن ويقدّر به الأشيآء، والمراد به بقرينة ذيل الآية، والآيات التّالية هو الشّرع والدّين المشتمل عليه

الكتاب حيث يوزن به العقآئد والأفكار والآراء والأقوال والأعمال... فتحاسب عليه ويجزي بحسبه الجزآء يوم القيامة، فالميزان هو الدّين باصوله وفروعه... ١٢-قيل: الميزان هو العدل، وقد جعله حكماً فيما يختلف فيه أصحاب العقآئد السّالفة، وفيما تختلف فيه لآرآء النّاس وأهوآءهم، وأقام شرآئعه على العدل في الحكم العدل الدّقيق كأنّه ميزان توزن به القيم، وتوزن به الحقوق، وتوزن به الأعمال والتّصرّفات...

١٣- قيل: إنّ الميزان وصف للقرآن، بأنّ القرآن إذا قوبل بينه وبين مايدعونه وقويس بينهما ظهرت فضيلته وبانت حجّته، وعلمت دلالته، فلذلك وصفه بالميزان.

١٤- قيل: إنّ الميزان هو القرآن نفسه، إذ يرجع إليه كلّ ميزان، وهو مقياس لكلّ ميزان حتّى نبوّة نبيّ القرآن.

أقول: والخامس هو المرويّ.

١٩ - (الله لطيف بعباده يرزق من يشآء وهو القويّ العزيز)

في قوله تعالى: «الله لطيف» أقوال: ١- عن إبن عبّاس وعكرمة والسّدي: أي حفيّ بار بهم، رفيق يفيض عليهم من فضله وإحسانه، ومن جوده وكرمه.

٢-قيل: اللطيف هو العالم بخفيّات الأمور والغيوب. والمراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدقّ إدراكه على كلّ عاقل، وذلك في الأرزاق الّتي قسّمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم، وايصال السّرور والملاذ إليهم، وتمكينهم بالقدر والآلات إلى غير ذلك من ألطافه الّتي لا تدرك على حقيقتها ولا يوقف على كنهها لغموضها. ٣- عن مقاتل: أي لطيف بالبرّ و الفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم.

٤-عن القرظي: أي لطيف بهم في العرض والمحاسبة يوم القيامة. قال الشّاعر:

غداً عند مولى الخلق للخلق موقف يسآئلهم فيه الجليل ويلطف

٥- قيل: إنّ الشّيء الصّغير الّذي لا يحسّ به لغاية صغره يسمّى لطيفاً، والله عزّوجلّ لمّا كان منزّهاً عن الجهة والجسميّة لم يحسّ به، فأطلقوا إسم الملزوم على اللازم، فوصفوا الله سبحانه بأنّه لطيف بمعنى أنّه غير محسوس، وكونه لطيفاً بهذا

الإعتبار يكون من صفات التّنزيه. ٦- قيل: اللطيف هو العالم بدقآئق الأمور وغوامضها، يقال: فلان لطيف اليد إذا كان حاذقاً في صنعته، مهتدياً إلى ما يشكل على غيره، وعلى هذا التّفسير كونه لطيفاً عبارة عن علمه، فيكون اللطف من الصّفات الذّاتية. ٧- عن الحسين بن الفضل: أي لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره. ٨- عن الجنيد: أي لطيف بأوليآئه حتّى عرفوه، ولو لطف بأعدآئه لما جحدوه.

٩- قيل: اللطيف بمن لجأ إليه من عباده إذا يئس من الخلق توكلّ عليه ورجع إليه، فحينئذ يقبله ويُقبل عليه. ١٠-قيل: اللطيف هو الّذي ينشر من عباده المناقب، ويستر عليه المثالب، وعلى هذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا من أظهر الجميل وسترالقبيح» ١١- قيل: اللطيف هو الّذي يقبل القليل ويبذل الجزيل. ١٢- قيل: هو الّذي يجبر الكسير، وييسّر العسير ١٣- قيل: هو الّذي لا يخاف إلاّ عدله، ولا يرجى إلاّ فضله ١٤- قيل: هو الّذي يبذل لعبده النّعمة فوق الهمّة، ولا يكلّفه الطّاعة فوق الطّاقة قال الله تعالى: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» ابراهيم:٣٤) وقال: «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠) وقال: «وما جعل عليكم في الدّين من حرج» الحجّ: ٧٨) وقال: «يريد الله أن يخفف عنكم» النّسآء:٢٨).

١٥ -قيل: اللطيف هو الّذي يعين على الخدمة ويكثرا لمدحة. ١٦-قيل: هو الّذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيّب من رجاه، فلايعاجل عباده بالعقوبة ليتوبوا إليه. ١٧ - قيل: هو الّذي لا يردّ سائله، ولا يوئس آمله. ١٨ - قيل: هوالّذي يعفو عمّن يهفو. ١٩- قيل: هو الّذي يرحم من لا يرحم نفسه. ٢٠- قيل: هو الّذي أو قد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً، وجعل الصّراط المستقيم لهم منهاجاً وأجزل لهم من سحآئب برّه مآءً ثجاجاً. ٢١- قيل: أي ذو لطف بعباده، وإنّ إنزال الكتاب والميزان لطف من الله تعالى على خلقه. فقول تعالى: «الله لطيف بعباده» إشارة إلى ذلك.

٢٢- قيل: اللطيف هو البرّ بعباده الّذي يلطف بهم ويرزقهم من حيث لا يعلمون، ويهيّئ مصالحهم من حيث لا يحتسبون.

فجعل رزق عباده من الطّيّبات، ورزقهم من حيث لايعلمون، ولم يدفعه إليهم

بمرّة، بل يرزق كلّ عبد منهم قدر ما يصلحه ويصلح له ومنه قوله تعالى: «الله لطيف بعباده يرزق من يشآء» واحتجّ من فسّر اللطيف بهذا التّفسير بأن قال: حمله عليه أولى من حمله على العلم بدليل قوله تعالى: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» الملك: ١٤) ولا شكّ أنّ الخبير هو العالم، فلو كان اللطيف أيضاً عبارة عن العالم لزم التّكرار، وهو غير جائز.

٢٣ـ قيل: اللطيف هو الّذي يعلم دقآئق المصالح وغوامضها، ثمّ يسلك في إيصالها إلى المستصلح ومستحقّها سبيل الرّفق دون العنف، فإذا اجتمع الرّفق في الفعل واللطف في العلم تمّ معنى اللطف، ولا يتصوّر كمال ذلك في العلم والفعل إلاّ لله وحده أمّا علمه بالغوامض والخفايا فلا ريب فيه، فانّ الخفيّ والجليّ بالنّسبة إليه في العلم سيّان، وأمّا رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل تحت الحصر، إذ لو أراد الإنسان أن يذكر لطفه في تفسير لقمة يتناولها من غير كلفة يتجشمها لعجز عنه، فإنّه قد تعاون على إصلاح تلك اللقمة خلق لا يُحصي عددهم من مصلح الأرض وزارعها، وساقيها وحامل حبّها ومنقيها وطاحنها، وعاجنها إلى غير ذلك، فالله جلّ وعلا من حيث إنّه دبّر الأمور فهو حكيم، ومن حيث إنّه أوجدها فهو جواد، ومن حيث إنّه رتّبها فهو مصوّر، ومن حيث إنّه وضع كلّ شيء في موضعه فهو عدل، ومن حيث إنّه لم يترك فيها دقآئق وجوه اللطف والرّفق فهو لطيف، ولن يعرف حقيقة هذه الأسمآء ألبتّة من لم يعرف حقيقة هذه الأفعال...

٢٤ـ قيل: ومن لطفه بعباده أنّه سهل عليهم إلى سعادة الأبد بسعى خفيف في مدّة قصيرة وهي العمر، فانّه لا نسبة له ألبتة إلى دوام الأبد. ٢٥ـ قيل: اللطيف من وفق للعمل في الإبتدآء، وختمه بالقبول في الإنتهآء. ٢٦ـ قيل: اللطيف من ولى فسترو أعطى فأغنى، وأنعم فأجزل، وعلم فأجمل. ٢٧ـ قيل: إنّ «اللطيف» من لطف لُطفاً ـ من باب نصر ـ: رفق ودنى. فمعناه: أبَرُّ وأشدّ إحساناً برفق ولطف من كلّ لطيف. وفي دعآء الجوشن الكبير: «يا ألطف من كلّ لطيف» فيوصل إليك مرادك بلطف. ٢٨ـ قيل: إنّ اللطيف من لَطُفَ لطافة ـ من باب كرم ـ: صَغُرَ ودقّ. فمعناه:

أشدّ تجرّداً من كلّ لطيف ومجرّد. فاللطيف بمعنى المجرّد ليكون دليلاً على علمه بمعلوماته اذ تقرّر في محلّه: أنّ كل مجرّد عاقل، فاللطيف إشارة إلى أنّه مجرّد.

٢٩ ـ قيل: اللطيف **هو الرّؤف.** ٣٠ ـ قيل: اللطف شيء من الرّفق وسهولة الفعل، وشيء من الدّقّة فيما يقع عليه الفعل، فاذا تمّ الرّفق والدّقّة، وكان الفاعل يفعل برفق وسهولة، ويقع فعله على الأمور الدّقيقة كان لطيفاً كالهوآء النّافذ في منافذ الأجسام برفق وسهولة المماسّ لدقآئق أجزآئها الباطنة، وإذا القيت الخصوصيّات المادّية عن هذا المعنى صحّ أن يتّصف به الله تعالى فانّه جلّ وعلا ينال دقآئق الأمور باحاطته وعلمه، ويفعل مايشآء برفق فهو لطيف.

أقول : والثّامن والعشرون هوالمستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه كثير من الأقوال فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً.

وفي **قوله تعالى:** «يرزق من يشآء» أقوال: ١ ـ قيل: أي يوسّع الرّزق على من يشآء من عباده. يقال: فلان مرزوق إذا وصف بسعة الرّزق. ٢ ـ قيل: أي يرزق من يشآء في خفض ودعة، ومن يشآء في كدّ ومشقّة ومتعبة، وكلّ من رزقه الله تعالى من ذي روح فهو ممّن يشآء الله أن يرزقه. ٣ ـ قيل: أي يخلق الأرزاق كلّها وأعظمها سلامة العقول وصدق العقيدة وصحّة الأبدان... من يشآء أي مايشآء كان وما لم يشأ لم يكن. ٤ ـ قيل: أي يحرم من يشآء. وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض إلى البعض كما قال تعالى: «ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً» الزخرف:٣٢) فكان هذا لطفاً بالعباد وأيضاً ليمتحن الغنى بالفقير والعكس كما قال تعالى: «وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون» الفرقان: ٢٠).

٥ ـ قيل: أي يرزق من يشآء يعني الزّآئد على مقدار الضّرورة، فلكم من إنسان فاق أقرانه في المال أو الجاه أو الأولاد أو في العلم والعمل والتّقوى أو في سآئر أسباب المزيّة إلّا أنّ أحداً منهم لا يخلو من برّه الّذي يتعيش به كقوله تعالى: «أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠) ٦ ـ قيل: إنّ المراد بالرّزق مايعمّ موهبة الدّين الّذي يتلبّس من يشآء على مايشهد به الآية التّالية، ولذا الحق القول فيه بقوله: «الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ والميزان» فالمراد بالرّزق هنا هو رزق الإيمان والهدى، ففي هذا الرّزق

تزكية النفوس وطهارتها بالإيمان، وتقبلها للهدى واتّصالها بالملإ الأعلى واستعدادها لدخول هذا الملأ في جنّات النّعيم. ٧ـ قيل: إنّ الرّزق يعمّ المعنويّ منه كالرّسالة والولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والمادّيّ منه كالنّعم الدّنيويّة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٢٠ ـ (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي من كان من الأبرار يريد بعمله الصّالح ثواب الآخرة نزدله في حسناته، ومن كان من الفجّار يريد بعمله الحسن الدّنيا نؤته منها. ٢ـ قيل: أي من طلب بما رزقناه حرثاً للآخرة وجعل دنياه مزرعة لآخرته فأدّى حقوق الله وأنفق في اعزاز الدّين، فانّما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشراً إلى سبعمأة فأكثر، ومن طلب بالمال الّذي آتاه الله رياسة الدّنيا والتّوصّل إلى المحظورات، فانّا لا نحرّمه الرّزق أصلاً ولكن لا حظّ له في الآخرة من ماله. ٣ ـ قيل: «نزد له في حرثه» أي نوفّقه للعبادة وحده ونسهلها عليه. ٤ـ قيل: حرث الآخرة هي الطّاعة والمعنى: من أطاع الله تعالى فله الثّواب، نعطيه الدّنيا مع الآخرة.

٥ـ قيل: إنّ الآية الكريمة في الغزو والجهاد أي من أراد بغزوه وجهاده الآخرة أُوتى الثّواب، ومن أراد بغزوه الغنيمة اوتى منها. وقيل: من قصد بالجهاد وجه الله تعالى فله سهم الغانمين والثّواب في الآخرة، ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك، وحصل له سهمه من الغنيمة ولكن لانصيب له من الثّواب في الآخرة وقد جعل تعالى ذلك ترغيباً في طلب ثواب الآخرة وتزهيداً في طلب نعيم الدّنيا، وذلك لطف في المحافظة على الجهاد لأنّ من قصد بجهاده طلب نعيم الآخرة لم يزل مقدماً على الأعداء، صابراً على الأوآء، ومن كان مراده الغنيمة العاجلة ضعف صبره، ولم يؤمن فشله، وكان ثباته قليلاً، وفشله مدخولاً. ٦ـ قيل: إنّ الآية في الكافر، وقيل: في اليهود، يوسّع له في

الدّنيا. أي لا ينبغي له أن يغترّ بذلك لأنّ الدّنيا لاتبقى. ٧ـ قيل: أي من عمل للآخرة وفّق في عمله، وضوعفت حسناته، ومن عمل للدّنيا اعطى شيئاً منها لا ما يبتغيه، وماله نصيب قط في الآخرة.

٨ـ عن قتادة: إنّ الله يعطى على نيّة الآخرة ماشآء من أمر الدّنيا، ولا يعطى على نيّة الدّنيا إلّا الدّنيا، فمن عمل لآخرته زدناه في عمله، وأعطيناه من الدّنيا ما كتبنا له، ومن آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلّا النّار، ولم يصب من الدّنيا إلّا رزقاً قدقسمناه له لابدّ أن كان يؤتاه مع إيثار أوغيرايثار. ٩ـ قيل: أي من كان يريد بعمله الآخرة نزدله في عمله الحسن، فنجعل له بالواحد عشراً إلى ماشآء ربّنا من الزّياة، ومن كان يريد بعمله الدّنيا ومتاعها وسعى لها سعيها نؤته منها ما قسمنا له منها، وماله في الآخرة من حظّ أبداً. ١٠ـ عن إبن زيد: من كان يريد الآخرة وعملها نزدله في عمله، ومن أراد الدّنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب.

١١ـ عن السّدي: أي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نزدله في عمله، ونضاعف له ثواب عمله، ومن كان يريد بعمله نفع الدّنيا نعطه نصيباً من الدّنيا لا جميعها، سمّاه حرثاً تشبيهاً للعامل الطّالب لنفع الآخرة أضعافاً مضاعفة بالزّارع الّذي يلقى البذر في الأرض طلباً للزّارع والنّمآء، ومن فضآئل نفع الآخرة أن طالبها قد يحصل له الدّنيا بالتّبعية، ويرى نفع عمله أضعافاً مضاعفة، وطالب الدّنيا لا تحصل له المطالب بأسرها، ولهذا قال: نؤته بعض ذلك. فالحرث هنا العمل. ١٢ـ قيل: أي من كافح وناضل صامداً محتسباً لإقامة العدل وإحقاق الحقّ لا يرهب طاغياً وباغياً ـ أمدّه الله بعونه وتوفيقه، وزاد في حسناته أضعافاً مضاعفة، ومن عمل لنفسه وكفى وقاس الحقّ والعظمة بمراكبه وسيّارته وطيّارته، وقاس العدل والخير كلّه بمعاشه وبدلته، فانّه ينال بعض ما أراده لاكلّه، وماله في الآخرة من حظّ قطّ.

١٣ـ قيل: أي من أراد ثواب الدّنيا منفرداً عن ثواب الآخرة آتيناه ما أراده أو بعضه وحرمناه ثواب الآخرة الّذي هو الدّآئم الباقي، والخالص الصّافي، والمراد بثواب الدّنيا ههنا منافع الدّنيا ولذّاتها... وإنّما سميّت ثواباً على طريق المجاز، وتشبيها

با لثّواب، لما كانت في حكم المستحقّ عند أُمور جعلت أسباباً لذلك.

والمعنى: مَن أقبل على الدّنيا بوجهه، ونأى عن الآخرة بعطفه وكدح للدّنيا جاهداً ولم يعمل للآخرة صالحاً، جاز أن تقول فيه: إنّه يريد عاجل الدّنيا ومنافعها دون نعيم الآخرة ومنازلها، لا أنّه أراد الدّنيا على قصد، ولم يرد ثواب الآخرة على عمد، بل لو جُمِعَ له الأمران لكان أحبّ إليه وأجلّ موقعاً عنده ولكنّه لمّا تشاغل بعمل الدّنيا دون عمل الآخرة ساغ أن نصفه ـ على طريق الإتّساع ـ بأنّه يريد عاجل الدّنيا دون آجل الآخرة وهذا كقوله تعالى: «من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها مانشآء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً» الإسراء: ۱۸-۱۹).

فظاهر ذلك يدلّ على أنّ من أراد ثواب الدّنيا أي منافعها فقط بعمل يعمله وجهاد يمارسه لانصيب له في الآخرة، وإنّما يفوز بثواب الآخرة من جعل عمله لله خالصاً طلباً للزّلفة لديه والقربة إليه.

۱٤ـ عن أبي القاسم البلخي: هذا خاص بالمنافقين يوم أُحد، فأخبر تعالى بأنّه ينيلهم بعض مايريدونه من عرض الدّنيا، إمتحاناً لهم لا رضىً عنهم، وممّا يقوّي أنّ ذلك مخصوص أنّا نرى كثيراً من الكفّار يريدون عرض الدّنيا، ولا ينالونه، ويريدون منها الكثير فينالون القليل، فدلّ ذلك على كونه مخصوصاً. ۱٥ـ قيل: أي ومن يرد ثواب الدّنيا متعرّضاً له بعمل النّوافل مع مواقعة الكبآئر يجز بها في الدّنيا من غير حظّ في الآخرة لإحباط عمله بفسقه.

۱٦ـ قيل: عن الحسن: أي من كان يعمل للآخرة نال الدّنيا والآخرة، ومن عمل للدّنيا فلاحظّ له في ثواب الآخرة لأنّ الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون. ۱۷ـ عن إبن عبّاس وقتادة أيضاً: أي من كان يريد عيش الآخرة نزدله في عيشه، ومن يؤثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة إلاّ النّار، ولم يزد بذلك من الدّنيا شيئاً إلاّ رزقاً قد فرغ منه وقسّم له.

۱۸ـ قيل: أي من كان يريد ثواب الآخرة بعمله خالصاً لوجه الله تعالى نزد في

قوّته ونشاطه وحسنته في العمل، ومن كان يريد ثواب الدّنيا بعمله الّذي افترض الله تعالى عليه نعطه من الدّنيا، وندفع عنه منها، وماله في الجنّة من ثواب لأنّه عمل لغير الله فليطلب ثوابه من غيره. ١٩ـ قيل: أي ومن كان يريد الهدى والإيمان ويعمل للآخرة ويغرس في مغارس الإحسان يزد له الله تعالى فيما غرس، ويبارك عليه، ويضاعف له الجزآء أضعافاً مضاعفة، ومن أعرض عن الآخرة وعمل للدّنيا، وغرس في مغارسها أخذ ثمر ماغرس في دنياه، واستوفى نصيبه منه حتّى إذا جآء إلى الآخرة جآءها ولا نصيب له في خيرها. ٢٠ـ قيل: أي من كان يريد حظّ الآخرة نزدله في حظّه، ومن كان يريد حظّ الدّنيا، فلاحظّ له في الآخرة.

أقول: والمعاني متقارب بشتّى العبارة والحسن الواحد.

٢١ ـ (أم لهم شركآؤا شرعوالهم من الدّين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإنّ الظّالمين لهم عذاب أليم)

في قوله تعالى: «(أم لهم شركآؤا...)» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي الكفّار مكّة آلهة اختاروا لهم من الدّين مالم يأمرهم الله به كأبي جهل وأضرابه... وإنّ الظالمين وهم الكافرون كأبي جهل وأذنا به لهم عذاب وجيع. ٢ـ قيل: أي بل لمشركي مكّة شركآؤا هم شياطينهم من الجنّ والإنس الّذين زيّنوا لهم الشّرك والعمل للدّنيا وإنكار الحشر والحساب والجزآء، شرعوا لهم من الدّين الفاسد كالشّرك بالله سبحانه وتكذيب عدله، والكفر برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنكار المعاد، وجحد الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي بل للمشركين شركآؤا بيّنوا لهم ونهجوالهم من الدّين مالم يأمر الله به ولا أذن فيه فشرعوا لهم ديناً غيردين الإسلام.

٤ـ قيل: أي ألهم دين غير ماشرعه الله يدين به هؤلآء المشركون حتّى يرزقوا بالعمل به مثل مايرزق أهل الإيمان بالآخرة فيها إذ لا شريك لله حتّى يشرع ديناً غير ماشرعه الله من غيرإذن منه تعالى، فلا دين إلّا لله، ولا يرزق فيه الآخرة رزقاً حسناً

إلاّ من آمن بها وعمل لها والمعنى: أفيقبلون هؤلآء المشركون ومن انسلك مسالكهم من المتخلّفين والمختلفين في دين الإسلام الولآئي ماشرع الله لهم من هذا الدّين القيّم أم لهم آلهة شرعوا لهم من الطّواغيت ماليس بشريعة إذ لو كان شريعة لعلمها الله تعالى. ٥ـ قيل: أي بل لهم شركآء في الكفر والطّغيان والظّلم وعدوان، وهم الشّياطين من الجنّ والإنس، فزيّنوا لهم مالم يأذن به الله من الشّرك وإنكار البعث، ومن تحليل الحرام، وتحريم الحلال والعمل للدّنيا، فاتّبعوهم، فحرّموا عليهم ماحرّموا من البحيرة والسّآئبة والوصيلة، وحلّلوا لهم أكل الميتة والدّم والقمار والغناء والخمر والأنصاب والأزلام وما إليها من الضّلالات والجهالات الّتي كانوا قد اخترعوها في الجاهليّة، فشرعوا لهم بالتّسويل من عندهم من الدّين، وجعلوا لهم الأحكام بما تشتهيه أنفسهم...

أقول: وعلى الرّابع جمهور المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس أي ولولا كلمة الحقّ بتأخير العذاب عن هذه الامّة لفرغ من هلاك هؤلآء المشركين وعذابهم في الحياة الدّنيا. فالضّمير في «بينهم» راجع إلى المشركين ومن انسلك مسالكهم وحدهم. ٢ـ قيل: أي لولا أنّ الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الامّة إلى الآخرة لفرغ من عذاب الّذين يكذّبونك في الدّين. ٣ـ قيل: إنّ ضمير «بينهم» راجع إلى المؤمنين والكافرين. ٤ـ قيل: راجع إلى المشركين وشركآئهم...

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق والمؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢٢ ـ (ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير)

فى قوله تعالى: «ترى الظّالمين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: الظالمون ههنا

الكافرون. والمعنى: ترى أيّها النّبيّ الكافرين يوم القيامة. ٢- قيل: هم الرؤسآء المضلّون الّذين شرعوا لأتباعهم السّفلة الدّين مالم يأذن به الله تعالى. ٣-قيل: الظّالمون ههنا الرؤسآء والمرؤسون، والأتباع والمتبوعون أجمعون. ٤- قيل: أي كلّ من تلبّس بالظّلم ممّن أشرك بالله سبحانه وكذّب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكفر باليوم الآخر أو ترك الطّاعات وارتكب المعاصي أو لم يؤدّ حقوق الله تعالى وحقوق النّاس أو ظلم نفسه وأهله. ٥- عن ابن عبّاس أيضاً: الظّالمون ههنا أبوجهل وأذنابه... ٦- قيل: الظّالمون هم التّاركون لدين الله الّذي شرعه لعباده، المعرضون عن السّاعة. والمعنى: يرى الرّاؤن هؤلآء الظّالمين يوم القيامة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله تعالى: «عند ربّهم» أقوال: ١- قيل: اريد بالعنديّة يوم القيامة الّذي لا يملك فيه الأمر والنّهي غيرالله تعالى، فلا يريد بها قرب المسافة لأنّ ذلك من صفات الأجسام. ٢- قيل: أن المراد من كون العبد عند الله هو الإستغراق في عبوديّته وطاعته، فليس المراد بالعندية بحسب الجهة والمكان، حيث إنّ الأرواح القدسيّة البشريّة إذا تطهرت عن دنس الأوصاف البدنيّة والقاذورات الجسدانيّة اشرقت بأنوار الجلالة وتجلّى فيها أضواء عالم الكمال، وترقت من العبديّة إلى العندية، بل كأنّه لا كمال في العبديّة إلّا مشاهدة حقيقة العنديّة كما قال الله تعالى: «سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً» الإسراء: ١).

٣- قيل: إنّ معنى «عند ربّهم» في حكم ربّهم. ٤- قيل: اريد بالعنديّة المكان وهو الجنّة، وإضافة «عند» إلى «ربّهم» للتّشريف والتّكريم. ٥- قيل: إنّ المراد بالعنديّة التّدبير والتصرّف كقوله تعالى: «وما النّصر إلّا من عند الله» الأنفال: ١٠).

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

٢٣ - (ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً إنّ الله غفور رحيم)

في قوله تعالى: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» أقوال: ١- عن الضّحّاك وابن زيد وعطاء بن يسار: أي قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للمخاطبين: لا أسئلكم على تبليغ الرّسالة جُعْلاً لكن أسئلكم أن تودّوا قرابتي من بعدي الّتي هي قرابتكم أيضاً. ٢- قيل: أي قل للنّاس: لا أسئلكم على دعوتكم إلى الشّريعة أجراً إلّا المودّة في القربى كما توادّون في قرابتكم وتواصلون بها. ٣- عن ابن عبّاس: أي قل يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابك لا أسئلكم على ما آتيتكم به من البيّنات والهدى أجراً إلّا أن تتودّدوا وتتقرّبوا إلى الله بطاعته. ٤- قيل: أي قل لأهل مكّة. ٥- قيل: أي قل لكلّ من آمن بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبكتابه: لا أسئلكم على التّوحيد والقرآن.

٦- عن سعيد بن جبير وابن عبّاس أيضاً وعمرو بن شعيب والسّدّي وجماعة: أي قل لامّتك من الموافقين والمخالفين، والمؤمنين والمنافقين: لا أسئلكم على تبليغ الرّسالة والدّعوة إلى هذه الشّريعة الكاملة وإلى هذا الدّين الإسلاميّ الولآئي أجراً قطّ، ولكن أسئلكم أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وأذكر كم المودّة في القربى وهم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة التّسع من ولد الحسين المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ومعنى «في القربى» أنّه تعالى جعلهم مكاناً للمودّة ومقرّاً لها كما تقول: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم حبّ شديد تريد أُحبّهم وهم مكان حبّي ومودّتي. قال الزّجاج: الإستثناء منقطع لأنّ هذا ممّا يجبّ الإسلام فلايكون أجراً للرّسالة. ويجوز أن يكون الإستثنآء متّصلاً والمعنى: لا أسئلكم عليه أجراً إلّا هذا، فقد رضيت به أجراً كما أنّك تسئل غيرك حاجة، فيعرض المسئول عليك برّاً فتقول له: إجعل برّى قضآء حاجتي. وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى: لا أسئلكم عليه أجراً إلّا هذا ونفعه أيضاً عآئد عليكم فكأنّي لم أسئلكم أجراً.

وبذلك يظهر المراد من نفي سئوال الأجر على تبليغ الرّسالة والدّعوة الدّينيّة الّذي حكاه الله تعالى عن عدّة من الأنبيآء والمرسلين الّذين كانوا قبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السّلام إذ كان يخاطب كلّ منهم

امّته: «وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلاّ على ربّ العالمين» الشعرآء: ١٠٩و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠) وغيرها. وقد حكى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك إذ قال: «وما تسئلهم عليه من أجر» يوسف: ١٠٤) وقد أمر تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخاطب المكلّفين في كلّ ظرف بذلك بتعبيرات مختلفة، إذ قال: «قل ما أسئلكم عليه من أجر» ص: ٨٦) وقال: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلاّ على الله» سبأ: ٤٧) وقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرى للعالمين» الأنعام: ٩٠) فأشار إلى وجه النّفي وهو أنّه «ذكرى للعالمين» لا يختصّ ببعض دون بعض حتّى يتّخذ عليه الأجر وقال: «قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» الفرقان: ٥٧) أي إلاّ أن يشآء أحد منكم بحسن إختياره أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً أي يستجيب دعوتي بإختياره فهو أجرى لا شيء هناك ورآء الدّعوة أي لا أجر. فالمودّة في القربى أمر يرجع إلى استجابة الدّعوة كلّها أو بعضها الّذي يهتمّ به.

٧ـ قيل: إنّ الخطاب عامّ موجّه إلى المشركين بصفة خاصّة الّذين يحاجّهم القرآن الكريم، ويتهدّدهم بالنّار ويعرض لهم في مقابلها الجنّة، وما يلقى المؤمنون فيها: «أم لهم شركآء شرعوا لهم من الدّين ـ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» أي لا أسئلكم أجراً على هذا الخير الّذي تنالونه من هذه الدّعوة الّتي أدعوكم إليها، والّتي إن إستجبتم لها بلغتم منازل الرّضوان، ونزلتم حيث ينزل عباد الله المكرمون في جنّات النّعيم، وذلك كلّه في غير مقابل منّي إلاّ أن ترعوا ما بيني وبينكم من قرابة هي الّتي جعلتني أبدأبكم وأو ثركم على غيركم، وهذا من شأنه أن يحملكم على رعاية هذه القرابة، فلاتكونوا أنتم أوّل كافري، ثمّ لا تكونوا أنتم أوّل من يسعى بالضّرّ والأذى إليّ.

٨ـ عن الحسن البصري: أي إلاّ أن تتقرّبوا الله بالتّوحيد. ٩ـ عن الفرّآء: أي إلاّ أن تتقرّبوا إلى الله بالتّوبة. ١٠ـ قيل: إنّ الخطاب لقريش أي لا أسئلكم أجراً وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروّة. فالإستثنآء متّصل. فالأجر المسئول هو مودّتهم لرسول الله صلّى الله

عليه وآله وسلّم لقرابته صلّى الله عليه وآله وسلّم منهم وذلك أنّهم كانوا يكذّبونه صلّى الله عليه وآله وسلّم ويبغضونه ويؤذونه لتعرّضه لآلهتهم، فأمر الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يسئلهم: إن لم يؤمنوا به فليودّوه لمكان قرابته منهم، ولا يبغضوه ولا يؤذوه.

أقول: واعترض على هذا القول بعض المعاصرين: «أن معنى الأجر إنّما يتمّ إذا قوبل به عمل يمتلكه معطى الأجر، فيعطى العامل مايعادل ما امتلكه من مال ونحوه فسؤال الأجر من قريش وهم كانوا مكذّبين له كافرين بدعوته إنّما كان يصحّ على تقدير إيمانهم به صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّهم على تقدير تكذيبه والكفر بدعوته لم يأخذوا منه شيئاً حتى يقابلوه بالأجر، وعلى تقدير الإيمان به ـ والنبوّة أحد الاصول الخمس في الدّين ـ لا يتصوّر بغض حتّى تجعل المودّة أجراً للرّسالة ويسئل وبالجملة لا تحقّق لمعنى الأجر على تقدير كفر المسؤلين، ولا تحقّق لمعنى البغض على تقدير إيمانهم حتّى يسئلوا المودّة، وهذا الإشكال وارد حتّى على تقدير أخذ الإستثنآء منقطعاً، فانّ سؤال الأجر منهم على أيّ حال إنّما يتصوّر على تقدير إيمانهم والإستدراك على الإنقطاع إنّما هو عن الجملة بجميع قيودها فأجد التأمّل فيه».

١١ـ عن ابن عبّاس والحسن أيضاً وقتادة والجبائي وأبي مسلم: خطاب لمشركي مكّة والمعنى: لا أسئلكم على تبليغ الرّسالة وتعليم الشّريعة أجراً إلّا التوادّ والتّحابّ فيما يقرّب إلى الله تعالى من العمل الصّالح والطاعة لله تعالى، فالقربى هو التّقرّب إلى الله، والمودّة في القربى هي التودّد إليه تعالى بالعمل الصّالح والطّاعة.

ولا يخفى على القارئ الخبير: أنّ في قوله تعالى: «إلّا المودّة في القربى» على هذا المعنى إبهاماً لا يصلح به أن يخاطب به المشركون، فانّ حاقّ مدلوله التّودّد إليه ـ أو ودّه تعالى ـ بالتّقرّب إليه، والمشركون لا ينكرون ذلك، بل يرون ماهم عليه من عبادة الآلهة تودّداً إليه بالتّقرّب منه، فهم القآئلون على مايحكيه القرآن الكريم عنه: «ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزمر: ٣) «هؤلآء شفعآؤنا عند الله» يونس: ١٨) فسؤال التودّد إلى الله بالتّقرّب إليه من دون تقييده بكونه بعبادته وحده وجعل ذلك أجراً مطلوباً ممّن يرى شركه نوع تودّد إلى الله بالتّقرّب إليه، وخطابهم بذلك على

ما فيه من الإبهام - والمقام مقام تمحيضه صلّى الله عليه وآله وسلّم نفسه في دعوتهم إلى دين التّوحيد لا يسئلهم لنفسه شيئاً قط - ممّا لا يرتضيه الذّوق السّليم.

على أنّ المستعمل في الآية الكريمة هي المودّة دون التودّد، فالمراد بالمودّة حبّهم لله تعالى في التقرّب إليه، ولم يرد في كلامه عزّوجلّ إطلاق المودّة على حبّ العبادة لله جلّ وعلا وإن ورد العكس كما في قوله: «إنّ ربّي رحيم ودود» هود: ٩٠) وقوله: «وهو الغفور الودود» البروج: ١٤) ولعلّ ذلك لما في لفظ المودّة من الإشعار بمراعاة حال المودود وتعاهده وتفقّده حتّى قال بعضهم: إنّ مودّة الله لعباده مراعاته لهم.

والإشكال السّابق على حاله، ولو فسّرت المودّة في القربى بموادّة النّاس بعضهم بعضاً، ومحابّتهم في التقرّب إلى الله بأن تكون القربات أسباباً للمودّة والحبّ فيما بينهم، فانّ للمشركين ما يماثل ذلك فيما بينهم على ما يعتقدون.

١٢- عن ابن عبّاس وقتادة أيضاً ومجاهد: أي قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للّذين يمارونك في السّاعة من مشركي قريش: لا أسئلكم أيّها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحقّ الّذي جئتكم به والنّصيحة الّتي أنصحكم بها ثواباً ولا جزآءً ولا عوضاً من أموالكم تعطوننيه إلاّ أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم، فاحفظوا قرابتي فيكم فانكم قومي، فاتّبعوني وصدّقوني فيما أدعوكم إليه وأعينوني على عدوّي.

وقال ابن عبّاس وقتادة ومجاهد: كلّ قريش كانت بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قرابة، وهذا لقريش خاصّة. والمعنى: إن لم تودّوني لأجل النّبوّة فودّوني لأجل القرابة الّتي بيني وبينكم. وهم بعض قريش.

فالمودّة في القربى هي المودّة بسبب القرابة إلاّ أن المراد بها مودّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا مودّة قريش، والإستثنآء منقطع، ومحصّل المعنى: أنّي لا أسئلكم أجراً على ما أدعوكم إليه من الحقّ والهدى الّذي ينتهي بكم إلى روضات الجنّات والخلود فيها، ولا أطلب منكم جزآءً لكن حبّي لكم بسبب قرابتكم منّي دفعني إلى أن أهديكم إليه وأدلّكم عليه.

ولا يخفى على القارئ الخبير: أنّ هذا المعنى لا يلآئم ما يحدّه الله عزّوجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في طريق الدّعوة والهداية، فانّه تعالى يسجّل عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم في مواضع كثيرة من كلامه أنّ الأمر في هداية النّاس إلى الله عزّوجلّ، وليس له من الأمر شيء إلاّ اتباع الوحي: «قل إنّما أتّبع ما يوحى إليّ من ربّي» الأعراف: ٢٠٣) وأن ليس له أن يحزن لكفرهم وردّهم دعوته، وإنّما عليه البلاغ: «ما على الرّسول إلاّ البلاغ» المائدة: ٩٩) فلم يكن له أن يندفع إلى هداية أحد لحبّ قرابة أو يعرض عن هداية آخرين لبغض أو كراهة، ومع ذلك كلّه كيف يتصوّر أن يأمره الله تعالى بقوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً» الآية أن يخبر كفّار قريش أنّه إنّما اندفع إلى دعوتهم وهدايتهم بسبب حبّه لهم لقرابتهم منه لا لأجر يسئلهم إيّاه عليه.

١٣ـ قيل: خطاب للمسلمين في كلّ ظرف، والمراد من القربى هم الأئمّة المعصومون عليهم السّلام وذراريهم من السّادة بشرط الإيمان وصالح الأعمال، حيث إنّ ملاك حسن الإكرام هو الإيمان والعمل الصّالح، فاذا حصلا تزيد السّيادة والإنتساب على الإكرام، والمراد من المودّة تكريمهم تكريماً خاصّاً. ١٤ـ قيل: إنّ الخطاب للأنصار الّذين أتوا رسول لله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمال ليستعين به على ماينوبه فنزلت الآية فردّه وقد كانت له منهم قرابة من جهة سلمى بنت زيد النّجاريّة، ومن جهة أخوال امّه آمنة.

وفيه أنّ أمر الأنصار في حبّهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوضح من أن يرتاب فيه ذو ريب، وهم الّذين سئلوه أن يهاجر إليهم، وبوّؤا له الدّار، وفدوه بالأنفس والأموال والبنين، وبذلوا كلّ جهدهم في نصرته، وحتّى في الإحسان على من هاجر إليهم من المؤمنين به، وقد مدحهم الله عزّوجلّ بمثل قوله: «والّذين تبوّءوا الدّار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» الحشر: ٩) وقد كان هذا مبلغ حبّهم للمهاجرين إليهم لأجل النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فما هو الظّنّ في حبّهم له صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

وإذا كان هذا مبلغ حبّهم، فما معنى أن يؤمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يتوسّل إلى مودّتهم بقرابته منهم هذه القرابة البعيدة؟ على أنّ العرب، ما كانت تعتني بالقرابة من جهة النّسآء ذاك الإعتناء وفيهم القآئل:

بـــنونا بـــنو أبـــنآئنا وبـــناتنا بنوهنّ أبناء الرّجـال الأبـاعد

بـــنونا بـــنو أبـــنآئنا وبـــناتنا بـنوهنّ أبـناء الرّجـال الأبـاعد

وقال آخر:

وإنّـــما امّـهات النّاس أوعـية مســتودعات وللأنسـاب آبآء

وإنّما هو الإسلام أدخل النّسآء في القرابة، وساوي بين أولاد البنين وأولاد البنات...

١٥- قيل: إنّ الخطاب لجميع قريش وقيل لهم ولقبآئل العرب كلّهم، وقيل لعامّة النّاس والمعنى: قل أيّها الرّسول لكافّة النّاس في كلّ ظرف: لا أسئلكم على دعآئي إيّاكم إلى هذه الشّريعة أجراً إلاّ أن تودّوا أقربآءهم... فالمراد بالمودّة في القربى، مودّة الأقربآء...

ولا يخفى أنّ مودّة الأقربآء على إطلاقهم ليست ممّا يندب إليه في الإسلام، قال الله عزّوجلّ: «لا تجدقوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آبآءهم أو أبنآءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه» المجادلة: ٢٢) وسياق هذه الآية لا يلآئم كونها مخصّصة أو مقيّدة لعموم قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى» أو إطلاقه حتّى تكون المودّة للأقربآء المؤمنين هي أجر الرّسالة، على أن هذه المودّة الخاصّة لا تلآئم تلك الخطابات...

بل الّذي يفيده سياق الآية أنّ الّذي يندب إليه الإسلام هو الحبّ في الله تعالى من غير أن يكون للقرابة خصوصيّة في ذلك، نعم هناك إهتمام شديد بأمر القرابة والرّحم، لكنّه بعنوان صلة الرّحم وايتاء المال على حبّه ذوي القربى لا بعنوان مودّة القربى، فلا حبّ إلاّ لله جلّ وعلا، ولا مساغ للقول بأنّ المودّة في القربى في الآية الكريمة كناية عن صلتهم والإحسان إليهم بايتآء المال إذ ليس في الكلام ما يدفع كون

المراد هو المعنى الحقيقيّ غيرالملائم لماندب إليه الإسلام من الحبّ في الله تعالى.

أقول: والسّادس هو المؤيّد بالرّوايات المتواترة من طرق الفريقين لا يشكّ فيها إلاّ من كان خبيث الولادة.

وفي قوله تعالى: «ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدى: أن اقتراف الحسنة المودّة في آل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وزيادة حسنها من جهة الله تعالى مضاعفتها. أي نضاعف له الحسنة بعشر فصاعداً. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي من يكتسب حسنة نزدله فيها تسعاً. ٣ـ قيل: أي من يكسب طاعة نزدله فيها حسناً بتضعيفها. والمعنى: من فعل طاعة نزدله في تلك الطّاعة حسناً بأن نوجب له الثّواب. ٤ـ قيل: إنّ الحسنة تعمّ كلّ حسنة، ولا ريب أنّ المودّة في القربى مرادة منها قصداً أوّلياً لذكرها عقيبها، ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها ورفع نقآئصها وزيادة أجرها.

الإقتراف: الإكتساب، والحسنة الفعلة الّتي يرتضيها الله عزّوجلّ ويثيب عليها، وحسن العمل ملائمته لسعادة الإنسان والغاية الّتي يقصدها كما أنّ مسائته وقبحه خلاف ذلك، وزيادة حسنها إتمام مانقص من جهاتها وإكماله، ومن ذلك الزّيادة في ثوابها كما قال تعالى: «ولنجزينّهم أحسن الّذي كانوا يعملون» العنكبوت: ٧) وقال: «ليجزينّهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله» النور: ٣٨).

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد سبق في بحث النّزول: أنّ قوله عزّوجلّ: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» إلى تمام الآيات الأربع نزلت في مودّة قربى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولازم ذلك كون الآيات مدنيّة، وأنّها ذات سياق واحد، وأنّ المراد بالحسنة من حيث إنطباقها على المورد هى المودّة، وعلى هذا فالإشارة بقوله: «أم يقولون افترى...» إلى بعض ما تفوّه به المنافقون المتخلّفون تثاقلاً عن قبوله، وفي المؤمنين سمّاعون لهم.

٢٤ ـ (أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشآء الله يختم على قبلك ويمح الله الباطل ويحقّ

الحقّ بكلماته إنّه عليم بذات الصّدور»

في قوله تعالى: «أم يقولون افترى على الله كذباً» **أقوال:** ١ـ قيل: أي هل يقول هؤلآء المشركون بالله: افترى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على الله كذباً، فجآء بهذا الّذي يتلوه علينا إختلاقاً من قبل نفسه. ٢ـ قيل: أي بل يقول المنافقون: إنّ دعوة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس إلى المودّة في القربى افترى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على الله كذباً، فدعانا إليها إختلاقاً من قبل نفسه. وهذا إخبار من الله تعالى بأنّ المتخلّفين المعاندين الذّئاب الّذين زيّوا بزيّ الكبش يقولون: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم إفترى على الله تعالى كذباً في هذه الدّعوة. وهذا على سبيل التّوبيخ كأنّه قيل: أيتما لكون ان ينسبوا مثله إلى أعظم أنواع الفرية وهو الإفترآء على الله سبحانه. ٣ـ قيل: أي بل يقول كفّار قريش: افترى محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على الله كذباً في ادّعآئه الرّسالة عن الله.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق بنآء على كون المراد بالقربى قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والتّوبيخ متوجّهاً إلى المتخلّفين المنافقين ومرضى القلوب... وتؤيّده الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «فان يشإ الله يختم على قلبك» **أقوال:** ١ـ عن قتادة والسّدي: أي فان يشإ الله يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يطبع على قلبك فتنس هذا القرآن الّذي أنزل إليك. والمعنى: فإن يشإ الله يختم على قلبك فأنساك ما أتاك من القرآن ولكنّه لم يشأ فأثبته فيه. فأخبرهم الله تعالى أنّه لو افترى عليه لفعل بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أخبرهم به في هذه الآية، ولكنّه لم يفتر عليه فلم يفعل به ما أخبرهم به. ٢ـ قيل: أي فان يشآء الله يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يطبع على قلبك فتنس هذه الدّعوة إلى المودّة في القربى بأنّك لو غفلت عنها أو كنت مفترياً على الله تعالى كذباً في هذه الدّعوة يطبع على قلبك فتنساها ولكنّك لست فيها مفترياً على الله تعالى كذباً ـ لأنّ الكلام مسوق للتّوبيخ ولازمه إنكار كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم مفترياً ـ إذ ليس لك من أمر هذه الدّعوة شيء حتّى تشآء الفرية فتأتي بها، وإنّما هو وحي من الله

عزّوجلّ من غير أن يكون لك فيه صنع، فأمرها إلى مشيّة الله جلّ وعلا فإن يشأ يختم على قلبك وسدّ باب الوحي إليك، ولكنّه شآء أن يوحى إليك، ويأمرك بإبلاغها، ويبيّن به الحقّ، وقد جرت سنّته تعالى أن يمحو الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته.

فقوله تعالى: «فإن يشآء الله يختم على قلبك» كناية عن إرجاع أمر الدّعوة إلى المودّة في القربى إلى مشيّة الله جلّ وعلا، وتنزيه لساحة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأتي بشي ء من عنده.

٣ـ عن قتادة أيضاً: أي فإن يشإ الله لأماتك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فانّ قلب الميّت كالمختوم عليه ومثله: «لقطعنا منه الوتين» القلم:٤٦). ٤ ـ قيل: أي فإن يشإالله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتّى تفترى عليه الكذب، فإنّه لا يجترئ على افترآء الكذب على الله إلّا من كان في مثل حالهم. والغرض من هذا الاسلوب المبالغة في استبعاد الإفترآء من مثله، والتّعريض بأنّ من ينسبه إلى الإفترآء فهو مختوم على قلبه، وأنّه في البعد كالشّرك بالله سبحانه والدّخول في جملة المختوم على قلوبهم، ومثال هذا أن يخوّن بعض الامنآء فيقول: لعلّ الله خذلني، لعلّ الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنّما يريد استبعاد أن يخوّن مثله، والتّنبيه على أنّه ركب من تخوينه أمر عظيم.

٥ ـ عن إبن عبّاس ومجاهد ومقاتل: أي فإن يشإ الله يربط على قلبك ويحفظه بالصّبر على أذاهم بهذا القول وغيره فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه، ولا يشقّ عليك قولهم: إنّه مفتر وساحر. وقد فعل تعالى. ٦ ـ قيل: أي فإن يشإ الله يزل تمييزك أي لو حاول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الإفترآء على الله لطمس على قلبه وسلبه الوعى والشّعور ولكنّه منزّه عن الكذب بعصمته بل وبطبعه.

٧ـ عن إبن عيسى: أي لو حدّثت نفسك بأن تفترى على الله كذباً لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن، فكيف تقدر أن تفترى على الله تعالى، وهذا كقوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الزّمر: ٦٥) ٨ـ قيل: أي فإن يشإ الله يختم على قلبك كما ختم على قلوبهم وهو تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليشكر ربّه على ما آتاه من النّعمة. ٩ـ قيل: أي فإن يشإ الله يختم على قلبك بإمساك الوحي.

١٠ـ قيل: أي فإن يشإ الله يختم على قلوب الكفّار وعلى ألسنتهم ويعاجلهم

بالعقاب، فالخطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد الكفّار. وعدل عن الغيبة إلى الخطاب وعن الجمع إلىالإفراد لبيان فضاحة أمر الإفتراء. وقيل: إنّ المعنى: يختم على قلبك أيّها القآئل: إنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم افترى على الله كذباً.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته» أقوال: ١ـ قيل: أي ويذهب الله بالباطل فيمحقه، ويزيله ويرفعه باقامة الدّلآئل على بطلانه، ويحقّ الحقّ بكلماته الّتي أنزلها إليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو هذا القرآن المعجز فيثبت دعآئمه... ٢ـ قيل: أي من عادته تعالى ذلك، فلوكان محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مبطلاً لفضحه وكشف عن باطله. وحذف الواو من الخطّ لا للجزم كما في قوله تعالى: «ويدع الإنسان» الإسراء: ١١) وقوله: «سندع الزّبانية» العلق: ١٨).

وعن الجبآئي: إنّ الواو حذف للجزم والمعنى: إن افتريت ختم على قلبك، ومحا الباطل المفترى. فالإستثنآء على هذا من قوله: «ويحقّ الحقّ بكلماته» أي يثبت ماهو الحقّ في نفسه بوحيه أو بقضآئه. قيل: إنّ المراد بالكلمات ماينزل على الأنبيآء من الوحي الإلهيّ والتكليم الرّبوبيّ. وقيل: إنّ المراد بالكلمات نفوس الأنبيآء من حيث إنّها مفصحة عن الضّمير الغيبيّ. ٣ـ قيل: إنّ هذا وعد لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه يمحو الباطل الّذي هم عليه من البهت والتّكذيب، ويظهر الحقّ الّذي أنت عليه وهو المودّة في القربى. وقيل: هو القرآن بحكمه السّابق وعلمه القديم.

٤ـ قيل: هذا إحتجاج على من أنكر ما أتى به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أي لو كان ماأتى به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم باطلاً لمحاه كما جرت به عادته في المفترين، ويحقّ الحقّ أي الإسلام فيثبته بكلماته أي بما أنزله من القرآن. ٥ـ قيل: أي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على حقّ، وأعدآئه على باطل، ولذا جعل الله تعالى كلمتهم هي السّفلى، وكلمة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هي العليا. ٦ـ عن إبن عبّاس: أي ويهلك الله

الشّرك وأهله، ويظهر دينه الإسلام بتحقيقه. ٧ـ قيل: أي ويمحو الله الباطل المفترى ويحقّ لأهل بيتك الولاية بالأئمة والقآئم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: والسّابع هو المرويّ وفي معناه الثّالث فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «إنّه عليم بذات الصّدور» أقوال: ١ـ قيل: إنّ هذا عام أي بما في قلوب العباد كافّة من الخير والشّرّ. ٢ـ قيل: هذا خاصّ. والمعنى: إنّك لو حدّثت نفسك أن تفترى على الله كذباً لعلمه وطبع على قلبك. ٣ـ قيل: أي بما القوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظّلم بعدك. ٤ـ قيل: هذا تعليل لقوله تعالى: «ويمح الله الباطل» أي إنّه يمحو الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته لأنّه عليم بالقلوب وما انطوت عليه فيعلم ماتستدعيه من هدى أوضلال أو شرح أو ختم بإنزال الوحي وتوجيه الدّعوة.

أقول: والثّالث هو المرويّ.

٢٥ ـ (وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفوا عن السّيّئات ويعلم ماتفعلون)

في قوله تعالى: «يقبل التّوبة عن عباده» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي يقبل التّوبة عن أوليآئه وأهل طاعته. ٢ـ قيل: أي يقبل التّوبة عن هؤلآء المنافقين المبغضين إن تابوا وأصلحوا وبيّنوا. ٣ـ قيل: إنّ الآية عامّة، فيقبل التّوبة عن كلّ مسيئ إذا تاب وآمن وأصلح.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بما تقدّم في بحث النّزول فراجع ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويعفو عن السّيّئات» أقوال: ١ـ قيل: أي يعفو عن الشّرك قبل الإسلام. ٢ـ قيل: أي عن الذّنوب الّتي اقترفها هؤلآء المنافقون المعاندون. ٣ـ قيل: أي يعفو عن كلّ سيّئة إرتكبها العبد وتاب وآمن وأصلح سوآء أكان مسلماً مذنباً أم كافراً طاغياً أو منافقاً معانداً.

أقول: والثّاني هو كالثّاني السّابق فراجع أيضاً.

٢٦ ـ (ويستجيب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد)

في قوله تعالى: «ويستجيب الّذين آمنوا...» **أقوال:** ١ـ قيل: أي واستجاب الّذين آمنوا لربّهم فيما دعاهم إليه من دينه والإيمان به، والتّوبة إليه، والعمل بطاعته كما ويستجيب الله دعآءهم وتوبتهم فـ«الّذين» في موضع رفع، فاعل «يستجيب» فالمعنى: انّهم يستجيبون لله تعالى ويقبلون عليه تآئبين ويزيدهم الله على إستجابتهم والتّصديق به من فضله. ٢ـ قيل: أي ويجيب الله تعالى الّذين آمنوا إذا دعوه وزادهم على مطلوبهم. فـ«الّذين» في موضع نصب بنزع الخافض. أي فيستجيب لهم كما في قوله تعالى: «فاستجاب لهم ربّهم» آل عمران: ١٩٥).

٣ـ قيل: إنّ المعنى: يقبل الله تعالى عبادة من أخلص له بقلبه وأطاعه ببدنه، ويزيدهم على مايستحقّونه من الثّواب تفضّلاً. ٤ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يستجيب للمؤمنين ويعطيهم مسئلتهم إذا دعوه ويزيدهم على ما طلبوه. ٥ـ عن معاذبن جبل: أي وأنّ الله يجيب دعآء المؤمنين بعضهم لبعض. وذلك أنّ أجاب واستجاب بمعنى. ٦ـ عن إبن عبّاس: أي ويشفّعهم في إخوانهم. ٧ـ عن المبرّد: أي وليستدع الّذين آمنوا الإجابة هكذا حقيقة معنى استفعل. ٨ـ قيل: أي يدعو الله تعالى إلى سبيل الحقّ والهدى فيستجيب الطيّبون، وينفر المجرمون، فيعاقب هؤلآء ويثيب اولئك.

٩ـ قيل: أي ويجيبهم إلى ما يسئلونه. ١٠ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي ويغفر للّذين آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالقرآن، وعملوا الصّالحات فيما بينهم وبين ربّهم. ١١ـ قيل: أي ويُقبِل الله تعالى على عباده التّائبين ويقبلهم. فمعنى الإستجابة هنا: القبول، وأمّا الكافرون فلا يُقبِلُ الله سبحانه عليهم ولا يقبلهم. ١٢ـ قيل: أي ويجيب المؤمنون ربّهم فيما يدعوهم إليه. ١٣ـ قيل: أي ويستجيب دعآء المؤمنين، ولا يستجيب دعآء الكافرين لأنّه ثواب ولا ثواب للكافرين. وقيل: بل يجوز أن يكون ذلك إذا كان فيه لطف للمكلّفين. والإستجابة: إجابة الدّعآء ولمّا كانت العبادة دعوة له تعالى عبّر عن قبولها بالإستجابة لهم. ١٤ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يستجيب

للّذين تابوا عمّا تقوّلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّه افترى آية المودّة في القربى على الله كذباً واستجابوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم وآمنوا وبيّنوا.

أقول: والأخير هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤيّد بالسّياق أيضاً.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويزيدهم من فضله» أقوال: ١ـ قيل: أي ويزيد الله تعالى المؤمنين التّآئبين الصّالحين مع إجابته إيّاهم دعآئهم وإعطآئه إيّاهم مسئلتهم من فضله على مسئلتهم إيّاه بأن يعطيهم مالم يسئلوه. ٢ـ عن إبن عبّاس وإبراهيم النّخعي: أي يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم فشفعوا فيهم. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي ويزيد الله عزّوجلّ هؤلآء التّائبين المستجبين لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المودّة في القربى، زيادة من فضله الثّواب، والكرامة في الجنّة. وقال الرّماني: الزّيادة بالوعد تصير أجراً على العمل إذا كان ممّن يحسن الوعد بها من طريق الوعد، كما لو كان إنسان يكتب مأة ورقة بدينار، ورغّبه ملك في نسخ مأة ورقة بعشرة دنانير، فانّه يكون الأجرة حينئذ عشرة دنانير، وإذا بلغ غاية الأجر في مقدار لا يصلح عليه أكثر من ذلك، فانّما يستحقّ الزّيادة بالوعد. ٤ـ قيل: أي ويزيدهم في إستجابتهم إيّاه وإستجابته إيّاهم من فضله.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

٢٧ ـ ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشآء إنّه بعباده خبير بصير

في قوله تعالى: «ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي لو وسّع الله المال على عباده على حسب مايطلبونه لبغوا جميعهم وظلموا كلّهم في الأرض. أي يظلم هذا ذاك وذاك هذا لأنّ الغنيّ مأشرة مبطرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة لمن اعتبر. ومنه قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **«أخوف ما أخاف على أُمّتي زهرة الدّنيا وكثرتها»** وذلك أنّ كثرة الرّزق **تجعل أكثر النّاس**

يتجبّرون ويتكبّرون ويبغون في الأرض.

ولا يخفى على القارئ الخبير: أنّ للبغي معانٍ: ١ـ بغى بغياً: إذا سعى في الفساد. ٢ـ بغى على النّاس: إذا ظلم واعتدى. ٣ـ بغى فلان على فلان: استطال وتكبّر. ٤ـ بغى: خرج عن طاعة من تجب طاعته. ٥ـ قيل: أصل البغي: مجاوزة الحدّ. ٦ـ قيل: حقيقة البغي: طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرّى من حيث الكمّيّة والكيفيّة. يقال: بغي علينا فلان: خرج علينا طالباً أذانا وظلمنا. والبغي: طلب التّطاول بالظّلم. والنّهي عن البغي في قوله تعالى: «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» النحل: ٩٠) قيل: إشارة إلى المنع من إفراط القوّة الوهميّة كالإستعلآء على النّاس والترفّع وحبّ الرّئاسة. ولمّا كان الغنى والثروة موجباً في الغالب للإستطالة والإستعلاء على النّاس وللظّلم والفساد بطراً سئل الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما صلوات الله ربّه أن يزوي عنه من المال مايوصل إلى التّحلّي بهذه الخصلة الذّميمة في قوله عليه السّلام: «وازْوِ عنّي من المال مايُحِدث لي مخيلة، أوتأدّياً إلى بغي، أو ما أتعقّب منه طغياناً».

المخيلة: الخيلاء وهي الكبر والإعجاب. ولما كان المال الكثير كثيراً ما يحدث للنّفوس الدّنيّة تكبّراً وإعجاباً حتّى يترفّع صاحبه عن حسن عشرة الجار والصّديق والصّاحب والزّآئر لفرط الإعجاب بما اوتى من حطام الدّنيا، الّذي هو نهب المنون، وميراث القرون سئل الإمام عليه السّلام ربّه أن يصرف عنه من المال مايكون سبباً للكبر والعجب لأنّه قبيح عقلاً لدلالته على أنّ الشّرف لا يكون بكثرة الحطام، ولا الدّناءة بقليله، وأنّه لا يوجب استخفافاً لمن حرمه بل المواساة له والبرّ به.

٢ـ عن مجاهد: أي لو بسط الله المطر لعباده لبغوا في الأرض. وإنّ المطر هو سبب الرّزق. والمعنى: لو أدام المطر لتشاغلوا به عن الدّعآء فيقبض تارة ليتضرّعوا ويبسط اخرى ليشكروا.

٣ـ قيل: أي لو وسّع الله الرّزق على عباده من المال والولد والرّئاسة والعلم والإشتهار وما إليها... بحسب مايطلبونه ويقترحونه لبطروا النّعمة، وتنافسوا وتغالبوا

وظلموا في الأرض وتغلّب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطّاعة. ٤ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي ولو وسّع الله الرّزق على عباده لطغوا وعصوا وتطاولوا في الأرض. وبغيهم في الأرض: طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابّة بعد دابّة، ومركباً بعد مركب، وملبساً بعد ملبس... وخير العيش مالا يطغيك ولا يلهيك. ٥ـ قيل: أي لو جعلنا هم سوآء في المال لما انقاد بعضهم لبعض، ولتعطلت الصّنائع... ٦ـ قيل: أي كانوا إذا أخصبوا أغار بعضهم على بعض.

٧ـ قيل: إنّ الله تعالى أناط أرزاق عباده بأعمالهم لينصرف الفلاح إلى حقله، والعامل إلى معمله، والتّاجر إلى متجره... ولو أنّه تعالى رزقهم من غير عمل لملّوا الحياة، واشتغل بعضهم ببعض وتلهوا بالفسق وقضآء الشّهوات وبأعمال لا جدى منها ولا هدف لها. والمعنى: ولو بسط الله الرّزق لعباده من غير كسب ولا سعى فتفرغوا عن المعاش والكسب لسعوا في الأرض فساداً ولا قد موافيها على المعاصي، ولتراموا إلى إفساد الحرث والنّسل وإفساد الأرض بأن لا يحتاج بعضهم إلى بعض فلا يتعاونوا، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمة منه تعالى وامتناناً.

٨ـ قيل: ولو أشبع الله جميع النّاس لتكبّروا في الأرض وفعلوا مايدعوا إليه الكبر من الفساد فيها، ولا شبهة أنّ كلا الأمرين مع الفقر والحاجة والجوع أقل ومع البسط والغنى والشّبع أكثر فيكون البغي بمعنى البذخ والتكبّر والتجبّر. ٩ـ قيل: أي لو أعطاهم الكثير لطلبوا ماهو أكثر منه لقوله: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً» وهذا هو البغي. ١٠ـ قيل: أي لو وسع الله نعمه الدّنيويّة كلّها من المال والأولاد وسآئر النّعم الصّوريّة من الرّزق على النّاس لظلم بعضهم بعضاً وعصوا الله. وهذه ليست بقضيّة كلّيّة دآئمة ولكنّها أكثريّة، فإنّ المال معين قويّ على تحصيل المطالب، ودفع مالا يلآئم النّفس، وإذا كانت الآلة موجودة، وداعية الشّرّ في الإنسان مجبولة، فقلّما لا يقع مقتضاه في الخارج وأيضاً أنّ أكثر النّاس إنّما يخدم مثله، ويتسخره طمعاً في ماله أو جاهه التّابع للمال غالباً، فلو تساويا في المال استنكف كلّ منهما من الإنقياد لصاحبه، فارتفعت رابطة التّعاون وانقطعت سلسلة التمدّن.

١١- قيل: إنّ المرادببسط الرّزق هنا سعته وكثرته للنّاس جميعاً، بحيث لا يكون هناك فقير أو محتاج، بل كلّ إنسان مكفول له الرّزق الواسع الّذي يعيش فيه مستغنياً، وقد يبدو في ظاهر الأمر أنّ المجتمع الإنسانيّ الّذي بُسط له الرّزق وكُفِلت فيه حاجة كلّ فرد - يبدو أنّه مجتمع سعيد، يعيش في رفهٍ ورغدٍ، ويحيا في سلام وأمنٍ... إذ ماذا يبتغي الإنسان أكثرمن أن تُسَدّ مطالبه، وتُقضىٰ حوآئجه...؟

ولكن نظرةً ورآء هذا الظّاهر تكشف عن أنّ هذا المجتمع الإنساني - إذا كان له وجود - تفسده سعة الرّزق، وتُحيل حياته إلى حرب دآئمة وعدوان متّصل... إذ ليست كلّ حاجة الإنسان في أن يأكل ويشرب،وأن يجد المأوى والملبس... وإنّما حاجاته ومطالبه أوسع من هذه المطالب القريبة الّتي لا تعد شيئاً إلى جانبها... فهناك ورآء مطالب الجسد، مطالب العواطف والنزعات، وهناك جوع أشدّ ضراوة وأكثر إلحاحاً من جوع البطن... وهو جوع الأَثَرة والتّعالى، وحبّ التّملك والسّلطان، وحبّ الرّئاسة والإشتهار وشهوة الجاه والمقام... والإنسان في طريق إشباع هذا الجوع لا يشبع قط... ومن هنا يكون بغي الإنسان على الإنسان لا ليسدّ جوع بطنه، وإنّما ليشبع جانباً من جوع أَثَرته وتسلّطه وقهره وتعاليه... فهو لا يرضيه أبداً أن يكون في مستوى النّاس... إنّه يريد الإمتياز عليهم والتّعالي فوقهم، وهو في سبيل هذا يسلب غيره بل يسفك دمه إن إستطاع.

وهذا واقع الحياة والمشاهد فيها... فالمجتمعات ذات الغنى والثّراء هي موطن الفتنة المتحرّكة الّتي توقد نار الحروب فيما بينها، فإذا انفرد مجتمع منها بالغنى والسّلطان تحول إلى عاصفة مدمرة تجتاح المجتمعات الفقيرة، وتمتصّ البقيّة الباقية من دمها، وتأخذ اللقمة من فمها... هكذا النّاس في أفرادهم، جماعاتهم واممهم... الأغنيآء يتسلّطون على الفقراء والأقويآء يعتدون على الضّعفآء... لا لشئ إلاّ إشباعاً لشهوة التسلّط والعدوان... وفي هذا يقول الشّاعر العربيّ الجاهليّ الّذي يضرب المثل بقبيلة «بكر» حين أخصبت أرضها وكثرخيرها، فبغت وتسلطت... يقول:

إنّ الذّئاب قد اخضرّت برا ثنها والنّاس كلّهم بكر إذا شبعوا

فكان من حكمة الله عزّوجلّ أن وزع الأرزاق بين النّاس بقَدَر، فلم يعط النّاس جميعاً حاجتهم، فوسّع على بعض، وضيّق على بعض حتّى يعمر وجه الأرض، ويتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً، وحتّى يشغلوا بمطالب العيش، وحتّى يكون في هذا الشّغل ما يصرف جانباً من عدوان بعضهم على بعض إلى السّعي والعمل في وجوه الأرض... إذ لو أنّهم كفوا جميعاً السّعي في طلب الرّزق لكان شغلهم كلّه هو البغي والعدوان... فالّذين بسط الله تعالى لهم الرّزق، هم غالباً مثار بغي وعدوان، وقليل منهم من يشكر الله تعالى ويذكر فضله، فيرعى حقّ الله فيما خوّله من نعم، وبسط له من رزق، وهذا مشاهد في الدّول الإستعماريّة في كلّ ظرف... إنّها مصدر إزعاج لأمن الإنسانيّة وسلامتها...

وقد ضرب الله عزّوجلّ مثلاً لطغيان أصحاب المال والكنوز وتسلّطهم، بقارون فقال: «إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوّة» القصص:٧٦) كما ضرب مثلاً بالخصمين اللّذين اختصما إلى داود عليه السّلام فقال على لسان أحدهما: «إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب» ص:٢٣).

١٢ـ قيل: أي لو وسّع الله الرّزق المادّي والمعنويّ على جميع عباده لطغوا في الأرض واختلّ نظام التّكوين والتّشريع معاً، فيشمل الرّزق كلا القسمين، فكما أنّ ايتآء الأموال والأولاد وسآئر النّعم الصّوريّة من الرّزق المقسوم كذلك المعارف الحقّة والشّرآئع السّماوية المنتهية إلى الوحي من حيث إنزالها، ومن حيث الإبتلاء بها والتلبّس بالعمل بها من الرّزق المقسوم، فلونزلت المعارف والأحكام عن آخرها دفعة واحدة ـ على مالها من الإحاطة والشّمول لجميع شئون الحياة الإنسانيّة ـ أو كان الأنبيآء على درجة واحدة متساوين في الرّسالة والنّبوّة لشقّت على النّاس ولم يؤمن بها إلّا الأوحديّ منهم، لكنّ الله عزّوجلّ أنزلها على رسله تدريجاً وفضّل بعضهم على بعض: «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات» البقرة:٢٥٣)

وقد أنزلها على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تدريجاً وعلى مكث، وهيّأ بذلك النّاس بقبول بعضها لقبول بعض قال الله تعالى: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلاً» الإسراء:١٠٦) وكذا المعارف العالية الّتي هي في بطون المعارف السّاذجة الدّينيّة لو لم يضرب عليها بالحجاب وبيّنت لعامّة النّاس على حدّ الظّواهر المبيّنة لهم لم يتحمّلوها، ودفعته أفهامهم إلّا الأوحديّ منهم لكنّ الله عزّوجلّ كلّمهم في ذلك نوع تكليم يستفيد منه كلّ على قدر فهمه وسعة صدره كما قال في مَثَل ضربه في ذلك: «أنزل من السّمآء ماء فسالت أودية بقدرها» الرّعد:١٧).

وكذلك الأحكام والتّكاليف الشّرعيّة لو كلّف بجميعها جميع النّاس لتحرّجوا منها ولم يتحمّلوها لكنّه تعالى قسّمها بينهم حسب تقسيم الإبتلاءات المقتضية لتوجّه التّكاليف المتنوّعة بينهم، فالرّزق بالمعارف والشّرائع من أيّ جهة فرض كالرّزق الصّوريّ مفروض بين النّاس مقدّر على حسب صلاح حالهم.

أقول: والأول هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «ولكن ينزّل بقدر مايشآء» أقوال: ١ـ قيل: أي بتقدير. ٢ـ قيل: أي بقدر عمل الإنسان لأنّه تعالى أبى أن يجرى الأمور إلّا بأسبابها، أمّا الثراء الحرام بالغشّ والإحتكار والسّلب والنّهب فهو من رزق الشّيطان لا من عطآء الرّحمن. ٣ـ قيل: أي ينزّل أرزاقهم بقدر مايشآء لكفايتهم الّذي يشآء منه. ٤ـ عن مقاتل: أي يجعل من يشآء غنيّاً ومن يشآء فقيراً. ٥ـ قيل: أي على قدر المصلحة ووفق حال الشّخص كقوله تعالى: «وما ننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر:٢١). فيوسّع المال بقدر مايشآء على من يشآء.

أقول: وعلى الخامس جمهور المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٢٨ ـ (وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد)

في قوله تعالى: «وينشر رحمته» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدي: نشر الرّحمة:

عموم المطر الأرض الّذي ينزله من السّمآء. والمعنى: يبسط مطره على وجه الأرض. ٢- قيل: هي عامّة في كلّ رحمة سوى المطر. والمعنى: ينزل الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة. ٣- قيل: هي ظهور الشّمس بعد المطر. ٤- قيل: اريد بنشر رحمته، بركات الغيث ومنافعه، وما يحصل به من الخصب بإخراج النّبات والثّمار، فينشر رحمته في كلّ شيء من السّهل والجبل، والحيوان والإنسان إذ قال: «ورحمتي وسعت كلّ شيء» الأعراف: ١٥٦).

قيل: إنّ للمطر أسبابه الطّبيعيّة، ولكن كلّ سبب طبيعيّ هو سبب إلهيّ لأنه تعالى هو خالق كلّ شيء، وإذا تأخّر المطر لسبب أو لآخر يئس النّاس، فيتداركهم تعالى برحمته الّتي وسعت كلّ شيءٍ. ٥-قيل: إنّ الرّحمة تشمل لقسمى الغيث: جسمياً وروحياً، فبأوّلها يرفع عطش الكبد، وبثانيها يرفع عطش القلب والرّوح والنّفس.

أقول: وعلى الرّابع جمهور المفسّرين.

٢٩ ـ ومن آياته خلق السّموات والأرض وما بثّ فيها من دآبّة وهو على جمعهم إذا يشآء قدير)

في قوله تعالى: «وما بثّ فيهما من دابّة» أقوال: ١- عن مجاهد: الدّابة هى النّاس والملائكة. قيل: إنّ للملائكة مشياً مع الطّيران، فيوصف بالدّبيب كما يوصف به الإنسان.

٢-عن الفرآء: اريد بالدّابة دوابّ الأرض من الإنسان والحيوان دون السّمآء لأنّ الشّيء يجوز أن ينسب إلى جميع المذكور وإن كان متلبّساً ببعضه كقوله تعالى: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الرّحمن: ٢٢) وإنّما يخرج من الملح دون العذب. والدّابّة: ما تدبّ فيدخل فيه جميع الحيوانات الأرضية. وقيل: على تقدير: وما بثّ في أحد هما فحذف المضاف كما حذف في قوله تعالى: «يخرج منهما» أي من أحدهما.

٣-قيل: إنّ في السّموات من يمشى فيها كما يمشى الأناسيّ في الأرض. والدّابّة: كلّ ما فيه حيّاة أيّاً كان نوعه، وكلّها تنطق بوجود باريها ومصوّرها. فيكون في

السّموات أنواع أُخر من الخلآئق يدبّون فيها كما يدبّ الحيوان في الأرض فدابّة السّموات غير الملآئكة لقوله تعالى: «ولله يسجد ما في السّموات وما في الأرض من دابّة والملائكة» النّحل:٤٩). ٤ ـ قيل: أي وما نشر في كلّ واحد من السّماوات والأرض كالملائكة والكواكب في السّمآء، وأصناف الحيوان والإنسان والجنّ والنّبات والجماد في الأرض.

أقول: والثّالث هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «وهو على جمعهم إذا يشآء قدير» أقوال: ١ ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يجمع دوابّ السّموات والأرض في هذه الحياة الدّنيا قبل يوم القيامة حين ينزّل إدريس وعيسى عليهما السّلام من السّمآء في زمن المهديّ الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف. ٢ ـ قيل: أي سيجمع الله تعالى دوابّ السّموات والأرض أجمعين ليوم الجمع وهو يوم القيامة. ٣ ـ قيل: أي يجمعهم الله في هذه الحياة الدّنيا ويوم القيامة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٣٠ ـ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: إنّ الخطاب عام لجميع النّاس أي وما أصابكم أيّها النّاس من المؤمنين والكافرين، ومن المخلصين والمنافقين من مصيبة فبسبب ما كسبت أيديكم من الذّنوب والآثام، ويعفو الله تعالى عن كثير من المعاصي والأجرام فلايعاقبكم بها رحمة منه بكم. ٢ ـ قيل: أي يعفو عن كثير من العصاة ألّا يعجل عليهم بالعقوبة إستدراجاً، فيعاقبهم فجأة من حيث لايعلمون. ٣ ـ عن إبن عبّاس: خطاب للمؤمنين فيعجل لهم عقوبتهم بذنوبهم في هذه الحياة الدّنيا من مرض وألم وحزن وما إليها، ولا يؤاخذهم بها في الدّار الآخرة. والمعنى: وما أصابكم أيّها المؤمنون من بليّة أو شدّة أو مرض وغمّ وفقر... فبما كسبتم من الذّنوب... وقد عبّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال تزاول بها، ويعفو عن كثير منها في الدّار الآخرة فلا يجازى

عليه، وهو تعالى أكرم من يثني الجزآء في الآخرة أمّا غير المذنبين من المؤمنين والأطفال والمجانين فما يصيبهم في الدّنيا فلرفع درجاتهم في الآخرة.

٤ـ عن الحسن: هذا في إقامة الحدود على المعاصي... أي وماعوقبتم في الدّنيا من عقوبة بحدّ حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما عملتم من معصية الله، ويعفوعن كثير من الذّنوب، فلايوجب عليكم فيها حدّاً إذ لم يجعل لبعض الذّنوب حدّاً. ٥ـ قيل: هذا في الدّار الآخرة فانّ الدّنيا دارالتكليف لا دار جزآءٍ، وإنّ كون الجزآء الأوفى على الإثم مخصوصاً بالقيامة لا ينافي وصول بعض الجزآء إلى المكلّف في الدّنيا، وذلك أنّ الله تعالى قسم ذنوب المؤمنين قسمين: قسم يكفّره عنهم بالمصآئب، وقسم يعفوعنه وهو كريم لا يرجع في عفوه، نعم لوعكست القضيّة وقيل: ماكسبت أيديكم فانّه يصيبكم به ألم وعذاب في الدّنيا لكان هذا منافياً لكون الجزآء في الآخرة ولحصول العفو أيضاً.

٦ـ عن الضّحّاك: ماتعلّم رجل القرآن ثمّ نسيه إلاّ بذنب، قال الله تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» ثمّ قال: وأيّ مصيبة أعظم من نسيان القرآن؟! قيل: هذا على التّرك وأمّا الّذي هو دآئب في تلاوته، حريص على حفظه إلاّ أنّ النّسيان يغلبه فليس من ذلك شيء. ٧ـ قيل: إنّ «ما» موصولة. والمعنى: والّذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم. فما من وجع ولا قرحة ولا جرح ولا غمّ ولا نكبة... أصابت عبداً فما فوقها إلاّ بذنب لميكن الله ليغفره له إلاّ بها أو لينال درجة لميكن يوصّله إليها إلاّ بها. هذا في حقّ المؤمنين، وأمّا الكافرون فعقوبتهم مؤخّرة إلى يوم القيامة.

٨ـ قيل: أي ومايصيبكم من مصيبة في دينكم بسبب ماكسبت أيديكم فلايغفرالله لكم، وماأصابكم من مصيبة في دنياكم بسبب ماكسبت أيديكم يعفو عنها، وذلك أنّه لمّا كان من الذّنوب والمعاصي مايستلزم إمّا خسراناً في الدّنيا كما قال تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» كماروى عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أنّه قال: «وأيم الله ماكان قوم قطّ في خفض

عيش فزال عنهم إلاّ بذنوب اجترحوها» وإمّا خسراناً في الدّين كما روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ العبد ليذنب الذّنب فينسى به العلم الّذي كان قد علمه، وإنّ العبد ليذنب الذّنب فيمتنع به من قيام اللّيل» وقال الصّادق عليه السّلام: «إنّ الرّجل ليذنب الذّنب فيحرم صلاة اللّيل».

٩- قيل: إنّها خاصّة بالبالغين أن تكون عقوبة لهم، وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم.

١٠- عن قتادة: أنّها عقوبة عامّة للبالغين في أنفسهم، والأطفال في غيرهم من والد و والدة. ١١- قيل: إنّ الآية مخصوصة بالمجرمين، ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم في الدّنيا، ويعفو عن بعض، فأمّا من لا جرم له من المعصومين أو غير المكلّفين من الأطفال والمجانين فاذا أصابهم شيء من الآلام من مرض وغيره فللعوض الموفى عليه، والغرض الّذي هو المصلحة.

١٢- قيل: إنّ الخطاب للمتخلّفين من هذه الامّة عن دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إيّاهم إلى المودّة في القربى، فاختلفوا في أمر الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتفرّقوا في الدّين، فقلّبوها إلى العداوة، فأصابهم الخزى والهوان، والذّلّة والإنحطاط حتّى اليوم، ويعفو تعالى عن كثير من ذنوبهم الّتي تكون دون هذه الجناية من بدعهم في الدّين الإسلامي، وتحريم الحلال، وتحليل الحرام، وما فعلوا ما فعلوا وما خانوا ما خانوا على الإسلام والمسلمين... والآية في معنى قوله تعالى: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً - ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النّسآء: ٤٨و١١٦).

فكما أنّ الشّرك بالله سبحانه لظلم عظيم: «إنّ الشّرك لظلم عظيم» لقمان: ١٣) لايغفر، كذلك أنّ ترك الولاية لأهلها لظلم عظيم لايغفر لأنّها طريق إلى التّوحيد، فمن عوقب بالشّرك بالله سبحانه عوقب بالعذاب كلّه، إذ ليس فوق عقاب الشّرك عقاب، فكأنّ غير الشّرك من المعاصي غُفِرَ وعُفِيَ كمن أُخِذَ بمأة درهم أُخذ بما دونه قطعاً، فكذلك أمر الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذه الامّة المسلمة الّذين بلغوا اليوم أكثر من ميليارد نسمة أصابهم الضّعف والخمول، والذّلّ والفشل، والخزى والإنحطاط وذهبت ريحهم لتركهم الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين عليهم السّلام، واتّخاذهم الطّواغيت ولاة لأمرهم، فجعلهم الله لقمة سائغة للمستعمرين الّذين تحكموا فيهم، وجعلوهم كالعبيد يتصرّفون فيهم بحسب أهوآئهم، وماتمليه عليهم مصالحهم، وما يدرّ عليهم الخير لبلادهم وشعوبهم، وسلبوا أفكارهم وعقولهم وشعورهم، ونهبوا إقتصادهم وإعتقادهم، وأضاعوا ملكهم وإحتجنوا أموالهم وشرائهم في خزائنهم وتملكوا منابعهم...

١٣- قيل: إنّ الخطاب إجتماعيّ موجّة إلى المجتمع غير منحلّ إلى خطابات جزئيّة، ولازمه كون المراد بالمصيبة الّتي تصيبهم المصآئب العامّة الشّاملة كالقحط والغلآء والوبآء والزلازل والآفات والسّيل وما إليها... فيكون المراد أنّ المصآئب والنّوآئب الّتي تصيب مجتمعكم، ويصابون بها إنّما تصيبكم بسبب معاصيكم، والله تعالى يصفح عن كثير منها فلا يأخذ بها، فالآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون» الرّوم: ٤١) وقوله: «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف: ٩٦) وقوله: «إنّ الله لا يغيّر مابقوم حتّى يغيّروا مابأنفسهم» الرّعد: ١١) وغير ذلك من الآيات الدّالّة على أنّ بين أعمال الإنسان وبين النّظام الكونيّ إرتباطاً خاصّاً، فلوجرى المجتمع الإنسانيّ على ماتقتضيه الفطرة من الإعتقاد والعمل لنزلت عليه الخيرات الكثيرة وفتحت عليه البركات، ولو افسدوا أُفسِدَ عليهم.

هذا ماتقتضيه هذه السّنّة الإلهيّة إلّا أن ترد عليه سنّة الإبتلاء أو سنّة الإستدراج والإملآء، فينقلب الأمر قال الله عزّوجلّ: «ثمّ بدّلنا مكان السّيّئة الحسنة حتّى عفوا وقال قدمسّ آبآءنا السّرّآء والضّرّآء فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون» الأعراف: ٩٥)

١٤- قيل: إنّ الخطاب عامّ منحلّ إلى خطابات الأفراد، فيكون مايصاب كلّ إنسان بمصيبة في نفسه أو ماله أو في ولده أو عرضه وما يتعلّق به مستنداً إلى معصية أتى بها،

وسيّئة عملها، ويعفو الله عن كثير منها.

و على أيّ القولين: (۱۳-۱٤) أنّ الآية لعامة النّاس من المؤمن و الكافر و المراد بما كسبته أيديهم المعاصي و السّيّئات دون مطلق الأعمال... و المصائب الّتي تصيب إنّما هي آثار الأعمال في الحياة الدّنيا لما بين الأعمال و بينها من الإرتباط و التّداعى دون جزاء الأعمال...

و بذلك يندفع أوّلاً ما استشكل على عموم الآية بالمصائب النّازلة على الأنبياء و الأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين و هم معصومون لا معصية لهم، و المصائب النّازلة على الأطفال و المجانين و هم غير مكلّفين بتكليف، فلا معصية لهم، و النّوائب و الحوادث الواقعة على المؤمنين الصّادقين لايعصون الله، فيجب تخصيص الآية بمصائب الأنبياء و مصائب الأطفال و المجانين و نوائب المخلصين ...

وجه الإندفاع أنّ إثبات المعصية لهم في قوله: «فبما كسبت أيديكم» دليل على أنّ الخطاب في الآية لمن يجوز عليه صدور المعصية فلا يشمل المعصومين و غير المكلّفين من رأس ، فعدم شمول الآية لهم من باب التخصّص دون التّخصيص.

و ثانياً ما قيل: إنّ مقتضى الآية مغفرة ذنوب المؤمنين جميعاً فإنّها بين مايجزون عليها باصابة المصائب و مايعفى عنها.

وجه الإندفاع أنّ الآية مسوقة لبيان و ارتباط المصائب بالمعاصي و كون المعاصي ذوات آثار دنيويّة سيّئة منها مايصيب الإنسان، و لا يخطىء و منها ما يعفى عنه فلا يصيب لأسباب صارفة و حكم مانعة كصلةالرّحم و الصّدقة و دعاء المؤمن و التّوبة و غير ذلك ممّا وردت به الأخبار، و أمّا جزاء الأعمال فالآية غير ناظرة إليه كما تقدّم.

على أنّ الخطاب في الآية يعمّ المؤمن و الكافر، و لا معنى لتبعّضها في الدّلالة، فتدلّ على المغفرة في المؤمن و عدمها في الكافر.

أقول: والثّاني عشر هو الأنسب بظاهر الخطابات من دون تناف بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً و لاتغفل.

۳۱- (و ما أنتم بمعجزين في الأرض و مالكم من دون الله من وليّ ولانصير)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: خطاب للمشركين أى و ما أنتم أيّها المشركون بفاتنين من عذاب الله بما كسبت أيديكم، و ما لكم من دون الله من قريب ينفعكم، و لا مانع يمنعكم من عذاب الله. ٢- قيل: خطاب للنّاس عامّة أى و ما أنتم أيّها النّاس بمفيتي ربّكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم الّتي أذنبتموها و معصيتكم إياه الّتي ركبتموها هرباً في الأرض فمعجزيه حتّى لايقدر عليكم، و لكنّكم حيث كنتم في سلطانه و قبضته، جارية فيكم مشيئته، و ما لكم من دون الله من وليّ يليكم بالدّفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إيّاه و لانصير لكم ينصركم إذا هو عاقبكم فينتصروا لكم منه.

٣- قيل: خطاب للظّالمين المتخلّفين من هذه الامّة المسلمة أى فاحذروا أيّها المختلفون في أمرالولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و اتقوه أن تخالفوه فيما أمركم به أونهاكم عنه، فإنّه لا دافع لعقوبته عمّن أحلّها به. ٤- قيل: خطاب للكفّار كافّة بأنكم لستم تفوتون الله بالهرب منه في الأرض و لا في السّماء فإنّه تعالى و حده يقدر عليكم في جميع الأماكن، و لا يمكن النّجاة من عذابه الاّ بطاعته، و ليس لكم من يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد فعله بكم، و لاينصركم عليه، فيجب عليكم أن ترجعوا إلى طاعة مَن هذه صفته، ففي ذلك إستدعاء إلى الايمان بالله عزّ وجلّ والعبادة لله وحده و ترغيب في كلّ ما امر به و تحذير عمّا نهى عنه. و وجه الحجّة بذلك على العبد أنّه إذا كان لايعجز الله و لايجد دافعاً عن عقابه خفّ عليه عمل كلّ شيء في جنب ما توعد به.

أقول: و الثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

٣٣- (إن يشأ يُسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور)

في قوله تعالى: «لكلّ صبّار شكور» أقوال: ١- عن ابن عباس: أى لكلّ صبّار على الطّاعة شكور بنعم الله تعالى. ٢- قيل: أى لكلّ من يصبر في الشّدّة و يشكر في الرّخاء. ٣- قيل: أى لكلّ صبّار على بلاء الله و شكور لنعمآئه و آلآئه، و هما من صفات

المؤمن المخلص الّذي إذابتلي صبرو إذا اعطي شكر لأنّه في الضّرّآء صابر و في السّرّآء شاكر فإنَّ كَمْ من منعَم عليه لايشكر، و كم من مبتلى لايصبر. ٤- قيل: أى لكلّ صبّار على أمرالله، شكور على نعمته. ٥- قيل: أى صبّار على ركوب السّفينة، شكور على جريها في البحر، والنّجاة منه و الخروج منها. ٦- قيل: أى لكلّ ذى صبر على طاعة الله، شكور لنعمه و أياديه عنده. ٧- قيل: أى يصبر راكب السّفينة إذا سكنت نظرة الرّحمة ويشكر إذا جرت لواقع الرّحمة.

أقول: التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٣٤- (أو يوبقهن بما كسبوا و يعف عن كثير)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس و مجاهد و السّدى و قتادة و ابن زيد الضّحّاك: أى أو إن يشأ يهلك ناساً، و إن يشأ ينج ناساً على طريق العفو عنهم و المعنى: و أن يشأ الله تعالى يهلك السّفآئن بالغرق بذنوب أهلها، و يصفح عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقبهم عليها. الإيباق: الإهلاك و المراد باهلاكها اهلاك أهلها إمّا مجازاً و إمّابتقدير مضاف. و «يوبقهنّ» معطوف على «يسكن». ٢- قيل: يهلك السّفن بالغرق، فيهلك أهلها بغرق السّفن أو الكسر لعصوف الرّيح و غيره بسبب ما كسبوا من كفران نعم اللّه تعالى و عصيانه، و يعفو عن كثير من أهلها فلا أى يغرقهم معها، فيمهل و لايهمل فيتجاوزعن كثير من ذنوبهم فينجيهم من الهلاك. ٣- قيل: أى يحطمهنّ عقوبة على ما كسبت أيدى الّذين ركبوها، و مع ذلك فالله تعالى قادر على إنقاذهم من ذلك متجاوزاً بذلك عن كثير من سيّئاتهم و هفواتهم...

٤- قيل: إنّ قوله تعالى: «و يعف عن كثير» إخبار من الله تعالى أنّه يعفو عن معاصي راكبي السّفن، فلا يعاجلهم بعقوبتها. ٥- قيل: قوله تعالى «و يعف» معطوف على «يوبقهنّ»و المعنى: وان يشإ الله يعف عن كثير من سيّئات المسيئين، فلا يعجل لهم الجزاء في الدّنيا، فتمضى سفنهم في ريح رخآء حتّى تبلغ مأمنها أو السّاحل، ثمّ يكون الحساب و الجزاء في الدّار الآخرة. ٦- قيل: أى و يعفو عن كثير من ذنوب هؤلآء المذنبين الّذين أُخِذوا ببعض ذنوبهم لا كلّها لأنّ ذنوبهم أكثر من أن تستوفي منهم بأيّ

عذاب ينزل بهم في هذه الدّنيا و هذا ما يشير إليه قوله تعالى:«ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّة و لكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى»(فاطر: ٤٥).

٧- قيل: أى و إن يشأ يجعل الرّياح عواصف، فيغرق السّفن بذنوب راكبيها، و لكنّه يعفو عن كثير من ذنوبهم، و لو آخذ هم بجميع ما يجترحون منها لأهلك كلّ من ركب البحر.

٨- قيل: إنّ قوله تعالى:«يوبقهن - ويعف» معطوفان على «يسكن» و المعنى: إن يشأ يهلك الجواري باغراقها بسبب ذنوب راكبيها، ويعف عن كثير منها، أى إنّ بعضها كافٍ في اقتضاء الإهلاك و إن عفى عن كثير منها.

٩- قيل: إنّ «يعف» معطوف على «يسكن الرّيح ...» و لذا عطف بالواو دون أو. و المعنى: إن يشأ يعاقبهم بالإسكان أو بالإعصاف، و إن يشأ يعف عن كثير من ذنوبهم، فلا يجازي عليها في الدّنيا و لا في الآخرة.

أقول: الثّالث و الرّابع هما الأنسب بسياق الوعيد و الوعد و في معنا هما بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٣٥- (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس: أى لكى يعلم الّذين يكذّبون بمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و القرآن مالهم من مغيث و لا نجاة من عذاب الله.

٢- قيل: تقديره: لننتقم منهم ، و يعلم الّذين يجادلون كقوله تعالى: «ولنجعلك آية للناس» (البقرة:٢٥٩) «و لتجزى كلّ نفس بما كسبت» (الجاثيه:٢٢)

ف«يعلم» منصوب، معطوف على تعليل محذوف.

٣- عن السّدى: أى و يعلم الّذين يجادلون في إبطال آياتنا و دفعها مالهم من ملجإٍ يلجاؤن إليه. و هذا إخبار من الله تعالى: أنّ الّذين يجادلون في إبطال آيات الله تعالى و يدفعو نها سيعلمون أنّه ليس لهم من مأوى يأوون و لا ملجأ يلجؤن إليه.

٤- قيل: أى وليعلم الّذين يجادلون في آياتنا و يجحدونها، ويكفرون بها أنّه لامخلص لهم إذا وقفت السّفن أو إذا عصفت الرّيح. والمعنى: إذا توسّط الكفّار البحر و

غشيهم الرّياح من كلّ مكان، أو بقيت السّفن رواكد علموا أنّه لاملجأ لهم سوى اللّه و لا دافع لهم إن أراداللّه إهلاكهم، فيخلصون له العبادة، فيصير ذلك سبباً لإعترافهم بأنّ النّافع الضّارّ ليس إلاّ الله تعالى.

٥- قيل: أى و يعلم الّذين يخاصمون رسولنا محمّداً صلى اللّه عليه و آله و سلم و يكابرونه من المشركين في آياتنا و حججنا الّتي تدلّ على التّوحيد، وبطلان الشرك بالله سبحانه مالهم من فرار و مهرب.

٦- قيل: هو غاية معطوفة على اخرى محذوفة، و التقدير نحو من قولنا: ليظهر به قدرته و علمه و تدبيره و يعلم الّذين يجادلون في آياتنا ما لهم من مفرّ ولا مخلص فلو نشأ أن نقفهم أمام بأسنا و نوبق سفائنهم فهم لا يملكون منها نجاة.

٧- قيل: أى و يعف عن كثير من ذنوب هؤلآء المذنبين في الدّنيا، فلا يعجل لهم العذاب و ذلك ليعذّبهم في الآخرة، و ليعلم الّذين يجادلون في آيات الله ويكذّبون بالبعث و الجزآء ليعلموا يومئذ ما لهم من مفرّ و لا ملجا.

أقول: و على الرّابع أكثر المحقّقين من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٣٦- (فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا و ما عندالله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: إن الخطاب لمشركي مكة خاصّة. و المعنى: فما أُعطيتم أيّها المشركون من شيء من رياش الدّنيا من المال و البنين فمتاع الحياة الدّنيا تتمتّعون به فيها أياماً قلائل، ثمّ تموتون فيبقى عنكم أو يهلك المال و مات البنون قبل موتكم، و ليس من دارالآخرة و لا ممّا ينفعكم في معادكم، و ما عندالله لأهل التّوحيد و الطّاعة في الآخرة خير ممّا اوتيتموه من متاع الدّنيا و أبقى من هذه المنافع القليلة لأنّ ما اوتيتم ينفد، و ما عندالله تعالى في جنانه لأهل الايمان و الطّاعة من الثّواب و النّعيم باق لاينفد.

٢- قيل: خطاب للكفّار عامّة. و المعنى: فما اوتيتم أيّها الكافرون من شيء من

الغنى و الثراء و الجاه و الصّحّة و السّعة في الدّنيا فإنّما هو متاع في أيّام قليلة تنقضى و تذهب، فلا ينبغى أن يتفاخربه، و ما عندالله من الثّواب على الايمان و الطّاعة خير و أبقى للّذين صدّقوا رسولنا صلى اللّه عليه و آله و سلم و أطاعوه و هم على ربّهم يتوكّلون في جميع امورهم لا على متاع الدّنيا و شهواتها... وليس معناه أنّ عدم المتاع خير من و جوده بل معناه: أنفق منه في سبيل الله تعالى و الصّالح العام لتنتفع به عندالله يوم تلقاه.

٣- قيل: خطاب للسّامعين في كلّ ظرف من المؤمنين و غيرهم: أى فما اوتيتم أيّها النّاس من أثاث الدّنيا و وسائل الرّزق و أسباب الحياة فكلّها متاع الحياة الدّنيا يتمتّع به فيها ثمّ يزول و هو حلال طيّب مالم يؤدّ إلى الحرام.

قال الله تعالى: «قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق» (الأعراف:٣٢) ولله درّ القآئل:

إنّما الدّنيا فنآء ليس للدّنيا ثبوت
إنّما الدّنيا كبيت نسجته العنكبوت

٤- قيل: خطاب للمتخلّفين عن الدّعوة إلى المودّة في القربىٰ، و المختلفين فيها من هذه الامّة المسلمة، فتفرّقوا و أوجدوا الفرقة بين المسلمين فذهبت ريحهم و جآئهم الفشل فانحطّوا حتّى اليوم ما انحطّوا.

أقول: و الرّابع هو الأنسب باستمرار سياق الخطاب.

٣٧- (و الذين يجتنبون كبآئر الإثم و الفواحش و إذا ما غضبوا هم يغفرون)

في قوله تعالى:«كبآئر الإثم و الفواحش» أقوال:

١- عن ابن عباس: كبآئر الإثم هو الشّرك، و الفواحش: الزّنا و المعاصي...

٢- عن مقاتل: الفواحش: مو جبات الحدود. فعطف «الفواحش» على «كبآئر الإثم» من قبيل عطف البعض على الكلّ.

٣- قيل: الفواحش- جمع فاحشة- وهي أقبح القبيح، والمراد بها ما يتعلّق بالإشاعة إلى نفوسهم.

٤- قيل: الفواحش هي الظّلم و الزّناء و الفساد في الأرض.

٥- عن السّدى: الفواحش: الزّناء

٦- قيل: كبآئر الاثم ما تقع على الصّغآئر مغفورة عند إجتنابها، و الفواحش داخلة في الكبآئر ولكنّها تكون أفحش و أشنع كالقتل بالنّسبة إلى الجرح ، والزنا بالنسبة إلى المراودة.

٧- قيل: الكبائر و الفواحش بمعنى واحد فكرّر لتعدد اللفظ أى يجتنبون المعاصي لأنّها كبآئر و فواحش.

٨- قيل: كبآئر الاثم ما يتعلّق بالبدع و العقائد الفاسدة و هي من فساد القوّة العقلية، و بالفواحش فساد القوّة الشّهوية و با لأخيرة ما يتعلّق بالقّوة الغضبية.

٩- قيل: الفواحش أفحش و أكبر من كبآئر الاثم.

١٠- قيل: كبآئر الاثم هي كبآئر الذّنوب كالقتل و الزنا و شرب الخمر و الرّبا، و السرقة و نحوها، و الفواحش هي الّتي ينكرها الشرع والعقل و الطبع السّليم من قول أو فعل، و صورتها البالغة في الفحش تتمثل في الزّناء، ولذا غلبت على الزّناء الوصف بالفاحشة.

١١- قيل: كبآئر الاثم هي المعاصي الكبيرة الّتي لها آثار سوء عظيمة، و قد عدّ تعالى منها شرب الخمر و الميسر إذ قال:«يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير» (البقره:٢١٩) و الفواحش و هي المعصية الشّنيعة النكرآء و قدعدّ جلّ و علا منها الزّنا و اللواط إذقال: « و لا تقربوا الزّنى إنّه كان فاحشة و ساء سبيلاً» (الإسراء:٣٢) و قال حاكياً عن لوط: « أتأتون الفاحشة و أنتم تبصرون» (النّمل:٥٤)

١٢- قيل: كبآئر الاثم هي الّتي تجذب القلوب إليها و تسودّها بحيث لا تؤثر فيها المواعظ و النّصآئح، و الفواحش هي المعاصي الّتي يمكن تركها بسهولة.

١٣- قيل: كبآئر الاثم حق الله تعالى و حقّوق النفس من العبادات، فيشرك العبد بالله سبحانه و لا يعبده وحده، و الفواحش حقوق النّاس فضيّعها.

١٤- قيل: عكس ذلك.

١٥- قيل: يستفاد من بعد هذه الآية أربعة امور: **الأوّل** الايمان: «والذين

استجابوا لربّهم » **الثانى: إقامة الصّلاة:** «و أقاموا الصّلاة» فتركهما من كبآئر الإثم. **الثّالث:** «و امرهم شورى بينهم» **الرّابع:** «و ممّا رزقناهم ينفقون» و تركهما من الفواحش.

۱٦- قيل: كبآئر الاثم هي المعاصي الخفيّة، و الفواحش من ظواهر الذّنوب.

۱۷- قيل: هما واحدو إنّما التغاير باعتبار الوصف.

أقول: و على الأوّل أكثر المفسّرين.

۳۸- (و الّذين استجابوا لربّهم و أقاموا الصّلاة و أمرهم شورىٰ بينهم و ممّا رزقناهم ينفقون):

في الآية الكريمة أقوال: ۱- عن ابن زيد: و الّذين استجابوا لربّهم: هم الأنصار بالمدينة دعاهم الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى التّوحيد فاستجابوا إلى الايمان بالرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم حين أنفذ إليهم اثنى عشر نقيباً منهم قبل الهجرة فأطاعوه و رضوا بقضائه و واظبوا على الصّلوات الخمس، فأدّوها لمواقيتها بشروطها و هيئاتها، و كانوا قبل الإسلام متشاورين في كلّ أمردهمهم غير منفردين برأى. فكانت الأنصار قبل قدوم النّبيّ صلى اللّه عليه و آله وسلم إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثمّ عملوا عليه فمدحهم الله به.

۲- عن الحسن: أى إنّهم لإنقيادهم إلى الرأى في امورهم متّفقون لايختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم. وما تشاور قوم قطّ إلاّ هدوا لأرشد امورهم.

۳- عن الضّحّاك: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و ورود النقباء إليهم حين اجتمع رأيهم في دار أبي أيّوب الأنصارى على الايمان بالله تعالى و نصرة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم فأجابوا رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بما يدعوهم من التّوحيد و نصره و أقاموا الصّلاة في أوقاتها على أحسن وجوهها، و في تخصيص الصّلاة من بين أركان الدّين و فروعه لما لها من صفاء النّفوس و هي عمادالدّين و بها تزكى النّفوس، و ترك الفواحش ما ظهر منها و ما بطن: «إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشآء و المنكر» (العنكبوت:٤٥)

و كانوا ينفقون أموالهم في سبيل الخير و البذل فيما فيه منفعة للفرد و المجتمع، و لإقامة شعائر الإسلام و ترويج الدّين و رفعة الامّة و علوّ شأنها و عزّها.

٤- قيل: تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخبر دون بعض، فمدح الله تعالى المشاورة في الامور بمدح القوم الّذين كانوا يمتثلون ذلك. المشاورة: المفاوضة فيه للوصول إلى أحسن الوجوه و الحلول.

٥- قيل: أى والّذين قبلوا و أجابوا ما أُمِروا به من المودّة في القربى و أقاموا الصّلاة بحفظ حدودها، ويشاورون الامام المعصوم عليه السلام بعد النّبيّ الكريم صلى الله عليه و آله و سلم فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم و دنياهم كما قال الله عزّ و جلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه والرّسول» (النساء:٥٩) ليكونوا كلّهم على كلمة سواء فيما بينهم من شئون حياتهم جميعها، و ممّا رزقناهم ينفقون في إعلاءِ كلمة الله تعالى و توحيد الكلمة.

٦- قيل: أى و الّذين يمتثلون أوامر الله تعالى و يجتنبون نواهيه، و يستجيبون لربّهم ما يكلّفهم به من الأعمال الصّالحة. فذكر إقامة الصلاة و إنفاق بعض الرّزق من قبيل ذكرالخاص بعد العامّ لشرفهما و أهميّتهما في الدّين و أنّ أحدهما وظيفة جسمانيّة و الآخر ماليّة. ٧- قيل: إنّ المراد من الإستجابة تخليّة قلوبهم عن كلّ منازعة و عداوة و الرّضا بقضاء الله تعالى عن صميم القلب، و ممّا رزقناهم من الأموال و العلم و الجاه و البنين في مرضاة الله تعالى.

أقول: و الخامس هو الأنسب ببيان أخصّ أوصاف المؤمنين.

٣٩- (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن جريج: هذا محمّد صلى اللّه عليه و آله وسلم و قد بغي عليه،و كذّب، ينتصر محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم بالسّيف و المؤمنون ينصرونه.

٢- عن ابن عباس:أى هم ينتصفون بالقصاص لا المكابرة.

٣- عن إبراهيم النخعي: أى و الّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون إذ كانوا يكرهون للمؤمنين أن يستذلوا و كانوا إذا قدروا عفوا،فلا يذلّون أنفسهم فيجترى

الفسّاق عليهم.

٤- عن ابن عبّاس أيضاً و عطآء: هم المؤمنون الّذين أُخرِجوا من مكّة و بغى عليهم الكفار ثمّ مكّنهم الله تعالى فانتصروا منهم.

و ذلك أنّ مشركي مكّة بغوا على رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و على أصحابه و آذوهم و أخرجوهم من مكّة فأذن الله لهم بالخروج و مكّن لهم في الأرض، ونصرهم على مَن بغىٰ عليهم كما قال تعالى:« أُذِن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا ولله عاقبة الامور» (الحجّ:٣٩- ٤١)

فاذا بغى المشرك على المسلم، فالمسلمون ينتصرون ممن بغى عليه من غير أن يعتدوا عليه.

٥- عن السّدي: أى و الّذين إذا أصابهم البغي من غيرهم هم ينتصرون ممّن بغى عليهم من غير أن يعتدوا.

٦- قيل: يجوز أن يتوجّه المدح في الإنتصار إلى كون المظلوم بحيث يراعي حدّ الشرّع، و لا يتجاوزه حتّى لوزاد عليه لم يكن منتصراً و لا يستحق المدح.

٧- قيل: أى الذين إذا أصابهم الظّلم بعضهم طلب النّصرة من الآخرين، و إذا كانوا متفقين على الحقّ كنفس واحدة، فكأنّ الظلم أصاب جميعهم، فطلبوا المقاومة قباله و أعدّوا عليه النّصرة. و إنّ مقاومتهم لرفع الظّلم لاتنافي المغفرة عند الغضب المذكورة في جملة صفاتهم، فإنّ المقاومة دون الظّلم و سدّ بابه عن المجتمع لمن استطاعه و الإنتصار والتناصر لأجله من الواجبات الفطرية قال الله تعالى: «إنّ الّذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله - و الله بما تعملون بصير» (الأنفال: ٧٢) و قال: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما...» (الحجرات:٩)

٨- عن أبي مسلم: أى يتناصرون، فينصر بعضهم بعضاً نحو يختصمون و يتخاصمون.

٩- عن ابن زيد: إنّ الله جعل المؤمنين صنفين: صنف يعفون عمّن ظلمهم وهم الّذين ذكروا في قوله تعالى:«و إذا ما غضبوا هم يغفرون» و صنف ينتصرون ممّن ظلمهم

وهم الّذين ذكروا في هذه الآية، فمن انتصروأخذ بحقّه و لم يجاوز في ذلك ما حدّ الله فهو مطيع لله،و مَن أطاع الله فهو محمود.

١٠- قيل: هذا عام في بغي كل باغ من كافر و غيره أي إذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه. و هذه إشارة إلى الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامة الحدود.

١١- قيل: إنّ الله ذكر الإنتصار في البغي في معرض المدح، وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح، فيحتمل أن يكون أحدهما رافعاًللآخر، و يحتمل أن يكون ذلك راجعاًإلى حالتين: **إحداهما**- أن يكون الباغي معلناً بالفجور وَقِحاً في الجمهور مؤذياً للصغير و الكبير، فيكون الإنتقام منه فضل. **الثانية** - أن تكون الفلتة أويقع ذلك ممّن يعترف بالزّلّة و يسئل المغفرة، فالعفو هنا أفضل وفي مثله نزلت:«و أن تعفوا أقرب للتّقوى» البقرة:٢٣٧) و «وليعفوا وليصفحوا...» النّور:٢٢)

ألاترى أنّه قرنه إلى ذكر الإستجابة لله تعالى و إقام الصّلاة، فالإنتصار فيمن تعدّى و أصرّ على ظلمه. و الموضع المأمور فيه بالعفو إذ كان الجاني نادماً مقلعاً،و قد قال عقيب هذه الآية: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل» و يقتضي ذلك إباحة الإنتصار لا الأمر به، و قد عقبه بقوله:«ولمن صبر و غفر إنّ ذلك لمن عزم الامور» وهو محمول على الغفران من غير المصرّ، و أمّا المصرّ على البغي و الظّلم فالأفضل الإنتصار منه بدلالة الآية الّتي قبلها.

فليس بين قوله : «هم ينتصرون» أي ينتقمون وبين قوله:«يغفرون»منافاة فإنّ هذه أخصّ من الاولى، فإنّ البغي هو الّذي يؤدّي إلى الفساد و لايصير عفوه سبباً لتسكين نائرة الفتنة، ولرجوع الجاني عن جنايته. فالعفو نوعان: **أحدهما**- أن يكون العفو فيه سبباً لتسكين الفتنة،و تهدئة النّفوس و منع استفحال الشّرّ و هذا محمود، و حثّت عليه عدّة من الآيات القرآنيّة. **ثانيهما**- أن يكون العفو فيه سبباً لجرآءة الظالم وتماديه في غيّه، و هذا مذموم، وعليه يحمل قوله تعالى:«و إذا أصابهم البغى هم ينتصرون» فالعفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود كما أنّ الإنتقام من المخاصم المصرّ على جرمه، و المتادي في غيّه محمود، و إلى هذا أشار المتنبى بقوله:

إذا أنت أكـرمت الكـريم مـلكته و إن أكـرمت اللـئيم تمـرّدا
فوضع الندى في موضع السّيف بالعلا مضرّ كوضع السّيف في موضع النّدى

۱۲- عن ابن بحر: أى إذا أصابهم البغي تناصروا حتّى يزيلوه عنهم و يدفعوه.

أقول: و على الحاد يعشر أكثر المحققين و هوالأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّداً و لاتغفل.

٤٠- (و جزآؤا سيّئة سيّئة مثلهافمن عفا و أصلح فأجره على اللـه إنّـه لايحّب الظّالمين)

في قوله تعالى: «و جزآؤسيّئة سيئة مثلها» أقوال: ۱- عن ابن نجيح و السّدى: أى أن يجاب القآئل الكلمة القزعة بمثلها فإذا قال: أخزاك الله أولعنك. فتقول: أخزاك الله و لعنك. من غير أن تعتدي عليه.

۲- عن السّدى أيضاً و ابن زيد: أى إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تتعدي. ۳- قيل: أى و جزآؤسيّئة من المشركين إليكم سيّئة مـثلهامنكم إليهـم، و إن عفوتم و أصلحتم فأجركم في عـفوكم عـنهم إلى اللـه إنّـه لايحبّ الكـافرين. كـقوله تعالى:«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عـليه بمـثل مـا اعـتدى عـليكم و اتـقوا اللـه» البقرة:۱۹٤)

٤- عن مقاتل: السّيئة هي الّتي يكرهها الانسان طبعاً كالقصاص في الجراحات والدّمآء و القطع وسآئر الحدود دون غيرها من سبّ أوشتم.

٥- قيل: إنّه محمول على المقابلة في الجراح فقط. و المعنى: جزآء جراحة، جراحة مثلها. ولايقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب.

٦- عن ابن جريج: أى مايكون من النّاس في الدّنيا مما يصيب بعضهم بعضاً و القصاص. والمعنى: ما جعل الله لنا إلاّ الاقتصاص منه، فإنّ للـمجنيّ عـليه أن يـفعل بالجانى مثل ذلك من دون زيادة، و سمّـاه سيّئة للإزدواج. و قيل: سمّي هذا الجزآء سيّئة مع أنّه عقوبة مشروعة من الله، مأذون بها لأنّها تسوء من تنزّل به كقوله تعالى: «و إن

تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك» النسآء: ٧٨). يـريد مـايسوءهم مـن المـصآئب و البلايا...

أقول: و التعميم هو الأنسب بظاهر السّياق و خاصّة بلفظ النّكرة:«سيّئة» فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

و في قوله عزّوجّل: «فمن عفا و أصلح» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى فمن عفى عن مظلمته، و ترك القصاص و لا يكافيء به و أصلح بينه و بين الظالم بالعفو و الإغضاء.
٢- قيل:أى فمن عفا عمّا له المؤاخذة به، و أصلح أمره فيما بينه وبين ربّه، فثوا به على الله.

٣- قيل: أى فمن عفى عمّن ظلمه، وصار العفو سبباً لندامة الظّالم و توبته إلى الله تعالى عن ظلمه، فأصلح نفسه بالتّوبة و ردّ حقّ المظلوم إليه،فأجر كلّ واحد منها على الله تعالى.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ، والأوجه هو الثّالث.

و في قوله جلّ وعلا: «إنّه لا يحبّ الظّالمين» أقوال:١- عن ابن عبّاس و سعيدبن جبير: أى إنّ الله تعالى لا يحبّ من بدأ بالظّلم. و المعنى: إنّ الله لا يحبّ المبتدئين بالظّلم، فيترتب عليهم عقابه. ٢- عن ابن عيسى: أى لايحبّ من يتعدّى في الإقتصاص، ويجاوز الحدّ إلى ما ليس له في القصاص ولاغيره. ٣- أى إنّ العفو إذا كان سبباً لتجرّىء الظّالم فهذا العفو ظلم على المظلوم وعلى غيره «إنّ الله لايحبّ الظّالمين». فكما أنّ الإعتداء على الظّالم أكثر ممّا أسآء ظلم على الظّالم كذلك إذا كان العفو سبباً لجرأة الظّالم على ظلمه فهو ظلم«إنّ الله لا يحبّ الظّالمين» أى الّذين ظلموا بدءاً، واعتدوا في القصاص، وانظلموا.

٤- قيل: أى إنّي لم أرغبكم في العفو عن الظّالم لأنّي احبّه، بل لأنّي احبّ الفضل و الإحسان والعفو، واحبّ أن اعرض المظلوم بذلك لجزيل الثّواب.

٥- قيل: إنّ قوله تعالى:«إنه لايحبّ الظّالمين» تعليل لأصل كون جزآء السّـيئة سيّئة من غير نظر إلى المماثلة و المساواة.

أقول: و التّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق بأنّ الله تعالى لايحبّ كلّ من تلبّس بالظّلم. فتأمل جيّداً و لاتغفل.

٤١-(ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة: هذا في الخماشة تكون بين النّاس، و أمّا من ظلمك فلا تظلمه، و إن فجر بك فلا تفجربه، و إن خانك فلا تخنه، فإنّ المؤمن هو الموفى المؤدّى، و إنّ الفاجر هو الخآئن الغادر. والمعنى: ولمن انتصرمن بعد ظلمه فيما يكون فيه القصاص بين النّاس في النّفس أو الأعضآء أو الجراح، فأمّا غير ذلك فلا يجوز أن يفعل لمن ظلمه ذلك.

٢- قيل: من دعا على من ظلمه فقد انتصر. ٣- عن ابن جريج: ولمن انتصر بعد ظلمه أى لمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم أيضاً انتصاره بالسّيف. ٤- قيل:عنى به الإنتصار من أهل الشّرك. و قال ابن زيد: أى لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصرمن المشركين، فاولئك المؤمنون ما عليهم من سبيل للمعاقب ولاللعاتب.

٥- قيل: اريد به كلّ منتصرمن ظالمه، ومن أسآء إليه، مسلماً كان الظالم و المسىء أو كافراً أن لاسبيل على المظلوم في انتصاره و أخذ حقه من الظّالم، فلا يلوم ولا يعاتب على فعله، و لا يجوز إبطال حقّه ولامنعه عن حقه في الشّرع الإلهى، و المعنى: من انتصر لنفسه، و انتصف من ظالمه، و انتقم منه بعد أن ظُلِمَ وتعدّى عليه، فأخذ لنفسه بحقّه، فالمنتصرون ما عليهم من إثم ولا عقوبة ولا ذمّ ولا عتاب لأنّ البادي هو الظّالم لا المنتقم منه حقه من تجاوز على الظّالم،و للمظلوم أن ينتصر على يد سلطان عادل بأن يحمله إليه و يطالبه بأخذ حقه من الظّالم لأنّ السّلطان هو الّذي يقيم الحدود و يأخذ من الظّالم حق المظلوم، و للمظلوم أن ينتقم من ظالمه و يأخذ منه حقّه بالمباشرة، و إذاً لا يجوز لأحد أن يعاقب ولا يعاتب ولا يذمّه على فعله هذا إذ أخذ حقّه من دون تعدّ على الظّالم.

أقول: وعلى الخامس جمهور المحقّقين، و هو الأنسب بظاهر السّياق، والمؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٢-(إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم)

في قوله تعالى: «إنما السبيل على الّذين يظلمون النّاس»أقوال:

١- قيل:أى إنّما الإثم و العقاب و الذمّ على الّذين يظلمون النّاس ابتدآءً بعدوانهم عليهم.

٢- عن ابن جريج: أى إنّما المؤاخذة والعذاب على الّذين يظلمون النّاس بالشّرك المخالف لدينهم. و هذا خاص بالمشركين.

٣- عن ابن عبّاس : أى إنّما المـاثم على الّذين يظلمون النّاس بغير قصاص،يبتدؤنهم بالإضرار و يطلبون مالا يستحقّونه تجبّراً عليهم، فيأخذون ما ليس لهم و يتعدّون عليهم أنواع التعدّي والظلم و البغي.

٤- قيل: أى إنّمااللوم و العتاب على من انتصر من بعد ظلمه، فجاوزالحدّ، و انتهى به ذلك إلى أن يكون من الظّالمين الباغين، فهؤلآء لهم عذاب أليم هو قصاص من العدل الإلهيّ ينتصف فيه تعالى للمظلوم من ظالمه. و المعنى:إنماالسّبيل كلّه على الظّالمين في الإنتقام منهم للمظلومين.

أقول: و التّعيم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، فالسّبيل على كلّ من تلبّس بالظّلم.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويبغون في الأرض بغير الحقّ» أقوال: ١- قيل: أى في النّفوس والأموال. ٢- عن مقاتل: بغيهم: عملهم بالمعاصي ... والمعنى: ويعصون في الأرض.

٣- قيل: هو مايرجوه كفّار قريش أن يكون بمكّة غير الإسلام ديناً فهذا لمشركي مكّة خاصّة.

٤- قيل: هذا عام يشمل الّذين زلزلوا الأمن العالمي بأسلحتهم الجهنميّة،و أرهبوا الدّنيا بطغيانهم و جبروتهم، و أسآؤا إلى الأُمم بدسآئسهم ومطامعهم.

٥- عن ابن عبّاس: أى يتطاولون في الأرض بلا حقّ يكون لهم.

أقول: و التعميم هو الأنسب بظاهر السّياق كالسّابق فتأمّل جيداً.

٤٣- (و لمن صبر وغفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى ولمن صبر على مظلمته، فلم ينتصر و تجاوز ولم يقتصّ ولم يكافيء به،إنّ ذلك الصّبر و التجاوز لمن خيرالامور.

۲- قیل: أی و لمن صبر عن الإنتصار من غیر انتقام و لا شکوی، و سترالسیّئة فقد فعل ما یشکر علیه و یستحقّ به الأجر و جزیل الثّواب، وذلك من حزم الامور.

۳- قیل: أی ولمن صبر علی الظّلم و الأذی، وغفر ولم ینتصر إنّ ذلك الصّبر و المغفرة منه لمن معزومات الامور أی المطلوبات شرعاً.

٤- قیل: أی لمن صبر و تحمّل المشقّة في رضآءاللّه وغفر فلم ینتصر لوجهاللّه، إنّ ذلك الصّبر و تحمّل المشقّة والغفران لمن ثابت الامور الّتي أمرالله تعالی بها، فلم تنسخ، وهذا فیمن ظلمه مسلم.

٥- قیل:إن عزم الامور هو الأخذ بأعلاها في باب نیل الثّواب و الأجر،و احتمال الشّدآئد علی النّفس و ایثار رضاالله علی ما هو مباح.

٦- قیل: أی و لمن صبر عن المعاصي وستر علی المساویء إنّ ذلك لمن عزم الامور أی من عزآئم الله الّتي امربها ومن واجبات الامور و کمال النفس و صفات الرّبّ و کرائم الاخلاق.

۷- قیل: أی من عزآئم الصّواب الّتي وفق لها. و إنّ هذه الآیات في المشرکین، وکان هذا في ابتدآء الإسلام قبل الأمر بالقتال، ثمّ نسختها آیة القتال.

۸- قیل:أی و لمن صبر علی إسآءة من أسآء إلیه، و غفر للمسيءِ إلیه جرمه إلیه،فلم ینتصر منه وهو علی الإنتصار منه قادر،إبتغآء وجه الله و جزیل ثوابه، إنّ صبره هذا و غفرانه ذنب المسئ إلیه لمن عزم الامور الّتي ندب تعالی إلیها عباده وعزم علیهم العمل به، فإنّ التّحلّي بالصّبر والغفران و الإغضآء خلق عظیم،و مزّیة کبری علی کلّ حال.

۹- قیل: أی و لمن صبر، و لم یکن صبره علی الظلم، و لا ترك الإنتصار علی الظّالم ظلماً و غفرله إذاکان ترك الإنتصار وکان الغفران سبباً لتوبة الظالم و تخجیله حتیّ یکفّ عن ظلمه، إنّ هذا النّوع من الصّبر والغفران لصنیعة حسنة.

و ذلك أنّ للمظلوم ثلاث حالات: أحدها- أن یکون أقوی ممّن ظلمه، فإذاً هو یعفوه و یغفرله إذاکان عفوه و غفرانه عن قدرة سبباً لندامة الظّالم و توبته إلی الله تعالی

عن ظلمه، و أدآءِ الحقّ إلى المظلوم، و إلى ذلك أشار تعالى بقوله: «ولمن صبر و غفر ...».

ثانيها- أن يكون أضعف من ظالمه،و كان صبره سبباً لتقوية الظّالم فـإذاً هـو ينتصر، و إليه أشار بقوله:«و الّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون» حيث إنّ الصـبّر على الظّلم تخاذل و تقوية للظّالم.

ثالثها- أن يكون الظّالم و المظلوم على حدّ سوآء،فاذاً يكون الصّبر والغـفران حسب إحدى المصلحتين، فقد يكون الصّبر راجحاً غير واجب كما قد يكون محّرماً او واجباً حسب مختلف الظّروف و المقتضيات ...

والآية الكريمة تعقيب على قضيّة عامّة تنتظم النّاس جـميعاً،فـهم بـين ظـالمين معتدين، و منتصفين من الظّالمين المعتدين ... و هذا يعني أنهم في حرب متّصلة لا تنقطع أبـداً، يـوقد الظّـالمون المـعتدون نـارها، ويـزيدها المـظلومون المـعتدى عـليهم ضراماًبالاشتباك في صراع مع من ظلمهم و اعتدى عليهم، و هذه فتنة و ابتلاءللنّاس، و أنّه إذاكان من حقّ المظلومين أن ينتصفوا من ظالميهم، فإنّ عليهم أن يذكرواأنّهم في وجه فتنةو ابتلآء،و أنّه من الحكمة أن يعالجوا الأمر برفق، و أن يأتـوا إليـه لإطـفآء نـاره لالتأجّجها، و هذا أمر متروك لتقدير الانسان على أن لايخرج به الحال أبداً إلى الظّلم و البغي، فإن شآء صبر و عفاو إن شآء انتصف و انتصر.

أقول: و التّاسع هو الأنسب بالجمع بين ظاهر السّياق.

٤٤- (ومن يضلل الله فماله من وليّ من بعده و ترى الظّالمين لمّا رأوا العـذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل)

في قوله تعالى:« ومن يضلل الله فماله من وليّ من بعده»أقوال: ١- في تـفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي و هو من أعلام العامّة فيقول:«هذا فيمن أعرض عـن النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم فيما دعاه إليه من الايمان بالله و المودّة في القربى، ولم يصدّقه في البعث، و أنّ متاع الدّنيا قليل، أى من أضلّه الله عن هذه الأشياء فلا يهديه هـاد» إنتهى كلامه.

أقول: و من المعلوم أنّ القرطبي يريد أنّ الإعراض عن دعوة رسول الله صلى الله

عليه و آله و سلمّ إلى الايمان،و إلى المودّة في القربى،و إلى الايمان بالمعاد، و أنّ حبّهم للدّنيا و شهواتها كلّها سبب لإضلالهم، و لولا إعراضهم عن الدّعوة – و منشأ الإعراض هو حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة – لما أضلّهم الله تعالى، وهذا معنى حديث الثّقلين: «ما إن تمسّكتم. بهما لن تضلّوا بعدى أبداً» حيث إنّ الإعراض عن التمسّك بهما هو سبب الضّلالة قطعاً. وهذا ممالا يرتاب فيه إلاّ من كان مريض القلب و خبيث الولادة، و إن بلغ من العلم باصطلاحات مختلقة ما بلغ،وإن ادّعى من الطّهارة ما ادّعى.

٢- قيل: أى من سلك طريق الضّلال بفعل محرّم أو ترك واجب بسوء إختياره حقّت عليه كلمة الله بأنّه من الضّالّين، و عاقبه على كفره و ضلاله،و لا يجدله ناصراً ينصره.

٣- قيل : و من يضلله الله عن رحمته و جنّته،فماله من معين سواه تعالى.

٤- قيل: من عذّبه الله عقوبة له على عناده وجحوده، فماله من وليّ يلي أمره و يدفع عنه عذاب اللّه.

عن إبن عبّاس: أى و من يضلل اللّه عن دينه فماله من مرشد من غيرالله.

٦- قيل: أى من يضلل الله عن طريق الجنّة إلى عذاب النّار فليس له ناصر ينصره عليه، و يرفعه عنه من بعد ذلك بالتّخليص منه.

٧- قيل: أى من يحكم الله بضلاله،و سمّاه ضالاً عن الحقّ فماله من وليّ يلي أمره،و لا ناصر يحكم بهدايته ويسمّيه هادياً.كقوله تعالى:« و من يضلل فلن تجدله و ليّاًمرشداً» الكهف:١٧).

٨- قيل:إنّ الله تعالى لمّا ذكر المؤمنين بأوصافهم، و أنّ لهم عندالله رزقهم المدّخر لهم، وفيه سعادةعقباهم الّتي هداهم الله إليها إلتفت إلى غيرهم و هم الظّالمون الآئسون من تلك الهداية الموصلة إلى السّعادة، المحرومون من هذا الرّزق الكريم، فبيّن أنّ الله تعالى أضلّهم لكفرهم و تكذيبهم،فلا ينتهون إلى ما عنده من الرّزق،و لايسعدهم به،و ليس لهم من دونه من وليّ حتىّ يتولّى أمرهم، ويرزقهم ما حرّمهم الله من الرّزق، فهم صفر الأكفّ يتمنّون عند مشاهدة العذاب الرّجوع إلى الدّنيا ليعملواصالحاً فيكونوا

أمثال المؤمنين.

أقول: و الأوّل هو المستفاد من السّياق،و المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمين.

وفي قوله عزّوجلّ: «و ترى الظالمين لمّا رأوا العذاب» **أقـوال:** ١- قـيل: أى و ترى يا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم الكافرين لمّا رأوا عذاب جهنم.

٢- قيل: أى و ترى الظالمين يا محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم إذا شاهدوا عذاب النّار لقوله تعالى: «و لو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا ياليتنا نرّد و لا نكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين – و لو ترى إذ وقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحقّ قالوا بلى و ربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الانعام: ٢٧-٣٠).

٣- قيل: و ترى أيها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم كلّ من تلبّس بالظّلم حين رأوا العذاب عند الموت.

٤- قيل: أى و ترى أيّها المؤمنون الصّابرون هؤلآء الظّالمين لمّا رأوا العذاب يوم القيامة و أهواله، تمنّوا الخلاص منه.

٥- عن ابن عبّاس:أى و ترى يا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم المشركين من أبي جهل و أضرابه يوم القيامة حين رأوا العذاب.

٦- قيل: أى و ترى يا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و يرى كلّ من هو رآء، الّذين ظلموا لمّا رأوا العذاب، فيتمنون الرجوع إلى الدنيا بعد اليأس عن السعادة و مشـاهدة العذاب يقولون: هل لنا طريق من ردّنا إلى الدّنيا.

٧- قيل: أى و ترى أيّها النّبى صلى اللّه عليه و آله و سلم و من اتّبعك حقاً هؤلاء الظالمين و الباغين الّذين ظلموا آل محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم و غصبوا حقّهم، و فرّقوا دينهم مذاهب شتّى ... و كانوا يصدّون النّاس عن سبيل الله و يبغونها عوجاً: «الّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة و يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» ابراهيم: ٣) تراهم حين رأوا العذاب يوم الحشر و الحساب، و هو علي ابـن ابيطالب عليهاالسلام و قدسمّي عليه‌السلام عذاباً لأنّه عليه‌السلام قسيم الجنّة و النّار.

أقول: و السّابع هو المروي عن اهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و في قوله جلّ و علا: «يقولون هل إلى مردّ من سبيل» أقوال: ١- عن السّدي: هل لنا من طريق لرجو عنا وردّنا إلى الدّنيا. تمنّيا منهم لذلك، فهم يطلبون أن يردّوا إلى الدّنيا ليعملوا بطاعة الله، فلا يجابون إلى ذلك. و الجواب: هل يعود ما فات من العمر؟

٢- عن ابن عبّاس: أى هل إلى رجوع إلى الدّنيا من حيلة.

٣- قيل: أى هم يقولون في عالم البرزخ: هل لنا من سبيل رجعة إلى الدّنيا.

٤- قيل: إن الظّالمين لمّا رأوا العذاب و هم بين الموت و الحياة يقولون: هل لنا عودة إلى الحياة الدّنيا من سبيل لنعمل عملاً صالحاً غير الّذي كنّا نعمل: «حتّى إذا جآء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاّ انّها كلمة هو قائلها و من و رآئهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون:٩٩-١٠٠)

كما أنّهم يقولون ذلك حين يدخلون الجحيم: «و هم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل» فاطر: ٣٧).

أقول: و على الأول جمهور المحقّقين و هو الأنسب بظاهر السّياق.

٤٥-(و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم)

في قوله تعالى: «و تراهم يعرضون عليها» أقوال: ١- قيل: أى و ترى أيضاً أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم و من تبعك من المؤمنين هؤلآء الظّالمين و الباغين، حين يعرضون يوم القيامة على النّار و قسيمها.

٢- قيل: أى و ترى المشركين جميعاً حين يعرضون على جهنّم عند انطلاقهم إليها.

٣- عن ابن مسعود: أى و ترى آل فرعون خصوصاً، تحبس أرواحهم في أجواف طيرسود تغدو على جهنّم و تروح فهو عرضهم عليها. ٤- عن ابي الحجاج: اى و ترى

مشركي مكّة، تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم، و يعرضون على العذاب في قبورهم.

٥- قيل: اى و ترى الكّفار عامّة.

أقول: و الأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، و عليه أكثر المحققين، من دون تناف بينه و بين غيره من الأقوال.

و في قوله عزّوجلّ: «خاشعين من الذّلّ» أقوال: ١- عن ابن عباس: أى و تراهم ذليلين من الحزن. الخشوع بمعنى الهوان.

٢- قيل: أى خاضعين متواضعين متذلّلين متضائلين ممّا يلحقهم من الذّلّ.

٣- قيل: أى ساكنين ساكتين في حال العرض بما قدّمت أيديهم. عن ابن زيد: الخشوع: الخوف و الخشية لله تعالى قد أذلّهم الخوف الّذي نزل بهم و خشعواله. و المعنى: و تراهم خاشعين في مهانة و ذلّة و ضراعة ... قبل دخولهم في النّار.

أقول: و المعاني متقارب و المآل واحد.

و في قوله جلّ و علا: «ينظرون من طرف خفيّ» أقوال: ١- عن ابن عبّاس و مجاهد: أى هؤلاء المشركون ينظرون اليك أيها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم بطرف ذابل ذليل. و الخفي بمعنى الذّليل. و صفه الله بالخفآء للذلّة الّتي قدر كبتهم حتّى كادت أعينهم أن تغور و تذهب.

٢- قيل: أى و ينظرون إلى النّار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا، و عين قلب، طرف خفي. و الطّرف الخفيّ بمعنى البصيرة بنآءً على أنّ الكفّار و الظّالمين يحشرون يوم القيامة عمياء فلا ينظرون إلاّ بقلوبهم ... قال الله تعالى: «يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى» الاسراء:٧٢). و قال: «و من أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة أعمى» طه:١٢٤) فإذا لم يكن لهم بصر فينظرون إليها بقلوبهم.

قيل: لايكون لهم بصر حين الحشر و لكن لهم بصر قبل الحشر في سكرة الموت و في البرزخ أو يسمح له أن ينظر من طرف خفيّ يوم القيامة عذاباً فوق العذاب لفترة، كما يحشر أعمى عذاباً فوق العذاب أو أنّ حشرهم عمياً لا يعنى إلاّ حشرهم و لفترة و أمّا

أن يضلوا عمياً فلا كما قال تعالى: «و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صمّاً» الاسرآء:۹۷) فلو كانوا بكماً و صمّاً دوماً فكيف التساؤل و التّخاصم و السؤال و الرؤية و المقالة و الشهادة و التبرّى و المحاجّة ... قال الله تعالى: «وقفوهم إنهم مسئولون - و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون» الصّافات:۲٤-۲۷) و قال: «و قالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار - إنّ ذلك لحق تخاصم أهل النّار» ص:٦۲-٦٤) و قال: «ورأ المجرمون النّار فظنّوا أنهم مواقعوها» الكهف:۵۳) و قال: «يومئذ يصدر النّاس أشتاتاً ليروا أعمالهم» الزلزال:٦).

۳- عن قتادة و محمد بن كعب: أى ينظرون إلى نار جهنم من طرف خفيّ فيسارقون النّظر إليها أى يبتدأ نظرهم من تحريك ضعيف لأجفانهم، و هو ضعيف فانّ النّاظر إلى المكاره المهولة لايقدر أن يفتح أجفانه عليها، فمن ابتلى بالمكاره المهولة ينظر إليها من طرف خفيّ بمسارقة، فهو لايريد أن ينصرف فيغفل عنها، و لا يجترئ أن يمتلئ بها بصره كما ترى المصبور ينظر إلى السّيف لا يملأ أجفانه منه كما يفعله النّاظر إلى ما يحبّه.

٤- عن الأخفش: اى ينظرون من عين ضعيفة النّظر. أى ضعيف من الذّلّ و الخوف. فالباء بمعنى «من».

۵- عن قتادة أيضاً و الحسن و السّدى و سعيدبن جبير: أى خفي النّظر لما عليهم من الهوان يسارقون النّظر إلى النّار خوفاً منها و ذلّة في نفوسهم كأنّهم ينظرون من عين لا تفتح كلّها، فهم ينظرون ببعضها في النّار، لأنهم لايجترؤن أن ينظروا إليها بجميع أبصارهم، فيفزعون لما يرون من هول النّار و ألوان العذاب و أنواع العقاب ... فيسترقون النّظر إلى جهنّم و فرائصهم ترتعد من شدّة الخوف، و من قبل كانوا بها يستهزؤن.

٦- قيل: أى لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعاً تامّاً لأنهم ناكسو الرّؤوس. و العرب تصف الذّليل بغضّ الطّرف كما يستعملون في ضدّه حديد النّظر إذا لم يتّهم بريبة، فيكون عليه منها غضاضة.

۷- قيل: أى ينظرون من طرف خفي على يأس إلى أيّة بارقة للخلاص من أهوال القيامة و عذاب النّار و لات حين مناص، فالطّرف ضربان:

أحدهما: جليّ حين ينظر المحسنون إلى رحمة الله كما وعدوها: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» الاعراف:٥٦)

ثانيهما: خفيّ حين ينظر الظّالمون و الباغون الآيسون من رحمة الله و قد منعوها قال الله تعالى: «اولئك يئسوا من رحمتي» العنكبوت:٢٣) كما أنهم ينظرون إلى جهنّم الّتي عرضوا عليها من طرف خفيّ مغبّة ألاّ يدخلوها، و هم داخلون، ولا يجترؤن أن يمتلؤوا أبصارهم بها، فيخفون طرفهم كيلايروها، و هم فيها داخلون، فإنّ نظرهم نظر المخالف الذّليل و المرتاب الظنين، فهو لاينظر إلاّ مسترقاً و لا يغض إلاّ مشفقاً من عظيم الخيفة و توقع العقوبة. فهنالك تتهاوى كبريآئهم إلى هوات النّار إياساً من خلاص مع كلّ لهفة و انهيار، منكّسي الرّؤوس و الأبصار إلى جهنّم يصلونها و بئس القرار.

أقول: و على الخامس أكثر المفسّرين و في معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله سبحانه: «و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة» أقوال: ١- عن ابن عبّاس و السّدى: أى يقول المؤمنون في الجنّة لمّا عاينوا ما حلّ بالكفّار و المشركين: إنّ الخسران في الحقيقة ما صار إليه هؤلآء فإنّهم غبنوا أنفسهم لأنّهم في العذاب المخلّد بكفرهم و شركهم، و خسروا أهليهم و خدمهم في الجنّة لأنّ الأهل و الخدم إن كانوا في النّار فلا انتفاع بهم، و إن كانوا في الجنّة فقد حيل بينهم و بينهم. فالخاسرون في الحقيقة هم الّذين فوّتوا أنفسهم الإنتفاع بنعيم الجنّة، و خسروا اهليهم و أولادهم و أزواجهم و أقاربهم إذ حيل بينهم و بينهم و أهليهم من الحور العين. و قيل: خسران الأهل أنّهم لو آمنوا لكان لهم أهل في الجنّة من الحور العين.

٢- قيل: يقول المؤمنين يوم القيامة لمّا عاينوا ما حلّ بمشركي مكّة: إنّ الّذين خسروا أنفسهم بحرمانها عن النّجاة من نار جهنم، و خسروا أهليهم إذ فرّق بينهم و بين أحبّائهم و ذوي قراباتهم و أصحابهم ...

٣- قيل: أى قال المؤمنون هذا القول للظّالمين في الحياة الدّنيا ناصحين لهم.

٤- قيل: أى يقول المؤمنون الصّادقون يوم القيامة حين عاينوا ما حلّ بهؤلآء

الظّالمين و الباغين، و أتباعهم السّفلة و أهليهم الفجرة من العذاب و الخلود في النّار: إنّ الخاسرين في الحقيقة هم الّذين خسروا أنفسهم الّتي تستعدّ لنيل الكمال و السّعادة و الفلاح و الصّلاح و للتنعّم من نعيم الجنّة خسروها بالظّلم و العدوان و البغي و الطغيان، فانحطت و شقت و حرمت عليها الجنّة و نعيمها، و استحقت للنّار و عذابها، و خسروا أتباعهم و أهليهم بالإضلال و الإغوآء، فانحطّوا و شقوا و حرمت عليهم الجنّة و نعيمها باتباعهم هؤلاء العتاة الظّلمة، و القادة الباغية، و البغاة الفجرة ...

٥- قيل: أى و يقول المؤمنون حين يعرضون على الجنّة ناظرين إلى أهل النّار.

وقيل: ليس المراد بالمؤمنين جميعهم كائنين من كانوا، بل هم كاملون منهم، مأذون لهم في الكلام، ناطقون بالصّواب محضاً لأصحاب الأعراف و شهدآء الأعمال قال الله تعالى: «يوم يأت لا تكلّم نفس إلاّ بإذنه» هود:١٠٥) و قال: «لا يتكلّمون إلاّ من أذن له الرّحمن و قال صواباً» النّبأ:٣٨)

أقول: و الرّابع هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و في قوله تعالى: «ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: الظّالمون: أبوجهل و أصحابه ... ٢- قيل: هم المشركون عامّة. ٣- قيل: هم الكافرون. ٤- هم هؤلآء الظالمون و الباغون سبق ذكرهم آنفاً. ٥- قيل: هم كلّ من تلبّس بالظّلم، مشركاً عنوداً كان أو كافراً جحوداً أو مسلماً.

أقول: و التّعميم و إن كان غير بعيد، و لكن الرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً و لا تغفل.

٤٦-(و ما كان لهم من أوليآء ينصرونهم من دون الله و من يضلل الله فماله من سبيل)

في قوله تعالى: «و ما كان لهم من أولياء ...» أقوال: ١- قيل: هذا من قول المؤمنين في الدار الآخرة.

٢- قيل: هذا قول المؤمنين في الحياة الدّنيا ينصحون به الظّالمين و ينذرونهم لأنّ

المؤمنين كانوا على يقين بأنّ الظّالمين لا نصير لهم و لا مدافع عنهم في هذا اليوم.

٣- قيل: هذا قول الله تعالى على سبيل الإخبار بأنّ الظّالمين لا يكون لهم اولياء فيما عبدوه من دون الله، و لا فيمن أطاعوه في معصية الله تعالى، فليس لهم أنصار ينصرونهم من دون الله، و لا أعوان يرفعون عنهم عقابه، فلا ينفعهم من عبدوه من دون اللّه، ولا من أطاعوه في معصية الله جلّ و علا حسبما كانوا يرجون ذلك في الحياة الدّنيا من أربابهم و طواغيتهم...

٤- قيل: إنّ الملائكة يوم القيامة ينادي على ذلك.

أقول: و لكلّ وجهٌ، و التّعميم هو الأوجه فتأمّل جيّداً.

و في قوله عزّو جلّ: «و من يضلل الله فما له من سبيل» أقوال: ١- قيل: أى من يضلل الله بسبب ظلمه و بغيه، بكفره و ضلاله بسوء اختياره، فماله من طريق يصل به إلى الحقّ و الهدى في الحياة الدّنيا، و إلى الجنّة و نعيمها في الآخرة لأنّه قد سدّت عليه طريق النّجاة بسوء اختياره.

٢- قيل: أى فماله من سبيل إلى الخلاص من العذاب.

٣- عن ابن عبّاس: أى و من يضلل الله عن دينه مثل أبي جهل و أضرا به فماله من دين و لا حجّة.

٤- قيل: أى من أضلّه الله عن طريق الجنّة، و عدل به إلى النّار فماله من سبيل يوصله إلى الجنّة و الثّواب.

٥- قيل: أى و من يحكم الله بضلاله و يسمّيه ضالاً لم يكن لأحد سبيل إلى أن يحكم بهدايته.

٦- قيل: أى و من يضلل الله عن سبيله لكفره و تكذيبه بسبيله، فلا سبيل له يهتدي به إلى سعادة العقبى و التّخلّص من العذاب و الهلاك إذ لا سبيل إلى السّعادة إلاّ سبيل‌الله الّذي شرعه لعباده من طريق الوحي و الرّسالة.

أقول: و الأوّل هو الانسب بظاهر السّياق و في معناه بعض الأقوال الأُخر.

٤٧- (إستجيبوا لرّبكم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجاء

يومئذ و مالكم من نكير﴾

في قوله تعالى: «استجيبوا لرّبكم» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى أجيبوه بالتّوحيد و العبادة. و الخطاب لمشركي مكّة. ٢- قيل: أى تزوّدوا من طاعة الله تعالى ليوم لا مناص و لا مفرّ لكم منه. و الخطاب للمسلمين. ٣- قيل: أى استجيبوا أيّها النّاس في كلّ ظرف إذا دعاكم الله بلسان رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى الايمان بالله تعالى و العمل بما جآءكم به.

٤- قيل: أى أجيبوا داعى ربّكم يعنى محمداً فيما دعاكم إليه من الايمان به ورغّبكم فيه من المصير إلى طاعته و الانقياد لأمره واستجاب و أجاب بمعنى.

٥- قيل: أى استجيبوا أيّها الظّالمون و الباغون على النّاس في الأرض، استجيبوا لربكم فيما دعاكم رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إليه من المودّة في القربى، فاتبعوه على ما جآءكم به من عند ربكم. ٦- قيل: أى أجيبوه إذا دعاكم إلى ما فيه خيركم و سعادتكم، و صلاحكم و نجاتكم.

أقول: و الخامس هو الأنسب باستمرار الخطاب: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و ظاهر السّياق.

و في قوله تعالى: « من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من اللّه «أقوال: ١- قيل: أى من قبل أن يأتيكم يوم العذاب المستأصل في الحياة الدّنيا؛ لا مانع لهذا اليوم من عذاب الله، فلا ينفع الايمان عند رؤية البأس، لأنّ الاستجابة حينئذ قسريّ، خوف البأس لا تنفع: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا» غافر: ٨٤-٨٥).

٢- عن الجبآئي أى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ردّه و دفعه، إذ لا يتهيّأ لأحد ردّه. ف «من اللّه» متعلّق ب «يأتى» ٣- عن ابن عبّاس: أى لا مانع له من عذاب الله. ٤- قيل: أى من قبل أن يأتي يوم الموت لا رجوع بعده إلى الدّنيا. ٥- قيل: أى من قبل أن يأتي يوم البرزخ لا مردّ لهم فيه إلى الحياة الدنيا.

٦- قيل: أى من قبل أن يأتيكم يوم القيامة لا يردّه الله بعد ما حكم به وجعله

أجلاً و وقتاً، فلا يردّ أحد، مجيئه إذا جآء الله به، فلا مرجع بعد ما حكم به.

٧- عن أبي مسلم: أي يوم لايردّ و لا يؤخّر عن وقته و هو يوم الموت: «ولن يؤخرّ الله نفساً إذا جآء أجلها» المنافقون: ١١)

٨- قيل: أي يوم لاردّله من قبل الله أى انّه مقضيّ محتوم لايردّه الله البتّة، فهو في معنى ما تكرّر في كلامه تعالى من وصف يوم القيامة بأنّه لا ريب فيه. ٩- قيل: أى من قبل أن يأتيكم الخزي و الهوان، والفشل و ذهاب الرّيح و الذّلّة و الإنحطاط بسبب رفضكم المودّة في القربى و بغضكم و عداوتكم لهم ...

١٠- قيل: أى من قبل أن يأتى يوم البعث و النشور.

١١- قيل: أى من قبل أن يأتي يوم الحساب و الجزآء.

أقول: و التّاسع هو الأنسب بظاهر السّياق.

و في قوله عزّ و جلّ: «مالكم من ملجأ يومئذ» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى مالكم من نجاة يومئذ من عذاب الله. **٢- عن مجاهد:** أى من محرز تلوذون به. **٣- عن السّدى:** أى من معقل يعصمكم من العذاب، و لا يكون لكم يومئذ من ملجاء تلجئون إليه فينجيكم من العقاب. **٤- قيل:** أى مالكم ملاذ غير المودّة في القربى تلجئون إليه و تعتصمون به من الخزى و الإنحطاط، و الذّلّة و الهوان النّازل بكم على رفضكم المودّة في القربى فإنّها وحدها وسيلة تقرّبكم إلى الله جلّ و علا إذ قال: «و ابتغوا إليه الوسيلة» المائده: ٣٥).

أقول: و الرّابع كالتّاسع السّابق فتأمل جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تكن من الغافلين، فإنّ المقام مزلّ الأقدام ...

و في قوله جلّ و علا: «و ما لكم من نكير» أقوال: ١- عن مجاهد: أى و ما لكم من ناصر ينصركم من عذاب الله فيدفعه عنكم. **٢- عن الكلبي و الزّجاج:** أى و مالكم من نصير منكر لما يحلّ بكم. فالنّكير بمعنى المنكر كالأليم بمعنى المؤلم. و المعنى: لاتجدون يومئذ منكراً لما ينزل بكم من العذاب، أو ينكر لما يحدث من الامور و يعترض عليها، و لا أنتم تقدرون على أن تنكروا الذّنوب الّتي توقفون عليها بل تعترفون بها كاملة لما دوّن

في صحآئف أعمالكم، و لظهور ما صدر منكم من كلّ جهة، فليس لكم من مخلص و لا مفرّ ان تجحدوا لما اقترفتموه. فالنكير بمعنى الانكار.

٣- عن ابن عبّاس: أى ليس لكم يومئذ من معين يعينكم.

٤- قيل: النكير بمعنى التغيير من العذاب.

٥- قيل: النكير: تغيير الذّنوب. و النكير و الإنكار: تغيير المنكر. و المعنى: و ما لكم من ينكر علينا حتّى يغيّر شيئاً من أحوالكم، و لا أنتم تقدرون لما يحّل بكم من عقابه يومئذ على تغيير و لا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به.

٦- عن السّدى: أى و مالكم من عزّ تعتزّون به.

٧- قيل: أى و ما لكم، و لا تقدرون يومئذ أن تنكروا لما تركتموه من المودّة في القربى، و أعرضتم عن أوليآء الله جلّ و علا، و لما اتخذتم الشّيطان و ذرّيّته أوليآء لكم من دون الله.

أقول: و السّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

٤٨- (فإنّ أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ و إنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور)

في قوله تعالى: «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى فان أعرض هؤلآء المشركون عن استجابة دعوة الله تعالى إيّاهم إلى الايمان بالله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و لم يعتنوا بذلك فلم يحفظوا أنفسهم عن الكفر اختياراً فما ارسلناك أيها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم إليهم لتكون عليهم حفيظاً مهيمناً تمنعهم عن الشرك بالله و الكفر برسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و تكذيب كتابه، و تقهرهم على الاستجابة فتوافق المطلوب منهم و لا حافظاً لأعمالهم حتّى تحاسبهم عليها.

٢- قيل: أى فإن أعرض الكفّار عامة عن الايمان بالله و العمل بكتابه، فما أرسلناك موكّلا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا إذ ليس لك اكراههم على الايمان فما عليك إلاّ التبليغ عن الله.

۳- قيل: أى فإن أعرض هؤلآء الظّالمون المضلّون و الباغون المنحرفون وأتباعهم عن الدّعوة إلى المودّة في القربى و عدلوا عنها، فلست مأموراً بحفظهم لئلاّ يخرجوا عمّا دعوتهم إليه كما يحفظ الرّاعي غنمه لئلا يتفرّقوا فلا تحزن لإعراضهم عن الإستجابة لدعوتك إياهم إلى الولاية لأهل بيتك المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إذلست مسئولاً عنهم و ضامناً لإستجابتهم إذا هم ظلّوا على ظلمهم و بغيهم و إعراضهم عن الإستجابة، ليس عليك إلاّ الإنذار و البلاغ و ايصال المعنى إلى أفهامهم و البيان لما فيه خيرهم و رشدهم و صلاحهم و كمالهم و سعادتهم و نجاتهم ....

أقول: و الثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

و في قوله عزّ و جلّ: « و إنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها ...» أقوال: ۱- قيل: اريد بالإنسان الكافر فيشمل لأهل الغفلة كلّهم. و المعنى: و إنّا إذا أذقنا من كفر بالله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم بلطفنا رحمة و هى النّعمة من الصّحة و الغنى و الأمن و الأموال و الأولاد و الجاه و الرئاسة و ما إليها من متاع الدّنيا، فرح بها و اغترّ و بطر لأجلها، و يظنّ أنّه بهذا القدر من متاع الدّنيا نال بكلّ المنى، و وصل إلى أعلى درجات السّعادة، و إن وردت عليهم سيّئة تسؤهم من الفقر و المرض و الخوف و ما إليها بسبب ما ارتكبته جوارحهم من المعاصي و الآثام ... فإنّ الكافر لإستعظامه تلك البليّة ينسى النعّم الإلهيّة لأنّه بالطبع يبالغ في الكفر و الكفران.

۲- قيل: إنّ المراد بالإنسان جنسه بصورة عامّة، فمن شأن هذا الجنس أى آدم و من دونه ذلك: إذا منحه الله تعالى نعمة بطر و فرح و اغتر و نسى الله عزّ و جلّ و إذا أصابته سيّئة، بسبب آثامه و أخطآئه يئس و كفر إلاّ إذا أدّب نفسه بالإيمان و التّقوى و صالح الأعمال...

۳- قيل: اريد بالإنسان مشركو مكّة و المعنى: فانّا إذا أذقناهم منّا و أوصلنا اليهم عافية و صحّة و رخآء بطروا و أعجبوا بها غير شاكرين لها. على أنّ المراد بالفرح هنا: ما قارنه أشرأو جحود أو إنكار لأنّه خرج مخرج الذّمّ، و إن تصبهم بلاء و شدّة و نقمة و قحط أو فقر و مرض أو غير ذلك ممّا يسؤهم بسبب ما قدّمت أيديهم من الشّرك و

الطغيان... فإنّ هؤلآء المشركين بليغ الكفران بنعمة الله عليهم الّتي لاتعدّ و لا تحصى، فيعدّون المصائب و يذكرونها، و ينسون النّعم كلّها. ٤- قيل: إنّ المراد بالإنسان المجرمون المشتغلون بالدّنيا عن الآخرة، فانّهم بسبب إشتغالهم بمتاع الدّنيا و شهواتها حليف الغفلة، إن ذكرّوا بنعمة اللّه من الصّحة والأمن والغنىٰ والعافية و نحوها الّتي يوتونها صرفهم الفرح بها عن ذكرالله، و إن ذكّروا بمصيبة من القحط و المرض و الفقر و المخاوف ... تصيبهم بما قدّمت أيديهم شغلهم الكفران عن ذكر ربّهم، فهم في غفلة عن ذكر ربّهم في نعمة كانت أو في نقمة، فكاد أن لا تنجح فيهم دعوة و لا تنفع فيهم موعظة.

٥- عن ابن عبّاس: إنّ المراد بالإنسان هو أبوجهل و أضرابه بانّا إذا أوصلنا إليهم نعمة فرحوابها، و إن تصبهم سيئة عقوبة جزآء بما قدمته أيديهم من المعاصي...

٦- قيل: اريد بالإنسان هؤلآء الظّالمون المضلّون، و الباغون المنحرفون، و أتباعهم في كلّ ظرف الّذين أعرضوا عن الإستجابة لربّهم فيما دعاهم بلسان رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم من المودّة في القربى.

أقول: و السادس هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً و اغتنم جداً فلا تكن من الغافلين فإنّ المقام مزلّ الأقدام عصمنا الله منه بعصمة محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٩- (لله ملك السّموات و الأرض يخلق ما يشآء يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أى لله خزائن السّموات و الأرض: المطرو النّبات، يخلق ما يشآء كما يشاء يهب لمن يشآء إناثاً مثل لوط إذ لم يكن له ولد ذكر، وإنّما ولد له ابنتان، و يهب لمن يشآء الذكور كابراهيم إذ لم يكن له اثنى، بل ولدله ثمانية ذكور.

٢- قيل: أى هو مبدع الكون و مالكه، يخلق ما يشآء ما كان، و ما لم يشأ لم يكن.

٣- قيل: أى لله التّصرّف في السّموات و الأرض و فيما بينهما و سياستهما بما تقتضيه الحكمة، يخلق ما يشآء من أنواع الخلق، يهب لمن يشآء من خلقه إناثاً فلا يولدله

ذكر معهنّ، و يهب لمن يشآء البنين فلا يولدله انثى معهم.

٤- قيل: أي لله سلطان السّموات السّبع، و الأرضين السّبع يفعل في سلطانه ما يشآء و يخلق ما يحبّ خلقه، يهب لمن يشآء من خلقه من الولد الاناث دون الذكور بأن يجعل كلّ ما حملت زوجته من حمل منه انثى، و يهب لمن يشآء الذّكور بأن يجعل كلّ ما حملته امرأته ذكراً لا انثى فيهم.

٥- قيل: قوله تعالى: «يهب لمن يشآء» يعنى كلّ ولادة، و لادة بأن تكون في ولادة انثى، و في ولادة ذكر، فتولد المرأة مرّة انثى، و. مرّة ذكراً.

٦- قيل: اريد بالإناث، الدنيا، و بالذكور، الآخرة فالمعنى: يهب لمن يشآء دنياً، و يهب لمن يشآء آخرة.

أقول: و الرّابع هو المرويّ.

٥٠- (أويزوّجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشآء عقيماً انّه عليم قدير)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس و قتادة و ابن زيد و السّدى و الضّحّاك: أى يخلط بينهم التّزويج بأن تلد المرأة غلاماً، ثمّ تلد جارية، ثمّ تلد غلاماً، ثمّ تلد جارية، و هكذا فيهب لمن يشآء ذكراناً و إناثاً، فاعطى كلا الجنسين حقّه، و يجعل من يشآء عقيماً لا يولدله.

٢- عن سعيد بن جبير: أى يجمع لمن يشآء كلا الصّنفين: الذّكر والانثى، سوآء كانا متساويين في العدد أم لافيجمع الله تعالى لهم بين البنين و البنات. تقول العرب: زوّجت إبلي أى جمعت بين صغارها و كبارها.

٣- عن محمّد بن الحنفية: أى أن تلد المرأة ذكراً و انثى توأمين في بطن واحد.

٤- عن ابن زيد: أى بأن تلد المرأة ذكراً ذكراً، و انثى و انثى و هكذا.

٥- قيل: إنّ قوله تعالى: «أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً» يعنى آدم و حوّا إذ كانت حواء تلدله في كلّ بطن توأمين: ذكراً و انثى.

٦- قيل: اريد بالاناث امور الدّنيا، و بالذّكور امور الآخرة، و بتزويج الصّنفين الجامع بين الأمرين، و بالعقيم من لادين له و لا دنيا أى خسر الدّنيا و الآخرة و هو

الخسران المبين.

٧- قيل: إنّ قوله تعالى: «أو يزوّجهم ذكراناً» بأن تلد المرأة غلاماً و غلاماً مرّة بعد اخرى و «إناثاً» بأن تلد انثى و انثى كذلك، فيكون بعض المرأة تلد الغلمان من دون أن تلد الاناث أصلاً و بالعكس.

أقول: و الثّاني هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين.

٥١- (و ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من ورآء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشآء إنّه عليّ حكيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عباس و مجاهد: أى و ماجاز لأحد من البشر أن يكلّمه الله مواجهة بغير ستر إلاّ وحياً في المنام أو من وراء ستر كما كلّم موسى عليه‌السلام أو يرسل جبرئيل كما أرسله الله إلى محمد صلى الله عليه و آله و سلم فيوحى بأمره ما يشآء من الأمر و النّهى، إنّ الله أعلى من كلّ شئ، حكيم في أمره و قضآئه.

٢- قيل: إنّ الوحى على وجوه: **أحدها** ما يوحى الله به إلى نبيّ من أنبيآئه، فيثبت الله ما أراد من وحيه في قلب النّبيّ، فيتكلّم به النّبيّ و يعيه و هو كلام الله و وحيه. **ثانيها**- ما يكون بين الله و رسله لا يكلم به أحداً من الأنبيآء و لكنّه سرّ غيب بين الله و رسله. **ثالثها** ما يتكلّم به الأنبياء عليهم السّلام و لا يكتبونه لأحد و لا يأمرون بكتابه، و لكنّهم يحدثون به النّاس حديثاً، و يبيّنون لهم أنّ الله أمرهم أن يبيّنوه للنّاس و يبلّغوهم.

رابعها ما يرسل الله به من يشآء من اصطفى من ملائكته، فيكلّمون أنبيائه.

خامسها ما يرسل به إلى من يشآء فيوحون به وحياً في قلوب من يشآء من رسله.

٣- قيل: أى و ما صحّ لأحد من البشر أن يكلّمه الله إلاّ على أحد وجوه ثلاثة: ١- على طريق الوحى و هو الإلهام و القذف في القلب أو المنام كما أوحى إلى امّ موسى عليه‌السلام و ابراهيم عليه‌السلام في ذبح ولده اسمعيل، و ألهم داود عليه‌السلام الزّبور في صدره

فكتبه حفظاً. ٢- أن يسمعه كلامه الّذي يحدّثه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السّامع من يكلّمه لأنّه سبحانه في ذاته غير مرئيّ و قوله: «من و رآء حجاب» مَثَلٌ أى كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصّه و هو من ورآء حجاب، فيسمع صوته و لا يرى شخصه، و ذلك كما كلّم تعالى موسى عليه‌السلام و يكلّم الملائكة.

٣- أن يرسل إليه رسولاً من الملائكة فيوحى إليه الملك كما كلّم غير موسى من الأنبيآء على ألسنتهم. و المعنى: و ما صحّ أن يكلّم الله أحداً إلاّ موحياً من غير واسطة، أو مسمعاً من ورآء حجاب، أو مرسلاً رسولاً إلى أنبيآئه فيكلّمهم على ألسنتهم كما أوحى الله تعالى القرآن الكريم إلى محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم بلسان عربيّ مبين.

فالوجوه الثلاثة كلّها من قبيل الوحى و لكنّه تعالى جعل الوحى في الآية الكريمة خاصّاً بالأوّل، و تقدير الكلام: و ما صحّ أن يكلّم أحداً إلاّ موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلاً.

٤- عن الجبائى: أى و ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ بمثل ما يكلّم به عباده من الأمر بطاعته و النّهى لهم عن معاصيه، و تنبيهه إيّاهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام و ما أشبه ذلك على سبيل الوحى، و سمّاه وحياً لأنّه خاطر و تنبيه و ليس هو كلاماً لهم على سبيل الإفصاح كما يفصح الرّجل منّا لصاحبه إذا خاطبه، و الوحى في الاصل: ما جرى مجرى الايمآء و التنبيه على شيء من غير أن يفصح به، فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية و امّا قوله تعالى: «أو من ورآء حجاب» أى يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلاّ من يريد أن يكلّمه به نحو كلامه لموسى عليه‌السلام لأنّه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى عليه‌السلام وحده في كلامه إيّاه أوّلاً، فأمّا كلامه تعالى إيّاه عليه‌السلام في المرّة الثّانية فإنّه حجبه عن جميع خلقه إلا عن موسى عليه السلام فأسمعه ذلك و السّبعين الّذين كانوا معه، و حجبه عن جميع الخلق سواهم فهذا معنى قوله تعالى: «أو من ورآء حجاب» لأنّ الكلام هو الّذي كان محجوباً عن النّاس ...

و قد يقال: إنّ الله سبحانه حجب عنهم موضع الكلام الّذي أقام الكلام فيه، فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأنّ الكلام عرض لا يقوم إلاّ في جسم، و لا يجوز أن

يكون أراد تعالى بقوله: «أو من ورآء حجاب» أنّ الله عزّ و جلّ كان «من ورآء حجاب» يكلّم عباده لأنّ الحجاب لايجوز إلاّ على الأجسام المحدودة ...

و عنى بقوله: «أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشآء» إرساله ملائكته بكتبه و كلامه إلى أنبيائه عليهم السّلام ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل إنزاله القرآن الكريم على محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم و انزاله سآئر الكتب على أنبيآئه عليهم السّلام فهذا أيضاً ضرب من الكلام الّذي يكلّم الله به عباده و يأمرهم فيه بطاعته و ينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلّمهم على سبيل ما كلّم به موسى عليه‌السلام و هذا الكلام هو خلاف الوحي الّذي ذكره الله تعالى في أوّل الآية لأنّه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه، و الوحى الّذي ذكره تعالى في أوّل الآية إنّما هو تنبيه و خاطر، و ليس افصاح.

٥- قال السّيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه في (أماليه الجزء الرّابع مجلس ٦٩): «و يمكن في الآية وجه آخر و هو أن يكون المراد بالحجاب البعد و الخفاء و نفي الظّهور، و قد تستعمل العرب لفظ الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه و استبطأ فطنته: بيني و بينك حجاب. و تقول للأمر الّذي تستبعده و تستصعب طريقه: بيني و بين هذا الأمر حجاب و موانع و سواتر و ما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية: أنّه تعالى لم يكلّم البشر إلاّ وحياً بأن يخطر في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلّة تدلّهم على ما يريده أو يكرهه منهم، فيكون من حيث نصبه للدّلالة على ذلك و الإرشاد إليه مخاطباً و مكلّماً للعباد بما يدّل عليه، و جعل تعالى هذا الخطاب من ورآء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً كما يسمع الخاطر و قول الرّسول و لا ظاهراً معلوماً لكلّ من أدركه كما أنّ أقوال الرّسل المؤدّين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصّفة، فصار الحجاب هناك كناية عن الخفآء و غيره مما يدلّ عليه الدّلالة، و ليس لأحد أن يقول: إنّ الّذي يدل عليه الأجسام هو من صفاته تعالى و أحواله و مراده و لا يقال: إنّه تعالى متكلّم لذاته.

و ذلك أنّه غير ممتنع على سبيل التجوّز إن يقال: إنّه تعالى فيما يدل عليه الدّليل

الّذي نصبه الله تعالى ليدلّ على مراده و يرشد إليه أنّه مكلّم لنا و مخاطب، و لهذا لايمتنع المسلمون من أن يقولوا: إنّه تعالى خاطبنا بما دلّت عليه الأدلّة العقليّة، و أمرنا بعبادته و اجتناب ما كرهه منّا، و فعل ما أراده و هكذا يقولون فيمن فعل فعلاً يدلّ على أمر من الامور قد خاطبنا فلان بما فعل كذا بكذا و كذا، و قال لنا و أمرنا و زجرنا و ما أشبه ذلك من الألفاظ الّتي يجرونها على الكلام الحقيقيّ و هذا الإستعمال أكثر و أظهر من أن نورد أمثاله و نظآئره» إنتهى كلامه و رفع مقامه.

فاطلاق الكلام على كلام الله عزّ و جلّ و التكليم على فعله الخاصّ سوآء أكان إطلاقاً حقيقتاً أم مجازياً واقع في مواضع من كلامه منها: قوله تعالى: «يا موسى إنّي اصطفيتك على النّاس برسالاتي وبكلامي» الاعراف:١٤٤) و منها: قوله: «و كلّم الله موسى تكليماً» النسآء:١٦٤) و من مصاديق كلامه ما يتلقّاه الأنبيآء عليهم السّلام منه تعالى بالوحى. و على هذا فلا موجب لعدّ الإستثناء في قوله: «إلاّ وحياً» منقطعاً بل الوحي و القسمان الآخران بعده من تكليمه سبحانه البشر سوآء أكان إطلاق التكليم عليها إطلاقاً حقيقياً أم مجازياً، فكلّ واحد من الوحى، و ما كان من ورآء حجاب، و ما كان بإرسال رسول، نوع من تكليمه للبشر. و المعنى: ما كان لبشر أن يكلّمه الله نوعاً من أنواع التكليم إلاّ هذه الانواع الثلاثة: أن يوحى وحياً، أو يكون من وراء حجاب أو أن يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشآء. فالوحي: «وحياً» و هو الإشارة السّريعة، مفعول مطلق نوعيّ و كذا المعطوفان عليه في معنى المصدر النّوعي.

٦- عن الزّجاج: إنّ كلام للبشر إمّا أن يكون بإلهام يلهمهم، أو رؤيا يراها في منامه، أو بكلام من ورآء حجاب كما كلّم موسى عليه‌السلام أو برسالة ملك إليهم و هو جبرئيل، فيوحى ذلك الرّسول إلى المرسل إليه باذن الله ما يشآء الله و هذا الوحي من الرّسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه عياناً، و هكذا كانت حال جبرئيل إذا نزل بالوحى على رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم.

قال ابن عبّاس: نزل جبرئيل على كلّ نبيّ فلم يره منهم إلاّ محمّد و عيسى و موسى و زكريّا عليهم السّلام، فأمّا غير هم فكان وحياً الهاماً في المنام.

۷- قیل: إنّ قوله تعالى: «إلاّ وحیاً» أی بارسال جبرئیل، و «أو من وراء حجاب» کما کلّم موسى علیه‌السلام و «أو یرسل رسولاً» أی إلى کافّة النّاس. فالمراد بالوحي هو الوحي إلى الرّسل بواسطة الملائکة، و المراد بارسال الرّسل إرسال الانبیاء علیه‌السلام إلى امهم...

۸- قیل: إنّ توجیه التکالیف إلى العباد لایتمّ إلاّ بثلاث مراتب من المعجزات، و ذلك إنّ التّسلسل محال، فلا بدّ من سماع الملك کلام الله بلا واسطة، فالملك یحتاج إلى معجزة تدلّ على أنّ ذلك الکلام کلام الله تعالى، و إذا بلّغ الملك ذلك الکلام إلى النبيّ، فلا بدّ للنبيّ من مشاهدة معجزة تدلّ على صدقه، و إذا بلغ الرّسول لأمّته فالأمر کذلك، و هذا الثّالث مشهور متّفق علیه، و أمّا الأوّلان فعلهما یعرفان بنور الباطن و لا یفتقر إلى المعجزة لا في أوّل الأمر، و لا في کلّ مرّة و أنّ الأقسام الثلاثة قد اجتمعت لنبیّنا محمّد صلى الله علیه و آله و سلم لأنّه في بدء الاسلام کان یرى الرّؤیا الصّادقة کفلق الصّبح و سمع الکلام من ورآء الحجاب لیلة المعراج، و کان یأتیه جبرائیل إلى آخر عمره فلهذا قال تعالى: «و کذلك أوحینا الیك ...».

۹- قیل: أی و ما کان ینبغي لبشر من بني آدم أن یکلّمه ربّه إلاّ باحدى طرق ثلاث: **أحدها**- بوحي یوحي الله تعالى إلیه کیف شآء فیکلّمه کلاماً خفیّاً بغیر واسطة بأن یقذف في روع النّبيّ شیئاً لا یتمارى فیه أنه من الله عزّ و جلّ کما روى عن رسول الله صلى الله علیه و آله و سلم أنّه قال: «إنّ روح القدس نفث في روعی: أنّ نفساً لن تموت حتّى تستکمل رزقها و أجلها فاتّقوا الله و أجملوا في الطّلب» أو بالهام في خاطر أو في منام أو بغیرها من معنى الکلام إلیه في خفاء. **ثانیها**- من ورآء حجاب یکلّمه بحیث یسمع کلامه و لا یراه کما کلّم موسى علیه‌السلام و یحجبه عن إدراك جمیع الخلق إلاّ عن المتکلّم الّذي یسمعه کما سمع موسى کلام الله. **ثالثها**- بأن یرسل رسولاً من ملائکته إمّا جبرئیل و إمّا غیره فیوحي ذلك الرّسول إلى المرسل إلیه بأمر ربّه ما یشآء ربّه أن یوحیه إلیه من أمر و نهی و غیر ذلك من الرّسالة و الوحي. و في الحجاب وجوه ثلاثة: حجاب

عن إدراك الكلام لا المكلّم وحده و حجاب لموضع الكلام، و حجاب بمنزلة ما يسمع من ورآء الحجاب.

١٠- قيل: إنّ هذه الآية و الآيتين الّتي بعدها تختم بها السّورة، و بهذا الختام يتمّ التلاقي بين بدئها و ختامها، فقد بدئت بقوله عزّ و جلّ: «حم عسق كذلك يوحي اليك ...» و ختمت ببيان الصّور الّتي يتمّ بها الإتصّال بين الله و رسله، و الّتي يتلقّون بها آياته و كلماته، و أنّ هذه الصّور لاتخرج عن ثلاث أحوال:

الصورة الاولى: أن يكون ذلك الاتّصال بين الله و رسله «وحياً» أى رمزاً و إشارة بحيث لا يعرف دلالة ما يوحي الله تعالى به إلى الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم إلاّ الرّسول وحده.

الثّانية: أن يكون الإتصال بأن يكلم الله الرّسول بكلماته الّتي يريد الله تعالى القاءها إليه و ذلك من ورآء حجاب أي من غير أن يرى الرّسول ذات المتكلّم، سبحانه و تعالى إذ لاتدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار لأنّه منزّه عن التجسّد و الحدّ ... و لهذا كان قول الله تعالى لموسى حين قال: «ربّ أرني أنظر اليك» «قال لن تراني ...» الأعراف:١٤٣).

الثالثة: أن يكون ذلك بوساطة رسول من عالم الرّوح، يرسله الله حاملاً آياته و كلماته الّتي أذن بهاله إلى الرّسول البشريّ فيتلقّاها النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم من رسول السّمآء.

و إنّ الحروف المقطّعة في أوائل بعض السّور القرآنية ... منها هذه السّورة: «الشّورى» هي صورة من صور الوحي، و هي الصّورة الاولى الّتي أشار إليها بقوله: «و ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً» و هى رمز بين الله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمين و هي معروفة الدّلالة لرسول الله و أهل بيته عليهم صلوات الله و إلاّ لما كان لوحيها إليه صلى اللّه عليه و آله و سلم حكمة، و لا يعرف دلالتها إلاّ الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام لأنّ أهل البيت أدرى بمافى البيت، و بهذه الصّورة الاولى من صور الوحي يتّصل

فيها الرّسول و أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم بربّهم.

و في الآية الكريمة نفسها دلالة على أنّ هذا الوحي هو ممّا كلّم الله تعالى به نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و الكلام لا يكون كلاماً حتّى تكون له دلالة مفهومة عند من يتلقّ إليه الكلام لأنّ الكلام نقد متداول بين معط و آخذ، و لن تتمّ عمليّه المبادلة حتّى يكون لهذا النّقدقيمة معترف بها بين الطّرفين أو الأطراف المتعاملة فيه، و قيمة اللّغة هي في دلالتها و في تحديد مفهومها بين المتخاطبين بها. فكلام الله جلّ و علا لرسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم سوآء أكان وحياً أو من ورآء حجاب أو عن طريق رسول سماويّ ينقله إلى الرّسول البشريّ هذا الكلام الإلهى لابدّ و أن يكون واضح الدلالة، بيّن المفهوم عند الرسول المتلقّ لهذا الكلام قبل كلّ شيء، ثمّ لايمنع ذلك من أن يكون لخواص الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مشاركة في هذا الفهم من الألف إلى اليآء.

و إنّ حكمة هذه الحروف المقطّعة الّتي يفهمها رسول الله و أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام وحدهم دون سواهم أنّها دعوة إلى الايمان بالغيب القآئم على الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و ذلك هو الايمان فى صميمه، و إليه أشارتعالى بقوله: «و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الرّاسخون في العلم» آل عمران:٧) فإنّهم وحدهم معالم الطريق إلى معرفة الله تعالى و إلى طاعته حقّاً.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «أين الّذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كذباً و بغياً علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطى الهدى و يستجلى العمى، إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لاتصلح على سواهم و لا تصلح الولاة من غيرهم»

و لذلك أمرالله تعالى رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم أن يدعو النّاس إلى مودتهم الّتي جعلها أجر الرّسالة الّتي لاتتمّ إلاّ بها: «و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٦٧)

و في اختصاص الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيت الوحي المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين بهذا العلم الّذي تحمله إليه هذه الحروف المقطّعة و غيرها من الآيات المتشابهة ... في هذا فوق أنّه مزيد فضل و إحسان من الله عزّ و جلّ لرسوله و أهل بيته عليهم صلوات الله هو تثبيت لهم في مقام الدّعوة إلى الله تعالى و في الصّبر على ما يكابدون من مصآئب و آلام في سبيل هذه الدّعوة، و ما يلقون من ضرّ فيما يسوق إليهم الظّالمون المضلّون، و الباغون المنحرفون و أتباعهم السّفلة في كلّ ظرف من كيدو خيانة، من بغي و جناية، و من ظلم و مصيبة ...

أقول: و العاشر هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تنافٍ بينه و بين بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعض فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً فلا تكن من الغافلين فإنّ المقام مزلّ الأقدام عصمنا الله تعالى منه بعصمة محمّد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٥٢-(و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان و لكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم)

في قوله تعالى: «و كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا» أقوال:

١- عن الحسن و قتادة: أى و كذلك أوحينا اليك هذا القرآن رحمة من عندنا.

٢- عن قتادة أيضاً و السّدى و الجبآئي: أى وحياً من أمرنا. و هذا كقوله تعالى: «تنزّل الملائكة و الرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر» أى تنزّل الملائكة، و معهم الوحي بالمقادير فـ«كذلك» إشارة إلى مطلق الوحي النّازل على الانبيآء و هذا متعيّن إذا كان المراد بالرّوح هو جبرئيل أو الرّوح الأمري.

٣- عن ابن عبّاس: أى كما أوحينا إلى سآئر الأنبيآء أوحينا اليك قرآناً من عندنا. قيل: سمّي القرآن روحاً لأنّ فيه حياةً للأرواح و العقول من موت الجهل و الكفر، و أنّ الخلق يحيون به في دينهم كما يحى الجسد بالرّوح. و جعله من أمره بمعنى أنزله كما شآء على من يشآء من النظم المعجز و التأليف المعجب. و يحمل قوله تعالى: «و يسئلونك عن الرّوح» على القرآن أيضاً «قل الرّوح من أمر ربّي» أى يسئلونك من أين لك هذا

القرآن؟ قل: إنّه من أمر الله أنزله عليّ معجزاً. و يا أهل القرآن! ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإنّ القرآن ربيع القلوب كما إنّ الغيث ربيع الأرض.

فالمراد بايحاء الرّوح إيحاء القرآن، و أُيّد بقوله: «و لكن جعلناه نوراً ...» و من هنا قيل: اريد بالرّوح القرآن.

و فيه أولاً: أنّه لا ريب أنّ الكلام مسوق لبيان أنّ ما عندك من المعارف و الشّرآئع الّتي تتلبّس بها و تدعو النّاس إليها ليس ممّا أدركته بنفسك و أبديته بعلمك، بل أمر من عندنا منزّل اليك بوحينا، و على هذا فلو كان المراد بالرّوح الموحىٰ القرآن كان من الواجب الاقتصار على الكتاب في قوله: «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» لأنّ المراد بالكتاب القرآن، فيكون الايمان زآئداً مستغنى عنه. و ثانياً أنّ القرآن و إن أمكن أن يسمّى روحاً باعتبار إحيآئه القلوب بهداه كما قال تعالى: «اذا دعاكم لما يحييكم» الانفال: ٢٤) و قال: «أو من كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في النّاس» الانعام: ١٢٢) لكن لا وجه لتقيّده حنيئذ بقوله: «من أمرنا» و الظّاهر من كلامه تعالى أنّ الرّوح من أمره خلق من العالم العلوي يصاحب الملائكة في نزولهم قال: «و أيّدناه بروح القدس» البقرة:٨٧) و قد سمّى جبرئيل، الرّوح الأمين و روح القدس إذ قال: «نزل به روح الأمين» الشعراء: ١٩٣) و قال: «قل نزّله روح القدس من ربّك» النّحل: ١٠٢).

و يمكن أن يجاب عن الأوّل بأنّ مقتضى المقام و إن كان هو الإقتصار على ذكر الكتاب فقط لكن لمّا كان إيمانه صلى اللّه عليه و آله و سلم بتفاصيل ما في الكتاب من المعارف و الشّرائع من لوازم نزول الكتاب غير المنفكّة عنه، و آثاره الحسنة صحّ أن يذكر مع الكتاب.

فالمعنى: و كذلك أوحينا اليك كتاباً ما كنت تدرى ما الكتاب و لا ما تجده في نفسك من أثره الحسن الجميل و هو ايمانك به. و عن الثّاني أنّ المعهود من كلامه في معنى الرّوح و ان كان ذلك لكن حمل الرّوح في الآية على ذلك المعنى و إرادة الرّوح الأمريّ أو جبرئيل منه يوجب أخذ «أوحينا» بمعنى أرسلنا إذ لا يقال: أوحينا الرّوح الأمريّ أو الملك فلا مفرّ من كون الايحآء بمعنى الإرسال و هو كما ترى فأخذ الرّوح بمعنى القرآن

أهون من أخذ الإيحآء بمعنى الإرسال. و الجوابان لايخلوان عن شيء.

٤- عن الضّحّاك: أى من عالم أمرنا كقوله تعالى: «يلقى الرّوح من أمره» ٥- عن ابن عبّاس أيضاً: أى و كذلك أوحينا اليك نبوّة من أمرنا. ٦- عن الكلبي أى كتاباً من عندنا. ٧- عن الرّبيع: اريد بالرّوح جبرئيل إذ سمّاه الله تعالى روحاً: «نزل بـه الرّوح الأمين على قلبك» الشعراء: ١٩٣)

٨- عن السّدى: هو روح القدس إذ قال: «قل نـزّله روح القـدس مـن ربّك» النّحل: ١٠٢) و «أيّدناه بروح القدس» البقرة: ٨٧) و هو غير جبرئيل.

٩- قيل: هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و هو الرّوح الأمريّ الّذي ينزّل مع ملائكة الوحي على الأنبيآء إذ قال: «ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره على من يشآء من عباده أن أنذروا» النّحل: ٢) فالمراد بايحائه إليه إنزاله إليه و هو كان مع الانبياء و الأئمّة المعصومين عليهم السّلام و هو سند العصمة و لزام المعصومين من الأنبيآء و الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و هو النازل بهم من غير واسطة مثل «وحياً» من دون حجاب. فالنّازل على الأنبيآء كان أربعة أقسـام: اثـنان نازلان من غير واسطة: «وحياً» و «روحاً» يشترك في الثّاني الأئمة مع الأنبياء و اثنان آخران نازلان مع واسطة «من وراء حجاب» و «رسولاً».

و يمكن أن يوجّه التّعبير عن الإنزال بالإيحاء بأنّ أمره تعالى على ما يعرّفه في قوله «إنّما أمره إذا أرادشيئاً أن يقول له كن» يس: ٨٢) هو كلمته، و الرّوح من أمره إذ قال «قل الرّوح من أمر ربّي» الاسراء: ٨٥) فهو كلمته كما قال في عيسى عليه‌السلام: «إنّـما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح مـنه» النسآء: ١٧١) و انـزال الكلمة تكليم فلا ضير في التّعبير عن إنزال الرّوح بايحآئه و الأنبيآء و الأئمة المعصومون كانوا مؤيّدين بالرّوح في أعمالهم إذ قال تعالى فيهم: «و جعلناهم أئمّة يهدون بأمـرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات ...» الأنبياء: ٧٣).

و يمكن رفع إشكال كـون الايحآء بمـعنى الإنـزال و الإرسـال بـالقول بكـون قوله: «روحاً» منصوباً بنزع الخافض، و رجوع ضمير «جعلناه» إلى القرآن المعلوم من

السّياق أو الكتاب. و المعنى: و كذلك أوحينا اليك القرآن بروح منّا ما كنت تدري ما الكتاب و ما الإيمان و لكن جعلنا القرآن أو الكتاب نوراً.

١٠- قيل: أي كما أوحينا إليك من دون واسطة: «وحياً» و هو القسم الأوّل، و مع واسطة خفيّة: «من ورآء حجاب» و هو القسم الثّاني، و مع واسطة مرئيّة: «رسولاً» و هو القسم الثّالث، كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا. و هو قسم آخر. ١١- قيل: قوله تعالى: «كذلك» اشارة إلى الأقسام الثلاثة من الوحي المذكورة في الآية السّابقة. ١٢- قيل: أي مثل ما أوحينا إلى الأنبيآء السّابقين أوحينا اليك كذلك الوحي من الله إلى نبيّه روح من أمره.

١٣- قيل: إنّ قوله تعالى «كذلك» إشارة إلى قوله: «أو يرسل رسولاً ....» و هى الصّورة الثالثة من صور الوحي، و كانت هى الصّورة الغالبة على تلقّي رسول الله ما يتلقّى من وحي ربه. و المعنى: و كما أرسل الله رسولاً علويّاً يوحي باذنه ما يشاء إلى أنبيائه كذلك أرسل هذا الرّسول إلى محمد رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يحمل إليه من آيات ربه و كلماته ما أذن الله تعالى به من وحي. و إنّ «روحاً» يحتمل دلالتين: الدّلالة على رسول الوحي و هو جبرئيل عليه‌السلام فهو روح من عندالله تعالى: «نزل به الرّوح الأمين» و الدّلالة على القرآن الكريم فهو كلام الله و كلامه روح منه. فالقرآن روح من روح الله، و أنّ الّذي حمله إلى رسول الله روح من روح الله كذلك ... فهو روح، يحمله روح، و هذا يعني من جهة اخرى أنّ القرآن المجيد حياة و روح تلبس النّفوس المستعدة لإستقبالها، كما تلبس الحياة و الأرواح الأجساد، بعد أن يتمّ تكوينها، و تصبح مهيّأة لاستقبالها ... و كما أنّ كلّ جسد يلبس من الأرواح بقدر ما هو مستعدّله، كذلك النّفوس، يفاض عليها من روح القرآن على قدر ما هى مستعدّة له و مهيّأة لقبوله ...

أقول: و التّاسع هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و في معناه بعض الأقوال الاُخر فتأمّل جيّداً.

و في قوله عزّ و جلّ: «ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان» أقوال: ١- عن

السّدى: أى ما كنت تدري أيّ شيء القرآن و لا الايمان به. ٢- قيل: أى ما كنت تدرى في المهد أو قبل الولادة أو قبل البلوغ أو قبل البعثة. يعنى ما يتعلّق بكمال الايمان مما لا يكفي في معرفته مجرّد العقل و النّظر، و يتوقّف على النّقل و إذن الشّرع ٣- عن الحسين بن الفضل: أى ما كنت تدري أهل الايمان يعني من الّذي يؤمن، و من الّذي لا يؤمن. ٤- قيل: أى ما كنت تدرى ما أهل الكتاب من التّوراة و الإنجيل و لا من أهل الايمان من اليهود و النّصارى، و لا من أهل الايمان بكتابك. و هذا من باب حذف المضاف.

٥- قيل: أى لم تكن تعرف الطّريق إلى الايمان.

٦- عن الثعلبي: إنّ المراد بالايمان شرائع الايمان و معالمه، وتفاصيل هذا الشّرع و المعنى: كنت غافلاً قبل البعثة و نزول الوحي اليك غافلاً عن تفاصيل الشريعة و إن كنت عالماً بإجمالها. و يجوز إطلاق الايمان على تفاصيل الشّريعة.

٧- عن أبي العالية: أى ما كنت تدرى قبل الوحي أن تقرأ القرآن، و لا كيف تدعو الخلق إلى الايمان به. ٨- قيل: أى لا تدري الايمان الّذي هو الفرآئض و الأحكام ... و ذلك أنّ محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم كان قبل البعثة مؤمناً موحّداً، ثمّ نزلت الفرائض الّتي لم يكن يدريها قبل، فزاد بالتكليف ايماناً. إنّ الايمان عبارة عن الإقرار بجميع ما كلّف الله به و إنّ محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم قبل الرّسالة ما كان عارفاً بجميع جزئيات الشّريعة و أحكامها كالصّلاة و الصوم ... بل كان موحّداً مؤمناً بالله جلّ و علا و عارفاً ما الكتاب و الايمان إجمالاً قبل وحي القرآن كما عرفهما ليلة القدر أكثر عند نزوله دفعةً واحدة ثمّ علم تفصيلهما بنزول تفصيل القرآن الكريم، فالإشكال أن يلزم ذلك على كون الرّسل كافرين قبل الوحي مع كونهم معصومين مندفع.

كيف و قد كان الإمام عليّ عليه‌السلام يعلم إجمال الوحي قبل بعثة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إذ كان معه قبلها.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن ابيطالب عليه‌السلام: «و قد علمتم موضعي من رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بالقرابة القريبة و

المنزلة الخصيصة وضعني في حجره و أنا وليد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّني جسده و يشمّني عَرْفه، و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقّمنيه و ما وجدلي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، و لقد قرن الله به صلى اللّه عليه و آله و سلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله ونهاره و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثرامّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالإقتداء به، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحرآء، فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و خديجة و أنا ثالثها، أرى نور الوحي و الرّسالة و أشمّ ريح النّبوّة، و لقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه صلى اللّه عليه و آله و سلم فقلت: يا رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم ما هذه الرّنّة؟ فقال: هذا الشّيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبيّ، و لكنّك لوزير و إنك لعلى خير».

إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً إلاّ كان مؤمناً قبل البعثة، فإنّ الأنبيآء كلّهم معصومون قبل النّبوّة من الجهل بالله و صفاته و التشكك في شيء من ذلك، و قد تعاضدت الأخبار و الآثار عن الأنبيآء بتنزيههم عن هذه النّقيصة منذ ولدوا و نشأتهم على التّوحيد و الايمان بل على إشراق أنوار المعارف و نفحات ألطاف السّعادة حتّى يصلوا الغاية حسب درجاتهم، و يبلغوا باصطفآء الله تعالى بالنّبوّة في تحصيل الخصال الشّريفة النّهاية دون ممارسة و لا رياضة، و لم ينقل أحد من أهل الأخبار أنّ أحداً نبيء و اصطفى ممّن عرف بكفر و إشراك قبل البعثة، فإنّ القلوب تنفر عمّن كانت هذه سبيله، مع أنّ قريشاً قد رمت محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم بكلّ ما إفترته، و غير كفّار الامم أنبيآءها بكلّ ما أمكنها، و اختلقته ممّا نصّ الله عليه أو نقلته إلينا الرّواة، و لم نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهتهم، و تقريعه بذمّه بترك ما كان قد جامعهم عليه، و لو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين، و بتلوّنه في معبوده محتجّين، و لكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع و أقطع في الحجّة من توبيخه بنهيهم عن تركه آلهتهم، و ما كان يعبد

آبآؤهم من قبل، ففي اطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنّهم لم يجدوا سبيلاً له إذ لو كان لنقل، و ما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة و قالوا: «ما ولاّهم عن قبلتهم الّتي كانوا عليها» البقرة: ١٤٢).

٩- قيل: اريد بالايمان الكلمة الّتي بها دعوة الايمان و التّوحيد و هى لاٰإلٰه إلاّالله محمد رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و الإيمان بهذا التّفسير إنّما علمه بالوحي كما علم الكتاب و هو القرآن بالوحى لابالعقل.

١٠- عن ابن خزيمة: اريد بالايمان الصّلاة في دين الاسلام، و إن كان رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يصلّي و كان مؤمناً على دين إبراهيم صلى اللّه عليه و آله و سلم لقوله تعالى: «و ما كان الله ليضيع ايمانكم» البقرة: ١٤٣) أى صلاتكم إلى بيت المقدس، فيكون اللفظ عامّاً و المراد خاصّاً.

١١- عن عليّ بن عيسى: أى ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرّسالة، و لا الايمان بالله لولا البلوغ. ١٢- قيل: أى ما كنت تدري ما الكتاب لولا إنعامنا عليك، و لا الايمان بدين الاسلام لولا هدايتنالك.

١٣- عن ابن عبّاس: ماكنت من قوم امّييّن لا يعرفون الكتاب و لا الايمان حتّى تكون قد أخذت ماجئتهم به عمّن كان يعلم ذلك منهم، و هو كقوله تعالى: «و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب و لا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون» العنكبوت: ٤٨).

١٤- قيل: ماكنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان حتّى كنت طفلاً في المهد فعلّمناك به.

أقول: و على الثّامن جمهور المحقّقين و هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تناف بينه و بين بعض الاقـوال الأُخر.

و في قوله جلّ و علا: «و لكن جعلناه نوراً» أقوال:

١- عن إبن عبّاس و السّدي: أى و جعلنا الرّوح الّذي هو القرآن نوراً لأنّ فيه

معالم الدّين، و بياناً للأمر و النّهي و الحلال و الحرام و الحق و الباطل ... ٢- عن ابن عبّاس أيضاً و الضّحّاك: أى و لكن جعلنا الايمان نوراً لأنّه طريق النّجاة. ٣- قيل: أى و لكن جعلنا كلّ واحد من الكتاب و الايمان نوراً. وحّد الضّمير كقوله تعالى: «و إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها» الجمعة: ١١).

٤- قيل: أى و لكن جعلنا هذا الوحي نوراً نهدى به من نختاره للنّبوة كقوله تعالى: «يختصّ برحمته من يشآء» آل عمران: ٧٤) و قد وحّد الضّمير لأنّ الفعل في كثرة أسمآئه بمنزلة الفعل في الاسم الواحد ألا ترى أنك تقول: «اقبالك و ادبارك يعجبني» فتوحّد و هما اثنان. ٥- قيل: قوله تعالى: «نوراً» اشارة إلى مرتبة العقل القرآني البسيط، و قوله: «الكتاب» إشارة إلى مرتبة العلم التفصيلي كما قال: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١)

٦- قيل: أى و لكن جعلنا عليّاً عليه‌السلام نوراً هدى به من هدى من خلقه.

أقول: و الأخير هو المرويّ والأنسب بآية المودّة فتأمّل جيّداً.

و **في قوله تعالى:** «و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أى إنك لتدعو النّاس و ترشدهم إلى دين قويم حق مستقيم لا اعوجاج فيه. ٢- قيل: أى إلى كتاب مستقيم. ٣- عن قتاده أى إلى الله تعالى و لكلّ قوم هاد. ٤- قيل: أى إنك لتأمر بولاية علي‌بن ابيطالب عليه‌السلام و تدعو النّاس إليها وعليّ‌عليه‌السلام هو الصّراط المستقيم. ٥- قيل: أى و إنك لترشد و تدعوهم إلى طريق مفض إلى الحق و هو الايمان. ٦- قيل: أى إلى طريق مستقيم و هو دين الاسلام و أحكامه و شريعته.

أقول: و الرّابع هو المرويّ من دون تنافٍ بينه و بين سآئر الأقوال فتدبّر جيّداً.

٥٣- (صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض ألا إلى الله تصير الامور)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس: صراط الله هو دين الله الّذي شرعه الله. ٢- قيل: هو القرآن الكريم. ٣- قيل: الإسلام هو طريق الله الّذي دعا إليه عباده

الّذي له ملك السّموات و الأرض و ما بينهما لا شريك له في ذلك.

٤- قيل: هذا الصّراط المستقيم هو الطّريق الّذي شرعه الله مالك السّموات و الأرض و المتصّرف فيهما، و الحاكم الّذي لا معقّب لحكمه. ٥- قيل: إنّ الصّراط قسمان: **أحدهما** - صراط الرّبوبيّة المختصّ بالله تعالى: «ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم» هود: ٥٦). **ثانيهما** - صراط العبوديّة المختص بعبادالله حيث رسمه الله و خططه لعباده، و جعل عليه الأدلاّء إليه و أمرهم أن يدلّوا العباد اليه.

٦- قيل: صراط الله تعالى هو عليّ بن ابيطالب عليه‌السلام.

أقول: و السّادس هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن الفريقين أوردناها في تفسير سورة الفاتحة فراجع من دون تناف بينه و بين غيره من الأقوال، إذ كان إكمال الدّين و إتمام النّعمة، و تبليغ الرّسالة بولاية الإمام عليّ عليه‌السلام فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تغفل.

﴿التفسير و التأويل﴾

٢-١- (حمٓ عٓسٓقٓ)

هذه الحروف المقطّعة في أوآئل عدّة من السّور القرآنيّة رموز بين الله عزّ و جلّ، و بين رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين خفيّة عن غيرهم، من غير تنافٍ بينهما و بين ما ورد بعض الرّوايات في المقام، فتأمل جيداً و لا تغفل.

٣- (كذلك يوحي إليك و إلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم)

مثل ما في هذا القرآن الكريم من الدّعوة إلى التّوحيد و العدل، و النبوّة و الإمامة و المعاد، و إلى العبادة‌لله وحده و رفض أنحآء الشرك، و إلى صالح الأعمال ... هكذا أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم يوحي إليك، و أوحى إلى الأنبيآء الّذين كانوا من قبلك الله جلّ و علا.

قال الله تعالى: «و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لاإله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥).

و قال: «انّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النبيّن من بعده - رسلاً مبشّرين و منذرين لئلاّيكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل و كان الله عزيزاً حكيماً» النسآء: ١٦٣-١٦٥).

و قال: «و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصّلاة

و إيتآء الزّكاة و كانوا لنا عابدين» الأنبيآء: ۷۳).

و ما أوحي الله جلّ و علا إلى الرّسل الماضين ليس كمثل الآيات النازلة على رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلاّ في أصل الوحي دون شاكلته و مادّته، و مراتبه و مكانته و درجاته ... حيث إنّ القرآن الكريم يفوق سآئر الوحي في كثير من اموره لفظاً و معنى إذ فيه تبيان كلّ شيء.

و **قوله تعالى**: «العزيز الحكيم» العزيز في ملكه و سلطانه، الغالب بقهر و قدرته، الحكيم في أمره و قضآئه، في صنعه و تدبير خلقه، و في قوله و جميع أفعاله ... فبعزّته و حكمته بعث الأنبيآء عليهم السّلام بالحقّ إلى الخلق، و جعلهم حجّة له على عباده لئلاّ تجب الحجّة لهم بترك الإعذار لهم، و من كان بهاتين الصّفتين خلصت له الحكمة في كلّ ما يأتي به، لأنّه العزيز الّذي لا يغالب، و الغنيّ الّذي لا يحتاج إلى شيء، و لا يجوز أن يمنعه مانع مما يريده، و هو الحكيم العليم بالامور لايخفى عليه شيء منها لايجوز أن يأتي إلاّ بالحكمة، فأمّا الحكيم غيره يحتاج فلا يوثق بكلّ ما يأتي به إلاّ أن يدل على ذلك الحكمة دليل.

قال الله تعالى: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» الزّمر: ۱).

و قال: «و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير» الأنعام:۱۸).

٤- (له ما في السّموات و ما في الأرض و هو العليّ العظيم)

لله تعالى ملك ما في السّموات و ما في الأرض و ما بينهما من الخلق كلّهم، فالأشيآء كلّها له وحده ملكاً و خلقاً و عبيداً، كلّها تحت قبضته، و له التصرّف فيها ايجاداً و إعداماً، فيخضع له كلّ موجود في نظام الكون و نواميس الوجود كلّه، فهو جلّ و علا الخالق المالك المدبّر لكلّ شيء، و هو الّذي يعلو بسلطانه على كلّ سلطان، العظيم الّذي تذلّ لعظمته كلّ عظمة و كلّ سلطان، و ليس لأحد غيره علوّ ولا عظمة إلاّ به تعالى، و هو العليّ في عزّته و حكمته و مَلِكيّته و مالكيته، فلا ينال من دونه إلاّ ما منحهم لأنّهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته، و هو «العليّ» المتعالي عن مشابهة الممكنات و مناسبة المحدثات، «العظيم» العظمة بالقدرة و القهر بالإستعلآء و

كمال الإلهيّة.

قال الله عزّ و جل: «لله ملك السّموات و الأرض و ما فيهنّ و هو على كلّ شيءٍ قدير» المائدة: ١٢٠).

و قال: «ألم تعلم أنّ الله له ملك السّموات و الأرض - وسع كرسيّه السّموات و الأرض و لا يؤده حفظهما و هو العليّ العظيم» البقرة: ١٠٧ و ٢٥٥).

و قال: «قل الحمدلله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له وليّ من الذّلّ و كبّره تكبيراً» الإسراء: ١١١).

و قال: «فتعالى الله الملك الحقّ لا إله إلاّ هو ربّ العرش الكريم» المؤمنون:١١٦).

٥- (تكاد السّموات يتفطّرن من فوقهنّ و الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون لمن في الأرض ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم)

تكاد السّموات تنشقّ كلّ واحدة فوق الّتي تليها، فيسقطن من علوّهنّ فيقع بعضهنّ على بعض، و كلّهنّ على الأرض من عظمة خاتمة الوحي الموحىٰ به إلى خاتم الرّسل محمّد المصطفى صلى اللّه عليه و آله و سلم و الّذي لا يتأثّر به هؤلآء الكفّار و المشركون، هؤلآء الفجّار و المستكبرون، و هؤلآء الفسّاق و المجرمون ... أصحاب القلوب القاسية و السّرآئر الخبيثة ... و هذا على طريق التمثيل، و المعنى: لو كانت السّموات تنفطر لعظمة شيء و جلاله لا نفطرت لعظمة خاتمة الوحي و هو القرآن الكريم الموحىٰ به إلى رسول الله الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّ «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون» الحشر: ٢١) «و لو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى» الرّعد: ٣١).

و **قوله تعالى:** «و الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم» و إنّ الملائكة و هم من عالم السّمآء - عالم النّور و الطّهر يسبّحون بالتّسبيح المعهود تسبيح تلفّظ و تعجّب لا تسبيح دلالة و إشارة إذ يرون عظمة خاتمة الوحي النّازل على خاتم الرّسل صلى اللّه عليه و آله و سلم من جهة لو نزل على السّموات لتفطرن، يرون جرأة المشركين و تعرّضهم لسخط الله

سبحانه بالشّرك و الطغيان، بالبغي و العصيان، و بالكبر و العدوان ... من جهة اخرى، يسبّحون بحمد ربّهم و يتقرّبون إليه، و يبتغون مرضاته بالتّقديس و التنزيه، و بالحمد و العبادة و لا يفترون، فينزّهون الله جلّ و علا عمّا لا يليق بساحة قدسه أن يهمل أمر عباده و لا يهديهم بدين الله يشرعه لهم بالوحي و هو منه فعل جميل، فيثنون عليه بجميل فعله.

قال الله تعالى: «فإن استكبروا فالذين عند ربّك يسبّحون له بالليل و النّهار و هم لا يسأمون» فصّلت: ٣٨)

و قال: «و من عنده لا يستبكرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبّحون الليل و النّهار لا يفترون» الأنبيآء: ١٩-٢٠).

و قال: «و ترى الملائكة حافيّن من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم» الزّمر: ٧٥).

و قوله عزّ و جلّ: «و يستغفرون لمن في الأرض» و إنّ الملائكة هم يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين المخلصين كما يلعنون المشركين المعاندين، و الكافرين المستكبرين، والظّالمين المجرمين، و المفسدين المؤذين ...

قال الله تعالى: «الّذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربّهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة و علماً فاغفر للذين تابوا و اتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم» غافر: ٧)

و قال: «انّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون إلاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا فاولئك أتوب عليهم و أنا التّوّاب الرّحيم إنّ الّذين كفروا و ماتوا و هم كفّار اولئك عليهم لعنة الله و الملائكة و النّاس أجمعين» البقرة: ١٥٩-١٦١)

و قال: «و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه اولئك جزآؤهم أنّ عليهم لعنةالله و الملائكة و النّاس أجمعين» آل عمران: ٨٥-٨٧).

و قال: «انّ الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدّنيا و الآخرة و أعدّلهم عذاباً مهيناً» الأحزاب: ٥٧).

و قوله جلّ و علا: «ألا إنّ الله هو الغفور الرّحيم» ألا يا أيّها النّاس لا تقنطوا من رحمة الله تعالى لأنّ الله عزّ و جلّ هو كثير الغفران: يغفر ذنوب الكفّار و المجرمين إن تابوا و آمنوا، و يغفر معاصي الفجّار و المنافقين إن أصلحوا و أخلصوا دينهم إذ يرحمهم بعد ايمانهم لأنّه الرّحيم بالمؤمنين المخلصين.

انّ الجملة في معنى قوله تعالى: «قل يا عبادى الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم» الزّمر: ٥۳)

و قوله عزّ و جل: «قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم و الله غفور رحيم» آل عمران: ۳۱).

و قوله جلّ و علا: «و إنّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى» طه: ۸۲).

و قوله سبحانه: «يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم و يؤخّركم إلى أجل مسمّى» ابراهيم: ۱۰).

و قوله تعالى: «فأمّا الّذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه» النساء: ۱۷٥).

و قوله عزّ و جلّ: «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين و رحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون و يؤتون الزّكاة و الّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف: ٥٦-۱٥٦).

و قوله جلّ و علا: «و كان بالمؤمنين رحيماً» الأحزاب: ٤۳).

٦- (و الّذين اتخذوا من دونه أوليآءالله حفيظ عليهم و ما أنت عليهم بوكيل)

و الّذين أشركوا بالله سبحانه، و لم يتوبوا إلى الله، و لم يؤمنوا بالوحي النّازل على رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و لم يدخلوا في دين الله و لم تخشع قلوبهم لذكر الله جلّ و علا، و اتخذوا أصناماً و طواغيت أوليآء لهم من دون الله، اتخذوها آلهة لأنفسهم يتولّونها، و يوجّهون عبادتهم إليها، و يجعلونها أرباباً يعبدونها لاشأن لها و لا شعور، و هذا غاية السّفه و الحمق أن يتّخذ ذوشعور ما لاشعور له معبوداً لنفسه فيعبده.

قال الله تعالى: «انّهم اتخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله و يحسبون أنّهم

مهتدون» الأعراف: ٣٠)

و قال: «و من يتّخذ الشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» النساء: ١١٩)

و قال: «قل أفأتّخذتم من دونه أوليآء لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرّاً» الرّعد: ١٦).

و قال: «و الّذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً و هم يخلقون - أموات غير أحيآء - فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم - إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه و الّذين هم به مشركون» النّحل: ٢٠-٢١ و٦٣ و١٠٠).

و قال: «و إن تولّوا فإنّما هم في شقاق فسيكفيكهم الله» البقرة: ١٣٧).

و قال: «و إن تولّيتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله» التّوبة: ٣).

و **قوله تعالى:** «الله حفيظ عليهم» على المشركين الكفرة، و المستكبرين الفجرة، و المجرمين الفسقة ... يحفظ ما في صدورهم من العقآئد الباطلة، و يحصي عليهم أفعالهم الفاسدة و أقوالهم الكاسدة ليجازيهم بها يوم القيامة جزآءهم، فلا يعزب عنه شيء منها فإنّها محفوظة عليهم سيؤا خذون بها.

قال الله تعالى: «و ربّك على كلّ شيء حفيظ قل ادعوا الّذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرّة في السّموات و لا في الأرض و مالهم فيهما من شرك و ماله منهم من ظهير» سبأ: ٢١-٢٢).

و قال: «قد جآءكم بصآئر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ» الأنعام: ١٠٤).

و قال: «من يطع الرّسول فقد أطاع الله و من تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» النساء: ٨٠).

و قال: «فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ» الشّورى: ٤٨).

و **قوله عزّ و جلّ:** «و ما أنت عليهم بوكيل» و لست أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم بوكيل على المشركين و من انسلك مسالكهم في كلّ ظرف ... تحفظ عليهم

عقآئدهم و أفكارهم و أحوالهم و أعمالهم و أقوالهم ... إنّما أنت منذر، فبلّغهم ما أرسلت به إليهم، فإنّما عليك البلاغ و علينا الحساب، فلست بمسئول عنهم بعد أن بلّغتهم رسالة ربّك، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ...

قال الله تعالى: «قل يا أيّها النّاس قد جآءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه و من ضلّ فإنّما يضلّ عليها و ما أنا عليكم بوكيل» يونس: ١٠٨).

و قال: «و ما جعلناك عليهم حفيظاً و ما أنت عليهم بوكيل» الأنعام: ١٠٧).

و قال: «الله خالق كلّ شيء و هو على كلّ شيء وكيل» الزّمر: ٦٢).

و قال: «إنّما أنت نذير و الله على كلّ شيء وكيل» هود: ١٢).

و قال «فإنّما عليك البلاغ و علينا الحساب» الرّعد: ٤).

و قال: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون» فاطر:٨).

٧- (و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر امّ القرى و من حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة و فريق في السّعير)

و مثل ذلك الايحآء البديع البيّن المفهم أوحينا إليك أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم قرآناً عربيّاً واضحاً جليّاً بلسان قومك لالبس فيه عليك و لا خفآء فيه عليهم لأنّ الّذين أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا ما فيه من حجج الله تعالى و ذكره، من الوعد و الوعيد، من البشارة و الإنذار، و من المعارف و الحكم، و ما يحتاج إليه البشر في كلّ ظرف إلى يوم القيامة.

قال الله عزّ و جلّ: «و ما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم» ابراهيم: ٤).

و قال: «و هذا لسان عربيّ مبين» النّحل: ١٠٣).

و قال: «قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون» الزّمر: ٢٨).

و قال: «كتاب فصلّت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون» فصّلت: ٣).

و قال: «و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء» النّحل:٨٩).

و **قوله تعالى**: «لتنذر امّ القرى و من حولها» لتنذر أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم بهذا الوحي أهل أُمّ القرى و هي مكّة المكرّمة (سمّيت بها لأنّها أصل لما سواها من

القرى، حيث إنّ الأرض دحيت من تحتها، و تسمّى أصل كلّ شيء بالامّ، و من هنا يعلم معنى قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في إبنته فاطمة الزّهرآء عليها أفضل صلوات الله: «فاطمة امّ أبيها» لظهور الولاية النّبويّة منها، و سيأتى الكلام تفصيلا في تفسير سوره الكوثر فانتظر) و من حولها من سآئر الخلق المكلّفين أجمعين من العرب و العجم، من الأسود و الأبيض، و من الجنّ و الإنس ... تدعوهم إلى الحقّ و الهدى، إلى الخير و الفلاح، و إلى العدل و الصلاح ... و تخوّفهم بما فيه من الوعيد، و تبشّرهم بما فيه من الوعد ...

قال الله تعالى: «قل إنّما أُنذركم بالوحي» الأنبيآء:٤٥).

و قال: «قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني و بينكم و اوحي إليّ هذا القرآن لأُنذركم به و من بلغ» الأنعام:١٩).

و قال: «إن هو إلاّ ذكر و قرآن مبين لينذر من كان حيّاً» يس: ٦٩-٧٠).

و قال: «و إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنصتوا فلمّا قُضِيَ و لّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدى إلى الحقّ و إلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم» الأحقاف:٢٩-٣١).

و قال: «قل اوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به ولن نشرك بربّنا أحداً و أنّا منّا المسلمون و منّا القاسطون فمن أسلم فاولئك تحرّوا رشداً» الجن: ١-١٤).

و قوله جلّ و علا: «و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه» و لتنذر أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم الخلآئق المكلّفين كلّهم يوم القيامة و أهوالها، يجمع فيه الخلائق أجمعين لا يغيب فرد واحد منهم: من الجن و الإنس، من المؤمن و الكافر، من الذّكر و الانثى، و من الأنبيآء والأُمم ... يوم لا ريب في مجيئه لتظاهر البراهين على تحقّقه عقلاً و نقلاً، فإنّ الحكمة قاضية بجزآء المحسن على إحسانه، و عقاب المسيئ على إسآئته، و لما فيه من نصوص قاطعة على وجوده لا تحتمل تأويلاً و لا تفسيراً.

قال الله تعالى: «و أنذر النّاس يوم يأتيهم العذاب» ابراهيم:٤٤)
و قال: «يلقى الرّوح من أمره من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء» غافر:١٥-١٦).
و قال: «و تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض و نفخ في الصّور فجمعنا هم جمعاً» الكهف:٩٩).
و قال: «إن كانت إلاّ صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون» يس:٥٣).
و قال: «قل إنّ الأوّلين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم» الواقعة:٤٩-٥٠).
و قال: «و يوم يحشرهم جميعاً - يا معشر الجنّ و الإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي و ينذرونكم لقآء يومكم هذا» الأنعام: ١٢٨-١٣٠).
و قال: «و يوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلآء إيّاكم كانوا يعبدون» سبأ: ٤٠).
و قال: «و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين» القصص:٦٥).
و قال: «يوم يجمع الله الرّسل فيقول ماذا أُجبتم» المآئدة:١٠٩).
و قال: «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التّغابن و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفّر عنه سيّئاته و يدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم و الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النّار خالدين فيها و بئس المصير» التّغابن: ٩-١٠)

و قوله عزّ و جلّ: «فريق في الجنّة و فريق في السّعير» إنّ الخلائق المكلّفين بعد جمعهم و عرضهم للحساب يوم القيامة، يمتازون و يفرّقون، ففريق منهم يدخلون الجنّة لإيمانهم بالله جلّ و عزّ، و بما أوحي إلى رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلمو باليوم الآخر، و لمودّتهم في القربى، و لصالح أعمالهم ... و بذلك استحقّوا الكرامة عند ربّهم، و النّعيم المقيم في جنّته، و فريق منهم يدخلون نارالله الموقدة المسعورة على أهلها لشركهم بالله سبحانه، و كفرهم بوحيه و مخالفتهم لرسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و عداوتهم لأهل بيت

الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فدسّوا أنفسهم بما أسآؤا إليها من الشّرك و الطغيان، من البغي والعصيان، ومن الإثم و العدوان ...

قال الله تعالى: «و يوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون فأمّا الذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون و أمّا الّذين كفروا و كذّبوا بآياتنا و لقآء الآخرة فاولئك في العذاب محضرون» الرّوم: ١٤-١٦).

و قال: «و امتازوا اليوم أيّها المجرمون» يس:٥٩).

و قال: «ذلك يوم مجموع له النّاس و ذلك يوم مشهود - يوم يأت لا تكلّم نفس إلاّ باذنه فمنهم شقيّ و سعيد فأمّا الّذين شقوا في النّار لهم فيها زفير و شهيق - و أمّا الّذين سعدوا في الجنّة خالدين فيها ...» هود: ١٠٣-١٠٨).

٨-(و لو شآء الله لجعلهم امة واحدة و لكن يدخل من يشآء في رحمته و الظّالمون ماهم من وليّ و لا نصير)

و لو شآء الله تعالى إجتماع جميع النّاس على الحق و الهدى، على الصّلاح و الفلاح، و على الخير و الصّراط المستقيم مشيّة قدرة و قسر و إلجآء لجعلهم امّة واحدة، متّفقين على دين واحد، و لأجبرهم جميعاً على الايمان و الطّاعة و صالح الأعمال من دون إختيار ولا إرادة لهم فيها، و لكنه جلّ و علا لم يشأ مشيّة الإلجآء بشأن هذه الحياة الّتي هى دار تكليف و اختبار، الأمر الّذي لايتناسب مع سوى الإختيار.

قال الله عزّ و جلّ: «و لو شآءالله لجعلكم امّة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» المآئدة: ٤٨)

و قال: «الّذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً» الملك:٢)

و قال: «قل فللّه الحجّة البالغة فلو شآء لهداكم أجمعين» الأنعام:١٤٩)

و قال: «و على الله قصد السّبيل و منها جآئر و لو شآء لهداكم أجمعين - إنّما يبلوكم الله به و ليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون» النّحل: ٩ و ٩٢)

و قال: «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً - إنّ هذه تذكرة فمن شآء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً» الإنسان: ٢ و٢٩)

و قال: «إن هو إلاّ ذكر للعالمين لمن شآء منكم أن يستقيم» التكوير:٢٧-٢٨)

و من البداهة أنّ مشيّة الإلجآء تخالف الإختيار، تخالف خلق العقل و جنوده، و الشّهوة و جنودها، ثمّ تخالف الجنّة و النّار ... فلم يكن للحق و الباطل، للخير و الشّرّ، للايمان و الكفر، للهدى و الضّلالة، للطّاعة و المعصية، و للعدل و الظّلم معنىً، و لا للجّنة و النّار، للثواب و العقاب مفهوم، و لا للطّيّب و الخبيث، و لا للسّعيد و الشّقي تمييز، و لكنّ الله تعالى شآء مشيّة حكمة أن يكلّف النّاس، و بنى أمرهم على الإختيار و له الحجّة البالغة، إذ جعل الله عزّ و جلّ الإنسان ذا إرادة و إختيار في عقآئده و أفكاره، و في نيّاته و أقواله و أفعاله ...

فمن اهتدى و اختار الحق و الهدى، و آمن بالله تعالى و أطاعه بحسن إختياره يدخله الله جلّ و علا في رحمته الخاصّة في الحياة الدّنيا من العزّة و الغلبة، و من الكمال و السّيادة، و في الدّار الآخرة من الرّضوان و الكرامة عند الله تعالى و نعيم الجنّة.

قال الله تعالى: «إنّ رحمت الله قريب من المحسنين - و رحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون و يؤتون الزّكاة و الّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف:٥٦ و١٥٦).

و قال: «و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أوليآء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و يطيعون الله و رسوله اولئك سيرحمهم الله» التّوبة: ٧١).

و قال: «إنّ الّذين آمنوا و الّذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله» البقرة: ٢١٨).

و قال: «و من يقنط من رحمة ربّه إلاّ الضّالّون» الحجر:٥٦).

و قال: «و أمّا الّذين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» آل عمران:١٠٧)

و قال: «فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين» الجاثية: ٣٠).

و قوله عزّ و جلّ: «و الظّالمون ما لهم من وليّ و لا نصير» و من تلبّس بالظّلم، و

أشرك بالله سبحانه، و انحرف عن الحق و الهدى، و عصى الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم و خالف أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بسوء إختياره و لم يتب بعد ذلك، فمات، يستحقّ غضب الله تعالى و مقته و عذابه، ما له في الدّنيا و الآخرة من وليّ قريب يواليه، و يعينه على ما فيه خيره و صلاحه، فينفعه، و لا نصير يدفع عنه العذاب الدّنيوي و الاخروي.

قال الله تعالى حكاية عن لقمان: «يا بنيّ لاتشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم» لقمان:١٣)

و قال: «و من يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظّالمون – و الكافرون هم الظّالمون – و ما للظّالمين من أنصار» البقرة: ٢٢٩و٢٥٤و٢٧٠)

و قال: «فمن إفترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظّالمون» آل‌عمران: ٩٤)

و قال: «و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظّالمون» المآئدة: ٤٥).

و قال: «سآء مثلاً القوم الّذين كذّبوا بآياتنا و أنفسهم كانوا يظلمون» الأعراف: ١٧٧).

و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا لاتتّخذوا آبآءكم و إخوانكم أوليآء إن استحبّوا الكفر على الايمان و من يتولّهم منكم فاولئك هم الظّالمون» التّوبة: ٢٣).

و قال: «و من لم يتب فاولئك هم الظّالمون» الحجرات: ١١).

و قال: «ما للظّالمين من حميم و لا شفيع يطاع» غافر: ١٨).

٩- (أم اتّخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ و هو يحي الموتى و هو على كلّ شيء قدير)

بل إتّخذوا هؤلآء الظالمين من الكفّار و المشركين، من الفجّار و المستكبرين، و من الفسّاق و المخالفين ... إتّخذوا أوليآء من الأصنام و الأوثان و الطّواغيت ... أرباباً لأنفسهم يتولّونهم و يعبدونهم من دون الله، يرجون نصرهم، و يبتغون العزّة عندهم، و قد ضلّوا ضلالاً بعيداً، و هؤلآء لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرّاً فضلاً عن غيرهم.

قال الله تعالى: «قل أفاتّخذتم من دونه أوليآء لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضرّاً» الرّعد: ١٦).

و قال: «إنّهم اتخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله و يحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠).

و قال: «واتخذوا من دون اللّه آلهة ليكونوا لهم عزّاً كلاّ سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدّاً» مريم: ٨١-٨٢).

و قال: «إنّما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدّنيا ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضاً و مأواكم النّار و مالكم من ناصرين - مثل الّذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٢٥و٤١).

و قال: «و اتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم و هم لهم جند محضرون» يس: ٧٤-٧٥).

و قال: «فلولا نصرهم الّذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلّوا عنهم و ذلك افكهم و ما كانوا يفترون» الأحقاف: ٢٨).

و قال: «يا أيّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذّباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطّالب و المطلوب» الحجّ: ٧٣)

و **قوله تعالى:** «فالله هو الوليّ» فالله جلّ و علا وحده هو وليّك يا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و وليّ من اتّبعك من المؤمنين لاوليّ سواه، فإن أراد هؤلآء الظّالمون وليّاً بحق يدفع عنهم الملمّات و يجلب لهم الخيرات و يخرجونهم من الظّلمات إلى النّور، و من الإنحطاط إلى ذورة الكمال، و من الذّلّة إلى العزّة ... فالله تعالى هو الوليّ الّذي يجب أن يتولّى وحده و أن يعتقد أنّه الحقيق بالولاية دون غيره، و أنّه المولى لاوليّ سواه ممّا لا يملك لهم نفعاً و لا ضرّاً، فالله تعالى وحده هو وليّ العبد، و النّاصر و المعين له، و المتولّي لأموره كلّها من الشّأن و الشّعور، و من الخير و الشّرّ ... و العبد وليّ الله بمعنى المطيع له و

المواِلي لمن والاه و المعادى لمن عاداه.

قال الله تعالى: «هنا لك الولاية لله الحقّ» الكهف: ٤٤).

و قال: «إنّ وليّي الله الّذي نزّل الكتاب و هو يتولّى الصّالحين» الأعراف:١٩٦).

و قال: «الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور و الّذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظلمات» البقرة: ٢٥٧)

و قال: «بل الله مولاكم و هو خير النّاصرين» آل عمران: ١٥٠).

و قال: «إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا – و من يتولّ الله و رسوله و الّذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون» المآئدة:٥٥-٥٦).

و قال: «إن أوليآؤه إلاّ المتّقون» الأنفال: ٣٤).

و قال: «و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم النّصير» الحجّ:٧٨).

و قال: «ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا و أنّ الكافرين لا مولى لهم» محمّد صلى الله عليه و آله و سلم:١١).

و **قوله تعالى**: «و هو يحى الموتى» و من شأن هذا الوليّ الحق أنّه يحى الموتى للبعث و الحساب و الجزآء كما أحياكم هو وحده أوّل مرّة فآمنوا بالله تعالى و بوحيه و برسوله صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله تعالى: «ذلك بأنّ الله هو الحق و أنّه يحي الموتى – و هو الّذي أحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم» الحجّ: ٦و٦٦).

و قال: «لاإله إلاّ هو يحي و يميت فآمنوا بالله و رسوله النّبيّ الأمّي الّذي يؤمن بالله و كلماته و اتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ١٥٨).

و قال: «قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة» يس: ٧٩).

و قال: «قل الله يحييكم ثمّ يميتكم ثمّ يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه اليوم تجزون ما كنتم تعلمون» الجاثية: ٢٦-٢٨).

و **قوله عزّ و جلّ**: «و هو على كلّ شيء قدير» و من شأن هذا الوليّ المطلق الحق أنّه وحده هو القادر على إحيآء الموتى، و على غير ذلك لأنّه ذوقدرة مطلقة على كلّ

شيء، ايجاداً و إعداماً و تصرّفاً و تغلّباً فهو الحقيق بأن يتّخذ وليّاً دون غيره لأنّه المالك للنّفع و الضّرّ، و ما سواه لا يقدر على شيءٍ فليس المتّخذون أوليآء إذ لا يستطيعون دفع الضّرّ عن أنفسهم، و لا جلب الخير لها.

قال الله تعالى: «تبارك الّذي بيده الملك و هو على كلّ شيء قدير» الملك: ۱).

و قال: «ألم تعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير ألم تعلم أنّ الله له ملك السّموات و الأرض و ما لكم من دون الله من وليّ و لا نصير» البقرة: ۱۰٦-۱۰۷)

و قال: «أيشركون ما لا يخلق شيئاً و هم يخلقون و لا يستطيعون لهم نصراً و لا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ۱۹۱-۱۹۲).

۱۰-(و ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكّلت و إليه أُنيب)

و ما اختلفتم أيّها المؤمنون مع هؤلآء الظّالمين المعاندين في أمر من امور الدّين أو في شيء من شئون الدّنيا فحكمه مردود إلى الله جلّ و علا وحده: «إن الحكم إلاّ لله» يوسف: ٤٠) «و لا يشرك في حكمه أحداً» الكهف: ۲٦) و كلّما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكان حكم الله تعالى نفسه لقوله عزّ و جلّ: «و ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إنّ الله شديد العقاب» الحشر: ۷) و قوله: «ما ضلّ صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحي» النّجم: ۲-٤) و قوله: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله - إنّ أولى النّاس بابراهيم للّذين اتبعوه و هذا النّبيّ» آل عمران: ۳۱و٦۸) و قوله: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله» النسآء: ۱۰٥) و قوله: «قل أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول - و إن تطيعوه تهتدوا» النّور: ٥٤) و قوله: «من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النّسآء: ۸۰).

و قوله: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني» يوسف: ۱۰۸)

و قوله: «قل ما يكون لي أن أُبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحي الىّ إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم» يونس: ۱٥) و قوله: «يا أيّها النّبيّ حسبك الله و من اتّبعك من المؤمنين» الأنفال: ٦٤).

و كلّما كان يحكم به أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فهو حكم الله جلّ و علا عينه لأنّهم حفظة علم الله تعالى و سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم الّذين لايعتريهم خطأ و لا زلل قطّ.

قال الله تعالى فيهم: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و الرّسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلاً» النسآء: ٥٩)

في نهج البلاغه: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّبن ابيطالب عليهاالسلام: «فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، و ردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته، فإذا حُكِم بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به، و إن حُكِمَ بسنّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فنحن أولاهم به»

و فيه: قال الإمام عليّ عليه‌السلام في أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: «فيهم كرآئم القرآن، و هم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا و إن صمتوا لم يُسبَقُوا – و اعلموا أنّ عبادالله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، و يفجّرون عيونه هم موضع سرّه، و لجأ أمره، و عيبة علمه، و موئل حِكَمه، و كهوف كتبه و جبال دينه»

و أمّا من كان من الفقهآء صآئناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فحكمه حكم الله تعالى ظاهراً حيث إنّ الإجتهاد طريق إلى الواقع، و ليس بواقع جزماً لإمكان الخطأ في الطريق لعدم العصمة، قال الله تعالى فيهم: «يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا – و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون» آل عمران:١٠٢-١٠٤).

و قال: «كونوا ربّانيّين بما كنتم تعلّمون الكتاب و بما كنتم تدرسون – و إذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس و لا تكتمونه» آل‌عمران:٧٩و١٨٧).

و لا يكون على هذه الصّفات إلاّ بعض فقهآء الشّيعة الإمامية الإثنى عشرية لاكلّهم، فضلاً عن فقهآء العامّة من أصحاب القياس و الهوى، لأنّ غير البعض و فقهآء

العامة كلّهم من دون استثنآءٍ، هم الّذين نبذوا كتاب الله و رآء ظهورهم، و يكتمون ما أنزل الله تعالى، و يحكمون بغير ما أنزل الله جلّ و علا، فحكمهم مردود إلى أنفسهم و ذرهم في طغيانهم يعمهون.

قال الله تعالى فيهم: «و إنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عندالله و ما هو من عندالله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون - فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبّن الّذين يفرحون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم» آل عمران: ۷۸و۱۸۷-۱۸۸).

و قال: «و من لم يحكم بما أنزل اللّه فاولئك هم الكافرون - و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظّالمون - و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون» المائدة: ٤٤-٤٥و٤٧)

و قال: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون - إنّ الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النّار و لا يكلّمهم الله يوم القيامة و لا يزكّيهم و لهم عذاب اليم» البقرة: ۱۵۹و۱۷٤)

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّبن أبيطالب عليهاالسلام فيهم: «كأنّهم أئمّة الكتاب و ليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلاّ اسمه، و لا يعرفون إلاّ خطّه و زَبْرَه»

و في الاحتجاج: حديث طويل عن أبي محمّد العسكرى عليها السّلام: «فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه و ذلك لا يكون إلاّ بعض فقهآء الشّيعة لا كلّهم، فإنّ من ركب من القبآئح و الفواحش مراكب علمآء العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً و لا كرامة ...».

أقول: إنّ الحديث مؤيّد بكثير من الآيات القرآنيّة، و بصريح الرّوايات الصّحيحة، فوسوسة الّذين نبذوا كتاب الله و رآء ظهورهم، و اشتروا به ثمناً قليلاً، و

أوثروا أقاويل المخلوق الجهول على كلام الخالق العليم، و استحبّوا العمى على الهدى... فردودة إلى أنفسهم الخبيثة و ذلك أنّهم صآئنون لدنياهم، حافظون لدينارهم، مخالفون على مولاهم، مطيعون لأمر هواهم، فلا نتوقّع منهم غير التشكيك و الوسوسة في الرّواية المؤيّدة بالكتاب و السّنّة، حيث إنّ منطقهم أنّ الكتاب ظنّيّة الدّلالة، و السّنّة ظنّيّة الصدور و ليس العلم إلاّ في أقاويلهم السّخيفة ...

و نسبة هذا المنطق السّخيف إلى العلاّمة الحلّي رضوان الله تعالى عليه كذب محض و إفتراء، حسبما حقّقناه في محلّه، و إنّما دسّه الأعدآء و أوردوه في بعض الكتب، و نسبوه إليه رحمة الله تعالى عليه، فتقبّله ضعفآء العقول و التّدبير و أتباع الشّهوة و أهل الرّئاسة و الإشتهار منّا!

كيف و قد قال الله عزّ و جلّ: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم: ٢٤).

و قال: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته و ليتذكّر اولوالألباب» ص: ٢٩)

و قوله تعالى: «ذلكم الله ربّي» قل لهم أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم: ذلكم الحاكم بالحق هوالله الّذي هو ربّي و ربّكم فاعبدوه وحده: «إنّ الله ربّي و ربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» آل عمران: ٥١) «ذلكم الله ربكم لاإله إلاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه و هو على كلّ شيء وكيل - قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة ابراهيم حنيفاً - قل أغيرالله أبغي ربّاً و هو ربّ كلّ شيء» الأنعام: ١٠٢و١٦١و١٦٤)

و قوله عزّ و جلّ: «عليه توكّلت و إليه انيب» على الله تعالى خاصّة توكّلت في جميع اموري الّتي منها دفع شرّ الأعدآء و الظّالمين، و إليه وحده أرجع في جميع المهمّات و المعضلات ...

قال الله تعالى: «فان تولّوا فقل حسبي‌الله لا اله إلاّ هو عليه توكّلت و هو ربّ العرش العظيم» التّوبة: ١٢٩).

و قال: «إن الحكم إلاّ لله عليه توكلت و عليه فليتوكّل المتوكّلون» يوسف: ٦٧).

١١- (فاطر السّموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام

أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير)

الله تعالى وحده هو الوليّ لأنّه خلق السّموات السّبع و الأرض مثلهنّ و أوجدها بالإخراج من كتم العدم إلى الوجود على سبيل الإبداع.

قال الله تعالى: «قل أغير الله أتّخذ وليّاً فاطر السّموات و الأرض» الأنعام: ١٤).

و قال: «بل ربّكم ربّ السّموات و الأرض الّذي فطرهنّ» الأنبيآء:٥٦).

و قال: «الله الّذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً» الطلاق: ١٢).

و قوله عزّ و جلّ: «جعل لكم من أنفسكم أزواجاً» الله تعالى هو الوليّ الّذي يجب عليكم أيّها المؤمنون التوكّل عليه، و الإنابة إليه لأنّه الّذي جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجاً، فجعل لكلّ ذكر زوجاً من شكله على ما تقتضيه الحكمة فيه، بخلق الذّكر و الانثى اللّذين يتمّ بتزاوجهما أمر التّوالد و التناسل و تكثّر الأولاد من جنس واحد لتتعاطفوا و تتبادلوا الرّحمة و المودّة و لتسكنوا إليها و تألفوها.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس اتقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نسآءً» النّسآء:١).

و قال: «هو الّذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها» الأعراف:١٨٩).

و قال: «و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة» النّحل: ٧٢).

و قال: «و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» الرّوم: ٢١).

و قوله جلّ و علا: «و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه» و خلق لكم الأنعام أيضاً من أجناسها أصنافاً ثمانية من الضأن اثنين، و من المعز اثنين، و من الإبل اثنين، و من البقر اثنين، فجعل لكلّ حيوان زوجاً من شكله على ما تقتضيه فيه الحكمة الإلهية فكثّرها بذلك لتنتفعوا بها، و الله تعالى هو الّذي ينشئكم أيّها النّاس و يكثّركم في هذا

التّزاوج، و يظهر نسلكم جيلاً بعد جيل.

قال الله تعالى: «خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها و أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امّهاتكم» الزّمر: ٦).

و قال: «قل هو الّذي ذرأكم في الأرض و إليه تحشرون» الملك: ٢٤)

و قال: «ثمانية أزواج من الضّأن اثنين و من المعز اثنين - و من الإبل اثنين و من البقر اثنين» الأنعام: ١٤٣-١٤٤).

و قال: «الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها و منها تأكلون و لكم فيها منافع و لتبلغوا عليها حاجة في صدوركم و عليها و على الفلك تحملون» غافر: ٧٩-٨٠).

و **قوله تعالى:** «ليس كمثله شيء» ليس كذاته سبحانه ذات، و لا كاسمه إسم و لا كفعله فعل، و لا كصفته صفة إلاّ من جهة موافقة اللفظ، و جلّت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة، و إنّما لم يكن كمثله شيء إذ لو كان ذاشبه من خلقه لكان مفتقراً إلى مؤثّر و مدبّر مثله، ليس كمثله شيء ذاتاً و وصفاً لأنّه خالق كلّ شيء و فوق كلّ شيء، فلا يماثله شيء في علمه و حكمته، في تدبيره و حكمته، و في كنهه و عظمته، و أيضاً المثليّة: هى الاتّفاق بالكيفيّة، و لا كيفيّة له تقدّس و تعالى.

قال الله تعالى: «لو كان فيها آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون» الأنبيآء: ٢٢).

و قال: «ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون عالم الغيب و الشّهادة فتعالى عمّا يشركون» المؤمنون: ٩١-٩٢).

و قال: «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون» الصّافّات: ١٨٠).

و قال: «سبحان رب السّموات و الأرض ربّ العرش عمّا يصفون:» الزّخرف: ٨٢)

و قال: «بديع السّموات و الأرض أنّى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة و خلق

كلّ شيء» الأنعام:١٠١).

و قال: «خلق السّموات و الأرض بالحق تعالى عمّا يشركون - أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكّرون» النّحل ٣و١٧).

و قال: «وقل الحمدللّه الّذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له وليّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً» الإسراء: ١١١).

و قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «وبمحدث خلقه على أزليّته» أى بتعيّناتهم و تشخّصاتهم و تقيّداتهم على وحدته و إطلاقه و قدمه، وقال عليه السلام: «وبأشباههم على أن لاشبه له» لأنّ المقيّدات من حيث هى هى مشبّهة بعضها ببعض، بخلاف المطلق فإنّه لا شبه له بوجه من الوجوه ... فبين المطلق والمقيّد، بين الظاهر و المظهر، بين الرّب و المربوب، و بين الخالق و المخلوق ... إفتراق لا يشبه أحدهما بالآخر.

و **قوله عزّ و جلّ**: «و هو السّميع البصير» و الله تعالى هو السّميع لكلّ شيء لا بآلة، يسمع لجميع المسموعات، يسمع لما يرفع إليه من مسآئل خلقه: «يسئله من في السّموات و الأرض» الرّحمن:٢٩) «و آتاكم من كلّ ما سئلتموه - إنّ ربّي لسميع الدّعآء» ابراهيم:٣٤-٣٩) و يسمع لمقالتكم: «لايحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم و كان الله سميعاً عليماً» النسآء: ١٤٨) «قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها و تشتكى إلى الله و الله يسمع تحاوركما إنّ الله سميع بصير» المجادلة:١).

الله تعالى هو البصير بكلّ شيء لا بأداة لأنّه خارج عن تصرّف الحالات، بصير بجميع المبصرات، بصير بأعمالكم ...

قال الله عزّ و جلّ: «و هو معكم أين ما كنتم و الله بما تعلمون بصير» الحديد:٤).

و قال: «إنّالله يعلم غيب السّموات والأرض والله بصير بما تعملون» الحجرات:١٨).

و قال: «و اتّقوا الله و اعلموا أنّ الله بما تعلمون بصير» البقرة: ٢٣٣)

لا يخفى عليه من ذلك شيء، و لا يعزب عنه علم شيء منه، و هو محيط بجميعه،

محصٍ صغيره و كبيره لتجزى كلّ نفس بما كسبت من خير أو شرّ.

١٢- (له مقاليد السّموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّه بكلّ شيء عليم)

الله جلّ و علا وحده هو الوليّ إذ له مفاتيح خزآئن السّموات و الأرض، و في قبضته امور الكون كلّها، و بيده مغاليق الخير و الشّرّ، و بيده تصريف السّموات و لأرض ...

قال الله تعالى: «الله خالق كلّ شيء و هو على كلّ شيء وكيل له مقاليد السّموات و الأرض» الزّمر: ٦٢-٦٣).

و قال: «قل من بيده ملكوت كلّ شيء و هو يجير و لا يجار عليه إن كنتم تعلمون»المؤمنون: ٨٨).

و قال: «تبارك الّذي بيده الملك و هو على كلّ شيء قدير» الملك:١).

و **قوله تعالى:** «يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر ...» فما يفتح الله جلّ و علا من رحمة لعباده فلا ممسك لها، و ما يمسك الرّزق فلا مرسل له من بعده إذ بيده بسط الرّزق و قبضه وفقاً لمقتضيات علمه و حكمته لأنّه تعالى عليم بكلّ شيء، و يعلم بما يصلح عباده و بما يفسدهم، و بما فيه ابتلائهم و اختبارهم و امتحانهم ... فيوسّع رزقه لمن يشآء و فضله على من يشآء من عباده، و يبسط له و يكثر ماله و يغنيه ابتلاءً تارة و إملاءً تارة اخرى و يقتر على من يشآء منهم فيضيّقه و يفقر ابتلاءً تارة، و استحقاقاً تارة اخرى، فالله عزّ و جلّ يبسط لحكمة و يقبض بحسب السّنن و النّواميس الّتي وضعها بين عباده في هذه الحياة الدّنيا.

قال الله تعالى: «إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً»الكهف:٧).

و قال: «و هو الّذي جعلكم خلائف في الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الأنعام:١٦٥).

و قال: «و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض و لكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه

بعباده خبير بصير» الشورى: ٢٧).

و قال: «إنّما أموالكم و أولادكم فتنة» التغابن:١٥)

و قال: «و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الـثّمرات و بشّر الصّابرين» البقرة: ١٥٥)

و قال: «فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدّنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون» التّوبة:٥٥).

و قال: «أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» المؤمنون: ٥٥-٥٦).

و قال: «إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و آتيناه من الكنوز - و أصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون و يكأنّ الله يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده و يقدر...» القصص: ٧٦-٨٢).

و قال: «فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه و نعّمه فيقول ربّي أكرمن و أمّا اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانَنِ» الفجر: ١٥-١٦).

و قال: «أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون: الزّمر: ٥٢).

و قال: «قل إنّ ربّي يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» سبأ:٣٦).

١٣- (شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء و يهدي إليه من ينيب)

الّذي له مقاليد السّموات و الأرض هو الّذي شرع لكم أيّها النّاس كافّة من الدّين و هو الاسلام الّذي وصّى به نوحاً عليه‌السلام من قبل، و هو أوّل أنبيآء الشّريعة أظهر إسلامه على أساس الشّريعة، و قد كان آدم عليه‌السلام مسلماً من قبل على أساس الفطرة، فالإسلام هو الدّين الحقّ الخالص الدّائم على أساس الفطرة و الشريعة أسلم له

من في السّموات و الأرض، فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل الله تعالى منه.

قال الله عزّ و جلّ: «إنّ الدّين عندالله الإسلام - أفغير دين الله يبغون و له أسلم من في السّموات و الأرض طوعاً و كرهاً - و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩و٨٣و٨٥).

و قال: «ألا لله الدّين الخالص» الزّمر:٣).

و قال :«و له ما في السّموات و الأرض و له الدّين واصباً» النحّل:٥٢).

و قال: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون» الصّفّ:٩).

و قال: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون» الرّوم: ٣٠).

و قد صرّح الله عزّ و جلّ في كتابه الكريم: أنّ كمال هذا الدّين الفطرى، هذا الدّين الحق، هذا الدّين الخالص، و هذا الدّين الدّائم على أساس شريعة نوح عليه‌السلام كان بولاية مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علي‌بن أبيطالب عليهماالسلام بلّغها رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يوم الغدير بحيث لو لم يبلّغها لما بلّغ رسالته أصلاً إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً يا أيّها الرّسول بلغّ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس» المائدة: ٣و٦٧).

و **قوله تعالى**: «و الّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه» و الّذي أنزلنا إليك أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و أنت مأمور بتبليغه و الّذي وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى، و هم أصحاب الشّرآئع قبلك:أن أقيموا أنتم أصحاب الشّرائع الخمس، اولوالعزم من الرسل - هذا الدّين الحنيفي الإسلامي الولائي و هذا الدّين وحده هو المشروع الموصى به و الموحى إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم فاتفقوا عليه أيّها الرّسل، فبلّغوه اُممكم، و لا تتفرّقوا فيه. فكان الأنبيآء و المرسلون كلّهم مأمورين بإقامة هذا الإسلام الولآئي و بتبليغه من دون خلاف بينهم فيه.

قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه‌السلام: «ربّنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذرّيّتنا أُمّة مسلمة لك و من يرغب عن ملّة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه - إذ قال له ربّه أسلم قال أسلمت لربّ العالمين و وصّى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون» البقرة: ١٢٨-١٣٢)

و قال: «فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله و من اتبعن و قل للذين اوتوا الكتاب و الأميّين - أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا و إن تولّوا فانّما عليك البلاغ - ما كان إبراهيم يهودياً و لا نصرانياً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين إنّ أولى النّاس بابراهيم للّذين اتبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا و الله وليّ المؤمنين - يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا - و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون» آل عمران: ٢٠و٦٧-٦٨و١٠١-١٠٤)

فيجب على جميع الأُمم أن يقيموا هذا الدّين الولآئي و أن يبلّغوه تبعاً لرسلهم لأنّ ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هى وحدها طريق الحق و الهدى، طريق الخير و الكمال، و طريق الصّلاح و النجاة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب عليهما‌السلام: «هم أساس الدّين و عماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي، و بهم يلحق التالي، و لهم خصآئص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة والوراثة - بنا اهتديتم في‌الظّلمآء و تسنّمتم العلياء، و بنا انفجرتم عن السّرار - انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، و اتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدكم في‌رِدىً، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا - وعندنا أهل‌البيت أبواب الحكم وضيآء الأمر ألا و إنّ شرائع الدّين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق و غنم و من وقف عنها ضلّ وندم - بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى إنّ الأئمّة من قريش غُرسوا في‌هذا البطن من هاشم لاتصلح على سواهم، و لا تصلح الوُلاة من غيرهم».

قال الله تعالى: «أم لهـم شركآؤا شرعـوا لهـم في الدّيـن مـالم يأذن بـه اللـه» الشّورى: ٢١).

وقوله عزّوجلّ: «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» عظم على المشركين و من انسلك مسالكهم في الشّرك و الطّغيان، في الظّلم و العدوان، و في البغي والعصيان... ما تدعوهم إلى هذا الإسلام الولآئي الّذي كان عليه جميع الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء و المتّقين والصلحآء والمؤمنين.

قال الله تعالى: «وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم» المؤمنون: ٧٣).

و قال: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتّقون» انعام: ١٥٣).

و قال: «و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف: ٥٧).

و قال: «والله يعصمك من النّاس إنّ الله لايهدى القوم الكافرين» المآئدة: ٦٧).

و قوله تعالى: «الله يجتبي إليه من يشآء» الله جلّ و علا يختار إليه لإقامة أمر دينه بعد رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم من يشآء من عباده الّذين لم يتلبّسوا بظلم من أنحآئه ولو آناًما، حيث إنّ أمر الإمامة و الولاية كأمر الشّريعة والرّسالة بيد الله تعالى فحسب، وليس لأحد من خلقه فيها خيرة، و لاينال بها من تلبّس بالظّلم و لوآناً ما.

قال الله تعالى: «و إذ ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمّهنّ قال إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال و من ذرّيّتي قال لاينال عهدى الظّالمين» البقرة: ١٢٤).

و قال: «و لكنّ الله يجتبي من رسله من يشآء» آل عمران: ١٧٩).

وقال: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤).

وقوله سبحانه: «ويهدي إليه من ينيب» والله تعالى يهدى إلى هـذا الإسـلام الولائي من يرجع إليه و يهتدى بهداه.

قال الله عزّوجلّ: «فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثق لاانفصام لها» البقرة: ٢٥٦).

و قال: «ومن يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بـالعروة الوثـق» لقمان:۲۲).

و قـال: «والّـذين جـاهدوا فـينا لنهـدينّهم سـبلنا وإنّ الله لمـع المحسـنين» العنكبوت:٦٩).

١٤- (وماتفرّقوا إلاّمن بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم و لولا كلمة سبقت مـن ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم و إنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب)

و لم يتفرّق عتاة المتخلّفين من هذه الأمة المسلمة عن ميثاق الله جلّ و علا و لم ينبذوا عهده عن جهل و غفلة، و لا عن سهو و لا نسيان... و إنّما أوجدوا الفرقة بـين المسلمين بعد أن جآءهم العلم بالإسلام الولآئي و عرفوه فحسدوا و بغوا، إذ نقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، و أوثروا العاجلة و شهواتها عـلى الآخـرة و نعيمها فتفرّقوا في المذاهب و اخذوا بالآرآء و الأهوآء، وكانواهم سبب انحطاط المسلمين حتّى اليوم إذ صدّوا عن سبيل الله و كانوا يبغونها عوجاً و فعلوا مافعلوا!

قال الله تعالى: «و لقد أنزلنا إليك آيات بيّنات و ما يكفر بها إلاّ الفاسقون أو كلّما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لايؤمنون» البقرة:٩٩-١٠٠).

و قال: «و يقولون آمنّا بالله و بالرّسول و أطعنا ثمّ يتولّى فريق منهم من بعد ذلك و ما اولئك بالمؤمنين و إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله بل اولئك هم الظّالمون» النّور:٤٧-٥٠).

و قال: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه و لا تتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتّقون» الأنعام:١٥٣).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليهاالسلام: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الّذي اُمروا

بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مباين».

و قوله عزّ و جلّ: «و لو لا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم» و لو لا كلمة سبقت من ربّك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم في تأخير العقاب عن هؤلآء المتخلّفين من امّتك إذ قضى جلّ و علا أن لا يهلك هذه الامّة المسلمة كالامم السّابقة بعذاب الاستئصال، و أن يؤخّرهم إلى وقت معدود و هو زمن ظهور المهديّ الإمام الثّاني عشر الحجّة بن الحسن العسكرى من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فينتقم به من عتاة هؤلآء المتخلّفين الفسقة، و أتباعهم الفجرة و أذنابهم السّفلة، فلولا ذلك لقضي بينهم فيما كانوا في أمر الاسلام الولآئي يختلفون بنزول العذاب عليهم فيهلكهم أجمعين كالامم السّالفة ...

قال الله تعالى: «و ما كان النّاس إلاّ امّة واحدة فاختلفوا و لو لا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون و يقولون لو لا أُنزل عليه آية من ربّه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» يونس:١٩-٢٠).

و قال: «و إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً و ربّك الغفور ذوالرّحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً» الكهف:٥٧-٥٨).

و قال: «أفلم يهدلهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآيات لأولى النّهىٰ و لو لا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً و أجل مسمّىً» طه:١٢٨-١٢٩)

و قال: «و ما كان لرسول أن يأتى بآية إلاّ بإذن الله فإذا جآء أمر الله قضي بالحقّ و خسر هنا لك المبطلون» غافر:٧٨).

و قوله جلّ و علا: «و إنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب» و إنّ الّذين و هم أخلاف اورثوا القرآن الكريم من بعد أسلافهم المتخلّفين، يعبّر عن

هؤلآء الأخلاف بالعامّة، هم في شكّ في أمر القرآن المجيد، موقع من الرّيب فيه، إذ لم تقع آياته و كلماته موقع اليقين منهم، لأنّهم يقلّدون أسلافهم الّذين لم يؤمنوا بهذا الوحي السّماويّ إذ قال تعالى فيهم: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الايمان في قلوبكم و إن تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إنّ الله غفور رحيم إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصّادقون قل أتعلّمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السّموات و ما في الأرض و الله بكلّ شيء عليم يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين» الحجرات: ١٤-١٧).

أهؤلآء الأسلاف أطاعوا الله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟ أكانت السّقيفة السّخيفة الشّؤمة من طاعة الله؟ أكان هتك عمربن الخطّاب لحرمة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «إنّ هذا الرّجل ليهجر» من طاعة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم!؟؟ فاقض ما أنت قاض إن كنت طيب الولادة، و إلاّ فلا يكون شأنك القضاوة لأنّ فاقد الشيء لن يكون معطيه.

و لعمرى إنّ هؤلآء الأسلاف لم يلقوا هذا الوحي إلاّ بقلوب مريضة، فكان حكمهم عليه هذا الحكم الفاسد الّذي ملأقلوبهم شكّاً و ارتياباً، موجباً لقلق أتباعهم السّفلة، و إضطراب أذنابهم الجهلة، و هذا هو أفظع الشكّ إذ كانوا هم متثبّتين في شكّهم لشدّة عنادهم و لجاجهم و بغضهم و عداوتهم، و مظهرين شكّهم فيه، على أنّ الشكّ على ضربين: شكّ لا يظهره الشّاكّ، و شكّ يظهره، فيوجب الشكّ لغيره و هو مريب.

فهؤلآء الأخلاف أتباع مردة لأسلافهم من دون حجّة و لا برهان، و هم في حيرة في أمرهم و شكّ أقضّ مضاجعهم، و أو قعهم في اضطراب و قلق من هذا الدّين المشروع و هو دين الاسلام الولآئيّ الذي بلّغه رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يوم الغدير.

قال الله تعالى: «بل هم في شكّ يلعبون» الدّخان: ٩).

و قال: «وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون» التّوبة: ٤٥).

١٥-(فلذلك فادع و استقم كما امرت و لا تتّبع أهوآءهم و قل آمنت بما أنزل الله

من كتاب و امرتُ لأعدل بينكم الله ربّنا و ربّكم لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لاحجّة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير)

فلأمر الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّتي بها كمال الدّين الحقّ القويم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون، و بها تمام النّعمة و الشّريعة و تبليغ الرّسالة، و وصىّ جل و علا بها اولى العزم من رسله عليهم السّلام و أمرهم و من تبعهم بإقامتها، ونهاهم عن التّفرقة فيها، و أوحاها إليك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم فادع إليها النّاس كلّهم، و اثبت عليها كما أمرك ربّك بالإستقامة عليها، و اصدع بما تؤمر مستقيماً عليه، غير ناظر إلى ما يجيء إليك من القوم المتخلّفين المعاندين من جدل و مراء و الله يعصمك من النّاس.

قال الله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتّبعني» يوسف:١٠٨).

و قال: «فلا تهنوا و تدعوا إلى السّلم و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يتركم أعمالكم» محمّد صلى الله عليه و آله و سلم: ٣٥).

و قال: «فأقم وجهك للدّين القيّم» الرّوم: ٤٣).

و قال: «فاستقم كما امرت و من تاب معك و لا تطغوا إنّه بما تعملون بصير» هود:١١٢)

و قال: «و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين و قل إنّى أنا النّذير المبين فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين» الحجر:٨٨-٩٥).

و قال: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدى القوم الكافرين» المآئدة:٦٧).

و قوله عزّ و جلّ: «و لا تتّبع أهوآء هم» و لا تتّبع أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أهوآء هؤلآء القوم الكافرين الّذين يتظاهرون بالإسلام، و يجادلون في أمر الولاية، فإنّ ما يجادلون به هو أهوآء و ضلالات ... يريدون أن يتفرّقوا و يختلفوا بعدك في أمر الولاية، فلا تطعهم ... و اتبع ما اوحي اليك من ربّك، فأنت الحق و ادع النّاس كافّة إلى

الدّين الحق الّذي هو نفس الإسلام الولآئي، و هؤلآء الكافرون و المنافقون و المتخلّفون و المعاندون يتّبعون أهوآءهم، و الحق لا يتّبع الباطل، و لو اتبع الحقّ أهوآءهم لفسدت السّموات و الأرض ...

قال الله تعالى: «ثمّ جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتّبع أهوآء الّذين لا يعلمون» الجاثية:١٨).

و قال: «و كذلك أنزلناه حكماً عربياً و لئن اتبعت أهوآءهم بعد ما جآءك من العلم مالك من الله من وليّ و لا واق» الرّعد: ٣٧).

و قال: «قل لا أتّبع أهواءكم قد ضللت إذاً و ما أنا من المهتدين قل إنّي على بيّنة من ربّي و كذّبتم به» الأنعام: ٥٦-٥٧).

و قال: «يا أيّها النّبيّ اتّق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين إنّ الله كان عليماً حكيماً و اتّبع ما يوحىٰ إليك من ربّك ـ و لا تطع الكافرين و المنافقين ودع أذاهم و توكّل على الله و كفى بالله وكيلاً» الأحزاب: ١و٢و٤٨).

و قال: «ذلك بأنّ الّذين كفروا اتّبعوا الباطل و أنّ الّذين آمنوا اتّبعوا الحق من ربّهم ـ أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوء عمله و اتّبعوا أهوآءهم ـ اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و اتّبعوا أهوآءهم ـ ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم» محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم: ٣و١٤و١٦و٢٨).

و قال: «و لو اتّبع الحقّ أهوآء هم لفسدت السّموات و الأرض و من فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون» المؤمنون: ٧١).

و قوله جلّ و علا: «و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب» و قل أيّها الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم لهؤلآء المتخلّفين في أمر الولاية، المختلفين في الإسلام الولآئي الّذين يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض: آمنت بهذا الكتاب، و بكلّ ما أنزل الله تعالى من كتاب سماويّ، سابق هذا الكتاب الّذي بين يديّ، كما أنّ هذا الكتاب يصدّق كلّما نزل من الكتب السّماوية على الأنبيآء عليهم السّلام، فآمنت بكلّ ما أنزل الله تعالى من الكتب على أنبيائه قبلي، من دون فرق في هذا الايمان، و إنّما في التّطبيق، لأنّ القرآن الكريم يحتل دور

التّطبيق، فلا يبقى بما انزل قبله إلاّ إيمان و تصديق، رداً على الّذين يفرّقون بين الله تعالى و رسله: «إنّ الّذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون أن يتّخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم الكافرون حقاً و أعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً و الّذين آمنوا بالله و رسله و لم يفرّقوا بين أحد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم و كان الله غفوراً رحيماً» النّسآء: ١٥٠-١٥٢).

فرسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم هكذا يؤمن، و يأمر الامم أن يؤمنوا هكذا ايمان، و كما أنّ الأنبيآء السّابقين كلّهم كانوا مؤمنين بمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و بكتابه.

قال الله تعالى: «أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض ـ قولوا آمنّا بالله و ما انزل إلينا و ما انزل إلى إبراهيم و اسمعيل و إسحق و يعقوب و الأسباط و ما اوتي موسى و عيسى و ما اوتي النّبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم و نحن له مسلمون ـ آمن الرّسول بما انزل إليه من ربّه و المؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرّق بين أحد من رسله» البقرة: ٨٥و١٣٦و٢٨٥)

و قال: «بل جآء بالحق و صدّق المرسلين» الصّافات: ٣٧).

و قال: «و الّذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه» فاطر: ٣١).

و قال: «و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب» المائدة: ٤٨).

و قال: «و إذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثمّ جآء كم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به و لتنصرنّه قال أ أقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشّاهدين» آل عمران: ٨١).

و قال: «و إذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله اليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التّوراة و مبشراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد» الصّفّ: ٦).

و قوله عزّ و جلّ: « و أُمرت لأعدل بينكم» و قل: أيّها النّاس إنّي رسول الله

اليكم جميعاً، امرتُ في هذا القرآن الكريم لأعدل بينكم في كلّ شيء لأنّه تعالى قائم بالقسط و أمر رسله أجمعين بالقسط بين النّاس.

قال الله تعالى: «شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو و الملائكة و اولوا العلم قائماً بالقسط» آل عمران: ١٨).

و قال: «لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط» الحديد: ٢٥).

و قال: «و لكل أمّة رسول فإذا جآء رسولهم قضي بينهم بالقسط و هم لا يظلمون» يونس: ٤٧).

و قال: «قل أمر ربّي بالقسط» الأعراف: ٢٩).

و قال: «و إن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» المائدة: ٤٢).

و قال: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين النّاس بما أراك الله» النّساء: ١٠٥).

و **قوله عزّ و جلّ**: «الله ربّنا و ربّكم» و قل لهم أيضاً: الله تعالى وحده هو ربّنا و ربّكم، و بيده تدبير امورنا و اموركم و تصريفها، و هو وحده المنعم علينا و عليكم فالّذي أدعوكم إليه ليس ربّي وحدي حتّى يكون لي مصلحة خاصّة في دعوتكم إليه، فالله جلّ و علا هو ربّكم كما هو ربّي، فالرّبوبيّة واحدة لجميع العالمين لا أرباب متفرّقون.

قال الله تعالى: «قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً ـ قل أغير الله أبغي ربّاً و هو ربّ كلّ شيء» الأنعام: ١٦١-١٦٤).

و قال: «أ أرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار» يوسف: ٣٩).

و قال: «قال بل ربّكم ربّ السّموات و الأرض الّذي فطرهنّ» الأنبيآء: ٥٦).

و قال: «إستجيبوا لرّبكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله مالكم من ملجاء يومئذ و ما لكم من نكير» الشّورى: ٤٧)

و **قوله سبحانه**: «لنا أعمالنا و لكم أعمالكم» لنا أعمالنا و هى عبادة الله وحده و دين الإسلام الولآئي، و لكم أعمالكم و هى عبادة الشّيطان و دين الطّواغيت ... فكلّ

يجازى بعلمه، فلا يضرّنا اصراركم على الظلم و العدوان، على الكفر و الطّغيان، و على البغي و العصيان، فإنّ جزآء أعمالنا لنا، و جزآء أعمالكم لكم، لايؤاخذ أحداً بذنب غيره.

قال الله تعالى: «قل لا تسئلون عمّا أجرمنا و لا نسئل عمّا تعملون» سبأ:٢٥).

و قال: «ما عليك من حسابهم من شيء و ما من حسابك عليهم من شيء ـ قل يا قوم إعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدّار ـ و لا تكسب كلّ نفس إلاّ عليها و لا تزر وازرة و زر اخرى ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون» الأنعام: ٥٢و١٣٥و١٦٤).

و قال: «و إن كذّبوك فقل لي عملي و لكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل و أنا بريئ ممّا تعملون» يونس:٤١).

فما نعمله من خير أو شرّ فهو لنا وحدنا و مجزيّون به على الخير خيراً، و على الشّرّ شرّاً، و كذلك ما تعملونه أنتم فهو لكم، تجزون به إن خيراً فخير، و إن شراً فشرّ: «كل نفس بما كسبت رهينة» المدّثر:٣٨).

و **قوله تعالى**: «لا حجّة بيننا و بينكم» ليس المراد بالحجّة المنفية نفي الحجّة و فقدانها، فإنّ هذه كلّها حجج إلهيّة على هؤلآء المتخلّفين المختلفين المريبين، و إنّما المراد بها أنّ الحجج اللازمة في المقام قد بيّنت «فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون» يونس:٣٢).

فلا حجّة بيننا و بينكم لأنّ البراهين قد ظهرت، و الحجج قد قامت، فلم يبق إلاّ العناد و اللجاج، و لا حجّة و لا جدال بعد الضّلال، و ليس المراد منه تحريم المحاجّة أيضاً، فإنّه لو لا الأدلّة و البراهين على إثبات الحقّ لما توجّه التكليف، بل المراد أنّهم بعد أن وقفوا على الحجج الباهرة و الدّلآئل الظاهرة على حقّيّة دين الإسلام الولآئي لم يبق معهم حجّة لسانية، فسيأتى الوقت الّذي يستبين فيه الحقّ، و يتّضح سبيل الرّشاد.

قال الله تعالى: «قل أتحاجّوننا في الله و هو ربّنا و ربّكم و لنا أعمالنا و لكم أعمالكم و نحن له مخلصون» البقرة: ١٣٩)

و قال: «فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله و من اتّبعن» آل عمران: ٢٠).

و قال: «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالّتي هى أحسن إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين» النّحل: ١٢٥).

و قال: «و ادع إلى ربّك إنّك لعلى هدى مستقيم و إن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون» الحجّ: ٦٧-٦٨).

و قوله تعالى: «الله يجمع بيننا» الله جلّ و علا يجمع بيننا يوماً و يحكم بيننا بالحقّ، و ينتقم لنا منكم، ثمّ يفتح بيننا و هو الفتّاح العليم.

قال الله تعالى: «يوم يجمع الله الرّسل فيقول ما ذا أُجبتم» المائدة: ١٠٩).

و قال: «ذلك يوم مجموع له النّاس و ذلك يوم مشهود» هود: ١٠٣).

و قال: «هذا يوم الفصل جمعنا كم و الأوّلين» المرسلات: ٣٨).

و قال: «قل يجمع بيننا ربّنا ثمّ يفتح بيننا بالحقّ و هو الفتّاح العليم» سبأ: ٢٦).

و قوله تعالى: «و إليه المصير» و إلى الله عزّ و جلّ وحده مصير النّاس أجمعين من الأنبيآء و الأوصيآء عليهم صلوات الله، من المؤمنين و الأبرار، من الكافرين و الفجّار و من المنافقين و الأشرار ...

قال الله تعالى: «ألا إلى الله تصير الامور» الشّورى: ٥٣).

و قال: «و إلينا المصير يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون و ما أنت عليهم بجبّار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد» ق: ٤٣-٤٥).

و قال: «إلى الله مرجعكم فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون» المآئدة: ٤٨).

١٦-(و الّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم و عليهم غضب و لهم عذاب شديد).

و الّذين يخاصمون في دين الله الّذي ابتعث به نبيّه محمّداً صلى اللّه عليه و آله و سلم من بعد ما استجاب له النّاس فدخلوا فيه أفواجاً، و يجادلون المؤمنين المستجيبين لله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم يخاصمون في دين الإسلام الولآئي، و يجادلون أهل الولآء بمالا أساس له ليصدّوهم عما سلكوه من طريق الحقّ و الهدى، و من طريق

الصّواب و الرّشاد ... فحجّتهم الفاشلة هذه باطلة زائفة عند ربّهم لأنّها ايحآء شياطين ... و على هؤلآء المتخلّفين المختلفين من أتباع الشّياطين غضب من الله تعالى في الحياة الدّنيا لخصومتهم و عنادهم و لجاجهم و بغيهم و طغيانهم، و لأنّهم تردّدوا في الحقّ بعد ما تبيّن، و لهم مع ذلك عذاب شديد دآئم يوم القيامة لمعاندتهم و تركهم الحق بعد أن وضحت محجّته عناداً و إستكباراً.

قال الله تعالى: «و إنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم» الأنعام:١٢١).

و قال: «و يجادل الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق و اتخذوا آياتي و ما انذروا هزواً» الكهف:٥٦).

و قال: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ما هم ببالغيه» غافر:٥٦).

و لا يخفى على القارئ الخبير: أنّ الحجة هى الدّليل القاصد لإثبات أمر أو إبطاله، و المحاجّة هى تبادل الحجّة و تضاربها، فقد تكون حقّا بالّتي هى أحسن عن علم و سلطان، و قد تكون باطلاً فيما ليس لهم به علم و لا سلطان.

قال الله تعالى: «ها أنتم هؤلآء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون» آل عمران:٦٦).

و أن المحاجّة في الله سبحانه قد تكون في كونه و توحيده و كيانه، و قد تكون في وحيه و شرعه و أمره: «قل أتحاجّوننا في الله و هو ربّنا و ربّكم و لنا أعمالنا و لكم أعمالكم و نحن له مخلصون» آل عمران:١٣٩) «إنّ الدّين عندالله الإسلام ـ فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله و من اتّبعن» آل عمران: ١٩–٢٠)

١٧– (الله الّذي أنزل الكتاب بالحقّ و الميزان و ما يدريك لعلّ السّاعة قريب)

الله تعالى هو الّذي أنزل هذا القرآن الكريم بالحق، و هو حقّ يبيّن الحق و الباطل، و يهدى مَن اهتدى إلى الحق، و يحقّ الله تعالى به الحقّ و يبطل الباطل و يقطع به دابر الكافرين.

قال الله تعالى: «قل نزّله روح القدس من ربّك بالحق ليثبّت الّذين آمنوا و هدى و

بشرى للمسلمين» النّحل: ١٠٢).

و قال: «و بالحقّ أنزلناه و بالحقّ نزل» الإسرآء: ١٠٥).

و قال: «و يرى الّذين اوتوا العلم الّذي انزل إليك من ربّك هو الحقّ و يهدي إلى صراط العزيز الحميد» سبأ: ٦).

و قال: «قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق و إلى طريق مستقيم» الأحقاف: ٣٠).

و قال: «و يريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ و يبطل الباطل و لو كره المجرمون» الأنفال: ٧-٨).

و قال: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً - اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى و العذاب بالمغفرة - ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحق و إنّ الّذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد» البقرة: ١٧٤-١٧٦).

و قوله تعالى: «و الميزان» و أنزل الله عزّ و جلّ الميزان الّذي يوزن به الأشياء و العقآئد و الأفكار و الآرآء و الأقوال و الأعمال ... ليقوم النّاس بالعدل في جميع شئونهم الدّنيويّة و الاخرويّة، فلا يخسرون في شيء منها لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد ذلك و لقد كان مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السّلام ميزان العدل في نظام التشريع و التدوين، و لو لا عليّ عليه‌السلام لكان نزول القرآن الكريم و رسالة رسول الله صلى‌الله عليه و آله وسلم عبثاً جدّاً و لذلك جعله عليه‌السلام الله تعالى عِدلاً للقرآن الكريم.

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه‌السلام: «اليوم أُنطِقُ لكم العجمآء ذات البيان، غرب رأى امرىء تخلّف عنّي، ما شككت في الحقّ مذ أُريته، لم يُوجس موسى عليه‌السلام خيفةً على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال و دِوَل الضّلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل، مَن وَثِقَ بمآءٍ لم يظمأ».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه‌السلام: «و إنّي لعلى بيّنة من ربّي، و منهاج من نبيّي، و إنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لَقْطاً».

و **قوله سبحانه:** «و ما يدريك لعلّ السّاعة قريب» و أيّ شيء يعلّمك أيّها السّامع لعلّ مجيء السّاعة و قيامها يكون قريباً منك، فلا تدرى أنت و لا غيرك متى تقع القيامة!

قال الله تعالى: «يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها قل إنّما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو» الأعراف: ١٨٧).

و **قال:** «إنّهم يرونه بعيداً و نراه قريباً» المعارج: ٦-٧).

و **قال:** «و يقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً» الإسراء: ٥١).

و **قال:** «و أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور» الحجّ: ٧).

و **قال:** «و ما أمر السّاعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب إنّ الله على كلّ شيء قدير» النّحل: ٧٧).

و إنّما أخفاها الله تعالى و أخفى وقت مجيئها على عباده ليكونوا على خوف، و ليبادروا إلى التّوبة، و لو عرّفهم مجيئها لكانوا مغرين بالقبآئح قبل ذلك تعويلاً على التّلافى بالتّوبة، فلم يخبر بها حصناً على العمل بالكتاب و العدل و التّسوية و العمل بالشّرائع قبل أن يفاجئ اليوم الّذي يكون فيه المحاسبة و وزن الأعمال، فيوفى لمن و فى و يطفّف لمن طفّف، فيجب على كلّ عاقل أن يجتهد في أدآءِ ما عليه من التكاليف، و لا يتأني فى سلوك، سبيل الإنصاف مع الخالق و المخلوق، فانّه لا يعلم أنّ القيامة متى تفاجئه.

١٨- (يستعجل بها الّذين لا يؤمنون بها و الّذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنّها الحقّ ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد).

إنّ الّذين لا يؤمنون بالدّار الآخرة و لا يرجون لقآء الله هم يستعجلون بوقوع السّاعة إستعجال تكذيب و إنكار، و إستعجال تحدٍّ و استخفاف، ظنّاً منهم أنّها غير آتية لجهلهم بأحوالها و كفرهم بأهوالها، و شكّهم في حسابها و جزآئها، فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها، فهم يطلبون قيامها إيعاداً لكونها، و يقولون على سبيل السّخريّة و التهكّم:

متى تقوم السّاعة؟! و ليتها قامت حتّى تظهر لنا جليّة الحال!

قال الله تعالى: «بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسئل أيّان يوم القيامة» القيامة: ٥-٦).

و قال: «يسئلون أيّان يوم الدّين يوم هم على النّار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذالّذي كنتم به تستعجلون» الذّاريات: ١٢-١٤).

و قال: «و إذا قيل إنّ وعد الله حق و السّاعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما السّاعة إن نظنّ إلاّ ظنّاً و ما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢).

و قال: «إنّهم كانوا لا يرجون حساباً و كذّبوا بآ ياتنا كذّاباً» النّبأ: ٢٧-٢٨).

و قال: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ و لا يستخفّنّك الّذين لا يوقنون» الرّوم: ٦٠).

و قوله تعالى: «و الّذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنّها الحقّ» و الّذين آمنوا باليوم الآخرهم و جلون من مجيء السّاعة، خآئفون من قيامها لأنهم لا يدرون ما الله تعالى فاعل بهم فيها: «إنّ الّذين هم من خشية ربّهم مشفقون - و الّذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم و جلة أنّهم إلى ربّهم راجعون» المؤمنون: ٥٧-٦٠).

هم يخافون القيامة هيبة من الله جلّ و علا و إجلالاً له أو حذراً من تقصير و خلل وقع في العمل، و هم بين خوف و رجآءٍ، و هم يعلمون أنّ السّاعة حقّ لا ريب فيها، فلا يشكّون في مجيئها لأنّهم يشعرون بأنّهم مسئولون يومئذ عن عقآئدهم و أفكارهم و أقوالهم و أعمالهم، فيقبلون على الخير طمعاً بالنّجاة و حسن الثّواب، و يبتعدون عن الشّرّ خوفاً من شر المآب.

قال الله تعالى: «أمّن هو قانت آنآء الليل ساجداً أو قآئماً يحذر الآخرة و يرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوالألباب» الزّمر: ٩).

و قال: «الّذين يخشون ربّهم بالغيب و هم من السّاعة مشفقون» الأنبيآء: ٤٩).

و قال: «و الّذين يصدّقون بيوم الدّين و الّذين هم من عذاب ربّهم مشفقون - اولئك في جنّات مكرمون» المعارج: ٢٦-٣٥).

و **قوله عزّ و جلّ:** «ألا إنّ الّذين يمارون فى السّاعة لفي ضلال بعيد» تنبّهوا أيّها النّاس عامّة، و اعلموا أيّها المؤمنون خاصّة: أنّ الّذين يجادلون فى قيام السّاعة و يصرّون على إنكار يوم القيامة و حسابها و جزآئها بالجدال هم لفي ضلال و إنحراف عن طريق الحقّ و الهدى، و بعيد عن الصّواب و سبيل الرّشاد، و عن العلم و العقل و الكمال ... فأوغلوا فى الغواية و الجهالة، و في الغفلة و الحماقة ... لأنّهم لو تفكّروالعلموا أنّ قيام السّاعة غير مستبعد من قدرة القادر بالذّات، و لدلالة الكتاب المعجز على أنّها آتية لا ريب فيها، و لقيام دليل العقل على أنّه لابدّ من دار جزآءٍ لأنّ استيفآء حق المظلوم من الظّالم واجب على فضله أو في حكمه، و لأنّ في إنكارها نسبة الله سبحانه إلى ضدّ العلم و القدرة ... فلو تذكّروا لعلموا أنّ الّذي أنشأهم من تراب، ثمّ من نطفة إلى أن بلغوا ما بلغوا قادر على أن يبعثهم يوم القيامة للحساب و الجزآءِ.

قال الله تعالى: «ألا إنّهم فى مرية من لقآءِ ربّهم» فصّلت: ٥٤).

و **قال:** «إنّ يوم الفصل ميقاتهم أجمعين - إنّ هذا ما كنتم به تمترون» الدّخان: ٤٠-٥٠).

و **قال:** «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلاّ سوف تعلمون ثمّ كلاّ سوف تعلمون كلاّ لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين، ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم» التكاثر: ١-٨).

و **قال:** «إنّ الّذين لا يرجون لقائنا و رضوا بالحياة الدّنيا و اطمأنّوا بها و الّذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون» يونس: ٧-٨).

و **قال:** «بل الّذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب و الضّلال البعيد» سبأ: ٨).

و **قال:** «و إنّه لعلم للسّاعة فلا تمترنّ بها و اتّبعون هذا صراط مستقيم و لا يصدّنّكم الشّيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين» الزّخرف: ٦١-٦٢) و ماورد في المقام فمن باب التأويل و هو اللبّ.

١٩ - (الله لطيف بعباده يرزق من يشاء و هو القويّ العزيز)

إنّ الله تعالى لطيف لعلمه بالشّيء اللطيف، فهو لطيف بلا كيف لأنّ الكيفيّة من

صفات المخلوق المكيّف، فلا يدرك و لا يحدّ بوصف، و اللطافة من الخلق: الصّغر و القلّة فقد جمع الإسم و اختلف المعنى.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته: «لطيف لا يوصَفُ بالخَفآءِ، كبير لا يوصف بالجفآءِ، بصير لايوصف بالحاسّة، رحيم لايوصف بالرّقة».

قوله عليه‌السلام: «لطيف لايوصف بالخَفآءِ» لأنّ العرب إذا قالوا لشيء: إنّه لطيف، أرادوا أنّه صغير الحجم، و البارى جلّ و علا لطيف لابهذا الإعتبار بل يطلق بإعتبارين:

أحدهما - أنّه لايُرىٰ لاستحالة رؤية ذاته، فلمّا شابه اللطيف من الأجسام في استحالة رؤيته، اطلق عليه لفظ «اللطيف» إطلاقاً للفظ السّبب على المسبّب.

ثانيهما - أنّه لطيف بعباده أى يفعل الألطاف المقرّبة لهم من الطّاعة، المبعّدة لهم من القبيح، أو لطيف بهم بمعنى أنّه تعالى يرحمهم و يرفق بهم في جميع شئونهم الدّنيوّية و الاخرويّة، و المادّيّة و المعنويّة ...

قال الله تعالى: «لاتدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير» الأنعام: ١٠٣).

و قال حكاية عن يوسف عليه‌السلام: «إنّ ربّي لطيف لما يشآء» يوسف: ١٠٠).

و **قوله تعالى**: «يرزق من يشآء» إنّ الله عزّوجلّ يرزق من يشآء من عباده مادّياً و معنويّاً من دون مانع و لا حائل، فيوسّع على من يشآء بالمال و الجاه و العلم و توفيق العمل و ما إليها دنيويّاً و اخرويّاً، و يقتر على من يشآء منهم و يقدر لمصالح و حكم ...

قال الله تعالى حكاية عن شعيب النّبيّ عليه‌السلام: «يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي و رزقني منه رزقاً حسناً» هود: ٨٨).

و قال: «و الله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سوآء أفبنعمة الله يجحدون» النّحل: ٧١).

و قال: «وصوّركم فأحسن صوركم و رزقكم من الطيّبات ذلكم الله ربّكم

فتبارك الله ربّ العالمين» غافر: ٦٤).

و قال: «و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير» الشّورى: ٢٧).

و **قوله عزّوجلّ:** «و هو القوىّ العزيز» و الله جلّ وعلا هو القويّ على مراده، وعلى أرزاق عباده، هو القادر الّذي لايعجز، و لايغلبه ذو أيد لشدّته، هو الغالب على أمره و الغالب بالنّقمة لمن كفر، الغالب الّذي لايغالب، و لايمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته، و بعزّته لايمنعه، مانع عنه، فهو صاحب السّلطان المتصرّف في ملكه كما يشآء لاينازعه أحد فيما يسوق من لطفه و رحمته إلى من يشآء من عباده.

قال الله تعالى: «ما شآء الله لاقوّة إلاّ بالله» الكهف: ٣٩).

و قال: «إنّ الله هو الرّزّاق ذو القوّة المتين» الذّاريات: ٥٨).

و قال: «و لو يرى الّذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّةلله جميعاً» البقرة: ١٦٥).

و قال: «و لينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز - و ما قدروا الله حق قدره إنّ الله لقوىّ عزيز» الحجّ: ٤٠-٧٤).

و قال: «كتب الله لأغلبنّ أنا و رسلي إنّ الله قويّ عزيز» المجادلة: ٢١).

٢٠- (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله فى الآخرة من نصيب)

من كان يريد بطاعاته و صالح أعماله ثواب الآخرة، فجعل ما رزقناه حرثاً لآخرته، فأدّى حقوق الله تعالى، و أنفق في إعزاز الدّين و أهله، نزد له في توفيقه للطّاعات و صالح الأعمال، و في عزّه و خيره، و سعادته و كماله في الحياة الدّنيا، و نضاعف ثوابه مضاعفة كثيرة لاتحصى في الدّار الآخرة، و من كان يريد بطاعاته و صالح أعماله و بعلمه و عمله متاع الدّنيا و لذّاتها و شهواتها ... و سعى لها سعيها، و كذلك من ليس له همّ في أعمال الآخرة، نؤته منها ما قسمناه له، و ليس له في ثواب الآخرة من نصيب أصلاً، بل من آثر دنياه على آخرته لايكون له في الآخرة إلاّ النّار، إنّما الأعمال بالنّيّات، و لكلّ امرىء مانوىٰ، إنّ الله تعالى يعطي على نيّة الآخرة ما شآء من أمر

الدّنيا، و لايعطى على نيّة الدّنيا إلاّ ما اقتضته حكمته جلّ و علا لا ما أراد طالبها.

قال الله تعالى: «و من يرد ثواب الدّنيا نؤته منها و من يرد ثواب الآخرة نؤته منها و سنجزى الشّاكرين ـ فآتاهم الله ثواب الدّنياو حسن ثواب الآخرة و الله يحبّ المحسنين – منكم من يريد الدّنيا و منكم من يريد الآخرة» آل عمران: ١٤٥-١٤٨-١٥٢).

و قال: «من كان يريد ثواب الدّنيا فعند الله ثواب الدّنيا و الآخرة» النّسآء: ١٣٤).

و قال: «تريدون عرض الدّنيا و الله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم» الأنفال: ٦٧).

و قال: «كلاّ بل تحبّون العاجلة و تذرون الآخرة» القيامة: ٢٠-٢١).

و قال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة» النّحل: ١٠٧).

و قال: «من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشآء لمن نريد ثمّ جعلنا له جهنّم يصلاها مذموماً مدحوراً و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً» الإسرآء: ١٨-١٩).

و قال: «من كان يريد الحياة الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون اولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النّار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون» هود: ١٥-١٦).

و قال: «فأمّا من طغى و آثر الحياة الدّنيا فإنّ الجحيم هي المأوى» النّازعات: ٣٧-٣٩).

و قال: «من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة – مثل الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنا بل في كلّ سنبلة مأة حبّة و الله يضاعف لمن يشآء و الله واسع عليم» البقرة: ٢٤٥-٢٦١).

و قال: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الرّوم: ٣٩).

٢١ – (أم لهم شركآؤاشرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله و لو لا كلمة الفصل لقضي بينهم و إنّ الظالمين لهم عذاب أليم)

ألهؤ لآءِ المشركين بالله سبحانه و من انسلك مسالكهم من المتخلّفين المختلفين من هذه الأمّة ألهم آلهة شركآء في شركهم و ضلالتهم، في كفرهم و غوايتهم، و في ظلمهم و

جنايتهم ... شرعوا لهم الشّرك الّذي لم يأذن الله سبحانه به أو لم يعلمه، فابتدعوا لهم من الدّين ما لم يبح الله تعالى لهم ابتداعه.

قال الله عزّوجلّ: «قل أتنبّئون الله بما لايعلم في السّموات و لا في الأرض سبحانه و تعالى عمّا يشركون» يونس: ١٨).

و قال: «وجعلولله شركآء قل سمّوهم أم تنبّئونه بما لايعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زُيّن للذين كفروا مكرهم و صدّوا عن السّبيل» الرّعد: ٣٣).

و قال: «قل أتعلّمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السّموات و ما في الأرض» الحجرات: ١٦).

فاذا استحال هذا فالله سبحانه لم يشرع لهم الشّرك، فمن أين يدينون به؟ و إذهم أبوا أن يستجيبوا لهذه الدّعوة فهم على شريعة شرعها لهم طواغيتهم و رؤسآؤهم و كبرآؤهم، و هى شريعة واهية فاشلة باطلة من مبتدعات أهوآئهم، و نضيح ضلالاتهم لم يأذن بها الله سبحانه و لم يرسل بها رسولاً من عنده.

قال الله تعالى: «و ذر الّذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحياة الدّنيا و ذكّر به» الأنعام: ٧٠).

إنّ الدّين كلّهلله جلّ و علا وحده، و شارعه هو وحده لا شريك له، و أمّا الأنبيآء و المرسلون فإنّماهم حملة دين الله و مبلّغوا شرآئعه ... فكما أنّ التكوين و نظام الكون و نواميس الوجود بيد الله تعالى وحده كذلك التّشريع و نظام التّدوين بيده وحده لأنّه وحده هو المحيط بكلّ شيء علماً.

قال الله تعالى: «الله الّذي خلق سبع سموات و من الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً» الطّلاق: ١٢).

و قال: «و لايحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شآء» البقرة: ٢٥٥).

و مع وضوح هذه الحقيقة لحدّ البداهة، فمن البلادة و البلاهة و السّفاهة و الحماقة المحاولات الطّائلة لسنّ القوانين لإدارة شئون الأفراد و الجماعات حتّى من أعقل العقلاء

و أعدل العدول، و حتّى الأنبيآء و المرسلين و الأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فماهم بمشّر عين من الدّين، و إنّما هم رسل ... يحملون شرآئع من الدّين شرعها الله جلّ و علا لعباده، من دون تدخّل لهم في أية كبيرة و صغيرة حتّى سيّد الأنبياء و خاتم المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

قال الله عزّ و جلّ: «و إذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الّذين لايرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن ابدّله من تلقآءِ نفسيإن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم» يونس: ١٥).

و قال: «و إذا لم تأتهم بآية قالوا لو لا اجتبيتها قل إنّما أتّبع ما يوحى إليّ من ربّي» الأعراف: ٢٠٣)

و قال: «و لو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين» الحاقّة: ٤٤-٤٦).

و **قوله تعالى:** «و لو لا كلمة الفصل لقضي بينهم» و لو لا كلمة الفصل الّتي سبقت من ربّك أيها الرّسول صلى‌الله عليه و آله وسلم في تأخير العقاب عن أتباع تلك الشّريعة الّتي ابتدعها الطّواغيت و رؤسآؤهم المتخلّفون، و كبرآؤهم المختلفون من هذه الامّة لقضى بينهم بتعجيل عذاب الإستئصال و الهلاك و الدّمار كالامم السّابقة في الحياة الدّنيا قبل الآخرة.

و **قوله عزّ و جلّ:** «و إنّ الظّالمين لهم عذاب أليم»، و إنّ الظّالمين من الطّواغيت المضلّين الفجرة، و مردتهم الضّالّين السّفلة، و من الرّؤسآء و المتبوعين الفسقة، و الضّعفآءِ و التابعين الجهلة إذا لم يقع عليهم العذاب الدّنيوى، فإنّه ينتظرهم عذاب أليم في الآخرة.

قال الله تعالى: «فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ النّاس بغير علم» الأنعام: ١٤٤).

و قال: «قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً و حلالاً قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون» يونس: ٥٩).

و قال: «و لاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام لتفتروا على

الله الكذب» النّحل: ١١٦).

و قال: «إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها» الكهف: ٢٩).

و قال: «و برزوالله جميعاً فقال الضّعفآء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء - إنّ الظّالمين لهم عذاب أليم» إبراهيم: ٢١-٢٢).

٢٢-(و ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا و هو واقع بهم و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير)

ترى أيّها الرّسول صلى‌الله عليه و آله وسلم و من اتبعك من المؤمنين يوم القيامة هؤلآءِ الظّالمين المضلّين الفجرة الّذين شرعوا لأتباعهم الضّالّين السّفلة و مردتهم الجهلة ما لم يأذن به الله تعالى، و تفرّقوا و اختلفوا في دين الإسلام الولآئي و شتّتوا شمل المسلمين، تراهم و أتباعهم يوم القيامة و جلين ترتعد فرآئصهم، خائفين خوفاً شديداً أرقّ قلوبهم، خوفاً من جزآء ما كسبوا في الدّنيا من إضلال النّاس و ضلالتهم، من إغوآء النّاس و غوايتهم، من ظلمهم و جنايتهم، من جرائمهم و آثامهم، و من معاصيهم و قبآئح أعمالهم ... و هذا الجزآء و العقاب، و هذا الوبال و العذاب الّذي استحقوه و هو واقع بهم، و هم ذآئقوه لا محالة، لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه.

قال الله تعالى: «و ترى الظّالمين لمّارأوا العذاب يقولون هل إلى مردّمن سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ و قال الذين آمنوا إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم» الشّورى: ٤٥ - ٤٤)

و قال: «و من اظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته إنّه لا يفلح الظّالمون - و لو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا ياليتنا نردّ و لانكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين» الأنعام: ٢١-٢٧).

و قال: «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه - ورأ المجرمون النّار فظنّوا أنّهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف: ٤٩-٥٣).

و قال: «و يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا

ويلتىٰ ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً» الفرقان: ۲۷-۲۸).

و قال: «و إنّهم ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون أنّهم مهتدون - و لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» الزّخرف: ۳۷-۳۹).

و قال: «ثمّ قيل للّذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون» يونس: ۵۲).

و قوله تعالى: «و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤن عند ربّهم» و الّذين آمنوا بالله تعالى و أطاعوه فيما أمرهم به و مانهاهم عنه في الدّنيا في الآخرة في روضات البساتين لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم و تلذّ أعينهم من فنون اللذّات من مآكل و مشارب و مناظر و مناكح ... فهم في ملاذ مما لا عين رأت، و لا أُذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، فيتمتّعون بمحاسنها و لذّاتها ... الرّوضة هى الأرض الخضرة لحسن النّبات، و كانت روضات الجنّات أطيب البقاع فيها و أنزهها بالنسبة إلى من دونهم، لهم فيها ما يشآؤن عند ربّهم، حيث إنّ نظام الأسباب الدّنيوية مطويّ في الجنّة، بل السّبب الوحيد هو إرادتهم وحدها يخلق الله لهم من عنده ما يشآؤن ذلك هو الفضل الكبير.

قال الله تعالى: «فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فهم في روضة يحبرون» الرّوم: ۱۵).

و قال: «الّذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ادخلوا الجنّة أنتم و أزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب و أكواب و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين و أنتم فيها خالدون و تلك الجنّة الّتي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» الزّخرف: ٦۹-۷۳).

و قال: «لهم ما يشآؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ۳۵).

و قال: «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرّة أعين جزآءً بما كانوا يعملون» السّجدة: ۱۷).

و قوله عزّ و جلّ: «ذلك هو الفضل الكبير» هذا الثّواب الجزيل، و الجزآء

الجميل الّذي أعطاهم الله تعالى، و هذه الكرامة عند ربّهم هو الفضل من الله عليهم الكبير الّذي يفضل كلّ نعيم، و كلّ كرامة في الدّنيا من بعض أهلها على بعض، إذ نالوا نعيماً لاينقطع بعمل قليل منقطع، و هذا الكبير لايوصف، و لا تهتدى العقول إلى كنه صفته لأنّ الحقّ جلّ و علا إذا قال: كبير فمن ذاالّذي يقدر قدره و يعرف كنهه؟

قال الله تعالى: «و بشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً» الأحزاب: ٤٧).

و قال: «سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها كعرض السّمآءِ و الأرض اعدّت للذين آمنوا بالله و رسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء و الله ذوالفضل العظيم» الحديد: ٢١).

٢٣-(ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور)

ذلك الفضل الكبير الّذي يبشّر به الله جلّ و علا في الحياة الدّنيا عباده الّذين آمنوا بالله تعالى و رسوله و بكتابه و عملوا الصّالحات فيما بينهم و بين ربّهم يبشّرهم ليستعجلوا بذلك السّرور في الدّين، و يعملوا له جاهدين، و يزدادوامنه و جداً في طريق الحق و الهدى، و في سبيل الخير و الصّلاح، و نشاطاً في طريق الفلاح و الكمال بالطّاعة و صالح الأعمال ...

قال الله تعالى: «و يبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً» الإسراء: ٩).

و قوله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراًإلاّ المودّة في القربى» قل أيّها الرّسول صلى‌الله عليه و آله وسلم للمؤمنين الصادقين في كلّ ظرف: لا أسئلكم أيّها المؤمنون حقاً أجراً على ما أدعوكم إليه من هذا الدّين الإسلاميّ الّذي يكون كما له بالولاية لأهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، من هذه الشّريعة الّتي يكون تحقّق تبليغها بالولاية، و من هذا الإسلام الّذي يكون تمام نعمة الله تعالى على أهله بهذه الولاية، إنّي لا أسئلكم أجراً على هذا الدّين، على هذه الشّريعة، و على هذه

النّعمة إلاّ المودّة و الطّاعة لصاحب هذه الولاية، إذ لو لا هالصاحبها لما كان الإسلام كاملاً، و لاالشّريعة بالغة، و لاالنّعمة تامّة، فانّ هذه الولاية لأهلها هى وحدها طريق لكم إلى معرفة الله جلّ و علا و قبول طاعته و ميزان صالح الأعمال ...

و انّ أصحاب الولاية هم حصين الإسلام و المسلمين، فلو لا الحصين لكان الحصن و من تحصّن و التجأ إليه في خطر عظيم من جانب الأعداء المتهاجمين، و الأشرار المتجاوزين، و إنّ الرّسالة من دون الولاية كالحصن من غير حصين أو كالمسكن بلا ساكن. و لأهميّة الولاية في الرّسالة إلى حدّ عبّر عنها بالأجر، و ما هى بأجر، بل هى سبيل إلى معرفة الله تعالى و حفيظة الشّريعة المحمّدية صلى‌الله عليه و آله وسلم و ذكرى للعالمين إذ ليس للرّسالة أجر قال الله تعالى: «و ما أرسلناك إلاّ مبشّراً و نذيراً قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربه سبيلاً» الفرقان: ٥٦-٥٧).

و قال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرى للعالمين» الأنعام: ٩٠).

و لعمرى انّ الولاية لأهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أصل مسلّم من اصول الدّين الإسلاميّ كسآئر الاصول الأربعة: التوحيد و العدل و النّبوّة و المعاد فمن شكّ أو تذبذب فهو إمّا منافق أو خبيث الولادة أو بليد سفيه مخدوش الفكر و العقيدة و إن بلغ مابلغ من العلم و الإصطلاحات ... و إن ادّعى ما ادّعى من الايمان و الطّهارة ... فشرط حصول الفضل الكبير هو الايمان و صالح الأعمال و هما لن يقبلا إلاّ بالمودّة في القربى.

فكما أنّ من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، كذلك من يبتغ الإسلام من دون الولاية ديناً فلن يقبل منه.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الدّين عندالله الإسلام - و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم و شهدوا أنّ الرّسول حقّ» آل عمران: ١٩ و ٨٥-٨٦).

و قال: «اليوم أكلمت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً - يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله

يعصمك من النّاس إنّ الله لايهدي القوم الكافرين» المآئدة: ٣و٦٧).

و أمّا الرّوايات المتواترة في هذا المعنى من طريق الفريقين ففي محلّها من هذا التّفسير فراجع.

و قوله عزّوجلّ: «و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» و من يستجيب لدعوة المودّة في القربى تصديقاً لها و تسليماً لأمرها من دون ريب و لا ترديد نزد له فيها حسناً على حسنة و نوراً على نور و هو المؤمن حقاً.

قال الله تعالى: «نور على نور يهدي الله لنوره من يشآء» النّور: ٣٥).

و قال: «و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و يزيدهم من فضله» الشّورى:٢٦).

و قال: «فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم ايماناً و هم يستبشرون و أمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا و هم كافرون» التّوبة: ١٢٤-١٢٥).

و قوله تعالى: «إنّ الله غفور شكور» إنّ الله جلّ و علا غفور لمن تخلّف عن هذه الدّعوة ثمّ تاب و استجاب لها، شكور لمن اقترفها، فيعامله معاملة الشاكر في توفية الحقّ حتّى كأنّه ممّن وصل إليه النّفع فشكره.

في الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيد السّاجدين زين العابدين عليه‌السلام «تشكر يسير ما شكرته، و تثيب على قليل ما تطاع فيه، حتّى كأنّ شكر عبادك الّذي أوجبت عليه ثوابهم، و أعظمت عنه جزآءهم، أمرٌ ملكوا استطاعة الإمتناع منه دونك فكافيتهم، أولم يكن سببه بيدك فجازيتهم».

قال اللّه تعالى: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم اللّه و يغفرلكم ذنوبكم و اللّه غفور رحيم قل أطيعوا الله و الرّسول فإن تولّو فإنّ الله لا يحبّ الكافرين – و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين – إلاّ الّذين تابوا من بعد ذلك و أصلحوا فانّ الله غفور رحيم» آل عمران: ٣١ - ٣٢ - ٨٥ - ٨٩).

و قال: «و من تطوّع خيراً فانّ الله شاكر عليم انّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون

إلاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا فاولئك أتوب عليهم و أنا التّوّاب الرّحيم» البقرة:١٥٨-١٥٩».

٢٤- (أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشاء الله يختم على قلبك و يمح الله الباطل و يحقّ الحقّ بكلماته إنّه عليم بذات الصّدور)

لمّا ثقلت على بعض المسلمين الدّعوة إلى المودّة في القربى قلّبوها إلى العداوة كما عادوا النّبيّ الكريم صلى‌الله عليه و آله وسلم كالمنافقين المتخلّفين المختلفين في أمر الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يقولون: أفترى محمّد صلى‌الله عليه و آله وسلم في هذه الدّعوة على الله كذباً، فيدعونا إليها إختلاقاً من قبل نفسه، فردّ الله جلّ و علا على هؤلآء المبغضين المعاندين بقوله: «فإن يشاء الله يختم على قلبك» بأنّك أيّها الرّسول صلى‌الله عليه و آله وسلم لو كنت مفترياً على الله كذباً في هذه الدّعوة ليطبع على قلبك فتنساها، و لكنّك لست فيها مفترياً إذ ليس لك من أمرها شيء حتّى تشاء الفرية، فتأتي بها من تلقآء نفسك، و إنّما هو وحي من الله عزّوجلّ من دون أن يكون لك فيه صنع، فما عليك إلاّ البلاغ فأمرها إلى مشيّة الله تعالى، فان يشأيختم على قلبك، و يسدّ إليك باب الوحي و لكنّه شآء أن يوحى إليك، و يأمرك بإبلاغها، و يبيّن به الحقّ، و قد جرت سنّته تعالى أن يمحو الباطل المفترى، و يحقّ لاهل بيتك الولاية بالأئمّة و القآئم من آل محمد صلى‌الله عليه و آله وسلم.

لأنّ الله عزّوجلّ عليم بما التى هؤلآء المنافقون المبغضون في صدورهم من العداوة لأهل بيتك و الظّلم بعدك، عليم بما تنطوي عليه ضمآئرهم لايخفى عليه من امورهم شيء فيجازيهم على حسب حالهم ....

و الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «يريدون أن يطفؤانور الله بأفواههم و يأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون» التّوبة:٣٢).

و قوله: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس إنّ الله لايهدي القوم الكافرين» المآئدة: ٦٧).

و قوله: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤)

و قوله: «و اذا لقوكم قالوا آمنّا و إذاخلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قـل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصّدور» آل عمران: ١١٩).

٢٥-(و هو الذّي يقبل التّوبة عن عباده و يعفوا عن السّيّئات و يعلم ما تفعلون)

و الله تعالى هو الّذي يقبل التّوبة عن عباده من هؤلاء المنافقين الّذين كتموا ما أنزل الله عزّوجلّ على رسوله صلى‌الله عليه و آله وسلم و نسبوه إلى الإفترآء في الدّعوة إلى المودّة في القربى، و أعرضوا عن محض العلم، و اتّبعوا محض الجهل ... يقبل الله تـعالى التّوبة عنهم و إن كبرت معصيتهم «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً» الكهف:٥) يقبل التّوبة عنهم إذا تابوا و أصلحوا و بيّنوا و اعتصموا بحبل الله جلّ و علا و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

والله تعالى هو الّذي يعفو عن السّيّئات المتاب عنها، و يعلم ما تـفعلون أيّهـا المتخلّفون من الخير و الشّرّ، يعلم أنكم تتوبون أولا، و يعلم بصدقكم في التّوبة و كذبكم فيها...

قال الله تعالى: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون إلاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا فاولئك أتوب عليهم و أنا التّوّاب الرّحيم» البقره: ١٥٨ - ١٥٩).

فهذه الآية تدعوهم أن يعودوا إلى أنفسهم، و يقيموها على طريق الحق و الهدى، على طريق الصّواب و الرّشاد، و على طريق الصّلاح و الفلاح، و أن يقترفوا الحسنات كما اقترفوا السّيّئات، و تدعوهم أن يلوذوا برحمة الله و عفوه، و أن يوجّهوا وجوههم اليه تائبين من ذنوبهم، نادمين على ما فرط منهم...

و لا يخفى على القارئ الخبير: أنّ العفو في حق الله عزّوجلّ عبارة عن إزالة آثار الذّنوب بالكلّية فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، و لايطالبه بهـا يـوم القـيامة و ينسيها من قلوبهم و يثبت مكان كلّ سيّئة حسنة « يمحوا الله ما يشآء و يثبت» الرّعد:٣٩) «من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات» الفرقان:٧٠) «بدّلنا مكان السّيّئة الحسنة حتّى عفوا» الاعراف:٩٥).

و لايخفى أنّ العفو أبلغ من المغفرة لأنّ الغفران يشعر بالستر، و العفو يشعر بالمحو، و المحو أبلغ من السّتر، و ذلك أنّ العفو هو المحو و الإزالة يقال: عفت الدّار: اذا درست و ذهبت آثارها بالكلّيّة.

فمن آثار الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أنّها لاتستر الذّنوب و السّيّئات، و إنّما هى تمحو آثارها بالكلّيّة كأن لم تكن شيئاً مذكوراً. فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتكن من الغافلين.

٢٦- (و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و يزيدهم من فضله و الكافرون لهم عذاب شديد).

و الله تعالى هو الّذي يستجيب للذين تابوا عما تقوّلوا على رسول الله صلى‌الله عليه و آله وسلم: إنّه افترى في آية المودّة في القربى على الله كذباً، و تابوا عمّا كانوا يحاجّون في أمر الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من بعدما استجابوا لربّهم: «والّذين يحاجّون في الله من بعدما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم» الشّورى:١٦).

فتابوا الى الله جلّ و علا و آمنوا به حقّاً و سلّموا لمسئلة رسول الله صلى‌الله عليه و آله وسلم و استجابوا له صلى‌الله عليه و آله وسلم فيما فيه حياتهم، و لم يرتابوا فيه و عملوا الصّالحات ... فعندئذ يستجيب الله عزّوجلّ لهم اذا دعوه، فيعطيهم ماطلبوا، و يمنحهم عطفه، و يزيدهم على مطلوبهم تفضّلاً منه، فإنّ المودّة في القربى هى الوسيلة الى الله تعالى اذ قال: « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة و جاهدوا في سبيله لعلّكم تفلحون» المآئدة: ٣٥)

فالآية الكريمة فى معنى أنّ هؤلآء التّائبين لمّا أجابوا الله جلّ و علا فيما دعاهم إليه و استجابوا لرسوله صلى الله عليه و آله وسلم في مسئلتهم المودّة في القربى، فهو تعالى يجيبهم فيما يدعونه من خير الدّنيا و الآخرة، ويزيدهم على مطلوبهم تفضّلا منه.

قال الله تعالى: «استجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّله من الله ما لكم من ملجإ يومئذ و ما لكم من نكير» الشّورى: ٤٧)

و قال: «فإن لم يستحيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهوآءهم و من أضلّ ممّن اتبّع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين» القصص: ٥٠).

و قال: «للذين استجابوا لربّهم الحسنى» الرّعد: ١٨).

و قال: «فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى» آل عمران: ١٩٥).

و قال: «و الّذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً و مثله معه لا فتدوا به اولئك لهم سوء الحساب و مأواهم جهنّم وبئس المهاد» الرّعد: ١٨).

قيل لبعض الظّرفآء: ما بالنا ندعو فلا نجاب؟ قال: لأنّ الله تعالى دعاكم فلم تجيبوه، دعاكم إلى دار السّلام فلم تجيبوه، فمن لم يستجب لربّه، فلا يستجيب له ربّه إذ قال جلّ و علا: «وما دعآء الكافرين إلاّ في ضلال» الرّعد: ١٤)

٢٧ـ(و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير)

و لو وسّع الله تعالى الرّزق من المال و الولد و العلم و ما إليها من النّعم الدّ نيويّه لعباده حسب ما يطلبونه، و جعل جميعهم علمآء، أغنيآء، ذا مال و بنين ... و سوّى بينهم و جعلهم امّة واحدة في تلك النّعم من دون ايمان جميعهم حقّاً لبطروا النّعمة و تنافسوا و تغالبوا و ظلموا و تجاوزوا عن حدودهم، و لبغوا في الأرض، كلّ على نحو من أنحآء البغي و الظّلم و التّجاوز ... و كان ذلك يؤدّي إلى وقوع الفساد بينهم و القتل و تغلّب بعضهم على بعض، و استعانة بعضهم ببعض ببذل الأموال ... فخرجوا كلّهم عن الطّاعة، فهلكوا جميعاً، فلو أغناهم جميعاً من دون ايمان جميعهم حقاً لبغوا في الأرض فهلكوا كما لو أفقرهم جميعاً لهلكوا.

نعم! لو كان النّاس كلّهم في كلّ ظرف من الظّروف مؤمنين حقّاً لأغناهم أجمعين من غير أن يهلكوا لأنّ الايمان حقاً يمنع الإنسان عن البغي ...

قال الله عزّوجلّ: «و لو أنّ أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السّمآء و الأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف: ٩٦).

و قال: «و لو أنّ أهل الكتاب آمنوا و اتّقوا لكفّرنا عنهم سيّئاتهم و لأدخلناهم جنّات النّعيم و لو أنّهم أقاموا التّوراة و الإنجيل و ما انزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم منهم امّة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون» المآئدة: ٦٥ـ٦٦).

و قال: «له معقّبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّرواما بأنفسهم» الرّعد: ١١).

و لكن لمّا لم يكن جميعهم مؤمنين دبّرهم الله عزّوجلّ على ما علم من أحوالهم و مصالحهم في غنآء قوم و فقر آخرين، و إحواج بعضهم الى بعض، و تسخير بعضهم لبعض ... فينزّل من الأرزاق بقدر ما يشآء، فيبسطها لبعض عباده دون بعض، قدر صلاحهم ما بشآء نظراً منه لهم إذ ينشأ عن البسط أنحاء بغي المجتمع الإنسانيّ الّذين لا يكون كلّهم مؤمنين، فيبسط و يقبض، و يعطي و يمنع من دون أن يكون ضيق الرّزق هواناً، و لا سعته فضيلة و إنّما إبتلاء لهم كلّهم.

قال الله تعالى: «له مقاليد السّموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّه بكلّ شيء عليم» الشورى: ١٢).

و قال: «أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» الزّمر: ٥٢).

و قال: «والله يقبض و يبسط و إليه ترجعون» البقرة: ٢٤٥).

و قال: «و لا تقعدوا بكلّ صراط توعدون و تصدّون عن سبيل الله من آمن و تبغونها عوجاً و اذكروا إذ كنتم قليلاً فكثّركم و انظروا كيف كان عاقبة المفسدين – و قطّعنا هم في الأرض امماً منهم الصّالحون و منهم دون ذلك و بلوناهم بالحسنات و السّيّئات لعلّهم يرجعون» الأعراف: ٨٦ و ١٦٨)

و قال «و نبلوكم بالشّر و الخير فتنة و إلينا ترجعون» الأنبياء: ٣٥).

و قال : «إنّ كثيراً من الخلطآء ليبغى بعضهم على بعض إلاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و قليل ما هم» ص: ٢٤).

و قال: «و هو الّذي جعلكم خلائف الأرض و رفع بعضكم فوق بعض درجات

ليبلوكم فيما آتاكم» الأنعام:١٦٥).

و قال: «إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً» الكهف:٧).

و قال: «و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال و الأنفس و الثّمرات» البقرة ١٥٥).

و قال: «و الله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون» النّحل:٧١).

و قال: «أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً» الزّخرف: ٣٢).

و قال: «فأمّا الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه و نعّمه فيقول ربّي أكرمن و أمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن كلاّ» الفجر:١٥-١٧).

في الصّحيفة السّجادية: قال سيّد السّاجدين زين‌العابدين عليّ بن الحسين عليهما‌السّلام: «رزقك مبسوط لمن عصاك، و حلمك معترض لمن ناواك».

فنظام العالم الإنسانيّ الّذي لا يكون كلّهم مؤمنين حقاً لايستقرّ إلاّ على هذا الوضع القآئم الجامع بين الأمرين، فخوف الأغنيآء يزعهم عن الظّلم و الطغيان، و خوف الفقرآء من الأغنيآء يدعوهم إلى التّعاون معهم ليفوزوا بمبتغاهم و يزعهم عن البغي.

و **قوله تعالى:** «إنّه بعباده خبير بصير» إنّ الله تعالى خبير بأحوال عباده، عليم بما أنّه يصلحهم و ما يفسدهم في دينهم و دنياهم، بصير بأعمالهم، فلم يمنعهم الله عزّ و جلّ البسط في الرّزق لعجز و لا بخل، و لم يبسطه لجهل و لاغفلة.

قال الله تعالى: «إنّ ربّك يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً» الإسراء: ٣٠).

و قال: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير» الحجرات: ١٣).

٢٨- (و هو الّذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته و هو الوليّ الحميد)

و الله تعالى هو الّذي ينزّل المطر من السّمآءِ على عباده من بعد ما يئسوا من نزوله حين حاجتهم إليه، و انقطعت آمالهم ... و ظنّوا أن لا غياث لهم مما هم فيه من

جدب يسوقهم إلى التهلكة و وجه إنزاله بعد اليأس أنّه أدعى إلى شكر الآتي به، و تعظيمه و المعرفة بموقع إحسانه و فضله، و كذلك الشّدآئد و المصائب و الحوادث الّتي تمرّ بالإنسان، و يأتي الفرج بعدها، تعلق الأمل بمن يأتي به، و تكسب المعرفة بحسن تدبيره فيما يدعو إليه من العمل بأمره و الإنتهآء إلى نهيه.

الغيث هو المطر، سمّي غيثاً لأنّه يغيث الخلق من غاث الغيث الأرض: أصابها.

قيل: إنّ الغيث ما كان نافعاً في وقته، و المطر قد يكون نافعاً و ضارّاً في وقته و في غير وقته.

إنّ الغيث هو رزق من رزق الله تعالى ينزله بقدر و حساب، حسب تقدير حكمته، فينزّله في مواقع دون مواقع، فيكون حيث نزل الغيث، الخصب و النّمآء و الخير الكثير، و يكون حيث لا غيث، الجَدبُ و القحط ... و هكذا يكون الغنى و الفقر، و الرّخآء و الشّدّة ... و بهذا يعتدل ميزان النّاس في الحياة، و يتوازن موقفهم على جانبي الرّجآء و اليأس، و الأمن و الخوف، فلا يكونون على حال واحدة، نعم لو كانوا كلّهم مؤمنين حقاً لكانوا على حال واحدة لنزول البركات عليهم دائماً كحالهم في روضات الجنّات ...

و ينشر تعالى رحمته في خلقه باحسانه و فضله حالاً فحالاً، و يفرّق نعمته و يبسطها باخراج النبات و الثّمار الّتي يكون سببها المطر الّذي يكون فيه الحياة للأرض، و الغذآء و الرِّيّ للإنسان و الحيوان و أنواع النبات ... ثمّ يضاعف لمن يشآء، و كلّ ذلك على مقتضى الحكمة و حسن التّدبير الّذي ليس شيء أحسن منه.

قال الله تعالى: «و أنزلنا من السّمآءِ مآءً بقدر فأسكنّاه في الأرض و إنّا على ذهاب به لقادرون فأنشأنالكم به جنّات من نخيل و أعناب لكم فيها فواكه كثيرة و منها تأكلون» المؤمنون: ١٨-١٩).

و قال: «ألم ترأنّ الله أنزل من السّمآءِ مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لاولى الالباب» الزّمر: ٢١).

و قال: «أولم يروا أنّا نسوق المآء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا يبصرون» السّجده: ٢٧).

و قال: «هو الّذي أنزل من السّمآءِ مآءً لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزّرع و الزّيتون و النّخيل و الأعناب و من كلّ الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكّرون» النّحل: ١٠-١١).

و قال: «و هو الّذي يرسل الرّياح بشراً بين يدى رحمته حتّى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميّت فأنزلنابه المآء فأخرجنا به من كلّ الثّمرات» الأعراف: ٥٧).

و قوله تعالى: «و هو الوليّ الحميد» و الله عزّوجلّ هو وحده وليّ المؤمنين الصالحين المتّقين ينصرهم و يعينهم و يخرجهم من الظلمات إلى النور وهو الوليّ الّذي يتولّى تدبير امور عباده و تقديرها و مصالحهم و جميع شئونهم، هو المحمود عند المؤمنين بأياديه عندهم، و نعمه عليهم، و في جميع أفعاله ... المحمود بكل لسان، و هو وحده المستحقّ للحمد حمده الكافرون أولا.

قال الله تعالى: «الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور» البقرة:٢٥٧).

و قال: «إنّ وليّ الله الّذي نزّل الكتاب و هو يتولّى الصّالحين» الأعراف: ١٩٦).

و قال: «و الله وليّي المتّقين» الجاثية: ١٩).

و قال: «و آخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين» يونس: ١٠).

و قال: «و إن من شيء إلاّ يسبّح بحمده» الإسراء: ٤٤).

و قال: «إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد» إبراهيم: ٨).

٢٩- (و من آياته خلق السّموات و الأرض و ما بثّ فيهما من دابّة و هو على جمعهم إذا يشآء قدير)

و من دلآئل وحدانية الله عزّوجلّ و عظمته، و من علآئم جلاله و سلطانه، و من آثار علمه و حكمته، و من براهين تدبيره و قدرته ... خلق السّموات و الأرض، و خلق مابثّ و نشر و فرّق في كلّ واحد منهما من مخلوقات حيّة على صور و أشكال و أجناس و

أنواع ... تدبّ فيها من النّاس و الحيوان و الجنّ و الملائكة و غيرهم على اختلاف الصّور و الألوان و الألسن ... لا نعلم كيفيّاتها و لا كمّيّاتها ... إذ ليس ما على هذه الأرض من صور الحياة إلاّ صورة من صور لا حصر لها من صور الحياة في هذا الوجود العظيم.

قال الله تعالى: «و يخلق ما لا تعلمون» النّحل: ۸).

و قال: «سبحان الّذي خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون» يس: ۳٦).

و قال: «و ما يعلم جنود ربّك إلاّ هو و ما هي إلاّ ذكرى للبشر» المدثر: ۳۱).

و في الصّحيفة السّجّاديّة: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: «أصبحنا و أصبحت الأشيآءُ كلّها بجملتها لك، سمآؤها و أرضها، و ما بثثتَ في كلّ واحد منهما ساكنه و متحرّكه و مقيمه و شاخصه ...».

و قوله تعالى: «و هو على جمعهم إذا يشآء قدير» و الله جلّ و علا وحده هو الّذي على جمع هذه المخلوقات المنتشرة في عوالم الوجود من أقطار السّموات و الأرض إذا يشآء في الحياة الدّنيا و في الآخرة في صعيد واحد يسمعهم الدّاعي، و ينفذهم البصر قدير لا يتعذّر عليه ذلك كما قدر على خلقهم و بثّهم في السّموات و الأرض، فسيجمع الله عزّوجلّ بين عقلآءِ السّموات و الأرض في الدّنيا سواء كان بسفر عقلآءِ الأرض إلى عقلاء السّموات كادريس و عيسى عليهما السّلام: «و اذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدّيقاً نبيّاً و رفعناه مكاناً عليّاً» مريم: ٥٦-٥٧). «و قولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبّه لهم - بل رفعه الله إليه» النسآء: ۱٥۷-۱٥۸) أم بسفر عقلآءِ السّماوات إلى عقلآءِ الأرض كآدم و زوجه حوّاء: «قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون» البقرة: ۳۸).

و هو وحده يجمعهم يوم القيامة للحساب و الجزاءِ لا يقدر على ذلك غيره: «الله لا إله إلاّ هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه و من أصدق من الله حديثاً» النسآء:۸۷).

٣٠- (و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير)

و ما أصابكم أيّها الظّالمون من هذه الامّة المختلفون في أمر الولاية لأهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم أجمعين من ضلالة و غواية، من بلآءٍ و نقمة، من خزى و خسارة، من هوان و ذلّة، من إنحطاط و نكبة، من فشل و معيشة ضنك، و من ذهاب ريح و زوال نعمة ... فبسبب مخالفتكم عن أمر الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و تولّيكم الطّواغيت ... و الله يعفو عن كثير من أجر امكم فلا يعاقبكم عليها إذ ليس فوق عقاب ترك الولاية عقاب.

قال الله تعالى: «و أطيعوا الله و اطيعوا الرّسول و احذروا فإن تولّيتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين» المآئدة: ٩٢).

و قال: «فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» النّور: ٦٣).

و قال: «و الّذين ظلموا من هؤلآءِ سيصيبهم سيّئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين» الزّمر: ٥١).

و قال: «و ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيّئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» النّحل: ٣٣-٣٤).

و قال: «و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم حتّى يأتي وعد الله إنّ الله لايخلف الميعاد» الرّعد: ٣١).

٣١- (و ما أنتم بمعجزين في الأرض و ما لكم من دون الله من وليّ و لانصير)

و ما أنتم أيّها الظّالمون المتخلّفون عن أوامر الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بمعجزين الله هرباً في الأرض، فتفوتوه، إذ لايعجزه من طلب، و لايفوته من هرب، فلن تعجزوه و لن تفوتوه حيث ما كنتم و لاتسبقوه هرباً في الأرض إذ لاملجأ و لامهرب من الله لأهل الأرض و لا لأهل السّمآءِ إلاّ إليه تعالى، و ما أنتم بفائتين ما قضى عليكم من المصآئب بسبب تخلّفاتكم في أمر الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و لاتضرّ تخلّفاتكم عنه إلاّ أنفسكم دون مسّ من كرامة الالوهيّة

و الرّسالة و الولاية إذ يصيبكم من خزى و هوان، و انحطاط و خسران ... و ما لكم من دون الله من وليّ يلي اموركم، فيدفع عنكم تلك المصآئب، و لانصير يعينكم على دفع تلك البلايا الّتي هى نتائج سوء أعمالكم ... و إنّما هى لاحقة بكم أينما كنتم إلاّ أن تسلموا لأمر الله جلّ و علا و تطيعوه فيما أمركم به و مانهاكم عنه.

قال الله تعالى: «إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجاء يومئذ و ما لكم من نكير» الشّورى: ٤٧).

و قال: «و من لايجب داعى الله فليس بمعجز في الأرض و ليس له من دونه أوليآء اولئك في ضلال مبين» الأحقاف: ٣٢).

و قال: «و ما كان الله ليعجزه من شىء في السّموات و لا في الأرض إنّه كان عليماً قديراً» فاطر: ٤٤).

و قال: «إنّما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين» الأنعام: ١٣٤).

و قال: «و أنيبوا إلى ربّكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون» الزّمر: ٥٤).

٣٢-(و من آياته الجوار في البحر كالأعلام)

و من آيات الله تعالى الدّالّة على وحدانيّته و علمه، على عظمته و حكمته، على قدرته و تدبيره في نظام الكون و نواميس الوجود هى السّفن الّتي تجرى في البحر الّذي سخّره لكم لتجري الفلك فيه بأمره كالجبال في العظم و الضّخامة، و الإرتفاع فوق سطح المآءِ بواسطة هبوب الرّياح وفقاً لنواميس الكون الّتي قدرها الله تعالى فضلاً منه لعباده و رحمة بهم، فالسّفن هى المعالم الوحيدة القآئمة على وجه المآءِ كما تقوم الجبال على اليابسة

قال الله تعالى: «و له الجوار المنشئات في البحر كالأعلام» الرّحمن: ٢٤).

و قال: «الله الّذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلّكم تشكرون» الجاثية: ١٢).

و قال: «و هى تجرى بهم في موج كالجبال» هود: ٤٢).

و قال: «و سخّرلكم الفلك لتجري في البحر بأمره» إبراهيم: ٣٢).

و قال: «ألم ترأنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور» لقمان: ٣١).

٣٣- (إن يشأ يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور)

إن يشا الله عزّ و جلّ أن لا تجرى الفلك فى البحر يسكن الرّيح الّتي تجرى السّفن بها فيه، فتصير الفلك ثوابت واقفة في محلّها لاتجرى على ظهر المآءِ و ذلك أنّ السّفن تجرى في البحر بهبوب الرّيح، فإذا أمسكت عنها الرّيح وقفت على ظهر المآءِ لايجرين في البحر فيجعل أهلها في عرضة الغرق و الهلاك، فجعل الله تعالى بكمال قدرته و تدبيره و علمه و حكمته الرّيح دخيلاً لجرى السّفن في البحار، فجعل هبوبها في الجهة الّتي تسير إليها السّفينة في البحر.

قال الله تعالى: «هو الّذي يسيّركم في البرّ و البحر حتّى إذا كنتم في الفلك و جرين بهم بريح طيّبة و فرحوا بها جآئتها ريح عاصف و جآءهم الموج من كلّ مكان» يونس: ٢٢).

و قال: «و إذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم و كان الإنسان كفوراً - أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الرّيح فيغرقكم بما كفرتم ثمّ لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً» الأسراء: ٦٧-٦٩).

و قوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور» إنّ تسخير البحر، و جرى السّفن فيه لعظة و عبرة، و لحججاً واضحات على وحدانيّة الله تعالى و قدرته على ما يشآء لكلّ صبّار أى المؤمن الثّابت على ايمانه، كثير الصّبر فيما ينبغي، فيجد من صبره ما يعينه على الوقوف الطّويل، الدّارس، المتوسّم في آيات الله، فيرى في كلّ معلم من معالم هذا الوجود علامات من وحدانيّة الله تعالى و علمه و حكمته و قدرته و تدبيره، و شواهد من إبداعه و عظمته و جلاله ... شكور: كثير الشكر في جميع أحواله: في الشّدّة و الرّخاء، و في السّرّآء و الضّرّآء ...

٣٤- (أو يوبقهنّ بما كسبوا و يعفوا عن كثير)

أو إن يشاءِ الله تعالى يجعل الرّيح عاصفة بأنّ يرسل الرّياح عاتية قويّة شديدة، فأخرت السّفن عن سيرها، و صرّفتها ذات اليمين و ذات الشّمال آبقة لاتسير على طريق، و لاتصل إلى مقصد حتّى تغرق و من فيها في البحر بسبب ما كسبت ركبانها من الذّنوب، و كفران نعم الله تعالى و عصيانه، و ما اجترموا من آثام ... و قد يعفو عن كثير من أهلها لتضرّعهم عندئذ إلى الله جلّ و علا فلا يغرقهم و لا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم لعلّهم يرعوون عمّاهم عليه من الإثم و العدوان، و البغي و الكفران و الظّلم و العصيان، و الكفر و الطغيان ... فبرحمته و لطفه بهم يرسل الرّياح بقدر الحاجة لينتفع بها الملاّحون لقضآءِ أوطارهم، و لمّا نجّاهم فمنهم مقتصد، و منهم يكفرون بنعمة الله جلّ و علا و يعصونه و لايرعوون عمّا كانوا يعملون.

قال الله تعالى: «و إذاغشيهم موج كالظّلل دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد و ما يجحد بآياتنا إلاّكلّ ختّار كفور» لقمان: ٣٢).

و قال: «فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذاهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم و ليتمتّعوا فسوف يعلمون» العنكبوت: ٦٦).

و قال: «هو الّذي يسيّركم في البرّ و البحر حتّى إذاكنتم في الفلك و جرين بهم بريح طيّبة و فرحوا بها جآئتها ريح عاصف و جآءهم الموج من كلّ مكان و ظنّوا أنّهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدّين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشّاكرين فلمّا أنجاهم إذاهم يبغون في الأرض بغير الحقّ» يونس: ٢٢-٢٣).

و قال: «أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الرّيح فيغرقكم بما كفرتم ثمّ لاتجدوا لكم علينا به تبيعاً» الإسراء: ٦٩).

٣٥- (و يعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص)

و يغرق الله تعالى ناساً في البحر بما كسبوا من السّيّئات لينتقم منهم، و يعلم الّذين يجادلون في آياتنا و يختلفون فيها مالهم من مهرب من العذاب، و لاملجإٍ يلجؤن إليه إذا أردناهم بالخزي و الهوان في الدّنيا، و بالنّار و العذاب في الآخرة.

و الآية الكريمة في معنى قوله تعالى: «و كذّب به قومك و هو الحقّ قل لست عليكم بوكيل لكلّ نباءٍ مستقرّ و سوف تعلمون - إن يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم ما يشآء كما أنشأكم من ذرّيّة قوم آخرين إنّ ما توعدون لآت و ما أنتم بمعجزين» الأنعام: ٦٦-٦٧ و ١٣٣-١٣٤).

و قوله: «ليبيّن لهم الّذي يختلفون فيه و ليعلم الّذين كفروا أنّهم كانوا كاذبين - أفأمن الّذين مكروا السّيّئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين» النّحل: ٣٩ و ٤٥-٤٦).

و قوله: «عن النبأ العظيم الّذي هم فيه مختلفون كلاّ سيعلمون ثمّ كلاّ سيعلمون» النّبأ: ٢-٥).

و قوله: «حتّى إذا رأواما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً و أقلّ عدداً» الجنّ: ٢٤).

و قوله حكاية عنهم: «سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» إبراهيم: ٢١).

٣٦-(فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا و ما عند الله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون)

فما اوتيتم أيّها المتخلّفون عن أوامر الله تعالى و عن دعوة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم إلى المودّة في القربى من شيء تنالون من متاع جذّاب برّاق، من أرزاق و أولاد، من جاه و سلطان، و من لذآئذ و شهوات ... ليس لها قيمة ثابتة باقية، إنّما كلّها متاع الحياة الدّنيا، متاع محدود الأجل لا يرفع و لا يخفض، و لا يعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة، و لا يعتبر بذاته علامة رضى من الله تعالى أو غضب، إنّما هى متاع الحياة الدّنيا، و هو نفع يسير، لعلّ ينفعكم مدّة حياتكم في الدّنيا تتمتّعون به في مدى قصيرة، و أن لا ينفعكم فيذهب و ينقضي و ينفد و يزول و إن كثر و عظم.

قال الله تعالى: «إعلمو أنّما الحياة الدّنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفراً ثمّ

يكون حطاماً - وما الحياة الدّنيا إلاّ متاع الغرور» الحديد: ٢٠).

و قال: «و إن كلّ ذلك لمّا متاع الحياة الدّنيا» الزّخرف: ٣٥).

و قال: «و ما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدّنيا و زينتها» القصص: ٦٠).

و قال: «إنّما مثل الحياة الدّنيا كمآءٍ أنزلناه من السّمآءِ فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل النّاس و الأنعام حتّى إذا أخذت الأرض زخرفها و ازّيّنت و ظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون» يونس: ٢٤)

و **قوله تعالى:** «وما عندالله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربّهم يتوكلّون» و ما عندالله تعالى من الثواب و نعيم الجنّة خير ممّا عندكم من زهرة الحياة الدّنيا، خير في ذاته و خير كمّاً و كيفاً، و أبقى و أدوم من متاع الدّنيا، فلايقاس نعيم الجنّة بمتاع الدّنيا ذاتاً و كمّاً و كيفاً، فانّ متاع الدّنيا مهما كانت فهي قليلة عاجلة فانية، و نعيم الجنّة كثير لا يفنى، و رزق لا ينفد، و متاع الدنيازائلة، ونعيم الجنّة باقية سرمديّة، فلايقاس ما يفنى بما يبقى، و العقل السّليم يحكم على ترجيح الكثير الباقي على القليل الفاني، و على ترجيح الدّائم على الزّائل ...

و هذا الجزآء الدّائم هو للذين آمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و بما جآءهم به حقاً و أطاعوا الله عزّ و جلّ و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و هم على ربّهم يتوكّلون في الأمور جميعها، و يسلّمونها اليه،و يعتمدون على فضله و إحسانه.

قال الله تعالى: «و ماالحياة الدّنيا إلاّ لعب و لهو و للدّار الآخرة خير للذين يتّقون أفلاتعقلون» الانعام: ٣٢).

و قال: «إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع و إنّ الآخرة هى دار القرار» غافر: ٣٩)

و قال: «و لا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزلّ قدم بعد ثبوتها و تذوقوا السّوء بما صددتم عن سبيل الله و لكم عذاب عظيم و لا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنّما عندالله هو خيرلكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفدو ما عندالله باق و لنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النّحل: ٩٤-٩٦).

٣٧- (والذين يجتنبون كبآئر الإثم و الفواحش و إذا ما غضبوا هم يغفرون)

و هؤلآء المؤمنون المتوكّلون هم الّذين يبتعدون عن كبآئر الاثم من الشّرك على أنحآئه: الشّرك في الذّات و الوجود: «لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا» الأنبياء: ٢٢). و الشّرك في الخلق و الايجاد: «و ما كان معه من إله إذا لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض» المؤمنون: ٩١) و الشّرك في التدبير: «و من يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربّكم الحق فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣١-٣٢). «يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض» السّجدة: ٥) و الشّرك في العبادة: «و لا يشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ١١٠). والشّرك رياءً: «فويل للمصلّين الّذين هم عن صلاتهم ساهون الّذين هم يرآؤن» الماعون: ٤-٦). لأنّ الشّرك أكبر الآثام ...

و هم يجتنبون الزّنا و اللواط و القتل و السّرقة و ما إليها من المنكرات و الذّنوب و المعاصي ... ما ظهر منها و ما بطن.

قال الله تعالى: «و لا تقربوا الزّنى إنّه كان فاحشة و سآء سبيلاً» الاسراء: ٣٢).

و قال: «و لوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرّجال شهوة من دون النسآء» الأعراف: ٨٠-٨١).

و قال: «و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن» الأنعام: ١٥١).

و قوله تعالى: «و اذا ما غضبوا هم يغفرون» و من سجايا هؤلاء المؤمنين المتوكّلين: الصّفح والعفو لا الإنتقام و المقابلة بالمثل، و هم الأخصّآء بالغفران حال الغضب، اذ لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول أحلام غيرهم من أكثر النّاس، فهولآء المؤمنون إذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرماً هم يغفرونه و يصفحون منه عقوبة ذنبه، و إذا ما غضبوا بالجفاء هم يتجاوزون عنه و لا يتجاوزون عليه و لا يكافؤون به، فيردّون جهل الجاهل بتجاهله، و يحلمون عمّن ظلمهم، بل يدفعون السّيئة بالحسنة.

قال الله تعالى: «و عبادالرّحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً» الفرقان: ٦٣). و قال: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام

الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون» الجاثيه: ٦٣).

و قال: «فاصفح عنهم و قل سلام فسوف يعلمون» الزّخرف: ٨٩).

و قال: «فاعفوا واصفحوا حتّى ياتي الله بأمره» البقرة: ١٠٩).

و قال: «و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الأرض اعدّت للمتقين الّذين ينفقون في السّرّآء و الضّرّآء و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس» آل عمران: ١٣٣-١٣٤).

و أنشد بعضهم:

إني عفوت لظالمى ظلمي		و وهبت ذاك له على علمي

مازال يظلمني و أرحمه		حتّى بكيت له من الظّلم

٣٨ـ (والذين استجابوا لربّهم و أقاموا الصّلاة و أمرهم شورى بينهم و ممّا رزقناهم ينفقون)

و هؤلاء المؤمنون المتوكّلون هم الذين استجابوا لربّهم فيما دعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إليه من المودّة في القربى الّتي فيها حياتهم الإنسانيّة و هدايتهم، و خيرهم و كرامتهم، و صلاحهم و سعادتهم، وعزّهم و كمالهم و سيادتهم...«يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا الله و للّرسول إذا دعاكم لما يحييكم» (الانفال: ٢٤).

و قوله عزّ وجلّ: «و أقاموا الصّلاة» و هم وحدهم أقاموا الصّلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها...«قد أفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون ـ والّذين هم على صلواتهم يحافظون» (المؤمنون: ١ـ٩) دون الّذين لم يستجيبوا لربّهم فيما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لأنّ الصّلاة من دون الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كالصّلاة من دون تحصيل الطّهارة من الوضوء كما أنّ الصّلاة من دون البراءة من أعدائهم و غاصبي حقوقهم كالصّلاة من دون تطهير النّجاسة...

قال الله تعالى: «ليس البرّ أن تولّوا و جوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النّبيين و آتى المال على حبّه ذوي

القربى واليتامى و المساكين و ابن السّبيل و السّائلين و في الرّقاب و أقام الصّلاة و آتى الزّكاة و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا و الصّابرين في البأساء و الضرّاء و حين البأس اولئك الّذين صدقوا و اولئك هم المتّقون» (البقرة:١٧٧).

و قوله تعالى: «و أمرهم شورى بينهم» و أمر هؤلاء المؤمنين المتوكّلين شورى بينهم، فيشاورون الإمام المعصوم عليه‌السلام بعد رسول‌الله صلى الله عليه و آله وسلم فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم و دنياهم، وفي زمن الغيبة، فيتشاورون بينهم في بعض شئونهم الدّنيويّة و امورهم الفرديّة و الإجتماعيّة، وأمّا الاصول الإعتقاديّة و الأحكام الشّرعيّة فإنّها منزّلة من السّماء ليس لأحد فيها رأي، فلابدّ فيها من اتّباع الوحي القرآني، و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليكون المؤمنون كلّهم على كلمة سواء فيما بينهم من جميع الشّئون الدّينيّة، فتكون طريقهم واحدة، و وجهتهم واحدة، و يدهم واحدة، و موقفهم واحداً، فلايذهب كلّ واحد منهم مذهباً، و لاتركب كلّ جماعة طريقاً، وأن يقيمواالدّين و لايتفرّقوا فيه، فيفشلوا و تذهب ريحهم، و لايوهنوا و يدعوا إلى السّلم، فينحطّوا فيسلّط عليهم الكفّار و يهتكوا حرماتهم، و يمتصّوا دماءهم، و ينهبوا ذخائرهم و يستثمروا منابعهم، و يسرقوا عقولهم و أفكارهم، و يذهبوا شعورهم و اعتقادهم و اقتصادهم...

قال الله تعالى: «أطيعوا الله و رسوله و لاتنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصّابرين» (الأنفال: ٤٦).

و قال: «فلاتهنوا و تدعوا الى السّلم و أنتم الأعلون و الله معكم ولن يتركم أعمالكم» (محمد صلى الله عليه و آله وسلم: ٣٥)

و قوله جلّ و علا: «و ممّا رزقناهم ينفقون» و من الأموال الّتي رزقناهم ينفقون في سبيل‌الله، و يؤدّون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة و نفقة على من تجب عليه نفقته.

قال الله تعالى: «الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثمّ لايتبعون ما أنفقوا منّاً و لا أذىً لهم اجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون» البقرة: ٢٦٢).

٣٩- (والّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)

و كما أنّ من أخصّ صفات المؤمنين أنّهم إذا ما غضبوا هم يغفرون إذا كان العفو سبباً لندامة الباغي و إصلاحه «فمن عفى و أصلح فأجره على الله» الشورى: ٤٠) كذلك من أخصّ صفاتهم أنّهم ينتقمون من الباغي بمثل بغيه إذا كان العفو سبباً لجرأة الباغي و إفساده، فإذا وقع عليهم الظلم من ظالم مصرّ على ظلمه، فهم ينتصرون و لايرضون بالذّلّ و الهوان لأنفسهم، ويطلبون النصرة من المؤمنين، و يروجون الظّالم، و يردعون جرأة الظالم على الضّعفاء، فهم ليسوا أكلة لكلّ راغب و لامطيّة لكلّ راكب، بل يستميتون من أجل حرّيتهم و كرامتهم، و الذّود عن حياضهم و بلادهم و حقوقهم ...«لايحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم» (النساء:١٤٨).

الإنتصار عند البغي لقطعه من الأرض، و من أخصّ صفات المؤمنين أن يقطعوا أصول الظلم و عروق البغي، و هذا و صفهم بالشّجاعة و الصّلابة في الدّين بعد و صفهم بسائر امّهات الفضائل، و لاتنافي بين مدحهم بالعفو عند الغضب و كظم الغيظ، و بين مدحهم بعدم الرّضا بالبغي و الظّلم عليهم و إحقاق حقهم، و عدم تحمّلهم الذّلّ و عدم رضاهم تضييع حقّهم و إقدامهم على إحقاق حقّهم من الباغي المصرّ و الظّالم المتمادى، فإنّه من إباء النّفس الّذي هو من الفضائل ... و لايخفى أنّ في إقامة الباغي على سبيل العدل و الحقّ و عقوبته بما هو له أهل، تقويم له.

فهم في مورد العفو يعفون، و في مورد الإنتقام ينتقمون و لايتجاوزون على ذلك.

قال الله تعالى: «الّذين آمنوا و عملو الصّالحات و ذكروا الله كثيراً و انتصروا من بعد ما ظلموا و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» (الشعراء:٢٢٧).

فكما أنّ البغى حرام، كذلك التّصبّر عل البغي دون انتصار إذا كان موجباً لجرأة الباغي حرام، فانّ الظّلم و الإنظلام كلا هما من المحظورات الدّينية ... فكما أنّ العفو و الغفران من أخصّ صفات المؤمنين، كذلك الإنتصار و الإنتقام من أخصّ أوصافهم ... سواء أكان البغي على مؤمن أم على غيره من المؤمنين لأنّهم نفس واحدة بعضها من بعض، فيجب عل المؤمن أن ينتصر لنفسه كما يجب عليه أن ينتصر لغيره من المؤمنين، و

يجب على الفرد أن ينتقم للجماعة كما يجب على الجماعة أن تنتصر للفرد، فالإنتصار عند البغي من أخصّ صفات المؤمنين فرادى و جماعات...فالإنتصار لإزالة البغي أو مكافأته ضابطة عامّة لكلّ من بغى عليه، و لكن حسب مايقتضيه العدل، و العفو خير إن كان في محلّه، و ليس العفو المصلح إلاّ في البغي على الأشخاص، و أمّا البغي على الدّين فلاعفوفيه الاّ إذا تاب الباغى و أصلح وبيّن أنه بغى.

قال الله تعالى: « إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدى من بعدما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون إلاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا فاولئك أتوب عليهم و أنا التّوابّ الرّحيم» (البقرة: ١٥٩ـ١٦٠).

٤٠ـ (و جزآؤا سيّئة سيّئةٌ مثلها فمن عفا و أصلح فأجره على الله إنّه لايحبّ الظالمين)

و جزآؤا كلّ سيّئة، عقوبته بما أوجبه الله تعالى عليه، فهى و إن كانت عقوبة من الله عزّ و جلّ أوجبها عليه، فهى مساءةله.

قال الله تعالى: «و من جاء بالسّيّئة فلايجزى إلاّ مثلها» (الأنعام: ١٦٠).

و قال: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» (البقرة: ١٩٤).

و قال: «و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» (النّحل: ١٢٦).

فكلّ جناية على النّفس أو المال أو العرض تقابل بمثلها قصاصاً لأنّ إهدارها يوجب فتح باب الشّرور و المفاسد... إذ في طبع الإنسان، الظّلم و البغي و العدوان، فإذا لم يزدجر عنه تمادى فيه، و لم يتركه، و الزّيادة على قدر الذّنب ظلم، و الشّرائع تتنزّه عن ذلك، و من ثمّ شرع الله تعالى القصاص، و ندب إلى الفضل و الإحسان و هو العفو مالم يكن سبباً لجرأة الباغي.

و قوله تعالى: «فمن عفا و أصلح فأجره على الله».فمن عفا عمّن أساء إليه، فغفر له و لم يعاقبه بإسائته و هو على عقوبته عليها قادر، ابتغاءً لوجه الله تعالى، و أصلح العفو، المسيء، ويصدّه عن بغيه و إساءته، فأجر هذا العفو على الله تعالى، و الله مثيبه عليه ثوابه، و أمّا العفو الّذي لايصلح المسيء، و لايكون فيه مصلحة دينيّة، بل كان سبباً

لجرأته على بغيه و إسائته، فهذا العفو ظلم على نفس المظلوم و على غيره.

قال الله تعالى: «فمن تاب من بعد ظلمه و أصلح فإنّ الله يتوب عليه إنّ الله غفور رحيم» المائدة:٣٩) و قال:«إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة» التوبة:٦٦).

و قوله عزّ و جلّ: «إنّه لايحبّ الظّالمين» إنّ الله تعالى لايحبّ من تلبّس بالظّلم، سواء أيبدؤ النّاس بالعدوان، أم يسرف في المقابلة بحيث يكون في إسرافه جور وجنف فيتعدّى على النّاس فيسيء إليهم بغير ما أذن الله له فيه، أو انظلم، فصار الإنظلام سبباً لتقوية الباغي على بغيه.

قال الله تعالى: «و من عاقب بمثل ما عوقب به ثمّ بُغي عليه لينصرنّه الله إنّ الله لعفوّ غفور» الحجّ:٦٠).

و قال: « و قاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم و لاتعتدوا إنّ الله لايحبّ المعتدين» البقرة:١٩٠) «و من يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون» البقرة:٢٢٩).

و قال: «و كتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس ـ و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظّالمون» المائدة:٤٥).

٤١ـ(و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)

و الله جلّ و علا لمن انتصرو انتقم بالمباشرة أو بالمعاونة ممّن ظلمه، بعد ظلم الظّالم إيّاه فاولئك المنتصرون المنتقمون لاسبيل للظّالمين و لا لأحد من غيرهم من النّاس أن يوجّهوا إلى المظلومين المنتقمين عقوبة و أذى، و لاعتاب و لوم في انتصار هم و انتقامهم من ظالميهم، لأنّهم انتصروا و انتقموا منهم بحق و فعلوا ما ابيح لهم ، و من أخذ حقّه ممّن وجب ذلك له عليه ولم يتعدّ ـ لم يظلم، فلاسبيل لأحد عليه بأن يلومه أو يؤاخذه حيث إنّ الإنتقام من الباغي أو الدّفاع عن حقّه و تجاه الظّالم الباغي حق مشروع للمظلوم على أيّ حال، فلا لوم على الّذين يدفعون الظلم عنهم إذا بغى عليهم.

قال الله تعالى: « لايحبّ الله الجهر بالسّو من القول إلاّ من ظلم» النساء:١٤٨).

و قال: « و انتصروا من بعد ظلموا وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون» الشعراء: ٢٢٧).

و ماورد في المقام فمن باب التأويل و هو اللبّ فتأمّل جيّداً و اغتنم جدّاً و لاتكن من الغافلين.

٤٢ـ[إنّما السّبيل على الذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم]

إنّما الطريق للومكم و عتابكم أيّها النّاس كافّة، و إنّما السّبيل لذمّكم و مؤاخذتكم أيّها المؤمنون خاصّة على الّذين يظلمون النّاس بأن يبدؤهم بالظّلم في الأموال و الأنفس و الأعراض... أو يعتدوا في الإنتقام، فيزيدون فيه، و يتجاوزون ماحدّلهم، و الّذين إذا رأوا سبيل الغيّ يتخذونه سبيلاً فتعاقبوهم و تلوموهم بظلمهم، وتقطعوا أيديهم عن الظلم و العدوان و تصدّوهم عن سبيل الغيّ، لاعلى من انتصر ممّن ظلمه، فأخذ منه حقّه و لا الذين إذا رأوا سبيل الرّشد يتخذونه سبيلاً، و كذلك السّبيل على الّذين يتجاوزون في الأرض الحدّ الّذي أباح لهم ربّهم إلى مالم يأذن لهم فيه، و يتجبّرون في الأرض ويفسدون فيها بغير الحقّ، فهؤلاء الظّالمون و الباغون جديرون بكلّ لوم وعتاب، و بكلّ ذمّ و عقاب، و هم مستحقّون للعذاب المؤلم يوم القيامة لظلمهم على النّاس، وبغيهم في الأرض.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ـ لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم و لاتقتلوا أنفسكم ـ و من يفعل ذلك عدواناً و ظلماً فسوف نصيله ناراً ـ فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات احلّت لهم و بصدّهم عن سبيل الله كثيراً و أخذهم الرّبوا و قدنهوا عنه و أكلهم أموال النّاس بالباطل» النّساء: ١٠ و ٢٩ و ١٦١).

و قال: «أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله بل اولئك هم الظّالمون» النّور: ٥٠).

و قال: «لاتتخذوا آبائكم و إخوانكم أولياء ان استحبّوا الكفر على الايمان و من يتولّهم منكم فاولئك هم الظّالمون» التّوبة: ٢٣).

و قال: «يا أيّها الّذين آمنوا لايسخر قوم من قوم ـ و لاتلمزوا أنفسكم و لاتنابزوا

بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الايمان و مـن لم يـتب فـاولئك هـم الظّـالمون» آل عمران:٩٤).

و قال: «و ما يجحد بآياتنا إلاّ الظّالمون» العنكبوت:٤٩).

و قال: «و من يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظّالمون - و الكافرون هم الظّالمون» البقرة:٢٢٩ـ٢٥٤).

و قال: «و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظّالمون» المائدة:٤٥).

و قال: «هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيّها النّاس إنّما بغيكم على أنفسكم» يونس:٢٣) و للنّاس الّذين ما تلبّسوا بالظلم والبغي و للمؤمنين أن يلوموا هؤلاء الظّالمين و الباغين على أنحاء ظلمهم و بغيهم.

فكما أنّ الله تعالى نفى السّبيل عن المظلوم المنتصر، و أثـبته عـلى الظّـالمين و الباغين، فكذلك نفاه عن المحسنين و أثبته على الأغنياء الطّاغين في قـوله: «مـا عـلى المحسنين من سبيل ـ إنّما السّبيل على الّذين يستأذنونك و هم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون» التّوبة:٩١ـ٩٣).

٤٣ـ(و لمن صبر و غفر إنّ ذلك لمن عزم الامور)

و الله جلّ و علا لمن صبر على الأذى و المشاقّ من مهامّ الامور، و لم يكن ترك الإنتقام من الظّالم ظلماً آخر على نفس المظلوم، و لا على النّاس، وغفر لمن أسائه مالم يكن العفو سبباً لتقوية الظّالم على ظلمه، و لا المسيء على إسائته، بل كان العفو و ترك الإنتصار سبباً لتوبة الظّالم، و ندامة المسيء و انقلاع الباغي عن بغيه، إنّ هذا النّوع من الصّبر و الغفران و العفو عندالقدرة الّتي تدلّ على قدرة النّفس، و كمال الخلق و العزيمة ماليس في غيرها، و قد كان عليها الأنبياء و المرسلون و الأوصياء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين و دعاة الدين الحق و المصلحون... قال الله تعالى: «و الّذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوّئنّهم في الدّنيا حسنة و لأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الّذين صبروا و على ربّهم يتوكّلون ثمّ إنّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثمّ جاهدوا و صبروا ـ و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صـبرتم لهـو خـير للـصّابرين»

النّحل:٤١-١١٠-١٢٦).

و قال: «لتبلونّ في أموالكم و أنفسكم و لتسمعنّ من الّذين اوتواالكتاب من قبلكم و من الّذين أشركوا أذىً كثيراً و إن تصبروا و تتّقوا فانّ ذلك من عزم الامور» آل عمران:١٨٦)

و قال حكاية عن لقمان لابنه: « و اصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الامور» لقمان:١٧).

٤٤ـ(و من يضلل الله فما له من وليّ من بعده و ترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل)

فهؤلاء الظّالمون و الباغون بسبب ظلمهم عباد الله تعالى، و بغيهم على النّاس في الأرض بسوء إختيارهم، لحبّهم الدّنيا و شهواتها، و اتباعهم الهوى أضلّهم الله جلّ و علا و خذلهم و أخزاهم، كمن أسقط نفسه من شاهق بسوء اختياره فأماته الله عزّ و جلّ، فماذا بعد السّقوط إلاّ الموت؟

ومن يضلل الله، فليس له من وليّ يلي أمره، فيهديه لسبيل الحق و الصّواب، و لطريق الخير و الرّشاد، و يسدّده من بعد إضلال الله إيّاه، و لانصير ينصره من بعد ضلاله و خذلانه: «أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله و من يضلل الله فلن تجدله سبيلاً» النساء:٨٨). «بل اتبع الّذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضلّ الله و مالهم من ناصرين» الرّوم:٢٩).

فلا يضلّ الله سبحانه إلاّ من اختار سبب الضّلالة بسوء اختياره و أسبابها كثيرة منها الظّلم و البغي:قال الله تعالى: « و يضلّ الله الظّالمين» ابراهيم:٢٧).

و لن يضلّ الله أحداً من دون سبب الضّلالة لأنّه ظلم «و ما الله يريد ظلماً للعباد» غافر:٣١). «و ما ربّك بظلاّم للعبيد» فصّلت:٤٦).

فمن أظلم ممّن عصى الله جل و علا و عصى رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و أعرض عن دعوة النّبيّ الكريم صلى الله عليه و آله وسلم إلى الايمان، و إلى المودّة في القربى الذين هم وحدهم طريق الى معرفة الله عزّوجلّ و هم وحدهم سبيل إلى معرفة

الشريعة المحمّدية صلى الله عليه و آله وسلم و العمل بها؟ و من أظلم ممّن ظلم آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم و غصب حق اهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين و أوجد الفرقة بين الأُمّة المسلمة، و بغى على النّاس في الأرض و صدّهم عن سبيل الله و أضلّهم كثيراً، و كان سبباً لإنحطاط المسلمين و فشلهم حتّى اليوم، و تبدّل الكفر بعد الايمان؟؟؟

قال الله تعالى: «و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» الاحزاب: ٣٦).

و قال: «و من يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضلّ سوآء السّبيل» البقرة: ١٠٨).

و قال: «و لاتتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل و أضلّوا كثيراً و ضلّوا عن سوآء السّبيل» المائدة: ٧٧).

و قال: «فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣٢).

و **قوله تعالى:** «و ترى الظالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل الى مردّ من سبيل» و ترى أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم هؤلآء الظّالمين و الباغين الّذين ظلموا اهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين و غصبوا حقّهم و جنوا ما جنوا في الاسلام، و خانوا ما خانوا المسلمين، تراهم حين رأوا عذاب الله يوم القيامة - و عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام هو ميزان العمل و قسيم الجنّة و النّار - نادمين على ما بدالهم من انفسهم، يقولون عندئذ: هل لنا يا ربّ من سبيل إلى العودة إلى الدّنيا، فنكون أمثال المؤمنين الصّادقين؟ فيستاءلون تساول المضطرب المتحسّر الفزع عما إذا لم يكن لهم من سبيل للعودة إلى الدّنيا ستلافى ما كان منهم.

قال الله عزّوجلّ: «و لو أنّ لكلّ نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به و أسرّوا النّدامة لمّار أوا العذاب و قضى بينهم بالقسط» يونس: ٥٤).

و قال: «و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٢).

و قال: و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحاً انّا موقنون» السّجدة: ١٢).

و قال: «و لو ترى إذ الظّالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضهم إلى بعض القول

يقول الّذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين - و لو ترى إذ فزعوا فلافوت و أُخذوا من مكان قريب» سبأ: ٣١ و ٥١).

و و قال: « و لو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا ياليتنا نردّ و لا نكذّب بآيات ربّنا و نكون من المؤمنين بل بداهم ما كانوا يخفون من قبل و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و إنّهم لكاذبون» الانعام: ٢٧ - ٢٨).

و قال: «فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ و لايتساءلون - قالوا ربّنا غلبت علينا شقوقنا و كنّا قوماً ضالّين ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون قال اخسئوا فيها و لا تكلّمون» المؤمنون: ١٠١ - ١٠٨).

٤٥- (و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظالمين في عذاب مقيم)

و ترى أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم و المؤمنون الصّادقون أيضاً هؤلاء الظّالمين الباغين الّذين أعرضوا عن الدعوة إلى المودّة في القربى في الحياة الدنيا، تراهم يوم القيامة حين يعرضون على نار جهنّم و قسيمها، خآئفين أذ لآّء، خاشعة أبصارهم من الذّلّ لا خشوع العبادة و الطّاعة من العزّ لأنّهم عرفوا ذنوبهم و جنايتهم، و ظلمهم و بغيهم ... و كشفت لهم عظمة من عصوه و خالفوا أمره، و تفرّقوا في دينه، حالكونهم ناظرين إلى النّار و قسيمها من طرف خفيّ، ضعيف النّظر، مسارقة الأعين، يسارقون النّظر إليها خوفاً منها و حذراً من الوقوع فيها، كما ينظر من قدّم للقتل الى السّيف و من بيده، فلا يقدر أن يملأ عينيه منه، و إنّما ينظر ببعضها.

قال الله تعالى: «و يوم يعرض الّذين كفروا على النّار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدّنيا و استمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون - و يوم يعرض الذين كفروا على النّار أليس هذا بالحق قالوا بلى و ربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» الأحقاف: ٢٠-٣٤).

و قال: «و لا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم و أفئدتهم هوآء» ابراهيم: ٤٢-٤٣).

و قال: «و اقترب الوعد الحقّ فاذا هى شاخصة أبصارالّذين كفروا ياو يلنا قد كنّا في غفلة من هذابل كنّا ظالمين» الأنبيآء: ٩٧).

و قال: «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الّذي كانوا يوعدون» المعارج: ٤٤).

و قال: «قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة» النّازعات: ٨-٩).

و قال : «و جوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة» الغاشية: ٢-٣).

و قوله تعالى: «و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة» و يقول الّذين آمنوا بما دعا هم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و أطاعوه فيماأمرهم به حقّاً، هم يقولون حين رأوا عظيم مانزل بهؤلآء الظّالمين العاصين و أتباعهم السّفلة بهؤلآء المضلّين المغوين و مردتهم الجهلة، و بهؤلآء الباغين المخالفين عن أمر الله تعالى بالمودّة في القربى، يقولون حين يرون أحوال هؤلآء الببغآء و ذلّتهم وسوقهم إلى نار جهنّم: إنّ الخاسرين هم الّذين خسروا أنفسهم إذظلموا و بغوا و ضلّوا و عصوا في الدّنيا فاد خلوا نار جهنّم خالدين فيها، يوم القيامة و حرموا نعيم الأبد الّذى أُعدّ لهم في الجنّة لو آمنوا و أطاعوا ... و خسروا أهليهم من الأتباع السّفلة، و المردة الجهلة إذ أضلّوهم فاتّبعوهم ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، فالقادة الفجرة و المردة الفسقة كلّهم في نار جهنّم خالدين فيها، فهم أخسر النّاس صفقة و أخيبهم سعياً.

قال الله تعالى: «قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين» الزّمر: ١٥).

و قال: «و من يتّخذ الشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» النّسآء: ١١٩).

و قال: «الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما أمرالله به أن يوصل و يفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون» البقرة: ٢٧).

و قال: «ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدّنيا على الآخرة و أنّ الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون» النّحل: ١٠٧-١٠٩).

و قال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٣-١٠٤).

و قال: «قالت أُخراهم لأُولاهم ربّنا هؤلآء أضلّونا فآتهم عذاباً ضِعفاً من النّار قال لكلٍ ضعف ولكن لا تعلمون» الأعراف: ٣٨).

و قال: «يوم تقلّب وجوههم في النّار يقولون ياليتنا أطعنا الله و أطعنا الرّسولا و قالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا و كبرآئنا فأضلّونا السّبيلا» الأحزاب: ٦٦-٦٧).

و قوله عزّوجلّ: «ألا إنّ الظّالمين في عـذاب مـقيم» تـنبّهوا أيهّـا النّـاس إنّ هؤلآءالظّالمين من الرّؤسآء و المرؤوسين، من القادة و المردة و من الأتباع و المتبوعين كلّهم يوم القيامة لفي عذاب دائم لاينقطع، لا مهرب و لا خلاص لهم منه قطّ.

قال الله تعالى: «و إنّهم ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون أنّهم مهتدون – و لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون» الزّخرف: ٣٧ـ٣٩).

و قال: «و مأواهم النّار و بئس مثوى الظّالمين» آل عمران: ١٥١).

و قال: «يريدون أن يخرجوا من النّار و ما هم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم» المآئدة: ٣٧).

و قال: «إنّاأعتدنا للظّالمين ناراً أحاط بهم سرادقها» الكهف: ٢٩).

و قال: «يوم لا ينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللعنة و لهم سوء الّدار» غافر: ٥٢).

و قال: «ألالعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً» هود: ١٨-١٩). و ماورد في المقام فمن باب التأويل و هو اللبّ فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

٤٦ـ(و ماكان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله و من يضلل الله فماله من سبيل)

و ما كان لهؤلآء الظّالمين و الباغين يوم القيامة من أولياء من دون الله يمنعونهم

من أهوال القيامة و فزعها، و لا من أعوان ينصرونهم من ربّهم على ما نالهم به من العذاب، و لا من أصد قآء يدفعون عنهم عقابه، و لا أقرباء ينقذنهم من النّكال و الوبال ...

و ذلك أنهم لم يتولّوا الله جلّ و علا و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بل شاقّوا الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم بعد ما تبيّن لهم الهدى، و بخلوا بما آتاه الله تعالى أوليآئه فأعرضوا عنهم، و استكبروا و استنكفوا عن المودّة في القربى، و اتّبعوا غير سبيل المؤمنين، و لم يتّخذوا الرّشد سبيلاً و إنّما اتّخذوا الشّياطين و ذرّيّته أوليآء و تبدّلوا الكفر بالايمان، و اتّخذوا الغيّ سبيلاً، و اتّبعوا السّبل فتفرق بهم، و ضلّوا سوآء السبيل و أضلّوا كثيراً، كلّ ذلك بسوء اختيارهم.

قال الله تعالى: «و الظّالمون ماهم من وليّ و لا نصير أم اتخذوا من دونه أوليآء فالله هو الوليّ» الشّورى: ٨-٩).

و قال: «إنّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون» المآئدة: ٥٥) و قال: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه و لاتتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله» الأنعام: ١٥٣)

و قال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني» يوسف: ١٠٨)

وقال: «و أمّاالّذين استنكفوا و استكبروا فيعذّبهم عذاباً أليماً و لا يجدون لهم من دون الله وليّاً و لانصيراً» النّسآء: ١٧٣).

و قال: «فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سوآء السّبيل» المائدة: ١٢).

و قال: «و لا تتّبعوا أهوآء قوم قدضلّوا من قبل و أضلّوا كثيراً و ضلّوا عن سوآء السّبيل» المائدة: ٧٧).

و قال: «و من يتبدّل الكفر بالايمان فقد ضّل سوآء السّبيل» البقرة: ١٠٨).

و قال: «و من يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى و يتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولىّ و نصله جهنّم و سآئت مصيراً» النّسآء: ١١٥).

و قال: «فلمّا آتاهم من فضله بخلوابه وتولّوا وهم معرضون» التّوبة: ٧٦)

و قال: «إنّهم اتّخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله و يحسبون أنهم مهتدون و إن يروا سبيل الرّشد لايتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً» الأعراف: ٣٠ و١٤٦).

و قال: «أفتتّخذونه و ذرّيّته أوليآء من دوني و هم لكم عدوّ بئس للظّالمين بدلاً» الكهف: ٥٠).

و قوله جلّ و علا: «و من يضلل الله فماله من سبيل» فهولآء الظّالمون الباغون بسبب اتّخاذهم سبيل الغيّ و الإنحطاط سبيلاً لهم في الحياة الدّنيا، و إعراضهم عن سبيل الرّشد و الكمال بسوء إختيارهم أضلّهم الله و تركهم في طغيانهم يعمهون، و من يضلل الله فماله من سبيل إلى الوصول إلى الرّشد و الهدى، و إلى النّور و الكمال.

قال الله تعالى: «فما لكم في المنافقين فئتين و الله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضلّ الله و من يضلل الله فلن تجدله سبيلاً» النساء: ٨٨).

و قال: «من يضلل الله فلا هادي له و يذرهم في طغيانهم يعمهون» الأعراف: ١٨٦).

و قال: «و من يضلل فلن تجدله وليّاً مرشداً» الكهف: ١٧)

و قال: «و الذين كفروا أوليآؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات» البقرة: ٢٥٧).

٤٧- (إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّله من الله مالكم من ملجاء يومئذ و ما لكم من نكير)

إستجيبوا أيّها الظّالمون المستكبرون، و الباغون المضلّون، و الطّاغون المنحرفون عن طريق الحقّ و الهدى، و عن سبيل الرّشد و الفلاح ... إستجيبوا لربّكم أنتم و أتباعكم في كلّ ظرف، و اقبلوا على ما دعاكم إليه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم من المودّة في القربى، فاتّبعوه على ما جآءكم به من عند ربّكم، فانّ هؤلآءِ القربى هم وحدهم طريق لكم إلى معرفة الله جلّ و علا حقاً و إلى طاعته و طاعة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم،

إستجيبوا من قبل أن يأتيكم يوم الخزى و الضّلالة، يوم الفشل و الذّلّة، يوم الهوان و الإنحطاط، ويوم ذهاب الرّيح و الكرامة ...

و إنّه أتاكم بها لسوء إختياركم في رفض الثّقلين: «إنّي تارك فيكم الثّقلين ...» لا يردّها رادّ، و لا يدفعها دافع، كما نرى اليوم فشل المسلمين و هم أكثر من ميليارد نسمة لرفضهم الثّقلين، و اتخاذهم الطّواغيت أوليآء هم ...«ألم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطّاغوت يقولون للذين كفروا هؤلآء أهدى من الّذين آمنوا سبيلا ألم تر إلى الّذين يزعمون أنّهم آمنوا بما انزل إليك و ما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت و قد امروا أن يكفروا به و يريد الشّيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً» النّسآء: ٥١-٦٠).

و إنّما الخطاب: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّالمودّة في القربى إستجيبوا لربكم ...» مستمر لأتباع هؤلآء الظّالمين المضلّين، و الباغين المنحرفين مادامت الحياة قائمة.

و **قوله تعالى:** «ما لكم من ملجإ يومئذ» ما لكم أيّها المنحطّون المختلفون في دين الإسلام الولآئي، و المتخلّفون عن أمر الله تعالى و دعوة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم ما لكم يوم الخزي و الإنحطاط المحيط بكم من ملجإ تلجؤون إليه إذ لا ملجأللمسلمين إلاّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فإنّهم حصين الإسلام و حبل الله المتين و العروة الوثقى، فمن استمسك بها لا انفصام لها، و لأنّهم كانوا عصمة الله جلّ و علا الّتي كانت عصمة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بتبليغها، فلو لم يبلّغهاللنّاس لماعصمه صلى الله عليه و آله وسلم الله عزّوجلّ إذ قال: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس» المآئدة: ٦٧).

و قد أمر الله تعالى عباده المؤمنين المتّقين حقّ تقاته بالإعتصام بعصمتهم فقال: «يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته و لاتموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا» آل عمران: ١٠٢-١٠٣).

وقوله عزّوجلّ: «و ما لكم من نكير» و ما لكم أيّها الضّالّون و المضلّون من سبيل لإنكار ما رفضتموه من المودّة في القربى، و ما اتّخذتموه من الطّواغيت أو ليآءكم

لأنّ كلّ ذلك مثبت في صحف أعمالكم ويشهد عليه جوارحكم، و ما لكم من يقوم فيكم مقام المنكر عليكم، مافيكم من ضلالة و غواية ... فقد انتهت رسالة الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم إذ بلّغها بتبليغ الولاية لأهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون.

٤٨- (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ وإنّا إذا أذقنا الإنسان منّارحمة فرح بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور)

فان أعرض هؤلآء الظّالمون المضلّون، و الباغون المغوون، و أتباعهم السّفلة في كلّ ظرف ... الّذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحياة الدّنيا و شهواتها، فتفرّقوا في الدّين و تحزّبوا بأحزاب و مذاهب شتّى ... أعرضوا عمّا تدعوهم إليه من المودة في القربى و الإعتصام بحبل الله و العروة الوثقى، و عمّا أتيتهم به من الحق و الهدى و دعوتهم إليه من الرّشد و الفلاح ... فلم يستجيبوا لك و أبوا قبول هذه الدّعوة منك، فدعهم و شأنهم يأكلوا و يتمتّعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون.

قال الله تعالى: «و إنّ هذه امّتكم امّة واحدة و أنا ربّكم فاتّقون فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً كلّ حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتّى حين أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» المؤمنون: ٥٢-٥٦).

و قال: «و ذر الّذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحياة الدّنيا- و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ٧٠-١١٠).

و قال: «ذرهم يأكلوا و يتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون»: الحجر: ٣).

و قوله عزّوجلّ: «فما أرسلناك عليهم حفيظاً» فانّا لم نرسلك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم إلى هؤلآء الظالمين المضلّين و أتباعهم خاصّة و إلى النّاس كافّة رقيباً عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم و تحصيها، فلست مسئولاً عن إستجابتهم لدعوتك حتّى تمنعهم عن الإعراض، و تتعب نفسك لاقبالهم عليك.

قال الله تعالى: «من يطع الرّسول فقد أطاع الله و من تولّى فماأرسلناك عليهم

حفيظاً» النسآء: ٨٠).

و قال: «و ما جعلناك عليهم حفيظاً و ماأنت عليهم بوكيل» الأنعام: ١٠٧).

و قال: «لعلّك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين» الشّعراء: ٣).

و قال: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنّ الله عليم بما يصنعون» فاطر: ٨).

و **قوله جلّ و علا**: «إن عليك إلاّ البلاغ» و ما عليك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم إلاّ أن تبلّغهم ما انزل إليك من ربّك، و تدعوهم إليه، و تحذرهم عن بأس المخالفة و عقابها في الدّنيا والآخرة، فإذا بلّغتهم ذلك فقد قضيت ماعليك، و أدّيت ماكنفت به، فإن استجابوا لدعوتك بعد أن تبيّن لهم الرّشد من الغيّ فقد رشدوا ونجوا، و إن أبوا أن يستجيبوا لها، فليس لك أن تتولىّ حفظهم، و تأخذبهم قسراً إلى طريق النّجاة و التّمسّك بالعروة الوثق إذ لا إكراه في الدّين: «فذكّر إنمّا أنت مذكّر لست عليهم بمصيطر» الغاشية: ٢١-٢٢) «فإنّما عليك البلاغ و علينا الحساب» الرّعد: ٤٠).

فالّذى يلزم الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم إنما هو تبليغ الرّسالة و دعاؤهم إلى الحق و الهدى، و لا يلزمه أن يحفظهم من اعتقاد خلاف الحق و الهدى ...

قال الله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فمابلّغت رسالته - و أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و احذروا فإن تولّيتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين» المآئدة: ٦٧ و ٩٢).

و **قوله سبحانه**: «و إنّا إذا أذقنا الإنسان منّارحمة فرح بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور» و إنّا إذا أذقنا هؤلآء الظالمين المضلّين والباغين المنحرفين و أتباعهم منّارحمة، فأعطيناهم من عند ناسعة في الأموال و الأولاد و ما إليها من متاع الحياة الدّنيا وشهواتها ... فرحوا بها من دون أن يذكروا أنّها من عند الله تعالى و يشكرو اله، و إن تصبهم مصيبة تسؤهم من شدّة و بلآء، من فاقة و ضيق عيش و مرض ... بما قدّمت أيديهم من مخالفة أمر الله تعالى و عداوة أوليآء الله و رفضهم المودّة في القربى، و اتّخاذهم الطّواغيت و الشّياطين أوليآء لهم، جحدوا النّعم الإلهيّة، و أيئسوا من الخير كلّه، فيعدّون المصآئب و ينسون المواهب و ينكرونها.

و هذه حال أكثر النّاس عامّة في كلّ ظرف، و هم غير المؤمنين، و في رأسهـم هؤلآء الظّالمون المضلّون، و أتباعهم الضّالّون ... و من طبعهم هو البطر عند الغنى و الفراغ في زمن الصّحّة، و الأمن في زمن الكفران، و نسيان نعم الله تعالى عند البلآء ... فيذكرون البلآء و ينسون الرّفاه، يذكرون النّقمة و ينسون النّعمة، يذكرون المرض و المـصيبة، و يجحدون الصّحّة و العافية، و يذكرون الشّدّة و الفقر، وينكرون الرّخآء و الغنى ...

الكفور: البليغ في الكفران: ينسون النّعم رأساً، و يذكرون البليّة كلّها و يعظمونها و لا يتأمّلون سببها، بل يزعمون أنها أصابتهم من دون استحقاقهم لها.

قال الله عزّوجلّ: «و لئن أذقنا الإنسان منّارحمة ثمّ نزعنا هامنه إنّه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعمآء بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ ذهب السّيّئات عنّي إنّه لفرح فخور إلاّ الّذين صبروا و عملوا الصالحات» هود: ٩-١٠).

و قال: «و إذا أذقنا النّاس رحمة فرحوا بها و إن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون» الرّوم:٣٦).

و قال: «و لئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذالي و مـا أظـنّ السّاعة قائمة» فصّلت: ٥٠).

و قال: «و فرحوا بالحياة الدّنيا و ما الحياة الدّنيا في الآخرة إلاّ متاع» الرّعد: ٢٦).

و قال: «و لقد صرّفناه بينهم ليذّكّروا فأبى أكثر النّاس إلاّ كفوراً» الفرقان: ٥٠).

و قال: «و ما يجحد بآياتنا إلاّ كلّ ختّار كفور» لقمان: ٣٢).

و قال: «و إن تعدّوا نعمت الله لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار» إبراهيم: ٣٤).

و قال: «إنّ الإنسان لربّه لكنود» العاديات: ٦). و هذه حال الإنسان إلاّ الذين آمنوا

٤٩- (لله ملك السّموات و الأرض يخلق ما يشآء يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشاء الذّكور)

لا ينبغي لأحد من الإنسان أن يغترّ بما يملكه من متاع الحياة الدّنيا من مال و بنين و جاه ... و لا يعتقد أنّه حصل بجدّ أو جده فيعجب به و يعرض عن الإستجابة لربّه و عن دعوة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم فإنّ لله وحده ملك السّموات و الأرض دون غيره،

و انّ الخلق والرّزق و الّرحمة منوطة بمشيّته من غير أن يكون هناك أمر يوجب عليه المشيئة أو يضطرّه على الخلق و الرّزق و الرّحمة، فهو جلّ و علا خالق السّموات و الأرض و ما لكهما و المتصّرف فيهما، فما شآء كان و ما لم يشألم يكن، و هو يعطى من يشآء، ويمنع من يشآء لا مانع لما اعطى و لا معطي لما منع، إذ لاينازعه و لايشاركه أحد في ملكه، و بيده ملكوت كلّ شيء، فيتصرّف فيه كيف يشآء و يخلق ما يشآء.

فليس لأحد أن يعترض أو يدبّر في خلقه و أمره بحسب هواه إذ لايكون تصّرفه إلاّ على أكمل وجه و أتمّ نظام، حيث إنّه ليس في نظام الكون و نواميس الوجود أبدع و أتمّ و أكمل مما كان، و بيده خلق كلّ شيء، وكلّ ما في السّموات و الأرض ملكه، فهو وحده الّذي يهب بلا عوض لمن يشآء من نوع الإنسان إناثاً فقط، و لمن يشآء الذّكور فقط.

قال الله تعالى: «و لله ملك السّموات و الأرض و ما بينهما يخلق ما يشآء و الله على كلّ شيء قدير» المآئدة: ١٧).

و قال: «يخلق مايشآء و يختار ماكان لهم الخيرة» القصص: ٦٨).

و قال: «و أنّه خلق الزّوجين الذّكر و الانثى من نطفة إذا تمنى» النّجم: ٤٥-٤٦).

و قال: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منّي يمنى ثمّ كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزّوجين الذّكر و الانثى» القيامة: ٣٦-٣٩).

و قال: «أم لهم ملك السّموات و الأرض و ما بينهما فليرتقوا في الأسباب» ص: ١٠).

و قال: «تبارك الّذي بيده الملك و هو على كلّ شيء قدير الّذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً و هوالعزيز الغفور الّذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرّ تين ينقلب إليک البصر خاسئاً و هو حسير» الملك: ١-٤).

و لايخفى: أنّ الأولاد و الذّرّيّة مظهر من مظاهر المنح و المنع، و العطآء و الحرمان و

هى قريبة من نفس الانسان و النّفس شديدة الحسّاسّية بها بل لمسها من هذا الجانب أقوى و أعمق.

٥٠- (أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشآء عقيماً إنّه عليم قدير)

و من البداهة أنّ الولد من الذّكور والاناث هبة إلهيّة و منحة ربّانيّه ليس لأحد أن يردّها أو يبغضها كما لا ينبغي أن يغضب لماذا جعله الله تعالى عقيماً لا علاج له عاديّاً إلاّ ما هو خارج عن العادة بمعجزة إلهية كما في أبينا آدم عليه‌السلام من دون أبوين و عيسى بن مريم عليه‌السلام من دون أب: «إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم – قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشآء إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون» آل عمران: ٤٥-٥٩). و كما في زوجة إبراهيم عليه‌السلام سارة امّ إسحق عليه‌السلام: «و بشّروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرّة فصكّت و جهها و قالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنّه هو الحكيم العليم» الذّاريات: ٢٨-٣٠) و كما في زوجة زكريّا امّ يحيى عليهم السّلام: «يا زكريّا إنّا نبشّرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً قال ربّ أنىّ يكون لي غلام و كانت امرأتي عاقراً و قد بلغت من الكبر عتيّاً قال كذلك قال ربّك هو عليّ هيّن و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئاً» مريم: ٧-٩).

و أمّا المانع الّذي يرفعه الدّوآء أو عمليّة اخرى فليس هذا عقماً لا هبة فيه، حيث إنّ العقيم لمانع مّا حين يرزق ولداً كان من هبات الله تعالى فيشمله قوله: «يهب لمن يشآء ...».

فليس للإنسان إختيار في أن يجعل كلّ أولاده ذكوراً أواناثاً أوهما معاً، و إنّما الله تعالى هو الّذي قسّم عباده أربعة أقسام: ١- منهم من له البنون فقط. ٢- منهم من يختصّ بالبنات فحسب. ٣- منهم من له أصناف متنوّعة، فيجعلهم خليطاً من ذكور واناث معاً. ٤- منهم من كان عقيماً محروماً لانسل له أصلاً، فيجعل من يشآء من الرّجال و النّسآء عقيماً لايلد و لايولد له و فقاً لمقتضيات علمه و حكمته لأنّه جلّ و علا عليم بما خلق من الذّكر و الانثى، عليم بما يهب و لمن يهب، عليم بمصالح عباده لايزيد ما يزيد لجهل، و

عليم بكلّ شيء، قدير على خلق مايشآء، قدير على ما يشآء من عطآء ومنع لا ينقص ما ينقص لعجز، و قادر على كلّ شيء، فيهب لمن كان عقيماً كزوجة إبراهيم و زكريا عليهما السّلام: «ألاله الخلق و الأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤).

٥١-(و ماكان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أومن ورآء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشآء إنّه عليّ حكيم)

و ما صحّ لأحد من البشر أن يكلّمه الله عزّوجلّ إلاّ أنه يوحى إليه وحياً بقذف في قلبه يقظة أو بإلهام أو في المنام كلّ ذلك من غير واسطة: «فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤادما رأى» النّجم: ٩-١١) «و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات ...» الأنبيآء: ٧٣) «فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا و وحينا» المؤمنون: ٢٧) ليس هنا واسطة أو يشا فهه بالكلام في اليقظة بايجاد الصّوت والكلام في جوّ أوشجر أو حجر أو مدر ... من غير رؤية المتكلّم لتكلّم من يتكلّم، يشا فهه من ورآء حجاب بأن يسمعه كلامه و لا يراه كما وقع لموسى عليه‌السلام: «وكلّم الله موسى تكليماً» النّسآء: ١٦٤) «و ناديناه أن يا إبراهيم» الصّافات: ١٠٤) هنا واسطة غير مرئيّة.

أو يكلّمه بواسطة مرئيّة بأن يرسل من قِبَله تعالى رسولاً من الملائكة كجبرئيل أو غيره فيوحي هذا الرّسول السّماوى إلى المرسل إليه الأرضيّ، فيكلّمه باذن الله و أمره ما يشآء الله تعالى أن يوحيه إليه من المطالب وْ الحقآئق و المعارف و الحكم، والأوامر و النّواهي و الأحكام و المواعظ و ما إليها من الوحي السّماوي.

قال الله تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس» الحجّ: ٧٥).

و قال: «و لقد جآئت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً- قال إنّما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيّاً» مريم: ١٧-١٩).

و قال: «هنا لك دعا زكريّا ربّه قال ربّ هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة إنك سميع الدّعآء فنادته الملائكة و هو قائم يصلّي في المحراب ...» آل عمران: ٣٨-٣٩).

و قال : «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء: ١٩٣-١٩٤).

و قال: «قل من كان عدوّاً لجبريل فانّه نزّله على قلبك باذن الله » البقرة: ٩٧).

فالكلام هو كلام الله تعالى، و الموحي هو الله جلّ وعلا سوآء أكان بين الله عزّوجلّ و الموحىٰ إليه واسطة مطلقاً أم لا أصلاً، فيصح إسناد مطلق الوحي إلى الله تعالى بأىّ قسم من أقسام الوحى .. كما قال الله عزّوجلّ: «و ما أرسلنامن قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥).

و قوله تعالى: «إنّه علىّ حكيم» إنّ الله تعالى عليّ في شأنه و كنهه، عليّ عن صفات المخلوقين، عليّ عن الإدراك بالأبصار، و إنّه ذوعلوّ على كلّ شيء و ارتفاع عليه و اقتدار ... حكيم في صنعه و كلامه، ذوحكمة في تدبيره خلقه، و حكيم يفعل مايفعل، و يختار ما يختار وفقاً لمقتضى حكمته، فيكلّم من يشآء من عباده إمّا بواسطة أو بغير واسطة و بالجملة: إنّ الله علىّ يوحى من علوّ، حكيم يوحى بحكمة إلى من اختاره للوحى.

قال الله تعالى: «و ربّك يخلق ما يشآء و يختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عمّا يشركون» القصص: ٦٨).

و قال: « نرفع درجات من يشآء إنّ ربك حكيم عليم سبحانه و تعالى عمّا يصفون» الأنعام: ٨٣و ١٠٠).

٥٢-(و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشآء من عبادنا و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم)

وكما كنّا نوحي أنحآء الوحي إليك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم و إلى سآئر رسلنا قبلك كذلك أوحينا إليك هذا القرآن الكريم روحاً من أمرنا و هو أعظم و أشرف من الملائكة.

قال الله تعالى: «ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره على من يشآء من عباده أن

أنذروا أنّه لا إله إلاّ أنا فاتقون» النّحل: ٢).

و قال: «ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة و الرّوح فيها باذن ربّهم من كلّ أمر» القدر: ٤-٣).

و قال: «رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشآء من عباده» غافر: ١٥).

و **قوله تعالى**: «ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» لم تكن أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم تدري تفصيل هذا الكتاب الّذي أنزلناه إليك، و إن كنت عالماً بإجماله، و لم تكن تدري تفصيل الايمان و الشّرائع ... و إن كنت مؤمناً بالله جلّ و علا حقاً، و عارفاً بحقيقة الايمان و الشّرائع إجمالاً.

قال الله عزّوجلّ: «علّمه شديد القوى ذومرّة فاستوى و هو بالافق الأعلى» النّجم: ٥-٧).

و قال: «و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيماً» النّسآء: ١١٣).

و قال: «فتعالى الله الملك الحقّ و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه و قل ربّ زدني علماً» طه: ١١٤).

و قال: «لا تحرّك به لسانك لتعجل به» القيامة: ١٦).

و **قوله عزّوجلّ**: «و لكن جعلناه نوراً نهدي به من نشآء من عبادنا» ولكن جعلنا هذا الكتاب و هو القرآن نوراً لما يحمل من هدى و نور يكشف به معالم الطّريق إلى الله جلّ و علا، جعلناه ضيآءً لمن يستضيىء بضوئه الّذي بيّن الله تعالى فيه، و هو بيانه الّذي بيّن فيه ممّا للنّاس فيه في الايمان و العمل به الكمال و الفلاح، و الصّلاح و الرّشاد، و ما لهم في الكفر و المخالفة، الإنحطاط و الهلاك و الدّمار و النّار و العذاب.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس قد جآءكم برهان من ربّكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً» النّسآء : ١٧٤)

و قال: «قد جآءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » المائده: ١٥-١٦).

و قال: «فالّذين آمنوا به وعزّروه و نصروه و اتّبعوا النّور الّذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الأعراف: ١٥٧) و قال: «فآمنوا بالله و رسوله و النّور الّذي أنزلنا» التّغابن: ٨).

و قال: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هى أقوم» الإسراء: ٩).

و قال «قل اوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به» الجن: ١-٢).

نهدي بهذا النّور وهو القرآن الكريم من نشآء من عبادنا الّذين يهتدون به.

قال الله تعالى: «يهدي الله لنوره من يشآء» النّور: ٣٥).

و قال: «قد جآءكم بصآئر من رّبكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها» الأنعام: ١٠٤).

و قال: «هذا بصآئر للنّاس و هدى و رحمة لقوم يوقنون» الجاثية: ٢٠).

و قال: «و أن أتلو القرآن فمن اهتدى فانّما يهتدي لنفسه و من ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين» النّمل: ٩٢).

و **قوله عزّوجّل**: «و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم» و إنك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم نور من هذا النّور لتهدي بهذا النّور الموحىٰ إليك النّاس بالدّعآء و البيان لهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج و لا انحراف فيه، لأنك معلم من معالم الحقّ تهدى النّاس إليه، و ذلك في سنّتك القوليّة والعملية الّتي هى من هذا النّور السّماويّ.

قال الله تعالى: «فاستمسك بالّذي اوحى إليك إنك على صراط مستقيم و إنّه لذكر لك و لقومك» الزّخرف: ٤٣-٤٤).

و قال: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً ونذيراً و داعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥-٤٦).

و قال: «وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم» الحجّ: ٦٧).

و قال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبّعني» يوسف: ١٠٨).

و في **نهج البلاغة**: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «أرسله داعياً إلى الحقّ، و شاهداً على الخلق، فبلّغ رسالات ربّه، غير وانٍ و لا مقصّر، و جاهد في الله أعدآئه غير واهنٍ ولا معذّرٍ، إمامُ من اتّقى، و بَصَرُ من اهتدى» و ما ورد في الباب فمن التأويل و هو اللبّ و لا يتذكّر به إلاّ اولوا الألباب.

٥٣- (صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض ألا إلى الله تصير الامور)

هذا الصّراط المستقيم هو صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض كلّه ملكاً و خلقاً و عبيداً.

و من البداهة أنّ صراط رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و صراط أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هو صراط الله جلّ و علا نفسه، كما أنّ الإعتصام بالله تعالى الّذي فيه الهداية إلى صراط مستقيم هو الإعتصام بحبل الله و التّمسّك بالعروة الوثق الّتي لا انفصام لها.

قال الله عزّوجلّ: «و أنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه قل انّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً» الأنعام: ١٥٣ و ١٦١).

و قال: «و اتّبعونِ هذا صراط مستقيم» الزّخرف: ٦١).

و قال في الإمام عليّ عليه‌السلام: «هل يستوي هو و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم» النّحل: ٧٦)

و قال: «و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا» آل عمران: ١٠١-١٠٣).

و قال: «فأمّا الّذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيد خلهم في رحمة منه و فضل و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النّسآء: ١٧٥).

و قال: «قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها» البقرة: ٢٥٦).

و قال: «و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الامور» لقمان: ٢٢).

و قوله تعالى: «ألا إلى الله تصير الامور» فاعلموا أيّها النّاس و تنبّهوا أنّ عواقب امور الخلآئق كلّها يوم القيامة ترجع إلى الله تعالى وحده الحكيم الملك بارتفاع الوسآئط و التعلّقات ... فيضع كلاً منهم في موضعه الّذي يستحقّه من نعيم أوجحيم.

قال الله عزّجلّ: «و إلى الله ترجع الامور ـ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت و هم يظلمون» البقرة: ٢١٠ و ٢٨١).

و قال: «يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الأمر يومئذ لله» الإنفطار: ١٩).

﴿ جملة المعاني ﴾

٤٢٧٣ - ٤٢٧٤- (حمٓ - عٓسٓقٓ)

رموز و أسرار بين الله عزّ و جلّ و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و أهل بيته المعصومين عليهم السّلام.

٤٢٧٥- (كذلك يوحي إليك و إلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم)

مثل ما في القرآن من الدّعوة إلى اصول الدين و فروعها ... يوحي اليك يا محمد صلى الله عليه و آله وسلم و قد أوحى إلى المرسلين الّذين كانوا من قبلك الله العزيز في ملكه، الحكيم في أمره.

٤٢٧٦- (له ما في السّموات و ما في الأرض و هو العليّ العظيم)

لله تعالى ملك ما في السّموات و ما في الارض، و هو الّذي يعلو بسلطانه على كلّ سلطان، العظيم الّذي تذّل لعظمته كلّ عظمة.

٤٢٧٧- (تكاد السّموات يتفطّرن من فوقهنّ و الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون لمن في الأرض إنّ الله هو الغفور الرّحيم)

تقرب السّموات تنشقّ كلّ واحدة فوق الّتي تليها، فيسقطن من علوهنّ، و الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم و لا يفترون، و هم يستغفرون لمن في الارض من المؤمنين، ألا يا أيّها النّاس لا تقنطوا من رحمة الله لأنّ الله كثير المغفرة لمن تاب، الرّحيم بالمؤمنين.

٤٢٧٨- (والذين اتخذوا من دونه أوليآء الله حفيظ عليهم و مـا أنت عـليهم بوكيل)

والّذين أشركوا بالله سبحانه و اتخذوا من دونه أولياء لهم، الله تـعالى وحـده حفيظ على المشركين يحفظ أعمالهم، و لست أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله وسـلم عـليهم بوكيل تحفظ عليهم أعمالهم ...

٤٢٧٩- (و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر امّ القرى و من حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنّة و فريق في السّعير)

و مثل ذلك الايحاء الواضح أوحينا اليك أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم قرآناً عربيّاً بلسان قومك لتنذر به أهل مكّة و مَن حولها من سآئر الخلق في كلّ ظرف، و تنذره يوماً نجمع فيه الخلائق للحساب و الجزاء، لا ريب فيه، فريق يومئذ مستقرّون في الجنّة، و فريق كآئنون في نار جهنّم المسعّرة على أهلها.

٤٢٨٠- (و لو شآء الله لجعلهم امّة واحدة و لكن يدخل من يشآء في رحمته و الظّالمون ما لهم من وليّ و لا نصير)

و لو شآء الله سبحانه هداية النّاس و ايمانهم على سبيل الإجبار و الإكراه لجعلهم امّة واحدة لا اختلاف بينهم، و لكنّ الله تعالى يدخل من يشآء في رحمته الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات بحسن اختيارهم، و الّذين ظلموا بسوء اختيارهم ما لهم في الدّنيا و لا في الآخرة من وليّ يواليهم، و لا نصير يدفع عنهم الخزى والعذاب.

٤٢٨١- (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الوليّ و هو يحي الموتى و هو على كل شيء قدير)

بل هؤلاء الظّالمون اتخذوا الطّواغيت من دون الله أوليآء لهم، فالله تعالى وحده هو الوليّ، و هو الّذي يحى الموتى للحساب و الجزآء و هو على كلّ شيء قدير.

٤٢٨٢- (و ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربّي عليه توكلّت و إليه انيب)

و ما اختلفتم أيّها المؤمنون مع هؤلآء الظّالمين في شيء من امور الدّين أو الدّنيا،

فحكمه مردود الى الله تعالى، ذلكم الله ربّي أيّها النّاس، على ربّي خاصّة توكلّت في جميع اموري و أحوالي، و إليه وحده أرجع في جميع مهّماتي ....

٤٢٨٣- (فاطر السّموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير)

الله تعالى هو أبدع السّموات و أوجد الأرض، الّذي جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجاً و خلق لكم الأنعام ثمانية أزواج، هو الّذي ينشئكم في هذا التّزاوج و يظهر نسلكم جيلاً بعد جيل، ليس كذاته شيء، و هو السّميع لكلّ شيء، البصير بكلّ شيء.

٤٢٨٤- (له مقاليد السّموات و الأرض يبسط الرّزق لمن يشآء و يقدر إنّه بكلّ شيء عليم)

لله تعالى وحده مفاتيح خزآئن السّموات و الأرض، يبسط الرّزق لمن يشآء، و يقبض لمن يشآء و فقاً لمقتضيات علمه و حكمته لأنّه عزّ و جلّ بكلّ شيء عليم.

٤٢٨٥- (شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا اليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء و يهدي إليه من ينيب)

الله تعالى شرع لكم أيّها النّاس من الدّين الاسلامي ما وصّى به نوحاً عليه‌السلام من قبل، و الّذي أوحينا اليك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم و ما وصّينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا أنتم أصحاب الشرآئع الخمس، اولوا العزم من الرّسل، هذا الدّين الحنيفي و لا تتفرّقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من هذا الدّين المتّفق عليه اولواالعزم، الله تعالى يختار لإقامة أمر دينه بعد رسوله صلى الله عليه و آله وسلم من يشآء من عباده، و يهدي الى هذا الدّين من يرجع إليه و يهتدي بهداه.

٤٢٨٦- (و ما تفرّقوا إلاّ من بعد ما جآءهم العلم بغياً بينهم و لو لا كلمة سبقت من ربّك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم و إنّ الّذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب)

و لم يتفرّق عتاة المتخلّفين من هذه الامّة المسلمة عن ميثاق الله تعالى إلاّ من بعد أن جآء هم العلم بهذا الدّين الإسلامي حسداً و بغياً بينهم، و لولا كلمة سبقت من ربك أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم في تأخير العقاب عن هؤلاء المتخلّفين من امّتك إلى أجل مسمّى، لقضي بينهم بالهلاك و الدّمار قبل الآخرة، و إنّ الّذين اورثوا هذا القرآن من بعد هؤلآء المتخلّفين، هم لفي شكّ في أمر القرآن.

٤٢٨٧- (فلذلك فادع واستقم كما امرت و لا تتّبع أهوآءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أمرت لأعدل بينكم الله ربّنا و ربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجّة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير)

فلإقامة أمر هذا الدّين فادع النّاس و استقم عليها، و لاتتبع أهواء هؤلآء المتخلّفين و قل لهم، آمنت بما أنزل الله من كتاب، و امرت في هذا القرآن لأن أعدل بينكم في كلّ شيء، الله تعالى وحده ربّنا و ربّكم، لنا أعمالنا و لكم أعمالكم: صالحها و فاسدها، لا حجّة بيننا و بينكم إذ أقامت الحجّة و تمّت، الله تعالى يجمع بيننا يوم القيامة و يحكم، و إليه مصير النّاس كلّهم.

٤٢٨٨- (والّذين يحاجّون في الله من بعد ما استجيب له حجّتهم داحضة عند ربّهم و عليهم غضب و لهم عذاب شديد)

والّذين يخاصمون في دين الله الّذي ابتعث به نبيّه محمداً صلى الله عليه و آله وسلم من بعد ما استجاب له النّاس فدخلوا فيه أفواجاً، حجّتهم باطلة عند ربّهم، و على هؤلآء المخاصمين غضب من الله تعالى فى الدنيا و لهم عذاب شديد في الآخرة.

٤٢٨٩- (الله الّذي أنزل ا لكتاب بالحقّ و الميزان و ما يدريك لعلّ السّاعة قريب)

الله تعالى هو الّذي أنزل هذا القرآن بالحقّ، و أنزل الميزان الّذي يوزن به الأشيآء كلّها مادّيها و معنويها، و أيّ شيء يعلّمك أيّها السّامع، لعلّ مجيء السّاعة قريب، فاتقوا الله قبل قيامها.

٤٢٩٠- (يستعجل بها الّذين لا يؤمنون بها و الّذين آمنوا مشفقون منها و

يعلمون أنّها الحقّ ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد)

يستعجل بوقوع السّاعة استعجال تكذيب و تحدٍّ الّذين لايؤمنون بالدّار الآخرة، و الّذين آمنوا بها و جلون من مجيئها، خآئفون من قيامها، و هم يعلمون أنّها الحقّ، تنبّهوا أيّها النّاس عامّة و المؤمنون خاصّة أنّ الّذين يجادلون في قيام السّاعة هم لفي انحراف عن طريق الحقّ، و بعيد عن سبيل الرّشاد.

٤۲۹۱- (الله لطيف بعباده يرزق من يشآء و هو القويّ العزيز)

الله تعالى لطيف بعباده بلا كيف، يرزق من يشآء منهم مادّيّاً و معنويّاً من غير مانع و لا حائل، و الله تعالى هو القويّ المطلق لا يعتريه عجز، العزيز الغالب الّذي لا يغلبه شيء.

٤۲۹۲- (من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب)

من كان يريد بايمانه و طاعته و صالح أعماله ثواب الآخرة نزدله في ايمانه ... و من كان يريد الدّنيا و متاعها و سعى لها سعيها نؤته منها ما قسمناه له، و ليس له في الآخرة نصيب.

٤۲۹۳- (أم لهم شركآؤا شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله و لولا كلمة الفصل لقضي بينهم و إنّ الظالمين لهم عذاب أليم)

ألهؤلآء المتخلّفين الباغين شركآؤ هم شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله تعالى، و لولا كلمة الفصل الّتي سبقت في تأخير عذاب الاستئصال عنهم، لقضي بينهم، فنهلكهم كالامم السّابقة قبل القيامة، و انّ لهؤلآء الظالمين عذاب أليم في الآخرة.

٤۲۹٤- (ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا و هو واقع بهم و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير)

ترى أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم يوم القيامة هؤلاء الظّالمين وجلين ترتعد فرائصهم من جزآء ما كسبوا في الدّنيا، و هو واقع بهم لا محالة، و الّذين آمنوا و عملوا

الصّالحات، هم يوم القيامة مستقرّون في روضات الجنّات، لهم فيها ما يشاؤن عند ربّهم، هذا الثّواب و الكرامة لهم هو الفضل الكبير الّذي يفوق على كثير من النّعم ...

٤٢٩٥- (ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا و عملواالصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور)

ذلك الفضل الكبير هو الّذي يبشّر به الله تعالى عباده الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات وحدهم دون غيرهم، قل أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم لهؤلآء المؤمنين الصّالحين: لا أسئلكم على ذلك الفضل الكبير الّذي شرط حصوله هو الايمان وصالح الأعمال أجراً إلاّ المودّة في القربى لأنّها شرط قبول الايمان و صالح الأعمال ... و من يستجيب لدعوة المودّة في القربى من غير ترديد فيها نزدله فيها حسناً، انّ الله تعالى غفور لمن تخلّف عن هذه الدّعوة ثمّ تاب و استجاب لها، شكور لمن اقترفها بعد استبصارها.

٤٢٩٦-(أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشاء الله يختم على قبلك و يمح الله الباطل و يحقّ الحقّ بكلماته إنّه عليم بذات الصّدور)

بل يقول هؤلآء الظّالمون المتخلّفون عن الدّعوة الى المودّة في القربى: إفترى محمّد صلى الله عليه و آله وسلم في هذه الدّعوة على الله كذباً، بل إنّهم إفتروا عليك، فإن يشاء الله يختم على قلبك، بأنك لو كنت مفترياً على الله كذباً في هذه الدّعوة ليطبع الله على قلبك فتنساها، و لكنّك لا تحزن على ما يقولون، انّ الله يمحو الباطل و يحقّ الحقّ لأهله بكلماته، إنّه عليم بما في صدور هؤلآء المذبذبين ...

٤٢٩٧- (و هو الّذى يقبل التّوبة عن عباده و يعفوا عن السّيّئات و يعلم ما تفعلون)

و الله هو الّذي يقبل توبة هؤلآء المتخلّفين ان تابوا و استجابوا، لأنّ الله تعالى يقبل التّوبة عن عباده و يعفو عن السّيّئات المتاب عنها، و يعلم الله تعالى ما تفعلون أيّها المتخلّفون.

۴۲۹۸- (و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و يزيدهم من فضله و الكافرون لهم عذاب شديد)

و الله تعالى يستجيب للذين تابوا عمّا تقوّلوا على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و عملوا الصّالحات بعد ذلك، و يزيدهم الله من فضله، و الّذين لم يتوبوا و بقوا على عنادهم و لجاجهم لهم في الآخرة عذاب شديد.

۴۲۹۹- (و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الارض و لكن ينزّل بقدر ما يشآء إنّه بعباده خبير بصير)

و لو وسّع الله الرّزق في الحياة الدّنيا لعباده حسب ما يشتهون لبغوا في الأرض كلّ على نحو من أنحآء البغي، و لكنّ الله ينزّل الرّزق بقدر ما يشآء وفقاً لمقتضى الحكمة، إنّ الله خبير بأحوال عباده، بصير بأعمالهم ...

۴۳۰۰- (و هو الّذى ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته و هو الوليّ الحميد)

و الله تعالى هو الّذى ينزّل المطر من السّماء على عباده من بعد ما يئسوا من نزوله، و الله عزّو جلّ ينشر رحمته في خلقه، و هو تعالى وحده وليّ المؤمنين يتولّى تدبير امور عباده، هو المحمود بكلّ لسان حمده الكافرون أم لا.

۴۳۰۱- (و من آياته خلق السّموات و الأرض و مابثّ فيهما من دابّة و هو على جمعهم إذا يشآء قدير)

و من دلآئل و حدانيّة الله تعالى خلق السّموات و الأرض، و خلق ما نشر في كلّ واحد منهما من مخلوقات حيّة على صور مختلفة و أنواع تدبّ فيهما، و هو عزّ وجلّ وحده على جمع المخلوقات المنتشرة فيعوالم الوجود إذا يشآء في صعيد واحد قدير لا يتعذّر عليه ذلك.

۴۳۰۲- (و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير)

و ما أصابكم أيّها الظّالمون من هذه الامّة، المختلفون في أمر الولاية، أصابكم من

خزي و انحطاط ... فبسبب مخالفتكم عن أمر الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و تولّيكم الطّواغيت، و الله تعالى يعفو عن كثير بعد ما عاقبكم على ترك الولاية.

٤٣٠٣-(و ما أنتم بمعجزين في الأرض و مالكم من دون الله من وليّ و لانصير)

و ما أنتم أيّها المتخلّفون عن أمر الله و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم بمعجزين الله هرباً في الأرض فتفوتوه، و مالكم من دون الله من وليّ يلي اموركم، و لانصير يعينكم على دفع تلك البلايا...

٤٣٠٤-(و من آياته الجوار في البحر كالأعلام)

و من دلآئل و حدانية الله تعالى و قدرته، هى السّفن الجارية فيالبحر كالجبال في العظم و الضّخامة...

٤٣٠٥-(إن يشاء يسكن الرّيح فيظللن رواكد على ظهره إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور)

إن يشإ الله أن لاتجرى الفلك في البحر، يسكن الرّيح الّتي تجرى بها السّفن في البحر فتصير ثوابت لاتجرى على ظهر المآء، إنّ في تسخير البحر و جري السّفن فيه لحججاً على وحدانيّة الله تعالى لمن كان كثير الصبر فيما ينبغي، كثير الشكر في جميع أحواله...

٤٣٠٦-(أو يو بقهنّ بما كسبوا و يعف عن كثير)

أو إن يشإ الله تعالى يجعل الرّيح عاصفة، فأخرت السّفن عن سيرها، فتغرق و من فيها في البحر بسبب ما كسبت ركبانها من المعاصي... و الله تعالى يعفوا عن كثير من أهلها لتضرّعهم حينئذٍ إلى الله عزّوجلّ.

٤٣٠٧-(و يعلم الّذين يجادلون في آياتناماهم من محيص)

و يعلم الله تعالى الّذين يجادلون في آياتنا و يختلفون فيها ما لهم من مهرب من العذاب.

٤٣٠٨-(فما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدّنيا و ما عند الله خير و أبقى للذين آمنو و على ربّهم يتوكلون)

فما اوتيتم أيّها المتخلّفون عن أو امر الله تعالى و عن دعوة رسوله صلى الله عليه و آله وسلم إلى المودّة في القربى من شئ تنالون فمتاع الحياة الدّنيا لايبقى، و ما عندالله عزّوجل من الثّواب خير ممّا عندكم، و أبقى للّذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون في الامور جميعها.

٤٣٠٩- (و الّذين يجتنبون كبآئر الإثم و الفواحش و إذا ما غضبواهم يغفرون)

و هؤلآء المؤمنون يبتعدون عن كبآئر الإثم من الشرك على أنحائه،و يجتنبون عن المعاصي ... كلّها، و هم إذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرماً، هم يغفرونه

٤٣١٠- (و الّذين استجابوا لربّهم و أقاموا الصّلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون)

و المؤمنون هم الّذين استجابوا لربّهم فيما دعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إليه، و أقاموا الصلاة المفروضة بحدودها، و أمرهم شورى بينهم، و بعض ما رزقناهم من الأموال ينفقونه في سبيل الله.

٤٣١١- (و الّذين إذا أصابهم البغى هم ينصرون)

و هؤلآء المومنون إذا أصابهم البغى هم ينتصرون و يطلبون النّصرة من المؤمنين على الباغي إذا كان العفو سبباً لجرأة الباغي و إفساده.

٤٣١٢- (و جزآؤ سيّئة، سيّئة مثلها فمن عفى و أصلح فأجره على الله إنّه لايحبّ الظّالمين)

و جزآؤ كلّ سيّئة، سيّئة مثلها ممّا أوجبه الله تعالى،فمن عفا عمّن أسآء إليه، و أصلح العفو، المسيئ و يصدّه عن بغيه، فأجر هذا العفو على الله تعالى، إنّ الله لايحبّ كلّ من تلبّس بالظلم.

٤٣١٣- (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)

و الله تعالى لمن انتقم ممّن ظلمه، فاولئك المظلومون المنتصرون، ماعليهم من سبيل للظّالمين و لالغير هم أن يعاقبوهم أو يلوموهم على انتصارهم.

٤٣١٤- (إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم)

إنما الطّريق للومكم و عتابكم أيّها النّاس ثابت على الّذين يظلمون النّـاس، و يتجبّرون في الأرض بغير الحقّ، لهولآء الظالمين و الباغين عذاب موجع.

٤٣١٥- (و لمن صبر و غفر إنّ ذلك لمن عزم الامور)

و اقسم بالله تعالى إنّ من صبر على الأذى و غفر لمن أسآئه مالم يكن الصّبر و الغفران سبباً لتقوية الظّالم و المسيئ إنّ ذلك الصّبر و المغفرة عند القدرة من الأمور الّتي تدل على قدرة النّفس و كمال الخلق.

٤٣١٦- (و من يضلل الله فماله من وليّ من بعده و ترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّمن سبيل)

و من يضلل الله بسبب ظلمهم و بغيهم، فليس له من وليّ يلي أمره مـن بـعد إضلال الله تعالى إيّاه و ترى أيّها النّبي صلى الله عليه و آله وسلم هؤلاء الظالمين حين رأوا عذاب الله يوم القيامة، يقولون حينئذ: هل لنا من طريق للعودة إلى الدّنيا؟!

٤٣١٧- (و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ و قال الّذين آمنوا إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظالمين في عذاب مقيم)

و ترى أيّها النّبي صلى الله عليه و آله وسلم هؤلاء الظّالمين يعرضون على نار جهنّم يوم القيامة، خائفين أذلآء ناظرين الى النّار من زاوية البصر، خوفاً منها و حذراً مـن وقوعهم فيها، وقال الّذين آمنوا: إنّ الخاسرين هم الّذين خسروا أنفسهم إذ ظلموا و بغوا، و خسروا أهليهم إذ أضلّوهم فاتّبعوهم، فالقادة و المردة كلّهم في نار جهنّم، إعلموا أيّها النّاس أنّ الّذين ظلموا فى الحياة الدنيا، هم فى الآخرة في عذاب دائم.

٤٣١٨ـ(و ما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله و من يضلل الله فماله من سبيل)

و ما كان لهؤلاء الظالمين من أولياء ينصرونهم من دون الله، على ما ينالهم من

عذاب الآخرة، و من يضلل الله بسبب ظلمهم و بغيهم، فماله من سبيل إلى الرّشد و الكمال.

۴۳۱۹ـ(إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجاء يومئذ و مالكم من نكير)

إستجيبوا أيّها الظّالمون لربّكم من قبل أن يأتيكم يوم الخزى و الذّلّة لا يردّ هما رادّ من الله سبحانه، ما لكم أيّها الباغون من ملجاء تلجؤون إليه يومئذ، و مالكم من سبيل الإنكار ما ارتكبتموه.

۴۳۲۰ـ(فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ و إنّا إذا أذقنا الإنسان منّا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيّئة بما قدّمت أيديهم فإنّ الإنسان كفور)

فان أعرض هؤلاء الظّالمون عمّا دعوتهم إليه، فما أرسلناك عليهم حفيظاً تحفظ عليهم أعمالهم، إن عليك الاّ أن تبلّغهم ما انزل إليك من ربّك، و إنّا إذا أذقنا هؤلاء الظّالمين منّا رحمة فرحوا بها، و إن تصبهم مصيبة بسبب ما قدّمت أيديهم من المعاصي و الذّنوب، فإنّ الإنسان لبليغ الكفران إذا لم يكن مؤمناً.

۴۳۲۱ـ(لله ملك السموات و الأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً و يهب لمن يشاء الذّكور)

لله تعالى وحده ملك السّموات و الأرض يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء من نوع الانسان اناثاً فقط، ويهب لمن يشاء الذّكور فحسب.

۴۳۲۲ـ(أو يزوّجهم ذكراناً و اناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنّه عليم قدير)

أو يعطيهم الله تعالى ذكوراً و اناثاً معاً، و يجعل من يشاء عقيماً لانسل له أصلاً وفقاً لمقتضيات علمه و حكمته لأنّه تعالى عليم بما خلق، قدير على خلق ما يشاء.

۴۳۲۳ (و ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ و حياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء إنّه عليّ حكيم)

و ما صحّ لأحد من البشر أن يكلّمه الله تعالى إلاّ أن يوحى إليه وحياً من دون

واسطة بين الله سبحانه و بين الموحىٰ إليه، أو يكلّمه من وراء حجاب بايجاد الصّوت و الكلام في شيء، أو يرسل إليه رسولاً، فيوحى إليه باذنه تعالى ما يشاء الله جلّ و علا، إنّ الله تعالى عليّ في شأنه و كنهه، حكيم في صنعه و كلامه.

٤٣٢٤ـ (كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم)

و كذلك أوحينا إليك أيّها الرّسول صلى الله عليه و آله وسلم هذا القرآن المجيد روحاً من أمرنا، ما كنت قبل الوحى تدرى تفصيل هذا الكتاب و لاتفصيل الايمان و الشّرائع ... و لكن جعلنا هذا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا الّذين يهتدون به و يستضيئون بضوئه، و إنك أيّها النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم لتهدي النّاس بهذا النّور إلى طريق مستقيم لاعوج له.

٤٣٢٥ـ (صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض ألا إلى الله تصير الامور)

هذا الصّراط المستقيم هو صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض ملكاً و خلقاً و عبيداً، اعلموا و تنبهّوا أيّها النّاس أنّ عواقب امور الخلائق كلّها يوم القيامة ترجع إلى الله تعالى وحده.

«بحث روائي»

في تفسير القمّي: «حمٓ عٓسٓقٓ» هو حرف (حروف خ) من إسم اللـه الأعـظم المقطوع يؤلّفه رسول الله صلى الله عليه و آله وسـلم أو الإمام عـليه‌السـلام فـيكون الإسم الأعظم الّذي إذا دعا الله به أجاب ثمّ قال: «كذلك يوحى إليك و إلى الّذين من قبلك الله العزيز الحكيم».

وفيه: باسناده عن يحيى بن ميسرة الخثعمى عن أبي جـعفر عـليه‌السـلام قـال: «سمعته يقول: «حمٓ عٓسٓقٓ» إعداد سني القائم و قاف جبل محيط بالدّنيا من زمرّد أخضر فخضرة السّماء من ذلك الجبل و علم كلّ شيء في «عٓسٓقٓ».

و في معاني الإخبار:باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «الٓمٓ» هو حرف من حروف إسم الأعظم المقطّع في القرآن الّذي يؤلّفه النّبي صلى الله عليه و آله وسلم و الإمام فاذا دعا به اجيب...» الخبر.

و في كنز الفوائد: عن ابن عباس قال: «حمٓ» إسم من أسماء الله عزّ و جلّ و «عٓسٓقٓ» علم عليّ عليه‌السلام بفسق كلّ جماعة و نفاق كلّ فرقة».

و فيه: عن السّكوني عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «حم» حتم و «عين» عذاب، و «سين» سنون كسنين يوسف، «قاف» قذف و خسف و مسخ يكون في آخر الزّمان بالسّفياني و أصحابه و ناس من كلب ثلاثون ألف يخرجون معه، و ذلك حين يخرج القائم عليه‌السّلام بمكّة و هو مهديّ هذه الامّة».

و في البدء و التاريخ: عن سهل البلخي: «إنّ الحاء حرب، و الميم ملك بني اميّة، و العين عبّاسيّة و السّين سفيانية»

و في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «و قال أرطاة بن المنذر: قال رجل لابن عبّاس و عنده حذيفة بن اليمان: أخبرني عن تفسير قوله تعالى: «حمٓ عٓسٓقٓ» ؟ فأعرض عنه حتّى أعاد عليه ثلاثاً فأعرض عنه، فقال حذيفة بن اليمان: أنا أنبئك بها، قد عرفت لِمَ تركها، نزلت في رجل من أهل بيته يقال له: عبدالإله أو عبدالله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبنى عليه مدينتين يشقّ النّهر بينهما شقّاً، فإذا أراد الله زوال ملكهم و انقطاع دولتهم، بعث على إحداهما ناراً ليلاً فتصبح سوداء مظلمة، فتحترق كلّها كأنّها لم تكن مكانها، فتصبح صاحبتها متعجّبة كيف قُلِبَت! فما هو إلاّ بياض يومها حتّى يجتمع فيها كلّ جبّار عنيد، ثمّ يخسف الله بها و بهم جميعاً، فذلك قوله: «حمٓ عٓسٓقٓ» أى عزمة من عزمات الله و فتنة و قضآء حُمّ: حمٓ «عين» عدلاً منه «س»: سيكون «ق»: واقع في هاتين المدينتين».

و فيه: و نظير هذا التّفسير ما روى جرير بن عبدالله البجلّي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقول: «تبنىٰ مدينة بين دجلة و دُجَيْل و قُطْرَ بُّل والصّراة يجتمع فيها جبابرة الأرض تجبى اليها الخزآئن يخسف بها - و في رواية بأهلها - فلَهِىَ أسرع ذهاباً في الأرض من الوَتِد الجيّد في الأرض الرّخوة».

و في معاني الأخبار: باسناده عن سفيان الثّوري عن الصّادق عليه‌السلام - حديث طويل - يقول فيه: « و أمّا حمٓ عٓسٓقٓ فمعناه الحكيم المثبت العالم السّميع القادر القويّ».

و في رواية: سئل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس و هو أشدّه عَلَيَّ فيفصم عنّي، و قد وعيت ما قال، و أحياناً يأتيني الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»

و في العيون: باسناده عن محمّد بن سنان قال: سئلت أبا الحسن الرّضا

عليه‌السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها و يسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسئلها و لا يطلب منها هو نفسه، و نفسه هو قدرته نافذة فليس يحتاج الى أن يسمّى نفسه، و لكنّه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأوّل مااختاره لنفسه: «العليّ العظيم» لأنّه أعلى الأشياء كلّها فمعناه الله و إسمه «العليّ العظيم» هو أوّل أسمائه لأنّه علا على كلّ شيءٍ».

و في **الصّحيفة السّجّادية**: قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «عزّ سلطانك عِزّاً لاحدّ له بأوّليّةٍ، و لا منتهى له بآخريّةٍ، و استعلى ملكك علوّاً سقطت الأشيآء دون بلوغ أمده، و لا يبلغ أدنى مااستأثرتَ به من ذلك أقصى نعت النّاعتين».

و اعلم أنّ إستعلاء ملكه جلّ و علا عبارة عن عظمته باعتبار كمال اقتداره و تمام استيلائه على مخلوقاته كلّها، و لمّا كانت ذاته المقدّسة هى مبدأ كلّ موجود حسّيّ و عقليّ، و علّته التّامّة المطلقة الّتي لا يتصّور فيها نقصان بوجه، و كان أعلى مراتب الكمال العقليّ هو مرتبة العليّة كان المراد بعلوّه تعالى العلوّ العقليّ المطلق بمعنى أنّه لا رتبة في نظام الكون و نواميس الوجود رتبة تقاس برتبته إذ كلّ رتبة، سوى رتبته ترجع الى رتبته، فإنّ مرتبة ملكه واقتداره الّتي هى عين ذاته المقدسة مبدأ كلّ المراتب العقلية لما سواه، فلرتبته جل و علا الفوق المطلق في الوجود العاري عن الإضافة إلى شيء، و عن امكان أن يكون في مرتبته شيء، و ذلك معنى إستعلاء ملكه علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده لتفرّده في العلوّ المطلق، و فواته لكلّ شيء غيره أن يلحقه فيه، فهو وحده مبدأ الكمال، و كلّ شيء سواه في حضيض النقصان الذّاتي بذلّ الحاجة و خضوع الإفتقار.

و في **تفسير القمّي**: و في رواية أبي الجار و دعن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله: «يتفطرن من فوقهنّ أى يتصدّعن».

و في **الإختصاص** للشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير عن الصّادق عليه‌السلام- حديث طويل - فقال عليه‌السلام: «إنّ الله و ملائكته يسقطون الذّنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الرّيح الورق عن الشّجر في أوان سقوطه، و ذلك قول

الله تعالى: «والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم و يستغفرون لمن في الأرض» فاستغفار هم و الله لكم دون العالم ...» الحديث.

و في **تفسير القمّي**: في قوله: «و يستغفرون لمن في الأرض» قال: للمؤمنين من الشّيعة التّوّابين خاصّة، و لفظ الآية عامّة و معناه خاصّ».

و في **جوامع الجامع**: «و عن الصّادق عليه‌السلام: «و يستغفرون لمن في الأرض» من المؤمنين»

و في **المجمع**: و روي عن أبي عبدالله عليه‌السلام: «و الملائكة و من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم لايفترون «و يستغفرون لمن في الأرض» من المؤمنين».

و في **تفسير الجامع لأحكام القرآن**: عن سلمان قال: «إنّ العبد إذا كان يذكر الله في السّرّاء فنزلت به الضّرّاء قالت الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف، كان يذكر الله فى السّرّآء فنزلت به الضرّآ، فيستغفرون له، فإذا كان لا يذكر الله في السّرّاء فنزلت به الضّرّآء قالت الملائكة: صوت منكر من آدميّ كان لايذكر الله في السّرّاء فنزلت به الضّرّآء فلا يستغفرون و هذا يدلّ على أنّ الآية في الذّاكر لله تعالى في السّرّآء و الضّرّآء فهى خاصّة ببعض من في الأرض من المؤمنين».

أقول: و لاريب أنّ الملائكة لن يستغفروا لأهل الشرك و الطغيان، لأهل الكفر و العصيان و لأهل البغي و العدوان الّذين يلعنهم الله تعالى الله و يلعنهم اللاّعنون، و أمّا إستغفار هم للعامّة الّذين آذوا الله جلّ و علا و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم و أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فعلى القارئ المنصف التأمل فيه.

و في **تفسير القمّى**: و قوله: «و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر امّ القرى و من حولها» قال: امّ القرى مكّة سمّيت امّ القرى لأنّها أوّل بقعة خلقها الله من الأرض لقوله: «إنّ أوّل بيت وضع للنّاس للذي ببكّة مباركاً».

و فيه: باسناده عن عبدالملك بن هارون عن أبي عبدالله عليه‌السلام عن آبائه عليهم‌السلام حديث طويل قال عليه‌السلام: كان فيما سئل ملك الرّوم الحسن بن عليّ عليه‌السلام عن أرواح الكفّار أين تجتمع؟ قال: تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة

اليمن، ثمّ يبعث الله ناراً من المشرق و ناراً من المغرب و يتبعها بريحين شديدتين، فيحشر النّاس عند صخرة بيت المقدس، فيحشر أهل الجنّة عن يمين الصّخرة، و يزلف الميعاد، و تصير جهنّم عن يسار الصّخرة في تخوم الأرضين السّابعة و فيها الفلق و السّجّين، فتفرق الخلائق من عند الصّخرة فمن وجبت له الجنّة دخلها، و من وجبت له النّار دخلها، و ذلك قوله: «فريق في الجنّة و فريق في السّعير» الحديث.

و في **بصائر الدّرجات**: باسناده عن محمّد بن عبدالله قال: سمعت جعفربن محمد عليه‌السلام يقول: « خطب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفّه، فقال: أتدرون ما في كفّي؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: فيها أسمآء أهل الجنّة و أسماء آبائهم و قبآئلهم إلى يوم القيامة، ثمّ رفع يده اليسرى، فقال: أيّها النّاس أتدرون مافي يدي؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، فقال: فيها أسمآء أهل النّار و أسمآء آبائهم و قبآئلهم إلى يوم القيامة، ثمّ قال: حكم الله و عدل، حكم الله و عدل، حكم الله و عدل« فريق في الجنّة وفريق في السّعير».

أقول: رواها الكليني قدّس سرّه في الكافي و العامّة أيضاً بأسانيدهم منهم أحمد في (مسنده: ج ٢ ص ١٦٧) و في معنا ها أخبار كثيرة و في بعضها: «ثمّ نزل و معه الصّحيفتان، فدفعها إلى عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام».

و في **البحار**: عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام حديث طويل ـ قال عليه‌السلام: ولمّا كانت اللّيلة الّتي أُصيب حمزة في يومها، دعاه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فقال: يا حمزة يا عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك و تعالى و سئلك عن شرائع الإسلام و شروط الايمان، فبكى حمزة فقال: بأبي أنت و امّي أرشدني و فهّمني، فقال: يا حمزة تشهد أن لاإله إلاّ الله مخلصاً و أنّي رسول الله بعثني بالحق، قال حمزة: شهدت، قال: و أنّ الجنّة حقّ و أنّ النّار حقّ وأنّ السّاعة آتية لاريب فيها، و أنّ الصّراط حق والميزان حق، و من يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره و «فريق في الجنّة و فريق في السّعير» و أنّ عليّاً أميرالمؤمنين، قال: حمزة: شهدت و أقررت و آمنت و صدّقت، و قال: الأئمّة من

ذرّيته الحسن و الحسين عليهماالسّلام و الإمامة في ذرّيّته قال حمزة: آمنت و صدّقت، و قال: فاطمة سيّدة نساء العالمين، قال: نعم صدّقت، قال: و حمزة سيّد الشّهداء و أسد الله و أسد رسوله و عمّ نبيّه، فبكى حمزة حتّى سقط على وجهه، و جعل يقبّل عيني رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم.

و قال صلى الله عليه و آله وسلم: جعفر ابن أخيك طيّار في الجنّة مع الملائكة، و أنّ محمداً و آله خير البريّة، تؤمن يا حمزة بسرّهم و علانيتهم، و ظاهرهم و باطنهم، و تحيى على ذلك و تموت، و توالي من والاهم، و تعادي من عاداهم، قال: نعم يا رسول الله أُشهد الله و أُشهدك و كفى بالله شهيداً، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: سدّدك الله و وفّقك»

و فيه: فى خروج سيدالشهدآء الحسين بن على عليهماالسّلام من أرض الحجاز الى أرض العراق- حديث طويل- «فسار الحسين عليه‌السلام و أصحابه فلمّا نزلوا ثعلبيّة، ورد عليه رجل يقال له: بشر بن غالب، فقال: يا ابن رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ و جلّ: «يوم ندعوا كلّ اناس بإمامهم» قال: إمام دعا إلى هدى فأجابوه، و إمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها هؤلآء في النار و هو قوله عزّ و جلّ: « فريق في الجنّة و فريق في السّعير»

و في البرهان: بالإسناد عن جعفر بن محمّد الصّوفي قال: سئلت أبا جعفر عليه‌السلام محمّد بن عليّ الرّضا قلت له: لم سمّي النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم الأمّي؟ و ذكر الحديث إلى أن قال فيه- و إنّما سمّى الأمي لأنّه من أهل مكّة من امّهات القرى، و ذلك قول الله في كتابه: «لتنذر امّ القرى و من حولها».

و في عيون الأخبار: إنّ شامياً سئل عليّاً عليه‌السلام عن مكّة المكرّمة لم سميّت مكّة؟ فقال عليه‌السلام: «لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها أى دحاها».

و في رواية اخرى: عنه عليه‌السلام: «فلمّا خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثمّ بسطها على الماء»

و في تفسير القمّي: و أمّا قوله: «و لو شآء الله لجعلهم امّة واحدة» قال: و لو شاء

أن يجعلهم كلّهم معصومين مثل ملائكته بلاطباع لقدر عليه «و لكن يدخل من يشاء في رحمته الظالمون آل محمد حقّهم «ماهم من وليّ و لانصير».

و في كنزالفوائد: باسناده عن عمربن جبير عن جعفر بن محمد عليه‌السلام في قوله عزّ وجلّ: « و لكن يدخل من يشاء في رحمته» قال: الرّحمة ولاية عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام

أقول: رواه فرات الكوفي في تفسيره.

و في البحار: الباقر عليه‌السلام: «يدخل من يشاء في رحمته» قال: الرّحمة عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام

و في تفسير القمّي: و قوله: «و مااختلفتم فيه من شيء» من المذاهب، و اخترتم لأنفسكم من الأديان فحكم ذلك كلّه «إلى الله» يوم القيامة.

۱۱ـ(فاطر السّموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير)

في تفسير القمّي: و قوله:«جعل لكم من أنفسكم أزواجاً» يعني النسآء « ومن الأنعام أزواجاً» يعني ذكراً و انثى «يذرؤكم فيه» يعني النّسل الّذي يكون من الذّكور و الإناث ثمّ ردّ الله على من وصف الله فقال: «ليس كمثله شيء و هوالسّميع العليم».

و في العيون: باسناده عن محمد بن عليّ الخراساني خادم الرّضا عليه‌السلام قال: قال بعض الزّنادقة لأبي الحسن عليه‌السلام: هل يقال لله: انّه شيء؟ فقال: نعم، و قد سمّى نفسه بذلك في كتابه، فقال: «قل أيّ شيءٍ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني و بينكم» فهو شيء، ليس كمثله شيء».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «الحمدلله العليّ عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين...».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه‌السلام: « و مثله لم يكن من قبل ذلك كائناً و لو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً».

و في التّوحيد: باسناده عن سهل قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه‌السلام سنة خمس و

خمسين و مأتين: «قد اختلف يا سيّدى أصحابنا في التّوحيد، منهم من يقول: هو جسم، و منهم من يقول: هو صورة، فان رأيت يا سيّدي أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه و لا أجوره فعلت منطوّلاً على عبدك؟»

فوقّع بخطّه عليه‌السلام: «سئلت عن التّوحيد و هذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد، خالق و ليس بمخلوق، يخلق تبارك و تعالى ما يشآء من الأجسام و غير ذلك، و يصوّر ما يشآء و ليس بمصوّر، جلّ ثنآؤه و تقدّست أسمآؤه و تعالى عن أن يكون له شبه هو لا غيره ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير».

كلامه عليه‌السلام: «و هذا عنكم معزول» أى لا يجب عليكم التفكّر في الذّات و الصّفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه.

و فيه: باسناده عن عبدالرّحيم القصير: قال: كتبت على يدى عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه‌السلام بمسائل فيها: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوصف بالصّورة و بالتخطيط فإن رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إليّ بالمذهب الصّحيح من التّوحيد؟

فكتب صلى الله عليه على يدي عبدالملك بن أعين: «سئلت رحمك الله عن التّوحيد و ما ذهب فيه من قبلك، فتعالى الله الّذي ليس كمثله شيءٍ و هو السّميع البصير تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك و تعالى بخلقه، المفترون على الله، و اعلم رحمك الله! أنّ المذهب الصحيح في التّوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّوجلّ، فأنف عن الله البطلان و التشبيه، فلا نفي و لا تشبيه هو الله الثّابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، و لاتعد القرآن فتضلّ بعد البيان».

قوله: «على يدي عبدالملك بن أعين» أى كان هو الرّسول و الحامل للكتاب و الجواب.

و فيه: باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه‌السلام قال: سئلته عن أدنى المعرفة فقال: «الإقرار بأنّه لا إله غيره، و لا شبه له و لا نظير له، و أنّه

قديم مثبت، موجود غير فقيد، و أنّه ليس كمثله شيء».

قوله عليه‌السلام: «**موجود**» **إمّا من الوجود أو من الوجدان أى معلوم، و «غير فقيد» أى غير مفقود زائل الوجود أو لا يفده الطّالب، أو غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له.**

و في البحار: عن الصّادق عليه‌السلام أنّه قال لهشام: «إنّ الله تعالى لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شيء و كلّ ما وقع في الوهم فهو بخلافه».

و فيه: و روى عنه عليه‌السلام أيضاً أنّه قال: «سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلاّ هو، ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير، لا يحدّ و لا يحسّ، و لا يدرك الأبصار و لا يحيط به شيء و لا هو جسم و لا صورة و لا بذي تخطيط و لا تحديد».

و في العيون: باسناده عن الفضل بن شاذان أنّه سمع الرّضا عليه‌السلام – حديث طويل – «فان قال: فلِمَ وجب عليهم الإقرار بأنّه ليس كمثله شيء؟ قيل: لعلل منها أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة و الطّاعة دون غيره، غير مشتبه عليهم أمر ربّهم و صانعهم و رازقهم، و منها أنّهم لو لم يعلموا أنّه ليس كمثله شيء لم يدروا لعلّ ربّهم و صانعهم هذه الأصنام الّتي نصبها لهم آبآؤهم و الشّمس و القمر و النيران اذا كان جائزاً أن يكون عليهم مشتبه، و كان يكون في ذلك الفساد و ترك طاعاته كلّها، و ارتكاب معاصيه كلّها على قدر مايتناهى من أخبار هذه الأرباب و أمرها و نهيها، و منها أنّه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أنّه ليس كمثله شيء لجاز عندهم أن يجرى عليه ما يجرى على المخلوقين من العجز و الجهل و التغيّر و الزّوال والفناء و الكذب و الإعتداء، و من جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فناؤه و لم يوثق بعد له و لم يحقق قوله و أمره و نهيه و وعده و وعيده و ثوابه و عقابه و في ذلك فساد الخلق و ابطال الرّبوبية».

و في التّوحيد: – خطبة لأميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام يقول فيها–: «و لا يخطر ببال أولي الرّويات خاطرة من تقدير جلال عزّته لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنّه خلاف خلقه، فلا شبه له في المخلوقين، و إنّما يشبه الشّئ بعديله، فأمّا ما لا عديل له فكيف يشبه بغير مثاله».

و فيه: باسناده عن محمّد بن عيسى بن عبيد أنّه قال: قال الرّضا عليه‌السلام للنّاس في التّوحيد ثلاثة مذاهب: نفي و تشبيه و إثبات بغير تشبيه، فمذهب النّفي لايجوز و مذهب التشبيه لا يجوز لأنّ الله تعالى لا يشبهه شيء، و السّبيل في الطّريق الثّالثة إثبات بلا تشبيه».

و في العيون: - باب ما جآء عن الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التحيّة و الثنآء من الأخبار في التّوحيد - حديث طويل - قال عليه‌السلام: «و قلنا إنّه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثّرى من الذّرّة إلى أكبر منها في برّها و بحرها و لا يشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك سميع لا بأذن، و قلنا إنّه بصير لا ببصر لأنّه يرى أثر الذّرّة السحماء في الليلة الظّلماء على الصّخرة السّوداء، و يرى دبيب النّمل في الليلة الدّجنة و يرى مضارها و منافعها و أثر سفادها و فراخها و نسلها، فقلنا عند ذلك: إنّه بصير لا كبصر خلقه، قال عزّ من قآئل: «إنّه بكلّ شيء عليم».

و غير ذلك من الرّوايات عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الواردة عن طريق الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة حول الآية الكريمة تنفي المماثلة بين الله جل و علا و خلقه. و من العجائب - مع كثرة أحاديث الشّيعة حول الآية - قلّة أو عدم أثر من الأحاديث حول نفي المماثلة بين الخالق و المخلوق من العامّة، و هذا ممّا يحيّر العقول كيف لم يرووا و لا حديثاً واحداً يشابه آية نفي المثل عن الله عزّوجلّ، سبحانه و تعالى عمّا يصفون.

و في تفسير القمّي: و قوله: «شرع لكم من الدّين» مخاطبة لمحمّد صلى الله عليه و آله وسلم «ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا اليك - يا محمد - و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين» أي: تعلموا الدّين يعني التّوحيد و إقام الصّلاة وايتآء الزّكاة و صوم شهر رمضان و حجّ البيت و السّنن و الأحكام الّتي فيالكتب و الإقرار بولاية أميرالمؤمنين عليه‌السلام «و لا تفرّقوا فيه» أي لا تختلفوا فيه «كبر على المشركين ما تدعوهم اليه» من ذكر هذه الشّرائع، ثمّ قال: «الله يجتبي اليه من يشآء» أي يختار « و يهدي إليه من ينيب» و هم الأئمة الّذين اجتباهم الله و اختارهم قال: «و ما تفرّقوا إلاّ

من بعد ما جآء هم العلم بغياً بينهم» قال: لم يتفرّقوا بجهل و لكنّهم تفرّقوا لما جآءهم العلم و عرفوه فحسد بعضهم بعضاً و بغى بعضهم على بعض لمّا رأوا من تفاضل أميرالمؤمنين عليه‌السلام بأمر الله فتفرّقوا في المذاهب، و أخذوا بالآرآء و الأهوآء ثمّ قال عزّوجلّ: «و لو لاكلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمّى لقضي بينهم» قال: لولا أنّ الله قد قدر ذلك أن يكون في التقدير الأوّل لقضى بينهم إذا اختلفوا و أهلكهم و لم ينظرهم و لكن أخّر هم إلى أجل مسمّى مقدّر «و إنّ الّذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكّ منه مريب» كناية عن الّذين نقضوا أمر رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ثمّ قال: «فلذلك فادع» يعني لهذه الامور و الدّين الّذي تقدّم ذكره وموالاة أميرالمؤمنين عليه‌السلام «واستقم كما امرت».

و فيه: باسناده عن عليّ بن مهزيار عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قول الله: «أن أقيموا الدّين» قال: الإمام «و لا تتفرّقوا فيه» كناية عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام ثمّ قال: «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» من أمر ولاية عليّ عليه‌السلام «الله يجتبي إليه من يشآء» كناية عن عليّ عليه‌السلام «و يهدي إليه من ينيب» ثمّ قال: «فلذلك فادع و استقم كما امرت» يعني إلى أميرالمؤمنين عليه‌السلام «و لا تتبع أهوآءهم» فيه «و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لأعدل بينكم الله ربّنا و ربّكم - إلى قوله - و إليه المصير».

ثمّ قال عزّ و جلّ: «الّذين يحاجّون في الله» أى يحتجّون على الله بعد ما شآء أن يبعث إليهم الرّسل و الكتب، فبعث الله إليهم الرّسل و الكتب، فغيّروا و بدّلوا ثمّ يحتجّون يوم القيامة على الله «فحجّتهم داحضة» أى باطلة «عند ربهم و عليهم غضب و لهم عذاب شديد» ثمّ قال: «الله الّذى أنزل الكتاب بالحقّ و الميزان» قال: الميزان أميرالمؤمنين عليه‌السلام و الدّليل على ذلك قوله في سورة الرّحمن: «و السّماء رفعها و وضع الميزان» قال: يعني الإمام».

و في اصول الكافي: باسناده عن محمّد بن سالم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «إنّ اناساً تكلّموا في هذاالقرآن بغير علم، و ذلك أنّ الله تبارك و تعالى يقول: «هو الّذي أنزل

عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ امّ الكتاب و اخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغآء الفتنه و ابتغآء تأويله و ما يعلم تأويله إلاّ الله ...» الآية فالمنسوخات من المتشابهات، و المحكمات من النّاسخات إنّ الله عزّ و جلّ بعث نوحاً إلى قومه: «أن اعبدوا الله واتقوه و أطيعون» ثمّ دعاهم إلى الله وحده و أن يـعبدوه و لا يشركوا به شيئاً، ثمّ بعث الأنبيآء عليهم السّلام على ذلك إلى أن بلغوا محمّداً صلى الله عليه و آله وسلم فدعاهم إلى أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئاً و قال: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً و الّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء و يهدي إليه من ينيب».

فبعث الأنبيآء إلى قومهم بشهادة أن لا إله الاّ الله و الإقرار بما جآء به من عند الله فمن آمن مخلصاً و مات على ذلك أدخله الله الجنّة بذلك، و ذلك أنّ الله ليس بظلاّم للعبيد، و ذلك أنّ الله لم يكن يعذّب عبداً حتّى يغلّظ عليه في القتل و المـعاصي الّـتي أوجب الله عليه بها النّار لمن عمل بها، فلمّا استجاب لكلّ نبيٍّ من استجاب له من قومه من المؤمنين جعل لكلّ نبيّ منهم شرعة و منهاجاً و الشّرعةً و المنهاج سبيل و سنّة، و قال الله لمحمّد صلى الله عليهٍ و آله وسلم: «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح و النّبيّين من بعده» و أمر كلّ نبيّ بالأخذ بالسّبيل و السّنّة ...» الحديث.

و في كنز الفوآئد: بالإسناد عن أبي ذر الغفاريّ قال: كنت جالساً عند النّـبيّ صلى الله عليه و آله وسلم ذات يوم في منزل امّ سلمة و رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يحدّثني و أنا أسمع إذ دخل عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام فأشرق وجهه نوراً فرحاً بأخيه و ابن عمّه، ثمّ ضمّه إليه و قبّل بين عينيه، ثمّ إلتفت إليّ فقال: «يا أباذر أتعرف هذا الرّجل علينا حقّ معرفته؟ قال أبوذر: فقلت: يا رسول الله هذا أخوك و ابن عمّك و زوج فاطمة البتول و أبوالحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: يا أباذرّ هذا الامام الأزهر و رمح الله الأطول، و باب الله الأكبر، فمن أراد اللـه فيدخل الباب، يا أباذرّ هذا القائم بقسط الله و الذّابّ عن حريم الله و النّاصر لدين الله،

و حجّة الله على خلقه، إنّ الله تعالى لم يزل يحتجّ به على خلقه في الامم كلّ امّة يبعث فيها نبيّاً.

يا أباذر إنّ الله تعالى جعل على كلّ ركن من أركان عرشه سبعين ألف ملك ليس لهم تسبيح و لا عبادة إلاّ الدّعآء لعليّ و شيعته، و الدّعآء على أعدآئه، يا أباذرّ لو لا عليّ ما بان الحق من الباطل، و لا مؤمن من الكافر، و لا عبد الله لأنّه ضرب رؤوس المشركين حتّى أسلموا و عبدوا الله، و لو لا ذلك لم يكن ثواب و لا عقاب، و يستره من الله ستر، و لا يحجبه من الله حجاب، و هو الحجاب و السّتر، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشآء و يهدي إليه من ينيب».

يا أباذر إنّ الله تبارك و تعالى تفرّد (تعزّز خ) بملكه و وحدانيّته، فعرّف عباده المخلصين لنفسه، و أباح لهم الجنّة، فمن أراد أن يهديه عرّفه و لايته، و من أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفته، يا أباذر هذا راية الهدى، و كلمة التّقوى، و العروة الوثق، و إمام أوليآئى و نور من أطاعني، و هو الكلمة الّتي ألزمها الله المتّقين، فمن أحبّه كان مؤمناً، و من أبغضه كان كافراً، و من ترك ولايته كان ضالاًّ مضلاًّ، و من جحد ولايته كان مشركاً، يا أباذر يؤتى بجاحد ولاية عليّ يوم القيامة أصمّ و أعمى و أبكم، فيكبكب في ظلمات القيامة ينادي يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله و في عنقه طوق من النّار، لذلك الطّوق ثلاثمأة شعبة، على كلّ شعبة منها شيطان يتفل في وجهه و يكلح من جوف قبره إلي النّار ...» الحديث.

و في المناقب: لابن شهر آشوب السّرويّ المازندرانى رضوان الله تعالى عليه: «منصوربن حازم قال للصّادق عليه‌السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعرف الأئمة؟ فقال: نعم و نوح ثمّ تلا: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً ...»».

و في البحار: محمّد بن سنان عن الرّضا عليه‌السلام في قوله: «كبر على المشركين - بولاية عليّ - ما تدعوهم إليه» يا محمّد من ولاية عليّ عليه‌السلام.

و في بصآئر الدّرجات: بالاسناد عن ابن أبي نجران قال: كتب أبوالحسن الرّضا عليه‌السلام رسالة و أقرأنيها، قال: قال عليّ بن الحسين عليه‌السلام: «إنّ محمداً صلى الله عليه و آله وسلم كان أمين الله في أرضه، فلمّا قبض محمد صلى الله عليه و آله وسلم كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمنآء الله في أرضه، عندنا علم البلايا و المنايا و أنساب العرب و مولد الاسلام، و إنّا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان و حقيقة النّفاق، و إنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمآئهم و أسمآء آبآئهم أخذ الله علينا و عليهم الميثاق يردون موردنا و يدخلون مدخلنا، نحن النجاة و أفراطنا أفراط الانبيآء، و نحن أبنآء الأوصيآء، و نحن المخصوصون في كتاب الله، و نحن أولى النّاس بالله، و نحن أولى النّاس بكتاب الله، و نحن أولى النّاس بدين الله.

نحن الّذين شرع لنا دينه فقال في كتابه: «شرع لكم» يا آل محمد «من الدّين ما وصىّ به نوحاً» فقد وصّانا بما أوصى به نوحاً «والّذي أوحينا إليك» يا محمّد «و ما وصّيا به إبراهيم» و إسمعيل «و موسى و عيسى» و إسحق و يعقوب فقد علّمنا و بلّغنا ما علّمنا واستودعنا علمهم، نحن ورثة الأنبيآء و نحن ورثة اولى العزم من الرّسل «أن أقيموا الدّين» يا آل محمّد «و لا تتفرّقوا فيه» و كونوا على جماعة «كبر على المشركين» من أشرك بولاية عليّ عليه‌السلام «ما تدعوهم اليه» من ولاية عليّ «إنّ الله» يا محمّد «يهدي إليه من ينيب» من يجيبك إلى ولاية عليّ عليه‌السلام.

و فيه: بالاسناد عن عبدالغفّار عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «إنّ الله تعالى قال لنبيّه: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى» من قبلك «أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه» إنّما يعني الولاية «كبر على المشركين ماتدعوهم اليه» يعني كبر على قومك يا محمّد «ما تدعوهم اليه» من تولية عليّ عليه‌السلام قال: انّ الله قد أخذ ميثاق كلّ نبيّ وكلّ مؤمن ليؤمننّ بمحمّد صلى الله عليه و آله وسلم و عليّ و بكلّ نبيّ و بالولاية ثمّ قال لمحمد صلى الله عليه و آله وسلم: «اولئك الّذين هدى الله فبهدا هم اقتده» يعني آدم و نوحاً وكلّ نبيّ بعده».

و في الغيبة النعمانيّة: باسناده عن الشّحّام قال: سئلت أباعبدالله عليه‌السلام هل

كان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يعرف الأئمّة عليهم السّلام؟ قال: كان نوح عليه‌السلام يعرفهم. الشّاهد على ذلك قول الله عزّ و جلّ: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك و ما وصّينا به براهيم و موسى و عيسى» قال: شرع لكم من الدّين يا معشر الشّيعة ما وصىّ به نوحاً».

اقول: إنّ الرّوايات الواردة في المقام كثيرة جدّاً تركنا ها للإختصار من دون تنافٍ بينها و بين الآيات الكريمة فتأمل جيّداً واغتنم جدّاً و لا تغفل.

و فى **المجمع**: في قوله تعالى: «و امرت لأعدل بينكم» في الحديث: «ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات، فالمنجيات: العدل في الرّضا و الغضب، و القصد في الغنى و الفقر، و خشية الله في السّرّ و العلانية، و المهلكات: شحّ مطاع، و هوى متّبع، و اعجاب المرء بنفسه»

و في رواية: قال سفيان بن عبدالله: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قل لي في الاسلام قولاً لا أسئل عنه أحداً غيرك؟ قال صلى الله عليه و آله وسلم: قل: آمنت بالله ثمّ استقم».

و في رواية: أنّ ا ليهود قالوا للمؤمنين: «إنكم تقولون إنّ الأخذ بالمتّفق عليه أولى من الأخذ بالمختلف فيه، و نبوّة موسى و توراته مسلّمة بيننا و بينكم، و نبوّة محمد ليست كذلك، و إذاً فالأخذ باليهوديّة أولى، فدحض سبحانه هذه الحجّة بأنّ الايمان بموسى إنّما وجب لظهور المعجزات على يديه دالّة على صدقه، و قد ظهرت المعجزات على يدى محمّد صلى الله عليه و آله وسلم واليهود قد شاهدوها فوجب الاعتراف بنبوّته».

وفي إحتجاج الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه‌السلام على الجاثليق كبير النّصارى: «إذاً فلا نشارككم في تصديق الكتابين دون شروط، إنّما نصدق الّذي بشّر نبيّنا و بكتابه، إذاً فحجّتهم داحضة».

و في **دلائل الإمامة** للطّبري باسناده عن المفضّل بن عمر قال: قال لي جعفر بن محمّد عليهما السلام: «يا مفضّل كيف يقرأ أهل العراق هذه الآية: «و يستعجل بهاالّذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنّها الحقّ»؟ فقلت: يقرأون «يستعجل

بها الّذين لا يؤمنون بها و الّذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنّها الحقّ» فقال: و يحك أتدرى ماهي؟ فقلت: الله و رسوله و ابن رسوله أعلم. فقال: ما هي و الله إلاّ قيام القآئم عليه‌السلام فكيف يستعجل به من لا يؤمن به، و الله ما يستعجل به إلاّ المؤمنون، و لكنّهم حرّفوها حسداً لكم فاعلم ذلك يا مفضّل».

اقول: لا يخفى على القارئ الخبير المتأمّل: أن ليس المراد بالتّحريف ما هو المصطلح من التحريف اللفظي من الزّيادة أو النّقصان، و القرآن الكريم بريء منهما، و إنّما المراد به هو التحريف المعنوى من كتمان الحقائق، و تفسير ما لا يرضى صاحبه. فتأمّل جيّداً.

و في تفسير القمّي: و قوله: «و يستعجل بها الّذين لايؤمنون بها» كناية عن القيامة فإنّهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أقم لنا السّاعة و ائتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصّادقين، فقال الله: «ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة» أي يخاصمون.

و في اصول الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه‌السلام – حديث طويل – قال: قلت: «الله لطيف بعباده يرزق من يشآء» قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه‌السلام فقلت: «من كان يريد حرث الآخرة» قال: معرفة أميرالمؤمنين والأئمّة عليهم‌السّلام «نزدله في حرثه» قال: نزيده منها، قال: يستوفى نصيبه من دولتهم «ومن كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب» قال: ليس له في دولة الحق مع القآئم (الإمام خ) نصيب».

أقول: و قد فسّر الإمام عليه‌السلام الرّزق بالولاية تفسيراً له بالرّزق الرّوحانيّ أوالأعمّ، و قد خصّ أشرفه و هو الولاية بالذّكر لأنّها الأصل و المادّة لسآئر العلوم و المعارف، و فسّر زيادة الحرث بالمنافع الدّنيويّة أو الأعمّ منها، و من العلوم و المعارف الّتي يلقونها إليهم، و فسّر الآخرة بالرّجعة و دولة القآئم المهديّ عجلّ الله تعالى فرجه الشريف لما عرفت أنّ أكثر آيات القيامة مأوّلة بها.

و في البرهان: ابن بابويه عن عليّ بن محمّد مرسلاً عن الرّضا عليه‌السلام قال في

معنى بعض أسماء الله تعالى قال: « و أمّا اللطيف فليس على قلّة و قضافة و صغر و لكن ذلك على النفاذ في الأشياء و الإمتناع من أن يدرك كقولك للرّجل: لطف عن هذا الأمر و لطف فلان في مذهبه، و قوله يخبرك أن غمض فيه العقل و فاق الطّلب و عاد متعمّقاً متلطّفاً لا يدركه الوهم و كذلك لطف الله تبارك و تعالى عن أن يدرك أو يحدّ بوصف (بحدّ يوصف خ) و اللطافة منها الصّغر و القلّة فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى».

و في الجامع لأحكام القرآن: «و قال جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم‌السّلام: يلطف بهم في الرّزق من وجهين: أحدهما – أنّه جعل رزقك من الطّيبات. والثّاني – أنّه لم يدفعه اليك مرّة واحدة فتبذّره».

و في مكارم الأخلاق: – باب مواعظ النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم لعبدالله بن مسعود – حديث طويل – ياابن مسعود سيأتي من بعدي أقوام يأكلون طيب الطّعام و ألوانها و يركبون الدّواب و يتزيّنون بزينة المرأة لزوجها، و يتبرّجون تبرّج النسآء و زيّهنّ مثل زيّ الملوك الجبابرة و هم منافقوا هذه الامّة في آخر الزّمان – ياابن مسعود لا تجالسوهم في الملأ و لا تبايعوهم في الأسواق و لا تهدوهم الطّريق و لا تسقوهم المآء قال الله تعالى: «من كان يريد الحياة الدّنيا و زينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون ...» الآية يقول الله تعالى: «من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب»».

و في تفسير القمي: و قوله: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه» يعني ثواب الآخرة «و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب» قال: حدّثني أبي عن بكير (بكرظ) بن محمدالأزدي عن أبي عبدالله صلى الله عليه و آله وسلم قال: المال والبنون حرث الدّنيا و العمل الصّالح حرث الآخرة و قد يجمعها الله لأقوام.

و في رواية: «تلا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم «من كان يريد حرث الآخرة ...» الآية ثمّ قال: يقول الله: ياابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً و أسدّ فقرك، و إلاّ تفعل ملأت صدرك شغلاً و لم أسدّ فقرك».

و في رواية: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «الحرث

حرثان: فحرث الدّنيا: المال و البنون، و حرث الآخرة: الباقيات الصّالحات».

و في البحار: عن موسى بن جعفر عن أبيه عن عليّ بن أبيطالب عليهم السّلام- حديث طويل - قال عليّ عليه‌السلام: ثمّ واريته صلى الله عليه و آله وسلم في قبره صلى الله عليه و آله وسلم فسمعت صارخاً يصرخ من خلفي يا آل تيم و يا آل عديّ يا آل اميّة أنتم أئمّة تدعون إلى النّار و يوم القيامة لاتنصرون، إصبروا آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم توجروا و لاتجزعوا فتوزروا «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه و من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها و ما له في الآخرة من نصيب».

و في الدّرّ المنثور: عن ابيّ بن كعب أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قال: «بشّر هذه الامّة بالسّنا و الرّفعة و النصرو التمكين في الأرض ما لم يطلبوا الدّنيا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدّنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب».

و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: «من أصبح و همّه الدّنيا شتت الله عليه همّه و جعل فقره بين عينيه و لم يأته من الدّنيا الاّ ما كتب له، و من أصبح و همّه الآخرة جمع الله همّه و جعل غناه في قلبه و أتته الدّنيا و هى راغمة».

و في نور ا لثقلين: بالإسناد عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، و من أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدّنيا و الآخرة».

و فيه: بالاسناد عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب».

و فيه: بالاسناد عن حسن قال: خطب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فحمد الله و أثنى عليه و قال: «أمّا بعد - إلى أن قال عليه‌السلام-: إنّ المال و البنين حرث الدّنيا و العمل الصّالح حرث الآخرة، و قد يجمعها الله لأقوام فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه، واخشوه خشية ليست بتعذير، و أعملوا في غير ريآء و لاسمعة».

و في المجمع: و روى عن النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم: قال: «من كانت نيّته الدنيا فرّق الله عليه أمره و جعل الفقر بين عينيه، و لم يأته من الدّنيا إلاّ ما كتب له، و من كانت

نيّته الآخرة جمع الله شمله و جعل غناه في قلبه و أتته الدّنيا و هي راغمة».

و **في تفسير القمّي**: و قوله: «و لو لا كلمة الفصل لقضي بينهم» قال: الكلمة الإمام، و الدّليل على ذلك قوله: «و جعلها كلمة باقية في عقبه لعلّهم يرجعون» يعني الإمامة ثمّ قال: «و إنّ الظّالمين» يعني الّذين ظلموا هذه الكلمة «لهم عذاب أليم» ثمّ قال: «ترى الظّالمين» يعني الّذين ظلموا آل محمّد صلى الله عليه و آله وسلم حقّهم «مشفقين ممّا كسبوا» أى خآئفين ممّا ارتكبوا و عملوا «و هو واقع بهم» أي ما يخافونه، ثمّ ذكر الله الّذين آمنوا بالكلمة و اتّبعوها، فقال: «و الّذين آمنوا» و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات – إلى قوله – يبشّر الله عباده الّذين آمنوا» بهذه الكلمة «و عملوا الصّالحات» ممّا امروا به».

و **في روضة الكافي**: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه‌السلام – حديث طويل – قال: و أمّا قوله: «و لو لا كلمة الفصل لقضى بينهم و انّ الظّالمين لهم عذاب أليم» قال: لو لا ما تقدّم فيهم من (أمر خ) الله عزّوجلّ ما ابقى القآئم عليه السلام منهم واحداً».

قوله عليه السلام: «لو لا ما تقدّم فيهم» أى بأنّه سيجزيهم يوم القيامة أو يولد منهم أولاد مؤمنون لقتلهم القآئم عليه السلام أجمعين، و يحتمل أن يكون «ما أبقى القآئم عليه السلام» بياناً : «ماتقدّم فيهم» أى لو لا أن قدر الله أن يكون قتلهم على يد القآئم عليه‌السلام لأهلكهم الله و عذّبهم قبل ذلك و لم يمهلهم. و قيل: أى قآئم كلّ عصر.

أقول: و قد سبقت روايات كثيرة في أحوال آدم و حوّاء و إبراهيم عليهم السّلام أنّ أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هم كلمات الله الناطقة.

٢٣– (ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور)

في تفسير القمّي: باسناده عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول في قول الله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» يعني في أهل بيته ....» الحديث سبق ذكره في النّزول فراجع.

و في **المحاسن**: بالإسناد عن عبدالله بن عجلان قال: سئلت أبا جعفر عليه‌السلام عن قول الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فقال: نعم هم الأئمّة الّذين لا يأكلون الصّدقة و لا تحلّ لهم».

و في **تفسير الفرات الكوفي**: باسناده عن عبّاد بن عبدالله بن حكيم قال: كنت عند جعفر بن محمد عليهما السّلام فسئله رجل عن قول الله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى». قال: نزعم أنها قرابة ما بيننا و بينه، و تزعم قريش أنّها قرابة ما بينه و بينهم، و كيف يكون هذا و قد أنبأ الله أنّه معصوم؟».

أقول: و في الجملة الأخيرة و جهان:

أحدهما – أى كيف تكون هذه المزعمة صحيحة و قد أنبأ الله أنّ قرباه معصوم اذ أشار إليه بقوله تعالى: «انّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» الأحزاب: ٣٣).

ثانيهما – أى كيف تكون مودّة قريش واجبة على النّاس، و قد كان فيهم قوم يخاف منهم الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم في تبليغ ما انزل إليه حتّى أخبر الله أنّه معصوم من شرّهم فقال: «و الله يعصمك من النّاس» المآئدة: ٦٧).

و في **كنز الفوائد**: بالإسناد عن عبد الملك بن عمير عن الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما في قول الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: إنّ القرابة الّتى أمر الله بصلتها و عظّم من حقّها، و جعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الّذين أوجب الله حقّنا على كلّ مسلم».

و في **اصول الكافي**: باسناده عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: هم الأئمّة عليهم السّلام.

و في **المناقب** لا بن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه: «صحّ عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام أنّه خطب النّاس، فقال في خطبته: «أنا من أهل البيت الّذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و قوله: «و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

و في البحار: العكبرىّ في فضآئل الصّحابة باسناده عن أبي مالك و أبو صالح عن ابن عبّاس و الثمالي باسناده عن ابن عبّاس قال: «إقتراف الحسنة المودّة لآل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم ».

و في المجمع: «و روى اسمعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكسآء».

وفي الدّرّ المنثور: «و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس: «و من يقترف حسنة» قال: المودّة لآل محمّد صلىاللّه عليه و آله و سلم ».

وفي المحاسن: بالإسناد عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا عبداللّه عليهالسلام يقول: «إنّ الرّجل يحبّ الرّجل و يبغض ولده، فأبى اللّه عزّوجلّ أن يجعل حبّنا مفترضاً أخذه من أخذه، و تركه من تركه واجباً فقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

و فيه: بالإسناد عن سلام بن المستنير قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فقال: هم والله من نصيبه من الله على العباد لمحمد صلىاللّه عليه و آله و سلم في أهل بيته».

و فيه: بالإسناد عن حجاج الخشاب قال: سمعت أبا عبدالله عليهالسلام يقول لأبي جعفر الأحول: ما يقول مَن عندكم في قول الله تبارك و تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فقال: كان الحسن البصري يقول: في القربى من العرب، فقال أبو عبدالله عليه السلام لكنّي أقول لقريش الّذين عندنا هيهنا خاصّة، فيقولون: هى لنا و لكم عامّة فأقول: أخبروني عن النّبيّ صلىاللّه عليه و آله و سلم إذا نزلت به شديدة من خصّ بها؟ أليس إيّانا خصّ بها حين أراد أن يلاعن أهل نجران أخذ بيد عليّ و فاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام ...».

و في بصآئر الدّرجات: بالإسناد عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليهالسلام في قول الله تعالى: «و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» قال: فقال: «الإقتراف: التّسليم لنا و الصّدق علينا و أن لا يكذّب علينا».

أقول: رواه عن الفضيل أيضاً.

و في روضة الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه‌السلام في قول الله عزّ و جلّ: «و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» قال: من تولّى الأوصيآء من آل محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم و اتّبع آثارهم فذاك يزيده ولاية من مضى من النّبيّين و المؤمنين الأوّلين حتّى تصل ولايتهم إلى آدم و هو قول الله عزّ و جلّ: «من جآء بالحسنة فله خير منها» تدخله الجنّة، و هو قول الله عزّ و جّل: «قل ماسئلتكم من أجر فهو لكم» يقول: أجر المودّة الّذي لم أسئلكم غيره فهو لكم تهتدون به و تنجون من عذاب الله يوم القيامة، وقال لأعدآء الله أوليآء الشّيطان أهل التكذيب و الإنكار: «قل ما أسئلكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلّفين» يقول متكلّفاً أن أسئلكم ما لستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض:

أما يكفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة حتّى يريد أن يحمّل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: ما أنزل الله هذا و ما هو إلاّ شئ يتقوّله يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، و لئن قتل محمّد أو مات لننزعنّها من أهل بيته ثمّ لا نعيدها فيهم أبداً، و أراد الله عزّ و جلّ أن يعلم نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم الّذي أخفوا في صدورهم و أسرّوا به فقال في كتابه عزّ و جّل: «أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشاء الله يختم على قلبك» يقول: لوشئت حبست عنك الوحى، فلم تكلّم بفضل أهل بيتك و لا مودّتهم و قد قال الله عزّ و جلّ: «و يمحو الله الباطل و يحقّ الحق بكلماته» يقول: الحق لأهل بيتك الولاية «إنّه عليم بذات الصّدور» و يقول: بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك و الظّلم بعدك و هو قول الله عزّوجلّ: «و أسرّوا النّجوى الّذين ظلموا هل هذا إلاّ بشر مثلكم أفتأتون السّحر و أنتم تبصرون».

في رواية: قال جابر: إنّ أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم وقال: «اللّهم إنّي أستغفرك و أتوب إليك و كبّر، فلمّا فرغ من صلاته قال له علىّ بن أبيطالب عليه السلام: يا هذا إنّ سرعة اللسان بالإستغفار توبة الكذّابين، و توبتك تحتاج إلى التّوبة، فقال: يا أميرالمؤمنين و ما التّوبة؟ قال: إسم يقع على ستّة معانٍ: على الماضى

من الذّنوب الندامة، و لتضييع الفرآئض الإعادة، و ردّ المظالم، و إذابة النّفس في الطّاعة كما ربّيتها في المعصية، و إذاقة النّفس مرارة الطّاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، و البكآء بدل كلّ ضحك ضحكة».

و في رواية: «المقيم على الذّنب و هو يستغفر كالمستهزئ».

و في رواية: عن ابن عباس عن رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم : قال: النّادم ينتظر من الله الرّحمة و المعجب ينتظر المقت، و اعلموا عباد الله أنّ كلّ عامل سيقدم على عمله، و لا يخرج من الدّنيا حتّى يرى حسن عمله، و سوء عمله، إنّما الأعمال بخواتيمها، و اللّيل و النّهار مطيّتان، فأحسنوا السّير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التّسويف، فإنّ الموت يأتي بغتة، و لا يغترّن أحدكم بحلم الله عزّوجلّ فانّ الجنّة و النّار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره».

و في البحار: «و روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «و يستجيب الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات ويزيد هم من فضله» قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: و لك مثل ما سئلت و قد أُعطيت لحبّك إيّاه».

و في وسائل الشّيعة: بالإسناد عن حمّاد قال: قلت لأبي عبدالله عليهالسلام: «أُشغل نفسي بالدّعآء لإخواني و لأهل الولاية، فما ترى في ذلك؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى يستجيب دعآء غآئب لغآئب، و من دعا للمؤمنين و المؤمنات و لأهل مودّتنا ردّ الله عليه من آدم إلى أن تقوم السّاعة لكلّ مؤمن حسنة، ثمّ قال: إنّ الله تبارك و تعالى فرض الصّلاة في أفضل السّاعات فعليكم بالدّعاء في أدبار الصّلاة ثمّ دعالي و لمن حضره».

و في الدّرّ المنثور: عن سهل بن سعد أنّ رسولالله صلىالله وعليه وآله و سلم قال: «ثنتان ما تردّان: الدّعاء عند الندآء و تحت المطر».

و فيه: عن أبي أمامة قال: قال رسولالله صلىالله عليه و آله و سلم : «تفتح أبواب السّمآء ويستجاب الدّعآء في أربعة مواطن: عند التقآء الصّفوف في سبيل الله، و عند

نزول الغيث، و عند إقامة الصّلاة، و عند رؤية الكعبة».

وفي الصّحيفة السّجّاديّة: قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهماالسّلام: «أصبحنا و أصبحتِ الأشياء كلّها بجملتها لك سمآؤها و أرضها، و ما بثثّت في كلّ واحد منهما ساكنه و متحرّكه ...».

و في البحار: عن الإمام الصّادق عليه‌السلام قال: « في كلّ واحدة من السّموات السّبع خلقاً كثيراً و كذا فيما بينهما».

و في رواية: قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم : «رأيت في السّمآء السّابعة ميادين كميادين أرضكم هذه».

و في زيارة عاشوراء: «فلقد عظمت بك الرّزيّة، و جلّت في المؤمنين و المسلمين و في أهل السّموات و أهل الأرضين أجمعين».

و في البحار: «و حكى أنّ بعض الصّالحين كان في المسجد يدعو لإخوانه بعد ما فرغ من صلاته، فلمّا خرج من المسجد و افى أباه قدمات، فلمّا فرغ من جهازه أخذ يقسم تركته على إخوانه الّذين كان يدعوهم، فقيل له في ذلك، فقال: كنت في المسجد أدعو لهم في الجنّة و أبخل عليهم بالفانى؟».

و في اصول الكافي: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك و تعالى: «و يستجيب الذين آمنوا و عملوا الصّالحات و يزيدهم من فضله» قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: آمين، ويقول العزيز الجبّار: و لك مثل ما سئلت بحبّك إيّاه».

و في المجمع: و روى عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم : «و يزيدهم من فضله» الشّفاعة لمن وجبت له النّار ممّن أحسن إليهم في الدّنيا».

أقول: و قد وردت روايات كثيرة أنّ الإحسان إلى أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في الحياة الدّنيا كثيراً ما يوجب توفيق الايمان و صالح الأعمال لمن

لم يكن مؤمناً و لا صالحاً، و يوجب النّجاة من النّار لمن كان مستحقّها بشفاعتهم له في الدّار الآخرة.

و في **المناقب** لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه: «عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله تعالى: «و يزيدهم من فضله» قال: الولاية لآل محمّد عليهم‌السّلام».

و في **تفسيرالقمّي**: و قوله: «و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض» قال الصّادق عليه‌السلام: «لو فعل لفعلوا ولكن جعلهم محتاجين بعضهم إلى بعض، و استعبدهم بذلك، ولو جعلهم كلّهم أغنياء لبغوا في الأرض« و لكن ينزّل بقدر مايشآء» ممّا يعلم أنّه يصلحهم في دينهم و دنياهم «انّه بعباده خبير بصير». و قوله:« و هو الّذى ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا» أى يئسوا «وينشر رحمته و هو الوليّ الحميد» قال: حدّثني أبي عن العرزمي (العرزميخ) عن أبيه عن أبي إسحق عن الحارث الأعور عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: سئل عن السّحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر كثيف على ساحل البحر، يأوى إليه، فاذا أراد الله أن يرسل أرسل ريحاً فأثاره وكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق و هو البرق، فيرتفع».

و في **العيون**: باسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: قلت لأبي جعفر محمد بن عليّ‌الرّضا عليه‌السلام : «يابن رسول الله حدّثني بحديث عن آبآئك عليهم‌السّلام فقال: جدّثنى أبي عن جدّى عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: لا يزال النّاس بخير ما تفاوتوا فاذا استووا هلكوا ...».

و في **ا العلل**: باسناده عن أنس عن النّبيّ صلى‌اللّه عليه و آله و سلم عن جبرئيل عليه‌السلام قال: قال الله تبارك و تعالى – حديث طويل – «و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلاّ بالفقر، و لو أغنيته لأفسده ذلك، و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلاّ بالغنى، و لو أفقرته لأفسده ذلك، و إنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلاّ بالسّقم ولوصحّت جسمه لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه إلاّ بالصّحة و لو اسقمته لأفسده ذلك، اِنّي اُدبّر عبادي بعلمي بقلوبهم فإنّى عليم خبير».

و في **البرهان**: ابن بابويه عن عليّ بن محمّد مرسلاً عن أبي الحسن الرّضا

عليه‌السلام قال: «الخبير فهو الّذي لا يعزب عنه شئ و لا يفوته شئ، ليس للتّجربة و لا للإعتبار بالاشيآء فعند التجربة و الاعتبار علمان و لو لا هما ما علم لأنّ كلّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق، و الخبير من النّاس المستجير عن جهل المتعلّم، و قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى، و البصير لابخرت كما انّنا نبصر بخرت منّا لا ننتفع به في غيره و لكن الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الإسم و اختلف المعنى».

و في **الحديث القدسى**: «إنّ من عبادي مَن لا يصلحه إلاّ الغنى لو صرفته إلى غير ذلك لهلك، و إنّ من عبادى من لا يصلحه إلاّ الفقر لو صرفته إلى غير ذلك لهلك».

و قال **الامام عليّ** عليه‌السلام في دعآئه: «الهى كفى بى عزّاً أن أكون لك عبداً، و كفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً انت كما اريد فاجعلني كما تريد».

و في **نور الثقلين**: بالاسناد عن عبدالملك ابن هارون عن أبي عبدالله عليه‌السلام عن آبآئه صلوات الله عليهم عن الامام الحسن بن عليّ عليهماالسّلام أنّه قال - حديث طويل - بعد مضيّه إلى ملك الرّوم و أجوبة الامام عليه‌السلام عمّا سئله عنه الملك ثمّ عن ارزاق الخلائق؟ فقال الحسن عليه‌السلام: «ارزاق الخلائق في السّمآء الرّابعة تنزل بقدر و تبسط بقدر».

و في **كمال الدّين و تمام النّعمة**: باسناده عن ابراهيم بن أبي محمود عن الرّضا عليه‌السلام - حديث طويل قال فيه -: «و بنا ينزل الغيث و ينشر رحمته».

٣٠- (و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير).

في المجمع: و روى عن عليّ عليه‌السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: «خير آية في كتاب الله هذه الآية يا عليّ ما من خدش عود و لا نكبة قدم إلاّ بذنب، و ما عفى الله عنه في الدّنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، و ما عاقب عليه في الدّنيا فهو أعدل من أن يثنى على عبده» و قال أهل التحقيق: «إنّ ذلك خاصّ و إن خرج مخرج العموم لما يلحق من مصآئب الأطفال و المجانين و من لا ذنب له من المؤمنين، و لانّ الأنبيآء والأئمّة عليهم السلام يمتحنون بالمصآئب وإن كانوا معصومين من الذّنوب لما يحصل

لهم على الصّبر عليها من الثّواب».

و في **تفسير القمّي**: باسناده عن الأصبغ بن نباته عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: سمعته يقول: «إنّي احدّثكم بحديث ينبغي لكل مسلم أن يعيه، ثم أقبل علينا، فقال: ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدّنيا إلاّ كان الله أحلم و أمجد و أجود من أن يعود في عقابه يوم القيامة، و ما ستر الله على عبد مؤمن في هذه الدّنيا و عفا عنه إلاّ كان الله أمجد و أجود و أكرم من أن يعود في عقوبته يوم القيامة: ثمّ قال: عليه‌السلام: و قد يبتلى الله المؤمن بالبليّة في بدنه أو ماله أو ولده او أهله ثمّ تلا هذه الآية: «و ما أصابكم من مصيبة ...» الآية و حتّى بيده ثلاث مرّات ...

و فيه: باسناده عن عليّ بن رئاب قال: سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «و ما أصابكم من مصيبة ...» الآية قال: أرأيت ما أصاب عليّاً و أهل بيته هو بما كسبت ايديهم؟ و هم أهل الطّهارة معصومون! قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كان يتوب إلى الله و يستغفره في كلّ يوم و ليلة مأة مرّة من غير ذنب، إنّ الله يخصّ أوليآئه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب».

و في **الخصال**: باسناده عن أبي بصير و محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: حدّثني أبي عن جدّى عن آبآئه عليهم‌السّلام أنّ اميرالمؤمنين عليه‌السلام علّم أصحابه في مجلس واحد أربعمأة باب ممّا يصلح للمؤمن في دينه و دنياه - حديث طويل قال عليه‌السلام فيه -: «توقّوا الذّنوب فما من بليّة و لا نقص رزق إلاّ بذنب حتّى الخدش و الكبوة و المصيبة، قال الله عزّ و جلّ: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير» الحديث.

و في **قرب الاسناد**: محمّد بن الوليد عن أبي بكير قال: «سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله عزّ و جلّ: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» قال: فقال: هو و يعفو عن كثير قال: قلت له: ما أصاب عليّاً و أشباهه من أهل بيته من ذلك؟ قال: فقال: إنّ رسول‌الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم كان يتوب الله عزّ وجلّ كلّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب».

و في **الخصال**: باسناده عن ابن عمارة عن أبيه عن جعفربن محمّد عن أبيه عليهماالسّلام قال: إنّ أيّوب عليه‌السلام ابتلى سبع سنين من غير ذنب و إنّ الأنبياء لا يذنبون لأنّهم معصومون مطهّرون، لا يذنبون و لا يزيغون و لا يرتكبون ذنباً صغيراً و لا كبيراً، و قال عليه‌السلام: إنّ أيّوب عليه‌السلام من جميع ما ابتلي به لم تُنَتَن له رآئحة، و لا قبحت له صورة و لا خرجت منه مُدَّة من دم و لا قيح، و لا استقذره أحدرآه و استوحش منه أحد شاهده و لا تدوّد شيء من جسده، و هكذا يصنع الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من أنبيآئه و أوليآئه المكرمين عليه، و إنّما اجتنبه النّاس لفقره و ضعفه في ظاهر أمره، بجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد و الفرج، و قد قال النبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم: «أعظم النّاس بلآءً الأنبيآء ثمّ الأمثل فالأمثل».

و إنما ابتلاه الله عزّ و جلّ بالبلآءِ العظيم الّذى يهون معه على جميع النّاس لئلاّ يدّعوا له الرّبوبيّة إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه، ليستدلوا بذلك على أنّ الثّواب من الله تعالى ذكره على ضربين:

إستحقاق و اختصاص، و لئلاّ يحتقروا ضعيفاً لضعفه و لا فقيراً لفقره، و لا مريضاً لمرضه، و ليعلموا أنّه يسقم من يشآء، و يشفي من يشآء متى شآء كيف شآء بأيّ سبب شآء، و يجعل ذلك عبرة لمن شآء، و شقاوة لمن شآء، و سعادة لمن شآء و هو عزّ و جلّ في جميع ذلك عدل في قضآئه و حكيم في أفعاله: لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم و لا قوّة لهم إلاّ به».

قيل: كما أنّ الإستغفار يكون في غالب النّاس لحطّ الذّنوب، و في الأنبيآءِ عليهم‌السّلام لرفع الدّرجات فكذلك المصآئب ...

و في **البحار**: باب الوقائع المتأخّرة عن قتل سيّد الشهدآء الإمام الثّالث الحسين بن عليّ عليهماالسّلام– قال الصّادق عليه‌السلام: «لمّا أُدخِلَ عليّ بن الحسين عليه‌السلام على يزيد لعنه الله نظر إليه ثمّ قال له: يا عليّ بن الحسين! «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» فقال عليّ بن الحسين: كلاّ! ما هذه فينا نزلت، و إنما نزلت فينا: «ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير

لكيلا تأسوا على مافاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم» فنحن الّذين لانأسى على مافاتنا من أمر الدّنيا و لا نفرح بما أُوتينا».

و فيه: قال الصّادق عليه‌السلام: «لمّا أُدخِلَ رأس الحسين بن عليّ عليهماالسّلام على يزيد لعنه الله و أُدخِلَ عليه عليّ بن الحسين عليهماالسّلام و بنات أميرالمؤمنين عليه و عليهن‌السّلام كان عليّ بن الحسين عليه السلام مقيّداً مغلولاً فقال يزيد لعنه الله: يا عليّ بن الحسين الحمدلله الّذى قتل أباك، فقال عليّ بن الحسين: لعنة الله على من قتل أبي، قال: فغضب يزيد و أمر بضرب عنقه، فقال عليّ بن الحسين: فاذا قتلتني فبنات رسول الله من يردّهم إلى منازلهم، و ليس لهم محرم غيري؟ فقال: أنت تردّهم إلى منازلهم، ثمّ دعا بِمبرَد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده.

ثمّ قال له: يا عليّ بن الحسين: أتدري ما الّذى اريد بذلك؟ قال: بلى تريد أن لا يكون لأحد عليّ منّة غيرك، فقال يزيد: هذا و الله ماأردت، ثمّ قال يزيد: يا عليّ بن الحسين «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» فقال عليّ بن الحسين: كلاّ! ما هذه فينا نزلت، إنّما نزلت فينا: «ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم الاّ في كتاب من قبل أن نبرأها» فنحن الّذين لا نأسى على ما فاتنا، و لا نفرح بما آتانا منها».

و فيه: قال الإمام الحسن العسكرى عليه‌السلام: «ولمّا جعل المأمون إلى عليّ بن موسى الرّضا عليهماالسّلام ولاية العهد دخل عليه آذنه، و قال: إنّ قوماً بالباب يستأذنون عليك يقولون: نحن شيعة عليّ عليه‌السلام فقال عليه‌السلام: أنا مشغول فاصرفهم، فصرفهم، فلمّا كان من اليوم الثّاني جآؤا و قالوا كذلك مثلها، فصرفهم إلى أن جآؤا هكذا يقولون و يصرفهم شهرين ثمّ أيسوا من الوصول و قالوا للحاجب: قل لمولانا إنّا شيعة أبيك عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام و قد شمت بنا أعداؤنا في حجابك لنا، و نحن ننصرف هذه الكرّة و نهرب من بلدنا خجلاً و أنفة ممّا لحقنا، و عجزاً عن احتمال مضض ما يلحقنا بشماتة الأعدآء!

فقال عليّ بن موسى الرّضا عليه‌السلام: ائذن لهم ليدخلوا، فدخلوا عليه فسلّموا عليه، فلم يردّ عليهم و لم يأذن لهم بالجلوس، فبقوا قياماً، فقالوا: يا ابن رسول الله ما

هذا الجفآء العظيم و الإستخفاف بعد هذا الحجاب الصّعب؟ أيّ باقية تبقى منّا بعد هذا؟

فقال الرّضا عليه السلام: إقرؤا «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير» ما اقتديت إلاّ بربّي عزّ و جلّ فيكم، و برسول الله و بأمير المؤمنين و من بعده من آبآئي الطّاهرين عليهم‌السّلام عتبوا عليكم فاقتديت بهم، قالوا: لماذا يا ابن رسول الله؟ قال: لدعواكم أنّكم شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام.

و يحكم إنّما شيعته عليه‌السلام الحسن و الحسين و أبوذرّ و سلمان و المقداد و عمّار و محمّد بن أبي بكر الّذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره و لم يركبوا شيئاً من فنون زواجره، فأمّا أنتم إذا قلتم إنّكم شيعته، و أنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، مقصّرون في كثير من الفرآئض، متها ونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، و تتّقون حيث لا يجب التقيّة، و تتركون التقيّة حيث لابدّ من التقيّة، فلوقلتم: إنّكم موالوه و محبّوه، و الموالون لأوليآئه و المعادون لأعدائه لم انكره من قولكم، و لكن هذه مرتبة شريفة إدّعيتموها إن لم تصدّقوا قولكم بفعلكم هلكتم إلاّ أن تتداركـكم رحمة من ربّكم.

قالوا: يا ابن رسول الله فانّا نستغفرالله و نتوب إليه من قولنا،بل نقول كما علّمنا مولانا: نحن محبّوكم و محبّوا أوليآئكم و معادوا أعدائكم، قال الرّضا عليه‌السلام: فمرحباً بكم يا إخواني و أهل و دّي ارتفعوا إرتفعوا إرتفعوا فما زال يرفعهم حتّى ألصقهم بنفسه، ثمّ قال لحاجبه: كم مرّة حجبتهم؟ قال: ستّين مرّة فقال لحاجبه: فاختلف إليهم ستين مرّة متوالية، فسلّم عليهم و اقرأهم سلامي فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم و توبتهم، و استحقّوا الكرامة لمحبّتهم لنا و موالاتهم، و تفقّد امورهم و امور عيالاتهم فأوسعهم بنفقات و مبرّات و صلات و رفع معرّات».

و فيه: قال الصّادق عليه‌السلام: قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام لعبدالله بن يحيى: الحمدلله الّذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدّنيا بمحنتهم، لتسلم بها طاعاتهم و يستحقّوا عليها ثوابها.

فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين و إنّا لا نجازى بذنوبنا إلاّ في الدّنيا؟

قال: نعم أما سمعت قول رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: «الدّنيا سجن المؤمن و

جنّة الكافر»؟ إنّ الله تعالى يطهّر شيعتنا من ذنوبهم في الدّنيا بما يبتليهم به من المحن، و بما يغفره لهم، فانّ الله يقول: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير» حتّى إذا وردوا القيامة توفّرت عليهم طاعاتهم و عباداتهم، و إنّ أعداء آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم يجازيهم عن طاعة تكون منهم في الدنيا و إن كان لا وزن لها لأنّه لا إخلاص معها، اذا وافوا القيامة حمّلت عليهم ذنوبهم، و بغضهم لمحمّد و آله و خيار أصحابه فقذفوا في النّار».

و في **اصول الكافي**: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «أما إنّه ليس من عرق يضرب و لا نكبة و لا صداع و لا مرض إلاّ بذنب، و ذلك قول الله عزّ و جلّ في كتابه: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير» قال: ثمّ قال: و ما يعفو الله أكثر ممّا يؤأخذ به».

و **فيه**: باسناده عن مسمع بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام في قول الله عزّ و جلّ: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير»: ليس من التوآءِ عرق و لا نكبة حجر، و لا عثرة قدم، و لا خدش عود إلاّ بذنب، و لما يعفو (يغفر خ) الله أكثر، فمن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدّنيا فانّ الله أجلّ و أكرم و أعظم من أن يعود في عقوبته في الآخرة».

و في **وصيّة** رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم لأبي ذرّ الغفاري رضوان الله تعالى عليه: «يا أباذرّ! إنّ الرّجل ليحرم رزقه بالذّنب يصيبه».

و في **الدّرّ المنثور**: عن عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام قال: «ألا اخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدّثنابها رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم؟ «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير»».

و في **نور الثقلين**: بالإسناد عن أبي اسامة عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: سمعته يقول: «تعوّذوا بالله من سطوات الله بالليل و النّهار قال: قلت: و ما سطوات الله؟ قال: الأخذ على المعاصى».

و **فيه**: بالاسناد عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «إنّ العبد

ليذنب الذّنب فيزوى عنه الرّزق» أى يمنع عنه الرّزق.

و فيه: بالاسناد عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «سمعته يقول: إنّ الذّنب يحرم العبد الرّزق».

و فيه: بالإسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «إنّ العبد يسئل الله الحاجة فيكون من شأنه قضآئها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطئ، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك و تعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إيّاها فانّه تعرض لسخطي و استوجب الحرمان منّي».

و في **البحار**: عن عليّ عليه‌السلام - حديث طويل - و كان النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم إذا رآى فاطمة فرح بها، فانطلق بعض أصحابه - سلمان الفارسيّ - إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً و هى تطحنه و تقول: «و ما عند الله خير و أبقى».

و في **تفسير القمّي**: و قوله: «و إذا ما غضبوا هم يغفرون» قال أبو جعفر عليه‌السلام: «من كظم غيظاً و هو يقدر على إمضآئه حشى الله قلبه آمناً و ايماناً يوم القيامة، قال: و من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا غضب حرم الله جسده على النّار»

و في **تفسير الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ** عليهما‌السّلام في قوله تعالى: «و ممّا رزقناهم ينفقون» قال: من الزّكاة و الصّدقات و الحقوق اللازمات و سآئر النّفقات الواجبات على الأهلين و ذوي الأرحام القريبات و الآبآء و الامّهات، و كالنّفقات المستحبّات على من لم يكن فرضاً عليهم النّفقة من سآئر القرابات، و كالمعروف بالاسعاف و القرض ...» الحديث.

و في **عيون الأخبار**: باسناده عن عبد العظيم الحسنيّ عن أبي جعفر الثّاني عن أبيه عن جدّه عليهم‌السّلام قال: دخل عمرو بن عبيد البصرى على أبي عبد الله عليه السلام فلمّا سلّم و جلس عنده تلا هذه الآية قوله عزّ وجلّ: «الّذين يجتنبون كبآئر الاثم و الفواحش» ثمّ أمسك عنه. فقال له أبو عبدالله عليه‌السلام: ما أسكنك (ما أسكتك خ)؟ قال: أُحبّ أن أعرف الكبآئر من كتاب الله، فقال، نعم يا عمرو أكبر الكبآئر الشّرك بالله،

بعده اليأس من روح الله لأنّ الله عزّو جلّ يقول: «و لا تيأسوا من روح الله إنّه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون» و الأمن من مكر الله لأنّ الله يقول: «و لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون».

و منها: عقوق الوالدين لأنّ الله عزّ و جلّ جعل العاقّ جبّاراً شقيّاً في قوله تعالى حكاية قال عيسى عليه السلام: «و برّاً بوالدتي و لم يجعلني جبّاراً شقياً» و قتل النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحق لأنّ الله عزّ و جّل يقول: «فجزآؤه جهنّم خالداً فيها ...» الآية و قذف المحصنات لأنّ الله تبارك و تعالى يقول: «لعنوا في الدّنيا و الآخرة و لهم عذاب عظيم» و آكل مال اليتيم ظلماً لقوله عزّ و جّل: «إنّما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً» و الفرار من الزّحف لأنّ الله عزّ و جّل يقول: «و من يولّهم يومئذ دبره إلاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد بآء بغضب من الله و مأواه جهنّم و بئس المصير».

و أكل الرّبوا لأنّ الله عزّ و جّل يقول: «الّذين يأكلون الرّبوا لا يقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشّيطان من المسّ» و السّحر لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «و لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق» و الزّنا لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «و من يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيها مهاناً إلاّ من تاب» و اليمين الغموس لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «إنّ الّذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم في الآخرة» و الغلول، يقول الله عزّ و جلّ: «و من يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة».

و منع الزّكاة المفروضة لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «فتكوى بها جباههم و جنوبهم» و شهادة الزّور لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «و الذين لا يشهدون الزّور» و كتمان الشّهادة لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «و من يكتمها فانّه آثم قلبه» و شرب الخمر لأنّ الله عزّ و جلّ عدل بها عبادة الأوثان، و ترك الصّلاة متعمّداً لأنّ رسول الله قال: «من ترك الصّلاة متعمّداً فقد برئ من ذمّة الله و ذمّة رسوله» و نقض العهد و قطيعة الرّحم لأنّ الله عزّ و جلّ يقول: «اولئك لهم اللعنة و لهم سوء الدّار»

فخرج عمرو و له صراخ من بكائه و هو يقول: هلك من قال برأيه و نازعكم في الفضل و العلم»

قوله عليه‌السلام: «اليمين الغموس»: الّتي تغمّس صاحبها في الإثم. و قوله عليه‌السلام: «عدل بها عبادة الأوثان» يعني قرن بها عبادة الأوثان كما قال الله تعالى: «إنّما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشّيطان» المائدة: ٩٠).

و في رواية: «أنّ رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم ما انتقم لنفسه قطّ إلاّ أن تنتهك حرمات الله».

و في رواية: «قال رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم: المستبّان ماقا لا من شئ فعلى البادي حتّى يعتدى المظلوم ثم قرأ «و جزآء سيّئة سيّئة مثلها».

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «للظالم البادي غداً بكفّه عَضَّةٌ».

هذا من قوله تعالى: «يوم يعضّ الظّالم على يديه» الفرقان: ٢٧) و إنّما قال: «للبادي» لأنّ من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه. ومن أمثالهم: البادى أظلم.

فان تُسئل:فاذا لم يكن بادياً لم يكن ظالماً، فأي حاجة له إلى الإحتراز بقوله: «البادى»؟

تجيب عنه: لأنّ العرب تُطلِق على ما يقع في مقابلة الظلم إسم «الظّلم» أيضاً كقوله تعالى: «و جزاء سيئة سيئة مثلها».

و في اصول الكافي: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم – في خطبة –: «ألا اخبركم بخير الخلائق الدّنيا و الآخرة؟ العفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و الاحسان إلى من أسآء إليك، و إعطاء من حرمك».

و في نور الثقلين: باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «النّدامة على العفو أفضل و أيسر من النّدامة على العقوبة».

و فيه: بالإسناد عن سيف بن عميرة قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه‌السلام يقول: «من كظم غيظاً و لو شآء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه».

و فيه: بالإسناد عن أبي حمزة عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله

صلی‌اللّه علیه و آله و سلم : «من أحبّ السّبيل إلی الله عزّ و جلّ جرعتان: جرعة غيظ تردّها بحلم، و جرعة مصيبة تردّها بصبر».

و في **تفسير النّعماني**: باسناده عن أمير المؤمنين عليه‌السلام قال - حديث طويل-: «و أمّا الرّخصة الّتي صاحبها فيها بالخيار فانّ الله تبارك و تعالی رخّص أن يعاقب العبد علی ظلمه، فقال الله تعالی: «جزآء سيّئة سيّئة مثلها فمن عفی و أصلح فأجره علی الله» و هذا هو فيه بالخيار إن شآء عفی، و إن شآء عاقب».

و في **رواية**: قال رسول‌الله صلی‌اللّه عليه و آله و سلم : «إنّما يؤتی النّاس يوم القيامة عن إحدی من ثلاث: إمّا من شبهة في الدّين إرتكبوها، أو شبهة للذّة آثروها، أو عصبيّة لحمة اعملوها، فاذا لاحت لكم شبهة في الدّين فاجلوها باليقين، و إذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزّهد، و إذا عنّت لكم غضبة فأدّوها بالعفو، إنّه ينادي مناد يوم القيامة من كان له علی الله أجراً (أجرٌ خ) فليقم، فلا يقوم إلاّ العافون ألم تسمعوا قوله تعالی: «فمن عفا و أصلح فأجره علی الله»».

و في **المجمع**: و قدروی عن النّبيّ صلی‌اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة نادی منادٍ: من كان أجره علی الله فليدخل الجنّة، فيقال: من ذا الّذی أجره علی الله؟ فيقال: العافون عن النّاس فيدخلون الجنّة بغير حساب».

و في **تفسير القمّي**: و قوله: «و الّذين استجابوا لربّهم» قال: في إقامة الإمام «و أقاموا الصلاة و أمرهم شوری بينهم» أی يقبلون ما امروا به فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم كما قال الله: «و لوردّوه إلی الرّسول و إلی اولی الأمر منهم» و أمّا قوله: «و الّذين إذا أصابهم البغی هم ينتصرون» يعني إذا بغی عليهم ينتصرون و هی الرّخصة الّتي صاحبها فيها بالخيار إن شآء فعل، و إن شآء ترك، ثم جزی ذلك، فقال: «و جزآء سيّئة سيّئة مثلها» أی لا تعتدي و لا تجازي بأكثر ممّا فعل بك، ثمّ قال: «فمن عفاو أصلح فأجره علی الله».

و في **الكافي**: عن الإمام جعفربن محمّد الصّادق عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلی‌اللّه عليه و آله و سلم : «عليكم بالعفو فانّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزّاً، فتعافوا يعزّكم الله

«إنّه لا يحبّ الظالمين» المبتدئين بالسّيّئة و المتجاوزين في الإنتقام».

و في **الدّر المنثور**: قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: إنّ أوّل منادٍ من عند الله يقول: أين الّذين أجرهم على الله؟ فيقوم من عفا في الدّنيا، فيقول الله: أنتم الّذين عفوتم لي ثوابكم الجنّة».

و **فيه**: قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: «ينادي منادٍ يوم القيامة: لا يقوم اليوم أحد إلاّ من له عند الله يد، فتقول الخلائق: سبحانك بل لك اليد، فيقول: بلى من عفا في الدّنيا بعد القدرة».

و **فيه**: قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم قال موسى بن عمران عليه‌السلام: «يا ربّ من أعزّ عبادك عندك؟ قال: مَن إذا قدر عفا».

و في **اصول الكافي**: باسناده عن أبي حمزة الثّمالي عن عليّ بن الحسين عليهما‌السّلام قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الأوّلين و الآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من النّاسِ، فتلقّاهم الملائكة، فيقولون: و ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا، و نعطى من حرمنا، و نعفو عمّن ظلمنا، فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّة».

و في **الخصال**: عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل خصال الايمان: من صبر على الظّلم، و كظم غيظه، و احتسب و عفى و غفر، كان ممّن يدخله الله الجنّة بغير حساب، و يشفعه في مثل ربيعة و مضر».

٤١ـ (و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)

في **تفسير القمّي**: باسناده عن أبي حمزة الثّمالي عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: سمعته يقول: «و لمن انتصر بعد ظلمه» يعني القآئم عليه‌السّلام و أصحابه، فأولئك ما عليهم من سبيل، و القآئم إذا قام انتصر من بني اميّة و من المكذّبين و النّصّاب و هو و أصحابه و هو قول الله: «إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم».

قوله عليه‌السلام: «انتصر ...» أى إنتقم منهم.

و في **كنز الفوائد**: باسناده عن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله عزّ و جلّ: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل» قال: ذاك القآئم عليه‌السلام إذا قام انتصر من بني اميّة و من المكذّبين و النّصّاب».

و في **ملحقات احقاق الحق**: عن البرزنجي في كتابه (الاشاعة في أشراط السّاعة ص ٦٩ ط مصر) قال: قوله: «لمن انتصر بعد ظلمه ...» اشارة إلى الحسين بن عليّ عليه‌السلام و قيامه على يزيد و قتاله على حق إلى أن قتل هو و أهل بيته».

و في **الخصال**: باسناده عن أبي حمزة الثمالى قال: هذه رسالة عليّ بن الحسين عليه السلام إلى بعض أصحابه - إلى أن قال -: «و حقّ من أسآئك أن تعفو عنه، و إن علمت أنّ العفو يضرّ إنتصرت قال الله تبارك و تعالى: «و لمن انتصر من بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل» - إلى أن قال -: «و أمّا حق من سآءك القضآء على يديه بقول أو فعل، فان كان تعمّدها كان العفو أولى بك، لما فيه له من القمع و حسن الأدب، مع كبير أمثاله من الخلق فإنّ الله يقول: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل - إلى قوله - من عزم الامور».

و في **البحار**: و قال زين العابدين عليه‌السلام: ما اُصيب أمير المؤمنين عليه‌السلام بمصيبة إلاّ صلى في ذلك اليوم ألف ركعة، و تصدّق على ستّين مسكيناً، و صام ثلاثة أيّام، و قال لأولاده: إذا اُصبتم بمصيبة فافعلوا بمثل ما أفعل، فانّي رأيت رسول الله صلى‌الله‌عليه و آله و سلم هكذا يفعل، فاتّبعوا أثر نبيّكم، و لا تخالفوه فيخالف الله بكم، إنّ الله تعالى يقول: «و لمن صبر و غفر فانّ ذلك لمن عزم الامور» ثمّ قال زين العابدين عليه‌السلام: «فمازلت أعمل بعمل أمير المؤمنين عليه‌السلام».

و في **تفسير القمّي**: و قوله: «ترى الظّالمين» آل محمّد صلى‌الله‌عليه و آله و سلم حقّهم «لما رأوا العذاب» و عليّ عليه‌السلام هو العذاب في هذا الوجه «يقولون هل إلى مردّ من سبيل» أى إلى الدّنيا فنوالي عليّاً عليه‌السلام».

قوله: «في هذا الوجه» أى هو العذاب في هذه الرّجعة.

و في **كنز الفوائد**: بالإسناد عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه‌السلام أنّه قرأ «و ترى

ظالمي آل محمّد» حقّهم «لمّا رأوا العذاب» و عليّ عليه‌السلام هو العذاب «يقولون هل إلى مردّ من سبيل».

قوله: «أنّه قرأ» أي فسّر الآية هكذا.

و **في تأويل الآيات الظّاهرة**: بالإسناد عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام إنّه قرأ: «و ترى ظالمي آل محمد حقّهم لمّا رأوا العذاب» و عليّ هو العذاب «يقولون هل إلى مردّ من سبيل» يعني أنّه هو سبب العذاب لأنّه قسيم الجنّة و النّار».

و **في تفسير القمّي**: «و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ» لعليّ «ينظرون» إلى عليّ عليه السلام «من طرف خفيّ و قال الّذين آمنوا» يعني آل محمّد و شيعتهم «إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين» آل محمّد حقّهم «في عذاب مقيم» قال: و الله يعني النّصّاب الّذين نصبوا العداوة لعليّ و ذرّيته عليهم‌السّلام و المكذّبين».

و **في تأويل الآيات الظّاهرة**: بالإسناد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قوله عزّ و جلّ: «خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ» يعني إلى القآئم عليه‌السلام.

أقول:إنّي لا أجد بين الآيات الكريمة و تلك الرّوايات تنافياً لتعدّد الأسباب و الموارد و التأويل و التفسير، فلكلٍّ وجهٌ فتأمّل جيّداً و لا تغفل.

٤٩- (لله ملك السّموات و الأرض يخلق ما يشآء يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور).

في عيون الأخبار: باسناده عن محمّد بن سنان أنّ أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا كتب إليه في جواب مسائله - حديث طويل -: «و علّة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه، و ليس ذلك للولد لأنّ الولد موهوب للوالد في قول الله عزّ و جلّ: «يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشاء الذّكور» مع أنّه المأخوذ بمؤونته صغيراً و كبيراً، و المنسوب إليه، و المدعوّ له لقول الله عزّ و جلّ: «ادعوهم لآبآئهم هو أقسط عند الله» و قول النّبيّ: «أنت و مالك لأبيك» و ليست الوالدة كذلك لا تأخذ من ماله إلاّ باذنه أو بإذن الأب،

لأنّ الأب مأخوذ بنفقة الولد، و لا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها».

و في **تفسير القمّي**: و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله: «يهب لمن يشآء إناثاً» أى ليس معهنّ ذكر «و يهب لمن يشآء الذّكور» يعني ليس معهم انثى «أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً» جميعاً يجمع له البنين و البنات أى يهبهم جميعاً لواحد.

و فيه: باسناده عن محمد بن سعيد أنّ يحيى بن أكثم سئل موسى بن محمّد عن مسآئل، و فيها أخبرنا عن قول الله: «أو يزوّجهم ذكراناً و اناثاً» فهل يزّوج الله عباده الذكران، و قد عاقب قوماً فعلوا ذلك، فسئل موسى أخاه أبا الحسن العسكرى عليه‌السلام و كان من جواب أبي الحسن: أمّا قوله: «أو يزوّجهم ذكراناً و اناثاً» فانّ الله تبارك و تعالى يزوّج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين، و إناث المطيعات من الإنس من ذكران المطيعين، و معاذ الله أن يكون الجليل عنى ما لبست على نفسك تطلّبا للرّخصة لإرتكاب المآثم ...».

قوله عليه‌السلام: «ما لبّست به على نفسك» أى ماد لست على نفسك و ذلك ايعاز إلى ما كان يشتهر به يحيى بن أكثم من اللواط.

أقول: لا يخفى بُعد ما ذكر في الخبر من سياق الآية الكريمة، كأنّه على سبيل التنزّل أى لو كان المراد بالتزويج ما زعمت لا حتمل محملاً صحيحاً أيضاً. فالجواب تنزيليّ يعني إذا فرضنا كما فرض السّائل من أنّ صيغة «يزوّجهم» بمعنى الإنكاح، يمكن أخذ المراد بطريق جآئز كما بيّنه الإمام عليه‌السلام و إلاّ ظاهر الآية التزويج فيها بمعنى التثنّي بقرينة ما سبق، أو يكون هذا بطناً من بطون الآية، مع إمكان تصحيحه بوجه لا يأبى عن سياق الآية بأن يكون الغرض بيان أحوال جميع أفراد البشر أو المؤمنين في الزّواج و الأولاد، فانّهم إمّا أن يكونوا تزوّجوا في الدّنيا أم لا، فعلى الأوّل إمّا يهب لهم إناثاً مع الذّكران أو بدونهم أو يهب لهم ذكراناً مع الإناث، و بدونهنّ على سبيل منع الخلوّ، أو يجعلهم عقيماً لا يولدلهم، و على الثّاني يزوّج المؤمنين و المؤمنات في الآخرة.

و في **التّهذيب**: باسناده عن الحسين بن علوان عن زيد بن علّي عن آبآئه عن علّي عليهم‌السّلام قال: أتى النّبيّ صلى‌اللّه عليه و آله و سلم رجل فقال: يا رسول الله إنّ أبي

عمد إلى مملوك لي فأعتقه كهيئة المضرّة لي، فقال رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: أنت و مالك من هبة الله لأبيك أنت سهم من كنانته «يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور أو يزوّجهم ذكراناً و إناثاً و يجعل من يشآء عقيماً» جازت عتاقة أبيك يتناول والدك من مالك و بدنك و ليس لك أن تتناول من ماله و لا من بدنه شيئاً إلاّ باذنه».

و في رواية: قال رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: «إنّ أولادكم هبة الله لكم لقوله تعالى: «يهب لمن يشآء إناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور».

و في الدّرّ لمنثور: عن ابن عمر: أنّ رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم قال: «من بركة المرأة إبتكارها بالانثى لأنّ الله قال: «يهب لمن يشآء اناثاً و يهب لمن يشاء الذّكور».

و في تفسير القمّي: و قوله: «و ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ و حياً أو من ورآءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشآء» قال: وحى مشافهة و وحى إلهام و هو الّذى يقع في القلب أو من ورآءِ حجاب كما كلّم الله نبيّه صلىالله عليه و آله و سلم و كما كلّم الله موسى عليهالسلام من النّار أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشآء، قال: وحى مشافهة يعني إلى النّاس».

و في الإحتجاج: باب احتجاجات أمير المؤمنين عليّ عليهالسلام على الزّنديق المدّعي للتناقض في القرآن – قال عليّ عليهالسلام: «فأمّا قوله: «ما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ و حياً أو من ورآءِ حجاب» ما ينبغي لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً و ليس بكآئن إلاّ من ورآءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشآء كذلك قال الله تبارك و تعالى علوّاً كبيراً قد كان الرّسول يوحى إليه من رسل السّمآءِ فتبلغ رسل السّمآءِ رسل الأرض، و قد كان الكلام بين رسل أهل الأرض و بينه من غير أن يرسل بالكلام مع رسل أهل السّمآءِ.

و قد قال رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: يا جبرئيل هل رأيت ربّك؟ فقال جبرئيل عليهالسلام، إنّ ربّي لا يرى، فقال رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: فمن أين تأخذ الوحى؟ فقال: آخذه من اسرافيل، فقال: و من أين يأخذه اسرافيل؟ قال: يأخذه

من ملك فوقه من الرّوحانيّين، قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً، فهذا وحي، و هو كلام الله عزّ و جلّ و كلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلّم الله به الرّسل، و منه ما قذفه في قلوبهم، و منه رؤيا يريها الرّسل، و منه وحى و تنزيل يتلى و يقرأ فهو كلام الله، فاكتف بما و صفت لك من كلام الله، فانّ معنى كلام الله ليس بنحو واحد، فانّه منه ما تبلغ منه رسل السّمآءِ رسل الأرض.

قال: فرّجت عنّي فرّج الله عنك، و حللت عنّي عقدة، فعظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين».

و في **اصول الكافي**: باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله تبارك و تعالى: «كذالك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان» قال: خلق من خلق الله عزّ و جلّ أعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم يخبره و يسدّده و هو مع الأئمّة من بعده».

و **فيه**: باسناده عن أسباط بن سالم قال: سئله رجل من أهل هيت – و أنا حاضر – عن قول الله عزّ و جلّ: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» فقال: منذ أنزل الله عزّ و جلّ ذلك الرّوح على محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم ما صعد إلى السّمآءِ و انّه لفينا».

قوله عليه‌السلام: «**من أهل هيت**» «**هيت**» مدينة فى شاطئ الفرات.

و **فيه**: باسناده عن زكريا بن إبراهيم قال: كنت نصرانيّاً فأسلمت و حججت فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: إنّي كنت على النصرانيّة و إنّي أسلمت، فقال: و أيّ شئ رأيت في الإسلام؟ قلت: قول الله عزّ و جلّ: «ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نوراً نهدى به مَن نشآء» فقال: لقد هداك الله، ثمّ قال: اللهم اهده – ثلاثاً –».

قوله عليه‌السلام: «و أيّ شئ رأيت في الإسلام»؟ أى من الحجّة و البرهان حتّى صار سبباً لإسلامك. «قلت: قول الله عزّ و جلّ ...» أى إنّ الله تعالى ألق الهداية في قلبي و هداني للاسلام كما هو مضمون الآية الكريمة، فصدّقه الإمام عليه‌السلام بقوله: «لقد

هداك الله» ثم قال: اللهم اهده أى زد في هدايته أو يثبته عليها.

و فيه: باسناده عن أبي حمزة قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن العلم أهو يتعلّمه العالم من أفواه الرّجال أم في الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك و أوجب، أما سمعت قول الله عزّ و جلّ: «كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان» ثمّ قال: أيّ شئ يقول أصحابكم في هذه الآية أيقرّون أنّه كان في حال لا يدري ما الكتاب و لا الايمان؟ فقلت: لا أدري - جعلت فداك - ما يقولون، فقال لي: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب و لا الايمان، حتّى بعث الله تعالى الرّوح الّتي ذكر في الكتاب، فلمّا أوحاها إليه علم بها العلم و الفهم، و هى الرّوح الّتي يعطيها الله تعالى من شآء، فاذا شآء أعطاها عبداً علّمه الفهم».

و في الصّحيفة السّجّادية: قال الإمام الرّابع سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهاالسّلام: «و الرّوح الّذى هو على ملائكة الحجب، و الرّوح الّذى هو من أمرك ...» الدّعاء الثالث.

أقول: و من المعلوم أنّ الرّوح الثّاني غير الرّوح الأوّل، و هما غير جبرئيل الأمين على الوحي.

و قوله عليه السلام: «من أمرك» في الأمر و جهان:

أحدهما: أن يكون المراد بالأمر هنا: الشّأن و الإضافة للإختصاص العلمي لا الايجادي لا شتراك الكلّ فيه، و فيها من تشريف المضاف ما لا يخفى أى الرّوح الّذى هو من جنس ما استأثرت بعلمه من الأسرار الخفيّة الّتي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر.

ثانيهما: أن يكون المراد به عالم الأمر المقابل لعالم الخلق المعبّر عنها بعالم الغيب و الشّهادة و الملكوت و الملك، فعالم الأمر هو الأوّليّات العظام المخلوقة للبقآءِ من غير مادّة و أصل، من الرّوح و العقل والقلم واللّوح و العرش والكرسي و الجنّة والنّار،و سمّى بعالم الأمر لأنّ الله تعالى أوجده بأمره لا من شيء، و عالم الخلق هو الموجودات المخلوقات للفنآءِ من مادّة متحيلة كآئنة فاسدة.

و سمّي بعالم الخلق لأنّه تعالى خلقه من شئ له مساحة و تقدير إذ كان الخلق بمعنى

المساحة و التقدير، فالمعنى الرّوح الّذي من إيداعاتك الكآئنة من عالم الأمر بمحض الأمر التكويني من غير تحصّل من مادّة و تولّد من أصل، و ليس هذا من قبيل قوله سبحانه: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢) فانّ ذلك عبارة عن سرعة التكوين سوآء أكان الكائن من عالم الأمر أم من عالم الخلق، و يدلّ على هذا المعنى ما:

في بصآئر الدّرجات: باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قوله عزّ و جلّ: «يسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي» قال: خلق أعظم من جبرئيل و ميكآئيل كان مع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و هو من الأئمة و هو من الملكوت».

قوله عليه‌السلام: «من الملكوت» تفسير للأمر.

و فيه: باسناده عن سعد الأسكاف قال: أتى رجل عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام يسئله عن الرّوح أليس هو جبرئيل؟ فقال له عليٌّ عليه‌السلام: جبرئيل من الملائكة، و الرّوح غير جبرئيل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أنّ الرّوح غير جبرئيل، فقال له على عليه‌السلام: أنى إنك ضالّ تروى عن أهل الضّلال، يقول الله تبارك و تعالى لنبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «أتى أمر الله فلاتستعجلوه سبحانه و تعالى عمّايشركون ينزّل الملائكة بالرّوح والرّوح غير جبرئيل».

و في تفسير القمي: ثمّ قال لنبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان» روح القدس هي الّتي قال الصّادق عليه السلام في قوله: « ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربّي» قال: هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكآئيل كان مع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و هو مع الأئمة ثمّ كنى عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام فقال: « و لكن جعلناه نوراً نهدى به من نشآء من عبادنا» و الدّليل على أنّ النّور أمير المؤمنين عليه‌السلام قوله عزّ و جلّ: « واتّبعوا النّور الّذى أنزل معه» الآية.

وفيه: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله لنبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نوراً» يعنى عليّاً و

عليّ هو النّور فقال: «نهدى به من نشأ من عبادنا» يعنى علياً عليه السلام به هدى من هدى من خلقه، قال: و قال الله لنبيه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم» يعني إنّك لتأمر بولاية عليّ عليه‌السلام و تدعو إليها، و عليّ عليه‌السلام هو الصّراط المستقيم «صراط الله الّذي له ما في السّموات و ما في الأرض» يعنى علياً عليه‌السلام أنّه جعله خازنه على ما في السّموات و ما في الأرض من شيءٍ و ائتمنه عليه «ألا إلي الله تصير الامور».

و قال عليّ بن إبراهيم في قوله: «و انّك لتهدي إلي صراط مستقيم» أى تدعو إلي الإمامة المستوية، ثمّ قال:«صراط الله» أى حجّةالله الّذى له ما في السّموات و ما في الأرض« ألا إلى الله تصير الامور» حدّثني محمد بن همام، قال: حدّثنى سعد بن محمد بن عباد بن يعقوب عن عبدالله بن الهيثم عن صلت ابن الحرة قال: كنت جالساً مع زيد بن عليّ عليه‌السلام فقرأ «و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم» قال: هدى النّاس و ربّ الكعبة إلى عليّ عليه‌السلام ضلّ عنه من ضلّ و اهتدى من اهتدى».

أقول: على هذا التأويل لبطن الآية الكريمة يمكن أن يكون المراد بالكتاب أو الايمان أو بهما معاً أميرالمؤمنين فتستقيم النّظم، و إرجاع الضّمير لأنّ المرجع يكون على هذا واحداً كالضّمير، و أما على غير هذا المعنى فيشكل الأمر في إرجاع الضّمير كما لا يخفى، و قد وردت روايات كثيرة في أنّه الكتاب و الايمان في بطن القرآن الكريم، و أيضاً ـ على ما في الخبر ـ الموصول في قوله تعالى: «الّذى له ما في السّموات» صفة للصّراط و ضمير « له» راجع إليه. فتدبّر جيداً و اغتنم جدّاً و لاتغفل.

و في **كنز الفوائد:** بالاسناد عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه‌السلام في قول الله عزّ و جلّ: « ولكن جعلناه نوراً نهدى به مَن نشآء من عبادنا» قال: ذلك على بن أبيطالب عليه‌السلام وفي قوله: «إنّك لتهدي إلي صراط مستقيم» قال: إلى ولاية على بن أبيطالب عليه‌السلام.

و في **بصائر الدّجات:** باسناده عن أبي بصير قال: قلت: قول الله: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» قال: هو خلق أعظم من جبرئيل و ميكائيل، و كلّ بمحمّد

صلى‌اللّه عليه و آله و سلم يخبره و يسدّده و هو مع الأئمّة يخبرهم و يسدّدهم».

و فيه: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام في قول الله عزّ و جلّ: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» فقال: خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل و ميكآئيل كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يخبره و يسدّده و هو مع الائمة من بعده.

و فيه: باسناده عن سلام بن المستنير قال: سمعت أبا جعفر عليه‌السلام و سئل عن قول الله تبارك و تعالى: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» فقال الرّوح الّذي قال الله: «و أوحينا إليك روحاً من أمرنا» فانّه هبط من السّماء على محمد صلى الله عليه و آله وسلم ثمّ لم يصعد إلي السّماء منذ هبط إلى الأرض».

أقول: و قد وردت في المقام روايات كثيرة بأسانيد صحيحة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و ذبذبة بعض العامّة كالآلوسى في روح المعاني كذبذبته و أضرا به في سائر الاصول الدينية و فروعها ... فذرهم في طغيانهم يعمهون.

و في **نهج البلاغة**: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام : «و قد علمتم موضعي من رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة، وضعني في حجره و أنا وليد، يضمّني إلي صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسّني جسده، و يشمّني عَرْفَه، و كان يمضغ الشّيء ثمّ يلقّمنيه، و ما وجد لي كذبةً في قولي، و لا خطلةً في فعل، و لقد قرن الله به صلى‌اللّه عليه و آله و سلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتّبعه إتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً و يأمرني بالإقتدآءِ به، و لقد كان يجاور في كل سنة بحِرآءِ، فأراه و لا يراه غيري ...».

و في الدّر المنثور: ان الحارث بن هشام سئل رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم: كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس، فيفصم عنّي، و قد وعيت عنه ما قال و هو أشدّه عَلَيَّ، و أحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول».

و فيه: عن عليّ عليه‌السلام قال: قيل للنّبي صلى‌اللّه عليه و آله و سلم: هل عبدت و ثناً قطّ؟ قال: لا، قالوا:

فهل شربت خمراً قطّ؟ قال: لا، و مازلت أعرف الّذي هم عليه كفر، و ما كنت أدري ماالكتاب و لا الايمان، و بذلك نزل القرآن: « ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان».

و في **التّوحيد**: باسناده عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: «جعلت فداك الغشية الّتي كانت تصيب رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم اذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: ذلك اذا لم يكن بينه و بين الله أحد ذاك اذا تجلّى الله له. قال: ثمّ قال: تلك النبوّة يا زرارة و أقبل يتخشّع».

و في **العلل**: باسناده عن عمرو بن جميع عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: «كان جبرئيل اذا أتى النّبي صلى‌اللّه عليه و آله و سلم قعد بين يديه قعدة العبد، و كان لايدخل حتّى يستأذنه».

و في **أمالي الشيخ** رضوان الله تعالى عليه: باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه‌السلام:

قال: قال بعض أصحابنا: أصلحك الله كان رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم يقول: قال جبرئيل، و هذا جبرئيل يأمرني، ثمّ يكون في حال اخرى يغمى عليه، فقال أبوعبدالله عليه‌السلام : إنّه إذا كان الوحي من الله اليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، و اذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك، فقال: قال لي جبرئيل و هذا جبرئيل».

و في **بصائر الدّرجات**: بالإسناد عن زرارة قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام مَنِ الرّسول؟ مَنِ المحدّث؟ فقال: الرّسول الّذي يأتيه جبرئيل فيكلّمه قبلاً فيراه كما يرى احدكم صاحبه الّذي يكلّمه فهذا الرّسول، و النّبيّ الّذي يؤتى في النّوم نحو رؤيا إبراهيم عليه‌السلام و نحو ما كان يأخذ رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم من السّبات إذا أتاه جبرئيل في النّوم فهكذا النّبي، و منهم من يجمع له الرّسالة و النّبوّة، فكان رسول الله

صلى‌الله عليه و آله و سلم رسولاً نبياً يأتيه جبرئيل قبلاً فيكلّمه و يراه، و يأتيه في النّوم، و امّا المحدّث فهو الّذي يسمع كلام الملك، فيحدّثه من غير أن يراه و من غير أن يأتيه في النّوم».

أقول: و في معناه روايات كثيرة لا يسعها مقام الاختصار.

و **في التّوحيد:** باسناده عن محمد بن مسلم و محمدبن مروان عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «ما علم رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أنّ جبرئيل من قبل الله إلاّ بالتّوفيق».

و **في تفسير العيّاشي:** باسناده عن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: «كيف لم يخف رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك ممّا ينزغ به الشيّطان؟ قال: فقال: إنّ الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السّكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله مثل الّذي يراه بعينه».

و **في الكافي:** باسناده عن أبي عمرو الزّبيريّ عن أبي عبدالله عليه‌السلام – في حديث – و قال في نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» يقول: تدعو.

و **في نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين امام المتّقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام: «أرسله داعياً إلى الحقّ، و شاهداً على الخلق، فبلّغ رسالات ربّه، غير وانٍ و لا مقصّر، و جاهد في الله أعدائه غير واهنٍ و لا معذّر، امام من اتّقى و بَصَرُ من اهتدى».

﴿بحث فقهي﴾

في المقام عشرة مسائل: الاولى: أن يستدّل بقوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً – أن أقيموا الدّين و لا تتفرّقوا فيه – الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان» الشّورى: ١٣ و ١٧) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقّيد أو المبين أو المفسّر او النّاسخ و عدم حجّيتها قبله فتأمّل جيّداً.

الثانية: أن يستدلّ بقوله عزّ و جلّ: «من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب» الشّورى: ٢٠) على بطلان الإستيجار على ما سبيله أن لا يفعل إلاّ على وجه القربة لأنّ الله تعالى أخبر بأنّ من يريد حرث الدّنيا فلا نصيب له في الآخرة فيخرج ذلك من أن يكون قربة، فلايقع موقع الجواز.

في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي مالفظه: «هذه الآية تبطل مذهب أبي حنيفة في قوله: «إنّه من توضّأ تبرّداً أنّه يجزيه عن فريضة الوضوء الموظّف عليه».

فإنّ فريضة الوضوء من حرث الآخرة، والتّبرّد من حرث الدّنيا، فلا يدخل أحدهما على الآخر، و لا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الآية قاله ابن العربي».

واستدل بعض الفقهآء بالآية الكريمة على عدم صحّة الوضوء من غيرنية، و ذلك أنّ مَن توضّأ بغيرنيّة غفل عن الآخرة و عن ذكر الله، والخروج عن عهدة الصّلاة من باب منافع الآخرة، فلا يحصل بالوضوء العاري عن النّيّة.

و قال بعضهم: من صلّى لطلب الثواب أو لدفع العقاب تصحّ صلاته لأنّه صلى لأجل ما يتعلّق بالآخرة، و من صلّى لطلب متاع الدنيا من مال أو جاه أو اشتهار و ما إليها ممّا يتعلّق بالحياة الدنيا، فلا تصّح صلاته، فيجب عليه القضآء.

الثالثة: أن يستدلّ بقوله عزّ و جلّ: «شرع لكم من الدّين ما وصيّ به نوحاً – أم لهم شركآؤا شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله» الشّوري: ١٣ و ٢١) على حرمة تقنين القوانين و جعل الاحكام لإدارة الأفراد و الجماعات ... و عدم مشروعيتها لو شرعها حتّى اعلم العلمآءِ، و أعقل العقلآء، و أعدل العدول، فضلاً عن شرذمة قليلة من عبيد الدّنيا و الشهوة، و أتباع الهوى و طلاّب الرّئاسة و الصّدارة ... و ذلك أنّ الدّين كلّه للّه عزّ و جلّ: «و يكون الدّين كلّه لله» الأنفال: ٣٩).

و شارع الدّين هو الله وحده لاشريك له في الدّين، و أمّا الأنبياء و المرسلون و الأوصياء و المعصومون كلّهم صلوات الله عليهم أجمعين فانّماهم حملة دين اللـه تـعالى و شرائعه و مبلّغوها كما صرّح تعالى بذلك، فكما أنّ التكوين، و تدبير نواميس الوجود و نظام الكون بيدالله تعالى وحده لاشريك له، كذلك نظام التشريع، و تدبير حياة البشر كلّه بيدالله جلّ و علا لاشريك له، و ليس الحياة البشرية إلاّ ترساً صغيراً في عجلة هذا الكون الشّاسع الواسع، فليتحكمها شرعة تتمشي مع تلكم النّواميس، و تمشي الإنسان إلى قمم الكمال المعدّة له في هداه، فكيف يشرع من دين الله تعالى من سواه ألولاية على الله سبحانه ؟ و هو الوليّ الحميد؟ أم حيطة على النّواميس و متطلبات الحـياة؟ و لا يحيطون بأنفسهم علماً.

قال الله تعالى:« قل أتعلّمون الله بدينكم و الله يعلم ما في السّموات و مـا في الأرض و الله بكلّ شيء عليم» (الحجرات:١٦)

و قال: «و لا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شآء» (البقرة:٢٥٥).

و في **نهج البلاغة:** قال مولى الموحّدين امام المتّقين أمير المـؤمنين عـلى بـن أبيطالب عليه‌السلام في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا: «وإلههم واحد، و نـبيهم واحـد، و كتابهم واحد، أفأمر هم الله تعالى بالإختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل

الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول عن تبليغه و أدائه؟ و الله سبحانه يقول: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» و قال: «فيه تبيان كلّ شيء».

مع وضوح هذه الحقيقة لحدّ البداهة، فليس لمن يستنبط الإستنباط و التشريعات الجزئية المتجدّدة مع حوائج الحياة البشرية في ظروف مختلفة على ضوء الكتاب المجيد و السّنّة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من غير تشريع حكم أو وضع قانون لأيّ صغيرة أو كبيرة، من عند أنفسهم، و إنّما استنباط و اجتهاد لأهله على شرائطه...

الرّابعة: أن يستدلّ بقوله عزّ و جلّ: «و لكن ينزّل بقدر ما يشاء» (الشوري: ٢٧) على أنّ الثّراء الحلال هومن رزق الله تعالى للإنسان، و أما الثّرآء الحرام بالغشّ و الغصب والظلم و الإحتكار و السّلب و النّهب فهو من رزق الشّيطان لامن عطآء الرّحمن.

الخامسة: أن يستدلّ بقوله تعالى: « و أمرهم شورى بينهم» (الشورى: ٣٨) على جواز المشورة في الامور الإجتماعية، كالحرب والدّفاع و إحقاق الحق و ما إليها و لا تجوز في الأحكام الشّرعية لقوله تعالى

«و أقاموا الصّلاة و ممّا رزقناهم ينفقون» فضلاً عن الاصول الإعتقادية و منها الولاية لأهلها.

قال الله تعالى: «و ربّك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة» (القصص: ٦٨).

و قال: «و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» (الأحزاب: ٣٦).

السادسة: أن يستدلّ بقوله عزّ و جلّ: « و الّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون» (الشورى: ٣٩) على جواز الإنتصار بل رجحانه للمظلوم المؤمن بالمؤمنين على الباغي ما لم يوجب ترك الإنتصار تجرّي الباغي و اصراره على بغيه، و إلاّ كان الإنتصار واجباً، فاذا انتصر، يجب على المؤمنين أن ينصروه من غير اعتذار.

في اصول الكافي: باسناده عن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبدالله عليه‌السلام: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: «إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره، و المواساة له في ماله، و الخلف له في أهله، و النّصرة له على من ظلمه ...» الحديث.

وفي غررالحكم: قال الامام عليّ عليه‌السلام: «إن كنتم لا محالة متعصّبين فتعصّبوا لنصرة الحقّ و إغاثة الملهوف».

السّابعة: أن يستدلّ بقوله تعالى: «جزآؤ سيئة سيّئة مثلها» (الشّورى: ٤٠) على امور:

منها: يجوز لمن سيىء به أن يباشر بنفسه على اسائة المسيء بمثل ماسيء به ان كان قادراً على ذلك و لايجوز له أن يتجاوز عنه.

ومنها- إنّ الغاصب اذا تلف المغصوب ضمنه بمثله ان كان مثلياً و قيمته ان كان قيمياً.

ومنها: مَن حبس صانعاً بغير حق، ضمن اجرته و ان لم ينتفع به لكون الحابس ظالماً و مسيئاً و عادياً، فيشمله اطلاق الآية الكريمة و نحوها الّتي تدل على المقاصّة و العقاب بمثل ما ظُلِمَ و سيىء واعتدى، فالضّمان حينئذ لذلك لا للغصب الذّي لا يقتضيه باعتبار عدم كون المغصوب مالاً تتبعه منافعه و لو شرعاً في الدّخول تحت اليد و إسم الغصب و غيرهما، و أما غير الصّانع فيجب على المسيىء أن يرضيه لأن الحبس بغير حّق ظلم و إسائة من دون ريب، فيجوز للمظلوم أن يقتصّ.

و منها: يجوز لمن سيىء به أن يعفو عن المسيىء مالم يوجب العفو تجرّيء المسيء و اصراره على إسائته.

و منها: إنّ المراد بالعفو الممدوح فيما يتعلّق بالإسآئه إلى حق المظلوم في نفسه أو في عرضه، أو فى ماله و أمّا ما يتعلّق بحقوق الله تعالى و حدوده أو بحقوق الناس فليس لأحد من الحاكم و غيره أن يعفوعنها، فلا يجوز العفو عن المرتدّ و عمن يجرى مجراه.

و في المقام فروع كثيرة لايسعها المقام و نحن على جناح الإختصار، فعلى فقهاء

الكتاب و السّنّة ـ لافقهاء الأقاويل و كلمات المخلوق إستنباطها وبيانها...

الثامنة: أن يستدلّ بقوله جلّ و علا: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل» الشّورى: ٤١) على امور:

منها – يجوز للمظلوم إستيفآء حقّه حين إضاعة الحق إذا كان قادراً عليه من غير حكم حاكم، في طرف أو جرح أو مال ممّن يماطل، فيجوز له أخذ حقّه من القصاص و غيره من غير إذن حاكم و اثبات عنده و شهود، فلا إثم عليه و لا عتاب إذ لا يشترط فيه الحاكم كما قال بعض المتفقّهين من فقهآء الأقاويل و الكلمات ... لا فقهآء الكتاب و السّنّة.

و منها – لا يجوز لمؤمن أن يذلّ نفسه بترك الإنتصار ما لم يكن موجباً لندامة الظالم و لا انقلاعه عن ظلمه.

و منها – يجوز القصاص في النفس و الطّرف و الجروح، بل جواز التّعويض مطلقاً حتّى ضرب المضروب، و شتم المشتوم، و سبّ المسبوب بمثل فعلها، فيخرج ما لا يجوز التّعويض و القصاص فيه، مثل كسر العظام و الجرح و الضّرب في محلّ الخوف و القذف و نحو ذلك، و بقي الباقي.

و منها – لا يجوز للمظلوم التجاوز عن حقّه إلى غير حقّه، فيجب في الإقتصاص، الإقتصار على المثل، و عدم التجاوز عنه لقوله تعالى: «إنّه لا يحبّ الظّالمين».

و منها – إنّ من ظُلِمَ في نفسه أو فى عرضه أو في ماله ... فاستوفى حقّه، فليس لأحد من الظّالم و غيره أن يعاقبه أو يلومه في استيفآئه حقّه.

و منها – انّه لو اشترى أحد – عالماً – مالاً من غاصب، ضمن العين و المنافع... لكونه كالغاصب حكماً، فلمالك أن يرجع إلى أيّهما شآء في المطالبة بالعين أو بدلها و منافعها و صفاتها حتّى المتجدّد في يد المشتري منها لأنّ كلاًّ منهما مصداق «على اليد ما أخذت» فلمالك الإقتصاص من المشتري العالم كالغاصب.

و منها – يجوز للمظلوم أن ينتصر على يد سلطان عادل بأن يحمله اليه و يطالبه

بأخذ حقّه من الظّالم لأنّ السّلطان العادل هو الّذي يقيم الحدود، و يأخذ من الظّالم حقّ المظلوم، و ما لم يكن سلطان عادل، فيجوز للمظلوم أن ينتصر بغير عادل لأخذ حق من الظّالم على الأقوى ما لم يوجب فساداً آخر.

و منها - يجب على المؤمنين نصرة المظلوم إذا انتصر بهم في أخذ حقه.

في فروع الكافي - كتاب الجهاد - باب الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر - باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: «يكون في آخر الزّمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرّؤون و يتنسّكون حدثآء سفهآء، لا يوجبون أمراً بمعروف، و لا نهياً عن منكر إلاّ إذا أمنوا الضّرر، يطلبون لأنفسهم الرّخص و المعاذير، يتبعون زلاّة العلمآء و فساد عملهم، يقبلون على الصّلاة و الصّيام، و ما لا يكلمهم في نفس و لا مال، و لو أضرّت الصّلاة بسآئر ما يعملون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرآئض و أشرفها، إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرآئض، هنا لك يتمّ غضب الله عزّ و جلّ عليهم فيعمّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفّجار، و الصّغار في دار الكبار.

إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر سبيل الأنبيآءِ و منهاج الصّلحآءِ فريضة عظيمة بها تقام الفرآئض، و تأمن المذاهب، و تحلّ المكاسب، و تردّ المظالم، و تعمر الأرض، و ينتصف من الأعدآءِ و يستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم و ألفظوا بألسنتكم و صكّوا بها جباههم، و لا تخافوا في الله لومة لآئم، فان اتّعظوا و إلى الحقّ رجعوا، فلا سبيل عليهم «إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم».

هنالك فجاهدوهم بأبدانكم و أبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً و لا باغين مالاً و لا مريدين بظلم ظفراً حتّى يفيئوا إلي أمر الله و يمضوا على طاعته.

قال: و أوحى الله عزّ و جلّ إلى شعيب النّبيّ عليه‌السلام: أنّي معذّب من قومك مأة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، و ستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه‌السلام: يا ربّ هؤلآء

الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ و جلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي، و لم يغضبوا لغضبي»

قوله عليه‌السلام: «يتقرّؤون» أي يتعبّدون و يتزهّدون، أو يقرؤن القرآن الكريم و يعدّون أنفسهم من أهله، و هم ليسوا بأهله، و «إلاّ إذا أمنوا الضّرر» أي ما يزعمون ضرراً و ليس بضرر، و «ما لا يكلمهم» الكلم: الجرح أي لا يضرّهم، و «تأمن المذاهب» أي مسالك الدّين من بدع المبطلين أو الطّرق الظّاهرة أو الأعمّ منهما، و «يستقيم الأمر» أي أمر الدّين و الدّنيا، و «صكّوا بها جباههم» الصّكّ: الضّرب الشّديد، و «هنالك» أي حين لم يتّعظوا و لم يرجعوا إلى الحقّ، و «ظفراً» أي غير متوسّلين إلى الظّفر عليهم بالظّلم بل بالعدل، و «داهنوا أهل المعاصي» أي تركوا نصيحتهم و لم يتعرّضوا لهم و لم يمنعوهم من الذّنوب و المعاصي ...

التاسعة: أن يستدلّ بقوله تعالى: «يهب لمن يشآء اناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور» الشّورى: ٤٩) على وجوب البذل على الولد لوالده، و على جواز تناول الأب من مال ولده من دون إذنه. و يؤيّد ذلك ما:

في وسائل الشّيعة: -كتاب العتق باب ٦٧ حديث ١- بالإسناد عن الحسين بن علوان عن زيد بن عليّ عن آبآئه عن عليّ عليه‌السلام قال: «أتى النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم رجل فقال: يا رسول الله إنّ أبي عمد إلى مملوك لي فأعتقه كهيئة المضرة لي؟ فقال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: أنت و مالك من هبة الله لأبيك، أنت سهم من كنانته يهب لمن يشآء اناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور و يجعل من يشآء عقيماً، جازت عتاقة أبيك يتناول والدك من مالك و بدنك، و ليس لك أن تتناول من ماله و لا بدنه شيئاً إلاّ باذنه».

و في عيون الأخبار و العلل: باسناده عن محمد بن سنان: إنّ الرّضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: «و علّة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه، و ليس ذلك للولد لأنّ الولد موهوب للوالد في قوله عزّ و جلّ: «يهب لمن يشآء اناثاً و يهب لمن

يشآء الذّكور» مع أنّه المأخوذ بمؤنته صغيراً و كبيراً و المنسوب إليه و المدعوّله لقوله عزّ و جلّ: «ادعوهم لآبآئهم هو أقسط عند الله» و لقول النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم: «أنت و مالك لأبيك» و ليس للوالدة كذلك (و ليس الوالدة كذلك خ) لا تأخذ من ماله شيئاً إلاّ باذنه أو باذن الأب، و لأنّ الوالد مأخوذ بنفقة الولد، و لا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها»

أقول: و قد علّل الإمام عليه‌السلام لجواز أخذ الأب من مال ولده بغير إذنه بعلل ثلاث:

الاولى: أنّ الولد موهوب لوالده، و الإنسان مختار فيما يوهب له و يملكه بالهبة.

الثانية: أنّ الولد يدعى بأبيه، فيقال: فلان بن فلان و هو الشّائع المتعارف.

الثالثة: قول رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: «أنت و مالك لأبيك».

فيجوز للأب أن يتناول من مال إبنه، بدون إذنه من غير إسراف كتاباً و سنّة.

و قد استدلّ بعض المتفقّهين بقوله تعالى: «يهب لمن يشآء اناثاً و يهب لمن يشآء الذّكور ...» الشّورى: ٤٩-٥٠) على نفي وجود الخنثى بأنّ الله عزّ و جلّ قسّم الخلق إلى ذكر و انثى، فمن أين الخنثى؟

أقول: إنّ الآية الكريمة لا تنفي وجود الخنثى، و ذلك أنّ الله جلّ و علا قال أوّلاً: «لله ملك السّموات و الأرض يخلق ما يشآء» فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه لأنّ القدرة تقتضيه، و أمّا قوله تعالى: «يهب لمن يشآء اناثاً ...» فهذا إخبار عن الغالب في خلق الإنسان، و سكت عن ذكر النّادر لدخوله تحت عموم الكلام الأوّل، و أنّ الوجود يشهد له، و العيان يكذب منكره.

العاشرة: أن يستدلّ بقوله تعالى: «و ما كان لبشر أن يكلّمه الله الاّ وحياً أو من ورآءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشآء» الشّورى: ٥١) على أنّ مَن حلف ألاّ يكلّم رجلاً فأرسل إليه رسولاً أنّه حانث لأنّ المرسل قد سمّى فيها مكلّماً للمرسل إليه، و كذلك إذا كتب إليه كتاباً أو أشار إليه إشارة تدلّ على كلامه، حيث إنّ الكتاب و الإشارة في حكم الكلام على ما يستفاد من الآية الكريمة و ذلك أنّ الله تعالى قد بيّن أنّ تكليمه البشر على ثلاثة أنحآءٍ سواء أكان إطلاق التكليم عليها إطلاقاً حقيقيّاً أم مجازياً:

أحدها – الوحى إلي البشر. **ثانيها** – ما كان من ورآءِ حجاب. **ثالثها** – ما كان بارسال رسول.

فكل واحد منها نوع من تكليمه تعالى البشر، فمن مصاديق كلامه عزّ و جلّ ما يتلقّاه الرّسل عليهم سلام الله، منه بالوحى، و على هذا فلا موجب لعدّ الإستثنآءِ في قوله تعالى: «إلاّ وحياً» منقطعاً، بل الوحى و القسمان المذكوران بعده من تكليمه عزّ و جلّ للبشر، ولقد اجتمعت أنحآء الكلام لنبيّنا محمّد صلىاللّه عليه و آله و سلم.

و قد سبق في المقام كلام دقيق منّا في بحث التفسير و التأويل، و في تحقيق الأقوال و في البحث البيانيّ فراجع و اغتنم و لا تغفل.

و لا ريب أنّ القرآن الكريم كلّه كلام الله جلّ و علا نزل به الرّوح الأمين على قلب محمد رسول الله صلىاللّه عليه و آله و سلم لقوله تعالى: «و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله» التّوبة: ٦) «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعرآء: ١٩٣–١٩٤).

فيشمل التكليم الأنحاء الثّلاثة عند الإطلاق إلاّ ما خرج بالقرينة و الإستثنآء كقوله تعالى لمريم عليهاالسّلام: «فقولي إنّي نذرت للرّحمن صوماً فلن اكلّم اليوم إنسيّاً – فأشارت إليه» مريم: ٢٦–٢٩) و لزكريا عليه‌السلام: «آيتك ألاّ تكلّم النّاس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً» آل عمران: ٤١) أو ينوى الحالف بكلامه المواجهة في الخطاب.

فقول بعض فقهآءِ الأقاويل و كلمات المخلوق بعدم شمول التكليم للكتابة و الإشارة و الرّسول ... ليس بفقه كلام الخالق جدّاً فتدبّر جيّداً و لا تغفل عن فقه القرآن الكريم.

﴿بحث مذهبيّ﴾

و اعلم أنّ في سورة «الشورى» مباحث إعتقاديّة هامّة نشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الإختصار:

الأوّل: إنّ المجبّرة من الأشاعرة العامّة تشبّثت بقوله سبحانه: «و لو شآء اللـه لجعلهم امّة واحدة ...» الشّورى: ٨) على أنّ الايمان و الكفر، و الطّاعة و الطغيان ... كلّها بمشيّة الله، خارجة عن اختيار الإنسان.

أقول: و قد تقدّم في التفسير و التّأويل أنّ المراد بالمشيّة في الآية الكريمة هـي مشيّة إلجآءٍ لم يشأها الله سبحانه بشأن هذه الحياة الّتي هى دار تكليف و اختبار، الأمر الّذي لا يتناسب مع سوى الإختيار.

الثّاني: في تفسير الكشّاف في قوله تعالى: «و ما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله» الشّورى: ١٠) قال الزّمخشري: «و لا يندرج فيه إختلاف المجتهدين لأنّ الإجتهاد لا يجوز بحضرة الرّسول صلى‌الله‌ عليه و آله و سلم » و في تفسير النّيشابورى بعد ذكر كلام الزّمخشرى، قال: «قلت: إن لم يجز بحضرته صلى‌الله‌ عليه و آله و سلم فإنّه جآئز بعده –إلى أن قال–: بل يكون كلّ مجتهد مصيباً، كانت المخالفة في حكم الموافقة».

أقول: إذا كان لا يجوز الإجتهاد بحضرة رسول الله صلى‌الله‌ عليه و آله و سلم للزوم الإجتهاد مقابل النّص، فلماذا تخلّف أبوبكر بن أبي قحافة و عمر بن الخطّاب عن إمارة اسامة بن زيد، مع لعن رسول الله صلى‌الله‌ عليه و آله و سلم المتخلّفين عنها؟ و لماذا تخلّف

عمر بن الخطّاب عن أمر رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بالكتابة في احتضاره، و نسب عمر الهذيان إلى رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و هو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، أكان هذا إجتهاد عمر أو كان متخلّفاً عن أمر الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله وسلم؟!.

قال الله تعالى: «لا تجعلوا دعاء الرّسول بينكم كدعآءِ بعضكم بعضاً - فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» النّور: ٦٣).

أو لم تكن مخالفة أمر الله تعالى و رسوله صلى‌الله عليه و آله و سلم معصية؟ ولم تكن نسبة الهذيان إلى رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله و سلم إيذآءً وظلماً؟ قال الله عزّ وجلّ: «و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً - إنّ الّذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدّنيا و الآخرة و أعدّلهم عذاباً مهيناً» الأحزاب: ٣٦ و ٥٧) و قال: «ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً» هود: ١٨-١٩).

و لو لم تكن هذه الامور معصية و ايذاء و ظلماً لما كان للمعصية و الايذاء و الظلم مفهوم قطّ.

أيجوّز علمآء العامّة لنا أن ننسبهم إلى الهذيان؟ أيجوّزون لنا الإجتهاد في تكفيرهم و نحن على رأيهم مصيبون في اجتهادنا في التكفير؟؟؟

الثالث: إنّ قوله عزّ و جلّ: «ليس كمثله شيء» الشّورى: ١١) ردّ على المشبّهة و المجسّمة الّذين وصفوا الله سبحانه بذات ما سواه، قال أبو منصور البغدادى في كتابه: (الفرق بين الفرق ص ٣٧ ط مصر): «إنّ المشبّهة صنفان: صنف شبّهوا ذات الباري بذات غيره، و صنف آخر شبّهوا صفاته بصفات غيره و كلّ من هذين الصنفين متفرّقون إلى أصناف شتّى».

أقول: إنّ أحمد بن حنبل و من تبعه من الحنابلة و غيرهم كأبي الحسن الأشعرى و الوهّابية المدسوسة، قد وافقوا في التّشبيه كلا الصنفين راجع:

١- «الإبانة في اصول الدّيانة» للأشعرى.

٢- «الملل و النّحل: ج ١ ص ٩٢ و ٩٣و ١٠٣ و ١٠٨».

٣- «تاريخ الكامل: ج ٦ ص ٢٤٨».

٤- «تفسير الكشّاف: ج ١ ص ٣٠١».

٥- «منهاج السّنة: ج ٢ ص ٢٤٠-٢٧٨».

٦- «الرّسآئل الخمس المسماة بالهدية السّنية: ص ٩٧-٩٩».

٧- «الرسالة الخامسة: ص ١٠٥».

٨- «مجموعة الرّسآئل: ج ١ ص ٤٢٩».

فيستدل بالآية الكريمة على نفي الجسميّة و لوازمها عنه تعالى لأنّ الأجسام متماثلة في حقيقة الجسمانية، و ذلك أنّ الله عزّ و جلّ ليس كذاته شئ أو هو من باب الكناية لأنّه إذا نفى مثل مثله لزم نفى مثله، إذ لو بقى مثله لكان هو مثل المثل، فيلزم ثبوت المثل، و الفرض أنّه نفاه بتّاً. و أنّ الله سبحانه ليس بجسم و لا فيه شئ من خواصّ الأجسام، فلا يوصف بالأبعاد الثّلاثة: من طول و عرض و عمق، و لا هو ذو حركة و سكون و لا خفّة و لا ثقل و لا وزن و لا هو محدود بجهة و لا يحويه مكان، و إن كان لا يخلو منه مكان، و لا هو معروض الحوادث من الإجتماع و الإفتراق و الحضور و الغياب، و الإنتقال و الذّهاب و الإياب، فإنّ كلّ ذلك هو من ملزومات الجسميّة و هى عوارض حادثة، و الله تعالى قديم في ذاته و صفاته، متنزّه عن كلّ عروض أو حدوث ...

الرّابع: في متشابهات القرآن و مختلفه لا بن شهر آشوب المازندراني رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «شرع لكم من الدّين ما وصىّ به نوحاً ...» الشّورى: ١٣) قال: فالوصيّة دأب الأنبيآء وصّى آدم إلى شيث، و نوح إلى سام، و إبراهيم إلى اسمعيل، و إسمعيل إلى اسحق، و اسحق إلى يعقوب، و يعقوب إلى يوسف، و شعيب إلى موسى، و موسى إلى يوشع، و يوشع إلى داود،و داود إلى سليمان، و سليمان إلى آصف، و آصف إلى زكريّا، و زكريّا إلى عيسى، و عيسى إلى شمعون، و شمعون إلى يحيى، و يشهد بذلك الكتاب و السّنّة، فحال نبيّنا في ذلك لا يخلو إمّا أنّه مضى و لم يوص كما يقول العامّة، و هذا خطأ لأنّه صلى‌الله عليه و آله و سلم لا يخلّ بواجب قوله: «كتب عليكم إذا حضر

أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتّقين» البقرة: ١٨).

و لا يخالف الأنبيآء عليهم‌السّلام فيما لم ينه عنه. و قد قيل له صلى‌الله عليه و آله و سلم: «فبهداهم اقتده» الأنعام: ٩٠) و لا يترك ما كان يحثّ عليه حتّى قال: «من مات و لم يوص مات ميتة جاهليّة» ثمّ إنّه صلى‌الله عليه و آله و سلم كان يقيم رئيساً على امّته عند غيبته، خلّف عليّاً في مكّة عند الهجرة، و على المدينة في غزوة تبوك، و ولّى زيداً ثمّ جعفراً ثمّ عبدالله بن رواحة في سرية، و كذا كان شأنه في ساير سراياه، ففي سفر يرجى فيه إصلاح الفاسد عند الرّجوع راعى هذا الإحتياط، و في سفر القيامة أولى مراعاته.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم لقائه، و رضى له ما عنده، و أكرمه عن دار الدّنيا، و رغب به عن مقارنة البلوى فقبضه إليه كريماً صلى‌الله عليه و آله و سلم و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبيآء في امها، إذ لم يتركوهم هملاً: بغير طريق واضح، و لا علم قائم».

و أمّا قول من قال: إنّه أوصى إلى عليّ بالسّيف و الرّداء و البغلة فحسب باطل لأنّه لا يجوز أن يوصى بشيء دون شيء، و يترك الأمر العظيم المتعلّق به الدّين و الدّنيا و الآخرة و هو الخلافة، و إذا بطل القسمان لم يبق إلاّ أنّه صلى‌الله عليه و آله و سلم وصّى إلى عليّ و أولاده عليهم‌السّلام وصيّة عامّة شاملة للدّين و الدّنيا كما نطق به الكتاب و السّنّة والإجماع» إنتهى كلامه.

و قوله تعالى: «أن أقيموا الدّين» إشارة إلى فرقة واحدة ناجية، و «لا تتفرّقوا فيه» إشارة إلى إفتراق أهل الأهواء و البدع على ثنتين و سبعين فرقة كلّهم في النّار.

الخامس: تشبّثت المجبّرة من الأشاعرة العامّة بقوله سبحانه: «لا حجّة بيننا و بينكم» الشّورى: ١٥) على أنّه يدلّ على أن لا حجّة على الكفّار و المشركين، و على الفجّار و المستكبرين، و على الفسّاق و المجرمين ... و على أنّهم معذورون على الكفر و الطغيان، و على البغي و العصيان، و على الإثم و العدوان ... لأنّ الله هو الفاعل لأفعال البشر، و لا

مؤثّر إلاّ هو، فلابدّ و أن يكون مريداً لما يقع من الكفر و المعاصي الّتي هي مراد الشّياطين، و مراد الشّياطين مكروه للأنبيآءِ عليهم السّلام و قد أراد الله منهم ما هو مكروه للأنبيآء، و ما أراده الأنبيآء من الطّاعات لم يردها الله في الشّياطين و الفجّار ... إذ أمر الله بكثير مما كرهه، و نهى عمّا أراد. راجع إلى (تفسير الرّازى: ج ١ ص ١٤٢) و كتاب (الفصل: ج ١ ص ١٤٢) لا بن حزم و (شرح العقائد) و في (حاشيته: ص ١٠٩-١١٣) للكستلي.

أقول: إنّ الآية الكريمة بصدد بيان أنّ الحجّة قد تمّت على الكفّار و المجرمين أجمعين «قل فلله الحجّة البالغة» الأنعام: ١٤٩) حيث ظهر الحق بيننا و بينكم و لم يبق ما لا تعلمونه لنحتجّ به عليكم سوى العناد و اللجاج، و من ثمّ فإنّا نكفّ عنكم الآن لنلتقي جميعاً على صعيد القيامة، فيحكم الله تعالى بيننا و بينكم كما تدل الآية على هذا المعنى إذ قال: «لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجّة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير و الّذين يحاجّون في الله ...» الشّورى: ١٥-١٦) و قال: «و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآئنا و الله أمرنا بها قل إنّ الله لا يأمر بالفحشآء أتقولون على الله ما لا تعلمون» الأعراف: ٢٨).

السّادس: في تفسير التبيان في قوله تعالى: «الله الّذي أنزل الكتاب بالحق» قال الشيخ الطوسي قدّس سرّه: «فقوله: «بالحقّ» فيه دلالة على بطلان مذهب المجبّرة: بأنّ الله أنزله ليكفروا به و أراد منهم الضّلال و العمل بالباطل».

السّابع: أن يستدلّ بقوله تعالى: «ترى الظّالمين مشفقين مما كسبوا و هو واقع بهم» الشّورى: ٢٢) على تجسّم الأعمال ...

الثّامن: في تفسير النيشابورى في قوله عزّ و جلّ: «و الذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات» الشّورى: ٢٢) قالت الأشاعرة: «فيه دليل على أنّ غيرها من الأماكن في الجنّة لغير المذكورين، و غيرهم ليس إلاّ الّذي آمن و لم يعمل صالحاً و هو الفاسق» قال النّظام: «و لقآئل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون إضافة الرّوضات إلى الجنّات من إضافة العامّ إلى الخاصّ، فيكون الجنّات كلّها روضات».

أقول: إنّ الله تعالى قد صرّح بأنّ الفاسق لا يكون مؤمناً، و أنّ الله تعالى لا

يهدى الفاسق، و لا يرضى عنه، و المنافق هو الفاسق، و الفاسق هو الكافر يوم القيامة و هو لن يدخل الجنّة و مأواه نار جهنّم خالداً.

قال الله عزّ و جلّ: «كذلك حقّت كلمت ربّك على الّذين فسقوا أنّهم لا يؤمنون» يونس: ٣٣).

و قال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً - و أمّا الّذين فسقوا فمأواهم النّار كلّما أراد وا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها» السّجدة: ١٨-٢٠).

و قال: «و الله لا يهدي القوم الفاسقين - إنّ المنافقين هم الفاسقين - فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين» التّوبة: ٢٤ و ٦٧ و ٩٦).

التّاسع: أن تستدلّ الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة بقوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣) على عصمة الأنبياء و الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين عن المعاصي صغيرها و كبيرها، و عن كلّ ما يستخفّ و ينفّر لأنّهم محلّ وحي الله تعالى و حفظة شرعه، و أنّ النّجاة تحصل بامتثال أوامرهم القولية و الفعلية، و أنّ وجوب المودّة يستلزم وجوب الطّاعة، و أنّ المودّة المطلوبة في القربى ليست إلاّ معرفة فضلهم الّذى أوجبه الله تعالى، فإنّ المودّة على قدر معرفة الفضل و الإطاعة لهم بما أمر الله تعالى و رسوله صلى‌الله عليه و آله و سلم به، و أنّهم طريق معرفة الله و السّبيل إلى رضوانه، فلا بدّ لهم العصمة لئلاّيقع من يتّبعهم في الخطأ و الزّلّة.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام : «و إنّي لعلى بيّنة من ربّى، و منهاج من نبيّي، و إنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لقطاً، انظروا أهل بيت نبيّكم فألزموا سمتهم و اتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى و لن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، و لا تسبقوهم فتضلّوا و لا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

هذا مذهب الشّيعة خلافاً للمعتزلة الّذين يجوّزون على الأنبيآءِ و المرسلين الصّغآئر، و للأشاعرة الّذين يجوزون عليهم الكبآئر ...

العاشر: إنّ قوله تعالى: «و لو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض»

الشّورى:۲۷) ردّ على مذهب إلغآءِ المالكيّة الفرديّة، و تساوى حقوق أفراد المجتمع، إذ لو كانوا كلّهم متساوين في المالكيّة و الإنتفاع لا ختلّ العمران إذ ما كان عندئذ رئيس و لا مرؤوس، و لا تاجر و لا زارع، و لا نعّال و لا بقّال ... و قد اشتبه على بعض المتجدّدين الحمقآء، و متنوّرى الأفكار الجهلاء تساوى الحقوق بحفظ الحقوق، فما يحفظه الدّين هو حفظ حقوق الأفراد كلّها لا تساويها و يقول: «و أن ليس للإنسان إلاّ ماسعى» النجم: ۳۹) فلكلٍ على قدر سعيه المشروع.

الحادى عشر: إنّ في قوله تعالى: «و هو على جمعهم» الشّورى: ۲۹) دلالة على حشر جميع الخلائق من أهل السّموات و الأرض يوم القيامة، من الملائكة و الإنسان و الجنّ و الحيوان و غيرهم ممّا لا نعلم من الخلآئق ... إذ قال: «و ما بثّ فيهما من دابّة».

الثانى عشر: أن يستدلّ بقوله تعالى: «إذا يشآء قدير» الشّورى: ۲۹) على حدوث المشيئة لأنّه لا يجوز إذا قدر على شئ فعله، و لا إذا علم شيئاً فعله، و يجوز إذا يشآء أن يفعل شيئاً فعله، فالقدرة و العلم ليس كل واحد منهما سبباً تامّاً لفعل شئ من دون مشيئة.

الثالث عشر: في قوله عزّ و جلّ: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» الشّورى: ۳۰) أمران:

أحدهما – قال أهل التّناسخ: لو لا أنّ الأطفال و البهآئم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألّموا، إذ لا ذنوب لهم الآن!

اجيب عنه بأجوبة: **منها** – أنّهم لا يتألّمون من المصائب و الآلام ...

و منها – أنّ الخطاب لذوي العقول البالغين، و بأنّها في البالغين عقوبة أو زيادة درجة و في الأطفال و المجانين مثوبة لهم أو لوالديهم.

و منها – أنّ الخطاب لعامّة النّاس من المؤمن و الكافر، و المراد بما كسبته أيديهم، المعاصي و الآثام دون مطلق الأعمال، و المراد بالمصائب الّتى تصيبهم إنّما هي آثار الأعمال في الحياة الدّنيا لما بين الاعمال و آثارها من الإرتباط و التّداعي دون جزآءِ الأعمال ... و بذلك يندفع ما يستشكل على عموم الآية بالمصائب النّازلة على الأنبيآء و

الأوصيآء صلوات الله عليهم أجمعين و هم معصومون لامعصية لهم، و بالمصآئب النّازلة على الأطفال و المجانين و هم غير مكلّفين بتكليف فلا معصية لهم، فيجب تخصيص الآية بمصائب المعصومين، و مصآئب الأطفال و المجانين ...

وجه الإندفاع أنّ إثبات المعصية لهم في قوله: «فبما كسبت أيديكم» دليل على أنّ الخطاب في الآية الكريمة لمن تصدر المعصية عنه، فلا يشمل المعصومين غير المكلّفين من رأس، فعدم شمول الآية من باب التّخصّص دون التخصيص.

أقول: و قد أوردنا روايات عديدة عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في معنى الآية الكريمة فراجع.

الأمر الثاني: إنّ في الآية الكريمة ردّاً على الجبريّة لأنّ الله تعالى أثبت الفعل للإنسان بمباشرته إيّاه و قيامه به مختاراً و إن كان بحوله تعالى و قوّته كمن أخذ رأس مال من أحد، فله أن يتّجربه و يربح، و أن يهمل أو يسرف فيذهب به، و ردّ على القدريّة لأنّ الفعل مسلوب عن الإنسان من حيث هو هو لأنّ وجوده إذا قطع النّظر عن ارتباط بوجود الخالق فهو باطل، لا حول و لا قوّة له، فكذلك فعله إذ كلّ فعل متقوّم بوجود فاعله، فما تكسب يد الإنسان المختار إلاّ بالله لا من دون الله، فيكون و هناً في سلطانه، و لا مع الله فيكون شريكاً لله سبحانه، فبيد الإنسان طاعة الله و معصيته إلاّ أنّه لا حول عن المعصية، و لا قوّة على الطّاعة إلاّ بالله تعالى. و هذا معنى قول الإمام عليه‌السلام: «لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين».

في الكافي: قيل لعليّ بن موسى الرّضا عليه‌السلام: «الله فوّض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعزّ من ذلك، قيل: فجبرهم على المعاصي؟ قال: الله أعدل و أحكم من ذلك، ثمّ قال عليه‌السلام: قال الله تعالى: يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، و أنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصى بقوّتي الّتي جعلتها فيك».

أقول: إنّ المراد بأولوية الله تعالى بالحسنات، أنّه عزّ و جلّ أمر بها، و وعد الثّواب عليها، و وهب القوّة لها، و وفّق لها، و أنّ الكمالات و الخيرات و الفضآئل راجعة إلى الوجود و هو منه جلّ و علا، و المراد بأولويّة العبد بالسيّئات أنّ الله تعالى نهى عنها،

و أوعد العقاب عليها، و وهب القوّة ليصرفها في الطّاعات فصرفها في الذّنوب و الآثام ... فالظّلم و الزّنا و الفساد في الأرض و البؤس و الضّعف و الإنحطاط من الأنظمة الجائرة و الأوضاع الفاسدة ليست من صنع الله سبحانه و لا من شريعته الحنيفة السّمحة الّتي لا حرج فيها و لا ضرر.

الرّابع عشر: تشبث الأشعرى و أذنابه من المشبّهة و المجسّمة بقوله تعالى: «و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من ورآءِ حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى باذنه ما يشآء» الشّورى: ٥١) على أنّ الله سبحانه كائن في جهة «فوق» مستوياً على عرشه فوق أطباق الثرى، و أنّه ينزل و يصعد و يتحرك من مكان إلى مكان، فيحويه مكان و يخلو منه مكان.

أقول: إنّ الآية الكريمة لا تدلّ على أنّه سبحانه منحاز عن خلقه انحيازاً بالمكان و الجهة ليكون هو في جهة أو بقعة، و الخلق في جهة و في رقعة اخرى من هذا العالم الفسيح كلاّ! إنّما هو حجاب ذاتى لما بين الواجب عزّ و جلّ و سآئر الممكنات من بينونة ذاتيّة لا سنخيّة بينهما و لا تجانس. ذاك كمال مطلق في علوّ العزّ و شرف الغنى و الإقتدار، و هذا غاية في النقص و العجز و الإفتقار فالحجاب معنويّ لبعد الفاصلة بين كمال الواجب و نقص الممكن.

و قد قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «إحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، و عمّن في السّمآءِ إحتجابه كما عمّن في الأرض غيابه».

و زعم الشّعبي أنّه سمع أميرالمؤمنين عليه‌السلام رجلاً يقول: و الّذي احتجب بسبع طباقاً فعلاه بالدّرة، ثمّ قال له: و يلك إنّ الله أجلّ من أن يحتجب عنه شيء، سبحان من لا يحويه مكان و لا يخفى عليه شئ في الأرض و لا في السّمآءِ فقال الرّجل: أفاكفر عن يمينى؟ قال: لا لم تحلف بالله فيلزمك كفّارة و إنّما حلفت بغيره».

و هنا آرآء للفصحاءِ و المفسّرين، و الادبآء و المحدّثين و الحكمآء و المتكلّمين ...

منها – إنّ هذا مثل لأنّه إذا سمع الصّوت و لا يرى الشّخص كان بمنزلة ما يسمع

من وراء حجاب كما كلّم موسى عليه السلام و يكلّم الملائكة.

و منها- هذا حجاب عن إدراك ذلك الكلام لا المتكلّم.

و منها- هذا حجاب لموضع الكلام.

و منها- ما قال الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه في (المسائل العكبرية - المسئلة السّادسة و العشرون): «إنّ الوحى الّذي عناه الله تعالى في هذه الآية ما سمعه الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم بغير واسطة، و المسموع من وراءِ الحجاب هو الكلام الّذي تؤدّيه الوسآئط إلى الرّسل و البشر من غيرهم، و ليس الحجاب المعنيّ في هذه الآية هو الشّىء الّذي يستر المتكلّم عمّن كلّمه، و يحول بينه و بين مشاهدته كما ظنّه السّائل، لكنّه ما وصفناه من الرّسل والوسآئط بين الخلق و بين الله تعالى فشبّههم بالحجاب الّذي يكون بين الإنسان و بين غيره عند الكلام، فيسمعه من ورآئه و لا يرى المتكلّم من أجله، و العرب تستعير للتشبيه و التمثيل، و لا تضع ذلك موضع الحقآئق إذ لو وضعته موضع الحقيقة لم تكن مستعيرة للأمثال، و قد قال الله عزّ إسمه: «و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلاّ العالمون» العنكبوت: ٤٣).

و أمّا قوله - السّآئل -: كيف صورة الكلام؟

فالكلام أيضاً ممّا لا صورة له لأنّه عرض لا يحتمل التأليف، و الصّورة هى ذات التأليف غير أنّاأراه أراد بالصّورة الحقيقة، فحقيقة الكلام عندنا الأصوات المقطّعة ضرباً من التقطيع يفيد المعاني الّتي نقصدها دون الأعراض، و هو محتاج إلى محلّ يقوم به كحاجة غيره من الأعراض، و ليس يكون المحلّ هو المتكلّم، بل المتكلّم هو فاعل الكلام، كما أنّه ليس يكون المتفضّل محلّ التفضّل، بل المتفضّل فاعل التفضّل بلا ارتياب» إنتهى كلامه.

و منها- ما في أمالي السّيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه فقال: «ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب، و ليس فيها أنّه حجاب له تعالى، و لمحل كلامه أو لمن يكن يكلّمه، و إذا لم يكن في الظّاهر شئ من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره عزّ و جلّ ممّا يجوز أن يكون محجوباً، فقد يجوز أن يريد تعالى بقوله: «أو من ورآء حجاب» أنّه يفعل

كلاماً في جسم محتجب عن المتكلّم غير معلوم له على سبيل التّفصيل، فيسمع المخاطب الكلام، و لا يعرف محلّه على طريق التّفصيل، فيقال على هذا: هو متكلّم من ورآءِ حجاب» إنتهى كلامه.

و غير ذلك من الآرآء سبق بعضها في تحقيق منّا في الأقوال من هذه السّورة فراجع.

الخامس عشر: أن يستدلّ بقوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب» الشّورى: ٥٢) على أنّ من شرآئط النّبوّة أن لا يكون النّبيّ متعلّماً من أحد، و لا متلمّذاً لدى استاذ قبل نبوّته، و يعبّر عن علمه بالعلم اللّدني.

في نهج البلاغة: - في وصف الأنبيآء عليهم السّلام - قال الإمام عليّ عليه‌السلام: «فاستودعهم في أفضل مستودع، و أقرّهم في خير مستقرّ تناسختهم كرآئم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى منهم سَلَفٌ قام منهم بدين الله خَلَفٌ، حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم».

و فيه: قال عليه‌السلام - في وصف رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم -: «و لقد قرن الله به صلى‌الله عليه و آله و سلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك بهم طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره».

السّادس عشر: تشبّث بعض المنحرفين بقوله تعالى: «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» الشّورى: ٥٢) على أنّ محمّداً صلى‌الله عليه و آله و سلم ما كان قبل رسالته مؤمناً بدين.

أقول: و قد سبق آنفاً من كلام الإمام عليّ عليه‌السلام ما يدفع به هذا التشبّث، و قد تقدّم كلام في البحث البياني و تحقيق في الأقوال، و في التفسير و التأويل أنّ المراد بنفي العلم و الايمان إنّما هو نفي علمه صلى‌الله عليه و آله و سلم بتفاصيل الشّريعة و جميع جزئياتها، و قد كان محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم مومناً موحّداً حقاً حين نشأته إلى بعثته، عالماً با جمال الشريعة قبل الرّسالة. قال الله تعالى: «الذي يراك حين تقوم و تقلّبك في السّاجدين» الشّعرآء: ٢١٨-٢١٩).

السّابع عشر: تشبّث من يرى أنّ في القرآن الكريم تناقضاً بقوله تعالى: «و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم» الشّورى: ٥٢) و قوله عزّ و جلّ: «إنك لا تهدي من أحببت و لكنّ الله يهدى من يشآء» القصص: ٥٦) أو ليس هذا إلاّ تناقضاً؟

أقول: إنّ المراد بالهداية في آية الشّورى هى الدّلالة و الإرشاد المصطلح عنها بالهداية التشريعيّة الّتي هى وظيفة النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم الواجبة عليه كما أشار إليها في هذه السّورة بقوله عزّ و جلّ: «و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر امّ القرى و من حولها - فلذلك فادع و استقم كما امرت - فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ» الشّورى: ٧ و ١٥ و ٤٨) فالرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم مسئول عن تبليغ الدّعوة و البيان، و هذه هداية عامّة شاملة لجميع النّاس على مختلف الأمم و الطّوائف ...

و أمّا الهداية الّتي ينفيها تعالى عن نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم فهي منحة إلهيّة خاصّة للّذين يجاهدون في الله جلّ و علا، فيهديه سبيله: «الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» العنكبوت: ٦٩) المصطلح عنها بالهداية التكوينية الخاصّة أشار إليها بقوله تعالى: «و لكن جعلناه نوراً نهدى به من نشآء من عبادنا» الشّورى: ٥٢).

و بذلك يرتفع التّنا في بين آية القصص: ٥٦) و آية الشّورى: ٥٢) كما يحصل بذلك التّوفيق بين كثير من آيات كانت ظاهرها متخالفة فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تغفل.

«تحقيق عميق في معاني المودّة و القربى»

قال الله جلّ و علا لرسوله الخاتم صلى‌الله عليه و آله و سلم : «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣).

ينبغى لنا قبل الخوض في نزول الآية الكريمة، و البحث فيها عقلاً و نقلاً أن نذكر معنى المودّة و القربى و مفاهيمها في القرآن الكريم و الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و في كلمات العرب:

المودّة: و اعلم أنّ المستفاد من موارد استعمال هذه الكلمة فيما تقدّم أنّ معناها مركّب من المحبّة و الصّداقة، لو حظ فيه الإعتقاد، فليس ببسيط، إذ لا تكون المحبّة من دون صداقة مودّة، فمن يتظاهر لأحد بالمحبّة، و في قلبه بغض أو حقد أو عداوة أو لا تكون عن صداقة و اعتقاد، فليست هى مودّة و إن كانت محبّة، فبينهما عموم مطلق كالانسان و الحيوان إذ كلّ مودّة محبّة و ليس كلّ محبّة مودّة.

في المفردات: «مودّة الله لعباده هى مراعاته لهم. و في المودّة الّتي تقتضي المجرّدة في قوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و قوله: «هو الغفور الودود - إنّ ربّي رحيم ودود» فالودود يتضمّن ما دخل في قوله: «فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم و يحبّونه» فمحبّة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، و محبّة العبد له طلب الزلفىٰ لديه. الودّ: محبّة الشّيء و تمنّي كونه، و يستعمل في كلّ واحد من المعنيين على أنّ التّمنّي يتضمّن معنى الودّ لأنّ التمنّي هو تشهّي حصول ما تودّه».

و في القاموس و شرحه: الودّ و الوداد: الحبّ و الصّداقة، ثمّ استعير للتّمنّي، و قال ابن سيده: الودّ: الحبّ يكون في جميع مداخل الخير، و المودّة - بالفتح - من أسمآءِ الآلات، فاستعماله في المصادر شاذّ و الودّ - بالكسر -: الصّديق. فالله تعالى مودود أي محبوب في قلوب أوليآئه.

و في النّهاية: و في حديث الحسن: «فإن وافق قول عملاً فآخـه و أودِدْه» أي أحببه و صادقه.

و في اللسان:و في الحديث: «عليكم بتعلّم العربيّة فانّها تدلّ على المروءة و تزيد في المودّة» يريد مودّة المشاكلة.

و في مجمع البحرين: و في الحديث: «المودّة قرابة مستفادة».

و في وسآئل الشّيعة: -كتاب الحجّ باب ٢٩ من أبـواب أحكـام العـشرة - بالإسناد عن موسى بن بكر عن أبي الحسن عليه السلام قال: «التودّد إلى النّاس نـصف العقل».

و فيه: بالاسناد عن سليمان بن داود بن زياد التّميمي عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليهما السّلام: «القريب من قربته المودّة و إن بعد نسبه، و البعيد من بعدته المودّة و إن قرب نسبه، لا شيءَ أقرب إلى شيءٍ من يد إلى جسد، و إنّ اليد تغلّ فتقطع، و تقطع فتحسم».

و في المحاسن: عن أبي البلاد أنّ رجلاً قال لأبي جعفر عليه السلام : «إنّي لأحبّ هذا الرّجل، فقال له أبو جعفر عليه السلام : فأعلمه فإنّه أبقى للمودّة و خير في الالفة».

و في اصول الكافي: باسناده عن أبي المأمون الحارثي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما حق المؤمن على المؤمن؟ قال: «إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدرة ...» الحديث.

و في الفقيه: باسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصّادق عليه السلام قال: قـال رسول الله: «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عزّ و جلّ: الإجلال له في غيبته، و الودّ له في صدره ...» الحديث.

و في غررالحكم و دررالكلم: كلمات قصار عن مولى الموحّدين إمام المـتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام حول المودّة فنشير إلى ما يسعه المقام و نحن على جناح الإختصار لما فيها من المعارف و الحكم، و انكشاف حقيقتها:

۱- «المودّة أقرب رحم».

۲- «أقرب القرب مودّات القلوب».

۳- «المودّة في الله آكد من و شيج الرّحم».

٤- «كلّ مودّة مبنيّة على غير ذات الله سبحانه ضلال، و الإعتماد عليها محال».

٥- «من كانت صحبته في الله كانت صحبته كريمة و مودّته مستقيمة».

٦- «من لم تكن مودّته في الله فاحذره فإنّ مودّته لئيمة و صحبته مشومة».

۷- «وادّوا من توادّونه في الله سبحانه و أبغضوا من تبغضونه فى الله سبحانه».

۸- «الإخوان في الله تعالى تدوم مودّتهم لدوام سببها».

۹- «مودّة ذوي الدّين بطيئة الإنقطاع، دآئمة».

۱۰- «أصدق الإخوان مودّة أفضلهم لإخوانه في السّرّآءِ مساواة، و في الضّرّاء مواساة».

۱۱- «إذا وثقت بمودّة أخيك فلا تبال متى لقيته و لقيك».

۱۲- «إذا ثبت الودّ وجب التّرافد و التّعاضد».

۱۳- «في الضّيق و الشّدّة يظهر حسن المودّة».

١٤ـ «من خلصت مودّته إحتملت دالّته».

١٥ـ «من حسنت مثوبته و طابت عيشته و جبت مودّته».

١٦ـ «المودّة تعاطف القلوب في ائتلاف الأرواح».

١٧ـ «إيّاك أن تخرج صديقك إخراجاً يخرجك عن مودّتك».

۱۸- «خير الإختيار موادّة الأخيار».

۱۹- «إنّ المودّة يعبّر عنها اللسان، و عن المحبّة العيان».

۲۰- «غاض الصّدق في النّاس، و فاض الكذب، و استعملت المودّة باللسان، و

تشاحنوا بالقلوب».

٢١- «ما أخلص المودّة من لم ينصح».

٢٢- «مودّة العوام تنقطع كانقطاع السّحاب و تنقشع كما تنقشع السّراب».

٢٣- «لا يغبط بمودّة من لا دين له».

٢٤- «لا تدوم على عدم الإنصاف المودّة».

٢٥- «حسد الصّديق من سقم المودّة».

٢٦- «لا تمنحنّ و دّك من لا وفآء له».

٢٧- «لا تعتمد على مودّة من لا يوفى بعهده».

٢٨- «لا مودّة لحقود».

٢٩- «إيّاك و مودّة الأحمق فانّه يضرّك من حيث يرى أنّه ينفعك».

٣٠- «مودّة الأحمق كشجرة النّار يأكل بعضها بعضاً».

٣١- «مودّة أبنآءِ الدّنيا تزول لأدنى عارض يعرض».

٣٢- «مودّة الحمقى تزول كما يزول السّراب و تقشع كما تقشع الضّباب».

٣٣- «مودّة الجهّال متغيّرة الأحوال، و شيكة الإنتقال».

٣٤- «أسرع المودّات انقطاعاً مودّات الأشرار».

٣٥- «ربّ متودّ متصنّع».

٣٦- «من وادّك لأمر و لّى عند انقضآئه».

٣٧- «لا يودّ الأشرار إلاّ أشباههم».

و في وجوه القرآن: إنّ المودّة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها - المحبّة الدّنيوية يعيش بها الأزواج كقوله تعالى: «و جعل بينكم مودّة» الرّوم:٢١) يعنى محبّة في الدّنيا.

ثانيها - الصّلة و الرّبط القلبي كقوله عزّ و جلّ: «إلاّ المودّة في القربى» الشّورى:٢٣) يعني إلاّ الصّلة في القربى.

ثالثها - المحبّة الاخروية الدّينية كقوله جلّ و علا: «كأن لم يكن بينكم و بينه

مودّة» النسآء: ۷۳) يعني المحبّة في الدّين.

رابعها - النّصيحة و طلب على سبيل الكيد و الحيلة كقوله تعالى: «تلقون إليهم بالمودّة» الممتحنة: ۱) على طريق المكر إما باعطآءِ الدّراهم و الدّنانير، و إمّا باظهار المحبّة مع إبطان البغض و العداوة على المؤمنين حيث إنّ العداوة من لوازم الكفر على المؤمن و إن كان غافلاً عنها.

من كلام أفلاطون: «ليس تسلم مودّة متعاملين حتّى تكون رغبتهما في الصّداقة أكثر من رغبتهما في المعاملة».

و من كلام أرسطو طاليس: «التودّد هيئة هى مستعدّة لحسن الفعل بايتآءِ الحسن».

و قال بعض الأُدبآءِ: «الفرق بين المحبّة و الصّداقة أنّ الصّداقة قوّة المودّة مأخوذة من الشّيء الصّدق و هو الصّلب القويّ».

و قال بعضهم: «الصّداقة إتّفاق القلوب على المودّة».

و أمّا القربى: ففى تهذيب اللغة: القرابة و القربى: الدّنوّ في النّسب، و القربىٰ في الرّحم و هى في الأصل مصدر.

و في المفردات: «القرب و البعد يتقابلان، و يستعمل ذلك في المكان و الزّمان، و في النّسبة ... و في النّسبة نحو: «و إذا حضر القسمة اولوا القربى» و «لذي القربى».

«نزول آية المودّة في القربى عند العامة»

قال الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣) و لقد وقفت إلى الآن نحو: (٣٠٠) كتاباً من كتب العامّة المعتبرة عند أعلامهم و حملة أسفارهم: أنّ آية المودّة نزلت في قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و هم عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين، فنشير إلى نبذة منها ما لا يملّ القارىء الفحّاص المنصف إتماماً للحجّة عليهم روماً للإختصار:

١- روى احمد بن حنبل في كتاب (الفضآئل ص ١٨٧ ط ١ حديث ٢٦٣ من باب فضآئل أمير المؤمنين عليه‌السلام) باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلآء الّذين و جبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمة و ابناهما عليهم‌السّلام.

رواه جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم:

منهم: أبو نعيم الإصبهاني في كتاب (النّور المشتعل: ص ٢٠٧ ط وزارة الإرشاد الإسلامي سنة ١٤٠٦ هـ ق).

و منهم: الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٣٠ ط بيروت سنة ١٣٩٣ هـ ق)

و منهم: ابن المغازلي في كتاب (المناقب ص ٣٠٧ حديث ٣٥٢).

و منهم: الطبراني في (المعجم الكبير: ج ٣ الورق ٣٩ و ١٥٢) و (ج ١ الورق ٣١

تحت الرّقم: (۲٦٤۱).

و منهم: الخفاجی الحنفي في كتاب (تفسير آية المودّة: ص ۳۱ ط ايران سنة ۱٤۱۲هق).

و منهم: محب الدين الطبرى في (ذخائر العقبي: ص ۲٥ و ۱۳۸).

و منهم: الطبرى في تفسيره: (جامع البيان: ج ۲٥ ص ۱٤ و ۱٥ ط الميمنية) و (ج ۲٥ ص ۲٥ ط ۲).

و منهم: الزّمخشري في تفسيره: (الكشّاف: ج ۳ ص ٤۰۲ ط مصطفى محمد) و (ج ٤ ص ۲۲۰ ط بيروت).

و منهم: الفخر الرّازى في تفسيره: (مفاتيح الغيب: ج ۷ ص ٤۰٥ - ٤۰٦ ط الدّار العامرة) و (ج ۲۷ ص ۱٦٦ ط عبدالرّحمن محمد).

و منهم: البيضاوى في تفسيره: (أنوار التنزيل: ج ٤ ص ۱۲۳ ط مصطفى محمد) و (ج ٥ ص ٥۳ ط بيروت و ص ٦٤۲ ط العثمانية)

و منهم: ابن كثير الدمشقي في (تفسيره: ج ٤ ص ۱۱۲ ط ۲ مطبعة مصطفى محمد بمصر).

و منهم: الهيثمى في (مجمع الزّوآئد: ج ۷ ص ۱۰۳ و ج ۹ ص ۱٦۸).

و منهم: القرطبي في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن: ج ۱٦ ص ۲۲).

و منهم: الشّوكاني في تفسيره: (فتح القدير: ج ٤ ص ٥۳۷).

و منهم: أبو الطّيب الهندى في تفسيره: (فتح البيان في مقاصد القرآن: ج ۸ ص ۳۷۲).

و منهم: السّيوطي الشافعي في (الدّرّ المنثور: ج ٦ ص ۷).

و منهم: ابن حجر في (الصّواعق المحرقة ص ۱۰۱ و ۱۳٥ و ۱۳٦ ط الميمنية و ص ۱٦۸ و ۲۲٥ ط المحمدية).

و منهم: النّسفي في تفسيره (ج ٤ ص ۱۰٥).

و منهم: ابن طلحة في (مطالب السئول: ص ۸ ط طهران) و (ج ۱ ص ۲۱ ط

النّجف).

و منهم: ابن الصّبّاغ المالكي في (الفصول المهمّة: ص ١١-١٢).

و منهم: الكنجي الشّافعي في (كفاية الطّالب: ص ٩١ و ٩٣ و ٣١٣ ط الحيدرية و ص ٣١ و ٣٢ و ١٧٥ و ١٧٨ ط الغرى).

و منهم: الخوارزمى في (مقتل الحسين: ج ١ ص ١ و ٥٧).

و منهم: الشّبراوى في (الاتحاف بحبّ الأشراف: ص ٥ و ١٣).

و منهم: السّيوطي في (إحياء الميّت) بهامش (الإتحاف: ص ١١٠ و ٢٣٩).

و منهم: أبو حيّان الاندلسي في تفسيره: (البحر المحيط: ج ٧ ص ٥١٦ ط مصر بمطبعة السّعادة).

و منهم: الشّبلنجي في (نور الأبصار: ص ١٠٢ ط السّعيدية و ص ١٠٦ ط العثمانية).

و منهم: الذّهبي في (تلخيص المستدرك) المطبوع بذيل (المستدرك للحاكم: ج ٣ ص ١٧٢).

و منهم: الصّبّان في (الإسعاف) في هامش (نور الأبصار: ص ١٠٥).

و منهم: القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة: ص ١٠٦ و ١٩٤ و ٢٦١ ط إسلامبول) و (ص ١٢٣ و ٢٢٩ و ٣١١ ط الحيدرية) و (ج ١ ص ١٠٥) و (ج ٢ ص ١٩ و ٨٥ ط صيدا).

و منهم: أبو نعيم الإصبهاني في (حلية الأوليآء: ج ٣ ص ٢٠١).

و غيرهم تركناهم للإختصار.

٢- روى الحاكم في (المستدرك: ج ٣ ص ١٧٢ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: خطب الحسن بن عليّ عليه السلام على النّاس حين قتل عليّ عليه السلام فحمد الله و أثنى -إلى أن قال-: «و أنا من أهل البيت الّذي أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً و أنا من أهل البيت الّذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم فقال تبارك و تعالى لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ

المودّة في القربى و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت». رواه جماعة منهم:

۱- في (مستدرك الصّحيحين: ج ۳ص ۱۷۲).

۲- في (مجمع الزّوائد: ج ۹ ص ۱٤٦).

۳- في (الصّواعق: ص ۱۰۱) و قال: أخرجه البزاز و الطّبرانى.

٤- في (تلخيص المستدرك: ج ۳ص ۱۷۲ بهامش المستدرك).

٥- في (فرآئد السّمطين: ج ۲ ص ۱۲۰ باب (۲٦) من السّمط الثاني).

٦-الدّو لابي في (الذّرّية الطّاهرة الحديث (۱۱٥) ص ۲۲).

۷-الخفاجي الحنفي في (تفسير آية المودّة: ص ٥۱ ط سنة ۱٤۱۲ ه‍ق).

موالاتهم فرض و حبهّم هدى وطاعتهم وُدٌّ و وُدّهُمْ تقوى

۳- روى الطبرى في تفسيره (جامع البيان: ج ۲٥ ص ۱٦) باسناده عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: هى قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم.

و فيه: (ج ۲٥ ص ۱۷) باسناده عن أبي إسحق قال: سئلت عمرو بن شعيب عن قول الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: قربى النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم.

أقول: رواه عنها و عن السّدى أبوحيّان الاندلسي في تفسير (البحر المحيط) و السّيوطي في الدّرّ المنثور، و الحسكاني في (شواهد التنزيل) و فيه أيضاً باسناده عن عمرو بن شعيب قال: في قرابة رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم.

و قال الفخر الرّازى في تفسيره (مفاتيح الغيب: ج ۷ ص ۳۹۰): و أنا أقول: آل محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم هم الّذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّو أكمل كانواهم الآل، و لا شكّ أنّ فاطمة و عليّاً و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أشدّ التعلّقات، و هذا كالمعلول بالنّقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

و قال المناوى: قال الحافظ الزرندى في (نظم درر السّمطين): لم يكن أحد من العلمآءِ المجتهدين و الأئمّة المهتدين إلاّ و له في ولاية أهل البيت الحظّ الوافر و الفخر الزّاهر كما أمر الله بقوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

و قال ابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص ۸۹): أخرج الدّيلمى عن أبي سعيد الخدري: إنّ النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم قال: وقفوهم إنّهم مسئولون عن ولاية عليّ عليه السلام، و كأنّ هذا هو مراد الواحدى بقوله: رُوِىَ في قوله تعالى: «وقفوهم إنّهم مسئولون» أى عن ولاية عليّ و أهل البيت لأنّ الله أمر نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم أن يعرّف الخلق انّه لا يسئلهم عن تبليغ الرّسالة أجراً إلاّ المودّة في القربى. و المعنى إنّهم يسئلون: هل والوهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم أم أضاعوها و أهملوها؟!؟! فتكون عليهم المطالبة و التبعة.

و ذكر في (الصّواعق: ص ۱۰۱) ما قاله الشّيخ شمس الدّين بن العربي:

رأيت و لآئي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلاّ المودّة في القربى

وذكر الشّبلنجي في (نور الأبصار: ص ۱۳) ما قاله أبوالحسن بن جبير:

أُحبّ النّبيّ المصطفى و ابن عمّه عليّاً و سبطيه و فاطمة الزّهرآء

هم أهل بيت أذهب الرّجس عنهم و أطلعهم افق الهدى أنجماً زهرآء

موالاتهم فرض على كلّ مسلم و حبّهم أسنى الذّخائر للاخرى

و ما أنا للصحب الكرام بمبغض فإنّي أرى البغضآء في حقهم كفراً

وروى ابن الأثير في (جامع الاصول؛ ج ۲ ص ٤۱٥ ط مصر) عن ابن عبّاس سئل عن قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى» فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم.

و في (الدّرّ المنثور) عن سعيد بن جبير قال: قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم.

٤ـ روى أبونعيم الإصبهاني في (حلية الأوليآء: ج ۳ ص ۲۰۱ ط ۱) في ترجمة

الإمام جعفر الصّادق عليه السلام تحت الرّقم(٢٣٦)باسناده عن جابر بن عبدالله قال: جآء أعرابيّ إلى النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم فقال: يا محمد اعرض عليّ الإسلام؟ فقال: تشهد أن لا إله إلاّ الله و حده لاشريك له، و أنّ محمّداً عبده و رسوله.

قال: تسئلني عليه أجراً؟ قال: لا إلاّ المودّة في القربى. قال: قربآئي أو قرابتك؟ (قرباي أو قرباك؟ خ) قال: قرباي، قال: هات أُبايعك فعلى من لا يحبّك و لا يحبّ قرباك لعنة الله فقال النّبي صلى‌الله عليه و آله و سلم : آمين.

أقول: رواه الكنجى الشافعى في (كفاية الطالب: ص ٣١) و (ص ٩٠ ط ٢).

٥ روى الهيثم بن كليب في عنوان: (ما روى زربن حبيش عن ابن مسعود) من كتاب (مسند الصّحابة: ج ١٠ الورق ٧١) بالاسناد عن زرّ عن عبدالله (ابن مسعود). قال: كنّامع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم في مسير فهتف به أعرابيّ بصوت جهورى: يا محمد. فقال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم : يا هناه فقال: يا محمد ما تقول في رجل يحبّ القوم و لم يعمل بعملهم؟ قال: المرء مع من أحبّ. فقال: يا محمد إلى من تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله و أنّي رسول الله، و إقام الصّلاة و ايتاء الزّكاة، و صوم رمضان، و حجّ البيت . قال: فهل تطلب على هذا أجراً؟

قال: لا إلاّ المودّة في القربى، قال: أقرباي يا محمد أم قرباك؟ قال: بل قرباي، قال: هات يدك حتّى أبايعك، فلا خير فى من يودّك و لا يوّد قرباك.

٦ـ روى المحقّق البارع سماحة الحجّة الشّيخ محمد باقر المحمودى كثّر الله تعالى أمثاله في ذيل (شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٣٥ ط بيروت) ما لفظه: «و قال في الحديث (٩) من الباب (٥) من المقصد الثّاني من (غاية المرام: ص ٣٠٦) محمد بن جرير في كتاب (المناقب) أنّ النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم قال لعليّ: اخرج فناد: ألا من ظلم أجيراً اجرته فعليه لعنة الله ألامن تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله، ألا من سبّ والديه فعليه لعنة الله، فنادى بذلك، فدخل عمر و جماعة على النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم و قالوا: هل من تفسير لما نادى به عليّ؟ قال: نعم إنّ الله يقول: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فمن ظلمنا فعليه لعنة الله، ويقول: «النّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»

فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، فمن وإلى غيره و غير ذرّيّته فعليه لعنة الله، و أشهدكم أنا و عليّ أبوا المؤمنين، فمنّ سبّ أحدنا فعليه لعنة الله، فلمّا خرجوا قال عمر: ما آكد النّبيّ لعلّي بغدير خم و لا غيره أشدّ من تأكيده في يومنا هذا.

فى غاية المرام: قال خباب بن الأرت: «كان ذلك قبل وفاة رسول الله صلى الله و عليه و آله و سلم بتسعة عشر يوماً».

۷ـ روى عبدالقادر الشهير بابن حمزة في كتابه: (نخبة المناقب الفاخرة في مدح العترة الطّاهرة الورق ٦ /ب/ ما لفظه: «و ذكر البيهقي عن الرّبيع بن سليمان أحد أصحاب الشّافعي قال: قيل للشّافعي إنّ ههنا اناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضلية لأهل البيت، فاذا رأوا أحداً منّا يذكرها يقولون: هذا رافضيّ و يأخذون في كلام آخر؟!!! فأنشأ الشّافعيّ يقول:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً — وسبطيه و فاطمة الزّكيّة
فأجرى بعضهم ذكرى سواهم — فأيقن أن ذا خبث الطّويّة
إذا ذكروا عليّاً مع بنيه — تشاغل بالرّوايات العليّة
وقال: تجاوزوا يا قوم هذا — فهذا من حديث الرّافضيّة
برئت إلى المهيمن من اناس — يرون الرّفض حبّ الفاطميّة
على آل الرّسول صلاة ربّي — و لعنته لتلك الجاهليّة

و قال بعضهم:

يا أهل بيت المصطفى عجباً لمن — يأبىٰ مدآئحكم من الأقوام
و الله قد أثنىٰ عليكم قبلها — و بها لكم شدّت عرى الإسلام
الله يحشر كلّ من عاداكم — يوم الحساب مزلزل الأقدام

وقد نقل الفخر الرّازى عن المزني قال: قلت للشافعي: إنك رجل توالي أهل البيت فلو عملت بهذا المعنى أبياتاً؟ فأنشأ يقول:

و مازال كتما نيك حتّى كأنّني — بردّ جواب السّآئلين لأعجم
و أكتم سرّي مع صفآء مودّتي — لتسلم من قول الوشاة و أسلم

و الأبيات ذكرها الحموينى مسندة في (فرائد السّمطين: ج ۱ ص ۱۳٥ و ٤۲۳ ط بيروت).

۸- روى أبوسعيد الخركوشي في كتابه: (شرف المصطفى الباب ۲۷ الحديث ۲۱ و ٤٤ ص ۲٥۲ و ۲٦۱) قال: و عنه (أى النّبيّ صلىالله عليه و آله و سلم أنّه قال: «إنّ الله جعل أجرتي عليكم المودّة في أهل بيتي، و إنّي سائلكم غداً عنهم، فمحفٍ بكم في المسئلة».

رواه جماعة من حملة أسفار العامة:

۱- ابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۰۲ و ۱۳٦).

۲ـ الطّبرى في (ذخآئر العقبى: ص ۲٥).

۳- السمهودي في (جواهر العقدين).

و غيرهم تركناهم للاختصار.

۹ـ روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل: ج ۲ ص ۱٤۰ ط بيروت). باسناده عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: «إنّ الله خلق الأنبيآء من أشجار شتّى، و خلقت و عليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، و عليّ فرعها، و فاطمة لقاحها، والحسن و الحسين ثمرها، و أشيا عنا أوراقها فمن تعلّق بغصن من أغصانهانجىٰ، و من زاغ عنها هوىٰ، و لو أنّ عبداً عبدالله بين الصّفا و المروة ألف عام ثمّ ألف عام، ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشّنّ البالي، ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه الله على منخريه في النّار ثمّ قرأ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

رواه جماعة منهم:

۱- أبوسعيد الخركوشي في (شرف المصطفى).

۲ـ السّيوطي في (إحيآء الميّت - الحديث الثّاني).

۳ـ الكنجي الشّافعي في (الكفاية: ص ۳۱).

۱۰ـ روى السيوطي الشّافعى في (جمع الجوامع: ج ۲ ص ۱۹٤ الحديث: (۲٤۱٥) عن عليّ عليهالسلام أنّه قال: «و فينا في (آل حم) آية إنّه لايحفظ مودّتنا إلاّ كلّ

مؤمن، ثمّ قرأ»: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: ابن حجر الهيثمى في (الصّواعق المحرقة: ص١٠١ و ١٣٦).

و منهم: أبوالشيخ ابن حبّان في كتابه(الثواب).

و منهم: السّمهودي في (جواهر العقدين).

و منهم: الحسكاني في (شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٤٢ ط بيروت).

و منهم: الهندي في (كنز العمّال: ج ١ ص ٢٠٨).

و منهم: الخفاجي الحنفي في (تفسير آية المودّة: ص ٥١ ط سنة ١٤١٢ هـ ق بايران).

و منهم: أبونعيم في ترجمة قتيبة بن مهران من (تاريخ إصبهان: ج ٢ ص ١٦٩) و غيرهم تركناهم للإختصار.

١١- روى البلاذري في (أنساب الأشراف: ج ٢ الورق ٧٩أوص ٧٥٤الحديث (٣٦١) من ترجمة معاوية باسناده عن امّ بكربنت المسوربن مخرمة قالت: سمعت أبي يقول: كتب معاوية إلى مروان – و هو على المدينة – أن يخطب زينب بنت عبدالله بن جعفر– و امّها امّ كلثوم بنت عليّ و امّها فاطمة بنت رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم – على ابنه يزيد، و يقضي عن عبدالله دينه و كان خمسين ألف دينار، و يعطيه عشرة آلاف دينار، و يصدقها أربعمأة دينار، و يكرمها بعشرة آلاف دينار، فبعث مروان إلى ابن جعفر فأخبره، فقال: نعم واستثنى رضاء الحسين بن عليّ، و قال: لن أقطع أمراً دونه مع أنّي لست أولى بهامنه، و هو خال، والخال والد.

فأتى الحسين عليه السلام فساق القصّة، فقال له: إنّ الخال والد، و أمر هذه الجارية بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك، ثمّ قال للجارية: يا بنيّة إنّا لم تخرج منّا غريبة قطّ أفأمرك بيدي؟ قالت: نعم، فأخذ بيد القاسم بن محمد بن جعفر بن أبيطالب فأدخله المسجد و بنو هاشم و بنو اميّة و غيرهم مجتمعون... فتكلّم الحسين فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الإسلام دفع الخسيسة، و تمم النّقيصة،و أذهب اللآئمة، فلا لوم على مسلم إلاّ في أمر مأثم، و إنّ القرابة الّتي عظّم الله حقّها و أمر برعايتها، و أن يسئل نبيّه

الأجر له إلاّ بالمودّة لأهلها قرابتنا أهل البيت ...

رواه جماعة من حملة آثار العامّة:

منهم: ابن عساكر في ترجمة مروان من كتاب (تاريخ دمشق: ج ٥ ص ١١٤).

١٢- روى ابن الأثير في (اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٦٧) في ترجمة حبيب بن أبي ثابت أنّه قال: كنت اجالس أشياخاً لنا إذمرّ علينا عليّ بن الحسين عليه السلام و قد كان بينه و بين اناس من قريش منازعة في امرأة تزوّجهامنهم لم يرض منكحها، فقال أشياخ الأنصار: إلاّ دعوتنا أمس لماكان بينك و بين فلان؟ إنّ أشياخنا حدّثونا أنّهم أتوا رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فقالوا: يامحمد ألا نخرج إليك من ديارنا ومن أموالنا لما أعطانا الله بك وفضّلنا بك و أكرمنابك؟ فأنزل الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى». و نحن ندلكم على الناس» ثمّ قال: أخرجه ابن مندة.

أقول: إنّ هذه جملة من الأخبار الكثيرة الواردة بأسانيد عديدة عن طريق العامّة الدالّة على أنّ آية المودّة قد نزلت في قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و هذا ما يقتضيه المقام و نحن على جناح الإختصار بذكر نبذة من مآخذ العامة المعتبرة عند حملة أسفارهم في نزول آية المودّة فى حقّ الخمسة الطّيّبة، و دخول سائر الأئمة المعصومين إلى ثاني عشر منهم صلوات الله عليهم أجمعين بنصّ النّبيّ الكريم صلى‌الله عليه و آله و سلم فهل يجوز لعاقل أن يرفض عترة رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و علومه المودعة عندهم، و يأخذ عند يات الّذين نسبوا أنفسهم إلى العلم و الفقه و التفسير و الحديث ... مستندين إلى الأقاويل المختلقة و الأقيسة و الآرآء المزخرفة و المصالح الشّخصيّة...

أُنشدكم بالله جلّ و علا أيّها القرّآء الكرام: أوليس هذا رفض العلم المحض، رفض النور المحض، رفض الحق و الهدى، رفض الكرامة و الكمال... و ترك شرب المآء الزّلال الصّافى من منبعه ... و اتباع الجهل القحّ، اتباع الظّلمة القحّة، اتّخاذ الباطل و الضلالة، اتخاذ الذّلة و الإنحطاط... و شرب المآء الكدر من جداول عفنة لا يشرب منها الحمار فضلاً عن الإنسان؟؟؟!!!

«كلام في مدنيّة آية المودّة أو مكّيّتها»

و قد سبق في بحث النّزول من تفسير هذه السّورة ما نصّ في تنوير المقباس في تفسير ابن عبّاس، و في تفسير الجلالين، و غرآئب القرآن، و الجامع لأحكام القرآن، و فتح القدير و في تفسير المراغي و التفسير الحديث و غيرها من تفاسير الفريقين عن ابن عبّاس و قتادة و غيرهما على أنّ سورة الشّورى مكّيّة إلاّ أربع آيات، أوّلها: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣).

و أمّا حديث أنّ آية المودّة في القربى نزلت في عليّ بن أبيطالب و فاطمة الزّهرآء و الحسن و الحسين سبطى المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين و ايجاب مودّتهم بها فقد تقدّم آنفاً ما فيه بلغة و كفاية نقلاً عن جمع أعلام مفسّرى العامّة و متكلّميهم و محدّثيهم و حفّاظهم و حملة أسفارهم و هم:

١- احمد بن حنبل	٢- الحاكم النيشابورى	٣- الطبرى
٤- أبو نعيم	٥- الطبرانى	٦- الحسكانى
٧- محبّ الدين	٨- ابن عساكر	٩- ابن المغازلى
١٠- الزمخشرى	١١- الفخر الرّازى	١٢- البيضاوى
١٣- ابن كثير	١٤- الهيثمى	١٥- القرطبى
١٦- الشّوكاني	١٧- ابن الأثير	١٨- ابن حجر
١٩- ابن طلحة	٢٠- ابن الصّبّاغ	٢١- النّسفى

۲۲-الکنجی	۲۳-الخوارزمي	۲٤-الشّبراوي
۲٥-أبو حيّان	۲٦-الشّبلنجي	۲۷-الصّبّان
۲۸-القندوزی	۲۹-الدّولابي	۳۰-المناوی
۳۱-الزّرندي	۳۲-ابن حمزة	۳۳-الخرکوشي
۳٤-الحمّوئي	۳٥-السّمهودی	۳٦-ابن حبّان
۳۷-البلاذري	۳۸-الخفاجي	۳۹-السّيوطي
٤۰-المتقي الهندی		

و غيرهم ترکناهم للإختصار.

روی احمد بن حنبل في کتابه: (فضآئل الصّحابة: ص ۲۱۸) باسناده عن سعيد بن جبير عن عامر قال: لمّا نزلت: «قل لا أسئلکم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربی» قالوا: يا رسول الله من قرابتك من هؤلآءِ الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمة و ابناهما عليهم السّلام و قالها ثلاثاً.

و قال الشيخ کمال الدّين محمد بن طلحة الشّافعي في کتابه: (مطالب السّئول: ص ۸ ط طهران) ما لفظه: «أمّا کونهم ذوی القربی فقد صرّح نقله الأخبار المقبولة، و أوضح حملة الآثار المنقولة في مسانيد ما صححوه و أساليب ما أو ضحوه عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: لمّا نزل قوله تعالی: «قل لا أسئلکم ...» قالوا: يا رسول الله من هؤلآءِ الّذين و جبت علينا مودّتهم؟ قال صلی‌اللّه عليه و آله و سلم: «عليّ و فاطمة و ابناهما» ثمّ قال: و من جملة من نقل ذلك الإمامان: الثّعلبي و الواحدي، و کلّ واحد منها رفعه بسنده، روی الثّعلبي أنّ رسول الله صلی‌اللّه عليه و آله و سلم نظر إلی عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين فقال: أنا حرب لمن حاربتم و سلم لمن سالمتم».

و قد ذکر النيشابوری في تفسيره: (غرآئب القرآن) ذيل الآية الکريمة روايات تأييداً لنزول آية المودّة في عليّ و فاطمة و الحسنين صلوات الله عليهم.

منها: عن رسول الله صلی‌اللّه عليه و آله و سلم قال: «حرمت الجنّة علی من ظلم أهل بيتي و آذاني عترتي».

و منها: و كان صلى‌الله عليه و آله و سلم يقول: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها».

ثمّ قال النيسابوري: «و ثبت بالنقل المتواتر أنّه صلى‌الله عليه و آله و سلم كان يحبّ عليّاً و الحسن و الحسين و إذا كان ذلك وجب علينا محبّتهم لقوله: «فاتّبعوه» و كفى شرفاً لآل رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و فخراً ختم التشّهد بذكرهم و الصّلاة عليهم في كلّ صلاة».

و في التفسير الحديث: قال دروزة – و هو من أعلام معاصري العامة – بعد ذكر روايات في نزول آية المودّة في عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم‌السّلام: «و تعليقاً على ما تقدّم نقول: أمّا من ناحية مدنيّة الآية فالملحوظ أنّها متّصلة أوثق اتصال بالآية السّابقة لها نظماً و موضوعاً و هذا ما يلحظ أيضاً بالنّسبة للآيتين التّاليتين لها الّتي ذكر الرّوايات أنها مدنيتان مثلها».

و في تفسير آية المودّة للخفاجي الحنفي: سورة الشّورى مكّيّة إلاّ الآيات الأربع: قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً – إلى – بذات الصّدور» ٢٣-٢٤) و من قوله تعالى: «و الّذين إذا أصابهم البغى – إلى – من سبيل» ٣٩-٤١)

ثمّ قال الخفاجي: ثمّ رأيت في كتاب الإتقان للسّيوطي مانصّه: «سورة الشّورى مكّيّة استثني منها قوله تعالى: «أم يقولون افترى – إلى – بصير» ٢٤-٢٧) ثمّ قال الخفاجي: قلت: يدلّ له ما أخرجه الطّبراني و الحاكم في سبب نزولها بأنّها نزلت في الأنصار و استثني أيضاً قوله: «و لو بسط الله ...» ٣٧) منها فإنّها نزلت في أصحاب الصّفّة، و استثنى بعضهم قوله تعالى: «و الّذين إذا أصابهم البغى – إلى قوله –: من سبيل» ٣٩-٤١) حكاه ابن العرس انتهى».

ثمّ قال الخفاجي: ففيه كما ترى موافقة لما تقدّم من حيث الإستثناءِ، و مخالفة له من حيث كمّيّة المستثنى نليحرّر» انتهى كلامه.

ثمّ قال الخفاجي – بعد ذكر رواية ابن عبّاس في نزول آية المودّة في عليّ و فاطمة و ابنيهما –: «و الدّليل على هذا ما روي عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: «شكوت إلى

رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم حسد النّاس لي!!! فقال: أما ترضىٰ أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا و أنت و الحسن و الحسين و أزواجنا عن أيماننا و شمائلنا و ذرّياتنا خلف أزواجنا و شيعتنا من ورآئنا».

قوله عليه السلام: «رابع أربعة» أى أحداً من الأربعة قبل النّاس.

رواه احمد بن حنبل في كتاب (الفضآئل: ص ١٢٨ الحديث ١٩ من مناقب عليّ عليه‌السلام) و روى ابن الأعرابي في كتاب (معجم الشّيوخ الورق ٥٤ /ب/ باسناده عن زيد بن عليّ عن آبآئه عن عليّ عليه السلام قال: شكوت إلى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم حسد النّاس إيّاى !!! فقال: يا عليّ أما ترضى أنّ أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا و أنت و الحسن و الحسين، و أزواجنا عن أيماننا و شمائلنا، و ذرارينا خلف أزواجنا، و أشياعنا من ورآئنا».

رواه جماعة من أعلام العامة:

منهم: الطبراني في ترجمة أبي رافع إبراهيم مولى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم من (المعجم الكبير: ج ١ الورق: ٥١) و في ترجمة جابر بن سمرة، و في ترجمة الإمام الحسن تحت الرقم: (٢٦٢٤) ج ٣ ص ٣٢ ط بغداد).

و منهم: الهيثمى في (مجمع الزّوآئد: ج ٩ ص ١٧٤).

و منهم: أبو المعالي السمرقندى في المجلس: (٤٣) من كتابه (عيون الأخبار الورق: ٤٣ ط بيروت).

و منهم: الحاكم في (المستدرك: ج ٣ ص ١٥١) في باب مناقب فاطمة الزّهراء سلام الله عليها.

و منهم: ابن عساكر في (تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٣٣٠ ط ٢) في ترجمة أمير المؤمنين عليه‌السلام الحديث: (٨٤٢).

و غيرهم تركناهم للإختصار.

فوسوسة بعض المذبذ بين كابن تيميّة العنود و أذنابه المبتورة في كون آية المودّة مدنيّة بأنّ السّورة مكّيّة، و لم يتزوّج عليّ بفاطمة و لا ولدهما فيها، مدفوعة مردودة

إليهم، حيث إنّ كون آية أوسورة مكّيّة أو مدنيّة تابع لقيام دليل يدلّ على ذلك، و ههنا الأحاديث الكثيرة المستفيضة الواردة في تفسير آية المودّة ناطقة بأنّ الآية الكريمة مدنيّة مع شدّة نكير آل اميّة و مردتهم السّفلة المنحرفين، عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين على من يروي هذا النمط من الأحاديث في أكثر الأعصار الماضية الّتي كانت حلّ امور المسلمين و فتكها بيدهم الشومة، و قد كان أشياع أهل بيت الوحى عليهم السّلام و من يميل إليهم مستضعفين مقهورين ...

و إنّ الأحاديث المشار إليها الدّالّة على كون آية المودّة مدنيّة مستفيضة، و موافقة لظاهر الآية الكريمة الدّالّة على أنّ المخاطبين بها كانوا مسلمين، معتقدين أنّ لرسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أجراً على تبليغ الرّسالة، و بنآءً على كون الآية الكريمة مكّيّة فالخطاب باطلاقه يشمل أهل مكّة، و غيرهم سواء أكانوا مسلمين أم كافرين إذ لاوجه لتقييده بالكافرين من أهل مكّة أفيعقل أن يطلب رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بلسان الوحي السّماوي من الكافرين بالرّسالة أجرها؟!

و أقبح من ذلك مقالة عكرمة الكذّاب و أضرابه من الوضّاعين الّذين كان ديدنهم تأويل الآيات النّازلة في فضل أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بغياً و حسداً، عداوة و بغضاً، و عناداً و لجاجاً: إنّ الخطاب: «لا أسئلكم» لقريش خاصّة، و جرّها إلى تفسيرات تخالف صريح القرآن الكريم، و الرّوايات المستفيضة، أيصحّ للحكيم أن يطلب الأجر على الرّسالة ممّن يكفر بها، و يشرك بالله تعالى؟!

و أمّا مقالة هؤلآءِ المذبذبين: إنّ عليّاً ما تزوّج بفاطمة و لم يولد لهما الحسنان بمكّة - و لو سلّمنا مكّيّة آية المودّة و لن نسلّم لكونها خلاف صريح الكتاب و الرّوايات المستفيضة - فإنّه لا ملازمة بين إطباق الآية بهما و بأولادهما، و بين تقدّم تزويجهما على نزولها كما لا منافاة بينه و بين تأخّر وجود أولادهما على فرضه، فإنّ ممّا لا شبهة فيه كون كلّ منهما من قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بالعمومة و البنوّة، و أمّا أولادهما فكان من المقدّر في العلم الأزليّ أن يخلقوا منها، كما أنّه كان قد قضى بعلقة التزويج بينهما، و ليس من شرط ثبوت الحكم بملاك عامّ يشمل الحاضر و الغابر وجود موضوعه الفعليّ،

بل إنّما يتسرّب إليه الحكم مهما وُجِدَ. و متى وُجِدَ و أنىٰ وُجِدَ، فآية المودّة كنظائرها من الآيات القرآنيّة الّتي سبقت لبيان قضيّة حقيقيّة لا خارجيّة، فهى تصبح فعليّة إذا وجد من تنطبق عليه، كما أنّ القرآن الكريم نزل دفعتين: نزل كلّه دفعة واحدة، ثمّ نزلت آياته تدريجاً حسب الحوادث و الوقآئع بمدة ثلاث و عشرين سنة. مع أنّ من الممكن أن تكون آية المودّة قد نزلت بمكّة في حجّة الوداع، و قد تزوّج عليّ بفاطمة، و ولدهما الحسنان عليهم‌صلوات الله، و لا ملازمة بين نزولها بمكّة، و بين كونه قبل الهجرة، و يرى الذين اوتوا العلم الّذي أُنزل إليك من ربك الحقّ. و إنّ كون السّورة مكّيّة - إنّما هو بلحاظ أكثرها - لا ينافي نزول آية أو آيات منها بالمدينة، فتدبّر جيّداً و اغتنم جدّاً و لا تكن من الغافلين.

«نزول آية المودّة في القربى عند الشّيعة»

و من البداهة، و المعلوم لمن له الدّراية أنّ الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة هم الّدين يتمسّكون بالثّقلين: كتاب الله المبين، و أهل بيت النّبيّ الكريم صلى الله عليه و آله وسلم و لن يتركوهما، و لن يغلوا في أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و إنّماهم وحدهم يعتقدون بما أنزل الله تعالى في القرآن المجيد، و بما ورد من الرّوايات الصّحيحة عن طريق أهل بيت النّبوّة: أنّ آل رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم هم سفينة النّجاة و العروة الوثقى و طريق المعرفة بالله جلّ و علا و مفسّرواكتابه و مبيّنوا أحكامه ... و هؤلآءِ الشّيعة هم وحدهم لا يعرفون شيئاً غير أبواب أهل بيت الوحي المعصومين عليهم صلوات الله جلّ و علا، فنسئل الله تعالى حسن الخاتمة، و أن يديم لنا توفيق و داد هم و طاعتهم إلى يوم القيامة.

و قدرودت روايات كثيرة عن طريق الشّيعة في نزول آية المودّة في أهل بيت لوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لا يسعها مقام الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

١- روى الصّدوق رضوان الله تعالى عليه في (عيون الأخبار - باب معنى آل محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم و أهل بيته و عترته - باسناده عن الرّيان بن الصّلت قال: حضر الرّضا عليه‌السلام بمجلس المأمون بمرو و قد اجتمع في مجلسه جماعة من علمآءِ أهل العراق و خراسان - فسئل المأمون ما سئل - فقال الرّضا عليه السلام - الحديث طويل -: «و الآية السّادسة قول الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و

هذه خصوصيّة للنّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم دون الأنبيآءِ إلى يوم القيامة، و خصوصيّة للآل دون غيرهم، و ذلك أنّ الله عزّ و جلّ حكى في ذكر نوح عليه السلام في كتابه: «يا قوم لا أسئلكم عليه مالاً إن أجري إلاّ على الله و ما أنا بطارد الّذين آمنوا إنّهم ملاقوا ربّهم و لكنّي أراكم قوماً تجهلون».

و حكى عزّ و جلّ عن هود عليه السلام أنّه قال: «لا أسئلكم عليه أجراً إن أجري إلاّ على الّذي فطرني أفلا تعقلون» و قال عزّ و جلّ لنبيّه محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم: قل يا محمد: «لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و لم يفرض الله مودّتهم إلاّ و قد علم أنّهم لا يرتدّون عن الدّين أبداً، و لا يرجعون إلى ضلال أبداً و اخرى أن يكون الرّجل و ادّاً للرّجل، فيكون بعض أهل بيته عدوّاً له فلا يسلم له قلب الرّجل، فأحبّ الله عزّ و جلّ أن لا يكون في قلب رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم على المؤمنين شيء، ففرض الله عليهم مودّة ذوي القربى، فمن أخذ بها و أحبّ رسول الله و أحبّ أهل بيته لم يستطع رسول الله أن يبغضه، و من تركها و لم يأخذها و أبغض أهل بيته، فعلى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أن يبغضه لأنّه قد ترك فريضة من فرآئض الله عزّ و جلّ، فأيّ فضيلة و أيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟

فأنزل الله عزّ و جلّ هذه الآية على نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فقام رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم في أصحابه، فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيّها النّاس إنّ الله عزّ و جلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه؟ فلم يجبه أحد، فقال. أيّها النّاس إنّه ليس بذهب و لا فضّة و لا مأكول و لا مشروب، فقالوا: هات إذاً، فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أمّا هذا فنعم، فما وفى بها أكثرهم.

و ما بعث الله عزّ و جلّ نبيّاً إلاّ و أوحىٰ إليه أن لا يسئل قومه أجراً لأنّ الله عزّ و جلّ يوفيه أجر الأنبيآء و محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم فرض الله عزّ و جلّ طاعته و مودّة قرابته على امّته و أمره أن يجعل أجره فيهم ليودّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب الله عزّ و جلّ لهم، فانّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلمّا أوجب الله عزّ و

جلّ ذلك، ثقل ذلك لثقل وجوب الطّاعة، فتمسّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم علـى الوفآءِ، و عاند أهل الشّقاق و النّفاق، و ألحدوا في ذلك فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه الله، فقالوا: القرابة هى العرب كلّها و أهل دعوته فعلى أىّ الحالتين كان، فقد علمنا أنّ المودّة هى للقرابة، فأقربهم من النّبيّ صلىالله عليه و آله و سلم أولاهم بالمودّة و كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها.

و ما أنصفوا نبيّ الله في حيطته و رأفته، و ما منّ الله به على امّته ممّا تعجز الألسن عن وصف الشّكر عليه أن لا يؤدّوه في ذرّيّته و أهل بيته، و أن لا يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرّأس حفظاً لرسول الله صلىالله عليه و آله و سلم فيهم و حبّاً لهم، فكيف و القرآن ينطق به و يدعو إليه؟ و الأخبار ثابتة بأنّهم أهل المودّة و الّذين فرض الله مودّتهم و وعد (و جعل خ) الجزآء عليها، فما وفى أحد بها، فهذه المودّة لا يأتي بها أحـد مـؤمناً مخلصاً إلاّ استوجب الجنّة لقول الله عزّ و جلّ في هذه الآية: «و الّذين آمنوا و عـملو الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكـبير ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات قل لا أسئلكم عـليه أجـراً إلاّ المودّة في القربى» مفسّراً و مبيّناً.

ثمّ قال ابوالحسن عليه السلام: حدّثني أبي عن جدّي عن آبآئه عن الحسين بن عليّ عليهالسلام قال: إجتمع المهاجرون و الأنصار إلى رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم فقالوا: إنّ لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك، و فيمن يأتيك من الوفود، و هذه أموالنا مع دمآئنا، فاحكم فيها بارّاً مأجوراً، أعط ما شئت و أمسك ما شئت من غير حرج، قال: فأنزل الله عزّ و جلّ عليه الرّوح الأمين فقال: يا محمد «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المـودّة في القربى» يعني أن تودّوا قرابتي من بعدي، فخرجوا.

فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلىالله عليه و آله و سـلم على ترك ما عرضنا عليه إلاّ ليحثّنا على قرابته من بعده إن هو إلاّ شئ افتراه في مجلسه، و كان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله عزّ و جلّ هذه الآية: «أم يقولون افترى على الله كذباً ...» الآية و أنزل: «أم يقولون افتريه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون

فيه كفى به شهيداً بيني و بينكم و هو الغفور الرّحيم» فبعث إليهم النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم فقال: هل من حدث؟ فقالوا: اي و الله يا رسول الله لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه فتلا عليهم رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم الآية فبكوا و اشتدّ بكآؤهم، فأنزل الله عزّ و جلّ: «و هو الّذي يقبل التّوبة عن عباده و يعفوا عن السّيّئات و يعلم ما تفعلون» فهذه السّادسة.

۲- في تفسير نور الثّقلين بالاسناد عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم عن أبي عبدالله عليه السلام - حديث طويل - قال: «فلمّا رجع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم من حجّة الوداع و قدم المدينة أتته الأنصار فقالوا: يا رسول الله إنّ الله جلّ ذكره قد أحسن إلينا، و شرّ فنابك و بنزولك بين ظهرانينا، فقد فرّح الله صديقنا و كبت عدوّنا، و قد تأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدوّ فنحبّ أن تأخذ ثلث أموالنا حتّى إذا قدم عليك و فد مكّة وجدت ما تعطيهم، فلم يردّ رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم عليهم شيئاً و كان ينتظر ما يأتيه من ربّه، فنزل جبرئيل عليه السلام و قال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و لم يقبل أموالهم، فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمّد و ما يريد إلاّ أن يرفع بضبع ابن عمّه، و يحمل علينا أهل بيته، يقول أمس: من كنت مولاه فعليّ مولاه، و اليوم: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»».

۳- في روضة الكافي باسناده عن إسمعيل بن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول و أنا أسمع فقال: أتيت البصرة؟ قال: نعم، فقال: كيف رأيت مسارعة النّاس إلى هذا الأمر و دخولهم فيه؟ فقال: والله إنّهم لقليل، و قد فعلوا و إنّ ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث، فانّهم أسرع إلى كلّ خير ثمّ قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»؟ قلت: جعلت فداك إنّهم يقولون: لأقارب رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فقال: كذبوا إنّما نزلت فينا خاصّة في أهل البيت: في عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين أصحاب الكسآء عليهم السّلام.

٤- في المحاسن بالاسناد عن حجّاج الخشاب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لأبي جعفر الأحول: ما يقول من عندكم في قول الله تبارك و تعالى: «قل لا

أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»؟ فقال: كان الحسن البصريّ يقول: في أقربآئي من العرب، فقال أبو عبدالله عليه السلام: لكنّي أقول: لقريش الّذين عندنا: هى لنا خاصّة، فيقولون: هى لنا و لكم عامّة؟! فأقول: خبّروني عن النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم إذا نزلت به شديدة من خصّ بها؟ أليس إيّانا خصّ بها حين أراد أن يلاعن أهل نجران؟ أخذ بيد عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم‌السّلام، و يوم بدر قال لعليّ عليه‌السلام و حمزة و عبيدة بن الحارث، قال: فأبوا يقرّون لي أفلكم الحلو و لنا المرّ؟».

قوله عليه السلام: «الّذين عندنا» أى نحن نقول لقريش: المراد بالقربى الجماعة الّذين عندنا أي أهل البيت عليهم‌السّلام خاصّة. فيقولون أى قريش «فأبوا يقرّون لي» أي بعد إتمام الحجّة عليهم في ذلك بما ذكرنا، أبوا عن قبوله. و في بعض النسخ: «فأتوا بقرون لهم» أى أتوا جمعاً من المشركين، و أتوا برؤوسهم، أو القرون كناية عن شجعانهم و رؤسآئهم. و قيل: لعلّ الصّحيح: «فأبوا يقولون لي: أفلكم الحلو و لنا المرّ».

٥- في تفسير البرهان بالاسناد عن أبي مسروق عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: إنّا نكلّم النّاس فنحتجّ عليهم بقوله عزّ و جلّ: «أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم» فيقولون: نزلت في أمرآءِ السّرايا، فنحتجّ عليهم بقول الله عزّ و جلّ: «إنّما وليّكم الله و رسوله ...» الآية، فيقولون: نزلت في المؤمنين، و نحتجّ عليهم بقول الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فيقولون: نزلت في قربى المسلمين، قال: فلم أدع شيئاً ممّا حضرني ذكره من هذا و شبهه إلاّ ذكرته، فقال عليه‌السلام لي: إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة، قلت: و كيف أصنع؟ قال: اصلح نفسك ثلاثاً و أظنّه قال: و صم و اغتسل و ابرز انت و هو إلى الجبان، فشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثمّ انصفه و ابدأ بنفسك و قل: «أللّهمّ ربّ السّموات السّبع، و ربّ الأرضين السّبع، عالم الغيب و الشّهادة الرّحمن الرّحيم» انّه إذا كان أبو مسروق جحد حقّاً، و ادّعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السّمآءِ و عذاباً أليماً، ثمّ ردّ الدّعوة عليه، فقل: و إذا كان فلان جحد حقّاً، و ادّعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً من السّمآءِ و عذاباً أليماً، قال لي: فانك لا تلبث أن ترى ذلك، فو الله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه».

٦- في تفسير فرات الكوفي باسناده عن جابر رضى الله عنه قال: كنّا مع رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم في حآئط من حيطان بني حارثة إذ جآء جمل أجرب أعجف حتّى سجد للنّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم قلنا لجابر: أنت رأيته؟ قال: نعم رأيته واضعاً جبهته بين يدى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فقال: يا عمر إنّ هذا الجمل قد سجد لي و استجار بي فاذهب فاشتره و أعتقه و لا تجعل لأحد عليه سبيلاً قال: فذهب عمر فاشتراه و خلّى سبيله، ثمّ جآء إلى النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله هذا بهيمة يسجدلك فنحن أحقّ أن نسجد لك، سلنا على ما جئتنا به من الهدى أجراً، سلنا عليه عملاً، فقال صلى‌الله عليه و آله و سلم : لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، فقال جابر: فوالله ما خرجت حتّى نزلت الآية الكريمة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

٧- و فيه باسناده عن عطآءٍ بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين عليه السلام : أخبريني جعلت فداك بحديث أحدّث و أحتجّ به على النّاس، قالت: أخبرني أبي أنّ النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم كان نازلاً بالمدينة، و أنّ من أتاه من المهاجرين كانوا ينزلون عليه فأرادت الأنصار أن يفرضوا لرسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و قالوا: قد رأينا ما ينوبك من النّوآئب، و إنّا أتيناك لنفرض لك من أموالنا فريضة تستعين بها على من أتاك، قال: فأطرق النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم طويلاً ثمّ رفع رأسه و قال: إنّي لم اؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً فانطلقوا، و إن أُمرت به أعلمتكم، قال: فنزل جبرئيل، فقال: يا محمّد إنّ ربّك قد سمع مقالة قومك و ما عرضوا عليك، و قد أنزل الله عليهم فريضة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الحديث.

٨- روى الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه في أماليه بالاسناد عن أبي الطفيل، قال: خطب الحسن بن عليّ عليهما السّلام بعد وفاة عليّ عليه السلام – إلى أن قال –: «و أنا من أهل البيت الّذين افترض الله مودّتهم و ولايتهم فقال فيما انزل على محمّد صلى الله عليه و آله وسلم : «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى و من يقترف حسنة» و اقتراف

الحسنة مودّتنا».

٩- في تفسير الفرات باسناده عن عبد الرّحمن بن كثير عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: نزل على النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» ثمّ إنّ جبرئيل أتاه فقال: يا محمّد إنّك قد قضت نبوّتك و استكملت أيّامك، فاجعل الإسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النّبوّة عند عليّ، فإنّي لا أترك الأرض إلاّ و فيها عالم تعرف به طاعتي، و تعرف به ولايتي، و يكون حجّة لمن ولد فيما بين قبض النّبيّ إلى خروج النّبيّ الآخر، فأوصى إليه بالاسم الأكبر و ميراث العلم، و آثار علم النّبوّة، و أوصى إليه بألف باب يفتح لكل باب ألف باب، و كلّ كلمة ألف كلمة، و مرض يوم الإثنين، و مات يوم الإثنين، و قال: يا عليّ لا تخرج ثلاثة أيّام حتّى تؤلّف كتاب الله كيلا يزيد فيه الشّيطان شيئاً، و لا ينقص منه شيئاً، فإنك في ضدّ سنّة وصيّ سليمان عليه الصّلاة و السّلام، فلم يضع عليّ عليه‌السلام ردآئه على ظهره حتّى جمع القرآن فلم يزد فيه الشّيطان شيئاً، و لم ينقص منه شيئاً».

قوله صلى‌الله عليه و آله و سلم: «فانّك في ضدّ سنّة وصيّ سليمان عليه السلام» إشارة إلى أنّ إبليس وضع كتاب السّحر تحت سرير سليمان و لبّس الأمر على النّاس قال الله تعالى: «و اتبعوا ما تتلوا الشّياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان و لكنّ الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر ...» البقرة: ١٠٢).

١٠- في رجال الكشي و في تحف العقول: إنّه خرج لإسحق بن إسمعيل من أبي محمّد العسكرى عليه السلام توقيع - طويل - إلى أن قال: «ففرض عليكم الحجّ والعمرة، و إقام الصّلاة و ايتآء الزّكاة و الصّوم و الولاية، و كفا بهم لكم باباً ليفتحوا (و جعل لكم باباً تستفتحون به خ) أبواب الفرآئض، و مفتاحاً إلى سبيله، و لو لا محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم و الأوصيآء من بعده (من ولده خ) لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرآئض، و هل يدخل قرية (تدخل مدينة خ) إلاّ من بابها.

فلمّا منّ عليكم باقامة الأوليآء بعد نبيّه (نبيّكم خ) قال الله عزّ و جلّ لنبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم

الإسلام ديناً» و فرض عليكم لأوليآئه حقوقاً، أمركم بأدآئها إليهم ليحلّ لكم ماورآء ظهوركم من أزواجكم و أموالكم و مأكلكم و مشربكم (و مآكلكم و مشاربكم خ) و يعرّفكم بذلك النّماء و البركة و الثروة، و ليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» التوقيع.

و غير ذلك من الرّوايات الواردة عن طريق الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة في نزول آية المودّة في القربى.

و في **الفصول المهمّة**: للسّيّد شرف الدين قال: «أجمع أهل البيت و تصافق أوليآؤهم في كلّ خلف على أنّ القربى هنا إنّماهم عليّ و فاطمة و ابناهما، و أنّ الحسنة في الآية إنّما هي مودّتهم، و إنّ الله تعالى غفور شكور لأهل و لايتهم، و هذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها، و فيه صحاح متواترة عن أئمّة العترة الطّاهرة» و إليك ما هو مأثور عن غيرهم:

﴿مَن هُمُ القربىٰ عند العامّة؟﴾

و لقد اتّفق قدمآء العامّة و متأخروهم، من اعلام مفسّريهم و محدّثيهم، من اعاظم فقهآءهم و متكلّميهم، و من مؤرّخيهم و نقلة آثارهم و حملة اسفارهم على أنّ عليّاً و فاطمة والحسن و الحسين صلوات الله عليهم اجمعين هم قربى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم الّذين و جبت على الامّة المسلمة مودّتهم من دون ريب و لامرآء، و اما غيرهم من بني عبدالمطلب خاصّة أو هم و قريش كلّهم، أو هم و الأُمّة أجمعون فمختلف فيهم، فنشير إلى بعض ما و رد عنهم روماً للاختصار:

١- في مناقب الإمام اميرالمؤمنين عليه‌السلام- للحافظ محمد بن سليمان الكوفي القاضي من أعلام القرن الثالث - في (الباب السّابع عشر) باسناده عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية: «قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله أيّ قرابتك هؤلاء الّذي (الّذين خ) افترض الله علينا مودّتهم؟ قال: هم عليّ و فاطمة و ولدهم يقولها ثلاث مرّات.

٢- و فيه: باسناده عن السّدي في قوله تعالى: «و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» قال: المودّة في آل الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم.

٣- و فيه: باسناده عن سعيد بن جبير قال: لمّا نزلت: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: إحفظوني في قرابتي».

٤- روى احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في (الكشف و البيان) باسناده عن ابن

عباس قال: لمّا نزلت: «قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ و فاطمة و ابناهما.

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة من اعلام العامّة:

١- الطبراني في (المعجم الكبير: ص ١٣١).

٢- ابونعيم الا صبهاني في (نزول القرآن).

٣- الخطيب الخوارزمى في (مقتل الحسين: ص ٥٧ طالنّجف).

٤- محبّ الدّين الطّبري في (ذخائر العقبي: ص ٢٥ ط مصر).

٥- ابن تيمّية الحنبلي في (منهاج السّنّة: ج ٢ ص ٢٥٠ ط القاهرة).

٦- التفتازاني الشّافعى في (شرح المقاصد: ج ٢ ص ٢١٩ ط الآستانة).

٧- القسطلاني في (المواهب اللدنية: ج ٧ ص ٣ ط الأزهرية بمصر).

٨- العسقلاني في (الكاف و الشّاف: ص ١٤٥ ط مصر).

٩- الخواجة محمد البخارى في (فصل الخطاب).

١٠- البدخشي في (مفتاح النّجا: ص ١٣).

و غير هم تركناهم للاختصار.

٥- روى ابو اسحق الثّعلبي في (الكشف و البيان) باسناده عن ابن عبّاس: «و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» قال: المودّة لآل محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم.

رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم:

١- الفقيه ابن المغازلى الشّافعي في (المناقب).

٢- الزّرندي في (نظم دررالسّمطين: ص ٨٦ ط مطبعة القضآء).

٣- عبدالله الشّافعي في (المناقب: ص ١٥٦).

٤- الميبدي في (شرح ديوان اميرالمؤمنين: ص ١٩١).

٥- ابن الصّبّاغ في (الفصول المهّمة: ص ١١ ط النّجف).

٦- البدخشي في (مفتاح النجا: ص ٦ و ١٣).

۷- الحدّاد في (القول الفصل: ص ٤٨٦ ط جاوا).

۸- النبهاني البيروتي في (الشّرف المؤبّد: ص ۸٥ ط مصر).

۹- الأمر تسري في (أرجح المطالب: ص ۷٦ ط لاهور).

۱۰- الحضرمى في (رشفة الصّادي: ص ۲۳ ط القاهرة).

وانظر ما ذكره القلماوي المصري في (أدب الخوارج في العصر الأموي: ص ۱۳۱ ط النّشر و التأليف) ما أنشأ الكميت:

بأيّ كتاب أم بأيّ سنّة ترى حبّهم عليّ و تحسب

و قال القطب حبيب الله بن عبد الله بن محمد الحداد:

و آل رسول الله ﴿ﷺ﴾ بيت مطهر محبّتهم مفروضة كالمودّة

هم الحاملون السّرّ بعد نبيّهم و ورّاثه اكرم بها من وراثة

و ما ذكره أبوبكر الحضرمي في (رشفة الصّادى: ص ٤٩ ط القاهرة): قال المجد البغوي في تفسيره: «إنّ مودّة النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم و موّدة أقاربه من فرائض الدّين» و ذكر نحوه الثعلبي، و جزم به البيهقي. قال القرطبي: و الأحاديث تقتضي وجوب احترام آله صلى‌الله عليه و آله و سلم وتو قيرهم و محبّتهم وجوب الفروض الّتى لا عذر لها لأحد منها.

٦- روى الطبّري في تفسيره: (جامع البيان: ج ۲٥ ص ۲٥) فى تفسير آية المودّة باسناده عن أبي‌الدّيلم قال: لمّا جئ بعليّ بن الحسين رضى الله عنهما أسيراً، فاقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشّام، فقال: الحمدلله الّذي قتلكم واستأصلكم، و قطع قرن الفتنة!! فقال له عليّ بن الحسين رضى الله عنه: أقرأت القرآن؟ قال: نعم قال: أقرأت آل حمٓ؟ قال: قرأت القرآن، و لم أقرأ آل حم، قال: أما قرأت «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»؟ قال: و إنّكم لأنتم هم؟ قال: نعم.

رواه ابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص ۱۰۱ و ۱۳٦) و قال: أخرجه الطبراني. ورواه الثعلبي في تفسيره، و أشار إليه أبوحيّان في تفسيره(ج ۷ ص ٥۱٦) و أخرجه السّيوطي في (الدّرّالمنثور: ج ٦ ص ۷) و الزّرقاني في (شرح المواهب: ج ۷ ص ۲۰) و

غيرهم.

۷ـ روى الحسكاني الحنفي في (شواهـد التـنزيل: ج ۲ ص ١٤٥ ط بـيروت) باسناده عن مجاهد في قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى» قـال: أن تـتّبعوني و تـصلوا رحمي».

۸– و فيه باسناده عن جعفر بن سعيد في قوله: «إلاّ المـودّة فى القـربى» قـال: لاتؤذوني في قرابتي».

۹ـ و فيهباسناده عن ابن أبي الدّنيا، قال: حدّثني شيخ من بني تميم أنّ شيخاً من قريش حدثه قال: كان الحرب بن الحكم بن المنذر بن الجارود، قدولّى رامهرمز، و كرمان و كان سرياً شريفاً و هو الّذي يقول:

رأيت الرّضا بالعيش داعـية الغـنى و غير الرّضا بالعيش داعـية الفـقر
ومن لا يكـن فـيه التكـرّم شـيمة فليس بذي وفـرو إن كـان ذاوفـر
و من طمحت عيناه في رزق غـيره يمت كمداً في دأبـه غـير ذي شكـر
فحسبي من الدّنـيا كـفاف يكـفنّي و أثـواب كـتّان أزور بهـا قـبرى
و حـبّي ذوي قـربى النّـبيّ محـمّد و مـا سـالنا إلاّ المـودّة مـن أجـر

۱۰– في الدرّ المنثور باسناده عن جعفر بن سعيد في قوله: «إلاّ المودّة في القربى» قال: أن تتّبعوني وتصدّقوني و تحفظونى في قرابتي.

۱۱ـ قال الفخر الرازى في تفسيره: (مفاتيح الغيب: ج ۲۷ ص ١٦٦): و آل محمّد هم الّذين يؤل أمرهم إليه، فكلّ من كان مآل أمرهم إليه أشدّو أكمل كانوا هم الآل، و لا شكّ أنّ فاطمة و عليّاً و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أشدّ التعلّقات و هذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

و أيضاً اختلف النّاس في الآل، فقيل: هم الأقارب، و قيل: هم امّته، فإن حملناه على القرابة فهو الاولى، و إن حملناه على الامّةالّتي قبلت دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّهم آل على جميع التقديرات، و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت الآل؟ مختلف فيه. وأيضاً كما تقدّم لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلآء الّذين و جـبت عـلينا

مودّتهم؟ فقال: عليّ و فاطمة و ابناهما.

فثبت أنّ هؤلآء الأربعة من أقارب النّبيّ هم آل النّبيّ، و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، و يدل عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى» و وجه الإستدلال به ما سبق.

الثّاني: لا شكّ أنّ النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم كان يحبّ فاطمة عليها السّلام و يقول: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني مَن يؤذيها».

وأيضاً ثبت بالنقل المتواتر عن النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم أنّه كان يحبّ عليّاً و الحسن و الحسين و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأُمة مثله لقوله تعالى: «فآمنوا بالله و رسوله النّبيّ الامّي الذى يؤمن بالله و كلماته و اتّبعوه» الأعراف: ١٥٨) و لقوله عزّ من قائل: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم» آل عمران: ٣١) و لقوله تبارك تعالى: «فليحذر الّذين يخالفون عن أمره» النّور: ٦٣) و لقوله سبحانه و تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» الأحزاب: ٢١).

الثّالث: إنّ الدّعآء للآل منصب عظيم، و لذلك جعل هذا الدّعآء خاتمة التشهّد في الصّلاة و هو قوله: «اللهّم صلّ على سيدنا محمد و على آل سيّدنا محمد و ارحم محمّداً و آل محمّد» و هذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكل ذلك دليل واضح على أنّ حبّ آل محمّد واجب. قال الشّافعي:

يا راكباً قف بالمُحّصب من منىٰ	و اهتف بساكن خيفها و النّاهض
سَحَراً إذ فاض الحجيج إلى منىٰ	فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمد	فليشهد الثّقلان أنّي رافضيّ

١٢ـ قال الخفاجي الحنفي في كتابه:(تفسير آية المودة: ص: ١٦٧ ط مجمع إحياء الثقافة الإسلامية: تنبيهان: **الأول:** قداقتضت الأدلّة الّتى تضمّنها هذا الفصل قبله، تحريم بغض أهل بيت النّبوى و وجوب محبّتهم. **الثّانى:** مَن تتبّع الأخبار و الوقائع شاهد العجآئب في حلول الإنتقام. بمبغضي أهل البيت النّبوى و المعتدين عليهم، و علم عنايته صلى‌الله عليه و آله و سلم بذلك كما كان في حياته، و يكفي في عنوان ذلك ما حكاه شيخ

الإسلام الشّرف المنادى من أنّ شيخه الشّريف الطبا طبي: كان بخلوته الّتي. بجامع عمروبن العاص بمصر العتيقة، فتسلّط عليه شخص من امرآء الأتراك يقال له: قر قماس الشعبانى، فأخرجه منها، قال: فأصبح يوماً فجآءه شخص و قال له: رأيتك الليلة في المنام جالساً بين يدى النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم وهو ينشدك هذه البيتين:

يا بني الزّهرآء والنّور الّذي ظنّ موسى أنّها نار قبس

لا اوالى الدهر من عاداكم إنّه آخر سطر من عبس

وذلك هو قوله تعالى: «اولئك هم الكفرة الفجرة» عبس:٤٢)

قال: ثمّ أخذ النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم عذبة سوطاً في يده فعقدها ثلاث عقدات ... قال شيخ الإسلام الشّرف المنادى: فكان من تقدير الله عزّوجّل أن ضربت رأس قر قماس، فلم تضرب إلاّ بثلاث ضربات، فكان ذلك السّوط من قبيل قوله تعالى: «فصبّ عليهم ربك سوط عذاب» الفجر: ۱۳)

ثمّ قال الخفاجى الحنفى: و عجآئب هذا الباب كثيرة لا نطيل بذكرها غير أنّه لا بأس أن نذكر شيئاً من النّظم يتعلّق بمدح أهل البيت عليهم السّلام، قال الكميت الأسدى رضوان الله عليه:

طربت و ما شوقاً إلى البيض أطرب و لا لعباً منّي و ذو الشّيب يلعب

و لا تلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطرّ بني بنان مخضّب

و لا أنا ممّن يزجر الطّير همّه أصاح غراب أم تعرّض ثعلب

ولا السّانحات البارحات عشيّة أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب

ولكن إلى أهل الفضآئل و التّقى و خير بني حوّآء و الخير يطلب

إلى النّفر البيض الّذين بحبّهم إلى الله فيما نابني أتقرّب

بني هاشم رهط النّبيّ و أهله بهم و لهم أرضىٰ مراراً و أغضب

فمالي إلاّ آل أحمد شيعة و ما لى إلاّ مذهب الحقّ مذهب

بأيّ كتاب أم بأيّة سنّة ترى حبّهم عار عليّ و تحسب

و جدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منّا تقيّ و معرب

عــلى أيّ جــرم أم بأيّــة سيرة	أعــنّف في تــقر يظهم واكـذّب
ألم تـــرني مـــن حبّ آل محـــمّد	أروح و أغــدو خآئــفاً أتــرقّب
و طــائفة قــد كــفّر تـنى بحبّهم	و طآئفة قـالت: مـسيء و مـذنب

١٣– قال ابن البارزى الحموى الشّافعى في كتابه: (توثيق عرى الايمان): «و من علامات محبّته صلى‌الله عليه و آله و سلم محبة ذرّيّته و إكرامهم، و الإغضآء عن انتقادهم، فما انتقد ذرّيّة محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم محبّ لمحمّد قطّ».

١٤ـ قال البغوى في تفسير آية المودّة من تـفسيره: (مـعالم التـنزيل:ج ٤ ص ١٢٥)– في الرّدّ على من زعم نسخ قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى»–: «إنّ مودّة النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم و مودّة أقاربه من فرآئض الدّين».

١٥ـ قال القرطبي في تفسير آية المودّة من تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن): و قيل: القرابة قرابة الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم أى لا أسئلكم أجراً إلاّ أن تودّوا قرابتي و أهل بيتي كما أمر بإعظامهم ذوى القربى. ثمّ قال: و هذا قول عليّ بن حسين و عمر وبن شعيب و السّدّى، وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لمّا أنزل الله عزّوجلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قالوا: يا رسول الله من هؤلآء الّذين نودّهم؟ قال: عليّ و فاطمة و ابنآؤهما» و قال القرطبي: و يدلّ عليه أيضاً ما روى عن عليّ رضى الله عنه قال: شكوت إلى النّبي صلى‌الله عليه و آله و سلم حسد النّاس لي، فقال: «أما ترضىٰ أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنّة أنا و أنت و الحسن والحسين و أزواجنا عن أيماننا و شمائلنا، و ذرّيّتنا خلف أزواجنا» و عن النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم : « حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي و آذاني في عترتي ....».

١٦– في الدرّ المنثور: و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس: «و مـن يـقترف حسنة» قال: المودّة لآل محمّد.

١٧– قال البيضاوى في تفسيرآية المودّة من تفسيره: (أنوار التنزيل): «قل لا أسئلكم عليه» : على ما أتعاطاه من التبليغ و البشارة «أجراً» نفعاً منكم «إلاّ المودّة في القربى» أن تودّوني لقرابتي منكم، أوتودّوا قرابتي.و قيل: الإستثنآء منقطع، و المعنى: لا

أسئلكم أجراً قطّ، ولكن أسئلكم المودّة، و «في القربى» حال منها.

ثمّ قال: روى أنّها لمّا نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلآء؟ قال: علىّ و فاطمة و ابناهما، ثمّ قال: «ومن يقترف حسنة» و من يكتسب طاعة سيّما حبّ آل الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم.

۱۸ـ روى الخوارزمى في كتابه: (المناقب: ص ۱۲۹-۱۳۰ ط النجف): «أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام أرسل إلى معاوية رسله، و هم الطرماح و جريربن عبدالله البجلي و غيرهما قبل مسيره إلى صفّين، و كتب إليه مرّة بعد اخرى يحتج عليه بيعة أهل الحرمين له، و سوابق في الإسلام لئلاّ يكون بين أهل العراق و أهل الشّام، محاربة، و معاوية يعتل بدم عثمان، و يستغوي بذلك جهّال الشّام، و اجلاف العرب، و يستميل إليه طلبة الدّنيا الدّنيّة بالأموال و الولايات و كان يشاور في أثنآء ذلك ثقاته و أهل مودّته و عشيرته في قتال عليّ عليه‌السلام فقال له أخوه عتبة: هذا أمر عظيم لايتمّ إلاّ بعمرو بن العاص، فانّه قريع زمانه في الدّهآء و المكر، يَخدع و لا يُخدع، و قلوب أهل الشّام مائلة إليه، فقال له معاوية: صدقت و الله، و لكنّه يحبّ عليّاً، فأخاف أن لا يجيبني، قال: اخدعه بالأموال و الولايات، فكتب إليه معاويه: «من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفان إمام المسلمين ذي النّورين، ختن المصطفى على ابنته، و صاحب جيش العشرة، و بئردومة، المعدوم النّاصر، الكثير الخاذل، المحصور في منزله، المقتول عطشاً و ظلماً في محرابه، المعذّب بأسياف الفسقة، إلى عمرو بن العاص، صاحب رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و ثقته، و أمير عسكره بذات السّلاسل،المعظم رأيه، المفخم تدبيره،أمّا بعد: فلن يخف عليك احتراق قلوب المؤمنين، وما اصيبوا به من الفجيعة بدم عثمان، و ما ارتكب به جاره حسداً و بغياً بامتناعه من نصرته، و خذ لانه إيّاه، و اشيأ به العامّة عليه، حتّى قتلوه في محرابه، فيا لها من مصيبة عمّت جميع المسلمين، و فرضت عليهم طلب دمه من قتلته، و أنا أدعوك إلى الحظّ الأجزل من الثواب، و النّصيب الأوفر من حسن المآل بقتال من آوى قتلة عثمان».

فكتب إليه عمرو:

«من عمروبن العاص صاحب رسول الله إلى معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد: فقد وصل إلّي كتابك، فقرأته ثمّ فهمته، فأمّا ما دعوتني إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي، و التّهوّر في الضّلالة معك، و إعانتي إيّاك على الباطل، و اختراط السّيف في وجه علي و هو أخو رسول الله، و وصيّه و وارثه، و قاضي دينه و منجز. وعده، وزوج ابنته سيّدة نسآء أهل الجنّة، و أبو السّبطين: الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، فلن يكون، و أمّا ما قلت: إنك خليفة عثمان فقد صدقت، ولكن تبيّن اليوم عزلك عن خلافته، و قدبويع لغيره فزالت خلافتك، و أمّا ما عظّمتني ونسبتني إليه من صحبة رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم و أنّي صاحب جيشه فلا أغترّ بالتّزكية و لا أميل بها عن الملّة.

و أمّا ما نسبت أباالحسن أخا رسول الله و وصيّه إلى البغي و الحسد لعثمان، و سمّيت الصّحابة فسقة، و زعمت أنّه أشلاهم على قتله فهذا كذب و غواية.

و يحك يا معاويه أما علمت أنّ أباالحسن بذل نفسه بين يدى رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم و بات على فراشه، و هو صاحب السّبق إلى الاسلام و الهجرة، و قد قال فيه رسول الله صلىالله عليه و آله و سلم: «هو منّي و أنا منه و هو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدى» و قال فيه يوم غدير خم: «ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و أخذل من خذله» و هو الّذى قال فيه رسول الله يوم خيبر: «لأُعطينّ الرّاية غداً رجلا يحبّ الله و رسوله، ويحبّه الله و رسوله» و هو الّذى قال فيه يوم الطّير: «اللّهمّ آتني بأحبّ الخلق إليك» فلمّا دخل عليه قال: « و إليّ و إليّ» و قد قال فيه يوم بني النّضير: «عليّ امام البررة و قاتل الفجرة، منصور من نصره، و مخذول من خذله» و قد قال صلىالله عليه و آله و سلم فيه: « عليّ وليّكم (امامكم خ) بعدى» و أكّد القول عليك و عَلَيّ و على جميع المسلمين(عَلَيّ و عليك و عليٍّ خاصّته خ) و قال:« إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى»

و قد قال فيه:« أنا مدينة العلم و عليٌّ بابها».

و قد علمت يا معاوية ما أنزل الله تعالى في كتابه من الآيات المتلوّات في فضآئله الّتي لا يشاركه فيها أحد كقوله تعالى: «يوفون بالنذر» و قوله تعالى: «إنّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون» و قوله تعالى: « أفمن

كان على بيّنه من ربّه و يتلوه شاهد منه» و قوله تعالى: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» و قوله تعالى: « قل لا اسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» و قد قال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم : «أما ترضى أن يكون سلمك سلمي، و حربك حربي، و تكون أخي و وليّي في الدّنيا و الآخرة». «يا أباالحسن من أحبّك فقد أحبّني، و من أبغضك فقد أبعضنى، و من أحبّك أدخله الله الجنّة، و من أبغضك أدخله الله النّار» و كتابك يا معاوية الّذى هذا جوابه ليس ممّا ينخدع به من له عقل أو دين و السّلام».

أقول: كتاب عمرو بن العاص في جواب معاوية بن أبي سفيان بن عليهما الهاوية و النيران رواه الخوارزمى من أعلام العامّة في كتابه: (المناقب) فتدبّر أيّها القارىء الخبير و المتدبّر المنصف ما فيه من النّصوص على امامة أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالب عليه‌السلام بعد رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم من دون فصل، و هذا مما روته النّواصب عن الخوارج، و ما هذا إلاّ من أعجب العجب، و ما للمخالف سوء المنقلب، ولعنة الله على الظّالمين الّذين يكتمون ما انزل الله من البيّنات و الهدى من بعد ما بيّنه للنّاس في كتابه أولٰئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون إلى لقاء يوم الدّين الاّ الّذين تابوا و أصلحوا و بيّنوا ما هو الحق و أهله و قد أشار الى ذلك في ذيل الآية بقوله تعالى:«و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور». كما أنّ سماحة العلاّمة المجاهد الشيخ محمد مرعى الأمين الانطاكى ـ و هو كان قاضي القضاة مرتدياً زيّ الإفتاء على مذهب العامّة ـ لمّا استبصر و اعتنق مذهب أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بيّن الحق في كتابه: (لماذا اخترت مذهب الشّيعة: ص ٨١) مالفظه:« فقد اتفق المفسّرون من الشّيعة جميعاً على نزول هذه الآية: « آية المودّة» الكريمة خاصّة في أهل البيت ـ عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و هكذا جاء في تفاسير السّنّة و الجماعة و صحاحهم و مسانيدهم، لكنّهم مع اعترافهم بنزولها في العترة الطّاهرة ترى طائفة ضئيلة منهم يتعمّدون الخلاف و يفسّرونها على خلاف ما أنزل الله كابن تيمية و ابن كثير و من حذا حذوهما من مناوئى أهل البيت، و حملة الرّوح الأُمويّة لسوء صنيعهم و كثرة فريتهم على العترة الطّاهرة و سيلقون جزآئهم يوم الوقوف بين يدي الله و رسوله للحساب.

أمّا أهل البيت عليهم السّلام فقد أجمعوا و كذا أولياؤهم قداتّفقوا في كلّ سلف و

خلف على أنّ القربى هناهم قرابة رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم: عليٌّ و فـاطمة و الحسن والحسين عليهم السلام فهم ألصق النّاس برسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم، و أمّا الحسنة الواردة في الآية انّما هى مودّتهم و موالاتهم، و إنّ الله تعالى غفور شكور لأهل و لايتهم، و هذا متّفق عليه عندنا لايختلف فيه إثنان و هو من الضّروريّات عندنا أيضاً المفروغ منها، و قد جآئت أحاديث معتبرة بذلك عن العترة الطّاهرة.

ثمّ ذكر في (ص ٨٢ـ ٩٠) من كتابه: (لما ذا اخترت مذهب الشّيعة) نحو ستّين كتاباً من كتب العامّة و مسانيدهم و صحاحهم... أنّ آية المودّة نزلت في عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.

ثمّ قال: «فلله درّ كتب القوم:«السّنّة» فانّها أثبتت مدّعى الشّيعة منها لكثرة ما فيها من الأحاديث المعتبرة المتواترة في أحقّية عليّ و سائر أهل بيته عليهم‌السلام و الحقّ ظهر و الحمدلله».

ثمّ قال: « و بالجملة فقد تعيّن بهذه الآية الكريمة كـون الامـام و الخـليفة بـعد رسول‌الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بلا فصل هو الامام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام لظهور دلالة الآية الشّريفة على أنّ مودّة عليّ عليه‌السلام واجبة بمقتضى الآية حيث جعل الله تعالى اجر الرّسالة بمايستحق به الثّواب الدّائم مودّة ذوى القربىٰ إذ مع وقوع الخطأ منهم يجب ترك مودّتهم لقوله تعالى: «لاتجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يـوادّون مـن حادّالله و رسوله» المجادله:٢٢) و غير عليّ عليه‌السلام ليس بمعصوم بالإتفاق، اذن يكون هو الامام بلا فصل ليس إلاّ».

ثمّ قال: «قال آية الله العظمى المجاهد الشهيد القاضي نور الله التسترى في (احقاق الحق: ج ٣ ص ٢٣): إنّ اقامة الشّيعة للدّليل على امامة عليّ عليه‌السلام على أهل السّنّة غير واجب بل تبرّعي لإتفاق أهل السّنّة معهم على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم غاية الأمر أنّهم ينفون الواسطة، و أهل السّنّة يثبتونها، و الدّليل على المثبت دون النّافي كما تقرّر في موضوعه: « البيّنة على المدّعي و اليمين على من أنكر» إلاّ أن يرتكبوا خرق الاجماع بانكار امامته مطلقاً فحينئذ يجب على الشّيعة اقامة الدّليل، و الله الهادى إلى سواء السّبيل».

روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة: ص ١٠٦ الباب الثاني و الثلاثون في تفسير آية المودّة) قال ما نصّه: «و في المناقب عن محمد الباقر رضى الله عنه قال في قوله تعالى: « قل ماسئلتكم من أجر فهو لكم» يقول: الأجر الّذى هو المودّة في القربى الّتى لم أسئلكم غيرها فهو لكم تهتدون بها و تسعدون بها و تنجون من عذاب الله يوم القيامة» ثمّ قال القندوزي: «فالمودّة مشتقّة من الودّ و هو الحبّ القوىّ الدّائم الثّابت».

و فيه (الباب الثامن و الخمسون: ص ٢٧٢) ما لفظه: « و عن ابن أبي ليلى عن الحسين بن عليّ أنّ رسول الله صلىاللّه عليه و آله و سلم قال: ألزموامودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقى الله عزّو جلّ و هو يودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، و الّذى نفسي بيده لاينفع عبداً عمله الاّ بمعرفة حقّنا» أخرجه الطّبراني في الأوسط.

فى سعد السّعود للسّيدبن طاووس قال بعد ذكر رواية أوردها الزّمخشرى في تفسيره في معنى «المودّة في القربى»: «انظروا إلى أهل هذه الأحوال و الوصايا بالقرابة و الآل و إلى ما جرت عليهم حالهم من القتل و الذّلّ و الاستيصال و سوء الأحوال و الإطراح لعلومهم و رواياتهم و ترك اتباع آثارهم و هداياتهم، و الالتزام ممّن يرووافيه حديثاًو الإجتزاء و اتخذوه أعظم من صاحب النّبوّة و قد كان زمانه متأخّراً» انتهى كلامه.

وفى حديث الكساء: « ... فقال الله عزّ وجلّ: يا ملائكتي و يا سكّان سمٰواتي إنّي ما خلقت سمآء مبنيّة و لا أرضاً مدحيّة و لاقمراً منيراًو لاشمساً مضيئة، و لا فلكاً يدور و لا بحراًيجرى و لا فلكاً يسري الاّ في محبّة هٰؤلاء الخمسة الّذين هم تحت الكساء و يقول لك: و عزّتي و جلالي انّي ما خلقت سماءً مبنيّة و لاأرضاً مدحيّة و لاقمراً منيراً و لاشمساً مضيئة و لا فلكاً يدور و لابحراً يجري ولا فلكاً يسري إلاّ لأجلكم و محبّتكم ...» الحديث.

«القربى من هم عند الشّيعة الإماميّة؟»

و اعلم أنّ الرّوايات الصحيحة المستفيضة بل المتواترة في المقام عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كثيرة جدّاً لا يسعها مقام الإختصار فنشير إلى نبذة منها:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين امام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام: «و قد علمتم موضعي من رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة».

في شرح ابن أبي الحديد- ذكر ما كان من صلة علّي عليه‌السلام برسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم في صغره قال: «و القرابة القريبة بينه وبين رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم دون غيره من الأعمام، كونه ربّاه فى حجره ثمّ حامى عنه و نصره عند إظهار الدّعوة دون غيره من بني هاشم، ثمّ ما كان بينهما من المصاهرة الّتي أفضت إلى النّسل الأطهر دون غيره من الأصهار».

و فيه: «وروى الفضل بن عبّاس قال: سئلت أبي عن ولد رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم الذّكور: أيّهم كان رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم له أشدّحبّاً؟ فقال: عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام فقلت له: سئلتك عن بنيه، فقال: إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً وأرأف، مارأيناه زايله يوماً من الدّهر منذكان طفلاً إلاّ أن يكون في سفر لخديجة، و ما رأينا أباً أبرّ بإبن منه لعليّ، و لا ابناً أطوع لأب من عليّ له».

و في غرر الحكم: قال الإمام عليّ عليه السلام: «عليكم بحبّ نبيّكم فانّه حقّ الله عليكم، و الموجب على الله حقكم، ألا ترون إلى قول الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» عليكم بطاعة أئمتكم، فانّهم الشّهدآء عليكم اليوم و الشّفعآء لكم عندالله تعالى غداً».

أقول: لاريب لمن له طيب ولادة و إنصاف في أنّ المراد بالقربى، القرابة القريبة، وإنّما المقصود بهم عليّ بن أبيطالب و فاطمة الزّهرآء بضعة رسول الله و سبطاه: الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين كما نطقت به الأخبار المستفيضة، و الرّوايات المتواترة عن الفريقين، و قد دخل فيهم سآئر أئمّتنا المعصومين عليهم السّلام كدخولهم فيهم في آية التطهير، سبق ذكرها في تفسير سورة الأحزاب من هذا التّفسير تفصيلاً فراجع و اغتنم و لا تغفل.

فوسوسة بعض المذبذبين كابن تيميه و الفضل بن رزبهان و أذنابهما الاجرآء المبتورة: أنّ ظاهر آية المودّة شامل لجميع قرابات النّبيّ صلى‌الله عليه و آله و سلم مدفوعة، لمنافاته للقرينة اللفظيّة و هى الأخبار السّابقة و غيرها، و للقرينة الحاليّة لأنّ المعلوم من حال رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم هو الإعتناء بعليّ و فاطمة و الحسنين عليهم أفضل صلوات الله و أكمل تحياته لا من ناوأه من أقربائه، ولم يسلموا إلا بحدود، السيوف والغلبة، و للقرينة العقليّة، اذ لايتصوّر أن يكون و دّمن لم يوادّ الله و رسوله صلى‌الله عليه و آله و سلم أجراًللتبليغ و الرّسالة.

قال الله تعالى: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله و لو كانوا آبائهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم» المجادله: ٢٢) و قال: «يا أيّها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى و عدوّكم أولياء تلقون اليهم بالمودّة ـ قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم و الذين معه اذ قالوا لقومهم انّا برؤامنكم ...» الممتحنة:١ـ٤).

فلابدّ و أن يكون المراد مودّة من يكمل الايمان بمودّته و تحصل السّعادة الابديّة بموالاته و لذا قال الله عزّ و جلّ في آية اخرى: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» سبأ:٤٧).

بل بلحاظ شأن رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم إنّما يعد قرابة له من هو منه لامن بان عنه معنى و منزلة، و لذا قال الله تعالى لنبيّه نوح عليه‌السلام : «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح» هود:٤٦).

فيتعيّن أن يكون المراد بالقربىٰ هٰؤلاء الأربعة الأطهار أوّلاً، ثمّ التسعة من أئمتنا المعصومين عليهم صلوات الله ثانياً، و الآية الكريمة تدلّ على أفضليّتهم و عصمتهم، و أنّهم صفوة الله عزّ وجلّ، اذلولم يكونوا كذلك لم تجب مودّتهم دون غيرهم، و لم تكن مودّتهم بتلك المنزلة الّتي ما مثلها منزلة لكونها أجراً للتبليغ و الرّسالة الّذى لا أجر و لا حقّ يشبهه، و لذا لم يجعل الله تعالى المودّة لأقارب نوح و هود و صالح و لوط و شعيب «و ما أسئلكم عليه من أجر ان أجري إلاّ على ربّ العالمين» الشّعراء: ١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠).

فتنحصر الامامة و الولاية و الخلافة بعد رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم بقربىٰ النّبيّ الكريم صلى‌الله عليه و آله و سلم اذ لاتصحّ امامة المفضول بل الجاهل المحض مع و جود الفاضل و العالم المحض لا سيّما بهذا الفضل الباهر و العلم القاطع.

ولعمرى إنّ تقديم أبي بكر و عمر و عثمان على مولى الموحّدين امام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ما كان تقديم المفضول على الفاضل، بل كان تقديم الجهل المحض على العلم المحض، تقديم الظّلمة المحضة على النّور المحض، تقديم الضّلالة المحضة على الهداية المحضة، تقديم الإنحطاط المحض على الكمال المحض، تقديم الفاسد المحض على الصّالح المحض، تقديم الشّرّ المحض على الخير المحض، و تقديم الشقاوة المحضة على السّعادة المحضة ... إذ ليس هناك فاضل و مفضول، حتّى يقاس أحدهما بالآخر، و لا يقاس الحق بالباطل ... قطّ.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «لا يقاس بآل محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم من هذه الامّة أحد، و لا يسوّىٰ بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفيىء الغالي، و بهم يلحق التّالي، و لهم خصآئص حقّ الولاية، و فيهم الوصيّة و الوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله و نُقِلَ إلى منتقله».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «أين الذين زعموا أنّهم الرّاسخون في العلم دوننا؟ كذباً و بغياً علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطى الهدى، و يستجلى العمى، إنّ الأئمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، و لا تصلح الولاة من غيرهم».

و من البداهة أنّ وجوب المودّة مطلقاً يستلزم وجوب الطّاعة مطلقاً، ضرورة أنّ العصيان ينافي الودّ المطلق، و وجوب الطّاعة مطلقاً يستلزم العصمة الّتي هي شرط الإمامة، و لا معصوم غيرهم بالإجماع، فتنحصر الإمامة بهم، و لا سيّما مع وجوب طاعتهم على جميع الامّة.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولى الأمر منكم» النّساء: ٥٩).

في تفسير فرات الكوفي: باسناده عن عبّاد بن عبد الله بن حكيم قال: «كنت عند جعفر بن محمّد عليهما السّلام فسئله رجل عن قول الله: «قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: نزعم أنّها قرابة ما بينناو بينه، و تزعم قريش أنّها قرابة ما بينه و بينهم، و كيف يكون هذا و قد أنبأ الله أنّه معصوم.»

و في محاسن البرقي: باسناده عن سلام بن المستنير قال: «سئلت أبا جعفر عليه‌السلام عن قول الله: «قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فقال: هي و الله فريضة من الله على العباد لمحمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم في أهل بيته»».

و فيه: باسناده عن محمّد مسلم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ الرّجل ربّما يحبّ الرّجل و يبغض ولده فأبى الله عزّ و جلّ إلاّ أن يجعل حبّنا مفترضاً، أخذه من أخذه، و تركه من تركه واجباً، فقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ».

و في تفسير فرات الكوفي: باسناده عن زياد بن منذر قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام و هو يقول: «نحن شجرة أصلها رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و فرعها عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام و أغصانها فاطمة بنت النّبيّ و ثمرها الحسن و

الحسين عليهما السّلام و التحيّة و الإكرام، و أنا شجرة النّبوّة و بيت الرّحمة و مفتاح الحكمة، و معدن العلم وموضع الرّسالة و مختلف الملائكة، و موضع سرّ الله و وديعته، و الأمانة الّتي عرضت على السّموات و الأرض و الجبال، و حرم الله الأكبر، و بيت الله العتيق و ذمّته، و عندنا علم المنايا و البلايا و القضايا و الوصايا، و فصل الخطاب و مولد الإسلام و أنساب العرب.

إنّ الأئمّة عليهم السّلام كانوا نوراً مشرقاً حول عرش ربّهم، فأمرهم أن يسبّحوا فسبّح أهل السّموات لتسبيحهم، و إنّهم لصافّون، و إنّهم هم المسبّحون، فمن أوفٰى بذمّتهم فقد أوفٰى بذمّة الله، و من عرف حقّهم فقد عرف حقّ الله، هؤلآءِ عترة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و من جحد حقّهم فقد جحد حقّ الله، هم ولاة أمر الله و خزنة وحي الله، و ورثة كتاب الله، و هم المصطفون بأمر الله و الامنآء على وحي الله، هؤلآءِ أهل النّبوّة، و مفاض الرّسالة، و المستأنسون بخفق أجنحة الملائكة، من كان يغدوهم (يغِذوهم خ) جبرئيل بأمر الملك الجليل بخبر التنزيل و برهان الدّليل.

هؤلآءِ أهل بيت أكرمهم الله بشرفه، و شرّفهم بكرامته، و أعزّهم بالهدى، و ثبّتهم بالوحي، و جعلهم أئمّة هداة، و نوراً في الظّلم للنّجاة، و اختصّهم لدينه، و فضّلهم بعلمه و آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، و جعلهم عماداً لدينه، و مستودعاً لمكنون سرّه، و امنآء على وحيه، و شهدآء على بريّته، و اختارهم الله و اجتباهم و خصّهم و اصطفاهم، و فضّلهم و ارتضاهم و انتجبهم و جعلهم نوراً للبلاد، و عماداً للعباد، و الحجّة (الحجّته خ) العظمى، و أهل النّجاة و الزّلفى، هم الخيرة الكرام، هم القضاة الحكّام، هم النّجوم الأعلام، و هم الصّراط المستقيم، هم السّبيل الأقوم، الرّاغب عنهم مارق، و المقصّر عنهم زاهق، و اللاّزم لهم لاحق، هم نور الله في قلوب المؤمنين، و البحار السّائغة للشّاربين، أمن لمن التجأ إليهم، و أمان لمن تمسّك بهم، إلى الله يدعون، و له يسلّمون، و بأمره يعملون، و ببيانه يحكمون - إلى أن قال -: و منهم حبيب محمّد صلى الله عليه و آله وسلم و أخوه، و المبلّغ عنه من بعده البرهان و التأويل و محكم التّفسير أميرالمؤمنين، و وليّ المؤمنين، و وصيّ رسول ربّ العالمين عليّ بن أبيطالب عليه من الله الصّلوات الزّكيّة

و البركات السّنيّة.

هؤلآءِ الّذين افترض الله مودّتهم و ولايتهم على كلّ مسلم و مسلمة، فقال في محكم كتابه لنبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ و من يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفور شكور» قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام: إقتراف الحسنة حبّنا أهل البيت.

و فيه: باسناده عن سعيد بن جبير أنّه سئل عليّ بن الحسين عليه‌السلام عن هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» قال: هي قرابتنا أهل البيت من محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم.

و فيه: باسناده عن حبيب بن أبي ثابت أنّه أتى مسجد قبا، فإذا فيه مشيخة من الأنصار فحدّثوه أنّ عليّ بن الحسين أتاهم يصلّي في مسجد قبا، فسلّموا عليه ثمّ قالوا: إن كنتم سلمتم إلينا فيما كان بينكم نشهدكم فانّ مشيختنا حدّثونا أنّهم أتوا نبيّ الله في مرضه الّذي مات فيه، فقالوا: يا نبيّ الله قد أكرمنا الله و هدانا بك و آمنّا و فضّلنا بك، فاقسم في أموالنا ما أحببت، فقال لهم نبيّ الله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» فأمرنا بمودّتكم.

و فيه: باسناده عن أيّوب بن عليّ بن الحسين بن السّمط قال: سمعت أبي يقول: سمعت عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام يقول: سمعت رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم يقول: لمّا نزلت: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» قال جبرئيل: يا محمّد إنّ لكلّ دين أصلاً و دعامة و فرعاً و بنياناً، و إنّ أصل الدّين و دعامته قول: «لا إله إلاّ الله» و إنّ فرعه و بنيانه محبّتكم أهل البيت و موالاتهم فيما وافق الحق و دعا إليه».

و في الملهوف: قال السّيّد: «فروى أنّ بعض فضلآءِ التّابعين لمّا شهد برأس الحسين عليه السلام بالشّام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلمّا وجدوه بعد إذ فقدوه سئلوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا ثمّ أنشأ يقول:

جآؤا برأسك يا ابن بنت محمّد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولاً

قتلوك عطشاناً و لمّا يرقبوا ... في قتلك التأويل و التّنزيلا

و يكــبّرون بأن قُـتِلتَ و إنّمـا قـــتلوا بك التكـبير و التّهـليلا

قال: و جآء شيخ فدنا من نسآءِ الحسين عليه‌السلام و عياله و هم أُقيموا على درج باب المسجد. فقال: الحمدلله الّذي قتلكم و أهلككم، و أراح البلاد مـن رجـالكم، و أمكن أمير المؤمنين منكم، فقال له عليّ بن الحسين عليه‌السلام ، يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ»؟ قال الشّيخ: قد قرأت ذلك، فقال له عليّ عليه السلام : فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: «و اعلموا أنّما غنمتم من شئ فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى»؟ قال: نعم، قال عليّ عليه‌السلام: فنحن القربى، يا شيخ و هل قرأت هذه الآية: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً»؟ قال الشّيخ: قد قرأت ذلك.

قال عليّ عليه‌السلام: فنحن أهل البيت الّذين خصّصنا بآية الطّهارة، يا شيخ! قال: فبقى الشّيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به، و قال: بالله إنكم هم؟ فقال عليّ بن الحسين عليه‌السلام : تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ، و حقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم، فبكى الشّيخ و رمى عمامته، و رفع رأسه إلى السّمآءِ و قال: أللّهم إنّي أبرأ إليك من عـدوّ آل محمّد من جنّ و إنس، ثمّ قال: هل لي من توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك، و أنت معنا، فقال: أنا تآئب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشّيخ فأمر به فقتل».

و في **الإحتجاج**: و عن ديلم بن عمر قال: «كنت بالشّام حتّى أُتي بسبايا آل محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم فأُقيموا على باب المسجد حيث تقام السّبايا، و فيهم عليّ بـن الحسين عليه السلام فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشّام، فقال: الحمدلله الّذي قـتلكم و أهلكِكم و قطع قرن الفتنة – و لم يأل عن شتمهم – فلمّا انقضى كلامه، قال له عليّ بن الحسين عليه‌السلام: إنّي قد أنصتّ لك حتّى فرغت من منطقك، و أظهرت ما في نفسك من العداوة و البغضآءِ، فأنصت لي كما أنصتُّ لك، فقال له: هات، قال عليّ عليه‌السلام: أمـا قرأت كتاب الله عزّ و جلّ؟ فقال: نعم، قال: أما قرأت هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ»؟ قال: بلى.

فقال له عليّ عليه‌السلام فنحن اولئك، فهل تجدلنا في سورة بني إسرآئيل حـقّاً

خاصّة دون المسلمين؟ فقال: لا، قال عليّ بن الحسين: أما قرأت هذه الآية : «و آت ذا القربى حقّه»؟ قال: نعم، قال عليّ عليه‌السلام: فنحن اولئك الّذين أمر الله عزّ و جلّ نبيّه صلى‌الله عليه و آله و سلم أن يؤتيهم حقّهم، فقال الشّامي: إنّكم لأنتم هم؟ فقال عليّ عليه‌السلام : نعم، فهل قرأت هذه الآية: «و اعلموا أنّما غنمتم من شئٍ فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى» فقال له الشّاميّ: بلى، فقال عليّ: فنحن ذو وا القربى، فهل تجدلنا في سورة الأحزاب حقّاً خاصّة دون المسلمين؟ فقال: لا، قال عليّ عليه السلام : أما قرأت هذه الآية: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً» قال: فرفع الشّامي يده إلى السّمآءِ ثمّ قال: الّلهمّ إنّي أتوب إليك ثلاث مرّات، اللّهمّ إنّي أتوب إليك من عداوة آل محمّد و من قتل أهل بيت محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم و لقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم».

و في أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه - المجلس ٣١ الحديث ٣ - باسناده عن أبي نعيم قال: «حدّثني حاجب عبيد الله بن زياد: أنّه لمّا جيء برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طست من ذهب و جعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه و يقول: لقد أسرع الشّيب إليك يا أبا عبدالله، فقال رجل من القوم: مه فانّي رأيت رسول الله يلثم حيث تضع قضيبك، فقال: يوم بيوم بدر ثمّ أمر بعليّ بن الحسين عليه السلام فغلّ و حمل مع النّسوة و السّبايا إلى السّجن، و كنت معهم، فما مررنا بزقاق إلاّ وجدناه ملأ رجالاً و نسآءً يضربون وجوههم، و يبكون، فحبسوا في سجن و طبق عليهم، ثمّ إنّ ابن زياد لعنه الله دعا بعليّ بن الحسين عليه السلام و النّسوة و أحضر رأس الحسين عليه السلام و كانت زينب ابنة عليّ فيهم فقال ابن زياد:

الحمدلله الّذي فضحكم و قتلكم و أكذب أحاديثكم، فقالت زينب سلام الله عليها: الحمدلله الّذي أكرمنا بمحمّد و طهّرنا تطهيراً إنّما يفضح الله الفاسق و يكذب الفاجر قال: كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت؟ قالت: كتب إليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، و سيجمع الله بينك و بينهم، فتتحاكمون عنده، فغضب ابن زياد لعنه الله، عليها و همّ بها، فسكّن منه عمرو بن حريث، فقالت زينب: يا بن زياد حسبك ما ارتكبت منّا، فلقد

قتلت رجالنا، و قطعت أصلنا، و أبحت حريمنا، و سبيت نسآءنا و ذرارينا، فإن كان ذلك للإشتفآء فقد اشتفيت، فأمر ابن زياد بردّهم إلى السّجن، و بعث البشآئر إلى النّواحي بقتل الحسين عليه‌السلام.

ثمّ أمر بالسّبايا و رأس الحسين، فحملوا إلى الشّام، فلقد حدّثني جماعة كانوا خرجوا في تلك الصّحبة أنّهم كانوا يسمعون بالليالى نوح الجنّ على الحسين عليه‌السلام إلى الصّباح، و قالوا: فلمّا دخلنا دمشق أُدخل بالنّسآءِ و السّبايا بالنّهار مكشّفات الوجوه فقال أهل الشّام الجُفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلآءِ فمن أنتم؟ فقالت سكينة إبنة الحسين عليه‌السلام: نحن سبايا آل محمّد صلى‌الله عليه و آله و سلم فأُقيموا على درج المسجد حيث يقام السّبايا، و فيهم عليّ بن الحسين عليهما السّلام،و هو يومئذ فتى شابٌّ فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشّام فقال لهم: الحمدلله الّذي قتلكم و أهلككم، و قطع قرن الفتنة، فلم يأل (فلم يألوا خ) عن شتمهم، فلمّا انقضى كلامه قال له عليّ بن الحسين عليه‌السلام:

أما قرأت كتاب الله عزّ و جلّ؟ قال: نعم قال: أما قرأت هذه الآية: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ»؟ قال: بلى، قال: فنحن اولئك، ثمّ قال: أما قرأت: «و آت ذا القربى حقّه»؟ قال: بلى، قال: فنحن هم، فهل قرأت هذه الآية: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً»؟ قال: بلى، قال: فنحن هم، فرفع الشّاميّ يده إلى السّمآءِ، ثمّ قال: أللّهمّ إنّي أتوب إليك - ثلاث مرّات - اللّهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد و من قتلة أهل بيت محمّد، لقد قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل اليوم.

ثمّ أُدخل نسآء الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، فصحن نسآء آل يزيد و بنات معاوية و أهله، و ولو لن و أقمن المأتم، و وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فقالت سكينة: ما رأيت أقسى قلباً من يزيد، و لا رأيت كافراً و لا مشركاً شرّاً منه، و لا أجفى منه، و أقبل يقول و ينظر إلى الرّأس:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ثمّ أمر برأس الحسين عليه السلام فنصب على باب مسجد دمشق، فروي عن فاطمة بنت الحسين عليهما السّلام أنّها قالت: لمّا أُجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا أوّل شئ و ألطفنا، ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشّام أحمر قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، يعنيني، و كنت جارية و ضيئة، فأُرعبت و فرقت و ظننت أنّه يفعل ذلك، فأخذت بثياب أُختي و هى أكبر منّي و أعقل فقالت: كذبت و الله و لعنت، ما ذاك لك و لا له، فغضب يزيد، و قال: بل كذبت و الله لو شئت لفعلته، قالت: لا و الله ما جعل الله ذلك لك إلاّ أن تخرج من ملّتنا، و تدين بغير ديننا، فغضب يزيد ثمّ قال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدّين أبوك و أخوك، فقالت: بدين الله و دين أبي و أخي و جدّي اهتديت أنت وجدّك و أبوك، قال: كذبت يا عدوّة الله قالت: أمير يشتم ظالماً و يقهر بسلطانه؟ قالت: فكأنّه لعنه الله استحيي فسكت، فأعاد الشّامي لعنه الله فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فقال له: اعزب! و هب الله لك حتفاً قاضياً».

و في **الإحتجاج**: روى شيخ صدوق من مشايخ بني هاشم و غيره من النّاس أنّه لمّا دخل عليّ بن الحسين صلوات الله عليه و حرمه على يزيد لعنه الله، جيء برأس الحسين عليه‌السلام و وضع بين يديه في طست، فجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده و هو يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا و استهلّوا فرحاً	و لقالوا: يا يزيد لا تشل
فجزيناهم ببدر مثلها	و أقمنا مثل بدر فاعتدل
لست من خِندِف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

«آية المودّة و الأئمّة الطّاهرة (عليهم السلام)»

في الكافي: باسناده عن زرارة عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» قال: «هم الأئمّة عـليهم السّلام».

و في أمالي الشيخ الطّوسي قدّس سرّه: باسناده عن ابن عبّاس قال: كنّا جلوساً مع النّبيّ صلىاللّه عليه و آله و سلم إذ هبط عليه الأمين جبرئيل عليه السلام و معه جام من البلور مملوّ مسكاً و عنبراً، و كان إلى جنب رسول الله صلىاللّه عليه و آله و سلم عليّ بن أبيطالب و ولداه الحسن و الحسين – إلى أن قال –: فلمّا صارت الجام في كفّ الحسين عليه السلام قالت: «بسم الله الرّحمن الرّحيم قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ».

و في عيون الأخبار: قال: و وجدت في بعض الكتب نسـخة كـتاب الحـبا و الشّرط من الرّضا عليه السلام إلى العمال في شأن الفضل بن سهل و أخيه، و لم أرو ذلك عن أحد: «أمّا بعد: فالحمدلله البدئ البديع – إلى أن قال –: الحمدلله الّذي أورث أهل بيته مواريث النّبوّة، و استودعهم العلم و الحكمة، و جعلهم معدن الإمامة و الخلافة، و أوجب ولايتهم و شرّف منزلتهم، فأمر رسوله بمسئلة امّته مودّتهم إذ يقول: «قل لا أسـئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ» و ما وصفهم به من إذهابه الرّجس عنهم و تطهيره إيّاهم في قوله: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً».

و في الخصال: عن عبدالله بن العبّاس قال: «قام رسول الله صلى الله عليه و آله

وسلم فينا خطيباً فقال في آخر خطبته: و نحن الّذين أمر الله لنا بالمودّة فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون».

و في المناقب: لابن شهر آشوب السّروي المازندراني رضوان الله تعالى عليه: قال الصّادق عليه‌السلام للحصين بن عبدالرّحمن: يا حصين لا تستصغر مودّتنا فانّها من الباقيات الصّالحات، قال: يا بن رسول الله ما أستصغرها و لكن أحمد الله عليها.

و غير ذلك من الرّوايات الواردة في المقام تركناها للإختصار، و في المقام قصآئد و أبيات كثيرة من الموافق و المخالف، تبيّن حقآئق ... فنشير إلى ما يسعه مقام الإختصار:

في كتاب اثبات الهداة للمحدّث الكبير الشيخ الحرّ العاملي قدّس سرّه (ج ١ ص ٧٥٢ فصل: ٤٣) مالفظه: «فمن ذلك ما رواه أحمد بن محمد بن عيّاش في كتاب (مقتضب الأثر في الأئمّة الإثني عشر عليهم السّلام) و هى أبيات وجدت مكتوبة على سور مدينة بالمغرب عند الاندلس بناها سليمان عليه السلام من جملتها عند ذكر النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم:

له مقاليد أهل الأرض قاطبة ... و الأوصيآء له أهل المقاليد
هم الخلآئف اثنا عشرة حججاً ... من بعد الأوصيآء السّادة الصّيد
حتّى يقوم بأمر الله قآئمهم ... من السّمآء إذا ما باسمه نودى

و ممّا رواه لمصعب بن وهب النّو شجاني، و كان الّذي باع ماردة أمّ المعتصم من الرّشيد فولدت له المعتصم:

فإن تسألاني ما الّذي أنا دآئن ... به فالّذي ابديه مثل الّذي اخفى
شهدت بأنّ الله لا شئ غيره ... قويّ عزيز بارئ الخلق من ضعف
و أنّ رسول الله أكرم مرسل ... به بشّر الماضون في محكم الصّحف
و أنّ عليّاً بعده أحد عشر ... من الله وعد ليس في ذاك من خلف
أئمّتنا الهادون بعد محمّد ... لهم صفو وُدّي ما حييت لهم اصفى
ثمانية منهم مضوا لسبيلهم ... و أربعة يرجعون للعدد الموف
ولي ثقة بالرّجعة الحقّ مثل ما ... و ثقت برجع الطّرف منّي إلى الطّرف

و ممّا رواه لبعض العلويّين:

و جدّي النّبيّ المصطفى و أبي الّذي ولايته فرض على كلّ مسلم

و سبطا رسول الله عمّي و والدي و أولاده الأطهار تسعة أنجم

أئمّة هذا الخلق بعد نبيّهم فإن كنت لم تعلم بذلك فاعلم

و من ذلك: قول الشّيخ محمّد بن الشّيخ علي الحر عمّ مؤلّف هذا الكتاب من قصيدة طويلة يمدح بها الرّضا عليه السلام:

و لذ بمديح الطّيّبين و من بهم تناط عرى الجلى و تمحى الكبآئر

أئمّة حق لو صفّت لودادهم قلوب الورى لم يدخل النّار كافر

و حز شرفاً في مدحك الضّامن الّذي به انجاب عن طرق الرّشاد الدّياجر

أبو الأربع العزّ المقيم كما لها مزاج الهدى لا ما تقيم العناصر

و ثامن سبع دبرت بوجودها قوى الكون لا السّبع الطّباق الدواير

و من ذلك قول المولى عليّ بن خلف الحويزى من قصيدة:

و صنو الرّسول و من علا على كتفه يوم كسر الوثن

و بضعته و إمامي الشّهيد من بعد ذكرى إمامى الحسن

و بالتّسعة الغرّ أرجو النّجاة فحبّهم لي أوقى الجنن

و قوله من قصيدة طويلة:

فالهوى مهلك سوى حبّ قوم برعوا في العلى سنا و سنآء

النّبيّ المختار و العترة الأطهار أزكى الورى علا و ارتقآء

شرفوا ساير البطاح عموما و خصوصا قد شرفوا البطحآء

و بقيعا و طيبة و منى مع عرفات و مكّة الغرّآء

و غرّياً و كربلا و طوسا ثمّ بغداد ثمّ سامرآء

وقوله من قصيدة طويلة:

بـنبيّ فـاق الخـلائق فـضلا و عـــليّ و ولده الأوصـيآء

و نصوص و معجز ات أتتنا لهم لم تخـف مـن اسـتقصآء

أهل بيت هـم سـفينة نـوح و صراط النّجاة يوم الجزآء

بي دآء و بـالهدى ألف دآء و خروج المهديّ خير دواء

و قوله من قصيدة طويلة:

إنّ حبّي لآل بـيت رسـول للـه يـــــنسني الهــوى و الحـــبيبا

قد جمعنا عشرين ألف حـديث في كــتاب غـــادرته مكـــتوبا

من نصوص و معجزات تـوالت تعجب النّـاظر الأديب الأريـبا

فـــاق كـــلّ المـصنّفات جمـيعاً حيث جاز التّحرير والتهـذيبا

فـاسلنه عـن شـبهة وجـواب تجــد الطّــرس سـائلاًو مجـيبا

وقوله من قصيدة طويلة:

إمامتهم أقـوى دليـلاً و حـجّة من العدل و التّوحيد بل و النّبوة

حســبنا حـــجّة روايـة أعـدآ ئـــهم للـنّصوص و المـعجزات

طـــفلهم يـــعلم العـلوم بـإلهام مـــن اللـه مع جمـيع اللـغات

و قوله:

رجآئي في يـــوم المـــعاد محـــمّد نبيّ عزيز الفـضل للـرّسل سـيّد

و من بعده حســبي عـليّ و ولده فليس لهم مثل من الخلق يـوجد

تـفرّقت الأهـوآء سبعين فـرقة تـــلتها ثـلث يـوم مـات محـمّد

فكان بأصحاب الكسآء تمسّكـي سئواهـم مـنّي مـغيب و مـشهد

و كلّ كتاب فـيه نـصّ و شـاهد بفضلهم بـل و الجـهادات تـشهد

فكم نطقت صمّ الصّخور و نحوها لهم و أقرّت فالورى كيف تجـحد

و قوله من قصيدة طويلة:

و النّبيّ المختار والمرتضى الكرّار ثمّ السّبطان أهل المجد
و عليّ محمّد جعفر موسى على ذووا التّق و الزّهد
و جواد يتلوه هاد ومن بعدهم العسكري ثمّ المهدي
هم ملاذي، هم ملجأي هم معاذي لمعادي و خير ذخر معد
أيّها الجاحدون أقررتم با لحق لا تسلكوا سبيل الجحد
كم رويتم نصّاً صريحاً بليغاً يثبت الحق لا يراع بردّ

و قوله من قصيدة طويلة:

و من الدّين نلت أوفرحظّ بولآء الأئمّة الأمجاد
كلّ يوم أرى لهم معجزات و نصوصاً ما إن لها من نفاد
كادت المعجزات من فرط ما قد أظهروها تصير كالمعتاد
قد أنارت ظلام جهل وشك شمس نصّ لولا كسوف العناد
و الجمادات قد أقرّت لهم با لفضل ناهيك باعتراف الجماد

و قوله من قصيدة طويلة:

أتت هل أتى مدحاً له ولولده وهم أهل بيت المصطفى أشرف الأهل
و في سورة الأحزاب نصّاً مصرّحاً بفضلهم بل بالخلافة للكّل
و مائدة في موضعين فيالها براهين لوردت فروع إلى الأصل
و كم مثلها من آية و رواية و نصّ أتى بالقول فيهم و بالفعل

و قوله من قصيدة طويلة:

فأنا نآئب الأئمّة في العلم فقد نلت منه كلّ منال
كم روى الجاحدون نصّاً و إعجازاً فلم يفتقر إلى استدلال

و قوله من قصيدة طويلة:

و حماني من أطيب العيش و اللهو مديح منّي لآل الرّسول
الوصيّ الزّكيّ و العترة الأ برار ولد النّبيّ نسل البتول
حقّهم ثابت بنقل خصوم و هو عند الجدال أقوى دليل
سآء ما يحكمون إذ أنكروا حقّاً لهم ثابتاً بنصّ الرّسول
و الدّليل العقلي أيضاً على ذاك و نصّ الله العظيم الجليل
إن أرادو امنّا دليلاً أتينا بكتاب قد حاز ألفي دليل
و كتاب قد حاز ألفي حديث بروايات خصمنا منقول
و لقد راقني اعتناق الدّليلين هناك المنقول و المعقول

و قوله:

لي أربعة و عشرة هم أملي إذ حبّهم عندي خير العمل
القلب إلى سواهم لم يمل بل أصبح في هواهم كالنّمل

و قوله من قصيدة طويلة:

و آل رسول الله في الحشر عدّتي إذ اخاف غيرى من عذاب جهنّما
و من لي بمدح فيهم غير قاصر و مدحهم قد جآء و حياً من السّما
و كلّ كتاب فيه نصّ و معجز لهم من تصانيف الفريقين فاعلما

و قوله من قصيدة طويلة:

و مديحي لآل بيت نبيّ عن مديحي سواهم قد ثناني
هم بدور التّق شموس المعالي أشرف الخلق حجّة الرّحمن
و لا ثبات حقّهم ألف برهان لدينا في الكتب بل ألفان
و سواهم يأتي بأضعف تمويه سخيف في موضع البرهان
عارضوا باختيارهم ألف نصّ من حديث النّبيّ و القرآن

و استدلوا ببيعة و باجماع لما لفقوا من البهتان
قد نصبتم خليفة باختيار ثمّ بايعتموه عن إذعان
فتعالوا إذن نبايع نبيّاً بل إلهاً يبقى على الأزمان
فضل أهل بيت الكرام محا الفضل بعضب ماضٍ صقيل يمان
هم ثمان و أربع أنا افديهم جميعاً من أربع و ثمان

و قوله من قصيدة:

و تواترت مثل النّصوص على الأ ئمّة كم أتت من ناقل مأمون
فروى العدى و الأولياّء جميعهم منها فنونا اتبعت بفنون
و الفضل ممّا تشهد الأعدا به فهو اليقين و ليس بالمظنون

و قوله من قصيدة طويلة:

أئمّة حق في علومهم الهدى و قد آمنوا في العلم سهواً و نسيانا
لقد وردت فيهم نصوص كثيرة رواها الموالي و المخالف اعلانا
أبانوا باذن الله كلّ غريبة من المعجزات الغرّ فاعجب لما بانا
فكم وهبوا ميتاً حياة و ذاعمى عيوناً و كم ردّوا ذوى الشّيب شبانا
إمامتهم أقوى المطالب كلّها و أو ضحها عندي دليلاً و برهاناً

و من ذلك: قول أبي نواس:

أنا مولى لإمام حبّه فرض علينا و أُوالي و لديه حسناً و حسينا
فهم عترة شخص جاّء مبعوثاً إلينا جبل انفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

و في **مفاتيح الجنان**: - في أعمال يوم غدير - «... فإنّا يا ربّنا بمنّك و لطفك أجبنا داعيك، و اتّبعنا الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم و صدّقناه و صدّقنا مولى المؤمنين، و كفرنا بالجبت و الطّاغوت، فَوَلّنا ما تولّينا، و احشرنا مع أئمّتنا فإنّا بهم مؤمنون موقنون و لهم مسلّمون، آمنّا بسرّهم و علانيتهم و شاهدهم و غآئبهم و حيّهم و ميّتهم، و رضينا

بهم أئمّة و قادة و سادة، و حسبنا بهم بيننا و بين الله دون خلقه، لا نبتغي بهم بدلاً و لا نتّخذ من دونهم وليجة، و برئنا إلى الله من كلّ من نصب لهم حرباً من الجنّ و الإنس من الأولين و الآخرين، و كفرنا بالجبت و الطّاغوت و الأوثان الأربعة و أشياعهم و أتباعهم، و كلّ من والاهم من الجنّ و الإنس من أوّل الدّهر إلى آخره.

اللّهمّ إنّا نشهدك أنّا ندين بمادان به محمد و آل محمد صلى‌الله عليه و آله و سلم و قولنا ما قالوا، و ديننا ما دانوا به، ما قالوا به قلنا، و ما دانوا به دِنّا، و ما أنكروا أنكرنا و مَن والوا والينا، و من عادوا عادينا، و من لعنوا لعنّا، و من تبرّؤامنه تبرّأنا منه، و من ترحّموا عليه ترحّمنا عليه، آمنّا و سلّمنا و رضينا و اتّبعنا موالينا صلوات الله عليهم ...» الدّعاء.

«المودّة في القربى و أجر الرّسالة»

قال الله عزّ و جلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣).

و قد اختلفت كلمات الفصحآء و المفسّرين، و الأُدبآء و المحدّثين، و الحكمآء و المتكلّمين، و الفقهآء و الاصوليّين من القدمآءِ و المتأخّرين في أجر الرّسالة إختلافاً كثيراً لا يسعنا مقام الإختصار بذكر جميعها تفصيلاً، فنشير إليها إجمالاً مع بيان ما استفدناه من القرآن الكريم، و كلمات أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين:

فمنهم: من قال: إنّ الإستثنآء متّصل، و المعنى: إني لا أسئلكم على هذا الخير الكثير و البشارة من فضل و إحسان تلقونه في الدّار الآخرة: «و الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير» الشّورى: ٢٢) لا أطلب منكم على هذا أجراً و لا نفعاً إلاّ هذا و هو أن تودّوا أهل قرابتي، و ليس هذا أجراً في الحقيقة لأنّ قرابتي قرابتكم، فكانت صلتكم لازمة لكم في المرؤة.

و منهم: من قال: إنّ الإستثنآء متّصل، و المعنى: لا أسئلكم شيئاً إلاّ المودّة. فجعل الله تعالى أجر نبيّه على أداءِ الرّسالة و إرشاد البريّة مودّة أهل بيته عليهم السّلام.

و منهم: من قال: إنّ الإستثنآء منقطع، إذ ليس الإستثنآء في المقام من الجملة. و المعنى: قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى و أسئلكموها، فيكون قوله: «قل لااسئلكم عليه أجراً» كلاماً تامّاً قد استوفى معناه، و يكون قوله: «إلاّ المودّة في القربى» كلاماً مبتداءً فائدته: لكن المودّة في القربى سألتكموها، و هذا كقوله تعالى: «فسجد

الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس» الحجر: ٣٠-٣١) و المعنى فيه: لكن إبليس، و ليس باستثنآء من جملة، و كقوله عزّ و جلّ: «فانّهم عدوّلي إلاّ ربّ العالمين» الشعراء: ٧٧) معناه: لكن ربّ العالمين ليس بعدوّلي.

و قال الشّاعر:

و بلدة ليس بها أنيس إلاّ اليعافير و إلاّ العيس

و كان المعنى في قوله: «و بلدة ليس بها أنيس» على تمام الكلام و استيفآء معناه. و قوله: «إلاّ اليعافير ...» كلام مبتدأ معناه: لكن اليعافير و العيس فيها.

فما جعل الله سبحانه المودّة في القربى أجر رسوله صلى‌الله عليه و آله و سلم على أدآء رسالته لأنّ أجره في التّقرّب إلى الله عزّ و جلّ هو الثّواب الدّائم، و هو مستحقّ على الله تعالى في عدله وجوده و كرمه، و ليس المستحقّ على الأعمال يتعلّق بالعباد لأنّ العمل يجب أن يكون خالصاً لله تعالى، و ما كان لله تعالى وحده، فالأجر فيه على الله عزّ و جلّ وحده دون غيره.

و لو كان الإستثناء متّصلاً لكان معناه أنّ رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم طالب للأجر على تبليغ الوحى و أدآءِ الرّسالة، و هذا لا يجوز لوجوه:

أحدها - إنّ الله عزّ و جلّ قد حكى عن بعض أنبيآئه عليهم السّلام كنوح و هود و صالح و لوط و شعيب عليهم السّلام أنّهم صرّحوا بنفي طلب الأجر إلاّ على الله جلّ و علا إذ قال: «و ما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلاّ على ربّ العالمين» الشّعرآء: ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠) و رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أفضل الأنبيآء و سيّد المرسلين فبأن لا يطلب الأجر على النّبوّة و تبليغ الرّسالة أولى و بعبارة اخرى: إنّا إذا تدبّرنا دعوة الأنبيآءِ و المرسلين عليهم السّلام

للنّاس و منطقهم في القرآن الكريم نجدهم يعلنون أنّهم جآؤا لإعلاءِ كلمة التّوحيد، و توحيد الكلمة بين النّاس، و هم إزآء ذلك لا يطلبون أجرهم، إذ كان أجرهم كلّه على الله تعالى كما جآء في سورة الشعرآءِ و غيرها على لسان عدّة من الأنبيآءِ الكرام، و قد كان ذلك المنطق ينبع من أدب التّوحيد الخالص الّذي أدب الله تعالى به

أنبيآءه ليكونوا مثال العمل في سبيل الله لا يريدون جزاءً و لا شكوراً، و إنّ من المناسب جدّاً أن يكون الموجر هو المرسل لا المرسل إليه إذ لا يقاس أجر الله تعالى على أجر عباده.

فطلب الأجر من الامّة يخالف سنّة الأنبيآء العظام.

ثانيها - إنّ رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم أيضاً قد صرّح بنفي الطّلب إذ قال: «ما أسئلكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلّفين» ص: ٨٦) و قال: «ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلاّ على الله» سبأ: ٤٧) فلو كان طالب الأجر على تبليغ الوحى لتناقض القرآن الكريم، و كان معنى الآية الكريمة: «قل لا أسئلكم عليه أجراً بل أسئلكم عليه أجراً. و يكون أيضاً: إن أجري إلاّ على الله، بل أجري على الله و على غيره، و هذا تناقض لا يصحّ حمل القرآن المجيد عليه.

ثالثها - إنّ التّبليغ كان واجباً عليه صلى‌الله عليه و آله و سلم لقوله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٦٧) و قوله: «فانّما عليك البلاغ و علينا الحساب» الرّعد: ٤٠) و قوله: «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاّ البلاغ» الشّورى: ٤٨) و طلب الأجر على أدآءِ الواجب لا يليق بأقلّ النّاس قدراً، فضلاً عن فخر الكآئنات و أشرف الموجودات، و سيّد السّادات ...

رابعها - إنّ متاع الدّنيا أقلّ الأشياءِ و أخسّها بالنّسبة إلى الوحي السّماويّ و تبليغ الرّسالة، و هداية النّاس، فكيف يحسن عقلاً أن يطلب أخسّ الأشيآءِ بمقابلة أشرف الأشيآءِ؟ مع أنّ الدّنيا خلقت للإنسان، و أنّ الرّسول يفدى نفسه في سبيل رسالته فكيف يقع شيئ من الدّنيا أجراً للرّسالة؟!

فالأجر الّذي يطلبه رسول الله ينبغي أن يكون لحساب الدّعوة الإسلامية لا لشخصه، و لا لذي قرباه، و هذا التأويل يجعل الأجر محصوراً في هذا المعنى المحدود الّذي يذهب بكثير من جلال هذا الأجر الّذي لا يوفّيه أجر ممّا في هذه الدّنيا من مال و متاع ... فالأجر الّذي يطلبه رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم إنّما يطلبه من الله تعالى كما يقول عزّ و جلّ على لسان أنبيآئه: «إن أجري إلاّ على ربّ العالمين».

خامسها - إنّ طلب الأجر يوهم التّهمة، و ذلك ينافي القطع بصحّة النّبوّة، فثبت بهذه الوجوه أنّه لا يجوز من الرّسول أن يطلب الأجر من امّته لرسالته.

سادسها - إنّ مودّة المؤمنين بعضهم لبعض هى من دين المؤمنين، فهم كما قال تعالى: «بعضهم أولياء بعض» بهذا الولآءِ متوادّون، و أولاهم بمودّتهم و ولآئهم أقربهم إلى رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم فآل بيت رسول الله داخلون في هذه المودّة العامّة الّتي بينهم و بين المؤمنين من باب أولى «النّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فحبّ آل بيت رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و مودّتهم من ايمان كلّ مؤمن، فلا يحتاج هذا إلى ذكر خاص.

سابعها - إنّ الآية الكريمة مكّيّة، و كان من آل بيت النّبيّ الكريم كثيرون ممّن لم يدخلوا في الإسلام كالعبّاس، بل و منهم من كان يؤذي رسول الله أذىً بالغاً و يكيدله كيداً عظيماً كأبي لهب، فلم يكن من المقبول - و الأمر هكذا - أن تجيىء دعوة السّمآءِ بمودّة آل البيت الّذين لم تتّضح معالمهم في الاسلام بعد ... و أولى من هذا أن تكون الدّعوة بالمودّة عامّة بين رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم و قومه جميعاً، و خاصّة المشركين منهم، و يكون معناها الدّعوة إلى التخفّف من عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم و كيدهم له و تركه و شأنه، مراعاة لتلك القرابة الّتي بينه و بينهم إذ لم يكن منه مسآءة لهم، بل كان ودوداً لهم، رحيماً بهم، يريد لهم الخير و يؤثرهم به.

ثامنها - إنّ الخطاب عام موجّه إلى المشركين بصفة خاصّة، الّذين يحاجّهم القرآن، و يتهدّدهم بالنّار، و يعرض لهم في مقابلها الجنّة و ما يلقى المؤمنون فيها.

أقول: إنّ تلك الوجوه الثمانية كلّها مردودة بما تقدّم آنفاً، و في التفسير و التأويل فارجع، و بما سيأتي فانتظر.

و منهم: من قال: إن هذا الأجر المطلوب في آية المودّة هو في الواقع من أروع ما يعود على الأُمّة بالخير، و يرتبط بمسيرتها و مستقبلها و قيادتها، حيث يشدّها الشّدّ العاطفي الواعي إلى القيادة مقوياً بذلك الشّدّ العقآئدى بها، و إذا اقترنت العقيدة بالعاطفة المبنية على أساسها أمكن ضمان قيام القآئد بمهامّه التاريخيّة الكبرى الملقاة على عاتقه في

مجال تربية الإنسانيّة ككل، و هدايتها إلى شواطىء الكمال و السّعادة، و الصّلاح و الفلاح ... فهذا الأجر المسئول هو في الواقع تعليم إجتماعيّ رائع لصالح الامّة نفسها، و ليس أجراً شخصيّاً لرسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم بعد أن كان صلى الله عليه و آله وسلم أشدّ النّاس إخلاصاً للحقيقة، و بعد أن كان القرآن الكريم يعلن: «و ما تسئلهم عليه من أجر» يوسف: ١٠٤) و «اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً» الأنعام: ٩٠) و قد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله عزّ و جلّ على لسان نبيّه الخاتم صلى‌اللّه عليه و آله و سلم: «و ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلاّ على الله» سبأ:٤٧) و كذا يشير إليه قوله عزّ و جلّ: «قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» الفرقان: ٥٧).

أمّا تسمية هذه المودّة أجراً لرسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم فقد يكون مجرّد تنزيل و ادّعآء، لأنّه يمسّ الرسول صلى‌اللّه عليه و آله و سلم بعد أن كان في الحقيقة راجعاً إلى مصالح الامّة، و الّذي يصحّح هذه التّسمية أمران:

الأوّل: أنّ هؤلآءِ القربى هم السّبيل إلى معرفة الله تعالى و معالم دينه.

الثاني: أنّ مؤدّتهم - كما مرّآنفاً - لها أثر كبير في ربط الامّة بقيادتها الحكيمة لتحقيق الأهداف التّاريخيّة للإسلام، و لعلّ القرآن الكريم استغلّ الرّبط العاطفي برسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم لينسب المودّة في القربى إليه، محققاً بالتالي غرضه المنشود.

و منهم: من قال: و من البداهة من سنّة الله الدّآئبة في رسله أن لا يسئلوا المرسل إليهم أجراً لا مادّياً و لا معنويّاً، إذ ليس لهم في رسالتهم أجر من امهم، فإنّ أجرهم مضمون لهم عند الله تعالى، و ما طلب خاتم المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين من مؤمني امّته مودّتهم في قرباه، فليست هى أجراً و إن كانت بصيغته: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلاّ على الله» سبأ: ٤٧) كعامّة المرسلين.

و إنّ المودّة في القربى أجر لا يعود نفعه إلاّ على الامّة المسلمة في سبيل الايمان بربّهم: «قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» الفرقان: ٥٧). بعد قوله: «و ما أرسلناك إلاّ مبشّراً و نذيراً» الفرقان: ٥٦) لا تاجراً تتعامل ببلاغ الرّسالة، و

الصّيغة المجرّدة في سلبيّة الأجر سارية دون تكلّف: «قل ما أسئلكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلّفين إن هو إلاّ ذكر للعالمين» ص: ٨٦-٨٧) «أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون» الطّور: ٤٠) «و ما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلاّ ذكر للعالمين» يوسف: ١٠٤).

فثلاث آيات من تلك الآيات تنفي عن رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم سئوال الأجر كاستمراريّة للسّنّة الرّساليّة، و ثلاث اخرى تعالج موقف المودّة في القربى: أنّها ليست في الحق و الواقع أجراً لشخصه صلى‌الله عليه و آله و سلم أو لقرباه، و إنّما هى أجر تعود منافعه كلّها إلى امّته: «فهو لكم» و سبيل لكم إلى معرفة ربّكم: «أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» و دخولكم في مدينة علم رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم من أبوابها المقرّرة لكم. إذاً فلتكن المودّ في القربى لصالحهم كمسلمين، و سبيلاً إلى ربّ العالمين، فلتكن مودّة في أبواب مدينة علم النّبيّ الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و إستمرارية لرسالة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم لا مودّة في أقربآئه بسبب القرب سببيّاً أو نسبيّاً، فضلاً عن قرابات لا يحسب لها حساب في ميزان الله سبحانه كقرابة أبي لهب.

و من المعلوم دون ريب أنّ الخطاب: «لا أسئلكم» موجّه إلى عباد الله المؤمنين الصّالحين الّذين بُشّروا بروضات الجنّات بسبب ايمانهم و صالح أعمالهم، دون الظّالمين المشفقين مما كسبوا، إذ لا يعقل طلب الأجر من المنكرين لأصل الرّسالة، جزآءً لهذه الدّعوة و هم ينكرونها، حتّى يقول: «لا أسئلكم عليه أجراً» ثمّ يطلب منهم بدل الأجر مودّتهم له صلى‌الله عليه و آله و سلم و هم أشدّ أعدآئه، و ألدّخصامه، حيث «إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون و يقولون أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» الصّافات: ٣٥-٣٦) «و إذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة و إذا ذكّر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزّمر: ٤٥) «هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون» المنافقون: ٤).

أفمِنَ المعقول أن يسئل رسول الله صلى‌الله عليه و آله و سلم المؤمنين برسالته أن يودّوه في قرابته منهم، و ليسوا هم كلّهم من قرابته، و لم يكونوا يعادونه بعد الايمان حتّى يطلب وُدّه نفسه لقرابته؟! إنّما القربىٰ هنا كما تقول آياتها ليست إلاّ القربى الّتي تقربهم

المودّة فيهم إلى الله تعالى زلفى: «إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» فانّما هى لهـم لا لشخصه صلى‌اللّه عليه و آله و سلم و لا لقرباه: «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» سبأ: ٤٧).

و من تدبّر في الآيات الكريمة، و الرّوايات المستفيضة بل المتواترة عن الفريقين تدبّراً من دون مرض قلبيّ و لا نفاق، و لا خبث الولادة و لا عصبيّة جاهليّة و لا عداوة لأهل بيت النّبوّة يذعن بأنّ القربى هم الأقربون إلى بيت الرّسالة المحمّدية و هم: «عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام» تنزيلاً و التّسعة المعصومون من ولد الحسين عليهم صلوات الله تأويلاً، و أنّهم وحدهم أبواب مدينة علم رسول الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم و هم الثقل الثّاني: عترته و هم خلفآؤه في امّته صلى‌اللّه عليه و آله و سلم بلا فصل، مهما يهرف الهارفون و يخرف الخارفون في اختلاق رويات تناقض تلك الرّوايات المتواترة أو في تأويلاتها ...

و ذلك أنّ القرآن هو الميزان، و هنا «المودّة في القربى» لا «للقربى» و لا «مودّة القربى» حيث إنّ القربىٰ جُعِلوا مكاناً للمودّة، أن تتمكّن المودّة فيهم كسبل إلى الله عزّ و جلّ لا مودّتهم، و المودّة لهم لكي يُتّخذوا اصولاً و أهدافاً ... بل هم سبيل إلى الله تعالى و الدّليل على مرضاة الله، إذاً فليس واجب المودّة هنا «إلاّ المودّة في القـربى» حـيث توصلكم إلى الله جلّ و علا.

إنّ «القربى» هي مؤنّث الأقرب كما و هى مصدر - و بطبيعة الحال - هي بمعنى الأقربيّة، و لا تخلو في سآئر القرآن الكريم عن كونها فعلى التّفضيل أو مصدره كما في ستة عشر موضعاً من «ذى القربى» و «ذوى القربى» و «اولوا القربى» و «ذا قربى» و «اولى قربى» و لا تجد «القربى» مجّردة عن «ذي - ذوي - اولي» إلاّ هنا، حيث الأقربيّة الرّساليّة هى المعنيّة دون ذويها و اوليها، و لذلك قال: «في القـربى» لا «للـقربى» أو «القـربى» فحاصل المعنى من «المودّة في القربى» هو المودّة في القربى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كمدينة علم الرّسالة، فإلى الله حيث الرّسالة تكرّس ككلّ إلى الله تعالى: «إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً» فكانوا هم السّبيل إليه جلّ و علا و المسلك إلى رضوانه.

فليست القربى إذاً - فقط - أقربيّة الرّسول صلى‌اللّه عليه و آله و سلم إلى الله تعالى

ممّن سواه و إن كانت تشملها كأصل، و لكنّما المودّة في القربى إنّما تكون لهم كسبيل كاملة إلى الله إذا اتخذوا إلى مدينة علمه سبيلاً هى أبوابها: «و يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلنّي عن الذّكر بعد إذ جآئني» الفرقان: ٢٧-٢٩).

فالرّسول صلىالله عليه و آله و سلم هو أفضل السّبل إلى الله تعالى، فالسّبيل مع الرّسول ليس هو الرّسول، و إنّما السّبيل مع الرّسول إلى الله عزّ و جلّ، هل لأنّ الرّسول لا يكفي سبيلاً إلى الله تعالى حتّى يثنّى بسبيل معه؟ أم إنّ السّبيل معه هو القرآن الكريم؟ و القآئل: «يا ليتني اتخذت مع الرّسول سبيلاً» لا ينقصه إلاّ سبيل مع الرّسول، و أمّا الرّسول و القرآن فهما توأمان، حيث إنّ الايمان بأحدهما ايمان بالآخر، و إنّ القرآن الكريم هو الدّليل لرسالته، فكيف يتّخذ الرّسول سبيلاً دون القرآن، فالسّبيل هنا ليس هو الرّسول و لا القرآن، و إنّما هو سبيل إلى رسول القرآن، و قرآن الرّسول فإلى الله جلّ و علا، و ليس إلاّ «المودّة في القربى»: الأقربين إلى الرّسالة لا الرّسول، فإنّ مودّة الأقربين إلى الرّسالة - لأنّهم أبواب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تتبع اتخاذهم سبيلاً مع الرّسول عليهالسلام.

في نهجالبلاغة: قال مولىالموحدّين، امام المتّقين أميرالمؤمنين عليبن أبيطالب عليهالسلام: «نحن شجرة النّبوّة و محطّ الرّسالة و مختلف الملائكة و معادن العلم و ينابيع الحِكَم - و عندنا أهلالبيت أبواب الحكم و ضيآءالأمر - نحن الشّعار و الأصحاب و الخزنة و الأبواب و لاتؤتى البيوت إلاّمن أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمّى سارقاً» و كما تواتر عن رسولالله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها».

ثمّ ولا تعني القربىٰ و بأحرىٰ أقربيّة الرّسول اليهم، ولا أقربيّتهم إليه صلى الله عليه و آله و سلم لو تعني قرابة نسبيّة أم ما ذا. من غير الرّساليّة، فانّها ليست لهم و لصالحهم في اتخاذ هم سبيلاً إلى ربّه، على أنّ المخاطبين، و هم المؤمنون برسالته، آمنوا به لرسالته و هى قربى روحيّة، فهى أقرب و أحرى فيالمودّة من القربى غير الرّوحيّة الرّساليّة، فالمودّة فيالقربىالّتي لها صلة بأجر الرّسالة، و ليست به فانّها لهم، و هى ممّن شآء أن يتّخذ الى

ربّه سبيلاً إنّها ليست هى الرّسالة حيث انهّم صدقوها، و ليست هى أجراً لنفسها، اللّهمّ إلاّ تعرّفاً سليماً إلى الرّسالة و استمراريّة لها، و ليس إلاّ بـ«المودّة في القربىٰ» عترته صلى الله عليه و آله و سلم الأقربون إليه في معرفة الرّسالة و حملها.

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه‌السلام في هؤلآء الأقربين: هم موضع سرّه و لجأ أمره و عيبة علمه و موئل حِكَمه و كهوف كتبه و جبال دينه بهم أقام انحنآء ظهره و أذهب ارتعاد فرآئصه - بنا اهتديتم في الظّلمآء و تسنّمتم العليآء و بنا انفجرتم عن السّرار - انظروا أهل بيت نبيّكم فألزموا سمتهم و اتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، و لن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، و إن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقو هم فتضلّوا ولا تتأخرّوا عنهم فتهلكوا - فيهم كرآئم القرآن و هم كنوز الرّحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا فليصدق رآئدٌ أهلَه، و ليحضر عَقْلَه، وليكن من أبناءِ الآخرة، فانّه منها قدم و إليها ينقلب».

هنالك مودّة في الرّسالة تجعلهم يتعلّمون من رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم و يطيعونه كما يستطيعون حسب ما يودّون رسالةالله و يحبّون‌الله جلّ و علا: «قل إن كنتم تحبون‌الله فاتّبعوني يحببكم‌الله» آل عمران: ٣١) و هذه المودّة تتطلب مودّة السّبل الى الرّسالة و مدينة علم الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم و ليست إلا «المودّة في القربى» حيث تقرّبهم إلى الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم فإلى‌الله تعالى زلفى، ثمّ لا نجد قربىٰ جدّاً إلاّهيه، اللّهمّ إلاّ واهية إلاّ قربى‌الله جلّ و علا و ليست هى لغير المعصومين، اللهّم إلاّ سبلاً الى‌الله، و هم وحدهم السّبيل الأعظم و الصّراط الأقوم، و هم أهل بيت النّبوّة، و موضع الرّسالة، و مهبط الوحي و معدن الرّحمة، و هم الدّعوة الحسنى، و حججالله تعالى على أهل الدّنيا و الآخرة و الاولى، و هم الدّعاة الى‌الله، والأدلاّء على مرضات‌الله، و الثّابتون في‌أمرالله، إذهم لايعصون‌الله و يفعلون ما يؤمرون.

و حقّاً إنّ المودّة في القربىٰ ليست أجراً للرّسالة، و إنّما هى طلب المزيد من تصديق الرّسالة بالمودّة في الملاصقين الأولين بالرّسالة، وُدّاً تحملهم على ملازمتهم في الأخذ عنهم أهل بيت الوحي المعصومون الّذين هم أدرى بما في‌البيت، فلأنّ الأجر هو

أجر الرّسالة لا أجر محمّد صلى الله عليه و آله و سلم إلاّ كرسول، فلتكن المودّة في القربى هى في قربى الرّسالة: من هو أقرب اليها من بيت الرّسالة، ثمّ و هو لهم كمؤمنين بالرّسالة و هو ممّن شآء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً، لاقرب محمّد صلى الله عليه و آله و سلم كسائر البشر إليهم، ولا قربهم إليه، فانّ المودة في هذا القرب و ذاك ليست إسلاميّة، و لا تمّت بصلة لرسالته فضلاً عن كونها أجراً للرّسالة.

و إنّ إلاستثنآء منقطع معنويّ لأنّ هذه المودّة لم تكن أجراً، و إن كان متّصلاً لفظيّاً حيث سمّاها أجراً و ما هى بأجر، ثمّ و ليس مجرّد عدم تناول الأجر، بل يتناولون هم أجراً و زيادة: «و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً»! ثمّ و من بعد الأجر و زيادته مغفرة و شكراً، فخصيصة هذه المودّة أنّها ليست أجراً له صلى الله عليه و آله و سلم و هى لهم، و إنّما هي السّبيل إلى ربّهم، و ليست القربى أشخاصاً، و إنّما هى الأقربية إلى الرّسول رسالياً، وإلى الله تعالى بعد الرّسول معرفياً و عبوديّاً، المـمتثلة في الأئمّـة مـن عـترته المعصومين عليهم أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته.

و منهم: من قال: إنّ المراد بالمودّة في القربى، مودّة قرابة النّبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم و هم عترته من أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و قدوردت بـه روايات من طرق العامّة، و تكاثرت الأخبار من طرق الشيّعة الاماميّة الإثنى عشريّة الحقّة على تفسير آية المودّة بمودتهم و موالاتهم، و يؤيّده الأحاديث المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل بيت النّبوّة و محبّتهم، ثمّ إنّ التأمّل الكافي في الرّوايات المتواترة الورادة من طرق الفريقين عن رسول الله صلى اللـه عـليه و آله و سـلم المـتضمّنة لإرجاع النّاس في فهم كتاب الله بما فيه من اصول مـعارف الدّيـن و فـروعها، و بـيان حقآئقه إلى أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام كحديث الثقلين و حديث السّفينة و نحوهما لايدع ريباً في أن ايجاب مودّتهم، و جعلها أجراً للرّسالة إنّمـا كـان ذريـعة إلى إرجاع النّاس إليهم فيما كان لهم من المرجعيّة العلميّة.

فالمودّة المفروضة على كونها أجراً للرّسالة لم تكن أمراً وراء الدّعوة الدّينيّة من حيث بقآءها و دوامها، فالآية في مؤدّاها لاتغاير مؤدّى سآئر الآيات النّافية لسئوال

الأجر، و يؤل معناها الى أنّي لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ أنّ‌الله تعالى لمّا أوجب عليكم مودّة عامّة المؤمنين، و من جملتهم قرابتي، فإنّي أحتسب مودّتكم لقرابتي و أعدّها أجراً لرسالتي.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الذّين آمنوا و عملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً» مريم: ٩٦) و قال: «و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أوليآء بعض» التّوبة: ٧١)

و بذلك يظهر فساد ما اُورد على هذا الوجه أنّه لايناسب شأن النّبوّة لما فيه من التّهمة فانّ أكثر طلبة الدّنيا يفعلون شيئاً، و يسئلون عليه ما يكون فيه نفع لأولادهم و قراباتهم، و أيضاً لما فيه من منافاة لقوله تعالى: «و ما تسئلهم عليه من أجر» يوسف: ١٠٤)

وجه الفساد أنّ إطلاق الأجر عليها، و تسميتها به إنّما هو بحسب الدّعوى و أمّا بحسب الحقيقة فلا يزيد مدلول الآية على ما يدلّ عليه الآيات الاُخر النّافية لسؤال الأجر كما عرفت، و ما في‌ذلك من النّفع عائد إليهم، فلا مورد للتّهمة.

على أنّ الآية على هذا مدنيّة خوطب بها المؤمنون، و ليس لهم أن يتّهموا رسولهم المصون بعصمة إلهيّة بعد الايمان به و تصديق عصمته فيما يأتيهم به من ربّهم، ولوجاز إتّهامهم له في‌ذلك و كان بذلك غير مناسب لشأن النّبوّة لايصلح لأن يخاطب به؛ لاطّرد مثل ذلك في‌خطابات كثيرة قرآنيّة كالآيات الدّالّة على فرض طاعته المطلقة، والدّالّة على كون الأنفال والغنآئم للّه تعالى ولرسوله صلى الله عليه و آله و سلم و الدّالّة على خمس ذوي‌القربى، و ما اُبيح له في أمرالنسآء و غير ذلك من الخصآئص ...

على أنّه تعالى تعرّض لهذه التّهمة و دفعها في قوله الآتي: «أم يقولون افترى على‌الله كذباً فإن يشاء‌الله يختم على قلبك ...» الشورى: ٢٤) على ما سبق معناه.

وهب أنّا صرفنا الآية عن هذا المعنى بحملها على غيره دفعاً لما ذكرمن التّهمة، فما هو الدافع لها عن الأخبار الّتي لاتحصى كثرة الواردة من طرق الفريقين في ايجاب مودّة أهل البيت عنه صلى الله عليه و آله و سلم و أمّا منافاة هذا الوجه لقوله عزّوجلّ: «و ما تسئلهم عليه من أجر» فقد اتضّح بطلانه ممّا ذكرناه، و الآية الكريمة بقياس مدلولها إلى الآيات النّافية لسؤال الأجر، نظيرة قوله تعالى: «قل ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من

شاء أن يتّخذ الى ربّه سبيلاً» الفرقان: ٥٧).

و منهم: من قال: لاشكّ أنّ مودّتهم أجر الرّسالة و أجرها عظيم و مودّتهم كذلك عظيمة، و كلّ الأنبيآء عليهم‌السّلام جعلوا أجرهم في تبليغ الرسالة على الله إلاّنبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم فإنّه جعل أجره مودّة قرابته. و قد جاء في مودّتهم فضل كثير، منه ما:

في فروع الكافي: عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي شافع يوم‌القيامة لأربعة أصناف، ولو جآؤا بذنوب أهل الدّنيا: رجل نصر ذرّيّتي، و رجل بذل ماله لذرّيّتي عند المضيق، و رجل أحبّ ذرّيّتي باللسان و بالقلب، و رجل يسعى في حوآئج ذرّيّتى إذا طُرِّدوا أو شُرِّدوا»

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «طُرّدوا أو شرّدوا» التطريدو التشريد: التّفريق و الإبعاد.

أقول: إنّ الأجر ما يعود على‌العامل من ثواب العمل سوآء أكان دنيويّاً كقوله تعالى: «قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القوىّ الأمين - أن تأجرني ثماني حجج» القصص: ٢٦ - ٢٧) و قوله: «فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ اجورهنّ فريضة» النسآء: ٢٤) و قوله: «فان أرضعن لكم فآتوهنّ اجورهنّ» الطّلاق: ٦).

أم اخرويّاً كقوله عزّوجلّ: «و لأجر الآخرة خير للذين آمنوا و كانوا يتّقون» يوسف:٥٧)

و أمّا المودّة فهى المحبّة الخالصة المستتبعة للمراعاة و التعاهد و الطّاعة لمن يودّ كما سبق في معانيها آنفاً.

و أمّا القربى: هم - على ما استفاض من الرّوايات المتواترة من طرق الفريقين - أهل بيت رسول‌الله المعصومون صلوات‌الله عليهم أجمعين.

و ذلك أنّ‌الله عزّوجلّ لمّا أوحى إلى رسوله الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما أوحى من هذا الكتاب الشريف و المعجزة الخالدة، و أودع فيه جميع ما يحتاج إليه البشر في كلّ ظرف من الاصول الاعتقادية: التوحيد و العدل و النّبوة و الإمامة و المعاد، و من الفروع العملية و التكاليف و الأخلاق الفاضلة و الآداب الحسنة، و من

الوعد و الوعيد و الثواب و العقاب، و من كلّ ما فيه خير للبشر و صلاحه و كماله، و سعادته في الدّنيا و الآخرة ...

قال تعالى لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم: قل أيّها الرّسول لكلّ من آمن بـالله تعالى و رسوله و بكتابه، و عمل عملاً صالحاً: إنّي لا أطلب منكم في تبليغ الرّسالة مالاً و لا جاهاً و لا نفعاً عاجلاً و لا مطلوباً حاضراً لئلاّ يتوهّم أنّ رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم يطلب منكم بهذا التبليغ و الرّسالة حظّاً من الحظوظ لنفسه، و إنّما أطلب منكم المحبّة الخالصة المستقرّة، و الولاية المتمكّنة الثّابتة، و الطّاعة الدّائمة لأهل بيتي المعصومين أوّلهم علي بن أبيطالب، و آخرهم المهدي الحجة بن الحسن العسكرى صلوات‌الله عليهم أجمعين، و ذلك أنّ محبّتهم كمحبة الله تعالى، و ولايتهم كولاية رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم و طاعتهم كطاعةالله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم أصل من اصول الدّين و ركن من أركان الاسلام.

قال الله عزّوجلّ: «يا أيّها الذّين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم» النسآء: ٥٩).

وقال: «إنّما وليّكم الله و رسوله والذّين آمنواالذّين يقيمون الصّلاة و يـؤتون الزّكاة و هم راكعون» المآئدة: ٥٥).

حيث إنّ الرّسالة هي العلّة المحدثة، و الولاية لأهل بيت الوحى المعصومين هي العلّة المبقية لدين الاسلام، و التّلازم بينهما واضح لايخفى على من له طيب الولادة.

كيف لا؟ وإنّ‌الله عزّوجلّ قد أناط إكمال الدّين، و إتمام النّعمة، و رضائه الإسلام للمؤمنين ديناً، و تبليغ الرّسالة بالولاية لأهل بيت النّبوة إذ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً - يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٣ و ٦٧) فلولا الولاية لأهلها لما بلغت الرّسالة، و ما كانت المعرفة بالله تعالى و لا طاعته، لأنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين هم وحدهم لعصمتهم طريق إلى معرفةالله جلّ و علا، و العمل بأوامره و ترك نواهيه ... فلا تعود منفعة المودّة في‌القربى كمنافع سآئر الاصول من

السعادة و الكمال و جلب رضاالله و الرّضوان إلاّ إلى المؤمنين أنفسهم، لا إلى الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم ولا إلى قرباه المعصومين عليهم‌السّلام، فأجرهم كأجر الأنبياء و المرسلين على‌الله تعالى وحده: «إن أجري إلاّ على‌الله و هو على كلّ شيء شهيد» سبأ: ٤٧).

و في دعآء الندبة: «... ثمّ جعلت أجر محمّد صلواتك عليه و آله مودّتهم في كتابك، فقلت: قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى، و قلت: ما سئلتكم من أجر فهو لكم، و قلت: ما أسئلكم عليه من أجر إلاّ من شآء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً، فكانوا هم السّبيل إليك، و المسلك إلى رضوانك ...» الدعآء

و في الزّيارة الجامعة: «... بأبي أنتم و أُمّي و نفسي كيف أصف حسن ثنآئكم، و أُحصي جميل بلآءِكم، و بكم أخرجنا الله من الذّلّ، و فرّج عنّا غمرات الكروب، و أنقذنا من شفا جرف الهلكات و من النّار، بأبي أنتم و أُمّي و نفسي بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، و أصلح مافسد من دنيانا، و بموالاتكم تمّت الكلمة و عظمت النّعمة، و ائتلفت الفرقة، و بموالاتكم تقبل الطّاعة المفترضة، و لكم المودّة الواجبة، و الدّرجات الرّفيعة، و المقام المحمود و المكان المعلوم عندالله عزّوجلّ، و الجاه العظيم، و الشّأن الكبير و الشّفاعة المقبولة ...» الزّيارة.

«المودّة في القربى هى الطريق الى معرفةالله تعالى»

و اعلم أنّ الرّوايات الصّحيحة في المقام لكثيرة جدّاً، فنشير إلى نبذة منها روماً للاختصار:

في علل الشرائع: باسناده عن اسحق بن اسمعيل النّيسابوري أنّ العالم كتب إليه يعني الحسن بن عليّ عليهاالسّلام أنّ الله عزّوجلّ بمنّه و رحمته لمّا فرض عليكم الفرآئض لم يفرض عليكم لحاجة منه اليه، بل رحمة منه اليكم (عليكم خ) لا اله الاّ هو ليميز الخبيث من الطّيّب و ليبتلي ما في صدوركم، و ليمحّص ما في قلوبكم، و لتتسابقوا إلى رحمته، و لتتفاضل منازلكم في جنّته، ففرض عليكم الحجّ و العمرة، إقام الصّلاة و ايتآء الزّكاة و الصّوم و الولاية، و جعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرآئض و مفتاحاً إلى سبيله، و لو لا محمد و الأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهآئم،لا تعرفون فرضاً من الفرآئض، و هل يدخل قرية الاّ من بابها؟

فلمّا منّ‌الله عليكم باقامة الأوليآء بعد نبيّكم قال‌الله عزّوجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» و فرض عليكم لأوليآئه حقوقاً أمركم بأدآئها، ليحلّ لكم ما ورآء ظهوركم من أزواجكم و أموالكم و مأكلكم و مشربكم، و يعرّفكم بذلك البركة و النمآء و الثّروة، و ليعلم من يطيعه منكم بالغيب و قال الله تبارك و تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى»

و **في أمالي ابن الشّيخ**: بالاسناد عن محمّدبن المثنّى الأزديّ أنّه سمع أبا عبدالله

عليه‌السلام يقول: «نحن السّبب بينكم و بين‌الله عزّوجلّ».

و في **الخصال**: قال رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه‌السلام: «ثلاث اُقسم أنّهنّ حقّ: إنّك و الأوصيآء من بعدك، عرفآء لا يعرف‌الله إلاّ بسبيل معرفتكم، و عرفآء لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم و عرفتموه، و عرفآء لا يدخل النّار إلاّ من أنكركم و أنكرتموه».

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «عرفآء» **جمع عريف**، فعيل بمعنى فاعل، و هو القيّم بامور القبيلة أو الجماعة من النّاس يلى امورهم، و يتعرّف الأمير منه أحوالهم.

و في **أمالى الصّدوق** رضوان‌الله تعالى عليه باسناده عن المفضّل عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «بليّة النّاس عظيمة، إن دعونا هم لم يجيبونا، و إن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» و قال المفضّل: سمعت الصّادق عليه‌السلام يقول لأصحابه: «من وجد برد حبّنا على قلبه فليكثر الدّعآء لامّه فانّها لم تخن أباه».

و في **بشارة المصطفى**: باسناده عن الثّمالي عن أبي جعفر محمّدبن عليّ‌بن الحسين عليهم‌السّلام قال: «من دعاالله بنا أفلح، و من دعاه بغيرنا هلك و استهلك».

و فيه: باسناده عن محمّد الحلبي قال: لي أبوعبدالله عليه‌السلام: إنّه من عرف دينه من كتاب‌الله عزّوجلّ زالت الجبال قبل أن يزول، و من دخل في أمر بجهل خرج منه بجهل، قلت: و ما هو في كتاب‌الله عزّوجلّ؟ قال: قول‌الله عزّوجلّ: «ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» و قوله عزّوجلّ: «من يطع الرّسول فقد أطاع‌الله» و قوله عزّوجلّ: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اولي الأمر منكم» و قوله تبارك إسمه: «إنّما وليّكم‌الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون» و قوله جلّ جلاله: «فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً» و قوله عزّوجلّ: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس».

و من ذلك قول رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه‌السلام: «من كنت مولاه

فعليّ مولاه اللهّم وال من والاه و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أحبّ من أحبّه و أبغض من أبغضه».

و في **تفسير العيّاشي**: عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام في خطبته: قال الله: «اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم و لا تتّبعوا من دونه أوليآء قليلاً ما تذكّرون» ففي اتّباع ما جآءكم من الله الفوز العظيم، و في تركه الخطأ المبين».

و في **بصآئر الدّرجات**: بالاسناد عن بريد قال: سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول: بنا عبدالله و بنا عرف الله، و بنا وحّد الله، و محمّد صلى الله عليه و آله و سلم حجاب الله».

قوله عليه‌السلام: «حجاب الله» الحجاب: السّتر و كلّ ما احتجب به، و كل ما حال بين شيئين، حرز يكتب فيه شيء، و يلبس و قاية لصاحبه في زعمهم من تأثير السّلاح أو العين او غير ذلك، حجاب الشّمس: ضوئها، و المعنى: كما أنّ الحجاب متوسط بين المحجوب و المحجوب عنه، كذلك هو صلى الله عليه و آله و سلم واسطة بين الله تعالى و بين خلقه، أو كما أنّ حجاب الشّمس: ضوءها، كذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نوره و ضيائه.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥ ٤٦).

و في **تفسير فرات الكوفي**: باسناده عن ابن نباتة قال: «كنت جالساً عند أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام في مسجد الكوفة فأتاه رجل من بجيلة يكنّى أبا خديجة، و معه ستّون رجلاً من بجيلة: فسلّم و سلّموا، ثمّ جلس و جلسوا، ثمّ إنّ أبا خديجة قال: يا أميرالمؤمنين أعندك سرّ من سرّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحدّثنا به؟ قال: نعم.

يا قنبر ائتني بالكتابة، ففضّها فإذاً في أسفلها سليفة مثل ذنب الفأرة مكتوب فيها: «بسم الله الرّحمن الرّحيم إنّ لعنة الله و ملائكته و النّاس أجمعين على من انتمى الى غير مواليه، و لعنة الله و الملائكة و النّاس أجمعين على من أحدث في الا سلام حدثاً أو

آوىٰ محدثاً، و لعنةالله و الملائكة و النّاس أجمعين على من ظلم أجيراً أجره و لعنةالله على من سرق منار الأرض (شبراً من الأرض خ) و حدودها، يكلّف يوم‌القيامة أن يجيء بذلك من سبع سموات و سبع أرضين، ثمّ التفت إلى النّاس فقال:

والله لو كلّفت هذا دوابّ الأرض ما أطاقته، فقال له: يا أبا خديجة إنّا أهل البيت موالي كلّ مسلم، فمن تولّى غيرنا فعليه مثل ذلك، و الأجير ليس بالدّينار و لا بالدّينارين، و لا بالدّرهم و لا بالدّرهمين، بل من ظلم رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم أجره في قرابته، قال الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في‌القربى» فمن ظلم رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم أجره في قرابته فعليه لعنةالله و الملائكة و النّاس أجمعين».

و في أمالي الشيخ: بالاسناد عن ابن عبّاس و أبي رافع: كنّا جلوساً مع النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم اذهبط عليه الأمين جبرئيل، و معه جام من البلّور الأحمر مملوءاً مسكاً و عنبراً و كان إلى جنب رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم علىّ‌بن أبيطالب و ولداه: الحسن و الحسين عليهم التّحيّة و الاكرام، فقال له: السّلام عليك، الله يقرأ عليك السّلام و يحيّيك بهذه التّحيّة، و يأمرك أن تحيّي بها عليّاً و ولديه، قال ابن عبّاس: فلمّا صارت في كفّ رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم هلّلت ثلاثاً و كبّرت ثلاثاً، ثم قالت بلسان ذرب طلق يعني الجام ـ «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» فاشتمّها النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و حبابها عليّاً، فلمّا صارت في كفّ عليّ قال: «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم إنّما وليّكم‌الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون» فاشتّمها عليّ و حبابها الحسن، فلمّا صارت في كفّ الحسن قالت: «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم عمّ يتسآءلون عن‌النّباء العظيم الّذي هم فيه مختلفون» فاشتّمها الحسن، و حبابها الحسين، فلمّا صارت في كفّ الحسين عليه‌السلام قالت: «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّه في القربى و من يقترف حسنة نزدله فيها حسناً إنّ‌الله غفور شكور» ثمّ ردّت إلى النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فقالت: «بسم‌الله الرّحمن الرّحيم الله نور السّموات و الأرض» قال ابن عبّاس: فلا أدري أسمآءً (في‌السّمآءِ خ) صعدت أم في‌الأرض توارت بقدرةالله تعالى عزّوجلّ».

قوله: «بلسان ذرب» ذرابة اللسان: حدّته. و «حبا» أى أعطاه إيّاه بلا جزآءٍ.

و في **تأويل الآيات الظاهرة**: بالإسناد عن عبدالملك بن عمير عن الحسين بن عليّ عليه السلام في قوله عزّوجلّ: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» قال: و إنّ القرابة الّتى أمرالله بصلتها و عظّم من حقّها، و جعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الّذين أوجب الله حقّنا على كلّ مسلم».

و في **خصآئص الوحي المبين**: قال ابن البطريق بعد أن ذكر روايات عديدة عن طريق العامّة في نزول آية المودّة في أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ما لفظه: «فقد ثبت مودّتهم عليهم السّلام إذهي بأمرالله تعالى، و لكونها أجر التبليغ، و اذا أمرالله تعالى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم أن يطلب من الامّة عوض بذله لنفسه و تعزيره مهجته و أجر السّفارة بينه تعالى و بين امّته المودّة في اولي القربى، و فسّر اولي القربى من هم بقوله: «عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين» فوجبت مودّتهم كوجوب مودّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قامت مقام مودّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و اذا و جبت كوجوب مودّته وجب لهم من فرض الطّاعة ما يجب له صلى الله عليه و آله و سلم، و اذا وجب لهم من فرض الطّاعة ما وجب له، وجب الاقتدآء بهم، ولم يجب ذلك لهم إلاّ من حيث كانت النّفس واحدة بدليل قوله تعالى: «فقل تعالوا ندع أبنآئنا و أبنآءكم و نسآئنا و نسآءكم و أنفسنا و أنفسكم» آل عمران: ٦١) و نفسه عليّ صلى الله عليهما و آلهما، و نسآؤه فاطمة، و ابناه الحسن و الحسين صلى الله عليهما.

و يدلّ أيضاً على وجوب الطّاعة لهم قوله تعالى: «من يطع الرّسول فقد أطاع الله» و إذا كانت مودّتهم كمودّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وجب أن تكون طاعتهم كطاعة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم و صارت كطاعة الله تعالى لموضع قوله تعالى: «من يطع الرّسول فقد أطاع الله» و هذا من أدلّ دليل على وجوب الاقتدآءِ بهم عليهم السّلام، و معنى «إلاّ» في هذه الآية بمعنى غير، و معناه التفخيم لأمرهم و التعظيم لهم و ذلك مثل قول الشّاعر:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتآئب

أراد بـ«غير» المبالغة في المدح، و إليه ذهب عمروبن بحر الجاحظ في كتابه الّذي صنّف للمأمون في إمامة أميرالمؤمنين عليبن أبيطالب عليه‌السلام

اذا أوجب الرّحمن في الوحي ودّهم فأين عن الوحي العزيز ذهاب؟

و أين عن الذّكر العزيز مذاهب؟ و أين إلى غير الإله إياب؟

و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

و في **مفاتيح الجنان**: في أعمال يوم غدير: «اللّهم إنّي أسئلك بحقّ محمّد نبيّك و عليّ وليّك و الشّأن و القدر الّذي خصصتهما به دون خلقك أن تصلّي على محمّد و عليّ و أن تبدأ بهما في كلّ خير عاجل اللهّم صلّ على محمّد و آل محمّد الأئمّة القادة و الدّعاة السّادة، و النّجوم الزّاهرة و الأعلام الباهرة و ساسة العباد و أركان البلاد، و النّاقة المرسلة و السّفينة النّاجية الجارية في اللجج الغامرة، اللهم صلّ على محمد و آل محمّد خزّان علمك و أركان توحيدك و دعآئم دينك و معادن كرامتك و صفوتك من بريّتك و خيرتك من خلقك الأتقياء الأنقيآء النّجبآء الأبرار و الباب المبتلى به النّاس من أتاه نجى و من أباه هوى، اللهم صلّ على محمد و آل محمد أهل الذّكر الّذين أمرت بمسئلتهم، و ذوي‌القربى الّذين أمرت بمودّتهم، و فرضت حقّهم، و جعلت الجنّة معاد من اقتصّ آثارهم، اللهّم صلّ على محمّد و آل محمد كما أمروا بطاعتك و نهوا عن معصيتك و دلّوا عبادك على وحدانيّتك ...» الدّعآء.

«الشّيعة و المودّة في القربى»

يقول المحامي أحمد حسين يعقوب و هو من مفكّري المعاصر في كتابه: (نظريّة عدالة الصّحابة و المرجعيّة السّياسيّة في الاسلام الباب الثالث: المرجعيّة الفصل السّادس: من هو المرجع بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم؟

رأى الشّيعة:

أ- ضرورة المرجعيّة:

هم يقولون: ليس صحيحاً أنّ النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قد ترك هذه الامّة بدون وليّ ولا مرجع، لأنّ الولاية و المرجعيّة أمران جوهريان لاغنى للامّة عنهما و في كلّ زمان، و القول بترك الأمّة بدون وليّ ولا مرجع يناقض كمال الدّين، و تمام النّعمة، و تغطية البيان لكلّ شيء «تبياناً لكلّ شيء» فكيف يكون التبوّل شيئاً، و يبيّن النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم للنّاس كيف يتبوّلون، ولا تكون الولاية و المرجعيّة شيئاً و يتركها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم دون بيان؟ و بالتّناوب، فإنّ عدم بيان الولاية و المرجعيّة من بعده يناقض رحمة النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و رأفته بهذه الأُمّة و حرصه على مستقبلها، لأنّ الله قذف في قلبه الكبير المحبّة و الرّحمة و الرّأفة بهذه الأُمّة كما هو ثابت في القرآن الكريم.

ثمّ من يقوم بوظآئفه الدّينيّة و الدّنيويّة من بعده؟ فمن يبيّن القرآن؟ و من يحدّد

دائرة الشّرعيّة؟ و من سيكون سفينة النّجاة للامّة؟ و من يقود النّاس للهدى؟ و من يكون أماناً لها؟ هذه اختصاصات فنّيّة كالطّبّ و الهندسة و علم الذّرة؟ و هذه امور لا يعلمها على وجه الجزم و اليقين إلاّ الأعلم بالعقيدة و الأفضل و الأنسب بجمع الولاية مع المرجعيّة، و هذه صفات لا يعلمها على وجه الجزم و اليقين إلاّالله، و من المحال بالشّرع و العقل أن يتركها لأهوآءِ النّاس، ثمّ إنّها من ضرورات الدّين و من المستلزمات الأساسيّة للدّعوة وللدّولة وللامّة معاً. و أكبر دليل على ضرورتها أنّ الّذين أنكروها و أنكروا أن يكون النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قد بيّنها عادوا و أوجدوا ولاية وضعيّة، و استقّرت هذه الولاية الوضعيّة لمن غلب بعد أن قتل مئات الآ لاف من أبناءِ الامّة فيسبيل تحقيق الغلبة للغالب الّذي يجمع الأمّة تحت إمرته بالقوّة، و بغياب الفارس الغالب ركبت كلّ مجموعة من النّاس رأسها، و كوّنت ولاية وضعيّة و مرجعيّة خاصّة بها.

ب - البيان الإلهي للمرجعيّة:

الله تبارك و تعالى هو الّذي أنزل القرآن كرسالة إلهيّة لبني البشر، و كعقيدة إلهيّة تقدم لهم تصوّراً يقينيّاً لحركة كلّ شيء، و تنظم امور دينهم و دنياهم فيالحياة الدّنيا، و تستكشف لهم المعالم الأساسيّة للحياة الآخرة، و تربط الحياتين برباط عضويّ محكم، و كضرورة من ضرورات الكتاب أنزله على عبده محمد صلى الله عليه و آله و سلم ليبيّنه للنّاس بياناً نظريّاً و عمليّاً على صعيدي الدّعوة و الدّولة معاً، فقاد النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم الدّعوة بنفسه و ترأس الدّولة بنفسه عند ما تمخضت الدّعوة عن دولة و خلال مرحلتي الدّعوة و الدّولة بين العقيدة بياناً كاملاً و بينت العقيدة كلّ شيء للّذين تلقوا الذّكر.

فمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم هو المرجع ببيان العقيدة لأنّه الأعلم بها، و الأفهم لأحكامها، و الأفضل بين أتباعها و الأنسب لقيادة هؤلآءِ الأتباع، و تطبيق أحكام العقيدة عليهم، فلا أحد في الدّنيا ينوب عن محمّد صلى الله عليه و آله و سلم بهذه المهمّة، و لا أحد يغني و يسدّ مسدّه أثنآء حياته المباركة، و صاحب الاختصاص بانتداب محمّد صلى

الله عليه و آله و سلم لهذه المهّمة هوالله، لأنّه لا أحد يعرف على وجه الجزم و اليقين الأعلم بالعقيدة و الأفهم لأحكامها و الأفضل بين أتباعها و الأنسب لقيادة هؤلآءِ الأتباع و تطبيق أحكام العقيدة عليهم إلاّالله، لذلك حصر بنفسه حقّ اختيار هذا المرجع و الوليّ، و طرحه أمام البشر و شهد له بأنّه الأعلم و الأفهم و الأفضل و الأنسب، و خوّله صلاحيّة بيان العقيدة للنّاس، و صلاحيّة المرجعيّة و صلاحيّة الجمع بين الولاية على الأتباع و المرجعيّة في الدّين و الحكم بين النّاس على ضوءِ أحكام هذا الدّين.

فاذا قبلت الأُمّة المرجعيّة و الولاية الّتي طرحهاالله (قدمها) لهم و بايعت بالرّضا يصبح المرجع و الوليّ هو محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

و لأنّ الدّعوة مستمّرة إلى يوم الدّين، و الدّولة المؤمنة تدعم دعوة الايمان، و لأنّ الغاية هداية البشر كلّها، و لأنّ محمّداً صلى الله عليه و آله و سلم بشر و ميّت لا محالة، و لأنّالله وحده هوالّذي يعلم على وجه الجزم و اليقين من هو من أتباع محمد صلى الله عليه و آله و سلم الأعلم و الأفهم بالعقيدة و الأفضل بين الأتباع في ذلك الزّمان، و الأنسب لقيادة هؤلآء الأتباع، فإنّه أيضاً قد اختصّ بتقديم الوليّ و المرجع بعد و فاة محمّد صلى الله عليه وآله و سلم فإذا بايعت الامّة و قبلت بمن قدّمهالله وليّاً و مرجعاً لها فقد اهتدت، و إذا لم تبايعه الامّة تحدث عمليّة انفكاك بين الولاية و بين المرجعيّة فيكون الحاكم شخصاً، و المرجع شخصاً آخر، و مع الأيّام يستحوذ الحاكم على الحكم و المرجعيّة.

فالحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهماالسّلام هو إمام بالنّصّ، و وليّ بالنّصّ، و مرجع بالنّصّ و هو القدوة في زمانه بالنّصّ، ولكنّ الامّة رغبة او رهبة بايعت يزيد بن معاوية، فأصبح يزيد هوالحاكم، و الحسين هو المرجع، و الأصل أن يكون الحسين هو الامام الحاكم و هو المرجع معاً، ولكن لأنّ الامّة بايعت يزيداً تمّ الفصل بين الولاية (الحكم) و بين المرجعيّة، فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي، و لأنّ المرجعيّة تابعة للولاية، فلن يهنأ الحاكم قبل أن يجرّد المرجع من اختصاصاته المرجعيّة ليجمع بيده الولاية و المرجعيّة، و هذا ما حدث فلا وسيلة لتجريد الحسين عليهالسلام من مرجعيته تبعاً لتجريده من الولاية إلاّ بقتله فقتله يزيد.

و تقول الشيعة: إنّ حالة المسلمين و مستقبلهم يتوقّف على توحيد المرجعيّة مع الحكم أو الولاية بحيث يكون الوليّ هو المرجع، و بحيث يكون الوليّ و المرجع هو بنفسه المعيّن من قبل‌الله.

و الخلاصة أنّ المختصّ ببيان الإمام أو الوليّ و المرجع هوالله لأنّه وحده يعلم من هو الأعلم و الأفهم بأحكام العقيدة و من هو الأفضل و الأنسب من الأتباع للقيادة وفق أحكام الاسلام، و أنّه تعالى قد اختار للامّة الاسلاميّة وليّها و مرجعها قبل أن ينتقل الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم إلى الرّفيق الأعلى، و أنّ‌الله قد أمر النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم باعلان ذلك فأعلن أمام مأة ألف مسلم في حجّة الوداع، و تكرّر إعلان النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لهذا الأمر الإلهي عشرات المرّات، ولكنّ الامّة بايعت غير هذا الوليّ و المرجع، فحدثت عمليّة الإنفكاك بين الولاية (الحكم) و بين المرجعيّة، ثم زحف الحكام و جرّ دوا الوليّ في كلّ زمان من المرجعيّة، و جمعوا بأيديهم (كحكام) الولاية و المرجعيّة معاً بسند الغلبة.

من هو هذا الوليّ و المرجع الّذي عيّنه‌الله؟

تقول الشيعة: إنّه الإمام عليّ‌بن أبيطالب عليه‌السلام فقد اختاره‌الله ليخلف نبيّه بالولاية و المرجعيّة، و كلّف‌الله نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم بأن يعلن هذا الاختيار الإلهيّ، فأعلنه النّبيّ أمام مأة ألف مسلم في حجّة الوداع، و إنّه تعالى أعلن إمامة الحسن من بعده، و امامة الحسين من بعد الحسن، و رتبت الامور بحيث يتعيّن كلّ واحد من الأئمّة بنصّ من سبقه عليه، و وصلوا الى إثنى عشر اماماً، و الامام الثّاني عشر هو المهديّ عجّل‌الله فرجه ...

أقول: إنّ المرجعيّة الدّينيّة و الحكم في زمن غيبة الامام الثّاني عشر عجّل‌الله تعالى فرجه الشّريف لنوّابه العام، و ليس لأحد نيابة خاصّة، و إن بلغ ما بلغ من العلم و الحكومة فمن ادّعاها فهو كذّاب مفترى، و بذلك وردت روايات مستفيضة بل متواترة تؤيّده الآيات القرآنيّة أوردناها في محلّها من هذا التّفسير تفصيلاً، فمن أحرز شرآئط الافتآء و

الاستنباط على أساس الكتاب و السّنّة معاً، لا الإجتهاد في الأقاويل ... فعلى النّاس أن يقلّدوه و على الحكّام أن يتبعوه، حيث إنّ الحكومة تابعة للمرجعيّة الدّينيّة، و أمّا المقالة: إنّ الحكم لمن غلب فهذه منطق شيطانيّ يتبعه الغاوون و المستكبرون ...

و نشير إلى بعض ما ورد في المقام:

١ـ في وسائل الشّيعة ـ (كتاب القضاء باب ١٠ حديث ٢٢) و قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «من أخذ دينه من أفواه الرّجال أزالته الرّجال، و من أخذ دينه من الكتاب و السّنّة زالت الجبال ولم يزل» قال: و هذا الخبر مرويّ عن الصّادق عن أميرالمؤمنين عليهما‌السّلام.

٢ـ في اصول الكافي - خطبة الكتاب ـ و قال عليه‌السلام: «و من أخذ دينه من كتاب‌الله و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم زالت الجبال قبل أن يزول، و من أخذ دينه من أفواه الرّجال ردّته الرّجال».

ثم قال الشّيخ الكليني رضوان‌الله تعالى عليه: و ذلك بتوفيق‌الله تعالى و خذلانه، فمن أراد‌الله توفيقه، و أن يكون ايمانه ثابتاً مستقرّاً، سبّب له الأسباب الّتي تؤدّيه إلى أن يأخذ دينه من كتاب‌الله و سنّة نبيّه صلوات‌الله عليه و آله بعلم و يقين و بصيرة، فذاك أثبت في دينه من الجبال الرّواسي، و من أراد‌الله خذلانه و أن يكون دينه معاراً مستودعاً نعوذ بالله منه سبّب له أسباب الإستحسان و التقليد و التأويل من غير علم و بصيرة ...

أقول: و لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ سبب التّوفيق و الخذلان يعود إلى حسن إختيار الإنسان وسوء إختياره فلا جبر كما توهّم.

٣ـ في الخصال: باسناده عن سليم‌بن قيس الهلالى قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه‌السلام يقول: «احذروا على دينكم ثلاثة: رجلاً قرأ القرآن حتّى إذا رأيت عليه بهجته اخترط سيفه على جاره و رماه بالشّرك، فقلت: يا أميرالمؤمنين أيّهما أولى بالشّرك؟ قال: الرّامي، و رجلاً استخفّته الأكاذيب كلّما أحدث احدوثة كذب مدّها بأطول منها، و رجلاً آتاه‌الله سلطاناً، فزعم أنّ طاعته طاعة‌الله، و معصيته معصية‌الله و كذب لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لاينبغي أن يكون المخلوق حبّه لمعصية‌الله، فلا طاعة في

معصيته، ولا طاعة لمن عصى الله، إنّما الطّاعة لله و لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم و لولاة الأمر، و إنّما أمرالله بطاعة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم لأنّه معصوم مطهّر لا يأمر بمعصيته، و انّما أمر بطاعة اولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصيته».

٤ـ في اصول الكافي: باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال: «إنّ الله طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهدآء على خلقه و حجّته في أرضه، و جعلنا مع القرآن و القرآن معنا، لا نفارقه و لا يفارقنا».

٥ـ في وسائل الشيعة كتاب القضاء بالاسناد عن يحيى البكا عن عليّ عليه‌السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ستفترق امّتي على ثلاث و سبعين فرقة، فرقة منها ناجية، و الباقون هالكون، و النّاجون الّذين يتمسّكون بولايتكم، و يقتبسون من علمكم، و لا يعملون برأيهم فاولئك ما عليهم من سبيل».

٦ـ في محاسن البرقي: بالاسناد عن ابن مسكان عن حبيب قال: قال لنا أبوعبدالله عليه‌السلام : «ما أحد أحبّ إليّ منكم، إنّ النّاس سلكوا سبلاً شتّى، منهم من أخذ بهواه و منهم من أخذ برأيه، و إنّكم أخذتم بأمر له أصل».

٧ـ في وسآئل الشّيعة: حديث طويل عن أبي محمّد العسكري عليه‌السلام قال: «فأمّا من كان من الفقهآءِ صآئناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه و ذلك لا يكون إلاّ بعض فقهآء الشّيعة لا كلّهم ...» الحديث.

أقول: إنّ الإستثنآء قد عيّن مسير غير البعض من الفقهآءِ الّذين هم صائنون لدنياهم، حافظون لدنانيرهم، مخالفون على مولاهم، مطيعون لأهوآئهم ... فهم مراجع الدّينار لا مرجع الدّين.

و قد قال‌الله عزّوجلّ في هاتين الطّائفتين من الفقهآء: «و إذ أخذالله ميثاق الّذين اُوتوا الكتاب لتبيّنّنّه للنّاس و لا تكتمونه فنبذوه و رآء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا و يحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧ ١٨٨).

إنّ الآيات القرآنية و الرّوايات المستفيضة بل المتواترة في المقام لكثيرة جدّاً لا

يسعها مقام الاختصار، فمن شكّ أو وسوس فيها فهو داخل في المستثنى من دون ريب، و إن بلغ ما بلغ من العلم بالإصطلاحات و من الإجتهاد في الأقاويل ... و هو إمّا غافل عن الكتاب و السّنّة النّبويّة صلى الله عليه و آله و سلم، و إمّا داخل في زمرة المذبذبين ...

و قال المحدّث المتبحّر الشيخ الحرّ العاملي قدّس‌سره بعد نقل الرّواية: «أقول: التقليد المرخّص فيه هنا إنّما هو قبول الرّواية لا قبول الرّأى و الإجتهاد و الظّنّ و هذا واضح و ذلك لا خلاف فيه».

٨ـ فى اصول الكافي: - كتاب فضل العلم - باب اختلاف الحديث - باسناده عن عمربن حنظلة قال: سئلت أباعبدالله عليه‌السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السّلطان و إلى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل، فإنّما تحاكما إلى الطّاغوت، و ما يحكم له، فإنّما يأخذ سحتاً و إن كان حقّاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطّاغوت، و قد أمرالله أن يكفر به قال‌الله تعالى: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطّاغوت و قد امروا أن يكفروا به».

قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخفّ بحكم‌الله، و علينا ردّ، و الرّادّ علينا الرّادّ على‌الله و هو على حدّ الشّرك بالله ...» الحديث.

٩ـ في الفقيه: عن محمّدبن عليّ‌بن الحسين عليهم‌السّلام قال: قال عليّ عليه‌السلام: «قال رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم: اللهمّ ارحم خلفآئي ثلاثاً قيل: يا رسول‌الله و من خلفآؤك؟ قال: الّذين يأتون بعدي يروون حديثي و سنّتي».

١٠ـفي إكمال الدّين و إتمام النّعمة: باسناده عن إسحق‌بن يعقوب قال: سئلت محمّدبن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سئلت فيه عن مسآئل أشكلت عليَّ، فورد التّوقيع بخطّ مولانا صاحب الزّمان عليه‌السلام: «أمّا ما سئلت عنه أرشدك الله و ثبّتك - إلى أن قال: و أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم و أنا حجّة‌الله ...» التّوقيع.

۱۱ـ في اصول الكافي: - كتاب فضل العلم - باب الأخذ بالسّنّة و شواهد الكتاب - باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سُئِلَ عن مسئلة فأجاب فيها قال: فقال الرّجل: إنّ الفقهاء لايقولون هذا، فقال: «ياويحك و هل رأيت فقيهاً قطّ؟ إنّ الفقيه حقّ الفقيه الزّاهد في الدّنيا، الرّاغب في الآخرة، المتمسّك بسنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله و سلم».

مَن هم أهل السّنّة؟

أقول: لا ينبغي للشيّعة أن يعبّر عن أتباع الجبت و الطّاغوت، و عن مردة خلفآء الجور و الجناية بأهل السّنّة لأنّهم ما كانوا أهل سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قطّ، و إنّما هم أهل سنّة أعدآءِ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و أعداء أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و أعداءِ شيعتهم، فلا نعبّر عنهم بأهل السّنّة تبعاً لأئمّتنا المعصومين عليهم السّلام إذ كانوا هم يعبّرون عنهم بالعامّة في رواياتهم لئلا يلتبس الحق بالباطل، حيث إنّ الشّيعة هم أهل سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و العامّة هم أهل سنّة عدوّ الله و رسوله و أهل بيته صلى الله عليه وآله و سلم و شيعتهم ...

و انّ العامّة عامّة إذ لافرق لديهم أن يتّبعوا الرّحمن أو الشّيطان، أن يطيعوا رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أو عدوّه، أن يقتدوا بعليّ بن أبيطالب و الحسنين عليهم السّلام أو بمعاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية و النيران، و أن يشربوا المآء من منبعه أو من جداول متعفّنة ...

لأنّ الحكم عندهم لمن غلب، حقاً كان أو باطلاً، بل الباطل في أذواقهم ألذّ و أحلى ...

قالوا: «ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تتركه».

فهم على سنّة آل فرعون لاعلى سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته و قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - كما جاء في نهج البلاغة - فيهم: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم رَجَعَ قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، وهجروا

السّبب الّذي أُمِروا بمودّته، و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة، و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن، أو مفارق للدّين مُباينٍ».

ثمّ قال المحامى في كتابه: (نظريّة عدالة الصّحابة: ص ١٩٨ ط لندن مؤسّسة الفجر):

ما هو سبب عدآء العامّة للشّيعة؟

طالماً أنّ أهل الشيّعة على حقّ، فلما ذا عاداهم العامّة؟ لأنّ ما تقول به الشيّعة يسحب البساط من تحت أقدام الحكّام، و يزيل مبرّر وجودهم، و يخلق المبرر لأعدآءِ الحكّام بأن يحلّوا محلّهم، و لأنّ الحكّام لهم السّيطرة الكاملة واقعيّاً على موارد الدّولة و تتصرف بهذه الموارد كما تشآء من الناحية العمليّة، و لأنّ الحكّام تحت إمرتهم جيوش تتقاضى رواتبها من النّاحيّة العمليّة من الحكّام، و تتبع إرادة هذه الجيوش لإرادة الحكّام، و لأنّ الحكّام يملكون فعلاً السّيطرة على وسآئل الإعلام، و لأنّ الشيّعة كانوا حزب معارضة طوال التاريخ، لذلك نقم منهم الحكّام و طارد و هم وصوّروهم كأنهم شياطين و عصاة و خارجون عن اجماع الامّة، و لم يكن أمام الأكثرية السّاحقة من الامّة بديل سوى مجاراة الحكّام، و لأنّ الشيعة لم تتح لهم الفرصة لعرض وجهة نظرهم بحرّية، فقد قام الحكّام بعرض وجهات نظر الشّيعة بشكل محرّف و مزوّر، و تناقلت الامّة وجهات النّظر الّتي ذكرها أعداء الشّيعة نيابة عنهم و لغايات تنفير النّاس من الشّيعة جيلاً بعد جيل، و استقرت مزاعم الحكام عن الشيّعة، و كأنّ هذه المزاعم حقيقيّة، و أكثر النّاس يعتبرونها حقيقة لكثرة ما نقلت إليهم و ماتم تداولها.

عجلة العامّة:

تتصايح العامّة من كلّ حدب وصوب و هم يردّدون: لا تصدق الشيّعة، فقد مهروا بعدآءِ هذه الامّة، و اطمأنّوا للخروج من الجماعة، طالبهم بالدّليل على ما يزعمون.

الرّدّ على العجلة:

تقول الشيّعة: إنّ العام الّذي انتصرت فيه القوّة على الشّرعيّة هو عام الجماعة عند العامّة، وإنّ فكرة التّسنّن الّتي أخذت العامّة منها إسمهم نشأت في الزّ من الّذي انتصرت فيه القوة على الشّرعيّة، و ليس كما يتصّور العامّة بأنّ أهل السّنّة هم أهل سنّة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم فالشّيعة هم أحرص النّاس على ما صدر من الرّسول من قول أوفعل، و لو تركنا التقليد الأعمى لتبيّن أنّا لا نلقي القول على عواهنه و بإمكانكم أن تتأكّدوا من صحّة ما ذكرناه، فإن كان حقّنا كففتم لو مكم عنّا، و إن كان باطلاً رجعنا عنه (إنّ الباطل كان زهوقاً) و نزولاً عند رغبة عشّاق الحقيقة نقدّم الدّليل القاطع على ما قلناه:

المرجعيتان:

لدى الاسلام برأي الشّيعة مرجعيّتان بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم:

المرجعيّة الاولى فردية: عميد أهل بيت النّبوّة و أوّل العمداء عليّ عليه‌السلام و هي تقابل فرديّة الحاكم الغالب عند العامّة.

المرجعيّة الثّانية جماعيّة: وهي عترة النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته، و هم يوالون عميدهم و يساعدونه بحفظ الدّين على اصوله المستقرّة.

الله هو الّذي عيّن المرجعين:

و يقول أهل الشّيعة بأنّ‌الله تعالى هوالّذي عيّن المرجعين، و أمر نبيّه أن يعلن للمسلمين هذا التّعيين الإلهي فأعلنه بأكثر من مناسبة.

الدّليل الشّرعي على تعيين‌الله للمرجعيّة الفرديّة:

الأوّل: آية الولاية و هى الآية ٥٥ من سورة المائدة: «إنّما وليّكم‌الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة و يؤتون الزّكاة و هم راكعون و من يتولّ‌الله و رسوله

و الّذين آمنوا فإنّ حزب‌الله هم الغالبون» و قد نزلت هذه الآية في عليّ عليه‌السلام حين تصدّق بخاتمه و هو راكع في صلاته. و تفسير هذه الآية مفصّل بتفسير الثعلبي على سبيل المثال، و عند ما رأى النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم عليّاً عليه‌السلام و هو يتصدّق بخاتمه أثنآء ركوعه في الصّلاة دعا محمّد صلى الله عليه و آله و سلم ربّه بالدّعآءِ الّذي دعافيه هارون ربّه: «و اجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً اشدد به ظهري ...» قال أبوذر: فوالله ما أتمّ الرّسول صلى‌الله عليه و آله و سلم دعآئه حتّى نزل عليه جبرئيل و معه آية الولاية.

و قد أجمع المفسّرون على نزول هذه الآية في عليّ عليه‌السلام.

و بالفعل فقد نصب النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أميرالمؤمنين عليّاً عليه‌السلام مرجعاً و خليفة من بعده في جمع ضمّ مأة ألف مسلم في غدير خم، و ذلك يوم الخميس، و قد نزل عليه جبرئيل بعد مضيّ خمس ساعات من النّهار، فقال: يا محمّد ربّك يقرئك السّلام و يقول لك: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك ...» و قد نزلت هذه الآية يوم الغدير.

و بعد أن نصب الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم عليّاً عليه‌السلام إماماً و مرجعاً و خليفة من بعده نزلت الآية: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً» و هذه الآية نزلت ألفاً بذي الحجّة، و بمنطقة غدير خم، و بنفس المكان الّذي نصب فيه أمير المؤمنين و مباشرة بعد تنصيبه.

و بعد تنصيب الإمام عليّ‌بن أبيطالب عليه‌السلام وليّاً و مرجعاً و خليفة للامّة بعد النّبي صلى الله عليه و آله و سلم، تقدّم عمربن الخطّاب من أميرالمؤمنين عليّاً عليه‌السلام و قال له مداعباً: «بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي و مولى كلّ مسلم» و تلك حقيقة.

و أصبح يوم الغدير عيداً عامّاً للمسلمين في‌الأزمنة المتقادمة، و حديث الغدير قد بلغ مرتبة التّواتر عن طريق علمآء العامّة، و ألفت فيه المؤلفات منها كتاب الولاية لابن حجر الطّبري، و كتاب الولاية لأبي العبّاس بن أحمدبن عقدة المتوفّى (۳۳۳ ها) و

كتاب ابن روى حديث غدير خم لأبي بكر الجصّابي المتوفيّ (٣٥٥ هـ) والدّار قطني المتوفّي (٣٨٥ هـ) له جزء في طريق حديث الغدير، و كتاب الدّراية في حديث الولاية لأبي سعد السّجستاني المتوفيّ (٤٧٧ هـ) و كتاب دعاة الهداة إلى أدآءِ حقّ الموالاة لأبي القاسم عبيدالله الحنفي المتوفيّ (٤٩٠ هـ) ... و قد روى حديث الغدير من الصّحابة: (١١٦) صحابيّاً و رواه (٨٤) من التّابعين، و روى حديث الغدير كلّ علمآءِ العامّة و أخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم من القرن الثّاني الهجري حتّى القرن الرّابع عشر الهجرى و عددهم (٣٦٠) عالماً كما ذكر الأميني في كتاب الغدير.

و يكفي أنّ عمربن الخطّاب تقدّم و هنأ عليّاً عليه‌السلام يوم الغدير قآئلاً له: «هنيئاً لك يا ابن أبيطالب أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة».

نموذج من اعلان يوم الغدير:

قال الطبراني في المعجم الكبير: عن حذيفةبن أسيد الغفاري الصّحابيّ الجليل قال: لمّا صدر رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم من حجّة الوداع نهى أصحابه عن شجيرات بالبطحآء متقاربات أن ينز لوا، ثمّ بعث اليهم، فقم ما تحتهنّ من الشّوك و عمد إليهنّ، فصلّى تحتهنّ، ثمّ قام فقال:

«يا أيّها النّاس إنّي قد أنبأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمر نبيّ الاّنصف عمر الّذي يليه من قبله، و إنّي لأظنّ أنّي يوشك أن أدعى فاجيب، و إنّي مسئول و إنّكم مسئولون، فما أنتم قآئلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت و جهدت و نصحت فجزاك‌الله خيراً. فقال: «أليس تشهدون أن لاإله‌إلاّالله و أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّ جنّته حقّ، و ناره حقّ، و أنّ الموت حقّ، و أنّ البعث حق بعد الموت، و أنّ السّاعة آتية لاريب فيها، و أنّ‌الله يبعث من في‌القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهّم اشهد ثمّ قال: أيّها النّاس إنّ‌الله مولاي، و أنا مولى المؤمنين، و أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا يعني عليّاً رضى‌الله عنه مولاه، أللّهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه» ثمّ قال: أيّها النّاس انّي فرطكم و إنّكم واردون علي الحوض، حوض أعرض ما بين بصرى و صنعآء، فيه عدد النّجوم قد حان من فضّة، و إنّي سآئلكم حين تردون عليّ عن الثّقلين: فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثّقل

الأكبر كتاب‌الله عزّوجلّ سبب طرفه بيدالله، و طرفه بأيـديكم فـاستمسكوا بـه ولا تضللوا ولا تبدلوا، و عترتي أهل بيتي، فإنّه قد نّبأني اللّطيف الخبير أنّهما الله ينقضيان لن يفترقا حتّى يردا عَلَيَّ الحوض».

التأكيد الشّرعي على ولاية عليّ عليه السلام:

قال النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم لعليّ عليه السلام: «أنت وليّي في‌الدّنيا و الآخرة» «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي» و قال: «من كنت وليّه فإنّ عليّاً وليّه» و قال: «إنك وليّ كلّ مؤمن بعدي» و قال: «إنك وليّ المؤمنين بعدي» و جآء حديث المنزلة: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي» ليؤكدّ هذه الولاية، و حديث المنزلة من أصحّ الآثار، و قد رواه أصحاب السّنن.

الهداية من بعد النّبيّ:

قال النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم: «أنا المنذر و عليّ الهادى و بك يا عليّ يهتدي المهتدون».

الحجّة من بعد النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم:

قال النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم: أنا و هذا يعني عليّاً عليه السلام حجّة على امّتي يوم القيامة».

قال صلى اللّه عليه و آله و سلم: «عليّ باب علمي و مُبَيِّنٌ من بعدي لامّتي ما ارسلت به، حبّه ايمان و بغضه نفاق» و قال: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها» و قال لعليّ عليه السلام: «أنت تبيّن لامّتي ما اختلفوا فيه من بعدي».

هذه السّنن و أمثالها تؤكّد أنّ النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم قد عيّن مرجعيّة للامّة من بعده ترجع إليها في أمور دينها و دنياها، و أنّ هذا المرجع الفرد هو عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام.

المرجعيّة الجماعيّة عند أهل الشّيعة:

أهل الشيّعة يعتبرون النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته الطّاهرين عليهم‌السّلام قدوة لهم لفضلهم على الاسلام، و تفضيل‌الله لهم، فهم الأبناء و النّسآء و الأنفس الّتي عنتها آية المباهلة: «فقل تعالوا ندع أبنآءنا ...» فقد نزلت هذه الآية في النّبيّ و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم‌السّلام و هم حبل‌الله: «و اعتصموا بحبل‌الله جميعاً ...» و هم أهل الذّكر الّذي قال‌الله تعالى فيهم: «فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لاتعلمون» و هم المحسودون: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله» و هم ذوالقربى: «و آت ذاالقربى حقّه» «... فإنّ‌لله خمسه و للرّسول ولذي القربى» و هم المطهّرون: «إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرّجس أهل‌البيت و يطهّركم تطهيراً» و هم الّذين فرض‌الله مودّتهم، و هم الّذين أوجب‌الله الصّلاة عليهم في أثنآء الصّلاة.

و هم الثّقل الأصغر، فالقرآن و أهل‌البيت حرز من الضّلالة، و هم المتقدّمون، و هم سفينة‌النّجاة من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق، و هم أمان الامّة من الاختلاف و مخالفهم من حزب ابليس، و هم الأمان لهذه الامّة.

قال رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «في كلّ خلف من امّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدّين تحريف الضّالّين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين ألا و إنّ أئمّتكم و فدكم إلى‌الله فانظروا من تعزون».

رواه‌ابن حجر في (الصّواعق: ص ١٤٨) و القندوزي في (ينابيع المودّة: ص ٢٢٦ و ٢٣٦ و ٣٢٧) و محبّ‌الدّين الطّبري الشّافعي في (ذخآئر العقبى: ص ١٧).

ثمرة اتباع الشيّعة للمرجعيّة الشّرعيّة:

لأنّ الشيّعة و الوا محمّداً و أهل بيت محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و ماز الوا يوالونهم، و لأنّهم يعتبرون عميد أهل بيت النّبوّة في كلّ زمان هم إمامهم و قدوتهم فإنّ‌الله سبحانه و تعالى اصطفا هم لحفظ دينه على الاصول المستقرّة و قد بشّرهم النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّهم خير البريّة.

و عند ما نزل قوله تعالى: «إنّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات اولئك هم خير البريّة» قال الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم: «يا عليّ هم أنت و شيعتك».رواه جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم:

١ـ الطّبرى في تفسير (جامع البيان: ج ٣٠ ص ١٤٦)

٢ـ الشّوكاني في تفسير (فتح القدير: ج ٥ ص ٤٧٧)

٣ـ الآلوسي في تفسير (روح المعاني: ج ٣٠ ص ٢٠٧)

٤ـ الحسكانى في (شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٥٦ - ٣٦٦)

٥ـ إبن عساكر في (تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٤٤٢)

٦ـ السّيوطي في (الدّرالمنثور: ج ٦ ص ٣٧٩)

٧ـ إبن حجر الشّافعي في (الصّواعق: ص ٩٦)

٨ـ الشّبلنجي في (نور الأبصار: ص ٧١ و ١٠٢)

٩ـ السبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص: ص ١٨)

١٠ـ إبن الصّباغ المالكي في (الفصول المهمّة: ص ١٠٧)

و غير هم تركناهم للاختصار.

و فى **مفاتيح الجنان**: من أدعيّة السّاعات اليوميّة: «اللّهمّ صلّ على محمد و آل محمد اولي الأمر الّذين أمرت بطاعتهم، و اولي الأرحام الّذين أمرت بصلتهم، و ذوي القربى الّذين أمرت بمودّتهم و الموالي الّذين أمرت بعرفان حقهم، و أهل البيت الّذين أذهبت عنهم الرّجس و طهّرتهم تطهيراً أن تصلّي على محمد و آل محمد و أن تجعلني من شيعتهم المخلصين و تحشرني في الدّنيا و الآخرة بحقّهم عليك يا ربّ العالمين».

«المودّة في القربى و فضيلة الشّيعة»

في كتاب الدّررالملتقطة في تفسير الآيات القرآنيّة للمحقّق البارع محمد اسمعيل بن الحسين المازند راني رضوان‌الله تعالى عليه و هومن أعلام القرن الثّاني عشر قال في تفسير آية المودّة:

«هذه الآية تدلّ على فضائل محبّيهم أكثر ممّا يتصور لأنّه تعالى جعل مودّتهم أجر الرّسالة، و الأجر على قدرالعمل، فكما أنّ حقوق رسالته صلى اللّه عليه و آله و سلم لايتناهى، فكذا ثمرة مودّتهم لا يعدّو لايحصىٰ، و ظاهر أنّ المودّة و المحبّة بشرائطها لاتحصل إلاّ للشّيعة.

و يصدق ذلك ما في (من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٨٠ حديث ١١١٧) من صحيحة اسمعيل الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجل يحبّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام و لا يتبرّأ من عدوّه و يقول: هو أحبّ إليّ ممّن خالفه؟ قال: هذا مخلط و هو عدوّ، فلا تصلّ خلفه، و لا كرامة إلاّ أن تتّقيه».

أى هو يلبس عليكم أنّه ليس من المعادين و هو منهم، أو أنّه مخلط بين المحبّة و العداوة. و يفهم منه أنّ المؤمن من يتبرّأ من أعدآئهم، بل التبرّأ جزء منه، كيف لا وحبّ عليّ عليه السلام عبادة و النّظر إلى عليّ عليه السلام عبادة، و لا يقبل‌الله إيمان عبد إلاّ بموالاته و بالبرآءة من أعدآئه.

و في المناقب للخوارزمي: (ص ٤٤ ط تبريز) و (كنزالعمال: ج ١٢ ص ١٠٣)

عن رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قال: «من أراد أن يحيى حياتي و يموت ميتتي و يدخل جنّة عدن الّتي غرسهاالله بيده فليتولّ عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام و ليتولّ وليّه و ليعاد عدوّه، و ليسلم للأوصياء من بعده».

فأمر رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم أوّلاً بمحبّة عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام ثمّ بمحبّة من يحبّه و عداوة من يعاديه، إذ بذلك تتمّ‌المحبّة و تخلص المودّة، و لعله لذلك قدّم هاتين الفقرتين على التّسليم للأوصياءِ ... و في ذلك تنبيه على أنّ محبّتهم الواجبة الّتي أمرالله بها و جعلها أجر الرّسالة هى هذه، فكما تجب على كافّة البرايا محبّتهم تجب عليهم محبّة أوليآئهم، و عدواة أعدآئهم كما وردت به روايات كثيرة.

و بالجملة لا تتمّ المحبّة و الموالاة إلاّ باستجماع مراتب الصّداقة و الاجتناب عمّا يوجب العدواة. و اعلم أنّ المحبّة على ضربين: ما ركز في الطّبع من الميل الجبلي إلى مشتهيات النّفس الأمّارة بالسّوءِ، و ما جبل عليه العقل و نشأ من الايمان و الإعتقاد، و من حبّ‌الله و رسله وملائكته و أوليآئه ... إلى غير ذلك من مقتضيات النّفس المطمئنّة الّتي فطر النّاس عليها.

و إليه يشير قوله تعالى: «و لكن‌الله حبّب إليكم الإيمان و زيّنه في قلوبكم» الحجرات:٧).

و هذه المحبّة كما أنّها ناشئة عن الايمان، داعية إلى الإستسلام و الإنقياد، و هذا هو المراد بمحبّة آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم. و منه يظهر سرّ ايجاب محبّتهم و مودّتهم، فإنّها تدعو إلى التّسليم، و هو إلى الصّراط المستقيم، الموصل إلى جنّات النّعيم. و سرّ جعلها أجر الرّسالة و النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم لم يقبل أجراً على رسالته، هو أنّ فائدة هذا الأجر و ثمرته تعود إلى الامّة، فالله سبحانه لما علم من اهتمامه صلى اللّه عليه و آله و سلم بأمرامّته و رأفته و رحمته بهم، حتّى كادت نفسه النّفيسة و روحه الشّريفة أن تذهب حسرات عليهم، جعل ما يرجع نفعه إليهم أجراً للرّسالة.

و من هنا علم أنّه ليس في‌الاسلام أنفع من محبّتهم إذ لو كان لكان أولى بأن يجعل أجر الرّسالة ليعود نفعه إلى الأُمّة. هذا و المراد بآله صلى اللّه عليه و آله و سلم عند الخاصّة

عترته الطّاهرة من أهل العصمة صلوات‌الله عليهم ... و بالجملة المراد بآله الّذين يترتّب على مودّتهم و محبّتهم هذا النّفع الّذي لا يتصوّر فوقه نفع، و على مبغضهم هذا الضّرر الّذي لا يتصوّر فوقه ضرر، المعصومون من أهل بيته و عترته الهادون لامّته، لا امّته و لا مطلق قرابته و عشيرته.»

في **كشف الغمة**: (ج ۱ ص ۳) لعليّ‌بن عيسى الإربلي أنّه قال: «إنّ‌الله سبحانه لمّا هدانى الصّراط المستقيم، و سلك بي سبيل المنهج القويم، و جعل هواي في آل نبيّه – لمّا اختلف الأهوآء – و رأيي فيهم حين اضطربت الآراء و ولآئي لهم إذ تشعّبت الولآء، و دعآئي بهم إذ تفرّق الدّعآء، تلقيّت نعمته تعالى بشكر دآئم الإمداد و حمد متّصل إتّصال الآباد، و اتّخذت هداهم شريعة و منها جاً، و مذهبهم سُلّماً إلى نيل المطالب و معراجاً، و حبّهم علاجاً لدآء هفواتي إذ اختار كلّ قوم علاجاً، و صرحت بموالاتهم إذا ورّى غيري أوداجاً.

فهم صلى‌الله عليهم عُدّتي و عتادي، و ذخيرتي الباقية في معادي، و انسي إذا أسلمني طبيبي و انقضى تردّد عوادي، و هداتي إذا حار الدّليل و جار الهادي، أحد السّببين الّذين من اعتلق بهما فقد فازت قداحة، و ثاني‌الثّقلين الّذين من تمسّك بهما أسفر عن حمد السرى صباحه، محبّتهم عصمة في الاولى و العقبى، و مودّتهم واجبة بدليل: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

من أطاعهم فقد أطاع الله و راقبه، و مَن عصاهم فقد جاهره بالعناد و حاربه و نصب نفسه درئة لعقابه و عذابه حين ناصبه.

جبال العلوم الرّاسخة و قلل الفخار الشّامخة، و غررالشّرف الشّاذخة إذا انتسبوا عدّوا المصطفى و المرتضى، و إذا فخروا على الأملاك انقادت و اعطت الرّضا، و إن جادوا بخّلوا السّحاب الماطر و أخجلوا العبابَ الزّاخر، و إن شجعوا أرضوا الأسمر الذّابل و الأبيض النّاضر، و إن قالوا نطقوا بالصّواب، و أتوا بالحكمة و فصل الخطاب، و عرّفوا كيف تؤتى البيوت من الأبواب، و طبّقوا المفصل في الابتدآءِ و الجواب.

و ما عسى أن تبلغ المدآئح و إلى أين تنتهي الأفكار و القرآئح؟ و كيف تنال

الصّفات قدر قوم أثنى عليهم القرآن، و مدحهم الرّحمن، فهم خيرته من العباد، و صفوته من الحاضر و الباد، بهم تقبل الأعمال و تصلح الأحوال و تحصل السّعادة و الكمال.

هم القوم مَن أصفاهم الودّ مخلصاً تمسّك في اخراه بالسّبب الأقوىٰ

هم القوم فاقوا العالمين مآثراً محاسنها تجلى و آياتها تروىٰ

بهم عرف النّاس الهدى فهديهم يضلّ الّذي يقلى و يهدى الّذي يهوىٰ

موالاتهم فرض و حبّهم هدى و طاعتهم قربى و ودّهم تقوىٰ

و نعم ما قيل:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً يقيك غداً حرّ الجحيم من النّار

فَخَلِّ حديث الشّافعّي و مالك و أحمد و النّعمان عن كعب الأحبار

و وال اناساً قولهم و حديثهم روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

فى علم اليقين: «و عن النّبيّ: «عليكم بدين الحقّ فإنّ المعصية في دين الحق تغفر، و الطاعة في دين الباطل لاتقبل»

و في الزّيارة الجامعة: «يا سادتي يا آل رسول الله إنّي بكم أتقرّب إلى الله جلّ و علا بالخلاف على الّذين غدروا بكم، و نكثوا بيعتكم و جحدوا و لا يتكم، و أنكروا منزلتكم، و خلعوا ربقة طاعتكم و هجروا أسباب مودّتكم، و تقرّبوا إلى فراعنتهم بالبرآئة منكم و الإعراض عنكم، و منعوكم من إقامة الحدود و إستيصال الجحود، و شعب الصّدع و لمّ الشّعث و سدّ الخلل، و تثقيف الأوَد، و امضآء الأحكام و تهذيب الاسلام، و قمع الآثام، و أرهجوا عليكم نَقْعَ الحروب و الفِتَن و أنْحَوا عليكم سيوف الأحقاد، و هتكوا منكم السّتور و ابتاعوا بِخُمْسِكم الخمور، و صرفوا صدقات المساكين إلى المضحكين و السّاخرين، و ذلك بماطرّ قَفَتْ لهم الفسقة الغواة و الحسدة البغاة، أهل النكث و الغَدْر و الخلاف و المكر، و القلوب المنتنة من قذر الشّرك و الأجساد المشحنة من دَرَنِ الكفر الّذين أضبّوا على النّفاق، و أكبّوا على علائق الشّقاق فلمّا مضى المصطفى صلوات الله عليه و آله اختطفوا الغِرّةَ و انتهزوا الفرصة، و انتهكوا الحرمة و غادروه على فراش الوفاة و أسرعوا لنقض البيعة و مخالفة المواثيق المؤكّدة و خيانة الأمانة المعروضة

على الجبال الرّاسية، و أبت أن تحملها و حملها الإنسان الظّلوم الجهول، ذوالشّقاق و العِزّة بالآثام المولعة، و الأنفة عن الإنقياد لحميد العاقبة.

فحشِرَ سِفْلَةُ الأعراب و بقايا الأحزاب إلى دار النّبوّة و الرّسالة، و مهبط الوحى و الملائكة، و مستقرِّ سلطان الولاية و معدن الوصيّة و الخلافة و الإمامة حتّى نقضوا عهد المصطفى في أخيه عَلَمِ الهدى، و المبيّن طريق النّجاة من طرق الرّدىٰ، و جرحوا كبد خير الورىٰ في ظلم ابنته، و اضطهاد حبيبته و اهتضام عزيزته، بضعة لحمه و فِلْزَة كبده، و خذلوا بعلها، و صغّروا قدره و استحلّوا محارمه و قطعوا رحمه و أنكروا اخوّته و هجروا مودّته، و نقضوا طاعته و جحدوا ولايته و أطمعوا العبيد في خلافته، و قادوه إلى بيعتهم مُصلِتَةً سيوفها، مقذِعة أسنّتها و هو ساخط القلب، هائج الغضب، شديد الصّبر، كاظم الغيظ.

يدعونه إلى بيعتهم الّتي عمّ شؤمها الإسلام، و زرعت في قلوب أهلها الآثامَ، و عقّت (عنّفت خ) سلمانها و طردت مقدادها و نفت جندبها، و فتقت بطن عمّارها و حرّفت القرآن و بدّلت الأحكام، و غيّرت المقام، و أباحت الخمس للطلقاء و سلّطت أولاد اللُعنآء على الفروج و الدّمآء و خلطت الحلال بالحرام و استخفّت بالايمان و الإسلام ...» الزيارة

أقول: و لعمري إنّي لاأشك فيمن شكّ في هذه الزّيارة و مضامينها: أنّه إمّا كافر أو منافق أو ولد حيض أو ولد زنا، و إن ادّعى من الإيمان و الإخلاص و الزّهد ... ما ادّعى، و إن بلغ من العلم ما بلغ.

﴿غدر الامّة بعد النّبي صلى الله عليه و آله و علامة المودّة في القربى﴾

في أمالي الطّوسى قدّس سرّه باسناده عن عبدالله‌بن العبّاس قال: لمّا حضرت رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم الوفاة بكى حتّى بلّت دموعه لحيته، فقيل: يا رسول‌الله ما يبكيك؟ فقال أبكي لذرّيّتي و ما تصنع بهم شرار امّتي من بعدي، كأنّي بفاطمة بنتي و قد ظلمت بعدي، و هي تنادي يا أبتاه يا أبتاه فلا يعينها أحد من امّتي، فسمعت ذلك فاطمة عليها السّلام فبكت، فقال لها رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: لا تبكينّ يا بنيّة، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، و لكنّي أبكي لفراقك يا رسول‌الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنّك أوّل من يلحق بي من أهل بيتي».

و فيه: باسناده عن سالم الجعفيّ قال: «عليّ صلوات‌الله عليه و هو في الرّحبة و جالس: إنتدبوا و هو على المسير من السّواد، فانتدبوا نحو من مأة، فقال: «و ربّ السّمآء و الارض لقد حدّثني خليلى رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّ الامّة ستغدر بي من بعدهِ عهداً معهوداً و قضآءً مقضيّاً، و قد خاب من افترى».

و فى نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام: «حتّى إذا قبض‌الله رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل، و اتّكلوا على الولآئج، و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذي اُمروا بمودّته، و نقلوا البنآءَ عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ما روا في الحيرة، و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون

من منقطع إلى الدّنيارا كن، أو مفارقٍ للدّين مباينٍ».

فى شرح الحديد: قال: رجعوا على الاعقاب: تركوا ما كانوا عليه، قال سبحانه: «و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّالله شيئاً» و «غالتهم السّبل» أهلكم اختلاف الآراء و الأهوآء، غاله كذا أى أهلكه، و السّبل: الطّرق. و «الولآئج» جمع و ليجة و هى البطانة يتّخذها الإنسان لنفسه، قال سبحانه: «و لم يتّخذوا من دون‌الله و لا رسوله و لا المؤمنين وليجة» و «و صلوا غير الرّحم» أى غير رحم الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فذكرها عليه السلام ذكراً مطلقاً غير مضاف للعلم بها كما يقول القآئل: «أهل البيت» فيعلم السّامع أنّه أراد أهل بيت الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و «هجروا السّبب» يعني أهل‌البيت أيضاً، و هذه إشارة إلى قول النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم: «خلّفت فيكم الثّقلين: كتاب‌الله و عترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السّمآءِ إلى الأرض، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض».

فعبّر أميرالمؤمنين عليه السلام عن أهل البيت بلفظ «السّبب» لمّا كان النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم قال: «حبلان» و السّبب في اللغة: الحبل. عنى بقوله: «اُمِروا بمودّته» قول‌الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في‌القربى».

قوله عليه السلام: «و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه» الرّصّ مصدر رصصت الشّىء أرصّه أى ألصقت بعضه ببعض، و منه قوله تعالى: «كأنّهم بنيان مرصوص» و تراصّ القوم في الصّفّ أى تلاصقوا، فبنوه أمر الولاية و الخلافة بعد رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله وسلم في غير موضعه و نقلوا الأمر عن أهله إلى غير أهله. ثم ذمّهم عليه السلام أى ذمّ الإمام عليه السلام هؤلآءِ الغاصبين غير الأهل للخلافة بعد رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و قال: «إنّهم معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة» الغمرة: الضّلال و الجهل. و الضّارب فيها: الدّاخل المعتقد لها. «قد ما روا في الحيرة» ما ريمور: إذا ذهب و جآء، فكانّهم يسحبون في‌الحيرة كما يسبح الإنسان في المآء. و ذهل فلان بالفتح يذهل على سنّة من آل فرعون أى على طريقة آل فرعون: أتباعه. قال تعالى: «أدخلوا آل فرعون أشدّالعذاب».

قوله عليه السلام: «من منقطع إلى الدّنيا» لا همّ له غيرها. «راكن»: مخلّد إليها قال‌الله تعالى: «و لاتركنوا إلى الّذين ظلموا» أو «مفارق للدين مباين»: مزايل.

فإن قلت: أيّ فرق بين الرّجلين؟ و هل يكون المنقطع إلى الدّنيا إلاّ مفارقاً للدّين؟

قلت: قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدّين مباين، و ليس براكن إلى الدّنيا، و لا منقطع إليها، كما نرى كثيراً من أحبار النّصارى و رهبانهم» انتهى كلام إبن أبي الحديد.

أقول: لا يخفى على من له طيب الولادة و أدنى مسكة أنّ الإمام عليّ عليه السلام قد صرّح ببطلان البيعة لأبي بكربن أبي قحافة، و بغصب الخلافة، و بضلالة من تبعه و إرتدادهم عن الإسلام بالكلّيّة و جنايتهم على الإسلام و المسلمين ...

و ذلك أن الإمام عليه السلام قال: «حتّى إذا قبض‌الله رسوله رجع قوم على الأعقاب ...» فجعل رجوعهم على الاعقاب عقيب قبض رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم ثمّ بيّن ذلك بأربع بيانات: ١ـ «و صلوا غير الرّحم» ٢ـ «هجروا السّبب الّذي امروا بمودّته» ٣ـ «نقلوا البناء عن رصّ أساسه» ٤ـ «فبنوه في غير موضعه».

و ذلك أنّ «إذا» ظرف، و العامل فيها قوله عليه السلام: «رجع قوم على الأعقاب» و قد عطف عليه قوله عليه السلام: «و وصلوا غير الرّحم ...» فاذا كان الرّجوع على الاعقاب واقعاً في الظّرف المذكور و هو وقت قبض رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم وجب أن يكون وصل غير الرّحم، و هجر السّبب، و نقل البنآء إلى غير موضعه واقعاً فيذلك الوقت أيضاً لانّ الأفعال معطوفة على «رجع» و لم ينقل أحدٌ وقت قبض رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم البناء عن أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام إلى عثمان أو معاوية أو يزيد أو منصور أو هارون الرّشيد ... بل و إنّما نُقِلَ عن عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام إلى أبي بكربن أبي قحافة، ثمّ إلى عمربن الخطاب، ثمّ إلى عثمان‌بن عفان كما صرّح الامام عليّ عليه السلام بذلك في قوله عليه‌السلام: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ...».

و **لعمري**: انّ هؤلاءِ الخلفآء الغاصبين هم معادن كلّ خطيئة ... و قد دخلوا و هم سكارى بالدّنيا و شهواتها ... دخلوا على سنّة من آل فرعون، فنبذوا القرآن الكريم و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين و رآء ظهورهم، و اشتروا دينهم بدنيا هم، فبئس ما كانوا يشترون، و إنّ العامّة في كلّ ظرف هم أهل سنّة هؤلآءِ الفراعنة ... و من تأوّل كلام الامام عليّ عليه السلام إلى غير ما صرّح به فهو خبيث الولادة بلا ريبة.

و في المقام كلام للمحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه: (نظريّة عدالة الصّحابة و المرجعيّة السّياسية في‌الإسلام الفصل الرّابع من الباب الثّاني):

جذور مطاردة أهل‌البيت:

تمّت مطاردة أهل‌البيت الطّاهرين طوال التاريخ السّياسيّ الإسلاميّ لغايات:

١ـ إصرار المطاردين بكسر حرف الرّاءِ على إجبار أهل‌البيت للتّخلي عن خصوصيّتهم الّتي خصّهم‌الله بها من دون المسلمين.

٢ـ و بنفس الوقت تأويل هذه الخصوصيّة و إخراجها عن معانيها و وظآئفها.

٣ـ ايجاد خصوصيّات وضعيّة منافسة للخصوصيّة لسلب معاني و وظائف خصوصيّة أهل‌البيت.

٤ـ نظريّة عدالة كلّ الصّحابة جآئت كخصوصيّة وضعيّة اريد منها أن تقوم بسلب خصوصيّة أهل بيت الكرام.

٥ـ ولو أنّ أهل‌البيت الكرام عطلوا خصوصيّتهم و قبلوا الأمر الواقع فإنّهم لن يتركوا و هم بحالة مطاردة مستمرّة لماذا؟

٦ـ لأنّ السّلطة فاتنة جميلة تزوجها الحكام بالاكراه و سلبوها من زوجها الشّرعي، فملكوا الجسد، أمّا قلب الزّوجة و روحها، فمع زوجها الشّرعي تحلم بهذا الزّوج علناً و هى بقبضة الحكّام، فشبت في قلوب الحكام طوال التاريخ غير مجنونة، و قادتهم هذه الغيرة إلى أفاعيل مخزية.

خصوصيّة القرابة الطّاهرة:

البطن الهاشمي خير بطون النّاس عامّة، و خير بطون العرب خاصّة بالنّصّ الشّرعي، و بيت عبدالمطلب هو أيضاً خير بيوت النّاس عامّة، و خير بيوت العرب خاصّة، و بالنّصّ الشّرعي أيضاً، و هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، و آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم هم أفضل الآل، و قد افترض الله مودّتهم بالكتاب، و جعل الصّلاة عليهم ركناً من أركان الصّلاة و هذا معنى قول الشّافعي:

يا أهل بيت نبي الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفا كم من عظيم الفخر أنّكم من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

و أهل بيت محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم هم دسمة هذه الامّة، و هم الشّجرة الّتي يتداوى بها، و هم كالعترة و عترة الرّجل هم نسله و رهطه الأقربون.

و قد طهرالله أهل بيت نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أذهب عنهم الرّجس و آية التّطهير لا تخفى على أيّ مسلم و بفضله تعالى و جهادهم في سبيل الله تقدموا على ما سواهم، فهم المرجعيّة الشّرعيّة للمسلمين و للدّين، و منهم القيادة السّياسيّة، و هذا مجد لايضاهيه مجد، و شرف يقصر عنه كلّ شرف، و خصوصيّة لآل محمد صلى اللّه عليه و آله وسلم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «و لهم خصآئص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة إنّ الائمّة من قريش غُرِسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم و لا تصلح الولاة من غيرهم».

ما هي الغاية من هذه الخصوصيّة؟

الغاية الشّرعيّة من خصوصيّة القرابة حقيقة أنّها تشريف، و لكنّها بجوهرها تكليف لها معنى و لها وظآئف.

فمعناها: أنّها نقطة إرتكاز للمسلمين، فبهم تكتمل الدّآئرة و يتحدّد مركزها، فيستقبطون الأمّة كلّما تفرّقت، فتتقدم لهم الحل بالتّأشير على نقطة الإرتكاز الالهيّة، فلا

يذهب المسلمون لا للشّرق و لا للغرب، و لا للشّمال و لاللجنوب، إنّما يذهبون للقرابة الطّاهرة، و يتجمّعون حولها فتجمعهم، و هى بنفس الوقت مرجعيّة للدّين، و مرجعيّة للمسلمين، فتبيّن الدّين للمسلمين و لغير المسلمين، و تسمع من المسلمين، ثمّ تقدم الفهم الأمثل لهذا الدّين و الموافق تماماً للمقصود الإلهي.

وظآئف القرابة الطّاهرة:

١ـ نقطة ارتكاز و استقطاب.

٢ـ مرجعيّة للدّين لبيانه للنّاس عامّة و للمسلمين خاصّة.

٣ـ ثقل أصغر، و القرآن هو الثّقل الأكبر، و العترة هم الثّقل الأصغر، و الهداية لا تُدرك إلاّ بالثّقلين، و الضّلالة لا يمكن تجنّبها إلاّ بالتمسّك بهذين الثّقلين معاً، فلو تمسّكت الامّة بالقرآن الكريم وحده و تركت العترة الطّاهرة فستضلّ حتماً لماذا؟ لأنّ القرآن هو الدّوآء، و العترة هي الطبيب، و الطّبّ عمليّة اختصاصيّة.

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، و أحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة اليه».

و **فيه**: قال الامام عليّ عليه السلام في نفسه: «والله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلاّ وها أناذا اليوم مسمعكموه، و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس ...».

٤ـ قيادة سياسيّة للامّة. فعند ما تكون القيادة السّياسيّة بعترة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تطيب نفوسهم جميعاً بها لأنّها الحل الجذرى الّذي يقطع دابر الخلاف، و يجلب الإستقرار، و يميت الطّمع و التّنافس عليها، و قد تكفّل الشّرع الحنيف ببيان لمن منهم تكون هذه القيادة و كيف تنتقل.

لماذا اعطيت القرابة الطّاهرة هذه الخصوصيّة؟

لماذا اختارالله محمداً صلى الله عليه و آله و سلم للرّسالة و لم يختر أبا سفيان؟ هـذا فضل‌الله يؤتيه من يشاء؟ لماذا فضّل بعض النبيّين على بعض؟ هذا فضل الله. لماذا اختار

محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم من بني هاشم، و لم يختره من بني عدي أو بني تميم أو بني اميّة؟ هو الّذي بيده الفضل يؤتي فضله من يشآء. ولكن باستقرآئنا العميق لتاريخ الإسلام يمكن أن نجد بعض التّعليلات لهذا الإختيار.

تعليلات:

١ـ لقد بيّن‌الله سبحانه و تعالى أنّ قرابة محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم هم خيرالنّاس و أفضلهم، و من مصلحة العباد أن يقودهم الأفضل و الأحسن.

٢ـ الإنذار الصّادر عن بني هاشم، و الموجه لبطون قريش كلّها عند ما همّت بقتل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم إذ أنذرهم أبوطالب قآئلاً: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتّى نتفاني و إيّاكم. و أثبت لهم أنّه قد همّ بقتل زعمآء قريش عند ما أشيع بأنّ محمداً صلى اللّه عليه و آله و سلم قد قتل.

٣ـ إنّ كلّ بطون قريش قررت مقاطعة بني‌هاشم، و كتبوا كتاباً بأن لا ينا كحوهم ولا يبا يعوهم ولا يخالطوهم. و تمّ حصر الهاشميّين في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات، و انحاز بنو عبدالمطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه. و قطعت عنهم قريش الميرة و المادّة، فكانوا لايخرجون إلاّ من موسم إلى موسم، و سمعت أصوات صبيانهم من ورآءِ الشعب، و لقريش مطلب واحد و هو أن يسلم الهاشميّون محمّداً لقريش لقتله أو يخلّي الهاشميّون بين قريش و بين محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم. ولكن الهاشميّين أبوا ذلك، و دافعوا عن محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم بأرواحهم و أموالهم و أولادهم و استقرارهم.

٤ـ لمّا فشل الحصار، و خوفاً من القرابة الطّاهرة اضطرّت قبآئل قريش أن تختار من كلّ قبيلة رجلاً تعبيراً عن اشتراكها بقتل محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم حتّى يضيع دمه بين القبآئل و لا يقوى الهاشميّون على المطالبة بدمه، و تحرك مندوبوا القبآئل فعلاً ليقتلوا النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم ولكن‌الله نجاه.

٥ـ و القرابة الطّاهرة في‌الجاهلية هي ناصية قريش و لا تقطع الامور دون مشورتهم.

٦ـ و هم وسيلة النّجاة بالنّصّ الشّرعي، و هم الأمان بـالنّصّ الشرّعـي لهـذه الأسباب مجتمعة و منفردة بالاضافة إلى الفضل الإلهي اعطيت القرابـة الطّـاهرة هـذه الخصوصيّة بالاضافة الى الإعداد الرّبّاني لعمدآئهم من النّاحيّة العمليّة و التربويّة.

تحولت هذه الخصوصيّة إلى حجّة سياسيّة طوال التّاريخ:

قال أبوبكربن أبي قحافة مخاطباً الأنصار: النّاس تبع لنا، و نحن عشيرة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم. و قال عمربن الخطّاب مخاطباً الأنصار: إنّه والله لا ترضى العرب أن تؤمرّكم و نبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلاّ من كانت النّبوّة فيهم ... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجّة الظّاهرة و السّلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد و ميراثه، و نحن أوليآؤه و عشيرته إلاّ مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

قال بشيربن سعد مخاطباً الأنصار و معقباً على قول أبي‌بكر و عمر: «إنّ محمّداً رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم رجل من قريش، و قومه أحقّ بميراثه و تولّى سلطانه، و أيم‌الله لايراني‌الله أُنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتّقواالله و لا تنازعوهم و لاتخالفوهم.

فسلّم الأنصار و قالوا: لا نبايع إلاّ عليّاً، و عليّ غآئب مشغول، و أهـل‌البـيت بمصابهم. قام أبوبكر و عمر يعرض كلّ منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرّأى عن أحد كأنّ الأمر دبّر بليل، فيقول هذا لصاحبه: ابسط يدك فلأُ بايعك، و يقول آخر: بل أنت، و كلّ منهما يريد أن يفتح يد صاحبه و يبايعه، و معهما أبوعبيدة الجرّاح حفّار القبور بالمدينة يدعو النّاس إليهما، و الوصيّ الأقدس و العترة الطّاهرة و بنو هاشم ألهاهم النّبيّ الأعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم و هو مسجّى بين يديهم، و قد أغلق دونه الباب أهله، و خلّى أصحابه صلى اللّه عليه و آله و سلم بينه و بين أهله فولّوا إجنانه، و مكث ثلاثة أيّام لا يدفن، فدفنه أهله، ولم يله إلاّ أقاربه، دفنوه في الليل أو في آخره، و لم يعلم به القوم إلاّ بعد سماع صريف المساحي، و هم في بيوتهم من جوف الليل، ولم يشهد أبوبكر و عمربن الخطّاب دفن رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فإنّهما و أذنابها السّفلة نالا بأهدافهم في‌إسلامهم، إذ

خرج أبوبكر من السّقيفة السخيفة الشّؤمة كخليفة، و خرج عمر كنائب للخليفة، و خرج أبو عبيدة كنائب ثان للخليفة، و خرج هؤلاء السفلة الذين بايعوه كجيش للخليفة فإذاً لاحاجة لهم أن يشهدوا دفن رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم.

فوجيء الامام عليّ عليه السلام بما جرى، و طلب منه نائب الخليفة و وليّ عهده: عمربن الخطّاب أن يبايع أبابكر كخليفة للمسلمين، فقال عليّ عليه السلام مخاطباً أبابكر و عمر:

«إنّا أحقّ بهذا الامر منكم، لا أُبايعكم، و أنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و تأخذونه منّا أهل‌البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم منكم، فأعطوكم المقادة و سلموا إليكم الإمارة، و أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار نحن أولى برسول‌الله حيّاً و ميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، و إلاّ فبوءو ابا لظّلم و أنتم تعلمون» فقال له عليه السلام عمربن الخطّاب: إنّك لست متروكاً حتّى تبايع. فقال له عليّ عليه السلام: احلب حلباً له شطره، و اشدد له اليوم أمره يردّده عليك غداً ... الله‌الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم في‌العرب عن داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في النّاس و حقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به، لأنّا أهل‌البيت، و نحن أحقّ بهذا الامر ما كان فينا القاريء لكتاب‌الله الفقيه في‌دين‌الله، العالم بسنن رسول‌الله، المضطلع بأمر الرّعيّة، المدافع عنهم الأمور السّيّئة، القاسم بينهم بالسّوية، والله إنّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل‌الله فتزدادوا من الحق بعداً.

في‌الإمامة و السّياسة لابن قتيبة (ص ١٤ – ١٦): «و لمّا ماتت فاطمة عليها السّلام أرسل عليّ إلى أبي‌بكر أن أقبل إلينا، فأقبل أبوبكر حتّى دخل على عليّ عليه السلام و عنده بنو هاشم.

فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال عليه السلام: «أمّا بعد يا أبابكر فإنّه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك و لا نفاسة عليك، و لكنّا كنّا نرى أنّ لنا في هذا الأمر حقّاً، فاستبددت

به علينا، ثمّ ذكر قرابته من رسول‌الله، فلم يزل يذكر حتّى بكى أبوبكر، فقال أبوبكر: لقرابة رسول‌الله أحبّ إليّ من قرابتي».

أتى المغيرةبن شعبة فقال: الرّأى يا أبابكر أن تلقوا العبّاس، فتجعلوا له في هذه الإمرة نصيباً، و تكون لكما الحجّة على عليّ و بني هاشم، فانطلق أبوبكر و عمر و أبوعبيدة و المغيرة إلى العبّاس. و ممّا قاله أبوبكر للعبّاس: ... و قد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً الى أن قال ـ على رسلكم يا بني عبدالمطلب، فانّ رسول‌الله منّا و منكم. فأجابه العبّاس على كلّ النقاط الّتي أثارها إلى أن قال: و أمّا قولك: إنّ رسول‌الله منّاو منكم، فإنّه قد كان من شجرة نحن أغصانها، و أنتم جيرانها.

و في نهج‌البلاغة: قال مولى‌الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام: «فوالله مازلتُ مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ منذ قبض‌الله نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم حتّى يوم‌النّاس هذا».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام في هؤلآء الخلفآء الغاصبين و أتباعهم الفاسقين ـ «اتّخذوا الشيّطان لامرهم ملاكاً، و اتّخذهم له أشراكاً، فباض و فرّخ في‌صدورهم، و دبّ و درج في حجورهم، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل، و زيّن لهم الخطل، فعل مَن قد شركه الشّيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه»

و فيه: و من كلام له عليه السلام في معنى الأنصار، قالوا: لمّا انتهت الى أميرالمؤمنين عليه السلام أنبآء السقيفة بعد وفاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قال: ما قالت الانصار؟ قالوا: قالت منّا أمير و منكم أمير. قال عليه السلام: «فهلا احتججتم عليهم بأنّ رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم وصّى بأن يُحسَنَ إلى محسنهم، و يُتَجاوز عن مسيئهم قالوا: و ما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم، ثمّ قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فقال عليه السلام: «إحتجّوا بالشّجرة و أضاعوا الثّمرة».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام – في صبره على غصب حقّه حفظاً لكيان الإسلام ـ «أمّا الإستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسباً، و الأشدّون برسول‌الله

صلى اللّه عليه و آله و سلم نَوْطاً - فإنّها كانت أثرةً شحّت عليها نفوس قوم، و سَخَتْ عنها نفوس آخرين، و الحَكَمُالله، و المعود إليه يوم القيامة».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «و قد قال لي قآئل: إنّك على هذا الأمر يا ابن أبيطالب لحريص، فقلت: بل أنتم والله لأحرص و أبعد، و أنا أخصّ و أقرب و إنّما طلبت حقّاً لي، و أنتم تحولون بيني و بينه، و تضربون وجهي دونه، فلّما قرعتُه بالحجّة في الملأ الحاضرين هبّ كأنّه بُهتَ لا يدري ما يجيبني به!

اللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي و صغّروا عظيم منزلتي، و أجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثمّ قالوا: ألا إنّ في الحق أن تأخذه و في الحقّ أن تتركه».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «أللهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم، فانّهم قد قطعوارحمي، و أكفأوا إنآئي، و أجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى بـه مـن غيري، و قالوا: ألا انّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تُمنَعَه، فاصبر مغموماً أومت متأسّفاً ...».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «واعجبا أتكون الخلافة بالصّحابة و لا تكون بالصّحابة و القرابة؟!»

قال السّيّد الرّضيّ رضوانالله تعالى عليه: و رُوىَ له شِعرٌ في هذا المعنى و هو:

فإن كنتَ بالشّورى مـلكتَ امـورهم ـ فكـيف بهـذا و المشـيرون غُـيَّبٌ

و إن كنتَ بالقربى حججت خصيمهم ـ فـغيرك أولى بـالنّبيّ و أقـرب

خطاب لأبي بكربن أبي قحافة أوّل من غصب الخلافة، و أوّل مَن ظلم حق محمّد و آل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و هو وليد السّقيفة السخيفة الشّؤمة، معدن كلّ خطيئة، و موجب إنحطاط المسلمين و شتات شملهم، و فشلهم حتّى اليوم.

في شرح الحديد: قال إبن أبيالحديد في شرح قول الامام عليّ عليه السلام: «فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته»: قال عليه السلام: العجب منه من أبيبكر و هو يستقيل المسلمين من الخلافة أيّام حياته، فيقول: «أقـيلوني» ثمّ

يعقدها عند وفاته لآخر عمربن الخطّاب و هذا يناقض الزّهد فيها و الإستقالة منها و قال شاعر من شعرآءِ الشيّعة:

حملوها يوم السّقيفة أوزا — راً تخفّ الجبال وهى ثقال

ثمّ جآؤا من بعدها يستقيلو — ن و هيهات عثرة لاتقال!

و قد آلت الامور إلى عمربن الخطّاب بعد موت أبي بكر لأنّه أوصىٰ له، و لأنّه من قريش عشيرة النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم ثمّ آلت إلى عثمان لنفس الأسباب، فقد أوصى له عمر عمليّاً، و لأنّه أيضاً من قريش، و آلت الامور إلى عليّ عليه السلام لأنّه الوليّ و لأنّ النّاس بايعوه، كذلك الحسن عليه السلام و عند ما غصب معاوية الامر بالقوّة كان من مبررات حكمه أنّه من قريش، و من أقارب النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم، فهاشم و عبدشمس إخوة على زعمهم فسنده الظاهرى القربى و الغصب، و هكذا سند الحكم الاموى كلّه، و جآء بنو العبّاس، و قد تسلّحوا بالقرابة و ضربوا على وتر الآلام الّتي لحقت بأهل بيت الوحي عليهم‌السّلام كمقتل الأئمة: عليّ و الحسن و الحسين و الذّريّة الطّاهرة، ثمّ تسلموا بالقوّة فغلبوا و حكموا.

فالحكم من بعد وفاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و حتى سقوط آخر خلفآءِ بنىالعبّاس قام في جانب منه على قآئدة أنّ الأئمّة من قريش، و قريش هي قرابة النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و أنت تلاحظ أنّ القرابة من النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم يحرم منها أهل بيته المعصومون عليهم‌السّلام، و يستفيد منها الأبعدون المبعدون ...

معاملة الحكام للقرابة الطّاهرة من النّاحية السّياسيّة:

مشى عمربن الخطاب مع جماعة و أخرجوا عليّاً عليه السلام‌غير عابئين ببكآءِ فاطمة الزّهراء عليهاالسّلام و جآء به إلى أبيبكر فقالوا له: بايع، فقال عليّ: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: اذاً نضرب عنقك. قال عليّ عليه السلام: تقتلون عبدالله و أخا رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟ فقال عمر للخليفة أبيبكر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال أبوبكر: لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه. فلحق بقبر رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يصيح و

يبكى و ينادى: «يا إبن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني» و نادت فاطمة بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول‌الله ماذ القينا بعدك من الخطّاب و إبن أبي‌قحافة.

و تخلّف قوم عن بيعة أبى‌بكر، و كانوا في بيت عليّ عليه السلام فبعث أبوبكر إليهم عمر، فناداهم و هم في‌دار عليّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، و قال: و الّذي نفس عمر بيده لتخرُجُنّ أو لأحرّقَنّ الدّار على من فيها، فقيل: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة فقال: و إن.

أفمن تخلّف علناً عن أمر رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم في إمارة اسامة؟ أفمن أهان برسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم حين احتضاره في أمر الوصيّة بالكتابة؟ أفمن يجيء بالحطب لإحراق دار أهل‌بيت الوحي؟ أفهو يبالي أن يحرقها؟؟؟ فمن وسوس في ذلك فهو خبيث الولادة بلا شبهة.

و قد ماتت فاطمة الزّهرآء ساخطة على أبي‌بكر و عمر، و دفنت ليلاً لأنّها أوصت أن لا يشهدا و لا يصلّيا عليها سلام‌الله عليها.

و قد مضى على أهل بيت الوحى المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين من الظّلم و الإهانة، و هتك الحرمة و الجناية ... حتّى جآء الامويّون، فحاربوا عليّاً عليه السلام و سمّوا الحسن و قتلوا الحسين عليهماالسّلام، و أبادوا إبادة كاملة من حضر معه من أهل‌البيت عليهم‌صلوات‌الله، و منعوهم من أن يشربوا من مآءِ الفرات، و تاريخ الأشراف للبلاذري يروى هذه المحنة، و صبّوا كلّ غضبهم على من يحبّ أهل بيت محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم و بعد أن استولى معاوية على الحكم كتب إلى جميع عمّاله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليّاً في صلواتهم و على منابرهم كما يقول العقّاد (في ميزانه ص ١٦).

و لم يقف الأمر عند ذلك، بل كانت مجالس الوعّاظ في‌الشّام تختم بشتم عليّ عليه السلام كما يروى ابن عساكر (ج ٣ ص ٤٠٧) و بالتّالي، فلم يجيزوا لأحد من شيعته و أهل بيته شهادة، و محوا من الدّيوان كلّ من يظهر حبّه لعليّ عليه السلام و أولاده و أن يسقطوا عطاءه و رزقه.

و جآء بعدهم العبّاسيّون. يقول أبوبكر الخوارزمي: «و الجملة أنّ هارون مات و

قد حصد شجرة النّبوّة و اقتلع غرس الإمامة» كما في كتاب (الميزان: ص ١٦) لعبّاس العقّاد و في (شيخ المضيرة: ص ١٨٠) للشيخ محمود أبورية.

ثمّها هوالمنصور في ثورة غضبة يقول و قد عزم على قتل الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: «قتلت من ذرّيّة فاطمة ألفاً أو يزيدون، و تركت سيّدهم و مولاهم جعفربن محمّد» كما في (رسائل أبي بكر الخوارزمي: ص ١٧٨) ثمّ قال مشافهة للإمام الصّادق عليه السلام: «لأقتلنّك و لأقتلنّ أهلك حتّى لا أبقي على الأرض منك قامة سيف، و لأضربن المدينة حتّى لا أترك فيها جداراً قآئماً» كما في كتاب (الحياة السّياسيّة للامام الرّضا عليه السلام ص ٨٧) و يقول الطّبري في تاريخه: إنّ المنصور هذا ترك خزانة رؤوس ميراثاً لولده المهدي كلّها من العلويين، و قد علّق بكلّ رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رؤوس شيوخ و شبان و أطفال ... كما في مناقب ابن شهر آشوب (ج ٣ ص ٣٥٧) و في (البحار: ج ٤٧ ص ١٧٨)

و المنصور هوالّذي كان يضع العلويّين في الأسطوانات و يسمرهم فيالحيطان كما ذكر اليعقوبي في تاريخه، و يتركهم يموتون فيالمطبق جوعاً، و تقتلهم الرّوائح الكريهة حتّى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضّرورة. و كان يموت أحدهم و يترك حتّى يبلى من غير دفن ثمّ يهدم المطبق على من تبقى منهم أحيآء و هم في أغلالهم ... كما في (تاريخ الطبرى: ج ١٠ ص ٤٤٦) و في (النّزاع و التخاصم: ص ٥٢) للمقريزي.

و أمّا الرّشيد فقد أقسم على استئصالهم و كلّ من تشيّع لهم، و اشتهر عنه قوله: «حتام أصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنّهم و لأقتلنّ شيعتهم و لأملقن و لا ملغن» كما في (الحياة السّياسيّة للإمام الرّضا عليه السلام: ص ٨٨) و كان الرّشيد شديد الوطأة على العلويّين يتبع خطواتهم و يقتلهم كما في (الأغانى: ج ٥ ص ٢٢٥) للاصفهاني.

كتب المنصور يوماً إلى الإمام الصّادق عليه السلام: «لِمَ لا تغشاني كما تغشاني النّاس؟ فأجابه الصّادق عليه السلام: ليس لنا ما نخا فك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعز يك، فما نصنع

عندك؟» فكتب المنصور إليه: «تصحبنا لتنصحنا» فأجابه الإمام عليه السلام: «من أراد الدّنيا لا ينصحك، و من أراد الآخرة لا يصحبك» كما في (العقد الفريد: ج ٢ ص ٨٠) و في (كشف الغمّة في أحوال الصّادق: ج ٢ ص ٢٠٨) لابن حمدون.

نوعا القرابة:

١ـ القرابة القريبة لمحمّد صلى الله عليه و آله و سلم و هم فاطمة و عليّ و الحسن و الحسين و نسلهم لاحقتهم خصوصيّة القرابة عليهم‌السّلام و جرت عليه كلّ الويلات و المآسي ... و تلك مكافأة على موقف أبي طالب نحو الاسلام، و نبيّ الاسلام، و على موقف عليّ عليه السلام في حروب الإسلام مع أعدآئه، فعليهم الغرم كلّه، و الغنم لسواهم.

٢ـ القرابة البعيدة من رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم فقد حكموا لأنّهم من عائلة النّبيّ (قريش) فأخذوا الغنم كلّه، و خصّوا القرابة القريبة بالغرم كلّه.

عزل العترة الطّاهرة:

النتيجة المنطقيّة أنّ عزل الإمام بعد و فاة فاطمة عليهاالسّلام، و تجلت رغبة عزل الإمام عن بني هاشم بمحاولة اجتذاب العبّاس إلى السّلطة و إغرائه ببعض الأمر له و لعقبه. لكنّ العبّاس رفض ذلك رفضاً قاطعاً، و ردّ ردّاً حاسماً على السّلطة الرّاشدة و مع الأيّام عزلت القرابة القريبة الطّاهرة عن بني هاشم و عن آل‌البيت و عن النّاس لأنّه و بالمعيار الموضوعي، فاذا قدر للشّخص العادي أن يختار بين السّلطة و بين خصومها فانّه سيختار جانب السّلطة لأنّها هى الجانب القويّ المالك لزمام الامور ... فكانت أغلبيّة الامّة مع الحكّام، و أقليّتها مع أهل‌البيت أو كما عبر الشّاعر: القلوب مع أهل‌البيت و السّيوف عليهم و مع أعدآئهم...

فعمرو بن سعدبن أبي وقّاص الّذي قاد جيش الخليفة يزيدبن معاوية ضدّ الحسين و أهل‌البيت عليهم‌السّلام في كربلاء صلى الصّبح و قال: «اللهّم صلّ على محمّد و آل محمّد» و بعد أن أنهى الصّلاة قام بقتل الموجودين من أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله و

سلم و لم يكتف بقتلهم بل قطع رؤوسهم كلّهم، كما يجمع على ذلك ثقات المؤرخين، و سلبوا أهل البيت حتّى لباسهم و هم أموات ... و تحرّكت الخيول فوطئت جثّة الحسين و جثث من معه من أهل البيت عليهم السّلام تقرّباً إلى ابن زياد و إلى يزيدبن معاوية. ولله في خلقه شئون و تلك ثمرة من ثمرات المقولة: «لا ينبغي أن يجمع الهاشميّون النّبوّة مع الملك».

تأويل الخصوصيّة:

ما ثبته الله لن يهزه البشر، و ما وضعه الخالق لن يغيّره المخلوق، أدرك الحكّام أنّ خصوصيّة أهل البيت عليهم السّلام لن تتغيّر مهما فعلوا بهم، فالصّلاة عليهم مفروضة، و طهارتهم واردة في القرآن الكريم، و ولايتهم على الامّة ثابتة، و النّصوص بفضلهم آخذة بالأعناق... و حتّى لو تمّت إبادة أهل البيت إبادة تامّة فإنّ هذه الخصوصيّة ستبقى شبحاً يلاحق الحكّام ليلاً نهاراً، و من هنالا بديل عن تأويل هذه الخصوصيّة.

و نعم ما قال العبّاس حين أكره عمربن الخطّاب بني هاشم على البيعة لأبي بكر في المسجد:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ـ	عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس اوّل من صلى لقبلتكم ـ	و أعلم النّاس بالآثار و السّنن
و أقرب النّاس عهداً بالنّبيّ و مَن ـ	جبرئيل عوناً له في الغسل و الكفن
مَن فيه ما في جميع النّاس كلّهم ـ	و ليس في النّاس ما فيه من حسن
من ذالّذي ردّكم عنه فنعرفه ـ	ها إنّ بيعتكم من أعظم الفِتَن

قال عمر: لابدّ من بيعتك يا عبّاس و من معك، و أيم الله لئن أبيتم لنحاولنّكم بالسّيف.

في البحار: في خطبة فاطمة الزّهرآءِ سلام الله عليها، خطبتها بحشد من الصّحابة في مسجد النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في أمر فدك، تشكو فيها المستبدّين بالخلافة و تتلهّف من خروج الأمر عن أميرالمؤمنين عليّبن أبيطالب عليه السلام: «فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيآئه و مأوى أصفيآئه، ظهر فيكم حسيكة النّفاق، و سَمَلَ جِلبابُ الدّين، و نطق كاظم

الغاوين، و نَبَغَ خامل الأقلّين، و هَدَرَ فنيقُ المبطلين، فخطر في عَرَصاتكم، و اطّلع الشّيطانُ رأسَه من مَغْرِزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين و للعزّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم، فوجدكم خفافاً، و أحمشكم فألفافكم غِضاباً، فوسمتم غير إبلكم، و أوردتم غير شر بكم، هذا و العهد قريب، و الكَلْم رحيب، و الجُرحُ لمّا يندمل، و الرّسول لمّا يُقبَر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة «ألا في الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين».

فهيهات منكم! و كيف بكم؟ و أنّىٰ تؤفكون؟ و كتاب‌الله بين أظهركم، اموره ظاهرة، و أحكامه زاهرة، و أعلامه باهرة، و زواجره لائحة، و أوامره واضحة، قد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرَغْبَةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ «بئس للظّالمين بدلاً» «و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في‌الآخرة من الخاسرين».

ثمّ لم تلبثوا الاّ رَيْثَ أن تسكن نَفْرَتُها، وَ يَسْلَسَ قيادُها، ثمّ أخذتم تورون وَقْدَتَها، و تُهَيِّجُون جَمْرَتَها، و تستجيبون لِهتاف الشّيطان الغويّ، و اطفاء أنوار الدّين الجليّ، و اهماد سنن النّبيّ الصّفيّ، تسرّون حَسْواً في ارتغاء، و تمشون لأهله و ولده في الخمر و الضّرّآء، و نصبر منكم على مثل حزِّ المُدىٰ، و وَخْزِ السِّنان في الحشا، و أنتم تزعمون ألاّ ارث لنا؟ «أفحكم الجاهليّة تبغون و من أحسن من‌الله حكماً لقوم يوقنون»؟ أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشّمس الضّاحية أنّي ابنته ...» الخطبة.

«الخلفاء الثلاثة و المودّة في القربى»

و اعلم أنّ الباحث المنصف، طيّب الولادة يقف مبهوتاً عند ما تصدمه حقيقة الخلفآء الثلاثة: أبي‌بكربن أبي قحافة، و عمربن الخطّاب، و عثمان‌بن عفّان، إذ يعرف بأنّهم كانوا السّابقين السّابقين في عدآءِ العترة الطّاهرة الّذين و جبت عليهم مودّتهم، و نحن لا نستطيع بذكر جميع موارد عداوتهم لهم، أوردها أعلام العامّة و حملة آثارهم في أسفارهم الّذين اقتدوا بهؤلآءِ الأعدآءِ الغاصبين لحق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين، لأنّا على جناح الاختصار في كلّ بحث من مباحث هذا التّفسير جدّاً.

و لعمري إنّه لو كانت تلك العداوات الّتي انتهت غاياتها، مودّة لما كان للفظ العداوة و لا المودّة مفهوم أصلاً أو لكان عدوّالله الشيطان من أوليآءِ و أحبّآئه ... فنشير إلى نبذة من تلك الموارد:

الاوّل إسقاط أبي‌بكر سهم أهل بيت الوحي المعصومين عليهم‌السّلام بعد وفاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم خلافاً لنصّ كتاب‌الله جلّ و علا إذ قال: «و اعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ‌لله خمسه و للرّسول ولذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السّبيل إن كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم‌الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كلّ شيء قدير» الانفال: ٤١).

و ذلك أنّ أهل القبلة كافة قد أجمعوا على أنّ رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم كان يختصّ بسهم من الخمس، و يخصّ أقاربه بسهم آخر منه، و أنّه لم يعهد بتغيير ذلك إلى

أحد حتّى دعاهالله عزّوجلّ إليه، و اختارهالله إلى الرّفيق الأعلى.

و قد ذكر ذلك – رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و سهم ذى‌القربى – جماعة من أعلام مفسّريهم و محدّثيهم و مؤرخيهم ...

١ـ الزّمخشرى في تفسير (الكشّاف: ج ٢ ص ١٥٨).

٢ـ الشوّكاني في تفسير (فتح القدير: ج ٢ ص ٢٩٥).

٣ـ القرطبي في تفسير (الجامع لأحكام القرآن: ج ٨ ص ١٠).

٤ـ الطّبري في تفسير (جامع‌البيان: ج ١٠ ص ٤ – ٥ و ٧).

٥ـ السّيوطي في تفسير (الدّرّالمنثور: ج ٣ ص ١٨٥ – ١٨٦).

٦ـ النيسابورى في تفسير (غرائب القرآن بهامش تفسيرالطبرى: ج ١٠).

٧ـ الجصّاص فى (أحكام القرآن: ج ٣ ص ٦٠).

٨ـ رشيد رضا في تفسير (المنار: ج ١٠ ص ١٥ – ١٦).

٩ـ النووى في شرح (صحيح مسلم: ج ١٢ ص ٨٢ باب حكم الفيء من كتاب الجهاد).

١٠ـ الماوردي في (الأحكام السّلطانية: ص ١٦٨ – ١٧١).

١١ـ أبو عبيد في (الأموال: ص ١٤ و ٣٢٥).

١٢ـ الطّبري في (تاريخه: ج ٣ ص ١٩).

١٣ـ النّسآئي في (سننه –كتاب الفيء – الباب ١ ج ٧ ص ١٢٠ و ١٢٢).

١٤ـ أبويعلى في (الأحكام السّلطانيّة: ص ١٨١ – ١٨٥) و غيرهم تركناهم للاختصار.

فلمّا ولّى أبوبكربن أبي قحافة تأوّل آية الخمس، فأسقط سهم النّبيّ صلى اللّه عليه وآله وسلم و سهم ذي‌القربى بوفاته صلى اللّه عليه و آله و سلم ومنع بني‌هاشم من الخمس، و جعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين و مساكينهم و أبنآء السّبيل منهم.

و في‌الكشاف: ج ٢ ص ١٥٩) قال الزّمخشرى حول بحثه عن آية‌الخمس: و عن ابن‌عبّاس أنّه أى الخمس على ستة أسهم، لله و لرسوله سهمان، و سهم – أقاربه حتّى

قبض صلى اللّه عليه و آله و سلم فأجرى أبوبكر الخمس على ثلاثة، و كذلك روى عن عمر و من بعده من الخلفآءِ قال: و روى أنّ أبابكر قد منع بني‌هاشم من الخمس ...

و قد ذكر منع أبي‌بكر سهم ذي‌القربى جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم:

منهم: الطّبري في (تفسيره: ج ۱۰ ص ٦) و القرطبي في (تفسيره: ج ۸ ص ۱۰) و الشّوكاني في (تفسيره: ج ۲ ص ۲۹۵) و السّيوطي في (تفسيره: ج ۳ ص ۱۸۷) و النّسآئي في (سننه - كتاب الفيء - الباب ۱ ج ۷ ص ۱۲۱) و إبن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ۱٦ ص ۲۳۰ و ۲۳۱) و (ج ۱۲ ص ۸۳) و غيرهم.

و في (صحيح البخارى أواخر باب غزوة خيبر: ص ۳٦ من جزئه الثالث): «و قدأرسلت فاطمة عليها السّلام تسئله أبابكر ميراثها من رسول‌الله ممّا أفاءالله عليه بالمدينة و «فدك» و ما بقي من خمس «خيبر» فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي‌بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتّى توفّيت - فلمّا توفيّت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبابكر، و صلى عليها ...» الحديث.

رواه مسلم في (صحيحه باب لانورث ما تركناه فهو صدقة: ص ۷۲ من جزئه الثّاني) و في (صحيح البخارى: ج ۵ ص ۱۷۷ ط دار مطابع الشعب) و (ج ۳ ص ۵۵ ط دار احياء الكتب العربيّة مع حاشية السندى): «وجد فاطمة على أبي‌بكر، فلم تكلّمه حتّى ماتت و ذلك بعد أن طالبته بـ«فدك» و ما بقى من خمس «خيبر» و امتنع من دفعه إليها» رواه جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: مسلم في (صحيحه كتاب الجهاد و السّير باب ۱٦ ج ۳ ص ۱۳۸۰ ط بيروت بتحقيق محمّد فؤاد) والبخاري في كتاب (فضآئل أصحاب النّبيّ صلى اللّه عليه و آله وسلم باب ۱۲ ج ۵ ص ۲۵ مطابع الشّعب) و أحمد في (مسنده: ج ۱ ص ۹۹٦) و (ج ۲ ص ۳۵۳) و النّسائي في (سننه - كتاب الفيء - الباب ۱ ج ۷ ص ۱۲۰) و الترمذي في (صحيحه كتاب السّير باب ٤٤ ج ٤ ص ۱۵۷) و ابن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ۱٦ ص ۲۱۷) وغيرهم.

و أمّارؤسآء المذاهب الأربعة فأخذ أكثرهم برأي أبي‌بكر و عمر فلم يجعلوا الذي

القربى نصيباً من الخمس خاصاً بهم.

أمّا مالك بن أنس فقد جعله بأجمعه مفوّضاً إلى رأى المفتي فيجعله حيث يشآء من مصالح المسلمين، لاحقّ فيه لذي قربىٰ و لا ليتيم و لا لمسكين و لا لابن سبيل مطلقاً.

و أمّا أبو حنيفة و أذنابه فقد أسقطوا بعد رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم سهمه، و سهم ذي قرباه و قسّموه بين مطلق اليتامى و المساكين و إبن السّبيل على السّوآءِ لافرق عندهم بين الهاشميّين و غيرهم من المسلمين.

و أمّا الشّافعي فجعله خمسة أسهم: سهماً لرسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يصرف إلى ماكان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كعدّة الغزاة من الخيل و السّلاح و الكراع و نحو ذلك و سهماً لذوي القربى من بني هاشم و بني عبدالمطلب دون بني عبدشمس و بني نوفل يقسم بينهم للذّكر مثل حظّ الأنثيين، و الباقي للفرق الثلاث: اليتامى و المساكين و ابن السبيل.

ذكر ذلك جماعة من أعلام العامّة:

منهم: الشّوكاني في (فتح القدير: ج ۲ ص ۲۹۵) و القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن: ج ۸ ص ۱۱) و رشيد رضا في (المنار: ج ۱۰ ص ۱٦) و جآء أيضاً في (الفقه على المذاهب الخمسة: ص ۱۸۸).

و أما الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة فرأيهم في الخمس و غيره من اصول الدّين و فروعه إنّما هو تبع لكتاب الله و سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم كما بيّن في كتبهم التفسيريّة و الرّوائية و الفقهيّة ...

المورد الثاني: منع أبي بكر، فاطمة الزّهرآءِ سلام الله عليها من إرثها خلافاً لنصّ كتاب الله عزّ و جلّ إذ قال: «للرّجال نصيب ممّا ترك الوالدان و الأقربون و للنّسآءِ نصيب ممّا ترك الوالدان و الأقربون ممّا قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً يوصيكم الله في أولادكم للذّكر مثل حظّ الانثيين» النسآءِ: ۷ ۱۱) و غيرها من آيات المواريث، و كلّها عامّة تشمل رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فمن دونه من سآئر النّاس، فهى على حدّ قوله تعالى: «كتب عليكم الصّيام كما كتب على الّذين من قبلكم» البقرة: ۱۸۳) و نحوه من آيات

الأحكام الشرعيّة يشترك فيها النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و كلّ مكلفّ من البشر، لافرق بينه و بينهم.

و من آيات الإرث قوله عزّوجلّ: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب‌الله» الانفال: ٧٥) جعل‌الله تعالى، الحق في‌الإرث لاولى قرابات المورّث، الأقرب منهم للمورّث فالأقرب مطلقاً، سوآء أكان المورّث هو النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم أم كان غيره، و سوآء أكان الوراث من عصبة المورّث أم من أصحاب الفرآئض، أم كان من غيرهما عملاً بظاهر الآية الكريمة. و بحديث أخرجه الشّيخان كلاهما في‌كتاب الفرآئض من صحيحهما عن النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم: «و من ترك مالاً فلورثته».

و قد احتجّت فاطمةالزّهرآء و أهل‌بيت الوحي من الائمة المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين بقوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: «فهب‌لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب و اجعله ربّ رضيّاً» مريم: ٦) على أنّ الأنبيآء عليهم‌السّلام يورثون المال، و هذا رأى العترة الطّاهرة، و هم أعدال كتاب‌الله لا يفترقان أبداً.

و قد علم النّاس ما كان بين فاطمة الزّهراء سيّدةنسآءِالعالمين سلام‌الله عليها و بين أبي‌بكر، اذ أرسلت إليه تسئله ميراثها من رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فقال أبوبكر: إنّ رسول‌الله قال: لا نورّث ما تركناه صدقة. قالت عائشة فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منه شيئاً، و استأثر لبيت المال بكل ما تركه النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم من بلغة العيش لا يبقى و لا يذر شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي‌بكر فهجرته فلم تكلمه حتّى توفّيت فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً بوصيّة منها و لم يؤذن بها أبابكر و صلى عليها ... الحديث.

رواه جماعة من حملة أسفار العامّة بأسانيدهم عن عائشة بنت أبي‌بكر:

منهم: البخاري في (صحيحه: ص ٣٧ و الّتي بعدها من الجزءِ الثّالث اثناء غزوة خيبر) و مسلم في (صحيحه: ص ٧٢ من الجزءِ الثّاني باب قول النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم: لانورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد و السّير) و احمد في (مسنده: ص ٦ من الجزءِ الاوّل) و القسطلاني شارح البخارى في (ارشاده: ج ٨ ص ١٥٧) و الانصارى

شارح البخاری أيضاً في (تحفته: ج ٨ ص ١٥٧).

نعم: غضبت فاطمةالزهرآء سلام‌الله عليها على أثارة - يقال: فلان غضب على أثارة بالفتح إذا كان غضبه مسبوقاً بغضب كغضب بنت رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم لإرثها مسبوقاً بغضبها لإسقاط سهمها من الخمس، و ذاك مسبوقاً أيضاً لكشف بيتها و إحراقها و إيذائها و ضربها و إسقاط جنينها، و ذاك مسبوقاً بما في السّقيفة السّخيفة الشّؤمة - و استقلت فاطمة الزّهراء عليها صلوات‌الله غضباً يقال: استقل غضباً إذا أشخصه فرط الغضب، كما أشخص فاطمة الزّهراء عليهاالسلام من بيتها حتّى دخلت على أبي‌بكر، فخطبت محتجّة بأشدّ لهجة فلاثت خمارها، و اشتملت بجلبابها، و أقبلت في لمة من حفدتها خادماتها و نسآء قومها تطأذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول‌الله صلى‌اللّه عليه و آله و سلم حتّى دخلت على أبي‌بكر، و هو في حشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم، فنيطت أي علقت دونها ملاءة أي إزاراً ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكآء، و ارتجّ المجلس، فأمهلتهم حتّى إذا سكن نشيجهم، و هدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمدالله عزّوجلّ ثمّ انحدرت في خطبتها

تعظ القوم في أتمّ خطاب حكت المصطفى به و حكاها

فخشعت الأبصار، و بخعت النّفوس، ولولا السّياسة ضاربة يومئذ بجرانها لردّت شوارد الأهوآء، و قادت حرون الشّهوات، و لكنّها السّياسة توغل في غاياتها لا تلوي على شيء، و من وقف على خطبتها في ذلك اليوم عرف ما كان بينها و بين القوم و ممّا كان بينها و بينهم أن قالت سيّدة نسآءِالعالمين عليها صلوات‌الله لأبي‌بكر حين منعها إرثها: لإن متّ اليوم يا أبابكر من يرثك؟ قال: ولدی و أهلي. قالت: فلم أنت ورثت رسول‌الله دون ولده و أهله؟ قال: ما فعلت يا بنت رسول‌الله. قالت: بلى إنّك عمدت إلى فدك و كانت صافية لرسول‌الله فأخذتها منّا، و عمدت إلى ما أنزل‌الله من السّمآءِ فرفعته عنّا ... الحديث.

و قد روى حديث مطالبة فاطمة الزّهرآءِ سلام‌الله عليها بإرثها جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: الترمذي في (صحيحه - كتاب السّير - باب ٤٤ ج ٤ ص ١٥٧ حديث ١٦٠٨ - ١٦٠٩) و أحمد في (مسنده: ج ١ ص ٦ و ٩) و (ج ٢ ص ٣٥٣) و النّسآئي في (سننه كتاب الفيء باب ١ ج ٧ ص ١٢٠) و اليعقوبي في (تاريخه: ج ٢ ص ١٢٧) و القزويني في (فدك: ص ٤٣ و ٨٧) و البلاذرى في (فتوح البلدان: ص ٤٤) و ابن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ٤ ص ٨٢ و ٨٧) و (ج ١٦ ص ٢١١ - ٢١٣ و ٢٥١) و غيرهم.

و قد أقامت فاطمة‌الزّهرآء بضعة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم على إرثها آيات محكمات، حججاً لاترد و لا تكابر إلاّ الشّيطان بصورة إلانسان، فكان ممّا أدلّت به يومئذ أن قالت: «أعَلى عمد تركتم كتاب‌الله و نبذتموه ورآء ظهوركم؟ إذ يقول: «و ورث سليمان داود» و قال فيما اقتصّ من خبر زكريّا: «فهب‌لي من لدنك وليّاً يرثني و يرث من آل يعقوب و اجعله ربّ رضيّاً و قال: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب‌الله» و قال: «يوصيكم‌الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين» و قال: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيّة للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتّقين».

ثمّ قالت: أخصّكم‌الله بآية أخرج بها أبي؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و ابن عمّى؟! أم تقولون: أهل ملّتين لا يتوارثان؟! الخطبة.

رواها جماعة من نقلة آثار العامّة:

منهم: إبن أبي‌طيفور المتوفّى سنة ٢٨٠ هـ في‌كتابه (بلاغات النسآء: ص ١٢ ١٩) و إبن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ١٦ ص ٢١١ - ٢١٣) و (ص ٢٤٩ - ٢٥٣ ط مصر) و عمر رضا كحالة في (أعلام النّساءِ: ج ٤ ص ١١٦) و توفيق أبوعَلَم في كتابه: (أهل البيت: ص ١٥٧) و غيرهم.

و لقد احتجّت سيّدة نسآء‌العالمين فاطمة‌الزّهراء سلام‌الله عليها على أبي‌بكر و من معه في توريث الأنبيآءِ عليهم‌السّلام أوّلاً بآيتي داود و زكريّا الصّريحتين بتوريثهما، و لا يخفى على ذي مسكة أنّ بضعة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم كانت أعلم بمفادالقرآن

الكريم ممّن جآؤا متأخرين عن تنزيله، فتأوّلوا الإرث هنا إلى وراثة الحكمة و النّبوّة دون الأموال، تقديماً للمجاز على الحقيقة من دون قرينة، تصرّفاً للّفظ عن معناه الحقيقي المتبادر منه بمجرّد الإطلاق، و هذا ممّا لا يجوز، ولوصحّ هذا التكلّف لعارضها به أبوبكر يومئذ أو غيره ممن كان في ذلك الحشد من المهاجرين و الأنصار و غيرهم.

على أنّ هناك قرآئن في الآيات الكريمة تعيّن وراثة الأموال، سبقت في محلّها. و احتجّت سلام‌الله عليها ثانياً على أبي‌بكر و من معهُ في استحقاقها الإرث من أبيها صلى اللّه عليه و آله و سلم بعموم آيات المواريث و عموم آية الوصيّة، منكرة عليهم تخصيص العمومات بلامخصّص شرعيّ من كتاب أو سنّة.

و ما أشدّ انكارها إذ قالت: «أخصّكم‌الله بآية أخرج بها أبي؟!».

فنفت سلام‌الله عليها بهذا الإستفهام الإنكارى وجود المخصّص في الكتاب.

ثمّ قالت: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبي و إبن عميّ؟».

فنفت سلام‌الله عليها بهذا الإستفهام التّوبيخي وجود المخصّص في السّنة، بل نفت وجوده مطلقاً، إذ لو كان ثمّة مخصّص لبيّنه لها النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و الوصيّ عليه‌السلام و يستحيل عليهما الجهل به لو كان في الواقع موجوداً لما جاز عليهما أن يهملا تبيينه لها، لما في ذلك من التّفريط في البلاغ، و التّسويف في الإنذار و الكتمان للحقّ، و الإغرآء بالجهل، و التّعريض لطلب الباطل، و التغرير بكرامتها، و التّهاون في صونها عن المجادلة و المجابهة و البغضآء و العداوة بغير حقّ، و كلّ ذلك محال عن الأنبيآء، و ممتنع عن أوصيآئهم ...

و بالجملة كان كلف رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم ببضعته فاطمة‌الزّهرآء سلام‌الله عليها و إشفاقه عليها فوق كلف الآبآء الرّحيمة، و شفاقهم على أبنآءهم البررة، يؤويها إلى الوارف من ظلال رحمته و يفديها بنفسه مسترسلاً إليها بأنسه إذ قال لها رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «فداؤها أبوها فداؤها أبوها ثلاث مرّات» رواه أحمدبن حنبل، و نقله عنه و عن‌غيره‌ابن حجر في (الصّواعق المحرقة في‌الأمر الثاني من الامور الّتي ذكرها في خاتمة الآية الرّابعة عشرة من الآيات الّتي أوردها في الفصل الأوّل من

الباب الحاديعشر: ص ۱۵۹).

و قد كان رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يحرص بكل ما لديه على تأديب بضعتها فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها و تهذيبها و تعليمها و تكريمها حتّى بلغ في ذلك كلّ غاية، يزقها المعرفة بالله تعالى و العلم بشرآئعه زقّاً لايألو في ذلك جهداً، و لا يدخر وسعاً حتّى عرج إلى أوج كلّ فضل، و مستوى كلّ كرامة، فهل يمكن أن يكتم عليها أمراً يرجع إلى تكليفها الشّرعي؟ حاشالله! و كيف يمكن أن يعرضها - بسبب الكتمان - لكل ما أصابها من بعده في سبيل الميراث من الإمتهان، بل يعرض الامّة للفتنة الّتي ترتبت على منع إرثها.

و ما بال بعلها خليل النّبوّة، و المخصوص بالأخوّة، يجهل حديث «لانورث» مع ما آتاه‌الله من العلم و الحكمة و السّبق و الصّهر و القرابة، و الكرامة و المنزلة و الخصيصة و الولاية و الوصاية، و النّجوى.

في نهج‌البلاغة: قال مولى‌الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام: «والله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلّا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه و ما أسماعكم اليوم بدون أسماعهم بالأمس ...».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «فهذا علم‌الغيب الّذي لايعلمه أحد إلّاالله و ما سوى ذلك فعلم علّمه‌الله نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم فعلّمنيه، و دعالي بأن يعيه صدرى و تضطمّ عليه جوانحي».

و فيه: قال الامام عليّ عليه السلام: «أيّهاالنّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السّمآءِ أعلم منيّ بطرق الارض قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأفي خطامها، و تذهب بأحلام قومها».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «فاسئلوني قبل أن تفقدوني فوالّذي نفسي بيده لا تسئلوني عن شيء فيما بينكم و بين السّاعة و لاعن فئة تهدي مأة و تضلّ مأة إلاّ أنبأتكم بناعقها و قآئدها و سآئقها و مناخ ركابها و محطّ رحالها، و من يقتل من أهلها قتلاً و من يموت منهم موتاً ...».

و ما بال رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يكتم حديث «لانورث» عن عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام و هو حافظ سرّه، و كاشف ضرّه و باب مدينة علمه، و باب دار حكمته، و أقضى امّته، و باب حطّتها و سفينة نجاتها و أمانها من الإختلاف.

و ما بال الهاشميّين كافّة و هم عيبته و بيضته الّتي تفقأت عنه، و لم يبلغهم حديث «لانورث» حتّى فوجئوا به بعد وفاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

و ما بال أمّهات المؤمنين يجهلنه فيرسلن عثمان يسئل لهن ميراثهنّ من رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم كما في (صحيح الترمذى كتاب السّير - باب ٤٤ - ج ٤ ص ١٥٧) و في (شرح الحديد: ج ١٦ ص ٢٢٠ و ٢٢٣) و في (الصّواعق المحرقة ص ٢٢ ط الميمنية) و في (معجم البلدان: ج ٤ ص ٢٣٩) و في (فتوح البلدان: ص ٤٣)!.

و كيف يجوز لرسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم أن يبيّن هذا الحكم لغير الوارث و يدع بيانه للوارث؟

ما هكذا كانت سيرته صلى اللّه عليه و آله و سلم إذ يصدع بالأحكام فيبلّغها عن‌الله تعالى، و لا هذا هوالمعروف عنه في إنذار عشيرته الأقربين، و لامشبه لما كان يعاملهم به من جميل الرّعاية و جليل العناية.

بقى للطّاهرة البتول سيّدةنسآءالعالمين كلمة استفزت بها حميّة القوم، و استثارت حفائظهم، بلغت بها أبعد الغايات ألاوهي قولها: «أم تقولون: أهل ملّتين لايتوارثـان» تريد بهذا أنّ عمومات المواريث لاتتخصّص بمثل ما زعمتم، و إنّما تتخصّص بمثل قوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «لا توارث بين أهل ملّتين» و إذن فهل تقولون، إذتمنعونني الإرث من أبي: إنّي لست على ملّته، فتكونون - لو أثبتّم خروجي عن الملّة - على حجّة شرعيّة فيما تفعلون فإنّاالله و إنّا اليه راجعون.

المورد الثالث: غصب أبي‌بكر فدكاً كانت حق فـاطمة الزّهـرآءِ سـيّدة نسآء العالمين سلام‌الله عليها خلافاً لنصّ كتاب‌الله جلّ و علا: «و آت‌ذاالقربى حقّه» الاسراء: ٢٦) و الرّوم: ٣٨) و لسنّة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم.

و ذلك أنّ‌الله تعالى لمّا فتح لنبيّه و خاتم رسله صلى اللّه عليه و آله و سلم حصون

خيبر، قذف‌الله جلّ و علا الرّعب في قلوب أهل فدك، فنزلوا على حكم رسول‌الله صلى اللّه عليه وآله و سلم صاغرين، فصالحوه على جميع أرضهم، و قيل: على نصفها، فقبل ذلك منهم، فكان جميع فدك أو نصفها ملكاً خالصاً لرسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إذلم يوجف المسلمون عليها بخيل و لاركاب، و هذا ممّا أجمعت الامّة عليه، فكانت فـدك ملكاً لرسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم رواه جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم:

١ـ أبو داود في (سننه: ج ٢ ص ٤٧ كتاب الخراج باب صفايا رسـول‌الله صـلى اللّه‌عليه و آله و سلم).

٢ـ الطبري في (تاريخه: ج ٣ ص ٢٠).

٣ـ ابن‌الأثير في (الكامل: ج ٢ ص ٢٢٤) و (ج ٢ ص ١٥٢ ط آخر).

٤ـ الحموى في (معجم البلدان مادّة فدك ج ٤ ص ٢٣٨ - ٢٤٠).

٥ـ ابن هشام في (السّيرة النّبويّة: ج ٢ ص ٣٥٣ و ٤٠٨).

٦ـ ابن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ١٦ ص ٢١٠).

٧ـ البلاذري في (فتوح البلدان: ص ٤٢ ٤٣).

٨ـ الحسكاني في (شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٣٨ و ٤٤٣).

٩ـ الماوردي في (الأحكام السّلطانيّة: ص ١٧٠).

١٠ـ الواقدى في (المغازي ص ٧٠٦).

و غيرهم تركناهم للاختصار.

ثمّ لما أنزل‌الله تعالى على رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «و آت‌ذاالقربى حقه» الاسرآء: ٢٦) أنحل رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها فدكاً، فكانت في‌يدها حتّى نزعها منها أبوبكر بعد وفاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بأيام قليلة بأنّها من بيت المال.

في‌نهج البلاغة: قال مولى‌الموحّدين إمام‌المتقين أميرالمؤمنين عليّ‌بن أبـي‌طالب عليه السلام: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السّمآء، فشحّت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين و نعم الحكم‌الله ...» و قد روى جماعة من أعلام العامّة:

أنّ فدكاً كانت بيد فاطمة الزّهراء سلام‌الله عليها:

منهم: الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٣٨ حديث ٤٦٧ - ٤٧٣) و السّيوطي في (الدّرّالمنثور: ج ٤ ص ١٧٧) و الهيتمى في (مجمع الزّوائد: ج ٧ ص ٤٩) و الطّبري في (جامع البيان: ج ١٥ ص ٨٢) و الذّهبي في (الميزان: ج ٢ ص ٢٢٨ ط السّعادة) و القندوزي في (ينابيع المودّة: ص ٤٩ و ١٤٠ ط الحيدريّة) و (ص ١١٩ ط اسلامبول) و ابن أبي الحديد في (شرح النهج: ج ١٦ ص ٢٦٨ - ٢٧٥) و البلاذري في (فتوح البلدان: ص ٤٧٤٦). و غيرهم تركناهم روماً للإختصار.

هذا ما ادّعته فاطمةالزّهرآء سلام‌الله عليها بعد رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و من أعجب العجآئب لم تسبقها بنت نبيّ و لا رسول على ذلك أنّ سيّدة نسآءِ العالمين فاطمةالزّهرآء عليها صلوت‌الله قد أوقفت في‌سبيل ما ادّعته موقف المحاكمة باجماع الامّة، و إليك ما جآء في محاكمتها:

في تفسير الرّازى: في تفسير (آية الفيء من سورة الحشر) قال: «فلمّا مات رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إدّعت فاطمة أنّه كان ينحلها فدكاً، فقال لها أبوبكر: أنت أعزّ النّاس عليّ فقراً و أحبّهم إليّ غنىً لكنيّ لا أعرف صحّة قولك، فلا يجوز أن أحكم لك ...».

و **في الصّواعق المحرقة:** قال ابن حجر أثناء كلامه في‌الشّبهة السّابعة من شبه الرّافضة: ص ٢١) ما لفظه: «و دعوى فاطمة أنّه صلى اللّه عليه و آله و سلم نحلها فدكاً لم تأت عليها إلاّ بعليّ و امّ أيمن فلم يكمل نصاب البيّنة ...».

أقول: اللهّم العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد و آل محمّد و آخر تابع له على ذلك بعدد ما أحاط به علمك.

هذا هو أبوبكربن أبي قحافة يدّعى خلافة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و يتّكي أريكتها، و يوقف وديعة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم سيّدة نسآءِالعالمين فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها و هى ثلكى مواقفها تلك منه: تارة في سبيل سهمها، و اخرى في سبيل إرثها، و ثالثة في سبيل نحلتها، و رابعة و خامسة ... فى شئون و شجون ...

ثمّ يدعها تنقلب عنه راغمة يائسة ساخطة عليه و على من تبعه، ثمّ تموت مدلهمة هاجرة له، فتوصي بما أوصت.

و قد كان في وسع أبي‌بكر أن يربأ بوديعة رسول‌الله صلى اللّه عـليه و آله و سـلم و وحيدته عن الخيبة، و يحفظها عن أن تنقلب عنه و هي تتعثر بأذيالها، و ما ذا عليه إذا احتل محل أبيها، لوسلمها فدكاً من غير محاكمة؟! فإنّ للخليفة أن يفعل ذلك بمصلحته العامّة المتوهّمة، و ما قيمة فدك في سبيل هذه المصلحة؟ و دفع تلك المفاسد ...

و هذا ما قد تمنّاه لأبي‌بكر كثير من متقدّمي أتباعه، و من متفكرى المتأخرّين:

في مجلّة الرّسالة المصرية: (عددها: ٥١٨ من السّنة ١١ ص ٤٥٧) نشرت كلمة في‌هذا الموضوع للاستاذ محمود أبورية المصري قال: «بقى أمر لابّد أن نقول فيه كـلمة صريحة: ذلك هو موقف أبي‌بكر من فاطمة رضى‌الله عنها بنت رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و ما فعل معها في‌ميراث أبيها، لانّا إذا سلمنا بأن خبر الآحـاد الظّـنيّ يخـصّص الكتاب القطعيّ، و أنّه قد ثبت أنّ النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم قد قال: «انّه لايورث» و أنّه لاتخصيص في عموم هذا الخبر، فإنّ أبابكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضى‌الله عنها بعض تركة أبيها صلى اللّه عليه و آله و سلم كأن يخصّها بـفدك، و هـذا مـن حـقّه الّـذي لايعارضه فيه أحد، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشآء بما شآء.

قال: و قد خصّ هو نفسه الزّبيربن العوام و هو صهره على أسمآء ام عبدالله - و محمد بن مسلمة و غيرهما ببعض متروكات النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم على أنّ فدكاً هذه الّتي منعها أبوبكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان» هذا كلامه بنصّه. و قريب منه نقله في كتابه: (شيخ المضيرة أبوهريرة: ص ١٦٩ ط ٣)

أقول: و قد خصّ أبوبكر، إبنته عآئشة بالحجرة من متروكات النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم فدفنته حين مات فيها إلى جنب رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم ثمّ دفن فيها خليفته عمربن الخطاب برخصة من عآئشة، فلمّا توفّى الحسن سبط رسول‌الله و ريحانته صلى اللّه عليه و آله و سلم أراد بنوهاشم تجديد العهد فيه بجدّه. فكان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيراً و لا تسئل عن الخبر فإنّالله و إنّااليه راجعون.

و قد ذكر جماعة من أعلام العامّة و نقلة آثارهم: أنّ عثمان‌بن عفّان أعطى فدكاً لمروان‌بن الحكم:

١ـ أبو داود في (سننه: ج ٢ ص ٤٩).

٢ـ البيهقي في (سننه: ج ٦ ص ٣٠١).

٣ـ إبن قتيبة في (المعارف: ص ١٩٥).

٤ـ أبوالفدآء في (تاريخه: ج ١ ص ١٦٩).

٥ـ إبن أبي‌الحديد في (شرح النهج: ج ١ ص ١٩٨).

و غيرهم تركناهم للاختصار. و قال إبن أبي‌الحديد في شرح كلام الإمام عليّ عليه‌السلام: «و نعم الحكم‌الله»: الحَكَمَ: الحاكم و هذا الكلام كلام شاكٍ متظلّم».

أقول: أكان عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام كاذباً غير محقّ في شكايته و تظلّمه عندالله جلّ و علا؟ أو كان أبوبكر ظالماً أهل بيت الوحي المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين و تبعه من تبع؟

و في النّص و الإجتهاد: قال: و نقل ابن أبي‌الحديد عن بعض السّلف كلاماً مضمونه العتب على الخليفتين، و العجب منهما في مواقفها مع الزّهرآء بعد أبيها صلى اللّه عليه و آله و سلم قالوا في آخره: «و قد كان الأجلّ أن يمنعهما التكرّم عمّا ارتكباه من بنت رسول‌الله فضلاً عن الدّين» فذيّله إبن أبي‌الحديد بقوله: «و هذا الكلام لاجواب عنه».

قلت: دعنا من مقتضيات التكرّم، و لننظر في المسئلة من حيث مقتضيات المحاكمة. فنقول: قد تمّت الموازين الشرعيّة التي توجب الحكم للزّهرآء سلام الله عليها بنحلتها و كانت مع تمامها متعدّدة أنّ كما لا يخفى على المنصفين من اولى الألباب. و حسبهم منها علم الحاكم يومئذ هذه المدّعية إنّما هى بمثابة من القدس تعدل بها مريم بنت عمران، و أنّها أفضل منها، و أنّها و مريم و خديجة و آسية أفضل نسآءالجنّة، و أنّها و الثّلاث خيرنسآء العالمين، و هي الّتي قال لها رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «يافاطمة ألاترضين أن تكوني سيّدة نسآء المؤمنين أو سيّدة نسآء هذه الأمة» و قد علم المسلمون كافّة أنّ‌الله عزّوجلّ اختارها من نسآء الامّة كما اختار ولديها من الأبنآء، و اختار بعلها

من الأنفس، فهم الخيرة مع رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم للمباهلة يوم أوحى‌الله سبحانه إليه: «فمن حاجّك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنآئنا و أبنآءكم و نسآئنا و نسآءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة‌الله على الكاذبين».

فخرج رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم كما نصّ الرازي في تفسير الآية من تفسيره: «و عليه مرط من شعر أسود و قد احتضن الحسين و أخذ بيدالحسن و فاطمة تمشي خلفه و عليّ خلفها و هو يقول لهم: اذا أنا دعوت فأمّنوا. فقال اسقف نجران: يا معشر النّصا رى إنّي لأرى وجوهاً لوسئلوا‌الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلاتباهلوهم فتهلكوا، و لا يبقى على وجه الأرض نصرانيّ إلى يوم القيامة.

و أيضاً أجمع المسلمون كافّة على أنّ الزّهرآء عليهاالسّلام ممّن أنزل‌الله عزّوجلّ فيهم: «إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرّجس أهل‌البيت و يطهّركم تطهيراً» و أنّها ممّن افترض‌الله مودّتهم على الامّة و جعلها أجر رسالته صلى الله عليه و آله و سلم و أنّها ممّن تعبدالله الخلق بالصّلاة عليهم كما تعبدهم بالشّهادتين في كلّ فريضة.

و قال الشّافعي:

يا أهل بيت رسول‌الله حبّكم ـ فرض من‌الله في‌القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم ـ من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

و قال الشيخ إبن‌العربي:

رأيت و لآئي آل طه فريضة ـ على‌رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب الرّحمن أجراً على‌الهدى ـ بتبليغه إلاّ المودّة في‌القربى

و قال النبهاني:

آل طه يا آل خير نبيّ ـ جدّكم خيرة و أنتم خيار
أذهب‌الله عنكم الرّجس أهل البيت ـ قدماً فأنتم الأطهار
لم يسل جدّكم على‌الدّين أجراً ـ غير ودّالقربى و نعم الاجار

و أيضاً فإنّ فاطمة الزّهرآء لبرّة الأبرار الّذين قال‌الله عزّوجلّ عنهم: «إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد‌الله يفجّرونها تفجيراً يوفون

بالنّذر و يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً إنّما نطعمكم لوجه‌الله لانريد منكم جزآءً ولا شكوراً» الآيات إلى آخر: الانسان: ۲۲۵).

و بالجملة فانّ للزّهرآء عليها السّلام من منازل القدس عندالله عزّوجلّ و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و المؤمنين ما يوجب الثّقة التّامّة في صحّة ما تدّعي، و الطّمأنينة الكاملة بكلّ ما تقول، لاتحتاج في إثبات دعواها إلى شاهد، فانّ لسانها ليتجافى عن الباطل، و حاشاالله أن ينطق بغير الحق، فدعواها بمجرّدها تكشف عن صحّة المدّعى به كشفاً تامّاً ليس فوقه كشف و هذا ممّا لايرتاب فيه أحد ممّن عرفها عليها السّلام و أبوبكر من أعرف النّاس بها و بصدق دعواها و لكن الأمر كما حكاه عليّ‌بن الفارقيّ و كان من أعلام بغداد، مدرّساً في مدرستها الغربيّة ببغداد و هو أحد شيوخ إبن أبي‌الحديد المعتزلي ما لفظه:

«و سئلت عليّ‌بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فِلمَ لم يدفع إليها أبوبكر فدكاً و هي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته و قلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدكاً بمجرّد دعواها لجآءت إليه غداً و ادّعت لزوجها الخلافة و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الإعتذار و الموافقة بشيء، لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كآئناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة و لا شهود».

نعم! و بهذا استباح أبوبكر ردّ شهادة عليّ‌بن أبيطالب لفاطمة سلام‌الله عليها بالنّحلة، و إلاّ فانّ يهود خيبر على لؤمهم و أنّ عليّاً دمّرهم لينزّهونه عن شهادة الزّور، و بهذا أيضاً لا بسواه استنوق الجمل، فاعتبر ذات اليد المتصرّفة مدّعية، فطالبها بالبيّنة وإنّماهى عليه، الأمر الّذي علمنا أنّه دبر بليل.

و ما ينس فلاينس قوله في مجابهة فاطمة عليهاالسّلام: «لست أعلم صحّة قولك ...» مع أنّ قولها بمجرّده من أوضح موازين الحكم لها بما ادّعت.

و لو تنازلنا عن هذا كلّه و سلّمنا أنّها كسآئر المؤمنات الصّالحات تحتاج في إثبات

دعواها إلى بيّنة، فقد شهدلها عليّ عليه السلام و حسبها أخو النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و من كان منه بمنزلة هارون من موسى شاهد حقّ تشرق بشهادته أنوار اليقين، و ليس بعد اليقين غاية يطلبها الحاكم في المرافعات، و لهذا جعل رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم شهادة خزيمةبن ثابت كشهادة عدلين، و لعمرالله أنّ عليّاً عليه السلام أولى بهذا من خزيمة و غيره و أحقّ بكلّ فضيلة من سآئر أبدال المسلمين.

و لو تنازلنا فسلّمنا أنّ شهادة عليّ عليه السلام كشهادة رجل واحد من عدول المؤمنين فهلّا استحلف أبوبكر فاطمة الزّهرآء سلام‌الله عليها بدلاً عن الشّاهد الثّاني، فإن حلفت و إلاّ ردّ دعواها، ما رأيناه فعل ذلك! و إنّما ردّ الدّعوى ملغياً شهادة علي عليه‌السلام و امّ أيمن و هى مولاة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و حاضنته إسمها بركة بنت ثعلبة و كان رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول: امّ أيمن امّي بعد امّي، و كان إذا نظر إليها يقول: هذه بقيّة أهل بيتي، و قد أخبر عنها: أنّها من أهل الجنّة.

و هكذا كما ترى ممّا لم يكن بالحسبان!! بينا كان عليّ عليه السلام عدل القرآن في الميزان، و كان مع القرآن و القرآن معه لا يفترقان، و هو عليه السلام في آية المباهلة نفس المصطفى صلى اللّه عليه و آله و سلم ليس غيره إيّاها إذاً هو في هذه المحاكمة ممّن لا أثر لشهادتهم. يالها مصيبة في الإسلام تلقيناها بقولنا: إنّا لله و إنّا إليه راجعون.

أكانت فاطمة الزّهرآء صلوات‌الله عليها و هى مطهّرة معصومة بنصّ الكتاب و السّنّة كاذبة في ادّعآئها، خاطئة في احتجاجها على أبي‌بكر؟ أم كان أبوبكر مستبدّاً باغياً طاغياً غاصباً و ظالماً.

قال‌الله عزّوجلّ: «و لمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس و يبغون في‌الأرض بغيرالحقّ اولئك لهم عذاب أليم» الشّورى: ٤١ - ٤٢).

أولم يكن ردّ أبي بكر إدّعاء سيدّة نسآء العالمين فاطمة الزّهرآء سلام الله عليها، و ردّ شهادة عليّ‌بن أبيطالب عليه السلام و هو عدل القرآن الكريم، و ردّ شهادة امّ ايمن و

هي من أهل الجنّة بشهادة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إهانة بهم؟ و إلاّ فما معنى الإهانة و مفهومها؟

أكان إسقاط سهم ذي القربى، و منعهم من إرثهم، و غصب حقهم، و تلك الإهانة بهم من علآئم مودّة ذي القربى الّتي و جبت عليهم؟ أكان إحراق دار بضعة المصطفى و ضربها و إسقاط جنينها و الهجمة إلى بيتها و إيذآئها و تهديدها من علآئم المودّة في القربى الّتي فرضت عليهم؟؟؟

فاقض أيّها القارئُ الكريم المنصف، طيّب الولادة ما أنت قاضٍ.

قال الله عزّوجّل: «فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال فأنّى تصرفون» يونس:٣٢.

و تدبّروا فيما رواه ابن عساكر في(تاريخ دمشق: ج ١ ص ٣٥١ ط دمشق) بسنده عن عبدالرّزّاق أنّه قال: سمعت معمراً يقول: دخلت مسجد حمص فاذاً أنا بقوم لهم رباء فظننت بخير، فجلست إليهم فاذا هم ينتقصون عليّ بن أبيطالب، و يقعون فيه، فقمت من عندهم، فاذاً شيخ يصليّ، ظننت به خيراً فجلست إليه فلمّا حسّ بي جلس و سلّم، فقلت له: ياعبدالله ماترى هؤلآءالقوم يشتمون عليّ بن أبيطالب و ينتقصونه، و جعلت أحدّثه بمناقب عليّ بن أبيطالب و أنّه زوج فاطمة بنت رسول الله و أبوالحسن و الحسين و ابن عمّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم الخ إلى غير ذلك من كلماتهم المصّرحة بأنّ المخالفين كانوا يسبّون و يشتمون صنو الرّسول و إبن عمّه و الفادي بنفسه في الدّفاع عنه حتّى ورد في بعض المجاميع: (إنّ أهل بعض البلدان استمهلوا ستّة أشهر عمر بن عبدالعزيز في سبّ مولانا أميرالمؤمنين صلوات الله عليه لما منع عن ذلك و عاقب من اقترف تلك الموبقة).

فيا أيّها القارئ المنصف فأنت هل من فرق و أتباع من يسبّ عليّاً عليه السلام و يأمرالنّاس بذلك و أنت تحمي و تحامي هؤلآء المارقين و قآئدهم أم كنت من الغالين أم من شيعته، و تبغض من أبغض مولاك أميرالمؤمنين و تسبّ و تلعن على القوم الظالمين، فهل تلك المردة الشّيطانيّة كانوا لآئقين أن يتّكئوا على سرير الخلافة الإسلاميّة الإلهيّة، و هل بقى لأحد معاذير و تأويل في شيطنة هؤلآء الملعونين مع ما ورد من طريق العامة من

روايات مستفيضة بل متواترة حتّى لفظاً، فضلاً عن معنى قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من سبّ عليّاً فقد سبّنى»فهل من سبّ الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم يجوز لأحدذي شعور و إدراك أن يقول: إنّ السّابّ هو خليفة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم ثمّ يسعى بحمايته و يتأوّل سبّه بما تضحك به الثكلى و تبكى به العريس.

في زيارة عاشوراء: «... ولعن الله امّة أسّست أساس الظّلم لكم و مهّدت الجور عليكم، و طرّقت إلى .أذّيتكم و تحيّفكم، و جارت ذلك في دياركم و أشياعكم برئت إلى الله عزّوجل و إليكم يا ساداتي و مواليّ و أئمّتي منهم و من أشياعهم و أتباعهم، و أسئل الله الّذى أكرم يا مواليّ مقامكم و شرّف منزلتكم و شأنكم .أن يكرمني بولايتكم و محبّتكم و الايتام بكم و بالبرآءة من أعدآئكم، و أسئل اللـه البرّ الرّحـيم أن يـرزقني مودّتكم و أن يوّفقني للطلب بثاركم مع الإمام المنتظر الهادي من آل محمد و أن يجعلني معكم في الدنيا و الآخرة، و أن يبلّغني المقام المحمود لكم عندالله و أسئل الله عزّوجلّ بحقّكم و بالشّأن الّذي جعل الله لكم أن يعطيني بمصابي بكم أفضل ما أعطى مـصاباً بمصيبة إنّا لله و إنّا إليه راجعون يا لها من مصيبة ما أفجعها و أنكاها لقلوب المؤمنين و المسلمين فانّا لله و إنّا إليه راجعون ...» الزّيارة.

﴿معاوية بن أبي سفيان و المودّة في القربى﴾

قال الله عزّوجلّ: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جـوفه » الأحـزاب: ٤) يحبّ بأحدهما الرّحمن و من آمن به، و بالآخر الشّيطان و من تبعه. و لا يخفى على ذى مسكة، و لا على من له طيب ولادة أن معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية و النيران كان أبغض النّاس و أشدّهم عدواة لعليّ بن أبيطالب و لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بل إنَّ هذا من المسلّمات البديهيات لكلّ من يعر فهما أويسمع بهما من جميع أهل الأرض طولاً و عرضاً على اختلافهم في الملل و الأديان، و الألسنة والألوان ... و إنّما حكمهما في ذلك حكم آدم و الشّيطان من دون مرآء و لا شبهة.

قال الله تعالى: «فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوّلك و لزوجك» طه: ١١٧).

و قال: «إنّ الشّيطان للإنسان عدوّ مبين» يوسف: ٥).

و قد جآءت نصوص صريحة عن طريق العامّة في حكمي حبّ عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام و بغضه المتباغضين في دين الإسلام فنشير إلى نبذة منها روماً للإختصار:

١- روى الحاكم في (المستدرك - الجزء الثالث - ص ١٣٠) عن سلمان الفارسي: و قد قيل له: ما أشدّ حبّك لعلّي؟ قال: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني و من أبغض عليّاً فقد أبغضني» ثمّ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

أقول: أورده الذّهبي في (تلخيص المستدرك) معترفاً بصحّته على شرطـيهما، و

رواه جماعة من أعلام العامة في مآخذهم المعتبرة عندهم تركناهم للإختصار.

٢- روى الحاكم في (المستدرك - الجزء الثّالث - ص ١٣٥) عن عمّار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول لعليّ: «يا عليّ طوبى لمن أحبّك وصدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب فيك» ثم قال: هذا حديث صحيح الأسناد و لم يخرجاه.

أقول: رواه جماعة من أعاظم العامّة في مسانيدهم ...

٣ـ روى الحاكم في(المستدرك - الجزء الثّالث - ص ١٥٠) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و الّذي نفسي (بيده) لا يبغضنا أهل البيت إلاّ أدخله الله النّار» ثمّ قال: هذا صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه. رواه جماعة منهم.

٤- روى الحاكم في (المستدرك - الجزء الثّالث - ص ١٢٨) عن إبن عبّاس: نظر النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم إلى عليّ فقال: يا عليّ أنت سيّد في الدّنيا، سيّد في الآخرة، حبيبك حبيبي، و حبيبي حبيب الله، و عدوّك عدوّي، و عدوّي عدوّ الله عزّوجلّ، و الويل لمن أبغضك بعدي» ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشّيخين و لم يخرجاه، و قد اعترف الذّهبي على تشدّده بوثاقة رواته كلهم حيث أورده في تلخيصه.

رواه جماعة منهم.

٥- قال إبن عبدالبرّ في(الإستيعاب في ترجمة عليّ عليه السلام) ما هذا لفظه: و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، و من أبغض عليّاً فقد أبغضني، و من آذى عليّاً فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله».

رواه جماعة منهم.

٦- روى التّرمذي في (صحيحه: ج ٥ ص ٢٩٦ حديث ٣٧٩٦) ما هذا لفظه: «و شكى عليّاً إليه بعض أصحابه صلى الله عليه و آله و سلم و كانوا قد تعاقدوا على شكايته لتنمّره في ذات الله فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! ما تريدون من عليّ؟! إنّ عليّاً منّي و أنا منه و هو ووليّكم بعدي».

رواه جماعة من حملة أسفارهم.

٧- قال إبن عبدالبرّ في(الإستيعاب في ترجمة عليّ عليه السلام) ما هذا نصّه: وروى طائفة من الصّحابة: أنّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قال لعليّ رضي الله عنه: «لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» قال: و كان عليّ رضى الله عنه يقول: «و الله إنّه لعهد النّبيّ الأُمّيّ أنّه لا يحبّني إلاّ مؤمن، و لا يبغضني إلاّ منافق».

رواه جماعة من أعاظم العامّة.

أقول: هذا يسير من الرّوايات الكثيرة الصّحيحة أوردها أعاظم العامّة وحملة أسفارهم في مآخذهم المعتبرة عندهم في فضائل الإمام عليّ و أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين أذهب الله عنهم الرّجس في محكم التنزيل، و هبط بتطهيرهم جبرائيل، و باهل بهم رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بأمر ربّه الجليل، و قد فرض على الامّة مودّتهم بنصّ الكتاب المجيد، وأوجب النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم عن الله عزّوجلّ ولايتهم، و هم أحد الثقلين لا يضلّ من تمسّك بهما، و لا يهتدي إلى الحقّ من ضلّ عنهما، ألاوهم عليّ أميرالمؤمنين و سيّد الوصيّين أخو النّبيّ الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم و وليّه و صاحب العنآء وحسن البلآء بتأسيس دينه و وصيّه، و من شهد الرّسول بأنّه يحبّ الله و رسوله،و يحبّه الله و رسوله و أنّه منه بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس بنبيّ ولكنّه وزير النّبوّة و إمام الامّة و والد سبطي رسول الله و ريحانتيه من الدّنيا الحسن و الحسين سيّدي شباب أهل الجنّة شبر الأُمّة وشبيرها.

هذا هو الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السلام عدل كتاب الله المجيد.

وقد أورد جماعة من أعلام العامّة و حملة أسفارهم: أنّ معاوية بن أبي سفيان طليق بن طليق بفتح مكّة كان يسبّ عليّاً و يلعنه في قنوط الصلاة و يأمر النّاس بالسّبّ و اللعن عليه عليه السلام:

منهم: إبن عبدربّه في (العقد الفريد: ج ٤ ص ٣٦٦ ط لجنة التأليف و النّشر) و (ج ٢ ص ٣٠١ ط آخر) و إبن أبي الحديد في(شرح النهج: ج ١ ص ٣٥٦) و (ج ٣ ص ٢٥٨ ط ١) و (ج ٤ ص ٥٦) و (ج ١٣ ص ٢٢٠) و إبن عساكر في(تاريخه: ج ٣ ص ٤٠٧) و مسلم في(صحيحه: ج ٧ ص ١٢٠) و الترمذي في(صحيحه: ج ١٣ ص ١٧١) و الحاكم في(المستدرك: ج ٣ ص ١٠٩) و إبن الأثير في(اسد الغابة: ج ١ ص ١٣٤) و ابن الحزم

في(المحلى: ج ٥ ص ٨٦).

و غيرهم تركناهم للإختصار.

إنّ معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية و النيران لم يكتف بالسّبّ و اللعن على أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام مقتصراً فيه على نفسه، حتىّ يحمل النّاس كافّة على هذا المنكر طوعاً و كرهاً بالتّرهيب و التّرغيب، و جعله سنّة يجهر بها على منابر المسلمين في كل عيد وجمعة، و مازال الخطبآء الأجرآء في جميع الأنحآء تعدّ تلك المنكرة الفظيعة جزءاً من خطبة الجمعة و العيدين إلى سنة (٩٩) فأزالها عمر بن عبدالعزيز.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمومنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام في كلامه لأصحابه رقم ٥٧ : «أما إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مند حق البطن، يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد، فاقتلوه و لن تقتلوه ألا و إنّه سيأمركم بسبيّ و البراءة منيّ » الكلام.

في شرح الحديد: في(فصل فيما روى من سبّ معاوية و حزبه لعليّ) المسئلة الثّانية: في قوله عليه السلام: «يأمركم بسبيّ و البرآءة منّي» فنقول: إنّ معاوية أمر النّاس بالعراق و الشام و غيرهما بسبّ عليّ عليه السلام و البرآئة منه، و خطب بذلك على منابر الإسلام، و صار ذلك سنّة في أيام بني أميّة إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه فأزاله.

ثمّ ذكر إبن أبي الحديد ما فيه العجب العجاب، و أفحش ما يكون من السّباب.

و لم يزل معاوية يلعن أميرالمؤمنين عليه السلام و يبرأمنه أمام البرّ و الفاجر، و يحمل عليهما الأكابرو الأصاغر ... و قد علم أهل الأخبار كافّة أنّ معاوية لم يقتل حجراً و أصحابه الأبدال إلاّ لإمتناعهم عن لعن أميرالمؤمنين عليه السلام و لو أجابوه لحقنت دمآؤهم ...

و قد ذكر ذلك جماعة من أعلام العامّة و نقلة آثارهم ...

فمنهم: الطّبري في (تاريخه: ج ٥ ص ٩٥ـ١٠٥ و ٢٥٣ـ٢٨٠) و أبوالفرج الإصفهاني في(الأغاني في مقتل حُجر من أوآئل الجزء ١٦) و إبن الأثير في(الكامل: ج ٣ ص ٣٥٢ـ٣٥٧ و ٤٧٢–٤٨٨ من أحداث سنة ٥١) و ابن قتيبة في(الإمامة و السّياسة:

ج١ ص١٣١) و في طبع آخر(ص١٤٨) و غيرهم تركناهم للإختصار.

و في النّصّ و الإجتهاد: أنّ عبدالرّحمن بن حسان العنزى لمّا أبى أن يلعن عليّاً في مجلس معاوية أرسله إلى زياد، وأمره أن يقتله قتلة ما قتلها أحد في الإسلام، فدفنه زياد حيّاً.

و مازال معاوية يحمل النّاس على لعن أميرالمؤمنين عليه السلام بكل طريق.

في شرح الحديد: «و روى أبو عثمان أيضاً أنّ قوماً من بني اميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أمّلت، فلوكففت عن لعن هذا الرّجل! فقال: لا و الله حتّى يربو عليه الصّغير، و يهرم عليه الكبير، و لا يذكر له ذاكرٌ فضلاً».

هذا مع ما صحّ من نصّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إذا قال: «من سبّ عليّاً فقد سبّني» أخرجه الحاكم في (المستدرك: ج٣ ص ١٢١) و أخرج أحمد في(مسنده الجزء السّادس: ص ٣٢٣) من حديث ام سلمة عن أبي عبدالله الجدلي أحد عظمآء التّابعين قال: «دخلت على امّ سلمة، فقالت لي: أيسبّ رسول الله فيكم؟! قال: قلت: معاذ الله أوسبحان الله أو كلمة نحوها قالت: سمعت رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يقول: «من سبّ عليّاً فقد سبّني»».

رواه جماعة من حملة أسفار العامّة:

منهم: إبن عساكر في(تاريخ دمشق: ج ٢ ص ١٨٤ حديث ٦٦٠ـ ترجمة الإمام عليّ عليه السلام) و النسآئي في(خصآئص أميرالمؤمنين: ص ٢٤ ط التقدّم) و (ص ٩٩ ط الحيدريّة) و (ص ٣٩ ط بيروت) و السّيوطي في(تاريخ الخلفآء: ص ٧٣) و الخوارزمي في(المناقب: ص ٨٢ و ٩١) و ابن حجر في(الصّواعق: ص ٧٤ ط المينمية) و (ص ١٢١ ط المحمّدية) و النبهاني في(الفتح الكبير: ج ٣ ص ١٩٦) و الخوارزمي في(المناقب: ص ٨٢ و ٩١) و الشّبلنجي في(نور الابصار: ص ٧٣ ط العثمانية) وغيرهم تركناهم للإختصار.

و روى الجويني في (فرائد السّمطين: ج ١ ص ٣٠٢ حديث ٢٤١) عن إبن عباس ـ حديث طويل ـ أنّ النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم قال: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، و من سبّني فقد سبّ الله و من سبّ الله أكبّه الله على منخريه في النّار».

رواه جماعة من أعاظم العامة:

منهم: إبن المغازلي الشّافعي في(المناقب: ص ٣٩٤ الحديث: ٤٤٧) و الكنجي في(كفاية الطّالب: ص ٨٣ ط الحيدرّية) و (ص ٢٧ ط الغرى) و إبن الصّباغ المالكي في(الفصول المهمّة: ص ١١١) و الخوارزمي في(المناقب: ص ٨١) والزّندي في(نظم درر السّمطين: ص ١٠٥) و القندوزي في(ينابيع المودّة: ص ٢٠٥ ط اسلامبول).

و غيرهم تركناهم للإختصار.

أكان سبّ معاوية ولعنه و أمره النّاس كافة بسبّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام و لعنهم عليه من علامة المودّة في القربى الّتي فرضت عليهم؟! أولم يكن سبّ عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام هو سبّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟ أولم يكن سبّ النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم هو سبّ الله جلّ و علا؟!

هذا شيء يسير يكون كانموذج مما لمعاوية بن أبي سفيان من الكفر والعدوان، من البغي و الطغيان، من الظلم و العصيان، و من الجنايات و السّيئات التى ينبوعنها العدد، و يتقاعس عنها الحساب، ويستدعي التبسّط فيها مجلّدات ضخمة جدّاً ولكنّ العامّة قد عذرت معاوية لما بنوا على اجتهاده، فعذروه في أعماله و أعمال اجرآئه، ولم يخدش في عدالته عند هم بوآئقه و لا بوآئق عمّاله..

و من أعجب العجآئب أنّ العامّة الّذين يسمّونهم أهل السّنّة و الجماعة يجوّزون لمعاوية بن أبى سفيان أن يسبّ الله جل و علا و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم باجتهاده و يعذرونه في معصيته و جنايته مباشرة وتسبيباً، و لا يجوّزون للشيّعة أن يسبّوا من سبّ الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم باجتهادهم، فكأنّهم يقصرون الإجتهاد فيمن يعصي الله و يسّبه، و لو جاز لمعاوية أن يسبّ الله سبحانه باجتهاده لجاز إستكبار إبليس عن سجدة آدم باجتهاده بطريق الأولى، و لما كان للشّرك و الطغيان، للكفر و العصيان، و لاللبغي و العدوان ... مفهوم قطّ، فانّ كلّ مشرك يشرك بالله سبحانه أو ينكره باجتهاده و هكذا...

«عداوة معاوية و جنايته هي المودّة في القربى عند العامة»

و اعلم أنّ في المقام كلاماً لبعض مفكّري المعاصر و هو المحامي احمد حسين يعقوب في كتابه: (نظريّة عدالة الصّحابة ـ الفصل الثّاني: ص ١٩ – و الفصل الخامس: ص ١٣٩) نذكره على سبيل الإختصار و هو يقول:

«إتّفق أهل السّنّة على أنّ جميع الصّحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة، على حدّ تعبير إبن حجر العسقلاني، و يجب الإعتقاد بنزاهتهم إذ ثبت أنّ الجميع من أهل الجنّة، و أنّه لا يدخل أحد منهم في النّار» راجع (الإصابة في تمييز الصّحابة: ص ٩– ١٠).

مضمون عدالة الصّحابة عند أهل السّنّة:

«تعني عدالة الصّحابة فيما تعنيه أنّ كلّ من عاصر الرّسول أو وُلدَ في عصره لا يجوز عليه الكذب و التّزوير و لا يجوز تجريحه ولو قتل آلافاً، و فعل المنكرات، و عل أساس ذلك فجميع الطبقة الاولى من الامويّين كأبي سفيان و أولاده و جميع المروانيين بما فيهم طريد رسول الله و أولاده و المغيرة بن أبي شعبة و ولده عبدالله الّذي كان في حدود العاشرة من عمره حين و فاة النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و مع ذلك نسبوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم في صحيفة يسمّونها الصّادقة، فجميع هؤلآء من العدول و مرويّاتهم من نوع الصّحاح ولو كانت في تجريح عليّ و أهل

البيت عليهم السّلام، و في التقريظ و التقديس لعبد الرّحمن بن ملجم هذه المرويّات يجب قبولها و لا يجوز ردّها لأنّ رواتها من العدول، و العادل لا يتعمّد الكذب، و الّذين اتّبعوا معاوية و سايروه طيلة ثلاثين عاماً من حكمه، هؤلآء كلّهم على الحقّ و الهدى، و حتىّ الّذين سمّوا الحسن بن عليّ و قتلوا الحسين و أصحابه، وفعلوا ما فـعلوا مـن الجـرآئم في الكوفة و غيرها كانوا محقّين و من المهتدين».

ما هو جزآء من لا يعتقد بهذا الرّأي؟

«بأقلّ أقوال أهل السّنّة: «إذا رأيت الرّجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنّه زنديق، والّذين ينقصون أحداً على الإطلاق من أصحاب رسول اللـه هـم زنادقة و الجرح أولى بهم» راجع (الإصابة في تمييز الصّحابة: ص ١٧- ١٨) لابن حجر العسقلاني.

«و من عابهم أو انتقصهم فلا توا كلوه و لاتشاربوره و لا تصلّوا عليه» راجع ص ٢٣٨ من كتاب (الكبائر) للحافظ الذّهبي و راجع (آرآء المسلمين:ص ٨٥)للسيّد مرتضى.

الآثار المترتّبة على هذا التّعميم:

«المساواة العشوائيّة، فالصّحابة حسب رأي أهل السّـنّة مـتساوون بـالعدالة، فجميعهم عدول، فالقاعد كالمجاهد، و العالم كالجاهل، و من أسلم عن اقتناع تماماً كمن أسلم لينجو بروحه، و السّابق كاللاحق، والمنفق كالمقتر، و العاصي كالمطيع، والطّـفل المميّز تماماً بل غير المميّز كالرّاشد، و من قاتل الإسلام في كلّ المعارك تماماً كمن قاتل مع الإسلام كلّ معاركه، فعليّ الذّي قاتل مع الإسلام كلّ معاركه هو تماماً كأبي سفيان الّذي قاد كلّ الحروب ضدّالإسلام، و هو تماماً كمعاوية بن أبي سفيان،و حمزة عليه‌السّلام و هو المقتول و سيّد الشهدآء تماماً مثل قاتله: «وحشي» و أبوذر الغفاري المبشّر بالجنّة هو تماماً كالحكم بن العاص، عمّ عثمان بن عفان، و الدخلفآء بني اميّة، و هو طريد رسول الله

صلى اللّه عليه و آله و سلم و قد لعنه الرّسول و لعن ولده، و عبدالله بن أبي سرح الذّي افترى على الله الكذب وارتدّ عن الإسلام و أباح الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم دمه و لو تعلّق بأستار الكعبة هو تماماً كسلمان الفارسي الذّي قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فيه: «سلمان منّا أهل البيت » و عبدالله بن أبيّ زعيم المنافقين تماماً كعمار بن ياسر...».

« كيف لا؟ فكلّهم صحابة و كلهم عدول، و كلّهم في الجنّة، و لا يدخل أحدمنهم النّار أبداً كما يزعم أهل السّنّة».

تساؤل و استنتاج:

«هل يعقل أن يكون العالم كالجاهل؟ و القاعد كالمجاهد؟ و من أسلم عن اقتناع كمن أسلم خوفاً؟ هل من المعقول أن يتساوى المردود و المقبول؟ و هل يتساوي القاتل و المقتول؟ و هل يتساوي السّابق باللاحق ؟و المنفق بالمقتر؟ و العاصي بالمطيع؟ و صادق الايمان بالمتظاهر؟ و أن يتساوى المؤمن و المنافق؟؟؟ هل يعقل أن يكون معاوية الذّي حارب الإسلام في كلّ المواقع بكل فنون القتال حتّى حوصر بجزيرة الشّرك يوم الفتح فأسلم و هو من الطّلقاء مثل علي بن أبيطالب عليه السلام الّذي كان يصلّي مع رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قبل البعثة، و أسلم بعدها من دون فصل، و قاتل مع الإسلام كلّ معاركه حتّى أعزّ الله به دينه؟؟؟».

لاالشّرع يقبل هذه المساواة و لا العقل و لا المنطق، و هي ظلم صارخ و خلط فظيع ينفر منه العقل و تأباها الفطرة الإنسانيّة السّليمة».

و هذه المساواة بين الكفر و الايمان، بين النفاق و الإخلاص، بين العلم و الجهل، بين الهدى و الضّلالة، بين النّور و الظلمة، بين الحسن و القبح، بين الصّدق و الكذب ... الّتي تعتقدها العامّة هي خلاف النصّ القرآني، و خلاف سنّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و خلاف العقل و المنطق

قال الله عزّوجلّ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون» السّجدة: ١٨).

و قال: «لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضّرر و المجاهدون

في سبيل الله» النساء: ٩٥)

و قال: «لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل اولئك أعظم درجة من الّذين أنفقوا من بعد و قاتلوا» الحديد: ١٠)

و قال: «قل هل يستوي الّذين يعلمون و الّذين لايعلمون» الزّمر: ٩)

كيف كان معاوية بن أبي سفيان مجتهداً كما أنّه كيف كان كاتب الوحي، و قد نزل الوحي على رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم طيلة ثلاثة و عشرين عاماً، و قد كان معاوية لأحد و عشرين عاماً منها مشركاً بالله سبحانه، يحارب الإسلام، و لمّا اسلم يوم الفتح ظاهراً و هو من الطّلقاء ... لم نعثر على رواية تقول بأنّه سكن المدينة في حين أنّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم لم يسكن مكّة، بعد الفتح، و كان معاوية يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بمصر، فكيف كان مجتهداً و كاتب الوحى؟!

مع أنّ القرآن حافل بالآيات الّتي تقرع بشدّة المنافقين المنتشرين فى عاصمة المدينة و من حولها من الأعراب...

قال الله تعالى: «المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعرف و يقبضون أيديهم نسوالله فنسيهم إنّ المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين و المنافقات و الكفّار نار جهنّم خالدين فيها هى حسبهم و لعنهم الله و لهم عذاب مقيم - يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار و المنافقين و اغلظ عليهم و مأواهم جهنّم و بئس المصير - و ممّن حولكم من الأعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب عظيم» (التوبة: ٦٦ و ٦٧ و ٧٣ و ١٠١).

أو ليس هؤلاء المنافقون من الصّحابة العدول - بزعم العامّة - هم والمشركون و الكفّار على حدّ سوآء في اللعن و العذاب؟

و قال تعالى: «إنّ الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنّم جميعاً - إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار و لن تجدهم نصيراً» النساء: ١٤٠-١٤٥).

و قد كشفت الآيات القرآنية أسرار المنافقين، و فضحت أضغانهم، و عالجت

اموراً واقعيّة، و وصفت و شخصت حالات فرديّة لأشخاص كانوا يعتبرون صحابة بل و أُقيمت الحدود على الكثير منهم.

و إنّ الشّريعة المحمّديّة قد وضعت صفات موضوعيّة لأعمال البرّ و التّقوى، و لأعمال الفجور و الطغوى ... فمن توافرت فيه صفات معينة حشرته تلك الصّفات بإحدى هاتين المجموعتين، و ترجمة الصّفات و بيانها متروك لسكوك الإنسان ميدانيّاً، فالصّدام مع الكفر لم يتوقّف طيلة حياة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و الإنسان بطبعه يعكس دآئماً حقيقة إعتقاده بسلوكه آجلاً أم عاجلاً، و بانتقال الرّسول إلى الرّفيق الأعلى، كان كلّ مسلم من مواطني الدّولة الإسلاميّة يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور، و عرف النّاس كلّهم منازل بعضهم، مع أنّ المجتمع المسلم، خاصّة مجتمع المدينة المنّورة، كان مجتمع صحابة، و لكلّ واحد من أفراده صفة صحابيّ لغة و اصطلاحاً، ثمّ من يأمن مكر الله، و ما معنى الامور بخواتمها؟ إنّه لابديل من تقسيم الصّحابة إلى مجموعتين كبيرتين:

١- **أفاضل الصّحابة:** و هم: الأخيار الّذين قامت الدّولة على أكتافهم و تحمّلوا سخرية و أذى الأكثرية الكافرة حتّى أمر الله و تمسّكوا بأمرالله تعالى و والوا نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و والو من والاه، و انتقلوا إلى جوار ربّهم و هم معتصمون بحبل الله جلّ و علا، فهؤلاء عدول بالإجماع و لاتشذّ عن ذلك أيّة فرقة من الفرق الإسلاميّة.

٢- **بقيّة الصّحابة:** و هم متفاوتون، الله تعالى أعلم بهم، فمنهم الصّبيّ، و منهم المنافق، فالمنافقون الأشرار جعلهم الله في الدّرك الأسفل من النّار مع أنّهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، و يسمّون أيضاً صحابة بكلّ المعايير الموضوعيّة المعروفة عند العامّة، و هم كانوا بين أفاضل الصّحابة و حضرة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و قد كانت قلوبهم مع إخوانهم الشّياطين أعدآء الله، و أيديهم في أيدى الكفرة الفجرة، و هم يسعون في إطفآء نور الله و يكذبون رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم.

قال الله عزّ و جلّ: «و من النّاس من يقول آمنّا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين يخادعون الله و الذين آمنوا و ما يخدعون إلاّ أنفسهم و ما يشعرون - و إذا

لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن» البقرة: ٨-١٤)

و قال: «و إذ زيّن لهم الشّيطان اعمالهم - إذ يقول المنافقون و الّذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلآء دينهم» الأنفال: ٤٨-٤٩)

و قال: «يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبّئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إنّ الله مخرج ما تحذرون» التّوبة: ٦٤)

و قال: «و إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً - لئن لم ينته المنافقون والّذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لايجاورونك فيها الاّ قليلاً ملعونين أينما ثقفوا اُخذوا و قتّلوا تقتيلاً» الأحزاب: ١٢و٦٠)

و قال: «ألم تر إلى الّذين نافقوا يقولون لإخوانهم الّذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجنّ معكم و لانطيع فيكم أحداً أبداً و إن قوتلتم لننصرنّكم و الله يشهد إنّهم لكاذبون» (الحشر: ١١)

و قال: «اتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله إنّهم ساء ما كانوا يعملون» المنافقون: ٢).

أو ليس هؤلاء المنافقون من الصّحابة حكم أهل السّنّة بعدالة كلّهم؟

ما هى الفائدة من تقسيم الصّحابة على هاتين الطّائفتين؟

«إنّ معرفة أفاضل الصّحابة أمر في غاية الأهميّة، فهم الّذين يبايعون الإمام البيعة الخاصّة، و هم الّذين ينفذون أوامر الإسلام، يقومون بتهيئة المجتمع لتلقّي الذّكر و لتطبيق الشّريعة و لإعطاء البيعة العامة، و برضاهم يجب أن ترضى النّاس، و بسخطهم يسخطون، فاذا تحقّق ذلك نجت الامّة و نجوا، و إن لم يتحقّق هلكت الامّة و انحطّوا، و وسدالأمر لمن غلب، و فائدة هذا التّقسيم الآن هو دراسة الماضى موضوعيّة لمعرفة سرّ إختلاف المسلمين و بعثرة كلمتهم و انهيار دولتهم تمهيداً لإستشراق مستقبلهم و توثيق خطواتهم، بحيث تبقى ضمن المقصود الشّرعى كطريق أوحد لتوحيدهم ثانية و إقامة

دولتهم الّتي ينبغي أن تقوم على الأسس الشّرعيّة حتّى تدوم و تحقق غايتها و لاتنهار ثانية».

«ثمّ إنّ التفضيل ضروريّ لمعرفة الأفضل، و من هو المستحقّ للوظائف العامّة يقول تعالى: «إنّ الله يأمركم أن تؤدّو الأمانات إلى أهلها» (النساء: ٥٨) و قد فسّرها الطّبري بإسناد الولاية لمن هو جديربها. و كيف يمكن تأدية هذه الأمانات في هذا المجال دون اللجوء للتّفاضل؟ إنّ أوّل من سمع بذلك هم الصّحابة، و من المعني بذلك غيرهم؟!

التفاضل سنّة إلهيّة:

التّفاضل سنّة إلهيّة، و منهج من مناهج الحياة، و حافز من حوافز السّموبها، تقضيه طبيعة الحياة، يقتضيه التّباين بين الخلق في القدرة و القوّة و الفهم، و تحقيق العدل السّياسي و الوظيفي من حيث وضع الشخص المناسب في المكان المناسب المؤدّي لتحقيق الغاية الشّرعيّة، و وسيلة ذلك كلّه هو نظام التّفاضل الشّرعي في الإسلام على اعتبار أنّ التفضيل مكافأة و حافز إلهيّ و أنّ التّفاضل وسيلة شرعية.

الدّليل الشرعى للتفاضل:

وسيلة التفاضل مكرسة بالشّريعة الإسلاميّة، و بروحها العامّة قال تعالى: «فضّل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة» (النساء:٩٥)

و قال: «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم» البقرة: ٢٥٣)

و التفضيل وارد حتّى على مستوى الأنواع و الأفراد و الاسر و الأقوام...

يقول تعالى: « الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض» النساء: ٣٤) و يقول: «والله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق» (النّحل: ٧١).

و يقول: «ونفضّل بعضها على بعض في الاكل» الرّعد: ٤) و يخاطب بني إسرائيل: « أنّي فضّلتكم على العالمين» البقرة: ٤٧).

و يقول: «انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض و الآخره أكبر درجات و أكبر

تفضيلاً» الإسراء:٢١).

و التفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل، و من هو المستحقّ لملء الوظائف العامّة عملاً بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من ولّى على عصابة رجلاً و هو يجد من هو أرضى لله منه فقد خان الله و رسوله».

طبقات الصّحابة:

إنّ الصّحابة شرعاً و عقلاً و واقعاً ليسوا بدرجة واحدة، فنهم الصّادقون و هم طبقات في صدقهم، و منهم الأقوياء و هم طبقات في قوّتهم، و منهم الضّعفاء و هم أيضاً طبقات في درجات ضعفهم، و منهم المنافقون، و هم أيضاً طبقات في نفاقهم... و لو جارينا أهل السّنة بحرفيّة فهمهم لتجمدت الحياة و لتجمد الفكر تماماً، و بالرّغم من أن أهل السنّة قد أجمعوا أو أشاعوا الإجماع على أنّ الصّحابة كلّهم عدول حتّى عبدالله بن ابيّ رأس النّفاق و زعيم المنافقين في المدينة، إلاّ أنّ هذا لم يمنع أهل السّنّة من أن يعترفوا ضمناً بأنّ هذا التّعميم غير واقعيّ و غير منطقيّ، ويتعارض مع المقصود الشّرعي.

ولعلّ تقسيمهم الصّحابة إلى طبقات أكبر شاهد على هذا الإعتراف حيث إنّ انتماء الصّحابة لطبقة من الطّبقات يحدّد شرعاً دوره في الامور السّياسيّة و الحقوق و هذه ليست مسئلة إجتهاديّة لأنّ الشّرع الحنيف بقرآنه و سنّته قد وضع معالم تلك الطّبقات، و من هنا فانّ ابن سعد في (الطّبقات) تصدّى لهذه النّاحية، فجمع الصّحابة في خمس طبقات، و كذلك، فانّ الحاكم في (مستدركه) قسّم الصّحابة إلى اثنتى عشرة طبقة:

الطّبقة الاولى: الّذين أسلموا بمكّة قبل الهجرة.

الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة.

الطبقة الثالثة: مهاجروا الحبشة.

الطبقة الرّابعة: أصحاب العقبة الاولى.

الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

الطبقة السّادسة: أوّل المهاجرين الّذين وصلوا بعد هجرة الرّسول صلى الله عليه

وآله وسلم للمدينة.

الطبقة السّابعة: أهل بدر.

الطبقة الثامنة: الّذين هاجروا بين بدر و الحديبيّة.

الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرّضوان.

الطبقة العاشرة: من هاجر بين الحديبية و فتح مكّة كخالد بن الوليد و عمرو بن العاص.

الطبقة الحادية عشرة: الطّلقآء و هم الّذين أسلموا يوم فتح مكّة كأبي سفيان و معاوية.

الطبقة الثانية عشرة: صبيان و أطفال رأوه يوم الفتح.

أقول: و قد تواترت الرّوايات الواردة عن طريق الفريقين في سبق إيمان مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب و إسلامه سلام الله عليه على جميع النّاس و ما وقفت في كلمتي ايمان الإمام عليّ عليه السلام و إسلامه و سبقه بهما على النّاس من كتب العامّة و مآخذهم المعتبرة عندهم نحو: (٤٠٠) كتاباً سيأتي ذكر كثير منها في تفسير سورة «العصر» من هذا التّفسير إن شآء الله تعالى فانتظر.

و قد ثبت بالتّواتر أنّ عليّاً عليه السلام وُلِدَ على الفطرة، و صلى مع رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قبل بعثته صلى اللّه عليه و آله و سلم بسنين و لم يفصل بين البعثة و ايمانه عليه السلام برسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم، و لم يكذب الله جلّ و علا و لا رسوله صلى اللّه عليه و آله وسلم طرفة عين.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «فإنّي وُلِدتُ على الفطرة و سبقت إلى الايمان و الهجرة».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «و لقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم أنّي لم أردّ على الله و لا على رسوله ساعة قطّ».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثرامّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً، و يأمرني بالإقتدآء به و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحرآء،

فأراه و لايراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و خديجة و أنا ثالثهما أرى نور الوحي و الرّسالة و أشمّ ريح النّبوّة».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «اللهم إنّي أوّل من أناب و سمع و أجاب، لم يسبقني إلاّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالصّلاة»

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام في أهل العراق : «و لقد بلغني أنّكم تقولون: عليّ يكذب! قاتلكم الله، فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه!».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم؟ و الله لأنا أوّل من صدّقه، فلا أكون أوّل من كذب عليه».

و لا يخفى على القارىء المنصف الخبير أنّ تقسيم الصّحابة إلى طبقات دخول واقعيّ في باب التّفاضل، فمن غير المنطق أن يكون عليّ بن أبيطالب عليه السلام أوّل من أسلم بنفس الدّرجة من العدالة الّتي يتمتّع بها طليق يوم الفتح معاوية بن أبي سفيان فأسلم للدّسآئس ... و أن يساوى بين أوّل من أسلم و آخر من أسلم، و أن يساوى بين من قاتل الإسلام بكلّ فنون القتال حتّى حوصر بجزيرة الشّرك مع الرّجل الّذي قاتل مع الإسلام كلّ معاركه حتّى أعزّ الله به دينه.

و في اجتماع السّقيفة كانت حجّة المهاجرين على الأنصار: هى أنّهم أوّل من عبدالله في الأرض (السّابقة في الايمان) و أنّهم أوليآء الرّسول و عشيرته و أحقّ النّاس بالأمر من بعده، و لا ينازعهم إلاّ ظالم، و لأنّ العرب تأبى أن تؤمّر الأنصار و نبيّها من غيرهم، ولكنّ العرب لا ينبغي أن تولّى هذا الأمر إلاّ من كانت النّبوّة فيهم.

و انظر إلى قول عمر بن الخطّاب: «من يناز عنا سلطان محمد ميراثه و نحن أهله وعشيرته» هذا بالحرف ملخّص ما قاله أبوبكر و عمر في السّقيفة.

و بالتّالي نسف لكامل المقولة: إن الصّحابة كلّهم بلا إستثنآء عدول؟

فأذعن الأنصار لتلك الحجج القويّة، و قالوا: طالماً أنّ الأمر هكذا فإنّنا لا نبايع إلاّ عليّاً عليه السلام.

في نهج البلاغة: و من كتاب الإمام أميرالمؤمنين عليّبن أبيطالب عليه السلام الى معاوية جواباً - «و ما أنت والفاضل و المفضول، والسّائس والمسوس و ما للطّلقآء و أبنآء الطّلقاء، و التّميز بين المهاجرين الأوّلين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم ... - و منّا النّبيّ و منكم المكذّب؟ و منّا أسدالله و منكم أسد الأحلاف، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّة و منكم صِبية النّار، و منّا خير نسآءالعالمين، و منكم حمّالة الحطب؟ في كثير ممّا لنا و عليكم، فإسلامنا ما قد سُمِعَ و جاهليّتنا لاتدفع، و كتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله سبحانه: «و اولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» و قوله تعالى: «إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه و هذا النّبيّ و الّذين آمنوا و الله وليّ المؤمنين».

فنحن مرّة أولى بالقرابة، و تارة أولى بالطّاعة، و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة برسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنادونكم، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم!».

و ما كان بالإمكان الوصول إلى هذه القناعات لولا إعمال نظام التّفاضل كوسيلة الأعلم و الأفضل و الأنسب لكلّ أمر تحتاجه الأمّة، و نظام التّفاضل يتعارض بطبيعته مع مقولة «كلّ الصّحابة عدول» لانّه لو صحّت هذه المقولة لما كانت هنا لك دواعي لوجود هذا النّظام و لا لسلوك منهج التفاضل باعتبار أنّ الجميع متساوون بالعدالة.

نظام التّفاضل في الإسلام:

تجنّباً للخلاف و الإختلاف، و استعباداً لدور المزاج والهوى، و تقزيماً لأيّ واقع متحيّر سيفرض على الامّة، فقد حدّد الإسلام بنصوص قاطعة لا تحتمل الإنكار و التأويل الأركان الأساسيّة لنظام التّفاضل في الإسلام، و حصرها في خمسة أركان لتكون مسارب للفضل و العدالة، و طرفاً لمنازل الخير، و هي الّتي تحدّد موقع الإنسان المسلم، و تبيّن دوره و تحدّد حجم اعتباره، و هي مجتمعة تقدّم الجواب الشّرعي الأمثل لكلّ سئوال يتعلّق بالمنازل و الكرامات، و هي بالتّالي الطّريق الأوحد لمعرفة الأعلم و الأفضل و الأنسب في كلّ أمر من الامور ... فاذا كان الصّحابة كلّهم بلا إستثناء عدولاً لا

فرق بين واحد و آخر، فما الدّاعي لايجاد نظام التّفاضل في الأسلام؟ و ما الدّاعي لتشريع الحدود و وضع الأحكام ...؟

أركان التّفاضل أو مسارب العدالة:

باستقراء أحكام العقيدة الإلهيّة الإسلاميّة، يتبيّن لنا أنّ التّفاضل يقوم على خمسة أركان و هذه الأركان بمثابة موازين أو معايير شرعيّة تحدّد حجم الاعتبار لكلّ مسلم و تبيّن منزلته:

الرّكن الأوّل و الأهم: القرابة الطّاهرة، و لذلك جعل الله تعالى مودّة القربى أجر رسالة رسوله صلى الله عليه و آله و سلم فأمره صلى الله عليه و آله و سلم بتبليغها: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فهم قيادة الامّة السّياسيّة والرّوحيّة بعد نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله و سلم بالنّصّ الشّرعيّ القاطع.

أمّا لماذا هم بالذّات؟ فهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشآء، لماذا أنزل الله الوحي على محمّد و اختاره للرّسالة؟ لماذا محمّد بالذّات؟ لماذا نوح بالذّات؟ لماذا إبراهيم بالذّات؟ لماذا موسى بالذات؟ و لماذا عيسى بالذّات؟؟؟ «قل إنّ الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختصّ برحمته من يشآء» آل عمران: ٧٣- ٧٤) «أم يحسدون النّاس على ماآتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً» النساء: ٥٤) «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الأنعام: ١٢٤).

هذه القرابة القريبة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هى مركز الدّآئرة بالنّصّ، و هى سفينة النّجاة بالنصّ، و هم باب حطّة بالنّصّ، و هم نجوم الهدى بالنّصّ، و هم الأسبق بالايمان بالنّصّ، و هم الأعلم بالنّصّ و هم الأتق بالنّصّ، و هم الأكثر بلاءً بالنّصّ، و محبتهم الخالصة الثّابتة مفروضة على الجميع بالنّص، وعميد هم في كلّ زمان هو الإمام الشّرعي للامّة، و هو مرجعها، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله و سلم أوّلاً و الكتاب ثانياً، و الهادي أوّلاً و الهداية ثانياً، فمتى بعث الله تعالى رسالة بدون رسول؟ ومتى أنزل الله جلّ و علا كتاباً إلاّ على عبد؟ و

أينابنى حصناً من دون حصين له؟؟؟ فأهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام هم و حدهم محط الولاية و محورها لأنّ أهل البيت أدرى بما في البيت.

الرّكن الثّانى: السّابقة في الايمان، و لم أعرف أحداً أن يشكّ في سبق ايمان أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام على غيره إلاّ مَن كان معانداً خبيث الولادة.

الرّكن الثالث: التقوى، و لم أدر أحداً أن يريب في كون أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب(عليه السلام) أتق النّاس.

الرّكن الرّابع: العلم، و قد قال الإمام عليّ عليه السلام وحده: «سلوني قبل أن تفقدوني ...».

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السلام: «أيّها النّاس إنّ أحقّ النّاس بهذا الأمر أقواهم عليه و أعلمهم بأمرالله فيه».

الرّكن الخامس: تقييم الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم القآئد أو الإمام الشّرعيّ(المعيّن شرعاً) بأمر الله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٣و٦٧) ليقوم مقامه، و الّذي بايعته الامّة المسلمة بالرّضا و بمحض اختيارها حتّى عمر بن الخطّاب يوم الغدير من دون إكراه و لا إغرآء و لا لفّ و لا فلتة و لا دوران(بدون غلبة).

الحكم على هذه الموازين:

تلك موازين شرعيّة موضوعيّة مستمدّة من الشّريعة، و من الشّريعة و حدها، و هى تبيّن معا لم العدالة لدى كلّ فرد و ماسواها ـ مع عميق الإحترام إلاّ مواءمة بين واقع مفروض، و مثال إلهيّ آخذ بالأعناق، و هذه الموازين معترف بها، و كانت حجّة لا تعلوها حجّة في نظام الخلافة التاريخيّ.

فعلى سبيل المثال إرجع إلى حجّة أبى بكرو عمرو أبى عبيدة على الأنصار في السّقيفة إذ قالوا: إنهم الأولى بمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم: ١- لأنّ العرب تأبى أن تولّى

الخلافة إلاّ من كانت النبوّة فيهم. ٢-أنّ أهل محمّد وعشيرته هم أولى بميراثه و سلطانه. و هذا معيار القرابة بعينه. ٣-٤- أنّهم أوّل من عبدالله في الأرض. و هذا معيار السّابقة في الايمان و التقوى ... ثمّ طريقة عمر بتوزيع الأعطيات حسب الطبقة، و إن كان هو يمنع الطبقة الاولى عن حقّها ظلماً وبغياً.

تساؤلات:

فاذا كان الصّحابة كلّهم عدول حتّى رأس البغي و النفاق، و الظّلم و العناد ... و كلّهم في الجنّة و لا يدخل أحد منهم النّار، فلا يجوز لأحد أن ينقص أحداً منهم على الإطلاق، لأنّ الله ساوى بينهم، فماذا منع الأنصار من أن يتولّوا الخلافة؟ و لماذا اقتنعت أكثريّتهم و اعطوا القيادة للمهاجرين الثلاثة عن قناعة؟ لماذا فرّق الخليفة العادل عمر بن الخطاب و لم يساويبينهم بالعطايا ... و لماذا منع أهل البيت من إرثهم كسآئر الصّحابة، مع أنّهم صحابة و كلّهم عدول و لا فرق بين واحد و آخر؟؟؟ و لماذا أُقيمت الحدود على بعضهم؟ و هل يسرق العادل النّزيه المضمون دخوله في الجنّة؟

أنتم أهل السّنّة عامة و فقهآؤكم خصوصاً لستم أفقه من الشيخين أبي بكر و عمر في الدّين، و كفى بفقهما عندكم حجّة، ليجب كلّ واحد منكم على هذه التّساؤلات أوليحاول، فمتى كان التقليد الأعمى طريقاً للهدى؟! لقد أنبأالله جلّ و علا أنّه طريق إلى النّار، و قد أنعم الله علينا بالعقل لنستثمره في طاعته و معرفة مقاصد الشّريعة.

الآمال الّتي على نظرية الصّحابة:

الّذين اخترعوا نظريّة عدالة الصّحابة كلّهم علقوا عليها الآمال التّالية:

١ـ تأويل خصوصيّة أهل بيت النّبوّة تأويلاً يفرغها من مضمونها و وظيفتها.

٢ـ ايجاد خصوصيّة بديلة تنافس خصوصيّة أهل البيت، و تقوم بالتّعاون مع الحكّام بوظائف أهل البيت.

٣ـ خلق الشّبهات و ايجاد حالة من الحيرة و الشّكّ لتفريق المحكومين و إشغالهم عن الحكّام بخلافات جانبيّة و تغذية هذه الخلافات لتتحول إلى خلافات عميقة و دائمة.

التقابل بالصّفات:

أهل البيت الكرام الّذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً ـ هم بكلّ الموازين – عليّ وفاطمة و الحسن و الحسين أوّلاً ثمّ التّسعة من أئمّتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ثانياً، و لقد طهّر الله هؤلاء المعصومين و أوجب على الامّة مودتهم، و بشّرهم في الجنّة قبل أن يبشّرالمبشّرين في الجنّة، و هم سادات أهل الجنّة بالنّص، و غني عن البيان أنّهم عدول، لأنّ من ملك الأكثر ملك الأقل، و من حاز الدّآئرة حاز ما في ضمنها.

الصّحابة: أجلاّء الصّحابة الّذين أخلصوالله قوم مكرمون عدلهم الله، و لكنّ الّذين حكموا ليسوا من أجلاّء الصّحابة، بل هم في غالبهم طلقآء أسلموا بعد أن احيط بهم كما أنّ أبابكر بن أبي قحافة و عمربن الخطّاب و عثمان بن عفّان أسلموا لنيل الخلافة بعد رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و أسلم أضرابهم و أتباعهم لحطام الدّنيا.

في نهج البلاغة: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام فيهم: «فوالّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ و إنّهم لعلى مزلّة الباطل».

وفيه: و من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل ـ: «فدع عنك قريشاً و تركاضهم في الضّلال و تجوالهم في الشّقاق و جماحهم في التّيه، فانّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازى، فقد قطعوا رحمي، و سلبوني سلطان بن امّي».

و فيه: قال الإمام عليّ عليه السلام: «لايقاس بآل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم من هذه الامّة أحد و لايسّوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً».

و من البداهة أنّه لايوجد في الدّنيا طريقة يمكن أن تجعل الصّحابة في مرتبة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إلاّ نظريّة عدالة كلّ الصّحابة، فانّها وحدها تساوى بين من أسلم من قبل الفتح و قاتل، و أسلم بعد الفتح، تساوي بين من لم يعص الله تعالى و لا رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم طرفة عين أبداً، و بين من بين من

عصى الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم في إمارة اسامة و نسب الهجر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حين احتضاره، تساوي بين الغاصب و من غصب حقّه، تساوى بين الظالم و المظلوم تساوي بين القاتل و المقتول، بين المحاصَر و المحاصِر، بين المهاجر و الطّليق، و بين المؤمن و المنافق و تساوي بين المحسن و المسيء ... و تعطيهم جميعاً نفس الصّفة: (العدالة).

فعليّ بن أبيطالب من أهل البيت و صحابيّ، و أبوبكر المتخلّف عن أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و الملعون في إمارة اسامة صحابيّ، هذا عادل و هذا عادل، فعليّ عليه السلام في إطاعة الله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم مجتهد، و أبوبكر في عصيانه و تخلّفه مجتهد لأنّ كليهما صحابيّو الصّحابيّ عادل و إن كان عاصياً! وعليّ بن أبيطالب عليه السلام أخوا الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم صحابيّ عادل و مجتهد، و عمر بن الخطّاب المتهتّك لحرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صحابيّ عادل و مجتهد! و عليّ بن أبيطالب عليه السلام صحابيّ و معاوية بن أبي سفيان طليق يوم الفتح صحابيّ، هذا عادل و هذا عادل، هذا مجتهد و هذا مجتهد، هذا في الجنّة و هذا في الجنّة، و كلاهما منزّهٌ عن الكذب ... عليّ بن أبيطالب عليه السلام أوّل من أسلم و وليّ الله بالنّصّ، و حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم في كلّ معاركه، و بطل الاسلام في كلّ مواقعه تماماً كمعاوية الّذي حارب هو و أبوه الإسلام في كلّ المواقع، و أسلما بعد ما احيط بهما!!!

العدالة الوضعيّة ترفض هذا التكييف، و من باب أولى أن ترفضه عدالة السّماء،الله و علا فرّق بين الإثنين، ونبيّه فرّق بين الإثنين، و الأعمال و العقائد و المنطق و الأفكار و الأقوال كلّها تفرّق بين الإثنين، فمن أمرنا بمساواتهم؟ و ما هو الدّليل على ذلك غير نظريّة عدالة الصّحابة؟ تلك النّظرية الّتي وجدت أصلاً للقضاء على الفوارق بين المتقدّمين و المتأخّرين، بين المجاهدين و القاعدين، و بين الأوّلين و الآخرين ... فما وجدت نظريّة عدالة كلّ الصّحابة، و ما خلصت صفة العدالة على الجميع إلاّ لغايات منافسة العدالة للطّهارة الّتي اختصّ الله بها أهل بيت نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم.

مثال من الواقع:

عليّ بن أبيطالب عليه السلام عميد أهل البيت بالنّصّ، و وليّ الأمّة بالنّصّ، و أوّل من أسلم بالنّصّ، و مجاراة للّذين يكرهون أن يكون الأوّل هو ثاني من أسلم بالنّصّ، و الحقّ معه يدور حيثما دار بالنّصّ، و موالاته موالاة لله بالنّصّ، و معاداته معاداة لله بالنّصّ، و هو صحابي باعتراف كلّ الّذين أسّسوا نظرية عدالة الصّحابة، و هو مبشّر بالجنّة، فاذا كان عليّ بن أبيطالب عليه السلام صحابيّاً فلماذا فرضتم لعنه فوق كلّ المنابر، و في كلّ الأمصار الإسلاميّة؟ و لماذا لعنتموه و شتمتموه فعلاً؟ لماذا تكفّرون أيّها العامّة شيعة أهل البيت المعصومين صلوات‌الله عليهم أجمعين بسبب لعنهم من لعنه الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم و لا تكفّرون معاوية و أتباعهم بسبب لعنهم و سبّهم عليّاً أخا الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم على المنابر طيلة(۹۹) عاماً؟ ألستم أنتم الّذين حددتم عقوبة من يشتم الصّحابي، فقلتم: إنّه زنديق، لايواكل و لايشارب و لايصلّى عليه؟ أم أنّ عدالة كلّ الصّحابة تعمل لصالح الجميع إلاّ لصالح أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام؟ حيث تتعطل عندهم و لاتعمل و لاتخلع عليهم صفة العدالة؟

مثال آخر من الواقع:

إنّ الحسن بن عليّ و الحسين بن عليّ عليهما السلام هما سيّدا شباب أهل الجنّة في الجنّة، و ريحانتا رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم من هذه الامّة، و هما ابنا رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بالنّصّ، فقد جعل الله ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه، و جعل ذرّيّة نبيّه الخاتم صلى اللّه عليه و آله و سلم من صلب عليّ و فاطمة صلوات الله عليهما، و هما أعني(الحسنين) صحابيّان و من العدول لأنّهما صحابيّان، و من غير الجائز الإنتقاص من صحابي أو شتمه أو طعنه، و من يفعل ذلك فهو زنديق لا يواكل و لايشارب و لايصلّى عليه...

فمابا لكم أيّها العامّة بمن سمّوا الصّحابي الحسن بن عليّ؟ و ما هو حكمكم بمن قتل الحسين بن عليّ و حرم عليه و على أهل بيته أن يشربوا من ماء الفرات و هو حلال

للوحش و الطّير و الحيوان و حتّى الكلاب؟ ألا يعتبر القتل إنتقاصاً؟ ألا تعتبر إسارة أهل بيته إنتقاصاً؟؟؟ ما رأيكم أيّها العامّة بمن قتل ذرّية محمد كلّها و يسلبها متاعها و هي ميتة و يسبي النساء و ذرّية محمد من الصّحابة و نساء الذّرّيّة من الصّحابة؟؟؟!!!

أكان انتقاص صحابيّ و إن كان رأس النفاق ذنباً لايغفر؟ و لم تكن الإهانة برسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و هتك حرمته، و نسبة الهجر إليه إنتقاصاً و لم تكن الهجمة على دار بنت رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و ضربها و إسقاط جنينها و إحراق بيتها، و منعها من سهمها و إرثها و غصب حقها فدكاً إنتقاصاً؟ أولم تكن فاطمة الزّهراء صحابيّة لو لم تكن بضعة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟!

توضيح الصّورة:

الّذين تخلّفوا عن أمر رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم صحابة، الّذين أهانوا رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم صحابة، الّذين نسبوا الهجر إلى رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم صحابة، الّذين آذوا رسول الله صحابة، الّذين هجموا على بيت بضعة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم صحابة، الّذين هدّدوا مَن في بيتها صحابة، الّذين ضربوا بنت رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم صحابة، الّذين أسقطوا جنينها صحابة، الّذين أحرقوا دارها صحابة، الّذين حاربوا عليّاً عليه السلام صحابة، الّذين قتلوا عليّاً صحابة، الّذين سمّوا الحسن بن عليّ صحابة، الّذين قتلوا الحسين بن عليّ صحابة، الذين أبادوا ذرّيّة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم في كربلاء صحابة، الّذين لعنوا عليّاً و شتموه و سبّوه و من والاه صحابة، و الّذين لم يقبلوا شهادة من يحبّ عليّاً صحابة...

تساؤل و استغراب:

الحسن بن عليّ عليه السلام المسموم من العدول لأنّه من الصّحابة، و الّذين سمّوه عدول لأنّهم من الصّحابة، و الحسين بن عليّ عليه السلام من العدول لأنّه صحابي، والّذين

قتلوه من العدول لأنّهم من الصّحابة، و ذرّيّة محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم الّذين قتلوا في كربلاء عدول لأنّهم صحابة، و الّذين قتلوهم عدول لأنّهم صحابة.

السّامّ (الّذي ارتكب جريمة القتل بالسّمّ) و هو الجاني، و المسموم و هو الضّحية كلاهما في الجنّة، لأنّهما من الصّحابة وهم عدول على الإطلاق، فالقاتل و المقتول في الجنّة لأنّهما من الصّحابة و هم عدول على الاطلاق، و السّالب و المسلوب، و الظالم و المظلوم، و الضّارب والمضروب... كلّهم في الجنّة لأنّ كلّهم من الصّحابة و الصّحابة من العدول عند العامّة الّذين يسمّون أنفسهم بأهل السّنّة و الجماعة!

هذه المساواة عندهم تشكل استهتاراً بالعقل البشريّ، و مظهراً من مظاهر العبوديّة المخجلة للتّقليد.

أدّت الرّسالة:

و من البداهة أنّ نظر عدالة الصّحابة كلّهم أدّت الرّسالة تماماً، فعلي بن أبيطالب عليه السلام كمعاوية بن أبي سفيان لأنّ كليهما من الصّحابة، و الصّحابة كلّهم من العدول بلا إستثناء، فعليّ عليه السلام و معاوية كلاهما في الجنّة، و كلاهما على الحقّ، و المنتصر هو وليّ الامّة، و العام الّذي انتصر أحدهما على الآخر هو عام الجماعة.

ومن دون مراء أنّ هذه سنّة نمروديّة، لاسنّة إبراهيميّة، هذه سنّة فرعونيّة لاسنّة موسوية، و هذه طاغوتيّة لاسنّة محمّديّة صلى اللّه عليه و آله و سلم و بالجملة هذه رسالة معاوية الشّيطانيّة و أربابه، لا رسالة إلهية...

التقابل بالعماية:

من آذى أهل‌البيت فقد آذى النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و يقابلها: من آذى صحابيّاً فقد آذى النّبيّ و من أبغض أهل بيت محمّد فهو في النّار، و من أبغض صحابيّاً على الإطلاق فهو في النّار. و زيادة على الحماية المخصّصة لأهل البيت، فانّ من انتقص صحابيّاً فهو زنديق، و يجب أن يعزل فلايواكل و لايشارب و لايصلّى عليه، إنّما ينبذ

كجيفة ميتة، فنظرية عدالة الصّحابة أعطت الحماية المقرّرة لأهل البيت و زيادة.

في مجال البيان:

إنّ القرآن هو الثقل الأكبر، و أهل بيت محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلم هم الثّقل الأصغر، و الهداية لاتدرك إلاّ بالّتمسّك بالثّقلين معاً، و لاالضّلالة يمكن تجنّبها إلاّ بالّتمسك بهما معاً، و التمسّك بأحدهما كتركهما ضلالة. هذا بالنّصّ الشّرعي القاطع ،و إنّ أهل البيت هم سفينة نوح من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق بالنّصّ الشرعي القاطع، و هم باب حطّة، من دخله غفر له بالنّصّ الشّرعيّ القاطع، وهم أمان لهذه الأمّة.

النّجوم أمان لأهل الأرض، و أهل بيته أمان لامّة محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم من الإختلاف بالنّصّ الشّرعي القاطع، و الامّة بدونهم كالحمار إذا كسر صلبه، و عميدهم يبيّن للنّاس مااختلفوا فيه من بعد وفاة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بالنّصّ الشّرعيّ.

﴿علائم المودّة في القربى واجور الرّسالة وسنن الرّسول صلى الله عليه وآله﴾

واعلم أيّها القارىء الكريم الخبير طيّب الولادة لنا هنا تساؤلات لم نجد حتّى الآن جواباً لها من العامّة، فلنا السئوال و عليهم الجواب:

١- أكانت مخالفة أبي بكر و عمر و أذنابهما عن أمر رسول الله صلى اللّه عليه و آله وسلم في إمارة اسامة هي طاعة الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

٢- أكانت الجسارة و الإهانة برسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم في أمر الوصيّة يوم الرّزية هي أجر الرّسالة؟

٣- أكانت نسبة الهجر و الهذيان إلى رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم هي سنّة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

٤- أكانت قصّة السّقيفة السّخيفة الشؤمة قبل دفن رسول الله صلى اللّه عليه و آله وسلم هى طاعة الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

٥- أكان غَصْب الخلافة و ايجاد الفرقة بين الأمّة المسلمة و إنحطاط الملّة من سنّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

٦- أكان منع سهم بضعة المصطفى صلى اللّه عليه و آله و سلم من علآئم المودّة في القربى؟

٧- أكان إسقاط إرث بنت رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله و سلم أجر الرّسالة؟

٨- أكان غصب حق سيّدة نسآء العالمين فدكاً سنّة رسول‌الله صلى اللّه عليه و آله وسلم؟

۹-أكانت الهجمة على دار بنت رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم أجر الرّسالة؟

۱۰-أكان إحراق بيت الوحي سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

۱۱-أكان ضرب فاطمةالزّهرآء و إسقاط جنينها و ايذآئها من علائم المودّة في القربى؟

۱۲-أكان إجبار الإمام عليّ بن‌أبيطالب صلى الله عليه و آله و سلم و هو أول من آمن بالله تعالى على بيعته لأبي بكرالغاصب من علآئم المودّة في القربى؟

۱۳-أكانت البيعة لأبي بكر الجابر فلتة طاعة الله و رسوله صلى الله عـليه و آله وسلم؟

۱٤-أكان تقديم الجهل المحض على العلم المحض سنة رسول‌الله صلى الله عليه و آله وسلم؟

۱٥-أكانت غائلة جمل، و قصّة صفّين من آثار المودّة في القربى؟

۱٦-أكان سبّ عليّ أبيطالب صلى الله عليه و آله و سلم و شتمه و لعنه على المنابر (۹۹) عاماً بأمر معاوية بن أبي سفيان من سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

۱۷-أكان ترويج العلمآء الفسقة و الأُجراء السّفلة أمر أعداء العترة الطّاهرة و أهل بيت النّبوّة، و تعضيد هم إيّاهم على حرب عليّ و الحسن و الحسين و من بعد هم من ذرّيّتهم، و تعاونهم مع أعدآء أهل البيت في قتلهم إيّاهم و التفافهم حـول مـعاوية و مساعدتهم إيّاه في تدمير أحبّة أهل البيت، و ترويج لعن عليّ عليه السلام بين المسلمين من سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

۱۸-أكانت شهادة سبط رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم الأكبر الحسن المجتبى عليه‌السلام من علائم المودّة في القربى؟

۱۹-أكانت قصّة كربلاء و غصّتها و شهادة سبط المصطفى الحسين‌بن‌عليّ سيّد الشّهدآء و أصحابه سنة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

۲۰-أكانت إسارة إبنة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم زينب الكبرى و أهل بيت الحسين عليه السلام من علآئم المودّة في القربى؟

٢١- أكان ظلم الطّواغيت و حكام الجور، آل محمّد صلى الله عـليه و آله و سـلم و تضييع حقوقهم من سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٢٢- أكانت شهادات الأئمّة المعصومين صلوات الله عـليهم أجـمعين أجـر رسـالة جدّهم؟

٢٣- أكان كتمان فضآئل أهل بيت الوحي عليهم‌السّلام من سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٢٤- أكان ترك أحاديث أهل بيت النّبوة الواردة في تفسير القرآن الكريم و في الاصول و الفروع، و في المعارف و الحِكَم، و في الأخلاق و الآداب ... من سنة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٢٥- أتكون نسبة الكذب و الكفر و المجوسيّة و الشّرك إلى شيعة آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٢٦- أكان جعل الأحاديث في مدح أعداء آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم من علآئم المودّة في القربى؟

٢٧- أيكون تحقير شيعة أهل بيت الوحى المعصومين عليهم السّلام و نهب أموالهم و هتك أعراضهم و سفك دمآئهم من سنّة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٢٨- فياأيّها العامّة أهكذا المودّة؟ فإذاً ماهي العداوة؟

٢٩- أهكذا أجر الرّسالة؟ و أهكذا سنة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم؟

٣٠- أهكذا الحبّ؟ فاذاً ما هو البغض؟ فاذا كان ما تدّعونه حبّاً فما الفرق بين ماعاملتم به مع أهل البيت و ما عامله أبوجهل و أبولهب مع رسول‌الله صلى الله عليه و آله وسلم؟ بل ما فعله جميع الكفّار مع الأنبيآء؟ هيهات ما جعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه كي يمكنه أن يحبّ بأحدهما الأخيار و بالآخر الأشرار، فيحبّهم معاً، و أمّا القلب الواحد فلا يمكنه إلاّ حبّ أحد الطّائفتين، و بغض من يخالفها و يضادّها!!!!

و المئات الاخرى من التساؤلات الأُخر عن جنايات هؤلآء البغآء و أتباعهم حتّى الآن.

ولعمرى: إني لم أجد من أبي بكر بن أبي قحافة، و عمربن‌الخطاب، و عثمان‌بن‌عفّان، و معاوية بن أبي سفيان، و يزيد بن معاوية، و شمر بن ذى الجوشن، و ابن ملجم و عمر بن سعد، و الحجّاج و المنصور و هارون و مأمون و المتوكّل... و من أتباعهم السّفلة إلى الآن علامة من علائم المودّة في القربى إلاّ العداوة و العناد، إلاّ البغض و اللجاجة، إلاّ الظّلم و الجناية، إلاّ الشّرّ والغواية، و إلاّالكفر و الضّلالة... كلّ ذلك بعد المطالعة و التحقيق نحو عشرة آلاف مجلّدة من كتبهم في فنون مختلفة.

إلهي و ربّي و سيّدي و مولاى أنت شاهد أنّي لااريد بذلك إلاّ الحق و إحقاقه و إتمام الحجة على من بلغ، فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها.

«المودّة في القربى و إعراض العامّة عنهم»

إنّ الله عزّوجّل فرض المودّة في القربى على الامّة المسلمة أجراً لرسالة رسولهم صلى اللّه عليه و آله و سلم فقال: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشورى:٢٣).

ولكّن العامّة الّذين حكموا بعدالة عموم الصّحابة، و دخول كلّهم في الجنّة على الإطلاق من دون استثنآء نافقوا في المودّة في القربى، فإنهّم أظهروا المودّة و أبطنوا العداوة و سارعوا في الكفر، وقالوا ما ليس في قلوبهم، و تبعهم مَن تبعهم حتى الآن!

قال الله تعالى فيهم: « و ليعلم الّذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لا تّبعنا كم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمـان يـقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم و الله أعلم بما يكتمون» آل عمران: ١٦٧)

إرجع إلى قصّة إمارة اسامة و تخلّف أبي بكر بن أبي قحافة و عمر بن الخطاب و أضرابهما عن أمر رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم حتّى لعن صلى اللّه عليه و آله و سلم المتخلّفين عنها، و هم أداموا على تخلّفهم من غير اعتناء بلعن رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم عليهم حتّى قال الله تعالى فيهم: «يا أيّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الّذين قالوا آمنّا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم - فترى الّذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو من عنده» المآئدة:٤١و٥٢).

وقال: «و منهم من يستمع إليك حتّى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتـوا

العلم ماذا قال آنفاً اولئك الّذين طبع الله على قلوبهم و اتّبعوا أهوآءهم» محمّد صلى اللّه عليه وآله وسلم:١٦)

وقال: «سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا و أهلونا فاستغفرلنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم» الفتح: ١١).

فمن أعرض عن صاحب الرّسالة و خالف أمره، فهو لن يبالي عن إعراض أهل بيته، و إن تظاهر بما ليس في قلبه.

و لايخفى على القارئ المنصف الخبير طيّب الولادة أنّ أبابكر و عمر و عثمان، و من تبعهم في ظر وفهم أعرضوا عن العترة الطاهرة الّذين هم أهل بيت الوحى المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين و قد صرّح بذلك أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام:

في نهج البلاغة: «حتّى إذا قبض الله رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم رجع قوم على الأعقاب، و غالتهم السّبل و اتّكلوا على الولآئج و وصلوا غير الرّحم، و هجروا السّبب الّذى امروا بمودّته و نقلوا البنآء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كلّ خطيئة، و أبواب كلّ ضارب في غمرة، قد ماروا في الحيرة و ذهلوا في السّكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدّنيا راكن أو مفارق للدّين مباين».

وقد تبع هذه السّنّة الفرعونية بعدهم جماعة سمّوا بأهل السّنّة و الجماعة فأعرضوا عن أهل بيت النّبوّة في اصول الدّين و فروعه، و فيما هو إليهما، فأخذوا الاصول عن أبي الحسن الأشعرى و الماتريدي و أضرابهما، و أخذوا الفروع عن الفقهآءِ الأربعة، مع ما يؤثرونه من النّصوص الصّريحة الّتي أنزلت أئمّة العتره الطّاهرة منزلة الكتاب: «لايأتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه» فصّلت: ٤٢) و جعلهم في هذه الامّة: بمنزلة سفينة نوح في قومه من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق، و كباب حطّة في بني‌اسرائيل من دخله غفرله، و كانوا في الامّة مكان الرّأس من الجسد، بل مكان العينين من الرّأس، و ما إليها من أمثال هذه النّصوص الكثيرة ...

و إنّ هؤلآء الفقهآء الأربعة كأربابهم قد خالفوا كتاب الله تعالى و سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم الّذي أمرهم بالإقتدآءِ بأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم

أجمعين، فلم نجد واحداً منهم لوى عنقه و ركب سفينتهم و عرف إمام زمانه.

فهذا أبوحنيفة الّذي تتلمّذ على الإمام الصّادق عليه السلام و الّذي اشتهر عن قوله: «لو لا السّنتان لهلك النّعمان» نجده قد ابتدع مذهباً يقوم على القياس و العمل بالرّأي مقابل النّصوص الصّريحة.

و هذا مالك الّذي تلقّى هو الآخر عن الإمام الصّادق عليه السلام و يروى عنه قوله: «مارأت عين و لاسمعت اذن و لاخطر على قلب بشر أفقه و أعلم من جعفر الصّادق» نجده قد ابتدع مذهباً في الإسلام، و ترك إمام زمانه الّذي يشهد بنفسه أنّه أعلم و أفقه البشر في عصره، فقد نفخ في روعه الحكّام العبّاسيّون و سمّوه «إمام دار الهجرة» فأصبح ما لك بعدها صاحب الجاه و السّلطان و الحول و الطّول.

و هذا الشّافعي الّذى يُتّهم بأنّه كان يتشيّع لأهل البيت، فقد قال في حقهم تلك الأبيات المشهورة:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفا كم من عظيم الفضل أنّكم من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

كما ينب إليه في مدح أهل البيت عليهم السّلام هذه الأبيات:

ولمّا رأيت النّاس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغيّ و الجهل
ركبت على اسم الله في سفن النّجا و هم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسل
و أمسكت حبل الله و هو و لآؤهم كما قد أمرنا بالتّمسك بالحبل

ويشتهر عنه قوله:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

و إذا يشهد الثّقلان أنّه رافضيّ فلماذا لم يرفض الطّواغيت و المذاهب الّتي قامت ضدّ أهل البيت عليهم السّلام، بل ابتدع هو الآخر مذهباً يحمل إسمه، و ترك أئمّة أهل بيت النّبوّة الّذين عاصرهم؟

و هذا أحمد بن حنبل الّذي ربّع الخلافة بعليّ بن أبيطالب عليه السلام و ألحقه بالخلفاء الثّلاثة الغاصبين و سمّى كلّهم بالرّاشدين، بعد ما كان عليّ عليه السلام منكوراً، و ألّف فيه كتاب الفضائل، و اشتهر عنه قوله: «ما لأحد من الصّحابة من الفضائل

بالأسانيد الصّحاح مثلما لعليّ رضى الله عنه».

إلاّ أنّه ابتدع له مذهباً في الإسلام إسمه المذهب الحنبلي، رغم شهادة العلماء من معاصريه بأنّه ليس فقيهاً، قال الشّيخ أبوزهرة في كتابه: (احمد بن حنبل: ص: ١٧): «إنّ كثيراً من الأقدمين لم يعدّوا أحمد بن حنبل من الفقهاء كابن قتيبة و هو قريب من عصره جدّاً و كذلك ابن جرير الطّبرى و غير هما».

و جاء ابن تيميّة، فرفع لواء المذهب الحنبلي، و أدخل عليه بعض النّظريات الجديدة الّتي تحرّم زيارة القبور و البناء عليها، و التّوسّل بالنّبيّ و أهل البيت المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. فكلّ ذلك عنده شرك، و أكّد تلك النّظرات السّخيفة محمد بن عبدالوهّاب مؤسس المسلك الوهّابي يتبعه اليوم الوهّابيّون و ليد الإنجليز لمحو آثار أهل البيت عليهم السلام.

فهذه هى المذاهب الأربعة، و هؤلاء هم أئمّتها، و ما ينسب إليهم من أقوال في حقّ العترة الطّاهرة من أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

فإمّا أنّهم يقولون ما لايفعلون و هو مقت كبير عندالله، و إمّا أنّهم لم يبتدعوا تلك المذاهب، و لكن أتباعهم من أذناب الامويّين و العبّاسيّين هم الّذين أسّسوا تلك المذاهب بإعانة الحكّام الجائرين، ثمّ نسبوها إليهم بعد وفاتهم.

أفلا تعجبون من هؤلآء الأربعة من رؤسآء مذاهب العامّة الّذين عاصروا أئمّة الهدى من أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ تنكّبوا صراطهم المستقيم و لم يهتدوا بهداهم و لا اقتبسوا من نورهم، و لا قدّموا حديثهم عن جدّهم رسول الله صلى اللّه عليه و آله وسلم بل قدّموا عليهم كعب الأحبار اليهودي و أباهريرة الدّوسي الّذي قال في شأنه أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام: «إنّ أكذب النّاس على رسول الله لأبي هريرة الدّوسي» ويقدّمون عليهم عبدالله بن عمر النّاصبي الّذى اشتهر ببغضه للإمام عليّ عليه‌السلام و امتنع عن مبايعته، و بايع برِجل إمام الضّلالة الحجّاج بن يوسف لمروان الحكم، و عبدالله بن عمر هو الّذي كان يقول: «نحن مع من غلب».

و يقدّمون عليهم عمروبن العاص وزير معاوية على الغشّ والنّفاق، و على الكيد والخداع ...

أفلا تعجبون كيف أباح هؤلآء الأربعة لأنفسهم حقّ التّشريع في دين الله بآرآئهم و اجتهاداتهم حتّى قضوا على السّنّة النّبويّة بما أحدثوه من قياس واستحسان وسدّ باب الذّرائع و المصالح المرسلة، وغير ذلك من بدعهم الّتي ما أنزل الله بها من سلطان؟

و هل غفل الله تعالى و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم عن إكمال الدّين و أباح لهم أن يكملوه بآرآئهم و اجتهاداتهم وقياساتهم، فيحلّلوا و يحرّموا كما يحلو لهم؟!

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام في ذمّ اختلاف العلماء في الفُتيا ـ «أفأمرهم الله تعالى بالإختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركآء له فلهم أن يقولوا، و عليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم عن تبليغه و أدآئه؟ و الله سبحانه يقول: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» و قال: «فيه تبيان كلّ شيء».

أفلا تعجبون من المسلمين الّذين يدّعون التمسّك بـ«السّنّة» كيف يقلّدون رجالاً لم يعرفوا النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم و لم يعرفهم؟

فهل عندهم دليل من كتاب الله أو من سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم على اتّباع و تقليد أولئك الأربعة من أصحاب المذاهب؟

فإنّنا نتحدّى الثّقلين من الجنّ و الإنس أن يأتوا بدليل واحد على ذلك من كتاب الله أو من سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم فلا و الله، لا ولن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

لا والله، ليس هناك دليل في كتاب الله و سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلاّ على اتّباع و تقليد الأئمة الطّاهرين من عترة النّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم أمّا هذا فهناك أدلّة كثيرة و حجج دامغة و حقآئق ساطعة.

قال الله عزّوجلّ: «فاعتبروا يا اولي الأبصار» الحشر: ٢).

و قال: «فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحجّ: ٤٦).

«المذاهب الأربعة و أسرار انتشارها»

و من تتبّع في كتب العامّة التفسيريّة و الرّوائيّة و التأريخيّة و الفقهيّة و ما إليها، و تدبّر سيرة أربابهم من زمن رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا يجد أسرار انتشار المذاهب الأربعة فى امور أهمّها أربعة:

الاولى: الحكّام الجابرة باسم الإسلام.

الثانية: العلماء الفسقة كذلك.

الثالثة: الاجرآء الأعداء ...

الرّابعة: جماعة الحمقآء ...

و من البداهة لمن له طيب الولادة وحسن السّريرة أنّ الامور الأربعة كلّها ترجع إلى أصل واحد و هو خبث الولادة، يتبعه سوء السّريرة.

يقول الد كتور محمد التيجاني السّماوي و هو من متفكّرى المتأخرين في كتاب (الشّيعة هم أهل السّنّة):ـ

و من تتبّع في كتب التّاريخ وما دوّنه الأسلاف يجد بما لاريب فيه أنّ المذاهب الأربعة قامت ضدّ العترة الطّاهرة، و ترك مذهب أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مع أنّ أصحابها قد أخذوا عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام حيث إنّ:

١- **المذهب الحنفي:** نسبة إلى أبي حنيفة، أخذ عن الإمام جعفر عليه السلام ثمّ انفرد

بمذهب خاص.

٢- المذهب المالكي: نسبة إلى مالك، أخذ عن أبي حنيفة، و انفرد بمذهبه أيضاً.

٣- المذهب الشّافعي: نسبة إلى الشّافعي، أخذ عن مالك، وانفرد بمذهبه كذلك.

٤- المذهب الحنبلي: نسبة إلى أحمد، أخذ عن الشّافعي و انفرد بمذهبه.

فكان الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام استاذ أصحاب المذاهب الأربعة و هم يفتخرون بذلك، بينما يعتبر العوام أنّ أتباع المذهب الجعفرى على الضّلال، و أنّ العوام على الصّواب.

لماذا؟

لأنّ حكّام الجورهم نصّبوا أصحاب تلك المذاهب الأربعة، و كان شيوعها فى تلك العصور بإرادة السّلطة الحاكمة و إدارتها، و لذلك كثر أتباعها، فالنّاس على دين ملوكهم ... كما يجدالباحث بأنّ هناك عشرات المذاهب الّتي انقرضت و ذابت لأنّ الحاكم لم يكن راضٍ عنها كمذهب الأوزاعي ومذهب حسن البصرى، و أبي عيينة و إبن أبي ذؤيب و سفيان الثّوري، و إبن أبي داود و ليث بن سعد و أمثالهم ... و على سبيل المثال: إنّ ليث بن سعد كان صديق مالك إبن أنس، و كان أعلم و أفقه منه كما اعترف الشّافعي بذلك، ولكن مذهبه انقرض و فقهه ذاب و اندرس لأنّ السّلطة لم تكن راضية عنه. و قال أحمدبن حنبل: كان إبن أبى ذؤيب أفضل من مالك بن أنس إلاّ أنّ ما لكاً أشدّ تنقية للرّجال.

وإذا راجعنا التاريخ، فانّنا نجد مالكاً صاحب المذهب قد تقرّب إلى السّلطة و الحكّام وسالمهم و مشى في ركابهم، فأصبح بذلك الرّجل المهاب والعالم المشهور، وانتشر مذهبه بوسآئل التّرهيب و التّرغيب خصوصاً فى الأندلس حيث عمل تلميذه يحيى بن يحيى على موالاة حاكم الأندلس، فأصبح من المقرّبين، و أعطاه الحاكم مسئولية تعيين القضاة، فكان لايولي على القضاء إلاّ أصحابه من المالكيّة فقط، كذلك نجد أنّ سبب انتشار مذهب أبي حنيفة بعدموته هو أنّ أبا يوسف و الشّيبانى و همامن أتباع أبي حنيفة

ومن أخلص تلاميذه، كانا فى نفس الوقت من أقرب المقرّبين لهارون الرّشيد الخليفة العبّاسي، و قد كان لهما الدّور الكبير فى تثبيت ملكه و تأييده ومناصرته، فلم يسمح هارون «الجواري و المجون» لأحد أن يتولّى القضآء و الفتيا إلاّ بعد موافقتهما، فلم ينصّبا قاضياً إلاّ إذا كان على مذهب أبي حنيفة، فصار أبوحنيفة.أعظم العلمآء و مذهبه أعظم المذاهب الفقهيّة المتّبعة، رغم أنّ علمآء عصره كفّروه و اعتبروه زنديقاً، و من هؤلآء احمد بن حنبل و أبوالحسن الأشعرى.

كما أنّ مذهب الشّافعي انتشرو قوى بعدما كاد يندرس، و ذلك عندما أيّدته السّلطة الغاشمة، و بعد ما كانت مصر كلّها شيعة فاطميّة، انقلبت إلى شافعيّة في عهد صلاح الدّين الأيوّبي الّذي قتل الشيّعة و ذبحهم ذبح النّعاج.

كما أنّ المذهب الحنبلي ماكان ليُعرف لولا تأييد السّلطات العبّاسيّة في عصر المعتصم عند ما تراجع ابن احمد عن قوله بخلق القرآن و لمع نجمه في عهد المتوكّل«النّاصبي».

و قوى وانتشر عند ما أيدت السّلطات الإستعماريّة الشّيخ محمد بن عبدالوهّاب فى القرن الماضي و تعامل هذا الأخير مع آل سعود فأيّدوه فوراً و ناصروه و عملواعلى نشر مذهبه في الحجاز و الجزيرة العربيّة، و أصبح المذهب الحنبلي يعود إلى ثلاثة أئمّة: أوّلهم أحمد بن حنبل الّذي لم يكن يدّعي بأنّه فقيه، و إنّما كان من أهل الحديث، ثمّ ابن تيميّة الّذي لقّبوه بشيخ الإسلام و مجدّد «السّنّة» و الّذي كفّره علمآء عصره لأنّه حكم على كلّ المسلمين بالشّرك لأنّهم يتبرّكون و يتوسّلون بالنّبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم ثمّ جآء في القرن الماضي محمد بن عبدالوهّاب صنيعة الإستعمار البريطاني في الشّرق الأوسط، فعمل هو الآخر على تجديد المذهب الحنبلي بما أخذه من فتاوى إبن تيميّة، و أصبح أحمدبن حنبل في خبر كان إذ أنّ المذهب عندهم اليوم يسمّى المذهب الوهّابي.

و ممّا لا شكّ فيه أنّ انتشار تلك المذاهب و شهرتها و علوّ شأنها كان بتأييد الحكّام الجابرة، و مما لاشكّ فيه أيضاً أنّ اولئک الحكّام كلّهم بدون استثنآء كانوا يعادون الأئمّة من أهل البيت لشعورهم الدّآئم بأنّ هؤلآء يهدّدون كيانهم و زوال ملكهم، فكانوا

يعملون دآئماً على عزلهم عن الأئمّة و تصغير شأنهم و قتل من يتشيّع لهم، فبديهي أن ينصب اولئك الحكام بعض العلمآء المتزلّفين إليهم، و الّذين يفتونهم بما يتلاءم مع حكمهم و وجودهم، و ذلك لحاجة النّاس المستمرّة لوجود الحلول في المسآئل الشّرعيّة.

و لمّا كان الحكّام في كلّ العصور لا يعرفون من الشّريعة شيئاً و لا يفهمون الفقه أويحتاجون في سياساتهم إلى عالم فقيه يؤيّدهم فيها، فكان لابدّ أن ينصّبوا عالماً باسمهم يفتي و يموّهون على النّاس بأنّ أعمالهم على أساس الدّين و أنّ الحكم لمن غلب، و ليس لأحد أن يعترض و لا أن ينتقد، وإنّما الحاكم من له السّطوة و هو وليّ أمرالمسلمين حيثما كان، و النّاس كلّهم عبيد و الحاكم هو المولى كما يفعل ذلك اليوم رئيس الجمهورية في البلاد الإسلاميّة، فتراه يعيّن أحد العلماء المقرّبين يسمّيه مفتي الجمهوريّة أو أيّ عنوان آخر يعبر عن ذلك، و يكلّفه بالنّظر في مسائل الفتيا و العبادات و الشّعائر الدّينيّة، ولكنّه في الحقيقة ليس لهذا الرّجل أن يفتي أو يحكم إلاّ بما تمليه عليه السّلطة، و ما يُرضي الحاكم، أو على الأقل ما لايتعارض و سياسة الحكومة و تنفيذ مشاريعها...

و هذه الظّاهرة قد برزت في الحقيقة من عهد الخلفاء الثّلاثة: أبوبكر و عمر و عثمان، فهم و إن لم يفرّقوا بين الدّين و الدّولة إلاّ أنّهم أعطوا أنفسهم حقّ التّشريع بما يتماشى و مصالح الخلافة و ضمان هيبتها و استمرارها، و لذلك ابتدعوا في الدّين ما ابتدعوا حفظاً لسياساتهم ... فجعلوا الدّين في خدمة الحكومة بإدّعاء أنّ لهم حضوراً مع النّبي صلى اللّه عليه و آله و سلم و صحبة، و هم يعرفونه، و أمّا معاوية فلم يدخل الإسلام إلاّ في السّنة التّاسعة للهجرة على أشهر الرّوايات الصّحيحة، فلم يصحب النّبيّ صلى اللّه عليه و آله وسلم إذ لم يسكن المدينة بعد إسلامه، و كان حين وفاته صلى اللّه عليه و آله و سلم بمصر مبتعداً و لم يعرف من سنّته صلى اللّه عليه و آله و سلم شيئاً يذكر، فاضطرّ إلى تعيين أبي هريرة و عمر و بن العاص و بعض الصّحابة الّذين كلّفهم بالإفتاء على مايريده.

و اتّبع بنو اميّة و بنو العبّاس بعده هذه السّنّة السّيّئة و البدعة الشؤمة، فكلّ حاكم جلس إلى جانبه قاضي القضاة المكلّف بدوره بتعيين القضاة الّذين يراهم صالحين للدّولة و يعملون على دعمها و تأييدها. و ما عليك بعد ذلك إلاّ أن تعرف ماهيّة اولئك

القضاة الّذين يغضبون ربّهم في إرضاء وليّ نعمهم الّذي نصبهم، و تفهم بعد ذلك السّرّ في إبعاد الأمّة المعصومين من العترة الطّاهرة، فلا تجد منهم أحداً، و على مرّ العصور عيّنوه من قبلهم أو نصبوه قاضياً أو قلّدوه وسام الإفتآء.

و قد كان على هذه السّنّة السّيّئة من إبعاد أهل بيت الوحي المعصومين عن حوزة الإسلام مفسّروهم و محدّثوهم و مؤرخوهم... فلم يعنوا بأقوالهم في اصول الدّين و فروعه بالمرّة، ولم يرجعوا إليهم في تفسير القرآن الكريم ـ و هو شقيقهم إلاّ دون ما يرجعون إلى مقاتل بن سليمان البلخي المتوفّى سنة(١٥٠) و هو المجسم المرجيء الدّجال الّذي كان معروفاً بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كان يقول لأبي جعفر المنصور الدّوانيقي: انظر ما تحبّ أن أُحدّثه فيك حتّى احدّثه. و قال للمهدي: إن شئت و ضعت لك أحاديث في العبّاس؟ قال: لاحاجة لي فيها.

و انظر إلى تفسير الطّبري، و ابن كثير الدمشقيّ النّاصبيّ، و الدّرّ المنثور، و فتح القدير و ما إليها في نقل الأقوال و الرّوايات في تفسير القرآن الكريم، فلاتجد ثمان عشر رواية يروونها عن بضعة رسول‌الله صلى الله عليه و آله و سلم بعدد سني عمرها على أنّها أقلّ ما عاشت مع أبيها ثمانية عشر عاماً، و هم يروون آلاف رواية عن عائشة، و هى أكثر ما عاشت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سبع سنين، و قد كانت و احدة من تسعة أزواجه صلى الله عليه و آله و سلم.

و أمّا محدّثوهم فلم يحتجوا بحديث أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إلاّ دون ما يحتجون بالخوارج و المشبهة و المرجئة و القدرية، و لو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث العترة الطّاهرة عليهم السّلام ما كان إلاّ دون ما أخرجه البخارى وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذب مولى إبن عبّاس. و أنكى من هذا كلّه عدم احتجاج البخارى في صحيحه بأهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم فإنّه لم يرو شيئاً عن جعفر بن محمدالصّادق و الكاظم و الرّضا و الجواد و الزّكيّ العسكري عليهم السّلام و قد كان البخاري معاصراً للعسكرى عليه السلام و لا عن غير هم من ذريّة المصطفى عليه السلام من معاصري البخاري من أعلام العترة الطّاهرة و أغصان الشّجرة الزّاهرة من

ثقل رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و بقيتة في امّته صلى اللّه عليه و آله و سلم حتّى أنّه لم يرو شيئاً من حديث سبطه الأكبر و ريحانته من الدّنيا أبي محمّد الحسن المجتبى سيّد شباب أهل الجنّة، مع احتجاجه بداعية الخوارج و أشدّهم عداوة لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و هو عمران بن حطان يقول في مدح ابن ملجم لعنه الله و ضربته لأميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره يوماً فأحسبه أو فى البريّة عندالله ميزانا

إنّ عمران بن حطان صاحب هذين البيتين، هو رأس الخوارج و شاعرهم، و لايشكّ من له طيب الولادة أنّ هذين البيتين يدلاّن على كفر قائلهما و غاية خبثه، و مع هذا و ثّقه العجلي، و جعله البخاري من رجال صحيحه و أخرج عنه أحاديث كثيرة.

و يمكن لأحد من الرّواة أن يتشيّع لأبي بكر و أو لعمر أو لعثمان أو معاوية أو لسعد أو لأيّ صحابيّ على الإطلاق، فهذا لايخدش بصدقه و أمانته، و لايكون محلاّ للشبهة، إنّما الشبهة و حدها تقع على من يوالي عليّاً و أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و يتشيّع لهم، فمن المحال أن يكون ثقةً و لاتقبل روايته، و إذا اجتمع عدّة رواة كلّهم ثقات، و بينهم رجل يحبّ أهل البيت عليهم السّلام، و يتشيّع لهم فيترك الحديث كلّه لأنّهم لايقبلون إلاّ رواية الثّقة، و الثّقة و التشيّع لأهل بيت محمّد المعصومين عليهم السّلام لا يجتمعان.

إنّ التشيّع لأهل بيت النّبوّة ذنب لايغفر عندالعامّة، و انّ شيعة معاوية بن أبي سفيان ثقة لأنّ معاوية صحابيّ و أتباعه كلّهم ثقات، و أمّا شيعة علي بن أبيطالب عليه‌السلام فليس بثقة كأنّ عليّاً عند العامّة لايكون صحابيّاً.

في نظرية عدالة الصّحابة: مانصّه: «قال أبو عمر بن عبد البرّ: روينا عن محمّد بن وضاح قال: سئلت يحيى بن معين عن الشّافعي (محمد بن إدريس الشافعي) فقال: ليس بثقة و يحيى بن معين هذا من كبار أئمّة الجرح و التعديل الّذين جعلوا قولهم في الرّجال حجّة قاطعة. فتصوّر أنّ الشّافعي صاحب المذهب ليس بثقة بنظر ابن معين لأنّ

فيه بعض التشيّع لأهل البيت. و قد أدرك الذّهبي أنّ هذا غير معقول فقال: «و كلام ابن معين في الشّافعي إنّما كان من فلتات اللسان بالهوى و العصبيّة» والإمام جعفربن محمدالصّادق عليه السلام استاذ أصحاب المذاهب الأربعة و صاحب مدرسة تخرج منها أربعة آلاف فقيه و محدّث، و هو صاحب مذهب أهل البيت الكرام، و عَلَمٌ شامخ من أعلام النّبوّة وثّقه أبو حاتم و النّسائي، إلاّ أنّ البخارى لم يحتج به كأنّه ليس ثقة مع أنّه قد روى لمروان بن الحكم.

قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد بن خالد الجلي حين و ثّقه (شيعىّ) قال: و شيعيّ ثقة؟ إنّه يستغرب أن يتشيّع رجل لأهل البيت و يكون ثقة. و من لا يواليهم و لايشايعهم فهو ثقة. قال العجلي في عمربن سعدبن أبي وقّاص قائد الجيش الّذي قتل الحسين و أهل البيت عليهم السلام في كربلاء: هو تابعيّ ثقة روى عنه النّاس. و قال العجلي كذلك في عمران بن حطان: ثقة، و عمران هذا مدح ابن ملجم لعنه الله، و ابن ملجم هو قاتل الإمام عليّ عليه السلام و قد سبق بيتاه آنفاً

و الله جلّ و علا انّ من له طيب الولادة و تدبّر كلامهم هذا يقف هنا وقفة المدهوش و يقوم مقام المذعور، و ما يحتسب أنّ الأمر يبلغ هذه الغاية من الشّناعة، و أنّ القائل يبلغ هذه العداوة و الحماقة...

هذا هو ابن خلدون قد باح بسرّها المكنون حيث يقول ـ في الفصل الّذى عقده لعلم الفقه، ويتبعه من مقدمته بعد ذكر مذاهب العامّة ما هذا لفظه: «و شذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، و فقه انفردوا به، بنوه على مذهبهم في تناول بعض الصّحابة بالقدح، و على قولهم بعصمة الأئمّة و رفع الخلاف عن أقوالهم(قال): و هي كلّها اصول واهية(قال): و شذّ بمثل ذلك الخوارج، و لم يحتفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار و القدح، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم، و لانروي كتبهم، و لا أثر لشيء منها في مواطنهم، فكتب الشّيعة في بلادهم، و حيث كانت دولتهم قائمة في المغرب و المشرق و اليمن، و الخوارج كذلك، و لكلّ منهم كتب و تآليف و آراء في الفقه غريبة...».

ثمّ رجع ابن خلدون إلى مذاهب العامّة، فذكر: انتشار مذهب أبي حنيفة في

العراق و مذهب مالك في الحجاز، و مذهب أحمد في الشّام و في بغداد، و مذهب الشّافعي في مصر. و هنا قال ما نصّه: «ثمّ انقرض فقه أهل السّنّة من مصر بظهور دولة الرّافضة وتداول بها فقه أهل البيت، و تلاشى من سواهم، إلى أن ذهبت دولة العبيديين من الرّافضة من يد صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، و رجع إليهم فقه الشّافعي...».

إذا وصف الطّائي بالبخل مادر و عيّر قساً بالفها هة باقل
وقال السهى للشّمس أنت ضئيلة وقال الدّجى للصبح لونك هائل
وطاولت الأرض السّمآء سفاهة و كاثرت الشّهب الحصىٰ و الجنادل

ولعمرى إنّ القارئ الخبير طيّب الولادة لايشكّ في خبث ولادة ابن خلدون و أمثاله، حيث يرون أنفسهم على الهدى و السّنّة، و يرون أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و شيعتهم شذاذاً و مبتدعة و ضلالاً رافضة.

و نحن الشيعة لانتوقّع من خبيث الولادة غير الغواية، حيث إنّه من الإناء يترشّح مافيه. و من العجب أنّ بعض العلماء لقلّة تدبّرهم يرون ابن خلدون و أمثاله من الفلاسفة و الحكماء، و إبن خلدون لايدرى ماتقوّل: « وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها و فقه انفردوا به» أيقول: إنّ أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام هم شذاذ ضلال مبتدعون و هم الذين أذهب الله عنهم الرّجس بنصّ التنزيل، و هبط بتطهيرهم جبرائيل، و باهل بهم النّبيّ الكريم صلى اللّه عليه و آله و سلم بأمر ربّه الجليل ، و قد فرض القرآن المجيد مودّتهم، و أوجب الرّحمن الحكيم و لايتهم... أهم شذاذ ضلال مبتدعون؟ فلعنة الله على الكاذبين...

أهم شذاذ ضلال مبتدعون؟! و قد عرّفهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم سفينة النّجاة إذا طغت لجج النّفاق، و هم أمان الامّة إذا عصفت عواصف الشّقاق، و هم باب حطّة يأمن من دخلها، و هم العروة الوثق لا انفصام لها، و هم أحد الثقلين لا يضل من تمسّك بهما و لا يهتدي إلى الله من ضلّ عن أحدهما، و قد أمرنا رسول الله صلى اللّه عليه وآله و سلم بأن نجعلهم منّا مكان الرّأس من الجسد، بل مكان العينين من الرّأس، و نهانا عن التقدّم عليهم و التقصير عنهم، و قد نصّ على أنّهم القوّامون على الدّين، النّافون

عنه في كلّ خلف من هذه الامّة، تحريف الضّالّين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، و قد أعلن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأنّ معرفتهم براءة من النّار، و حبّهم جواز على الصّراط، و الولاية لهم أمان من العذاب، و أنّ الأعمال الصّالحة لا تنفع عامليها إلاّ بمعرفة حقّهم، و لا تزول يوم القيامة قدما أحد من هذه الأُمّة حتّى يسئل عن حبّهم.

و لو أنّ رجلاً أفنى عمره قآئماً و قاعداً و راكعاً و ساجداً بين الرّكن و المقام ثمّ مات غير موال لهم دخل النّار.

كلّ ذلك موجود في مآخذ العامّة و صحاحهم و أسانيدهم المعتبرة عندهم ...

فهل يحسن من الامّة المسلمة بعد هذا أن تجري الاّ على اسلوبهم، و هل يتسنى لمسلم يؤمن بالله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم أن يستنّ بغير سننهم، فكيف يعدّهم ابن خلدون من أهل البدع بكلّ صراحة و وقاحة من غير خجل و لا وجل.

كيف يعدّ ابن خلدون من الفلاسفة و هو لا يدري أنّ المذاهب الفقهية لا تبنى على تناول بعض الصّحابة، و لا تستنبط الأحكام الشّرعيّة من تناول أحد من النّاس إذ قال: «بنوه على مذهبهم في تناول بعض الصّحابة بالقدح» فما هذا الهذيان منه يا اولى الالباب.

إنّ الشّيعة لايقولون بعصمة كلّ الصّحابة و لا عدالة كلّهم، اذ فيهم المنافق المذبدب، و الفاسق المتهتّك، و فيهم المؤمن التّقي، و إنّ الشّيعة قد أثبتوا في كتبهم الكلاميّة و غيرها عصمة أئمتهم بالأدلّة العقلية و النقلية أوردناها في محلها المناسب من هذا التفسير تفصيلاً.

ثمّ انظر كيف جعل ابن خلدون الملعون، أهل بيت النّبوّة «الّذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً» شذاذاً مارقة كالخوارج في قوله: «و شذّ بمثل ذلك الخوارج».

و قد كذّب ابن خلدون الملعون نفسه الخبيثة في قوله: «فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم» فانّه إذاكان لا يعرف شيئاً من مذاهبهم، و لا يروى كتبهم، و لا اثر لشيء منها عنده، فمن أين عرف أنّهم شذاذ ضلال مبتدعون؟ و من أين عرف أنّ اصولهم واهية؟ «قتل الخرّاصون».

و كذب أيضاً نفسه الخبيثة في قوله: «و لا أثر لشيء منها في مواطنهم» فانّ كتب الشّيعة منتشرة في أنحآء الأرض طولها و عرضها، و قد ملئت الطّوامير و صارت بوحدها مكتبات، و قد بلغت ميليوناً بل و أكثر، و قد جآء أكثر أسمائها في كتاب الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة للمحقّق البارع الخبير الشّيخ حاج آقا بزرگ الطهراني، و قد طبع منه خمسة و عشرون مجلّداً، و هو فهرست لأسماء أكثر كتب الشّيعة من زمن رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى القرن الرابع عشر الهجري القمري.

ثمّ اعترف ابن خلدون بأنّ الرّافضة يدينون الله بمذهب أهل بيت النّبوّة.

لكم ذخر كم أنّ النّبيّ و رهطه — و جيلهم ذخرى إذا التمس الذّخر

جعلت هواى الفاطميين زلفة — إلى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

و كوفني ديني على أنّ منصبي — شئام و نجرى آية ذكر النّجر

و قد نسب هذاالكذّاب ابن خلدون النّاصبي، البدعة و الضّلالة إلى أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أبهذا أمرته آية القربى، و آية التّطهير، و آيتا اولي الأمر، و الإعتصام بحبل الله جلّ و علا؟ أم بهذا أمره الله سبحانه إذ قال: «و كونوا مع الصّادقين» أم به صدع رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم في نصوصه المجمع على صحّتها؟ و قد استقصينا بطرقها و أسانيدها في هذا التفسير: (تفسير البصآئر) فراجع لتعلم حقيقة أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام و منزلتهم عند الله جلّ و علا و حقيقة شيعتهم في دين الإسلام المحمّدي لا في دين الإسلام العمريّ.

على أنّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين لا ذنب لهم يستوجب الجفآء، و لا قصور بهم يقتضى هذا الإعراض، فليت أهل المذاهب الأربعة نقلوا في مقام الإختلاف مذهب أهل البيت عليهم السّلام كما ينقلون سائر المذاهب الّتي لا يعملون بها، ما رأيناهم يعاملون أهل البيت هذه المعاملة في ظرف من الظّروف ... و إنّما يعاملونهم معاملة من لم يخلقه الله عزّوجلّ أو مَن لم يؤثر عنه شيء من العلم و الحكمة.

و لا يشكّ من له طيب الولادة أنّ هذه المنزلة السّامية انّما ثبتت لهم من الله

عزّوجلّ لأنّهم خلفآؤه في أرضه و أوليآؤه في بسطه و قبضه و حججه البالغة و مناهل شرآئعه السّآئغة و امنآؤه بعد رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم على وحيه، و سفرآؤه في أمره و نهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله، و المبغض لهم مبغض لله، و من هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حبّهم دين و بغضهم   كفر و قربهم منجى و معتصم
إن عدّ أهل التّقى كانوا أئمّتهم   أو قيل من خير أهل الأرض قيل لهم

ألا يا أيّها العامّة! قد ولّى زمن البغض و الإعتدآء، و أقبل عصر الحبّ و الإخآء، و آن لجميع المسلمين أن يرفضوا الطّواغيت و يتبرّؤا من حكّام الجور، فيدخلوا مدينة علم الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم من بابها، و يلجوا من باب حطّة و يلجأوا إلى أمان أهل الأرض بركوب سفينتهم، و مقارنة شيعتهم، فقد زال سوء التّفاهم من البين، و أسفر الصّبح عن توثق الرّوابط بين الطّائفتين و الحمدلله ربّ العالمين.

«العامّة و المودّة في القربى»

قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله و أكمل تحيّاته فيما علّم كميل بن زياد عليه الرّحمة من الدّعاءِ: «فلئن صيّرتني في العقوبات مع أعدآئك و جمعت بيني و بين أهل بلائك و فرّقت بيني و بين أحبّائك و أوليائك، فهبني يا إلهي و سيّدي و مولاي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك؟!».

و لا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ الإمام عليّ عليه السلام قد أدرج في هذا الدّعآءِ فراق أحبّآئه و أوليآئه في فراقه، و إلاّ فالظّاهر أن يقال: «فكيف أصبر على فراقك، و فراق أحبّائك و أوليآئك» تنبيهاً على أنّ فراقهم - من حيث هم أوليآؤه و منتسبون إليه - فراقه، و لهذا من أحبّهم فقد أحبّ الله و من أبغضهم فقد أبغض الله.

و ذلك أنّ من أحبّ شيئاً أحبّ آثاره ... و نعم ما قال الشّاعر:

أمرّ على جدار ديار سَلمى   أُقَبِّلُ ذا الجدار و ذاالجدارا
و ما حبّ الدّيار شغفن قلبي   و لكن حبّ من سكن الدّيارا

فالأثر بما هو أثر ليس شيئاً على حياله، إنّما هو كالمعنى الحرفيّ ليس ملحوظاً باستقلاله بل هو كالمرآة لملاحظة المؤثر كما قال رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم: «من رآني فقد رأى الحق فإنّ الشّيطان لا يتكوّنني» أى من رآني في منامه ... كما في حديث آخر: «من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشّيطان لا يتمثّل بي ...».

فمحبّته عائدة إلى محبّته، و عداوته عآئدة إلى عداوته، و لهذا لا يظهر خلوص محبّة أحد إلاّ بأن يحبّ أقاربه و منسوبيه و محبّيه قال الله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» فمن كان أقرب النّاس و أحبّهم إلى رسول الله صلى اللّه عليه و آله وسلم؟

لو كانت القربى شاملة لقريش لوجبت على المؤمنين مودّتهم، هل تجب مودّتهم مع شركهم وكفرهم كأبي لهب؟ هل تجب مودّة بني اميّة مع جناياتهم؟ هل تجب مودّة بنى العباس مع خياناتهم الّتي سوّدت وجه التأريخ البشري؟ هل تجب مودّة أبي لهب و هو من قريش، و الله تعالى يقول فيه: «تبّت يدا أبي لهب و تبّ ...»؟ أكان الّذين أعرضوا عن رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم يوم الإنذار: «و أنذر عشيرتك الأقربين» الشّعرآء: ٢١٤) هم القربى تجب على المؤمنين مودّتهم ؟؟؟!!!

ولايشكّ من له طيب الولادة و حسن السّريرة في أنّ الله عزّوجلّ جعل مودّة أهل بيت رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم ضريبة على المؤمنين مقابل منحهم الرّسالة المحمّديّة و ما فيها من فضآئل النّعم الدّنيويّة و الاخرويّة فقال: «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» و قد نزلت هذه الآية الكريمة تفرض على المسلمين مودّة العترة الطّاهرة بشهادة مئات مصدر من مصادر العامّة سبق ذكر كثير منها آنفاً.

فاذا كانت محبّتهم نزل بها القرآن الكريم، و جعلها فرضاً على أهل القبلة كافّة كما اعترفوا هم بذلك، و إذا كانت مودّتهم هي أجر الرّسالة المحمّدية كما نطق صريح البيان، و إذا كانت مودّتهم عبادة يتقرّب بها إلى الله عزّوجلّ فما بال للعامّة لايقيمون لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وزناً و لاينزلونهم إلاّ دون منزلة الصّحابة و إن كانوا منافقين: أولم يكن أهل البيت قربى رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم؟

و لنا أن نسئل العامّة، بل لنا أن نتحدّاهم أن يأتونا بآية قرآنية واحدة أو بحديث نبويّ واحد يفرض على المسلمين مودّة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو أُبيّ واحد من الصّحابة؟! كلاّ و أنّى لهم مثل ذلك، فلا يوجد في كتاب الله و لا في سنّة رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم شئ من ذلك بل يوجد في القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى منزلة أهل

البيت الرّفيعة و تفضيلهم على سآئر العباد ... و في السّنّة النّبويّة أحاديث كثيرة تفضل أهل البيت و تقدّمهم على سآئر المسلمين كلّهم، تقديم الإمام على المأموم، تقديم العالم على الجاهل، تقديم النور على الظلمة، و تقديم البصير على الأعمى ...

و يكفينا من القرآن الكريم آية المودّة الّتي نحن بصدد بيان حقآئقها و أسرارها، و حِكَمها و معارفها، و بيان معانيها و مفاهيمها ... و آية المباهلة و آية الصّلاة على النّبيّ و آله، و آية إذهاب الرّجس و التّطهير، و آية الولاية و آية إكمال الدّين، و آية التبليغ، و آية الإصطفآء و وراثة الكتاب ...

و يكفينا من السّنّة النّبويّة حديث الثقلين، و حديث السّفينة، و حديث المنزلة، و حديث الصّلاة الكاملة، و حديث النجوم و حديث الغدير، و حديث مدينة العلم، و حديث الأئمة بعدي إثناعشر ...

و لانريد القول بأنّ ثلث القرآن الكريم نزل في مدح أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، و ذكر فضآئلهم و مناقبهم كما يقول عدّة من الصّحابة كإبن عباس و ابن مسعود غيرهما، و لا أن ندّعي بأنّ ثلث السّنّة النبويّة تنويه و تمجيد في أهل بيت النّبوّة عليهم صلوات الله، و توجيه النّاس إلى فضلهم و فضآئلهم كما ألمح لذلك احمد بن حنبل و غيره، و يكفينا من الكتاب و السّنّة ما أوردناه من صحاح العامّة في مواضع عديدة متناسبة من هذا التفسير للدّلالة على تفضيل أهل بيت الوحي عليهم السّلام على من سواهم من البشر.

و بعد نظرة و جيزة إلى عقآئد العامّة و أفكارهم، إلى كتبهم و سِيَرهم، و إلى سلوكهم التّاريخي تجاه أهل بيت النّبوّة عليهم السّلام ندرك بدون غموض بأنّهم اختاروا الجانب المعاكس و المعادي لأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين و بأنّهم أشهروا سيوفهم لقتالهم و سخّروا أقلامهم لانتقاصهم و النّيل منهم، و لرفع شأن أعدآئهم و مخالفيهم و غاصبي حقوقهم، و من حاربهم.

و يكفينا على ذلك دليل واحد يعطينا الحجّة البالغة أنّ العامّة لم يعرفوا إلاّ في القرن الثّاني من الهجرة النّبويّة كردّ فعل على الشّيعة الّذين والوا أهل البيت، و انقطعوا

إليهم، فإنّنا لا نجد شيئاً في فقههم و عباداتهم و كلّ معتقداتهم يرجعون فيه إلى السّنّة النّبويّة المرويّة عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام.

و هب أنّهم كما يزعمون اليوم و يقولون: «نحن أولى بعليّ و أهل البيت من الشّيعة» فلماذا ترك علمآؤهم و أئمّة المذاهب عندهم فقه أهل البيت، و كان عندهم نسياً منسيّاً؟ و اتّبعوا مذاهب ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى: «إنّ أولى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه» آل عمران: ٦٨) أمّا الذين لم يتبعوه فليسوا أولى به، و رغم أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت فهم ذرّيّة المصطفى و عترته، و رغم أنّهم لم يسبقهم أحد في علم و لا عمل، و أنّهم واكبوا مسيرة الامّة طوال ثلاثة قرون، و تداولوا الإمامة الرّوحيّة و الدّينيّة عبر الأئمّة الإثنى عشر الّذين لم يخالف منهم واحد رأي الثّاني، فإنّنا نجد العامّة يتعبّدون بالمذاهب الأربعة الّتي لم تخلق إلاّ في القرن الثّالث من الهجرة، و الّتي يخالف فيها بعضهم رأي البعض الآخر، و مع ذلك كلّه نبذوا أهل البيت عليهم السّلام ورآء ظهورهم، كما نبذوا كتاب اللّه تعالى ورآء ظهورهم و وقفوا منهم موقف العدآءِ بل و حاربوا كلّ من تشيّع لهم، و لا زالوا يحاربونهم حتّى يوم النّاس هذا.

و إذا أردنا دليلاً آخر، فما علينا إلاّ أن نحلّل موقف العامّة من ذكرى يوم عاشورآءِ ذلك اليوم المشئوم الّذي هُدِمَ فيه ركن الإسلام بقتل سيّد شباب أهل الجنّة و العترة الطّاهرة من ذرّية المصطفى و النّخبة الصّالحة من أصحابه المؤمنين:

أوّلاً: نلاحظ أنّهم يقفون من قتلة الحسين بن عليّ عليهما السّلام موقف الرّاضي الشّامت المعين، و لا يستغرب منهم ذلك، فقتلة الحسين عليه السلام كلّهم من العامة، و يكفي أن نعرف بأنّ قآئد الجيش الّذي ولاّه إبن زياد لقتل الحسين بن عليّ عليهما السّلام هو عمر بن سعد بن أبي وقّاص، و لذلك فـ «أهل السّنّة و الجماعة» يترضون على الصّحابة أجمعين بما فيهم قتلة الحسين و الّذين شاركوهم، و يوثّقون أحاديثهم، بل و فيهم من يعتبر الإمام الحسين «خارجياً» لأنّه خرج على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية!

و قد سبق آنفاً أنّ فقيه «أهل السّنّة و الجماعة» عبدالله بن عمر قد بايع يزيد بن معاوية، و حرّم أن يخرج أحد من أتباعه على يزيد و قال: «نحن مع من غلب».

و ثانياً: نرى أنّ العامّة على مرّ التّاريخ من يوم عاشورآءِ إلى يومنا هذا يحتفلون بيوم عاشورآءِ و يجعلونه عيداً يخرجون منه زكاة أموالهم، و يوسعون فيه على عيالهم، و يروون بأنّه يوم بركات و رحمات ... و لا يكفيهم كلّ ذلك، فتراهم إلى اليوم يشنّعون على الشّيعة، و ينتقدون بكآء هم على الحسين بن عليّ و أصحابه المقتولين بكربلاء صلوات الله عليهم أجمعين، و في بعض البلدان الإسلاميّة يمنعونهم من إقامة ذكرى العزآءِ و يهجمون عليهم بالسّلاح، و يعملون فيهم ضرباً و تقتيلاً بدعوى محاربة البدع، و في الحقيقة هم لا يحاربون البدع بقدر ما يمثلون دور الخلفآءِ الثلاثة الغاصبين و الحكّام الامويين و العبّاسيين الّذين حاولوا جهدهم للقضآء على ذكر شهادة بضعة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بضرب عمر بن الخطّاب، و إحراق دارها و إسقاط جنينها، و على شهادة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام و شهادة الحسن بن عليّ عليهما السّلام بأيدى الصّحابة العدول و أتباعهم و على ذكرى عاشورآءِ، و وصل بهم الأمر إلى نبش قبر الحسين عليه السلام و إعفآئه ومنع النّاس من زيارته. فهم إلى الآن يريدون القضآء على إحيآءِ تلك الذكرى خوفاً من أن يعرف النّاس - و من يجهلون حقيقة أهل البيت - واقع الامور، فتنكشف بذلك عورات أسيادهم و كبرائهم، و يعرف النّاس الحقّ من الباطل، و المؤمن من الفاسق، و العالم من الجاهل، و الطيّب من الخبيث ...

و بهذا يتبيّن لنامرّة اخرى: أنّ الشّيعة هم أهل السّنّة النّبويّة لأنّهم اتّبعوا سنّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم حتّى في الحزن و البكآءِ على أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام، و ذلك بروايات ثابتة أنّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم قد بكى على ولده الحسين عليه السلام عندما أعلمه جبرئيل بمقتله في كربلآءِ بأيدي شرّ النّاس الّذين يدّعون أنّهم أُمّة جدّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و أنّهم أهل السّنّة و الجماعة، و ذلك قبل الواقعة بخمسين عاماً.

و يتبيّن لنا أيضاً أنّ العامّة هم يحتفلون بيوم عاشوراء لأنّهم اتّبعوا سنّة يزيد بن معاوية و بني اميّة احتفالهم بذلك اليوم لأنّهم انتصروا فيه على الحسين بن عليّ

عليهاالسّلام و أخمدوا ثورته الّتي كانت تهدّد كيانهم، و قطعوا بذلك دابر الشّـغب عـلى حدّزعمهم.

و التأريخ يحدّثنا بأنّ يزيد و بني اميّة احتفلوا بذلك اليوم احتفالاً كـبيراً حـتّى وصل إليهم رأس الحسين سبط المصطفى صلى اللّه عليه و آله و سلم و سبايا أهل البيت عليهم السّلام، ففرحوا بذلك و شتموا برسول‌اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم و قالوا في ذلك أشعاراً باسم الإسلام و جلب رضاالله سبحانه، فقتلوا ذرّيّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بأنّهم من اّمته صلى اللّه عليه و آله و سلم و أنهم يتّبعون سنّته صلى اللّه عليه و آله و سلم و قد تقرّب إليهم علماء السوء والفسقة من أهل «السّنّة و الجماعة» فوضعوا لهم أحاديث في فضل ذلك اليوم، و أنّ عاشوراء هو اليوم الّذي تاب الله فيه على آدم، و هو اليوم الّذي رست فيه سفينة نوح على جبل الجودي، و هو اليوم الّذي كانت فيه النّار برداً و سلاماً على إبراهيم، و هو اليوم الّذي خرج فيه يوسف من السّجن، و ردّ فيه بصر يعقوب، و هو اليوم الّذي انتصر فيه موسى على فرعون، و هو اليوم الّذي نزلت فيه على عيسى مائدة من السّماء.

و هذه الرّوايات و نحو ها كلّها يردّد ها علماء العامّة و زعمآئهم على المنابر حتّى اليوم بمناسبة عاشوراء و هى روايات كلّها من وضع الدّجالين الّذين تزيّوا بزيّ العلمآء، و تقربّوا إلى حكّام الجور و الجناية بكلّ الوسائل، فباعوا آخرتهم بدنيا هم فما ربحت تجارتهم و هم في الآخرة من الخاسرين.

قد أمعنوا في الكذب عندما رووا بأنّ رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم هاجر إلى المدينة فصادف دخوله إليها يوم عاشوراء، فوجد يهود المدينة صياماً، فسئلهم عـن السّبب، قالوا: هذا اليوم الّذي انتصر فيه موسى على فرعون، فقال النّبيّ صلى اللّه عليه و آله وسلم: نحن أولى بموسى منكم، ثمّ أمر المسلمين بصوم عاشوراء و تاسوعاء لمخالفة اليهود.

و هذا كذب محض مفضوح، إذ لم يسمح لليهود ببعيد أنّهم يصومون فيه يسمّونه عاشوراء!

و هل لنا أن نسئل ربّنا جلّ و علا: كيف جعل هذا اليوم مباركاً على كلّ أنبيائه و

رسله من آدم إلى عيسى إلاّ محمد صلى اللّه عليه و آله و سلم، فكان عليه هذا اليوم مصيبة و عزاءً و شؤماً إذ قُتِلَ فيه ذرّيّته و عترته، و ذُبِحُوا ذبح الغنم، و أُخذت بنايا سبايا؟

والجواب: إنّ الله سبحانه لم يجعل يوم عاشوراء يوماً مباركاً، و إنّما جعله شرار امّة خاتم رسله بعد قتلهم ذرّيّته صلى اللّه عليه و آله و سلم يوماً مباركاً رغم رسولهم صلى اللّه عليه و آله و سلم اذ فرض الله عزّ وجلّ عليهم المودّة في قرباه صلى اللّه عليه و آله و سلم أجراً لرسالته صلى اللّه عليه و آله و سلم لعداوتهم له صلى اللّه عليه و آله و سلم و تبعهم سفلة النّاس إلى الآن «فمن حاجّك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نسآئنا و نسآئكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» آل عمران: ٦١).

فلا حول و لا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، والسئوال يعود دآئماً:

أيّ الفريقين على الحقّ و أيّهما على الباطل؟ أيّ الفريقين على الهدى، و أيّهما على الضّلالة؟ أيّ الفريقين على الصّواب و الرّشاد، و أيّهما على الخطأ و الإنحراف؟ و أيّ الفريقين على الايمان و الطّاعة، و أيّهما على النّفاق والطغيان؟؟؟ فإمّا أن يكون أهل بيت النّبوّة المعصومين عليهم السلام ظالمين العياذ بالله و على غير الحق، و إمّا أن يكون الخلفآء الثلاثة: أبوبكر بن أبي قحافة، و عمر بن الخطّاب، و عثمان بن عفّان غاصبين و على الباطل، إمّا أن يكون عليّ ابن ابيطالب عليه السلام و شيعته ظالمين و على غير الحق، و امّا أن يكون معاوية بن ابي سفيان و أذنابه باغين و على الباطل، إمّا أن يكون الحسين بن علي و أصحابه عليهم السلام خارجين عن دين الإسلام و إما أن يكون يزيد بن معاوية و أُجرآؤه مرتدّين ...

و قد أوضح الله جلّ و علا لرسوله كلّ شيء في قوله تعالى: «الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم و اخشون اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام دينا - يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدى القوم الكافرن» المآئدة: ٣ و ٦٧) فالكافرون الأوّلون هم الكافرون الآخرون من دون شبهة لمن له طيب الولادة غير أنّ

مدّعي اتباع السّنّة يبغونها عوجاً، و لعمري إنّه قد اتّضح لي من خلال البحث و من خلال الوقوف على الدّفاع عن الخلفآء الثلاثة الغاصبين، و عن معاوية و أذنابه الطّاغين و عن يزيدبن معاوية و عملآئه الجانين ... أنّ هؤلآء المدافعين كلّهم أتباع بني اميّة على جميعهم اللعنة و الهاوية كما يدّعون أنّهم أتباع السّنّة النّبوّية لتحميق أتباعهم السّفلة ... و خصوصاً إذا تتبعت مواقفهم فهم أعدآء لشيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين و يحتفلون بيوم عاشورآء عيداً، و يدافعون عن الصّحابة الّذين آذوا رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم في حياته و بعد وفاته، و يصحّحون أخطآءهم و جناياتهم، و يبررون أعمالهم الفاسدة ... ترى! كيف أنتم أيّها الببغآء تحبّون أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و ترضون في نفس الوقت على أعدآئهم و قاتليهم؟ «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» الأحزاب: ٤) يحب الله بأحدهما، و يحبّ عدوّه بالآخر، و اجتماع الحبّين المتضادّين في قلب واحد محال. كيف أنتم أيّها السّفهآء تحبّون الله و رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم، و في نفس الوقت تدافعون عمّن بدّل أحكام الله و رسوله صلى اللّه عليه وآله و سلم و اجتهد و تأوّل برأيه في أحكام الله؟ كيف تحترمون أيّها الجهلآء من لم يحترم رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بل طعن في إمارته، و رماه بالهجر والهذيان؟ كيف أنتم تقلّدون رجّالة بإسم الفقهآء نصّبتهم حكّام الجور الامويّون أو الدّولة الطّاغية العبّاسيّة لامور سياسيّة، و تتركون أهل بيت رسول الله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين اصطفاهم الله جلّ و علا ليهدوا النّاس بأمرهم، و قد نصّ عليهم رسول الله صلى اللّه عليه وآله و سلم بعددهم و أسمآئهم؟ كيف تقلّدون من لم يعرف رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم حقّ معرفته، و تتركون باب مدينة العلم، و من كان منه بمنزلة هارون من موسى؟؟؟

من الّذي اطلق مصطلح أهل السّنّة و الجماعة؟!

ولعمرى! إنّي استقصيت في التّأريخ، فلم أجد إلاّ أنّهم اتّفقوا على تسمية العامّ الّذي استولى فيه معاوية على الحكم بعام الجماعة، و ذلك أنّ الامّة انقسمت بعد مقتل عثمان إلى قسمين: شيعة علّي بن أبيطالب عليه السلام و أتباع معاوية بن أبي سفيان، و لمّا

استشهد الإمام عليّ عليه السلام و استولى معاوية على الحكم بعد الصّلح الّذي أبرمه مع الإمام الحسن عليه السلام و أصبح معاوية هو أمير الفاسقين سُمِّيَ ذلك العام بعامّ الجماعة، إذاً فالتّسمية عند العامّة بأهل السّنّة و الجماعة دالّة على اتّباعهم سنّة معاوية و الإجتماع عليه، وليست تعني اتباع سنّة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم.

ولكن الأمر في الواقع و الحقيقة عند الخبرآء المتفكّرين و العلمآء المحققين يرجع إلى قبل ذلك و هو يوم الخميس الّذي سمّى بيوم الرزيّة، و ذلك أنّ رسول الله صلى اللّه عليه وآله و سلم لمّا أمر حين احتضاره بايتآء الكتاب و الدّواة لأدآء أمانة الولاية لأهلها، و عنده صلى اللّه عليه و آله و سلم جمع من الصّحابة قال عمر بن الخطّاب متهتّكاً لحرمة رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و معترضاً عليه: «إنّ الرّجل ليهجر» و قال: «حسبنا كتاب الله» و قد تبعه في هذه الوقاحة و إسآئة الأدب جمع من الحضّار، فنحّاهم رسول الله صلىاللّه عليه و آله و سلم عنه، فأصبحت الجماعة تابعي سنّة عمر بن الخطاب في الوقاحة و الجسارة و الإهانة برسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و قالوا بعموم عدالة الصّحابة كلّهم و إن كانوا متهتّكين لحرمة الرّسالة، فهم عامّة و أهل سنّة و جماعة بهذا المعنى.

ألا يا أيها النّاس الأحرار! أو لم يكن أهل بيت الوحي المعصومون عليهم السّلام أدرى بما في البيت، و أعلم بسنّة صاحب البيت من هؤلاءِ الخلفآء الجلفآءِ الغاصبين، من هؤلآءِ البغآء الطّاغين، و من هؤلآءِ الطّلقآءِ المنافقين الّذين لم يؤمنوا بالله تعالى و لا بكتابه و لا برسوله صلى اللّه عليه و آله و سلم طرفة عين أبداً؟ و أهل مكّة أدرى بشعابها، و لكن جماعة من النّاس من دون شعور خالفوا أهل البيت، و اتّبعوا أعدآءهم ... و منهم رغم اعترافهم بالحديث الّذى ذكر فيه رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم إثنى عشر خليفة كلّهم من قريش في هذا البطن من هاشم اتبعوا أهوآءهم و باعوا دينهم بدنياهم، فاستنّوا بسنّة هؤلآءِ الجلفآء، و بسنّة طليق بن طليق معاوية بن أبي سفيان سنّها في سبّ عليّ و أهل البيت عليهم السّلام، و استمرّت (٩٩) عاماً و لم يقدر على إزالتها إلاّ عمربن عبد العزيز، و قد تآمر الامويّون على قتله، و هو منهم لأنّه أمات سنّة معاوية و هى لعن عليّ بن أبيطالب عليه السلام و سبّه، و العداوة لأهل بيت الوحى عليهم السّلام.

و من عداوة العامّة لأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين تكشف عن هو يتّهم:

١- إنهم لن يرضوا عن شيعة العترة الطّاهرة عليهم السّلام أن تقول: إنّ عمربن الخطاب هجر و لغى في نسبة اللغو و الهجر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين أراد أن يكتب أمر الخلافة بعده، لأنّ العامّة تقول: إنّ عمر كان صحابياً عادلاً لم يجوّز للنّبيّ أن يكتب أمر الخلافة بعده حين احتضاره، و لا يجوز لأحد أن يقول في صحابيّ شيئاً ما!

٢- إنّ العامّة لن يرضوا عن شيعة آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم أن تقول: إذا لم تكن الكتابة جائزة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهجر و لغى أبوبكر في كتابته أمر الخلافة لعمر بعده حين احتضاره بل قد غشى حين الوصية و الكتابة، و الكاتب هو ثالث ثلاثة عثمان بن عفّان، لأنّ العامّة تقول: إنّ أبابكر كان صحابياً عادلاً، و لا يجوز لأحد أن يقول فيه شيئاً!

٣- إنّ العامّة لن يرضوا عن شيعة أهل بيت النّبوّة صلوات الله عليهم أجمعين أن يسبّوا و يلعنوا معاوية بن أبي سفيان لسبّه و لعنه عليّ بن أبيطالب عليه السلام لأنّ العامّة تقول: إنّ معاوية كان صحابياً عادلاً فلا يجوز لأحد أن يقول فيه شيئاً ما!

أو لم يكن محمد صلى الله عليه و آله و سلم صاحب الرّسالة عادلاً؟!

أو لم يجوز لصاحب الرّسالة الكتابة في أمر الخلافة، و كانت لأبي بكر جآئزة؟!

أو لم يكن عليّ عليه السلام من الصّحابة؟!

نعم: إنّ العامّة يجوّزون لكلّ فاجرو باغ أن يقول في صاحب الرّسالة و الخلافة كلّ شيء، و لا يجوّزون لصاحب الرّسالة و الخلافة و شيعتها أن يقولوا في ظالم و طاغ شيئاً ما!

اللهّم العن مَن لم يلعن هؤلاء البغآء الغاصبين و أتباعهم الظّالمين بعدد ما أحاط به علمك.

«عداوة أهل السّنّة لأهل البيت عليهم السلام تكشف عن هويتهم»

و اعلم أنّ في المقام كلاماً للدكتور محمد التيّجاني السّماوي - دكتوراه فلسفة في جامعة السّوربون باريس و هو من المتفكرّين جدّاً ـ في كتابه: (الشّيعة هم أهل السّنّة ط مؤسّسة الفجر لندن) ما نصّه: «إنّ الباحث يقف مبهوتاً عندما تصدمه حقيقة «أهل السّنّة و الجماعة» و يعرف بأنّهم كانوا أعدآء العترة الطّاهرة، يقتدون بمن حاربهم و لعنهم و عمل على قتلهم و محو آثارهم ... و لذلك تجد «أهل السّنّة و الجماعة» يوثّقون المحدّثين إذا كانوا من الخوارج أو من النّواصب العثمانية، و يتّهمون و يوهّنون المحدّثين إذا كانوا من شيعة أهل البيت، و إنّك تجد ذلك مذكوراً في كتبهم بصراحة عندما يحاولون تكذيب الأحاديث الصّحيحة الّتي وردت في فضآئل عليّ بن أبيطالب عليه السلام و يوهّنون راويها بقولهم: و في سنده فلان و هو رافضيّ.

و يصحّحون الأحاديث المكذوبة الّتي وُضِعت لتفضيل و تمجيد الخلفآءِ الآخرين، و إن كان راويها من النّواصب، لأنّ النّصب عندهم هو شدّة و صلابة في السّنّة. فهذا ابن حجر يقول في كتابه: (تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ١٤٥) و (ج ١ ص ٨٢) عن عبدالله بن إدريس الأزدي المعروف بالنّصب يقول: «إنّه صاحب سنّة و جماعة و كان صلباً في السّنّة و كان عثمانياً» و يقول في عبدالله بن عون البصرى: «إنّه موثّق و له عبادة و صلابة في السّنّة و شدّة على أهل البدع، قال ابن سعد: و كان عبدالله بن عون البصري عثمانيّاً».

«العثمانيوّن هم النّواصب الّذين يكفّرون عليّاً و يتّهمونه بقتل عثمان، و على رأسهم معاوية بن أبي سفيان ابن عمّ عثمان فهو رئيسهم و زعيمهم. فالنّواصب هم أعدآء عليّ و أهل بيته من الخوارج و القاسطين و النّاكثين و الّذين ناصبوا له العداء و حاربوه و بعد استشهاده عملوا على سبّه و لعنه».

كما يقول في إبراهيم بن يعقوب الجوز جاني المعروف ببغضه لعليّ عليه السلام: إنّه كان حريزى المذهب أى على مذهب حريزبن عثمان الدّمشقى المعروف بالنّصب. قال ابن حيان: إنّه كان صلباً في السّنّة حافظاً للحديث. و تجدر الإشارة هنا بأنّ هذا النّاصبيّ الّذي يمدحونه بالصّلابة في السّنّة و بحفظ الحديث، كان يغتنم اجتماع المحدّثين على بابه، فيبعث بجارية له، و معها دجاجة في يدها، فتطوف في المدينة، ثمّ تعود لتقول السّيدها الجوزجاني بأنّها لم تجد من يذبح لها الدّجاجة، فيصيح عند ذلك قآئلاً: سبحان الله!! فرّوجة لا يوجد من يذبحها و عليّ يذبح في صحوة من نهار نيفاً و عشرين ألف مسلم!!

و بمثل هذا المكر و الدّهآء يحاول النّواصب أعدآء أهل البيت تحريف النّاس عن الحق و إضلالهم بمثل هذه الأراجيف الكاذبة حتّى يملأوا قلوب المسلمين، و خصوصاً المحدّثين منهم، حقداً و بغضاً لعليّ بن أبيطالب عليه السلام و يستبيحوا بذلك سبّه و شتمه و لعنه. و إنّك لتجد هذه الظّاهرة موجودة إلى يوم النّاس هذا، فرغم إدّعآءِ «أهل السّنّة و الجماعة» في زماننا بأنّهم يحبّون أهل البيت، و يترضّون عن سيّدنا عليّ كرّم الله وجهه كما يقولون، إلاّ أنك عند ما تروي حديثاً فيه فضيلة لعليّ عليه السلام تراهم يغمزون و يهزؤون، و يرمونك بالتشيّع و قول البدع و الغلوّ في الدّين.

و عندما تحدّث عن الخلفآءِ: أبي بكر و عمر و كلّ الصّحابة بدون استثنآءٍ و تقول في فضلهم ما شئت و تغالى في ذلك، فانّهم يطمئنّون إليك و يستأنسون بحديثك، و يقدّمونك على أنّك كثير العلم، واسع الإطلاع.

إنّها بالضبط عقيدة سلفهم ... فقد نقل المؤرّخون بأنّ الإمام أحمد بن حنبل كان يضعّف من أهل الحديث كلّ من ينتقص أبابكر أو عمر أو عثمان، بينما كان يكرم إبراهيم الجوزجاني النّاصبيّ المتقدّم ذكره إكراماً شديداً، و يراسله و يقرأ كتبه على المنبر و يحتج

بها، و إذا كان هذا حال أحمد بن حنبل الّذي فرض على معاصريه القول بخلافة عليّ عليه‌السلام و ربّع بها، فلا تسئل عن الآخرين الّذين لم يعترفوا له بفضيلة واحدة أو الّذين سبّوه و لعنوه على المنابر في الجمعة و الأعياد.

و هذا الدّار قطني يقول: «كان ابن قتيبة متكلّم أهل السّنّة يميل إلى التّشبيه، منحرف عن العترة» راجع (لسان الميزان: ج ٣ ص ٣٧٥) للذّهبي

و بهذا يتبيّن بأنّ أغلب «أهل السّنّة و الجماعة» كانوا منحرفين عن عترة الرّسول صلى الله عليه و آله و سلم و هذا المتوكّل الّذي لقّبه أهل الحديث بـ«محيي السّنّة» و الذي كان يكرم أحمد بن حنبل، و يعظّمه و يطيع أوامره في تنصيب القضاة، كان من أكبر النّواصب لعليّ و لأهل البيت عليهم السّلام حتّي وصل به الحقد إلى نبش قبر الحسين بن عليّ و منع من زيارته، و قتل من يتسمّى بعليّ. و ذكره الخوارزمی في رسآئله، و قال بأنّه كان لا يعطي مالاً و لا يبذل نوالاً إلاّ لمن شتم آل أبي طالب عليهم السّلام و نصر مذهب النواصب. راجع (رسائل الخوارزمي: ص ١٣٥)

و غنى عن التّعريف بأنّ مذهب النّواصب هو مذهب «أهل السّنّة و الجماعة» فناصر مذهب النّواصب المتوكّل هو نفسه «محيي السّنّة» فافهم.

و هذا إبن كثير يحدّثنا في (البداية و النّهاية: ج ١١ ص ١٤٧) بأنّ أهل السّنّة و الجماعة عند ما سمعوا الأعمش يروي حديث الطّير المشويّ الّذي فيه فضيلة عليّ بن أبيطالب عليه السلام أخرجوه من المسجد و غسلوا مكانه. كما أنّهم حاولوا منع دفن الإمام محمّد بن جرير الطّبرى صاحب التفسير الكبير والمؤرّخ العظيم لا لشيء إلاّ لأنّه صحّح حديث غدير خم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» و جمع رواياته من طرق متعدّدة، بلغت حدّ التّواتر.

قال إبن كثير في (البداية و النّهاية: ج ١١ ص ١٥٧): «و قد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلّدين ضخمين، و كتاباً جمع فيه حديث الطّير المشويّ، و ذكره أيضاً ابن حجر في (لسان الميزان في ترجمة ابن جرير الطّبرى) فقال: هو الإمام الجليل و المفسّر، ثقة، صادق، فيه تشيّع يسير و موالاة لا تضرّ».

و هذا المحدّث الكبير الإمام النّسآئي و هو صاحب أحد الصّحاح السّتّ عند أهل السّنّة عندما كتب كتاب الفضآئل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سئلوه عن فضآئل معاوية، فقال: لا أعرف له فضيلة إلاّ لا أشبع الله بطنه، فضربوه على مذاكيره حتّي غُشِيَ عليه و نُقِلَ و مات من ذلك.

كما يحدّثنا ابن كثير في تاريخه: (البداية والنهاية: ج ١١ ص ٢٧٥) عن حوادث سنة (٣٦٣) الّتي وقعت في بغداد بين الشّيعة و «أهل السّنّة و الجماعة» بمناسبة يوم عاشورآء قال: «إنّ جماعة من «أهل السّنّة» أركبوا إمرأة سمّوها عآئشة و تسمّى بعضهم بطلحة، و بعضهم بالزّبير، و قالوا: نقاتل أصحاب عليّ عليه السلام فقتل بسبب ذلك خلق كثير».

و هذا بالضّبط ما يقع اليوم في الهند، فانّ «أهل السّنّة و الجماعة» يهجمون على الشّيعة في يوم عاشورآء ليمنعوهم من موكب التعزية، فيقتل بسبب ذلك خلق كثير من المسلمين الأبريآء.

و بعد هذا العرض يتبيّن لنا بوضوح بأنّ النّواصب الّذين عادوا عليّاً عليه السلام و حاربوا أهل البيت عليهم السّلام هم الّذين سمّوا أنفسهم بـ«أهل السّنّة و الجماعة» و قد عرفنا ماذا يقصدون بالسّنّة، و ماذا يقصدون بالجماعة. و من البديهيّ أنّ من كان عدوّاً لعترة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و سلم فهو عدوّ لجدّهم رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم و من كان عدوّاً لرسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم فهو عدوّ لله. و من البديهيّ أيضاً أنّ عدوّ الله و رسوله و أهل بيته ليس هو من عباد الرّحمن، و ليس هو من أهل السّنّة إلاّ أن تكون سنّة الشّيطان هي المقصودة، أمّا سنّة الرّحمن فهى مودّة الله و رسوله و أهل البيت و موالاتهم و السّير على هداهم قال تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى» الشّورى: ٢٣) فأين معاوية من عليّ؟ و أين أئمّة الضّلال من أئمّة الهدى؟ و أين «أهل السّنّة و الجماعة» من الشّيعة الأبرار؟

«هذا بيان للنّاس و هدى و موعظة للمتّقين» آل عمران: ١٣٨) صدق الله العليّ العظيم» انتهى كلام التيجاني المتفكر الخبير المنصف.

و قال التيجاني في كتابه الآخر: (ثمّ اهتديت: ص ١٧١) في بحث (مصيبتنا في الاجتهاد مقابل النصوص): ما نصّه: «يا أهلي و عشيرتي لنتّجه - على هدى الله تعالى - إلى البحث عن الحقّ، و ننبذ التّعصّب جانباً فنحن ضحايا بني العبّاس و ضحايا التأريخ المظلم، و ضحايا الجمود الفكري الّذي ضربه علينا الأوآئل، إنّنا لا شكّ ضحايا الدّهآء و المكر الّذي اشتهر به معاوية، و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة و أضرابهم، ابحثوا في واقع تاريخنا الإسلامي لتبلغوا الحقآئق النّاصعة، و سيئوتيكم الله أجركم مـرّتين، فعسى أن يجمع الله بكم شمل هذه الامّة الّتي نكبت بعد موت نبيّها، و تمزّقت إلى ثلاث و سبعين فرقة، و هلمّوا لتوحيدها تحت راية لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله و الإقتداء بأهل البيت النّبويّ الّذين أمرنا رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم بـاتباعهم فـقال: «لا تتقدّموهم، فتهلكوا و لا تتخلّفوا عنهم فتهلكوا و لا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم».

رواه جماعة من أعلامهم:

منهم: السّيوطي في (الدّرّ المنثور: ج ٢ ص ٦٠) و ابن الأثير في (اسد الغابة: ج ٣ ص ١٣٧) و ابن حجر في (الصّواعق المحرقة: ص ١٤٨) و الهيتمي في (مجمع الزّوائد: ج ٩ ص ١٦٣) و القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة: ص ٤١ و ٣٥٥) و قد جآء أيضاً في (كنز العمال: ج ١ ص ١٦٨).

ثمّ قال التيجاني: «لو فعلنا ذلك لرفع الله مقته و غضبه عنّا، و لا بدّلنا من بعد خوفنا أمناً، و لمكّننا في الأرض، و استخلفنا فيها، و لأظهر لنا وليّه الإمام المهدي عليه السلام الّذي وعدنا به رسول الله صلى اللّه عليه و آله و سلم ليملأ أرضنا قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً و ليتمّ به الله نوره في كلّ المعمورة» إنتهى كلامه بنصّه.

أقول: الحمدلله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانالله. و السّلام على من اتّبع الهدى.

تمّت سورة الشّورى و الحمدلله في الآخرة و الاولى
و صلى الله على محمّد و آله القربى بعدما أحاط
به علم الله جلّ و علا

الفهرس

فهرس ماجآء في تفسير سورة فصّلت

يدور البحث حولها على فصلين:

الفصل الأوّل: في عناوين تفسير السورة و فيها تسع عشرة بصيرة:

الفصل الثاني: في مواضيع الحِكَم القرآنيّة الدّقيقة و المعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة «فصّلت» و في الفصل بصيرتان:

البصيرة الاولى: فيها سبعة امور:

البصيرة الثانية: و فيها سبعة امور:

فهرس ماجآء في تفسير سورة الشّورىٰ

يدور البحث حولها على فصلين:

الفصل الأوّل: في عناوين تفسير السورة و فيها تسع عشرة بصيرة:

الفصل الثاني: في مواضيع الحِكَم القرآنيّة الدّقيقة و المعارف الاسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة «الشّورىٰ» و في الفصل سبعون أمراً: